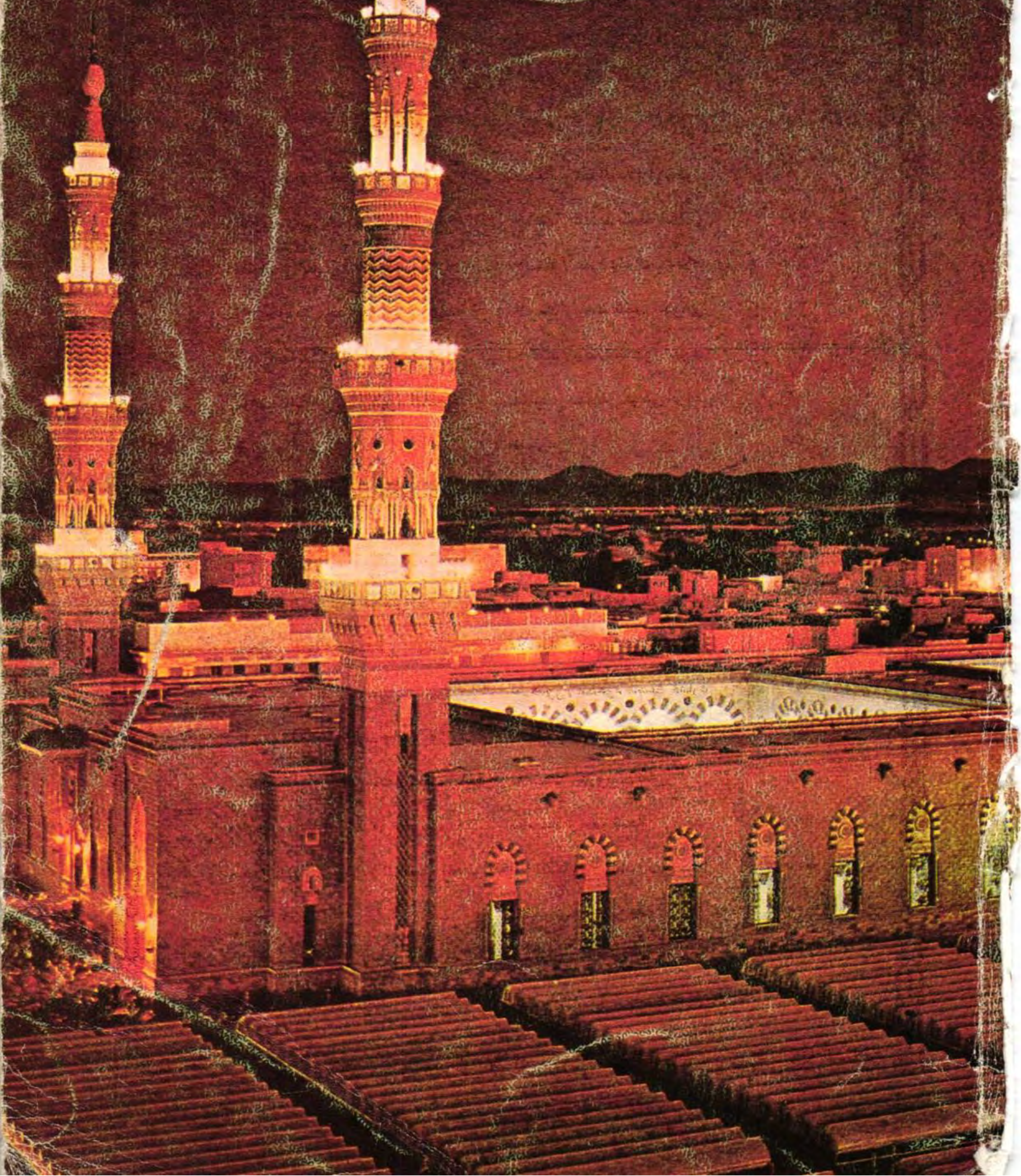
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٧٧ ـ محرم ١٤٠٨ هـ / سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧ م

هديتك مع العدد
براعم الإيمان والتقويم الهجري



محتويات العدد

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٧٧ ـ محرم ١٤٠٨ هـ / سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧ م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت
الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

• الثمن •

البلد	الثمن
الكويت	٢٠٠ فلسا
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما
السودان	١٥٠ مليما
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	٣ دراهم
البحرين	٢٠٠ فلس
العراق	١٥٠ فلسا
الاردن	٢٠٠ فلس
سوريا	ليرتان
لبنان	ليرتان
تونس	٢٥٠ مليم
الجزائر	ديناران
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	٣ ريالات
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

وقفة في بداية العام الجديد

لابد لأمة القرآن من وقفة التأمل والحساب الصريح ، وهي تستقبل عاما هجريا جديدا يطل عليها مع هلال المحرم ، كما يطل عام دراسي جديد ، به تستأنف الحركة التربوية مسيرتها وهي تنطلق نحو آفاق الفكر والوعي والعلم والنور ، نعم لابد من وقفة أمام حدث الهجرة تغاير ما سبقها من وقفات ، طال فيها الوقوف أمام أمجاد وبطولات ، ولكن الى متى يطول بنا الوقوف ؟ وإلى متى يخلو حاضر الأمة من تحرك إيماني يصل الحاضر بعز الماضي ، ويؤكد أننا من سلالة ابطال ابيض بهم وجه التاريخ ؟ لا يجوز بحال من الأحوال أن نواجه عامنا الجديد ، بنفوس يعصرها الألم والضيق ، ما دام ديننا يحارب اليأس والاحباط والانكسار ، بل يفرض علينا أن نواجه قدرنا برءوس يرفعها العزم والعمل ، وجهاد

يحقق الأمل ، ويقرب الفتح ونصرالله المبين ، وإذا جاز للمسلمين أن يحتفلوا بذكرى هجرة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فعليهم أن يستخلصوا من أحداثها العبر والعظات ، وما ينبغي ان يقتصروا في الذكرى على اجتماع يلتئم ساعة من الزمن ثم يتفرق ، أو على كلمات تلقى ثم تنسى دون ان تأخذ طريقها الى القلوب ودون ان يظهر اثرها في السلوك والأعمال ، بل يجب عليهم ان يتعلموا من الهجرة مبدأ الثبات على الحق مهما واجهتهم الأخطار وتألبت عليهم قوى الشر وجبهات العدوان ، وان يتفهموا قيمة التجمع الاسلامي تحت مظلة الاخاء ، وهم يطالعون في صفحات الهجرة الحكمة من مبادرة النبي المهاجر بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وأنه بهذا التآخي لله وفي الله أوجد قوة تحمي الدعوة وتحرس الاسلام ، وانه استطاع في الوقت نفسه سد ابواب فتنة الفرقة والتمزق التي يثيرها اليهود بين الاشقاء ، [وهذه صنعتهم في كل زمان ومكان] بالمؤاخاة عرفت الأمة الناشئة طريقها إلى الوحدة وجمع الشمل والتحام الصف في إطار الحب والتضحية والايثار ، وكان التآخي بداية انطلاق الدعوة الخالدة ، بعد أن ظلت حبيسة في مكة تحت ظروف صعبة وقاسية ، وفي جو خانق لا تزدهر معه قيم وخلق انساني ، وكانت الهجرة اهم حدث غيرمجرى الدعوة ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا .

على أمة القرآن وهي تجتاز أقسى مراحل تاريخها الطويل ، أن تعيش في جو الاخاء والصفاء ، وأن تهاجر من الفرقة الى الوحدة ، ومن التخاذل الى التناصر والتعاون ، ومن ضعف الانقسام إلى قوة الالتحام ، عليها أن تتلاقى بعد قطيعة ، وتصطلح بعد خصومة ، وأن تفىء إلى أمر الله في وحدة تقهر الطامعين وترد كيد المعتدين ، لقد انتصر الأولون حين واجهوا خطر الانقسام بالاتحاد والترابط ، كأنهم بنيان مرصوص ، وبتضحيات تعلو على المناصب والمطامع والأهواء ، يشهد بذلك التاريخ الاسلامي وقد كادت الفتنة أن تطل برأسها بين المهاجرين والأنصار ، ، بعد وفاة الرسول الكريم

مباشرة ، وطالب كل فريق ان يكون الخليفة من بينهم ، وفي سقيفة بني ساعدة ، تبادل المسلمون الرأي بفكر مستنير ، وفي صفاء ووفاء ، اتفقوا على خليفة واحد وقاموا جميعا يبايعون أبا بكر رضي الله عنه بالخلافة ، فانطلق يهودي كان يشهد الموقف وهو يولول قائلا:« ما صبر المسلمون على ان يفترقوا ساعة من نهار ! » هذه بعض الدروس المستفادة من الهجرة ، تفرضها علينا الظروف المعاصرة ، ونحن نستعيد مغزاها في مطلع العام الجديد عسى ان نضع خطانا على طريق الآباء والأجداد ، وعسى ان نعيد الأمجاد إلى دنيانا من جديد ، وأن نغسل ذل الانكسار بعز الانتصار .

كذلك لابد مع بداية العام الدراسي الجديد من وقفة ، فيها تأمل ومناقشة ، حول تربية الشباب وواجب الأمة نحو هذه الفئة العريضة في المجتمع ، ومما لاشك فيه ان الشباب هو أمل الأمة ورجاؤها ومناط أملها ، كما أنه في مسيرة حياته تستهدفه عوامل مؤثرة في نشأته وتعليمه وتوجيهه ، لذا يتحتم تحصينه بالقيم الروحية والمثل العليا ، ليتمكن من التغلب على الموجات الهادرة من الانحراف والاباحية ، ومن الصمود في قوة امام دعاوى الالحاد والفسوق ، وأمام تحكم الغرائز الجنسية ، فلا تأسره الشهوات ، ولا تصرفه الملذات عن الطريق السوي ، ومما هو معلوم ، ان تقويم الفتى والفتاة ، لا يبدأ دوره مع بداية المراهقة ، بل يجب ان يولد التوجيه مع بداية الطفولة ، وذلك بتنشئة الطفل من صغره في جو اسلامي ، حتى إذا وصل إلى دور المراهقة استطاع أن يخوض معركة الصراع بين الخير والشر بسلاح الفضيلة ، التي استحالت في قلبه وفكرة عقيدة نقية واقية ، هذا وقد اتفق المفكرون والمصلحون من المسلمين على ان تربية الناشئة جسما وروحا أمانة ومسئولية ، وواجب مشترك بين البيت والمدرسة والمجتمع ، فالبيت المسلم المستنير تكون مسئوليته بقدر ما يقدم لأبنائه غداء روحيا ، ينظم سلوكهم ويملأ وجدانهم بالمشاعر العفة والقيم السامية في ضوء الاسلام وتعاليمه ، فمبادىء الاسلام تجعل نفوسهم من

الصفاء ، وقلوبهم من النقاء ، بما يسمو بأعمالهم عن كل ما يخدش الفضيلة او يجرح الحياء ، ولذلك جاء في الحديث الشريف امرهم بالصلاة قبل وجوبها وتأديبهم على تركها قال صلى الله عليه وسلم « **مروا اولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع** » وذلك حتى لا نترك هذا النبت الطري ينمو على عوج ، وحتى لانحصد الشوك ومر الثمر ، اما دور المدرسة ومراكز التعليم ، فلا تنكر اهميته ولا قوة تأثيره ، في تربية الشباب وتوجيهه ، إذا أعطى المدرسون والمربون والدعاة من أنفسهم القدوة الصالحة والأسوة الحسنة للشباب ، واذا كان المنهج الدراسي ملائما لمدارك الشباب في كل مرحلة من مراحل التعليم ، ونال منهج التربية الاسلامية بالذات حظه من العناية والرعاية ومتابعة التطوير وعرضه المفاهيم الاسلامية عرضا مشوقا ، يبعث في فكر الشباب وعيا يعصمه من كل دعوة ضالة وكل مذهب غوي آثم ، كذلك المجتمع اذا خلت ساحته من الخلق الاسلامي والسلوك الشريف ، كان كالاعصار المدمر ، يذهب بالقيم التي غرسها البيت وازدهرت في دور العلم والعبادة ، وفي المجتمع الفاسد يعاني الشباب كثيرا من الحيرة والقلق والضياع ، وهو يجد الممرات الى دنيا الانحراف مفتوحة معبدة ، الامر الذي جعل للشباب حقا على مجتمعه وعلى كل مسئول في دولته ، أن يزيل الأشواك من طريقه ، ليؤدي ما وجب عليه لدينه ووطنه ، ولن تسعد الأمة بأبنائها وبناتها إلا بتنشئتهم في جو اسلامي طهور ، وهذا ما دعا ابن القيم في كتابه (تحفة الودود) ان يقول:« من أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، وتركه سدى ، فقد أساء إليه غاية الاساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء ، وإهمالهم لهم ، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فاضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا هم بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا » .

رئيس التحرير

حسن مناع

الرأي الآخر في كتاب الله

للاستاذ/عبد السلام الأحمر

إن ظاهرة الرأي الآخر في كتاب الله ، تعكس مدى تجاوبه مع متطلبات الفكر البشري ، الذي يطمع دائما الى إزالة مايعتري القضية المطروحة أمامه من لبس وغموض ، وتوضيحها اكثر بسبر كل الاعتراضات الواردة عليها واسقاطها بالدليل والبرهان .

الرأي المكي :

وتأتي أهميته بالنظر الى ما يتوفر عليه من معرفة دقيقة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم
وقد عارض القرآن الكريم من أول آية نزلت ، ولم يجد بدا من ذلك لما لمس في

خطابه ثورة عارمة على معتقداته المألوفة كما أن مُبَلِّغَ القرآن الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكن معه جاه او سلطان يكف عنه ألسنة الناس وأيديهم .

فوجود هذه المعارضة الضارية ينسف الادعاء بأن محمدا صلى الله عليه وسلم واجه قوما غفلا ، تقبلوا القرآن الكريم دون نقاش ، او أنهم رأوا فيه اساسا لتقوية صفهم ، والتعبير عن آمالهم القومية ، فغضوا الطرف عن مزاعمه .

(ولا أنا عابد ماعبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولي دين) (سورة الكافرون)

واشتداد الرفض لكلام القرآن الكريم يستدعي الاطمئنان بأن المكيين لو علموا في حياة محمد صلى الله عليه وسلم ما يسعفهم في الاعتراض على نبوته لأحالوا الناس عليه . وقد كان حالهم معه كفيلا بدفعهم الى تلمس عوراته قبل وبعد البعثة . لكن اعتراضاتهم ظلت محصورة في دائرة

الوحي ومحاولات تفسيرها . **(بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فلياتنا بآية كما أرسل الأولون)** (سورة الأنبياء/ ٥)

والغريب أن المستشرق « جورج سبيل » لم يدرك أن إيراد القرآن الكريم لهذه الاعتراضات . يقطع لسان من يحاول تكرارها مثله فقال :

« أما ان محمدا كان في الحقيقة هو مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل ، وإن كان المرجح مع ذلك أن المعاونة التي حصل عليها من غيره في خطته هذه لم تكن معاونة يسيرة وهذا واضح في أن مواطنيه لم يتركوا الاعتراض عليه بذلك » .

والنتيجة المستخلصة من الرأي المخالف حول ظاهرة الوحي ، هي عدم إجماعه على تفسير محدد بل إن بعضه ينفي بعضا ، وتظل نسبة القرآن الكريم الى الله حقيقة لاريب فيها ولقد حاول الرأي الآخر التحرك في ميدان العقيدة طولا وعرضا وطرح مفاهيمه عن الله والملائكة واليوم الآخر ، علّه يبلبل الفكر ويغرقه في بحر

من التصورات الواهية : **(أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب)** (سورة ص / ٥)

(أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما) (سورة الاسراء / ٤٠)

(أإذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد)(ق /٣)

وكل هذه الآراء عارية عن الدليل ، وتغترف من ركام العادات الموروثة والافكار العتيقة التي لا تشهد لها حجة سوى مثولها في الواقع .

ولما احس هذا الرأي اضطراب مقولاته في مجال القول ، انتقل الى الفعل العنيف المدمر ، ليحسم المعركة بقوة لصالحه ، فصب سوط عذابه على

الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه .
لكن القرآن الكريم ظل يدافع من موقع الكلمة الصادقة والحجة القاطعة ، ويكسب الى جانبه مؤمنين آخرين ، كانوا بالامس يقفون في الصف المعارض ، معلنين بذلك عن إفلاس

الرأي الآخر وانهياره : (**وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين**)(سورة الأنفال / ٣٠) .

إن الثلاث عشرة سنة من الاعتداءات المتكررة والتهديدات المستمرة التي عاشها الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه ، وانتهت بخطة ماكرة لقتله ، وما ترتب عن ذلك من هجرة المؤمنين ، للبلد والاهل والمال ، إبقاء على الدين ، لتنطوي على دلالات هامة :
اولا : إن الجهد البشري على أية درجة كان لا يحتمل لوحده أن يصمد لتحديات بمثل هذا القدر إلا أن تكون من ورائه قوة تمسك الاحداث في الكون كله .
ثانيا : لو كان المحرك لمبلغ القرآن الكريم صلى الله عليه وسلم والذين اتبعوه ، مكسبا ماديا أو قيمة أرضية ، لما رأيناهم يبذلون كل ذلك بسخاء ، مقابل الوفاء لمضمون القرآن الكريم .

الرأي المدني :

ما أن حل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، حتى كتب وثيقة بين المسلمين وغيرهم ، وادع فيها اليهود وترك لهم الخيار في اعتناق الاسلام او الاحتفاظ بديانتهم ، مما خول لهم أن يتصدروا واجهة الرأي الآخر ، وقد نقلهم اليها حيازتهم على التوراة والانجيل .

إن محمدا صلى الله عليه وسلم أعلن للناس أنه رسول الله ، يسير على سنن الرسل من قبله ، ويصدق بما جاءوا به من الكتب .
لكن اليهود-خلاف ما تقتضيه طبيعة الاشياء- وقفوا موقفا سلبيا من القرآن وناصبوا الرسول العداء .
والواقع أن رأيهم المناوىء له بهدف إعاقته وصرف الناس عنه ، ساهم بحظ أكبر في كسر كل جسر يمد بين محمد صلى الله عليه وسلم واي بشر يفترض العقل تدخله في إنشاء القرآن الكريم .
يقول المستشرق « ريشاردبيل » « إن النبي صلى الله عليه وسلم نقل قصص الأنبياء السابقين عن الكتاب المقدس ، كما أن احتكاكه بالجاليات اليهودية في المدينة مكنه من المعرفة بكتب موسى عليه السلام على الأقل »
ومع أن الرأي الآخر ذهب الى هذا في مكة التي خلت من أهل الكتاب :
(**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلِّمه بشر**) (سورة النحل /١٠٣) فإن الرأي المدني لا يشاطره نفس الاحتمال رغم توافر بعض خيوط هذه الشبهة بوجود اليهود في المدينة .
ويضع القرآن الكريم أيدينا على

النفسية الصانعة للقرار اليهودي ، تجاه كتاب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم : (**بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده**) (سورة البقرة / ٩٠) .

فهم يقرون في دخيلة أنفسهم ، بأن القرآن كلام الله ، ومحمدا رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولكن عصبيتهم الضيقة ، تأبي عليهم الانصياع للحق ، وأن رائحتها النتنة لتنبعث من

ثنايا آرائهم كلها .(**وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم**) (سورة البقرة ٩١) .

ولقد انتهت بالرأي اليهودي الى التحلل من معطيات ما بين يديه من الكتاب ، وتطويعها لخدمة الأهواء التي أضحت فيها بعد ، المرجع الوحيد في كل القضايا التي يخوض فيها :

(**وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه**) (سورة المائدة / ١٨) .

وتماديا في هذا الغرور والاستكبار قرر أن يغلق أبواب الجنة في وجه المسلمين

(**وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى**) (سورة البقرة / ١١١) كما حاول أن يطرح اليهودية والنصرانية بديلين عن دين القرآن . (**وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا**)(سورة البقرة / ١٣٥) .

وآزر الرأي اليهودي ، رأي المنافقين الذين اختاروا التستر وراء قناع الاسلام ، والعمل في خفاء ، لتقويض صرح الايمان ، الذي ارتفع عاليا في المدينة وكان الفعل في رأيهم يطغي على القول حتى إن مواقفهم لا تكاد تطل إلا من خلال العمل .

ويبدو جليا أن النهج الذي ساروا عليه ، يستهدف رسم صورة شوهاء عن المجتمع الاسلامي الصاعد ، والإيهام

بفساده وتداعيه . (**وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء**) (سورة البقرة / ١٣) فهم يتحينون الفرصة باستمرار لنهش أعراض المؤمنين ، وتلطيخ

كرامتهم : (**فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا**) (سورة الاحزاب / ١٩) .

وكلما أحدقت الأخطار بالمسلمين وتطلب الحال وحدة الصف وتعبئة الطاقات للجهاد ونصرة الدين طغت مواقفهم على سطح الأحداث ونشطوا في تسريب الشك الى القلوب وتفكيك جماعة الاسلام ، وجر من استطاعوا

الى الوراء : (**قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلُمَّ إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا**) الأحزاب/١٨ ويبلغ بهم الأمر أحيانا الى فضح خبايا قلوبهم ، كلما اشتدت الخطوب بالاسلام ، وسولت لهم

الظنون أنها القاضية : (**وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا**) الأحزاب/١٢ .

وبالرغم من قيام قوى معارضة ، داخل المجتمع الاسلامي الفتي ،

تهوي بمعاولها على قواعده النظرية ، ومنجزاته على ساحة الواقع ، وتكالب قوى أخرى في الخارج تحشر إمكاناتها المادية والبشرية الهائلة لمحوه من على ظهر الأرض ، فإن القرآن الكريم مضى في طريقه ، يرصد الرأي الآخر القولي والعملي ، ويثبته في متنه ، بكل أمانة وتجرد ، سواء أكان علنيا مذاعا ، أم سريا لم يعلم به غير أصحابه ، ثم ينشره بين المؤمنين ، ليتلوه آناء الليل وأطراف النهار ، ويشفعه برد كاف شاف يغذي قناعتهم ويعمق ثقتهم في الله ورسوله وكتابه .

إن الرأي الآخر ، رغم ما اتسم به من حدة في القول ، وعنف في الفعل ، لم يكن ليضير القرآن في شيء بل اضطلع على عكس ما قصد ، بتزكية ربانية مصدره ، وسمو تعاليمه ، وخلف في كتاب الله ، مؤشرات كثيرة تنطق كلها بأنه عامل الواقع البشري ، بما يلائمه ويصلحه ، والعقل الانساني بما يهديه الى الحق ويرضي فضوله .

وعندما يطل المؤمن من فضاء القرآن السامق على واقع الفكر البشري ، يرى أنه كلما استقل عن الوحي الصحيح ، وانفلت من قيد التجربة العلمية وجد نفسه مضطرا لكي يزيد في عمره ، أن يصدر الأباطيل في الأعين حقائق ، عن طريق تغليط المدروس بالدعاية المدوية ، أو يكمم الأفواه بالقوة الرادعة .

معاني أسماء بعض الأعلام

الأخطل : طويل الأذنين مسترخيهما ، الاصَمَعي : اسم مشتق من الاصمَع وهو صِغَرٌ في الأذنين . كما يطلق على السيف القاطع ، ابو العتاهية : ابو الجنون ، الحُطَيئة : القصير صاحبُ الوجه القبيح ، السموءل : الذُبَاب ، حمزة : اسد .. كما يطلق على كل ما يَلْذَعُ اللسانَ من طعام او شراب ، طه : في اللغة الحبشية بمعنى يا رجل ، المقفَّع : صاحبُ الراس المنكَّس باستمرار ، عنترة : ذُبابة ، قَابُوس : رجل وسيمُ الوجه حَسَنُ اللون ، عِصام : النهاية الدقيقة من طَرَف الذَّنَب ، فَرَزْدَق : فُتات الخبز . كما يطلق ايضا على قِطَع العجين ..

الرؤية الإسلامية لحركة التاريخ

للأستاذ / السيد محمد القاضي

المفهوم المستقر في الأذهان عن التاريخ أنه العلم الذي يتقصى الأحداث ـ أحداث الماضي ـ التي وقعت، ويسجلها كما وقعت في الزمان والمكان المحددين، دون تزيد أو نقص أو تفسير، ولو خرج التاريخ ـ ولو يسيرا

ـ عن هذا الاطار لعد في عرف مناهج البحث شيئا آخر تماما غير التاريخ والنظر إلى التاريخ بمعيار السرد والتقصي والقص لأحداث الزمان يعتبر في المنظور الاسلامي نظرا منقوصا، ونظرية متخلفة عقيمة، والبديل

الاسلامي هو ، بالاضافة الى ما سبق ، التسلح بإيجابيات التجارب الماضية للبشرية ، والانطلاق منها وبها نحو المستقبل ويمكن - دينا - تحديد الغرض من استعادة الماضي واستحضاره . ويتمثل في القرآن الكريم في قصص السابقين - بأنه الاقتدار على التنبؤ بمصائر الأمم والجماعات وبما يتربص بها وينتظرها في آتى أيامها ، تأسيسا على القوانين التي استخلصت من تجارب من سبق ، وهو اتجاه سبق به الاسلام حقيقة لا ادعاء ، فلا ريب أن تجميع العبر والعظات التي ترسى الأساس المتين للقوانين ، وإخضاعها لقدرات التخيل والتوقع يمكن الانسان من التخطيط للمستقبل عن بينة وفهم ، ويعينه على تبين الملامح ، كما أنه يقى العبد شر الكوارث التي تعترض طريقه وتكيد له ، وإذا كان صرف الانتباه عن الماضي وعن التاريخ يؤدي الى حصر مجال الرؤية ، وتضييق أفق الادراك ، وعزل الحاضر عن مؤثراته ودوافعه ، وهي بطبيعتها تنتمى إلى الماضي فإن الاحاطة بالأحداث وتفهمها وفقهها يضيف إلى العقل أبعادا جديدة ما كانت له من قبلها ، وبها يتحول من عقل آحادي الاتجاه الى عقل ناضج مركب ذي أبعاد متعددة ومقتدر على النظر إلى الأمر الواحد من زوايا مختلفة .

ومن الملفت للانتباه أن القرآن الكريم مصدر العقيدة والمعرفة للمسلم في تناوله التاريخ جاء فذا غير مسبوق ، وظل كذلك غير ملحوق ، فالقرآن يعتبر التاريخ البشري تاريخا لكل البشر ، وإرثا لهم ، ويجعل لكل إنسان منه حظا ، طالما أن جذور ذلك الانسان تمتد به وتنسبه إلى المجموعة البشرية ، وتجعله حلقة من حلقاتها ، وبذلك يستقيم للانسان أن يقف شامخا على ارض التاريخ ، منحيا عنه كل شبهات الاغتراب والعزل ، ومنتسبا بجسده وروحه ووجدانه إلى كل البشر في كل زمان ومكان ، وبهذا الفهم تكون العلاقة بين الانسان - أي إنسان - وبين غيره من الأناسى ، وبالتالي بينه وبين تجاربهم علاقة جدلية لا تنفصم ، ولا يتوقف لها عطاء أو إيحاء ، وعلى الانسان أن يفيد من هذه التجارب ما وسعته الحيلة ، وأسعفته الطاقة .

ومن أبرز المضامين الفكرية التي جاء بها الاسلام في مجال الدراسات التاريخية انه جعل الانتفاع بالماضي وأحداثه وعبراته من دلائل الايمان وآياته ، فالمؤمن - مثلا لا يلدغ من جحر واحد مرتين ، ، والقرآن الكريم يعتبر إغفال الاعتبار بأحداث الماضي ، ، والانصراف عن عظاتها غفلة تستوجب التقريع (**انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون)** الانعام/ ٤٦ . وذلك لأن الغفلة تشكل خسارة وضررا يلحقان الفكر ، ويسببان هبوطا وانحدارا في المستوى الحضاري ويلحقان الأذى والاجحاف بالحياة .

والقرآن الكريم ، في تناوله للماضي وقضاياه يلح لبيان توجهات الأحداث والعوامل المؤثرة فيها ، ويظل القرآن الكريم يرافق تلك الأحداث منذ كانت دوافع مستكنة ورغبات جنينة تعتمل

في النفس وتضطرب حتى تصل إلى نهاياتها ، وتنهض في واقع الناس أحداثا مشهودة ، وحينئذ يبرزها القرآن للبصائر كما برزت للأبصار ، ويضعها في موضوع الاعتبار ، وانما ينهج القرآن هذا النهج لأن وقائع التاريخ معدودة في الاسلام من الروافد الفاعلة في تكوين العقلية الاسلامية التي تنهض عليها عقيدة التوحيد ، وهذا الاسلوب في تكوين العقلية الاسلامية كان نمطا غريبا على الحياة زمان تنزل القرآن ، وإن لم يكن غريبا على الفطرة ، لأن الفطرة بحسب الخلقة نقية مستقيمة ، أما الحياة حين تنزل القرآن فكانت مرتعا خصبا للتلوث والفساد ، ومحلا لتوارد الأهواء والشهوات ، فالقرآن الكريم ـ مثلا وهو بسبيل تكوين العقلية الاسلامية لا يحيل في تفسيره للكون وظواهره ، وتفسيره لمسيرة الحياة الى أساطير باطلة ، كما كان الأمر عند كثير من الأمم المعاصرة له ، وكذلك لا يحيل الى قضايا فلسفية ، مشكوك في صدقها ، ويكثر الجدل حولها ، ويجهد الفكر فيها ، ثم لا يخرج منها بطائل ، وإنما يلفت القرآن النظر الى :

ـ الكون الكبير الممتد من حول الانسان ، بعناصره ومفرداته .

ـ تاريخ المجتمعات البشرية التي هي أصول العبد وجذوره ، أيا ما كان موقع العبد .

ـ النفس البشرية ذاتها ، في تقلباتها وهواجسها .

ثم يخضع القرآن الكريم كل أولئك للتمحيص والاختبار والتجريب ، قصدا الى استخلاص القواعد منها والنواميس ، والاستضاءة بها فيما يأتي من الزمان ، وقد صاغت تلك القواعد وهذه النواميس بالفعل فيما تعاقب من أزمنة ، عقلية إسلامية متميزة ، انعقد لها لواء التفوق والسيادة أزمانا متطاولة ، وصار لها القول الفصل حين تتصارع التيارات والاتجاهات الفكرية ، ولا مراء أن ذلك كان إحدى السمات البارزة والمعترف بها للسلف الصالح ، الذي تلقى الرسالة من منابعها زاكية خالصة .

والقوانين ، ومنها قوانين التاريخ ، إذا أهملت ، وصرفت الهمم عنها تحولت إلى هباءات لا وزن لها ، وفقدت فعاليتها ، وعدمت القدرة على الاسهام في إثراء الحياة ، ودفع الحضارة ولم تعد شيئا آخر غير رنين الحروف وجرس الكلمات ، وهذا للأسف حال الكثير من قواعد وقوانين التاريخ الواردة في القرآن الكريم ، انكماشا وتراجعا في حياة المسلمين .

أما الانسان نفسه في المنظور الاسلامي للتاريخ فهو المخلوق ذو الشأن ، القادر بعون الله على تخيل الأحداث وإيجادها وتحريكها في الاتجاه الذي يشاؤه ، ثم هو المسؤول بعد ذلك عنها ، والمحاسب على ما قدمت يداه ، والمجازى عليها ولا جزاء بدون تكليف ، ولا تكليف بدون أهلية وسبيل العبد في حمل أمانة التكليف والنهوض بعبئها أن يرصد الوقائع والأحداث ، ويحللها ، ويستنبط القوانين التي تجريها ، وتتحكم فيها ، ثم العمل من بعد ذلك بما توحى به .

والذين يتعرضون للتاريخ ودرسه لابد لهم من الاجابة عن سؤال يتردد

كثيرا ، ويراه البعض محيرا . وتتعدد حوله الآراء ، هذا السؤال هو : هل يعيد التاريخ نفسه ؟

أما القرآن الكريم فقد أجمل الاجابة في سورة محمد حين قال (**أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها) الآية ١٠**

فالآية تقرر في وضوح ، لا لبس فيه أن :

- التاريخ يصنع عن وعي وإعداد ، ولا يرتجل ، ولكن بناء على شروط وملابسات ، إذا ما توفرت وتهيأت فعلى العاقل أن يتوقع الحوادث ، بنفس الدرجة ، وفي ذات الاتجاه .
- ما يمكن بدؤه يمكن إعادته ، بشروطه .

فالكافرون ـ كما ذكرت الآية ـ دمروا بسبب إصرارهم على الكفر ، ومن أصر على الكفر إصرارهم فله مثل ذلك التدمير ، ومثل الكفر في استحقاق الجزاء كل مخالفة للقوانين ، أيا ما كانت طبيعتها ولا غرابة حينئذ إذا عدت حركات التاريخ في جانبيها الايجابي والسلبي جزاء وفاقا على ما كسبت أيدى الناس ، وبهذا المنطق فإن الانسان في الاسلام قد منح الصلاحية في ان يصوغ حياته بمحض الارادة والاختيار ، واعتبر مسؤولا ـ وهذا عدل ـ عن الخطأ ينزلق إليه عامدا ، أو ينحدر ساهيا عن السنة ، أو متهاونا في التقدير ، وإذا كان العبد مقدرا في ميزان الخالق ذلك التقدير فتلك منحة لها ما يقابلها . ومقابلها هو المسؤولية المتولدة من إيجابية الفطرة التي فطر عليها ، فليس الانسان في تقدير الاسلام بالعبد الذليل المهين ، المستلب ، الخاضع لما يفرض عليه من خارجه ، دون اختيار منه ، كما أنه ليس المخلوق الذي فطر على سلوك غريزى ، لافكاك له منه ولا تجاوز ، وحسبنا أن نعلم أن تحرك الأقدار في اتجاه التغيير جعل في القرآن الكريم تابعا ، وليس متبوعا ، لجهد البشر أنفسهم أيا ما تكون طبيعة الاتجاه (**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) الرعد/ ١١ (**ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) الانفال/٥٣ . فالآيات هنا تحض على التغيير والانتقال دائما الى الأفضل ، ونشدان الكمال ، وتعطي الانسان زمام المبادرة في هذا المجال كما في غيره ، طالما قد حمل عن طواعية واختيار أمانة المسؤولية ، وتحذر الآيات من عاقبة الوقوع في الخطر والخطأ ، إذ لا محاباة حينئذ في تطبيق القوانين (**إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا**) الانسان/ ٣ . وهل هناك تكريم للانسان أكثر من أن تكل إليه الأقدار مهمة صياغة حياته وتشكيلها بالطريقة التي يختار ، ثم تعينه على السعى بتهيئة القوانين المفطورة على الطاعة ، والمسخرة لتمهيد السبيل ؟

بقى أن نقول ، استكمالا لايراد الأفكار والآراء بشأن دوران التاريخ إن هناك رؤية تقول : إن التاريخ يعيد نفسه ، بمعنى أنه دورات متعاقبة ومتتابعة ، وأنه ينتقل من طور إلى طور ، ومن حال الى حال ، بمنأى عن الجهد البشري ، ورغم رضا الانسان

أو سخطه ، وأن حركات التاريخ رتيبة منتظمة ، ترتفع بقوم ، وتهبط بآخرين دون أن تكون هناك حاجة إلى قاعدة يعتمد عليها ، أو قانون يجوزه ويبرره ، أو جهد إنساني مشروع ، ومثل هذه الرؤية البالغة السذاجة والضحالة تذرع بها أقوام ، وظنوا الرزق يأتيهم حبوا ، ولو لزموا عقر دارهم ولو التزموا مصلاهم ، فعالج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ظنهم وتوهمهم بدرته ، وهو يقول قولته الخالدة لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقني ، وقد علم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

إننا لا نجد ، ولا نتوقع أن نجد في فلسفات البشر واجتهاداتهم ما نجده في القرآن من حرص على إيقاظ الوعي البشري ، وتفتيحه كل الاتجاهات ، والتنقيب في كل الجوانب ، إن إدامة النظر في التاريخ وفي أحداث الماضي ، واستخراج العبرة منها ، وأيضا إدامة النظر وتقليبه في عناصر الكون ، واستنباط القواعد التي تخضع لها في تحولاتها وفي حركاتها ، ثم استبطان النفس ، والميز بين فجورها وتقواها ، وإمدادها بما ينميها ويزكيها كل أولئك مما يغرس في ضمير المسلم ملكة الاقبال على الكون وعلى الحياة وحبهما والتعلق بهما عن فقه وفهم ، وهو بدوره من أقوى المؤثرات الدافعة الى الايمان بالخالق العظيم .

ولو أننا نحن ـ المسلمين ـ نظرنا بصدق وإخلاص إلى ما آلت إليه أحوالنا ، وأردنا خلاصا ونجاة مما نحن فيه من جمود وتخلف ، وشخصنا الآفات التي ترهقنا ، وتقض مضاجعنا وتبوئنا ذيول المواكب لما عز علينا تبين اسبابها ، وإن كان أقواها وأشدها يكمن في :

ـ الغفلة عن سنن الكون ، وعن عبرة التاريخ .

ـ الزهد المميت في الحياة ، إلى حد تحقيرها ، وإظهار الرغبة عن إعمارها .

ـ العدوان الصارخ على قوانين السببية ، والتعلق بالخرافات والأباطيل .

ـ جحد معالى الأمور ، والاهتمام المزرى بسفسافها وساقطها .

ـ الافتتان الشديد من قبل ذوي اليسار والترف بعاجل اللذات والشهوات .

ولا علاج لما نحن فيه الا بنقض هذا الواقع البغيض الذي نقيم عليه ، وندافع عنه ظنا بأنه الدين في صميمه ، وما هو منه في الحقيقة ، ثم التحول الى ضده ، والاعتماد في ذلك على القيم الراسخة الصحيحة التي أرساها القرآن الكريم ، وسنة رسوله الكريم ، وعمل بها السلف الصالح لهذه الأمة العريقة ، وملء فراغ الأنفس بها ، والا فهي الحالقة التي تحلق الدين والدنيا جميعا ، لا قدر الله ذلك ولا كان .

نظرات في

المجتمع الإسلامي المعاصر

للأستاذ/ عمر بهاء الدين الأميري

العالم الاسلامي الذي يطلق عليه في التعبير الشرعي : « دار الاسلام » ، أصبح اليوم « دورا » متعددة ، ومجتمعات متباينة متباعدة مترامية الأطراف موزعة الاتجاهات ، متأثرة بشتى العوامل الاعتناقية والسياسية ، والتاريخية والجغرافية .. بحيث بات من العسير جدا اعتبارها مجتمعا إسلاميا واحدا واضح المعالم ؛ يمكن أن يدرس علميا كما تدرس الجماعات المحصورة ، ويعطى عنه حكم يرقى إلى درجة الحقائق العلمية .

يقول الأستاذ « جب » في كتابه : « الاتجاهات الحديثة في الاسلام » : « لا يتيسر لأي إنسان بمفرده أن يحيط بجميع التطورات ومراتب الايمان المختلفة في شتى المناطق الاسلامية ، لأن النفاذ إلى حال البربر والعرب والأتراك والفرس والأفغانيين والبنجابيين والبنغاليين .. من أصعب الصعب دفعة واحدة ، فكيف إذا طالعنا من وراء هذه الأمم(ونحن ندعوها شعوبا) على اختلاف مذاهبها وفرقها ؛ أمم ماليزيا .. وجاوه .. وزنوج إفريقية الغربية والشرقية !!»ويمكن ان

نضيف الى ماسرده الاستاذ جب : الاكراد الموزعين بين البلاد العربية وتركيا وايران وقوميات الجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفييتي وتركستان ، والقرم ، وأذربيجان؛ والملايين القليلة او الكثيرة من مسلمي الصين والجاليات الاسلامية في اليابان وامريكا وبعض دول اوروبا ممن ينتمون في اعتبارنا العام الى الأمة الاسلامية التي تضم مجموعة المسلمين في العالم كله .

★ الامة الاسلامية بين المثالية والواقع ★

اذا كان بعض الباحثين المتطرفين يرون ان مفهوم «الأمة » العصري لا ينطبق على جماعة المسلمين الموزعين في ارجاء الارض ، وان الاسلام لم يكون ، ولا يستطيع ان يكون أمة ابدا .. فإننا لا نقبل رأي هؤلاء ولا نتفق معهم فيما ذهبوا اليه . فالاسلام بعقيدته التي يؤمن بها كل المسلمين ، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم ، وبالمعالم الكبرى لشريعته التي ترجمها الفقه الاسلامي بشتى مدارسه الى احكام وانظمة ومناهج ؛ والسلوك المتقارب بين المسلمين في مدارج الحياة الامهات ، بوحدة وثبات موازين الخير والشرّ ؛ والقاسم المشترك في الآمال والآلام والمطامح والأهداف . كل ذلك وسواه يجعل الشعوب الاسلامية على ما بينها من تباين ، تؤلف «أمة» ذات شخصية معنوية لها خصائصها وحضارتها المتميزة عن خصائص وحضارات الأمم الأخرى .

فالامة كما عرفها الاستاذ محمد المبارك رحمه الله هي «الوحدة الاجتماعية المنسجمة ، او المشتركة في حد ادنى من الانسجام ، في أسسها الفكرية وعواطفها واتجاهاتها ..» ، وروابط العالم الاسلامي في الواقع اعمق واوثق مما جاء في هذا التعريف .

ولا بد لنا من أن نميز هنا بين الأمة الاسلامية باعتبارها حقيقة ماثلة ومنظمة اجتماعية قائمة بالفعل ، وبين تحرك هذه الأمة بالاسلام الحق اعتناقيا وحضاريا وسلوكيا . فالأمة كيان مجرد ثابت الوجود سواء مارس أبناؤه دينهم ومقتضياته ، أم أهملوا بعض ذلك وتراخوا فيه كما نراه في أمتنا ومجتمعاتها اليوم . والمسؤولية في ذلك ـ كما يقول الشهيد عبدالقادر عودة ـ « موزعة بين الجماهير والحكومات ورؤساء الدول وعلماء الاسلام » الذين ينطبق عليهم قول الامام ابن القيم : « جعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد ، محتاجة الى غيرها ، وسدوا على أنفسهم طرقا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له ، وعطلوها بتقصيرهم في معرفة الشريعة والواقع ، ولما رأى ولاة الأمور ذلك ، أحدثوا من أوضاع سياستهم شرا طويلا ، فتفاقم الأمر وتعذر استدراكه ، وَعَزَّ على العالمين بحقائق الشرع تخليص النفوس واستنقاذها من المهالك . وهكذا ضعف تماسك أفراد الأمة وساءت حال المجتمعات ، وترهلت الوشائج بين الأفراد والجماعات ، ولكن الأمة الاسلامية بقيت بالمعنى الاصطلاحي « أمة » قائمة ، وان لم تكن كما أرادها وقال عنها الله عزوجل : (**خير أمة أخرجت للناس**) آل عمران/ ١١٠ وهذا أمرطبيعي

نعبر عن سببه بشكل عام مجمل أنه : « **البعد عن الدين ، وحوافزه الروحية ، وفعاليته الايجابية** » ؛ « فكل من يفقد قوته التصاعدية لا بد له من الانحدار بتأثير ثقله الذي لا يقاوم » . ومن هنا اعترى الجمود أمتنا أولا ، ثم الانحدار ، وأصبح الحرص على « المحافظة » بديلا عن الحرص على « النماء والارتقاء » ، الأمر الذي أدى الى طمع الأعداء ، وزيادة بغيهم وتوفير الفرص لهم ، واشتداد ظلمهم بشكل يأباه خلق الانسان السوي ، بَلْهَ المسلم المؤمن الأبي ، فجاشت الضمائر بآمال ثائرة ، ولكنها حائرة .. ودبت في العروق خلجات دافعة قوية ولكنها غير سوية ولا منهجية ، ثم ما لبثت أن حرصت على تلمس الطريق وتسديد الوجهة ، والتعبير عن المشاعر والتطلع إلى الأهداف فبدأت « الصحوة الاسلامية » ، هادفة غير عارفة كيف تنتظم الجهود المبعثرة وتنتهج المنهج المستقيم لتتخلص من التأثير الدخيل والرواسب الأجنبية ، وتنطلق مجددا من قواعد أصالتها الاسلامية ، مع إدراك لمقتضيات العصر وتطور الانسان وتبدل الزمان والمكان .

★ الانبعاث الاسلامي والغرب ★

وكان من الجهل بحقيقة الاسلام : « أن نشأت الفكرة القائلة بأن المسلمين لا يستطيعون مسايرة الرقي العالمي ما لم يتقبلوا القواعد الاجتماعية والاقتصادية التي قبلها الغرب ، وأن تقليد المدنية الغربية هو المخرج الوحيد من ورطة الانحلال الاسلامي » . وقد فند ذلك « محمد أسد ـ ليوبولد فايس » بقوله :
« لقد شمل العالم الاسلامي بعد الحرب العالمية الأولى ، وموت الرجل المريض ... وسقوط الخلافة ، وعلمنة تركيا ؛ فراغ هائل ، وبلبلة كبرى ، فقد أخذت تتكشف نوايا الاستعمار أكثر فأكثر ، وزاد عدد الدارسين في معاهد الغرب من أبناء المسلمين الذين تأثروا بروح الغرب ، فكان لكل ذلك أثره في ظهور الحركات الاستقلالية من جهة ، والنزعات الفكرية البعيدة عن الاسلام ، إن لم تكن معادية له ، من جهة أخرى . كما انكمشت العناصر المتدينة على نفسها ؛ والدين هو العامل المساعد على وجود القيم الاجتماعية في مرحلة نشوئه وامتداده .. فإذا انطوى الايمان على نفسه ، وكف عن الاشعاع ، انتهت رسالته ، وعجز عن بناء المدنية ، وأصبح إيمان الأتقياء الذين ينعزلون عن الحياة ، وينفلتون من واجباتهم ومسؤولياتهم » .

فلما وضعت الحرب الثانية أوزارها ، بدا العالم الاسلامي أكثر أهمية من ذي قبل ، فقد ظهرت منابع ثروته ، وأهمية مواقع بلاده الاستراتيجية الدولية ، وتكونت أكبر دولتين إسلاميتين في العالم منذ كان العالم : باكستان ، وأندونيسيا ؛ كما ظهرت منظمة الأمم المتحدة كرد فعل لويلات الحرب ، وظهرت قوة المعسكر الشرقي ، والتفتت الأنظار الى مبادىء الشيوعية ، وخاصة بعد تكون الصين

الشعبية ، وحرب كوريا وفييتنام . وكثرت وفود الزائرين لدول الستار الحديدي فأخذت تظهر بعض حقائقه بحسناتها وسيئاتها ، كما اختمرت فكرة العودة الى الاسلام الأصيل لدى دعاتها ، فاتصلت حركات الاصلاح الاسلامي وتطعمت الأفكار

بالمبادىء الأجنبية المختلفة ، ووجد المسلم نفسه في مجتمع لم يقم هو بتكوينه ، ولا بد له فيه من حفظ كرامته في حياة مستقرة ، مدفوعا الى ذلك بنزعتين : نزعة الأصالة التي تتصل بالضمير الاسلامي ، وتتعلق بالحفاظ على العقائد والقيم الاسلامية ؛ ونزعة المعاصرة التي تتطلع إلى مسايرة التحديث .

وهكذا أضحى عالم المسلمين بين مد وجزر ، فلا هو في حيوية الاسلام الخلاقة الأولى ، ولا هو في جمود عهود الانحطاط ! ولا هو في نهضته واعي المسالك ، متضح الهدف والمعالم . وقد عبرت عن هذا في إحدى قصائد ديوان « في بلادي » :

واستيقظت في فجاج الأرض مشكلتي وشمتني وسط إرغاء وإزباد
في أمة مزعت أوصالها ﭐغِيَرٌ عبر الزمان فمن عاد إلى عاد
وقد أطل عليها غابر صنعت أيامه الغر من خير وأمجاد
تريد أمرا ولا تدري وسيلتها المثلى إلى حطم أغلال وأصفاد
وقد أحاطت بها من كل شاردة مناهج ليس تدري أيها الهادي
في غورها وثبة حارت معالمها وهمها ملء أحشاء وأكباد
تأوهت في دمي آلامها وبكت فحشرجت في فمي أنغام إنشادي
وإبْتُ مُلتَبِسَ الآمال يثقلني من الهموم سفير رائح غاد
لا أستبين مدى عزمي ولا جددى أحيا كهاجسة في غور آباد ..

★ تحول العالم نحو الاسلام ★

وفي ظل هذا الاضطراب ، ورغما عنه ، تتسع في كثير من المجتمعات الاسلامية روح الاخوة العامة ، وتتعمق إلى درجة تتكون معها للاسلامية قوة شعبية ضاغطة يجد بعض الحكام من مصلحتهم مسايرتها بشكل أو بآخر ، كما يزداد وعي الاسلام وقيمه وقدرته على تلبية التطلعات السوية للانسان المسلم ، لتأمين مستوى أفضل في كل ميادين الحياة المستقبلية عامة وخاصة . ويتفاقم بغي الأعداء ، ويستمر تطاولهم على الحقوق والمقدسات الاسلامية ، وتكون لذلك ردود فعل حافزة .

... ويتكاثر الاهتمام العالمي بالاسلام ، وتكشف مجامع الحوار والمؤتمرات واللقاءات الدولية جوانب من حقيقة الاسلام ، تسقط من الأذهان ـ ولو بمقدار ـ الصورة الخاطئة الظالمة التي كان يروج لها الأعداء أو الجهلاء .. ويشرق نور

الهداية خلال ذلك على عدد من علماء الغرب وفلاسفته ومفكريه ، بعد بحث ودراسة وتمحيص فيعلنون اعتناقهم الاسلام دينا ؛ يؤمنون بوحدانية الله ، وبرسالة محمد عليه الصلاة والسلام خاتما للأنبياء والمرسلين .. ويكتشفون من كنوز القرآن ما يزيد في تنوير الأذهان ، ويجعلهم كل ذلك ينقلبون من « عداة » إلى « دعاة » .. يبشرون بالاسلام ويعرفون به ويدعون اليه أقوامهم وهم أدرى بأساليبهم في التفكير والتعبير ، ويقدمون أنفسهم مثلا ونماذج جديرة بالاقتداء بها والنسج على منوالها ...

ويلفت ثبات المسلمين على اعتناقيتهم ، وتحمسهم لدينهم ، أنظار العالم ، ورغم كل المصائب والجوائح والأحداث المدمرة التي نزلت بالأمة الاسلامية ، نجد هذه الأمة وهي في صميم المكابدات والويلات المدلهمات لم ينقطع عنها مدد الحياة ، فلا تضعف إلا لتشتد ، ولا تتراجع إلا لتندفع .. ولا يخفت صوت الدعاة العاملين المخلصين في ساحته . بسبب ما يتعرضون له من منع وقمع ـ إلا ليعلو في ساحة أخرى ؛ يحاول الانطلاق من جديد حاملا الأمانة مؤديا الرسالة للناس كافة ، ممارسا ذاته الرائدة ، وجهاده لإعلاء كلمة الله ، واثقا بنصره جامعا شمل عباده عليه .

يقول الأستاذ «جب » : « إن الاسلام ما زال في قدرته أن يقدم للانسانية خدمة سامية جليلة . وليس هناك أية هيئة سواه يمكن أن تنجح نجاحا باهرا في تأليف الأجناس البشرية المتنافرة في جبهة واحدة أساسها المساواة » .

★ المجتمع الاسلامي والتيارات المعاصرة ★

لقد لفتت أحداث أوائل القرن العشرين أنظار المسلمين الى الغرب أكثر من ذي قبل ، فرأوا ألوانا جديدة من الحياة ، كمالفتت أنظار الغرب ، بل ووجهت أطماع دوله الى أجزاء الامبراطورية العثمانية ـ التي كانت من أكبر عوامل انهيارها ـ فسارعت الدول الغربية « العظمى » الى التنافس على اقتسام أوطانها وبسط نفوذها بالحماية والانتداب والاستعمار ، وبدأ من هنا صراع من نوع جديد بين الأجنبي الباغي الدخيل وبين الشعوب الاسلامية المستولى عليها والبلاد العربية منها بخاصة ، فاندلعت الثورات لا تهدأ حتى تبدأ ، ولا تخمد حتى تتقد ، ولم تستطع وسائل الاستعمار على براعتها في المكر وإيغالها في الفتن أن تقضي عليها ، لأن الحياة أقوى من الموت ، والكرامة أبقى من الذلة ، والأصيل أثبت من الدخيل ، والحق أظهر من الباطل : (**إن الباطل كان زهوقا**) الإسراء/٨١ .

وما مضت سنوات حتى وجدت الدول الاستعمارية نفسها مضطرة الى مصانعة حركات الجهاد التحريرية ، فلوحت ببوادر الاستقلال وخففت بذلك من جذوة الثورات التي وجدت فيها بعض الثغرات ، كما مرت على البلاد جيوب من الهدوء ، والتفاوض والتعايش ، وغير المستعمرون أساليبهم فحرصوا على

الاستثمار بدل الاستعمار ، وعمدوا الى غزو الأفكار عوضا عن غزو الديار .

وفي هذه الغمرات ومن تلكم الثغرات وجدت الآراء الغربية المعاصرة ، والقيم الاجتماعية الحديثة والاعتناقيات التي تنبثق عنها وجدت مساربها الى حياة بعض المسلمين وأفكارهم وأمزجتهم وأذواقهم ولا سيما الأجيال التي تخرجت من مدارس الغرب فظهرت في المجتمعات الاسلامية فئات تبشر بتلك الاعتناقيات وتدعو لها وتبرزها بأثواب وأساليب مغرية ، وصاحب ذلك تغلغل كثير من الأجهزة ووسائل الترفيه الحديثة ، وتهافت الناس على اقتنائها والانشغال بها ... ثم كانت الحرب العالمية الثانية ومحاورها ، فتجسمت وازدادت بعدها الأوضاع التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ، ومضت المخترعات الأجدّ والمغريات الأكثر جاذبية وإثارة أشواطا بعيدة جدا في التأثير على عامة المسلمين ، وتوضحت المذاهب والآراء والقيم الاجتماعية الجديدة ، وحفتها دعايات وعرضت بأساليب تجتذب الناشئة والسطحيين من الناس ، وتتفاعل مع الحياة وتعمل عملها في صبغ المتجمعات الاسلامية بأصبغة لم تألفها من قبل .

قد تكون القومية هي الاعتناقية الأكثر بروزا بعد الحرب العالمية الأولى ، وقد تكون الاشتراكية والشيوعية هما الاعتناقيتان الأكثر بروزا بعد الحرب العالمية الثانية في الشرق والغرب جميعا ـ وان كانت لهذه الأفكار أعماقها قبل ذلك بكثير ـ فلا غرابة بالتالي أن يكون تأثر عالم المسلمين بأفكارها أكثر من تأثره بسواها من الاعتناقيات ، ولذا فإننا نجد من الفائدة التوقف عندها قليلا .

رد فعل المجتمع الاسلامي على التيارات الأجنبية المعاصرة :

إن العالم بعد حربين متواليتين ينقسم اليوم الى كتلتين كبيرتين : الكتلة الشيوعية في الشرق ، وكتلة الرأسمالية في الغرب ، يقول سيد قطب في كتابه « **العدالة الاجتماعية في الاسلام** ص ٢٦٣ » : « إننا نعتقد أنه انقسام ظاهري لا حقيقي ، وأنه على المصالح لا على المبادىء ، وأنه على السلع والأسواق لا على العقائد والأفكار ، فطبيعة التفكير الأوروبي الأمريكي لا تختلف عن طبيعة التفكير الروسي . كلتاهما تقوم على تحكيم الفكرة المادية في الحياة » .

ويدافع البروفسور جب « الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ٩٢ » عن هذه النظرة المادية الى الغرب بقوله : « لا محل للتعجب من كون علماء المسلمين يعتبرون أن الغرب ينغمس في مادية خالصة ، فإنهم يجهلون ما وراء المظاهر الخارجية لمادية الغرب ويحاكمون ذلك على صعيد انعكاساتها في الحياة الاسلامية ، وفي التآليف الاسلامية ، مع أن الانعكاسات في أساسها لا تمت الى روح العقيدة الغربية إلا بصلة وهمية غالبا » ... ولا أدري هل يعتقد البروفيسور « جب » في أعماقه أن المدنية الغربية ـ بصرف النظر عن رأي المسلمين فيها ـ تتفق من قريب أو بعيد مع روح العقيدة المسيحية الأصيلة التي لا أظنه يدعي للغرب عقيدة دينية سواها ؟

ومهما يكن الأمر ، ألا يعذر علماء المسلمين إذا نظروا للغرب النظرة السالفة التي عبر عنها سيد قطب ؟ ألا يعترف البروفسور « جب» نفسه بأن العلماء الغربيين ، « هم الذين سهلوا وسائل نبذ السنة وأزالوا نفوذها » (الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ١٢٨) ويقرر « بأن المؤثرات العلمانية الغربية جاءت الى منزل خالٍ ، ودخلته عن طريق قوة التعليم العلماني ، وطغيان وسائل المواصلة والمصانع ، وكثير غيره مما تسرب من الغرب » ؟ .. (الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ٩٦) .

أجل لقد عملت كل تلك المؤثرات عملها ، ليس بالأسلوب الذي سبق للحضارة الاسلامية أن أثرت فيه بالغرب ، ولكن في ظل خطط استعمارية واستثمارية وتبشيرية مرسومة ، بعيدة كل البعد عن روح النصرانية الأصلية ، والتعاون الانساني ، ولا تستهدف خير المسلمين ، وإنما ترمي الى تصيدهم واستغلالهم .

لم يستوح الغرب تصرفاته حيال العالم الاسلامي من نظراته المجردة إلى الاسلام بل أصبح « تعصبه على الاسلام جزءا من تركيبه العضوي الموروث » ـ كما يرى غوستاف لوبون ـ (مستقبل الاسلام . مالك بن نبي ص ٢٩) .

ومن يقرأ في التاريخ معاملة الخلفاء المسلمين للعلماء والأدباء من غير المسلمين ، وتبني الحضارة الاسلامية لنتاج الحضارات القديمة ، وتقديمها بأمانة للانسانية بعد تمحيصها والتوليد منها والاضافات الواسعة إليها فضلا عن موقف الاسلام من حياة غير المسلمين في ظلال الحكومات الاسلامية ، ويوازن بينه وبين ما صنعه الغرب بالمسلمين حين قويت شكيمته ، يتضح له الفرق بين السياستين والروحيتين ، ومدى بعد نصرانية الشرق الخالصة عن عدوان الغرب الجائر ، بَلْهَ عن سماحة الاسلام .

★ المجتمع الاسلامي والقومية ★

ليست القومية في حقيقتها ـ كما أفهمها ـ مذهبا فكريا أو اعتناقية عقائدية ، وإنما هي واقع تاريخي ووجود جغرافي وحقيقة إنسانية ، فالعالم معمور بأقوام هنا وأقوام هناك ، وهو مكون من شعوب وقبائل ، وبلغة العصر ، مكون من قوميات متعددة لكل منها خصائصها وملابساتها ، يقول الله تعالى : **(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)** الحجرات/١٣ ويقول : **(ومن آياته خَلْقُ السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)** الروم/٢٢ . ومن نواميس الطبيعة البديهية أن شبه الشيء منجذب إليه ، وأن الجنس يألفه الجنس .. فمن نتيجة التفاعل الاجتماعي بين الجماعات البشرية عبر العصور ، تكونت الأقوام المختلفة وتكونت قومياتها ...

فالقومية هي : « الواقع اللغوي والتاريخي والثقافي والجغرافي والاجتماعي العام » . وقد أراد الله للقوميات : (الشعوب والقبائل) أن تتعارف ـ في المعنى الواسع للتعارف الذي يقتضي حسن الصلة والنظر في خصائص ومميزات كل قوم وتبادل المنافع لتعمير الكون وتحري المصلحة الانسانية العامة ...

فليست القومية ـ في هدي القرآن ـ عنصرية ، لأن كل الأقوام من (ذكر وأنثى) وليست تعصبا وتعاليا وأنانية : (**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**) ، وليست انعزالية انغلاقية لأنها (**لتعارفوا**) ...

وهكذا قد يكون تحديد جغرافية العالم على أساس القومية الواعية لهذه المعاني المطبقة لمقتضياتها ، هو الطريق الطبيعي الأفضل لسعادة الانسانية ، وإبداعها ، ولا يتنافى ذلك مع الرسالة الانسانية السامية المشتركة التي يحقق بها البشر خلافة الله في الأرض .

وإذا كان وعي القومية وبروز فكرتها في عالم الغرب ومن تقمص روح الغرب ، قد تدرج بمراحل ورافقته أحداث ، وانتهى الى نتائج واتخذ أشكالا معينة قد تنحرف عن مفهوم القومية الانساني السوي الذي أسلفناه ، وقد تتطاول وتغالي فتجعل من القومية عقيدة ، وقد تصل الى حد الردة فتتنادي بها دينا ، فليس معنى ذلك أن الاسلام يرفض القومية المجردة السوية كوجود حي له وظائفه الاجتماعية . وأثره الفعلي في المجتمع الاسلامي .

لقد كان جهل المسلمين بالاسلام ، أو بالأحرى العمل على تجهيلهم ، ولفت أبصارهم عن بعض حقائق الاسلام لمآرب سياسية ، أهمها إبعاد العرب الذين اختارهم الله مهدا لدعوته ، واختار جزيرتهم منطلقا لشريعته ، واختار أشرفهم محمدا (عليه الصلاة والسلام) حاملا لرسالته ، لقد كان هذا التجهيل وما أدى إليه من نتائج خطيرة ، صارفا لنفوس المسلمين عن تفهم معنى القومية الصالحة التي لا تتنافى قط مع الاسلام ، بل تؤدي مهمتها في خدمة البشر كافة ، في ظل رسالة الاسلام وهدي شرعه المبين .

وقد صادف تبلور مفهوم القومية في أوروبا ، وآثاره في جغرافيتها وتاريخها ، وأحداثها السياسية ، تردي الخلافة العثمانية ، ثم سقوطها وإغماؤها بالمرة ، وتنبه أفكار المسلمين من مختلف القوميات والعرب خاصة ، واندفاعهم لإشادة كياناتهم الجديدة ، بعد أن أصبحوا بعثرة في الأرض ، ورافق ذلك تغلغل الأفكار الغربية في عالم المسلمين والتأثر بالقيم الاجتماعية ، والمذاهب الأجنبية ، ومن جملتها القومية بمفهومها الغربي !

وهكذا تفتحت أعين المسلمين ، في تلك الحقبة ، على القومية تفتحا غير سديد ، لأنهم لم يبحثوا عن قومياتهم السليمة في ظل الاسلام قبل انحرافهم عن حقيقته ، بل تلقفت عقولهم ونفوسهم القومية الواردة من الغرب ، كما تلقفت كل صادراته الفكرية وغير الفكرية ، فبدأت الحركات القومية طريقها على غير هدى وصراط مستقيم ، ووجد من نفخ فيها روح الشطط والمغالاة ونشأت من هنا الخلافات الكبرى بين دعاة القومية الجديدة ودعاة الاسلام .

فالذين بشروا بالقومية العربية أول الأمر مثلا ، ووضعوا لها نظرية علمية ... قد نفوا الاسلام كعنصر رئيسي في تكوين الأمة العربية : « مأساة العربي المسلم ص ١١٠/ بشير رفعت » وكان من ثمرة هذه الخلافات تباعد في صفوف العناصر الواعية العاملة ، أدى إلى توزع قوى الاصلاح في العالم الاسلامي عامة ، وفي العالم العربي خاصة ، ما زالت آثاره الضارة تتفاقم وتعمل عملها الهدام حتى اليوم .

بيد أن توضح الحقائق مع الزمن ، وعمق الثقافة الاسلامية واتساع ساحتها ، وإخفاق كثير من التجارب القومية المتطرفة وتبصر العقلاء المخلصين في جرثومة ونتائج هذا الخلاف الضار أخذ يقرب بعض وجهات النظر وسينتهي ذلك إلى نبذ المتطرفين وتهافت دعوتهم وتلاقي جهود العقلاء المؤمنين من الاسلاميين الوعاة والقوميين المتبصرين في حقول الاصلاح لمصلحة الرسالة المشتركة والواجب المقدس .

والحديث عن القومية واسع رحب ليس هذا مجاله فأختم الحديث عن أثر القومية في المجتمع الاسلامي بفقرة من مقولات بعض دعاة القومية النيرين : « إن الانسانية الحقة تبتدىء من القومية الحقة ، وان القومية المعوجة تؤدي الى انسانية معوجة ، ففقدان الوعي القومي الانساني الصحيح واتخاذ القومية عقيدة ودينا هو الذي يسبب الحروب ويهييء الفرص للاستعمار . فما لم يعمل الانسان . بهدي الدين على تحقيق انسانية المجموع القومي الذي يحيا فيه ويربطه التاريخ به ، لن يستطيع ان يعمل على تحقيق انسانية الانسانية جمعاء ..

وهذا يتفق مع رسالة الاسلام وروحه الواقعية وآفاقه الواسعة ونظرته العميقة في معالجة حاجات البشر بشكل مرن وتحقيق قيام المجتمع الفاضل الذي يتميز انسان الاسلام بشعوره انها مسؤوليته النابعة من صميم دينه والتي يوفر لها الاسلام الشرائع والانظمة والمنظمات الاجتماعية بشكل يتميز به عن سواه من الشرائع والمذاهب ويجعله المصدر الخالد عن جدارة لهداية البشرية .

★ المجتمع الاسلامي والمذاهب اليسارية ★

تتمثل المذاهب اليسارية في تطرفها بالماركسية الشيوعية التي يطلق عليها أربابها « الاشتراكية العلمية » تنكيرا لحقيقتها واستبعادا لتوقف النفوس عنها في المبادرة الاولى .

وتتمثل في اعتدالها بالاشتراكية التي لها أجنحة وفروع واتجاهات شتى ... ولسنا هنا في صدد الحديث المطول عن المذاهب اليسارية وتقديمها ودراستها ، فلذلك مجاله الخاص ، إنما الذي نقصده هو إلقاء نظرة عجلى على أثرها في المجتمع الاسلامي المعاصر ، ويهمنا بادىء ذي بدء ان نؤكد أننا نستبعد إضافة هذه المذاهب - بأي اسم سميت - إلى الاسلام ، كأن نقول اشتراكية الاسلام أو

شيوعية الاسلام ، لأن لهذه المذاهب منابعها ونظمها واستقلالها ومناهجها وفلسفتها التي تختلف كليا عن الاسلام في عقيدته وشريعته وفلسفته ومناهجه .

تهدف المذاهب اليسارية حسب دعواها الى إقامة نوع من المساواة بين البشر ، هي المساواة المادية المتعلقة بحاجات الجسم فتسعى لتأمينها في نطاق الحواس الظاهرة ... وهذه فلسفة لها جذور معروفة في القدم منذ افلاطون ، وقد تطورت وتعمقت واستمرت حتى وجدت لها في القرن الميلادي العتيد ظروفا ملائمة فأصبحت بعد فتن وثورات نظاما لدول تقوم عليه حكومات وتنظم فعاليته أحزاب وتستقطب لتأييده جماهير لجبة كانت تعاني الظلم والخصاصة ، وخيل إليها أنها تستطيع ان تحقق إنصافها ورغد عيشها عن طريقه . وهذا حال جل العامة في شعوب المعسكر الشرقي .

أما المجتمع الاسلامي فلم يحس بمثل هذه الحاجة لأن الاسلام في أساسه يكفل لمجتمعه من المسلمين ومن يعيش في كنفهم العدالة الاجتماعية ، فهو وإن صان حق الملكية المشروعة ولم يحل دون الغنى الحلال ، إلا أنه ضمن لإنسانه حد الكفاية الأدنى بشكل يصون كرامته وأقام من فروضه وتشريعاته نظما ومؤسسات وتشريعات تحفظ للفقراء والمحرومين حقوقهم بالزكاة والصدقات ومسؤولية بيت المال ، وحرّم الاستغلال من أي نوع كان وعلى أي مستوى كان بالتساوي بين الرعاة والرعية .

والاسلام يقوم في أساسه على وجود الله ووحدانيته ثم على شريعة رسوله ، والمبادىء الاخلاقية التي يدعو إليها والسلوك الذي يمارسه ... ومن هذه الأصول تتفـرع تعاليم الاسلام ومناهجه في الحكم ونظمه في إقامة المجتمع على أسس من الحق والعلم والعدل والمحبة .

وقد يخيل لمن يرى تقاربا في جوانب من مبادىء الاسلام مع بعض المبادىء التي تدعيها وتعلنها المذاهب اليسارية ، أن في الاسلام شيوعية او اشتراكية بما يعنيه الاصطلاح المعاصر لهذين المذهبين ، والواقع الحق مخالف لذلك كل المخالفة ، فمبادىء الاسلام في العدالة الاجتماعية وضمان الكفاية ومسؤولية بيت المال نابعة من ذات الاسلام وقد يكون في الشيوعية والاشتراكية ملامح من هذه المبادىء ، ولكنها جاءت متأخرة اربعة عشر قرنا عما في الاسلام .

إن الله جل جلاله حقيقة غير حسية ولا مادية ، إنه موجود حي خلاق فعال لا تدرك كنهه الأبصار ، والمؤمنون بالله يؤمنون بالغيب وبعوالم ما وراء الطبيعة ، وينطلق سلوكهم من هذا الإيمان ... أما فلاسفة المادة فيجعلون النشاط الانساني كله نابعا من الجسد فلا مجال عندهم لاعتبار القوى الروحية والقيم الأخلاقية المنبثقة عنها ، لأنها لا تنبع من الجسد ، وبالتالي فالروابط الأخوية في المجتمع والدين والايمان وما يتبع ذلك من أخلاق ونظم ـ عندهم ـ أمور مصطنعة سخيفة لا يعترفون بها ، وهكذا يكون نظام الأسرة مثلا ، مفتعلا لأنه ليس في جسم الانسان ما يحمل على الارتباط بالأسرة وكل الذي في جسمه هو الطاقة الجنسية

وهي مسألة بيولوجية فلا يحتاج الإنسان الى أكثر من تلبية تلك الحاجة الجسدية على أي شكل من الأشكال ، أما المثل العليا والأخلاق التي تنبع من الأديان فخرافة يضحك بها الانسان على نفسه ... وما الحقيقة الثابتة الواحدة الا المادية الواقعية ، وحقيقة الأرض والنوازع المشابهة لنوازع الحيوان (الانسان بين المادية والاسلام/ محمد قطب ص ٦٠ ـ ٦٦) .

يقول فريدريك انكليز « تبدأ النظرية المادية من المبدأ التالي : وهو أن الانتاج وما يصحبه من تبادل المنتجات هو الأساس الذي يقوم عليه كل نظام اجتماعي » .

(النظام الاشتراكي/ ترجمة الدكتور راشد البراوى ص ١٢٠) ، ويتدرج ماركس فيقول : « أسلوب الانتاج في الحياة المادية هو الذي يعين بصفة عامة العمليات الاجتماعية والسياسية والمعنوية في الحياة ... » (النظام الاشتراكي/ ترجمة الاستاذ عبدالفتاح ابراهيم) و « ليس شعور الناس هو الذي يعين وجودهم ، بل إن وجودهم هو الذي يعين مشاعرهم » (الانسان بين المادية والاسلام/ محمد قطب ص ٦٥) .

فالأخلاق لديهم ليست الا نتيجة التفاعلات الاقتصادية في المجتمع ، فإذا تغيرت علاقات الانتاج تغيرت معها القيم الاخلاقية ، والدين ـ أفيون الشعوب ـ شيء ابتدعه الاقطاعيون والرأسماليون لتخدير الشعوب وشغلها عن صراعها الطبقي ، وليس شيئا سماويا ولا حاجة سيكولوجية تنبعث من ضمير الفرد ، والمثل العليا أوهام الجائعين والمحرومين الذين حرمتهم الاحوال الاقتصادية من حاجاتهم فراحوا يحلمون بها . (مأساة العربي المسلم ص ١٣) .

لقد جعلت المذاهب المادية مطالب الانسان مقصورة على الغذاء والكساء والاشباع الجنسي ، وهي المطالب التي حددها ماركس في « المانيفيتو » ودعاها THE three satisfactions . وان أقسى امتهان لإنسانية الانسان وكرامته على ما نرى هو ما نادى به الفلاسفة الماديون من هيمنة الجسد وغرائزه الحيوانية على الفكر والروح ، وهم في هذا نقيض كلي للاسلام وعقيدته وروحه وفلسفته التي تجعل الجسم قالبا مسخرا للنفس ، والنفس عالم مستوعب للمعنويات والماديات يشمل سبحات الروح وتألقات الفكر ومشاعر الوجدان الى جانب متطلبات الجسد وكل ما يحتاجه ويصونه ، وكل ما في عالم النفس من روحي وجسدي أصيل ..

★ الوجود اليساري في المجتمع الاسلامي ★

على الرغم من تعارض الاسلام مع المذاهب اليسارية فإننا نجد لها وجودا في عالم المسلمين اليوم وليس للاشتراكية المعتدلة فحسب بل وللماركسية الشيوعية أيضا ، بنسب متفاوتة ، ولكنها في كل الأحوال والمواطن تعمل جاهدة على التغلغل في المجتمعات الاسلامية وتتخذ لنشاطها كل الوسائل التي تستطيعها ، ولا تعدم تجاوبا وتأثيرا بشكل أو بآخر ..

وليس ذلك فيما نعتقد نتيجة انسجام واعتناق ، بل هي جهالة وسطحية من جانب وظروف سياسية واقتصادية وعامة من جانب ثان ، وتأثر بتخطيط دعائي مثابر وبذل مادي سخي من جانب ثالث .

فتظاهر الاتحاد السوفيتي بتبني قضايا عربية وإسلامية وتأييدها في المحافل الدولية ، والتفوق العلمي الذي سبقت إليه في ميادين الصواريخ والأقمار الصناعية وغزو الفضاء ، والذي أحسنت الدعاية له فخلبت به ألباب الجماهير وامتزاجها في أذهان العامة بالدعوة إلى « السلام » ونزع السلاح وتعميم العيش الكريم على عامة الناس ، كل هذا من جهة ومواقف الدول الرأسمالية الامبريالية الظالمة الغاشمة والعقلية الاستعمارية الاستعلائية التي تتعامل بها مع دول العالم الثالث وتشدد أمريكا بخاصة في مباحثات نزع السلاح والتزامها الرفض تكرارا لحق الرفض (الفيتو) وانسحابها من منظمة اليونسكو في عهد رئيسها المسلم ودعمها الأعمى لإسرائيل وأطماعها الصهيونية (كل هذا وسواه من جهة ثانية أعطى للاتحاد السوفيتي ومن يدور في فلكه الفرصة لمزيد من التأثير في المجتمعات الاسلامية دون الانتباه الكافي الى الأخطار الضروس التي تنجم من تغلغل الشيوعية في أوساطها . والتي لا ينقذها منها إلا الاسلام الحي الحركي الايجابي الفعال في حياة الافراد والجماعات .

★ المجتمع الاسلامي والتجارب الاجنبية ★

إن المسلم لم يعان التجربة الغربية الامبريالية كما لم يعان التجربة الشرقية الشيوعية ، وإنما اكتفى بما اطلع عليه سطحيا أو قرأه عنها ، ولهذا فهو لا يقدّر خطر التورط في قبول الاعتناقيات الدخيلة على أصالته وحضارته .

ولو كانت الساحة حرة للانبعاث الاسلامي ودعاته لما كان الوقوف في وجه الأخطار والأفكار الغازية شديد الصعوبة ، ولكن الظروف والصروف تضافرت في عرقلة الصحوة الاسلامية عن أن تمضي بعالم المسلمين ومجتمعاته في صراط الله المستقيم الموصل الى النصر في معركة استرجاع الذات والتمكن من أخذ الأمة الاسلامية مقامها من جديد في ريادة الركب الانساني .

في عالم المسلمين اليوم ولاشك توثب جديد ، ولكنه وهو في عتبات نهضته . يعاني ازمات حادة ومجابهات وتحديات عنيفة تتولد عنها بلبلة في الانطلاق من حيرة وسطحية وارتجال وانكماش حينا وتهور حينا آخر وتردد ـ دون فقه حضاري ـ بين القديم والحديث والأصالة والمعاصرة .

ولكل هذا وسواه نجد الحركة الاصلاحية في المجتمعات الاسلامية لم تستطع الوصول الى تغيير النفس الاسلامية بالقدر الكافي ، كما لم تعرف وظيفة الدين الاجتماعية ، ولكنها نجحت ولاشك في إثارة المأساة التي تعيشها الأمة الاسلامية في ضمير أبنائها من الناحية الفكرية والوجدانية على الأقل ... ولكن كما يقول الاستاذ « جب » « لابد للحركة الحيوية من أن تنبعث عاجلا أو آجلا شريطة ان يبقى القرآن القوة الحية في حياة الأمة الاسلامية بكاملها » . (الاتجاهات الحديثة في الاسلام ص ٥٩) .

ولكي يتحقق ذلك لابد للمسلمين من ان يتخطوا ظواهر الأشياء الى جواهرها فلا يقتصر همهم على استظهار القرآن بل على فهمه والاهتداء به والاستنباط منه والعمل بأحكامه .

ولابد لهم من تجاوز استعمال المنتجات والمخترعات الأجنبية إلى إدراك حقيقتها والسعي لصناعة نظائرها ، بل والزيادة عليها ، وهكذا الأفكار والمبادىء الأجنبية لا يكفي ان يقبلها أو أن يرفضها بل عليه أن يعمد إلى تمحيصها ونقدها ومقارنتها بقيمه ونظمه ليمضي في حياته على بينة ، وليلتقط الحكمة أنى وجدها ويضعها في محلها من قيمه ونظمه على بينة أيضا : وإنا على الدرب لسائرون : **(وأن ليس للانسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يُرى * ثم يُجزاه الجزاء الأوفى)** * (النجم/ ٣٩/ ٤١) .

الزهد

روى ابن ماجة وغيره بأسانيد حسنة : أن رجلا جاء الى النبي - صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله دلني على عمل اذا عملته أحبني الله ، وأحبني الناس . فقال : «ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس » .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » رواه الترمذي .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : - « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » رواه البخاري ومسلم .

أحلام اليوم وحقائق الغد

الإسلام بعد مائة عام

للأستاذ / محمد لبيب البوهي

لا أرى من بأس حين يشتد ظلام الأمور أن يجنح الانسان للتخفيف عن النفس باستقراء بعض الخيال العلمي ، أعني الخيال القائم على تخطيط في النفس ، وقد يجد الانسان في مثل هذا الخيال راحة نفسية لا بأس من أن يستمتع بها . وقد يجد فيها إيحاء لعمل الغد ، أو تنشيطا للذهن . كما قد يكون في تسطيرها تخفيفا من دسامة دراساتنا ومقالاتنا الفياضة بكثافة الحكم لذلك استسمح السيد القاريء في أن أسير مع الخيال في هذا المقال فأنقل صورة من عالم الأحلام إلى عالم الحس ، والوجود ، إنه خيال قائم على الدراسة العلمية والمخططات الموضوعية .

فقد كنت منذ بضع سنين مدعوا من قبل قريب عزيز لزيارة أوروبا مع إحجام شديد من جانبي لقبول دعوته ، وكنت أردد له أنني أضيق ذرعا برؤية مجموعات من الشباب هناك ، ممن يأتون إلينا أحيانا في سياحة في مناظر مقززة ممن يسمون أنفسهم باسماء شتى (كالهيبز أو الوجوديين) أو غيرهم ، ومازلت أذكر واأسفاه قصة شاب مسلم ذهب في

بلادنا لخطبة فتاة مسلمة ، وخلال انتظاره في حجرة الصالون حتى تحضر العروس لاحظ أخوها انفتاح سروال الشاب الخاطب أو تمزقه حتى لتكاد عورته تبدو ظاهرة ، فلما نبهه إلى ذلك في أدب ، لم يأخذه حياء ، وإنما تبسم ضاحكا وقال : معذرة فإنني وجودي ـ أي وجدت هكذا وانطلق مع نفسي كما ترى هذه النفس .. وتبسم مضيفا ـ فلسفة ـ مذهب مريح ، وقبل أن يسترسل في الحديث أخذ المضيف بيد الوجودي في رفق إلى الباب .

واسترسلت في سبيل الاعتذار لصديقي الذي يدعوني إلى زيارة هناك أم تريدني أيها العزيز أن أزور بلادا لا بأس أن ترى فيها المستر فلان وقد أصبح باسم القانون زوجا لمستر آخر .. ألا يكفي بعض ذلك لاثارة النفس والنفور ، لقد هزتني هذه الصور من الأعماق وأحسست بضيق شديد لما أصاب كثيرا من الناس ، وصدفت نفسي في هذا المساء عن طعام العشاء فقمت إلى فراشي مبكرا ، وما أن أخذني النعاس حتى وجدتني في الطائرة وصوت المذيع فيها يطلب شد الحزام على البطون ، وحمدًا لله على سلامة وصولكم الى لندن في الساعة الخامسة من صباح اليوم الأول من إبريل عام ٢١٠٠ ميلادية وشكرا ، وكان هناك اختلاف في الزمن يقدر بنحو ثلاث ساعات بحكم اختلاف الأماكن .. وتدل الأوراق التي كنت أحملها انني موفد لحضور مؤتمر رعاية الأيتام ، وقد سرني كل السرور أن يقام في لندن مؤتمر يحمل معنى من معاني التكافل الانساني وقد ظننت أنه سيكون في انتظاري بالمطار مرافق ، وخشيت أن يكون ذلك المرافق المكلف باستصحابي فتاة أو سيدة فقد تعودوا ذلك كثيرا ، وهي صحبة أنفر منها بحكم ديني ، فإنه ما اجتمع رجل وامرأة إلا حضر الشيطان ، وليس المهم أن يحدث مالا يحمد عقباه أو لا يحدث ، وإنما المهم هو التحذير الاسلامي ، ولكن أسعدني أنه ما إن خرجت من باب المطار حتى وجدت في استقبالي شابا أنيقا ذا لحية خفيفة ، قدم إلي نفسه باسم بكر قلت تعني بيكر شكرا لك يا صاحبي العزيز مستر بيكر .. فقد ظننت أن ذلك لابد أن يكون اسمه .. ولكنه تبسم ضاحكا في حياء وقال بل بكر ، فاعتذرت وتبادلنا الترحيب ، ورأيت في ساحة المطار مئذنتين جميلتين لمسجد كبير ، فقلت مستأذنا أحب أن أصلي ركعتين سنة المسجد وتحية الوصول إلى بلدكم ، فقال مرافقي السيد بكر إنه سيصلي معي ، وقد هالني أن رأيت المسجد مزدحما بعشرات من القوم ربما لأننا كنا عقب صلاة الفجر ، ورأيت كثيرين قد وضعوا قبعاتهم جانبا واسترسلوا في خشوع ووقار في ذكر مجيد بتلاوة اسماء الله الحسنى بأصوات خاشعة عذبة كأنها دوي النحل ، ثم انطلق بي صاحبي في سيارته إلى الفندق كي أنال قسطا من الراحة ، وقال إنه سيمر على الفندق ظهرا فشكرته وانصرف ، ولكنني لم أجد رغبة في النوم فقلت في نفسي أجول وحدي في المدينة ، وكنت أحمل في أوراقي خريطة قديمة وقد نسيت أن

الزمن قد تقدم أكثر من مائة عام ورأيت في الخريطة القديمة علامات تشير إلى أماكن تسمى بنوادي العراة فاشمأزت نفسي .. عراة !!؟ إن الدواجن أكرم من ذلك فإن لها على الأقل ريشا يسترها ، والحيوانات لها فراء ، حتى القطط يسترها شعر جسدها .. وأخذت أردد .. ماكان ينبغي أن ينحط الانسان إلى هذا الدرك ، ولما جاءني بكر وقدم إلي مصحفا هدية لقدومي مع برنامج المؤتمر ، وقد تبسم ضاحكا عندما سألته مستنكرا أن يكون هناك ناد للعراة . فقال لقد نسيت أن الزمن قد تقدم بك مائة عام أو أكثر ، ثم أضاف نعم كان ذلك واأسفاه في عهد جاهلي مضى ثم أشار إلى صورة كبيرة معلقة على الجدار لشاب عربي وقال إنه عبدالله المهدي جاء لأكثر من مائة عام داعية لدين الله ، وانضم إليه كثيرون ، ومد الله في عمره ، وبارك إخلاصه ، حتى صرنا إلى بعض ما رأيت ، وستجد صورة عبدالله المهدي كثيرا في أماكن كثيرة ، حتى البيوت لقد انتقل إلى رحمة الله من ثلاثين عاما ، ونحن نحتفل حتى في بيوتنا بذكراه ، قلت وماذا تم في أمر نوادي العراة ؟ قال منذ خمسين عاما أعطيناهم مهلة للهدى ، ثم هدمنا ناديهم ، وحاول بعضهم الفرار إلى الأحراش الاستوائية ، ليمارسوا هوايتهم الشيطانية ، فطوردوا هناك شر طرده ولم يعد لهم ذكر .

وحاول بكر الصالح أن يمزق الخريطة القديمة فقلت : معذرة دعها معي ، فإنني أريد أن أقارن ، ثم قلت في حياء : إن في الخريطة أشياء أخرى ، ووضعت أصبعي على نقطة ، ووجدت خجلا في لساني أن يتلفظ ، فقال : نعم كان هنا ناد للفتيات الحبليات . ضربت يدا بيد مرددا لا حول ولا قوة إلا بالله ـ الفتيات ـ الحبليات ؟! قال ذلك زمن قد مضى وسترى بعينيك أشياء جديدة ، وركبنا طائرة صغيرة حطت بنا بعد دقائق في ساحة دار كبيرة ، كان أهلها يصلون الظهر في جماعة ، فاندمجنا معهم في الصلاة ، وبعد الصلاة انتحينا جانبا في إحدى الغرف ثم ضغط زرا صغيرا في الجدار فبدت على شاشة في مواجهتنا صورة فتاة محجبة وقال : هذه إحداهن ـ قلت : إحدى ماذا ؟ قال : ما كنت تراه على الخريطة من نادي الحبليات ، هذه صورة إحداهن وقد انتقلت إلى رحمة الله من عشرات السنين ، وسترى وتسمع شريطا مسجلا منذ ذلك الزمن ، وظهرت صورة عبدالله المهدي يتحدث إلى الفتاة المحجبة القابعة إلى جواره ، قلت لمحدثي : إنك تريني التسجيل من نهايته . قال : نعم ـ ذلك أنني رأيت الفتاة تبكي ربما من يقظة ضمير بعد أن سمعت مواعظ الشيخ من قبل مرارا ، إن الفطرة النقية كامنة في نفس كل إنسان كما خلقها الله سبحانه ، وقد يحجبها الهوى والشهوات إلا أن يشاء الله فتعود بالتوبة النصوح والادراك السليم ناصعة بيضاء كما خلقها أول مرة ، كانت تسأل الشيخ هل يقبلني الله ويعفو بعد كل ما كان مني ، فتبسم الشيخ في حنان وهو يردد قول الحق

سبحانه : (**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما * وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما**) « النساء/ ١٧ و ١٨ »

وامتلأت عينا الفتاة بدموع الشكر وهي تقول : صدق الله العظيم . قلت لمحدثي : ترى كيف كانت بداية الانحراف ؟ قال : التمزق العائلي ، وخلوة الفتيات بالشباب دون رعاية أو رقابة أو توجيه حكيم ، فنشر الشيطان على الجميع مظلته واحتضنهم في حظيرته ، والنفس بطبيعتها أمارة بالسوء ، إذا خرجت من حصون العفة ، وهكذا كان ويكون الفساد والضياع ..

ثم مرت فترة صمت قال بعدها : يحدث ذلك غالبا بعد الحروب وكان بعض ما رأيت من ويلات الحرب العالمية الثانية حين تهدمت كل القيم وامتلأت نفوس الشباب بالمرارة فكان الانطلاق البهيمي كأنه احتجاج على ما أصاب الانسانية من فساد وجدوا فيه متعا جسدية لأن أمر الروح كان قد انتهى ، وأطلقوا على أنفسهم « الهيبز » وربما تعني في زعمهم السعادة الباقية من حطام الأهوال .

● ● ●

وعاد بي محدثي بكر الى التسجيل حيث ظهرت جموع غفيرة من الفتيات والشباب ، وقد أحاطوا بالشيخ الداعية وفي عيون الجميع حياء وندم ، لقد عرفوا الحق وعادوا إليه وقاموا جميعا إلى الصلاة فقد صاروا مسلمين .

شكرت صديقي وانتقلت معه إلى حديث آخر كان يهمني كثيرا عن إخوة لنا في إفريقيا قد أصابهم الجفاف وندرة الماء وقلة الزرع والنبات وموت الملايين من العجزة والنساء والأطفال ربما كنت أفكر في جمع تبرعات لهم من خلال المؤتمر .

فضحك صاحبي وقال : إنك نسيت أنك في العام المائة بعد الألفين إن ما تتحدث عنه ذهب مع الزمان .. إن إفريقيا الآن هي سلة القمح لكل العالم ، قلت متعجبا ؟ ماذا ؟ إفريقيا ! سلة القمح لكل العالم !! قال نعم .. نعم .. من أكثر من خمسين عاما ربما في العام السابع والخمسين بعد الألفين اتحدت كل بلادكم تحت شعار عملي للاكتفاء الذاتي للغذاء ، وتمت دراسة خصائص الأراضي في كل منطقة ، ووجدوا لديكم مئات الملايين من الأرض الخصبة ، وبخاصة في إفريقيا فكان يا صاحبي ما أشرت إليه من أنها أصبحت سلة القمح لكل بلاد العالم فسبحان مغير الأمور والأحوال ، ثم صاحب بكر الذي كان يسمى المستر بيكر سابقا يقول : تذكر قول الله سبحانه : (**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا . لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا**) الجن/ ١٦ و ١٧

قلت صدق الله العظيم لقد عادوا

إلى التضامن والتآخي الحق ، فانفتحت لهم أنوار البصيرة ببركات الله ، وحق فيهم قول نوح لقومه كما تقول آيات الله (.. **استغفروا ربكم إنه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**) نوح/ ١٠ ـ ١٢

●●●

اسعدني كثيرا ماصارت إليه الأمور في العام المائة بعد الألفين وأشرقت في نفسي أنوار الأمل الذي كان قد خبا . وقد علمت من محدثي أن الأمور لم تقف عند هذا الحد . قال سعيدا مستبشرا . بلادكم هي منبع النور لنا لذلك أسعدني تقدم : « التكنولوجيا » العربية واستخراجكم لكنوز معادنكم ، لقد أصبحت صناعاتكم بحيث صارت اليابان تلهث في المنافسة معكم ، تود بكل جهد اللحاق بكم ، قلت سبحان الله ! لقد أشعت السرور في نفسي بما ذكرت غير أنني مازلت أرى أنني كمسلم مأمور بالجهاد في سبيل الله ، واذكر أن من جهز غازيا فقد غزا ، فهلا نقدم ورقة عمل للمؤتمر لجمع بعض تبرعات للاخوة مجاهدي أفغانستان الذين ديست أرضهم ، وهي أرض إسلامية ومتى حدث ذلك فقد صار الجهاد فرض عين على كل مسلم .

قال صاحبي : إنك تنسى التاريخ دائما .. إنك ما تنفك تذكر ما قد مضى منذ عشرات الأعوام وعفى عليه الزمن ، يجب أن تعيش الحاضر العام المائة بعد الألفين ـ فعن أي أفغانستان تتكلم ..؟ لعلك تعني أفغانستان العظمى .. لقد غزت منذ خمسة أعوام ثلث الأراضي الجنوبية من روسيا، والهيئة العالمية العامة وأعني ما كان يسمى بهيئة الأمم المتحدة توالى اجتماعاتها بناء على شكوى روسيا لاقامة هدنة مع أفغانستان العظمى .. إن مؤلفات عديدة تصدر الآن تباعا بلغات شتى عن تحليل أساليب الانتصار الأفغاني ، ولكن ليس إلا فضل الله مع المخلصين وصدق قوله العظيم : (**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون * إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين**) الانبياء/ ١٠٥ و ١٠٦ . ولاتنسى كذلك قوله تعالى :(**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون**) القصص/ ٥ و ٦

●●●

امتلأت اعجابا بما صار إليه مستر بيكر ، وصحوت من نومي مشرق الوجه سعيدا أقول : ليس بعيدا على الله القادر على كل شيء أن تتحقق الأماني ما صدقت النيات ، وصلح العزم واشتدت الارادة وسارت الأمور على ما يحب الله ، والمثل يقول إن طريق الألف ميل يبدأ بالخطوة الأولى .. فهل بدأنا ؟؟



للاستاذ / محمد محمود متولى

إن الناظر في أحوال المسلمين اليوم يجد أن لديهم فكرا غير منكور ، بعضه نظري في الآداب والقانون وعلوم النفس والاجتماع .. الخ ، وبعضه في الدراسات العملية التطبيقية كالهندسة والطب وغيرها ، وهم في العلوم النظرية لم يصلوا بعد ـ إلا نادرا ـ إلى المستوى العالمي وما وصلوا إليه منه مجحود فضله لعدم التعريف به تعريفا جيدا ، ولأن الذي يقرر العالمية لجان للصهيونية فيها سيطرة كبيرة كجائزة نوبل مثلا .

وفي الدراسات العملية يملك المسلمون عقولا مبدعة تزخر بها مواقع الصناعة والعلم في أماكن كثيرة من أوربا وامريكا ويقدر عدد علمائنا في هذه الناحية بما لا يقل عن ثلاثمائة الف عالم وبالاضافة إلى ما سبق فعندنا طاقات بشرية هائلة ، واراض شاسعة بها بحيرات وانهار وبحار مع مواد خام يمكن لو أحسن استغلالها ان يتغير حالنا من مستورد إلى منتج ومن دول نامية إلى دول متقدمة .

وبديهي أن هذا الذي لدينا يفتقر إلى خطة تربط بعضه ببعض حتى ينشأ التقدم المرجو ، وبادىء ذي بدء لابد من إيجاد مناخ الترقي وأعني به الارتقاء الفكري للأمة ، وهو هدف لابد أن توظف من أجله جميع أجهزتها ، في خطة تجعل الكل يعمل نحو الهدف المنشود ، فلا يهدم جهاز ما يبنيه آخر ولا يناقض طريق الغاية التي يوصل إليها الطريق الآخر ، ويوضع في الحسبان توظيف كل امرىء فيما يحسنه ونحن ـ حقيقة ـ مشتتون لا تتضح لمتعلمينا الوجهة وبالأحرى لجاهلينا كذلك ، ويختلط في رؤوسنا الصواب بالخطأ ، ويغلب علينا طلب العلم للمنفعة العاجلة لذلك تأتي قشور الألباب فيها وإن كان فيها لباب فسرعان ماينسي ، كذلك نحن نطلب مع العلم الغلبة فيصبح سلاحا للتفريق أكثر مما هو سلاح للتجميع ، ونريده زينة نجمل بها أنفسنا فهو للوجاهة في أحيان كثيرة ومن أجل هذا نكتفي بقليله عن كثيره وبسطحيه عن عميقه فيصبح من الكماليات لامن الضروريات ويكون شأنه شأن قطع الاثاث التي تجمل بها البيوت والدول الاسلامية ـ على كثرتها ـ مناحي شتى وطوائف لا تتجه إلى قبلة علمية واحدة تحت سطحها ركود لا يبين منه حركة ولا يموج بالاضطراب الذي يسبق النهضة وأين حالنا الآن مما كان في الفترة من (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠) كانت هناك حركة بعث علمي وجدت استجابة شعبية فأفرزت أبرز الأسماء في عالمي الأدب والعلم كالرافعي والعقاد وشوقي وحافظ ومشرفة وعلي ابراهيم والزيات والطنطاوي ...

وهناك ماافرحته الإرادة الاستعمارية التي قسمتنا دولا ودويلات عصبيتنا لها ـ مهما قلنا ـ اكثر من عصبيتنا للإسلام لذا نحن نطلب الحق لأنه قول زيد او عمرو من هنا أو هناك ويتصدر صفوفنا أناس كان منهم أعلم من أساتذتهم يستحيون ان يجلسوا للتعليم أو يتصدروا للفتيا ، كما نطلب العلم لأنه جاء من الدولة الفلانية ونرفضه لانه جاء من غيرها متفاخرين بجنسيته ، فهلا تذكرنا ان العلم لا وطن له وأن جنسية المسلم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وألا يدور بخلدنا ان الأعاجم والموالى بعد إسلامهم ذهبوا بثلثي العلم إن لم يزد ، فاجأني احد الطلبة بسؤال عن شعب ما وهل هو عربي ؟ وأحببت ان اختصر الطريق واقطع الملاحاة وأميت النهاجي بين أبناء الأمة الاسلامية فماذا نحن جانون من تصغير كل منا للآخر ، فقلت له يا أخي هل تعرف قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها» « اخرجه الترمذي في كتاب العلم » .

وقلت له : يا بني إن العلم ليس جاها يستمد من جنس شريف او من نظام حكم . والعلم الذي هكذا علم محكوم بفنائه فهو زائل بزوال الجنس وفان بفناء ذلك النظام ، وقد كان ابن تيمية رحمه الله يقول لمادحه : أنا رجل ملة لا رجل دولة ، وأئمتنا في الفقه والحديث خير شاهد على أن أبانا الاسلام ولا أب لنا سواه وقد ذهبت دول وبادت اجيال وبقي أبو حنيفة والشافعي ومالك وأحمد رحمهم الله هم علماء هذه . الامة وأعلامها وقل مثلما قلت هنا في حق حفظة السنة ورواتها وهم جميعا ارفع من الجنس وأعلى من العصبية وعلمهم المتجرد لله جعل النفع بهم عاما

والفائدة شاملة فنحن يجب علينا أن نطلب الحق لذاته لا لأنه قول هذا أو ذاك فمعرفتنا به تعرفنا بأهله كما قيل : لا تعرف الحق بالرجال ، ولكن اعرف الحق تعرف اهله .

وتتطلب النهضة الانتفاع بكل متاح نافع من الفكر ، ولذا فإني اعتب على بعض الأخوة حبس أنفسهم على فكر بعينه لدرجة تجنيب مكتباتهم التعامل مع كتاب مسلمين ذوي بلاء مشكور من أجل الاسلام وهم يقولون بصراحة : نحن لا نبيع مثل هذه الكتب بينما يبيعون كتبا لغير مسلمين وأذكر أنني احتجت لبعض الكتب من تأليف العلامة الشيخ ابي زهرة والعالم الفاضل الدكتور محمد عبدالله دراز رحمهما الله وكتبا للشيخ محمد الغزالي ـ ابقاه الله ـ فقيل لمن ارسلته : اسفون . وعندما نكون على المستوى الرفيع لفهم الاسلام سوف نعطي كل ذي حق حقه ونعرف لكل مجاهد سابقته .

إن هناك عللا من داخل المعسكر الاسلامي تحول دون التجمع قد تكون آراء خاصة أو شهوات سيطرة وزعامة خاصة أو أهواء ، أو النفرة من التلاقي على رأي والتجهم للتآخي والأخوة كما أن هناك عللا تأتي من طوائف إسلامية عميلة للشرق والغرب ، أو طوائف غير مسلمة في داخل الوطن الاسلامي ، أو معسكرات عالمية يهمها ألا يتجمع المسلمون تحت راية واحدة وعلى هذا فالتوجه إلى قبلة علمية واحدة هو أولى درجات الرقي والنهضة .

وهناك عامل آخر له أثاره العظيمة في بناء النهضة وذلك هو العامل الخلقي فهو اساس قويم ومتين للبناء الحضاري ، والحضارة لا يمكن أن تقوم بلا خلق مهذب وسلوك قويم ، وإن وجدت مظاهرها تحولت في أيدي الفارغين من القيم إلى تهارش حيواني وسباق لتحصيل المتعة وسعي إلى الغلبة يظفر فيه أقوى المتصارعين نابا وأصلبهم ظفرا ، فأما الأخلاق فهي الدافع إلى التواصل والتراحم والإتقان والتعافي والتماسك وذلك يجعل الانسان محلقا وما في آفاق السمو والرفعة والأمم في أطوار بنائها ينبغي ان تجنب عوامل الهدم كما يجنب الصحيح المرض والمريض ما يزيده مرضا وكما يطعم الطفل لتمنع عنه العدوى ، والانسان المهزول الخلق لا تجدي بين يديه أعظم الآلات ولا أضخم المنشآت ، والناظر إلى أحوالنا يجد أن عوامل الهبوط أقوى من عوامل النهوض فلقد ملكنا الفيديو وأفلام الخلاعة قبل ان نملك بناء خلقيا ثابتا ، والخطأ كل الخطأ ان يظن أن الاخلاق من الكماليات او مواد الترف ، وإنما هي في الاسلام ثمرة العقيدة المتمكنة في القلب .

والايمان والتقوى مقترنان في القرآن الكريم بمعية الله وإحسان العمل يقول تعالى « **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** » الأعراف/ ٩٦ . ويقول « **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** » النحل/ ١٢٨ . ويقول الرسول الكريم فيما رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما :

« لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ، وكان يقول : «إن من خياركم أحسنكم أخلاقا » رواه الشيخان والترمذي ويقول الإمام ابن القيم : «الدين كله خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين» .

وعلى هذا فإن قوة الأخلاق قوة للأمة ، وارتكاسها ارتكاس لها ، وإذا انتكست أخلاقنا فلسوف ندمر كل ما تصل إليه ايدينا وعقولنا ، والرجل الشرس الخلق البذىء اللسان الساهر ليله في المعصية المقضي نهاره زائغ البصر والبصيرة يدمر كل ما يوضع في طريقه ولله در القائل :

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا
والقائل : وإذا اصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

فأما العنصر الثالث في البنيان الحضاري فهو : انتخاب العناصر القويمة أخلاقيا ودينيا المحسنة للإدارة والفكر ، المجيدة لفنون القيادة على كافة الميادين ، فهذا من شأنه أن يصلح من شأن أمتنا عن طريق التأسي والاقتداء بأعمال الرجال الشرفاء ، وكما قيل : عمل رجل في الف رجل خير من عمل الف رجل في رجل ، وهؤلاء اغلى من الذهب ، وأندر من الماس وحاجة الأمة إليهم أشد من حاجتها إلى الهواء والماء ، وإذا وجد واحد أو آحاد منهم فإن على من عثر عليه حاكما او محكوما أن يعض عليه . بنواجذه ، ولو أهمله وولى غيره لكان خائنا لله ولرسوله وللمؤمنين وكان ملعونا من الله والناس والملائكة أجمعين .

إن الاسلام يبغض المحاباة في أمر عام أو خاص لأن من شأنها أن ترفع الجهلاء وتخفض الشرفاء وتقدم الخونة وتؤخر الأمناء ، وحين يتقدم من لا يؤهله خطوه للتقدم ويتخلف من يستحق التقدم تنشأ معارك بين الجهل والعلم وبين الشرف والوضاعة يستغل كل ما لديه من اسلحة ولان الرجل النظيف لا يحسن الخداع والمكر فغالبا ما ينهزم لقلة النصير وندرة المؤازرة ويحق قول الطغرائي يندب حظه :

تقدمتني اناس كان خطوهمو .. وراء خطوي اذ أمشى على مهل
ان الحكماء هم الذين يوجهون الدفة في أمريكا وأوربا بل واسرائيل ، ويستعان بهم في فهم مشاكلنا والاعانة على تدميرنا وتأخيرنا ، فأين لجان حكمائنا في شتى المجالات العلمي والعملي منها ، الدنيوي والديني ؟

وأين خططها المقننة من أ ا خطط راشدة رائدة لتقدمنا وجمعنا وحل مشاكلنا حتى نتخلص من الأحكام المعلنة ، والتفسيرات المختلة ، والنظرات السطحية لحلول المشاكل وحتى لا ينصب الجهلاء والتلاميذ من انفسهم حكاما وقضاة ومفتين في أمور ما أهلوا لها علميا ولا ثقافيا وهناك دعوى عريضة بالعودة الى

النص ، يشتم فيها رائحة إهمال كل ما أثمره العقل المسلم في أوج رشده وقد كان أقرب إلى عصر نزول القرآن منا مع إخلاص القلب ، ونقاء الفكر والحرص على نصرة الاسلام أكثر منا ، وقد أفرز ذلك العقل حين أعمله أبرار السلف في النصوص انضج وأبدع ما انتج من آثار قل أن يوجد لها نظير في الثقافات الاخرى .

ومع هذا ترتفع عقائر رجال ونساء بإخلاص او بغرور او بجهل وسذاجة بإهمال هذا كله ولماذا ؟ للعودة إلى النص-يا سبحان الله،إن النص على العين والرأس ولكن ابعد ما هو حسنة من حسناتهم أمرا نريد نحن التبرؤ منه ، وهل يفهم القرآن بدون العلوم التي انشأها سلفنا حوله ، وهل تفهم السنة بلا شروحها : فتح الباري ، عمدة القارىء ـ شرح النووى على مسلم ـ عوز المعبود شرح سنن ابي داود ، وتحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي .. الخ .

وهل تفهم الشريعة دون كتب الفقه المذهبي او المقارن وهل تفهم احاديث الأحكام دون ما كتب حولها ؟ إذا قالوا : نعم ، قلت : وأين هم رجالكم المؤهلون للتلقي من الوحيين مباشرة أين هم ؟ أين هم ؟ المسألة يا إخوة الاسلام محتاجة إلى عشرات العلوم وإلى عشرات السنين وإلى مئات الرجال المخلصين ـ ومن يضمن الا ينشأ لدينا الاف المذاهب التي يحق ان يقال عنها : تزببت وانت حصرم ، أي تصنعت النضج وأنت لم تنضج .

إن ائمة المسلمين فيما مضى كان لهم من طول الباع والمثابرة وبركة الوقت وقلة المطالبة ما ليس لنا ، ولذا فقد فهّمهم الله ما لم يفهمنا في الدين والعلم ، ولا يوجد أمة على ظهر الأرض تنبت فيها نابتة تدعو إلى قطع جذورها عن تراثها ونحن لا نحجر على الفكر ، ولكن نقول : من عنده فضل علم فليضفه إلى ما سلف من علم الأولين ليزداد علمنا ثراء ويزداد اتساعا بدلا من تمزيق علاقة الحاضر بالماضي ، وسد الطرق على شبابنا إلى التراث الاسلامي في أزهى عصور التقدم العلمي والازدهار المعرفي الذي يعد أعظم مفاخر الأمة الاسلامية .

ثم هذه الخلافات المجوجة والمكررة حول أمور عادية تجدها أمامك اينما ذهبت هذا يتحمس للاثبات ، وهذا يتحمس للنفي وتدور الدورة في السؤال عن ما الايمان .. ما الاسلام .. الخ يا سبحانك ربي/أبعد أربعة عشر قرنا مازلنا لم نع ما الاسلام ؟ ما الايمان ؟

ثم لماذا يؤدي الخلاف في الرأي الى تلك القطيعة ، مع أنه ما قطع أبدا الأواصر بين أسلافنا لقد اختلفوا في الفقه ، واختلفوا في الحديث حول التصحيح والتضعيف .. ومع هذا ظلوا أحبابا وأين موقع المختلف عليه مما يعلي شأن أمتنا من توسع في الزراعة وتقدم في الصناعة وملكية لوسائل الدفاع والهجوم والانتاج ،

ان أعداءنا يسعون للتقدم ، والحرب بيننا وبينهم حرب علمية ، في العشرين سنة الأخيرة نشطت الصهيونية حتى أفرزت ما تتحدث عنه الصحف الآن من ملكية الأسلحة النووية ، ونحن مازلنا نجتر ما يؤدي الى الفرقة والتخلف غافلين عما يراد بنا .

يا سادة : إن عمران الدنيا في يد المسلم لا يقل عن عمران المساجد بالصلوات ، واعداد العدة لدحر العدو هدف لا يقل عن الوضوء للصلاة ، فأما الخلاف على أمور لا تقدم ولا تؤخر-وأستغفر الله-بل تؤخر فما فائدته ؟ وليت المسلمين يتفقون على عمل شركات للاستزراع والصناعات التي تقوم عليه ،

فيجتمع رأس المال مع العقل المبدع مع العضل المفتول ، لتعمر الأراضي وتندفع الأوطان نحو التقدم وتنشأ سوق إسلامية عالمية بدلا من أن نكون سوقا لكل المنتجين في العالم ، ألا يغار المسلمون من اليابان وكوريا ؟ وهل هؤلاء آدميون ونحن .. أوجن ونحن .. أو عقلاء ونحن .. أم أذكياء ونحن ... أو بات قدرنا أن نظل نمتضغ خلافات يمكن نبذها ، لنزرع الحاضر في أرض الماضي ، ونرويه بآمال المستقبل ، ويعمل الايمان مع الخلق ، والدين مع الدنيا ، والعمل مع العقل ، حتى يعود للاسلام مجده .

إن الاسلام دين الوحدة، وحدة الاعتقاد ، ووحدة العبادة ، ووحدة الهدف والمصير ، فهل نشك في ذلك ؟ وهو دين تعمير الكون ونظافة الخلق والضمير واعتماد الانسان على ربه وعلى جهده فلماذا نحن متفرقون وللطريق ناكبون .

سيد الاستغفار

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيد الاستغفار اللهم انت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا انت .

شغب المستشرقين وجهود العلماء

للشيخ /معوض عوض ابراهيم

إن الذين قضيت اليهم آجالهم ، بعد أن أمضوا حياتهم في الكيد للسنة النبوية ، ابتغاء أن ينطلقوا منها إلى الشغب على القرآن الكريم كما أخبر الله تعالى عن أوائلهم ، فقال : (**وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون**) « فصلت / ٢٦ » قد أحبط الله سعيهم وأزهق باطلهم ، وصدق الله العظيم .. (**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون**) « الأنبياء/ ١٨ »

لقد ذهب هؤلاء وأولئك ، وبقي القرآن طلق المحيا ، ندي الراحة وبقيت السنة المطهرة كما قال الله تعالى (**لتبين للناس ما نزِّل اليهم**) « النحل/ ٤٤ » وجعل الله هؤلاء وأولئك أحاديث مستوجبين الاتهام والملام وسوء الأحدوثة ، وأحاديث يستبين من خلالها الأسوياء عصرا

بعد عصر إن من هؤلاء من انفعل في افتراءاته بحقده الموروث على الاسلام ، ومنهم من ألغى عقله ، وعطل فكره ، وحصر فيما « أي » الآخرون نظرة ، وردد كالببغاوات كلام من غرهم فكرهم الوافد من وراء الحدود ، دراسات سميت بالاستشراق ، وهي وَهْمٌ كبير ، وفهم غير مستنير ، ودعاوى لا يسندها برهان صحيح فهم منها كما قيل ،

« والدعاوى إن لم تقيموا عليها
بينات دعاتها أدعياء »

وفي التراث الجليل كفاية واقتدار على تعرية أدعياء العلم من المستشرقين ومن لف لفهم ، .

وفي علمائنا المعاصرين ، من أفضى منهم إلى مولاه ، ومن نسأ الله في حياتهم حتى اليوم ، من كروا على ضلالات المضلين ، فمزقوا عنها اغشية الزور فبدت على هوانها وراء ثوب هو أشبه شيء بثوب الرياء الذي يشف عما تحته .

ورحم الله الدكتور الشيخ محمد عبدالله دراز ، والدكتور الشيخ مصطفى السباعي ، فقد تركا أبرك الأثر في الدراسات القرآنية والحديثية ، وخلفا أكرم الحوار في مؤتمرات دولية ، وفي ندوات وبحوث يذكرها لهما الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا ، وما أنسى حديث العلامة أبي زهرة ، نضر الله وجهه في جواره ، وهو يروي خبر اليوم الأخير من حياة الدكتور دراز في مؤتمر لاهاي بباكستان عام ١٩٥٨ فقد كان فيه سيفا سله الله على أعداء السنة في جلسة صباحية ، وأخرى مسائية لم يلبث أن انتهى منها وصلى العشاء وأسند ظهره إلى سريره حتى استأثرت به رحمة ربه-رضي الله عنه - وما أكثر ما غفلنا عن « السنة » بخاصة وعن « التراث بعامة » حتى استنسر بيننا البغاث ، وسطا على كراسي الأستاذية في جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية دخلاء على علوم القرآن والسنة واللغة والأدب والتاريخ .

ومنحهم الاستعمار الذي منيت به بلاد الاسلام وديار العروبة ردحا من الزمن ، قدرة على التسلل والتغلغل والاجتراء على مصادرنا الكريمة ، وتراثنا العظيم ، والاتشاح بأردية التحقيق والبحث العلمي ، وما وراء ذلك من ألقاب عششت في رؤوس لا تمتنع أمام المغريات ، وماذا أذكر وماذا أدع ؟ .. إن حدثا غريبة تخايلني كلما ذكرت فترة عملي في بيروت بين عامي «١٩٥٦ ـ ١٩٦٢م » فقد زرت مع صديقي أبي هشام الشريف أحد القضاة الأفاضل ، وكان مع مركزه الكبير ومكانته في المجتمع البيروتي يستكمل دراسات عليا في الجامعة اللبنانية ، ولا بأس فنحن في الاسلام نطلب العلم من المهد إلى اللحد ، ونأخذ الحكمة أني وجدناها فنحن أحق بها
لكن الغريب في الأمر أن محاضرات في « السنة النبوية » كانت تلقيها عليهم أستاذة يهودية ، قد عرفنا أثرها

المنكر ، من خلال حديث دار بيننا وبين القاضي الفاضل فيما يردده من كلامها عن « تدوين السنة » !!
وحقيقة هذا الموضوع مقنعة للذين ينصفون الحق من أنفسهم ، وكيف نطلب الشيء ممن لا يجده - وفاقد الشيء لا يعطيه - كما قالوا .

ورضي الله عن الامام البخاري فقد اخرج بسنده من حديث معاوية رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» ..

وفي موازين حسنات « ندوة العلماء في لكهنو - الهند -. العددان الأول والثاني من المجلد السابع والعشرين من مجلة البعث الاسلامي فقد أفردت « الاستشراق » بالدراسة » وتناولته من أكثر جوانبه ، وإن كان في اعتبارها ذلك في أعداد سلفت على نحو يقدم الأضواء الضرورية للذين يريدون أن يكونوا على بينة من مؤامرات الأعداء وأفراخهم على مقرراتنا الاسلامية ، وأمتنا الوارثة »

وقد ألمح إلى كل ذلك الأستاذ « سعيد الأعظمي » في مقدمة المجلد الآنف الذكر ، وأجمل بحوث « مجمع الهند الاسلامي » .. « ودار المصنفين » في الاستشراق وأبرز انصاف العلامة السيد أبي الحسن الندوي لمن أنصفوا الاسلام وكتابه ، والسنة وعلومها . وكيف سلط أضواء الحقيقة على الذين خانوا أمانة العلم ، وخالفوا وسائل النظر واتبعوا أهواءهم **(ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين)** القصص/ ٥١

يقول الأستاذ الأعظمي في مقدمته « لا ننكر أن عددا من المستشرقين قد تكشفت بصائرهم من خلال أعمالهم الدراسية وتغلب نور الايمان على ظلام التحريف والتضليل ، فاهتدوا بتوفيق من الله تعالى إلى هدى الاسلام ، وصدرت عنهم دراسات تمثل واقع الاسلام الصحيح في جميع مناحي الحياة ، ونفت عن التاريخ الاسلامي ، والسيرة النبوية جميع الأكاذيب والأباطيل التي حرص عليها المستشرقون وأمثالهم» ، وقال « إن الجهود الاستشراقية قلما خلت من النيل من قضية الاسلام الخالدة ، وتاريخه الناصع ، وهو ينظر في كل ذلك إلى قول السيد الندوي في حديثه في الندوة ومنه : « وكثير من هؤلاء المستشرقين يدسون في كتاباتهم مقدارا خاصا من السم » ويحترسون في ذلك ، فلا يزيد على النسبة المعينة لديهم حتى لا يستوحش القارىء ولا يثير ذلك فيه الحذر ..

وقرر العلامة الندوي أن أسلوبهم ذلك أشد خطرا من أولئك الذين يستعلنون بآرائهم الحاقدة الواجدة وافتراءاتهم التي تجوز على البسطاء وأوساط الناس ..

وقد سمى السيد الندوي طائفة من المنصفين ، وأسماء نفر من الأدعياء ، وذكر جهودا كبيرة واجهت الاستشراق من غير المسلمين ومن علماء هنود وعلماء عرب ، مازال بعضهم يمتشق السلاح ويمسك بالقلم لدحض الباطل ، وإحقاق الحق والتعريف البصير بالاسلام ، بعد أن

أفضى إلى دار الخلد سلف لا يجزي على عطائهم للقرآن والسنة إلا الله تعالى، فهو لا يضيع أجر من أحسن عملا، ولا يظلم مثقال ذرة، (**وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما**) النساء / ٤٠

إن الهجمات الشرسة على القرآن والسنة وعلومهما، وعلى الرسول والرسالة والمسلمين في خير العصور لم تتوقف من أزمان سحيقة، وإن كانت تستخفي أحيانا لاعادة الكرة وإحكام الوثبة، واختيار الموقع الأنسب، ولكنها لم تزد مصادرنا ومواريثنا الزاكية إلا تألقا وإشراقا وحفزا لهمم الأبرار، وشحذا لعزائم الأكفاء على التصدي لأعداء الحق ودحض مفترياتهم، في بحوث تساوق الزمن وتجددها الأيام بما أصابت من بركات القرآن ويمن السنة ووفاء مؤلفيها لدينهم كتابا وسنة، وهي تضاعف من إكبار العارفين، وتستوجب أن نتقبلها بقبول حسن وهي تعمق فينا إيماننا بجلال القرآن وكمال السنة وشرف إلهيتهما على التفاوت بينهما في ذلك، إلى ميزة الاسناد ودراسة الرواة وضرورة الجرح والتعديل بمنهجهما الاسلامي المنبثق من إحقاق الحق (**ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين**) النساء/ ١٣٥ لا لمجرد المدح والقدح، وإشقاء أنفس لا تهتدي بهدي الله، تعس من ليس له قلب يعرف به المعروف، وينكر به المنكر،،
كما قال الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه ..

والحاجة ماسة إلى تناول كتب علوم القرآن والسنة لنرى أعاجيب ما أعان الله عليه، وهدى إليه أوائلنا ومن تبعوهم بإحسان في أشرف ميدان،

مما يدع دعاوي الأدعياء هباء تذروه الرياح، فما تركوا طعنا إلا وجهوه للقرآن ولا تشكيكا إلا تناولو به السنة، رواية ودراية، متنا وسندا،

وحديثهم عن السند مراد للمتن الذي يجدون عليه في قلوبهم كحز المدى، وقد توسلوا بأساليب ووسائل لا تعرف دلالات الألفاظ، ولا قيم النصوص التي اخذوا بعضها وتركوا بعضها،

كالذين جعلوا القرآن عضين وشبيه بهذا التقطيع للكلام، وأخذ ما يحسبون أنه يخدم مرادهم، تعويلهم على مصادر لا يؤبه بها من صنيع من لا يتقون الله، ومرة أخرى تعود بي الذاكرة إلى عهدي في بيروت حين نمى إلينا خبر بعض المحاضرين في التفسير وعلومه، وهو نصراني كان يومئذ يشغل منصبا مرموقا في الاعلام ..

فلما روجع في هذا اعتذر بمراجع، لم يقع له غيرها، ولو أراد الحق لوجد دلائله ووسائله ولكنها الأغراض والأمراض والهوى المتبع والعياذ بالله ..

: وإنها لدعوة إلى الاعتصام بالسنة التي تأذن الله بحفظها وهو سبحانه يتأذن بحفظ القرآن الكريم في قوله تعالى (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر/ ٩ .

وجلت أنعم الله الذي قيض لحقه حراس الأرض فيما قال الامام الثوري « الملائكة حراس السماء وأصحاب الحديث حراس الأرض » .

ورحم الله الامام الدار قطني فهو يبرز معنى حراسة علماء الحديث فيقول : يا أهل بغداد لا تظنوا أن أحدا يستطيع أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حي !!

وهي أثر من آثار اقتبسها الدكتور **نور الدين عتر أستاذ التفسير والحديث** بجامعة دمشق في كتابه « منهج النقد » في علوم الحديث .

ابتدأها بقوله : ولقد كان حقا ما شهد به العلماء من تحقيق هذا الغرض العظيم : وهو تقديمهم تراث السنة النبوية صافيا نقيا ..

فقال عبدالله بن المبارك حين سئل : هذه الأحاديث الموضوعة ؟!

فقال تعيش لها الجهابذة : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر/ ٩ .

ورحم الله الأستاذ محمد أسد النمسوي المسلم فقد قال في كتابه :

« الاسلام على مفترق الطرق : لقد كانت السنة مفتاحا لفهم النهضة الاسلامية في أكثر من ثلاثة عشر قرنا

ونحن الآن في العصر الأول من القرن الخامس عشر للهجرة ـ فلماذا لا تكون مفتاحا لفهم انحلالنا المعاصر ؟!

وقال : إن العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عمل على حفظ كيان الاسلام وعلى تقدمه ، وإن ترك السنة هو انحلال الاسلام ، لقد كانت

السنة هي الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الاسلام ، وإنك اذا أزلت

هيكل بناء ما أفيدهشك بعدئذ أن يتقلص ذلك البناء وكأنه بيت من ورق ..!!؟

وطوبى لمن يحيون بالقرآن والسنة ويمضون في أيمن ركب بين الساهرين على ثغورهما ، الذائدين عن حدودهما بما يملكون من حول وامكان !!..

أبو العتاهية :

فيا عجبا كيف يعصى الاله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

قرأت لك

صلاة الاستخارة

يسن لمن أراد أمراً من الأمور المباحة [1] والتبس عليه وجه الخير فيه أن يصلي ركعتين من غير الفريضة ولو كانتا من السنن الراتبة أو تحية المسجد في أي وقت من الليل أو النهار يقرأ فيهما بما شاء بعد الفاتحة ، ثم يحمد الله ويصلي على نبيه ﷺ ثم يدعو بالدعاء الذي رواه البخاري من حديث جابر رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها [2] كما يعلمنا السورة من القرآن يقول : « إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : « اللهم أستخيرك [3] بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علامُ الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر [4] خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال : عاجل أمري وآجله [5] فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال : عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ، ثم ارضني به » قال : ويسمي حاجته : أي يسمي حاجته عند قوله : « اللهم إن كان هذا الأمر » .

ولم يصح في القراءة فيها شيء مخصوص ، كما لم يصح شيء في استحباب تكرارها . قال النووي : ينبغي أن يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح له ، فلا ينبغي أن يعتمد على انشراح كان فيه هوىً قبل الاستخارة ، بل ينبغي للمستخير ترك اختياره رأساً وإلا فلا يكون مستخيراً لله ، بل يكون غير صادق في طلب الخيرة وفي التبري من العلم والقدرة وإثباتها لله تعالى ، فإذا صدق في ذلك تبرأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه .

---

١ – الواجب والمندوب مطلوب الفعل ، والحرم والمكروه مطلوب الترك ، ولهذا لاتجري الاستخارة إلا في أمر مباح .

٢ – قال الشوكاني : هذا دليل على العموم وأن المرء لا يحتقر أمراً لصغره وعدم الاهتمام به فيترك الاستخارة فيه ، فرب أمر يستخف بأمره فيكون في الإقدام عليه ضرر عظيم أو في تركه ؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليسأل أحدكم ربه حتى في شسع نعله » .

٣ – أستخيرك : أي أطلب منك الخيرة أو الخير .

٤ – يسمي حاجته هنا .   ٥ – يجمع بينهما .

من كتاب فقه السنة

ابن الصلاح والمنهج النقلي

٢

للدكتور/ محمد الدسوقي

تناولت في دراسة موجزة نشرتها الوعي الغراء في عدد رمضان المنصرم حياة الامام ابن الصلاح وآثاره ومنزلته في علوم الحديث،ووعدت في تلك الدراسة بالكتابة عن الدور الذي قام به هذا الإمام في التأصيل لقواعد المنهج النقلي أو التاريخي ... ويجدر قبل الكلام في هذا التعريف العام بذلك المنهج الذي يعد أساس المناهج العلمية كلها .

المنهج النقلي :

لا سبيل الى دراسة الماضي والوقوف على معالمه الا عن طريق ما خلفه من آثار ، وهذه لا يمكن التعويل عليها في دراسة الماضي دراسة أقرب الى الحقيقة الا اذا كانت صحيحة النقل والرواية ، سليمة من شوائب التحريف والتصحيف والتزييف ، ومن ثم كان المنهج النقلي المعيار الذي توزن به تلك الآثار،فيثبت صحتها ويوثق مصادرها ، أو يكشف عما قد يكون بها من نقص أو خطأ أو تشويه .

وآثار الماضي قد تكون أشياء مدونة باليد كالكتب والرسائل ونحو هذا وقد تكون أشياء مصنوعة كالعملة وفنون العمارة ، ووسائل العيش المختلفة .. الخ .

وتعد الآثار المدونة أكثر وفاء بدراسة الماضي من غيرها ، لأنها يمكن أن تقدم تصويرا كاملا أو شبه كامل للأحداث التاريخية والتطورات الفكرية والحضارية بيد أنها مع هذا أكثر عرضة من سواها للتشويه ، أو التزييف ،

ولا تسلم من المشاعر الذاتية لمن دونها ، ولهذا وضع علماء المنهج النقلي ضوابط متعددة يرجعون اليها في الحكم على صحة تلك الآثار ، أو عدم صحتها ، ولا تخرج هذه الضوابط عن التحليل والتمحيص للآثار من حيث الشكل والمضمون ويسمى التحليل من حيث الشكل بالنقد الخارجي على حين يطلق على التحليل من حيث المضمون بالنقد الداخلي أو نقد التفسير .

النقد الخارجي :

تتلخص مهمة هذا النقد في إثبات صحة الآثار المدونة ، وانها ليست محرفة أو منحولة ، وتكاد مهمة هذا النقد تلتقي مع مهمة توثيق النصوص وتحقيقها بوجه عام .
ويتكون النقد الخارجي من عمليتين هما :

أ ـ تحقيق مصدر الأثر المدون .
ب ـ تحقيق نص هذا الأثر .
وتحقيق المصدر يقتضي التعرف على شخصية كاتب الأثر ، والإلمام بتاريخ تدوين الأثر ومصادره .

إن دراسة حياة وثقافة صاحب الأثر ، والاطمئنان الى ان الأثر المدون يدخل في صميم التخصص العلمي لمن دونه يورث ثقة به ، وتعويلا عليه في البحث والاستنباط أما الالمام بمصادر الأثر أو الينابيع الأولى له فإنة يكشف عما اذا كان المؤلف قد شاهد ما دونه ، أو سمعه من غيره ، أو نقله من آثر

آخر ، وهل كان في كل هذا دقيقا في تدوينه ؟ وهل هذا الأثر يرقى الى درجة الأصالة أو أنه صورة أخرى لأثر أقدم منه ، فلا ينبغي أن يعتد به في البحث العلمي ؛ لأنه يصبح مصدرا ثانويا وليس أصيلا والدقة العلمية تقتضي الرجوع الى هذا دون ذاك ، ويتناول تحقيق النص دراسة مقارنة بين النسخ المعروفة للأثر سواء المخطوط منها والمطبوع من أجل تحديد النسخة

الأصيلة أو الأم التي ترجع الى خط المؤلف ، أو المقروءة عليه ، أو المنقولة عن نسخة المؤلف ، أو المقابلة على أصل موثق .. كذلك يتناول هذا التحقيق دراسة الخط واللغة والأسلوب ، والمصطلحات ، فلكل عصر خصائص غالبة في المداد والورق والخط واللغة وما الى هذا ، ومن ثم كانت دراسة هذه الخصائص من أهم وسائل التمييز بين الأثر الصحيح والمنحول .

النقد الداخلي :

اذا كان النقد الخارجي مرحلة تمهيدية في دراسة الأثر المكتوب ، فإن النقد الداخلي هو المرحلة الأساسية في المنهج النقلي أو الوثائقي فهو يستهدف الوصول الى صدق النص التاريخي لا من حيث شكله أو نسبته الى عصر مؤلفه ... وانما من حيث مضمونه ولذا ينسحب مدلول هذا النقد على مجموع العمليات التي يستخدمها الباحث في فهم محتويات النص ، ونقد الظروف التي أحاطت بكتابته .. وهذه العمليات تشمل ما يسمى بالنقد الداخلي الايجابي ، والنقد الداخلي السلبي ، والأول خاص بتفسير النص وبيان غرض المؤلف منه ، والثاني يتعلق بتحليل الظروف التي أحاطت بالمؤلف وهو يدون كتابه ، للتأكد من أمانته ، ولمعرفة الصحيح وغير الصحيح من أقواله .

النقد الداخلي الايجابي :

يقوم النقد الداخلي الايجابي على تحليل مفردات النص ، وصولا الى المعنى الصحيح له ، وهذه عملية لغوية صرفة ، ويساعد على هذا التحليل في دقة أمران :

١ ـ وقوف الباحث على دلالة الألفاظ والأساليب في العصر الذي دون فيه النص .

٢ ـ معرفة المعجم اللغوي للمؤلف عن طريق استقراء آثاره العلمية المدونة ، وملاحظة ما يؤثره في كتابته من المفردات ، وطريقة صياغة الجمل ، واهتمامه أو عدم اهتمامه بالمحسنات البلاغية ..

واذا انتهى الباحث من تحليل المفردات وبيان معانيها مراعيا في ذلك علاقة السياق العام بالمعنى المعجمي ، وأيضا الدلالات الرمزية التي يلجأ اليها بعض المؤلفين ـ اذا انتهى من ذلك قام بالربط بين معاني المفردات ، أو تركيبها ، ليصل الى المعنى العام الحقيقي للنص ، وكيفية تصور المؤلف للقضايا وتعبيره عنها .
وينبغي على الباحث وهو يتوخى تفسير النص أن يكون موضوعيا ، لا يتفيأ من وراء هذا التفسير الانتصار لفكرة ما بعيدة عن روح النص ومضمونه ، لأن توظيف النص لخدمة اتجاه فكري خاص يتنافى مع الأمانة العلمية ، وينأى به عن بلوغ الحقيقة المنشودة .

النقد الداخلي السلبي :

مهمة هذا النقد هي الكشف عن الظروف والملابسات التي واكبت سلسلة العمليات العقلية التى مر بها الأثر حتى دوّنه صاحبه ، ووصل الينا ، وهل

هذه الظروف تقف الى جانب سلامة الأثر من الخطأ أو التحريف أو انها على العكس تثبت ما فيه من نقص وخداع وتضليل ومن ثم تنهار قيمته العلمية .
ويقوم هذا النقد على قاعدتين أساسيتين هما :

أولا : الشك المنهجي في كل راو ، وعدم الثقة في كل رواية ولو كان صاحبها شاهد عيان .

ثانيا : لا يكفي ان يفحص الأثر في جملته ، بل يجب فحص كل قضية فيه على حدة .
والشك المنهجي يقتضي تزييف كل ما أثر عن الماضي من مدونات ووثائق ، واتهام أصحابها بعدم النزاهة والدقة ، والغاية منه الا نحكم بالثقة على أثر علمي الا بعد الدراسة الدقيقة لصاحبه ، والنقد الفاحص لمحتويات هذا الأثر .

وفحص محتويات الآثار المدونة فحصا جزئيا ودراسة كل قضية من قضاياها على حدة يسلم الى التحقق من صدق المعلومات التي تحتوي عليها هذه الآثار أو كذب بعضها ، أو تزييف كل قضاياها،فصاحب أي أثر قد لا يأخذ نفسه في كل ما دونه بالدقة والأمانة وقد يحاول التأكيد على صحة بعض المعلومات ، وهي في الواقع غير صحيحة ، وقد يحمله سبب ما على الاختلاق قصدا ، أو ما يشبه القصد ، ومن هنا يجب على الباحث أن يقوم بفحص كل محتويات الأثر المكتوب بالموازنة بينه وبين محتويات الآثار التي تتفق معه في الموضوع ، أو تتصل به من قريب أو من بعيد ، وأن يؤكد هذا بدراسة صاحب الأثر وكل ما يدعو الى الطعن في نزاهته أو يقوده الى الخطأ والوهم ..

ولا تنتهي مهمة النقد الداخلي السلبي عند الاطمئنان الى ان صاحب الأثر كان أمينا وصادقا فيما دونه ، ولم يعمد الى الكذب ؛ رغبة في الحصول على منفعة شخصية ، أو تملقا للجمهور ومداراته اذ على الباحث بعد هذا أن يمحص الظروف والأسباب التي قد تؤدي الى عدم الدقة أو الخطأ والوهم .
وهذه الأسباب على تنوعها ترجع الى ما يلي :

أولا : الحالة العقلية والشعورية لصاحب الأثر .
ثانيا : عدم تحقق الشروط العلمية في الملاحظة .
ويقصد بالسبب الأول أن صاحب الأثر كان ـ وهو يدون مؤلفه ـ متأثرا ببعض ما يؤدي الى الخطأ وعدم الدقة كالغفلة والنسيان والسذاجة ، واختلاط العقل. أما السبب الثاني فيبدو في صور شتى أهمها : الاكتفاء

بالملاحظات الفجة دون التعمق في الأحداث والظواهر وسبر دوافعها وأبعادها ، وعدم تسجيل الوقائع فور رؤيتها أو سماعها ، والاعتماد على الذاكرة في تدوينها .

تلك عمليات نقد النص بنوعيها ، ولا يغني بعضها عن بعض ، فهي كلها متداخلة ومتكاملة وينبغي القيام بها جميعا حتى يمكن أن يكون النص وثيقة تاريخية علمية .

على أن هذه العمليات النقدية تتناول دراسة النص الذي عاين مؤلفه الأحداث وسجلها مباشرة فاذا كان صاحب الأثر لم يكن قد عاين ما دونه ، بل كانت روايته له عن آخر شاهده ، أو كان هناك سلسلة من الرواة تفصل بين صاحب الأثر ، ومن رأى الأحداث وسجلها ـ فإن عمليات النقد تصبح عسيرة ان لم تكن مستحيلة ؛ لأن على الباحث أن يدرس هؤلاء الرواة ، ويطمئن الى أمانتهم ودقتهم في النقل حتى يصل الى الراوي الأصلي الذي شاهد الحدث ، فينظر فيه من حيث ظروف حياته ومبلغ صدقه وضبطه ، ودقة ملاحظته ، وبذلك يتسنى له أن ينتهي الى بيان القيمة العلمية للأثر المكتوب على وجه التقريب . (وانظر منهج البحث في العلوم الاسلامية للكاتب ص ٦٢ ـ ٧٨) .

ابن الصلاح والمنهج النقلي :

ما هو أثر ابن الصلاح في الكتابة في المنهج النقلي ـ بعد أن عرفت بهذا المنهج تعريفا موجزا ، وهل يعد ما جاء في مقدمته منهجا واضح المعالم لدراسة آثار الماضي المكتوبة ؟ ـ

إن مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، وهذه العلوم تتناول كل ما يعزى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة بالفحص والنقد ؛ للتمييز بين الصحيح منها والموضوع فهذه المقدمة إذن تقدم المقاييس العلمية لنقد السنة ، ولهذا تعد منهجا لتقويم آثار الماضي المدونة وان كانت خاصة بأقدس هذه الآثار وأشرفها .

ان من يلقي نظرة عامة على مقدمة ابن الصلاح يقضي بأن هذه المقدمة تدرس ثلاث قضايا أساسية هي : أنواع الأحاديث ، والرواة وطبقاتهم ، وطرق تحمل الحديث وشروط روايته وآداب طلبه وكتابته .

وهذه القضايا متكاملة في ابراز قواعد المنهج النقلي ، وإن كان لبعضها عناية أكثر بهذه القواعد .

ولا مجال لعرض كل ما جاء في المقدمة وبيان مدى علاقته بذلك المنهج ، ومن ثم أجتزيء بالكلام عن الموضوعات التالية كما تحدث عنها ابن الصلاح ، فهي كافية في توضيح ماأطلق عليه المحدثون بالنقد الخارجي والداخلي للأثر المكتوب .

١ ـ الحديث الموضوع .
٢ ـ طرق نقل الحديث .
٣ ـ من تصح روايته .
٤ ـ كتابة الحديث وآدابها .

الحديث الموضوع :

كان الوضع في السنة من أهم الأسباب التي حملت العلماء على بذل الجهد في مجال الدراسات التي كشفت عن الرواة ، وما يتصفون به من خلال محمودة أو مذمومة ، وايضا في مجال النقد الفاحص لمتون الأحاديث لفظا ومعنى ، وقد تمخضت تلك الدراسات عن آثار علمية في الرجال ، وفي وضع الضوابط التي يعرف بها الحديث الصحيح من الموضوع .

وقد فطن العلماء الى الظروف التي سولت لضعاف الايمان ومن في قلوبهم مرض أن يتقولوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفصلوا القول في أسباب الوضع تفصيلا شافيا ، وجاء ابن الصلاح فلم يشأ ان يكرر ما قاله السابقون ، ولكنه تحدث في إيجاز عن وسائل معرفة الحديث الموضوع ، وأعظم الوضاعين ضررا ، قال : « اعلم أن الحديث الموضوع شر الأحاديث الضعيفة ، ولا يحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مقرونا ببيان وضعه » ... وانما يعرف كون الحديث موضوعا باقرار واضعه أو ما يتنزل منزلة اقراره وقد يفهمون الوضع من قرينة حال الراوي أو المروي ، فقد وضعت أحاديث طويلة يشهد بوضعها ركاكة الفاظها ومعانيها .. ثم قال عن أصناف الوضاعين : والواضعون للحديث أصناف ، وأعظمهم ضررا قوم من المنسوبين الى الزهد وضعوا الأحاديث احتسابا فيما زعموا ، فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم ، وركونا اليهم ، ثم نهضت جهابذة الحديث بكشف عوارها ومحو عارها والحمد لله ..

ويقول عن ألوان الوضع : ثم ان الواضع ربما وضع كلاما من عند نفسه فرواه ، وربما اخذ كلاما لبعض الحكماء أو غيرهم فوضعه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وربما غلط غالط فوقع في شبه الوضع من غير تعمد (المقدمة ص ٢١٢ ، ٢١٤ ت الدكتورة عائشة عبدالرحمن) فابن الصلاح في كلامه عن الحديث الموضوع بدأ أولا فبين الوسيلة التي يمكن أن نقف بها على هذا الحديث فهي إما إقرار الواضع بما وضع وإما دراسة حياة الراوي ، أو المروي مبنى ومعنى .

ويشير بعد ذلك الى أن الواضعين أصناف ؛ بيد أنه يتحدث عن نوع واحد منهم ، يراه أعظم خطرا وضررا ، وهم الزهاد الجهلة ؛ لأن زهدهم الظاهر كان يدفع العامة الى الثقة بهم ، فلا يخالجهم ريب في صدقهم ولهذا شوه هؤلاء الزهاد وجه الاسلام وادخلوا في تعاليمه ما ليس منه (وانظر علوم الحديث للدكتور صبحي الصالح ـ رحمه الله ـ ص ٢٧٠)

واخيرا يوجز القول في دقة عن وسائل الوضع فمنها اختلاق الواضع كلاما من عند نفسه ومنها أن يأتي بكلام لحكيم أو غيره فيعزوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتوافر في هاتين الصورتين صفة تعمد الوضع والقصد اليه ، ومنها أن ينسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم-خطأ-ما لم يصدر عنه ، وفي هذه الصورة لا تتوافر صفة العمد ، ولهذا أطلق ابن الصلاح عليها شبه الوضع ؛ لتخلف إثم العمد .

طرق نقل الحديث :

قسم العلماء طرق نقل الحديث أو أدائه ثمانية أقسام ؛ وفقا لترتيبها في القوة والعلو ، وهي نفسها طرق التحمل وقد تحدث عنها ابن الصلاح في النوع الرابع والعشرين من كتابه ، ومهد لحديثه بالقول في بعض الأمور التي تتعلق بسن التحمل ، ثم قال عن تلك الطرق : ومجامعها ثمانية أقسام :

أولا : السماع من لفظ الشيخ ، وهو ينقسم الى املاء وتحديث من غير إملاء وسواء أكان من حفظه أم من كتابه ، وهذا القسم أرفع الأقسام عند جمهور العلماء ، وكانت طريقة الرعيل الأول من الرواة .

ثانيا القراءة على الشيخ ، وأكثر المحدثين يسمونها عرضا ؛ لأن التلميذ يعرض على شيخه ما يقرؤه سواء أكانت قراءته حفظا من قلبه أم من كتاب يقرأ فيه . واختلف العلماء في القراءة فمنهم من ذهب الى أنها دون السماع ، ومنهم رأى انهما بمنزلة واحدة .

ثالثا : الإجازة ، وهي عبارة عن إذن الشيخ لتلميذه برواية مسموعاته ؛ أو مؤلفاته ، أو بعضا منها ، ولو لم يسمعها منه ، ولم يقرأها عليه .

ويقول ابن الصلاح عن الإجازة :: وهي متنوعة أنواعا ، ثم أورد لها سبعة أنواع أعلاها الإجازة لمعين في معين مثل أن يقول الشيخ أجزت لك الكتاب الفلاني فاروه عني .

رابعا : المناولة ، والمراد بها أن يعطى الشيخ تلميذه كتابا أو حديثا ، ليقوم بأدائه أو روايته ، وهي على نوعين : مناولة مقرونة بإجازة ، ومناولة مجردة عن الاجازة بأن يناوله الكتاب ، ويقتصر على قوله : هذا من حديثي ، أو من سماعاتي ، ولا يقول : اروه عني أو أجزت لك روايته عني ، والمناولة المقرونة باجازة أولى من غيرها بلا جدال .

خامسا : المكاتبة ، وهي أن يكتب الشيخ الى الطالب وهوغائب شيئا من

حديثه بخطه أو يكتب له ذلك ، وهو حاضر ، ويلحق بهذا ما اذا أمر غيره بأن يكتب ذلك عنه اليه . وينقسم هذا القسم نوعين :
أحدهما : أن تتجرد المكاتبة عن الإجازة .

والثاني : أن تقترن بالإجازة ؛ بأن يكتب اليه ويقول : أجزت لك ما كتبت به اليك وهذا النوع يشبه في الصحة والقوة المناولة المقترنة بالاجازة .
أما المكاتبة غير المقترنة بالإجازة فقد اختلف فيها العلماء فمنهم من أجاز الرواية بها ومنهم من منع .

سادسا : الإعلام ، أي إعلام الراوي للطالب بأن هذا الحديث ؛ أو هذا الكتاب سماعه من فلان ، أو روايته ، مقتصرا على ذلك من غير أن يقول : اروه عني ؛ أو أذنت لك في روايته ونحو ذلك .

سابعا : الوصية بالكتب ، وهي ان يوصي الراوي بكتاب يرويه عند موته أو سفره لشخص وهذه الصورة من صور التحمل نادرة جدا وهي أضعف من الصور السابقة .

ثامنا : الوجادة ، وتطلق على ما أخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا اجازة ولا مناولة ..

ومثال الوجادة ان يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطه ولم يلقه ، أو لقيه ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجده بخطه ، ولا له منه اجازة ولا نحوها ، فله ان يقول : وجدت بخط فلان أو قرأت بخط فلان ، أو في كتاب فلان بخطه : أخبرنا فلان بن فلان ويذكر شيخه ويسوق سائر الاسناد والمتن . (المقدمة ص٢٩٢) وقد ضعّف كثير من السلف الرواية بالوجادة واشترطوا لذلك شروطا غاية في الدقة والصرامة مؤداها ان يكون الراوي ثقة ، حافظا لما في الكتاب ، أمينا في نقله . وهذا التشدد في الرواية عن الكتب وجادة مبعثه إحساس السلف بأن الكتاب عرضة للتحريف والتغيير وان الكاتب عرضة للخطأ وهو يكتب ومن ثم كانت الوجادة لديهم آخر مرتبة من مراتب العلم وأدائه ..

واذا كان السلف والقدماء قد وقفوا من الوجادة ذلك الموقف الصارم وعدوها آخر مراتب التحمل والأداء وان رجال النقد التاريخي يذهبون الى غير ذلك ، فيرون الوجادة أولى مراتب التلقي والأداء بل هي الطريقة المثلى في هذا ـ فإن للسلف عذرهم فيما ذهبوا اليه ، فقد كانوا قريبي عهد بمصادر العلم الأولى ، واستطاعوا ان يلتقطوا العلم من أفواه الرجال مباشرة ، فلما تعاقبت الأعصر والأزمان أصبحت الرواية الشفهية أمرا متعذرا وأصبحت

الوجادة هي الطريقة العلمية للتحمل والأداء وبخاصة بعد أن انتشرت الطباعة ، وقد أومأ الى هذا ابن الصلاح في مقدمته ، حيث لاحظ ان الوجادة هي الغالبة على المتأخرين وانه لو توقف فيها على الرواية لانسد باب العمل بالمنقول ؛ لتعذر شرط الرواية فيها ..
ولكن يحمد لقدمائنا انهم بمسلكهم هذا في التلقي والأداء استطاعوا أن يحفظوا لنا تراثنا العلمي ، ويسجلوه بأمانة ودقة فور صدوره من أفواه الرجال مباشرة فظل حيا نابضا حتى يومنا هذا . (وانظر منهج النقد التاريخي عند المسلمين للدكتور عثمان موافي ص٧٥) .

من تصح روايته :

تحدث العلماء منذ عصر الصحابة فيمن تقبل روايته ، وفيمن ترد ، وكان لهم شروطهم العلمية في هذا ، وقد أجملها ابن الصلاح في قوله : « أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على انه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلا ضابطا لما يرويه وتفصيله ان يكون مسلما بالغا عاقلا سالما من أسباب الفسق وخوارم المروءة متيقظاً غير مغفل ، حافظا ان حدث من حفظه ، ضابطا لكتابه إن حدث من كتابه وان كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك ان يكون عالما بما يحيل المعاني » (المقدمة ص٢١٨) .

ثم أخذ يفصل ما أجمله في هذه الكلمة الجامعة لشروط الراوي ، فبين ان عدالة الراوي قد تثبت بالتنصيص عليها أو اشتهارها بين اهل النقل وهي لا تثبت بالتنصيص الا عن طريق اختبار أحواله ، وتتبع أفعاله ، بحيث يغلب الظن على نزاهته واستقامة طرائقه . أما الذين اشتهروا بذلك فلا يسأل عنهم ، ولا تستقرأ أحوالهم ؛ لأن استفاضة عدالتهم بين أهل النقل أغنت عن تتبع أخبارهم وقامت مقام البينة الشاهدة على أمانتهم .. ويراد بضبط الراوي سماعه للرواية كما يجب وفهمه لها فهما دقيقا ، وحفظه لها حفظا كاملا لا تردد فيه ، وثباته على هذا كله من وقت السماع الى وقت الأداء .
ويحدد ابن الصلاح الوسيلة التي يعرف بها كون الراوي ضابطا فيقول : «يعرف كون الراوي ضابطا بأن تعتبر رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والاتقان ، فإن وجدنا رواياته موافقة ولو من حيث المعنى لرواياتهم ، أو موافقة لها في الأغلب والمخالفة نادرة عرفنا حينئذ كونه ضابطا ثبتا ، وان وجدناه كثير المخالفة لهم عرفنا اختلال ضبطه ، ولم نحتج بحديثه » . (المقدمة ص٢٢٠) .

ولم يصل علماء المنهج النقلي الى أكثر مما ذكره ابن الصلاح حول وسيلة التعرف على ضبط الراوي ودقته في التدوين .
ثم عرض بعد ذلك للجرح والتعديل ورواية المبتدع الذي لا يكفر ببدعته وكذلك رواية التائب من الكذب في حديث الناس وغيره من أسباب الفسق

موردا آراء العلماء في كل ما يعرض له ومرجحا ما يراه أولى بالأخذ به ، ولكنه يبطل رواية كل من أخذ عليه ما يخرم الثقة به وبضبطه قال : لا تقبل رواية من عرف بالتساهل في سماع الحديث أو اسماعه ، كمن لا يبالي بالنوم في مجلس السماع ، وكمن يحدث لا من أصل مقابل صحيح ، ومن هذا القبيل من عرف بقبول التلقين في الحديث .
ولا تقبل رواية من كثرت الشواذ والمناكير في حديثه ، جاء عن شعبة قال : لا يجيئك الحديث الشاذ الا من الرجل الشاذ . ولا تقبل رواية من عرف بكثرة السهو في رواياته اذا لم يحدث من أصل صحيح . (المقدمة ص ٢٣١ ، ٢٣٥) .
ويختم ابن الصلاح حديثه عن شروط من تقبل روايته بالإشارة الى ان هذه الشروط قد أُعرض الناس عن اعتبارها كلها في الأعصار المتأخرة ، فلم يتقيدوا بها في رواياتهم ، لتعذر الوفاء بذلك ولكن هذا الإمام يذكر انّ الغاية من كتابه ومما جاء فيه من شروط للرواة هي المحافظة على خصيصة هذه الأمة في الأسانيد والمحاذرة من انقطاع سلسلتها ، ومن ثم يقول : فليعتبر من الشروط المذكورة ما يليق بهذا الغرض على تجرده ، وليكتف في اهلية الشيخ بكونه مسلما بالغا عاقلا غير متظاهر بالفسق والسخف ، وفي ضبطه بوجود سماعه مثبتاً بخط غير متهم ، وبروايته من أصل موافق لأصل شيخه . (المقدمة ص ٣٦١) .
ان الأحاديث اذا كانت قد دونت وكتبت في الجوامع التي جمعها أئمة الحديث ولا يجوز أن يذهب شيء منها على جميعهم فإن من جاء بحديث لا يوجد عندهم لا يقبل منه ، ومن جاء بحديث معروف عندهم فهو لا ينفرد بروايته والحجة قائمة بهذا الحديث برواية غيره ولكن القصد من تلك الرواية والسماع ممن يجيء بحديث معروف عند أئمة الحديث هو أن يصير الحديث مسلسلا بـ « حدثنا واخبرنا » وتبقى هذه الكرامة التي خصت بها هذه الأمة شرفا لنبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم . (المقدمة ص٢٣٦ ، ٢٣٧) .

كتابة الحديث وآدابها :

كان بين المسلمين في الصدر الأول اختلاف حول كتابة السنة ، وكان ذلك خوفا من اختلاط القرآن بها ، أو يشتغل عنه بسواه ، أو يضاهي به غيره في الكتابة ، ثم زال ذلك الاختلاف وأجمع المسلمون على إباحة كتابة الحديث ، ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الأخيرة .
ويتحدث ابن الصلاح عن كتابة الحديث وآدابها في عدة فصول من المقدمة ويهمنا منها ما يتصل أوثق اتصال بالمنهج النقلي ، وهو ما يلي :
١ ـ يجب على كتبة الحديث وطلبته صرف الهمة الى ضبط ما يكتبونه أو يحصلونه من خط الغير من مروياتهم على الوجه الذي رووه شكلا ونقطا يؤمن

معهما الالتباس وكثيرا ما يتهاون بذلك الواثق بذهنه وتيقظه ، وذلك وخيم العاقبة فإن الانسان معرض للنسيان . وإعجام المكتوب يمنع من استعجامه ، وشكله يمنع من إشكاله ، وينبغي الاعتناء بضبط الملتبس وبخاصة ما كان من أسماء الناس فإنها لا تستدرك بالمعنى ولا يستدل عليها بالسياق .

ويستحب في الألفاظ المشكلة ان يكرر ضبطها في متن الكتاب ، ثم يكتبها قبالة ذلك في الحاشية مفردة مضبوطة فإن ذلك أبلغ في إبانتها ، وأبعد من التباسها ، وما ضبطه في أثناء الأسطر ربما داخله نقط غيره وشكله مما فوقه وتحته ، لا سيما عند دقة الخط وضيق الأسطر . (المقدمة ص٣٠٣ ، ٣٠٤) .

٢ ـ لا ينبغي ان يصطلح الكاتب مع نفسه في كتابه بما لا يفهمه غيره فيوقع غيره في حيرة كفعل من يجمع في كتابه بين روايات مختلفة ، ويرمز الى رواية كل راو بحرف واحد من اسمه أو حرفين وما أشبه ذلك ، فإن بين في أول كتابه أو آخره مراده بتلك العلامات والرموز فلا بأس ومع ذلك فالأولى أن يتجنب الرمز ويكتب عند كل رواية اسم راويها بكماله مختصرا . (المقدمة ص٣٠٥) .

٣ ـ على الطالب مقابلة كتابه بأصل سماعه وكتاب شيخه الذي يرويه عنه وان كان اجازة ثم ان أفضل المعارضة أن يعارض الطالب بنفسه كتابه بكتاب الشيخ مع الشيخ في حال تحديثه إياه من كتابه لما يجمع ذلك من وجوه الاحتياط والاتقان من الجانبين ، وما لم تجتمع فيه هذه الأوصاف نقص من مرتبته بقدر ما فاته منها .

ويشير ابن الصلاح الى آراء بعض العلماء في المقابلة على نسخة منقولة عن الأصل ، أو قوبلت عليه ، ويرجح جواز الرواية بهذه المقابلة غير المباشرة ؛ بشرط أن يبين الراوي أنه لم يقابل نسخته على الأصل ، وان يكون ناقل النسخة من الأصل غير سقيم النقل بل صحيح النقل قليل السقط . (المقدمة ص٣١١) .

ويقول وهو بصدد حديثه عن إثبات السماع على النسخة المنقولة : ثم اذا نسخ الكتاب فلا ينقل سماعه الى نسخته الا بعد المقابلة المرضية ..

ويختم ابن الصلاح موضوع آداب المحدث بقوله : واذا نجز الإملاء فلا غنى عن مقابلته ، وإصلاح ما فسد منه بزيغ القلم وطغيانه . (المقدمة ص٣٦٧) .

٤ ـ ويعد حديث ابن الصلاح عن دقة النقل والشكل والمقابلة هاما لانه يتناول عدة قضايا اهمها تحريج الساقط في الحواشي ـ ويسمى اللحق ـ وكذلك تخريج الشرح أو التنبيه على غلط ونحو هذا ، وايضا ما ينبغي ان يفعل بما يصح رواية ومعنى غير انه عرضة للشك أو الخلاف وبما يصح وروده نقلا ، ولكنه

فاسد لفظا أو معنى أو ضعيف أو ناقص ، وما يجب ان يكون اذا وقع في الكتاب ما ليس منه ، أو اذا اختلفت الروايات وتباينت النسخ وما مدى حرية الكاتب في اصلاح اللحن والتحريف والتصحيف ، وهل الأولى ان ينقل الرواية كما وصلت دون تغيير أو يجوز له ان يصلح ويغير ـ (انظر المقدمة ص٣١٣ ـ ٣٧٧) .

وكل هذه القضايا وما يدور في فلكها تكاد تتناول ما يمكن أن يسمى بمنهج تحقيق النصوص وتقويمها ولا مجال لتفصيل القول فيها وتكفي الاشارة الى ان القدماء بحديثهم في تلك القضايا أكدوا أنهم يحترمون أمانة العلم في دقة نقله ، وعلاج ما قد يطرأ على النص من خلل أو اضطراب وهم بهذا الجهد العلمي الرائع كانوا الرواد في ميدان المنهج النقلي .

٥ ـ ويوصي ابن الصلاح كل من يصنف كتابا ان يقوم قبل إخراجه للناس بتنقيحه وتهذيبه أكثر من مرة ، ليستدرك ما عساه قد وقع فيه من هنات هينات ، أو غير هينات ، فالانسان لا يسلم من الخطأ والنسيان فكان من الدقة العلمية ان ينقد المرء نفسه قبل أن يعرض ما صنفه على غيره ، قال : ثم ليحذر ان يخرج الى الناس ما يصنفه الا بعد تهذيبه وتحريره واعادة النظر فيه وتكريره .

إنه الحرص على أن يكون المصنف نقيا من شوائب الضعف وهو حرص عرفه الفكر الاسلامي منذ بدأت حركة التدوين والتأليف وهو يشهد لهذا الفكر بالسبق في مجال البحث العلمي .

موازنة :

هذا طرف مما جاء في مقدمة ابن الصلاح ، وقد أومأت سابقا الى أن المقدمة كلها تتحدث عن أصول التثبت والتحري ، وقواعد النقل للآثار المدونة ، وأن ما ذكرته هنا لا يعدو اشارات الى ما رأيت أنه يعطي تصورا عاما لأهم هذه الأصول .

والموازنة بين المنهج النقلي ، وما اشتملت عليه المقدمة ـ وقد أوردت بعضه في هذه الدراسة ـ تسلم الى النتائج التالية :

أولا : ان المحدثين ـ وابن الصلاح يمثل درجة الكمال في دراساتهم ـ عرفوا ما يسمى بالنقد الخارجي ، والنقد الداخلي ، فكل ما ذكرته عن كتابة الأحاديث وآدابها وكذلك حول الحديث الموضوع يدخل في دائرة النقد الخارجي ، ذلك النقد الذي يتوخى الاطمئنان الى سلامة الأثر المدون وانه غير منحول .

والذي ينبغي التأكيد عليه ان نقد السند الذي كان مشغلة علماء الحديث منذ نحو ثلاثة عشر قرنا يعد عماد النقد الخارجي وان أسباب الوضع في الحديث هي بعينها دوافع التحريف والتزييف في الآثار المكتوبة ، وان علماءنا قاموا

بجهد انفردوا به في مجال نقد السند تمخض عن علم الرجال ، ذلك العلم الذي يستقريء أحوال الرواة في موضوعية وأمانة ، لمعرفة من تقبل روايته ومن ترد ومتى ينبغي على الراوي ان يتوقف عن الرواية وان كان معدلا غير مجروح .
ان دراسة الاسناد تعد من مفاخر الأمة الاسلامية بل كانت هذه الدراسة في نظر بعض العلماء من الدين لأنها وثّقت النصوص وحمت التراث العلمي من شرور الانتحال والتضليل بوجه عام .

ثانيا : وأما النقد الداخلي فإن المحدثين لم يغفلوا عنه وان زعم جمهور المستشرقين ومن تأثر بهم بأن علماء الحديث اهتموا بالسند دون المتن ، ولكن هذا خطأ ، لأن الاهتمام بالسند كا من أجل المتن ، ولأن المحدثين أولوا المتن عناية لا تقل عن عنايتهم بالسند وفيما ذكرته عن بعض امارات الحديث الموضوع من ركاكة في اللفظ أو تفاهة في المعنى ما يدل على ذلك كما انهم كانوا يعرضون متن الحديث على حقائق التاريخ المعروفة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فإن خالف هذه الحقائق حكم على الحديث بالوضع . وبالاضافة الى هذا كانوا يعرضون المتن على العقل فإن اشتمل على ما يخالف بدهيات العقول أو كان متضمنا لسخافات يصان عنها العقلاء فالحديث مردود .

على أن هناك جانبا آخر يتعلق بنقد المضمون وهو يتناول تصحيح النص وتفسيره وقد نبه العلماء الى وجوب تصحيح النص قبل تفسيره ، وحذروا من الأخطاء التي تنجم عن النقل وأرجعوها الى السمع أو البصر أو نحو ذلك .
وأما تفسير النص فانه كان يشمل تحديد المعنى الحرفي للمفردات ثم تحديد المعنى الاجمالي للنص عن طريق تحليل مضمونه ، لمعرفة أفكاره ، وقد عبر العلماء عن المرحلة الأولى بشرح الغريب وعن المرحلة الثانية بالاستنباط .

ثالثا : ان المحدثين وضعوا القواعد الصارمة لنقل الآثار وتدوينها وهذه القواعد تقوم على الاستقراء والتجربة والوصف التحليلي فهي تتبع ما يتعلق بالرواة من أخبار وأحوال للاطمئنان على أن كل راو كان في تدوينه يقظا دقيقا يتمتع بقدرة عقلية طيبة ، وأمانة علمية ترفض ان تغير أو تنقص أو تزيد .
أما مفهوم التجربة في هذه القواعد فهي تقوم على اختبار صدق الراوي بعرض روايته على روايات الثقات المشهورين بالضبط والاتقان ، فإن وافقتهم قبلت ، وإلا رُدَّت ، كما كانت تقوم على معارضة الروايات ذات المصادر المكتوبة على أصول من السماع .
ويقصد بالوصف التحليلي ذكر المصادر العديدة للرواية مع نقدها ، ودراسة كل ما لابس الخبر والراوي من أحداث وقعت وقت الرواية على نحو مفصل ودقيق .

رابعا : اذا كان المنهج النقلي ترجع نشأته تاريخيا الى القرن السابع عشر الميلادي فان علماء الحديث بدأوا في وضع أصول التدوين وطرق التثبت والتحري منذ القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي أي قبل أن يبحث علماء المناهج في دراساتهم للنقد التاريخي بنحو تسعة قرون وهذا يعني ان المحدثين لم يسبقوا بما قدموا وكانوا الرواد لغيرهم فهي العبقرية التي أنضجتها العقيدة الاسلامية،العقيدة التي اخرجت الناس من الظلمات الى النور،ظلمات الشرك الى نور التوحيد وظلمات الجهل الى نور العلم .

والجدير بالذكر هنا ان هناك مناهج عرفها المسلمون في الماضي ثم تطورت على أيدي الغربيين كالمنهج الاستقرائي والاستنباطي ولكن المنهج النقلي لم يضف اليه غير المسلمين شيئا ذا بال ، ومن ثم لا يكاد يتجاوز الاختلاف بين ما كتبه المسلمون في هذا المنهج وما كتبه سواهم حدود الرسوم والمصطلحات دون الأسس والأصول ومن الشواهد على ذلك ان عالما ألمانيا معاصرا يدعى Gadamer كتب دراسة تحت عنوان « الحقيقة ومنهج البحث التاريخي » وهو في هذه الدراسة لا يخرج في المبادىء العامة عما كتبه المسلمون في مجال طرق تحمل الرواية وتوثيق النصوص وعلم الجرح والتعديل .

والخلاصة: إن ابن الصلاح بما كتبه قدم تأصيلا دقيقا لمنهج تدوين النصوص وهو المنهج الذي تلقفته أوروبا ، وإن أخطأ علماؤها لأنهم اخذوا المبادىء والقواعد دون أن يفقهوا الباعث عليها ، أي دون أن يفقهوا العقيدة التي كانت من وراء هذا الجهد العلمي الرائع .. والنتيجة العامة لهذه الدراسة ان السنة النبوية وصلتنا عبر موازين علمية في النقد والتحري والتمحيص لم تعرف في دراسة نص تاريخي من قبل،وان النظر فيما وصلنا من أحاديث من جديد أمر مستحيل وأن الثقة بما وصلنا من تراث علمي حول السنة يفرض علينا أن نقف على هذا التراث في موضوعية وأمانة علمية،وأن كل دراسة تتبنى موقف الشك من السنة ، وتتلمس لدعمه مكذوب الآثار ، أو ضعيفها وكذلك كل دراسة لا تصدر عن معرفة وافية بالسيرة النبوية وأحوال الرواة وجهد المحدثين في التدوين تعد دراسة غير علمية ولا يعول عليها .

أولئك هم المؤمنون حقا

قال تعالى : « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم . والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم » .
الآيتان ٧٤ و ٧٥ من سورة الانفال .

انصرف فإنه صادق

دعا رجل صديقا له الى منزله ، قائلا : تعال نأكل خبزا وملحا ، فظن الصديق ان ذلك كناية عن طعام شهي وشراب سائغ ، فمضى معه ، فلم يزد على الخبز والملح . وبينما هما يأكلان ، إذ وقف بالباب سائل ، وألح في السؤال ، فقال صاحب البيت : اذهب وإلا كسرت رأسك .
فقال الضيف : انصرف فإنه صدق في وعده ، وسيصدق في وعيده .

لا ترض بالضيم

قال الشاعر :

شخوص الفتى عن منزل الضيم واجب
وإن كان فيه اهله والاقارب
وللحر اهل إن نأى عنه أهله
وجانب عز إن نأى عنه جانب
ومن يرض دار الضيم دارا لنفسه
فذلك في دعوى التوكل كاذب

دعاء

اللهم أقل العثرة ، واعف عن الزلة ، وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ، ولا يثق إلا بك ، فإنك واسع المغفرة ، وليس لذى خطيئة منك مهرب .

الأيام .. والأعمار

جاء في الأثر : أيها الناس ، إن الأيام تطوى ، والأعمار تفنى ، والأبدان في الثرى تبلى ، وإن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ، يقربان كل بعيد ، ويبليان كل جديد ، وفي ذلك ـ عباد الله ـ ما ألهى عن الشهوات . ورغب في الباقيات الصالحات .

الصمت والنطق

صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه .

طوبى لعبد

قيل لأعرابي : كيف حالك ؟ فقال : بخير ، أمزق ديني بالذنوب ، وأرقعه بالاستغفار ، ثم قال :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه
وجاد بدنياه لما يتوقع

وقفة تأمّل

استدراكاتنا

رغم حرصنا الشديد على ألا يظهر في « الوعي الاسلامي » إلا ما هو صحيح ، ورغم ما نبذله من جهد مضاعف في سبيل ألا يأتي حرف واحد في آية قرآنية كريمة زائدا أو ناقصا . وألا يكون هناك حديث غير محقق ، ومخرج . ورغم مطالبتنا على صفحات المجلة وفي رسائلنا الخاصة إلى الكتاب أن يذكروا رقم الآية الكريمة واسم السورة الواردة فيها وأن يخرجوا الأحاديث الشريفة ، ويتأكدوا من صحتها ، وأن يتثبتوا من الروايات في السيرة والتاريخ ... إلا أن بعض الكتاب لم يراع ذلك ، وتبذل « الوعي الاسلامي » جهودا مضنية تستغرق وقتا طويلا من أجل التثبت من صحة رواية ، والتأكد من صحة الحديث ، ومع هذا تقع بعض الأخطاء قد يكون الكاتب نفسه سببا فيها ...
ولنضرب لذلك أمثلة ...
ونترك الأخ الأستاذ / محمد نجيب لطفي .. يعلق على ما رآه يحتاج الى تصويب .. يقول تحت عنوان :

استدراكات حديثية

ورد في مقال « **الصلاة عماد الدين** » ما نصه : « وفي الحديث الصحيح من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا » والحقيقة خلاف ما ذكره الكاتب وحكم به بل وجزم به ، فالحكم بصحة الحديث أو عدمه يجب أن يكون متفقا مع حقيقة الأمر عند المحققين من الحفاظ والمحدثين طبقا للقواعد العظيمة التي قعدوها لذلك .

ولبيان عدم صحة القول السالف نقول :
ذكر المحققون من الحفاظ والمحدثين أن هذا الحديث باطل وموضوع سندا ومتنا وبيانه كالتالي :

* في سنده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه « تقريب التهذيب » أثناء الترجمة لليث .
* وذهب الى نفس الرأي الهيثمي في كتابه « مجمع الزوائد » .
* وقال الحافظ العراقي في « تخريج الإحياء » إسناده لين ، وهذا الحديث موقوف وقد رواه الامام أحمد في كتابه « الزهد » والطبراني في « المعجم الكبير » عن ابن مسعود موقوفا عليه .
* والصواب في ذلك ان هذا القول من قول ابن مسعود والحسن البصري وروى ايضا عن ابن عباس .

* ولهذا لم يذكره شيـخ الاسلام ابن تيمية في « كتاب الايمان » إلا موقوفا على ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم ووافق شيخ الاسلام في ذلك ابن عروة في كتابه « الكواكب » وقال الحافظ ابن كثير : والأصح في ذلك كله من ناحية الموقوفات هي الموقوفات، على ابن مسعود وابن عباس والحسن وقتادة والأعمش وغيرهم .

هذا كله من ناحية السند باختصار شديد وقد ثبت أنه ليس بحديث يصح نسبته للرسول صلى الله عليه وسلم وأما من ناحية المتن فلا يصح ايضا لأن ظاهر الحديث يشمل من صلى صلاة بشروطها وأركانها بحيث أن الشرع يحكم عليها بالصحة وان كان هذا المصلى لا يزال يرتكب بعض المعاصي فكيف بعد ذلك يكون بسبب هذه المعاصي لا يزداد بصلاته إلا بعدا ؟! فهذا مما لا يعقل ولا تشهد له الشريعة،ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن رجل يصلي الليل كله فإذا أصبح سرق : فقال ستمنعه صلاته .. ولم يقل انه « لا يزداد بها إلا بعدا » مع أنه لم ينته عن السرقة بعد .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في بعض فتاويه عندما سئل عن هذا الحديث بعد أن حكم عليه بالوضع والبطلان « هذا الحديث ليس بثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم لأن الصلاة بكل حال لا تزيد صاحبها بعدا بل الذي يصلي خير من الذي لا يصلي وأقرب الى الله منه وإن كان فاسقا» .

وأقول : ان ورود هذا الحديث سيبعث اليأس في نفوس بعض المصلين حيث لا يزالون يرتكبون بعض الذنوب ولا يستطيعون الاقلاع مطلقا ، ونحن لا نقصد أبدا التهوين من شأن المعاصي والذنوب ولكن إحقاق الحق هو الذي استدعى ذلك ، ومن العلماء المحدثين الذين حكموا بوضع الحديث وبطلانه

العلامة الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة » وقد بسط العلامة الألباني القول في ذلك بسطا مفيدا جدا وبهذا يتبين أن الجزم بصحة الحديث محل نظر وكان ينبغي ألا يجزم بذلك ولعل في ما أسلفنا بيان وجه الحق في ذلك .

فكيف إذن جاز لأستاذ اعتادت الوعي الاسلامي أن تنشر مقالاته وتضعها في المرتبة الأولى .. كيف جاز للأستاذ/ محمد محمد الشرقاوي أن يحكم بصحة الحديث ؟ وعلى أي أساس قال ذلك ؟ ... وما مرجعه وسنده ؟ هذا ما ننتظر الاجابة عليه .
ثم ينتقل الأستاذ/ محمد نجيب لطفي الى موضوع آخر نشرناه تحت عنوان « قراءة في كتاب » القرآن في شهر القرآن » فيقول : ورد في هذا المقال

يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين
» على أنه حديث شريف منسوب الى المعصوم صلى الله عليه وسلم .
والحقيقة خلاف ذلك فهذا القول أيضا كسابقه باطل سندا ومتنا فهو من حيث السند وقد رواه الترمذي لكن فيه ضعيفان ولا أريد أن أستطرد في هذا الحديث كما حدث في سابقه .

ومما هو معلوم عند المحققين في علوم الحديث دراية ورواية أن سنن الترمذي فيها الصحيح والضعيف والموضوع فلا يكفي أن يعزو الكاتب الحديث إلى مخرجه بل لا بد من تحقيق ذلك وهو بيان درجة صحته من عدمه .
وأما من ناحية بطلان المتن فظاهر الحديث يدل على الاعراض عن الدعاء وهذا خلاف الشرع فقد تواترت الأدلة على وجوب الدعاء بل قد ثبت في الحديث الصحيح قول الرسول صلى الله عليه وسلم « الدعاء هو العبادة » أخرجه أبوداود والترمذي وابن ماجه والامام احمد وابن ابي شيبة والحاكم وابن حبان والبخاري في الأدب المفرد .
ومن هذه الأدلة قوله سبحانه وتعالى (**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين**) غافر/الآية ٦٠ .
ومنها ما رواه أبوهريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » .
حديث حسن رواه الترمذي وابن ماجة والامام أحمد ومنها قول الحق

سبحانه وتعالى (**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**) البقرة الآية/١٨٦ ,

وقد ورد الأمر بالدعاء ايضا في غير أية مثل قوله تعالى (**ادعوا ربكم تضرعا وخفية**) الأعراف/٥٥ .

بل يقول تعالى : (**قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم**) الفرقان/٧٧ .

وهناك أدلة اكثيرة ذكرنا منها ما أسلفنا على سبيل المثال لا على سبيل الحصر والاستقراء وكلها واضحة الدلالة على وجوب الدعاء بل على اعتباره عبادة من أجل وأقدس العبادات فكيف يشغل الانسان عن الدعاء .
نعم قراءة القرآن ايضا من أعظم القربات وأجل العبادات ولكن لا يجوز بحال من الأحوال أن تكون عبادة على حساب أخرى بل الصواب شرعا وعقلا الجمع بين العبادتين في عقد واحد .

وختاما يتوجه الأخ الأستاذ محمد نجيب لطفي بالنصيحة الى من يهمهم الأمر بأن يتحروا الدقة فيما ينسبون من حديث الى المعصوم صلى الله عليه وسلم لتعلق الأمر بالسنة النبوية المطهرة وما يترتب عليها من أحكام وتشريع .

« والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

● ونحن بدورنا نطالب كاتب المقال حول كتاب « القرآن في شهر القرآن » الأستاذ/ محمد الحسيني عبدالكريم بألا يعتمد على النقل من الكتب الحديثة ولو كان كاتبها ذا مكانة عالية ، بل كان ينبغي أن يرجع الى الأصول وينقد في الكتاب ما يحتاج إلى نقد ، لا أن يأخذ القول على علاته ، وأيضا : في انتظار رده .

ويمضي بنا الحديث الى الكاتب الأستاذ/ أمين محمد عثمان .. حيث نشرنا مقالة بعنوان : « أصحاب الأخدود » ، وكنا قد شعرنا بأن أجزاء

كثيرة منه منقولة من كتاب « معالم في الطريق » .. غير انا استبعدنا ذلك . وقلنا ربما كان نوعا من التشابه لأن القصة المعالجة واحدة ، عالجها سيد قطب بأسلوبه ، ويعالجها أمين عثمان بأسلوبه وقد يكون

بين الأسلوبين تشابه ، ونشر المقال ، ثم جاءنا من الأستاذة/ أمة الله الودود ان الكاتب ناقل من كتاب معالم في الطريق ، ورجعنا إلى الكتاب ، وطالعنا الصفحات فإذا الأستاذ أمين عثمان ناقل منه حرفا حرفا ... إلا ما قد يضطر إلى حذفه أو إضافته من كلمة هنا أو هناك .

● ولما كتبنا له بذلك أرسل يقول :

أما جوابي وتعليقي على ما ورد بخطا بكم فألخصه فيما يأتي :

(١) بالنسبة لكتاب (معالم في الطريق) فأذكر أنني أشرت الى المرجع في المكان المناسب ولما رجعت الى المسودة التيخططتهابيدي قبل أن أدفعها الى كاتب الآلة الكاتبة وجدت في هذه المسودة هذا السطر (ونحن نورد للقارىء ما كتبه الشهيد (سيد قطب) في كتابه (معالم في الطريق) ... وقد أحزنني وساءني وجزعت طويلا ان سقط هذا السطر ولم أتنبه اليه .. !

ويسعدني أن أرسل اليكم بالمسودة حتى الصفحة الخامسة .. وقد وضعت لسيادتكم خطا تحت السطر والعبارة .. التي سقطت سهوا من الآلة الكاتبة فمعذرة .. وأكرر أسفي .. علما بأني أعاني كثيرا من أخطاء الآلة الكاتبة وتوقعني في كثير من الحرج ..

(٢) والدليل على حسن نيتي .. انه يسعدني أن أرسل اليكم صورة مما ورد في بعض مؤلفاتي وقد أشرت فيها إشارة عابرة إلى (أصحاب الأخدود) واقتضى المقام أن أنقل بعض العبارات للشهيد سيد قطب .. وقد نوهت على ذلك كما ترون ـ في هذه القصاصة ـ

انني يا أخي ملتزم بذكر المراجع .. وهذا مما يزيدني تشريفا وثقة من القراء ... من هذا ترون أن هذا الخطأ لم يكن مقصودا .. ولم يكن في وسعي استدراكه حتى وصل اليكم فمعذرة .. !

هذا .. ولطالما طالبنا الكتاب بأن يعاودوا النظر فيما كتبوا حتى لا يقعوا في مثل هذه الأخطاء وقد نشرت « الوعي الاسلامي » عدة مقالات فيما تسببه الأخطاء الفنية واللغوية وعدم تحري الدقة من مشكلات .

● ونأتي الى الأستاذ/ أحمد المزاري .. وقد رحبت به « الوعي الاسلامي» كاتبا .. ونشرنا له مقالا تحت عنوان « إطلالة على النفس » .

وقد وقع فيه ما نصه [وإلا لما كان هناك من مبرر لاصرار مصعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ على اعتناق الاسلام ، رغم إصرار أمه على اعتناق الموت جوعا] .

وانظر معي كيف استقى الأستاذ / احمد المزاري معلوماته .. حيث يقول مبررا خطأه في ذكر اسم الصحابي ...

كنت أعلم منذ صباي أن الصحابي الجليل الذي أبى الانصياع لإضراب أمه عن الطعام ، والنكوص عن ايمانه بالعقيدة الصحيحة مقابل الحفاظ على حياتها هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .. لكن .. هناك بون شاسع بين الصبا والكهولة في اكتساب المعرفة أو الثقة في صحتها لمجرد أن من يقولها أو يسطرها أكبر سنا وأكثر علما .. لذا كان من الطبيعي .. والحال هذي ـ أن أتردد طويلا في إثبات المعلومة السابقة البسيطة في مقالي ، قبل أن أبحث عنها وأهمش لمصدرها ـ ان كانت بحاجة إلى ذلك ـ غير أنني لم أوفق الى الاطمئنان الى ما وقع تحت يدي من كتب ساق بعضها أمورا زادت من شكي وترددي ، فلم أر بدا من اللجوء الى بعض من أثق فيهم من اخواني أسألهم المعونة ، ودار بيننا ذكر اسم سعد بن أبي وقاص أكثر من مرة ، غير أنه طرح جانبا وهو الحقيق أن يثبت ، وذكرت غيره أسماء وأسماء أدت الى اتساع دائرة البلبلة .. وكان أن زل قلمي بعد أن عجزت مصادري عن إثبات الحقيقة الواضحة .. بذكر أحد هذه الأسماء التي وردت في مناقشتنا وأعني به اسم الصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه ... وكان ما كان من علمي بزلتي بعد فوات الأوان بالنسبة الي .

أترانا بعد هذا في حاجة إلى أن ننبه الكتاب ونطالبهم بأن يراعوا الله فيما يكتبون وأن يحددوا هدفهم من الكتابة ، وتحديد الموضوع الذي يريدون ، والتأكد من صحة ما يسطرون فهذه أمانة ، والله سائلهم عنها .. وغفر الله لنا ولهم ، وبالله التوفيق .

فهمي الإمام

من جوانب الإعجاز العلمي

في القرآن الكريم

في علوم الحيوان والحشرات

للدكتور/ ابراهيم سليمان عيسى

١- تمهيد :

في واد غير ذي زرع بالجزيرة العربية وبين شراذم من البدو يتحاربون ويتقاتلون . ليلهم خمر ونساء ، ونهارهم حروب ودماء . وصنعتهم ومعيشتهم تقوم على استغلال ما تجود به الارض من عشب ترعاه الأغنام والابل ، ومن تمر النخيل النامي بالجزيرة العربية ومن تجارة بسيطة خلال رحلتي الصيف والشتاء . وما عدا ذلك ظلمة من الجهل تكاد تطبق على كل الارجاء ، والناس بين سادة طاغين ظالمين وثنيين وعبيد مستذلين .

في هذا الجو الحالك والبيئة الجافة والخالية من كل حضارة وبين صحراء الجزيرة وتلالها وجبالها جاء الاسلام على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمي ، وأنزل عليه القرآن هدى للناس في معاشهم ومعادهم ، في دنياهم وأخراهم ، وألهمه الله سبحانه وتعالى التشريع والحديث ، وعلمه ما لم يكن يعلم ، وشرح الله صدور قوم أمنوا به وعزروه ونصروه وحملوا ارواحهم على أكفهم استعدادا للإلقاء بها في وجه كل

معتدٍ لدعوتهم فتبدد الظلام ، وانحسر الجهل ، وبدأت الحضارة الاسلامية في مجالاتها زراعية وصناعية وتجارية وعلمية وأدبية وغيرها . فأصبح الناس إخوانا متحابين سواسية كأسنان المشط ، لافرق بين الناس الا بتقوى الله ، وانتهاج نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل الناس في دين الله أفواجا وبدأ الاسلام يعمر الأرجاء ويؤسس كل مجالات الحضارة المختلفة واصبح المجتمع الاسلامي لافتا لأنظار العالم كله فهو القائد للبشرية في السلم والحرب والتعمير والحضارة ، مسترشدا بكتاب الله وسنة رسوله الذي لا ينطق عن الهوى (**إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى)** الآيتان ٤ و٥ من سورة، النجم .

ولقد كان القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما الأساس الفكرى لكثير من العلوم الأساسية والتطبيقية التي تطورت ونمت نتيجة للدراسة المستفيضة والبحث العلمي الكثيف . بل ان القرآن الكريم به من الحقائق العلمية والحضارية ما لم يكتشفه العلم حتى الآن ، وسوف تظل هذه الحقائق دون اكتشاف الى أن يشاء الله سبحانه وتعالى اكتشافها فتكشف ويظن الناس انهم قادرون على دنياهم وهنا تتحقق الآية الكريمة :

« **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون** » يونس/ ٢٤ .

وما الطريقة العلمية في اكتشاف المعارف إلا خطوات تبدأ بالمشاهدة والملاحظة ثم التجربة وبعد ذلك محاولة تفسير النتائج وتعليلها ووضعها في صورة قانون أو حقيقة علمية تذاع وتنشر ، كما يجب ان نعرف أن القرآن الكريم ليس كتاب فلاحة وانتاج للمحاصيل أو كتاب كيمياء واستخدام للمعادن والعناصر واستغلالها وصناعة للسبائك والأحماض وغيرها بل هو دستور كامل في مختلف نواحي الحياة .

يشير القرآن الكريم الى خطوات الطريقة العلمية وأعني بها التامل والمشاهدة والملاحظة ثم يتكلم عن الحقيقة العلمية والنتيجة السليمة التي سوف يتوصل اليها الباحث والعلماء .

والقرآن الكريم ملىء بالآيات التي تدعو الى التأمل والتفكر في ملكوت السموات والأرض وفي كثير من العبر التي تتصل بالحيوان والنبات وفروع الحضارة المختلفة فعلى سبيل المثال لا الحصر ـ قوله تعالى :

« **وفي الارض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون * وفي السماء رزقكم وما توعدون * فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون** » الذاريات / ٢٠ ـ ٢٣

إن القرآن الكريم أساس فكرى لحضارة زراعية في مجالات متعددة النواحي ، على أنه من المعروف أن

التعريف الحديث للزراعة ما هو الا استغلال الارض بما عليها من حيوان او نبات استغلالا يحقق الهدف من تعمير الأرض واستقرار المجتمع وايجاد سبل القوة المادية والاقتصادية واذا تم اخراج الزكاة مما تنتجه الارض لأمكن القضاء على عوامل الحقد والكراهية في المجتمع وسوف ينمو المال ويزداد ويسود الحب والوئام فلا تجد غنيا جشعا ولا فقيرا حاقدا . والكل سينصرف الى تحقيق الهدف من الوجود الانساني ، واذا تم ايضا توجيه ناتج هذا الاستغلال عالميا لأمكن القضاء على الازمات الاقتصادية والغذائية التي تجتاح العالم فالأزمات ليست ناتجة عن قلة ما تنتجه الأرض من خيرات ولكنها ناتجة عن سوء التوزيع فلو أن الدول الغنية طرحت ما تلقيه في البحر سنويا امام متطلبات الدول النامية والفقيرة لأمكن القضاء على هذه الأزمة ، وسوف تختفي وتزول الحروب وعوامل الدمار والهلاك وغيرها ونتأمل معا قول الله سبحانه وتعالى :

« **قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين** » فصلت / ٩ و ١٠ .

٢ ـ دعوى تعارض العلم والدين الاسلامي باطلة :

ومن هنا نرى أن دعوى تعارض الدين الاسلامي مع العلم دعوى باطلة يطلقها المتشككون بهدف النيل من الدين الاسلامي الذي يجمع الدين والدنيا فهو يشرع للمسلم في دنياه كأنه يعيش أبد الدهر ، ويشرع له في أخراه كأنه سيلقى ربه غدا . ولا أدل على بطلان دعوى تعارض العلم والدين من أن الله سبحانه وتعالى هو المشرع والخالق فهو الخالق لكل الكائنات ومرسي الجبال ومجري الأنهار والبحار والمحيطات ورافع السموات وباسط الأرض .

وما العلم الا اكتشاف وتفسير وتعليل لهذه الظواهر والقوانين الكونية .

ثم ان اولى الصفات الواجبة لله هي صفة الوحدانية في الذات والصفات والافعال وهي من الصفات التي تنفى عن رب العزة التعدد في ذاته وصفاته وأفعاله فكيف نتصور وجود تعارض بين العلم والدين على الرغم من وحدانية المشرع والخالق سبحانه وتعالى .

من هنا نرى أنها دعوى واضحة البطلان لا أساس لها من عقل او مشاهدة او غير ذلك .

هذا بالاضافة الى أنه لم يعد في مجال العلم ما يسمى بالحقيقة العلمية النهائية بل اننا نجد أن العلماء مضطرون احيانا الى الاخذ بنظرتين متعارضتين ويتضح ذلك في التفسير لبعض الظواهر الكونية كالضوء .

وعلى العموم فإن العقلانية في الاسلام أمر إعترف به كل منصف . وان دين الكنيسة الغربية هو الذي وقف في وجه العلم .

وللأسف ونظرا لوجود المتشككين والالحاديين نجد العلم في عصرنا

وضع الانسان على سطح القمر . ولكنه لم يضع يده على سر وجوده وغاية حياته . وما اتعس انسانا يعيش بلا هدف ولكن الدين يتميز بالثبات في كل شيء . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

٣ ـ الاعجاز العلمي للقرآن في مجال علوم الحيوان والحشرات

عالم الحيوان كبير متعدد الأنواع والاجناس والفصائل والرتب والشعب معروف فيه ما يقرب من مليون نوع موصوفة ومسماة ومحفوظ أصلها في متاحف التاريخ الطبيعي .

وعلوم الحيوان تشمل علوم الشكل والمورفولوجي والفسيولوجي والوراثة والأجنة والسلوك وسياسة الحيوان واستئناس النافع والاستفادة منه ومكافحة الضار ودرء خطره ورغم التباين في كل شيء . إلا أن وحدة الخالق ظاهرة جلية في هذا العالم المثير والملهم للخيال والجمال معا ولقد تقدمت دراسة هذا المجال.واصبح لدى البشر عدد هائل الكمية من الحقائق العلمية التي تتناول وسائل ووظائف هذه المخلوقات وطرق معيشتها وتكيفها مع البيئات والمواطن المختلفة وتكاثرها ومنتجاتها المفيدة للبشرية من غذاء وكساء ومنافع اخرى .

وقبل الوصول الى هذه الحقائق تناول القرآن الكريم الكثير منها بالبيان والتفصيل وتوجيه البشرية الى أوجة النفع ومواطن الضرر في هذه الحيوانات . ورغم كل ذلك مازال الطريق الى المعرفة الكاملة طويلا وما أكثر ما يخفى على الحس والسمع والبصر والفؤاد من أسرار مثيرة في خلق الله تعالى ولقد تعلم الانسان الكثير من هذه الحيوانات

وسوف اتناول هذا الموضوع في النقاط التالية :

اولا : حيوانات لعبت دورا في التاريخ في قصص الانبياء حيث ظهرت على مسرح الأحداث فترة ثم اسدل عليها الستار وذكرها القرآن الكريم مجرد ذكر او قص موقفا او أكثر من مواقف حياتها في ومضات سريعة وبقيت حياتها نفسها غارقة في الغموض . ويجول بخاطرى ان الحيوانات التي عاصرت الانبياء ولعبت دورا في التاريخ كانت رمزا عميقا لقدرة الله وحكمته او رمزا لاشياء اخرى تتعلق بطبيعة الحيوان وسلوكه . الجسد لحيوان والاشارة لما هو اخطر بكثير من ذلك . وهذه الحيوانات هي :

الغراب الذي بعثه الله لابن ادم ليريه كيف يوارى سوأة أخيه .

الطير التي ذبحها ابراهيم وفرقها على قمم الجبال ، وبعثها الله من بعد الموت .

بقرة بنى اسرائيل التي أمر موسى بذبحها لكشف جريمة قتل غامضا . الذئب الذي اتهم ظلما بالتهام يوسف .

هدهد سليمان الذي أطلعه على نبأ بلقيس .

دابة الارض التي أكلت عصا سليمان وهو ميت على كرسيه فخر عليه السلام على وجهه

حمار العزير الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه أمام عيني صاحبه .
الحوت الذي ابتلع يونس في جوفه زمنا ثم قذفه الى البر لأنه كان من المسبحين .

كلب أهل الكهف الذي نام مع أصحاب الكهف ثلاثمائة عام وتسع سنوات .
وهناك حيوان ورد ذكره في السنن الصحاح .
عنكبوت الغار التي نسجت بيتها على باب الغار الذي اختبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
ثانيا في السنة ايضا وردت اسماء حيوانات كما ان السنة اضافت بعض الاحكام التى تتعلق بالحيوانات من حيث حلهاوحرمتها من ذلك ما يلي :
- أحاديث توضح طريقة ذبح الحيوان :
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تعذيب البهائم عند الذبح ، كما امر باراحة الذبيحة وحد الشفرة ولقد سبق العلم الحديث في ذلك ، حيث اثبتت الأبحاث ان هذه التعليمات النبوية الشريفة لها علاقة بحفظ اللحوم ونكهتها وطيبها وأثرها على الصحة والتغذية وغير ذلك .
أضافت السنة أنواعا من اللحوم يحرم اكلها مثل لحوم كل ذى ناب من السباع ورخصت عند الحاجة ـ فقط أكل لحوم الخيل ، كما حددت الماكولات وغيرها من كل حيوانات الأرض .
احلت السنة النبوية اكل ميتتين هما السمك والجراد ، ودمين هما الكبد والطحال كما اباحت السنة استعمال جلود ميتة الحيوانات ـ بعد دبغها ـ واستعمال اصوافها واشعارها كأساس ومتاع وملابس . وما زال العلم يكتشف هذه الحقائق التي تكلم عنها ونصح بها وأمر باتباعها سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منذ اربعة عشر قرنا وسوف يظل العلم يقدم الدليل تلو الدليل على صدق رسول الله ومعجزاته حتى يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها .

٤ ـ نظرات حول الحشرات في القران الكريم

إن المتامل في القرآن الكريم سوف يجد الكثير من آياته تكلمت عن الظواهر الكونية والكائنات الحية . التي خلقها الله سبحانه وتعالى ثم جاء العلم فقدم التعليل والتفسير لتلك الظواهر الكونية وأماط اللثام عن أسرار الكثير من الكائنات الحية حيوانية كانت ام نباتية وشرح دورة حياة بعضها فيها وطبائعها وسلوكها ومنافعها واضرارها ومن جهة أخرى فإن الحشرات مخلوقات مثيرة عجيبة ـ كما سبق ـ فبعضها يقدم للانسان الغذاء والكساء وبعضها الاخر يتلف هذا الغذاء ويدمر ذلك الكساء والقرآن الكريم تكلم في كثير من اياته عن الحشرات واتخذها مضربا للأمثال لبيان آثار قدرته تعالى الواضحة الجلية في هذه المخلوقات وللإنذار والترهيب احيانا وللعظة والتأمل احيانا اخرى . والآيات التي تناولت الحشرات في القرآن الكريم كثيرة

يمكن ان نجمل ما جاء فيها في النقاط التالية :

١ ـ حشرات كرمها الله سبحانه وتعالى واختصها بسورة كاملة من القرآن الكريم وهي (سورة النحل)

٢ ـ هناك حشرات أخرى كالنمل اختصها الله بسورة كاملة ايضا هي سورة النمل ، والنمل حشرات تعيش بنظام بديع متقن . وفي الآيتين ١٨ ،١٩ من هذه السورة يقول الله تعالى « **حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يأأيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ، فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ** » .. الى آخر الآيات ولقد كشف العلم الحديث أن للحشرات لغة تتواصل بها افرادها ولها اصواتها ولها مسلكها في إحداث الاصوات .

وتتعدد صور إحداث الاصوات وتختلف باختلاف انواع واجناس الحشرات . وفي كتب الحشرات نجد ان النحل والنمل والكثير غيرهما من الحشرات لها لغتها واسلوب تواصلها ومسلكها نحو التفاهم وتبادل المعلومات المتباينة المصادر .

٣ ـ في الآية رقم ٤ من سورة القارعة يقول الله « **يوم يكون الناس كالفراش المبثوث** » أي المنتشر المضطرب وهى اشارة قرآنية رائعة وقد كشف العلم عن انجذاب بعض الحشرات للضوء وتهافتها عليه كالفراشات الليلية التي يستهويها الضوء ثم تقترب منه حتى تقع فيه وتحترق وفي تفسير الجلالين كالفراش المبثوث أي كغوغاء الجراد وعلى هذا تكون الآية قد اشارت الى تكوين اسراب الجراد حيث ان فسيولوجية تكوين الأسراب توضح أنه عند اشتداد أشعة الشمس ونظرا لان الجراد يستهلك الدهن بدلا من الكربوهيدرات وتقليد الحوريات لبعضها وكثرة عدد الحوريات والجراد

البالغ تتكون الأسراب التي تتحكم فيها عوامل مختلفة والصورة العامة هي كثرة الجراد وانتشاره واضطرابه وحيرته وهو ما يكون عليه الناس يوم القارعة التي تقرع القلوب بأهوالها ويؤيد هذا ما يصوره القرآن الكريم

لنا من اهوال القيامة وكيفية خروج الناس من قبورهم سراعا كأنهم الجراد المنتشر يقول سبحانه « **يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم جراد منتشر** »

٤ ـ وفي سورة الحج الآية رقم ٧٣ نجد قوله تعالى « **يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** »

ومعنى الآية ياأهل مكة ضرب لكم مثل فاستمعوا له أستماع تدبر وتفكر ان الذين تعبدون من دون الله وهم الاصنام لن يخلقوا ذبابا والذباب اسم جنس واحده ذبابة ويطلق على المذكر والمؤنث ولو كانوا مجتمعين على هذا

فما بالك ان كانوا منفردين ؟ وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب اي ضعف هؤلاء الناس وضعف معبودهم والاية تكشف عن صفة من خصائص الحشرات وتسمى « بالإصرار » وهذه الصفات التي أهّلت الحشرات لمنافسة الانسان والانتصار عليه أحيانا. فإذا ما حاول إنسان إبعاد الذباب عن طعامه فلن يقدر على ذلك وتستمر الحشرات في اصرارها ولا توجد طريقة تحول بينها وبين الطعام الا موتها أو إبعاد الطعام من هذا المكان .

ويدلل هذا المثل على أن الله سبحانه وتعالى يبين للناس أن اقل المخلوقات في نظرهم قد تسلبهم غذاءهم وتلوثه ولا يستطيعون انقاذ طعامهم من بين براثن هذه المخلوقات « الذباب » وتلمس هذا المعنى في الآية الكريمة « **إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** » **الى اخر الآيات** من سورة البقرة .

٥ ـ واذا كان انتاج الجاميطات المؤنثة دون الاحتياج للمشيج المذكر في علم الحيوان يعبر عنه بالتوالد البكرى « العذري » والذي يتمثل بصورة دائمة



توجد أنواعٌ كثيرةٌ من الحشرات اللاسعةِ .

٦١

في نحل العسل ودورية في حشرات المن ومؤقتة في حشرات اخرى . واذا كان الامر عاديا في الحشرات، والتزاوج البكري احدى صور التكاثر في الحشرات فإنه محل استغراب وتعجب وتساؤل في بنى البشر تقول الآية ٤٧ من سورة آل عمران

« **قالت رب أني يكون لى ولد ولم يمسسني بشر قال كذلكِ الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون**» وظاهرة التوالد العذري في الحشرات من الصفات الهامة التي تؤهلها للبقاء والتكاثر اذا شق وصعب اجتماع الجنسين او حالت عوامل بيئية دون التقاء الذكور بالاناث .

٦ ـ تتحدث الاية ١٣٢ من سورة الاعراف عن بعض الكوارث والنكبات التي ينزلها الله بمن يشاء من عبادة المذنبين فيقول « **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين** » ونجد ان الله سبحانه وتعالى قد عد الجراد والقمل من هذه الكوارث العظام والجراد معروف بشراهته والتهام كل ما هو اخضر على سطح الارض وهو وباء قديم حديث له غاراته الدورية التي ترتبط بالتغير في المجموعة الشمسية واسرابه معروفة يبلغ عدد الجراد احيانا في السرب الواحد (٥٠) مليون جرادة وتأكل الجرادة في اليوم الواحد وزن جسمها مواد غذائية .

والمراد بالقمل تلك الحشرات الضارة بصحة الانسان والحيوان والتي تعيش متطفلة ومتخصصة على امتصاص دم العائل سواء كان انسانا ام حيوانا مستأنسة وبطلوايضا على حشرات واسعة الانتشار وماصة للعصارة النباتية باجزاء فمها الثاقبة الماصة وهى حشرات قمل النبات (**المن بانواعة المختلفة**) .

وقد يطلق على انواع معينة من الحشرات المعروفة بالبق وبهذا فإن القمل متعدد الأنواع والعوائل المختلفة من نبات وحيوان وغيرها .

وبعد هذه النظرة السريعة عن الحشرات في القرآن الكريم والخواطر التي اثبتناها نقرر ان القرآن ليس كتابا عن علم الحشرات لكن ما جاء فيه عن الحشرات كان مثالا للناس للعظة والتدبر والتفكر في خالق هذه الكائنات الضعيفة والقوية . الضارة اشد الضرر وابلغه والنافعة اعظم نفع واشمله .. وما يستتبع ذلك من اختلاف في الشكل والحجم والطباع والسلوك .. وصدق الله العظيم اذ يقول « **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء** » الآية ٣٨ من سورة الأنعام ألا ترى ان الحشرات معظمها يطير بالاجنحة وان كانت علميا بعيدة عن الطيور فهي لا فقاريه مفصلية الأرجل لها ثلاثة ازواج من الارجل في الطور الكامل وبعض الحشرات لا يطير وهى من دواب الارض .. بكل تاكيد سبحان الله جل علاه .. ولا موجود بحق دونه .

أعطني سيفاً

للأستاذ/ جميل عياد الوحيدي

أعطنـي سيفـا قـديمـا ... مـن سيـوف المسلمـين
سـل في بـدر ... وفي حطـين ... أو في ميسلـون
أعطنـي سيفـا قـديمـا ... مـن سيـوف الفـاتحـين
مـن سيـوف ... لا تـهـاب المـوت أو تخشى المنـون
سلـه للكفـر .. مـولانـا إمـام المـرسلـين
طـهـر الأرض ... مـن الشـرك ... وكـل المشـركـين
أعطنـي سيفـا ... أبـدد غبشـة الصبـح الحـزيـن

***



أعطني سيفا قديما .. سله خير امام
ان هذا الليل .. قد طال .. وقد طال الظلام
إيه يا قدس ! وواها لك ... يا رمز السلام
خانك الحب ... وهل يجديك ... عشق أو غرام
والردي يلقاك ... من غير مجن أو حسام
من يهود الغرب ... والشرق ... حثالات الأنام

***

أعطنـــي سيفـــا قـــديمـــا ... مـــن سيـــوف المسلمـــين
ســـل في بـــدر ... وفي حطـــين ... او في ميسلـــون
أعطنـــي سيفـــا ... بـــه أبـــر رقـــاب الظـــالمـــين

***

أعطنـــي سيفـــا ... واطلقنـــي .. ولا تمســـك يـــديـــا
واحم ظهـــري ... يـــا أخـــي ... أن يعتـــدي يـــومـــا عليـــا
واحـــم اوطـــانـــا .. مـــهـــرنـــاهـــا .. دمـــا منـــا زكيـــا
واحـــذر الـــغـــدر ... فـــإن الـــغـــدر ... مـــذمـــوم لـــديـــا
اننـــي نـــاديـــت كـــل الـــعـــرب ... أن هبـــوا إليـــا
ولقـــد أسمـــعـــت مـــن نـــاديـــت ... لـــو نـــاديـــت حيـــا

***

أعطنـــي سيفـــا قـــديمـــا ... مـــن سيـــوف المسلمـــين
ســـل في بـــدر ... وفي حطـــين ... أو في ميسلـــون
اعطنـــي سيفـــا ... بـــه أمـــح وجـــوه الخـــانـــعـــين

***

أنثـــر الـــورد ... عـــلى قبـــر الشـــهيـــد ابـــن الشـــهيـــد
في بـــلاد الـــعـــرب ... والاســـلام ... في كـــل صـــعيـــد

كبر الجرح ... «بصبرا» آه يا صبرا الصمود
كبر الجرح ... وعم الظلم أرجاء الوجود !!
واستحر القتل ... وامتد الى كل وريد
واستكان القوم ... للذل ... وهانوا كالعبيد

***

أعطني سيفا قديما ... من سيوف المسلمين
سل في بدر ... وفي حطين ... أو في ميسلون
أعطني سيفا قديما ... اعطك النصر المبين

يا حدث عن الحق

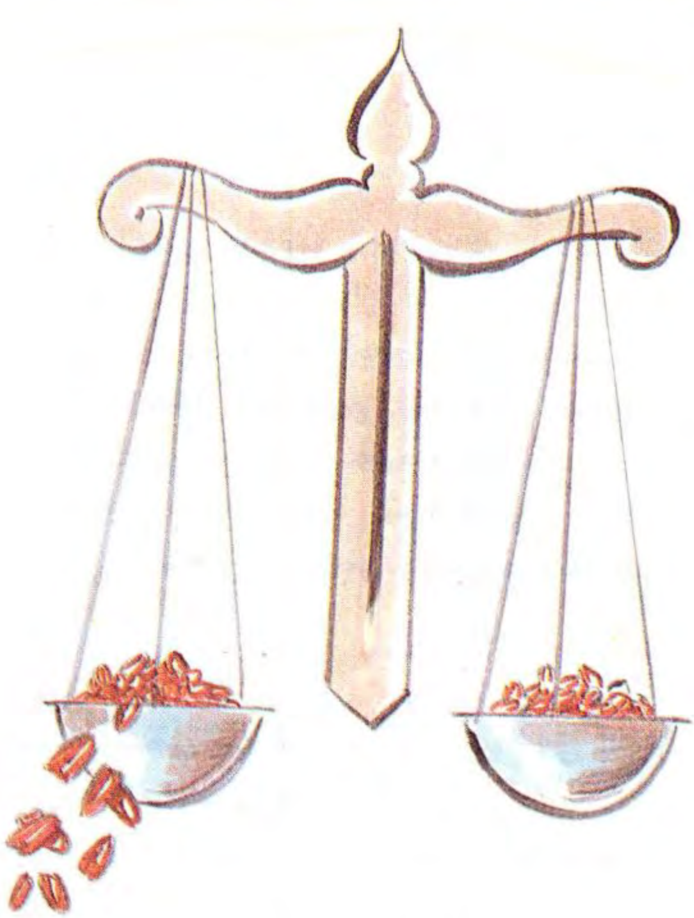
يحكي الحبر اليهودي « زيد بن سعنة » قصة اسلامه فيقول :
(ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه وهما :

١ ـ يسبق حلمه جهله .

٢ ـ ولا تزيده شدة الجهل الا حلما .

وذات يوم حانت الفرصة ليعلم اتصافه صلى الله عليه وسلم بهما شاهد رجلا بدويا يقول يا رسول الله :
لي نفر في قرية « بني فلان » حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدا . فأسلموا . وقد أصابتهم سنة (جدب) وأخشى أن يخرجوا من الاسلام طمعا كما دخلوه طمعا . فان رأيت أن ترسل اليهم بشيء . فعلت . فنظر صلى الله عليه وسلم الى رجل إلى جانبه ـ أراه عليا ـ فقال :
يا رسول الله . ما بقى منه شيء .

وكانت فرصة لزيد بن سعنة الذي قال :
فدنوت منه وقلت : يا محمد :
هل لك أن تبيعنى تمرا معلوما الى أجل معلوم ؟
قال : فباعني . فأعطيته ثمانين مثقالا من ذهب . في تمر معلوم الى أجل كذا وكذا .
فأخذ صلى الله عليه وسلم هذا الذهب . وأعطاه للرجل وقال له :
اعدل عليهم . وأغثهم .
قال زيد بن سعنة :
فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة .. خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم في نفر من أصحابه . فلما صلى على الجنازة . ودنا الى الجدار ليجلس اليه . أتيته فأخذته بمجامع قميصه وردائه . ونظرت اليه بوجه غليظ . وقلت له : يا محمد .. ألا تقضيني حقى ؟



للدكتور / محمود محمد عماره

فوالله ما علمت بنى عبد المطلب الا مطلا . ولقد كان لي بمخالطتكم علم .
ونظرت الى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير . ثم رماني ببصره
وقال :
يا عدو الله : أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع . وتصنع به ما
أرى ؟
فوالذى نفسى بيده لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفى رأسك . ورسول الله
صلى الله عليه وسلم ينظر اليَّ في سكون وتؤدة .
فقال يا عمر :
أنا وهو كنا في حاجة الى غير هذا : أن تأمرني بحسن الأداء . وتأمره بحسن
الطلب ..
اذهب به يا عمر فأعطه حقه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما روعته .
قال زيد : فذهب بي عمر فأعطاني حقي . وزادنى عشرين صاعا من تمر .
فقلت : ما هذه الزيادة يا عمر ؟ قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن أزيدك مكان ما روعتك .

قال : أو تعرفني يا عمر ؟ قال : لا .
قلت : أنا زيد بن سعنة .
قال : الحبر ؟
قلت : الحبر!!
وقد خبرت فيه علامتين ووجدتهما . فأشهدك يا عمر أنى قد رضيت بالله ربا . وبالاسلام دينا . وبمحمد نبيا .
وأشهدك أن شطر مالي صدقة على بعض أمة محمد .
فرجع عمر وزيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال زيد :
أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ..
ولقد شاهد مع الرسول مشاهد كثيرة . ثم توفى في « تبوك » مقبلا غير مدبر).
رواه الطبراني وابن ماجه وابن حبان والحكام وغيرهم .

تمهيد

كان بعض الفقهاء ينهض من فراشه ليلا ويصفق !
وقبل أن تتهمه زوجه بالجنون يقول لها :
لقد اهتديت الى حكم شرعي في مسألة تهم المسلمين !
واذا سعد واجد الحكم الشرعي . فكم تكون سعادة رجل وجد نفسه بعد ضياعها ؟
لاشك أن نصيبه من السرور أربى ..
وكذلك كان « زيد بن سعنة » رضى الله عنه .. والذى يحكي قصة اسلامه كما يحكى الذى برىء من علته ما لاقاه من عناء في مرضه .. فإذا كان المرض .. مرض نفس تصح اليوم بالايمان .. فلا شك أن الحديث عن ذكريات علته يكون ممتعا .
من هو زيد ؟
إنه حبر من أحبار اليهود : طالما كاد للاسلام كيدا . وقعد للمسلمين كل مرصد مع رفاقه من الأحبار . وعباد الوثن .
لكن تحولا خطيرا يطرأ على حياته . حين يوجه القدر الأعلى الرياح على ما تشتهي السفن ..
لقد تحركت الرغبة في قلب مركز من مراكز القوى المعادية ليضاف الى رصيد الاسلام ..
بيد أن الرغبة لم تتجه الى بطون الكتب تسائلها عن مدى صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعواه .. فقد تكفلت بذلك التوراة .
لكنه قرر أن يكون بحثه ميدانيا وعلى الطبيعة . فيما يشبه الاختبار العملي :
فاذا ثبت حلمه أمام شدة الجهل فقد تمت كلمة الحق صدقا وعدلا .

ذلك بأن معرفة الرجال لا تتم عن طريق المراسلة !
وحين أراد « أبو ذر » رضى الله عنه أن يدخل في الاسلام أرسل أخاه ليستطلع أمر محمد .. فلما عاد لم يشف غليله . فقرر أن يتصل بالرسول شخصيا ليولد ايمانه قويا . وكذلك فعل « زيد بن سعنة »

● الأقدار تدبر للدعوة ●

جاء الداعية البدوى يطلب معونة عاجلة . على مسمع من زيد .
وقد كان الداعية بدويا . لكنه كان ذكيا :
لقد أطمعهم حين أقنعهم بدين سيسعدون في ظله .. ثم أدرك بحسه البصير قسوة النتائج لو لم يتحقق الفردوس الموعود !
وخاف على الذين دخلوا الاسلام طمعا أن يستهويهم الرخاء على أيدي « مبشرين » آخرين يدعونهم الى ملتهم بالطعام .. والدواء والكساء .

● نفد البند ! ●

لكن بند الدعوة كان قد نفد !
وكان هذا النفاد بداية الفرج . حين تقدم الحبر باقتراح أن يقدم للدولة دعما ماليا نظير صفقة عينية !

● الرسول يقبل المساعدة ●

ولا بأس أن تتقبل الدولة مساعدة أو قرضا ما دامت لا تتهدد عقيدتها ونظامها .
وما دامت موقنة بقدرة مواردها على الوفاء مستقبلا بوعدها فرارا من الوقوع في مصيدة الاستعباد .
مع ملاحظة أنه عون في أضيق الحدود ..
فلم تستدن الدولة هنا لشراء كماليات . وانما استدانت لمصلحة النظام وتثبيت أركانه . وحضانة قبيلة يراد بقاؤها سندا للاسلام .

● القرض يوجه الى ما خصص له ●

ووضع القرض في مكانه وبالطريقة التى تحقق الغرض منه :
أن يكون التوزيع عادلا .
وأن يكون سريعا .

وإلا فإن صيرورة المعونة الى غير مصرفها يذهب بها بددا . وتظل حاجة الأمة متجددة الى مزيد من المعونات يتسع بها الخرق على الراقع .

● ساعة الصفر ●

وتبدو صعوبة الاختبار .. ويبدو أيضا كيف ثبت الرسول بحلمه أمام شدة الجهل . فكان الانتصار :
اقترب الرسول صلى الله عليه وسلم من الجدار ليستريح .. وقبل أن يجلس :
يهجم عليه زيد . والرسول صلى الله عليه وسلم في كوكبة من أصحابه ..
ثم أخذ بمجامع ثيابه ..
رماه بملامح غاضبة ..
ناداه باسمه المجرد : يا محمد .
منكرا عليه تباطؤه في قضاء دينه ..
مؤكدا بالقسم أن مماطلته تحدرت من عشيرته اليه .. زاعما أنه لمسها عن خبرة وتجربة لاعن سماع !؟
فإذا علمت أن زيدا تعمد أن يجيء قبل حلول الأجل بأيام . علمت كيف أحكم الرجل خطته ليبلغ الجهل منتهاه .. ثم لينظر ما يسفر عنه الامتحان .

● الحكمة تنهي الأزمة ●

سكت صلى الله عليه وسلم . إلا أن عمر من بين الصحاب غلى قلبه كالقدر . ورمى زيدا بنظرة كأنها السهم مهددا بقتله لولا مخافة أن يخسر بقتله حب الرسول صلى الله عليه وسلم .
وكان المتوقع أن يعنف الحبر من قبل الرسول .. لكن العتاب اتجه الى عمر .
لقد أحسن الحبر ابتداء حين أقرضنا ..
وكان من واجبه أن يحسن الطلب لتتم الصورة كمالا ..
لكنه بسوء تصرفه أضاع فضل الابتداء .. وحاجته مسَّاسَة الى موعظة لا الى سيف ؟!
وقبل ذلك : ما كان أحرى عمر أن يتجه بالأمر الى من اقترض أولا .. وقبل أن يسدد سهمه الى زيد . ثم .. هل المطلوب أن تسحق عدوك .. أم أن تقومه ليكون معك ؟
إنه شر يراد توجيهه الى الخير .. ألا وان مغالبة الشر بالحكمة يحوله الى خير .. كما يتحول الفحم بطول الاختزان في باطن الأرض الى ماس غالي الثمن .

ان سيف عمر مطلوب .. ولكن على جبهة القتال .. أما هنا فالحكمة تأخذ بزمام الموقف تدعيما للدعوة . وتوجيها للرجل كي يمضى معنا الى حيث نسير .

● لحظة الانبهار ●

وقف الحبر اليهودي مأخوذا بموقف .. يحتفظ له بحقه .. وبعد ما فعل .. بينما يعود عمر بلوم رسول الله .. كل ذلك وهو وحده يواجه الدولة كلها !
إنها إذن لحظة الميلاد الجديد .
لقد وجه السكان اليهود في مستعمرة قريبة من « بئر سبع » انذارا الى امرأة يهودية تدعى « شوشانا » وإلى زوجها بمغادرة المنطقة بأسرع وقت والا أحرقت الأسرة كلها .

وذلك بسبب أنها أنجبت طفلا وسمته محمدا !!
وهكذا تهدد أسرة بالاحراق لمجرد أن سمت ولدها محمدا .. لكن زيدا يفعل فعلته .. ويمسك بخناق رئيس الدولة وفي عقر داره . ثم لا يسقط حقه .. حتى اللحظة التى روع فيها من تهديد عمر لاتمر بدون ثمن تدفعه الدولة مع أنه هو الذى ساق الى نفسه الترويع بسوء تصرفه !!
وتأتي نتيجة الامتحان لتؤكد صفة الرسول صلى الله عليه وسلم الذى حقق بحلمه هذا اصطفاءه بالنبوة !

● عمر بالذات ●

وكان من الممكن أن يصحب « زيدا » رجل غير عمر رضى الله عنه .. ولكنه صلى الله عليه وسلم يحقق العدل في أسمى معانيه حين يكلف عمر بالذات . والذى يتخلص من كل مشاعر العداء للرجل ولاء وطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. وليعلم الناس أن الحق أكبر دائما .. والا فلو كان الحكم للهوى لكان للرجل مع عمر حساب آخر !

● ميلاد الحقيقة ●

وأسلم الحبر اليهودى .. وجب الاسلام ما قبله .. كما جب إسلام عمر أيضا ما قبله ..
وَقَدَّمَ « زيد بن سعنة » الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوراق اعتماده سفيرا للحق ..

لقد رأى زيد محمدا قبل ذلك .. إلا أنه رآه كما كان أبو جهل يراه : يتيم أبي طالب .
لكنه يراه اليوم رسولا نبيا ..
واذا كان لكل معرفة . حقيقة .. ومتعة .. وثمرة .. فقد اهتدى زيد الى الحقيقة بعقله .. واستمتع بها بقلبه .. وكان من ثمراتها أن توفى كما تقول وقائع السيرة في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر !

● درس للدعاة ●

ان السلوك الواعى المعبر عن مواقف أصيلة هو السلوك الذى يصل الى غايته ـ ويكون له الاستمرار والدوام . بفضل عدم تحكم النزعات الفردية فيه . أو الايماءات العشوائية . ولما فيه من قدرة على تغاضي صغائر الأمور وتوافهها .
إنه سلوك يترفع عن الشكليات والعفويات .
هذا السلوك الواعى هو الذى حثنا عليه ديننا الحنيف . وهو الذى جسده لنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم . بسلوكه الشخصي في عصر النبوة .
وهو الذى دعانا الى اتباعه فى كل المناسبات .
وعلى شبابنا أن يتأمل ذلك . وأن يتمثل المبادىء القرآنية في سلوكه . ويقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم في تطبيق هذا السلوك .
وكيف كان صلوات الله وسلامه عليه يقنن العلاقات بالمعايير الصحيحة الواعية .
ملتزما بمواقف وأهداف سليمة أصيلة بعيدة عن العفويات . ليس فقط في علاقاته مع من آمن به . بل حتى مع عدوه . منطلقا من المبدأ القرآني السامى :
(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن) ١٢٥ / النحل .
وليت شعرى .. ان إسلام زيد وحده خير دليل على أحقية الاسلام بالاتباع .. ألا وإن موقف رجل في ألف رجل .. أبلغ من قول ألف رجل .. في رجل ؟!

الخمر

وأمراض القلب والدورة الدموية

للدكتور / محمد علي البار

رغم ان الاطباء ظلوا يتحدثون فترة طويلة من الزمان عن فوائد الكحول للقلب الا أن هذه الفوائد المزعومة قد تلاشت وحل محلها مجموعة من الامراض التى تسببها الكحول .

وقد كان الدكتور وود (Wood) من أوائل الاطباء الذين نبهوا سنة ١٨٥٥ على كون الخمور احد اسباب هبوط القلب . . وقام والش (Walshe) بوصف تنكرزوموت (Localised Cirrhosis) في عضلة القلب لدى مدمنى الخمور .

ثم تتالت التقارير والابحاث الطبية التى وصفت تضخم عضلة القلب وزيادة سعة القلب (Dilataion) نتيجة التمدد في ألياف عضلة القلب .. كما وصفت حالات هبوط القلب الاحتقانى (Congestive Cardiac Failure)

وللأسف فقد أرجع السبب في هذه الحالات جميعا الى نقص فيتامين ب١ (الثيامين) وليس الى التأثير السمى المباشر للكحول .

ولم يتبين الأطباء أن الكحول مادة سامة للقلب بطريق مباشر الا في الستينات من القرن العشرين عندما أوضحت الأبحاث المستفيضة أن استخدام الكحول وشربه لفترة من الزمن تسبب اعتلال عضلة القلب (Cardiomyopathy) رغم عدم وجود أي نقص في فيتامين ب١ وقد وجد أن بعض الاشخاص يصابون بهذا الاعتلال (Cardiomyopathy) بمجرد شرب الكحول ولو على فترات متباعدة .

ويؤدى شرب الكحول الى تغييرات في وظيفة القلب ويتضح الخلل ميكانيكيا أي أن ضخ القلب للدم يتأثر وذلك بنقصانه نقصانا كبيرا أو أن كهرباء القلب تضطرب فتضطرب لذلك نبضات القلب (Dysrrythmia) أو كلاهما معا وهو أمر غير نادر الحدوث .

التغييرات الميكانيكية

إن الكحول تقوم بتثبيط عمل عضلة القلب فيقل ضخ الدم من القلب وتقل الكمية التى يضخها القلب في الضربة الواحدة (Stroke Volume) كما تقل الكمية التي يضخها في الدقيقة (Cardiac outbut) .

وقد أثبتت الأبحاث التى لا حصر لها تأثير شرب الكحول لفترة طويلة من الزمن على عضلة القلب . ولا يوجد أدنى ريب في أن المدمن يعاني من هبوط في القلب وهناك أبحاث أخرى تقول : إن ذلك الأثر لا يقتصر على المدمنين .. بل إن شرب كمية بسيطة من الكحول (اوقيتين أو ثلاثا من الويسكى) لمرة واحدة فقط تؤدي الى نقصان ضخ القلب للدم وخاصة اذا كان قلب هذا الشخص يعانى من مرض سابق .

وقد وجد الباحثون أن أوقيتين من الويسكى اذا أعطيت لمريض يعانى من الذبحة الصدرية (Angina) فإنها تسبب له على الفور ذبحة صدرية وتظهر الآثار في تخطيط القلب .

وهذا يدلل على أن إعطاء مريض الذبحة الصدرية الكحول كعلاج هو وهم قاتل .. وليس له أي أساس من الصحة ، بل إنه يؤدي الى تفاقم مرض الذبحة وقد يؤدي الى جلطة القلب .

وقد توهم أحد العلماء الأجلاء المعاصرين ، بناء على إخبار الأطباء أن

الكحول علاج للذبحة الصدرية وجلطات القلب .. وقد أفتى بناء على ذلك بجواز شربها للعلاج .

والفتوى خاطئة من عدة وجوه : أولها ، وأهمها : أن الكحول ليست دواء للذبحة ولا للجلطة بل هي أحد العوامل التي تزيد من حدوثها وثانيها : أن الكحول تسبب اعتلال عضلة القلب .

وثالثها : أن جمهور الفقهاء لا يسمحون بتناول الخمر الصرفة للدواء لورود الاحاديث الصحيحة بالنهي عن استعمال الخمر كدواء مثل قوله صلى الله عليه وسلم لطارق الجعفي الذى كان يصف الخمر للدواء . « انه ليس بدواء ولكنه داء » (أخرجه مسلم وأبوداود والترمذي) .

ولقوله صلى الله عليه وسلم « إن ذلك (أي الخمر) ليس بشفاء ولكنه داء » (اخرجه مسلم) ولقوله « إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » اخرجه البخاري .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة ومن اتى بعدهم عن استعمال الخمر كدواء وحرم بذلك استخدامها كترياق .. والجمهور من الفقهاء على هذا القول والطب الحديث يؤكد صدق ما قاله المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله من أن الخمر داء لا دواء .

وقد أظهرت الابحاث الطبية أن أوقيتين من الويسكى فقط تسبب انخفاضا في عمل القلب بنسبة (٢٠) بالمئة . كما لاحظ ريجان أن ست أوقيات من الويسكى أدت الى عدم قدرة البطين الايسر على الضخ مما أدى الى ارتفاع الضغط داخل البطين الايسر في الحالة الانبساطية (Increased End Diastotic Pressuse) .

وهي احدى علامات هبوط القلب . كما لاحظ باحثون آخرون زيادة احتقان الرئتين بالدم بعد شرب الكحول . وهى علامة أخرى على هبوط القلب .

التغييرات الكهربائية :

تؤدى التغييرات الكهربائية الى اضطراب نبض القلب وعدم انتظام ضرباته وهذه قد تؤدى الى الوفاة فجأة (Sudden death) أو تزيد من اعتلال عضلة القلب ..

وقد تظهر هذه الاضطرابات في كهرباء القلب حتى مع عدم وجود اعتلال واضح في عضلة القلب . اما الاضطرابات المصحوبة باعتلال عضلة القلب فتعتبر علامة لهذا الاعتلال وأحد مؤشراته .. وتحدث الاضطرابات في نبض القلب (Dysrythmia) سواء كانت أذينية أم بطينية . إما كعلامة أولى لحدوث اعتلال القلب الكحولي أو في نهاية المرض أو فيما بين ذلك .

وقد وصف اتينجر (Ettinger) نوبات اضطراب في نظم القلب (Paroxysmal Dysrhythmia) نتيجة الانغماس في الشراب أثناء

الاجازة .. وتحصل جميع أنواع اضطراب النظم القلبي ولكن أكثرها حدوثا هو الذبذبة الأذينية ـ Auricular Fibrillation

وقد أثبتت فحوصات رسم القلب وجود علامات اضطراب كبيرة تدل على اعتلال عضلة القلب ذاتها مثل زيادة طول فترة P — R وفترة QT مما يعني أن التوصيل الكهربائي في القلب متعثر Conduction Defect

وقد وجد أن جميع من يعانون من أي اضطراب في نظم القلب ولو كان ذلك بسيطا يواجهون مصاعب جمة ومضاعفات كبيرة اذا هم شربوا الكحول . إذ إن شرب الكحول يؤدى الى زيادة اضطراب نظم القلب والى استمراره

ويقول الدكتور : سجيل وزملاؤه

«إن الدراسات المتعددة قد أثبتت أن شرب الكحول ولو لمرة واحدة يحدث تغييرات ميكانيكية وكهربائية في وظيفة القلب .. وتزداد هذه التأثيرات وضوحا وحدة اذا كان متعاطي الكحول ولو لمرة واحدة مصابا بمرض في القلب سواء أكان ذلك المرض ناتجاً عن ادمان الكحول أم غيره من الاسباب » .

وتسبب الكحول العديد من أمراض القلب بعدة طرق :

فمنها ما تسببه نتيجة نقص بعض الفيتامينات مثل فيتامين ب١ (الثيامين) (Thiamine) وهو المرض المشهور باسم بـرى برى (Beriberi) ومنها ما تسببه نتيجة للتأثير السمى المباشر على عضلة القلـب مثـل اعتـلال عضلـة القلـب الكحـولي (Alooholic Cardiomyopathy) ومنها ما تسببه عن طريق زيادة دهنية الدم (Hyperlipideamie) وتصلب الشرايين ويؤدى ذلك بالتالى الى الذبحة الصدرية (Angina Pectonis) أو الى جلطة القلب (Coronary Thrombosis) .

كما أن منها ما يؤثر بطريق غير مباشر مثل فقر الدم الشديد الذى يصحب كثيرا من حالات الادمان . ومنها انخفاض ضغط الدم Postural Hypotension عند الوقوف والناتج من إصابة الجهاز العصبى التعاطفي Sympathetic Nervous system والذى يتحكم في انقباض الاوعية الدموية .. فاذا أصيب هذا الجهاز نتيجة شرب الخمور أدى ذلك الى فقد التحكم في انقباض الاوعية الدموية فيؤدى ذلك الى انخفاض ضغط الدم عند الوقوف من وضع الاستلقاء . ويؤدى هذا الانخفاض المفاجىء الى نقص في الدورة الدموية المغذية للمخ وللقلب فينتج عن ذلك إغماء وقد تكون السبب والبداية جلطة الاوعية الدموية للمخ فيسبب ذلك شللا ـ (فالج) ـ وجلطة في الاوعية الدموية للقلب (أي جلطة القلب) وقد يحدث ارتفاع في ضغط الدم نتيجة شرب الخمور ويؤدى الى مضاعفات عديدة على القلب والدماغ والكلى .

مرض البرى برى : (Beriberi)

وهو مرض مشهور وأكثر وقوعه في جنوب شرق آسيا وفي المساجين وأسرى الحرب ومدمنى شرب الخمور .

والسبب في ذلك هو نقص فيتامين ب١ (الثيامين) (Thiamine) الموجود في قشرة القمح وقشرة الارز وفي كثير من الفواكه والخضروات والحليب واللحوم . ويظهر هذا المرض عند من يعتمدون في غذائهم على الأرز المبشور أي بعد إزالة قشرته ويظهر عند أسرى الحرب لسوء تغذيتهم كما يظهر عند المسجونين وبين الفقراء في جنوب شرق آسيا بل انه يصيب الطفل الرضيع اذا كانت الأم تعانى منه فإن لبنها يصبح فقيرا في هذا الفيتامين وينتج عن ذلك الاصابة بمرض البرى برى .

اما مدمنو الخمور فيصابون بنقص هذا الفيتامين نتيجة للعوامل التالية :

١ ـ سوء التغذية الناتجة عن شرب الكحول .

فمدمن الخمر فاقد لشهيته نتيجة التهاب المرىء والمعدة المزمن ، كما أن تكرر القىء يفقد الجسم كثيرا من المواد الهامة ويضاف الى ذلك أن مدمن الخمور ينفق أمواله في شراء الخمر ولا يهتم بشراء الطعام الجيد .. وهكذا تتضافر العوائق المالية مع العوامل المرضية في تسبب سوء التغذية .

٢ ـ سوء الهضم والامتصاص :

ويضيف هذان العاملان عوامل جديدة لسوء التغذية .. فهضم الطعام سيء نتيجة التهاب المعدة وامتصاصه عسير نتيجة التهاب الأمعاء .. كما أن اصابة الكبد تجعل المخزون من الفيتامينات فيها قليلا جدا .

إن الكحول مادة ذات سعر حرارى عال وكل جرام من الكحول يطلق سبع وحدات حرارية ومن المعروف ان المواد الكربوهيدراتية ـ النشوية (Carbohydrates) تحتاج الى كميات وافرة من فيتامين ب١ حتى يمكن تمثيلها وتحويلها الى طاقة وماء وغاز ثانى أكسيد الكربون .

أما الكحول فإنه يحتاج الى أضعاف تلك الكمية من فيتامين ب١ (الثيامين) .

ونحن نعرف أن جلوكوز الدم (سكر العنب) تأخذه خلايا الجسم وتحوله إلى طاقة وماء وثانى أكسيد كربون عبر عمليات كيمائية معقدة (أكثر من أربعين معادلة كيمائية) . ويتحول الجلوكوز ضمن هذه العمليات المعقدة الى حامض البيروفيك (Pyruivic Acid) الذى يحتاج الى فيتامين ب١ لتحويله الى حامض الأوكسال استيك (Oxal Acetic) أو الى حامض الخليك (acetic acid) اللذين يدخلان في دورة كريب الهامة .

حامض البيروفيك فيتامين ب١ + ثانى اكسيد كربون ـــــ حامض الاوكسال استيك .

ونتيجة لنقص فيتامين ب١ في الجسم يزداد لذلك حامض البيروفيك في الجسم وفي الدم ويرتفع من نصف مليجرام في كل مائة سنتى من الدم الى مليجرامين في كل مائة سنتى من الدم وتزداد بذلك حموضة الدم . ويؤثر هذا بالتالي على انتاج الطاقة المطلوبة لعضلة القلب وهذا هو السبب في تأثرها .

ويحتاج الشخص البالغ الى مليجرامين من هذا الفيتامين بينما يحتاج الطفل الى مليجرام واحد .. وتزداد إليه حاجة الأم أثناء الحمل أو الرضاعة .

ويسبب نقص هذا الفيتامين الاضطراب الذى شرحناه في انتاج الطاقة من المواد النشوية (أي من جلوكوز الدم) على وجه الخصوص والذى هو الغذاء الأمثل للقلب والغذاء الوحيد للجهاز العصبى كمصدر للطاقة .

ان هذه العضلة العجيبة المعجزة تقوم بهذا العمل الجبار دون أن تشكو أو تئن طالما أنها تجد الطاقة الآتية من سكر الدم ـ الجلوكوز ولكن كما شرحنا كيف تعطل الكحول انتاج هذه الطاقة الضرورية جدا لعمل القلب الجبار . فتكون النتيجة أن يتضاعف عمل القلب بينما الوقود الموجود لأداء هذا العمل قد قل .. ويحاول القلب جاهدا أن يعوض النقص بأن يتمدد ويتضخم فتتضخم نتيجة لذلك عضلة القلب ويزداد وزنها الطبيعي (ثلاثمائة جرام) الى أضعاف ذلك .

وعندما نقوم بفحص عضلة القلب بالميكروسكوب ـ المجهر ـ نرى الخلايا العقلية للقلب متمددة وبها فراغات مليئة بسائل مائي كما نرى بعض الخلايا وقد استبدلت بألياف جامدة .

وعند فحص المريض نجد أن النبض سريع جدا كما نجد أن الفرق بين الضغط الانقباضي (Systolic B . P) والضغط الانبساطي Diasto-lic B . P كبير ونجد الاوداج منتفخة Jugular Venous Pressure كما نجد أقدام المريض متورمة بسبب الاوديما (Oedema) وعند الاستماع الى دقات القلب بالسماعة الطبية نسمع لغطا ـ (نفخة) ـ انقباضيا Systolic Murmer وهكذا نرى بوضوح أن المريض يعانى من هبوط القلب Heart Failure وتكون الكبد متضخمة كما وقد تكون البطن منتفخة بالاستسقاء .

وتصاب الكبد من عدة نواح نتيجة شرب الخمور ويضاف إلى ذلك الاحتقان الناتج من هبوط القلب .

وقد لوحظ أن كثيرا من هؤلاء المدمنين يموتون بسرعة مذهلة نتيجة هبوط القلب حتى في أرقى المستشفيات رغم العناية الطبية الفائقة وتحدث الوفاة احيانا خلال (٢٤) ساعة منذ بدء الأعراض وتعالج هذه الحالة بعلاج هبوط القلب المعروف أي الراحة التامة مع أخذ الدويجوكسن ومدرات

البول بالاضافة الى حقن المريض بفيتامين ب١ في الوريد أو في العضل .
وسرعان ما يشفى مريض البرى برى الناتج عن سوء التغذية أما مريض البرى برى الناتج عن إدمان الكحول فإنه قد لا يشفى لأن عضلة القلب قد تكون مصابة باعتلال آخر ناتج عن سمُية الكحول نفسه .

اعتلال عضلة القلب الكحولى :

: (Al coholic Cardiomyopathy)

تصاب عضلة القلب بالاعتلال نتيجة الآثار السمية للكحول وهذا النوع لا يشفى بإعطاء المريض فيتامين ب١ ، وذلك عكس مرض البرى برى الذى يشفى المريض بإعطائه فيتامين ب١ .
وتتضخم عضلة القلب وتتمدد الالياف العضلية كما نجد تحللا مائيا Hydropic Degeneration في خلايا القلب عند فحصها بالميكروسكوب (المجهر) ـ ونجد أن الفراغات بين الخلايا ممتلئة بالماء وهو ما يسمى الاودينا (Oedoma) كما نجد جلطات في جدار القلب من الداخل في كل من الأذين والبطين ويصحب ذلك في العادة تليف الكبد .
إن إدمان الكحول يؤدى الى اعتلال عضلة القلب الكحولي Alcohloic Cardiomyopathy وفي الغرب تعتبر (٥٠) بالمئة من جميع حالات اعتلال عضلة القلب المحتقن (Congestive Cardiomyopathy) ناتجة عن شرب الخمور وإدمانها .
ورغم أن الأشخاص يختلفون في تفاعلهم مع الكحول وتأثر قلوبهم به .. إلا أن أغلب المرضى يحتاجون لعدة سنوات (خمس الى عشر سنوات) من الشرب المنتظم لحدوث اعتلال عضلة القلب .
وهذا يختلف عن تليف الكبد حيث نجد أن التليف لا يحدث في الغالب الا بعد مرور ١٥ الى ٢٠ سنة من الاستمرار في شرب الكحول .
وقد أثبت ريجان في بحثه أن إعطاء مجموعة من الاشخاص الذين لا يعانون من أي مرض في القلب (١٦) أوقية من الويسكى يوميا لمدة خمسة أشهر ونصف أدت في غضون ستة أسابيع الى زيادة في سرعة نبض القلب والى زيادة في وقت الدورة الدموية والى زيادة في ضغط الدم الوريدي وبمرور (١٦) أسبوعا كانت هذه العلامات مصحوبة بخبب القلب ـ Gallop — rythem. وكلها علامات تدل على هبوط القلب .
وبمجرد التوقف عن شرب الخمور عادت الاوضاع المضطربة الى طبيعتها السليمة ودون إعطاء أي دواء .
وقد أثبتت الفحوصات المتعددة التى أجراها مجموعة من الباحثين كما تنقلها عنهم مجلة , Medical clinics of North America ١٩ Jan

أن شرب الكحول بانتظام يؤدى الى إصابة عضلة القلب وتظهر الاصابة بوضوح وخاصة في الاجازات Holiday Heart نتيجة زيادة كمية الشراب مما يؤدى الى هبوط القلب وحدوث اضطرابات شديدة في نبض القلب .. وحدوث ذبحات صدرية .. وربما جلطات في القلب .

وقد لاحظ الباحثون تضخم عضلة القلب وتمددها مع وجود عرقلة في توصيلات القلب الكهربائية Conduction Defects مع أوديما وانتفاخ وتتكرر في ألياف عضلة القلب .

وكل انواع الخمور تصيب القلب بالاعتلال ولكن أخطرها وأسرعها إحداث الوفاة هو الكحول المثيلي (كحول نشارة الخشب) .

وللأسف فإن هذا الكحول الموجود في مزيل الطلاء والذى يمكن صنعه من تقطير نشارة الخشب يضاف الى العرق « الخمر » في الاماكن التى تصنع فيها الكحول سرا . وقد حصلت منه وفيات عديدة في الولايات المتحدة أثناء المنع أي فيما بين عام ١٩١٩ ـ و ١٩٣٣ .

كما أننا شاهدنا حالتى وفاة من هذا الكحول اللعين .

وغالبا ما تحصل الوفاة خلال (٢٤ الى ٤٨) ساعة منذ بدء الاعراض . وقد تحصل الوفاة بنفس السرعة عند شاربي الخمور الاخرى التى ليس بها كحول مثيلي .

وقد اشتهر رجال قبائل البانتو (Bantu) في جنوب أفريقيا بشرب الخمور وتسمى هناك شراب الكافر (Kaffir Drink) ووجد أن عددا ليس بالقليل يصاب باعتلال عضلة القلب الكحولى كما أن كثيرا منهم يصاب بتليف الكبد .

وعند فحص المريض نجد تضخما في القلب ولغطا انقباضيا Systolic Murmer ولكن سرعة القلب والدورة الدموية أقل بكثير من سرعتها في مرض البرى برى الذى أفضنا في ذكره . بل إن عضلة القلب نتيجة للوهن الذى أصابها لا تستطيع ضخ كميات الدم المعتادة أي ثلاثمائة لتر في الساعة . بل تضخ أقل من ذلك وهذا ما يسمى هبوط القلب ذي الضخ القليل Low Output Failure عكس ذلك الهبوط الذى يحصل في مرض البرى برى الذى يضخ القلب فيه كمية هائلة من الدم High Output Failure وعند فحص النبض نجده مضطربا وبه ضربات زائدة Extrasystoles عكس تلك الموجودة في البرى برى اذ يكون النبض سريعا ومنتظما أما هنا فهو غير منتظم وقد يصاب القلب بذبذبة أذينية Auricular Fibrillation وقد يظهر اعتلال مفاجىء بعضلة القلب بصورة وباء عند من يشربون البيرة ونبيذ التمر .

كما يظهر ذلك عند شاربي نبيذ الطارىء وهو مشروب متخمر من شجرة تشبه النخلة وتوجد في أماكن متفرقة من العالم .

أما العلاج فيكون بالراحة التامة والتوقف عن شرب الخمور البتة

وأخذ علاج القلب المعروف لدى الأطباء مثل الديجوكسين ومدرات البول والأوكسجين .

ويعطى المريض غذاء جيدا غنيا بالبروتينات والفيتامينات وخاصة فيتامين ب١ الذى يعطى على هيئة حقن في الايام الأولى ثم على هيئة أقراص بعد ذلك .

دهنية الدم والكحول :

إن شرب الخمور يؤدى الى زيادة في دهنيات الدم فترتفع نسبة التراجلسريد (Triglycerides) وهي مادة دهنية تتكون بالتفاعل بين الجلسرين واحماض دهنية .

٣ أحماض دهنية + جلسرين (جلوين) = ثلاثي الجلسرين .

كما ترتفع نسبة الكوليسترول (Cholesterol) وذلك لأن شرب الخمور يؤدى الى زيادة كمية الدهون الممتصة من الأمعاء الى الكبد كما أن الكبد تفقد قدرتها على أكسدة الأحماض الدهنية وتحويلها الى طاقة فتتجمع هذه الاحماض على هيئة تراجليسريد باتحادها مع الجلسرول .

ورغم أن الزيادة في الكوليسترول هي من نوع الكثافة الثقيلة High Density الذى له فائدة في وقاية القلب من ضيق الشرايين الا أن المحصلة النهائية ليست في صالح القلب .

وتفقد الانسجة انزيمها الخاص بإزالة المواد الدهنية أو تعطل وظيفة هذا الانزيم (Lipoprotein Lipase) .

فيؤدي ذلك الى عدم قدرة الانسجة على تخزين الدهون .

ويصاب بعض مدمني الخمور بمرض زيف Zeive ,s Syndrome وهو مرض خطير لا يصيب سوى المدمنين .

وفي هذا المرض تظهر على المريض علامات فقر دم شديد نتيجة تكسر كريات الدم الحمراء في مجرى الدم وفي الطحال بكمية هائلة تفوق تلك التى تتحطم في الشخص الطبيعي مرات عديدة .

وينتج عن زيادة تحطيم كرات الدم الحمراء وما بها من خضاب (هيموجلوبين) (Haemoglobin) زيادة كبيرة في المادة الصفراء التى تتكون من عملية تحطيم الخضاب فتزداد هذه المادة الصفراء المسماة بيليروبين (Bilirubin) في الدم زيادة كبيرة مما يسبب اصفرار الجسم والملتحمة بالعينين ويكون لون البول شديد الصفرة بل ويضرب قليلا الى الحمرة .

وتتضخم الكبد وتكون مؤلمة عند اللمس ويشتكى المريض من ألم في الشق الايمن لاعلى البطن .

وترتفع دهنية الدم في هذا المرض ارتفاعا شديدا .

كما يصاب كثير من هؤلاء المرضى بالتهاب البنكرياس الحاد Acute Pancreatitis وهو مرض خطير يؤدى الى الوفاة .

علاقة ارتفاع دهنية الدم بتصلب الشرايين :

رغم أن الكحول تسبب ارتفاعا في الدهنيات الثقيلة High Denisty Lipoproteins والتى تعتبر من العوامل المضادة لتصلب الشرايين الا أن استخدام الكحول بهذا الغرض تكتنفه المخاطر المتعددة التى تصيب القلب . ولا يوجد أي طبيب يحترم مهنته ويعرف دقائقها وما كشف منها في السنوات الأخيرة ، لا يوجد أي طبيب يصف الكحول على أساس أنها علاج لضيق الشرايين أو الجلطات . بل على العكس من ذلك يؤكد الأطباء كافة على مرضاهم بالابتعاد عن الخمر لارتباطها بأمراض القلب . ويقول الدكتور ليبر إن الدهنيات الخفيفة هي التى تزداد بصورة كبيرة .

ولا شك أن شرب الخمور يرفع نسبة الدهون في الدم . وهذا بالتالى يؤدى الى ترسيب الدهنيات تحت الغشاء الداخلى للأوعية الدموية فيضيق الوعاء الدموي ومن ثم يؤدى الضيق الى الاختناق والجلطة .

وهكذا يتبين أن الخمور ربما تؤدى الى جلطات القلب والمخ والى تصلب الشرايين بصورة عامة .

وليست كما كان يظن في السابق حتى في الدوائر الطبية من أنها توسع الشرايين التاجية .

ورغم أن الخمور تساعد مؤقتا على تمدد الأوعية الدموية في الجسم عامة وعلى الأخص الأوعية الدموية المنتشرة تحت الجلد . الا انها تفقد هذا التأثير بالنسبة للشرايين التاجية المغذية لعضلة القلب .

فإذا جمعنا أثر الخمور مع أثر التدخين وهما مرتبطان ارتباطا وثيقا ، إذ اننا نادرا ما نجد من يشرب الخمر ولا يدخن أما العكس فقد نجده ـ فإن الامر يصبح خطيرا .

والتدخين بما فيه من مادة النيكوتين يسبب ضيقا شديدا في الاوعية الدموية عامة ويرفع ضغط الدم ويزيد وجيب القلب (ضربات القلب) وتتعاون المادتان الخبيثتان في تضييق الشرايين واحدة بترسيب الدهون كما هو في الخمر والثانية بانقباض في العضلة الموجودة في جدار الوعاء الدموى وهو ما تفعله السجائر .

وبهذه الصورة تكون الخمور وخاصة مع السجائر احد أهم الاسباب المؤدية الى الذبحة الصدرية (Angina Pectoris) ... وجلطة القلب (Coronary Thrombosis) .

وقد زادت جلطات القلب في العالم زيادة مرعبة وأصبحت أهم سبب للوفاة على الاطلاق ولم تقتصر على المتقدمين في السن كما كان ذلك في الماضى

بل انها صارت تصيب الشباب أيضا . وقد كان من أندر النادر أن تصاب امرأة شابة بجلطة القلب . أما الآن فلم يعد ذلك نادرا وقد رأينا نحن حالة من هذا النوع وكانت تلك المرأة الشابة المصابة قد تعلمت التدخين وهي في سن الخامسة . نعم في سن الخامسة من العمر وابتدأت تشرب الخمور عندما كانت في السادسة عشرة وانتهى بها الأمر الى الجلطة في سن السادسة والعشرين ولعل القارىء سيذهل إن قلت له : إن هذه المرأة لم نشاهدها في أوروبا وانما شاهدناها في بلاد عربية مسلمة .

وجلطة القلب هي السبب الرئيسي لموت الفجاءة إذ إن ستين في المائة من الوفيات الناتجة من جلطة القلب تحصل في الساعات الاولى من الاصابة وثمانين في المائة من الوفيات تتم قبل مضى أربع وعشرين ساعة على الجلطة .

ارتفاع ضغط الدم : (التوتر الشرياني)

ان شرب الكحول ولو بكميات قليلة بانتظام يسبب ارتفاعا في ضغط الدم . ويؤدى ذلك الى زيادة إفراز الكورتيزول والكاتيكول أمينس (Catechol amines) ولقد ذكرت المجلة الطبية لامريكا الشمالية أن الخمر تسبب ارتفاعا في ضغط الدم بمجرد شربها ولو مرة واحدة . وعزت ذلك الى زيادة في هرمون الرينين (RENIN) والالدسترون (Aldosterone) والكاتيكول أمينس .. وقد وجد أن التوقف الفجائي عن شرب الكحول لدى مدمن الخمر يؤدى أيضا الى هذه الزيادة المؤقتة في ضغط الدم ولكن هذه الزيادة تختفي بمجرد الاستمرار في التوقف عن الشراب .

ويؤدى ارتفاع ضغط الدم الى زيادة الاصابة بالسكتة الدماغية Strokes وإصابة الاوعية الدموية للدماغ والقلب على السواء . كما يؤدى ذلك الى اصابة الكلى إصابة مزمنة .

وتأثيرات ارتفاع ضغط الدم (التوتر الشرياني) في الجسم معروفة لاتحتاج الى زيادة تفصيل .

كتاب الشهر :

محمد الرسالة والرسول

للدكتور/ نظمي لوقا

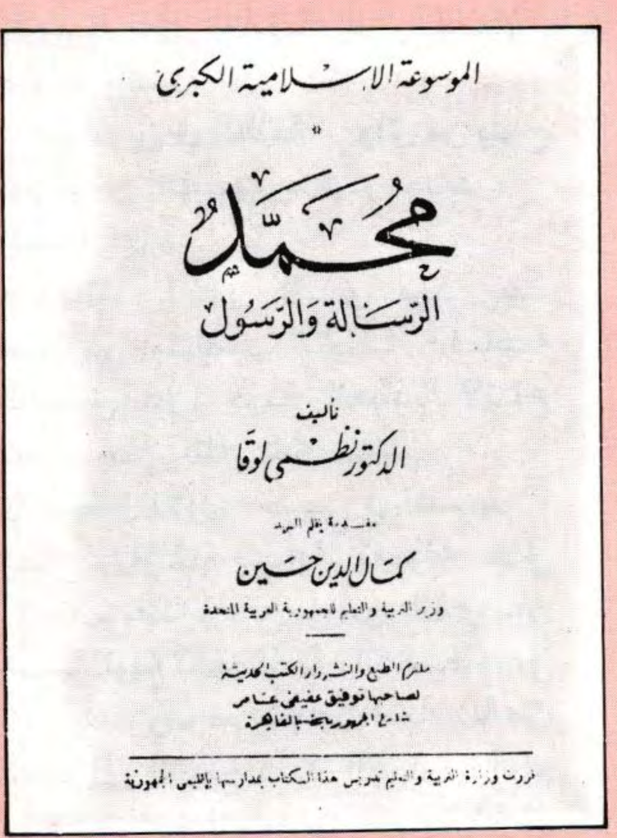
عرض وتقديم الاستاذ/ فاروق حسان

من يغلق عينيه دون النور .. يضير عينيه ولا يضير النور .
ومن يغلق ضميره وعقله دون الحق .. يضير عقله وضميره ولا يضير الحق .. فالنور منفعة للرائي لا للمصباح .
والحق منفعة واحسان الى المهتدي لا الى الهادي إليه ..
وما من آفة تهدد العقول البشرية كما يهددها التعصب الذميم الذي يفرض على أذهان اصحابه وسرائرهم ما هو أسوأ لذي البصر لأن الأعمى قد يبقى بعد فقد بصره إنسانا ، والأصم قد يبقى بعد فقد السمع إنسانا ، أما من اختلت موازين عقله أو موازين وجدانه ، حتى ما يميز الخبيث من الطيب ، فذلك ليس بانسان بالمعنى المقصود من كلمة إنسان .

بهذا التجرد المطلق ، وتلك الشفافية النافذة الكاشفة ، وذلك الميزان المستقيم الذي لا يعرف العوج ، قدم الدكتور نظمي لوقا كتابه :-محمد .. صلى الله عليه وسلم الرسالة والرسول-الذي صدرت طبعته الثانية ـ التي بين أيدينا الآن ـ عن دار الكتب الحديثة بالقاهرة في شهر اغسطس عام ١٩٥٩ ميلادية .

وللتاريخ نؤكد ان مصر الرسمية قد احتفت بالكتاب فقررت تدريسه على طلبة المدارس في ذلك الوقت .

ما من آفة تهدد العقول البشرية كما يهددها التعصب الذميم.


الموسوعة الاسلامية الكبرى

محمد

الرسالة والرسول

تأليف

الدكتور نظمي لوقا

مقدمة بقلم السيد

كمال الدين حسين

وزير التربية والتعليم للجمهورية العربية المتحدة

ملتزم الطبع والنشر دار الكتب الحديثة

لصاحبها توفيق عفيفي عامر

شارع الجمهورية بعابدين بالقاهرة

قررت وزارة التربية والتعليم تدريس هذا الكتاب بمدارسها بإقليمي الجمهورية

في « التعريف » الذي تصدر الكتاب ، كتب السيد / كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم في مصر في تلك الآونة :

كتاب عن محمد الرسول : .. صلى الله عليه وسلم .

خطرت فكرته على قلب مسيحي عربي يؤمن بالله ، ويؤمن بالعقل ، ويؤمن بالانسانية .. درس محمدا إنسانا .. ودرسه داعيا لدين ومرشدا لهدى .. ودرس دينه مرحلة من مراحل التطور الحضارى في المجتمع الانساني .. درسه نبيا ورسولا ، فآمن إيمان القلب والعقل بأنه نبي رسول .

أما الأستاذ فتحي رضوان وزير الارشاد القومي آنذاك ، والمحامي الكبير فقد كتب « تحية تقدير » في شكل خطاب الى المؤلف قال فيه :

« أرجو الا يتبادر الى ذهنك ان كتابك حفزني على تحرير هذا الخطاب لأنك أدرت فيه الحديث عن محمد نبي المسلمين وأنا مسلم وانت من المسيحيين ، فتأليف الكتب عن الاسلام من مسيحيين سبقك إليه كتاب من مسيحيي أوروبا وأمريكا ولم يروا في ذلك حرجا ، وإن كان فضلك أكبر من فضلهم جميعا إذ أن ما تذرعت به من شجاعة الاقدام على هذا العمل اكثر مما احتاجوا اليه بكثير ، فاختلاف الظروف والبيئات والملابسات يجعل من عملك شيئا أقرب الى المغامرة والمجازفة بالصلات والصداقات والمصالح .

الكتاب :

قسم الدكتور نظمي لوقا كتابه الذي يقع في (١٩١) صفحة من القطع

المتوسط الى ثمانية عشر فصلا ، صدره باهداء الى :
« السائرين في الظلمة .. والى من يلوح لهم - من انفسهم - فجر جديد »
وأيضا الى :
« المهاتما غاندي الذي مات بيد هندوسي متعصب نتيجة دفاعه الصادق عن حرية العبادة لأتباع محمد صلى الله عليه وصلم »
في الفصل الأول « صبي في المسجد » يحكي المؤلف بداية تعرفه على الإسلام عندما دفع به أبوه الذي كان شديد الولع بالفصاحة والفصحاء على حد قوله - وهو لم يتجاوز السادسة من عمره الى الشيخ سيد البخارى إمام مسجد مدينة السويس عام (١٩٢٦) ميلادية ليقوم لسانه بالقرآن الكريم ويهذب نفسه بعيون الشعر والمعلقات .. وأين ؟؟ في المسجد بعد ان يؤم الشيخ صلاة المغرب .
والواقع أن تصرف الأب كان مثيرا للحيرة والارتباك ، فالمدينة كلها تعرف ان له : (أرومة معرقة في صناعة القسوس ، فكم له من جد من ذوي الطيالس والعمائم السود)ص(٣١) وهو - أي الأب بتصرفه الغريب قد وضع نفسه وولده في موقف لايحسدان عليه من النصارى والمسلمين على حد سواء .
ولم يهتم الفتي كثيرا ، إذ كان مبهورا بهذا الشيخ الذي كان يحفظ - رغم فقده لبصره - أشهر دواوين العرب وعيون الخطب .
وبدأ الفتى يحفظ القرآن الكريم ، ويقف عند كل آية ويملي عليه الشيخ موجزا لتفسيرها ، ثم يملي عليه ما يتطرق الى ذهنه الخصب بصددها من الأمثال السائرة والشعر المشهور .
وهمس الهامسون في آذان والديه : كيف تخاطران بالولد هذه المخاطرة ؟؟ الا تخشيان أن يفتنه الشيخ عن دين آبائه ؟؟
ووجد الهمس آذانا صاغية ..
فأخذا يرسلانه كل أسبوع الى الكنيسة حيث استعصى من أسرار العقيدة على ذهنه - كما يعترف - ما استعصى ، وعندما ناقش ، قيل له إن الامعان في التفكير يسوق الى الكفر ، وأن المناقشة سبيل الشك .
وهرع الفتى الى شيخه يلتمس العون ويحرج الشيخ بيد أنه يحدثه عن العقل وأنه الإمام الأكبر الذي أنعم الله به على خلقه وأن الدين المتين يقوى بالتفكير والتعقل وان اليقين الذي لا يصمد للشك يقين زائف ..
ويضيف الشيخ :
اقرأ كتابك بنفسك ، واحتكم الى عقلك ص(٤١)
ويرحل الفتى عن مدينة السويس بعد أن بلغ العاشرة ، وبعد ان حفظ القرآن الكريم ووعى اللزوميات والمعلقات وديوان الحماسة ، ولم يرُ شيخه بعدها،لكنه ظل قائما في عقله ونفسه .
في الفصل الثاني « الآية الكبرى » والثالث « دين شعب » والرابع « دين قلب » والخامس « دين البشر » يستعرض الكاتب الموسوية والمسيحية ثم الاسلام .
- يقول عن الموسوية (اليهودية) إنها دين خاص لبني إسرائيل ، اختص به شعب معين دون سائر الشعوب ، فهو

اذن ليس الدين الذي يهتدي به الناس كافة ويجدون فيه حاجتهم الفطرية الى العقيدة .

ويستعرض الدكتور نظمي لوقا تاريخ بنى اسرائيل قبل رسالة موسى عليه السلام حيث كانوا قوم أوثان وتعدد وتجسيم ، وقد التصقت بهم صفة الوثنية حتى بعد بعث سيدنا موسى فاستعاضوا عن الأوثان بالهياكل ، وبدلا من أن يقدموا القرابين للأوثان قدموها الى الإله الواحد .. إله اسرائيل . ولأن عقيدة التوحيد والتنزيه قد صارت الى قوم تملأ قلوبهم المنافع والحرص على الدنيا ، فقد تحولت على أيديهم الى مادية بحتة لا وجود لسواها، وتقلص اهتمامهم بالدين الى دائرة ضيقة هي التشريع في المعاملات وطقوس تعبدية في مقابل مؤازرة على عدو أو زيادة في إدرار الرزق .

ـ أما المسيحية كما يستطرد المؤلف. فقد كانت طورا طبيعيا للانسانية التي كانت في حاجة الى عقيدة روحية لاتدعو الى التوحيد والتنزيه فحسب بل الى جعل الله المعشوق الأسمى الذي يتجه إليه وجدان كل انسان فيتلاشى من قلبه حب كل معشوق سواه .

ويضيف المؤلف :

وأعني بالمسيحية هنا ما جاء به المسيح من نصوص كلامه ، لا ما ألحق بكلامه وسيرته من التأويل (ص ٥٨) .

وهكذا ، تشتد حاجة الانسانية الى عقيدة جديدة يجتمع إليها العقل والقلب معا ، عقيدة تؤكد وحدانية الله توكيدا يقضي على عقابيل التعدد في تصور الاله حتى لا ينزلق الناس الى « التجسيم » الذي طالما وقعوا فيه بعد كل دعوة للتوحيد بسبب غلبة الحس عليهم .. عقيدة تكون للناس كافة ، لا فرق بين شعب وشعب ولا بين جيل وجيل .. عقيدة تربط الانسان بالدنيا والآخرة ، بالله والانسان ، عقيدة تجعل الناس أمة واحدة لأنها دين البشر أجمعين .. وهذا ما جاء به الاسلام .

« **قل هو الله أحد ● الله الصمد** » .

لا شائبة من ريب في وحدانية الله سبحانه .

« **لم يلد ولم يولد ● ولم يكن له كفوا أحد** »

نسف من الجذور لعقائد الشرك ، وتصحيح في نفس الوقت لعقائد أهل الكتاب .

ويستمر استشهاد مؤلف كتاب : محمد .. الرسالة والرسول في الفصل السادس « الله » بآيات من القرآن الكريم تؤكد وحدانية الخالق ، المدبر ، القادر ، الأول والآخر ، الظاهر والباطن ، العالم بما تخفى الصدور ، الحي الذي لا يموت ، الغفور ، الودود الذي لم يخلق الكون ثم نفض يده منه وإنما جل شأنه بكل شيء محيط »

وفي فصل « الانسان » يتعرض المؤلف لموقف الانسان بعد المسيحية ، ذلك الموقف الذي لم يكن يحسد عليه بسبب ما التصق به من وزر أبيه الأول آدم عليه السلام ، ذلك الوزر الذي اعتبر خطيئة باقية موروثة لا بد لها من كفارة وفداء حتى لا يذهب بجريرتها أبناء الجنس البشري كله .

ويستعيد المؤلف الرعب الذي احتواه عندما سمع عن الخطيئة الاولى لآدم بإيعاز من حواء ، والعذاب الرهيب الذي كان ينتظر البشرية لولا نجاتها على يد المسيح الذي فدى البشر بدمه الطهور .

« وإن أنس لا أنس القلق الذي ساورني وشغل خاطرى عن ملايين البشر قبل المسيح ، أين هم ؟؟
وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة » ص ٧٥ .

ويخلص الكاتب الى انه كان لا بد من عقيدة ترفع هذه اللعنة عن كاهل البشر وتطمئنهم الى أن العدالة لا يمكن ان تأخذ البرىء بالمجرم ، أو تزر الولد بوزر الوالد حيث لا يمكن ان يقدر ـ كما يقول المؤلف ـ قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال المرء ، فيمضي في حياته مضى المريب المتردد ولا يقبل عليها اقبال الواثق ـ بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث .

« فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم »
« وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا »
« سخر لكم ما في السموات »
« سخر لكم ما في الأرض »
« لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم »

« وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ».
« إعلاء لشأن الانسان وإطاحة بعقدة الذنب التي جاءت بها المسيحية المؤولة

« قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى » لا تأليه ولا شبهة تأليه وهذه مسألة كما يقول الدكتور نظمى لوقا ـ كانت تحتاج الى توكيد وحسم بعد ان تعرض الرسل قبل الاسلام الى الربط بينهم وبين الالوهية بسبب من الأسباب ، أو بنسب من الأنساب .
« ليس لك من الأمر شيء »
« فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمصيطر »
« وما أنت عليهم بجبار »

« قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله »
ويقف المؤلف كثيرا أمام تلك الآية من سورة الأعراف ، ويستعرض تاريخ الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه والأذى الذي لحقه من جراء رسالته دون أن يملك لذلك دفعا ، والموت الذي تخطف فلذات أكباده تدليلا للبشر على ان الرسول ليس له امتياز على سائر الخلق .

وينهي المؤلف فصل « النبوة » مقرا بأن ذلك،بالقطع،هو الطور الأخير من اطوار العقيدة الالهية ، تنزيه لله سبحانه وتعالى ، وبشرية للنبي الكريم بعيدا عن الكهنوت والسحر . ومخاطبة للعقل المجرد بعد ان تسلم قياد نفسه . وابلاغ للناس كافة : احمرهم وأسودهم ، وخصوصية لا يختص بها الا الاسلام من حيث هو اتمام لما سبق ، ومتابعة للبشر في اطوار نضجهم بما يناسبهم من الهداية والاصلاح .

(وبسبب من طبيعة الرسالة ، ومن الحاجة الطبيعية للناس اليها .. كان

من الطبيعي ان يكون هذا الرسول خاتم الرسل ، لأن رسالته كانت خاتمة الرسالات) ص ٥٣

وفي الفصلين التاليين « حواء ، « الزواج » .. يقارن المؤلف بين وضع المرأة قبل الاسلام وبعده،كيف اعاد لها الاسلام آدميتها المستلبة حين كانت تباع كالسلعة ..

كيف أعاد لها أهليتها وقت ان كانت لا تمارس التصرفات المالية والقانونية الا عن طريق وليها الشرعي او بموافقته .

كيف أعاد لها شخصيتها عندما أعطاها الحق في أن تزوج نفسها .

كيف أعطاها حق الميراث حين رفع عنها ذلك الغبن الفاحش الذي تطبقه بعض الأمم القديمة والحديثة أيضا ..

وأهم من ذلك كله .. كيف منحها حق الحياة نفسها ، في الوقت الذي كانت فيه قبائل العرب في الجاهلية تئد البنات كرها لهن وازدراء لشأنهن .
.. كل ذلك يقدمه المؤلف مستشهدا بآيات من القرآن الكريم تؤكد تلك الحقوق وترسخها وتعلن للكافة أننا بالفعل أمام عقيدة كل العصور ..
ولا يترك الدكتور نظمي لوقا مؤلف كتاب : (محمد الرسالة والرسول) موضوع المرأة في الاسلام دون أن يدحض ما يدعيه أعداء الاسلام تجاه الطلاق وتعدد الزوجات ، وينتهي الى أن :

(رخصة الطلاق دواء مر المذاق ، أو جراحة موجعة ، وليس من عاقل يلغي التداوي ، أو يحرم الجراحات كراهة للآلام) ص ١١٧ .
ويضيف صافعا من ينعون على الاسلام أخذه بشريعة الطلاق بأن أمم الغرب المسيحية قد أخذت بتلك الشريعة بعد أن عادت الى صوابها .
وينهي المؤلف فصل « **الزواج** » بأسباب عدم جواز زواج الكتابي بالمسلمة في حين أباح الاسلام زواج المسلم بالكتابية ، مدللا على ذلك باعتراف الاسلام باليهودية والمسيحية ، في حين جرى تقدير رجال الدين عند اليهود والنصارى على انكار الاسلام ، وبذلك تكون المسلمة غير آمنة على دينها في كنف الكتابي .
في الفصول الثلاثة التالية « **مع الناس** » «**مع الله**» ، « **برح الخفاء** » يستعرض المؤلف ما جاء به الدين الحنيف تنظيما لأمور الدنيا من غير اضرار بالناس مع الحرص على مصالح الجماعة والتعاون على البر والتقوى ، وابتغاء الرزق بالعمل وكفالة المتعطل والعاجز بالزكاة،وترفع عن الترف والاسراف حتى لا تستنيم الروح لشهوات الجسد ، ثم ينتقل الى الصفح والعفو ومحو الثأر والشحناء ، والتواضع وتحريم الخيلاء ، والزواج وتحريم الزنا ، وتضييق زواج الجاهلية وجعله أربعا فقط مع الحض على زواج واحدة ، وفرض الأخوة والمساواة والغاء العصبية والاستعلاء بالنسب والجاه ، وتحريم الخمر والفسوق والميسر والعدوان على الحقوق

والاعراض .. والمسلم في ذلك كله لا يتلهى بالدنيا عن ذكر الله سبحانه وتعالى فالصلاة التي تتكرر جملة مرات في اليوم لايلهى عنها بيع ولا شراء لَسَبَبُ قوى بين الانسان وربه ، وكل أرض الله طاهرة تصلح مسجدا ، لا هياكل . ولا كهانة ، ولا وسطاء بين الله والانسان بعد اليوم .
أما الفصول الثلاثة قبل الاخيرة : «**شجاعة الايمان**» «**لا ادعاء**» «**الجهاد الاكبر**» فيخصصها الدكتور نظمي لوقا لسيرة رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه قبل الدعوة حيث كان موفور الرزق والكرامة والأمان بين قومه ، وبعدها حيث استحالت الى ضيق وشظف وازدراء لعل المعنوي منها اقسى من المادى ، ولعل جرح النفس فيها اعتى من الضرب والايذاء البدني .. ورغم ذلك لم يساوم ولم يهادن :
ياعم .. والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الأمر حتى يظهره الله او اهلك فيه ما تركته .
وعندما أيده الله بنصره لم يفتن ولم يغتر ، وظل على زهده الى أن توفاه المولى ودرعه مرهونة عند يهودي .
وينهى المؤلف كتابه بفصل « **لا بد مما ليس منه بد** » وأرى لزاما عليّ ان اعرض هذا الفصل كاملا فأى تلخيص له قد يخل بمعناه ومبناه حيث انه التقديم الحقيقي لنفسه حتى يعى كل من له عقل وليتطامن كل من يجد في الكبر مهربا ، فالحق أحق أن يتبع .
يقول المؤلف :
ماذا بقى من مَزْعَمَ لزاعم .
إيمان امتحنه البلاء طويلا قبل ان يفاء عليه النصر ، وما كان النصر متوقعا او شبه متوقع لذلك الداعي الى الله في عاصمة الأوثان والأزلام ..
وعقيدة جاءت في طورها الطبيعي ، ملبية حاجة الانسان الطبيعية موفقة بين دينه ودنياه ، ومتلافية تلك القسمة المقسمة بين الروح والبدن ، في السر والعلن ..

ونزاهة ترتفع فوق المنافع ، وسمو يتعفف عن بهارج الحياة ، وسماحة لا يداخلها زهو او استطالة بسلطان مطاع ..

لم يفد ولم يورث آله ولم يجعل لذريته وعشيرته ميزة من ميزات الدنيا ونعيمها وسلطانها ، وحرّم على نفسه ما أحل لآحاد الناس من اتباعه ، والغى ما كان لقبيلته من تقدم على الناس في الجاهلية ، حتى جعل العبيد والأحابش سواسية وملوك قريش .. لم يمكن لنفسه ولا لذويه ، وكانت لذويه بحكم الجاهلية صدارة ، فسوى ذلك كله بالأرض ..
أي قالة بعد هذا تنهض على قدمين لتطاول هذا المجد الشاهق او تدافع هذا الصدق الصادق ..
لا خيرة في الأمر ..
ما نطق هذا الرسول عن الهوى ..
لا خيرة في الأمر ..
ما ضل هذا الرسول وما غوى ..
لاخيرة في الأمر ..
وما صدق بشر إن لم يكن هذا الرسول بالصادق الأمين ..
فسلام عليه بما هدى من سبيل ، وما

قوم من منهج ، وما بين من محجة .. وسلام على الصادقين (١٩٠ - ١٩١)

ترى .. ماذا بقى بعد للمرجفين ؟؟ في اعتقادي لاشيء بعد ان خرج من بينهم وبمحض اختياره من تجرد من زيف الدنيا وصاح صيحة الحق .

وسبحانه جل شأنه حين يقول في سورة آل عمران « **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم** »

صدق الله العظيم

خاتمة :

بعد ذلك العرض الذي تعمدت أن يكون مطولا الى حد ما بالنسبة الى فصول معينة توخيا لعدم اجتزاء ما طرحه الكاتب - معترفا - بفضل هذا الدين الحنيف ، أو أن اضيف ما تردد وقت صدور هذا الكتاب من ان مؤلفه الدكتور نظمي لوقا استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة قد أشهر إسلامه ، وما تردد بعدها وما أكده الكاتب نفسه بعد ذلك بواحد وثلاثين عاما في كتابه « أنا والاسلام » الذي صدر في القاهرة خلال العام الماضي - من أنه مازال متمسكا بنصرانيته .

وسواء كان هذا او ذاك ..

يبقى الكتاب بين أيدينا وثيقة مضيئة نقية لكاتب عرف الحق فأعلنه ، وان كانت الشجاعة قد خانته ولم يقدر على الانضواء تحت لوائه ربما لارتباطاته الدنيوية من زواج وأبناء .. فذلك أمر يخصه وحده .

اخيرا ..

لا أجد ما انهى به هذا العرض سوى أن أستعير الجملة التي انهى بها المؤلف كتابه : وسلام على الصادقين .

شعراء الإسلام

سابق البربري

شاعر عمر بن عبد العزيز

للاستاذ / منذر الشعار

سابق البربري شاعر من أهل الوعظ والحكمة والتقوى . اسمه الكامل : سابق بن عبدالله ، وكنيته أبو سعيد . وقال أكثر العلماء . ليس سابق بربريا ولكنه لقب لقبه . كان في الشام زمن عمر بن عبد العزيز ، وكان يفد عليه فيسمع منه عمر ويستنشده . بينما كان يعرض عن الشعراء قاطبة .

وذكر سابق البربري هو في جلة من كتب العرب والمسلمين . فذكره البغدادي في خزانة الأدب ، وابن الأثير في (اللباب) ، وكذا ذكره وشعره (تهذيب ابن عساكر) ، وذكره الجاحظ في (البيان والتبيين) ، وابن الجوزي في كتابه عن مناقب عمر بن عبد العزيز ، وذكره ابن المعتز في كتابه (طبقات الشعراء) ، وله ذكر متفرق في غير هذه الكتب كالحماسة المغربية للجراوي .

وإن أجل من ذكره من العلماء المحدثين الاستاذ الشيخ (عبدالله كنون) ، في مقالة ضافية لها ذيلان ، نشرها عام ١٩٦٩م في مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق : المجلد ٤٤ ج ١ ، ٢ شهر كانون الثاني . جمع فيها شعر سابق المتفرق في الكتب . فبلغ مائة وتسعة وستين بيتا ، فكانت من عيون شعر سابق والعرب وقد كان لسابق البربري ديوان شعر ، يبدو ان الذي جمعه هو القاضي ابوبكر بن العربي الاندلسي صاحب كتاب (العواصم من القواصم) ، لكن الديوان ضاع ، فيما ضاع من تراثنا الضخم ، وبقيت من أشعار سابق « شذرات » هي ما جمعه الاستاذ

الشيـخ عبدالله كنون في مقـالته الضافية بمجمع دمشق المشار اليه .

وقد مر ان أغلب العلماء ينفون عن سـابق انه بـربري . ويـرون لفظ (البربري) أنه مجرد لقب لحق به ، ويجعلون سابقا من موالي بني امية ، وتابعهم على ذلك الأستاذ خير الدين الـزركلي ، رحمـه الله ، في معجم الأعلام الضافي الذي صنعه ، لكن الاستاذ عبدالله كنون يرى ان سابقا بربري حقـا ، سبي او أتى أهله لدمشق فوالوا بني أمية ، والوليد بن عبدالملك منهم ، في أثناء الفتوحات العظيمة التي قام بها المسلمون في زمن الأمويين في بلاد المغرب ، ثم رجح عبدالله كنون ان يكون البربر عربا ، وهو رأي بعض علمائنا الماضين ، يقولون : إن البربر في شمالي افريقية إنما يرجعون في نسبهم إلى بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار ، وبر هذا نزح عن جزيرة العرب وغاب عن أهله حتى بلغ افريقية ، فاستقر بها ، وتغيرت لهجته لذلك . وخرج من نسله أهل افريقية . فلما مرت الحقب ودخل العرب المسلمون فاتحين على البربر رجع البربر إلى أصولهم وتعلمـوا العربية فبرزوا بها لانها كانت لغة آبائهم من قبل ، ومما يقوي هذا الرأي ، أن كتبنا تذكر أبياتا لتماضر بنت قيس عيلان ، أخت بر ، تذكر بعده عن وطنه ، لما جاءها نعيه فرثته ، وهي :

كـأني وبـرا لم تعـزّ ديـارنـا
بنجد ولم نقسم نهابـا ومغنما
وشطت ببـر داره عن بـلاده
وطـوح بـر نفسـه حيث يممـا
وأزرت ببـر لكنـة أعجميـة
وما كان بر في الحجاز بأعجما

وكان سابق البربري معدودا في تابعي التابعين ، وقد أخذ عن مكحول الدمشقي ، عالم الشام ، وأخذ عنه الأوزاعي ، فقيه الشام ، كما ذكر سابقا البربري البخاري في بعض اسانيده . فجاء عنده :

(قال سابق البربري ، روي عنـه الأوزاعـي ، مـرسـل ، يـعـد في الشاميين) . ذكر ذلك ابن عساكر في تهذيبه ، كما جاء في أحد أسانيد ابن عسـاكر عنـه : أخبرنـا سابق بن عبدالله ، وكان من البكائين .

وقد ذكر ابن عساكر الأحاديث المروية عن سابق وهي :

١ ـ حديث « كان النبي صلى الله عليه وسلم يوتر من اول الليل ووسطه وآخره ثم ثبت له آخر الليل » .

٢ ـ حديث « الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك مشتبهات فمن رتع فيهن فمن أن يأثم ومن اجتنبهن فهو أرفق بـدينه ، كـالمرتعي إلى جنب حمى ، ومن ارتعى إلى جنب حمى فيوشك أن يقع فيه ، ولكل ملك حمى ، وحمى اللـه عز وجـل في الارض الحرام » .

[هذا الحديث مروي بغير هذا اللفظ من طرق أخرى ليس فيها سابق ، وإنما الذي فيه سابق هذا لفظه] .

٣ ـ حديث « إذا مدح الفاسق غضب الله عز وجل » وفي رواية « إذا مدح الفايسق اهتز العرش وغضب له الرب عز وجل » .

[هذا الحديث ، تكلم فيه ابن عدي ، احد علمـاء الحديث، عـلى

الرواية الأولى ، وقال « إنه مروي عن سابق بن عبدالله عن أبي خلف عن انس بن مالك رضي الله عنه ، فأبو خلف هذا لا يعرف » لكن في الرواية الثانية عرف الراوي أبا خلف بأنه خادم أنس بن مالك رضي الله عنه .

ولقد وقع اختلاط عند العلماء في سابق البربري يتبين منه انه :

١ ـ إما أن يكون ثلاثة من الرجال كل منهم اسمه سابق : فواحد يقال له سابق البربري ، وثان يقال له سابق الرقي ، لسكناه الرقة في أعلى الشام (وهي الآن في سورية) وكان قاضيا بها ، وثالث يسمى سابق بن عبدالله ، محدث .

٢ ـ وإما أن يكون الثلاثة هؤلاء رجلا واحدا هو سابق البربري ، الرقي ، ابن عبدالله . وهذا ـ كما يبدو من سرد الذين ترجموا له ـ ولا سيما الاستاذ عبدالله كنون ـ هو الاظهر الاصح .

وكان شعر سابق البربري نهاية في الجودة ، وحسن السبك ، وصفاء الرونق ، وكان كله في الزهد والمواعظ والتذكير بالآخرة والحكمة الراقية ، من ذلك هذه القصيدة ، التي أرسلها في رسالة إلى عمر بن عبدالعزيز رحمه الله من الرقة :

بسم الذي أنزلت من عنده السور
الحمدلله ، أما بعد يا عمر
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر
فكن على حذر قد ينفع الحذر
واصبر على القدر المجلوب وارض به
وإن أتاك بما لا تشتهي القدر
فما صفا لامرىء عيش يسر به
الا سيتبع يوما صفوه الكدر
إن التقى خير زاد أنت حامله
والبر أفضل شيء ناله البشر
من يطلب الجور لا يظفر بحاجته
وطالب الحق قد يهدى له الظفر
وفي الهدى عبر تسقى القلوب بها
كالغيث ينضر عن وسميه الشجر
ما يلبث الشيء ان يبلى اذا اختلفت
يوما على نقصه الروحات والبكر
والمرء يصعد ريعان الشباب به
وكل مصعدة يوما ستنحدر
كم من جموع أشت الدهر شملهم
وكل شمل جميع سوف ينتشر
وكم من آصيد سامي الطرف معتصب
بالتاج نيرانه للحرب تستعر
يظل مفترش الديباج محتجبا
عليه تبنى قباب الملك والحجر
قد غادرته المنايا وهو مستلب
مجدل ترب الخدين منعفر
أبعد آدم ترجون البقاء وهل
تبقى فروع لأصل حين ينقعر
إلى الفناء وإن طالت سلامتهم
مصير كل بنى أنثى وإن كثروا

ولسابق البربري أبيات رائعة في الحكمة والتربية ، كقوله :

فللموت تغذو الوالدات سخالها
كما لخراب الدهر تبنى المساكن

أخذه أبو العتاهية ، فقال :

لدوا للموت وابنوا للخراب
فكلكم يصير إلى تباب

وروي ابن عبد ربه في العقد ان هذا البيت إنما أخذه سابق البربري من حادثة ، وهي ان عبدالعزيز بن زرارة ، وفد على معاوية رضي الله عنه مع ابيه ، وكان زرارة أبوه سيد اهل الكوفة ، فذهب عبدالعزيز للجهاد مع يزيد بن معاوية ، في الصائفة فهلك

هناك ، فكتب يزيد الى معاوية ، فقال معاوية لزرارة ابيه ،أتاني اليوم نعي سيد شباب العرب ، فقال زرارة : يا سيدي هو ابني او ابنك ، فقال معاوية إنه ابنك ، قال : للموت ما تلد الوالدة، اخذه سابق البربري فقال :

فللموت تغذو الوالدات سخالها
كما لخراب الدهر تبنى المساكن

ومن أبياته الحكيمة قوله :

إن عبت يوما على قوم بعاقبة
امرا أتوه فلا تصنع كما صنعوا

كرره فقال في قصيدة اخرى :

إذا عبت أمرا فلا تأته
وذو اللب مجتنب ما يعيب

وهذا هو معنى البيت المشهور :

لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك اذا فعلت عظيم

وهذا البيت نسب إلى أبي الاسود الدؤلي ، وإلى المتوكل الليثي وإلى سابق نفسه ، وإلى الاخطل ، والطرماح . وللمعري ابي العلاء في معناه قوله في اللزوميات .

إذا فعل الفتى ما عنه ينهى
فمن جهتين لا جهة اساء

ومن شعر سابق البربري هذان البيتان اللذان يصلحان ان ينقشا على جدار كل صرح تربوي في العالم :

قد ينفع الأدب الابناء في صغر
وليس ينفعهم من بعده الأدب
إن الغصون اذا عدلتها اعتدلت
ولايلين وإن لينته الخشب

وروى ابن ابي الدنيا عن ميمون بن مهران قال دخلت على عمر بن عبدالعزيز وعنده سابق البربري وهو ينشده شعرا ، فانتهى في شعره الى هذه الأبيات .

فكم من صحيح بات للموت آمنا
أتته المنايا بغتة بعدما هجع
فلم يستطع إذ جاءه الموت بغتة
فرارا ولا منه بقوته امتنع
فأصبح تبكيه النساء مقنعا
ولايسمع الداعي وان صوته رفع
وقرب من لحد فصار مقيله
وفارق ما قد كان بالأمس قد جمع

ومن شعر سابق الجميل البليغ :

لاتدفعن لجوجا حين تزجره
إن اللجوج له في الدفع إغراء
وأغض في حسن عفو عن بوادره
فالحر فيه عن الآفات إغضاء
لاتظهرن لذي جهل معاتبة
فربما هيجت بالشيء أشياء
فالماء يخمد حر النار يطفئها
وليس للجهل غير الحلم إطفاء
وكيف يأمن ريب الدهر مرتهن
بعدوة الدهر إن الدهر عداء
ألقى على الجيل من عاد كلاكله
وقوم هود فهم هام وأصداء

ويتبين من البيت الاول ـ هنا ـ ان الشاعر أبا نواس قد اخذ من هذا البيت لسابق بيته المشهور ..

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء

وإن كان توارد خواطر فلسابق السبق ، في معنى عدد من روائع ابي نواس

واما قول سابق : فالحر فيه عن الآفات إغضاء،هذا كان فعل سادات العرب ، قال معاوية رضى الله عنه : السّرْوُ التغافل ، وقال : اني لأجر ذيلي على الخدائع .

وفي أغاني أبي الفرج ، في أخبار الشاعر اعشى همدان ، قال : حدثنا ابـو غسان قـال : قـال عمـر بن عبدالعزيز يوما لسابق البربري ودخل عليه : انشدني ياسابق شيئـا من شعرك تذكرني به ، فقال : اوخيرا من شعري ، فقال هات . قال : قال أعشى همدان ..

وبينما المرء أمسى ناعما جذلا
في اهله معجبا بالعيش ذا أنق
غرا أتيح له من حينه عرض
فما تلبث حتى مات كالصعق
ثمة اضحى ضحى من غب ثالثة
مقنعا غير ذي روح ولا رمق
يبكي عليـه وادنـوه لمظلمـة
تعلى جوانبهـا بالتـرب والقلق
فمـا تزود ممـا كان يجمعـه
الا حنوطا وما واراه من خرق
وغـير نفحة اعـواد تشب لـه
وقـل ذلـك مـن زاد لمنطلـق

القلق: اللبن :

فهذا يدل على سمو نفس سابق ، وانصافه لنفسه وغيره ، فقد طلب منه الخليفة أن ينشده من شعره مع ان الخليفـة منصرف عن الشعـراء ، يستفـزه هذا عن ان يقـول الحق وينصح للخليفة لانه علم ان الخليفة انما يريد الموعظة والتذكير بالاخرة فهذه هي البضاعة التي تنفق عنده ، وكان معه يومئذ شعر لغيره صالح لهذه المناسبة التي عرضت فلم يحجبه حبه لنفسه ان يعرض شعر غيره فذكر شعر أعشى همدان في موضوع أخروى يذكر بالموت وانقضاء الحياة

ومن منتخبات شعر سابق البربري قـولـه في الاغضـاء عن هفـوات الصديق :

اذا ما كنت طالب كـل ذنب
ولم تحلـل أخاك عن العتـاب
تبـاعد من تبـاعد بعـد قرب
وصار بك الزمان الى اجتناب

وهذا معنى شريف طرقه بعد سابق كل شاعر حكيم ، فهذا بشار بن برد يقول :

اذا كنت في كـل الامور معـاتبا
صديقك لم تلق الذي لاتعاتبـه
فعش واحدا أو صل أخاك فإنه
مقـارف ذنب مـرة ومجـانبـه
اذا انت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

وقال كثير عزة :

ومن لايغمض عينه عن صديقه
وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبـع جاهـدا كل عثـرة
يجدها ولايسلم له الدهر صاحب

وكـان النابغـة الذبيـاني قـال في الجاهلية :

ولسـت بمستبق اخـا لا تلمـه
على شعت أي الرجـال المهذب

ولكن يتضح من كل هذا ان بيت النابغة اخص واوجز وبيت سابق البربري اعم وابين لغرض الاغضاء عن عثرات الصديق ، وعلى نهجه سار من بعده . وكان شعر سابق البربري نـافقا عنـد العلية ، مطلـوبـا من الصالحين وقد روى العلماء خبرا عن محمد بن مصعب القرقشاني ، وهو من علماء الحديث ومشايخ العلم ، فروى ابن عبدالبـر عن ابن ابي الحناجر الانصاري قال : كنا على باب محمد بن مصعب القرقشاني جماعة

من اهل الحديث وفينا رجل عراقي بصير بالشعر ونحن نتمنى ان يخرج الينا فيحدثنا حديثا واحدا او حديثين ، اذ خرج الينا فقال : قد خطر على قلبي بيت من الشعر فمن يخبرني لمن هو حدثته ثلاثة أحاديث فسألناه عن البيت فقال :

والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كما يجلي سواد الظلمة القمر

فقالَ الرجل البصير بالشعر هذا لسابق البربري . قال صدق فأي شيء بعده . قال :

والعلم فيه حياة للقلوب كما
تحيا البلاد اذا ما مسها المطر

قال صدق والله . واي شيء بعد ؟ قال :

فأنتم جزر للموت يأخذكم
كما البهائم في الدنيا لنا جزر

فحدثنا بستة أحاديث .

ومن يعرف ضن علماء الحديث بالحديث وميلهم دوما الى عدم التحديث يدرك معنى كرم هذا العالم بما معه للطلاب لمعرفة شعر سابق البربري منهم وهذا يدل على قيمته عند الصالحين الاعلام .

ولكن لم لم ينتشر شعر سابق البربري كما انتشر غيره ؟؟ الجواب قد نجده عند الجاحظ حيث يقول :

لوكان شعر صالح بن عبدالقدوس وسابق البربري مفرقا في اشعار كثيرة لصارت تلك الاشعار ارفع مما هي عليه بطبقات ، ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق ، ولكن القصيدة اذا كانت كلها امثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر ومتى لم يخرج السامع من شيء الى شيء لم يكن لذلك النظام عنده موقع !

وملخص رأي الجاحظ ان سبب عدم انتشار شعر سابق البربري كونه في موضوع واحد وهو الزهد والموعظة وذكر الآخرة ، فهو على رفعته فنيا وجلاله ادبيا لم ينتشر لان العرب والجماهير المحبة للشعر والادب تحب ان تكون أشعار الشاعر متنوعة الموضوعات فلما كانت اشعار سابق في موضوع واحد وكذا اشعار شبيه له هو صالح بن عبدالقدوس لم تنتشر الانتشار المطلوب .

ومن شعر سابق في الحكمة قوله في هذا النسق الجميل :

ان كنت متخذا خليلا
فتوق وانتقد الخليلا

من لم يكن لك منصفا
في الود فابغ به بديلا

وعليك نفسك فارعها
واكسب لها عملا جميلا

وتجنب الشهوات واحذر
ان تكون لها قتيلا

فلرب شهوة ساعة
قد اورثت حزنا طويلا

وحدث ابو كامل مولى الغازي بن ربيعة قال : سمعت سابقا البربري ينشد مكحولا وهو في الغزو :

يانفس كل قابر مقبور
ويهلك الزائر والمزور

ويقبض العارية المعير
ليس على صرف الروا غمور

كم من غني مكثر فقير

حتى انتهي الى قوله :

والصدق بر والتقى تطهير
والبر معروف به المبرور

وذو الهوى يسوقه المقدور

فقال مكحول : لا

انكر مكحول الدمشقي عليه قوله الاخير ، لما يشتم منه رائحة الجبر .

ومكحول شيخ سابق البربري هو مكحول بن ابي مسلم . الهذلي بالولاء فقيه الشام في عصره .

ومن حفاظ الحديث ، رحل في طلب العلم وطوف في البلاد ثم استقر بدمشق وبها مات سنة ١١٢هـ قال فيه الزهري : لم يكن في زمنه ابصر منه بالفتيا وهو من التابعين . ونستفيد من هذا الخبر ان سابقا البربري كان يذهب الى الغزو لاداء فرض الجهاد ، وكان مكحول الدمشقي معه في إحدى تلك الغزوات ، وكان العلماء في أُمتنا كثيرا ترددهم الى ثغور الجهاد .

وكان مما قاله سابق البربري من شعره الحكيم :

موت التقي حياة لا انقطاع لها

قدمات قوم وهم في الناس احياء

فجعل التقي حيا بعد موته بما يترك من علم وآثار وهذا ينطبق عليه نفسه ، فها نحن أولاء نذكره بعد ثلاثة عشر قرنا وقد نظر احمد شوقي أمير شعراء العصر ، الى هذا البيت حين قال على الروى نفسه :

والناس قسمان : موتى في حياتهم

وآخـرون ببطن الارض أحيـاء

وكذا قول عمر ابي ريشة في الشهيد :

لاتبكـه فاليـوم بدء حيـاتـه

إن الشهيـد حياتـه بمماتـه

ولكن ما يقال في الشهداء الابطال مصدره الاول قوله تعالى في آل عمران :

« ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون »

فبقى قول سابق البربري محضا للتقي الذي يحيا ذكره في الناس بما يترك من اخبار تقوى واثارها .

وكان سابق البربري من البكائين الذين كانوا سريعا دمعهم في حب الله تعالى وخشية عقابه ، ولان شعره كان مذكرا بالاخرة والموت ، مهونا على الطامعين الدنيا وما فيها من مسرات باطلة وقد مات سابق سنة مائة للهجرة ، قبل شيخه مكحول الدمشقي باثنى عشر عاما ، وحسبه من ثناء . وقدر أن الخليفة الصالح عمر بن عبدالعزيز كان يصرف عنه الشعراء الكبار جريرا وكثيرا ونصيبا ، ويقرب ويسمع سابقا ، فهو شاعر كبير من شعراء الاسلام وهو الاول في تاريخ الشعر العربي وثنى الدهر بعده بأبي العتاهية في العصر العباسي .

ولكن شعر سابق البربري كان ارسخ في الحكمة ، واعرق في العربية ، واصدق قولا لسلوك قائل ... وفي كل الاسلام متلألىء غامر ، والحمد لله رب العالمين .

حول أدب الغموض

الجسور المقطوعة

للدكتور / عماد الدين خليل

لنكن صرحاء ــ فإن (القرف) هو ردُّ الفعل الذي يعاني منه القارىء وهو يتعامل مع مساحات واسعة من معطيات الأدب العربي في العقدين الأخيرين ..

أما القراء الجدد ، أولئك الذين لم يصلب عودهم بعد فإن (القرف) قد يدفعهم الى الانسحاب من معركة (المطالعة) وقفل الأبواب نهائيا على عالمها المترع بالخصوبة والجمال والعطاء ..

يقول احدهم : إنني لست مستعدا لأن ارهق اعصابي واستنفد طاقتي الذهنية وأنا أقرأ هذا الديوان أو ذاك ، وأطالع هذه المجموعة القصصية او تلك واتابع هذا التحليل النقدى او ذاك .. دون ان اصل الى نتيجة إن على مستوى الفكر أو على مستوى الحس والوجدان .. وانا احاول فك الألغاز وحل الطلاسم والرموز في كل فقرة ، بل في كل سطر او كلمة .. ان التواصل بيني وبين العمل الأدبي منعدم تماما ، وإقامة الجسور أمر مستحيل ..

واذ لم يكن هؤلاء القراء (الجدد) قد استذوقوا أدب العقود التي سبقت هذه الموجة الضبابية العارمة ، وتعاملوا مع عطائه الخصب ، الممتع ، المثير .. المتميز بالوضوح الذي لم يكن يوما نقيضا للعمق ، وللقدرة التعبيرية عن التجربة في أعمق اغوارها وابعد افاقها .. أدب

الـوضـوح الـعميق ، او الـعمـق الواضح ، اذا صحت التعابير ..
اذ لم يكن هؤلاء قد تعاملوا مع هذا التراث الذي ربى العديد من الاجيال المعاصرة ، وعلمها ، وملأ حياتها بالمتعة في الوقت نفسه .. فإنه قد يكون مبرراً لموقفهم ذاك : أن يغادروا والى الأبـد ساحـة القـراءة وألا يسمحوا لأيديهم أن تكتـوى بنار العبث الذي يفرزه حشد من الأدباء الجدد ما كان بمقدور أحدهم يوما ان يعبر عن (التجربة) بالشروط الفنية المتعارف عليها وباللغة القديرة على الرسم والتعبير .. وهم من أجل تغطية عجزهم عن تحقيق الوفاق الهندسي الباهر بين اللغة والتجربة ، يلجأون الى هذا الإغماض والتعتيم والألغاز لكي ما يلبثوا ان يصيبوا الانسان (بالقرف) ، لعله من خلال الـدوار والغثيان يفقد قدرته على إصدار حكم نقدي عادل يضع هذه المعطيات في المكان الذي تستحقه !!

★ لا .. ليس للجماهير ★

فأما أولئك القراء الذين عايشوا أدب الكبار ، واستذوقوه ، وتعلموا ، منه فإنهم سيجدون انفسهم مضطرين لأن يبعدوا هذا الغثاء .. يدفعون اكداسه ذات اليمين وذات الشمال لكي يجدوا الطريق مفتوحا امامهم الى احد عالمين ، حيث يجدون فيهما ما افتقدوه ها هنا : الأدب المؤثر والفن الجاد ، عالم الأدباء الكبار ، وعالم الأدب فيما وراء دنيانا العربية حيث يعرف الانسان كيف يتحقق الوفاق المرتجى بين اللغة والتجربة في إبداع فني يتميز بـالوضـوح والعمق معا .

فهناك كثيرون من الأدباء الكبار الذين إن لم نتعلم منهم شيئا فيكفى أن نتعلم كيف ان الأدب والفن العظيمين لا يتحققان الا بجهد قاس وكفاح صعب من أجل تحقيق التواصل بين الأديب والفنـان وبين الجمـهـور المتلقي ..

وتتهـافت ، من ثم ، واحـدة من المقولات الخاطئة بهذا الصدد وهي ان أدبـاء الألغـاز والتعتيم هؤلاء يريدون ان يتوجهوا بعطائهم الى الجماهير ، فإن أية احصائية سريعة عن إقبال الجماهير على هذا الأدب او ذاك سوف يعرض أدبـاء التعتيم للسخرية .

وسوف يتركهم عرايا ولا من يستر على اجسادهم التي يلفحها برد العزلة والغربة ..

★ الجناية المزدوجة ★

وانها ـ إذن ـ لجناية مزدوجة على الأدب يرتكبها هؤلاء ، مرة بحق الأدب نفسه ، بتزوير حقيقته وتزييف مهمته لتغطية عجز في التعبير او ضمور في التجـربـة .. ومـرة بحق القـراء والمطالعين بصدهم عن الفن الجميل بهذا القرف الـذي يركمـونه عبـر الطرقات وكأنهم ـ بهذا ـ يحكمون على القـارىء بالأشغـال الشاقـة

المؤبدة حيث لا سبيل الى التحرر من متاعب هذا الركام وغباره الذي تضيق معه الأنفاس .

★ وما هو برفض كل جديد ★

ولا يخطرن على البال ـ هاهنا ـ بأن الهجوم على هذا الغثاء الجديد هو رفض للجديد نفسه وتشبث تقليدي بالقديم .. فالجمال لا عمر له ولا وطن ...

فليأتنا طلاب مدرسة (الغثيان) هذه بعمل كبير على مستوى ما قدمه الكبار .. ليأتونا به في سبعينات هذا القرن أو ثمانيناته ، او فيما وراء القرن الراهن كله . فإنهم سيجدون يومها التوجه الحقيقي الذي يبتغونه تقديرا واعجابا ..

والمسألة ـ اذن ـ ليست امر عقد مضى او عقد يجيء .. إنما هى ضرورة أن يكون الأديب أو الفنان متحققا ولو بالحد الأدنى من شروط ومواصفات الأدب الجاد والفن الجميل ...

★ ماذا عن مذاهب الأدب الغربي الحديث ★

وثمة سؤال يحيك في الصدور ونحن نتحدث عن الأدب الجديد ماذا عن المذاهب الفنية والأدبية الغربية التي تميزت هى الأخرى بقدر كبير من الالغاز والغموض ، ولكنها مع هذا فرضت نفسها في ساحة الآداب والفنون ؟ ماذا عن الرمزية والدادائية والسريالية وموجات الغضب واللامعقول ؟

الحق انه بمراجعة متأنية لنماذج من معطيات الأدب الغربي التي تميل الى (الاغماض) تتبدى واضحة حقيقة ان القوم هناك لا يتعمدون ذلك لغرض الاغماض او لشهوة تميل الى التعتيم والالغاز اللذين يختفى وراءهما أي هدف على الاطلاق .. وإنما يفعلون ذلك بسبب من الرؤية التي يحملونها تجاه الكون والعالم والحياة والانسان ، او المذهب الأدبي الذي ينتمون اليه والذي يحتم عليهم هذه اللغة او تلك في التعبير ، وهذه الصيغة او تلك في طرح الرؤي والمواقف والمعطيات .

وبغض النظر عن المنطلقات الخاطئة لمعظم تلك المعطيات فإنها على أية حال ـ تفرض اولياتها ومفرداتها على صيغ التعبير فيحاول أن يغطيها بالتكافؤ المطلوب ، فلا تكون المحاولة ـ من ثم ـ سوى ضرورة وليست ترفا او تجوالا في الفراغ ..

★محاولات خارج المألوف ★

هنالك ـ على سبيل المثال ـ **المذهب الطبيعي** (او مذهب العبث واللامعقول) الذي يرى الكون عبثيا لا مجديا يلفه الغموض ، فيعبر عنه ـ او يجابهه بعبارة أدق بالمعطيات الأدبية التي تنطلق ـ كما يرى رواد هذا المذهب ـ من مواقع الصدق

والأمانة ، فتغمض وتعبث ..

وهنالك المذهب السريالي الذي يريد ان يكسر قشرة الوعي ويتوغل الى الأعماق حيث تضطرب المعاني وتتداخل الرؤى والاحلام ويفرز العقل الباطن معطياته المترعة بالغبش والضباب .. فيجيء التعبير الأدبي مغبشا مضببا محاولا ان يتكيء . علي القوة الباطنية للكلمة وعلى قدراتها المخفية لكي يحقق الهدف المطلوب بالتعبير عن ذلك العالم الهيولي المتحرك أبدا والذي لا يثبت على شيء .

وهنالك المذهب الرمزي الذي يسعى الى عدم مجابهة الواقع وجها لوجه او الوقوف قبالته لهذا السبب او ذاك من الأسباب الموضوعية او الجمالية البحتة فيسعى الى اعتماد امكانات اللغة المجازية ويستخدم رموزها ودلالاتها للتعبير عن هذا الموقف او المعنى او ذاك ..

وهنالك مذهب (الرواية الجديدة) الذي يدعو الى الغاء وجود الزمن في العمل الروائي ، وتفكيك سلسلة الأحداث وإلغاء الشخصيات واستبدالها بأخرى لا تملك اسماء ولا وجوها .. ولا ما ضيا ولا حاضرا ولا مستقبلا .. وتصفية العقدة والحبكة .. الأمر الذي يحتم على الرواية أن تنحو منحى جديدا غير مألوف ولا متعارف عليه .

وهنالك مذهب الغضب الذي يسعى الى مجابهة اخطاء العالم وجرائمه ولا انسانيته بالعنف الفني الذي قد يصل حد الهذيان والسباب ، ويعتمد لغة يتعمد اصحابها ان يكسروها وهم يرمون بها في وجه العالم كما يرمي الانسان الغاضب بإناء زجاجي فيتفتت وينكسر على هذا الرأس او ذاك .

وهنالك مذهب الإغراب (الملحمي) الذي يتعمد ان (يغرب) في لغته وتكنيكه لكي يحقق الانفصال بين القارىء أو المشاهد وبين العمل الذي يعرض بين يديه .. فهو يمارس ما يمكن اعتباره ضربات مفاجئة بين الحين والحين لكي يحافظ على هذا الانفصال ويضع المشاهد او القارىء قبالة العمل ، وليس فيه ، لكي يتعلم ويثور ..

★ ولكنها تحقق التوصيل ★

ومع ذلك ، فنحن نقرأ ـ مثلا ـ (ليوجين يونسكو) او (جان جينيه) او من كتاب الطليعة ، فنفهم ما يقولونه .. ونقرأ (لرامبو) او (ايلوارا) او (ابوللينير) من شعراء السريالية فنستطيع ان نلتقط بعض ما يقولونه .. ونقرأ (لا ليوت) شاعر المجاز المعروف فنعرف جانبا مما يريد ان يعبر عنه .. ونقرأ (لجنترجراس) وهو أحد اتباع الرواية الجديدة فنعرف جيدا لماذا تنمحي الشخصية الروائية ، وتتسطح ، وتغدو مجرد رقم من الأرقام .. ونقرأ (لأوزيورن) رائد المسرح الغاضب ، فنغضب معه ونعرف تماما لماذا هو غاضب وما الذي يريده شخوصه مما يصدر عنهم من أقوال وأفعال .. ونقرأ (لبيترفايس) و(يرتولد برخت)

بعض معطياتهما المسرحية الملحمية فيتحقق الانفصال الذي يريده الرجلان ، ونتلقى من اعمالهما التعاليم التي يريدان ان يوصلاها للناس ..
بغض النظر - مرة اخرى - عن صدق هذه التعاليم أوزيفها وارتطامها مع قناعاتنا وتصوراتنا للكون والحياة والوجود والانسان

لماذا « اللامعقول ؟ »

لن يتسع المجال هنا لطرح النماذج التي قد تقنع عشاق الغموض في بلادنا بخطأ موقفهم ؛ وتهافته .. بل لن يتسع المجال - حتى لطرح بعض النماذج والنصوص الفلسفية او النقدية التي يبرر بها اتباع تلك المذاهب الغربية سيرتهم الجمالية تلك .. ولكننا نمر سريعا ببعض ما قيل عن المذهب الطليعي « العبث واللامعقول » لكي نعرف الأسباب .
يذكر رتشارد - في كتابه عن (يونسكو) كيف « ان كل النزعات التي كبحتها دكتاتورية العقل خلال قرنين من الزمان اندفعت الى السطح ، وشهد النصف الأول من قرننا العشرين عدة حركات ثورية كالتكعيبية والمستقبلية والربريالية والتعبيرية والدادية والوجودية وكلها حركات تسعى بطرائقها الخاصة الى القاء الضوء على موقف الروح الانساني في كون غاب عنه المنطق وعندما يختفي المنطق تختفي ايضا مبررات الوجود وهكذا نرى ان (يونسكو) مثل كامي وسارتر يرى في وجودنا حقيقة لا هي بالمنطقية ولا هي بالمبررة .
انها حقيقة ولكنها حقيقة عبثية فالوجود الذي لا يبرره منطق عبث »
ويمضي ريتشارد - فيبين كيف سعى الطليعيون إلى الغاء النظرة القديمة (الكلاسيكية) الي قواعد الكون الأساسية الزمان والمكان ووحدة الشخصية ، وكيف انهم كتبوا (دراما الساعات المكسورة) بمعنى ان أبطالهم يعيشون في عالم توقفت ساعاته . وحين يفقد الانسان الشعور بالزمن تصبح السن كلمة لا معنى لها ومادمنا قد محونا الزمن فقد محونا (تراكم التجارب) التي يأتي بها الزمن ، وعلى ذلك فلا معنى للقول بأن الشيخوخة مثلا - تأتي بالحكمة وقوانين المكان - من ناحية أخرى - لا معنى لها فهي تعسفية وصدقها وكذبها رهن بالانسان الذي يدركها ، وغياب التتابع المنطقي يستلزم غياب وحدة الشخصية فليست الشخصية سلسلة متصلة من الصفات كما يزعم الكلاسيكيون . وانما هي حالات دائبة التغير يتبع بعضها بعضا وما يقوله (م) يمكن ببساطة ان يقوله (ب) دون ان ينجم عن ذلك ضرر كبير .. أن (الأنا) ما هي الا انعكاس للعالم الخارجي او قل إن العالم الصغير هو صورة مصغرة مثالية للعالم الكبير ففوضى الأول وتشتته تتبدى في الثاني على نطاق اوسع وليس هناك خط واضح يفصل بين الاثنين ...
ويبين (يونسكو) بعبارة واضحة تهافت الشخصية الانسانية لأنها ليست بعد أن تكشف عبث العالم -

سوى قطعة من ملايين القطع التي يعبث بها الكون « ان كل شخصياتي على خصام مع الدنيا لقد غمرهم القلق التاريخي الذي يسود العالم وتورطوا فيه »

انه عالم رهيب يقول ـ يونسكو ـ الا انه عالم لا يمكن ان يؤخذ مأخذ الجد فهو يوشك لفرط سخفة ان يكون مضحكا . ومن ثم فان رؤية الطليعيين هذه للعبث لم تتح لهم ان يطمئنوا للشكل المسرحي العقلي (الارسططالي) اداة للتعبير فالمضمون في العمل الفني هو الذي يحدد الشكل ، لذا تمرد (يونسكو) ورفاقه على الواقعية المسرحية ورفضوا الواقع المنقوص الذي تصدر عنه وتصوره وتفرضه اعتسافا وانصرفوا الى عرض ما كان يتراءى لحسهم الفني ووعيهم الانساني كواقع شامل بكل ما فيه من مأساة ومن مهزلة وكل ما فيه من عبث وخواء وتناقض .

ومع الواقع تتفكك اللغة وتتهاوى قطعا متناثرة وتفرغ من كل معنى وتفقد قدرتها على التواصل بين الانسان والانسان .

نماذج من دوامات الضباب

اننا نفهم ـ اذا ـ الاسباب التي دفعت بالطليعيين ، وغير الطليعيين ، الى اعتماد اللغة والصيغ التعبيرية الخارجة عن المألوف .. ونفهم ـ كذلك معطياتهم كانعكاس صادق لرؤيتهم للكون وفلسفتهم في الحياة .. ولكن المرء يصعب عليه أن يفهم ما الذي يريد ان يقوله لنا حشد من ادبائنا الجدد .. ولماذا ؟

يقول احدهم « الأقمشة الممزقة ممنوحة لي عبر الشمس ، والمدينة مخدوعة بمعاطف السبت . هذا الفسق ماذا يعرف عن يدي ؟ في الباحة ، المعلم الهولندي يلتقط الجواهر ـ ويخسرها ايضا ـ والساهرة اليتيمة تعتقل الرغبة هناك ما أجمل المتوكلين المحبوبين (رامبو) حين طار جسده مات ، ملاجىء التأرجح (تروتسكي) لم يمتلك خجل الفنادق (جـ) تتدفؤون على وحشة القلب متشبثين بصبوات القصيدة »

ويقول آخر :
أصعد البرق
في منتصف الجسر أي قهقهة فيك امرأة صغيرة تفتح شفتيك وتنزل تأخذك بطمأنينة .. الحب .. العار لا يعرفها ..
سحرت نهرا يصعد ظهر الغشاء
سحرت الغشاء
حربي ذلك السر لعاب سلاحي يخشخش فرحا
رأس يوسف النجار على كتفي ، وجميع العصافير ترن فيه» ..

وما هما الا شاهدان من تيار صاحب عنيف ..

★ اين يكمن الخطأ ★

ان تراكم الخبرة الثقافية ـ الجمالية والنقدية على وجه الخصوص عبر العصور وبخاصة في العقود الأخيرة

من قرننا العشرين هذا والتأثير العمقي لهذا التراكم على المعطيات الأدبية والجمالية عموما ، يتوجب ان يجعل الأجيال التالية أعمق واخصب خيالا واكثر قدرة على التوغل في مجاهيل الكون والعالم وامتلاكا لناصية التعبير المؤثر الجميل عن معطياتهما .. أكثر بكثير مما كان عليه أدباء القرون الماضية بل ادباء النصف الأول من هذا القرن.

ولكن الذي يحدث ـ للأسف ـ وعلى مساحات واسعة من أدبنا الحديث ان يتحول هذا السلاح الى أداة مضادة نشهرها ضد أنفسنا بتحويل الخبرة الى عالم ملتوي الدروب . معتم الأفاق يضيع في غبشه وضبابه المفتعل ذوو البصائر والألباب .

ولن تكون (الخبرة الغنية بحال المشجب الذي نعلق عليه أخطاءنا لأن أدباء العالم لم يفعلوا هذا ولن يفعلوه .. بل انهم ازدادوا بالخبرة نضجا وعمقا ..

وأغلب الظن أن الخطأ يكمن في الادباء الجدد انفسهم .. في عدم قدرتهم على استيعاب الخبرة وتطويع اللغة للتعبير عن التراكم السريع في معطياتها .. فيلجئون الى الاختباء) خلف دوامات الضباب والتواءات الأغماض والتعقيد .

ولن يكون بمقدور الأرض البور ان تتفجر بالانهار وان تزهو بالحدائق ذات البهجة .. لن يكون بمقدورها الا ان تنبت الشوك والحسك الذي يجرح ويدمي فلا يعطى الجمال المرتجي ..

★ الموقف المطلوب ★

بإيجاز شديد فإن الموقف البديل الذي يتوجب ان يعتمده أدبنا المعاصر بصدد الثابت والمتحول .. الستاتيك والديناميك .. في تيار الابداع الادبي .. انما هو موقف يقوم على رفض السكون التام من جهة والحركة العمياء من جهة اخرى .. موقف يحترم عناصر الديمومة والثبات من جهة وينفتح على قوى التجديد والتغيير والتحول من جهة اخرى ..

ان قبول الجديد المتغير يتوجب الا يكون على حساب التفريط بأى من العناصر الثابتة التي تمثل عصب الابداع الأدبي وهيكله العظمي ـ اذا صح التعبير ـ والا غدا العمل الأدبي رخوا متميعا رجراجا ، لا يشده رابط ولا تمسك به شخصية مستقلة متبلورة . وان الالتزام بالتوصيل لهو واحد من أهم العناصر الاساسية التي يتوجب احترامها .. والا سقنا معطياتنا الأدبية وقراءنا ايضا .. الى الضياع ..

من مكتبة المجلة

تفسير سورة الاحزاب

كتاب لمؤلفه فضيلة الشيخ/ محمد الاباصيري ـ رحمه الله ـ والكتاب يقع في ١١٨ صفحة من الحجم المتوسط . صادر عن مكتبة المنار الاسلامية . تناول فيه شيخنا تفسير سورة الاحزاب . واضعا كل درس من دروسها تحت عنوان يناسبه .

والنظرة الاجمالية في السورة الكريمة ترينا ـ كما يقول المؤلف : أنها بدأت بتوجيه النبي الكريم الى تقوى الله ، ونهيه عن طاعة الكافرين والمنافقين فيما يريدون ، واتباع ما يوحي اليه من ربه ، فهو العليم بما يصلح امر عباده ، والتوكل على الله فهو الكافي لمن قصده ، وهو العزيز الغالب على أمره .

ومعلوم ان توجيه الله لرسوله في أي أمر عام توجيه لأمته في هذا الأمر ما دامت الحياة .

وكل ما ورد في السورة من تنظيمات وآداب وأحداث مرتبط تمام الارتباط بما بدأت به ، إذ هو الأصل الذي تقوم عليه شرائع الاسلام ونظمه وآدابه ، وهو محور العمل لدى المؤمنين إزاء الأحداث التي تنزل بهم في هذه الحياة .

وقد تحدثت السورة عن عادات وتقاليد كانت سائدة في البيئة العربية قبل الاسلام ، فلما جاء الاسلام عدلها أو أبطلها ، كعادة الظهار وكعادة التبني .

ثم تحدثت عن (غزوة الأحزاب) وبيان الهول الشديد الذي أصاب المسلمين بسببها ، وكيف قابل المؤمنون شدة البلاء بقوة الايمان وجميل الصبر والمصابرة ، وكيف ان المنافقين واليهود غلبت عليهم نزعات الجبن والتردد والخيانة والغدر ، ففارقوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولاذوا بالفرار ... وكيف أنهى الله تلك الغزوة بهتك ستر المشركين ، وافتضاح امرهم ، وتثبيت قلوب المؤمنين على الحق حتى وافاهم بنصره العزيز وكفاهم القتال ..

وكيف أنزل اليهود الذين ظاهروهم من حصونهم ، وقذف في قلوبهم الرعب ،



ومكن رسوله من قتل رجالهم ، وسبي نسائهم وصبيانهم ، وهم يهود لبني قريظة الذين نقضوا عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقابلوا ما كانوا ينعمون به في جواره من إحسان ووفاء بالغدر والخيانة .

وتصف السورة ما كان عليه بيت النبي من التقشف رغم كثرة الفيء والغنائم ، وتبين امر الله لرسوله بتخيير أزواجه بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة ، وأنهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة .

وتشير الى موضوع تزويج زينب بنت جحش القريشية الهاشمية بنت عمة رسول الله من متبناه زيد بن حارثة ، وما حدث بعد الزواج من طلاق ، وما ترتب على الطلاق من إبطال آثار التبني بسابقة عملية اختير لها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لشخصه ليكون زوجا لمطلقة زيد ، لشدة عمق هذه العادة في البيئة العربية .

وتذكر السورة حكم المطلقات قبل الدخول ، وتتناول تنظيم الحياة الزوجية للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتنظيم علاقة المسلمين ببيوت النبي وزوجاته في حياته وبعد وفاته .

وفي السورة توجيه المؤمنين إلى ذكر الله وتسبيحه والصلاة على رسوله وبيان للمهمة التي أرسل الرسول لأدائها .

وفي السورة بيان أن علم موعد الساعة لا يعلمه إلا الله وحده .

ويأتي ختام السورة متلاقيا مع بدئها ، ومتناسقا مع موضوعها ، ومع طبيعة المنهج الذي تتولى السورة تنظيم المجتمع الاسلامي على أساسه ، وهو حمل الانسان أمانة التكليف ، فمن حفظ الأمانة ورعاها كان له الثواب من الله الذي لا يضيع أجر من أحسن عملا .

الطلاق ومذاهبه
في الشريعة والقانون

كتاب كان في أصله مذكرات ومحاضرات ألقاها الأستاذ الدكتور/ محمد فوزي فيض الله أستاذ الشريعة الاسلامية على طلابه في كلية الشريعة والدراسات الاسلامية من جامعة الكويت .

يقول أستاذنا : لكن إدارة الجامعة رغبت معلنة ضرورة تقديم كل أستاذ ، ما يحاضر فيه لطلابه مطبوعا ، لاستمرار العمل الأكاديمي في الجامعة ، ولاستكمال الرقي في المعارج العلمية .

لهذا عمدت الى تنقيح ما كتبته في محاضراتي ، بأسلوب تدريسي واضح ، بعيد عن الإطناب والإيجاز ، تسهل مراجعته على الطالب ، ويتمكن من الإحاطة بأحكامه وأدلته ، في رفق ويسر .

والتزمت الإشارة إلى المذاهب الفقهية المعتبرة ، وموقف القانون منها ، وإلى غيرها من المذاهب ، كلما مست الحاجة إليها ، أو أخذ القانون بها .
والكتاب يقع في ١٥٤ صفحة من الحجم المتوسط ـ من منشورات وتوزيع مكتبة المنار ـ الكويت ـ

وقد قسمه المؤلف إلى فصول ستة ... الفصل الأول : في تعريف الطلاق ، وحكمه .والفصل الثاني : في هدي الإسلام في إيقاع الطلاق . والفصل الثالث : في مقومات الطلاق .

والفصل الرابع : في أقسامه . والفصل الخامس : في التفريق بين الزوجين بالتراضي أو التقاضي،وذلك بالخلع . ثم استعرض المؤلف مشروعية الخلع وحكمه وحكمته ، وحكم أخذ البدل وغير ذلك .

والفصل السادس : في التفريق بين الزوجين بأمر الشارع ، وذلك بالإيلاء ، واللعان ، والظهار . ثم تحدث أستاذنا عن الإيلاء في المطلب الأول ، وعن الظهار في المطلب الثاني ، وعن اللعان في المطلب الثالث بشيء من التفصيل.



والفصل السابع : خصصه الأستاذ الدكتور/ محمد فوزي للحديث عن التفريق بين الزوجين بالقضاء وذلك : لعدم الإنفاق ، وللضرر ، وللعيب ، وللغيبة أو الحبس ، ووضعها تحت مطالب أربعة . ثم ألحق بها مطلبا خامسا في الفرق بين الطلاق والفسخ

والفصل الثامن : ـ وليس السادس كما جاء خطأ في الكتاب ، جاء في آثار الطلاق في الزوجة والأولاد والأقارب ، فأبان الآثار التي تتعلق بالزوجة .

وحصرها في العدة بأنواعها ، والرجعة ، والآثار المتعلقة بالأولاد وحصرها في ثبوت النسب ، والحضانة ، والرضاع .وأخيرا يعالج المؤلف الكريم موضوع النفقة ، وكيفية توزيع النفقة الواجبة .

والكتاب مهم جدا لطلاب العلم ، ومفيد للقارىء المسلم ، ولكل من يهمه معرفة أحكام دينه،وبخاصة في مسائل تتعلق بالحياة الاسرية ، فجزى الله المؤلف كل خير .

الفتاوى

حول الأشهر الحرم

○ جاءت رسالة من اللجنة الثقافية في أحد النوادي للشباب بالكويت تطلب تزويدها بأعداد من المجلة وتقول نحن نعلم ان شهر الله المحرم من الأشهر الحرم فما حكم القتال فيه وما السر في تعظيم الأشهر الحرم عن غيرها ؟

ـ الأشهر الحرم التي هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، هذه الأشهر كانت معظمة في شريعة ابراهيم عليه السلام ، وكان العرب قبل الاسلام يعظمونها ، ويحرمون القتال فيها ، حتى اذا لقي الرجل فيها قاتل أبيه لم يتعرض له ، ولم يمسسه بسوء ، وما كانوا يدعون فيها رمحا فيه حديدة ، ولا سهما فيه حديدة الا نزعوها منه ، للأمن فيها من القتال ، وبقي لهذه الأشهر حرمتها في الاسلام ، وروي عن قتاده : ان الظلم في الأشهر الحرم اعظم خطيئة وأشد وزرا ، وان الظلم محرم في كل حال ولكن الله تعالى يعظم من أمره كما شاء ، وتعظيم الأشهر الحرم اختيار الله ومشيئته ، والتفاضل بين الأزمنة والأمكنة وبين الناس أمر تقتضيه الحكمة الالهية ، ولقد صرح القرآن الكريم بالنهي عن الظلم في هذه الأشهر الحرم قال تعالى (**فلا تظلموا فيهن أنفسكم**) وفي ذلك دلالة على أن من يقترف فيها ذنبا هو ظالم لنفسه وهو من المعتدين ، ولا أظلم ولا أبشع من إراقة الدماء وقتل الأبرياء وترويع الآمنين وإهلاك الحرث والنسل ، وإذا كان أهل الجاهلية قد احترموا الأشهر الحرم ؛ فأولى بذلك المسلمون وقد هداهم الله بالاسلام ، أولى بهم أن يطفئوا نارا أوقدها العدو بينهم ، في شهر السلام لا يجوز في دين الله إثارة الرعب وتهديد السلام ومواصلة حرب وقودها الناس والثروات ، وحصادها التمزق وإثارة الأحقاد ، لا يجوز لمسلم أن يروع مسلما ولا يجوز قتل شباب كنا نعدهم لتحرير الأرض والمقدسات ! ذهب العلماء الى تحريم القتال في الأشهر الحرم ، وذهب عطاء بن أبي رباح الى أن القتال فيها يجوز للدفاع لا للاعتداء لعل في شهر الله المحرم يستجيب المتحاربون الى صوت السلام أما طلب المجلة فإنا نزود بها جميع مراكز الشباب،وسنلبي طلب اللجنة الثقافية تباعا ان شاء الله ونشكر الشباب الحريصين على تنمية وعيه الاسلامي .

حكم صلاة عاري الرأس

○ ورد سؤال الى المجلة عن حكم صلاة الرجل مكشوف الرأس هل هي صحيحة أم باطلة والسؤال من القارىء محمد نصر ـ المعمورة ـ اسكندرية ـ ج .م .ع

ـ يجوز للرجل أن يصلي مكشوف الرأس ، لأن الرأس ليست من العورة في حقه ، ولذلك يجب كشفها للمحرم في الحج والعمرة ، غير ان الأفضل ان يصلي على الصورة التي كان يفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنها من أفضل الحالات وأكمل الهيئات والثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان من عادته لبس العمامة أو القلنسوة أو هما معا في الصلاة وفي مجالسه وفي خطبه وفي استقباله للوفود وفي السلم والحرب ، ولم ينقل أنه جلس بين أصحابه أو مشى في الطريق أو خطب أو غزا وهو حاسر الرأس ، ولا شك ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يختار لنفسه من الأحوال والأفعال والصفات والهيئات الا أشرفها وأفضلها ، من ذلك . يظهر أن لبس العمامة سنة نبوية وتقليد اسلامي متوارث ، فمن الأفضل المحافظة عليها في الصلاة وغير الصلاة ، وليست الأفضلية بتغطية الرأس بذات العمامة وانما غطاء الرأس يكون بالعمامة وبالطاقية والطربوش وبالغترة والعقال أو بأحدهما وبكل ما يتعارف عليه الناس ، صلاة مكشوف الرأس جائزة وصلاة من يغطي رأسه أعلى درجة ، فمن صلى وهو يغطي رأسه فقد فعل الأكمل ومن صلى عاري الرأس جازت صلاته ، على أن تغطية الرأس لا تكلف المصلي شيئا يكفيه ان يغطي رأسه ولو أثناء الصلاة فقط بأي غطاء وما أيسر الحصول عليه وهذا أفضل وأكمل .

صلاة الجمعة في المصنع

○ وردت رسالة من القارىء ـ النور ابراهيم بمصنع سكر حجر عسلاية ـ جمهورية السودان يقول فيها يوجد بالمصنع مسجد على شكل زاوية فهل يجوز فيه صلاة الجمعة أم لا ؟ مع العلم أن المسجد الذي تقام فيه الجمعة خارج المصنع يبعد عنا بحوالي نصف كيلو ؟

ـ نعم تجوز فيه صلاة الجمعة بشروطها من الأذن العام والجماعة التي تصح بها الجمعة والخطبة وفي ذلك تيسير على العمال ما دام المسجد الذي تقام فيه الجماعة بعيدا ، وكون المسجد زاوية مخصصة للصلاة لا يؤثر ذلك في صحة صلاة الجمعة واذا كانت الجمعة تصح اقامتها في ساحة مكشوفة فاقامتها في مسجد أولى بالجواز ، جاء في المجموع للنووي الشافعي « ولا يشترط إقامتها في مسجد ولكن تجوز في ساحة مكشوفة بشرط أن تكون داخلة في القرية أو المدينة فلو صلوها خارج البلدة لم تصح بلا خلاف سواء كانت بقرب البلدة أم بعيدة منها ـ أما المالكية فقد ذهبوا كما في الشرح الكبير الى أن المسجدية شرط وجوب وصحة معا ، أو شرط صحة فقط ، يعني بدون مسجد لا تصح الجمعة كما لا تصلح في براح يعني متسع من الأرض أحيط باحجار من غير بناء لأنه لا يسمى مسجدا إذ المسجد ماله بناء وسقف على المعتمد ، ولا خلاف بين الفقهاء في جواز إقامتها في مسجد اذا روعيت شروط صحة الجمعة .. وعلى هذا فاقامتها في مسجد المصنع جائزة .

ردود قصيرة

○ **القارىء محمد ابراهيم ابراهيم ـ من القاهرة**

ـ لا تتسرع بقيامك بقتل الكلاب المؤذية بالسم . نعم يجوز قتل الكلب العقور ولكن عليك أن تبلغ الجهات المسؤولة لقيامها بالتخلص منها بطريقتها الخاصة ولا تنفرد أنت بقتلها بالسم الذي قد يتعدى خطره الكلاب الى غيرها من الأحياء .

○ **قارئ طلب عدم ذكر اسمه ـ** نقول له اذهب الى المسجد ما دمت أصبحت مكلفا بالصلاة وليس ذلك عقوقا لوالدك الذي ينهاك عن الصلاة حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، لا تطعه في ترك الصلاة ولا تقاطعه، قال تعالى **(وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا)** .

○ **القارئة خديجة سليمان عبدالله من محافظة مستدم ـ سلطنة عمان**

ـ نشكرك على متابعتك قراءة المجلة ، ونجيبك انه يباح كشف الوجه واليدين فقط بالنسبة للمرأة ما لم يكن في كشفهما فتنة .

○ **قارىء يرمز الى اسمه ببعض الحروف** ... نقول له عملك هذا من وحي الشيطان وهذا الزواج باطل ، واحمد الله أنك لم تقربها ، أما أن تكتب ورقة لك بتوقيعها وورقة لها بتوقيعك بالزواج وبأن الشاهد هـو الله .. فليس هذا بزواج ، ولم يتحقق فيه أركان الزواج الشرعي من شهود ومهر وولي .. انت أجنبي عنها لا يحل لك أن تخلو بها . عليكما بتقوى الله ولا تقربها الا بزواج شرعي صحيح .

○ **قارىء لم يذكر اسمه ايضا ولكن طابع البريد من المملكة العربية السعودية . يسأل عن حكم الزواج من فتاة سبق له أن واقع أمها ؟**

ـ ونجيبه ان مثل هذا الزواج جائز عند بعض الفقهاء حيث لا اعتبار لماء الزنا ولكن الأحناف يقررون أن من زنا بامرأة حرمت عليه أصولها وفروعها وعلى هذا لا يجوز لك أن تتزوج هذه الفتاة هذا أحوط وأفضل .



إلى السادة كتاب المجلة

يرجى التفضل بمراعاة الآتي عند إرسال مقالاتكم وإنتاجكم إلينا :

* المقال او البحث المرسل لا يقل عن خمس صفحات فلسكاب - مكتوب بخط واضح - ولا يزيد عن سبع صفحات . وأن يتم إرسال أصل المقال (ولا تقبل صورة المقال) .
* ترقيم جميع الآيات القرآنية وتخريج الأحاديث النبوية الواردة
* لا تقبل البحوث المسلسلة او المقالات المجزأة . ولا ينشر لكاتب واحد في عددين متواليين ولا يكون جزءا من كتاب أو بحثا جامعيا .
* موضوعات المناسبات الدينية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر على الاقل حتى يتسنى نشرها في حينها .
* أن تكون المقالات العلمية والطبية مدعومة بالصور والرسوم المتعلقة بالموضوع
* أن يكون الانتاج المرسل خاصا بالمجلة وألا يكون قد سبق نشره أو إرساله إلى جهة اخرى للنشر . (وأن يتم اخطار المجلة في حالة إرساله الى جهة أخرى)
* النشر في المجلة يخضع لاعتبارات فنية في المقال ذاته دون نظر الى كاتبه

والاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية أو النشر . ولا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

* ذكر المراجع حتى يمكن التحقق مما جاء في المقال عند الضرورة
* البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية
* كتابة الاسماء والعناوين كاملة وواضحة في ختام كل مقالة أو بحث
* ترسل المقالات باسم رئيس تحرير مجلة الوعي الاسلامي . - ص ب ٢٣٦٦٧ دولة الكويت (الصفاة) 13097

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـ ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

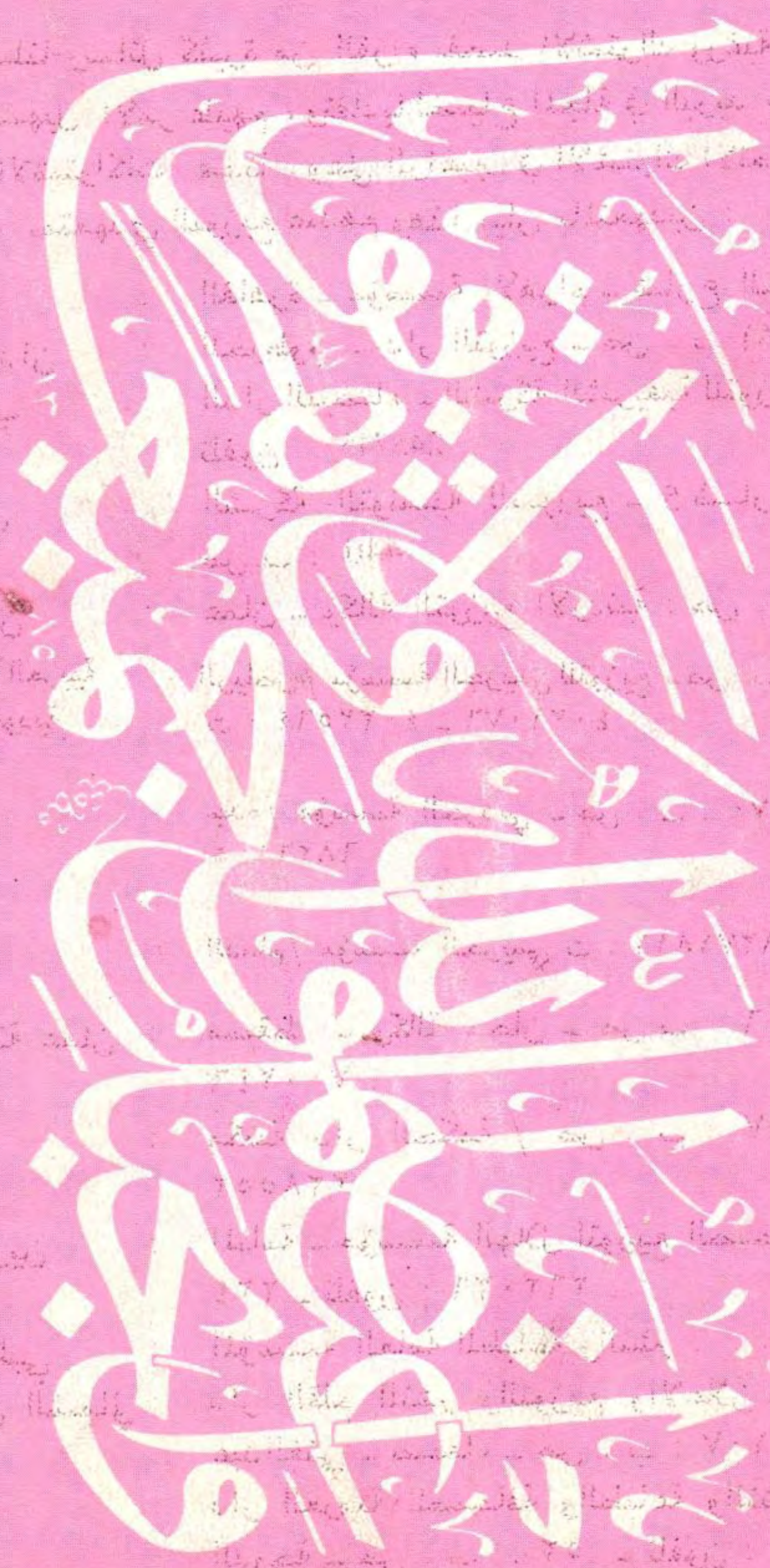
★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

○ الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



طبع في مطابع دار السياسة ـ الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٧٨ ـ صفر ١٤٠٨ هـ

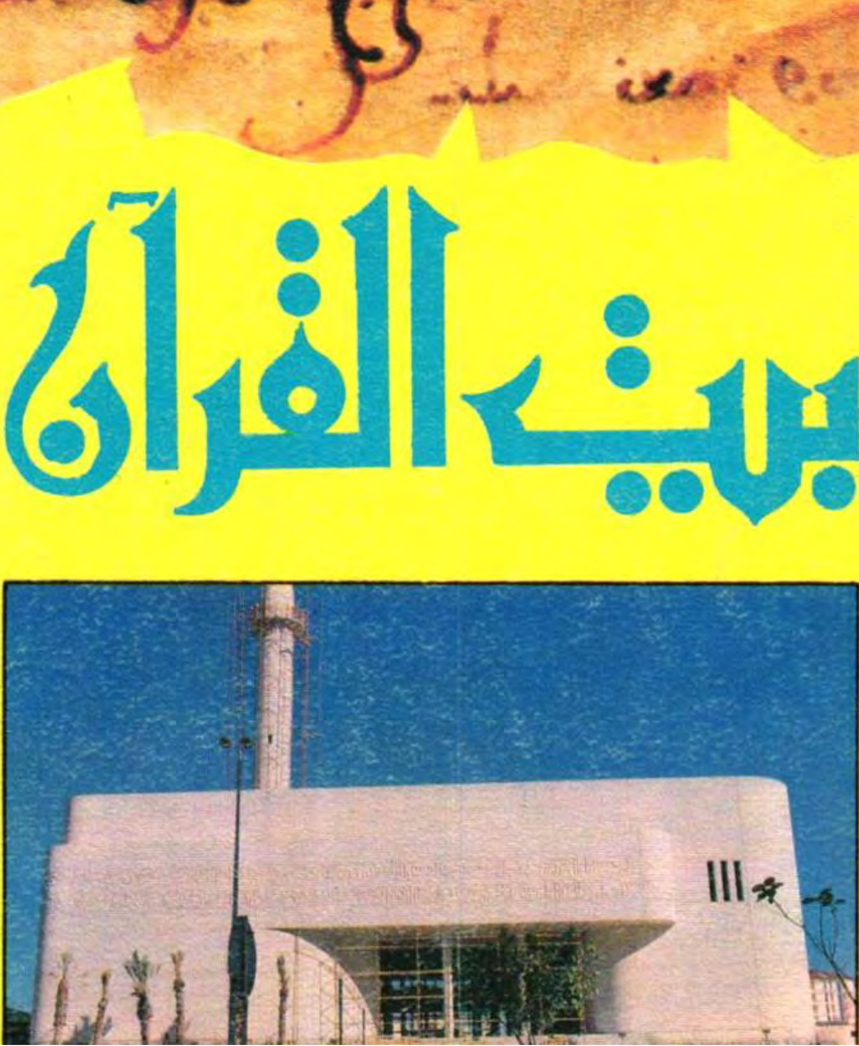
اكتوبر (تشرين أول) ١٩٨٧ م



هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان

بيت القرآن

استطلاع مصوّر ص٧٥



محتويات العدد

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٧٨ ـ صفر ١٤٠٨ هـ ـ اكتوبر (تشرين أول) ١٩٨٧ م

تصدرها

وزارة الاوقـاف والشئـون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المـزيد من الـوعي ،

وايقـاظ الـروح ،

بعيدا عن الخـلافـات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة

دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

• الثمن •

الكويت .... ٢٠٠ فلسا
جمهورية مصر العربية ٣٥٠ مليما
السودان .... ١٥٠ مليما
السعودية .... ريالان
دولة الامارات العربية ٣ دراهم
البحرين .... ٢٠٠ فلس
العراق .... ١٥٠ فلسا
الاردن .... ٢٠٠ فلس
سوريا ليرتان
لبنان .... ليرتان

تونس .... ٢٥٠ مليم
الجزائر .... ديناران
اليمن الشمالي .... ريالان
قطر .... ٣ ريالات
سلطنة عمان .... ٢٠٠ بيسة
المغرب .... ٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في ذكرى الهجرة النبوية الكريمة

اقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية احتفالها السنوي المعتاد بذكرى الهجرة النبوية بمسجد الدولة الكبير .

والوعي الاسلامي تغتنم هذه الذكرى العظيمة فتهنىء المسلمين جميعا بها ، راجية أن يعيدها الله على الأمة العربية والاسلامية وقد توحدت صفوفها ، واجتمعت كلمتها تحت مظلة الاسلام .

هذا ويطيب لنا أن نسجل هذه الكلمة القيمة التي ألقاها وزير الأوقاف والشئون الاسلامية الأستاذ/ خالد أحمد الجسار/ في الحفل المبارك .

الحمدلله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ، ومن اتبع هداه باحسان .

وبعد ،،

فان فواتح السنين محطات تأمل يدرك بها الانسان تقضى الأعوام وتلاشى الأوقات بأسلوب خفي ينسى معه المرء عظيم قيمة الزمن ، وخطورة شأنه ، مع ان الزمن الفارغ عن المشاغل والعوائق نعمة كبرى من نعم الله ، وهو مع الصحة والعافية محل حسرة وخسارة لمن لا يقدرهما حق قدرهما ، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :



(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ) .
واذا كان الزمن عمر الافراد وحياة الأمم فلا أقل من وقفة متأنية للحساب والمراجعة بين عامين : عام فيه رصيد الماضي القريب الذي أصبحت أحداثه جزءا من هذا التاريخ بما اشتمل عليه من خطأ وصواب ، وعام جديد فيه المستقبل المنشود الذي علينا ان نتصرف في حاضرنا لبنائه على الوجه الملائم للنتائج المرجوة ، تاركين الامر لله تعالى في حكيم قضائه ومكنون قدره :

على المرء أن يسعى الى الخير جهده
وليس عليه أن تتم النتائج

وإن أول ما نتحسسه من الآم أمتنا تلك الفرقة والتنابذ بين بلد وآخر من بلادنا الاسلامية ، مع أنها ينبغي أن تمثل حجرات في البيت الواحد . ولم يتوقف هذا الخلاف بين بعض الشقيقات عند حد القطيعة . بل لا زال يأخذ الصورة المفزعة ، ويستغرق المدة القياسية في الاقتتال الدامي الذي ينشأ عنه نقص في الأموال والانفس والثمرات .



ومن عجائب الأمور أن الغرباء عن أمتنا وديننا يرثون لحالنا ويبذلون مافي وسعهم لوضع حد لهذه الفتنة الجامحة دون ان يحرك هذا الغيرة الايمانية عند الطرف الذي يأبى الفيئة الى أمر الله ويصر على استمرار الحرب مهما ازهقت من الأرواح البريئة وأتلفت من الأموال ومقدرات البلاد وكان أجدر به أن يستجيب لقول الله تبارك وتعالى : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » وأن يوجهوا الطاقات موحدة لتحقيق آمال المسلمين في التحرير والبناء ، وكل مافيه عزة الاسلام وقوة كيانه .

ولقد آلم المسلمين في كل مكان تلك الفتنة الهوجاء التي وقعت في أعظم الظروف حرمة ، فقد كان ظرفها الزماني شهر ذي الحجة (أحد الاشهر الحرم التي هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب) ، وكان ظرفها المكاني حرم الله أقدس الأراضي وأشرف البقاع ، وكان ضحاياها عددا لا يستهان به من المسلمين الابرياء الذين اخلصوا نفوسهم لاعمار بيت الله بالمناسك وأنواع القربات ، وقد حرم الله ورسوله سفك الدماء واتلاف المال ، وغلظ هذه الحرمة في تلك البقاع والأزمنة ، فقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيها يوما مشهودا قال فيه بعد أن سأل عن بلد الله وشهر الله: «فان دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا».

ان علينا ان نستمد من وحي ذكرى الهجرة روح الوحدة والبناء والتكامل والنهضة الشاملة فكريا وماديا، محليا وعالميا، وأن نعي الدور المنوط بهذه الأمة التي اختيرت لتكون خير أمة أخرجت للناس تحمل مبادىء الاسلام ونظمه وثقافته إلى الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون.

وإن لنا أملا في استمرار جذوة التضامن التي رافقت مؤتمر القمة الاسلامي الخامس على أرض الكويت والذي ترأسه سمو أمير البلاد-حفظه الله-ولم تفتأ جهوده المبرورة في رأب الصدع وتقريب الوجهات المتباعدة واصلاح ذات البين باذلا في سبيل ذلك منتهى الجهد وغاية الوفاء والاخلاص لأمته ودينه فجزاه الله خير ما جزى به عباده المخلصين وكلل مساعيه بالنجاح والتوفيق إلى ما فيه خير الأمة الاسلامية.

وننتهز هذه الفرصة لنتقدم إلى صاحب السمو أمير البلاد وسمو ولي العهد حفظهما الله وإلى المسلمين في مشارق الارض ومغاربها أطيب التهاني بالعام الجديد، سائلين المولى عز وجل ان يجعله عام الفيئة إلى أمر الله والأمن والرخاء.

وكل عام وأنتم بخير،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

الاسلام

العمل أساس كل وأساس كل تنمية

للدكتور/ عز الدين فراج

لا يمكن أن تقوم حياة بلا عمل ، كما لا يمكن أن تنتظم الحياة إلا بعمل منظم متقن . وقد خلق الله الانسان يُعمر هذه الارض ويستغل خيراتها وكنوزها ومواردها . ولهذا قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة/ ٧ و ٨ .

بالعمل قامت مدنيات ، وارتقت شعوب ، وسعدت أمم ، واستقر الانسان وهدأ واطمأن . رأينا دولا ارتقت إلى سماء المجد والرفعة ، ثم اخلد شبابها إلى اللعب واللهو والنعيم ، فسرى إليها الضعف بعد قوة ، وخبا نجمها ، وتعثر سيرها ، وتخلف عن مكان القيادة والسيادة .

ورأينا دولا خرجت من الحرب محطمة مهزومة ، ولكنها عادت تستجمع قواها وتعمل بلا يأس ، ومن غير انقطاع ، حتى خرجت من بين الانقاض ، وحطام المعارك ، وأكوام الهزائم ، رافعة رأسها ، ناشرة أعلامها . من هذا نرى أن العمل قوام الحياة ، وسر الوجود ، وأساس القوة والتطور والرقي ... وهذا ما دعا إليه الاسلام في أربعة عشر قرنا من الزمان ، ولولا العمل ما قامت الحضارة الاسلامية التي نبعت منها الحضارة الاوربية .

والأنبياء مع عظم مكانتهم كانوا

والعمل

تقدم وحضارة..
اجتماعية واقتصادية

يعملون ، وكانوا يأكلـون من عمل أيـديهم ، فكان « **نـوح** » يصنـع السفن ، « **وداود** » يصنع الدروع ، وكان محمد عليه الصلاة والسلام يرعى الغنم في صغره ، ويشتغـل بالتجارة في شبابه .

قال تعالى : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** التوبة/ ١٠٥ وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب فيبيع فيأكل . خير له من أن يسأل الناس اعطوه أو منعوه » وقال عمـر بن الخطاب : أرى الـرجـل فيعجبني فأقول هل له حرفة فإذا قيل لا سقط من عيني .

وهل هناك ماهو أعظم في تمجيد العمل وبيان قيمته من قوله عليه الصـلاة والسـلام : « إذا قـامت السـاعة ، وفي يـد أحدكم غـرسة فليغرسها »..

وكان عليه الصلاة والسلام يعمل مع أصحابه ، حمل الحجارة عند بناء مسجد المدينة وضرب بمعوله في حفر الخندق حولها ، وحمل التراب فوق كتفه ، وكان يقول « أشد الناس عذابا يوم القيمة المكفى الفارغ » .

لا عيب في العمل ، فقد كان الإمام أبو حنيفة ـ وهو من أعلام الفقه والدين ـ خزازا ، وكان الحسن بن الهيثم واضع علم الضوء يتكسب من نسخ الكتب في رحاب الأزهر الشريف بالقاهرة .

وقال عمر بن الخطاب وهو الذي انشأ الخلافة الاسلامية العظمى . وليس هناك من يدعي اليوم أنه يفهم أمر الاسلام في هذا الصدد اكثر منه « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق . وهو يقول : اللهم ارزقني . وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة فطلب الرزق لا ينافي قول المؤمن : اللهم ارزقني وانما هو جمع بين الايمان والعمل .

لقد أوجب الاسلام اتقان العمل والانتاج ، واعتبر ذلك أمانة ومسئولية ، فالله تعالى يقول : **(ولتسألن عما كنتم تعملون)** النحل / ٩٣ ويقول تعالى : **(وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)** البقرة / ١٩٥ .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » رواه البيهقي « واتقان العمل والانتاج يستوجب اتباع أدق وأحدث الأساليب العلمية في الانتاج وصدق الله العظيم إذ يقول : **(قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون)** الزمر/ ٩ . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « قليل العمل مع العلم كثير ، وكثيره مع الجهل قليل » .

وقد مجد الاسلام مختلف انواع النشاط الاجتماعي والاقتصادي فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول في الحث على الزراعة . « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير او انسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » اخرجه البخاري ومسلم .

وقال عليه الصلاة والسلام في الحث على التجارة : « التاجر الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » (اخرجه البخاري) .

قيمة العمل :

والانسان المستخلف يثبت بعمله حقيقة وجوده وانسانيته ، ولذلك فإنه حرم عليه التمتع بثمرات اعمال غيره ، لأن ذلك يؤدي إلى الاستغلال ، وتعطيل الطاقات ، ونقص العمل : **(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله)** الجمعة/ ١٠ .

والعمل في عرف المجتمع الاسلامي يعتبر حقا وواجبا فهو حق الفرد وواجب عليه ايضا قبل المجتمع .

وينبني على ذلك التزام المجتمع بتوفير العمل لكل قادر .

والتزام كل قادر بتقديم العمل إلى المجتمع ، فلا مكان في المجتمع المسلم للعاطل اختيارا .

- عن انس رضي الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله . فقال : أما في بيتك شيء ؟ فقال : بلى . حلس (اي كساء غليظ ممتهن يلبس بعضه ويبسط بعضه) وقعب نشرب فيه الماء . قال : آتنى بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال : من يشترى هذين ؟ قال رجل : أنا أخذهما بدرهمين . فأعطاه إياهما وأخذ الدرهمين . فأعطاهما الانصاري وقال : اشتر بأحدهما

طعاما فانبذه إلى أهلك . واشتر بالآخر قدوما فأتني به . فأتاه به . فشد فيه رسول الله عودا بيده . ثم قال : اذهب فاحتطب وبع . ولا أرينك خمسة عشر يوما . ففعل . فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وبعضها طعاما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا خير لك من ان تجيء المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة » .

سخر الله تعالى الكون للانسان ليعمل فيه ، وقد أمر القرآن الكريم بذلك فقال تعالى : (**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه**) الملك/ ١٥ .

فالسعي في طلب الرزق بالعمل الحلال أمر مطلوب . ولقد قرر النبي صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ما لا يكفره إلا السعي في طلب الرزق ، فالعمل مطلوب وليست فائدته على العامل وحده ، وانما فائدته على الجماعة كلها ، فهذا العامل الذي يفلح في الأرض لتثمر الثمر وتنبت الزرع إنما يقدم للمجتمع خيرا عظيما .. وهذا العامل الذي يبني الدور إنما ينشيء بيديه القويتين مسكنا لأخيه الانسان ، وهذا العامل الذي ينسج الثوب يقف على الآلة إنما يقدم للمجتمع كساءه .

ومن أحب ما يقرب العبد الى ربه العمل المتقن الجيد ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحب من العامل إذا عمل عملا أن يحسنه » وفي رواية أخرى « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

وقال تعالى : (**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**) .

العمل المنظم :

والنظام هو الوسيلة الى عمل متصل مثمر ، وما نهضت أمة ، وبلغت القمة إلا بالعمل المنظم . والنظام معناه أن يعرف كل مواطن ، ما له وما عليه من أعمال وواجبات يؤديها في وقتها المناسب ، كاملة غير منقوصة ، ومعنى النظام أن تعمل الأمة كلها وكأنها آلة كبيرة ، تعمل بكل عجلاتها وتروسها ومساميرها ، كل في موضعه يؤدي عمله الذي خصص له ، واذا تخلف أي جزء من أجزاء هذه الآلة الكبيرة يؤثر على باقي الأجزاء ، فيعطلها ويؤخرها .

وعندما يسود النظام في المدرسة والشارع والمكتب والمعمل والمصنع والحقل والمحكمة ، تسير الأمور في طريقها الصحيح تبعا لخطة سليمة ، نحو الغاية المنشودة .

والذين زاروا البلاد الأجنبية من اهل الشرق لمسوا فيها النظام السائد في كل مكان ، فكل فرد يعرف طريقه وحقه وواجبه ومكانه ، ولا يحاول أن يجيء متأخرا ليغتصب مكان من سبقه ، فشعار كل واحد هناك « من يحترم النظام يحفظه النظام ويرعاه » .

فليكن النظام شعارنا ، وليكن معنى ساميا في نفوسنا ، قبل أن يكون لفظا مكتوبا في كتبنا .

القول والفعل :

واعتاد بعض الناس أن يقولوا كثيرا ولا يعملوا غير القليل .. في هؤلاء قال الشاعر العربي « خليل مطران » :

فوق الكلام العمل
به نجاح الأمل
أيهما مفلح ؟
من قال ؟ أم من فعل
قبل الشروع انشد
ذاك أوان المهل
فالخير في السير عن
روية ، لا عجل
وبعد أقدم بلا
تردد ، أو وجل
فإن تصمم ولم
تحجم فأنت البطل
كذلك فاز الألى
بهم يساق المثل

العمل ثروة :

عندما شعر أحد الآباء بدنو أجله نادى ولده بجانبه وقال له : لا تقل إن أباك لم يترك لك ضياعا أو قصورا ، فهاأنذا تاركك وفي يدك صنعة وفي بدنك صحة ، وفي نفسك أمانة وحسن سمعة .. ليس المال كل شيء في الحياة يا ولدي .. بالمال الوافر تستطيع أن تشتري أحسن الغذاء ، ولكنك لا تستطيع أن تشتري الرغبة في هذا الغذاء .. بالمال الموفور تستطيع شراء أندر الدواء ، ولكن يعجز أن يقدم لك الصحة والعافية ، وبالمال الوافر تستطيع أن تشتري أتباعا ، ولكن لا تستطيع أن تشتري إخلاصا وأمانة .

وانت ياولدي قادر على العمل اليدوي الناجح المثمر ما دام في يدك صنعة وفي بدنك صحة ، وفي نفسك أمانة وحسن سمعة .

والعمل شرف .
والعمل كسب .
والعمل ثروة .ـ

وهذا العمل يجعلك بعيدا عن أنياب العوز والحاجة ، وعندئذ تكون السعادة والراحة والطمأنينة في متناول يدك .

لهذا أوصيك يا ولدي بثلاثة أمور : أوصيك بصناعتك ، فصناعة في اليد أمان من الفقر ، وأوصيك بصحتك فهي درعك وسندك ، وأوصيك بالأمانة وحسن السمعة فهي لأمثالك كنز وثروة .

ها هي ذي نصيحتي يا بني ، قلتها لك ، قبل أن تأتيني منيتي ، على حين غرة ، وانت إذا عملت بها فزت بالسعادة والراحة والطمأنينة .

الايمان بالغيب في مواجهة المادية

للدكتور/ كارم السيد غنيم

تمهيد :

ان الايمان بالله ذاتا وصفات وأفعالا دون أن نراه ، والايمان بمخلوقات الله كالملائكة والجن دون ان نراها ، والايمان بالكتب السماوية دون ان نعاصر نزولها ، والايمان بالقيامة والبعث والنشور والجزاء والعقاب والجنة والنار ، كله من الايمان بالمسائل المغيبة عن الناس على اختلاف مستوياتهم العقلية وكافة درجاتهم الادراكية أو الفكرية . وإذا كان الايمان بالغيب أصلا من أصول الفطرة الانسانية السوية فإنه في عصر التقدم العلمي وفي عالم المدنية المعاصرة أشد طلبا وأعظم خطرا في حياة البشر وسلامة النفوس مما يعتريها من جنون وصرع ويصيبها من أدواء تتولد يوما بعد يوم . إذا كان عصرنا الحالي هو عصر الفتوحات العلمية والكشوف الكونية ، عصر يزن كل أمر في الحياة بالقيم العلمية

والمقاييس المادية ، فإنه قد تاه فيه كثير من العلماء عبر سنين مضت ، فكان ما كان من الأمراض والمشكلات والأدواء والتخريب والدمار، إلا أنه قد عاد اليوم نفر منهم ويفكر آخرون في العودة إلى عالم الاستقرار النفسي الـذي لن يجـدوه إلا في الايمـان بـالغيب ، والذي لن يصلوا إليه إلا بالاعتقاد والتيقن بأن في العالم امورا لن يصلوا إلى سبر غورها أو معرفة كنهها . أما الكشوف العلمية فهي حقا كانت من المغيبات عنا ، فأذن الله بانبلاجها فانبلجت أمام العلماء وعلى أيدي الباحثين ، ولكن هذا في شئون الدنيا وعالم الشهادة أمـا الأمور المتعلقة بالروح أو العالم الآخر أو الجن أو الملائكة أو ما شابه ذلك فهي أمور سوف يظل الواهمون يلهثون في السعي وراءها دونما طائل من وراء سعيهم ولن يجنوا إذ ذاك سوى الاسراف على أنفسهم بعد أن يكونوا قد سببوا التيه والضياع لمجتمعاتهم .

هكذا يبقى عالم المـادة وعلماء الكشوف ورجالات البحوث يعملون ويبحثون واقفين على شاطىء الغيب المحجوب وهم في حيرة ، مشدوهة عقولهم ، فهم قادرون عـلى تعليل الظواهر الكونية والأمور الطبيعية ، لكنهم عاجزون عن ادراك ما وراء هذه الظواهر من حقائق تتحدى العقول .

التصديق بالغيب أصـل من أصول الايمان :

قدم الله سبحانه وتعالى الايمان بالغيب على إقامة الصلاة وذلك في النص الكريم قال تعـالى : **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة** » (البقرة/ ٣) ، فيكشف عن صفة المتقين الذين ينتفعون بالقرآن وهديه فيقول : هم الذين يؤمنون بالأمور الغيبية متى قام الدليل عليها ، ولا يقفون عند الماديات المحسوسات ، ويؤمنون بما وراء المادة وهؤلاء يسهل عليهم فهم القرآن والانتفاع به لأن نور الايمان شع في قلوبهم فامتلأت طاعة ورحمة ، ولذا كان من صفاتهم بعد ذلك إقامة الصلاة بشروطها وآدابها وأحكامها .

ويعد الله عباده الذين آمنوا به وبغيبه الذي أخفاه عنهم ، يعدهم جنات عدن ، فيقول : « **جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مأتيا** » (مريم/ ٦١) وهي بقاع في الـجنة وفيها الاقامة والمكث ، وهذا وعد محتوم وحاصل لأن الذي وعد هو الله الذي لا يخلف الميعاد . ويمدح هؤلاء المؤمنين في موضع آخر من الكتاب الكريم فيقول : « **الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون** » (الأنبياء/ ٤٩) فالذين يسلكون طريق الهداية وسبيـل النجاة هم اولئـك الـذين يخشـون ربهم ويخافـون حسابـه فيأتمرون بأمره وينتهون بنهيه ، وهم الذين يؤمنون بالغيب الذي استأثر به علام الغيوب .

ثم يخبر الله ان المؤمنين بغيبه هم الذين اتبعوا الرسول وهم الذين تنفع معهم الموعظة ويفيد معهم النصح ،

نعم إن هؤلاء يستجيبون لما أنذر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ينذر به خلفاؤه من بعده مما اتبعوا فيه وساروا عليه ، وكذلك فالذين يستجيبون للدعاة إلى الله هم أولئك المؤمنون بأن للكون الها له القدرة المطلقة هي المحركة لهذا الكون . أما الصنف المادي من الناس فالايمان بالغيبيات عنده ضرب من الخيال ، وهذا قد انطمس قلبه ولا نفع في إنذاره ، اللهم إلا اذا نفض عن عقله غبار عبادة المادية واعتناق الوجودية ، وفكر بعمق وأناة في نفسه أولا ثم في جزئيات العالم من حوله ، ليجد أن طريق الايمان بالله والايمان بما أخبر به الرسل الكرام من الأمور الغيبية هو الطريق الصواب في هذه الحياة الدنيا وهو المنقذ من الضلال في الجاهلية الحديثة ومما تحويه من أمراض وأدواء .

مفاتح الغيب والعلوم الحديثة :

يقول الله عز وجل « **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** » (الانعام/ ٥٩) ، فمفاتح الغيب إشارة إلى أن الغيب المستور انما هو عندالله ولا يمكن أن يصل إليه أي مخلوق ، ذلك أن مفاتحه لا يعلمها إلا هو سبحانه ، وهو الذي يعلم ما في البر والبحر من مشاهدات ومن أسرار ومكنونات ومغيبات ، لأنه هو الذي خلق كل شيء ، خلق الرمال وأحصى عدها وأنواعها ، وخلق الأشجار ويعلم مساقط أوراقها وأوقاتها ، فلا شيء في أغوار الأرض ولا في أعماق البحار حيا كان أو جامدا أو موجودا إلا وهو مسجل عند الله : خلقه ومستقره ومستودعه .

(١) علم الساعة

متى تقوم قيامة هذه الدنيا ؟ سؤال ليس له جواب ، ذلك لأن هذا الموعد استأثر به الله سبحانه فلم يطلع عليه أحدا من خلقه جنا كان أو انسا أو ملكا ، فكل خلقه وكائناته لا يعرفون متى تقوم الساعة ولا متى يبعث الناس من قبورهم ، ولقد ثبت هذا أيضا بنصوص اخرى قرآنية ونبوية ، وهذا جبريل حينما جاء في صورة آدمي يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسلام ثم عن الايمان ثم عن الاحسان ثم سأله عن ميعاد قيام القيامة فأجابه صلى الله عليه وسلم بقوله عن هذه اللحظة : (ما المسئول عنها بأعلم من السائل) . وتتصل معرفة ميعاد القيامة من الأسرار والخفاء حتى ان الله سبحانه يقول : « **إن الساعة آتية أكاد أخفيها** » (طه/ ١٢) ، وفي هذا التعبير مبالغة شديدة في أن أمر القيامة خاف عن جميع المخلوقات خفاء محتوما مؤكدا .

وإذا كان العلم الحديث قد وضع حسابا تقديريا لبداية خلق الارض فانه عاجز لا محالة عن تقدير عمر الدنيا ونقطة النهاية لها مهما بلغ

التقدم العلمي في الاجهزة ومهما ارتقت وسائل الحساب والتقدير الزمني في العالم ، ذلك لأن الذي يعطي العقل البشري هذه القدرة على الاختراع والابتكار والاكتشاف إنما هو الخالق العظيم وهو ذاته الذي أخفى علم القيامة وموعد حدوثها .

(٢) إنزال الغيث :

وهو إسقاط الامطار ، فرغم أن الله سبحانه وتعالى قد وكل أحد ملائكته بأن يسوق الرياح فان ذلك الملك لا يقدر على علم أي شيء الا بعد ان ينزله الله إليه ويعرفه إياه ، إذا فالله وحده هو العالم الأعلى الأعظم بأحوال الرياح وأخبار الأمطار ، والمطر يسمى غيثا لأنه يغيث الارض من جدبها وجفافها . وأما عن **علم الارصاد الجوية** وعمله في رصد تحركات الظواهر الجوية فانه مهما بلغ ومهما سيبلغ من التقدم والارتقاء لن يستطيع ان يحول سحابة من طريقها الذي حدده الله لها ويجعلها تمطر في مكان آخر ، والا لاستطاع ان يروي الصحاري الشاسعة والتي يحاول العلم جاهدا ان يصل إلى حل لاستغلالها . وسوف نفصل القول بعض الشيء عن موقع الفلك والارصاد الجوية في عقيدة الايمان بالغيب بعد قليل .

(٣) حياة الأجنة في الأرحام :

مهما تقدمت وسائل البحث عند الانسان ومهما عظمت أدواته فانه عاجز لا محالة عن أمور أخفاها الله سبحانه وتعالى ، ولا يمكن ان يصل إلى آية من آيات كون الله إلا بعد إذنه سبحانه وإباحته ذلك ، بل هو سبحانه الذي يرزق ذلك العالم أو هذا الباحث القدرة العقلية فيما توصل إليه من بحوث واستنتاج ، فإذا واجهنا اليوم الطب بأنه توصل إلى وسائل يعرف باستخدامها نوعية الجنين في بطن أمه ذكر هو أم أنثى ؟

فان هذا أمر احتمالي حتى الآن وليس بالامر الحقيقي المؤكد ، فهناك حالات لم ينجح الطب الحديث في تقديره عنها ، وحتى لو نجح فإنه إلى يوم القيامة لا يمكنه بحال من الأحوال معرفة ما في الأرحام من هيئة ولا يمكن أن يعرف أن الجنين الموجود شقي أم سعيد ؟ أو يعرف أحوال حياته أو يعرف مجرياته في الدنيا التي سوف يخرج إليها أو يعرف متى ينتهى أجله أو يعرف أي شيء من خريطة حياته التي رسمها الله له منذ الأزل . وأبحاث المؤتمر الطبي العالمي الخاص بإعجاز القرآن والسنة والمنعقد في القاهرة (مبنى جامعة الدول العربية) سنة ١٩٨٥ شاهدة بما قلناه .

(٤) الارزاق والمعايش ومجريات الحياة :

يمكن إيجاز القول بصدد هذه المسألة في أن أحداث الحياة التي تقع لكل مخلوق إنما هي أمور مقدرة في علم الله وأشياء مسطورة في أزله منذ خلق الله آدم وأخذ من ظهره ذريته ،

ومهما ظن الانسان أنه يعلم كم سيكسب ، ومهما ظن أنه يعلم متى سيحصل على شيء ما ، فان كل أموره محسوبة عند الله حتى نهاية حياة ذلك الانسان ، وليتقول المتقولون وليتشدق الضالون في تحدى علم الله وقدرته ، فإناً بالله وانا بقدرته وانا بعظمته وانا بحكمته وانا بغيبه مؤمنون .

(٥) الآجال والاعمار وأماكن خروج الأرواح :

لا يمكن لأي مخلوق من مخلوقات الله أن يتوصل إلى معرفة ميعاد مفارقة روحه لجسده ولا مكان هذا الحادث ولا ظروفه ولا هيئته . فآجال الكائنات أمور محتومة أكيدة باللحظة زمانا وبالسنتمتر مكانا ، أو أدق من ذلك التحديد ، حتى إن المخلوق يمشى إلى مكان خروج روحه الذي قدره الله عليه، فلقد ورد في الحديث النبوي الذي رواه الطبراني في معجمه الكبير ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (اذا أراد الله قبض عبد بأرض ، جعل له اليها حاجة) ، أي جعل لهذا العبد ضرورة من الضرورات تدفعه إلى الذهاب إلى هذا المكان الذي قدره له أن تقبض روحه فيه .

أمور غيبية يظهرها الله :

يقول الله تعالى : « **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا** » (الجن/ ٢٦ ، ٢٧) ، ويوضح الدكتور حجازي في « التفسير الواضح » ان الله عنده علم الغيب ولا يطلع عليه احد من خلقه إنسيا أو جنيا أو غيرهما ، إلا من ارتضى من رسله الذين هم أصحاب الشرائع السماوية ، فان الله أطلعهم على بعض غيوبه فكانت التوراة والزبور والانجيل والقرآن ، وغيرها من أنواع الغيوب التي اطلع الله عليها بعض خلقه بواسطة الوحي بها على لسان ملك الوحي ، « **وما هو علي الغيب بضنين** » (٢٤ التكوير) فالمراد بالغيب القرآن ، أي ماهو بمتهم عليه حتى يتصور أنه غير أو بدل ، ويريد الله أن يعلمنا أن هذا الغيب وصل إلى الرسل عن طريق محكم جدا ، وبلغته الرسل بأمانة ودقة وحكمة ، لم يكن معه نسيان أو إهمال أو خطأ في شيء .

ويخبرنا الله سبحانه أن الغيب الآلهي محاط بسور لا يقربه إلا المرتضى المختار من الرسل الكرام . يقول الله سبحانه « **وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء** » (آل عمران/ ١٧٩) ، يعرفنا هذا النص الإلهي أن الله يجتبى ويختار من عباده الرسل ويبرز لهم شيئا من الغيب لأمور تتعلق بإبلاغ وحي الله للناس وذلك لأن مرتبة الاطلاع على الغيب مرتبة عليا تعطى للدعاة الأوائل تدعيما لهم ،

والمعجزات والارهاصات والكرامات وخوارق العادات أمور يتم بحثها في باب العقائد .

وتفصيل هذا الجانب ليس محله في مقال قصير كهذا . إلا أننا نود إيجاز الأمور التالية :

١ ـ الفراسة :

وهي أن ينظر الصالح في وجه شخص أو في كلامه فيرى أمرا ما ويكون كما ظن ، معنى هذا ان هذا المؤمن صادق الحدس ، وفراسة المؤمن ثابتة بالنصوص الشرعية وبالأمثلة الحادثة .

٢ ـ الاستشعار على البعد

(**التلباثى**) : وحادثة الفاروق عمر بن الخطاب التي أشار فيها على سارية بأن يلتزم الجبل في المعركة التي تدور بين المسلمين بقيادته وبين أعداء الله ، هذه حادثة مشهورة ويسميها المعاصرون (التلباثى) ، فسماع سارية وجنده لصوت امير المؤمنين ، اذ توقف عن الكلام في خطبته فوق المنبر فجأة وقال (يا سارية : الجبل) ، كرامة لهؤلاء الجند ، كما أنها كرامة لأمير المؤمنين إذ رأى حال المعركة واذ وصل صوته لمكان المعركة رغم الأميال التي تفصل المدينة المنورة عن ساحة المعركة . والقصة معروضة بالتفصيل في « عبقرية عمر » للاستاذ عباس محمود العقاد .

٣ ـ المكاشفات :

ومنها رؤية الانسان للملائكة أو سماعه لهم ونحو ذلك ، والأدلة على ذلك كثيرة ، منها ما وقع قبل بعثة رسولنا صلوات الله وسلامه عليه ، ومنها ما وقع لبعض من جيل الصحابة ومنها ما يقع لمن بعدهم من عباد الله الصالحين المخلصين الصادقين ، فهذه العذراء البتول مريم ابنة عمران أم المسيح عليه السلام كانت صديقة فبالرغم من انها لم تؤت نبوة إلا أن الملائكة كانت تخاطبها ، وذلك بالدليل القرآنى : « **واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين** » (آل عمران/ ٤٢) . ولمزيد من التفصيل في هذا الجانب نوصى بالرجوع إلى إحياء علوم الدين للامام أبو حامد الغزالى ، وبعض مؤلفات الامام عبدالحليم محمود .

ويجمل بنا قبل أن نغادر هذه الجزئية أن نسوق مثالا آخر ـ أورده الامام البخاري في صحيحه ـ وقع لواحد من جيل الصحابة رضوان الله عليهم وهو أسيد بن حضير ، فقد كان ليلة يقرأ القرآن ويرقد بجانبه ابنه ، وبالقرب منهما يقف فرسه ، فلما أخذ أسيد في القراءة جالت الفرس ـ اي اهتزت واضطربت وتحركت ـ فلما سكت هو سكنت هي ، وهكذا كلما قرأ جالت وكلما سكت هدأت وتوقفت ، فتوقف عن القراءة خوفا ان تطأ الفرس ابنه يحيى من كثرة حركتها ،

فأخره عن مكانه ورفع بصره إلى السماء فاذا به يرى مثل الظلة فيها أمثال المصابيح ، فلما أصبح أسيد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وقع له في هذه الليلة فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذه الظلة : تلك الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت ـ أي حتى الصبح ـ لأصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى عنهم .

٤ ـ الالهامات :

الالهام هو الإخبار بأمر خاص في ظروف خاصة تستدعى ذلك وبدون تكلف من المؤمن « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » ويطلق عليه أحيانا لفظ (الوارد) ، فالالهامات هي ايضا الواردات . وفي المسألة تفصيل واضح في كتاب « تربيتنا الروحية » للاستاذ سعيد حوى .

أمور الكهانة وعقيدة الايمان بالغيب :

يوجد من أمور الكهانة :

١ ـ العرافة :

والذي يزاولها يسمى (عرافا) ، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفته بها ، ومن العرافة :

ضرب الودع : وهو ما يقوم به النساء (ضاربات الودع) من ضرب بعض الحصى ببعضه ادعاء لسماع مخاطبة تأتيها بشأن المضروب له الودع .

علم الرمل : وهو عمل خطوط في الرمل ونقط واتباع طرق خاصة في تفصيل الخطوط والنقط أو ازالة بعضها ثم الوصول إلى استنتاج أمور غيبية .

قراءة الكف . قراءة تضاريس الاصابع . قراءة الفنجان .

٢ ـ علم النجوم أو التنجيم : (Astronomy) :

وهو فن يتقنه بعض المضللين من الناس يقومون برصد بعض النجوم ، وباتباع وسائل خاصة في حسابات لتحركها يستنتجون أمورا تتعلق بأشخاص من الاخبار بسعدهم أو نحسهم ، حظهم أو شقائهم ، حيث عندهم ان كل فرد في العالم يولد في برج معين ولذا يكون حظه مرتبطا بهذا البرج .

٣ ـ التنويم المغناطيسي واستحضار الارواح :

هذه أمور ظنية غير حقيقية ، واذا جاز لنا افتراض صحتها فانها رغم ذلك ليست من عالم الغيب وانما هي من عالم الشهود .

أما عن خطورة هذه الأمور فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) ، حديث صحيح .

واذا كان العرب قديما يذهبون إلى الكهان لاستشارتهم في سائر شئونهم ، فما يزال في عصرنا الحاضر من يتردد على من يدعي أن له تابعا من الجن يأتيه في يوم معين من

الاسبوع فيكشف للناس عن ضمائرهم وعن حلول مشاكلهم ، وكل هؤلاء بقايا كهانة الجاهلية القديمة . وأي أمر باطل شائع في المجتمع ـ أيا كان ـ متفش بين الناس لابد وان يكون له جذور في التاريخ القديم ، فكثير من الناس يعيشون في جاهلية متفشية في العالم .

علوم الفلك والأرصاد الجوية :

يقول الله تعالى : « **هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون** » (يونس/ ٥) ، ويقول ايضا : « **وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ، ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا** » (الاسراء/ ١٢) ، فالله سبحانه وتعالى تفضل على خلقه بأن جعل لهم الكواكب منازل وآفاقا تنتقل فيها ، وجعل الليل والنهار متعاقبين ، كل ذلك لمعرفة الأوقات وحساب الأيام والليالي والشهور والأعوام ، وكل هذه أمور صالحة لحياة الناس ودنياهم واقامة الشعائر من صلاة وحج وزكاة ومعاملات بين الناس .. ومن هنا فان علم الفلك (Astrology) يختلف اختلافا كليا عن علم التنجيم والبروج ، ذلك لأنه يقوم على معلومات مبنية على قوانين ويعتمد على مقدمات علمية وعلى تحركات للرياح ويستخدم آلات حساسة للظواهر الجوية تعطى معلومات محسوسة عنها . يقول د. محمد جمال الدين الفندي في بعض مؤلفاته ومنها كتاب « الله والكون » ان التنجيم ليس فرعا من فروع علم الفلك على الاطلاق ، إنما هو حرفة من الحرف التي اشتغل ـ أو يشتغل ـ بها بعض الناس من أجل التكسب ، أما الفلك فهو علم يقوم على أساس رصد أجرام السماء ودراستها باستخدام قوانين الطبيعة والرياضيات وآلات الرصد المختلفة .

وبالنسبة لموقف الدين من التنجيم فهو موقف الرفض المطلق (وقد أسلفنا ذلك في الفقرات السابقة) ، أما علم الفلك فعلم أمر به القرآن الكريم وحث عليه في مثل قول الله تعالى : « **ويتفكرون في خلق السموات والارض** .. » (آل عمران/ ١٩١) ، وبهذا يرى الناس قدرة الخالق ووحدانيته في نظام شامل كامل ، كذلك قوله تعالى « **قل انظروا ماذا في السموات والارض** » (يونس/١٠١) ، يعنى ادرسوا سائر أجرام السماء من نجوم وكواكب وأقمار ومذنبات وشهب .

أما الطالع (او البروج) ، التي يرتزق من ورائها بعض الدجالين ، فانها أمور ظنية جعل فيها المحترفون لكل برج صفاته المميزة وتأثيراته الخاصة على المستقبل (من غير دليل وبدون برهان) فأطلقوا على الجرم السماوي الذي يشرف ساعة الميلاد اسم دليل السعد (أو صفة السعد او علامة السعد) أو النحس ، فهم يجعلون مثلا شروق كوكب المشترى

علامة على وفرة الرزق والغنى ، وشروق كوكب زحل علامة على الفقر ، وهكذا في بقية كواكب وأجرام السماء . وكل هذه أعمال خارجة عن الدين ، ويمقتها الله سبحانه ويبغضها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإذا شئنا أن نتحدث عن أهمية العلوم الفلكية فانها تفيد الناس افادات جليلة في جميع مجالات الحياة: زراعية وتجارية وحيوية أخرى ، وهي علوم كفاية ـ من حيث حكمها الشرعي ـ شأنها شأن بقية علوم الأمة التي هي فرض كفاية يقوم بها نفر من الأمة لخدمة الباقين . وهناك في كتب « الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن » ، « المدخل الايماني للدراسات الكونية » وكلاهما للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر ، ثم « الكون والاعجاز العلمي للقرآن » للدكتور منصور حسب النبي ، مزيد من الشرح والتفصيل في هذه الأمور والمسائل المتعددة .

ماذا يجنى الانسان من ثمرات إيمانه بالغيب :

في ختام مقالنا نرى ايجاز بعض الثمرات العائدة على الانسان من عقيدة الايمان بالغيب ، ونخص بالذكر الثمرات العاجلة في الدنيا ومنها :

١ ـ الايمان بالغيب يؤدي الى **الطمأنينة** التي يشعر بها الانسان في معترك الحياة الدنيا وصراعاتها فطالما يستشعر عظمة الله وقوته وصفات جلاله وجماله وكماله تصغر أمام عينيه كل مشكلات الدنيا ونوازلها ، وتولد هذه العقيدة في نفسه عبور النوازل في ثقة بقضاء الله وعدله بل في لطفه وعفوه ورحمته في كل امر يقضيه .

٢ ـ ان عقيدة الايمان بالغيب تثمر ما يسمى (**الوعى الكونى**) الذي يؤدي الى انسجام الانسان مع الكائنات المحيطة به حيث التآلف والتعاطف والالفة ، فيتوطد قانون الجاذبية والتكامل بين المخلوقات على وجه الأرض .

٣ ـ تثمر هذه العقيدة في نفس الانسان **صحوة الضمير** ويقظته ، فلا يغفو عن الحق ولا يسهو عن رؤية ربه في كل لحظة في حياته .

٤ ـ تثمر هذه العقيدة في نفس الانسان معرفة **قيمة الحياة** وأنه خلق في هذه الحياة بغرض تحقيق خلافة الله في الأرض ، وأنه مطالب بالسعي والكدح من أجل عمارة الدنيا .

الاعتدال بين المادية والروحانية

للدكتور/ احمد عمر هاشم

الاسلام هو دين اليسر والسماحة ، تضمنت تعاليمه القويمة ومبادئه السمحة ما فيه سعادة الناس دنيا وأخرى ، وهو دين ينظم العلاقات القائمة بين البدن والنفس ، او بين متطلبات ، الجسد وبين اشواق الروح في الانسان .
ففي كل إنسان جانبان أحدهما مادي يتطلب الطعام والشراب والملبس والمسكن والزواج وما إلى ذلك مما جرت عليه سنة الحياة .

والجانب الآخر : روحي يتطلب صقل النفس وتهذيب الروح والاتجاه إلى الله يهذب النفس وينقيها ويصل بها إلى مرتبة التقوى كما قال الله سبحانه وتعالى : « **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** »(سورة البقرة . آية/ ١٨٣) وغير ذلك من العبادات التي شرعها الاسلام وغير ذلك من الطيبات التي أباحها الاسلام للانسان حتى يتواءم نظام البدن والروح ولا يحدث بينهما تفرقة أو انفصال .
والغلو في أحد الجانبين خروج عن سواء السبيل والتقصير في أحد الجانبين تضييع لحقوق يجب أن تراعى . وإهمال لأوامر لها أهميتها ومنزلتها . ومن هنا كان نداء

الاسلام معتدلا وقائما على أساس تنظيم العلاقة بين البدن والروح ، وإذا أستقام الأمر وانتظمت الحال انتظمت العلاقات الأخرى وأخذ الانسان طريقه إلى ربه سبحانه وتعالى في اعتدال لاعوج فيه . وفي انتظام لاغلو فيه ولا تقصير . فلا رهبانية في الاسلام ولا عسر ولا حرج ولكنها التشريعات الصحيحة التي أبطلت ما كان عليه بعضهم من رهبانية وما حاوله بعضهم من عزل الدين عن الحياة وإذا عزل الدين عن الحياة ضلت طريقها وتخبطت في شكوك وأوهام فالدين بمبادئه ونظمه ، بتعاليمه وقيمه يضيء للحياة طريقها ويبعث في جوانبها التفاؤل والأمل ويجعلها موصولة بالخير الدائم الذي لا ينقطع وبالفعل المستمر الذي لا يتوقف وعن تلك الرهبانية التي لم يرعها أهلها تحدث القرآن الكريم ، فقال الله تعالى : « **ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين أمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون** . » (سورة الحديد . آية/ ٢٧) .

وفي السنة الشريفة تحذير من تلك الرهبانية وترغيب في إعطاء الجسم حقه من الراحة ومن طيبات الحياة ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر ، فقال بعضهم : (لا اتزوج النساء وقال بعضهم : لا آكل اللحم وقال بعضهم : لا أنام على فراش فحمد الله واثنى عليه فقال : «ما بال أقوام قالوا : كذا وكذا ؟ لكني أصلى وأنام وأصوم وأفطر واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس منى» . رواه الامام مسلم .. وقال الله تعالى : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك** » (سورة القصص . آية/ ٧٧) وقد وجه القرآن الكريم انظار المسلمين وقلوبهم إلى حقيقة هذه الحياة الدنيا وانها لعب ولهو وزينة ، والناس فيها متفاخرون ومتكاثرون ولكن نهايتها إلى زوال واخرتها إلى فناء فلا بقاء لها ولا خلود فيها وكل ما عليها عرض زائل فليس لانسان أن يتكالب عليها أو أن يتزاحم على حطامها ويتقاتل على بريقها وإنما اللائق بالانسان أن يكبح جماح نفسه فيعمل لآخرته وليس معنى هذا أن يهجر دنياه أو أن يتركها ويهملها ؟ لا وإنما يوفق بين دار العمل والتكليف ، وبين ما تتطلبه دار الجزاء ، الدار الاخرى التي هي خير وابقى يقول الله سبحانه وتعالى . « **اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور** » (سورة الحديد : آية/ ٢٠) وحين يقصر الناس اتجاههم في الحياة على طلب المال والولد والمنصب فإنهم حينئذ يتجهون اتجاها ماديا بحتا .. والاسلام لا يحرم التمتع بالطيبات وينادي بعمارة الحياة بالمال والولد ولكن على شرط أن تكون قائمة على اساس من الفضائل والمثل التي نادى بها الاسلام فهو ينادي بأن تشرق

بالايثار والبذل ، بالتضحية والاخلاص بالتعاون والتساند على البر والتقوى . قال الله تعالى « **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** » (سورة ـ الكهف/ ٤٦) وبين الله سبحانه وتعالى انه لم يحرم زينـه الله التي أخرجها لعباده ، ولا الطيبات من الرزق فقال جل شأنه « **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق** » (سورة الأعراف : آية/ ٣٢) .

وأما محاربة الاسلام للمادية الطاغية البحتة فذلك لأنها نأت عن القيم الرفيعة والآداب العالية والمثل الحية وأصبح هؤلاء الماديون المغالون يمثلون نشاطا جامدا خاليا من الروح والمعنى بعيدا عن المبادىء السامية بل حربا على المعاني الانسانية وعلى الفضائل الكريمة .

إن هؤلاء الماديين قد ضل سعيهم في الحياة الدنيا ويزعمون انهم يفعلون فعلا حسنا ويقومون باصلاح الحياة ، لقد انطبق عليهم قول الله سبحانه وتعالى : « **الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** » (سورة الكهف . آية/ ١٠٤) .

وأما السائرون على منهج الاسلام في اعتداله بين الطرفين بدون إفراط أو تفريط ومن غير غلو ولا تقصير ، فإن الله سبحانه وتعالى يزيدهم هدى على هداهم . قال سبحانه :« **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا** » (سورة مريم : آية ٧٦) تلك حقيقة قرآنية لا يرتاب فيها امرؤ ومعه عقله فالمهتدون السائرون على الحياة هم الذين يزيدهم الله هدى وبهم يشرق المجتمع الاسلامي بالمعاني النبيلة الفاضلة والذين لا تشدهم الحياة الدنيا ولا تجذبهم بزخارفها . هم الذين فطنوا لدورهم في الحياة ومهمتهم السامية في المجتمع الانساني ومن أجل ذلك حريصون على أن يتمثلوا مبادىء الحق . وان يرتادوا سبل الخير والاصلاح وهم بهذا كله جديرون لأن يمكن الله تعالى لهم في الأرض .

وقد رسم القرآن الكريم صورة مشرقة لركائز التمكين فى الأرض وهي تقوم على المبادىء الآتية :

أولا : توثيق الصلة بالله سبحانه وتعالى ، بالقيام بأداء أوامره واجتناب نواهيه ، والاعلان عن ذلك إنما يتمثل في القيام بالصلاة التي هي عنوان الطاعة لله سبحانه وتعالى ، فالصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، وهي تكف صاحبها عن الفحشاء والمنكر كما قال الله تعالى « **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** » (سورة العنكبوت : آية/ ٤٥) وهي الصلة الوثيقة بين العبد وخالقه الكبير المتعال .

ثانيا : ربط الصلة بالمجتمع ونشر وسائل التكافل الاجتماعي تأكيدا وتنمية للعلاقات الانسانية الفاضلة بين الانسان واخيه الانسان وعلى قمة هذه العلاقات أداء الزكاة .

ثالثا : المهمة الكبرى التي تتطلب الغيرة من كل مسلم على دينه ودعوة الغير الى الرشد والخير بالحكمة والموعظة الحسنة والعمل على نشر فضائل الاسلام ومبادئه

عن طريق الدعوة الى الله أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر .
قال الله تعالى « **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ..** » (سورة الحج : آية/ ٤١) .
إن ركائز التمكين في الأرض تعنى القيام بواجب الانسان المسلم تجاه خالقه سبحانه وتعالى وتجاه نفسه ، وتجاه المجتمع الذي يعيش فيه ،
كما يجب على كل مسلم ان يدرك أهمية الوقوف عند معالم الحق والخير بحيث لا يميل ولا يحيد ولا ينحرف يمنة او يسرة ، والوقوف في مواجهة التيارات المادية الجارفة التي تشكلت بأشكال مختلفة وتسمت بأسماء متباينة متخذة بعض المذاهب الفاسدة مجرى لها او بعض النظريات الوافدة مذهبا وطريقا ، وفي هذا تضييع للقيم وحرب للاسلام ومقاومة هذه التيارات الوافدة من شيوعية وقاديانية وبهائية وغير ذلك من المذاهب الهدامة من أهم ركائز التمكين في الأرض لانه باب واسع من ابواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جعله الله سبحانه وتعالي من أهم دعائم خيرية هذه الأمة في قوله سبحانه وتعالى : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » (سورة آل عمران . آية ١١٠) ويقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ..) رواه مسلم ..

★ رد بعض الشبهات ★

وقد آثار أعداء الاسلام وخصومه بعض الشبهات يحاولون بها أن يتهموا الاسلام بأنه يعادي الناحية الروحية ، وهي بدون شك - شبهة واهية لا أساس لها من الصحة فإن التشريع الاسلامي جاء وافيا بحاجات البدن والروح وبتنظيم الجانبين والاعتدال فيهما بلا إفراط أو تفريط فقد وجه القرآن الكريم جميع المسلمين إلى مراعاة مطالب الدنيا والآخرة حتى في دعائهم فقال سبحانه وتعالى :
« **فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق * ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة و في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار * أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب** »(سورة البقرة . آية/ ٢٠٠ - ٢٠٢) ونهى القرآن الكريم عن تحريم الطيبات حفاظا على جانب الاعتدال بين المادة والروح كما حرّم الاعتداء ومجاوزة الحد في ذلك بل على الانسان أن يأكل مما رزقه الله من الحلال الطيب على أساس من التقوى والايمان وفي ضوئها .
قال سبحانه وتعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين * وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون** » (سورة المائدة : آية/ (٨٧ ، ٨٨) .
ويركز الاسلام على توجيهه للمسلمين محذرا لهم أن تغرهم الحياة الدنيا بماديتها ومباهجها وأن الأموال والاولاد فتنة وعند الله عظيم الاجر للمخلصين فقال سبحانه وتعالى « **واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر**

عظيم » (سورة الانفال . آية ٢٨) وقال تعالى « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب * قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد** » (سورة آل عمران . آية ١٤،١٥) .

وقد وضح الاسلام أهمية طلب الآخرة وضرورة العمل لها فمن كانت الآخرة همه ، وعمل لها جمع الله له ما يريد ، وجعله غني النفس بالايمان وتأتيه الدنيا منقادة راغمة .

وأما الذي ينكب على المادة يجمعها ويجعل الدنيا همه فإن الله يجعل الفقر بين عينيه ومهما واصل التعب والكد في سبيلها فإنه لا ينال منها إلا ما قدره الله سبحانه وتعالى .

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كانت الدنيا همه فرق الله عليه امره وجعل فقره بين عينيه ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب به ومن كانت الآخرة همه جمع الله أمره وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة ».. رواه البخاري وحياة السلف حافلة بالايثار والبذل والتضحية والمعروف حتى وأن ترتب على ذلك بذل كل ما يمتلكون .

نعم الاسلام : دعا بالتوسط كما سبق .. قال الله تعالى : « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط** »(سورة الاسراء . آية/ ٢٩) ولكن سلفنا الصالح في نظرتهم الايمانية الفاحصة يدركون قيمة ميراث الابناء من بعد .. وخطورة المادة حين يقوى جانبها ويشتد وحين يمسك الابناء بها وينحرفون بسببها .

فمن الناس من يورث أبناءه اموالا طائلة وعقارات وفيرة ظنا منه أنه حين يفارق الحياة يفارقها وهو مطمئن عليهم من الفقر ، وينسى أن الفقر من الايمان هو أشر المخاوف . ومن الناس من يورث أبناءه إيمانا صادقا وعملا صالحا وسلوكا قويما ولم يترك لهم من المال شيئا . فإذا بثورة الايمان والعمل الصالح تجعلهم أغنياء في الدنيا وفي الآخرة .

ها هو ذا نموذج من السلف الصالح إنه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لقد قال له مسلمة بن عبدالله ـ عند مرض موته . ياعمر لقد تركت أولئك لاشيء عندهم فيصبحون فقراء وما كان هذا يصح منك ياعمر فرد عليه قائلا والله مامنعتهم حقا هو لهم فبقى أحد رجلين .. إما رجل يتقي الله فسيجعل الله له من كل ضيق مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . وإما رجل مكب على المعاصي فإني لم اكن لأقويه على معصية الله « إن الاسلام دعوة إلهية لسعادة البشر دنيا وأخرى ، وفي قوانينه الرشيدة أمان للنفس والمال والعرض ، وفي ظل تعاليمه السمحة المضيئة تشرق حياة الناس بالخير والرشد والحق والسعادة والله هو الهادي الى سواء السبيل ..

حقوق الانسان في الاسلام

محمد مؤذن

للأستاذ / ماجد أحمد مومني

كرم الله الانسان عن غيره من المخلوقات بالادراك والعلم واستخلاف الله له في هذا الكون ، مع أمر أساسي آخر يضاف الى ذلك هو وحدة أصله ونشأته قال تعالى :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ..) سورة النساء / ١ .

والحديث الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام :

« .. **يا أيها الناس ان الرب واحد** والأب واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » رواه احمد .

ويترتب على ذلك صفاء النظرة للانسان ، وخلوها من الشوائب التي علقت بها ، ودحض كل النظريات التي قامت على التفريق بين الانسان وأخيه الانسان على أساس الجنس واللون والدم فهدم بذلك نظريات الشعوب المختارة وصفاء العرق وسبق بمبادئه مبادىء الأمم المتحدة المتعلقة بحقوق الانسان .

● انســانيــة الانســان رهن بحريته ●

لا يمكن أن تتحقق إنســانيــة الانسان بدون حريته لأنه لا معنى لاختياره وادراكه اذا لم يكن حرا .. ففي الحالة التي يفقد الانسان حريته يكون كالأنعام يساق كما تساق ، ولا يكون له شأن فيما يختار ، وتتعطل أهم ميزاته وأخص خصائصه وهي الانتفاع بنعمة العقل والادراك والفهم والاختيار .

● تصور الاسلام للحرية ●

الناس ـ في نظر الاسلام ـ منذ ولادتهم أحـرار ، لا حق لأحد في استعبادهم ولا تملكهم ، ولا فرض سيطرته عليهم تمشيا مع الأصل الذي قامت عليه الشريعة الاسلامية والذي أشارت اليه أكثر من آية في القرآن الكريم (... **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة**) ... وفي ذلك جاءت كلمة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه معبرة عن روح الاســلام ونظـرتـه : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا .. » .

● مدار الحرية على الحقوق والواجبات ●

والانسان يعيش في هذه الحياة له عقل يفكر به ، وغرائز فطرية تدفعه لتحقيق وجوده وبقاء نوعه .. وبين اتاحة الفرص للعقل أن يفكر ويبدع وللغرائز بأن تشبع وتأخذ طريقها المشروع ، دون تعطيل أو جور أو اعتداء تتحدد حرية الانسان في هذه الحيـاة ، وتـوضـع في اطـارهـا الصحيح .. فما من حق الا ويقابله واجب .. وتنتهي حرية الانسان حيث تبدأ حقوق الآخرين ، والا انقلبت الحياة فوضى لا ضابط لها ولا رابط .

● التوحيد الصحيح أساس الحرية ●

والاسلام يرى أنه لا يمكن أن تتحقق حرية الانسان الا اذا عنت وجـوه البشر لبـارئهـا وتمحضت لخالقها ، وانعتقت من أغـلال أي جاهلية تحـول بين الانســان وبين توحيده لربه وعبادته له ، واحتكامه اليه ، فلا يكون رقيبا عليه الا ربه الذي خلقه فسواه فعدله وخلق له الحياة بما فيها ومن فيها وأنعم عليه بنعمه التي لا تعد ولا تحصى وصدق سبحانه الذي قال في محكم كتابه :
(**قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة**) سورة الملك / ٢٣ .
وقال في آية اخرى :
(**ومـا بكم من نعمة فمن الله**) النحل / ٥٣ .

ومن هنا اهتم الاسلام منذ أول يوم بمطالبة الناس أن يتحرروا من أسر الخرافة والجهل والتعصب والتقليد والافـراط والتفـريط وأن ينظـروا ويفكـروا .. كي يصلـوا الى ذلـك

التوحيد الذي يجعلهم أحرارا لا تعنو وجوههم لأي كبير مهما كبر ، ولا لأي عظيم مهما ارتفعت درجاته بينهم ...

ومن هنا كان شعار المسلم الأول الذي يدخل به الاسلام شهادة أن لا اله الا الله . أي لا معبود بحق الا الله سبحانه .

وكانت صيحات الموحدين في كل قرية وصقع ، وعلى الوهاد والجبال ومن على المآذن وفي المكبرات : الله أكبر .. الله أكبر .. أشهد أن لا اله إلا الله .

بذلك التوحيد الذي هو أساس الحرية رفع العبيد رؤوسهم في المجتمع القبلي الأول وبذلك التوحيد انطلقت جيوش التحرير لتجندل رؤوس الطغاة والمستبدين الذين أرهقوا البشر وساموهم الخسف والهوان .

ولقد جاء الاسلام بهذا التوحيد الذي كان الاعلان الأول لحقوق الانسان لتخليص البشر مما ران على فطرتهم وطمس نور عقولهم وقيد حرياتهم .

وجاء محمد صلى الله عليه وسلم من أول يوم ليقول لهم : « **قل انما أنا بشر مثلكم يوحي الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** » سورة الكهف / ١١٠ .

ونزل عليه الوحي بهذه المبادىء :

« ... **قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله * ولا نشرك به شيئا * ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله** » سورة آل عمران/ ٦٤ .

● موقف الاسلام من الرق ●

جاء الاسلام والرق من أسس الحياة عند الناس فعالجه بلمسات ربانية تمثلت بما يلي :

١ ـ جفف منابعه فحرم استرقاق الأحرار وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه : « ... ثلاثة انا خصمهم يوم القيامة .. .... ورجل باع حرا فأكل ثمنه ... » رواه البخاري .

٢ ـ فتح أبواب الحرية على مصاريعها وجعل العتق سبيل التكفير في اليمين والطلاق والظهار والقتل ...

٣ ـ حث الأرقاء على طلب الحرية بالكتابة وطلب الى أوليائهم عونهم «**فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا** .. » سورة النور / ٣٣ والتمس المشرع الاسلامي الحرية أنى وجدها حتى ان الأمة اذا ولدت للسيد حرم بيعها أو التصرف فيها فاذا مات سيدها أصبحت حرة .. » .

٤ ـ جعل العتق أحد مصارف الزكاة الثمانية « **وفي الرقاب** التوبة /٦٠

وعرف عن خلفاء المسلمين أنهم كانوا يشترون الرقيق ويعتقونهم ... » .

٥ ـ لم يبق من سبيل للرق الا طريق الحرب ... وتركه في يد الامام أو القائد وجاءت آيات القرآن الأخيرة خلوا من ذكر الرق .. (**فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا**

بعد وإما فداء» سورة محمد / ٤ .
٦ ـ كانت معاملته للأرقاء معاملة كريمة من إعطائهم كل الحقوق التي للاحرار ما عدا التصرفات المالية الا بإذن السيد .

ولم يعرف الاسلام في شريعته ما فعلته أوروبا .. من شحن الأحرار من الأدغال في افريقيا الى أمريكا واستراليا واستعبادهم وابادتهم واجبارهم على العمل دون رحمة أو شفقة أو احترام .

● حرية العقيدة في الاسلام ●

الاسلام لا يكره أحدا على الايمان « ... **لا اكراه في الدين** .. » سورة البقرة/ ٢٥٦ فالاعتقاد الصحيح ثمرة الاقتناع الكامل والتصديق الثابت ولا قيمة لعقيدة تأتي بنتيجة القهر والتسلط فحالما تزول أسباب القهر تنتهي وتزول ، ولا يمكنها أن تحدث التغيير النفسي المنشود أو تقاوم الضغط عليها .. ولهذا حينما سأل هرقل أبا سفيان ـ وقد كان لا يزال على الكفر ـ عن المسلمين : أيرتد أحد منهم سخطا على دينه ؟ قال لا : : لا . فقال هرقل : **وهكذا الايمان حين تخالط بشاشته القلوب** .
ومن هنا لم يجز النبي لأحد من أصحابه أن يكره ابنه على الايمان ونزل قوله تعالى : (... **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)** سورة البقرة / ٢٥٦ وقال الله لنبيه : **(ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** سورة يونس/ ٩٩ .
(.. وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..) سورة الكهف/ ٢٩ .
والاسلام يريد اتاحة الفرصة المتكافئة للناس كي ينظروا ويختاروا فلا يقسر الناس على مذهب معين قسرا ، ولا تقام الحواجز والعقبات أمام دعوته ورسالته .. وما قاتل الا من أجل أن يخلي بين الناس وبين ما يعتقدون على أساس الحرية والاختيار .. فكانت حروبه حروب تحرير للبشر من طواغيتهم ومستبديهم ولم يحدث في تاريخه ان أكره أحدا أو أجبر قوما كما حدث في تاريخ المسيحية في أوروبا .. فقد استباحت الكنيسة دماء الناس وحرماتهم في شمال أوروبا لتحملهم على الدخول في المسيحية وفي الأندلس ارتكبت ما تقشعر لهوله الأبدان من تقتيل وتحريق للمسلمين حتى مكتبات العلم لم تنج من هذا الشر المستطير .

أما الاسلام فقد دخل القدس فصان للنصارى كل شيء وكتب لهم الخليفة العظيم عمر بن الخطاب أمانا وعهدا يؤمنهم فيه على أموالهم وكنائسهم ، وأبى أن يصلي في كنيستهم خشية ان يتخذها المسلمون من بعده مصلى ويقولون : صلى فيها أمير المؤمنين .
ودخل عمرو بن العاص مصر فعسكر خارج المدينة وأبى على نفسه وجيشه ان يخدش أي حق من حقوق الأقباط بل كان دخوله تحريرا لهم من ظلم

الرومان وجبروتهم .
وتخرج الوصايا لقادة الجيوش «لا تخونوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا شيخا .. وستمرون على قوم بالصوامع فرغوا أنفسهم للعبادة فاتركوهم وما هم فيه ... » .

وينزل القرآن الكريم :
(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ..) سورة الممتحنة/ ٨ - ٩ .

ويأمر الله نبيه أن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة .
(ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ...) سورة النحل/ ١٢٥ .

ويوصي أن يكون الجدال عفا نزيها بالأسلوب المقنع الذي يبتعد عن اللجاجة والتهجم فيقول :
(ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) العنكبوت/ ٤٦ .
(...ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ...) سورة الانعام/ ١٠٨ .

● حرية الرأي في الاسلام ●

من أجل نعم الله على الانسان أن جعله مبينا عن نفسه ، وعما يدور في فكره وأعطاه القدرة على تصور ما يدور حوله ، ثم الحكم عليه بما يحصل له من خبراته وتجاربه ، قال تعالى : « .. **الرحمن٭علم القرآن * خلق الانسان علمه البيان** .. » سورة الرحمن / ١ ـ ٤ .

وقد قرر الاسلام حرية الرأي ، احتراما منه لهذا الحق الفطري الأصيل وسبيلا إلى استخدام ما أنعم الله على الانسان من نعمة الادراك والبيان ، وسياجا يتحقق به تعاون المؤمنين على البر والتقوى ، وطريقا فاضلا لبلوغ المجتمع الاسلامي ما يريد من إخاء ومساواة ، وأمن وحرية وعدالة واستقرار ، وفوز برضا الله ـ عز وجل ـ في الدنيا والآخرة .

● ضمانات حرية الرأي في الاسلام ●

● ـ حق إبداء الرأي ، وجعله واجبا من واجبات الأمة

★ فضل الله هذه الأمة وميزها علي غيرها بقيامها بالشهادة على الناس وانها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، قال تعالى :
« .. **وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس** .. » سورة البقرة/ ١٤٣ .
وفي آية اخرى قال سبحانه

« .. **كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** .. » سورة آل عمران / ١١٠

★ هذا تقدير لحق إبداء الرأي ، والدعوة إلى المعروف ، والنهي عن المنكر وهو واجب لدعوة غير المسلمين ، ودعوة للمسلمين انفسهم ان يبدوا آراءهم في شؤونهم واموالهم حتى تستقيم على امر الله ، ويكونوا امثلة حية لاسلامهم بحالهم ومقالهم . ففاقد الشيء لا يعطيه : « .. **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** .. » سورة التوبة/ ٧١ .

● - حق إبداء الرأي لا يعتمد على إذن سلطان ، ولا يقيده الا مبادىء الأخلاق وآداب الاسلام . وهذا الحق لا تقيده جهة ولا تصادره سلطه . فكل المسلمين في هذا الحق سواء ، تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم . ولنا في التاريخ الاسلامي أمثلة كثيرة على ذلك فالحباب بن المنذر يشير على الرسول في بدر وسلمان الفارسي يشير عليه بحفر الخندق وامرأة ترد على عمر في خطبته ويتراجع وابو بكر يتشاور مع المسلمين في كل خطواته وهكذا ..

● - وحتى إبداء الرأي حق مقدس لا يضار به صاحبه ، ولا يلحقه أي عنت أو أذى فبه تكفل الحقوق ، ويستبان به وجه العدل

فأداء الشهادات على وجهها الصحيح لا يتم ، الا إذا عرف الشاهد انه آمن في نفسه مطمئن على أهله بألا يلحقهم ضيم ، فيتقدم إلى أداء شهادته ولو كانت على ذوي سلطان دون خوف . وهذا الحق أصيل درءا للمفاسد وجلبا للمصالح قال تعالى « ... **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** .. » سورة الانفال/ ٢٥ .

● حدود حرية الرأي في الاسلام ●

وحرية الرأي لها في ميزان الاسلام خطرها وقداستها ، فلا جرم أن طولب المسلم إزاءها بالتحري والتثبت والصدق . ولذا فعلى المسلم أن يراعي تلك الأوصاف الكريمة التي وضعها الاسلام ميزانا ومعيارا أصيلا للكلام الذي يبديه في شتى شؤون الحياة .. قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** .. » سورة الاحزاب/ ٧٠ - ٧١ .

والقول السديد الذي يصلح الله به الأعمال ويغفر به الذنوب يكون بالآتي :

١ - أن يكون كلاما طيبا بعيدا عن الفحش والخنا ، متجنبا مستهجن الالفاظ وقبيح العبارات معبرا عن نقاء المسلم ونظافته .

يقول الله في أوصاف المؤمنين « ... **وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد** .. » سورة الحج / ٢٤ .

٢ - أن يكون الكلام مطابقا للحقيقة صادقا متثبتا فيه ، بعيدا عن الظن والوهن والله يقول « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع**

الصادقين .. » سورة التوبة / ١١٩ .

٣ ـ أن يتحرى بكلامه الحق لا يحابي فيه ولا يماري ، يؤديه للقريب والبعيد والعدو والصديق وهذا قول الله لنا : « **يا أيها الذين أمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما * فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا** .. » سورة النساء / ١٣٥ .

● مجالات حرية الراي ●

ومجالات حرية الرأي ميدانها المجتمع كله بأوضاعه وحاجاته . وعلى كل مسلم أن يبذل من ذات نفسه وفكره وجهده ما ترقي به أمته ويبنى دينه ووطنه والمسلمون متضامنون لا يحق لواحد ان يسكت على باطل ، فإن الساكت عن الحق شيطان أخرس ، وما استحق ان يولد من عاش لنفسه .

١ ـ النقد المتروي النزيه العف . قال تعالى : « **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** .. »

ط ـ ثم بعد ذلك الشجاعة الادبية والنفسية في قول الحق والمجاهرة فيه ففي الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام :

« ... افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » رواه ابو داوود .

٣ ـ التوجيه السديد والنصح المخلص قال عليه السلام : « ... الدين النصيحة ، قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولكتابه ولائمة المسلمين وعامتهم .. » رواه مسلم .

● ثمار حرية الرأي ●

من ثمار **حرية الرأي** :

١ ـ الثقة بين أفراد الأمة بعضهم لبعض ، الحاكم والمحكوم ، والقوي والضعيف والعالم والجاهل والصغير والكبير . فالوضوح يقتل الخفاء والنفاق والصدق يعمر القلوب ويهذب النفوس .

٢ ـ قوة بناء الأمة وتماسكها ، فاحتكاك الآراء وتبادل المشورة والنصيحة يزيد في تماسك وتلاحم الأمة حول اهدافها المنشودة .

٣ ـ رقي الأمة وتقدمها . فحرية الرأي تثمر أنضج الأفكار وأصلح الآراء . ولا تصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ألا وهو باتباع الكتاب الكريم والسنة النبوية .

أكتفي بهذا القدر أملا من الله العون على متابعة هذا البحث .

عموم اللفظ لا خصوص السبب

للدكتور/ محمد محمد الشرقاوي

الألفاظ العامة هي التي تدل على كل أفرادها بلا حصر .. أو تنطوي تحت دلالاتها جميع الأحوال بلا استثناء .. ولها صيغ وأساليب كثيرة : منها كلمة كل وجميع وأل التي بمعنى كل أو جميع وتسمى ال الاستغراقية ، والنكرة في سياق نفي .. أو نهي أو شرط ، والأسماء الموصولة ، وأسماء الشرط ، وأسماء الاستفهام ، والمفرد المضاف الى معرفة .. وقد اشتمل القرآن الكريم على هذه الصيغ والأساليب للدلالة على شمولية أحكامه لأفراد الانسانية ، واستيعاب أوامره ونواهيه لحالات البشرية ، حتى ولو نزل بسبب شخص خاص .. أو جوابا عن سؤال محدد ، أو لشرح حالة معينة . وهذا هو ما ذهب اليه جمهور الفقهاء والمفسرين والمحدثين .. وهو أنسب الأفكار لعموم الرسالة القرآنية ، واستيعابها لكل من يتأتى اليه الخطاب ، من المكلفين مصداقا لقوله تعالى : (**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذي**

يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا * وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما)

الاسراء/ ٩ و١٠ ، ففي هذا التعبير القرآني أحكام عامة لكل من بلغته دعوة الاسلام في مشارق الأرض ومغاربها .. فالناس كل الناس صنفان : أحدهما مؤمن بالقرآن يعمل الصالحات ، ويخضع لهداية القرآن التي تقوده للتي هي أحسن ، وثانيهما مكذب بهداية القرآن وأهم مبادئها بعد الايمان بالله ورسوله .. التصديق باليوم الآخر .. الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين ، ليجزوا على ما قدمته أيديهم في حياتهم الدنيا .. إن خيرا فخير وان شرا فشر . فالصنف الأول له البشرى بالنجاة في الحياتين ، والصنف الثاني له الانذار الصريح بالعذاب الأليم المعد له في الحياة الثانية ..

وإذا كان أكثر القرآن الكريم قد نزل بدون سبب خاص .. أو سؤال محدد فإن معنى هذا أنه لا ينبغي أن يكون لكل آية سبب .. أو سؤال .. بل إن هذا قاصر على القليل من آياته .. أما الكثير .. أو الأكثر فقد تنزل بادىء ذي بدء لتقرير عقائد الاسلام الأساسية ؛، وإقامة الأدلة عليها ،

وضرب الأمثال لتقريب فهمها ، وشرح مضامينها .. أو لبيان واجبات الدين وشرائعه المنظمة لشؤون الحياة ، والمحددة لحقوق الأفراد والجماعات وواجباتها .. كما قال الجعبري : نزل القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء .. وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال (الاتقان للسيوطي جـ ١ : ٢٨) وسبب نزول الآية : هو حادثة تحدث فينزل بشأنها بالذات وفي وقت حدوثها آية أو آيات أو سورة بأكملها لتبين حكم الله تعالى فيها ..

فهذا الحكم لا يقف عند حد من نزلت فيه الآية لا يتعداه الى غيره .. بل انه شامل له أولا وبالذات ، ولغيره ممن يشملهم عموم اللفظ العام الشامل لكل أفراده شمولا حقيقيا لا قياسيا ..

فصاحب السبب يدخل في هذا اللفظ دخولا أوليا - كما يقول العلماء - وغيره يدخل معه .. بطريق الدلالة الحقيقية لا المجازية .. وقد يكون سبب الآية سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء بعينه .. فينزل القرآن الكريم ببيان الحكم فيه .
فإذا نزل القرآن لبيان الحكم في حادثة بعينها .. أو جوابا عن سؤال خاص كان شاملا لهذه الحادثة أو لهذا السؤال ولغيرهما من الأحوال المماثلة ، وتكون دلالته على الجميع دلالة قطعية لا ظنية .. وحقيقة لا مجازية .. وهذا معنى قولهم : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وسنضرب لذلك ما يتسع له المقام من أمثلة من واقع ما نزل :
(١) قصة المجادلة التي نزلت في شأن خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت في رواية .. أو سلمة ابن صخر في رواية أخرى .. وكانت قد سجدت في صلاتها .. فأعجبه منها شيء .. فطلبها عقيب الصلاة للفراش .. فتأبت وتمنعت ..

فغضب .. وقال لها : انت علي كظهر أمي ـ على عادة أهل الجاهلية في تحريم الزوجة بالظهار .. فذهبت الى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالت : أكل مالي ، وأفنى شبابي ، ونثرت له بطني .. حتى إذا كبرت سني ، وانقطع ولدي ظاهر مني .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما أراك إلا قد حرمت عليه .. فكانت تجادله وتقول : يا رسول الله ما طلقني ولكن ظاهر مني .. فيرد عليها قوله السابق .. ثم قالت : اللهم إني أشكو اليك .. أخرج ابن ماجه وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها قالت : « تبارك الذي وسع سمعه كل شيء .. إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى عليَّ بعضه وتشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. إلى أن قالت : فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات : (**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها**) ...

وهو أوس بن الصامت). المجادلة/١ ... فهذا الحكم دال على وجوب الكفارة على كل من ظاهر من زوجته .. ثم عاد عما قال ، وندم على ما فرط منه ، ورغب في إعادة زوجته إليه فيجب عليه قبل مباشرتها تحرير رقبة ، فإن باشرها قبل التكفير أثم وعصي ولا يسقط عنه التكفير (القرطبي جـ ١٧ : ٢٨٣) فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين قبل التماس ، فمن لم يستطع الصيام لكبر أو مرض فعليه إطعام ستين مسكينا ما يشبعهم .. ثم قال الله تعالى بعد ذلك :

((**وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم**) قال الألوسي جـ ٢٨ / ٢٠ : أطلق الله تعالى على متعدي الحدود كافرا تغليظا وزجرا .

(٢) آيات اللعان : (**والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين * والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين * ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين**) النور/ ٦ ـ ٩ نزلت على سبب خاص في هلال ابن أمية وزوجته ... ولكن حكمها عام في كل من رمي زوجته بالزنا ولا شاهد له إلا نفسه التي بين جنبيه ، وإلا عيناه اللتان رأى بهما ما رأى .. فلكي يزول عنه حدُّ القذف وهو ثمانون جلدة في ظهره لا بد أن يشهد هذه الشهادات ، ولكي يزول عنها حد الزنا وهو الرجم لا بد أن تشهد هي شهاداتها الخمس حالفة بالله على كل شهادة ، وفي الخامسة تستنزل غضب الله وسخطه عليها إن كان زوجها صادقا في اتهامه لها بالزنا ، كما يستنزل زوجها في الخامسة لعنة الله ومقته عليه إن كان كاذبا في هذا القذف ... وبعد ذلك يفرق القاضي بينهما فرقة أبدية لا رجعة فيها ولو بعد التوبة ـ وإن كان أبوحنيفة يرى إمكانية الرجعة إلى زوجته لو أكذب نفسه وحُدَّ حَدَّ القذف وتاب .

(٣) السؤال عن الروح : **(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)** الاسراء/ ٨٥ .. فهذا سؤال صدر عن نفر معلومين من اليهود .. ونزل الوحي للرد عليهم في نفس المقام ... ولكنه موجه لكل سائل عن الروح ، ولكل باحث عن حقيقتها ، وكنهها ، وأسرار تكوينها مما استأثر الله تعالى بعلمه ، وأخفاه عن كل خلقه .. تعجيزالهم بأمس مكوناتهم الشخصية ... حيث عجزوا عن الاحاطة بعالم الروح ، ودقائق صنعها .. فإذا عجزوا عن **معرفة** أرواحهم وهي أقرب الأشياء إليهم .. كان عجزهم عن إدراك غيرها من خصائص العلم الالهي المحيط .. أمكن وقوعا ، وأشد إلزاما ولذا قال تعالى : **(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)** وهو خطاب للانسانية على كل مستوياتها وفي كل أعصرها ، وأماكن تواجدها والمعنى : أن علمكم أيها الناس مهما ظننتموه كثيرا وشاملا .. فهو بالنسبة إلى علم الله تعالى كقطرة من فيض ، أو ذرة في فلاة .. أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو يتوكأ على عسيب (سعف النخل بعد نزع الخوص منه) فمرّ بنفر من اليهود .. فقال بعضهم : لو سألتموه ... فقالوا : حدثنا عن الروح ، فقام ساعة ورفع رأسه ، فعرفت أنه يوحى إليه ... حتى صعد الوحي ، ثم قال : **(قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)** .. وهذه الآية الكريمة مما تكرر نزوله في رأي الزركشي (البرهان جـ ١ : ٣٠) فتكون هذه الآية قد نزلت مرتين : مرة بمكة حين سُئِلَ الرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح .. ويؤيد ذلك أن الآية في سورة الاسراء وهي سورة مكية بالاتفاق ، ومرة نزلت بالمدينة ... فهذه الآية وإن نزلت ردا على قوم معينين من أهل مكة ... أو من يهود المدينة ... إلا أن حكمها كان ولا يزال باقيا وقائما يتحدى البشر كافة على مر العصور والدهور ، ويقيم عليهم الحجة بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ، وعلى كل من طوعت له نفسه الكشف عن أسرار الروح وعالمها المجهول ... وعلماء النفس بعد أن طال كفاحهم العلمي ، وتشعب فكرهم الفلسفي بحثا عن عناصر الروح ، ومكوناتها الاساسية .. لا يزالون يقفون أمام باب عالمها الخفي مكتوفي الأيدي ، منكسي الرءوس .. عاجزين عن الكشف عن الكنز الالهي المغلق ، وذلك اللغز الرباني المعجز .. ولم يستطيعوا إلا الحديث عن متعلقات الروح من ادراك ووجدان وعواطف وإرادة وما يتصل بذلك من هوامش الروح .

قضية الأصالة و المعاصرة

للاستاذ / جمال سلطان

لم تطرح قضية فكرية وحضارية نفسها على واقعنا الحديث ، مثلما طرحت نفسها ، بكل هذا الإلحاح ، قضية « الأصالة والمعاصرة » ، بما اعتمل تحت عباءتها من نزاعات وخلافات ، عقائدية وفلسفية ، امتدت بفروعها العديدة ، لتشمل كافة جوانب النشاط الانساني في حياتنا الحاضرة ، من الفكر والتصور ، حتى الأدب والفن ، مرورا بالشرائع والمعايير والقيم السلوكية والأخلاقية وغير ذلك .

بيد أننا نستطيع أن نسجل ـ بادىء ذي بدء ـ لفتة بالغة الأهمية في هذه « القضية ـ الظاهرة » ، بما أحدثته من تحول كبير في موازين حركتنا الحضارية الحديثة ، وذلك أنها أول فكرة حية وجادة ، تفرض نفسها بنفسها على الذهن العربي ، وأول إشكال حضاري حقيقي ، يفرض نفسه بنفسه ، على الواقع العربي الاسلامي الحديث ، دون أن يفرض عليه ـ تضليلا ـ من خارجه ـ

وليس من ريب في أن هذا التحول الهام ، يمثل ظاهرة صحية ، تحسب في ميزان نهضة الأمة ، ويقظة الوعي العربي المسلم ، ومؤشر صحيح على سلامة التوجه ، بعد ان عاش هذا « الوعي » حقبة من الزمن ، في معزل عن قضاياه التي يفرضها هو ذاته ، من خلال تحديات واقعه الحقيقية ، في حين كانت القضايا تفرض عليه ـ زورا ـ من خارجه ، والتحويل يقع ـ قسرا ـ في مسيرته ، والاشكالات تفتعل افتعالا ، في تصوراته ورؤاه وواقعه .

لقد صحا هذا « الوعي » المرهق والمجهد من مسيرة التغريب القسرية الطويلة ، ليجد نفسه مزقاً مشتتة بيْن الشرق والغرب ، وليشهد سقوط كافة الاطروحات المذهبية التغريبية المفروضة على واقعه ، لا من حيث مصداقيتها الذاتية وحسب ، بل ثبت فشلها ـ كذلك من جهة امكانية تعايشها مع تركيبة المزاج العربي المسلم ، وواقعه الاجتماعي ، بكل ما يعتمل فيه من عقائد وتصورات ومفاهيم وقيم ذات جذور ضاربة في اعماقه .

ومن ثم ، كانت التفاتته الى « التراث » مستلهما منه « مقوماته الاصيلة » والمميزة لوجوده الحضاري والتاريخي ، من عمادي هذا التراث ونبراسيه ، كتاب الله ، وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) تلك « المرتكزات » التي فجرت امام الانسان ـ في تجربتها الأولى الفذة ـ مجالات وطموحات ، انطلق من خلالها جموع اهل الفكر والنظر ، والبحث والتجريب ، والأدب والفن ، وشتى مناحي الحياة ، مشيدين بناء حضاريا هائلا ، لا يخطئه التكامل ، او التوازن ، او الشمول ، في مجالات النشاط الانساني المختلفة .

تلك « المقومات الاصولية » ، بما انها « ربانية » في المقام الاول ، ثابتة بنص الوحي ، وبما أنها ـ كذلك ـ تعالج ثوابت انسانية فطرية : عضوية ونفسية وعقلية وروحية ، وبما انها ـ « أيضا ـ تعالج ثوابت كونية ، أقول : تلك المقومات ، تحت هذا الضبط والتصور ، تملك هي نفسها من الثبات والديمومة ، ما يكسبها وصف « الاطلاق » من الزمان ومن المكان ، واذا صح في اجتهادات وافرازات العقل المبدع ، من خلال المنظومة الحضارية التي انبثقت من تلك « المقومات الأصولية » ان تخضع للنظر والتجديد أو حتى التبديل ، أي اخضاعها لعنصري ، الزمان والمكان ، فان تلك « المقومات الأصولية » بوصفها « مطلقات » لا تحتمل مثل هذا التقييد والتحجيم ، وانما هي قيم ثابتة حية ، تملك مصداقيتها الذاتية .

ولقد اثبتت تلك « المقومات » في تجربتها الانسانية الأولى ، أنها مفجرة ومحفزة دوما ، للابداع الحضاري المتنامي ، ومن ثم فقد ظل العقل الانساني ، قرونا عدة ، يبدع في شتى مجالاته الممكنة ، من خلال تلك المقومات الاصولية ، دون ان نسمع منه اي صدى ، لدعوى التناقضية الحضارية ، بين تلك « الأصولية » وبين ذلك الابداع الخلاق ، الذي يتنامى عبر الزمن ، بل الثابت ان حقبة التراجع التي أصابت الأمة ، انما وقعت ، عندما بدأ الانفصال « العملي » يضرب ، بين هذه

القيم الأصولية الربانية ومعطياتها ، وبين الواقع .

ومن ثم ، فنحن لا نستطيع ان نجد مبررا « موضوعيا » لتلك الظاهرة ، التي شاعت في كتابات « نفر » من المعاصرين ، حول « الأصالة والمعاصرة ، حيث يلحون في طرح دلالة ذينك المصطلحين ، في صورة التضاد والنقائضية ، حتى ليخال للعقل انهما « بديلان متناقضان » لموقف واحد ، بقدر ما تعطي هذه ، بقدر ما تأخذ من تلك .

ويمكننا ان نسجل في هذا المقام ، ثلاثة مداخل رئيسة ، نرى انه من خلالها ، يحدث هذا الطرح الغالط لتلكم القضية :

● وأول تلك المداخل ، ما يمكننا وصفه « **بالتلبيس في إشكالات الموقف الحضاري** » وذلك ان يطرح احدهم اشكال الموقف الحضاري للانسان العربي المعاصر في صورة « هل يحتمي بتاريخه وتراثه الماضي ، ويتخذ منه درعا او (شرنقة) تدفع عنه غوائل التيار الكاسح المتدفق من بلاد غربية متفوقة ؟ او يساير هذا التيار الجديد ، أملا في أن يكون له نصيب في ذلك التقدم المادي والمعنوي ؟ » .

هكذا طرح الإشكال ، إما (شرنقة الماضي) التراث ، وإما « التقدم المادي والمعنوي » ، وهو تلبيس لا شك فيه فهذا التراث ـ كما قدمنا ـ هو مقومات وركائز عقيدية وقيمية وروحية وتشريعية ، ثابتة بنص الوحي ، أبدع من خلالها العقل الانساني اجتهادات وانجازات فكرية ومادية ومعرفية عديدة ، من خلال وقائع مكانية ، وأحوال زمانية متباينة ، ومن حق المسلم المعاصر ، بل من واجبه ، أن يبدع من خلال تلك المقومات ، مسترشدا مستأنسا بذلك الرصيد الهائل من اجتهادات سالفة فيما يحتاج اليه في مسيرته الحضارية الجديدة ، واذا جازلنا ان نخضع ذلك الرصيد الابداعي « الاجتهادي » لعنصر الزمن ، فلا يجوز ذلك ـ بحال ـ مع تلك المقومات الاصولية ، وبالتالي فلا يصح نسبتها الى « الماضي » ووصفها « بشرنقة الماضي » ، وانما هي قيم ثابتة حية ، ومطلقة ، تملك مصداقيتها الذاتية والمتجددة .

ومن جهة أخرى لا يصح ـ موضوعيا ـ أن أطرح هذه المقومات ، في وضع « البديل المناقض » للتقدم المادي والمعنوي هكذا ، دون ادنى حرج من غياب الحجة والبينة العلمية المنضبطة .

كما أنه ليس من الدقة ولا الأمانة ، أن أُطلق وصف « التقدم المادي والمعنوي »

على هذا « التيار الكاسح المتدفق من بلاد غربية متفوقة » ، واذا سلمنا بأن الحضارة الأوروبية الحديثة ، قد حققت انجازات هامة وضخمة على المستوى المادي ، فان أحدا لا ينكر ـ في المقابل ـ أن نفس هذه الحضارة ، قد خلفت ردة

هائلة ، وسقوطا ذريعا ، على المستوى « الحضاري » : الاجتماعي والقيمي والاخلاقي والروحي ، ومن الثابت اليوم ، اننا عندما اهدرنا مقوماتنا الاصيلة ، في تقويم هذا « الخليط » الحضاري ، استطاع أصحاب « هذا التيار الكاسح » ان يمرروا الى مجتمعاتنا من العفن والسقوط ، أضعاف ما مر ـ اضطرارا ـ من تقدم مادي .

وكناتج لهذا المدخل الخاطىء ، فقد انتهى صاحبه الى الحكم على قضية « الاصالة والمعاصرة » في الواقع العربي المعاصر ، بأنها « إشكالية عقيمة غامضة مليئة بالمتناقضات ، واما الصيغة التي ارتآها تخلصنا من هذا « العقم والغموض » « والتناقض » الموهوم ، فهي طرح خيار « الاتباع او الابداع » سواء كان الاتباع لتراثنا ومقوماتنا الحضارية ، أم لأنماط حضارية غربية حديثة ، فالخيار المطروح يسري « في كلتا الحالتين » .

ونحن نعجب ـ بداية ـ : اي جرأة وخطورة تلك التي يقدم عليها باحث « عربي مسلم » حين يجعل مقوماتنا الحضارية الأصيلة ، على قدم المساواة مع القيم الحضارية الوافدة ، في غربتها عن واقعنا المعاصر ، وفي موقفنا منها ـ اليوم ـ كذلك ؟! ولا أدري ، فعن أي أمة من الأمم يتكلم إذن ؟!

ثم متى كان الابداع نبتا هوائيا ، لا جذر له ولا رافد ؟ كما أنه لا يخفى على ذوي الأفهام ، أننا حين نعالج مشكلة « الابداع » عند الانسان العربي المعاصر ، فان القضية تصبح في « من يبدع » وليس في « مطلق » الابداع ، ومن هنا تفرض نفسها بإلحاح ، قضية «الاصالة» كقيمة ضابطة ومميزة ، لهذه « الهوية » الانسانية ، وبوجه آخر ، فان التحدي الحقيقي لهذا الانسان ، هو ان يعيش العصر ، لا ان يذوب فيه ، وبالتالي يمكننا ان نؤكد ان « العقم » و« الغموض » الفعليين ، انما وقعا في ماطرحه الباحث ، نتيجة لتصوره الخاطىء لأبعاد الموقف واشكالاته .

● اما ثاني تلك المداخل ، فهو ما يمكننا وصفه « بالعبث والتشويه في مفردات الموقف » وذلك يبدو ظاهرا في قول احدهم ، نحن منذ القرن السابع حتى نهاية القرن الثامن عشر ، تجاه حضارة تتحرك حقا أو باطلا ، باسم الله والوحي والشرع الإلهي ، ونحن منذ القرن الخامس عشر مع أوروبا الغربية في محاولة حضاريه جديدة ، تنطلق باسم الانسان ، وتتحرك بوحي العقل »
ومثل هذا العبث في « مفردات » الموقف ، من شأنه ان يلقي في روع القارىء أن الانسانية والعقلانية ، هما خصوصية حضارية أوروبية تفردت بها ، في حين تنتزع ـ بالمقابل ـ هاتان الصفتان عن الحضارة الاسلامية ، وذلك افتئات صريح ، إذ ان « الانسانية » كانت واحدة من أجلى مظاهر الحضارة الاسلامية وأبرزها ، فهي

الحضارة التي شادها الانسان ذاته ، مبدعا في شتى الميادين « الانسانية » ومنطلقا من ايمانه الراسخ ، بانه صاحب الرسالة ، وصاحب القضية ، وصاحب الامانة ، هكذا علمه القرآن : « **إنا عرضنا الأمانــة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان** » الاحزاب / ٧٢ .

بل ان المقارنة المنصفة بين ظاهرة « الانسانية » في الحضارة الاسلامية ، ونظيرتها في الحضارة الاوروبية الحديثة ، لكفيلة بأن ترجح الأولى ، من حيث الشمول والتكامل والتوازن ، لجوانب الحياة الانسانية ، في حين تخلفت اهم مظاهر تلك الانسانية » في البناء الحضاري الاوروبي ، أعني : المظهر الاجتماعي والاخلاقي والقيمي والروحي ، سواء كان ذلك في داخل مجتمعاتها ، أم في مواقفها تجاه الامم والشعوب الاخرى .

ومن جهة اخرى فلقد كانت « العقلانية » او ظاهرة النشاط العقلي الواسع ، معلما بارزا ، في الآثار العديدة ، التي انتجتها الحضارة الاسلامية ، سواء في الجانب العقائدي والفكري التجريدي « علم اصول الدين » او علم الكلام ، أم العلم التطبيقي علم اصول الفقه ومباحثه وعلم الحديث وفروعه ، وعلم التاريخ ، او في جانب التعامل المادي مع معطيات السنن الكونية ، وما بثه الله في الارض وما عليها ، وما خلفه ذلك من مناهج علمية جديدة كالمنهج التجريبي .

ولقد ادى ذلك العبث في « مفردات » الموقف الحضاري ، الى الغلط والخطل ، في تصور حل « الإشكال » حيث انتهى الباحث ، الى أنه من غير الممكن ان نقبل منتوجات الحضارة الاوروبية التقنيـة والماديـة « دون الأخذ بمنتـوجاتهـا الايديولوجية » !!

فما دامت المعاصرة ، في مظهرها « الانساني العقلاني » خصوصية اوروبية ، وما دام تراثنا ومقوماتنا الحضارية ، لا انسانية ولا عقلانية ، فالضرورة ـ كما رأى الباحث !! توجب أن نرفض تراثنا وقيمنا الاصولية ، وان نعيش الحضارة الاوروبية ، أو قل : نذوب فيها ، تقنيا وماديا ، وايضا فكريا وايديولوجيا ؟!

● اما ثالث تلك المداخل الخاطئة الى قضيتنا « قضية الاصالة والمعاصرة » فهو ما يمكن وصفه وتحديده « بالتشويش غير العلمي وغير الموضوعي ، بتأثير دوافع ايديولوجية تغريبية متنوعة » ، ذلك « التشويش » الذي يؤدي الى طمس معالم الموقف الحضاري ، والتحدي الذي يواجه ابناء الأمة في طور صحوتهم الجديدة ، بعيدا عن الفهم والضبط العلمي المتزن وذلك ان « يهتف » احدهم : « هيهات ان يتم الجمع بين تراث ما يزال يسبح في غمار التخلف ، وبين حضارة حديثة ، تتحدث بلسان آخر ، وعقل آخر !

ولا ريب ان هذا « الآخر » الأوروبي ، قد طرحه الباحث كبديل « تقدمي

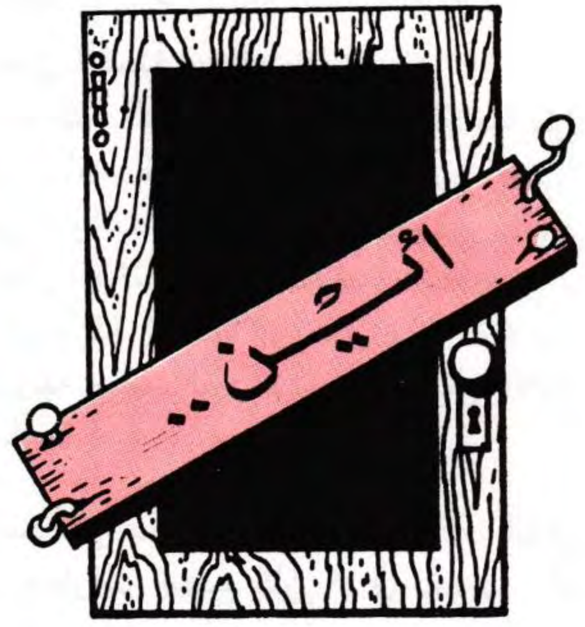
مستنير » ، لهذا التراث الذي يسبح في غمار التخلف » !

وغني عن البيان ، أن الإقدام على وصف هذا الرصيد الحضاري الاسلامي الكبير ، وما قدمه للانسانية من ابداعات خلاقة ، في ميادين الفكر والفلسفة ،والتطور العلمي المادي والمنهجي ، والبحث الاجتماعي ، وغير ذلك ، وبجرة قلم واحدة ، بأنه ، تراث يسبح في غمار التخلف ، لهو محض « تشويش » لا يمكن ان يوصف بالعلمية او الموضوعية ، وإذا اضفنا ان مثل هذا الكلام ، يصدر من متخصص عربي تربوي ، ويوجهه بتلك الجرأة ، الى اجيال الامة الناهضة ، فإن الأمر يتعدى الى ابعاد خطيرة !!

ويطول بنا المقام لو ذهبنا نستنطق الباحث عن « غمار التخلف » هذا ، الذي شكل مادة هذا التراث ، وصبغه ، وفي أي منارات العالم كان ؟! في بغداد ، أم قرطبة ، أم دمشق ، أم في القاهرة تلك التي عبر بابا روما « سلفستروس الثاني » عن انبهاره بتقدمها العلمي والمعرفي ، في القرن الرابع للهجرة ، عندما وصف مكتبتها ذات المليوني مجلد ، قائلا : انه لمن المعلوم تماما ، انه ليس ثمة أحد في روما ، له من المعرفة ما يؤهله لأن يعمل « بوابا » لتلك المكتبة ؟!

ولم يكن من عجب ، بعد هذا التشويش الذي قدمه الباحث ، ان نجده يحدد قيمة التراث « الوحيدة » في امكانية نفاذ اصحاب « الايديولوجيات التغريبية » من خلاله الى الجماهير العربية المسلمة ـ اي خداع الأمة في تراثها ـ عن طريق اخضاعه لها ، وتطويعه وفقا لمفاهيمها ومعطياتها !

كلمة اخيرة ، نستطيع اثباتها ، بعد عرضنا للمداخل الخاطئة الى قضية « الاصالة والمعاصرة » ، والتي نتج عنها ـ بالضرورة ـ تصورات ، واهمة ، واحكام فاسدة ، فنقول : ان الحساسية الشديدة ، والاهمية البالغة ، لهذه القضية ، في واقعنا الحضاري المعاصر ، تحتمان على كل متعاط لهما ، ان يكون صادقا مع نفسه ، وأمته ، ومع هذا التراث كذلك قبل ان يخط فيه بكلمة ، وان يلتزم الموضوعية ، والعلمية المتجردة في رؤيته ، كي يستطيع ان يرى حقيقة ، ويحكم منصفا ، أما غير ذلك ، فإنه لن ينتج لنا الا (الغبش) في التصور والضلالة في الحكم .



قطاع الطفولة في العمل الإسلامي

للاستاذ/ محمد الصالح بن عمر عزيز

الشمولية من أهم خصائص الشريعة الاسلامية ، وهي مقوم هام من مقومات العمل التغييري ، تكسبه تكاملا ، وتوازنا وتحميه من تسرب الفساد إل بعض جوانبه لتغطي بقية الجوانب .. والشمولية التي نعنيها في هذا المقام ألا يطغى اهتمامنا بجزء من العمل الاسلامي على بقية الأجزاء الأخرى التي لا تقل أهمية وخطورة ، وأن نشرك القاعدة العريضة في عملية التغيير هذه ، فلا نهتم بطائفة دون أخرى ، ولا بجيل دون آخر ، لأن ذلك من شأنه أن يشل العمل التغييري ويبقيه منقوصا .

والناظر إلى ساحة العمل الاسلامي اليوم يلاحظ غيابا كبيرا لقطاع الطفولة في اهتمامات العاملين للاسلام ، وكأننا نسينا أنها ـ أي الطفولة ـ المرحلة الأولى والأهم لاعداد أجيال الغد ، وأنها الأرضية الخصبة لبذر ما نشاء من قيم وعادات ومفاهيم ، وأننا لم نضرب الضربة

القاضية إلا من هذا الجانب عبر ما رسمه المستعمر من برامج تربوية تتحكم في تعليم الطفل وفي ثقافته ، والقصص التي يقرؤها لتدمير كيانه النفسي وعقليته منذ أول الشوط ،

وتقدم للمستعمر الرجال القادرين على القيام بمهمته الاستعمارية في المجالات السياسية والاقتصادية إذا اضطر هذا المستعمر في يوم من الأيام إلى مغادرة البلاد ..

وسيبقى العمل للاسلام مشلولا في جانب حيوي منه إذا لم نتدارك الوضع بسرعة ونأخذ الأمور بجدية لنصلح ما تبقى ، وذلك بما يأتي :

● إعداد البيت المسلم ●

البيت هو المحضن الطبيعي لحماية الأطفال ورعايتهم وتنمية أجسادهم وعقولهم وأرواحهم ، في ظله يتلقون مشاعر الحب والرحمة والتكافل وينطبعون بالطابع الذي يلازمهم مدى الحياة ، على هديه ونوره تتفتح الحياة ويتعاملون مع الحياة .. لذلك لابد أن نسهر على سلامة البيت المسلم من

الاهتزازات والخلافات التي تعصف باستقرار الأطفال وأمنهم . وإنه لأمر غير صحي يدعو إلى الفزع أن نسمع بأن نسبة الطلاق في صفوف العاملين للاسلام ارتفعت كثيرا في المدة الأخيرة ... فقد أطلعني أحد الاخوة ـ وهو محام ـ يعمل في الحقل الاسلامي بإحدى العواصم العربية أن بين يديه ما لا يقل عن أربعين قضية في الطلاق لعائلات أفرادها من العاملين في الحقل الاسلامي .

ولعل الاعتناء بالأسرة المسلمة يتوجه أولا وبالذات إلى :

١ ـ **توعية الشباب** بأن الهدف من الزواج هو إنشاء البيت المسلم لإنجاب ذرية صالحة تضطلع بحمل الأمانة وتحقق توالد الهداية واستمرارها ، وحتى يتحقق ذلك ، لابد أن تتم مرحلة الاختيار عبر المقاييس التي وضعها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تخيروا لنطفكم فانكحوا الاكفاء ، وانكحوا إليهم » رواه ابن ماجه والحاكم . وقال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » (رواه البخاري ومسلم) .

٢ ـ **أن نعد مناهج** خاصة لتربية الأخت المسلمة ، تكون المرتبة الأولى فيها إعدادها لتكون أما وزوجة ، فلا تبخل بالتضحية بالغالي والنفيس لجلب السعادة والاستقرار إلى البيت ، وترى أن مهمتها في بيتها تعكف على طفلها الصغير تربيه وتهبه المشاعر الانسانية لترفعه من مرحلة الحيوان إلى مرحلة البشرية كيانا بشريا متوازن العقل والعواطف والمدارك ، وتسهم في إعادة التوازن العاطفي والنفسي إلى زوجها حين يعود مكدودا منهوكا من جراء صراعه في الحياة ، لا تقل ـ أي مهمتها هذه ـ أهمية إن لم تكن أخطر ، عن خروجها إلى العمل تهدر طاقة حيوية مرصودة لغرض معين وتحولها عن سبيلها الأصيل .

● إعداد المعلم المسلم ●

إن مدارسنا في الوطن الاسلامي لا تشكو فقط من أنظمة تربوية يخططها أناس أعدوا على أعين العدو إعدادا جعل منهم الأمناء على تحقيق ما يبغيه ، لأنه زرع فيهم الايمان به والاعجاب بما عنده وملأهم بالشك في قدراتهم والكفر بما لديهم والاحتقار لتراثهم ، بل تشكو - مدارسنا - ايضا من غياب المعلم القادر على نقد هذه المناهج ، الواعي لمسؤوليته العظمى التي لخصها أحمد شوقي في بيته الشهير :

قم للمعلم وفه التبجيلا
كاد المعلم أن يكون رسولا

إن مدارس المسلمين اليوم لا تخلو من نوعين اثنين من المعلمين ... **نوع أول** يعتبر مهمة التدريس وظيفة كجملة الوظائف الحكومية ، يؤديها مقابل أجرة معينة لا يعنيه بعدها محتوى البرامج ولا نوعيتها ولا وطنيتها في شيء ، وهم مع ذلك يدعون انتماءهم للاسلام ... وإني أذكر مرة كنت في الفصل فسمعت زميلا لي في الفصل المجاور يقرأ على أطفاله : قال الله تعالى : « **اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا** » فأسرعت إليه وسألته ماذا يفعل ؟ فأجاب بكل ثقة إني أحفظ تلاميذي آية من القرآن الكريم ... وأفهمته أن ما كان يقوله ليس من القرآن ، بل هو أثر قد يرفعه بعضهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهناك من ضعفه حتى عدوه من الأحاديث الموضوعة ... **ونوع ثان** - من المعلمين - حاقد على الاسلام عقيدة وفكرا وشريعة ، فتراه لا يغفل فرصة إلا استغلها لخلخلة العقيدة الاسلامية عند الاطفال .

لذلك كان الاهتمام بإعداد المعلم المسلم من أوكد واجبات العاملين للاسلام اليوم ، يمكنهم من سد ثغرة تعتبر من أكبر وأخطر الثغرات التي تمكن عبرها المستعمر من الاستيطان في بلادنا .

لابد من إعداد المعلم المسلم الذي يكون صافي العقيدة ، قادرا على نقد كل فكرة غريبة عن الحس الاسلامي ، ودحض كل الشبهات التي ترددبين الحين والآخر في دروس القراءة أو الجغرافية أو التاريخ أو غيرها ، حريصا على الاستزادة من الثقافة والمعرفة الاسلاميتين خاصة ، معتبرا أن مهمته هي مهمة الداعية الذي لا يبخل بالغالي والنفيس في سبيل نشر كلمة التوحيد وتركيز شرع الله في الأرض .

جاء في دراسة عن أعمال المبشرين للدكتور عبدالودود شلبي ما يلي : « وأذكر أنني ترددت كثيرا جدا على مركز من مراكز إعداد المبشرين في مدريد ، وفي فناء المبنى الواسع وضعوا لوحة كبيرة كتب عليها : أيها المبشر الشاب ، نحن لا نعدك بوظيفة أو عمل أو سكن أو فراش وثير .. إننا ننذرك بأنك لن تجد في عملك التبشيري إلا التعب والمرض ، كل ما نقدمه إليك هو العلم والخبز وفراش

خشن في كوخ فقير . أجرك ستجده عندالله . إذا أدركك الموت وأنت في طريق المسيح كنت من السعداء ...

ورغم ذلك فقد كنت أجد مئات الشباب يدرسون في ذلك المركز ، ورأيت مرة في ميناء مالقة في أسبانيا سفينة كاملة خصصت للمبشرين وعلى هذه السفينة ، قيل لي : إن هناك ثلاثة آلاف مبشر ومبشرة ، وكلهم ذاهبون إلى افريقيا ، وهذه السفينة ستنزل في كل ميناء افريقي بضع مئات من

رجالها ـ والكثيرون منهم يتسللون إلى داخل البلاد دون إذن السلطات ، لأن السلطات بروتستانية في بعض البلاد ، وهي لا تسمح بدخول المبشرين الكاثوليك ... ولكنهم يدخلون ويوغلون في الغابات ،

والعشرات منهم يقتلون دون أن يطالب بدمهم أحد لأنهم متسللون ،

والكنيسة الكاثوليكية تحتج على قتلهم ، ولكنها ترسل في الوقت نفسه بدل المفقود الواحد اثنين » ... هذا ما يقدمه كل مبشر معلما كان أو طبيبا أو مهندسا أو غيره... وفي الحقيقة نحن

أحق من غيرنا بهذا الاحساس وأولى بهذه التضحية ... إلا أن ما يقع ـ للأسف الشديد ـ هو غير ذلك ، إذ لا

يزال المعلم المسلم في بلادنا يرفض الالتحاق بمركزه في الريف حيث المكان الخصب للدعوة ، ولا يزال يبحث عن المسكن الأنيق والفراش الوثير .. الخ .

● الاهتمام بمكتبة الأطفال ●

لقد تأكد لأعداء الاسلام منذ زمن بعيد أن ما يقرؤه الطفل من قصص ومسرحيات وشعر ، لا يقل خطرا عما تقوم به الأسرة وعما يقوم به المعلم من غرس للقيم وتأثير في السلوك يبقى معه ـ أي الطفل ـ حتى آخر مرحلة من عمره ... لذلك لم يتوان هؤلاء الأعداء عن إغراق أسواقنا الثقافية بالساقط من الكتب والمجلات المعدة خصيصا للأطفال ، تستهدف صناعة هدف لهم غير هدف أمتهم وعقيدتهم ،

وذلك عن طريق نشر الأسطورة والخرافة والقصص الخيالية وغيرها التي تشكل عندهم ـ الأطفال ـ بعد ذلك خوفا وإعجابا بالبطولة الغربية وتنشىء في أعماقهم حالة تبعية تحول بينهم وبين فهم مقدرات الأمور من حيث أخطار الغزو الغربي الذي يجب أن يعدوا له منذ نعومة أظفارهم لمواجهته ومقاومته .. ولقد وظفت لذلك أسماء لكتاب مشهورين على الساحة العربية .. بل لقد أصبحت قصة الأطفال من الميادين التي يراهن عليها الشيوعيون في أكثر من قطر عربي لنشر مبادئهم الهدامة بين الأطفال ...

لذلك وجب على العاملين للاسلام وهم يعدون العدة لدك حصون الكفر والالحاد والتبعية للأجنبي ، العمل على إغراق السوق الثقافية الخاصة بالأطفال ـ من كتب ومجلات خاصة ـ بما يسهم في تحقيق هذا الهدف العظيم . وإنه لأمر سهل لو :

١ ـ **عززت الجهود** المبذولة هنا وهناك وجمعت تحت منظمة واحدة يكون هدفها نشر الثقافة الهادفة للطفل المسلم، وتعمل حسب برنامج محدد ومنظم يشرف على اخراجه مختصون في التربية وعلم النفس .

٢ ـ **يقع التعريف** بما ينشر بين الحين والآخر من إنتاج مخصص للأطفال لا تنقصه الجودة ولا الاخلاص ... إنه من المؤسف جدا أن نرى كل وسائل الاعلام في بلادنا الاسلامية تهتز تطبيلا وتزميرا عند مولد إنتاج غير إسلامي ـ وبخاصة إذا كان صاحبه يساريا ـ فتهدي له الأوصاف اللماعة التي لا تعني سوى التضليل والتعمية ، بينما يولد الانتاج الاسلامي الجديد في الظلام لا يراه أحد ولا يسمع بولادته أحد ، فيدب الشك في نفس المؤلف ، ويتوقف عن الكتابة ليصرف مجهوداته في موطن يدر عليه مكسبا محترما .

٣ ـ **تقع بين الحين والآخر** مسابقات في الانتاج للأطفال ، تسند على إثرها جوائز تقديرية للفائزين في أحسن إنتاج ، وهي طريقة تستعملها ـ للأسف الشديد ـ كثير من الأنظمة القائمة على دماء الجماهير في العالم الثالث ، لإنشاء أدب للأطفال يمجد منجزات النظام القائم ، وهي كما تؤكد التقارير طريقة من طرق استمرارية تلك الأنظمة .

٤ ـ **تقع توعية الأولياء** بخطر القراءة عند الأطفال ، وبضرورة مراقبة ما يقرؤه أطفالهم ، وضرورة التثبت من هوية المؤلف والجهة التي يصدر عنها الانتاج ، ونمدهم بقائمة من الكتب الصالحة لكل طفل حسب سنه ومستواه التعليمي .

● الاهتمام بالأندية التي يرتادها الأطفال ●

اللعب ولاشك ميل من أقوى الميول وأكثرها قيمة في التربية الاجتماعية ، وهو وسيلة هامة لاكساب الطفل بعض الاتجاهات والمفاهيم والقيم ، لذلك نرى الأمم المتقدمة لا تتواني في بذل المجهودات الجبارة قصد توفير ما يحتاجه الطفل عندهم من أماكن ووسائل للعب من شأنها أن تسهم في تنمية قدراته ـ أي الطفل ـ وذكائه وتفكيره الابتكاري ... ولقد تطورت فلسفة اللعب وتعددت أجهزته ، فبعد أن كان من الشائع أن الجهازين الأساسيين اللذين يقومان بتربية الأطفال هما الأسرة والمدرسة فحسب ، أصبح « هناك العديد من الأجهزة التي تسهم في تربية الأطفال وإكسابهم بعض الاتجاهات والمفاهيم والقيم ، منها الأجهزة المباشرة وغير المباشرة كوسائل الاعلام والمؤسسات الترويحية مثل الأندية تضم جماعات اللعب التي تقوم بتنظيم واستثمار أوقات الفراغ ، وفي النادي تتأثر شخصية الأطفال والمراهقين بالجماعات التي يتعاملون معها في أثناء تفاعلهم خلال الأجهزة الترويحية .

ولاشك أن الأجهزة الترويحية أقدر بطبيعتها على اجتذاب الأطفال والمراهقين والكبار على السواء ، وذات تأثير بالغ على شخصياتهم وصحتهم النفسية وأخلاقهم وقيمهم ، كما أن النادي أو المؤسسة الاجتماعية الترويحية ليست وسيلة لإراحة الكبار من صخب الصغار ، بقدر ماهي مؤسسة تعمل على تنمية أعضائها والمترددين عليها عن طريق استثمار أوقات فراغهم في تنمية قدراتهم ومواهبهم وفق هواياتهم وميولهم واستعداداتهم » ، وإنه لمن المخجل أن نرى بعض الفصائل في الحركة الاسلامية العالمية لاتزال ترفض مبدأ العمل ضمن هذه النوادي بدعوى أنها لم تكن مستعملة في العهد الأول للدعوة ، موفرة بذلك لأعداء الاسلام الفرصة للاشراف وتوجيه هذه النوادي حيث يقضي أطفال المسلمين الساعات الطويلة من أوقات فراغهم ... إن الواقع يفرض علينا ، أحببنا أم كرهنا ، أن نكون نحن السباقين إلى « الاستحواذ » على هذه المؤسسات التربوية لتكون تحت « إشراف وتوجيه وريادة صالحة تحترم القيم الاخلاقية والدينية ، وبطريقة منظمة بعيدة عن العشوائية على يد هيئة إشراف مدربة ومعدة إعدادا فنيا ، تلك التي تغرس في الطفل الثقة بالنفس والتعاون والتضحية والتواضع واحترام المبادىء والقيم » لنضمن سلامة الجيل المقبل من أخطار الغزو الثقافي المدمر ... وما يقال عن النوادي الثقافية للأطفال يقال ايضا عن مؤسسة الاعلام التلفزيوني والسينمائي والمسرحي بعد أن لاحظنا أن النقاش لا زال قائما بين فصائل الحركة الاسلامية حول الاستفادة من فن السينما والمسرح ، في حين أن لهذه الأجهزة إمكانيات جبارة تسهل عمل الدعاة نتيجة التأثير الخطير الذي تمارسه على الوجدان والعقل ... والعمل في هذه الأجهزة يتطلب جهودا فنية وتقنية عالية لا يجيدها إلا المتخصصون في ذلك ، ونحن المسلمين أولى من غيرنا بتوجيه طاقات موهوبة من شبابنا إلى التخصص في هذا الفن الخطير لان فيه الخير الكثير للاسلام وللدعوة الاسلامية ، ما دام يمكننا من الدخول إلى كل بيت ومخاطبة كل طفل وكل ولي .. إن أخطر ما نخافه أن يصبح الاعتناء بقطاع الطفولة من نافلة العمل الاسلامي ، بينما كل الجهود موجهة إلى قطاعات اخرى استنفدت طاقات الجهد الاسلامي فوق حاجتها ... إن التسليم في جانب الطفولة يعني التسليم في جانب مهم وحيوي من جسم الأمة ، وإن تأجيل الاهتمام بهذا القطاع الحيوي يعني بلاشك تأجيل يوم النصر ، هذا إذا اعتبرنا أن الأعداء غافلون ، وإلا فإن الفرصة التي تفوت لن تعوض بأي ثمن .

القيم والأخلاق والعادات

الدكتور . محمد ضيف الله بطاينة

القيمة واحدة القيم وتعنى الثمن فيقال قومت السلعة ، ومثلما تقوم الاشياء يجرى تقويم الافعال والجهود ايضا ويقدر لها الأثمان التي تقبض ، وقد يقبل المرء أن يكون ثمن الأشياء والأفعال ثناء الجماعة عليه والمدح والإطراء له ، ويسمى هذا التقويم للأشياء والأفعال قيمة معنوية ، واما اذا كان إجراء الأفعال والتصرفات في الأشياء على وجه ابتغاء رضاء الله ونيل ثنائه وثوابه فذلك قيمة روحية ، ويمكن ان نلاحظ القيم الثلاثة الآنفة الذكر ، في الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ، قال ابو موسى ، جاء رجل الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للذكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله ؟ قال مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

أما الاخلاق فواحدها خلق ، والخلق السجية والطبع ، وهو المرور في الفعل على عادة ، ويعني ايضا المروءة والدين قال تعالى : «**وإنك لعلى خلق عظيم**» (سورة القلم آية ٤) .

وأما العادات فمفردها عادة ، وتعنى الديدن يعاد اليه ، وتكرر الشيء

والمواظبة عليه ، وحدوثه على نهج واحد بلا علاقة عقلية ، وقيل ان العادة والعرف بمعنى وقد تخص العادة بالأفعال ويخص العرف بالأقوال .

وقد جعل محمد الخضري الأخلاق والعادات بمعنى فقال الخلق هو الملكة التي بها يصدر الفعل عن صاحبها من غير مقاومة ، واصطلح الكتاب على ان يقصروا لفظ الخلق على الملكات النفسية كالشجاعة والجبن والسخاء والبخل ، وعلى ان يطلقوا لفظ العادات على الملكات الأخرى كالمشى واللعب . وهو وان وقع اختلاف فيما يطلق عليه من الافعال أخلاقا ، وفيما يطلق عليه عادات واعرافا فهو اختلاف في الاصطلاح ولا يؤثر على ذات الأشياء والأفعال ، والاتفاق على ان الأفعال لا تكون أخلاقا وعادات وأعرافا الا اذا صدرت عن سجية وطبع واتصفت بالتكرار والمواظبة والثبات . ولا تحسب الاخلاق على الأمة والعادات الا اذا كانت مألوفة عند افرادها يفعل الفاعل منهم من غير ان يحاذر نكيرا او يخشى لومة لائم ولو لم يباشره جميعهم .

هذا بالنسبة للاخلاق والعادات ، اما القيم فهى التي تعنى اتجاه الاخلاق والعادات ودوافعها واغراضها إن كانت مادية او معنوية او روحية .

وقدذكرت المصادر عن الحياة العربية قبل الاسلام شواهد كثيرة تتحدث عن الكرم والشجاعة واكرام الضيف واصطناع المعروف واظهار المروءة والوفاء بالوعود والمحافظة على العهود واحترام حق الجار وحماية الحليف وغير ذلك من الاخلاق والعادات .

ولكثرة ما تحدثت المصادر عن هذه الخصال وأثنت عليها صار يخيل للقارىء أن كل فرد كان يتصف بها ، والحقيقة أنه كان هناك كرم وبخل وشجاعة وجبن ووفاء ونكث . وقدروى عن حاتم الطائى أنه جاد بفرسه ، ولكن أبا الرمكاء ضن على ضيفه بشربة لبن وهكذا كان شأن الناس في الخصال الأخرى .

ومع ان البخلاء ومن هم مثلهم في الحرص والشح كانوا أكثر بكثير من أهل الكرم والجود فإن الثناء والمدح ظل قرين الكرماء والذم قرين البخلاء .

وقد حاول بعض الباحثين ان يفهم دوافع الأخلاق والعادات ومعرفة القيم التي تحكمها.فردها بعضهم الى القيم المادية .

قال هؤلاء إن العرب ينظرون الى الأشياء نظرة مادية ولا يقومونها الا بحسب ما تنتج من نفع ، ولا يكترثون بشىء الا بقدر ما ينتجه من فائدة عملية ، وأن المعنويات لاقيمة لها في نظرهم .

ولكن احمد أمين رد على هذه المقولة فقال ، فإنه لو صح ما يروى لنا في كتب الأدب من حكايات الكرم والوفاء وبذل النفس عن سماحة في المحافظة على تقاليد القبيلة لتنافى تمام المنافاة مع المادية.وفي ظني ان القول بمادية أخلاق العرب وعاداتهم في الجاهلية قول يصح على حالات ولا يصح على حالات اخرى .

اذ ما الذي جعل حاتما الطائي يجود بفرسه وجعل ابا الرمكاء يضن بلبن

شاته فلو كان الغرض واحدا وهو تحقيق النفع المادي لوجب ان يكون المنع او البذل سبيل الاثنين وأما القول بأن الجود والكرم كان لإشاعة هذا الخلق بين الناس ليجد حاتم وامثاله من يبذل الطعام لهم اذا كانوا في غربة او أصابهم الجوع فقول مردود ، في المنافع المادية يتحرى المرء ان تتحقق المنفعة على وجه اليقين او على وجه يرجح اليقين عنده او يكون مظنة اليقين ، اما البذل لنيل منفعه للباذل اولغيره في قابل غير مضمون فإنه ليس من القيمة المادية في شيء وإنما يدل ذلك لو صح على مستوى رفيع من الحس الجماعي .

أما اذا كان من وصفوا بالكرم يبسطون ضيافتهم لأناس يبادلونهم الزيارة والضيافة فهذا ممالا يعنينا الحديث عنه ، وهو مما لم تعنه الروايات والأخبار التي روت انهم كانوا يوقدون في الليل النار على الجبال ليرشد بها الضال الى منازلهم ويأمرون في النهار من ينادى أن من اراد الدرمك واللحم والتمر واللبن فليأت بيوتهم

وفي ظني مع قلة من كان يبذل الطعام وكثرة من كان يضن به لقلته ، ان العرب كانوا ينطلقون في ذلك من منطلقات معنوية يريد بعض من كان ذا مال ويسر حال ، أن يشبع من خلال البذل والعطاء نزعه تحقيق الذات وهى لا شك قيمة معنوية ، وقل الشيء نفسه في أمور الشجاعة والوفاء بالعهد وغيرها .

ومع أن القيمة وراء الكرم وغيره كانت معنوية ، فإنها كانت ذات طابع فردى ولكن الثناء عليها جاء من خلال آثارها على الناس ، فحاتم الطائي يمدح ويذكر بالثناء وينتشر صيته ، والناس يأكلون من وراء ذلك ويشربون فالكرم عند حاتم معنى وعند الناس منفعة .

ولكن كيف نشأت هذه الاخلاق والعادات ؟

يرد احمد أمين نشوء هذا النوع من الأخلاق والعادات الى البيئة التي عاش فيها فيقول : هذا النوع من البيئة حدد نوع معيشتهم ، فهم رحل يتطلبون الكلأ ، وهم فقراء ثروتهم في كثرة ماشيتهم ، وهذه الثروة تحت رحمة الطبيعة فقد تنفق الماشية وينضب ماء الآبار ويقل المطر فيقل المرعى ويسوء العيش ، وبحق سموا المطر غيثا ، وهذا النوع من البيئة حدد نوع أخلاقهم وعقليتهم ، أليس البؤس هو الذي جعل الكرم وإيقاد النيران يهتدي بها الضيفان في مقدمة الفضائل ؟ أو ليس هذا الفقر هو الذي حبب اليهم الاغارة فاشادوا بذكر حمى القبيلة وعيروا من قصر في الدفاع عنها واسترخصوا النفوس في سبيل حمايتها ؟ أ ليسوا اذاً في حاجة لأن يعدوا الشجاعة والوفاء والعفو من كبريات الفضائل ، وهكذا قل في عقليتهم،فالعدل والظلم والخير والشر وما يذم وما يمدح كله تابع لما تواضعوا عليه . وماتواضعوا عليه تابع لنوع معيشتهم .

والقول بأثر البيئة في حياة الناس قديم قاله اليونانيون ، والمعنى الذي ذهب اليه احمد امين على جانب من المبالغة ، فحياة العرب ومظاهرها لا

يصلح لتعليلها سبب مفرد كالبيئة ، فالعرب أناس اختلطوا بغيرهم من الأمم والشعوب ، ولا بد انهم أثروا وتأثروا بهم ، وهم ممن ورثوا ديانات عديدة وآثار هذه الديانات باقية بينهم على تفاوت واختلاف ، وذرية ابراهيم عليه السلام الذي حدثنا القرآن عن ضيوفه كانت تنزل بين ظهرانيهم ، قال تعالى « **ونبئهم عن ضيف إبراهيم** » سورة الحجر آية ٥١ ، وقال الله تعالى « **فما لبث أن جاء بعجل حنيذ** » سورة هود آيه ٦٩ ، كما ان العرب قوم لهم عقول يتدبرون بها ، وعندهم القدرة على مواجهة التحديات والاستجابة لها ولا شك ان معادلة الحياة بينهم كان للبيئة اثر في صياغتها ، ولكنها لم تكن نسيج البيئة وحدها .

فالكرم والشجاعة والوفاء بالوعد والمحافظة على العهد واحترام الجار وغير ذلك مما يمدح موجود على تفاوت بين الشعوب الاخرى ، وقد يكون للبيئة أثر في إبراز جانب وتغليبه على غيره لأسباب بيئية خاصة ، كالمقدار الذي اذا اخرجه الفرد من ماله عد الفرد كريما ، ونوع المال الذي إذا قدمه الفرد من ماله صار معدودا جوادا ، والفعل الذي إذا أتاه الفرد عد شجاعا او وفيا ، فهذه من الأمور التي يمكن ان يكون للبيئة أثر فيها على تفاوت بين حال الغني والخصب والوفرة والكثرة وحال الفقر والجدب والحاجة والقلة .

أما الاحكام على هذه الافعال فكانت عند عرب الجاهلية من نتاج التنقل وتعاليم الديانات السابقة مع أخذ عامل البيئة بعين الاعتبار .

وعندما جاء الاسلام أراد ان يجعل الفرد الذي كان يعيش في إطار قبلي محدود حجما ، وهابط غرضا وهدفا ، اراد أن يجعله في إطار جماعي يكبر على التدريج وتسمو اغراضه واهدافه ، فجعل علاقات الفرد والجماعة علاقات خلق مع خالق هو رب العالمين وعلاقات عبيد مع إله واحد لا شريك له ، وجعل الاخلاق والعادات كلها تدور في فلك هذه العلاقة أي علاقة العبد المخلوق بالإله الواحد الخالق .

لقد ألغى الاسلام كل ما كان سيئا في حياة العرب قبل الاسلام وابقى على كل ما كان حسنا ، وجعل فعل ما كان حسنا متعلقا بابتغاء مرضاة الله ونيل ثوابه .

أبطل الاسلام الاحتكام الى العرافين والأقداح والتطير والتشاؤم وتعليق الاشياء القذرة النجسة على الأبدان والامتناع عن الزواج في شوال وغير ذلك مما لا يقوم الدليل على وجود فعل له مرتبط بمظنة مفعوله ارتباط العلة بالمعلول والسبب بالمسبب ، اذ لاعلاقة قطعية بين العراف ومستقبل الناس ، ولا بين شوال والزواج فيه ، ولا بين الطير سانحة أو بارحة والسفر والتجارة ولا بين النجاسة والجنون .

ونهى الاسلام عن التنابز بالألقاب مثل (دحروجة الجعل) و (ابو الذبان) وأمثال ذلك ، قال تعالى ..

« **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** » (سورة الحجرات آية (١١) وساب ابوذر رجلا وعيره بأمه ، فلما علم الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال لابي ذر«إنك امرؤ فيك جاهلية »

وحبب الاسلام أن يدعو المسلم أخاه باحب الكنى والألقاب اليه ، فشاع ابو بكر وابو الحسن وابو عبد الله وغيرها من الكنى ، وانتشر المهدى والرشيد وخير الدين وغيرها من الألقاب ، وكانت ظاهرة الكنى والألقاب من سمات المجتمع الاسلامي المعروفة .

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحب الاسم الحسن والفأل الحسن ، فكان رجل اسمه زحم فسماه بشيرا ، وأمرأة كان اسمها عاصية فسماها جميلة وكانت زينب بنت أبي سلمة تسمى برة فقال عليه الصلاة والسلام تزكي نفسها وغير اسمها الى زينب وقال لرجل ادع لى انسانا يحلب ناقتي فجاءه برجل اسمه حرب فرده وجاءه بآخر اسمه يعيش فرضيه وقال له احلبها يايعيش .

وأمر الاسلام بالصدقة والنفقة وحض على الكرم وبذل الضيافة ابتغاء وجه الله ورضوانه ، قال تعالى

« **إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا** » (سورة الانسان آية ٩) وقال تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون** » الى قوله تعالى « **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء** » سورة البقرة الآيتان ٢٦٧, ٢٦٨

وقال تعالى « إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم (سورة البقرة آية ٢٧١

وروى البخارى في صحيحه ان رجلا سأل الرسول (صلى الله عليه وسلم أي الاسلام خير ؟ قال:«تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف».

وروى البخارى في صحيحه ايضا ان النبي (صلى الله عليه وسلم) قال :«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة أيام فما بعد ذلك فهو صدقة .

ولا يحل له ان يثوى عنده حتى يحرجه» وجعل الاسلام على المضيف ألا يغضب ولا يجزع عند الضيف .

وروى ان ضيفا ضاف عند أنصاري وليس في طعام الانصاري فضل عن كفاية ، فأمر الأنصاري امرأته بإطفاء السراج ليأكل الضيف وهو لا يشعر أن المضيف له لا يأكل .

وقال عمر بن عبد العزيز ، إنه للؤم بالرجل أن يستخدم ضيفه .

وأثنى الاسلام على الإقدام في الحرب والشجاعة ولقاء الأعداء وجعل ذلك في سبيل الله ونشر دعوته ، وفضل أولو الأمر أهل الشجاعة والأقدام على غيرهم في العطاء وقسم الغنيمة .

وكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) أشجع الناس ، قال البخاري في صحيحه ، كان النبي (صلى الله عليه وسلم) من أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس .

ووصف الله عز وجل نبيه بحسن الخلق فقال تعالى :

« **وإنك لعلى خلق عظيم** » (سورة القلم آية ٤) وروى البخاري في صحيحه عن مسروق أنه قال ، دخلنا على عبد الله بن عمرو حين قدم على معاوية الكوفة فذكر رسول الله (صلى الله عليه وسلم فقال لم يكن فاحشا ولا متفحشا). وقال عليه الصلاة والسلام :«إن من أخيركم أحسنكم أخلاقا».. وقال النبي صلى الله عليه وسلم :«ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يمسك نفسه عند الغضب».

ومدح الرسول « صلى الله عليه وسلم»

خلق الحياء وعده من الإيمان فقال ، الحياء لا يأتي إلا بخير . ومر على رجل وهو يعاتب آخر في الحياء ويقول له ، انك لتستحى كأنه يقول قد أضر بك ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دعه فإن الحياء من الإيمان .
وحث الاسلام على الوفاء بالعهود ، فقال تعالى :
« والموفون بعهدهم إذا عاهدوا» (سورة البقرة آية ١٧٧) وقال تعالى :
« والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » (سورة المؤمنون آية/٨) .
وأوصى الاسلام ببذل المعروف والمهاداة واحترام الكبير وصلة الرحم وغير ذلك ـ مما يسل السخيمة من الصدور ويورث المحبة والمودة في القلوب ويزرع التعاطف في النفوس .
روى البخاري في صحيحه أن رجلا أو طالب حاجة جاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) يسأل ، فأقبل الرسول (صلى الله عليه وسلم) على من حوله فقال : "اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه مما شاء".
واتى عبدالله بن سهل ومحيصة بن مسعود خيبر فتفرقا في النخل ، فوجد عبدالله بن سهل مقتولا ، فجاء عبد الرحمن بن سهل وحويصة ومحيصة ابناء مسعود الى النبي (صلى الله عليه وسلم) فتكلموا في أمر صاحبهم . فبدأ عبد الرحمن وكان اصغر القوم ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) كبّر الكبر ، أي ليلي الكلام الأكبر .
وسأل رجل الرسول (صلى الله عليه وسلم . أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال:«تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم».

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم)«من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه . وعدّ عليه الصلاة والسلام عقوق الوالدين من الكبائر .

وأما بخصوص الجار فيبدو أن العلاقات بين الجيران تأتي في المرتبة الثانية بعد العلاقات بين افراد الأسرة الواحدة ، فقد اهتم الاسلام بالأسرة والعلاقات بين أفرادها يريد أن يقيمها على أساس قوى قويم يجعلها قادرة على تربية الأجيال الصالحة وتنشئتها واعدادها للمساهمة الطيبة في بناء المجتمع وحفظ كيان الأمة ، وعد العلاقات بين الأسر أي العلاقات بين الجيران امتدادا لذلك ففي أمن الأسرة الواحدة وطمأنينتها وأمن العلاقات بينها وبين جاراتها من الأسر الأخرى تزدهر الحياة ويزداد العطاء ويعمر المجتمع ويتجدد شباب الأمة .
قال رجل لسعيد بن العاص ، والله إني لاحبك ، فقال له ولم لا تحبني ولست بجار لي ولا ابن عم ، وكان يقال ، الحسد في الجيران والعداوة في الأقارب .
وهي إشارة الى ما يكون بين الجيران والأقارب من العلاقات السيئة مما يفضي الى الخصومة والعداوة ويقطع وشائج المحبة والمودة ولذلك كانت الأسرة الصالحة والجيرة الحسنة معوانا على الخير .
وفي الحياة البدوية قد تكون الجيرة أخف وطأة منها في دار الإقامة والحضر ، فاذا وقع الخلف والخصام بين الجيران رحل بعضهم عن بعض ، وأما في الحضر فهى أشد وطأة ولذلك قيل «الجار قبل الدار» ومن هنا اهتم الاسلام بالجار وأكثر من الوصاية به ، قال الله تعالى :
« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب

وابن السبيل » (سورة النساء آية ٣٦)

وقال النبي (صلى الله عليه وسلم) «مازال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت انه سيورثه » .

وقال عليه الصلاة والسلام .. «والله لا يؤمن والله لايؤمن ، والله لا يؤمن قيل من يارسول الله ، قال الذي لا يأمن جاره بوائقه».

وقال عليه الصلاة والسلام ..

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلايؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت».

وقال شاعر الجاهلية :

نـارى ونـار الجـار واحـدة
واليـه قبـلى تنـزل القـدر
مـا ضر جـارا لي أجـاوره
الا يكـون لبيتـه ستـر
اعمـى إذا مـا جـارتـي بـرزت
حتـى يـواري جـارتـي الخـدر

ومر مالك بقينة تغني :

أنت اختى وانت حـرمـة جـاري
وحقيـق عـلى حفظ الجـوار
إن للجـار ان تـغيـب غيبـا
حـافظـا للمـغيـب والأسـرار
مـا أبـالي أكـان للبـاب ستـر
مسبـل أم بقـي بـغـير ستـار

فقال مالك علموا أهليكم هذا ونحوه .

والمعن فيما ذهب الاسلام اليه ، والقيم التي جعلها حكما على الاخلاق والعادات يجد ان احترام الانسانية والحفاظ عليها وصيـانة النـوع البشرى وتكـريمـه واصلاح دنياه وآخرته كـان غرضـه وغايته .

ولكن تعلق الناس بهذه القيم في أخلاقهم وعاداتهم لم يكن عاما ، وإنما اختلفوا في مستوى استجابتهم ، وتفاوتوا في درجة الامتثـال والالتـزام ، ووقفت بعض الاتجاهات الفردية والقبلية السلبية دون تعميق القيم والمثل الاسلامية في حياة بعضهم

وعلى أية حال ، فقد تهيأ للناس في ظل الاسلام مالم يتهيأ لهم من قبل،اذ قامت للاسلام دولة أخذت ترعى بمؤسساتها وأجهزة الحكم فيها العلاقة بين الفرد والجماعة وبين الله ، وتتخذ الوسائل لتعزيز هذه العلاقات وتقويتها عن طريق الايمان وتقوية الصلة بـالله بـالوعظ والإرشـاد والتـربيـة والتعليم، وعقـد الدروس والحلقات والحض على حضور الجمـاعة والانخـراط في صفهـا،وذم الاعرابية والرجوع اليها مخافة أن ينقلب المرء جاف الطبع غليظ القلب ، وسياسة الناس بالشرع واحكامه مما كفل سيادة الاسلام ومبادئه وقيمه رغم الثغرات التي ألمحت الكتب اليها في سلوك الناس ..

حقيقة العلاقة بين نظام الطلاق وظاهرة جنوح الأحداث

للدكتور/ احمد على المجدوب

الطلاق من النظم الاسلامية الكثيرة التي استهدفت لنقد شديد من جانب عدد كبير من المستشرقين والمبشرين الذين قاموا بدراسة الاسلام بروح ابعد ما تكون عن الموضوعية ، وبدافع من العداء له والرغبة في اظهاره بمظهر الدين الملىء بالعيوب والمثالب .

وعلى الرغم من ان بعضهم قد عرف عنه في الاوساط العلمية دقة البحث وعمق النظر والالتزام بالموضوعية الا انه في دراسته للنظم الاسلامية يبدو وكأنه تخلى عن هذه الصفات وارتد الى مرحلة مبكرة من مراحل التعليم حيث لا دقة ولا عمق ولا موضوعية . وما ذلك الا لأنه استسلم لتعصبه فأعماه واتبع هواه فأضله وارداه . ومن هؤلاء المستشرق « كارل بروكلمان » الذي لم يتورع رغم علمه المزعوم ، عن ان يصدر حكما متعسفا لا سند له من بحث او دراسة يقول فيه « ان الطلاق في الاسلام أمر ميسور جدا غير شك» وهو كما نرى رأى يتسم بالسطحية الشديدة ويفتقر الى الدليل والبرهان ولو ان « بروكلمان » كان عالما بحق لقدم للقارىء ما يدل على صحة هذا الكلام من احصاءات وغيرها تبين ارتفاع معدلات الطلاق في العالم الاسلامي عن مثيلاتها في اي دولة اخرى تأخذ بنظام الطلاق مع بعض القيود التي تجعله امرا غير ميسور ، على خلاف ما فعله الاسلام . ولكنه للاسف لم يفعل وما كان ليفعل لانه يعلم

علم اليقين انه غير صادق فيما ادعاه . وقد وجد من يردد هذه الاكذوبة بعد « بروكلمان » من المستشرقين الذين لا يتورعون عن انتهاز اي فرصة تسنح لهم فيسددوا سهامهم الى الاسلام ، منهم المستشرقة الشيوعية « لويزا شايدولينا » التي ساقت كلاما سخيفا تأييدا لما قاله « بروكلمان » من ذلك قولها « ويمكن ان يكون المبرر لفسخ عقد الزواج اي خطأ او هفوة بسيطة من جانب الزوجة . كما ويستطيع الرجل المبادرة الى اعلان الطلاق بدون اي مبرر . تؤثر هذه السهولة في فسخ عقد القران بشكل سلبي على وضع المرأة وتفقدها شعور الأمن والطمأنينة »

ومع ذلك فانه يوجد من بين المستشرقين والمؤرخين قلة قليلة يحاول افرادها ان يراعوا الموضوعية فيما يكتبونه عن الاسلام ، منهم المؤرخ الامريكي ول . ديورانت الذي تناول نظام الطلاق في الاسلام بقوله « لكن الاسلام وان اجاز ان يطلق الزوج زوجته كما كان مباحا في ايام الجاهلية فان النبي لم يكن يشجع عليه ويروى عنه انه قال "ان ابغض الحلال الى الله الطلاق » هذا الى ان القرآن نفسه يحض على عدم قطع العلاقة الزوجية الا بعد ان تبذل الجهود للاصلاح بين الزوجين « **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما** » ـ سورة النساء أية ٣٥ ولا يصبح الطلاق نهائيا الا بعد صدوره ثلاث مرات بين كل واحدة والاخرى شهر على الاقل

ولكي يرغم الزوج على ان يطيل التفكير في أيمان الطلاق قبل صدورها فان الاسلام لا يبيح بعد ذلك للرجل ان يرد مطلقته الى عصمته الا اذا تزوجت من رجل اخر ثم طلقت منه.» ومن الواضح ان ول ديورانت قد اختلط عليه الامر في الجزء الاخير من كلامه فاضاف من عندياته **شرط الشهر** كما خلط بين الطلاق لمرة واحدة والطلاق المكمل للثلاث فكشف بذلك عن طريقة المؤرخين المتعجلة والسطحية في النظر الى النظم المطبقة في غير مجتمعاتهم وعدم عنايتهم بتحرى الحقيقة بشأنها . ولكنه على اي حال قد بين ان الطلاق ليس ميسورا جدا كما زعم « بروكلمان » ومن هم على شاكلته من مستشرقين ومبشرين اتخذوا من نظام الطلاق ذريعة لمهاجمة الاسلام ، لا في الكتب فحسب بل وفي المؤتمرات والندوات وحلقات البحث ، زاعمين انه السبب في تخلف المرأة المسلمة واصابتها بالقهر ، وانه يلعب دورا هاما في ظاهرة جنوح الاحداث التي يرجع ارتفاع معدلاتها الى طلاق الابوين وما يؤدي اليه من فقد الابناء للاستقرار والدفء الاسرى ورعاية الابوين .

وقد تلقف ضعاف الايمان ومن كان اسلامهم على حرف والمسلمون اسما من العلماء والمفكرين والباحثين العرب ، وغيرهم ممن يطلقون على انفسهم وصف المثقفين هذه المزاعم وانطلقوا يهاجمون نظام الطلاق ويلصقون به كل نقيصة وينسبون اليه كل العيوب والمثالب التي تعاني منها مجتمعاتهم . فاتهموه بأنه يظلم المرأة ويلحق

الضرر بالابناء وينال من استقرار المجتمع ويصيبه بالتخلف . وطالبوا بمنعه او على الاقل بتقييده تلافيا لهذه الاثار السيئة ووقاية من جنوح الاحداث وانحراف الشباب . ولم يتورع بعض الباحثين عن تقديم احصاءات زائفة وتفسيرات ملتوية لظاهرة جنوح الاحداث ليؤيدوا بها مازعموه من ان الطلاق هو السبب في ارتفاع معدلات الجنوح .

واذا نحن تأملنا في موقف هؤلاء واولئك اي المستشرقين والمستغربين على السواء فسوف نلحظ ان الباعث لديهم الى اتخاذ هذا الموقف واحد وهو العداء للاسلام وكذلك الهدف بالنسبة لهم واحد ايضا وهو القضاء على الاسلام باسلوب تدريجي قوامه تحطيم نظمه الواحد تلو الاخر طالما انه يتعذر القضاء عليه دفعة واحدة وذلك باختلاق الاسباب التي تنتقص من هذه النظم وافتعال عيوب ينسبونها الى كل نظام منها . ولا زلت اذكر الحوار الطويل الذي دار ذات يوم بيني وبين احد رجال مجلس الكنائس العالمي الذي كان قد حضر احد الملتقيات الاسلامية المسيحية في تونس منذ سبع سنوات . وكان الرجل والحق يقال صريحا الى حد بعيد وهو ما قدرته له حيث قال لى ان اباحة الاسلام للطلاق تسبب للمبشرين بالمسيحية في افريقيا مشكلات كثيرة ويقف عقبة في سبيل اعتناق الافريقيين للمسيحية التي تحرم الطلاق مما جعل الكنيسة الكاثوليكية تصدر تعليماتها الى مبشريها وكهنتها الذين يديرون مراكز التبشير والكنائس بالتساهل في هذا الامر واخبار الافريقيين الذين يجرى استدراجهم لاعتناق المسيحية بانه ليس هناك مايمنع الطلاق ، بل وتعدد الزوجات ايضا الذي قال هذا الرجل انه يعد عاملا اخر من العوامل التي تجذب الافارقة الى الاسلام . واستطرد قائلا وهو يضع على شفتيه ابتسامة خبيثة « ان الاسلام كان ذكيا عندما اباح هذين الامرين اذ استجاب بذلك الى ما لدى الرجل من ميل فطري الى التفوق على الانثى فيكون له ان يتخلص منها بالطلاق وقتما يشاء وان يجمع بينها وبين اخرى او اكثر في عصمته ليضاعف متعته « فقلت له ولماذا تسميه انحيازا من الاسلام للرجل ؟ ولم لا يكون تنظيما من الاسلام للعلاقة بين الرجل والمرأة راعى فيه مصلحتهما معا ؟ فمط شفتيه وهو لا يزال يبتسم في خبث وقال ربما ولعل الذين اتيحت لهم الفرصة لحضور بعض المؤتمرات او الندوات وحلقات البحث التي تعقد بكثرة وتتناول موضوعات دينية او اجتماعية او حتي اقتصادية او ثقافية لاحظوا ان انصار كلتا الكتلتين الغربية والشرقية لا يتفقون على شىء الا على الاسلام ، فيشتركون في الهجوم على نظمه وكيل الاتهامات لها بانها تسىء الى المرأة او تضر باستقرار الاسرة وتهدد وحدة المجتمع او بكل هذه الامور مجتمعة .. وفيما عدا هذا تجدهم مختلفين متناحرين يتناقشون بعنف ويتصارعون بقوة حول امور هي من التفاهة بمكان ومن المثير للدهشة حقا انه يكون من بينهم دائما نس'

يصفن انفسهن او تصفهن الصحف والمجلات بأنهنَّ تقدميات او « ليبراليات » اغلبهن مطلقات وامهات فاشلات لأبناء انحرفوا لأنهنّ لم يقمن بواجباتهن نحوهم ، بل حملن حقائبهن ومضين يتنقلن من بلد الى آخر لترديد هذه الادعاءات التي يعتبرن هن انفسهن بسلوكهن وتصرفاتهن اصدق دليل على كذبها ويكفي ان يتعامل المرء معهن لكي يدرك بلا ادنى جهد لماذا طلقن .

ولو ان المستشرقين وتلاميذهم المستغربين من العرب والمسلمين التزموا بالامانة العلمية وتقيدوا بالقيم والاخلاق وبدلا من ان يستسهلوا الكذب ، تحملوا مشقة الصدق لكي ينالوا احترام الناس ويحظوا بتقديرهم فلجأوا الى القراء ة والبحث في المراجع العلمية لعلموا ان الطلاق ليس امرا ميسورا جدا في الاسلام كما زعم « بروكلمان » إذ لو انه كان كذلك لارتفعت معدلاته كثيرا في الدول الاسلامية بالمقارنة مع ما هي عليه في الدول غير الاسلامية . ولعلموا ايضا انه ليس العامل الاول في قائمة العوامل التي تؤدي الى ارتفاع معدلات جنوح الاحداث كما تبين من كثير من البحوث التي اجريت في كثير من الدول ، وعلى خلاف ما ذهبوا اليه فقد اعترف بعض العلماء الغربيين الذين درسوا ظاهرة الجنوح ان نظام الاسرة الاسلامية يعوض الابناء عما فقدوه من حنان ورعاية الابوين في حالة حدوث الطلاق .

ففيما يتعلق بمعدلات الطلاق في الدول المختلفة جاء في الاحصائية التي نشرتها دائرة المعارف الامريكية انه بينما كان معدل الطلاق في مصر سنة ١٩٥٥ يبلغ ٢,٦٤ حالة لكل الف من السكان فان هذا المعدل انخفض سنة ١٩٧٥ الى ٢,٠٢ حالة طلاق ـ وكذلك بالنسبة للدولة الاسلامية الثانية التي جاءت ضمن الدول التي وردت بالاحصائية وهي ايران التي كان المعدل فيها سنة ١٩٥٥ ١,٤٥ حالة طلاق لكل ألف من السكان انخفض سنة ١٩٧٥ الى ٠,٦٤ فقط اما اعلى معدل فكان في الولايات المتحدة الامريكية حيث بلغ ٢,٣٠ حالة طلاق سنة ١٩٥٥ وصل الى الضعف سنة ١٩٧٥ ليصبح ٤,٨٠ حالة طلاق لكل الف ووصل سنة ١٩٧٦ الى خمس حالات . وقد جاءت السويد بعد الولايات المتحدة بمعدل ٣,٣٣ يليها الاتحاد السوفييتي بمعدل ٢,٩٥ ثم تشيكوسلوفاكيا بمعدل ٢،١٨ وبطبيعة الحال فان الكلام بهذا الشكل يبدو مضللا لأن عدد حالات الطلاق ينسب الى كل الف من السكان بما في ذلك غير المتزوجين ومن لم يبلغوا سن الزواج . لذلك فان ما نشره الباحث الامريكي « جوزيف ايتين » في كتابه (الطلاق) الذي نشره سنة ١٩٧٥ هو الاصح حيث اعتمد على النسبة وليس على المعدل فتبين ان نسبة الطلاق بين الامريكيين وصلت الى ٢٥٪ من اجمالي حالات الزواج بينما ارتفعت في ولاية كاليفورنيا الى ٥٠٪ .

وقد لوحظ انه في الوقت الذي ارتفعت فيه معدلات الطلاق في الولايات المتحدة فقد سجلت مكاتب توثيق

الزواج انخفاضا مطردا في عدد الزيجات بلغ ٢٥٪ خلال السنوات الخمس (١٩٦٩ـ١٩٧٣) في سان فرنسيسكو . كما بلغ الانخفاض في شيكاغو ٢٣٢٣ زيجة عام ١٩٧٤ عما كان عليه في عام ١٩٧٣ الذي ينقص ٢٧٨٤ زيجة عما كان عليه الحال في عام ١٩٦٩ . كما سجلت الزيجات في ولاية نيويورك انخفاضا سنويا منذ عام ١٩٧١ بلغ في المتوسط حوالي الف زيجة . ويقول عالم الاجتماع ها رولد ويلنسكي « ان الاتجاه في معدلات الطلاق في الولايات المتحدة يماثل بدرجة كبيرة نظيره في الامم الغربية التي تسمح بالطلاق للتماثل الواضح بين القيم والعادات والتقاليد والنظم في هذه الامم.ومما يسترعى الاهتمام انه على الرغم من ارتفاع معدلات الطلاق في الدول الغربية بل والكتلة الشرقية ايضا على هذا الوجه وما ينسبه علماؤنا الاذكياء الى الطلاق من عيوب ومثالب ، فانه يلاحظ وجود اتجاه متزايد نحو اصدار قوانين تسمح بالطلاق في كثير من الدول الغربية التي لم تكن تسمح به ، وبالذات في الدول التي للكنيسة الكاثوليكية نفوذ عظيم فيها كايطاليا حيث الفاتيكان معقل الكاثوليكية والتي انفق كهنتها ملايين الدولارات للدعاية المضادة للطلاق عندما طرحت الحكومة الايطالية القانون الخاص للاستفتاء العام سنة ١٩٧٣ ومع ذلك فقد حظى باغلبية ساحقة صوتت الى جانبه .

وكانت الحكومة الايطالية قد لجأت الى هذا الحل بعد ان تفاقمت مشكلة الازواج المنفصلين فعلا والذين بلغ عددهم خمسة ملايين زوج وزوجة كان كل منهم يعيش مع شريك آخر بدون زواج رسمي او ديني بل ان كثيرين منهم انجبوا من شركائهم في هذه العلاقة . وها هي البرازيل تصدر منذ ايام قانونا يسمح بالطلاق غير عابئة باعتراضات الكنيسة ذات النفوذ الملحوظ في البلاد وسوف تتبعها دول اخرى هنا وهناك تسمح بالطلاق لا لشيء الا انه هو الحل السليم لما يقع من نفور وعدم توافق بين الزوجين او ما يحدث من خلافات تجعل استمرار الحياة الزوجية السليمة والصحية مستحيلا وتؤدي الى مشكلات تفوق في الضرر والخطر ما يترتب على الطلاق

اما بخصوص ما يزعمونه من ان الطلاق يلعب دورا مؤثرا في مشكلة جنوح الاحداث فقد تبين من البحوث التي اجريت في الولايات المتحدة عدم صحة هذا الزعم ففي البحث الذي اجرته العالمة الامريكية (كافان) تبين ان حوالي ٦٦٪ من عينة البحث من الاحداث الجانحين ينتمون الى اسر يقيم فيها الابوان معا أي انهما غير مطلقين اما النسبة المتبقية وهي ٣٤٪ الذين جاءوا من اسر مفككة اي لا يوجد احد الابوين بسبب الطلاق او غيره) فقد تبين الاتي .

ان ١١٪ ينتمون الى اسر مات فيها الأب ٧٪ ينتمون الى اسر ماتت فيها الام و ١٪ ينتمون الى اسر مات فيها الابوان معا . ولم تزد نسبة الذين ينتمون الى اسر تفككت بسبب الطلاق او الانفصال الجسماني او الهجر على ١٥٪ فقط وقد جرت دراسة اخرى مماثلة في ولاية (واشنطن) قام بها

اشلى ويكس . جاءت نتائجها قريبة جدا من نتائج الدراسة التي اجرتها (كافان) التي دعت الى الاهتمام بنمط العلاقة بين الابوين وبينهما وبين الابناء اكثر من الاهتمام بالحقيقة المجردة الخاصة بوجود او بغياب الابوين او احدهما عن البيت واقترحت استخدام مفهوم « الاسر المفككة نفسيا » والذي يشير الى الاسر التي يوجد فيها صراع وخصام وشجار بين الزوجين يؤدي الى القضاء على دور الاسرة في عملية ضبط الاولاد وتوجيههم الوجهة السليمة . وقد وجدت « كافان » ان هذا المفهوم يرتبط بظروف فقدان المركز الاجتماعي وفقد الاسرة لوحدتها ، وفقد الأمن الانفعالى كما خرجت بنتيجة هامة وهي ان الاسر التي تعد من الناحية الفنية مفككة يمكن ان تكون من الناحية النفسية غير مفككة اذا كان هناك بدائل عن فقد احد الابوين او كليهما او اذا كان الانسجام قد تحقق بين الابناء واحد الابوين بعد فقد الاب الاخر واحتفظت الاسرة بوحدتها وبعملية الضبط فيها .

والى هذه البدائل اشار عالم الاجتماع الامريكي ويلنسكي عند كلامه عن اختلاف اثار الطلاق في الولايات المتحدة عنها في غيرها وذكر مصر على سبيل المثال فقال ان الطلاق في المجتمعات المماثلة لمصر لا يعد مشكلة اجتماعية نظرا لان نسق القرابة يستند الى الجماعات القرابية الواسعة وليس على القرابة المباشرة فقط . وهو يعني بذلك ان القرابة في مصر لا تقتصر على الابناء والابوين فقط بل تمتد لتشمل الجماعات القرابية الواسعة وهي اسرة الزوج واسرة الزوجة واصول الاسرتين وفروعهما بقدر ما تعى الذاكرة اي ذاكرة الاقارب والتي تقوم بدورها كماصة للصدمات . فالاسرة لا تتخلى عن ابنتها التي طلقت ولا عن اولادها بل تحتضنهم جميعا وتحيطهم بالعناية والرعاية والحب . وكذلك اسرة الزوج الذي ماتت زوجته او طلقت وتركت له الاولاد . وهكذا في كل حال تصاب فيها الاسرة بالتفكك لطلاق او وفاة او حتي مجرد خصام مؤقت تبادر اسرتا الزوجين لتقديم العون لهما وبذل النصيحة والتطوع بالمساعدة والي هذه الظاهرة التي استحوذت على اهتمام علماء الاجتماع الغربيين يرجع الانخفاض الملحوظ في كل من ظاهرتي جنوح الاحداث والبغاء حيث تجد المطلقة في اسرتها ملاذا لها وحماية من الانحراف .

وعلى خلاف ما يزعمه بعض ادعياء العلم من ان الطلاق يتسبب في نسبة لا تقل عن ٥٠٪ من اجمالي حالات جنوح الاحداث التي تقع في مصر وذلك بقصد دعم موقفهم المعارض للطلاق ودعوتهم الملحة الي تقييده تبين من البحث الذي اجراه المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة لظاهرة الطلاق ان نسبة تصل الى ٧٢,٣٪ من حالات الطلاق وقعت قبل ان ينجب الزوجان اولادا فكيف بالله تكون نسبة الجانحين الذين يرجع جنوحهم الى طلاق الابوين

٥٠٪ او أكثر . واذا كانت لنسبة المطلقين دون ان ينجبوا دلالة فان هذه الدلالة تأتي لتدحض ادعاء أولئك الادعياء . ذلك انها تبين ان وجود الابناء يؤدي الى انخفاض في عدد ما يقع من حالات الطلاق باعتبار أن وجود الاولاد يلعب دورا في قيام الترابط الاسرى او على الاقل يفرض على الزوجين الابقاء على العلاقة الزوجية قائمة من أجل الابناء . ولذلك فقد لوحظ ان نسبة الطلاق تنخفض كلما زاد عدد الاولاد فقد بلغت ١٧,٣٪ لمن كان لديهم ابن واحد وانخفضت الى ١٤,٦٪ لمن كان لديهم بنت واحدة مما يدل على ان الابوين يكونان اكثر حرصا على استمرار قيام الاسرة اذا كانا قد انجبا بنتا لما يلمسانه من ان البنات اشد حاجة الى الرعاية والعناية من البنين . كذلك فقد انخفضت النسبة الى ٦,٥٪ في حالة وجود ابنين بغض النظر عن كونهما انثيين او ذكرا وأنثى أو ذكرين . واستمر الانخفاض مع زيادة عدد الابناء ليصل الى ٢,٦٪ لمن كان لديهم ثلاثة ابناء و ١,٤٪لمن كان لديهم اربعة ابناء و ٠,٢٪ لمن كان لديهم خمسة ابناء وهكذا يتبين ان الطلاق يأخذ اتجاها عكسيا لعدد الابناء بمعنى انه كلما زاد عدد الابناء انخفض عدد حالات الطلاق .

اما الحقيقة التي اراد اعداء الاسلام ونظمه ان يخفوها فهي ان ارتفاع معدلات جنوح الاحداث وجرائم الشباب يرجع الى امر اخر غير الطلاق هو عمل المرأة الأم وعدم اهتمامها ببيتها وزوجها واولادها ، فهي تمسكا منها بالشعارات الزائفة والمضللة التي تتحدث عن حق المرأة في العمل ومساواتها بالرجل تصر على الخروج للعمل حتى ولو لم تكن في حاجة الى الدخل الذي تحصل عليه منه،زاعمة بدافع من المكابرة ، انها تؤكد ذاتها وتثبت استقلالها عن الرجل وتساهم في عملية التنمية .وهي في الحقيقة تحاول ان تخفي انانيتها خلف هذه الكلمات التي لقنتها لها من يطلقن على انفسهن لقب زعيمات حركة تحرير المرأة فاستظهرتها دون تمهل او اعمال نظر أو تدبر لعواقبها فكانت النتيجة ترك الابناء بدون رعاية حقيقية او تربية سليمة،اذ يعودون من المدارس ليجدوا الأم لم تعد بعد من العمل فيمضون الوقت مع رفاق السوء وعندما تعود الام تعود منهوكة القوى مشوشة الفكر تحمل على كاهلها هموم العمل فلا تسمع لزوجها ولا تولى اولادها الاهتمام اللازم . ونسيت الام دورها العظيم في تربية الابناء وتنشئتهم ليكونوا مواطنين صالحين ينفعون انفسهم واهلهم ووطنهم . وتذكرت نفسها فقط فضربت بذلك اسوأ مثل لاولادها . ولو ان المرأة فكرت بعقل سليم وذهن صاف لأدركت ان دورها يفوق دور الرجل ، وانها كأم أكثر من ند له ولأدركت ايضا ان الزعيمات اللواتي فشلن في حياتهن الزوجية يتمنين ان تصبح كل النساء مثلهن ، وانهن يحقدن على كل اسرة سعيدة متماسكة متحابة صحيحة .

المسلمون وتحديات الصراع الحضاري

للاستاذ / محمد بدر الدين بن حسن

كان الشعور بالذات عند العربي في الجاهلية مرتبطا بمحيط القبيلة العام ، محور الحياة الاجتماعية ، وبظهور الاسلام أصبح العربي يدرك ذاته كجزء من كيان أكبر ، هو كيان الأمة الذي يضمن له تفرده المعتبر ضمن مجموع المؤمنين داخل وحدة عقدية واجتماعية وسياسية .

لقد حافظ المفهوم الاسلامي الجديد على بعض الأبعاد ذات المستوى الجغرافي والمادي لمفهوم الوطن كما كان يعيش في ظله العربي في جاهليته ، ولكنه أضاف إليه بعدا جديدا معتبرا هو البعد الديني والروحي الذي ينظر إلى الأرض والعالم نظرة شاملة .

إن في تقسيم العالم الى دار إسلام ودار حرب تأكيدا على الالتزام الرسالي الذي أضافه الاسلام فلم يعد الفرد ينظر إلى نفسه من خلال إقليم ضيق ، بل أصبح إنسانا عالميا تزوده ثقافته

الجديدة بنظرة للوجود أكبر وأنفذ ، إنه صاحب رسالة في هـذا العالم تقتضيه ان يصنف ويقوم بعد أن كان في دائرة مغلقة هي وطنه الصغير ، ولم يعـد التصور يـرتبط بالمكـان بـل بالفكرة ، فدار الاسلام هي الموقع الـذي اتسـع ليلتـزم بـالفكـرة الاسـلاميـة ، ودار الحـرب في الاصطلاح هي الموقع الذي لا تطبق فيه تعاليم الاسلام ومفهوماته ، فهذا التصنيف جعل من الوطن في المفهوم الجديد شاملا للدنيا بأكملها .

لقد أصبح هذا الفرد الذي لم يمتد فكره خارج الصحراء ، يؤمن بنشر رسالة يجب أن يستجيب لها العالم حتى تصبح الدنيا كلها دار إسلام .

على أن هذا النزوع نحو التعالي والعالمية لم تحرك فيه نوازع السيطرة أو الهيمنة ـ كما حصل في تجربة الغرب الاستعماري ـ بل بني على مبدأ القرابة الروحية والمساواة ولذلك قدر له فيما بعد أن يناضل من أجل إيصال تلك المبادىء إلى أسمـاع العالم ؛ وتحـرير البشر من ظلمـات الجور والضيق إلى سعة الاسلام وسماحته .

لقد أرسى الاسلام بفضل عقيدته المتعالية ومذهبيته الخالدة في نفوس أتباعه دعائم تحول كبير ونقلة مدهشة من فردية قبلية إلى قيم حضارية شاملة صاروا بفضلها ينتسبون إلى تراث أمة هم جـزء من مصيرهـا ومستقبلها ، وهي مسؤولية تراءت في التنفيذ اليومي على مستويين .

● ذاتية تحدد أفعال المسلم تجاه خالقه ومجتمعه ونفسه ,

● وجماعية تجاه جميع البشر الذين هم إخوانه ،

وعلى هذين المستويين قامت الدولة الاسلامية الأولى ، بحيث لم تحصر نفسها ضمن حدود عرب تلك الأيام وإنما كانت ثورة ورسالة لكل شعوب الأرض ، ولذلك كان المسلمون بحق أكبر استثناء في التاريخ ، بمعنى أنهم فتحوا القلوب ولم يخضعوها بالقهر ، فتحـوا الأمصار ونشـروا التوحيـد ولكنهم لم يفرضوا هيمنة واستعبادا للشعوب الأخرى ، وهو مسلك لم تعرفه البشرية في السابق واللاحق ؛ حتى قيل بحق : « لم يعرف التاريخ فاتحين أرحم من المسلمين » .

على أن الاستنتاج الأكبر من هذا ـ وهو أمر ثابت أن العرب لم يعرفوا عزة وتمكينا في غير الاسلام ، وفي حالتهم قبـل مجىء هذا الـدين ؛ بل وفي أحوالهم الحاضرة أكبر تدعيم لهذه الحقيقة .

□طبيعـة الأنمـوذج الغـربـي وتكريس التجزئة

لكن الفعالية التي أرساها الاسلام في نفوس أتباعه ـ والتي جعلت منهم على امتداد الأزمة أسياد الدنيا ـ تعـرضت إلى نـوع مـن الطمس والانطفاء بسبب تراكم التشققـات والخلافات الـداخلية ، وبتـأثيرات الغزو الغربي الاستعماري الذي أتى على كل شىء ، فبعد أن كانت رابطة الولاء في الدين هي السائدة والحاكمة في وحدة المجتمع عـلى مستويـات الاعتقـاد والاجتماع والسيـاسـة ،

تسربت مع بدايات النفوذ الغربي مفاهيم جديدة كانت صدى للتحولات السياسية والاجتماعية التي عاشتها بلاد الفرنجة ، والتي سميت بحركة النهضة ، والتي كرست في تجربة أوروبا - الخاصة بها - ذلك الصراع المقيت بين العلم والدين ؛ وبتعبير أدق بين العلم والكنيسة ، ثم التأكيد على الطابع الدنيوي والمادي للعلوم والآداب ، وتقديس قيمة الفرد وإشباع حاجاته المادية دون قيد ، وتركزت بالخصوص في تضخم دور الرأسمالية الفردية والمصالح الخاصة ، فكان من نتائج ذلك ان شهدت اوروبا ظهور قوميات مختلفة دعت الى الاستقلال مستندة على روابط الجنس واللغة والمصلحة المشتركة .

يعتبر ظهور القوميات من الناحية الفكرية في البلاد الأوروبية بمثابة ردة فعل ضد سلطة الكنيسة التي كانت تدعي امتلاك فكرة الحقيقة المطلقة الموحدة ،

وتحمل الشعوب الأوروبية على الانضواء تحت لوائها ، فالدعوة القومية على هذا الأساس هي تمرد على فكرة المطلق التي حملتها الكنيسة ، وانسلاخ عنها بايجاد بديل فكري يؤمن بتجزئة الحقيقة ، وقد ظهر ذلك جليا في حركة الانقسامات التي عرفتها الكنيسة نفسها من أرتودوكسية وكاتوليكية وبروتستانتية فيما بعد ، يضاف إلى هذا أن نزعة الوطنية والاعتداد بالموقع الجغرافي هي من خصائص الطبع الأوروبي .

وقد كان لحركات الاصلاح التي قام بها بالخصوص - لوثر - في ألمانيا ؛ وكلفن في فرنسا ، ويكليف في انجلترا الدور الكبير في تركيز نزعات العصبية والاستقلال والقومية - وتعتبر نتائج تلك الفترات حاسمة لا في تاريخ أوروبا فحسب - بل في تاريخ العالم ، لأنها أنشأت فكرة « المركزية الأوروبية » التي رأت منذ ذلك الوقت أنها مركز الكون ، وما عداها من شعوب وأجناس إنما خلقوا لخدمتها .

على أن هذه الفكرة العنصرية - والتي ستقوم عليها الفلسفة الغربية في جميع إنجازاتها - هي من الوجهة التاريخية امتداد لتراث اليونان والرومان الذين اعتبروا أنفسهم محور الكون ، وأطلقوا على كل ما عداهم من الأمم والشعوب الأخرى صفة - البرابرة - ولذلك نجد شعوب الغرب تعتقد أن تفوقها العنصرى على سائر البشر من الأمور الثابتة التي لا تحتاج إلى نقاش ، وقد تطور هذا الموقف مع الأيام حتى صار احتقار كل ما ليس أوروبيا من الميزات البارزة في مدنية الغرب .

لقد جاءت القومية الغربية لتدعم رؤية أوروبا لنفسها - برغم الانقسامات والحروب التي شهدتها - كعالم متميز لا يرى الآخرين إلا من خلال نفسه ومصالحه ، بل إلغاء هذا الآخر أو اكتساحه إن اقتضت الضرورة ، ثم تمادت في تمجيد ذاتها إلى درجة التأله ، بل لم يعد يرضيها التأله في الأرض فراحت تبحث عن تأله كوني .

إن فهم طبيعة العقلية الغربية ودراسة الركائز الاجتماعية التي قامت عليها منذ قرون ، تعين على إدراك أحوال العالم الاسلامي الذي ظل مسرحا لتسرب التيارات الأوروبية إلى درجة الفيضان ، وهو المنزع الذي وصفه الفيلسوف المسلم ـ محمد إقبال ـ بقوله « إن أبرز ظاهرة في التاريخ الحديث هي السرعة الكبيرة التي ينزع بها المسلمون في حياتهم الروحية نحو الغرب » .

ولا شك أن العلامة ـ إقبال ـ قد أخطأ في عدم تقديره لمخاطر هذا المنزع حين اعتبر أن لا غبار عليه لأن الثقافة الأوروبية في جانبها العقلي ليست إلا ازدهارا لبعض الجوانب الهامة في ثقافة الاسلام ، ولكن موقف إقبال من الغرب قد تطور ـ وخاصة في أواخر حياته ـ وهو وإن حث المسلمين على تلقي علم الغرب ، إلا أنه شجب بشدة جميع المخططات والمؤسسات الغربية واعتبرها وصمة عار في جبين الانسانية .

والحقيقة أن « مركزية الغرب » جعلته لا يؤمن بغير الوصاية والسيادة ، فبعد تخليه عن عبادة الله عبد الغرب نفسه . وحارب الدين والفضيلة واتبع هواه واستعبد الشعوب والأجناس ، وقد كرس هذا الواقع في الأدب والفلسفة ثم في العلوم ـ ويحتاج الأمر إلى تجلية دقيقة لهذه الجوانب كل على حدة ـ ونسأل الله تعالى أن يوفق شبابنا بالخصوص لينهضوا في متابعة هذه الجوانب وتمحيصها وكشف تأثيراتها على واقع فكرنا الاسلامي الحديث ، حتى تظهر الحقائق جلية لا تشوبها شوائب الفكر المستورد، الذي فرضه الاستعمار وأتباعه ، ويكون الدين كله لله .

إن الروح المسيطرة في الكتابات الأدبية والفلسفية والأعمال الغربية عامة ؛ غياب الحكمة والغاية من الحياة ؛ فالدين والقيم والعفاف أمور لا قيمة لها لأن المصالح النفعية العاجلة هي المعتبرة ٠ ومن هنا جاء إلغاء الغيب والقيم الروحية لتحل محلها عبادة الرقي المادي الذي يتجلى في حركة المصانع الكبيرة ، والربح السريع ، واكتساح الأسواق الأجنبية ، وطغيان طبقات الصيارفة وقادة الشركات وظواهر النجوم والأبطال والمراقص والمختبرات . فالكل يركض نحو أي لون من الانتاج . وإن كان قاتلا ـ المهم هو تحقيق الربح الوافر والإشباع المادي الكامل دون قيد أو شرط . كل هذه الثنائيات التي تقوم عليها الحياة الغربية تفسر لنا العقيدة التي يقدسها الفرد في الغرب ، ولا معنى بعد ذلك لحياة الاخلاق والفضائل ما لم تدفع الى ميادين الرفاهية والنهم والاشباع .

إن قيام عواصم العالم الغربي على أسواق المال والبورصة وترويج البضائع وتكديسها بالقهر في مختلف بلدان العالم ، وإثارة الحروب بين الشعوب لبيع الأسلحة وجمع الثروة ، تكشف في التحليل النهائي أن عبادة المال هي قطب العقلية الغربية التي كرست القومية العنصرية وظلت عن طريق الاجتياح والإلحاق بالقوة

تستغل شعوب الأرض لعهود طويلة لفائدة الوطن الأم وحده .

وقد كان لنظام الإلحاق والسيطرة هذا تأثيراته الكبيرة في أرجاء العالم الاسلامي ، فكان أن انتقلت عدوى القومية بمفهومها الغربي بتأثير آداب أوروبا الوافدة إلى تركيا أولا ، فظهرت لدى الأتراك النزعة الطورانية والدعوة الى إحياء آدابها وثقافتها القديمة ، بل عمدت جماعة تركيا الفتاة إلى إبعاد الاسلام صراحة واعتباره دينا غريبا عنهم ، وعمد منظّر هذه الجماعة - ضياء كوك ألب - إلى البحث عن نظم بديلة عن الاسلام في عهود الأتراك الأولى قبل أن يستنيروا بنور الاسلام العظيم . يقول المحقق الكبير الأمير شكيب أرسلان محللا أبعاد هذه النزعة « وهؤلاء يزعمون أن الترك هم من أقدم أمم البسيطة وأعرقها مجدا ، وأسبقها إلى الحضارة وأنهم هم والجنس المغولي واحد في الأصل ، ويلزم أن يعودا واحدا ويسمون ذلك بالجامعة الطورانية ، ولم يقتصروا منها على الترك الذين في سيبريا وتركستان والصين وفارس والقوقاس والأناضول ، بل مبدؤهم مد هذه الرابطة إلى المغول في الصين وإلى المجر والفلنديين في أوروبا وكل ما يقال إنه ينتمي إلى أصل طوراني ، وهم يقولون بخلاف ما يقول الأولون ، فهم ترك أولا ومسلمون ثانيا ، وشعارهم عدم التدين وإهمال الجامعة الاسلامية ، إلا إذا كانت خادمة لنفوذ القومية الطورانية فتكون عندئذ واسطة لاغاية ، وقد غلا كثير من هذه الفئة في الطورانية حتى قالوا : نحن أتراك فكعبتنا طوران ، وهم يتغنون بمدائح جنكيز ، ويعجبون بفتوحات المغول ، ولا ينكرون شيئا من أعمالهم » ولقد أبانت الدراسات التاريخية الحديثة جملة من الحقائق كشفت طبيعة ووجوه الصراع .التي كان يخوضها الاسلام وأهله في وجه المؤامرات الوافدة على فترات متتالية وحاسمة من تاريخنا المعاصر .. فقد ظل ولاء المسلمين الأساسي للاسلام وحده برغم كل موجات العسف والتشويه ، يلوذون به ويدافعون عنه ويساندون الدولة التي تتولاه وتجسده في أرض الواقع ، فلم تقدر قوة أن تزيل هذا الولاء من القلوب أو تغير من أسسه الثابتة وقد ظلت فكرة قيام الدولة على أسس الأرض والوطن بغير الدين غريبة عن حسهم الاسلامي الأصيل ، بل نظروا الى فكرة القومية التركية على أنها نبت غربي صرف أفرزته التجارب الأوروبية في ملابساتها التاريخية الخاصة ، وقد قاوم السلطان عبد الحميد بشدة نزعة الاتجاه القومي ، ولكنها عادت من جديد مع حركة الشبيبة التركية وإسقاط الخلافة وتولي جمعية الاتحاد والترقي السلطة عام (١٩٠٨)م ، وكل ذلك تم بتدعيم من الغرب وفرضه بالقوة .

ثم انتقلت ملابسات هذا الوضع إلى عالم العرب على مراحل متفاوتة ، بدوافع رد الفعل ضد نزعة الأتراك أنفسهم ، الذين أظهروا قدرا كبيرا

من الاحتقار للعرب واللغة العربية ، وقد كان للحلفاء الدور الأكبر في تزكية فكرة القومية ودعوة العرب إلى الانفصال التام عن العثمانيين ووعدهم بالعون والمساعدة ، فكان دور لورانس . المعروف في إشعال نيران الحماس القومي حلقة أخيرة في هذا الصراع الذي توج بثورة الشريف حسين ، ومن جهة اخرى كان لإحساس المسيحيين العرب بأنهم لاتربطهم بالمسلمين روابط العقيدة تدعيم آخر لترويج فكرة القومية العربية في أوساط المثقفين بصورة خاصة .

ومع أن السياق التاريخي يقتضي دائما الاعتراف بالحقائق مجردة ، فإن التمييز بين الدعوة القومية وبين مطلب الوحدة الذي هو ضرورة حتمية من منظور إسلامي يبقى لازما-خاصة وأن كفاح الشعوب المسلمة ظل في أساسه كفاحا للمحافظة على تلك الوحدة ـ ولأن العبرة بالنتائج فقد كانت الضربة العاتية التي وجهت إلى مؤسسة الخلافة ـ رمز تلك الوحدة ـ إيذانا بتوالي الضربات بعد أن أصبح العالم الاسلامي كله مفكك الأوصال لا يخضع لسلطة مركزية بعد أن تغلغلت فكرة القومية في كل قطر .

على أن الرابطة الدينية وإن فقدت مؤسساتها لم تندثر ، بل بقيت مرجعا وحيدا وراء كل حركة إصلاح ، ولكن التحديات الكبرى الآتية من الغرب ولدت اجتهادات ورؤى متنوعة في فهم الواقع وتقديم الإجابات والحلول ، ولذلك يحتاج المسلم المعاصر وبالخصوص من جيل الشباب بعد دراسة ركائز الفكر الغربي التي ألمحنا إليها سابقا . إلى استقراء دقيق لواقع القرن التاسع عشر ، والظروف التي اختمرت فيها الفكرة القومية ، وغيرها من المشكلات التي واجهها الاسلام وأهله ، بل والرجوع إلى فترات أبعد من ذلك ، للاستفادة من مختلف التيارات السياسية والفكرية الأخرى التي اجتاحت بلاد الشرق عامة .

وإن التمحيص الدقيق لذلك الواقع يقيم الدليل الواضح على أن الاسلام كان دائما محور الصراع يخوض المعارك في مواجهة كل دخيل ، ويحرك السواعد والعقول لمكافحة البغي والانحلال والاستعمار ، وقد تجلى ذلك في كل حركات التحرر التي قامت في ربوع العالم الاسلامي ، ولأنه دين الوحدة والاستقلال ، دين العقل والحرية دين الكرامة والأمان ، فقد ظل قوة دافعة ومنافحة يحتمى في رحابه كل من آمن بعقيدته وتعاليمه الخالدة

ولئن غشى بريق المدنية الغربية ورقيها المادي على أبصار الكثير من رجال الاسلام فراحوا يوفقون بين روح الاسلام الإلهية وبين نظم الغرب وإنجازاته إلا أن النتيجة كانت تجارب فاشلة زادت في زعزعة الثقة بمقولات الاسلام وشوهت الكثير من تعاليمه تحت دوافع التبرير والدفاع ، فكأن الاسلام لا ينهض بأتباعه لبناء حضارة إلا بالسير في ركاب الغرب !!

لقد كانت محاولات الطهطاوي المصري وخير الدين التونسي وسيد

احمد خان الهندي ومن جاء بعدهم ـ رغم صدق النوايا ـ تركيزا غير مباشر لسلطان الفكر الغربي وتوطين ركائز ثقافته في ديار الاسلام ، والحال أن معظم المشكلات التي عانى منها المسلمون والتي لا تزال قائمة إلى اليوم إلى جانب العوامل الداخلية طبعا ـ كانت أساسا بسبب الغزو الغربي وفرض ثقافته ونمط حياته ، التي بدأت في الحقيقة مع الحملات الصليبية وتوجت بالاستعمار المباشر الذي كانت حملة ـ نابليون ـ (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) م حلقة أولى من حلقاته .

□ آثار التحديث السلبية والدروس المستفادة :

جاء نابليون ـ لاليوقظ النيام كما زعم المتحذلقون وإنما للاستيلاء على أكبر جسم في الاسلام : مصر كنانة العقيدة الاسلامية التي ردت الصليبيين والتتار وحفظت التوحيد من كيد الكائدين ولذلك كانت غزوة عظيمة جهز لها نابليون كل وسائل القتال مصحوبة بالخبراء ووسائل الطبع وأدوات التجارب لاستغلال كنوز البلاد واستثمار المواد الأولية كالوقود والمعادن .

ولما أصبحت القاهرة في متناول يده أعلن منشوره الماكر لاستمالة قلوب الناس وتوطيد أقدامه في البلاد .

وكالمعتاد كان الاسلام أول قوة وقفت في وجه الغزو الأجنبي ممثلا في رجاله الأوفياء كالشيخ محمد السادات والشيخ عمر مكرم إلى أن عاد نابليون الى بلاده بعد فشله على أسوار عكا .

ومع ذلك فقد كانت تلك الغزوة أشبه بالفتنة النائمة التي أيقظ امتحانها الفارق الشاسع ، الذي تراءى بين معالم القوة والتقدم المادية لأوروبا وبوجه خاص لفرنسا وبين بدايات التحلل التي أصابت الدولة العثمانية ، وقد كانت المفارقة كافية لإبهار كثير من العقول أسرعت تسعى وتنادي بضرورة التوفيق والتركيب بين الاسلام وروح التمدن الأوروبي حتى إذا ما جاء عهد محمد علي صار تقليد الغرب اتجاها عاما قويت من خلاله موجة التسرب الأوروبي ، بتعزيز شبكة العلاقات التجارية وإدخال البضائع والأدوات الافرنجية في كثير من مسالك المعرفة ومرافق الحياة ، بل كان هذا الاتجاه أكبر ثغرة نفذت منها قوى التغريب ، وازدادت بسببها المساومات والتدخلات الأجنبية المباشرة وغير المباشرة وترافق التحلل الداخلي مع احتدام الصراع الخارجي الذي توج باحتلال الجزائر عام (١٨٣٠) م ثم تبعتها تونس ومصر والمغرب ، فتكرست بعد ذلك مسيرة التراجعات أمام الغرب الغازي ، وصعود النخب الحديثة أجهزة النفوذ والسلطة والتي بدأت في تركيا بنزعة الاصلاحات والتنظيمات الجديدة ،

والتي لم تكن في الحقيقة اختيارا في سبيل النهوض وتقوية دعائم الأمة وإنما كانت رغبة أوروبية لتعزيز مسيرة التبعية التي رأت فيها الدول الأوروبية نافذة تسلل وتحضيرا فعليا لتحطيم العالم الاسلامي المقاوم بصفة نهائية .

ولئن بدا واضحا لأصحاب نزعة التوفيق والتحديث أن تجاهلهم للخطر الغربي ، وإمكان التعامل معه قد أوصلاه الى قلب الأمة في شكل تدمير كامل إلا أنهم تجاهلوا مرة أخرى طبيعة الحضارة الغربية وركائزها العامة ، تجاهلوا « تاريخية » الغرب التي أوصلته إلى تدمير قارتين هما أمريكا وافريقيا وتركيز الثروة العالمية بين يديه للوصول الى ما وصل إليه من أسباب القوة المادية وتغافلوا عن أبرز حقيقة وهي أن الاستعمار طبيعة ذاتية لهذا الأنموذج الذي أرادوا الاقتباس منه ، بل لازمة من لوازمه بدونها لا يستطيع التوسع والنمو !! والدرس المستفاد من هذه التجربة أن الاجتهاد وإن كان مطلوبا ومشروعا إلا أنه يؤدي في الغالب الى نتائج عكسية ما لم يكن الولاء فيه لله وحده ، ولثوابت القرآن والسنة ، وفضلا عن ذلك فإن نزعة التوفيق بين الاسلام وأي نظام آخر إهدار لقيمة الاسلام الإلهية ، وكل من يحمل نفسه هذه المهمة يكون بحق كما قال الشاعر :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا

فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع .

على أن السياق يقتضينا التنبيه إلى أن الساحة الاسلامية لم تعدم نماذج من المفكرين المسلمين الذين فهموا طبيعة الصراع الحقيقي والواجبات المطلوب تحقيقها لتوفير الوقت الضائع أمثال الأفغاني وشكيب أرسلان وعبد الله النديم وإنما الذي نريد تجليته بيان أن الجهود الاصلاحية الأولى التي قامت وخاصة على أيدي السلاطين العثمانيين ـ والتي كانت فرصة مواتية للإنقاذ ـ كانت منصبة على مجرد تخليص نظام الحكم من الانهيار ولذلك جاءت نظرية الاصلاح لديهم سطحية ، إذ اكتفت بالاعتماد على إجراءات وقائية ترميمية لاقتباس مفهومات الغرب التحديثية في تنظيم الجيش والادارة وإرسال البعثات التعليمية والاستعانة بخبراء أجانب ، الأمر الذي تسبب بصورة طبيعية وحاسمة في نشوء فئات من المتعلمين والموظفين تربت على عوائد الغرب ،

فكانت أسهل الفئات تفلتا من الاسلام ، وحتى أصحاب الموقف الاسلامي الرافض لتلك الترميمات لم يكن رفضهم متينا بسبب عدم امتلاكهم بدائل واضحة للتنفيذ فضلا عن ضعف التأثير ، إلا أنه من الوجهة التاريخية كان ذلك الرفض سليما بالنظر إلى النتائج المدمرة التي قاد إليها تيار الترميم الذي كان من أوكد واجباته الاستفادة من النواقص والتناقضات التي أبرزها الاحتكاك مع الغرب ، إلا أنه لم يستفد من ذلك الجانب شيئا وهو خطأ سيتكرر مرة أخرى حتى بعد جلاء جيوش الاستعمار ـ ذلك أن المؤسسات وأجهزة التأثير المختلفة لم تستطع بسبب الخلافات والاتجاهات المتعددة التي ظهرت عقب خروج المستعمر أن تتجاوز عوامل التخلف وتواجه التحديات القائمة ، فكان من الطبيعي في ظل عدم القدرة على النهوض أن تتكرس عوامل التبعية وأدوات العجز

، السبب الذي هيأ الفرصة لقوى الاستعمار من جديد كي تعيد وتواصل التغلغل في قلب الأمة ليس عسكريا هذه المرة ولكن اقتصاديا وفكريا ـ ثم مهد ذلك لبروز قوى وأحزاب حولت الجهود الباقية الي صراع داخلي حول الاختيارات الشكلية التي يمكن أن تؤدي إلى نوع من الاستقرار ، وبفضل الجهود الماكرة التي كرستها وهي في أجهزة التأثير والإثراء مكنت لقطاعات من النخبة المثقفة المتفرنجة فرصة الوقوف أمام كل مشروع إسلامي أصيل يبغي التحرر والبناء ، مما أبعد الحل الاسلامي كلية عن الساحة الاجتماعية .

والحقيقة أن الخطر الكبير لم يكمن في العجز عن ممارسة عملية النهوض فحسب بل تعداه إلى صدمة عدم إدراك نوع الصراع الجديد الذي ظل الاستعمار يزكيه بسرعة جنونية في ظل فقدان الوعي التاريخي وعدم الاعتبار بدروس الماضي القريب .

ومن المعلوم أن محاولات فصل هذه الأمة عن محيطها الحضاري الاسلامي لم يكن بالأمر الجديد وإنما هو سلسلة حلقات لم تنفصل عقدها ، ولكن الصليبية الماكرة ظلت واعية وعارفة متى توجه خناجرها المسمومة الى المسلمين وهم غافلون ؟ فبعد أن أكمل الغرب المستعمر سنوات الحرب العالمية الأولى توجه مباشرة للعالم الاسلامي لمنعه من إعادة تكوين نفسه ، وطوقه لخدمة مصالحه الدنيئة ، حيث بدأ بتركيا وانتقل الى مصر ومنها الى بقية العالم العربي ، والمغزى الذي نريد تجليته هو تلمس طبيعة العقلية الاسلامية التي كانت سائدة في ذلك الوقت ـ وخاصة لدى بعض النخب المثقفة ـ والتي كما ألمحنا في السابق لم تدرك طبيعة الواقع الحضاري الجاري فمكنت للعدو فرص اذلالها ا بأيدي أبنائها التبع ، ونقول مقدما بأن الاسلام لم يخسر أبدا معركة واحدة على امتداد تاريخه الطويل ، ولكن الاستعمار لاينجح في تمرير سياسته المعادية إلا عندما يجد الأرضية الملائمة التي يسببها ويصنعها صنف من المسلمين أنفسهم ، وعلى سبيل المثال عندما شرع السلطان سليم في أوائل القرن التاسع عشر في القيام بجملة من الاصلاحات تتعلق بالإدارة وتنظيم الجيش على الأسلوب الغربي والتدرب على الآلات الحربية الأوروبية قام الزعماء الدينيون بضغوط شديدة لتعطيل هذا المشروع ، واعتبروا تنظيم الجيش على الأسلوب العصري بدعة خطيرة تخالف نصوص التشريع ، وحرموا استعمال الأسلحة لأنها في زعمهم رجس من عمل الكفار يأثم مستعملها ، وقد بلغ الصراع درجة عظيمة انتهت بإصدار فتوى مضمونها أن السلطان الذي يعمل بخلاف الشرع ليس جديرا بالبقاء على العرش ، الأمر الذي أدى إلى عزل السلطان سنة (١٨٠٧) م

والدرس المستفاد من هذه التجربة واضح وهو ان مجرد الرفض لا يصنع شيئا ما لم يكن مدعوما بخطة متكاملة للمواجهة الشاملة تقتضي الإعداد

اللازم للبناء والمقاومة ، إذ المطلوب أولا تهيئة الأمة على ركائز متينة من الدين والعلم لتنهض بتلك الأعباء ، ولكن قُدّر للمسلمين أن يصابوا في فترات حاسمة من تاريخهم بقيادات دينية وسياسية أوقعتهم دائما في لعنة الإفراط أو التفريط ، فهي إما أن تنبهر فتفرط في كل شيء أو ترفض بدون إعداد متين ، وما هكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يفعل فقد علّمنا صلى الله عليه وسلم كيف يتخذ المرء كل تدابير الاستعداد والحزم قبل الشروع في أي عمل من الأعمال .

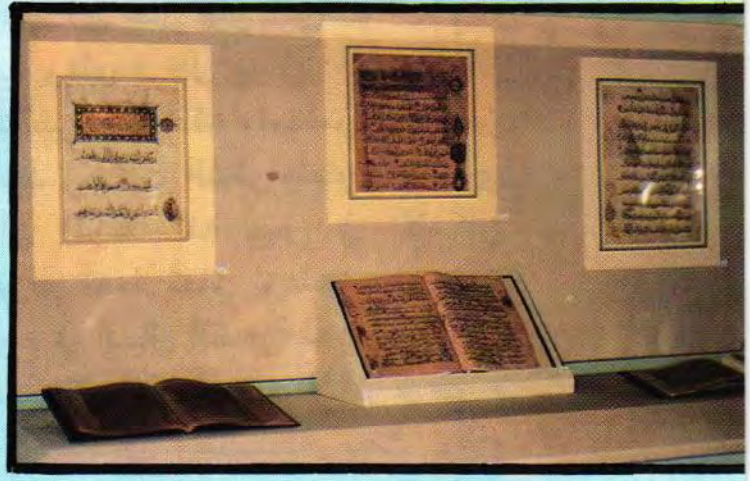
إن عدم تحكيم الاسلام هو سبب البلاء ، والا فإنه كفيل بتقديم الحلول الصحيحة لو لم نلتمسها في غيره ، فيجنبنا الخلاف ، وإضاعة الوقت ، والوقوع في نتائج الإفراط والتفريط ، وإلى جانب ذلك فإن الانحراف لا يتغلغل في أرض ما إلا إذا سبقته تجربة انحراف مماثل ، وأن قطع مجتمع عن ركائزه الإيمانية والثقافية وحرمانه من رصيده الأساسي في التحرك والنهوض ، لا يتأتي إلا إذا فرط أفراد الأمة في حصون الدفاع الأصيلة وانكشفوا للعدو .

وقد كان من نتائج تلك التجربة بحكم رد الفعل في مواجهة الكيان الديني عامة أن عمد (أتاتورك) . إلى استئصال هذا الكيان بل وإنهاء المسألة الدينية أساسا ، وقد علق الإمام المودودي ـ رحمه الله على هذا الموضوع بقوله : « هذه أول مرة قدم فيها الزعماء الدينيون بجهالتهم وظلمة فكرهم التصور الخاطيء بأن الاسلام عائق للرقي » .

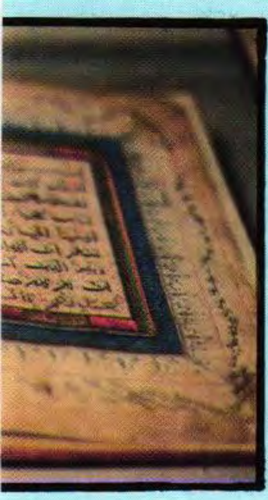
وعلى أي حال فإن الموقف العام من الغرب وعلومه ظل يراود آفاق الفكر الاسلامي ويلاحقه باستمرار ، ولئن اختلفت وجهات النظر وتباينت الرؤى إلا أن المؤكد أنه ليس في الإمكان استيراد نمط ثقافي وعلمي من غير الوقوع في أذيال التبعية له ، ولقد كان لمدرسة الاصلاح الدفع الأكبر في طرح هذا الأشكال ومحاولة بعث روح الاسلام ، حيث تمحورت رسالتها في توجيه الأنظار نحو مسألة التغيير وكيف نكون معاصرين للتطورات والمستجدات الواقعة ، مع بقائنا أوفياء لإرثنا الحضاري العظيم ، إلا أنها ضاعت وسط حملات التغريب ، وانطفأت جذوتها ، خاصة بعد رحيل روادها الأوائل ومن جاء بعدهم ، وحيث أصبح الأتباع عاجزين عن مقاومة مد التيارات الوافدة مثل نزعات القومية والعلمانية والاشتراكية .

إن نعم الاسلام علينا عظيمة لأنه علمنا المفاهيم الصحيحة وأرشدنا الى المنهج القويم ، فلا نخدع أبدا ، وعلينا إن أردنا إيجاد الحلول والبرامج السليمة أن نمعن النظر في نصوص القرآن الكريم وأحاديث المصطفى العطرة صلى الله عليه وسلم فهما كفيلان بتزويدنا بأنصع البراهين والرؤى الصالحة لنهضتنا ،

ولأننا مدعوون باستمرار إلى فهم النفس وفهم العالم الذي يحيط بنا فإننا نحتاج دائما الى المراجعة المستمرة والاستجابة الجادة لهموم العصر والاهتمام بمشاغل الاسلام ومطالبه الكبرى .



○ انبعثت فكرة بيت القرآن من وحي الحضارة الاسلامية الأصيلة .



بيت القرآن







○ جمع بيت القرآن ما بين الدين والعلم والثقافة في مؤسسة واحدة .

إعداد : الاستاذ / خالد بوقماز



كانت الدراسات الخاصة بالمصحف الشريف ـ قديما ـ فنا من أروع الفنون التي ابتكرها الفنان المسلم ، الذي أدهش العالم كله بما حققه من إنجازات رائعة في مجال فنون الزخرفة الجمالية للمصحف الشريف .

ولقد ترك الفنانون المسلمون ـ عبر القرون ـ نماذج رائعة من المصاحف التي ما زالت حتى اليوم ، تعتبر مفخرة لهذا الفن العظيم ، فهناك مصاحف كتبت بخطوط مجوّدة وجلّدت بطريقة غاية في الدقة والابداع . بعضها حقق الرقم القياسي في ـ كبر الحجم ـ وبعضها الآخر في ـ صغر الحجم .

وعلى الرغم من أن المصاحف التي وصلت الينا ـ عبر العصور ـ تعتبر كنزا أثريا في حد ذاتها ، إلا أنها كانت اكثر عطاء بالنسبة للكثير من الدراسات ، سواء في الخط أم الزخرفة الجمالية بأنواعها المختلفة ، أم في نوع الورق والرقائق المستعملة التي أفاد منها الدارسون والباحثون في معرفة الكثير من معطيات العصور الاسلامية المختلفة .

اما مسلمو اليوم فقد اكتفوا بما ورثوه عن الآباء والآجداد لذلك كان لزاما عليهم العناية بكتاب الله ، ذلك الكتاب العظيم الذي انزل بالحق ، هدى ورحمة للعالمين . فهو دستور المسلمين وقانون السماء ، الذي أنقذ البشرية من الضلالة والظلمة والكفر والضياع ، وقوّم النفس بالاخلاق الكريمة وبالروح العالية ، وعلّم الانسان ما لم يعلم . فهو هدى ورحمة للعالمين ، وهو إمام وقرآن مبين ، يهدي الى الرشد « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » فصلت /٤٢

ولقد كانت دولة البحرين الشقيقة سباقة الى إقامة مركز رائد ، انشىء خصيصا للقرآن الكريم وما يتعلق به وقد اطلق على هذا المركز : « بيت القرآن »



مخطوطة من القرن الحادى عشر الهجرى

○ يجمع بيت القرآن ما بين أصالة الحضارة الاسلامية وفكرها ومعاصرة الحضارة الحديثة .

○ مثلث البحرين الحضاري ○

في منطقة متميزة من عاصمة البحرين - المنامة - يشيد - الآن - مثلث حضاري يجمع بين العلم والمعرفة والثقافة والدين ، تطل من خلاله حضارة وتاريخ البحرين العريق على تطلعاتها ومستقبلها لتربط بين ماضيها وحاضرها ، ويجمع هذا المثلث الحضاري بين الأصالة والمعاصرة في كل المجالات ، حيث تتمركز على رؤوسه ثلاث من المؤسسات الحضارية .

ـ فعلى نقطة ارتكاز المثلث الأولى يقع المركز الاسلامي ـ مركز أحمد الفاتح ـ الذي يضم ـ مسجدا كبيرا ـ سيكون بعد اكتمال بنائه من أكبر مساجد البحرين من حيث سعته ـيتسع لأكثر من سبعة آلاف مصل.وسوف يقام هذا المسجد على النمط الاسلامي الأصيل مع استخدام التقنية الحديثة ، كما يضم المركز الاسلامي معهدا دينيا ومكتبة اسلامية جامعة .

ـ اما النقطة الثانية لارتكاز المثلث فيقع عليها متحف البحرين الوطني الذي يحتوي على العديد من القاعات لعرض تراث وتاريخ البحرين عبر السنين ـ من التاريخ الديلموني الى الحضارة الاسلامية ـ مع ابراز فنون وتقاليد البحرين في الماضي والحاضر ، وربط التراث بالحضارة .

ـ اما النقطة الثالثة لارتكاز المثلث فيتربع فيها ـ بيت القرآن ـ

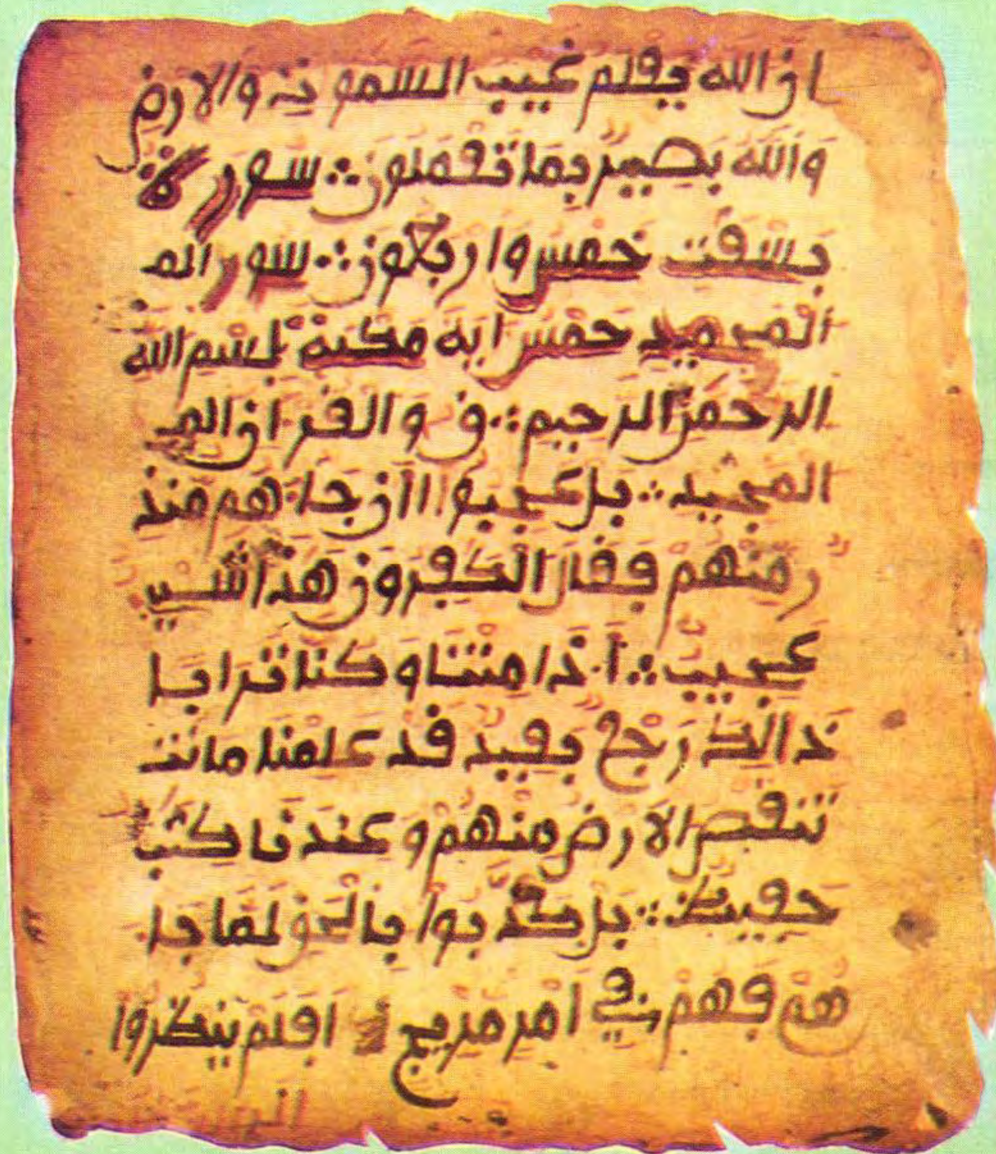
● بيت القرآن ○

لقد انبعثت الفكرة الاساسية لبيت القرآن من وحي الحضارة الاسلامية وتراث ديننا الاسلامي الحنيف ، حيث يتوجب على المسلمين الحفاظ على أغلى وأثمن مقدساتهم ، ورفعها الى المكان اللائق بها .

وبالاضافة الى ذلك يعتبر مشروع بيت القرآن رائدا بفكرته الحضارية ، فهو وصلة حضارية لما نتوارثه عن حضارتنا الاسلامية المتميزة ـ فهو يختلف شكلا ومضمونا عن دور الحكمة ودور العلم والمجتمعات الحضارية الاسلامية التي عرفتها حضارتنا لمعاصرته الحضارة الحديثة ، ومتطلباتها وافرازاتها العلمية ، ولكنه يتوافق مع المجتمعات الحضارية الاسلامية السابقة ـ فكرا وروحا ـ وبذلك يجمع بيت القرآن بين أصالة الحضارة الاسلامية وفكرها ومعاصرة الحضارة الحديثة .

○ يعتبر بيت القرآن وصلة حضارية لما نتوارثه من حضارتنا الاسلامية المتميزة .

كما يعتبر بيت القرآن مؤسسة علمية دينية ثقافية ، لها شخصية اعتبارية ، وكيان مستقل بذاته كمشروع خيري وأهلي ، رائدا بفكرته الحضارية التي جمعت فيما بين الدين والعلم والثقافة في مؤسسة واحدة ، شيدت لتكون



مخطوطة من القرن الثانى عشر الهجرى

ملتقى للدارسين والباحثين حيث تتوفر فيه سبل ووسائل البحث والاطلاع والمعرفة .

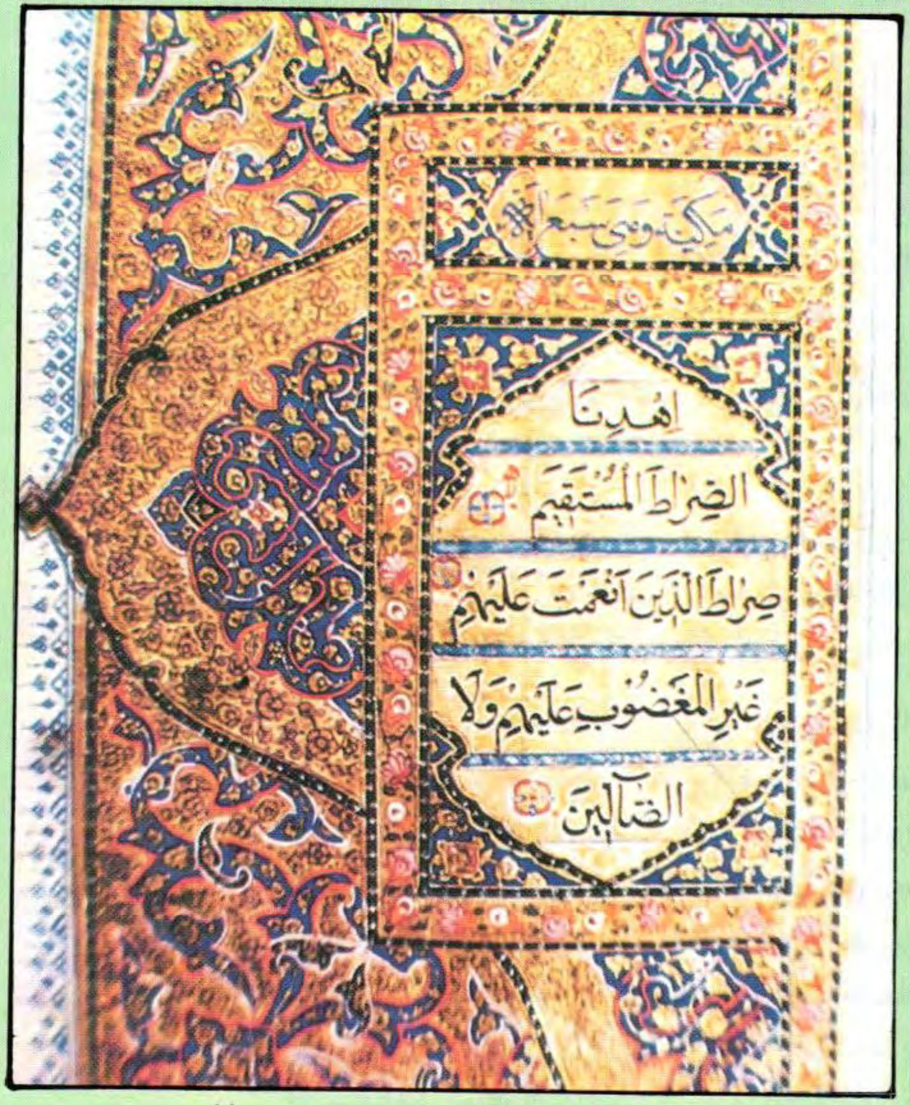
كما يشكل بيت القرآن فنا معماريا اسلاميا جمع بين أصالة الفن المعماري الحديث والتقنية المتطورة المرتبطة بالطراز الاسلامي الأصيل ليكون بذلك وحدة فنية رائعة ،

أساسها البساطة والزخرفة الجمالية التي تظهر ـ كلوحات جدارية ـ محفورة على جدران المبنى لتعطيه اسلوبا معماريا فريدا ، قوامه الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن القرآن الكريم في ليلة نزوله وأول ما أنزل منه ، بالاضافة الى آيات قرآنية شاملة عبرت عن جلال القرآن الكريم واستكملت تلك اللوحات بأسماء الله الحسنى كما سجلها القرآن الكريم في سورة الحشر مما اعطى المبنى جاذبية روحية .

○ سيرتبط بيت القرآن بالمواطن والزائر والدارس .



مخطوطة من القرن العاشر الهجرى



مخطوطة من القرن الحادى عشر الهجرى

○ المعالم الأساسية لبيت القرآن ○

بعد اكتمال تشييد ـ بيت القرآن ـ يصبح مركزا متقدما للمعرفة ، معرفة الدين من خلال كتابه الكريم ، ومعرفة الدنيا من خلال متحفه ومكتبته وسيرتبط بالمواطن والزائر والدارس من خلال مرافقه المتعددة ـ ويتكون بيت القرآن ـ من خمسة معالم رئيسة هي :

○ المسجد والمدرسة :

إضافة الى انه مكان لتأدية الفرائض الدينية فستقام به حلقات للوعظ والإرشاد لتعريف المسلمين بأمور الدين والدنيا وقد الحقت به مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، وتعليم الصغار والكبار ترتيل و تجويد القرآن الكريم انطلاقا من واجب اسلامي مقدس وهو الحفاظ على كتاب الله العزيز وتعليمه للناس .

○ ـ مكتبة اسلامية :

وستضم هذه المكتبة ما يقارب من أربعين ألف مجلد الى جانب الوثائق والمراجع الدينية ، التي ستكون بثلاث لغات



مخطوطة من القرن الرابع الهجرى

○ سيصبح بيت القرآن مركزا متقدما لمعرفة الدين و الـدنيـا من خلال متحفه ومكتبته .

هي : العربية ـ الانجليزية ـ الفرنسية ـ حتى تصبح في متناول الجميع .
ـ **قاعة** للمؤتمرات والمحاضرات والندوات المحلية والعالمية .
ـ **مرافق** متعددة للخدمات الأساسية التي ترتبط بخدمة المشروع ورواده
ـ **متحف** : ويتكون من ثماني قاعات للعرض ، تجمع بين جوانبها نفائس المخطوطات القرآنية من مختلف العصور والازمنة التاريخية ، وهذه القاعات هي :
ـ القاعة الاولى : وهي مخصصة للعرض الدوري المتخصص الذي سيأتي لبيت القرآن على فترات مختلفة من مقتنيات المتاحف العالمية ونفائس المخطوطات القرآنية وفق خطة عرض تحقق الاستمرارية حتى يتعرف الناس على المخطوطات القرآنية النادرة المتواجدة في مكتبات ومتاحف العالم ، وفي نفس الوقت يستطيع الباحث والدارس الاطلاع عليها ودراستها بسهولة ويسر .
● القاعة الثانية : ومعروضاتها مكونة من نماذج عديدة من مخطوطات القرآن الكريم باحجام ومقاسات مختلفة ، وتعطي ـ تلك القاعة ـ فكرة شاملة جامعة عن مخطوطات القرآن الكريم من مختلف البلاد الاسلامية من الهند وحتى موريتانيا ومن مختلف العصور ، كما ستضم هذه القاعة ـ بعض المصاحف النادرة والعديد من الصفحات التي ترجع في تاريخها الى القرن الأول الهجري .

● القاعة الثالثة : وهي خاصة بتاريخ القرآن الكريم مبتدأ بعهد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ و عهد الخلفاء الراشدين وتشمل هذه القاعة معلومات مبسطة عن هذا التاريخ (أسماء كتّاب الوحي ـ معلومات عن كيفية جمع القرآن الكريم ـ معلومات عن المصاحف التي دونت في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرسلت الى الأمصار) .
● القاعة الرابعة : هي قاعة للمخطوطات التي كتبت على « الرق » في المدينة المنورة والعراق وشمال أفريقيا والاندلس ، والتي توضح تطور الخط القرآني وإدخال « الاعجام » على الأحرف العربية ، واستعمال النقاط للدلالة على الاعراب ، كما تحتوي القاعة على صفحات

نادرة من الورق المستعمل لأول مرة في كتابة القرآن الكريم .

● القاعة الخامسة : وقد خصصت للخطوط العربية المستعملة في كتابة القرآن الكريم وبيان نوعية الزخرفة الجمالية والتذويق المذّهب الذي زينت به صفحات من القرآن الكريم ، وكذلك جمالية التنسيق في الكتاب والحواشي والإخراج المبدع الميسر للصفحات القرآنية والتجليد المتميز الفاخر للمصاحف .

● القاعة السادسة : وهي لعرض تراجم مختلفة لمعاني القرآن الكريم باللغات الاجنبية كما تحتوي على أول تراجم لمعاني القرآن الكريم .

● القاعة السابعة : وهي مخصصة لنماذج مختلفة للقرآن الكريم المطبوع بعد ان دخلت آلات الطباعة الى البلاد الاسلامية وتاريخ الطباعة المرتبطة بالقرآن الكريم .

● القاعة الثامنة : وهي قاعة جامعة شاملة لادوات الكتابة المستعملة في كتابة القرآن الكريم على مر العصور وسيعرض فيها نماذج مختلفة كتبت عليها آيات قرآنية ، بالاضافة الى لوحات من الفنون التشكيلية الحديثة ارتبطت بتشكيل متناسق معبر للآيات القرآنية الكريمة .

● الفئات التي يخدمها بيت القرآن ○

نظرا لأن مشروع بيت القرآن رائد في مجاله وهو الوحيد في العالم فإنه يخدم ثلاث فئات من المستفيدين منه تتدرج من المحلية الى الاقليمية فالعالمية .

ـ فعلى المستوى المحلي نجد بيت القرآن مفتوحا امام جميع من يعيش على أرض البحرين من مواطنين ووافدين ، حيث سيوفر أمامهم الامكانيات ويتيح لهم فرصة الاطلاع والزيارة والمشاركة الايجابية .

ـ أما على المستوى الاقليمي فإن بيت القرآن سيكون بمثابة مركز بحث ودراسة يمد الباحثين والدارسين وطلاب العلم في الدراسات المتعلقة بالقرآن الكريم بالمراجع والمخطوطات وكل ما يحتاجونه في مجال بحوثهم للافراد او المؤسسات التعليمية ذات الاختصاص بجميع دول الخليج العربي – اما على المستوى العالمي : فسيكون بيت القرآن الكريم

○ أقيم المعرض ثمرة للتعاون المشترك بين الأشقاء في « الكويت والبحرين »

مركزا علميا وإسلاميا مرتبطا بعلاقات وثيقة مع جميع مراكز البحوث المتخصصة وكذلك متاحف العالم المختلفة لعرض نفائس المخطوطات الاسلامية ومعالم الحضارة الاسلامية في مختلف دول العالم عن طريق إقامة المعارض المشتركة واستقبال الباحثين والزوار من كل مكان .

○ التكاليف وخطة تمويل المشروع :

يعتبر بيت القرآن من المشروعات الخيرية الاهلية التي يقوم تنفيذها على تبرعات أهل الخير والإحسان ، سواء من المؤسسات أم الافراد من البلاد العربية والاسلامية .
- وقد بلغت التكاليف الاجمالية للمشروع ثلاثة ملايين واربعمائة وخمسين ألف دينار بحريني وسوف يمول المشروع - بعد اكتماله - من ريع - بعض المشروعات الاستثمارية التي سيتم تنفيذها من اجل المشروع الى جانب تبرعات اهل الخير لمساعدة بيت القرآن في تحقيق اهدافه المنشودة ، ولقد اصبح مشروع بيت القرآن حقيقة واقعة خصوصا بعد الانتهاء من المرحلة الاولى للمشروع الذي بدىء به في أواخر عام (١٩٨٤م) والعمل ما زال جاريا في المرحلة الثانية والتي من المتوقع ان ينتهي العمل بها في أواخر عام (١٩٨٧م) .

معرض نفائس بيت القرآن

أقيم مؤخرا معرض « بيت القرآن الكريم » في مقر دار الآثار الاسلامية بالكويت تحت رعاية وزير الاعلام الشيخ « ناصر محمد الاحمد » استمر شهرا عرض خلاله مجموعات نادرة من نفائس المخطوطات القرآنية .

جاء هذا المعرض ثمرة للتعاون المشترك بين دار الآثار الاسلامية بالكويت وبيت القرآن في دولة البحرين الشقيقة وتميزت معروضاته بما يلي :

■ مثلت المخطوطات المعروضة لمختلف الاقطار والعصور الاسلامية .

■ أبرزت هذه المخطوطات انواع الخط العربي وتميزت بنوعيه الرئيسين : الكوفي والنسخي .



من معروضات بيت القران

■ غالبية المخطوطات كتبت على الرق والورق وخشب الصندل .

■ شملت المخطوطات بعض الأدعية وبعض التفاسير للقرآن الكريم .

■ عرضت بعض المخطوطات المترجمة إلى اللغات الأجنبية كاللاتينية والانكليزية .

■ عرض مصحف خاص بالمكفوفين (برل) .

■ بلغ عدد المخطوطات المعروضة مائة مخطوط تراوحت ما بين مصاحف كاملة وأخرى ناقصة وأوراق لبعض المصاحف ■ عرضت بعض الصفحات المبكرة للقرآن الكريم التي استخدم فيها اسلوب أبي الاسود الدؤلي في التشكيل . وأخرى متأخرة استخدم فيها اسلوب الخليل ابن احمد الفراهيدي .

○ تشكل دار الآثار الاسلامية مع بيت القرآن ومؤسسة الملك فيصل الخيرية ثقلا حضاريا في منطقة الخليج العربي .



الدكتور / عبد اللطيف كانو عضو اللجنة التأسيسية لبيت القران

○ كلمة السيد / عبداللطيف جاسم كانو - عضو اللجنة التأسيسية لبيت القرآن -

ذكر السيد/ عبداللطيف ان المعرض يضم نفائس قرآنية نادرة تمثل العصور الاسلامية المختلفة - بدءا من القرن الاول الهجري الى تاريخنا الحديث لتشكل سجلا حافلا متكاملا لحركة التطور الزمني والتاريخي لمراحل الخط العربي المستخدم في كتابة القرآن الكريم وبراعة الفنان المسلم في استعمال هذا الخط بأنواعه المختلفة عبر العصور .

- كما أضاف : بأن هذا المعرض يأتي ثمرة تعاون مشترك بين الاشقاء في الكويت والبحرين ، انطلاقا من مبدأ العمل المشترك المتميز والتعاون الدائم بين الأشقاء في المؤسسات والهيئات ذات العلاقة في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية على كل المستويات وبكل الوسائل الممكنة .

- وأشار الى ان بيت القرآن - بالبحرين - ودار الآثار الاسلامية - بالكويت - ومؤسسة الملك فيصل الخيرية - في السعودية - تكون فيما بينها ثقلا إسلاميا حضاريا في منطقة الخليج العربي وهذه المؤسسات الخليجية ما هي الاروافد حيوية لخدمة الحضارة الاسلامية والحفاظ على كنوزها وعرضها بالاسلوب اللائق المميز وفي مقدمتها واهمها جميعا - كتاب الله العزيز - القرآن الكريم .

مجلة الوعي الاسلامي تشكر دار الآثار الاسلامية على حسن تعاونها

القضاء على السرطان



هل ستختفي جراحات استئصال الأورام ؟

في مقالنا هذا نحاول إن شاء الله أن نلقي مزيدا من الضوء على بعض النباتات الطبية الجديدة المستخرجة من البحار والمحيطات وقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوي بالنبات لا يعدل إلى الدواء ومتى أمكن البسيط لا يعدل الى المركب ولا ينبغي للطبيب أن يولع بإعطاء الأدوية فإن الدواء الزائد يعبث بصحة الانسان ومن كان علاجهم بالأدوية المفردة كالنباتات مثل أهل البوادي كانت عللهم قليلة ، والتغذية الخاطئة تورث الكثير من الأمراض وليست ثمة ما يضارع العلاج بالغذاء بالعناصر التي اعدتها الطبيعة بوحي من الله ، والآيات الكريمات الآتيات قد تناولت النباتات بالذكر ، منها : (**وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا**) سورة مريم/٢٥ (**فيهما فاكهة ونخل ورمان**) سورة الرحمن/٦٨ (**ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون**) سورة النحل/١١ .

(**ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون**) النحل/٦٧ (**والتين والزيتون**) التين/١ (**وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المَن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**) البقرة/٥٧ (**وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها**

للدكتور / نبيل سليم

وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) البقرة/٦١ (**فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبا * ثم شققنا الأرض شقا * فأنبتنا فيها حبا * وعنبا وقضبا * وزيتونا ونخلا * وحدائق غلبا * وفاكهة وأبا**) عبس/٢٤ ـ ٣١ (**إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا**) الانسان/٥ ويقول عز من قال : (**ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا**) الانسان/١٧ وفي آية أخرى يقول سبحانه (**إن للمتقين مفازا * حدائق وأعنابا** .)

النبأ/٣١ ـ ٣٢ (**في سدر مخضود . وطلح منضود**) سورة الواقعة/٢٨ ـ ٢٩ .

ولما كان القرآن الكريم هو الجامع الشامل والمدخل الحقيقي لاستخدام النباتات البرية والبحرية للاستطبابات فقد اتجهت منذ فترة وجيزة انظار العلماء الى طحالب البحار كمصادر طبيعية لاستخراج المواد الفعالة منها للطب والعلاج والغذاء .

فالدراسات العلمية دائمة البحث في المكونات الطبيعية التي خلقها الله لحكم كثيرة ولا يعلمها الا هو وحده .. ومن رحمته سبحانه وتعالى أن سمح للانسان بمعرفة بعض منها

ليستخدمها بقدر احتياجاته لها في الحياة.. مثال ذلك .. الطحالب المائية .. تلك التي تنتشر في البحار والمحيطات والتي تتمتع بلادنا العربية بوجودها في البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر والخليج العربي حيث تعتبر الشواطيء العربية عامة والمصرية خاصة من أغنى شواطيء البحار احتواء على الطحالب المائية وحيث توجد انواع مختلفة منها .. مثل الطحالب البنية والحمراء، والخضراء والصفراء والطحالب ذات اللونين الاخضر والأزرق .

ولقد أجريت الأبحاث على انواع الطحالب البحرية ، واسفرت التجارب البحثية عن فصل مواد فعالة لعلاج الامراض المختلفة من اهمها سرطان المعدة ، اذ أثبتت التجارب المعملية ان عينات الطحالب التي تتجمع في فصل الخريف تعطي أعلى نسبة من المواد الفعالة كما اثبتت ان نسبة هذه المواد تختلف حسب مصدر الحصول عليها سواء أكانت من البحر الابيض ام الاحمر ام الخليج .

ولكن باديء ذي بدء يجب علينا اولا ان نلقي الضوء على هذه الطحالب ، فماذا تكون ؟ وما قصة تربصها للسرطان ؟ .. إجابة على الشق الاول من السؤال نقول :

هي نباتات ثالوسية تحتوي على المادة الخضراء المسماة (كروفيل) بنسب متفاوتة وتستطيع بوساطتها بناء الاحتياجات اللازمة للنبات وذلك في وجود الماء وغاز ثاني اكسيد الكربون والطاقة الشمسية . ومن الطريف ان حجم هذه الانواع شديد التباين حيث توجد طحالب دقيقة الحجم لا ترى الا بالميكروسكوب ومنها ما يصل الى حوالي مائة وتسعين مترا .. وتكثر هذه الأنواع في منطقة القطب الجنوبي .

اما الطحالب التي كانت محل أبحاث علاج الأورام فهي ذات نوع معين إذ إنها طحالب بنية من فصيلة تسمى « سيستوزيرسية » وهو طحلب « سيستوزيرا فيمبرياتا » الذي ينتشر بكثرة في شواطيء الاسكندرية بالذات وقد تناولت الأبحاث طحلب السرجاسوم الذي يوجد ايضا في الشواطيء المصرية بكثرة « في البحرين الابيض والاحمر » .

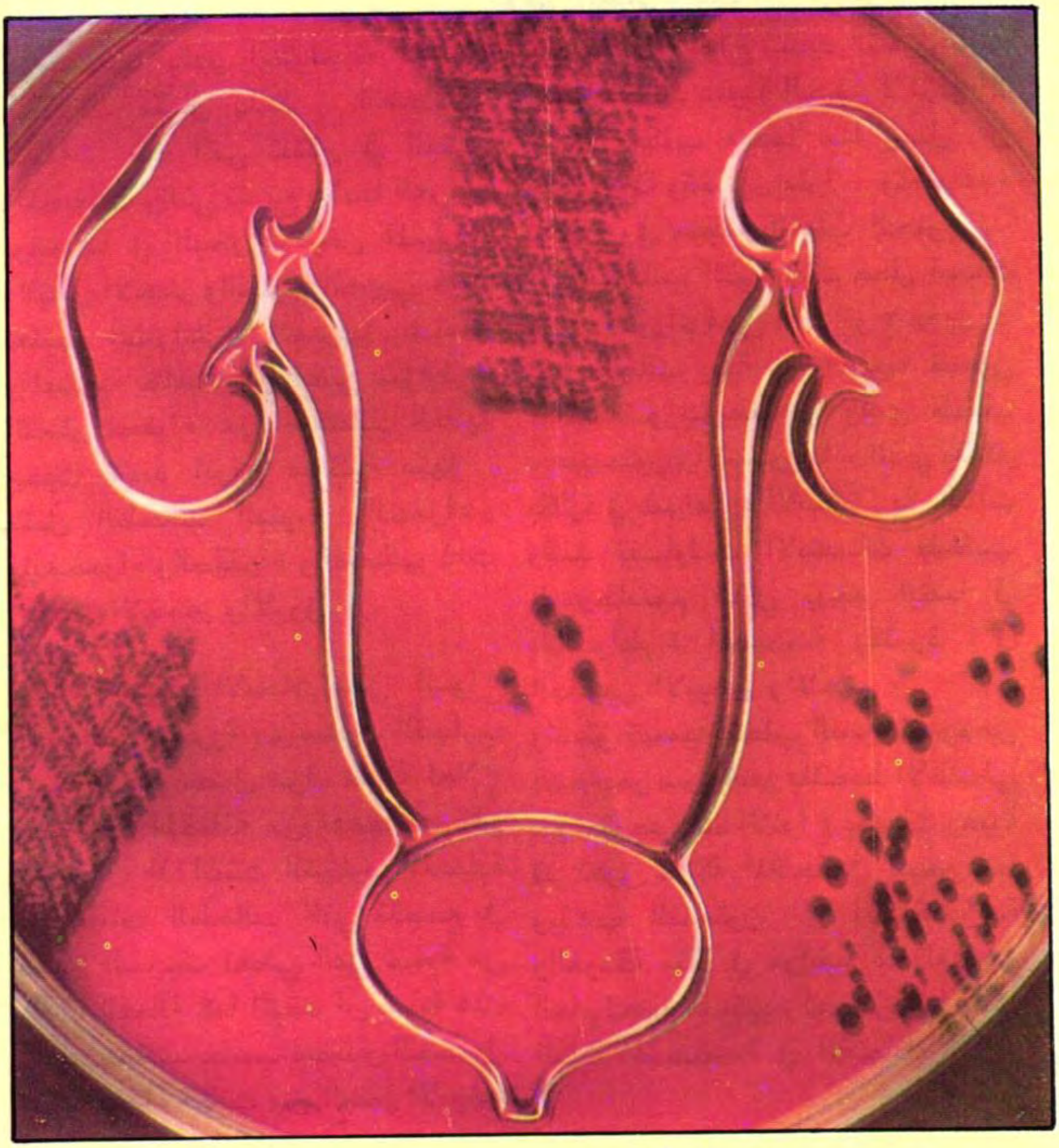
وتشتق تسمية طحلب السرجاسوم من اسم بحر سرجاسو بالمحيط الأطلنطي حيث توجد هذه الانواع بكميات رهيبة قد تعوق حركة الملاحة في البحر .

ويذهب الباحثون الى الاسكندرية والغردقة مثلا في مواسم مختلفة من العام لجمع ما يتيسر لهم من الطحالب البنية المستخدمة في الأبحاث .

○ مواد هامة في الطحالب ○

يحتوي طحلب سيستوزيرا على مواد كربوهيدراتية وستيرولات غير مشبعة ومواد فنيولية وكميات بسيطة من مواد لاكتولية وقد أثبت المسح الكيمائي المبتدىء هذه النتائج .

ومن دراسة المواد الكربوهيدراتية وكحولات السكر الموجودة في الطحلب « مثل ليمازين » وحمض الجنيك والمانتول ثبت ان هناك تزايدا مضطردا على مدار السنة حيث تبدأ في



نجحت مادة " اسيد ١٣ - سيس - ريتينويد "
في علاج سرطان المثانة الأولى

موسم الربيع «فترة النمو» وتصل إلى أقصى معدل لها في فصل الشتاء « اي فترة الكمون » وقد تمكن العالم « ديوار » من فصل مادة الليمينازين ذات التأثير الفعال كمادة مضادة للتجلط . هذا وتحتوي افراد من رتبة اللامينازيات التي ينتمي اليها طحلب اللامينازيا على مواد غذائية علاجية كثيرة مثل الألجين ، والفيكوستيرول ، كما أمكن الحصول على هذه المادة الأخيرة من طحلب الفيوكوس بوساطة العالم « هايلبون » الذي استطاع فصلها لأول مرة من طحلب اسمه العلمي « فيكوفيسكلو سذا » ولمادة الفيكوستيرول تأثير هام حيث يقلل من تركيز الكوليسترول في الدم ، كما انها

تعتبر مادة أولية تعطي بعض الهرمونات « التستيرودية » حيث تتحول مادة فيكوسترول إلى هرمون وهكذا تصبح الطحالب مصدرا عظيما للحصول على بعض الأنواع من الهرمونات .

اما عن مادة الألجين وحمض الألجنيك فتعتبر مادة أساسية إذ تدخل في كثير من المستحضرات الصيدلية والصناعية . وقد تم فصل الالجينات لأول مرة في عام ١٨٨٠ بوساطة، العالم « ستانفورد » وحمض الألجنيك هو مادة كوبوهيدراتية عديدة التسكر . وتنتج كثير من البلاد هذه المادة ذات القيمة الاقتصادية بكميات مختلفة . واكثر البلاد انتاجا لهذه المادة هي الولايات المتحدة وبريطانيا والنرويج ولحمض الألجنيك فوائد كثيرة حيث يدخل في مستحضرات لعلاج السمنة فتعطي إحساسا بالشبع وبالتالي تقلل

كمية الطعام المتناولة . ويدخل ايضا في الصناعات الصيدلية كمواد مساعدة . بالاضافة الى ذلك يدخل في كثير من الصناعات الغذائية مثل الجيلي ـ الشيكولاتة ـ الحلويات ـ الآيس كريم وغيرها .

كما أن مادة كالسيوم الجينات تستخدم كمادة علاجية لتقليل ومنع التأثير السام لعنصر استراتشبوم المشع وقد ذكر « ماير » أن لهذه المادة « أي كالسيوم الجنيات " » تأثيراً ضد النزيف . وقال « ديوار » إن حمض الألجنيك غير مناسب للاستعمال كمادة مضادة للتجلط لأنه أعطى نتائج معينة في حيوانات التجارب حيث ظهرت قابليتها للنزف بعد التأثير المؤقت لمادة التجلط ومن المسح البيولوجي اثبتت التجارب والدراسات أن الطحالب البنية وخاصة طحلب سيستوزير فيمبرباتا يحتوي على مواد فعالة تفيد في علاج سرطان المعدة وسرطان الاستسقاء البريتوني الأيرليتشن EHRLICH ASCLTES CARCLNOMA

ولكن .. كيف تم ذلك ؟

لقد أمكن التعرف على تأثير المادة الفعالة التي استخلصت من طحلب سيستوزيرا (الخلاصة المائية ذات التركيز المعين ١٠٪) بحقن هذه الخلاصة في الغشاء البريتوني لفئران البيو المؤنثة . تلك الفئران الخاصة بالتجارب العلمية والتي تزن ما بين ١٨ ـ ٢٢ جم والمصابة بسرطان المعدة وقد تم ذلك بحقنها بالخلايا السرطانية .. فأحدثت المادة الفعالة تجويفات داخل الخلايا السرطانية

وكذلك سببت تهتك الجدار الخلوي لها وقد تم ذلك عند حقن هذه الفئران بأقل تركيز .. بينما سببت التركزيات العالية (٥٠٠ مجم/كجم) تحلل الخلايا السرطانية نفسها وقد لوحظ عدم وجود أية تأثيرات سمية للفئران المعالجة سواء حقنت بالتركيزات القليلة ام العالية .

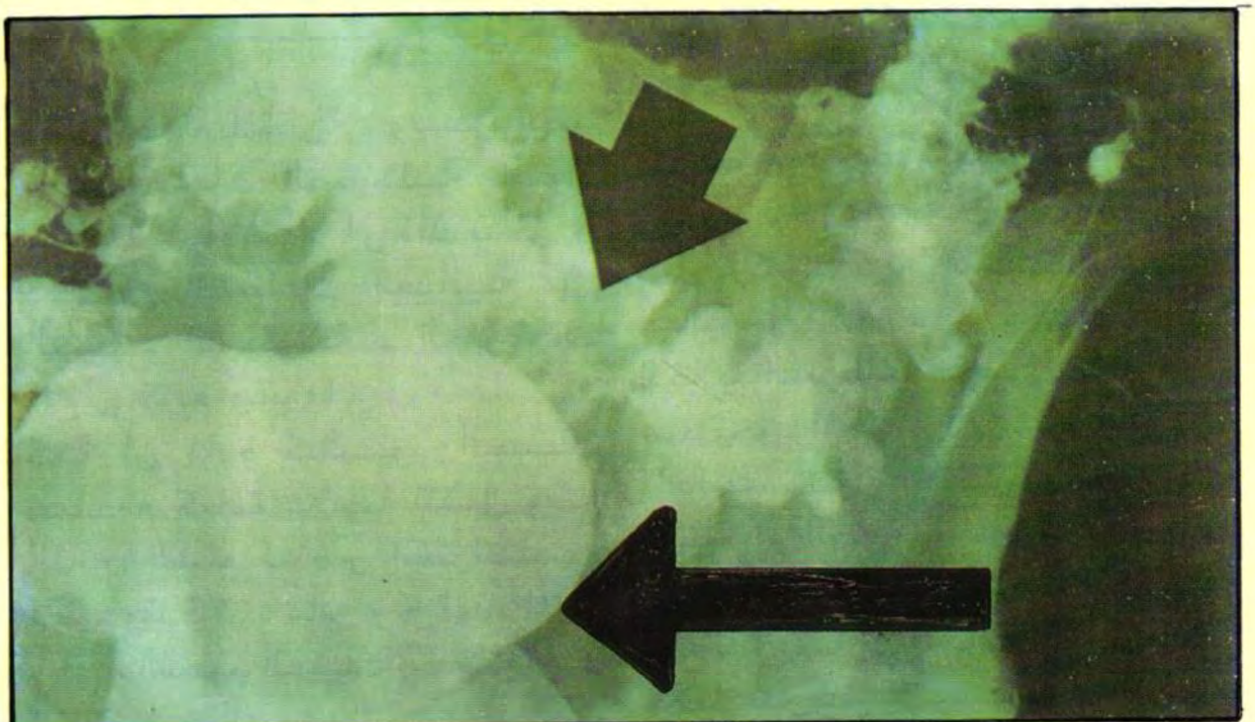
هذا وقد أجري اختبار تأثير المادة الفعالة أيضا في انبوبة اختبار على خلايا سرطانية وضعت في درجة حرارة ٣٧°م لمدة ساعتين ثم اخذت عينة وفحصت بالجهاز بعد صبغها بصبغة مناسبة تنفذ ففط في الخلايا

السرطانية الميتة . ولوحظ تأثير المادة المفصولة من طحلب السيستوزيرا فيمبرياتا على خلايا سرطان المعدة .. ومن مقارنة النتائج التي حصل عليها الباحث وجد ان الطحالب من نوع السرجاسوم تحتوي ايضا على مادة لها نفس تأثير المادة المستخلصة من طحلب السيستوزيرا على خلايا سرطان الاستسقاء البريتوني الأيرلبتش .

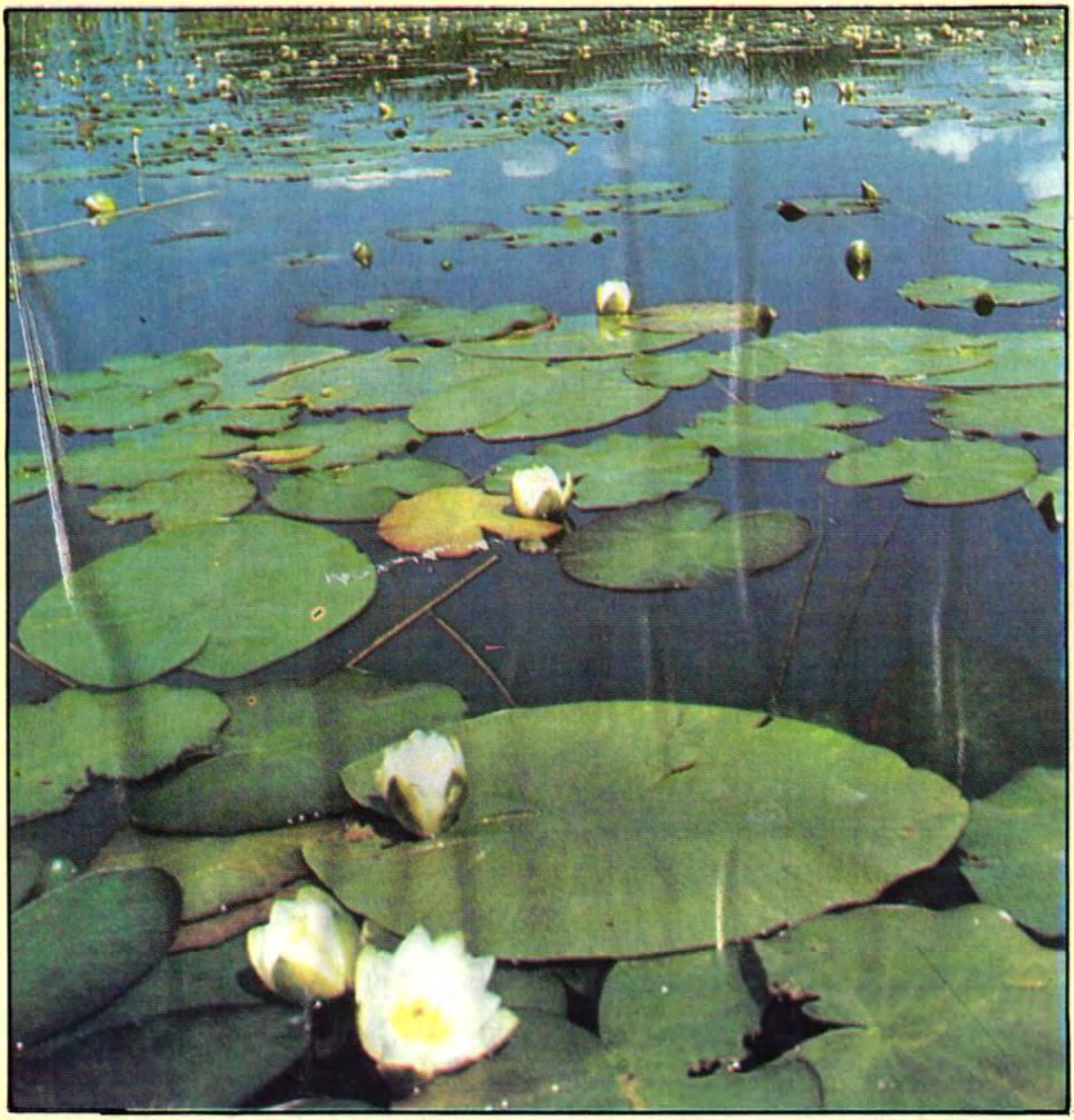
وتستمر الأبحاث حتى يمكن التعرف على التركيب الكيميائي للمادة المؤثرة بعد أن تم التأكد من تأثير (الفارما كولوجي) على حيوانات التجارب . بقى لنا الحديث عن مادة أخرى تستخرج من الطحالب البنية وهي « مادة المانتيول » : لقد انتجت هذه المادة من الطحالب المائية بعد الحرب العالمية الثانية وكان ذلك في الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا واليابان .حيث توجد نسب عالية من هذه المادة في طحالب السيستوزيرا والسرجاسوم ، و الاولى تحتوي على أعلى نسب من بين الطحالب الغنية بالمانتيول الذي يدخل في كثير من الصناعات والمستحضرات الصيدلية كما يستعمل المانتيول هكساسيتات كاختبار لنشاط الكلية .

○ الطحالب تنتصر على السرطان

ولا تقف الابحاث عند حد بل تتوالى لتخرج في كل مرة بمادة جديدة تفيد في علاج هذا المرض اللعين الذي يمثل أخطر أمراض العصر على الاطلاق فاذا كانت الطحالب قد ساعدت على اعطاء مادة للعلاج فهناك ايضا ومن أجل الوقاية نصر علمي جديد حيث



أثبتت مادة" الريتينويد" فعاليتها فى حصار وعلاج الخلايا السرطانية والأسهم تشير الى تحجيم خلية كادت أن تتوحش

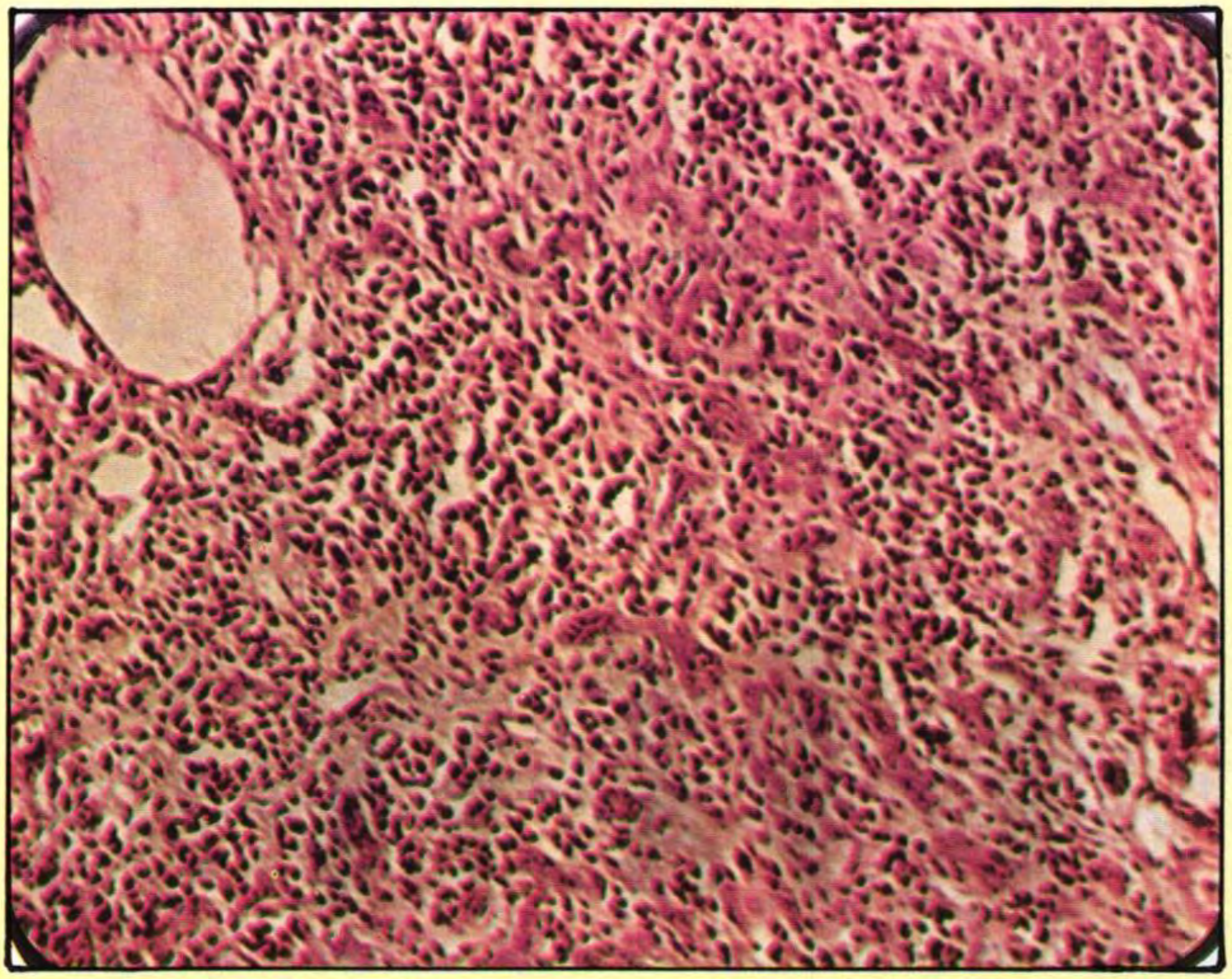


الطحالب كانت وما زالت محل أبحاث علاج الأورام والنتائج الجديدة تبشر خيرا

أتيح للعلماء معرفة مدى فعالية اول مادة من نوعها للوقاية لكثير من الامراض السرطانية .

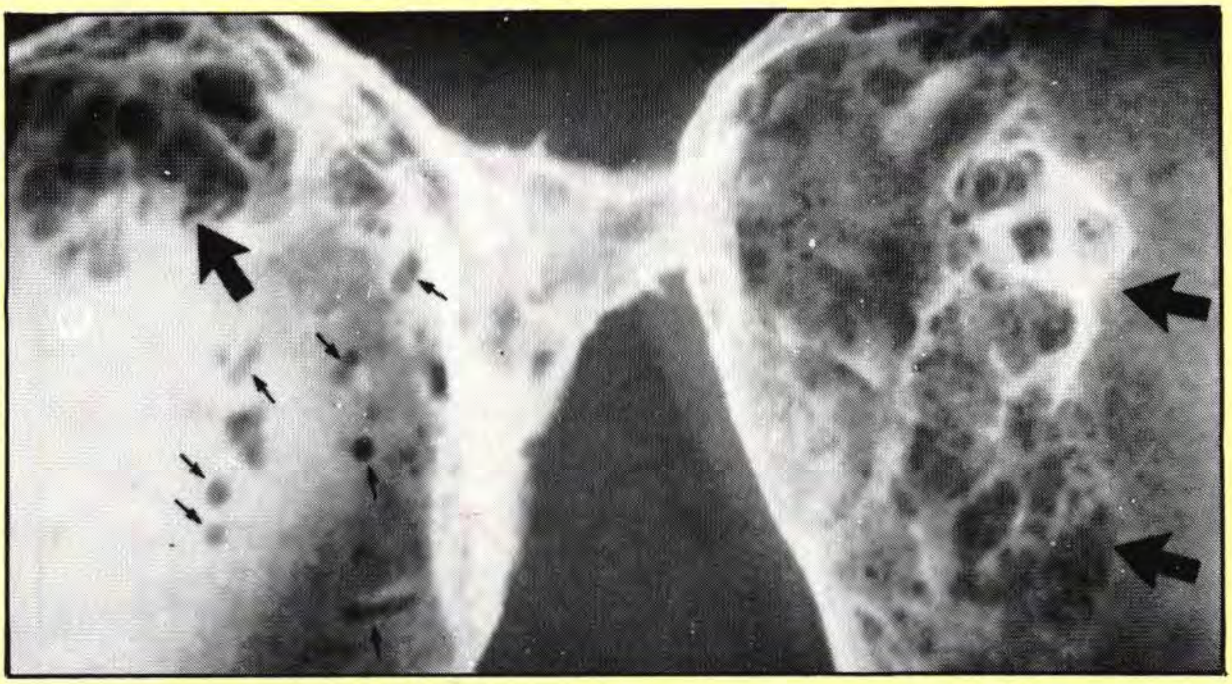
وقد اطلق على هذه المادة اسم « آسيد ١٣ - سيس - ريتينويد » وبالرغم من أن هذه المادة ما تزال في دور التجارب فان العديد من الباحثين الأميركيين الذين قاموا بهذه التجارب على الانسان يأملون أن يتحقق هذا الأمل .

وقد بدأت في الولايات المتحدة الأميركية تجارب اكلينيكية على مادة كيميائية يعتقد أنها سوف يكون لها الفضل في وقاية الانسان من كثير من الأمراض السرطانية وعلى الأخص سرطان الرئة . والقولون والمريء ، والمستقيم والثدي والمثانة والبنكرياس ، مما يعد إنجازا جديدا

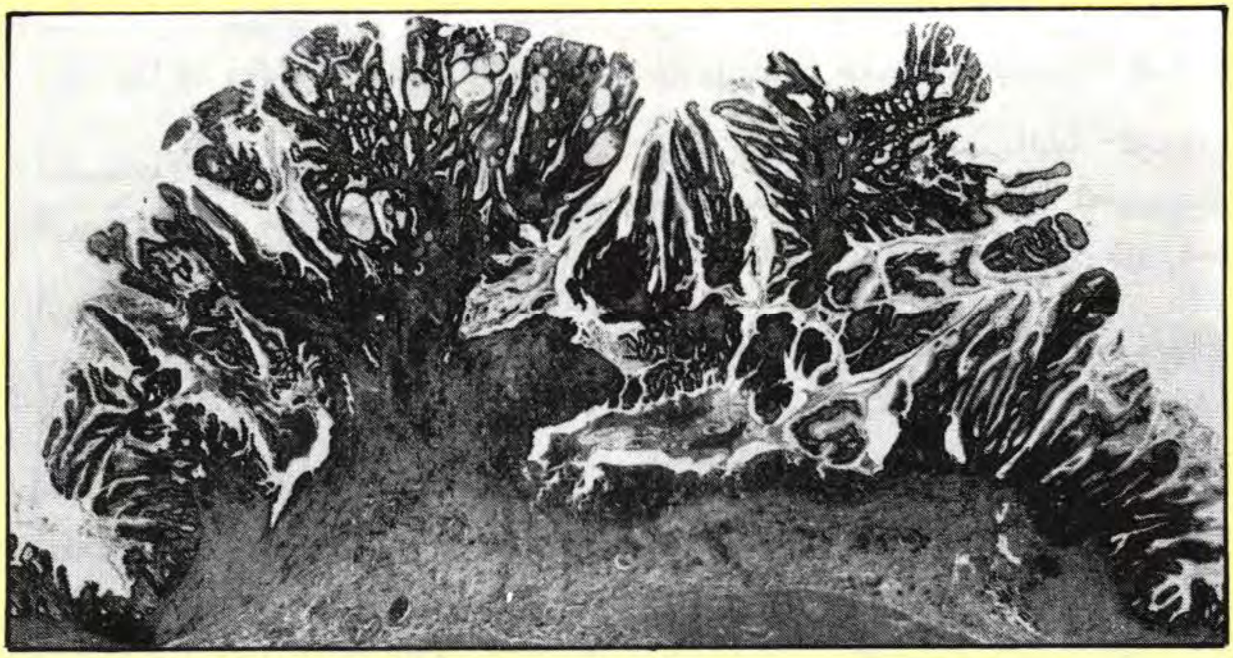


تعد من أبشع أنواع السرطان

من نوعه لمكافحة هذه الكارثة العالمية والمتمثلة في « السرطان » لا سيما وأن كل ما أمكن استعماله حتى الآن من المواد الكيميائية تعمل على إبطاء ومنع تكاثر الأورام السرطانية فحسب ، مما يدخل في نطاق المعالجة اما ما يستهدفه العلماء الاميركيون من هذه التجارب فهو الوقاية الكيميائية أي الوقاية من السرطان قبل حدوثه .
وتتم هذه الابحاث والتجارب في عشرة مراكز طبية بالولايات المتحدة تحت اشراف المعهد القومي للسرطان . وقد أوضح الدكتور « م.ب.سبورن » رئيس خدمات سرطان الرئة . والمسئول عن البرنامج . بأن الدواء الجديد سوف يجرب على مائة شخص ممن يكونون عرضة للاصابة بالسرطان وعلى الأخص سرطان المثانة . فاذا ثبتت فعاليته الأكيدة . فسوف يكون بالامكان في القريب العاجل استعماله في الوقاية من معظم انواع السرطانات في الولايات المتحدة والبلاد الصناعية ومن ثم العالم كله .
وسوف تركز الوقاية على الاشخاص المعرضين للاصابة بالسرطان كالمدخنين والعاملين في مجالات مسببة لسرطانات مهنية ، والمعرضين للاصابة المهيئة للسرطان .. ويقول الدكتور « سبورن » ان هذا العقار لن يكون له ادنى تأثير على حالات



تشير الأسهم الى بدايات التوحش السرطانى فى الخلية .



وهنا وصل التوحش مداه وبدأ فى الانتشار .

السرطان التي استقرت بالفعل .
والمادة المستعملة في التجارب هي مادة الرتيينويد RETINIOD وهي شبيهة بفيتامين « أ » من حيث التركيب ، وقد قام الكيميائيون بتحضير مئات الأنواع من الريتينويد ، وقد اثبتت إحداها وهي التي سميت ACID BCIS — RE-LINOID والتي قام بتحضيرها معمل هوفمان لاروش باميركا اثبتت فعاليتها على حيوانات سرطانات المثانة ولكن عليهم ان يستمروا في تلقي العلاج

والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه

ثلاث مرات يوميا على مدى سنتين . ولذا كنا قد ذكرنا أن مادة الريتينويد

المستعملة في الوقاية من السرطان قريبة الشبه من فيتامين « أ » إلا

أنهما مختلفان من حيث التركيب ولذلك فإن الدكتور سبورن يحذر من الخطورة البالغة من الافراط في

استعمال فيتامين أ ، و « الريتينويد » من عائلة الجزئيات الطبيعية او

الصناعية التي تلعب دورا هاما في النضج الطبيعي للانسجة « الظهارية » .

وهي انسجة مكونة من خلايا متلاصقة تبطن الأعضاء المجوفة من

الداخل وبغياب او نقص الريتنيويد فإن التمايز والنضج الطبيعي لهذه الانسجة لا يصبح لهما وجود .

واذا كنا معرضين لمواد سرطانية . فانها غالبا ما تكون بكميات ضئيلة

ولكن هذه المواد السرطانية الموجودة في البيئة بكميات قليلة جدا تعمل ببطء وكما يقول الدكتور سبورن فإن نمو

الاصابة المهيئة للسرطان وتحولها ، الى ورم خبيث عملية بطيئة جدا بالنسبة للرجل والمرأة على حد سواء .

قد يمتد من ١٠ ـ ٢٠ سنة بل وإلى اطول من ذلك . وهذه الفترة الطويلة من سكون السرطان هي الفرصة المثالية لسد الطريق

على نموه البطيء . والمثال على ذلك عمال بعض الصناعات الذين يتعرضون لمواد معروفة اليوم بأنها

مواد سرطانية كالحرير الصخري AMIANR وكذلك المصابون باصابات مهيئة لسرطان الرئة

والأمعاء والثدي دون أن نصل الى معرفة أسباب تلك الاصابات .

والوقاية من السرطان سوف تستهدف بعض فئات من الناس بحسب الأولوية في الاصابة بالسرطان مثال ذلك المصابون بسرطان الرئة . ومدمنو التدخين والعمال الحاملون لمواد سرطانية مثل الاميدت واليورانيوم ،

والسيدات اللواتي عندهن استعداد وراثي لسرطان الثدي أو كن قد أصبن

به من قبل ، والمصابون بزوائد في الأمعاء هذه الزوائد التي تتحول غالبا الى سرطان .

واذا كان اول من تم اختيارهم لاجراء التجارب الاكلينيكية هم الأشخاص المعرضون للاصابة بسرطان المثانة

فذلك لان العلماء على يقين من وجود الأخطار التي تتهددهم فإن نسبة تقدر

ما بين ٤٠٪ و ٧٠٪ من تلك الأورام تتحول الى سرطان خلال عام او عامين . إذن بإمكان العلماء خلال هذه

المدة معرفة ما اذا كانت « الوقاية الكيميائية » من السرطان قد اصبحت فعالة أو لا .

وبينما يحاول العلماء ان يتحروا بدقة مقدار المجازفة او الاضرار التي تترتب على تناول « الريتينويد » الصناعي لفترة طويلة . فانهم مستمرون في تحضير تركيبات مشابهة تكون غير ضارة او اكثر فعالية بقدر الامكان .

ان العالم ينتظر الآن بلهفة نتائج الأبحاث الأولوية للتجارب التي يقوم بها العلماء الاميركيون للوقاية من السرطان . على انه من المسلم به ان هذه الطريقة الجديدة يجب الا تجري الا بمعرفة مجموعة من الأطباء يكونون قد قاموا بتجربة او اكثر في هذا المجال . علما بأن أي مستحضر من مستحضرات الريتينويد المستعمل في هذه التجارب لم يظهر بعد للتداول تحت اسم تجاري كما أن فيتامين « أ » ومعظم الريتينويد المعروفة ليس في مقدور أيهما إعطاء ذات النتائج التي حققها هؤلاء العلماء .

وانني اغتنم هذه الفرصة كي اوجه نداء الى كل جمعيات السرطان في الوطن العربي لتبني هذه البحوث او متابعتها عن كثب لانها ستخرج لنا بنتائج نأمل ان تفيد الانسانية في علاج مرض لعين من أمراض العصر . وقانا الله إياه وشفا منه كل مرضاه

الأسرة

هدفاً ونظاماً ومسؤولية

للدكتور/ محمد الزحيلي

الأسرة احدى الركائز الأساسية في النظام الاجتماعي والتربوي والتشريعي والاقتصادي والانساني والتاريخي في نظر الاسلام .

لكن الأسرة تعرضت في بعض حقب التاريخ للنيل منها باسم المذاهب والأفكار احيانا ، وتبني بعض الأنظمة القديمة ذلك أحيانا أخرى ، كما تتعرض الأسرة اليوم لبعض الثغرات والوهن في جوانبها المختلفة في ربوع بلادنا ، وأمام أنظارنا ، وأصبحت غرضا لسهام الحاقدين والمخربين الذين يتحركون تحت مظلة الغزو الفكري الأجنبي ، والمبادىء المستوردة الهدامة ، لغايات خبيثة ، ونوايا سيئة ، وأهداف فاسدة ، ويحاول أصحابها نشرها وبثها ثم تصديرها الى بلاد المسلمين .

لذلك قصدت التنويه بمكانة الأسرة والتذكير بأهميتها ومسؤوليتها والتحذير مما يخدشها تحقيقا لقوله تعالى : (**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**) الذاريات/ ٥٥ .

ينطلق مفهوم الأسرة في الاسلام

من تأسيس الحياة الزوجية بين الرجل والمرأة وما يتفرع عنها من النسب والمصاهرة لتشمل الوالدين والأولاد ، والآباء والأمهات ، وقد تتوسع حلقتها لتتناول الاخوة والأخوات ، والأعمام والعمات ، والأخوال والخالات ، وقد تطلق احيانا على المجتمع بأكمله ، باعتباره أسرة واحدة كبيرة ، ولكن المراد في بحثنا هو المفهوم الأول للأسرة مع ما يتعلق به ويحوطه من آثار بالمعنى الواسع له .

إن الأسرة هي النظام الفطري للانسان تلتقي مع طبعه الذي خلق فيه ، وجبلته التي فطر عليها لأن الانسان اجتماعي بطبعه والأسرة هي الخطوة الأولى ، والصورة المصغرة للمجتمع البشري ، وتعطي النموذج القويم للحياة الانسانية على وجه البسيطة .

وهذا ما أكده القرآن الكريم في قوله تعالى : **(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها)** النساء/١ والمراد بالنفس الواحدة آدم عليه السلام ، وزوجه التي خلقت منه هي حواء خلقها الله من ضلعه الأيسر ، فلما رآها أعجبته ، فأنس اليها ، وأنست اليه ، وكان ذلك سنة الله تعالى فيما بين الرجل والمرأة الى يوم القيامة .

لذلك تعتبر الأسرة النظام الانساني الأول في تقدير علماء الاجتماع والتاريخ ، ومن وظائفها استمرار النوع والمحافظة عليه ، وأن الأسرة وجدت منذ وجد الانسان الأول ، والدليل عليه النص الصريح السابق في الآية الكريمة ، وأن القرآن الكريم ذكر المراحل الأولى لخلق آدم وحواء في الجنة ونزولهما الى الأرض ، وبناء الأسرة الأولى فقال تعالى : **(وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما)** البقرة/ ٣٥ .

وستبقى الأسرة موجودة وقائمة حتى قيام الساعة مع كل ما تتعرض له من أمراض وآفات واخطار على مر التاريخ وذلك **للأسباب التالية** .

الأسرة هي الخلية الأولى للمجتمع ، والنواة المركزية للأمة ، والأساس الرصين ، واللبنة الأساسية لاقامة الدولة ، لأن مجموع الأسر يكون المجتمع والأمة والدولة ، وكلما كانت الأسرة قوية وسليمة وصحيحة كانت الأمة أو المجتمع أو الدولة قوية وسليمة وصحيحة ، والأسرة هي الدعامة لكل ذلك ، وتحتل مكانة القلب في الجسم ، فإذا صلحت وقويت صلح المجتمع ، واذا فسدت فسد المجتمع ، واذا ضاعت أو تفككت أو انهارت أدى ذلك الى ضياع المجتمع ، وتفكك الأمة ، وانهيار الدولة .

والأسرة هي الحصن الذي يوفر الانسجام في حياة الأفراد ويربط الأمة بماضيها ، ويحدد خط السير القويم المتواصل للمستقبل ويقيم السور المنيع للحفاظ على القيم والمبادىء وتترعرع فيه الأخلاق الفاضلة التي تنبت عند الفرد في محيط الأسرة ثم تنمو وتزدهر في المجتمع كما تزود الأسرة أعضاءها بالاشباع لعدد من متطلبات الانسان العاطفية والنفسية والاجتماعية كالحنان والعطف والحب والألفة والرعاية والاستقرار وتحقيق

الرغبات والتعاون .. وغير ذلك .
والأسرة إحدى المؤسسات التربوية الرئيسة بل إن الأسرة هي المؤسسة الأولى التي تبدأ منها التربية ويقع على عاتقها اهم مراحل التربية واخطرها ، لانشاء الجيل ، وغرس الفضائل وإرساء المثل العليا ، وعندها تنبع الآمال ويصدر الخير وتتهذب العواطف وترق المشاعر ، وتصفو النفوس وتشف القلوب لتكون الأسرة هي مقياس رقي الفرد والمجتمع معا ، وإلّا دبَّ الضعف وتسرب التحلل والفساد .

وتتحمل الأم في الأسرة الوظيفة المقدسة والمثلى في التربية ورعاية البيت وإضفاء الحنان الفطري الكامل للطفل ، هذا الحنان الذي تعجز عن بعضه جميع الوسائل الأخرى ليخرج الطفل من البيت سليما معافى ، دون أن يلقي في أيدي الخدم ودور الحضانة ويشبع الصغير بالغذاء العاطفي من أمه ، قبل أن تتعهده المدرسة بالتعليم وينعم في البيت برعاية الأبوة ، وعاطفة الأمومة وهما من أشد احتياجاته فنضمن له الاستقرار النفسي والحنان الكافي ، ونبعد عنه القسوة والمعاناة .

وفوق كل ذلك فان الأسرة تمثل الضمان الاجتماعي للانسان ، صغيرا كان في المهد ، أم كبيرا على حافة اللحد رجلا أم امرأة ، فاذا مرض أحد أعضاء الأسرة أحاطه الجميع بالرعاية والعناية ، والحب والوئام ، والمواساة والحنان ، واذا أصاب أحدهم العجز أو كبر السن التف حوله الجميع من أولاده وأصهاره وأنسابه وأحفاده ، وغمروه بالجو المناسب وتقديم الخدمات وتفريج الكرب ، وتخفيف الشدة ، ونسيان الألم ، ورفع الروح المعنوية ، واذا أصاب فردا من الأسرة فاقة أو حاجة أو فقر تكفل الجميع بالانفاق والتضامن ، وهذا ما أراده القرآن الكريم بقوله تعالى : (**إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا**) الاسراء/ ٢٣ ـ ٢٤ ، وقوله تعالى : (**لينفق ذو سعة من سعته**) الطلاق/٧ ، وهذا مما لا يحلم به انسان الغرب والحضارات المادية اليوم ، لذلك حرص القرآن الكريم والسنة الشريفة على بناء الأسرة ، ودعم مقوماتها والعناية بكل أفرادها وتوثيق الصلة بين عناصرها والتوسع في صلة الرحم بكل من يلوذ بها .

وجعل الاسلام الأسرة الوسيلة الوحيدة التي تربط الرجل بالمرأة ، وتحقق لهما الحياة العاطفية ، والغريزة المشتركة فشرع الزواج القائم على العقد الصحيح والخطبة المشروعة والدوام والبقاء بين الزوجين ما أمكن الى ذلك سبيلا وجعل أحب الحلال الى الله الزواج وأبغض الحلال الى الله الطلاق ، وحرم العلاقات الأخرى بين الرجل والمرأة ، ومنع الزواج المؤقت ، وزواج المتعة لشبهه بالزنا وقربه منه ، واعتبر الزواج الوسيلة الوحيدة للتناسل وثبوت النسب وكلف الوالدين بمسؤولية

الرعاية والتربية واشباع أفـرادها بمتطلبات الطفولة الغريزية والعاطفية والنفسية والاجتماعية والمعيشية .

وحرص الاسلام على اقامة الأسرة وبنائها على أسس وطيدة للحفاظ على العلاقة الزوجية بحسن العشرة ، قال تعالى : (**وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعـل الله فيه خيـرا كثيرا**) النساء/ ١٩ ، وأكد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن خلقن من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيرا » رواه البخاري ومسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يفرك مؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقا رضي منها آخر » ، أي لا يبغضها بغضا يؤدي الى تركها ، لأنه ان وجد فيها خلة وصفة يكرهها ، وجد فيها سلوكا مرضيا وميزة مرغوبة وهو ما يتفق مع الواقع الملموس ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خياركم خياركم لنسائهم »رواه ابن ماجة .

وقـرر القرآن الكـريم ان العلاقـة الفطرية بين الرجل والمرأة تقوم على التكـامل والأنس والسكن ، فقـال تعالى : (**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها**) الأعراف/ ١٨٩ ، أي ليألفها ويطمئن اليها ، ولا يوجد الفة بين روحين أعظم مما بين الزوجين ، قال عز وجل : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم/ ٢١ ، فكان من حكمة الله ورحمته أن خلق الزوجين من جنس واحد ، ليتم التآلف بينهما وفطر بينهم المـودة والمحبة والرحمة والـرأفة ، ليتعلق الـرجل بالمرأة ويمسـك بها وتـرتبط المرأة بالزوج وتحرص عليه ، قال تعالى : (**هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**) البقرة/ ١٨٧ ، أي ان كلا من الزوجين يحفظ صاحبه ويدفع عنـه الأذى ويصون اخلاقه ويحميه من المؤثرات والمضار ويمنحه السعادة ويتبادل معه المسرة والعيشة المشتركة ، ويحقق معه الآمال الواحدة ، ويتحمل معه الآلام الخاصة ويمنحه الوقاية كما ان اللباس يحفظ البدن ويمنحه الدفء والراحة والمتعة .

ويتم التعاون بين الزوجين كأنهما جسـد واحـد ويتبـادلان الحقـوق والواجبات فللزوج على زوجته حقوق ، وعليه واجبات ، وللزوجة على زوجها حقوق وعليها واجبات ، وهذه الحقوق والواجبات نظمها رب العالمين وألزم بها الطرفين ولم يفرضها أحدهما على الآخر ولم تتقرر لجانب على حساب غيره ، بعد أن اتصف كل منهما بالانسانية والكرامة والتكليف والتدين والعبادة واهلية التملك والارث والمكانة الاجتماعية .

ويقـوم نظام الأسـرة على تـوزيع الاختصاصات بين الرجل والمرأة بما يتفق مع الفطرة والطبائع ليتولى الأب رئاسة الأسرة والاشراف العام والخارجي والمسؤول المالي ، وتتولى

الأم رئاسة البيت ومسؤولية التربية ، والحفاظ على مال الأسرة ونفقاتها وتوزيعها ،، وصيانة عرض البيت وشرفه ومقدساته قال تعالى : **(ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة)** البقرة/٢٢٨ ، وهي درجة القوامة للرجال أي الرياسة والقيادة وتسيير الأمور لقوله تعالى : **(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله)** النساء/ ٣٤ وذلك لتوافر الخبرة والمعرفة العامة بالحياة مع القدرة والكفاءة ولالتزام الرجل بالأعباء المالية من دفع المهر والنفقة وإعالة الجميع ...

والمرأة هي سيدة البيت وربة المنزل ، ومنجبة الأطفال ، وحاضنة الأولاد ، ومربية الجيل والمسؤولة عن مال الرجل وعرضه وتربية أولاده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والمرأة راعية في بيتها ، ومسؤولة عن رعيتها »رواه احمد - ومطالبة بصيانة عرضها ونفسها ، والحفاظ على عفتها وكرامتها .

وفوق ذلك فالأم لها فضل على الرجل ، وتقدم على الزوج ، ولها درجات عليا تتفوق فيها على الأب ، لما تعانيه من عناء الحمل ، وآلام الولادة ، والتجلد على الرضاعة والتربية ، قال تعالى : **(ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)** الأحقاف/ ١٥ ، وقال تعالى : **(ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير)** لقمان/ ١٤ ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك ، قال : ثمن من ؟ قال : ثم أبوك »رواه البخاري ومسلم ، وهكذا يتعاون الرجل والمرأة على مسؤوليات الحياة ، ويكلفان معا بالرعاية والعناية بالأولاد رضاعة وحضانة وإنفاقا وحسن تربية .

وان الاستمتاع بين الرجل والمرأة لا يقصد منه قضاء الوطر وإشباع الغريزة الجنسية فحسب وليس لمجرد قضاء حاجة آنية ، وإنما الهدف الأنس والعشرة وتوثيق الصلات ، وتلبية عواطف الأبوة والأمومة عندهما ، ونمو مشاعر العطف والحنان بينهما ، واقامة الود والرحمة بين أفراد الأسرة لتمتد العلاقة بين الزوجين الى الصلة القلبية والتعلق الروحي ، والاشتراك في الآمال والآلام ، والتعاون على شؤون الحياة ، والمساهمة في تكوين الأسرة والمجتمع .

ونتج عن اهتمام الاسلام بالأسرة وتنظيم أحوالها واحكامها ، أن جمع شمل الأمة بذلك ، وجعلها حصينة أمام التيارات المعادية والهجمات المسعورة ، والمذاهب الهدامة ، لذلك حرم الاسلام نكاح المتعة الذي يشبه زواج التجربة في الغرب وحرم الاسلام نكاح الاستبضاع الذي كان في الجاهلية ، وهو أن يرسل الرجل

زوجته اذا طهرت من الحيض الى رجل آخر تستبضعه أي تطلب منه أن يباضعها والمباضعة الجماع ، ويعتزلها الزوج حتى يتبين حملها ويقصد من ذلك تحسين النسل كما يتم في النبات والحيوان وحرم الاسلام نكاح الشغار ، وهو أن يزوج الرجل ابنته أو اخته لرجل آخر في مقابل أن يزوجه هذا الآخر ابنته أو أخته كذلك بدون مهر ، اكتفاء بأن كل واحد منهما أحل للآخر الاستمتاع ببضع من تحت ولايته ، وتكون المرأة بذلك مجرد وسيلة للمتعة المادية ولا رأي لها في الاختيار والحياة الزوجية ولا هدف في بناء الأسرة الدائمة وتوطيد المحبة والمودة والسكن وبقية اهداف الزواج المتنوعة .

ويقرب من هذه الأنواع ، ويزيد عليها ما يجري الآن في معظم الدول الغربية والمادية من فقدان القيم في حياة المرأة كالعفة والحياء والكرامة الانسانية والأمانة والوفاء كما فقدت المعاني الانسانية والاجتماعية للأسرة وظهرت الدعوات التي تدعو للتحلل والاباحية ، وانتشرت الفلسفات المادية والمذاهب الفكرية التي تنادي بالشعارات البراقة كتحرير المرأة وحرية الجنس وخروج المرأة من البيت والاجتماعات المختلطة ونكاح الصداقة ، والسهرات الفنية ، واللقاءات في الأندية وحبوب منع الحمل ، مع استغلال عواطف النساء وجمال الفتيات في الدعاية والمعارض والشركات والمحلات التجارية وعلى صفحات الكتب والمجلات وفي مكاتب المسؤولين ورجال الأعمال واقتربت العلاقة بين الزوجين من العقود المدنية التجارية ، القائمة على المساومة مع محاولة التهرب من أعباء البيت والأولاد ، أو المسؤولية الزوجية ، وتقوم المحاولات العديدة والحثيثة لتقويض نظام الأسرة من أساسه لتظهر الآثار السيئة لكل من يزور البلاد الأجنبية ، ويطلع على بنائها الاجتماعي .

وان انتشار الأوبئة العامة ، والأمراض الفتاكة في هذا العصر ، وفي بلاد العالم المتحضر ، والمتقدم صناعيا ، نتيجة التفلت من نظام الأسرة لأكبر دليل على صحة ما ذكرنا ، وينذر بالشؤم القريب ويصفع الوجوه المبرقعة ، ويقطع الألسنة المفسدة ويؤكد صحة المنهج الاسلامي في بناء الأسرة ورعايتها وإناطة المسؤوليات الجسام على عاتقها وترقب النتائج الطيبة لأعمالها وإن جميع المحاولات الأخرى ستبوء بالفشل الذريع لأنها تتصادم مع الفطرة الانسانية ، والكمال الانساني والدعوة الالهية .

وأخيرا : فان الصورة المثالية لهذه العلاقة بين الجنسين هي الأسرة وان المنهج الالهي لصلة الرجل والمرأة هي الزواج ، وان الصورة المنطقية والقانونية والتشريعية هي احكام رب العالمين التي تحقق السعادة للبشرية تحقيقا لقوله تعالى : **(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)** الأنعام/١٥٣ ، والحمد لله رب العالمين .

من روّاد
الفكر الاسلامي

مالك بن نبي

محمد مؤذن

للاستاذ/ محمد سيّد بركة

«مالك بن نبي» واحد ممن حجب فكرهم عن الناس عدم اهتمام الدارسين بهم فقد امضى في اوروبا اكثر من ثلاثين عاما متأملا يحلل ويضع شروط النهضة للمجتمع الاسلامي

ومالك بن نبي لم يكن عالم دين بل كان مهندسا كهربائيا تخرج من كبريات المعاهد العلمية في باريس
ولد «مالك بن نبي» عام ١٩٠٥ م في مدينة قسنطينة بالجزائر وكانت مراحل دراسته الابتدائية والثانوية بين مدينة «تبسة» قسنطينة ..

نزل «باريس» اول مرة في سبتمبر عام ١٩٣٠ م ولكنه لم يلبث أن عاد الى بلده ثم رجع مرة اخرى وحاول الالتحاق بمعهد الدراسات الشرقية ولكنه فشل لأن الالتحاق به بالنسبة لمسلم جزائري في ذلك العصر لايخضع لمقياس علمي وإنما يخضع لمقياس سياسي على حد قول مدير المعهد في ذلك الوقت ..
فالتحق بمعهد اللاسلكي حيث تخرج مهندسا كهربائيا عام ١٩٣٥ م
وفي باريس كان يسعى بكل جهده الى أن يقوي النزعة الوطنية في

قلوب المغاربة والتونسيين والجزائريين ضد الاستعمار واطماعه وبدأ يعاني هو ووالده الكثير من المتاعب حيث فقد والده وظيفته إثر محاضرته الأولى بباريس في شهر كانون الأول ديسمبر ١٩٣١ والتي كان عنوانها «لماذا نحن مسلمون» كما يروي في كتابه «مذكرات شاهد للقرن» ..

في عام ١٩٥٦ لجأ الى القاهرة حيث عمل مستشارا بالمؤتمر الاسلامي واتجه بعد اتصاله بالعديد من الطلاب الى ترجمة كتبه الى العربية ثم أصدر بقية كتبه بالعربية بعد ترجمة بعضها

انتقل الى الجزائر عام ١٩٦٣ م حيث عين مديرا عاما للتعليم العالي ولكنه استقال من منصبه عام ١٩٦٧ م وتفرغ للعمل الفكري وتنظيم ندوات فكرية كانت النواة لملتقى الفكر الاسلامي الذي يعقد كل عام بالجزائر ..

وقد توفي رحمه الله ـ في ٣١ تشرين الثاني (اكتوبر ١٩٧٣ م) بعد حياة حافلة بالجهاد والفكر والعمل من أجل رقي المجتمع الاسلامي ..

ومؤلفاته التي تصور فكره وضعها تحت عنوان «مشكلات الحضارة» وهي :

١ ـ الظاهرة القرآنية ..
صدرت الطبعة الأولى في الجزائر عام ١٩٤٦ م باللغة الفرنسية وكتب مقدمتها الدكتور «محمد عبدالله دراز» وصدّرت الطبعة العربية الأولى بمقدمة قيمة للاستاذ «محمود شاكر» وترجمة الدكتور «عبدالصبور شاهين» ويعتبر هذا الكتاب من أهم مؤلفات «مالك بن نبي» ..

٢ ـ شروط النهضة ..
صدر بالفرنسية عام ١٩٤٨ م وصدرت طبعته الأولى بالقاهرة عام ١٩٥٧ م

٣ ـ الفكرة الأفريقية الاسيوية ..
بمناسبة انعقاد مؤتمر باندونج وقد طبعته وزارة الإعلام في القاهرة بالفرنسية عام ١٩٥٧ .

٤ ـ مشكلة الثقافة .. صدر بالقاهرة عام ١٩٥٩ م

٥ ـ وجهة العالم الاسلامي .. صدر بالقاهرة عام ١٩٥٩ م .

٦ ـ الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ..
صدر بالقاهرة عام ١٩٦٠ م .. وهو أول محاولة للمؤلف في الكتابة بالعربية ..

٧ ـ فكرة كومنولث اسلامي ..
صدر بالقاهرة عام ١٩٦٠ م هو ملخص من بعض فصول كتاب مشكلة الأفكار في المجتمع الاسلامي .

٨ ـ تأملات في المجتمع العربي صدر بالقاهرة عام ١٩٦٠ م .

٩ ـ في مهب المعركة .. صدر بالقاهرة عام ١٩٦١ م .

١٠ ـ ميلاد مجتمع الجزء الاول ..
صدر بالقاهرة عام ١٩٦١ م .

١١ ـ المسلم في عالم الاقتصاد ..
صدر في بيروت عام ١٩٧١ م .

١٢ ـ حديث في البناء الجديد ..
صدر في بيروت عام ١٩٧١ م .

١٣ ـ مذكرات شاهد للقرن .. وهو

ترجمة ذاتية صدر منها جزءان في بيروت عام ١٩٦٩ م - ١٩٧٠ م بترجمة «مروان قنواتي» ونشرت هذا الكتاب دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق
- وهي الدار المسؤولة الآن عن نشر وتوزيع كتب «مالك بن نبي» - ثم صدر في جزئين ضمهما كتاب واحد الجزء الأول قام بترجمته الدكتور «عبدالمجيد النعنعي» «وعمر مسقاوي» أما الجزء الثاني فقام بترجمته «مالك بن نبي» بنفسه .
١٤ - آفاق جزائرية ..
١٥ - مشكلة الافكار في العالم الاسلامي ..
١٦ - بين الرشاد والتيه ..
وهذه الكتب الثلاثة صدرت في الجزائر بعد ان انتقل اليها مالك بن نبي عام ١٩٦٣ م
١٧ - انتاج المستشرقين ..
١٨ - مجالس دمشق ..
ولم استطع الحصول أو الاطلاع على هذين الكتابين ..
وقد ترك للاستاذ «عمر كامل مسقاوي» في المحكمة الشرعية في طرابلس لبنان وصية سجلت تحت رقم ٦٧/٢٧٥ في ربيع الآخر ١٣٩١ هـ الموافق ١٠ حزيران (يونيه ١٩٧١ م) حمله فيها مسؤولية كتبه المادية والمعنوية ..
اتجه «مالك بن نبي» نحو تحليل الأحداث التي كانت تحيط به وقد أعطته ثقافته المنهجية قدرة على إبراز مشكلة العالم المتخلف باعتبارها قضية حضارة أولا وقبل كل شيء يقول :

«إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته ولايمكن لشعب ان يفهم مشكلته مالم يرتفع بفكره الى مستوى الأحداث الانسانية ومالم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات او تهدمها» ..
ان ظهور اي مجتمع تاريخي يكون نتيجة لتخطيط وتفاعل يشمل :
١ - مصدرا تاريخيا لعملية التغيير .
ب - اشخاصا يقع تأثير التغيير بهم وعليهم .
حـ - مواد يقع عليها التغيير .
وهذا هو مايصفه «مالك بن نبي» في كتابه ميلاد مجتمع حيث يقول (ان صناعة التاريخ تتم تبعا لتأثير طوائف اجتماعية ثلاث :
أ - تأثير عالم الاشخاص .
ب - تأثير عالم الأفكار
حـ - تأثير عالم الأشياء .
وهذه العوالم لاتقوم ولا تتفاعل من تلقاء نفسها حيث يقول : «لكن هذه العوالم الثلاثة لاتعمل متفرقة بل تتوافق في عمل مشترك تأتي صورته طبقا لنماذج ايديولوجية من عالم الافكار يتم تنفيذها بوسائل من عالم الاشياء من أجل غاية يحددها عالم الاشخاص» .
وقد اهتم بعالم الافكار بدلا من عالم الاشياء وتساءل ماهي المشكلات ؟ انها تبدو هنا الجهل وهناك الفقر - او في إطار سياسي - الاستعمار والاحتلال الأجنبي وفي مجال آخر النقص في الامكانات والثروات الطبيعية ..
لقد طرح «مالك بن نبي» كل هذه

الأعراض في مختلف كتبه وعالجها معالجات متعددة لكنها كما رأى تصب في إطار واحد : إنها مشكلة حضارة نحن خارجها ومشكلة ثقافة لم يتكامل إطارها في متقلب حياتنا اليومية ونحن لذلك شتى النوازع والقلوب والوسائل، تتعارض الامكانات في مختلف الاصعدة ثم تسقط هذه في هوة الفراغ والضياع وعدم الفعالية ..

«فالقضية اذن ليست قضية أدوات ولا امكانيات .. ان القضية كانت في انفسنا أن علينا أن ندرس اولا الجهاز الاجتماعي الاول وهو الانسان فإذا تحرك الانسان تحرك المجتمع والتاريخ واذا سكن سكن المجتمع والتاريخ »

فما الطريق إذن الى الحضارة ؟

«الطريق الى الحضارة هو قبل كل شيء طريق الفكر الذي يحدد الوسائل ونتائجها في مدة معلومة بحيث يرى السائرما سوف تنتهي اليه الطريق قبل أن يخطو فيها خطوة واحدة» .

وعن اهمية الافكار عنده يقول :

«لايقاس غنى المجتمع بكمية مايملك من اشياء بل بمقدار مافيه من افكار ولقد يحدث ان تلم بالمجتمع ظروف أليمة كأن يحدث فيضان او تقع حرب فتمحو منه عالم الاشياء محوا كاملا او تفقده الى حين ميزة السيطرة عليه فإذا حدث في الوقت ذاته أن فقد المجتمع السيطرة على عالم الافكار كان الخراب ماحقا . اما اذا استطاع ان ينقذ أفكاره فانه يكون قد انقذ كل شيء اذ أنه يستطيع ان يعيد بناء عالم الاشياء»

ومقياس الحضارة عند مالك أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها وليس العكس ولما رأى أن مجمل الممارسات والأنشطة البنائية في العالم العربي الإسلامي تتسم بالطابع التكديسي ولاتنطوي على اهداف حضارية بين انه ينبغي معالجة ثلاث مشكلات أولية للتغيير الحضاري هي :

مشكلة الانسان ومشكلة التراب (الامكانات الطبيعية) ومشكلة الوقت (عنصر الزمن) .. يقول :

«ان أول مايجب علينا أن نفكر فيه حينما نريد ان نبني حضارة أن نفكر في عناصرها تفكير الكيماوي في عناصر الماء اذا ما اراد تكوينه فهو يحلل الماء تحليلا علميا ويجد انه يتكون من عنصرين عنصر الايدروجين وعنصر الاوكسجين ثم انه بعد ذلك يدرس القانون الذي يتركب به هذان العنصران ليعطيانا الماء . وهذا بناء وليس بتكديس ذلك لأنه لو كدس ملايين من الأطنان من الايدروجين والأوكسجين ثم بقى ينتظر ان يتكون الماء فإنه لايتكون وحده الا بأن يبعث الله إليه شرارة من عنده فحينما نحلل منتجات الحضارة ولنأخذ أيا منها ولتكن هذه الورقة فإننا نجدها تتكون من عناصر ثلاثة :

الانسان : لأنه هو الذي ولدها بفكره وصنعها بيده في بغداد في العصر العباسي حيث اخترع الفكر

الانساني الورق . فالعنصر الاول اذن الانسان ، أما العنصر الثاني : فهو التراب إذ من التراب كل شيء على الأرض وفي باطنها ومعنى التراب هنا ليس المتبادر الى الذهن فقد تعمدت ألا استخدم كلمة مادة لأسباب فقلت التراب . لأن التراب يتصل به الانسان بصورتين : صورة الملكية أي من حيث تشريع الملكية في المجتمع الذي يحقق للفرد الضمانات الاجتماعية فالتراب هنا شيء حيوي في المجتمع من حيث التشريع . وهو يتصل به بصورة أخرى من ناحية علم التراب والمعلومات التي تتصل به كالكيمياء وغيرها فالتراب نعني به هذين الجانبين جانب التشريع وجانب السيطرة الفنية والاستخدام الفني . فالتراب بهذا المعنى يدخل في عناصر هذه الورقة .

واما العنصر الثالث فهو الزمن . لأنه اذا صح ما أقول فلماذا لم يخترع الفكر الانساني الورق قبل هذا التاريخ ؟ إن الجواب على ذلك هو نقص تجاربه في هذا المضمار في مضمار علم التراب والنباتات فالزمن قبل ذلك التاريخ لم يكف لتخمر فكرة ابتكار الورق إذن يجب ان نجهز عناصر ثلاثة حتى يتكون منها الورق .

الانسان - التراب - الوقت .

وهذا التحليل يوجب عليّ أن أقول : منتوج حضارة (وهنا ورقة) = انسان + تراب + وقت

اذن ماذا نأخذ من الحضارة الغربية وماذا ندع ؟

يجيب علينا مالك بن نبي فيقول : «إننا لانستطيع أن نعيش منعزلين عن العالم فحينما نقول إنه ينبغي ان نوجه أبحاثنا الى هذه العناصر الثلاثة (انسان - تراب - وقت) التي بها تبنى الحضارة فإن هذا لايعني أن ندع ما انتهى إليه الآخرون لنبدأ الطريق من أوله .

إن علينا أن نأخذ من الحضارة الغربية الأدوات التي تلزم في بناء حضارتنا . فإذا لم نكن نستطيع صنع الآلات مثلا فعلينا ان نستورد هذه الآلات من الخارج حتى يأتي يوم نستطيع فيه الاستغناء عنها بمنتجاتنا . على أنه اذا كان من العبث أن اركب الجمل في العصر الذي انتشرت فيه السيارات فانه من العبث الأكبر والتبذير للاموال أن اقتني أفخر السيارات واعظمها لأنه لاحاجة بي الى هذا النوع من السيارات طالما استطيع الاكتفاء بأقل منها درجة فنحن في مرحلة البناء ينبغي لنا أن نقتصد في امكانياتنا حتى نستخلص منها أقصى مانستطيع من فائدة»

إن علاقتنا بالحضارة الغربية لن تستطيع أن تأتينا بالحضارة طالما يوجد في مجتمعنا من يستورد فرو السيدات الباهظ الثمن وهو في صحراء العرب حتى إذا ما أراد استعماله جعل داخل القصور مكيفا للهواء في درجة الصفر لتستطيع السيدات استعماله . فإن هذا عبث وصبيانية وإتلاف لإمكانيات المجتمع» .

وعن الثقافة يرى «مالك بن نبي أن الافكار الغربية الليبرالية او الماركسية هي انعكاس لواقع معين : سواء أكان هذا الواقع حضاريا ام أيدلوجيا وهذه الأفكار غير مجدية لواقعنا العربي الاسلامي وليس ذلك لخطأ هذه الافكار بالنسبة لمجتمعاتها ولكن ذلك لعدم اتساقها مع أبعاد هذا الواقع العربي الاسلامي ويحاول ان يضع تعريفا شاملا للثقافة يتسق مع واقعنا العربي الاسلامي فيقول عن الثقافة : مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه فهي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته» والثقافة عنده ليست مجرد علم يتعلمه الانسان في المدارس او من الكتب بل هي جو من العادات والأذواق والقيم التي تؤثر في تكوين الشخصية وتحديد دوافع الفرد وانفعالاته وصلاته بالناس والأشياء ويرى ان الثقافة كنظرية للتغير وإعادة البناء لابد وان تصاغ صياغة تربوية تعتمد على العناصر التالية :

أ ـ التوجيه الأخلاقي :

فهو يرى ان فعالية المجتمعات تزيد او تنقص بمقدار مايزيد فيها تأثير الأخلاق او نقصانها ومايعنيه هذا من التأكيد على مفاهيم الإخاء والتعاون ومبدأ الجميع للفرد والفرد للجميع وربط العلم بالأخلاق حيث يهتم بالاخلاق من الناحية الاجتماعية .

ب ـ التوجيه الجمالي :

فالقبح يعبر اساسا عن تخلف في الثقافة وعندما تشاهد خرقا في كساء أحد المتسولين يجب أن تشعر بوجود خرق في ثقافتنا. والإحسان صورة نفسية للجمال والمضمون الجمالي في كرامة الفرد يؤثر على فعالية المجتمع والجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة وان كان لم يتطرق لمعنى الجمال من الناحية الاستطيقية .

حـ ـ المنطق العملي :

ويقصد به العقل التطبيقي الذي يجسد الفعالية في النشاط سواء على صعيد الفكر او العمل ويرى ان الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة بل منطق العمل والحركة فهو لايفكر ليعمل بل ليقول كلاما مجردا.

د ـ التوجيه الفني او الصناعة :

وهو يقصد بالصناعة كل الفنون والمهن والقدرات وتطبيقات العلوم وأن التغيير والبناء الاجتماعي في جوانبه العلمية والصناعية متوقف على المناخات والأسس الثقافية التي تفرز الروح العلمية . بهذه العناصر الاربعة يتم للثقافة بناؤها في المجتمع ويرتقي حينئذ الى مستوى الحضارة ..

ويرى أنه «ليس بنافع لنا أن نفكر في الأسباب التي تدخلنا الى باب الحضارة من غير أن نواجه اولا وقبل كل شيء الوسائل التي تجعلنا نخرج من باب التخلف» .

كتاب الشهر

كيف نفهم اليهود

كيف نفهم اليهود .. لقد رفضوا الايمان بمحمد « صلى الله عليه وسلم » كما رفضوا الايمان بعيسى « عليه السلام » ، وامتلأت قلوبهم حقدا على العرب أبناء إسماعيل « عليه السلام » وسعوا الى خراب ديار العرب في كل مخططهم .

ومن هنا كان اليهود قضية العرب الأولى . وهذا الكتاب يقدم الكثير من عناصر هذه القضية في محاولة الوصول إلى فهم هؤلاء اليهود ..

وهو أحد الكتب الحديثة التي صدرت باللغة العربية لكشف مخططات اليهود والصهيونية في محاولاتهم لهدم أركان الاسلام وتشريد المسلمين .

والمؤلف الدكتور حسين مؤنس يقدم لنا كتابه ضمن سلسلة « كتابك » التي تصدرها دار المعارف بمصر ، وهو كتاب صغير الحجم ويقع في ثمانين صفحة ، لكنه جد خطير . فكيف نفهم اليهود ليس هذا بالمطلب الهين ، فإن الدنيا كلها لا تفهم اليهود والكثيرون جدا من اليهود لا يفهمون اليهود . يقول المؤلف : الى قيام دولة اسرائيل في مايو ١٩٤٨ ، كان العرب هم مشكلة اليهود الأولى وعقدتهم النفسية الكبرى ذلك لأنهم ـ لسوء الحظ ـ أبناء عم : اليهود اولاد إسحاق ، والعرب أولاد إسماعيل واليهود يزعمون أن إسحاق هو الابن الأفضل لابراهيم عليه السلام لأنه ابن سارة الحرة ، أما إسماعيل فهو ابن الجارية المصرية هاجر بتحريض من سارة ـ ومضى بها وبابنها إسماعيل إلى الصحراء وخلفهما هناك ليعيشا في شظف وجهد وإملاق !

وكان في تقدير العزيز الحكيم أن يعيش إسماعيل مع أمه في الصحراء حياة أمن وسلام ، وأن يعود إبراهيم إلى أرض الحجاز لكي يرفع قواعد البيت مع

أمل اليهود الأكبر خراب ديار المسلمين أجمعين

تأليف الدكتور : حسين مؤنس

عرض وتقديم : فؤاد نصر الدين حسين

ابنه إسماعيل ، ليكون مثابة للناس وأمنا ، وأن يكون من نسل إبراهيم العرب،وأن يكرم له العرب بمحمد « صلى الله عليه وسلم » والاسلام ، وأن يعم الاسلام الدنيا ويكرم الله العرب بهذا الدين ، ورفض اليهود الايمان بمحمد كما رفضوا من قبل الايمان بعيسى ! وامتلأت قلوب اليهود حقدا على العرب أبناء إسماعيل لما أكرمهم الله به من الاسلام والعزة والقوة،وطوال العصور الوسطى،وبرغم إكرام العرب لليهود ـ كان **أمل اليهود الأكبر خراب ديار العرب أجمعين** . وعندما دار الزمان وأنشب اليهود مخالبهم في فلسطين ظنوا أن فرصتهم قد حانت لإدراك ثأرهم من العرب ، ومن ذلك الحين أصبح اليهود مشكلة العرب لأن اليهود استقروا في قلب البلاد العربية فلسطين ـ في فترة من فترات الضعف والتفرق والخضوع للمستعمر الأجنبي الذي كان عونا لليهود عليهم وعندما استقل العرب وقامت دولهم واشتد ساعدهم كان اليهود قد ابتلعوا معظم فلسطين وهددوا كل بلد عربي ، بل كل مواطن عربي في داره واظهروا أنفسهم مع ذلك انهم مظلومون مهددون ضعفاء في حاجة الى عطف الناس ! وانخدع الناس بذلك وشاركوا اليهود في البكاء عند حائط المبكى وأغدقوا عليهم المال والسلاح .

وبالدموع والمال والسلاح أحس اليهود أنهم لا يغلبون ! وفي ثلاثة حروب

متوالية ظنوا أن حلم حكماء بنى اسرائيل في سيادة الدنيا على وشك أن يتحول إلى حقيقة ، ولكن حرب اكتوبر ١٩٧٣ قلبت الميزان .

« وطالب العرب اسرائيل بالاعتراف بحق الشعب الفلسطيني الذي شردوه ليعيشوا بعد ذلك في سلام لكن اليهود رفضوا لأنهم لا يريدون أن يعيشوا في سلام .. » ويتساءل الدكتور حسين مؤنس في كتابه قائلا :

وهل في الدنيا إنسان لا يريد أن يعيش في سلام ؟ فيجيب:أجل اليهود في فلسطين ، ثم يتساءل مرة اخرى (لماذا) ؟

يقول لكي نجيب على هذا السؤال ينبغي أن نفهم اليهود . وستكون نقطة البداية في محاولتنا فهم اليهود كتابا فريدا في بابه عنهم ألّفه من نحو عشرين عاما الكاتب الفرنسي المعروف روجيه بيريفيت (Roger Peyrifitte) وعنوان الكتاب (اليهود) وقد طبع هذا الكتاب بعد ذلك مرات .. ويحدثنا الدكتور حسين مؤنس عن المؤلف الفرنسي روجيه بيريفيت وعن كتبه القيمة التي أثارت ضجة في فرنسا مثل كتاب (اليهود) وكتاب (السفارات) وكتاب (نهاية السفارات) ، ثم يتحدث عن الكتاب الذى راح يقدمه الدكتور حسين مؤنس كمدخل لكلامه عن (اليهود) وعنوان الكتاب (اليهود) les tuifs ويجمع فيه مؤلفه كل خصائصه كمؤلف وأديب ، وقد اختار موضوعه لأنه موضوع اختلاف ومناقشات ومشكلات بين الناس منذ الزمن البعيد ,

فاليهود طائفة دينية عنصرية نجدها في كل مكان وعلاقاتها مع الناس وثيقة متداخلة ولكن أحدا لا يعرف عن تكوينها شيئا بينما يعرف اليهود عن الناس كل شيء قل أن نجد غير يهودي يستطيع أن يقول : إنه يعرف اليهود حق المعرفة أو أنه نفذ إلى حقيقة امرهم،ذلك أن اليهود مازالوا - إلى يومنا هذا طائفة سرية مغلقة على نفسها تماما لها اسرار وأحوال تجتهد في سترها عن الآخرين !

ولعلك تدهش اذا علمت أن التوراة وهي (كتاب دين) المفروض أن يكون متداولا بين الناس إنما هي في حقيقتها كتاب خاص لا يتداول نسخه الكاملة الا أحبار اليهود . وما بأيدي الناس ليس إلا مختارات ومقتبسات منها صنعها هؤلاء الأحبار لمن يسمونهم العوام والمراد بهم عامة الناس .

يتمسكون بدينهم ويحرضون غيرهم على الكفر :

تحت هذا العنوان يقول الكتاب : أنت تسمع منهم أحاديث عجيبة تكشف عن حقيقة أكبر هى أن اليهود فيما بينهم يتمسكون بدينهم ويعتبرونه قوام حياتهم وسبب توفيقهم ثم يتظاهرون أمام الناس بعدم التمسك بالدين بل بالالحاد ليزهدوا الناس في أديانهم ويوقعوهم في الكفر والالحاد أو الشك على الأقل حتى لايظل على إيمان سواهم .

وكبار الملحدين في العصر الحديث يهود ومؤسسو الشيوعية وأساسها إنكار

الله يهود يؤمنون بجنسهم على الأقل ! وكارل ماركس الذي دعا الناس إلى التخلي عن أوطانهم وإنشاء عالم يقوم على العمل والعمال يهودي وكان من اوائل من فكروا في إنشاء اسرائيل وله رسالة في ضرورة قيامها .
وفرويد ـ ذلك اليهودي الذي تشعر وأنت تقرأ له أنه اعتى الكافرين .

قال وهو على فراش موته «إنه مدين بكل شيء لعقيدته اليهودية» وكتابه عن (موسى) يكشف عن إيمانه العميق باليهودية !

عقدة اليهود في الغرب :

النفس اليهودية نفس معقدة ، فاليهودي لا يزال يطرق باب أي مجتمع من المجتمعات ويبكي ويستعطف ويتمسكن ويتصاغر حتى إذا فتح له الباب وأذن له في أن يعيش مع الناس أبى الا أن يكون سيدهم ! وأخذ يذكرهم بما تركوه خارج الباب يرجو ويستعطف ويصر على أن يملأ نفوسهم بعقدة الذنب فإذا سلموا له بذلك خلاصا من إلحاحه ـ أسرع يطلب العوض أو التعويض وهنا لا يكفي الاعتذار بل لا بد من أداء المال !
والمال في النهاية سلاح رهيب في يد اليهود . وذلك لأن هم اليهود جمع المال ، فإذا جمعوه استمتعوا به وأسعدوا أنفسهم بأيسره ، ثم سعوا الى إتعاس الناس بمعظمه ! ولقد قرأت مسرحية (تاجر البندقية) ورأيت كيف أصرّ شيلوخ اليهودي المرابي على أن يستقضي دينه من لحم قلب انطونيو .. ؟ والذي يعنينا هنا أن شكسبير في مسرحيته تلك لم يفعل اكثر من أن يعرض علينا رأى أهل الغرب في اليهود وموقفهم منهم لأن اليهود في الحقيقة مشكلة أوروبية ربما قبل أن تكون مشكلة عربية فنحن قد ابتلينا باليهود من أيام الانتداب الانجليزي على فلسطين ولكن الغرب الأوروبي مبتلى بهم من ايام النهضة الأوربية .

الأوربيون أشد الناس كراهة لليهود :

إن تقصى أخبار اليهود عادة منتشرة بين الأوربيين ، والتماس مثالبهم والحملة عليهم في أوروبا شيء شائع ، وإن كان الكثيرون منهم يسترونها اليوم خوفا من اليهود حينا ، وظنا منهم أن ذلك أمثل بالرجل المتحضر ؟
وفي بلاد اوروبا كلها الكثير من الجمعيات المناهضة لليهود صراحة ، ونحن ندهش لذلك لأننا لانفعله ! ومن عجب أنهم يتهموننا نحن اليوم بكراهة اليهود ويزعمون أنهم يحبونهم ويقدرونهم وهم يعلمون أنهم في ذلك جد كاذبون
ذلك حه كذب ورياء لأن كراهة اليهود هناك لا يمكن انتزاعها من القلوب ! وإذا كانوا يأخذون على (البابا يوحنا الثالث والعشرين) شيئا فهو هذه

المؤاخاة التي نادى بها مع اليهود وكل قس أو راهب اوربي يكتب اليوم كتاب عطف على اليهود أو مؤاخاة لهم ينظرون إليه على أنه منافق متملق !

يطالبون بتعديل الكتب المسيحية المقدسة :

هنالك من يطالبون بإلغاء (إنجيل متى) لأنه شديد العنف على اليهود ناسين أن إنجيل متى هو أساس صدارة الكنيسة في روما على غيرها من الكنائس ، ومن ثم فهو الأساس القانوني الديني لدعوى سيادة (بابا روما) على غيره من رؤساء الكنائس الكبرى .
وهناك يهودي إيطالي يسمى (latte) ينادي بأنه لا بد أن يطبع في نص الانجيل إلى جانب العبارات التي تصف عذاب المسيح ـ عبارات تعليق تجرد كلمات الانجيل من كل قيمه ! وعامة اليهود يرون أن تلقى مسؤولية عذاب المسيح ـ بحسب اللاهوت المسيحي ـ على جنود الرومان وحدهم . ولما كان الايطاليون هم سلائل الرومان فإن مسؤولية الجريمة ستحط على رأس أكثر من (٥٠) مليون إيطالي .

اليهود في الأندلس :

عندما اتصل أبناء غيطشة بالمسلمين المعسكرين قرب طنجة وحرضوهم على غزو أسبانيا وتوسط لهم في ذلك «الكونت يليان حاكم سبته» ، كان اليهود في جملة المحرضين للعرب على فتح شبه جزيرة امبيريا ، بل قدم وفد منهم الى طنجة ولقي (طارق بن زياد) وأكد له رجال الوفد أن يهود الأندلس يضعون أنفسهم في خدمة المسلمين !
واقتنع طارق بن زياد بذلك وقام بفتح الاندلس ثم لحق به مولاه (موسى بن نصير) وقدم اليهود للعرب كل عون . ورفع عنهم العرب الظلم ومنحوهم حقوق أهل الذمة كاملة ، ولهذا نقرأ في بعض كتب اليهود أن طارق بن زياد بطل عظيم ، وفي بعض الأحيان يسمونه محرر اليهود !
وفي ظلال الاسلام سعد يهود الأندلس وتفتحت أمامهم سبل العمل وارتقوا في السلم الاجتماعي حتى وصل بعضهم الى مراتب الوزارة ، فكان (حسداي بن شبروط) سفيرا ووزيرا (لعبد الرحمن الناصر) وكانت الأندلس كلها باد علم وثقافة ، وكان هناك فلاحون في الحقول ينظمون الشعر .
وفي هذا المجتمع الرخي الراقي رقي اليهود ايضا فكان يهود الأندلس أرقى يهود الدنيا واكثرهم ثقافة ، ولكن هل شكروا لنا ذلك ؟
يتساءل د. حسين مؤنس ويجيب بالعكس .
وإذا كنا نضرب المثل في سوء الجزاء بما فعله النعمان بن المنذر الملك الغسانى بسنمار فأولى بنا أن نضرب المثل بما فعله اليهود معنا !

ما كادت كفة العرب تشيل في الأندلس حتى انقلب اليهود عليهم وأصبحوا عملاء لملوك قشتالة ، وليون ، وأكناد قطلونية ، وملوك أرغون . وكشفوا للاسبان عن أسرار المسلمين ومواضع الضعف في دولهم ، ، ونسوا كل أيادي العرب البيضاء عليهم

اليهود ونظرية هدم الأخرين :

يقول مؤلف الكتاب في هذا الفصل : إن تنظيمات بيوت الدعارة معظمها بيد يهود ، وكذلك نصيبهم ضخم جدا في موضوع تجارة المخدرات . ويدخل في هذا النطاق أن معظم دعاة الالحاد وهدم الأديان يهود ، والرجل الأمريكي الذي قال الكلمة الخبيثة (إن الله مات) تعالى سبحانه عن ذلك علوا كبيرا ـ يهودي !

ولا يرجع ذلك لميل طبيعي في اليهود إلى الشر والفساد بل إلى أن لديهم نظرية تقول : افسدوا الآخرين ليضعفوا في صراعهم معكم ، زلزلوا أركان الاسلام والنصرانية لتثبيت أقدام الموسوية !

إنهم أكثر منا عددا وأعز نفرا .. ولا سبيل لنا للثبات أمامهم ثم الانتصار عليهم ـ الا بإفسادهم من الداخل !

ومن الملاحظ أن معظم الداعين إلى الالحاد إنما هم من اليهود ، واليهود أكبر دعاة للشيوعية التي تتخذ الالحاد عقيدة ، وما من حركة إلحادية إلا وجدت أنصارها ودعاتها من اليهود . وحذار أن نظن أنهم مخلصون في هذه الدعوة .

والدعوة إلى الالحاد دعوة إلى تحطيم الاسلام والمسيحية تمهيدا لنصر اليهودية ، وهذا هو الحلم المشترك الأكبر بين يهود الدنيا أجمعين .

كل هذه دروس لنا :

يقول المؤلف : قد يحسب البعض أننا قصدنا إلى التشهير ببعض ما قلناه ، ولكن الحق أننا أردنا أن نعلم إخواننا العرب بما تعرفه الدنيا كلها خارج بلادنا عن اليهود وما يعرفه اليهود عن اليهود .

يقول د . حسين مؤنس وكل ماسقناه في هذا الكتاب هدفه أن يبصر العرب بأعماق نفس اليهود ويفهموا أننا بأعماق نفوسهم عالمون ...

العلم رحم بين أهله

للاستاذ/ عبدالحفيظ فرغلي علي القرني

لا توجد رابطة أولى بالرعاية بين اهلها بعد رابطة الدين مثل رابطة العلم ، ذلك ان سمو الهدف ونبل الغاية يصقل النفوس وينقي القلوب ويرتفع بالهمم الى مستوى تضمحل فيه الرغائب الخاصة وتذوب فيه المصالح الفردية في سبيل المصلحة العامة والمنفعة الجماعية .

وحين جاء الاسلام بتعاليمه البناءة واهدافه العليا ومثله النبيلة وضع امام المسلمين اقيسة جديدة للحياة ، ومعاني اخرى غير تلك التي كانوا يسعون لها ويتفانون فيها .

فقد علمهم من منظور الايمان بالله واليوم الأخر كيف يحاسب الانسان نفسه ويراقب ربه ويقدم لغده زادا من التقوى ويبني لنفسه مجدا في الآخرة يبقى لا مجدا في الدنيا يفنى .

وعلمهم ان من اعظم الوسائل لتحقيق ذلك ، التضحية في سبيل الغير

والفناء من اجل الجماعة ، والسعي في اتاحة الخير للناس جميعا ، وتخليصهم مما هم فيه من شقاء فالقرآن الكريم يقول : « **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا** » ـ النساء ٧٥ .

ولا يتحقق ذلك للمسلم الا اذا عرف قيمة الاخوة الحقيقية ومعنى المحافظة عليها والايثار فيها ، وقد ألح القرآن الكريم على هذا المعني النبيل فقال فيما قال : « **انما المؤمنون إخوة** » ـ الحجرات ١٠ ـ

« **واعتصموا بجبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها** .. » ـ آل عمران ١٠٣ ـ .

○ ترجمة عملية لهذه المعاني :

وترجم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه المعاني ترجمة عملية ، فآخى بين المهاجرين والانصار بعد الهجرة ، وقامت المؤاخاة بين المسلمين مقام القرابة الاسرية ، وحلت العلاقة الايمانية محل علاقة الرحم ، بل لقد كان التوارث بين المسلمين على اساس هذه المؤاخاة التي عقدها الاسلام ، وظل كذلك فترة طويلة حتى نزل قوله تعالى : « **وأولو الأرحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله** » ـ الانفال / ٧٥ وذلك بعد ان ارتفعت راية الاسلام ، واستظل الجميع بظلها ، وذاق الناس جميعا حلاوة الايمان ، وعرفوا ان كل غايات الدنيا ومظاهرها وعلاقات الناس فيها باطلة لا قيمة لها امام تلك النفحة الربانية التي اظلتهم بسماحة لاعهد لهم بها ، وبرحمة وسعت كل شيء لم يتذوقوا قبل مثلها .

في ظل هذه العلاقة ذابت الفوارق بين المسلمين ، وآثر المسلم دينه على كل شيء ، واصبح مفهوم « **ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما** » ماثلا امام الجميع ، لا مجرد شعار يتلى ، بل منهجا عمليا ينفذ وهواء نقيا يتنفس وغذاء روحيا تحيا به القلوب والنفوس .

وفي ظل هذه العلاقة اثنى الله على المهاجرين والانصار الذين فهموا منطق الدين ونفذوا تعاليمه في حب خالص ومودة قوية وايثار حميد

« **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » ـ الحشر/ ٨ و ٩ .

اثر هذه العلاقة :

ولقد بلغت قوة العلاقة بين المسلمين درجة التضحية بكل شيء في سبيل هذه العقيدة ، فالمودة التقليدية بين الاقرباء مرفوضة طالما كان هؤلاء الاقربون معادين للدعوة الاسلامية « **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** » المجادلة - ٢٢ .

ومن النماذج الطيبة في ذلك ما روى من ان مصعب بن عمير ضحى بحياته الهنيئة وعيشته اللينة في سبيل مرضاة الله ورسوله حتى تخدد جسمه وتشقق جلده وتمزقت ثيابه ، ووجد ذلك هينا ميسورا في جنب جنة عرضها السموات والارض - ومثل مصعب كثير من الصحابة الاجلاء - رضوان الله عليهم -

○ العلماء المخلصون ساروا على الجادة :

وكان احق الناس بتدبر تلك المعاني والسير على نهجها هم العلماء الذين فقهوا الدين وفطنوا الى اسراره العظيمة . فالعلم هو الكفيل بتوضيح مقاصد الدين وتبصير الناس بما يحق لهم ويجب عليهم ، والعلماء هم ورثة الانبياء الذين نصبهم الله اعلام هداية ومنارات ارشاد ، وكان العلم الذي ورثوه اقوى علاقة تربط بينهم وتوحد هدفهم .

واذا تدبرنا القرآن الكريم وجدناه يحث على ان يقوم العلماء بواجبهم نحو شعوبهم في تبديد الجهالة التي تؤدي الى الفرقة والاختلاف ، وها هو ذا ينعي على اهل الكتاب انهم ضنوا بما علموا على اهله وفرقوا بين الناس بالباطل . « **وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننَّه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون** » - آل عمران/ ١٨٧ -

« **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون** » - الأنعام ١٥٩ - « **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم** الله و**يلعنهم اللاعنون** » - البقرة ١٥٩ .

ويحذر من علماء السوء الذين يفرقون كلمة الله ويؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض « **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا** .. » - النساء ١٥٠ ، ١٥١ .

اتساع صدور العلماء

والعالم بما آتاه الله من نعمة ادرك قيمتها وانتفع بثمرتها يرى ان من واجبه ان يفيض على الناس مما آتاه الله ، وينبههم الى ما يجب عليهم نحو الاستمتاع بنعمة الايمان والانتفاع بجمال الحياة في ظله ، فلا قيمة للدنيا بدون ايمان ، ولا لذة للمال بدون معرفة الله تعالى ومن سعة قلب العالم يود ان يهتدي الناس جميعا ليستمتعوا بما استمتع هو به من نعمة الهداية التي يشعر بها .

انظر الى هؤلاء العلماء الربانيين في حوارهم مع طلاب الدنيا امام فتنة الدنيا وزينة المال التي اراد قارون ان يفتن بها قومه « **فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون** » ـ القصص ٧٩ ، ٨٠ ـ

لقد ادرك هؤلاء العلماء انهم كالمصابيح ينيرون للناس حياتهم ويأخذون بأيديهم من الظلمات الى النور ، حتى يرتفعوا من حضيض الجهل الى منزلة اولى الرفعة ، وهذا بعض ما توجبه مسئولية العلم على اصحابه ..

ومن واجب العلماء الا يضنوا على طالب علم بما يطلبه ، فطلاب العلم ابناء لشيوخهم ، يشعرون نحوهم بشعور الابناء للآباء بل إن ابوة العلم ارقى من ابوة النسب ، وما اصدق الذي يقول :

أفضل استاذي على نفس والدي
وإن نالني من والدي الفضل والشرف

فذاك مربي الروح والروح جوهر
وهذا مربى الجسم والجسم من صدف

والعلم جوهر نفيس يفوق في نفاسته كل جوهر ويزري بكل معدن ، ولا يبالي العالم الصادق بما فاته من عرض الدنيا في سبيل ما حصله من علوم . جاء في كتاب « ادب الدنيا والدين » للماوردي : قيل لبزرجمهر : العلم افضل ام المال ؟ فقال بل العلم : قيل : فما بالنا نرى العلماء على ابواب الاغنياء ولا نكاد نرى الاغنياء على ابواب العلماء ؟ فقال : ذلك لمعرفة العلماء بحقيقة المال وجهل الاغنياء بفضل العلم . وقيل لبعض الحكماء : لم لا يجتمع العلم والمال ؟ فقال : لعز الكمال، وانشد :

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله
فأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرءا لم يحي بالعلم ميت
فليس له حتى القبور نشور

واستشهد على فضل العلم بهذه القصة : وقف بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى : تصدقوا علينا بما لا يتعب ضرسا ولا يسقم نفسا ، فأخرج له طعاما ونفقة ، فقال : فاقتي الى كلامكم اشد من حاجتي الى طعامكم اني طالب هدى لاسائل ندى ، فأذن له

العالم وأفاده عن كل ما سأل عنه ، فخرج جذلا فرحا وهو يقول : علم اوضح لبسا خير من مال أغنى نفسا .

○ ميراث العلم :

والذي يتعاطاه العلماء فيما بينهم ويتوارثونه هو العلم ، وهو اعظم قيمة من هذا التراث الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم ويتواصلون به . ذكر المرحوم الشيخ احمد عبدالجواد الدومي في كتابه « الاسلام منهاج وسلوك » ص ١٠٨ هذا الاثر : "تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ، وبذله لاهله قربة ، وهو الانيس في الوحدة والصاحب في الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والقريب عند الغرباء .. يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة وسادة ، هداة يقتدي بهم ، ادلة على الخير تقتفي آثارهم وترمق افعالهم ، به يطاع الله وبه توصل الارحام ، يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء .. » .

وقال الغزالي : من اصاب علما فاستفاده وافاده كان كالشمس تضيء لنفسها ولغيرها وهي مضيئة .

وليس هناك ثروة اعظم من هذه ، انها ثروة معنوية جليلة القدر ، لا تفنى على الانفاق بل تزداد زكاء ونماء كما يقول الامام علي ـ كرم الله وجهه ـ "العلم خير من المال ، العلم يحرسك وانت تحرس المال ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق » .

○ التشاكل الذي يربط بين العلماء :

واذا كان التشاكل والتجانس يجمع بين الناس فأعظم رابط بين العلماء هو ذلك الرباط المعنوي الذي يؤلف بين القلوب ويقرب بين العقول ، **رباط العلم :**
انه كالوطن بالنسبة للمواطنين يتعاطفون به اذا شطت بهم الغربة ونزحت بهم الدار ، وكم يفرح الغريب حين يلقي في غربته من بني وطنه من يذهب وحشته ويمسح همه وغمه .. وكم كان سلمان الفارسي سعيدا بالمدينة حين لقي عجوزا فارسية بالمدينة فهمت لغته ودلته على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذكر ذلك ابو نعيم الاصفهاني في كتابه اخبار اصفهان .

وكما يسعد المواطن بلقاء مواطنه يسعد العالم بلقاء من يناسبه علما ويشاكله فهما ويدانيه اهتماما ، كما يفرح بمن يقصده ليتلقى منه العلم ويأخذ عنه اصول المعرفة . هناك تنشأ صلة روحية قوية بين العلماء بعضهم ببعض او بين العالم والمتعلم دونها رابطة القربى ووشيجة النسب . جاء في كتاب محاضرات الادباء للراغب الاصفهاني جـ ١ ص ١٤ قيل لعالم : اي المناسبة اخلد ؟ فقال : مناسبة العلم التي غذتها عواطف الشيم ، واستشهد بقول ابي تمام :

وقرابة الآداب تقصر دونها
عند الاديب قرابة الارحام

ويقول الصولي لصديق له :

ان الكتابة والآداب قد جمعت
بيني وبينك يا زين الورى نسبا

ومن اجل هذه المعاني جاء المثل الذي يقول : ان الطيور على اشكالها تقع ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال :

جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف ترى في رجل احب قوما ولم يلحق بهم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المرء مع من احب » رواه البخاري ومسلم .

قال اياس بن معاوية لرجل في بلد قدمه اياس : قدمنا بلدكم فعرفنا خياركم من شراركم في يومين . قيل له : كيف ؟ قال : كان معنا خيار وشرار ، فلحق خيارنا بخياركم وشرارنا بشراركم ، والف كل شكله .

لا يصحب الانسان الا نظيره
وان لم يكونا من قبيل ولا بلد

ان المشاكلة في الطباع او الصفات او الاهتمامات تذهب بالتنافر الذي يوجد في النفوس وبين الاضداد عادة ، ولقد رأى حكيم يوما غرابا وحمامة واقفين معا ، فاستغرب كيف يأتلفان على بعد التجانس بينهما ، فأزعجهما فثارا فاذا كل منهما اعرج فأدرك ان الذي وحد بينهما العرج . ومن الغرائب في ذلك ما يرويه الراغب في كتابه عن الجاحظ قال : لم ير اعجب حالا من الكميت والطرماح ، فان الكميت كان عدنانيا شيعيا يتعصب لاهل الكوفة ، والطرماح كان قحطانيا خارجيا يتعصب لاهل الشام ، وكان بينهما من المخالطة ما لم يكن بين اثنين قط ، ولم تجر بينهما جفوة ولا قطيعة ولا اعتراض ، قيل لهما : كيف اتفقتما مع الخلاف بينكما ؟ فقالا : اتفقنا على بغض العامة . فانظر كيف جمع البغض بين متناقضين كما جمع العرج بين الحمامة والغراب في المثال السابق .

○ أمثلة من تاليف العلم بين القلوب :

ومما يدل على ان العلم يؤلف بين القلوب ما نراه بين العلماء من تراحم على الرغم من تباعد ديارهم واختلاف اوطانهم . جمع حب العلم بين الامامين مالك والشافعي ـ رضي الله عنهما ـ حتى لقد شاطر الشافعي مالكا ماله مرارا ، وكان الشافعي فقيرا اخرجه حب العلم من بلده مرتحلا في سبيل طلبه ، وتوسم فيه مالك النجابة فأحبه وقربه وواساه .

وحين قدم الشافعي مصر احسن عبدالله بن عبدالحكم صاحب الامام مالك استقباله ودفع له الف دينار من ماله ، واخذله من ابن عسامة التاجر الف دينار ومن رجلين اخرين الف دينار ولم يقف اختلاف المذهب بين قلبيهما ، ذلك ان رابطة العلم اقوى سبب جمع بينهما . وكان عبدالله بن عبدالحكم اعلم تلميذ لمالك بمذهبه ،

ولكنه كان يوصي ابنه محمدا بملازمة الشافعي ، فلازمه واخذ عنه حتى اصبح من ابرز من حملوا لواء المذهب الشافعي في مصر ، وكان الشافعي يحبه جدا ذكر « ابن خلكان » في كتابه « وفيات الاعيان » قال : قال المزني :

كنا نأتي الشافعي نسمع منه فنجلس على باب داره ، ويأتي محمد بن عبدالله بن عبدالحكم فيصعد ويطيل المكث وربما تغدى معه ، ثم نزل فيقرأ علينا الشافعي فاذا فرغ من قراءته قرب الى محمد دابته فركبها وأتبعها الشافعي بصره ، فاذا غاب شخصه قال : وددت لو أن لي ولدا مثله،وكان احمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ يحب الشافعي حبا جما وكان يكثر من الدعاء له بعد موته ، وقد سأله ابنه عبدالله عن سبب ذلك فاجاب : يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن ـ هل لهذين من خلف او عنهما عوض ؟

وشاهد يحيى بن معين احمد بن حنبل يمشي خلف الشافعي يوما ، والشافعي راكب بغلته ، فسأله عن ذلك فقال : اسكت لو لزمت البغلة لانتفعت .

وكان محمد بن الحسن تلميذ ابي حنيفة وناشر مذهبه يعظم الشافعي تعظيما شديدا،لقد ادرك هؤلاء فضل العلم واثره فعظموا اهله واحبوهم وتقربوا اليهم وآثروهم على انفسهم وأهليهم .

○ التجافي بين العلماء :

هذا ولا يخلو الامر من ان يكون بين بعض العلماء ما يكون بين الاقرباء احيانا من جفوة او تحاسد ، ولكن المنصفين من العلماء لا تجد بينهم الا الصفاء التام والوداد الخالص ، ذلك لانهم فرغوا انفسهم من تطلعات الدنيا واثرتها الفانية ومتاعها الزائل ، وآثروا ما عند الله على ما عند غيره مما يتعادى الناس من أجله ويتنافسون في سبيل اقتنائه او الحصول عليه مهما اشتد بريقه أو عظم مغناه او ارتفع شأن معطيه .

هؤلاء احرى بأن ينطبق عليهم هذا الخبر النبوي الصادق الذي رواه ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ « ان من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامه بمكانهم من الله تعالى . قالوا :

يارسول الله فخبرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ولا احوال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلي نور ولا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس».(رواه ابو داود) .

من أخبار العالم الاسلامي

الاجتماع الثاني لمجلس الادارة واللجان الدائمة للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية



● لقطة لمجلس ادارة الهيئة في اجتماعه الثاني

عقد مجلس ادارة الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية اجتماعه الثاني برئاسة رئيس مجلس الادارة الأستاذ يوسف جاسم الحجي وذلك في الفترة ما بين ٩ - ١٢ محرم ١٤٠٨هـ الموافق ٢ - ٥ سبتمبر ١٩٨٧م ويضم مجلس الادارة في عضويته ٢١ عضواً من مختلف دول العالم الاسلامي وهم :

- الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين - نائبا للرئيس
- الشيخ عيسى محمد آل خليفة - أمينا للسر
- بزيع الياسين - أمينا للمال
- الدكتور احمد ليمو
- د . اسحاق الفرحان
- انور ابراهيم
- أوغوز خان اصيل ترك
- البروفيسور خورشيد احمد
- الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بن عقيل
- الشيخ عبدالله بن ابراهيم الانصاري
- عبدالله علي المطوع
- د . عبدالله عمر نصيف
- د . عز الدين ابراهيم
- غالب همت
- فؤاد عبدالله العمر
- كامل اسماعيل الشريف
- مبارك قسم الله زايد
- الشيخ محمد بن ابراهيم القعود
- د . محمد عبدالرحمن البكر
- الدكتور يوسف القرضاوي .

وقد تم خلال هذا الاجتماع استعراض قرارات الجمعية العمومية في اجتماعها السابق وما تم تنفيذه منها واتخاذ ما يلزم تجاه المحال من هذه القرارات الى مجلس الادارة كما تمت مناقشة الموضوعات المحالة من اللجان الدائمة وهي : لجنة جمع التبرعات - ولجنة الاستثمار ولجنة التعليم والدعوة - ولجنة التخطيط .

وقد أقر المجلس توصيات هذه اللجان بحيث تنطلق الهيئة في هذه الأنشطة بما يحقق الأهداف المرجوة باذن الله .. ووافق المجلس ايضا على افتتاح فروع للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية في جميع الدول الاسلامية لتبدأ بالعمل من أجل خدمة اهداف الهيئة وتكون بمثابة همزة الوصل بين الهيئة والمسلمين في تلك الدول وذلك لدراسة أوضاع المسلمين والمساهمة في جمع التبرعات والاستثمار .

هذا وقد أوصى مجلس الادارة على تكوين الجهاز الاستثماري بشكله المتكامل لاستثمار أموال التبرعات واعداد الدراسات المستفيضة والاستفادة من خبرة المتخصصين واصحاب الدراية والخبرة للبدء فورا في دراسة العديد من المشاريع المطروحة والمقدمة لاستثمارها بحيث يستفاد من عوائد هذه الاستثمارات في أسرع وقت لتعود الفائدة على المحتاجين في الدول الاسلامية .

كما أقر المجلس مشروع لائحة لجنة التعليم والدعوة حيث أقرت خطة المناهج الموضوعة وانشاء عدد من المراكز الاسلامية في عدد من الدول التي يتواجد فيها المسلمون بشكل أقليات .. في افريقيا ، وفي بعض المناطق التي يتفشى فيها الجهل والأمية .

وأقر مساندة ما هو موجود من مراكز اسلامية موثوقة بعد دراسة أوضاعها واحتياجاتها ووضع المساعدات المناسبة لها .

وأقر المجلس العمل الفوري على اعداد عدد من المعلمين والدعاة مع تطوير أساليب الدعوة الاسلامية ، واستخدام الأساليب المتطورة من وسائل سمعية وبصرية ومقروءة والتأكيد على التعليم والتدريب المهني لتحويل الأيدي المتعطلة الى عمالة ماهرة وطاقات منتجة ، وقد تم تشكيل هذه اللجنة وحدد أسلوب العمل في هذه اللجنة مع ترشيحات اضافية لتوسعة مجال عمل اللجنة وهم من اصحاب الاختصاص والخبرة .

كما أقر المجلس الخطة الخمسية للجنة التخطيط ووافق على هذه الخطة في خطوطها العريضة للتنفيذ ... وقد تشكلت لجنة خاصة لدراستها واقرارها بصيغتها النهائية وتقديم ما سيتم التوصل اليه من نتائج للجمعية العمومية كما أكد المجلس على ضرورة الاهتمام بهيئة وتنمية الكفاءات الادارية والفنية التي تساهم في تنمية المجتمعات الاسلامية .

يوغسلافيا

افتتاح أكبر مسجد في أوروبا

احتفل يوم ٦ سبتمبر الجاري في مدينة زغرب اليوغسلافية بافتتاح أكبر مسجد في أوروبا وقد مثل صاحب السمو أمير البلاد رئيس مؤتمر القمة الاسلامي في الاحتفال السيد خالد الجسار وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية كما شارك في الاحتفال عشرات الآلاف من مسلمي يوغسلافيا الذين يبلغ تعدادهم أكثر من أربعة ملايين مسلم ووفود عديدة تمثل العديد من الهيئات والمراكز والحكومات الاسلامية . هذا وقد اعرب رئيس التجمع الاسلامي في مدينة زغرب عمر باشيتش عن فخره واعتزازه بمشاركة ممثل صاحب السمو أمير البلاد وأشاد بالعلاقات الأخوية التي تربط الكويت بمسلمي يوغسلافيا وعلى هامش الاحتفال اجتمع السيد الجسار مع رئيس الطائفة الاسلامية اليوغسلافية بالنيابة السيد فرحات مستيتو وبحث معه العلاقات القائمة بين إدارة الطائفة ودولة الكويت والمسائل المتعلقة بتحسين الأوضاع الدينية للمسلمين اليوغسلاف .

الكويت

مساعدات كويتية لضحايا فيضانات بنغلاديش

وجه مؤخرا سمو أمير البلاد رسالة الى رئيس بنغلاديش أعرب فيها عن تعازيه الحارة لضحيا الفيضانات التي أدت الى مقتل ما يزيد عن (٦٠٠) شخص وتضرر فيها ما يزيد على (٢٥) مليونا من اجمالي سكان البلاد البالغ (١٠٠) مليون نسمة .

كما أرسل سمو الأمير ـ وهو الرئيس الحالي لمنظمة المؤتمر الاسلامي ـ الشيخ مبارك مبعوثا له ليطمئن الشعب البنغلاديشي بأن الكويت حكومة وشعبا ستقف الى جانب أشقائها في بنغلاديش في محنتهم الحالية وسيعمل مبعوث سمو الأمير على تقييم احتياجات بنغلاديش من مواد الإغاثة اللازمة حتى تتمكن حكومة وشعب الكويت من المساعدة في توفيرها ، هذا وأفادت الأبناء فيما بعد أن عشر طائرات تابعة لسلاح الجو الكويتي وصلت الى بنغلاديش حاملة بعض المعونة الكويتية لضحايا الفيضانات .

□ نجاح مشروع الأضاحي خارج الكويت

وصف مدير بيت الزكاة الكويتي بالنيابة السيد عبدالقادر العجيل مشروع الأضاحي خارج الكويت بأنه خير وسيلة لتشجيع سنة الذبح وأن المشروع يلقى نجاحا واسعا ومتزايدا عاما بعد عام وأوضح في تصريح بمناسبة مرور خمس سنوات على تجربة بيت الزكاة بتطبيق مشروع الأضاحي خارج الكويت أن تنفيذ مشروع ذبح الأضاحي خارج الكويت يعمق ايضا أواصر المحبة والأخوة بين أبناء الكويت والمسلمين في العالم والجدير بالذكر ان مشروع الأضاحي قد شمل هذا العام ثماني دول هي : لبنان والأردن والهند واندونيسيا ومصر والسودان والباكستان وبنغلاديش حيث ذبح ما مجموعه (١٧٣٦٣) أضحية بتكلفة اجمالية قدرها (١٩٢) ألف دينار تقريبا تم جمعها من تبرعات الاخوة المحسنين المشاركين في المشروع وبلغ مجموع المستفيدين من الأضاحي حوالي (٢٢٠) ألف شخص .

الفتاوى

• الزكاة ومال اليتيم •

★ قارىء من الكويت يسأل عن حكم وجوب الزكاة في مال اليتيم ، واذا كانت فيه زكاة ، ماذا يفعل ولي اليتيم ؟ وهو يخشى من نقص المال بإخراج الزكاة كل عام ؟

ـ فريق من العلماء يرى عدم وجوب الزكاة في مال الصبي والمجنون ، وخاصة في المال الذي لا يستثمر خوفا من أن تستهلكه الزكاة ؛ لكن جمهور الفقهاء وأكثر

العلماء يرون وجوب الزكاة في هذا المال ، لأن الزكاة واجبة في مال الأغنياء مطلقا والآيات القرآنية والأحاديث النبوية ليس فيها استثناء الصبي أو المجنون أو اليتيم من الزكاة ، قال تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ...)

فالآية عامة تشمل الصغير والكبير والعاقل والمجنون ما دام لهم مال تجب فيه الزكاة ، كل هؤلاء محتاجون الى تطهير الله لهم فكلهم من الذين آمنوا والزكاة تطهير لأموالهم ! ولما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا معاذا الى اليمن قال له

(فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم) والصبيان والمجانين لو كانوا فقراء ترد فيهم الزكاة ، فلتؤخذ منهم اذا كانوا أغنياء ، الزكاة عبادة مالية تجري فيها النيابة ، والولي نائب عن الصبي

واليتيم والمجنون،يقوم مقامه في أداء هذا الواجب .. ومن حيث الخوف على مال اليتيم من أن تأكله الزكاة فالأحاديث والآثار نبهت الأوصياء على وجوب استثمار

أموال اليتامى ففي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : « ألا من ولى يتيما فليتجر له فيه ولا يتركه فتأكله

الصدقة » الحديث وان كان اسناده ضعيفا الا أن الشافعي أكده بعموم الأحاديث الصحيحة في إيجاب الزكاة مطلقا .. وذلك مع مراعاة وضع الضمانات في استثمار أموالهم بما يكفل لمال اليتيم النماء والبقاء .

● حول تصرف المالك ●

★ وردت الى المجلة رسالة من بعض القراء يشكون من أبيهم المسرف المتلاف .. يملك أموالا كثيرة ويخافون عليها من الضياع .. يقولون ماذا نفعل ؟

وهل له حرية هذا التصرف ؟ وفي آخر الرسالة طلبوا عدم ذكر الأسماء أو الدولة خوفا منه ...

ـ الانسان يحرم عليه أن يتعدى على ماله كما يحرم عليه أن يتعدى على مال غيره ، مال الانسان يحرم عليه أن يعرضه للضياع بالإسراف والإتلاف ، وليست له

الحرية المطلقة في ذلك ، هو وان كان يملك المال فقد جعل الاسلام للأمة الحق في الحجر على السفيه المتلاف لأنها صاحبة حق فيه . يقول الله تعالى : (**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما** ...) في هذه الآية يخاطب الله

الأمة بقوله : ولا تؤتوا السفهاء أموالكم : مع أنها في ظاهر الأمر أموال الأفراد ولكن مال كل فرد في الحقيقة هو مال للأمة ، وخوفا من إتلاف الأموال حذر الاسلام

من الاسراف والتبذير في كثير من الآيات والأحاديث ودعا إلى الوسطية والاعتدال حيث لا إسراف ولا تقتير قال تعالى : (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**) .

التوسع في الانفاق من غير حاجة حرام ، فيه إضاعة المال وتهديد الذرية بالتشريد والضياع ، فيه استعمال نعمة الله في غير ما شرعت له ، ولأن يترك صاحب المال

ورثته أغنياء خير من أن يتركهم عالة يتكففون الناس .. أولى بهذا المغرور أن يثوب الى رشده ، ويحفظ النعمة التي أعطاه الله اياها لئلا يكون ثقيلا على أولاده ، وان استبد به السفه فلا علاج له إلا طلب الحجر عليه وآخر الدواء الكي .

● بقاء الزوجة في الطلاق الرجعي ●

★ القارىء محمد القسطاوي من الزقازيق في جمهورية مصر العربية يسأل هل يجوز أن تخرج المطلقة طلاقا رجعيا من غير إذن زوجها في العدة ؟ وهل من حقها أن تقضي العدة خارج بيت الزوجية ؟

ـ قرر الفقهاء أنه لا يجوز أن تخرج المطلقة من غير اذن زوجها أثناء العدة ما دام يتكفل بنفقتها وسكناها أما اذا قصر الزوج في النفقة وتعمد تعطيل مصالحها فإنه

يجوز لها أن تخرج لقضاء حوائجها نهارا ولا تخرج ليلا ، قال ابن قدامة ـ وللمعتدة الخروج في حوائجها نهارا سواء كانت مطلقة أم متوفى عنها زوجها ومن

المقرر كذلك ان المطلقة طلاقا رجعيا تقضي العدة في بيت الزوجية ولا يجوز لزوجها أن يخرجها من البيت أثناء العدة . لقول الله تعالى : (**واتقوا الله ربكم لا**

تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ..) قال ابن عباس رضي الله عنهما :

الفاحشة المبينة أن تزعج اهل زوجها وتسيء اليهم فإن فعلت ذلك حل إخراجها ، وقال العلماء لو علمت بالطلاق وهي خارج بيتها ـ يعني بيت الزوجية ـ وجب عليها

ان تعود اليه بمجرد علمها .. وذلك لأن وجودها في البيت يساعد على استئناف الحياة الزوجية من جديد ، بعد أن تهدأ ثورة الغضب ويراجع كلاهما نفسه فيندم

الزوج عل تسرعه بالطلاق وتأسف الزوجة لإثارتها الزوج وبذلك يتهيأ جو المراجعة وقد لا يتاح ذلك وهي بعيدة عن بيت الزوجية،ان بقاء الزوجة من بواعث الصفاء والتعجيل بالمراجعة فالغضبان قد يرضى والكاره قد يحب وسبحان مقلب القلوب .

● حول النية الحسنة ●

★ أحد قراء المجلة اتصل عن طريق الهاتف وقال : إني أعمل في شركة صناعية وأقدر المطلوب لتنفيذ العملية بأكثر من اللازم لها وما يفيض منها من مواد أرسلها الى بعض المساجد فهل يلحقني بذلك إثم مع نيتي الحسنة ؟

ـ من المقرر شرعا أن النية الحسنة لا تجعل الحرام حلالا ، فالحرام حرام مهما حسنت نية فاعله ، ولا ينبغي جعل الحرام وسيلة إلى غاية محمودة ولا ينبغي أن

يفسر ذلك بالقول . إن الغاية تبرر الوسيلة . لأن الاسلام يحرص على شرف الغاية وطهر الوسيلة . نقول للسائل تقديرك للمطلوب ـ زائداً عن الحاجة ـ تزوير وخيانة

للشركة التي أعطتك ثقتها .. والانسان لا يملك التصرف في مال غيره بدون إذنه فأنت لا تملك إرسال مال الشركة الى جهة أخرى ولو كان ذلك إلى مسجد أو جهة

خيرية .. وكذلك من يحج بمال ربوي أو مسروق مثلا فحجه مردود عليه ، ومن تصدق بمثل هذا المال فلا أجر له لما جاء في الحديث الشريف : « من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه أجر وكان إصره عليه » ان الحرام لا يتغير بالنية الطيبة إلى حلال مشروع . وإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، ومن أراد أن يساعد في عمارة مسجد أو إطعام فقير عليه أن يبذل من ماله الخاص فإن لم يتيسر له ذلك فلا حرج عليه ، على أنه لو طلب من الشركة المساعدة لكان له أجر السعي في عمل الخير .. ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه .

منطق الدعاة الى الله

كان مصعب بن عمير واسعد بن زرارة يدعوان الناس في المدينة المنورة ـ قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم اليها ـ الى الاسلام . فقال لهما « اسيد بن حضير » وكان سيد قومه :« ما جاء بكما الى حيِّنا ، تسفهان ضعفاءنا ؟

اعتزلانا اذا كنتما لا تريدان الخروج من الحياة »

فقال الصحابي الجليل ، وسفير الاسلام الاول ، في طمئنية وهدوء :« اولا تجلس فتستمتع ؟ فان رضيت امرنا قبلته ، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره ».

بهذا المنطق العذب ، تأثر « أسيد » فجلس وأنصت ، والقى حربته . وبعد أن فرغ « مصعب » رضى الله عنه من تلاوة القرآن ، وشرح دعوة الاسلام ، آمن أسيد ، وتبعه كثيرون . فلتكن لنا في مصعب الخير قدوة .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـ ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

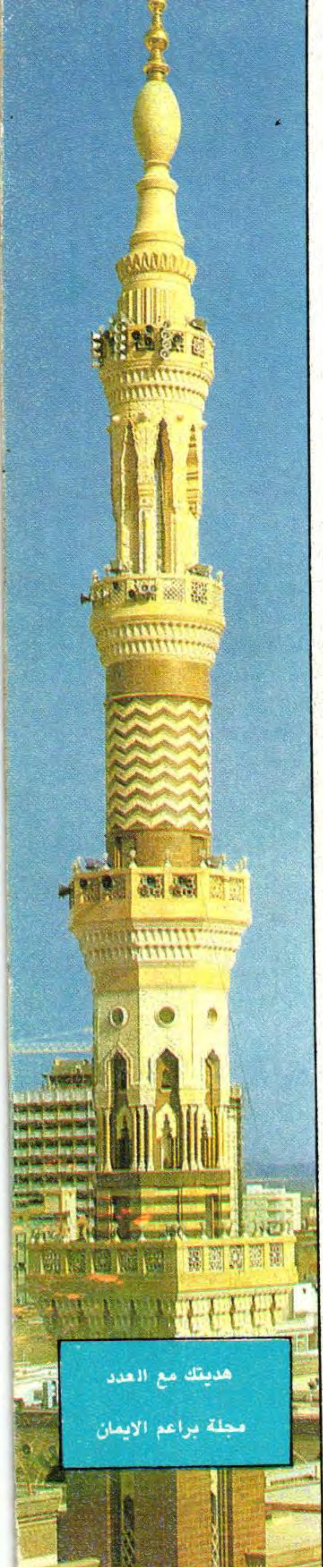
★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

○ الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



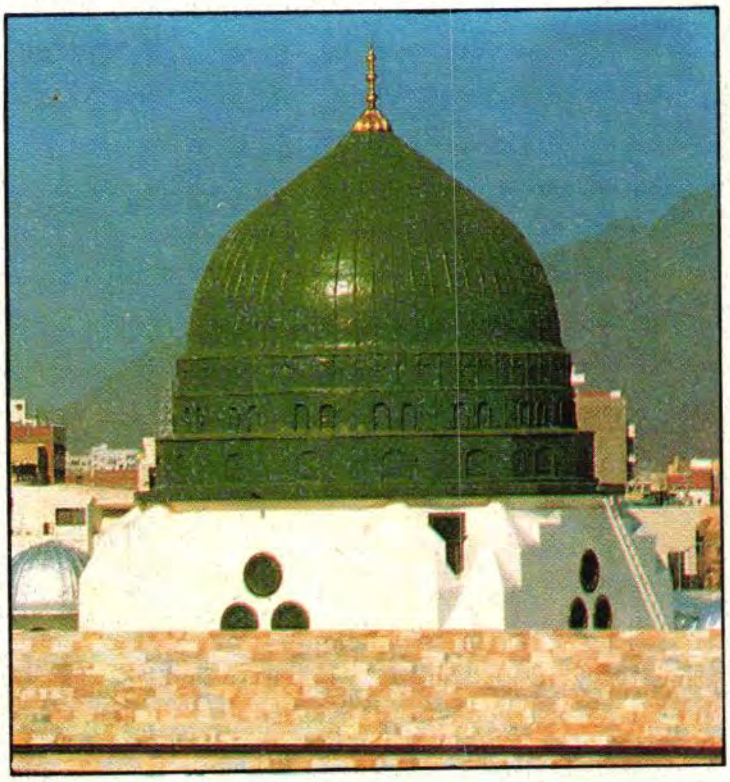
طبع في مطابع دار السياسة - الكويت



الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

د ٢٧٩ ـ ربيع الأول ١٤٠٨ هـ / نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٨٧ م





ستطلاع
شهر

المسجد النبوي الشريف



محتويات العدد

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٧٩ ـ ربيع الأول ١٤٠٨ هـ / نوفمبر (تشرين ثاني) ١٩٨٧ م

تصدرها

وزارة الاوقـاف والشئـون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المـزيد من الـوعي ،

وايقـاظ الـروح ،

بعيدا عن الخـلافـات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة

دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

• الثمن •

الكويت	٢٠٠ فلسا
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما
السودان	١٥٠ مليما
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	٣ دراهم
البحرين	٢٠٠ فلس
العراق	١٥٠ فلسا
الاردن	٢٠٠ فلس
سوريا	ليرتان
لبنان	ليرتان
تونس	٢٥٠ مليم
الجزائر	ديناران
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	٣ ريالات
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الطريق القاصد إلى الله

من فضل الله تعالى على هذه الأمة ، بل وعلى الناس كافة ، أن استجاب دعاء إبراهيم عليه السلام : (**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**) البقرة/ ١٢٩ فأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا ومعلما وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، وأنزل عليه كتابا معجزا ، يقيم حجة الله البالغة ، على من تولى وكفر ، ويهدي للتي هي أقوم ، ويبقى في الوجود مصدرا للشريعة الخاتمة ، صالحا للتطبيق في كل زمان ، جامعا لكل ما فيه خير الانسان ، أراد الله سبحانه أن تكون شريعة الاسلام خاتمة الشرائع والرسالات ، لذا جاءت وافية بجميع الأحكام بما يحقق سعادة الانسان في كل عصر وفي كل جيل ، بعد أن حررت الجباه من السجود لغير الله ، ووضعت في الأرض موازين الحق والعدل والمساواة ، وصدق الله

العظيم : (**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**) النحل/ ٨٩ .

وبهذا التنزيل ، تبدد ظلام الجاهلية الذي طالما أخفى على الناس معالم الحق وطريق الهدى والرشد وبطلوع فجر الاسلام زالت تلك الغشاوة الساترة ، وتخلصت الانسانية المعذبة من ذل الاستبداد ، وظلم الاستعباد ، وعرفت طريقها السوي ، طريق التوحيد الذي خلقت له ، والعبادة التي وجدت من أجلها ، إذ يقول الحق سبحانه : (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) الذاريات/ ٥٦ . وحرر القرآن العقل البشري من أغلاله ، وفتح أمامه كتاب الكون وقلب له صفحات الوجود ، وسارت السنة النبوية في ظلال القرآن تدعو بدعوته ، وتفصل مجمله ، وتبين للناس أسرار ما نزل ، وصدق الله العظيم : (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون**) النحل/ ٤٤ وفي ظلال القرآن وفي رحاب السنة ، يطل التاريخ على دولة الاسلام فيراها تمتد الى حدود الصين شرقاً وإلى أبعد من الأندلس غربا ،

وفي أقل من نصف قرن من بداية الدعوة ، تحطم عرش كسرى وقيصر ، وبادت قوى الشرك ، وترددت في الآفاق أصداء كلمة التوحيد ـ لا إله إلا الله محمد رسول الله ـ الأمر الذي جعل أعداء الاسلام ، يحاولون الثأر لمجدهم الزائل ، فحرصوا على مهاجمة الاسلام ، بتشويه صورته ، إفكا وزورا وتجريح نبيه حقدا وكرها ،

وبالعدوان على مصادره من «قرآن وسنة» بأساليب التشكيك والتضليل ، ورصدت دول الكفر لذلك كل الامكانات ، وخصصت أجهزة لتصفية الكيان المسلم ، وفي ذلك يقول « هاملتون » الانجليزي وأمثاله ممن هداهم الله إلى الاسلام ، ما خلاصته « لا يوجد دين أسيء فهمه وكثر الهجوم عليه من الجهلة والمتعصبين ،

مثلما أسيء فهم الاسلام وهوجم .... » (**ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون**) صدق الله العظيم التوبة/ ٣٢ ـ نعم لم

يسلم القرآن ولم تسلم السنة من حملات مسعورة ، امتدت من قديم التاريخ إلى يوم الناس هذا ، بغية القضاء عليهما لأنهم يخشون أن تسود رسالة الاسلام كل أرجاء العالم ، وغاب عن فكر هذه القوى المعادية ، أن منابع الاسلام من قرآن وسنة قد ظفرت بعناية

أبقتها مستعصية على التحريف والتشكيك ، وأنه ليس بين أيدي الناس كتاب من الأرض أو من السماء كالقرآن خصته العناية العليا بضمانات حفظه وصيانته ، قال تعالى : (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**) الحجر/ ٩ - وبقي القرآن منذ نزل حتى هذه

الساعة وحتى يرث الله الأرض ومن عليها ، لم ولن يتبدل فيه حرف أو تتغير كلمة ، ولم يستطع الشرك في مطلع الدعوة ، ولم تقدر الصليبية الكارهة ، ولا اليهودية الحاقدة ، ولا الشيوعية الملحدة ،

ولا التبشير المعاصر ، من أن ينالوا من القرآن الكريم ، بل ضل سعيهم ، وكشف الحق كيدهم حين نشروا نسخا من المصحف

المحرف في مناطق جنوب شرق آسيا وفي افريقيا وغيرها من الدول البعيدة عن الدول العربية ، وبقيت كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ، وبقي مصدر الرسالة خالدا ، وصدق الله العظيم :

(**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**) فصلت/ ٤٢ . كذلك السنة المطهرة ، وهي المصدر الثاني للاسلام ، لم تسلم من هجوم خال من العلم والانصاف ، نشطت

القوى المتخصصة في مجال التشكيك وإثارة الشبه ضد السنة بالترويج للأحاديث الموضوعة كذبا وافتراء ، وبالطعن في الأحاديث الصحيحة سندا ومتنا ، وبالخلط بين الصحيح والضعيف منها ،

وبالترويج لفكرة الاكتفاء بالقرآن والاستغناء عن السنة ، إلى غير ذلك من أفكار سامة ومبادىء هدامة ، ولقيت السنة كذلك من عناية

الأمة منذ تدوينها ما جعلها فوق الشك والتهم ، وسجل التاريخ صدق احتفاء الأمة بآثار نبيها التي تلقتها بالقبول ، ووفق الله للسنة رجالا خبراء ، ردوا عنها ما يرسله السفهاء من أحكام طائشة وأكاذيب مفضوحة ، ومن هنا كانت حماية منابع التشريع أمانة غالية في ضمير هذه الأمة ، يجب تسليمها للأجيال القادمة نقية من كل زيف ، بريئة من كل تهمة ، صافية من كل كدر ، وان رد العدوان عن كتاب الله وسنة نبيه ، لا يقل في ميزان الجهاد عن رد الجيوش الغازية ، وإن مجلس علم يتدارس المسلمون فيه كتاب الله ، خير لهم من ذهب الدنيا وزينتها ، وان الذكرى العطرة تنادي بالاقبال على القرآن وحفظ السنة من الضياع ، ذلك أرجح في ميزان الخير من المواكب السيارة ابتهاجا بالذكرى ،

المسلمون في ذكرى المولد النبوي يعلنون الحب لصاحب الذكرى في خطب ومقالات ،

والاقتصار على ذلك يجعلها بمثابة إطلاق بخور لا يتجاوز مكانه ، أو إضاءة شمعة في نور الشمس المشرقة . تكريم النبي يكون بالحياة مع الكتاب المنزل عليه ومع السنة التي هدانا بها إلى الله ، وبالتمسك بهما عقيدة وسلوكا ، حتى لا نضل ولا نزل ، هذا هو الطريق القاصد إلى الله والموصول بأنوار خاتم النبيين .

رئيس التحرير

حسن مناع

فرصة للخير فانتهزوها

للشيخ معوض عوض ابراهيم

حين يتيح الله الفرصة التي يجمع فيها الخيرون الوجوه على الخير ، والقلوب على التناجي بالبر والتقوى ، فيبدد هذه الفرصة من لا يتقي الله ! يكون عليه وزر ما فعل ، ويبوء بإثم ما ضيع من أمل ، فإن فرص الخير لا تواتي دائما ، ولا تتوفر كلما أردناها ، وهي لا تنال إلا على جسر من التعب - كما يقول أبوالطيب المتنبي وهو يحدد الطريق الى الراحة الكبرى !! وما أمضَّ ما يعقب افلاتها من غصص ، وما يخلف فواتها من حسرات وآلام .. وتتعاظم هذه الحسرات والآلام حين تضام مصالح الشعوب وتهضم حقوق الأمم ويستهدف الشر الجماعة المسلمة بما يعتلج في بعض الصدور من سخائم وما يضطرم فيها من أحقاد ، وما يتفاقم بها من أمراض نفسية ، وخلافات شخصية ، يذهب بمثلها مر الأيام ، أو تغيب في أعماق الرجال وتبقى لها قبورا ، حتى لا تطل برأسها ، فتبعد أمل التفاهم والتلاحم ونحن أحوج ما نكون اليهما بعد أن امتنَّ الله علينا فقال تعالى: (**فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**) آل عمران/١٠٣ .

وفي دنيا الناس أقوام يؤثرون ان يضروا ، وفي إمكانهم أن ينفعوا ، و يدفعوا المكاره والأسواء عن الشعوب والأمم ، وأن يجمعوا شملا تمزق ، وصرنا به كغثاء السيل كما حذرنا من ذلك ، وبين بداياته ونهاياته الرحمة المهداة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه **وهو يقول** :

« يوشك أن تداعى عليكم الأمم ، كما تتداعى الأكلة الى قصعتها ، فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ فقال : لا ، بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ؛ قالوا : وما

الوهن يا رسـول الله ؟ قال : حب الدنيا ، وكراهية المـوت » اخرجـه ابوداود بسنده عن ثوبان رضي الله عنه ـ
إن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، حين تستحوذ على مشـاعرنـا فنحسبها الأولى والآخرة ، بمظاهرها الكذاب ، ومباهجها الخوادع ، ومتاعها الذي يقول فيه الله تعالى لمصطفاه صلى الله عليه وسلم .. (**قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا**) النساء/ ٧٧ وقد استخلفنا الله في هذه الحياة لنعمرها بطـاعته ، ونتنافس في إبلاغها كمالها الممكن ، بما علمنا الله الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، فما وكلنا ، جـل شأنه ، لعلمنا وحده ولكنه أعطانا الوسائل وكشف المداخـل ، ورسم المناهج لئلا يكون للنـاس على الله حجة : (**إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا**) الانسان/ ٣ .
ولقد قرأ الحسن البصري رضي الله عنه ، قول الله تعالى : (**قل متاع الدنيا قليل** ...) الآية ، ثم قـال « رحم الله عبدا صحبها على حسب ذلك ، وما الدنيا كلها ، أولها وآخرها ، الا كرجل نام نومة فرأى في منامه بعض ما يحب ثم انتبه » .
قال ابن معين ، وكـان أبومصهـر ينشد :

ولا خير في الدنيـا لمن لم يكن له
مـن الله في دار المقـام نصيـب
فان تعجب الدنيا أناسـا ، فإنهـا
متـاع قليـل ، والـزوال قـريـب

والدنيا ، وحبها رأس كل خطيئة ، هي ميدان للصالحات ووعاء للخير ، وهي على ذلك مزرعة الآخرة ، تجيء على مقتضاها ثوابا على الإحسان ، وعقابا على ما فرط الأقوام في جنب الله ، (**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**) الزلة/ ٧ ـ ٨

(**ونضـع الموازين القسط ليـوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**) الأنبياء/ ٤٧ .. وقد ملكنا الله أزمتها ، ولم يضرب فيها أمثال الاضمحلال والزوال الا لتأخير ما شرع الله لنا من خيراتها واثقين أن الآخرة خير وأبقى . قال تعالى : (**وللآخـرة أكبر درجـات وأكبـر تفضيلا**) الاسـراء/ ٢١ .

وقال : (**زين للناس حب الشهوات من النسـاء والبنين والقنـاطـير المقنطـرة من الـذهب والفضـة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب**) آل عمران/ ١٤

والآية بمكانها في صدر السورة التي أماطت اللثام عن المآب الذي هو خير من دار الغرور في مواضع ومرات عدد من خلالها، والله تعالى يقول : (**قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقـوا عنـد ربهم جنـات**) آل عمران/ ١٥ ,

وقال : (**مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر**

أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته) وقال : **(وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)** .

وذكر سبحانه صفات المتقين وحالهم في هذه الحياة حتى قال : **(أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين)** ١٣٣ - ١٣٦ .

و تذكر الآيات بعد ذلك من يريدون ثواب الدنيا ، ومن يريدون ثواب الآخرة ، وتذكر ثواب الدنيا عطاء عاجلا لأقوام يجمع لهم معه ثواب الآخرة موصوفا بالحسن الذي يوائم جلال المعطي سبحانه فقال تعالى : **(فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين)** ١٤٨ .

- ثم تنتهي السورة بآيات نوه الرسول بها ، وأنذر الذين لا يتدبرونها ،وقد أورد ابن كثير في تفسيره للآيات زيارة بعض الصحابة لأم المؤمنين عائشة وحديثها عن أعجب ما رأت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما قال لبلال عن هذه الآيات ، وفيها مقابلة ما عند الله للأبرار بما ينقلب فيه الكفار والفجار في دار الغرور في قوله تعالى : **(لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد . متاع قليل ..)** ١٩٦ و ١٩٧ .

- ويكون مآب الكفار ومآب الأبرار في قوله تعالى :**(ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد * لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وماعند الله خير للأبرار)** ١٩٧ و ١٩٨

يغفل الذين لهم في الناس امرة وشأن عن حقيقة الحياة وسرعة تحولها وانقضائها وانتقال أزمتها من يد الى أخرى ، قبل أن يسلفوا خيرا ، أو يكفوا - في أقل القليل - عن الناس شرا ، هم اجترموه أو أصاب الناس بغفلة هؤلاء وايثار صوالحهم وان هلكت شعوب ،وشتان ما بين من قال (انا وبعدي الطوفان) .

وبين من قال الله فيهم : **(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)** الحشر/ ٩ .

وقد تابع خطاهم كثيرون في خير القرون وعبر الأعصر ، ويذكر تاريخ الأدب العربي قول شيخ المعرة أبي العلاء :

ولو أني حبيت الخلد فردا
لما أحببت في الخلد انفرادا
فلا هطلت علي ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلادا

وقد يكون أبوالعلاء المعري مثلا للذين لم يتمرسوا بالسلطان ، فخذوا من ذوي الامرة هارون الرشيد ، فهو يقول للسحابة تحفل بالمطر وهي تمر بسماء بغداد قصبة الخلافة يومئذ وهي ظمأى : « أمطري في أي واد شئت فإن خراجك سيصل الينا » .

كان العالم الاسلامي يومئذ متواصلا متكافلا ، والمسلمون فيه ككف ومعصم ، وكعين واختها ، أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وهم يد على من سواهم » أبوداود

كتاب الديات وهو حسن صحيح من صحيفة علي وولاة أمرهم يؤرقهم أن تمس الناس محنة أو تلح عليهم مجاعة أو يبهظهم شظف العيش فيبرأ أحدهم الى الله من أن يكون هلاك الناس على يديه » .

ومرة أخرى فمن الناس من لا يرون في الوجود الا أنفسهم ، ويعنون ما لم يعنه أبوفراس بقوله : « **اذا مت ظمآنا فلا نزل القطر**» فهم ينظرون في اعطافهم ، ويعبدون ذواتهم ، ويجهلون .. عفوك اللهم ـ فهم يتجاهلون ان الله سائلهم عن أمر رعاياهم ، وما ولوا من شؤون غيرهم ، مما لا ينبغي ان يتحركوا اليه بإحنة قديمة ، أو بخصومة كانت أو بهوى « الأنا » التي يريدون بها ان يحيوا على كواهل الآخرين بغيا وعدوا ، وانها لحكمة إلهية يدق فهمها ، ولا يسعنا حيالها إلا أن نراها قدرا نرضاه وقضاء نذعن له ، ونحن نعود إلى أنفسنا وأعمالنا راجين ألا يكون تسلط الطغاة ، وسطوة المبطلين في كل اتجاه ثمرة مرة لخروجنا عن منهج الله ، ومجاوزتنا لحدوده سبحانه قال تعالى :(**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**) الروم/٤١ ويقول سبحانه : (**وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون**) الأعراف/١٦٨ وما أيمن أن نحاسب أنفسنا قبل أن يحاسبنا ربنا ، وأن نزن اعمالنا قبل أن توزن علينا ، كما قال ابوحفص عمر رضي الله عنه :

« والذين يحذرون الزلات ، ويتحامون العثرات يخرجون من الدنيا اطهارا ويلقون الله أبرارا ورحم الله ابن قيم الجوزية فمن بدائع فوائده أن كان ينشد كثيرا :

قطاة غرها شرك فباتت
تجاذبه ، وقد علق الجناح
فلا في الليل نالت ما تمنت
ولا في الصبح كان لها سراح

وليت الذين يصرفون أمر الناس على هواهم لا على هدى الله ، ويبتغون العاجلة غير عابئين بما يقترفون من إثم ، يرونه صغيرا هينا وهو عند الله عظيم تنفعهم فريدة ابن القيم رحمه الله « لا تحقرن يسير المعصية ، فالعشب الضعيف تصنع منه حبال تجر السفن» .

وليس من يسير المعصية ان تمنع ما في إمكانك لخير إخوانك ، انفعالا برواسب خلاف كان في ماضي الزمان ، أو انبعاثا من أثرة تسيطر عليك ، وإن هلك الناس ، وقد كان خليقا بالوليد بن عقبة بن أبي معيط ان يعتز بشرف الايمان والصحبة ، وايفاد الرسول له كي يعود بصدقات بني المصطلق بعد انقضاء عام على اسلام زعيمهم الحارث بن ضرار والد ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها ، وقد طلب الى رسول الله أن يعود بعد اسلامه الى قومه فيدعوهم الى الاسلام ويجمع منهم الزكاة فاذا انقضى حول بعث اليه رسول الله من يقتضي زكاتهم وآثر الرسول صلى الله عليه وسلم عقبة

فبعثه ، وبينما هو في بعض الطريق انبعثت من أعماقه آثار إحنة واغلة من خلاف كان بين قومه وبني المصطلق لم يقض عليها إسلامه واستوجب بها أن يقول الله فيه : (**إن جاءكم فاسق بنبأ**) فعاد دون أن يلقى بني المصطلق ، وقد كانوا في حيرة من تأخر رسول رسول الله عنهم يخشون أن يكون ذلك لسخطة سخطها الله ورسوله عليهم ، وقال عقبة : يا رسول الله إن القوم منعوني الزكاة وكادوا يقتلونني وكدرت هذه المقالة صفو رسول الله وبعث بعثة يتبين الأمر ويميط عن الحقيقة اللثام .. والحافظ ابن كثير رحمه الله يورد في الواقعة روايات نذكر منها قوله : « وأقبل الحارث في أصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث ، فقالوا هذا الحارث ، فلما غشيهم قال الى من بعثتم ؟ قالوا : اليك ، قال : ولم ؟ قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليك الوليد ابن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله ، قال : لا والذي بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني ، فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي » قال لا والذي بعثك بالحق ما رأيته وما أتاني وما أقبلت الا حين احتبس عني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خشيت أن يكون كانت سخطة من الله ورسوله قال فنزلت : (**يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين * واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون * فضلاً من الله ونعمة والله عليم حكيم**) الحجرات ٦-٨

وكم في الناس من مثل عقبة في هذه اللحظات التي ضعف فيها إيمانه وغلبت عليه نوازع الشر وكاد يوقع رسول الله في الأمر الذي يكرهه ، إن هو قاتل بني المصطلق ، فقتل منهم وممن جردهم اليهم من قتل وفي هذا ما فيه مما وقى الله المؤمنين منه فقال:(**لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم** ..) والله تعالى يقول في مصطفاه صلى الله عليه وسلم :(**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**) الأحزاب/ ٦ فهل يعي كل مسؤول عن قومه ما يقول في الفرصة التي تتاح لإنعام النظر ، وإعمال الفكر ، وتبادل الرأي فيما يعود على الجماعة المسلمة بصلاح الحال ، وجميل المآل ، لتبقى امتدادا صالحا لخير أمة أخرجت للناس ؟!

قرأت لك

الإمام العادل

كتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل ، وقصد كل جائر ، وصلاح كل فاسد ، وقوة كل ضعيف ، ونصفة كل مظلوم ، ومفزع كل ملهوف . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله ، الرفيق بها ، يرتاد لها أطيب المرعى ، ويذودها عن مراتع الهلكة ، ويحميها من السباع ، ويحميها من أذى البرد والحر . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده يسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً يكتسب لهم فى حياته ، ويدخر لهم بعد مماته . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرهاً ووضعته كرهاً ، وربته طفلا تسهر بسهره ، وتسكن بسكونه ، ترضعه تارة وتفطمه أخرى ، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته . والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح تصلح بصلاحه ، وتفسد بفساده . والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده ، يسمع كلام الله ويُسمعهم ، وينظر إلى الله ويريهم ، وينقاد إلى الله ويقودهم ، فلا تكن ياأمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال ، فأفقر أهله وبدد ماله . واعلم ياأمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف إذا أتاها من يليها ؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم ؟ واذكر ياأمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه ، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر .

كونوا قوامين شهداء بالقسط

للدكتور/ محمد محمود متولى

ان التوازن في المجتمع يقتضى ان تسير جميع الاطراف فيه متوازية متساوية فلا يطغى حق على واجب ولا واجب على حق وقد عرض الاسلام للمظلوم ودعوته وغيرة اللـه على الاستكبار على عباده . لأنهم عباده هو لا عباد سواه ولذا لا يقبل ان يتعبدهم احد له ، هذه ناحية .

فأما الاخرى فهي حث القادرين من الناس ومن يشتم منهم الحيف والظلم على ان يكونوا قوامين بالقسط سواء أكان ذلك عليهم أم على أقربائهم

ورحم الله ورضي عن ماعز والغامدية حين أقرا بما كان سببا في رجمهما

والمتأمل لآيات القرآن يخرج بصورة وافية لهذه الحقيقة وهي أمر الناس

بأن يقوموا لله بالقسط وفي كتاب الله الكريم وردت تلك الآيات قال تعالى في كتابه العزيز :

« **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا** » النساء آية/ ١٣٥ .

وفي سورة المائدة يقول تعالى «**يا أيها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون**» اية/ ٨ وفي سورة الانعام : « **وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** » آية/ ١٥٢ .

فإذا ضممنا إلى الآيات السابقة آيات أخرى تحث على العدل وإقامة الميزان بالقسط وعدم بخس الناس اشياءهم كقوله تعالى : « **وزنوا بالقسطاس المستقيم . ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين** » الشعراء/ ١٨٢ و ١٨٣

وإذا اضفنا آيات النهي عن الزور في الشهادة كقوله تعالى « **والذين لا يشهدون الزور**) الفرقان/ آية / ٧٢ ووضعنا معها هذا الحديث : عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله قال :

الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت » متفق عليه .

وجدناها تقريبا تناولت موضوعا واحدا هو القيام بالعدل وتضم بين جوانحها قواعد التحاكم بين الناس فهم دائما بين ظالم يجحد الحق ومظلوم يطلب الحق وقد يعان على حقه وقد لايعان والظالم المائل عن العدل إما ان يميل عنه لمصلحة شخصية له او لمصلحة لوالديه وذوي قرباه ، او لبغض للغير اما لصغره او دنو منزلته أو لحسد لعائلة على اخرى لذا فهي تستكثر عليها أن تقيم العدل معها وإما لهوى متبع .

وإما للجبن والخوف الذي يحول بين الناس والقيام بالقسط والدفاع عن الحق . وسوف اتناولها كما ذكرتها مرتبة حسب ذكرها :

أولا: المصلحة الذاتية

أشارت إليها الآية في سورة النساء بقوله تعالى « **ولو على أنفسكم** » والواقع ان كثيرا من الناس يعيش حبيس مصالحه اسير مطالبه مغرقا في الأنانية مشتطا في طلب شهواته وهذا اللون من الخلق تهون لديه كل قيمة ويرخص كل مبدأ لذلك لا يستبعد ان يكذب أو يزور أو يخون او يغش أو يشهد الزور او يهون من قدر الكبير ويرفع من شأن الصغير ، ويعادي حتى ما يبصر لمن يعاديه حسنة ما ويعمى عن عيوبه حتى ما يرى لنفسه عيبا ما ، ارق نومه الهم في طلب دنياه وارخص دينه العمل المحموم في الدنيا لتحصيل مسعاه ، الكثير عنده قليل وهو دائما كجهنم يقول : هل من مزيد .

والحياة بهذا الشكل لا تستقيم ابدا فالله سمى نفسه الحق وخلق الكون بالحق وطلب من عباده ان يقولوا الحق ولا يستجيبوا لنوازغ الشيطان ، ولذا يجب قول الحق ولو كان مرا ، او ولو عاد بالضرر على النفس

وقد وصف عمر رضي الله عنه بالقوة في الحق ووفرة الدين وسلوك الشيطان طريقا غير طريقه وذلك كحديث رؤيا النبي الناس وعليهم قمص وعمر عليه قميص يجره وقد أوله رسول الله بالدين وهو في البخاري في كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الايمان في الاعمال فأما هروب الشيطان من طريقه فهو في البخاري في كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده .

ويعلق الامام ابن كثير على قوله تعالى : « **كونوا قوامين بالقسط** » بقوله رحمه الله وجزاه عنا خير الجزاء :

(يأمر الله عباده المؤمنين ان يكونوا قوامين بالقسط أي بالعدل ، فلا يعدلوا عنه يمينا ولا شمالا ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا يصرفهم عنه صارف ، وأن يكونوا متعاونين .. متعاضدين فيه،وقوله « **شهداء لله** » هو كما قال تعالى : « **وأقيموا الشهادة لله** » اي ادوها ابتغاء وجهه فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقا خالية من التحريف والتبديل والكتمان ولهذا قال تعالى **ولو على أنفسكم** » أي : اشهد بالحق ، ولو عاد ضرره عليك ، وإذا سئلت عن الامر فقل الحق فيه ولو عادت مضرته عليك فان الله سيجعل لمن اطاعه فرجا ومخرجا من كل أمر يضيق عليه ..)

وترك قول الحق من أجل المصلحة الذاتية يشبه من وجوه مانعاه الله على المنافقين : « **وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين** » سورة النور /٤٨ ، ٤٩ واذا دفعت الانسان انانيته الى عدم قول الحق ليحصل لنفسه منفعة على حساب غيره فأين هو من قوله صلى الله عليه وسلم : «لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه » اخرجه البخارى .

ثم ما مصير الدنيا كلها لو حازها رجل لنفسه ؟ إن مصيرها الفناء والزوال ويبقى الحساب والسؤال وصدق الله العظيم : « **يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه** » المجادلة آية ٦ .

ثانيا : دفع الضر او جلب النفع لذوي القرابات

قدر الانسان في الاسلام تحدده تقواه وعمله ولا ينبغي وزن الناس بغير هذا، فهذا هو ميزان الله وهو أعدل العادلين ، واستجلاب الخير لامرىء لقرابته وصرفه عن غيره لعدم قرابته لون من العصبية المقيتة وتجميع المنافع بدافع الأثرة للاسرة او للقبيلة

امر يبغضه الله ورسوله ، ونحن نرى المناصب تستخدم في جلب المنافع الاسرية وتجميع الثروات قبل ان يفوت الاوان فتسهيل سبل التصدير والاستيراد وإرساء المناقصات في المقاولات والتسهيلات في الدفع والبنك والجمرك .. الخ أمور تجرى ويراد منها : تحصيل المنفعة الدنيوية للاقارب والاهل وقد روى الامام الترمذي بسنده عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا فعلت امتى خمس عشرة خصلة ، فقد حل بها البلاء ، قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : إذا كان المغنم دولا .. الخ فسوق رسول الله تداول المغنم في أول ما يحل بالأمة من البلاء هو إشارة الى تجميع المنافع في القرابات فتعم النقمة ويشتد السخط وينعدم او يقل التراحم فتشيع السرقات والقتل وتتكون خلايا الافساد في الارض من شيوعيين ومرتشين ..

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم محذرا من المحاباة : من استعمل رجلا على عصابة (جماعة) وفيهم من هو ارضي لله منه ، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » رواه الحاكم وفي رواية (من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحداً محاباة ، فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم » رواه الحاكم .

وفي مجتمعاتنا كثير من الصور حتى في مجالات يفترض ان تتنزه عن ذلك ، إن رجلا ظل يجمع في قراباته حتى وصلت الى أزواج بناته وازواج اخواته وازواج بنات اخواته ثم اتسعت لأهل بلدته ، وكم من كفء حرم ومن محتاج استبعد ليوضع احد المحاسيب فاين نحن من عمر الذي طلب منه ان يرشح ابنه عبدالله ضمن المرشحين للخلافة فقال قولته : يكفي ان يصطلى بها من آل الخطاب واحد ،

وقد أقام الحد على ابنه وكثيرون للاسف يعيشون عيش المنافع المتبادلة مع ذوي قرباهم واصدقائهم وكما

وقد اعقب الله قوله (**ولو على انفسكم**) بقوله (**أو الوالدين والاقربين إن يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما** » .

وكما يقول ابن كثير : (اي وان كانت الشهادة على والديك وقرابتك فلا تراعهم فيها بل اشهد بالحق وان عاد ضررها عليهم فإن الحق حاكم على كل احد فلا ترعه لغناه ولا تشفق عليه لفقره ، والله يتولاهما ، بل هو اولى بهما منك وأعلم بما فيه صلاحهما وامامنا المثل الاعلى فيما روته عائشة

رضي الله عنها : ان قريشا اهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : ومن

يجترىء عليه الا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟

ثم قام فاختطب ثم قال : إنما أهلك الذين قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد .

وأيم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » متفق عليه.فهل نتعلم ان نسير على قوانين الله في عدله بين خلقه فيكون قولنا وعملنا ونفعنا وضرنا حسب شرعه سبحانه وتعالى .

ثالثا : البغض للغير

إن بعض الناس يحلون انفسهم محلا رفيعا ويتخيلون لها من المواهب ما ليس فيها ، ولذا تراهم يعطون انفسهم اكثر مما تستحق ، فتصرفاتهم لا معقب عليها ، وياويل من تسول له نفسه الاقتراب منهم ليكشف لهم ظاهرهم المزوق وزخرفهم المنمق .

والاصل في الاسلام ان كل بني آدم خطاء وأن خير الخطائين التوابون والعيب ليس في الوقوع في الخطأ ، وإنما الاصرار عليه ، وقد رأيت من يغض من قدر امرىء لانه مثلا لا يقبل يده ولا يقول له : انت شيخنا وملاذنا وسابقتك في الجهاد كسابقة بلال وعمار وانت أجدر بالوزارة من فلان وبالمشيخة من علان وعلى هذا الميزان المختل يبنى حبه وبغضه فحبيبه من يتزلف وبغيضه من يترفع ويعتز بحمى الله تعالى ، قال احدهم لاحدهم : انا أبغض قريبك فلانا لانه شامخ بأنفه وحين عرفت فلانا هذا وجدت انه متعفف عما في ايدي الناس معتمد على نفسه واثق بربه .

إن الحب والبغض في الاسلام له ميزان لا يضل ولا يخيس فنحن نحب الابرار ، حسب قواعد ديننا - ونبغض الفجار ونصاحب الاطهار ونتجنب الأشرار ، فأما بناء الحب والبغض على الهوى فهو امر مرفوض اسلاميا وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ، واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك » رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه ، وان قوما يضيع الحق بينهم لملعونون ،

ولذا يعقب الامام ابن كثير على قوله تعالى (**فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا**) بقوله : لا يحملنكم الهوى والمعصية وبغض الناس إليكم على ترك العدل في أموركم وشئونكم ، بل الزموا العدل على أي حال كما قال تعالى : « **ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**) . ومن هذا قول عبدالله بن رواحة لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم يخرص اي يقدر على أهل خيبر ثمارهم وزرعهم ، فأرادوا ان يرشوه ليرفق بهم فقال : والله لقد جئتكم من عند احب الخلق إلي ولأنتم أبغض الي من اعدادكم من القردة والخنازير ، وما يحملني حبي إياه ، وبغضي لكم على ألا أعدل فيكم ، فقالوا : بهذا قامت السموات والارض ،

فهل هناك عدل مع العدو

ارفع من هذا وهل هناك سلوك أنظف منه ؟ لقد ذكر كتاب السير موقف رسول الله من وحشي قاتل حمزة بعد اسلامه وهو موقف يتسم بالسماحة والعدل ، وكذا موقفه من هبار بن الاسود المتسبب في موت السيدة زينب الكبرى وغيرهما وموقف عمر بن الخطاب من قاتل أخيه زيد حين اعلن له انه لن يحبه أبدا فقال له : أينقص ذلك شيئا من حقي فقال عمر لا فقال له : إنما يأسى على الحب النساء ومرة اخرى يجب الا يحملنا بغض أحد على عدم العدل معه لأننا نهينا عن ذلك حتى ولو كان عدوا يقول تعالى: « **ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا** » المائدة ٢/ .

وقد قيل في معنى « شهداء لله » إنها :

١ ـ الشهادة بحقوق الناس .
٢ ـ الشهادة بمعاصي العباد .
٣ ـ الشهادة لامر الله بالحق .

وكل ذلك مطلوب منا أن نقوم فيه ولا نخشى لومة لائم حتى يعلو أمر الله ويحق الحق ويبطل الباطل وتخذل المعصيةواهلها .

واما الأشياء المطلوب العدل فيها والمشار إليها بقوله تعالى (**وإذا قلتم فاعدلوا**) فقد قيل إنها :

١ ـ اذا حكمتم فأنصفوا .
٢ ـ او شهدتم فأصدقوا .
٣ ـ اذا توسطتم فلا تميلوا .

رابعا: الخوف

بعض الناس يصدهم عن الحق الخوف على العمر او المنصب او الولد ويهتمون باستدامة المنفعة ولو بالجبن ولذلك قيل على لسان أحد الظرفاء : نأكل العيش بالجبن ، مع ان قول الحق لا يؤخر رزقا ولا يقصر عمرا فالأعمار والارزاق بيد الله ، ومن رجا رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه من رجا رضاه بسخط الله. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :«واعلم ان الخلق جميعا لو اجتمعوا على ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك» والمجتمعات في حاجة الى التوكل على الله والاعتماد عليه في احقاق الحق وابطال الباطل ولن يكون ذلك الا بتضافر جهود المؤمنين ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

الفكر الاسلامي ومشكلة الهوية

للاستاذ : محمد بن علي بن جبرة

الفكـر ركيزة هـامـة في حيـاة الشعوب ، ودليل على حيويتها وتقدمها في شتى مجالات الحياة ، أو على جمودها وتخلفها ، وفي ميدانه تحسم نتائج مختلف اشكال الصراع ، فمن ينتصر بـأفكـاره يضمن لنفسـه الانتصار والتفوق في مجال العلوم ، والسيـاسة ، والاقتصـاد — وهذه القيمة للافكار ليست بدعة ، فالافكار هي نتاج العقل البشري الموضوع فيه لهذه الغاية . وبالعودة الى تاريـخ الاسلام نرى ان الفكر الاسلامي والذي استمد مبادئه وتوجهاته من القـرآن والسنـة ، كـان مقـدمـة للانتصارات الحضارية التي حققها المسلمون ، والتي كانت سبيلا لنشر الاسلام في العالم .

● الصراع الفكري الحديث ●

لقد ادرك الغربيون في وقت مبكر اهمية الافكار ، ولمسوها يقينا بما ترتب على نتائج الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر للميلاد ، لمسوا يومها ان انتصارهم العسكري البحت لم يجدهم شيئا ، اويدق لهم وجودا في الامة العربية بعد ان هوى هذا الانتصار امام صلاح الدين الايوبي في معركة حطين ، ولذلك يمموا الى الشاطىء الآخر من الصراع ، الى

الافكار والثقافة ، وكان ذلك يستلزم منهم ان ينكبوا على ما في الفكر العربي الاسلامي يترجمونه ويقومون بدراسته وتلخيصه ، فكانت اولى اعمالهم ترجمة القرآن الكريم الى اللاتينية ، وبعدها فتح باب الدراسات الاسلامية والعربية عندهم على مصراعيه ، فكانت حركة الاستشراق التي مهدت لهم طريق الاستعمار فيما بعد ، والتي كانت بدوافع متباينة متفاوتة تحكمها بشكل عام خلفيات دينية واقتصادية وثقافية .. لقد ادرك الغرب أن الاحتلال العسكري والتحكم السياسي والنهب الاقتصادي اجراءات اساسية في فرض حضارته على الشعوب ، لان الغرب ما كان باستطاعته ان يحكم قبضته على بلاد العرب والمسلمين الا من خلال العنف العسكري بداية ، ثم إحكام السيطرة السياسية والاقتصادية .

ولكن ذلك ما كان كل شيء ، لان قادة الغرب من سياسيين ومفكرين أدركوا أن إحكام تلك القبضة يتطلب ما هو ابعد واعمق واقوى، لقد ادركوا ان الامر يتطلب تحطيم أسس المقاومة الداخلية ، أي تحطيم المكونات العقيدية والفكرية والثقافية لتلك البلاد واحلال مكونات اخرى تشكل اساسا للتبعية الدائمة للغرب .
وكان هذا يعني تحطيم الاسس الاسلامية في فكر الشعب وثقافته وانماطه المعيشية ونهج حياته ، ثم ترويضه بما يجعله يرى في احد نماذج الغرب قدوته ، وتكون المحصلة نشوء حالة هجينة ، لا هي هذه ولا هي تلك ، فتفقد الشعوب هويتها وتحسب نفسها قد خطت على طريق الرقي والتقدم ، وما هي في حقيقة الحال الا نموذج تابع مجتث الجذور يقبع تحت المظاهر الكاذبة والاسماء الخادعة ولذلك عمد الاستعمار الحديث الى تحطيم المقومات الفكرية والثقافية للامة ، لان بقاءها ـ تلك المقومات ـ يجعلها ـ الامة ـ قادرة على النهوض من جديد لمواجهة تلك السيطرة .

وقد نجم عن ذلك اقتناع قطاعات واسعة من المثقفين والسياسيين في بلادنا ، أن الغرب يعتبر مركز العلم والحضارة المتقدمة ، وممثلا لارقى اشكال التطور ، وان الاسلام والتراث والنمط المجتمعي لامة الاسلام عناوين للتخلف والجمود والوحشية . وادى بهم الانطلاق من هذه النتيجة في معالجة مشاكل البلاد وايجاد الحلول لها ، إلى انهم قطعوا منذ البداية الصلة مع الفكر الاسلامي والتراث والتاريخ وراحوا يتطلعون الى الاقتداء بهذا النموذج او ذاك من نماذج الحضارة الغربية ،

هذا يعني قطع الصلة مع الشعوب ايضا ، لان هويتها تكونت من خلال الاسلام والتراث والتاريخ ، مما يجعل المشروع المنتمي الى الغرب منفصلا عن الناس غير قادر على اقناعهم وتحريكهم ، فكانت النتيجة فضلا عن المآسي والكوارث السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فقدان الهوية والمعايير الحضارية الاسلامية المتميزة .

● خصائص الهوية الاسلامية ●

لكل امة هويتها وذاتيتها المميزة لها عن الامم الاخرى ، وهوية الامة تتكون من عقيدتها وثقافتها وتراثها وتقاليدها ونظمها .. والخصائص الاساسية لهوية امة المسلمين هي :

★ **الوحي** : وهو جملة التعاليم التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مبلغا اياها عن ربه منضبطة في النص القرآني ونصوص الحديث الشريف ، قال الله تعالى : (**قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون**) (الانبياء ٤٥)

وهنا لا بد من التمييز بين الوحي الالهي والفكر الاسلامي ، فالوحي مصدره الله سبحانه وتعالى ولا مدخل للفكر البشري فيه ، وهو خطاب كلي عام للناس كافة ، الا ما جاء دليل بتخصيصه (**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا**) (سبأ ٢٨)

شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا (**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**) (النحل ٨٩) حقائقه مطلقة لانها صادرة عن علم الهي مطلق ، غير خاضعة للتعقيب الانساني في ذاتها ، سوى العمل العقلي لاستجلاء احكام الوحي .

اما الفكر الاسلامي فهو افراز عقلي لادراك ما حوله من وجود يحتمل الصواب كما يحتمل الخطأ ، فهو اجتهاد عقلي يسلك طريق النظر ويتصف بالمرحلية والمقايسة والموازنة والتدرج والترابط ، وفي هذه المراحل من الاخطار ما يهدد بإعاقة العقل عن اصابةكل الحق . واذا كان هذا المعنى فالفكر الاسلامي هو ما انتجه المسلمون في ظل الاسلام من فكر بشري في الفلسفة والكلام والفقه واصوله والتصوف والعلوم الانسانية منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم الى اليوم .. فمنهج التغيير الاسلامي المنبثق اساسا من الهوية الاسلامية ، لا بد ان يضع خطا فاصلا واضحا بين ما هو وحي إلهي وبين ما هو جهد بشري فكري .

★ **اللغة** : العربية لغة القرآن الكريم الذي لا حياة للامة الاسلامية الا به ، ولا شك ان اللغة العربية هي الوسيلة الاولى لفهمه وخدمته وتبليغه ، ذلك ان القرآن نزل بلغة العرب ، ومن هنا استمدت هذه اللغة قداستها وشرفها الرفيع وانتشارها وخلودها ، بعدما وفر الله لها في تدرج تاريخها الحضاري كل اسباب الحياة والشمول والمرونة والاكتفاء الذاتي ، حتى اصبحت جزءاً أصيلا من الدين .

فهي هوية الامة ولسانها الناطق وقلبها النابض وعقلها الواعي الذي يحوي تراثها وثقافتها ومجدها ، فلا نعجب اذا رأينا الاهتمام الكبير من علماء المسلمين بلغة القرآن الكريم ولمسنا اعتزازهم وفخارهم بها .

ولا يخفى على احد ما لوحدة اللغة في ميادين الكتابة والثقافة والفكر والتخاطب ، من اثر بليغ في توثيق الروابط بين المجتمعات وصهرها في بوتقة واحدة فهي اداة التفكير والتعبير وحفظ التراث العلمي والادبي . والاتفاق في اللغة يؤدي لا محالة الى وحدة المنطلق ووحدة الهدف واتجاهات التفكير .

★**التراث الحضاري للامة الاسلامية** واسهاماتها في الفكر الانساني ، وابداعاتها في مجال العلوم والثقافة والادب . يقول المفكر « غوستاف لوبون » : « كلما امعنا في درس حضارة العرب وكتبهم العلمية ، واختراعاتهم وفنونهم ، ظهرت لنا حقائق جديدة وآفاق واسعة ،

ولسرعان ما رأينا ان العرب اصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الاقدمين وان جامعات الغرب لم تعرف لها مدة خسمة قرون موردا علميا سوى مؤلفاتهم .. وانه اذا كانت هناك امة نقرُّ باننا مدينون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الامة » (حضارة العرب ـ

ترجمة عادل زعيتر ـ الطبعة الثالثة ص ٣٦) إن الاسلام جاء لصياغة الانسان صياغة جديدة ، وتغيير سلوكه الى ما هو مطلوب ومتناسب مع فطرته ومحيطه ، ولذلك استطاعت الشخصية الاسلامية ان تتفاعل مع الحضارات ، وان تستوعب نتاج الفكر البشري ، وان تنتج للبشرية حضارة علمية مؤمنة ، واليوم لا يوجد سبب منطقي يبرر الفهم بان العرب فقدوا الخصائص والمميزات التي مكنت اجدادهم من التفوق الحضاري والابداع العلمي ، فنحن لا نزال نملك تلك القيمة الدافعة والرائدة . وهنا لابد من القول بان بلورة الهوية الاسلامية بكل خصائصها تتوقف على جهد الانسان في تغيير نفسه وواقعه دون اكراه او جبر مصداقا لقوله تعالى : « **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » الرعد ـ ١١)

● في سبيل منهج صحيح ●

ضرورة تحديد الهوية اولا : عندما طرحت فكرة تحديد الهوية على الفكر الاسلامي المعاصر ، قبل تحديد الحلول للمشكلات التي تواجهنا ، انبرى البعض الى القول بان هذا يعني الانهزام امام مشكلات الواقع الراهن ، واعتبار كل الخطوات الاساسية والاجراءات المنهجية عمليات هروبية . وما قولهم هذا الا لان تحديد الهوية يفرض اعادة النظر في مواقفهم من الدين ومن حضارة الغرب ، ثم مناقشة عدد كبير من الافكار التي يعتبرونها مسلمات لا تناقش مثل قضايا الديمقراطية والوطنية وتحرير المرأة والقومية ..

والواقع ان تحديد الهوية لا يعني جاهزية الحلول للمشكلات الراهنة ولا يعني الاستغناء عن البحث والتعليم والاجتهاد .

واذا كانت الاجوبة عن الاسئلة المطروحة على الفكر الاسلامي المعاصر ـ مثل كيفية توحيد الامة ومعالجة اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، او كيفية اصلاح ما افسده الفكر الغربي في صفوف المثقفين ـ غير جاهزة ، فهل يحق التقليل من اهمية تحديد الموقف الاساسي وهو الى اية منظومة حضارية ننتمي ؟ وبعبارة اخرى ، هل يمكن أن نفهم المشكلات الراهنة في بلادنا بمعزل عن فهم تاريخنا ومعتقداتنا والافكار التي نحملها والاهداف التي نراها غاية أعمالنا ؟

إن عملية تحديد الانتماء ذات اولوية مطلقة ، والكل فاعلها لامحالة سواء اكان ذلك عن وعي ام عن غير وعي . لقد انطلق الغرب من منظومته الحضارية المادية ، وكذلك لا بد ان ينطلق العالم الاسلامي من منظومته الاسلامية الربانية . ولهذا لا يصح ان يعتبر الوقوف على الارض الاسلامية معتقدها وفكرها وانماطها الحضارية ـ هروبا من معالجة الواقع او لجوءا الى الماضي التليد واجترار امجاده خلاصا من مواجهة الهزيمة بالفعل البناء الذي يتطلب الجهد والتضحية والفداء .

لقد شكلت الهوية الاسلامية انماط حياتنا بكل جوانبها على مر العصور مع ما تخللها من هزات وتشويهات نتيجة اصطدامها بنمط حضاري مغاير يستهدف اجتثاث الامة من جذورها ويكرس حالة التبعية الدائمة للمنظومة الحضارية الغربية . وهذا ما حول المعركة الحضارية الى حرب تستهدف إبعاد الاسلام وتشويهه ، فمضى الغرب بكل مؤسساته ، بصورة مباشرة وغير مباشرة ، يزيح الاسلام بكل ما أوتي من قوة عن المعركة .

● الفكر الاسلامي الاصيل ●

اننا أمام تراث فكري عظيم الثراء في الموضوعات والمبادىء العامة والتقنيات التي يحتاج اليها المنهج الصحيح لصياغة الهوية الاسلامية المعاصرة والنمط المجتمعي الحضاري . ولا نبالغ اذا قلنا إن المستوى الذي وصله المنهج لدى الائمة المجتهدين امثال الامام مالك ، الشافعي ، احمد ، ابو حنيفة ، وجعفر الصادق .. قد بلغ حدا فريدا لا يجارى من حيث الدقة والعمق والشمول والتقنين .

اما عن أعلام الفكر الاسلامي الاصيل المعاصر فنذكر .

★ المفكر محمد إقبال ، والذي يعتبر كتابه « تجديد التفكير الديني في الاسلام » اعظم محاولة لترسيخ جذور الهوية الاسلامية في الفكر والثقافة . ـ مالك بن نبي ، الذي يعتبر رائد النهضة الاصلاحية المعاصرة بعد الافغاني ومحمد عبده ، وقد اسهم بقسط وافر في تركيز الثقافة الاسلامية بعد دراسة عميقة لواقع العالم الاسلامي .

ـ وحيد الدين خان ، الذي تعتبر كتبه « الاسـلام يتحدى » و« الاسـلام والعصر الحديث » و« حكمة الدين » فتحـا جديـدا في دنيا الـدراسات الاسلامية .

وانه برغم هذه النماذج الرفيعة من ممثلي الهوية الاسلاميـة في الفكر والثقافة والتشـريع ، فـإن مشكلة الهوية لم تحل عمليا بعد ، ما دام واقع المسلمين لم يتغير .

تنطلق الخطوات التغييريـة من الاسلام الذي يشكل هوية العالم العـربي والاسـلامي . فـالـروح الاسلامية هي مركز الاشعاع الذي بني حضارة انسانية ، شاملة النفع ،

واليها تنتمي الثقافات التي تلامس الضمير الشعبي وتستقطبه للاسهام في عملية البناء .
وهذه الخطوات تكون في **اتجاهين** :

اولا : اتجاه مستقبلي ملتزم بأطر احكام القرآن والسنة وسلوك السلف الصـالح ، مجـدد لآليات التطـور الانساني في كل المجالات الفكرية والعملية .

ثانيا : الدراسة الواعية لتراث هذه الامة وماضيها للاستفادة بالايجابي منه ، والانفصال عن السلبي والغاء اثره في الواقع .

ان منهاج المشروع التغييري هو حركة تفاعلية تواصلية تلغي السلبية من الفكر الاسلامي عبـر اطواره التاريخية ، وتترك الفاعلية للايجابية تؤثر في الحاضر وتتفاعل مع وقائعه الساعية الى اهداف مستقبلية تحددها طموحات الفكر الاسلامي المعاصر .

هذه التفاعلية تجري في مشـروع النهوض العربي الاسلامي ، بتوجيه انساني ينبع من صلب الشـريعة الخاتمة التي تحمل مشعل الاطـر التغييرية لصياغة المستقبل الافضل ،

فما صلح به آول هذه الامة ، وكان منه منطلق الحضارة الاسلامية الزاهية

يصلح به اخرها ، هذا القانون هو الذي عبر عنه الامام مالك بن أنس

رضي الله عنه بقوله « **لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به اولها** » .

حفظ الصحة وسلامة البيئة

مقصد تشريعي أساسي

للاستاذ الدكتور/ وهبة الزحيلي

لقد اهتم العالم اليوم اهتماما كبيرا ، شغل الوسط العلمي والاجتماعي والسياسي ، بأمر سلامة البيئة في البر والبحر والجو ، لاسباب **ثلاثة** : هي وجود ظاهرة المجاعة بسبب القحط والجفاف في افريقيا ، وتسرب الغازات السامة والمواد الكيمياوية ، كما حدث في الهند في العام الماضي ، وانتشار الغبار الذري بسبب التجارب النووية سواء في الصحارى ام في البحار ، فان تلوث البيئة البحرية اكثر خطرا من التلوث الاشعاعي ، وبسبب حادثة انفجار المفاعل النووي في « تشيرنوبيل » عام ١٩٨٦ في روسيا التي افسدت الخضار والفواكه واللحوم وامتدت الى اوروبا ، ومات كثيرون بسببها ، هذا فضلا عن استخدام الاسلحة الكيماوية في بعض الحروب القائمة والتي لا يقتصر اثرها على الجيوش المتحاربة ، وانما يمتد الى المدنيين الآخرين .

واخطر هذه الاسباب : الغبار الذري الذي قد يكون في يوم ما سبب فناء العالم ، وكأنه الدخان المشار اليه في القرآن الكريم : « **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم . ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون** » (الدخان : ١٠ ـ ١٢)

وقد حذرت من هذه المخاطر دراسة علمية استمرت ٣٠ شهرا عن ازمة البيئة في العالم قامت بها المنظمة العالمية للبيئة والتنمية التابعة للامم المتحدة ، وقررت هذه الدراسة ان تلوث البيئة في افريقيا والشرق الاوسط واميركا اللاتينية وآسيا قد اصبح بالفعل مصدرا لعدم الاستقرار السياسي والتوتر الدولي . وجاء في التقرير : أن حوالي ٦٠ مليون شخص معظمهم من الاطفال قد ماتوا في جميع انحاء العالم من امراض الاسهال نتيجة شرب ماء غير نظيف وسوء التغذية واريد ان ابين موقف الاسلام من سلامة البيئة ، لان ديار المسلمين اكثر البلاد اليوم تعرضا لخطر تلوث البيئة ، وان الموت الجماعي يفترس الآلاف والملايين منهم ، كما قال التقرير المتقدم .

مما لا شك فيه أن قوة الامة بقوة أفرادها ماليا وصحيا وجسديا ، وأن توفير المناخ الطيب ، والصحة العامة ، وسلامة البيئة عنصر ضروري لتوفير مقومات الحياة المطلوبة شرعا ، وأن الحفاظ على الصحة والعافية واجب مفروض على كل مسلم ومسلمة ، ومقصد من مقاصد التشريع الاسلامي الأساسية ، لأن الحفاظ على الحياة والنفس من ضروريات الدين الخمس ، كما هو معلوم ، **وهي** :

« **الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسب أو العرض ، والمال** » ، فليست الحياة مجرد حق مقدس ، وانما الحفاظ على الحياة واجب شرعي اصيل ، بدليل ان تناول الطعام والشراب ، وإن كان في الاحوال العادية مباحا ، فهو فرض واجب يأثم تاركه عند التعرض لخطر الموت والهلاك ، قال تعالى : « **وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** » (البقرة : ١٩٥)

وكما أن المجتمع أو البيئة ليس ملكا خاصا لأحد ، وإنما هو من حق الجميع ، ومشاع لكل الناس ، كذلك النفس الانسانية ليست ملكا لصاحبها يتصرف فيها كيفما يشاء بهواه ، وإنما البيئة والحياة الانسانية والنفوس البشرية ملك لله عز وجل ،

ولا يحق لأي انسان فردا او جماعة أو دولة الاعتداء على ملك الله الذي جعله حقا في الحياة الهانئة لكل إنسان وجماعة ، فقال سبحانه : « **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم** » (البقرة : ٢٩)

وقد فرض الاسلام أحكاما كثيرة للعناية بالصحة وسلامة البيئة بوسائل وقائية وعلاجية . اما الوسائل العلاجية فمعروف حكمها ، قال النبي صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه احمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم عن أسامة بن شريك ـ « تداووا عباد الله ، فان الله تعالى لم يضع داء ، إلا وضع له دواء غير داء واحد : الهرم » .

وأما الوسائل الوقائية المادية والمعنوية : فهي ما يجب عليَّ بيانه ، لأن الوقاية خير من العلاج ، لذا رد النبي صلى الله عليه وسلم على المقوقس هدية الطبيب قائلا فيما معناه : « إنا قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا اكلنا لا نشبع » .

ومن وسائل الوقاية : منع الضرر بالنفس وبالبيئة وبالمجتمع ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه احمد ومالك وابن ماجة عن ابن عباس ـ : « لا ضرر ولا ضرار » وقال أيضا فيما يرويه الترمذي : « ملعون من ضار مؤمنا او مكر به »،« من ضار ضار الله به » رواه احمد

ومنها : التغذية بالطيبات الطاهرات غير المستخبثات ذات السميات والمضار ، لتحقيق نظافة المأكل والمشرب ، وبالتالي نظافة المسكن والملبس ، فقال تعالى : « **اليوم أحل لكم الطيبات** » (المائدة : ٥) « **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله** » (البقرة : ١٧٢) « **ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** » (الأعراف : ١٥٧) والغذاء المناسب يطرد كثيرا من الأمراض كالسل وغيره ، ويحفظ الصحة ، بل وينمي العقل ، ويلطف المشاعر والعواطف .

ومنها : قتل الحشرات والمؤذيات والفواسق الخمس ، قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وغيره : « خمس فواسق تقتلن في الحل والحرم : الحية ، والغراب الابقع ، والفأرة ، والكلب العقور ، والحديا » .

ومنها : خصال الفطرة العشر ، اخرج احمد ومسلم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عشر من الفطرة : قص الشارب ، واعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الاظفار ، وغسل البراجم ـ الاصابع ـ ونتف الابط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء ـ يعني الاستنجاء ـ والمضمضة » واخرج ابن ماجة « السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب » واخرج النسائي : « كان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يأكل غسل يديه » وعن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال « رأيت رسول الله يخلل اصابع رجليه بخنصره » وعن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح في وضوئه رأسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما وأدخل أصبعيه في صماخي اذنيه رواه ابو داود . واخرج ابن ماجة ايضا : « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمسح الماقين » أي ينظف العينين ، وأخرج ابو داود : « من كان له شعر فليكرمه » .

والختان سنة عند الحنفية والمالكية ، واجب فرض عند الشافعية والحنابلة ويكره المشي بلا نعل في الرجلين ، والانتعال قائما ، واطالة الثياب حتى لا تصير مجمعا للاقذار ، واوساخ الشوارع ، ونقل المؤذيات .

ويسن اطفاء الحمى وحرارة الرأس بالماء البارد : « الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء » . ومن أهم

الوسائل الوقائية : منع أسباب الأمراض النفسية والبدنية ايضا ، وهي النزاع والشجار ، والأحزان ، واقتحام الأخطار في غير ساحات الجهاد ونحوها مما لا داعي له ، والسخط وعدم الرضا بالقضاء والقدر ، فقد ثبت ان القلق والهموم والاضطراب أسباب لكثير من الأمراض النفسية ، كالاكتئاب وغيره ، والجسدية ، كأمراض القلب وضغط الدم والقرحة وغيرها ، وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم بدعائه قائلا : « اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن ، ومن العجز والكسل .. » . وهناك وسائل ايجابية ووقائية معا كالتضامن والتماسك والتعاون والتآخي والاصلاح بين الناس وفعل المعروف والاحسان وحب الخير للآخرين ، ومحبة العمل ومحاربة البطالة ، والتحية والسلام على أهل البيت والجيران والناس ، فالسلام سبب التحابب كما جاء في الحديث الصحيح ، وكذا البشاشة والتبسم ، ففيهما راحة للنفس والأعضاء ، وسبب لكسب محبة الآخرين . ومن اخطر التدابير الوقائية لنظافة الباطن : الغلّ والحقد والحسد ، والتباغض ، والتدابر ، والتقاطع ، والمنافسة غير المشروعة في البيع والمساومة ، والبيع على البيع ، والخطبة على الخطبة ، قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم : « لا تباغضوا ، ولا تدابروا ، ولا تنافسوا ، وكونوا عباد الله اخوانا » «لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان ، فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام » .

ومن الوسائل السلبية في الوقاية : توقي كثير من الأمراض المعدية ، ومنع انتشار الامراض الوبائية كالكوليرا والطاعون ، وحصر المرض في مكانه وهو ما يسمى بالحجر الصحي ، وإن كان الاعتقاد الثابت ان الله سبحانه وتعالى هو الشافي والمُمْرض ، قال تعالى حاكيا قول ابراهيم عليه السلام : « **والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين** » (الشعراء : ٧٩ ـ ٨٠) وقال صلى الله عليه وسلم بعد النهي عن العدوى بذاتها لا بفعل الله : « وفر من المجذوم فرارك من الاسد » ورواية البخاري في التاريخ :

« اتقوا المجذوم كما يتقي الاسد » وهذا من قبيل الأخذ بالاسباب الظاهرية التي أمرنا بها ، وهي من قدر الله ، كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه في طاعون عمواس لأبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه : « نعم نفر من قدر الله الى قضائه » أو « من قدر الله إلى قدر الله » . وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي عن الرقية : « هي من قدر الله » فكما ان المرض من قدر الله ، والتداوي من قدر الله ، تكون الوقاية من قدر الله .

وكل ما ورد في القرآن الكريم من آيات التطهر والتطهير والطهارة البالغ عددها حوالي ٣٠ آية ، إنما كان لايجاب طهارة النفس المؤمنة ، والبيئة الانسانية في الظاهر والباطن ، ويظهر

ذلك واضحا في تصنيف هذه الآيات في الموضوعات التالية :

١ ـ **نعمة المطر** : أعظم نعمة لتطهير البيئة من الملوثات كلها ، قال تعالى : « **وأنزلنا من السماء ماء طهورا** » (الفرقان : ٤٨) « **وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به** » (الأنفال : ١١)

٢ ـ **تطهير بيوت العبادة** من الأرجاس المعنوية ، كالشرك والوثنية ، والمادية باعتبارها أماكن التجمعات ، قال تعالى : « **وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود** » (الحج : ٢٦) .

٣ ـ **طهارة آل البيت** والمجتمع من الملوثات المعنوية والمادية ، قال تعالى : « **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** » (الأحزاب : ٣٣) وقال سبحانه مبينا حكمة فرضية الوضوء والغسل : « **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم** » (المائدة : ٦) .

٤ ـ **وجوب طهارة الثوب والبدن** والمكان في الصلاة ، ليكون ذلك حاجزا أمنيا من التلوث ، وملازمة النظافة ، وحفظ الصحة ، قال تعالى آمرا رسوله : « **وثيابك فطهر * والرجز فاهجر** » (المدثر : ٤ و ٥) ومدح الله سبحانه جماعة في مسجد قباء يستنجون بالماء ، فقال « **فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين** » (التوبة : ١٠٨) وفي آية أخرى تعميم : « **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** » (البقرة : ٢٢٢) .

٥ ـ **الغسل المتكرر** بين الأزواج والزوجات ، قال تعالى « **وإن كنتم جنبا فاطهروا** » (المائدة : ٦) وقال سبحانه : « **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا** » (النساء : ٤٣) هذا وللغسل موجبات اخرى كالحيض والنفاس .

٦ ـ **طهارة الطعام والشراب** في الجنة ، قال عز وجل : « **وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا** » (الانسان : ٢١) وامر الله الرسل بأكل الطيبات الطاهرات في الدنيا ، فقال : « **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا** » (المؤمنون : ٥١)

٧ ـ **الطهارة لتلاوة** القرآن ومسه ، ولمجالس العلم ، فقال تعالى : « **في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون** » (الواقعة ٧٨ و٧٩) وقال عز من قائل « **رسول من الله يتلو صحفا مطهرة** » (البينة : ٢) « **في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة** » (عبس : ١٣ و ١٤)

٨ ـ **جعل الله العذراء** المطهرة المثل الاعلى للنساء في الدنيا ، والحوريات المطهرات للرجال في الآخرة ، فقال سبحانه عن السيدة مريم : « **إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين** » (آل عمران : ٤٢)

وقال عز وجل عن الحوريات : « **ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون** » (البقرة : ٢٥)

٩ ـ **تطهير المال بالزكاة** من شوائب الحرام واللغو ، ليكون المال المنتفع به طيبا على النفس ، هنيئا مريئا ، غير معكر صفوا ، ولا ضار جسدا ، قال تعالى : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** » « التوبة : ١٠٣)

١٠ ـ **اباحة المتعة** الزوجية مشروطة بالطهارة ، قال تعالى : « **فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله** » (البقرة : ٢٢٢) .

١١ ـ **التطهر من الفواحش** أصل من أصول رسالات الرسل ، لذا قاومهم اهلها فقالوا : « **أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون** » وباكتشاف خطورة مرض نقص المناعة أو « الايدز » وأنه مرض مميت ، معد ظهرت معجزة جديدة للقرآن حينما حرم هذه الفاحشة وشنع على أهلها فقال تعالى حاكيا قول لوط عليه السلام لقومه : « **أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين** » (الأعراف : ٨٠) **أتأتون الذكران من العالمين** » (الشعراء : ١٦٥) .

١٢ ـ **تحريم العضل** أي منع المرأة من الزواج ، لانه يؤدي الى الفاحشة ، قال تعالى بعد بيان التحريم : « **ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون** » (البقرة : ٢٣٢)

١٣ـ **منع مخاطبة** ازواج النبي صلى الله عليه وسلم من غير حجاب ، تحقيقا لطهارة القلب من الوساوس الشيطانية والهواجس المريبة فقال تعالى : « **وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** » (الاحزاب : ٥٣)

١٤ـ **تطهير المجتمع** من أمراض النفاق التي يعشش فيها كل مظاهر الضعف والخبث والانزواء في البيوت للمكيدة والمكر واشاعة الشائعات الضارة قال تعالى : « **أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم** » (المائدة : ٤١)

وليس هناك وسيلة انجع لحفظ الصحة والوقاية من تلوث البيئة وازالة الغبار ، من فرضية الوضوء المتكررة خمس مرات او اقل في اليوم والليلة ، لغسل الاعضاء الظاهرة المعرضة للتلوث : وهي الوجه والايدي ومسح الرأس ، وغسل الرجلين في آية المائدة (٦) مع ملاحظة سنن الوضوء الاخرى كالمضمضة والاستنشاق ومسح الاذنين ظاهرا وباطنا .

وغسل الجسد يتكرر ايضا في اليوم او الأسبوع في الحضر والسفر إما على سبيل الفرضية والوجوب كغسل الجنابة والغسل بعد الحيض والنفاس ، وغسل الميت ، وإما على سبيل الندب والاستحباب كغسل الجمعة والعيدين ، وللاحرام بالحج والعمرة ، وصلاة الاستسقاء والكسوف ، وبعد غسل الميت ، لازالة ما عساه قد علق بالغاسل ، والاعتكاف ، وعند تغير رائحة البدن ، وحضور مجامع الناس .

ورغب الاسلام في نظافة الثياب والحذاء واختيار البياض في لباس الجمعة والاحرام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مجيبا الصحابي الذي ظن ان ذلك من الكبر - فيما يرويه مسلم والترمذي - : « إن الله تعالى جميل يحب الجمال » وصان الاسلام بيئة المساكن من التلوث، ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بنظافة البيوت، قائلا - فيما رواه الترمذي عن سعد - « إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود». وقال أيضا فيما رواه البخاري في الأدب المفرد : « كل كلمة طيبة صدقة، وعون الرجل أخاه صدقة، والشربة من الماء تسقيها صدقة، وإماطة الاذى عن الطريق صدقة » .

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التبول والتغوط في ظلال الشجر وضفاف الانهار، وفي الماء الجاري والراكد، فقال فيما يرويه الامام احمد : اتقوا **الملاعن الثلاث** : أن يقعد أحدكم في ظل يستظل فيه أو في طريق، او في نقع ماء » وفي رواية ابي داود وغيره : « اتقوا الملاعن الثلاث : البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل » .

وحثت السنة النبوية على الزراعة وغرس الاشجار، لمنع امتداد الغبار، وجلب الامطار، والانتعاش بالخضرة في التنفس والاستمتاع بالظل، أو الانتفاع بالثمار، فقال عليه السلام في الحديث الصحيح : « إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فان استطاع الا يقوم حتى يغرسها، فليغرسها » ولو عني المسلمون بالتشجير العناية اللائقة الكافية، لانقلبت بلادهم جنات خضراء وبساتين نضرة .

والخلاصة : إن الاسلام معني عناية فائقة بصحة الفرد، والجماعة، والمجتمع، والبيت، والبلد، والحانوت، والملبس والمأكل والمشرب، والبيئة البرية والبحرية والجوية، كما انه معني بنظافة الظاهر والباطن، فان كثيرا من أمراض العصر منشؤها العوامل النفسية التي لا نجدها عند المؤمنين المتدينين، والصحة وسلامة البيت من ضروريات الدين ومقاصد التشريع، والعافية من أجل النعم على الانسان بعد الايمان، لذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه البخاري وغيره : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » وقال ايضا فيما يرويه احمد والترمذي : « سلوا الله العفو والعافية، فان أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية »

وروى ابن ماجة : « من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » .

أخلاقيات البائع المسلم عند توجيه إعلاناته

للاستاذ / عبد الحميد عبد الفتاح المغربي

إن المعلن سواء كان هوالبائع ذاته ام وكيلا عن المنتج والبائع في تبليغ الرسالة الاعلانية للافراد يجب أن يتحلى بالصدق والصراحة والوضوح ، فالمعلن الذي لا يلتزم بالمعايير الاخلاقية لايضر بسلعته فقط ، وانما يمتد الضرر الى السلع الاخرى . لأن الافراد إذا شعروا بعدم الثقة في نسبة كبيرة من الاعلانات الموجهة اليهم فانهم سيميلون الى رفض معظم الاعلانات وعدم تصديقها .

ولهذا يجب أن يكون الاعلان واضحا فيما يقدمه من وعود ، امينا فيما يعرضه من معلومات وبيانات حتى يمكن الافراد من اتخاذ القرار الصحيح .

ولهذا نجد أن القانون الامريكي ـ على سبيل المثال قد عرف الاعلان المضلل

كما يلي .

« يقصد بالاعلان المضلل كل اعلان يغرر بالمستهلك فيما يختص بحقيقة مادية ولتحديد ما إذا كان الاعلان مضللا يؤخذ في الاعتبار ليس فقط ما نشر أو أوحى به من كلمات أو تصميم أو أصوات او اخراج أو أي مجموعة منها ، ولكن أيضا ما حذف من حقائق مادية في ضوء ما نشر فيما يختص بالنتائج التي يمكن أن تحدث من استعمال السلعة المعلن عنها تحت الظروف المذكورة في الاعلان ، أو تحت أية ظروف أخرى تعتبر عادية أو طبيعية .

وإن كان النص السابق قد تناول ما ينشر في الرسالة الاعلانية كذلك البيانات والمعلومات التي لم تنشر وكان من الواجب نشرها لضرورتها عند استعمال واستهلاك المنتجات ، إلا أنه حدد طبيعة تضليل الاعلان بالعوامل المادية ولم يطرق المعنويات المؤثرة على بناء المجتمع ، كذلك لم يحدد منتجات معينة يحرم الاعلان عنها .

وقبل هذا القانون وغيره بأربعة عشر قرنا نجد أن الشريعة الاسلامية قد أرست قواعد الاخلاقيات والمبادىء والآداب للتعامل منها .. القويم عند إتمام عمليات البيع ، وفيما يختص بالاعلان منها يمكننا الوقوف على الخصائص التي يجب أن يتحلى بها المعلن المسلم عند الاعلان عن منتجاته.

فالبائع المسلم عندما يعلن عن منتجاته

يلتزم :

بذكر الحقيقة عند تناول خصائص منتجاته .

بتحري الصدق في أحاديثه

و يتجنب :

الغش عند عرض منتجاته .

والتغرير في الاعلانات

ولذلك فهـــو :

- **صادق الحديث .**
- **صريح ومباشر .**
- **واصف غير مبالغ في المدح .**
- **عفيف اللسان .**
- **دقيق في اختيار ألفاظه .**
- **أمين فيما يطرحه من بيانات .**
- **ناصح ومرشد للمشترين .**

وليـــس :

- **غاشا للمشترين .**
- **مدلسا عليهم .**
- **كاذبا الحديث .**
- **منافقا ومرائيا .**
- **مبالغا في الاطناب .**
- **مخادعا في بياناته . ومعلوماته ومنتجاته .**

ومن هذا يتضح أن المعلن المسلم عند توجيه إعلاناته يجب أن يلتزم ببعض الامور الجوهرية ويتجنب أمورا أخرى .

أولا : ما يجب أن يلتزم به المعلن المسلم :

(١) ذكر خصائص الانتاج الايجابية والسلبية :

فالمعلن المسلم يتحرى في إعلاناته ذكر الحقيقة فيما يتعلق بمنتجاته

سواء أكان مزايا أم عيوبا ، فيروى عبد المجيد بن وهب رضى الله عنه قال :

قال لي العداء بن خالد رضي الله عنه :

ألا أقرأ لك كتابا كتبه لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت بلى فأخرج لي كتابا : هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هوذة من محمد رسول الله ، اشترى منه عبدا أو أمة لاداء ولاغائلة ولا خبثة بيع المسلم المسلم(رواه البخارى والترمذي).

ففي هذا الكتاب بيان للمبيع ومواصفاته الرئيسة ، حيث باعه عبدا وأعطاه شروطا بأنه خال من العيوب والنقائص .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من باع عيبـ لم يبينه لم يزل في مقت الله ، ولم تزل الملائكة تلعنه » فمن ذا الذي يجرؤ على أن يحارب رب العزة ومقسم الارزاق ومالك الملك ، ومن يتحمل مقت الله ويصبر على لعنة الملائكة ؟ تلك صورة النفس التي تتاجر في غضب الله على المسلمين بالغش والخديعة ، ولهذا يرشدنا نبي الهدى بالبعد عن الحلف بغية الترويج للسلع فيقول « الحلف مُنفّقة للسلعة مُمْحقة للبركة » .

(٢) تحرى الصدق عند الإعلان عن المنتجات :

فالصدق يعتبر أساسا جوهريا في اخلاقيات التعامل في كافة أمور التاجر المسلم ، ولذا يعده الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بمنزلة عالية فيقول « التاجر الصدوق الامين مع النبيين والصديقين والشهداء » (رواه الترمذي)

وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : البيعان بالخيار مالم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » (رواه البخاري ومسلم).

وفي هذا الحديث يؤكد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على ضرورة صدق الحديث وبيان جميع الحقائق عن المنتج المبيع حتى تتضح الصورة امام المشتري الذي سيقرر الاقبال على الشراء من خلال الكلمات والاحاديث التي سيتيحها له البائع بجانب تعيين المنتجات التي قد يفتقر الى معرفة خصائصها الدقيقة .

وعن رفاعة رضي الله عنه أنه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون فقال : « يامعشر التجار : فرفعوا أعناقهم ومدواأبصارهم إليه إجابة له فقال إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا إلا من اتقى الله وبر وصدق . (رواه الترمذي)

ويبين هذا الحديث نهاية التاجر الكاذب الخائن حيث يبعث يوم القيامة مع الجبابرة والفجار ، إلا من « اتقى الله » أي اتقى سخطه وغضبه فلم يظلم أحدا من خلقه ، « وبر » فلم

يحنث في يمين إذا حلف » « وصدق » فلم يكذب أو يغش أو يدلس .

ثانيا : ما يجب أن يتجنبه المعلن المسلم :

(١) البعد عن الغش عند عرض المنتجات

فيجب تحاشي عرض المنتجات لجذب المشترين ثم يبيع منتجات بها عيوب خفية عن نظر المشترى ، ولذا فإن سياسات الاستدراج والتحيل في الاعلان والتسعير من السياسات غير الأخلاقية التي تتنافي مع السلوك الاسلامي القويم ومن هدي النبي الكريم يمكننا ملاحظة الآتي :

عن أبي هريرة رضى الله عنه :

«مر النبي صلى الله علية وسلم برجل يبيع الطعام فأعجبه ظاهره ، فأدخل يده فيه فوجد به بللا فقال ، ما هذا ياصاحب الطعام؟قال أصابته السماء ـ المطر ـ فقال عليه الصلاة والسلام : فهلا أبقيته فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا »(رواه مسلم) .

فإذا كان من الغش تقديم الباطل في ثوب الحق في الرأي والعمل والفتوى والارشاد والتوجيه ، فإن غش الطعام في الافساد أقل بدرجات ودرجات من الغش في هذه النواحى الممتد أثرها ، الشامل ضررها ، وهو فيها أجدر بأن يخرج صاحبه من صفوف المؤمنين ويهوى به في مكان سحيق .

إن الغش يؤدي بدرجة كبيرة إلى زعزعة الثقة في المجتمع كذلك يؤدى إلى قطع الصلات وإثارة الأحقاد والبغضاء بين الناس مما يساعد على انتشار الفساد في الأرض وضياع المصالح .

ومن هنا يجدر بكل داع وموجه أن يرعى الله وأوامره في هذا المجال ، وأن يستن بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(٢) البعد عن التغرير في الاعلانات :

والتغرير في اللغة هو الخداع ويرمي إلى اغراء المشترى وخديعته ليقدم على الشراء وهو يظن أنه في مصلحته والواقع خلاف ذلك .

أنواع التغرير :

(١) التغرير الفعلي : ويتضمن إحداث فعل في المنتج ليظهر بصورة غير ما هو عليه في الواقع كصبغ الثوب القديم ليظهر جديدا أو جمع اللبن في أنثى الحيوان لينتفخ ضرعها ويظن من يراها أنها كثيرة اللبن فيرغب في شرائها ، وفي هذا يقول ابن عابدين في حاشيته عند بيع الشاة المصراة :

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لاتصروا الابل والغنم فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها، فإن رضيها أمسكها، وإن سخطها ردها وصاعا من تمر » (متفق عليه)

وتصرية الشاة ربط ضرعها عن ولدها وترك حلبها حتى يجتمع اللبن .

(٢) التغرير القولي : وذلك عن طريق الكذب في البيانات .

فالبائع يجب أن يكون صادقا مع

المشترى فيخبره بالثمن الأصلى الذي اشترى به السلعة بكل صدق،ومقدار الربح الذي سيحققه وأن يبين مواصفات السلعة بكل أمانة ونزاهة ، فالمشترى إنما يعقد الصفقة على هذا الأساس فإن إختل انتقضت الصفقة ، وهو قد ائتمن البائع ووثق في صدق قوله لذلك،فمجرد الكذب في الافضاء بهذه البيانات الجوهرية يعتبر خيانة وتدليسا .

وفي هذا يقول المالكية :

البائع في المرابحة إن لم يكن صادقا فهو إما أن يكون غاشا أو كاذبا أو مدلسا .

فأما الغاش : فهو الذي يوهم أن في السلعة صفة يرغب في وجودها وإن كان عدمها لا ينقص السلعة . أو العكس بأن يوهم أن السلعة خالية من صفة موجودة فيها لا يرغب في وجودها وذلك كأن يوهم أن السلعة جديدة وواردة من مصنعها حديثا وهي قديمة لها زمن طويل عنده،أو يوهم أن هذا الثوب وارد من مصنع كذا وهو ليس كذلك بشرط ألا يكون ذلك منقصا لقيمة السلعة .

وأما الكاذب : فهو الذي يخبر بخلاف الواقع فيزيد في الثمن فيقول إنه اشترى السلعة بثلاثين مع أنه اشتراها بعشرين أو يدعى أنها من خامات جيدة وهي من خامات رديئة أو تعيش عشر سنوات وهي لا تبلغها .

وأما المدلس : فهو الذي يعلم أن بالسلعة عيبا ويكتمه عن المشترى كأن يبيع دارا بها تصدعات فسدَّها البائع وطلاها بالجص ونحوه ليخفي هذا العيب ولتظهر الدار كأنها سليمة وخالية من تلك العيوب .

ولهذا يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم « لا يحل لأحد أن يبيع شيئا إلا بين ما فيه ، ولا يحل لأحد يعلم ذلك إلا بينه » . رواه أحمد

ثالثا:نموذج للتاجر المسلم عند عرض منتجاته والاعلان عنها

ومن الأمثلة الدالة على السلوك الطيب في المعاملات عند عرض المنتجات والاعلان عنها وبيعها تجربة الامام ابى حنيفة ، فان المتتبع لتجربة أبي حنيفة في التجارة ليستدل على علامات واضحة في هذا المجال منها .

أولا : تجنب الغش والخداع حتى لو كان بأدنى شبهة من غش الى حد أنه كان يعتبر مدح السلعة نوعا من الخداع ، وفي نظره أن السلعة الجيدة تتحدث عن نفسها وأن الحديث عن السلعة ينبغي أن يكون في إطار تحديد مواصفاتها دون كلمات مبهمة قد تنحرف بقصد البائع ويكون المشترى فريسة لها ، وبالطبع يندرج كل هذا تحت ما نهى عنه الحديث من الحلف للتدليل على جودة البضائع فقد جاء في الحديث الشريف :

« الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة » رواه البخاري

ثانيا : تجنب الاكراه في البيع والشراء ، سواء كان الاكراه :

سافرا : كاخضاع بيع السلعة لشروط مجحفة .

أم مستترا : كاستغلال جهل المشترى بقيمة ما يشتريه وهويته فيقع تحت

وطأة جهله وتنفذ في ارادته ارادة الطرف الآخر .

ثالثا : الالتزام بالاتجار فيما لا يقع تحت طائلة السلع المنهى عنها مثل بيع ما لا يملكه البائع أو بيع السلع المحرم استعمالها وبيع المنابذة والملامسة .. الخ .

رابعا : التجارة وسيلة للاحسان : وذلك بإنقاص ثمن السلعة عن الحد المعتاد لذوي الحاجة بما يجعلها حسنة ، كذلك استخدام بعض ما تدره التجارة من أرباح للانفاق في سبيل الله وعلى ذوى القربى والمحتاجين .

رابعا:منهاج الأخلاقيات التي يجب أن يتمسك بها المعلن المسلم :

مما سبق يمكن استنتاج منهاج الأخلاقيات التي يجب أن يتمسك بها المعلن عند توجيه اعلانات فيما يلي :

١ ـ وظيفة الاعلان الرئيسية هي أخبار الأفراد بمواصفات وخصائص السلع والخدمات دون مبالغة في المدح والاطناب .

٢ ـ يجب على المعلن الحرص على صدق بيانات الرسالة الاعلانية والتأكد من أن كل رسالة اعلانية تضلل أو تغش أو توقع الأفراد في حيرة لا تضر صاحب الرسالة فقط وإنما يعم ضررها على المجتمع كله .

٣ ـ يجب أن يراعى المعلن تمشى إعلاناته مع القوانين والتشريعات والمبادىء والقيم السائدة في المجتمع .

٤ ـ يحذر الاسلام التجار من الترويج الكاذب وتأكيد ذلك بالأيمان الفاجرة وهذا خداع وتدليس وايذاء لخلق الله في معاملاتهم . وفي ذلك يقول الناصح الأمين صلى الله عليه وسلم « اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة للبركة » أي أنها تروج السلع فتباع ويقبل عليها الأفراد ولكنها تنزع البركة .

٥ ـ أن يكون التاجر والمعلن عالما بأصول التجارة وقواعدها ومعالمها والقيم الأخلاقية التي تحكمها وفي هذا يقول الامام النووي :

« من أراد التجارة لزمه أن يتعلم أحكامها فيتعلم شروطها وصحيح العقود من فاسدها وسائر أحكامها » .

٦ ـ يجب ذكر الحقيقة في الاعلان حتى لا يلحق الضرر بالمستهلك أو بغيره من المتأثرين بالاعلان فيجب ألا يحتوى الاعلان على معلومات وبيانات من شأنها التغرير بالمستهلك لذا وجب بيان :

- خصائص السلعة .
- سعر السلعة وقيمتها .
- الخدمات المرتبطة بالشراء .
- تاريخ صناعتها وعمرها ومدة صلاحيتها .

هذه البيانات وغيرها يجب أن يتحرى البائع ذكرها بحقيقتها دون مدح مبالغ فيه ، والمدح غير الوصف ، فبينما ينحصر الوصف في إيضاح صفات السلعة الحقيقية الملائم منها وغير الملائم ، فإن المدح يكتفي فيه بذكر الصفات المغرية بالشراء دون ذكر العناصر غير الملائمة واجتماع النوعين من المواصفات ضرورى لصدور قرار سليم من المشترى .

وليس عدم الكذب وحده هو الذي يجعل كسب التجار طيبا .

فقد ورد

« أن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا ، وإذا ائتمنوا لم يخونوا ، واذا وعدوا لم يخلفوا ، واذا اشتروا لم يذموا ، واذا باعوا لم يمدحوا وإذا كان عليهم لم يمطلوا وإذا كان لهم لم يعسروا » .

يقول صلى الله عليه وسلم :

« البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » . رواه الخمسة .

٧ - يجب أن يلتزم المعلن بالاعلان عن منتجاته فقط ،ولا يتناول بالتجريح السلع والخدمات الأخرى للمنافسين حتى لا تتزعزع الثقة بين أفراد المجتمع .

فعن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » رواه البخارى والترمذي

٨ - يجب أن يعلم المسلم أنه يزاول تجارتين،تجارة الدنيا وتجارة الآخرة ، ويجب ألا تلهيه تجارة الدنيا عن تجارة الآخرة فهو يتلو كتاب الله ويقيم الصلاة وينفق من رزق الله سرا وعلانية وإذا نودي للصلاة يسعى الى ذكر الله ويذر البيع . مصداقا لقوله تعالى :

« رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب »

سورة النور . آية ٣٧،٣٨

٩ - يجب أن يقوم المعلن المسلم بتقديم النصائح والارشادات لمجتمع المشترين فيما يتعلق بمنتجاته وفيما يقوم سلوك المسلم، انتهاجا للسنة النبوية الشريفة حيث نصح الرسول الكريم المسلمين حين قال عليه الصلاة والسلام :

« الدين النصيحة » قلنا لمن ؟

قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »

رواه مسلم

ويتضح من كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم :

أن المسلم يتحرى المواقف وينتهز أي فرصة كانت للنصح والارشاد في عباداته .. في هديه .. في دعوته .. في توجيهه .. في تقويمه ..

إنسان بشهادة القرآن

محمد بين العظمة والعبقرية

للأستاذ / سيد خليل الابوتيجي

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إنسانا قبل أن يكون نبيا .. نعم إنسان بشهادة القرآن الكريم .. وشخصيته العظيمة آية من آيات الوجود البشري .

محمد .. شخصية فريدة أبدع الله تكوينها وأودع فيها من المحامد والمزايا والخصائص ما لم تحظ به شخصية أخرى .. فمحمد صلى الله عليه وسلم في بشريته فوق مستوى البشر .. وفي نبوته يسمو على

الأنبياء .. وفي علمه تهبط دونه منازل العلماء . وفي عظمته أستاذ العظماء ..

ومن قديم الزمان قد اجتهد العلماء والبلغاء والباحثون يتلمسون نواحي عظمته الخالدة وجوانب انسانيته السامية فرأينا منهم من عالج سيرته العطرة معالجة المؤرخ مستهدفا إبراز المواقف التاريخية في حياته ، ومنهم من عالج السيرة المحمدية معالجة الأديب المثقف الذي اهتم اهتماما كبيرا بمحمد الانسان في حياته اليومية فجلاها جلاء وقدمها لنا تقديما واقياً .. ورأينا من تناول الموضوع بقلبه لا بعقله فسجل كل ما اوردته كتب السيرة المتقدمة والمتأخرة من أخبار سواء كانت وقائع يقبلها العقل أم خوارق لا يصدقها إلا القليل .. وقد تناول كتاب آخرون شخصية الرسول من زوايا خاصة واعتنوا بتصوير جوانب معينة من حياته قد تبدو متباعدة لكنها تتضافر كلها في ابراز صورة حية لشخصية محمد العظيم .. صلى الله عليه وسلم الذي جدد شباب الكون بعد شيخوخته وأضاء الوجود بعد ان رانت عليه الجاهلية بظلامها وركامها .. إن محمدا اليتيم الذي هز كيان العالم وغير مجرى التاريخ لم يكن مجرد بطل او فيلسوف بل هو اسمى إنسان عرفه الوجود ، جاء الى الانسانية اللاهثة ليعيد صياغة الحياة ويصون بمنهجه ومبادئه كرامة الانسان ، ويهدى البشرية المنكودة الضالة الى رشدها وصوابها ...

وأمام عظمة محمد نقف في إعجاب وإكبار وتجلة ووقار نتأمل تلك العظمة الفريدة ، فمما لا ريب فيه أن الجمال والحق ينبعان من مصدر واحد هو القلب أما العقل وحده فقد لا يرى الا مايلائم وظيفته وما يخضع لمقاييسه ، وهو لا يدري من الحقيقة إلا الشطر الذي يستطيع أن يراه ويظل محجوبا عنه الشطر الواقع في منطقة القلب ..

○ محمد في القرآن الكريم ○

لقد صنع الله محمدا على عينه واختاره لاكرم رسالة وأعظم دعوة ، وأعده إعدادا خاصا وهيأه ليضطلع بأعباء وظيفته ، ومنحه من التأييد والتمجيد والتكريم ما يلائم قدره السامي .. ونحن حينما نستعرض آيات القرآن الكريم نجدها تفيض بلآلىء التشريف والتعظيم لتلك الشخصية الفريدة المنقطعة النظير شخصية محمد ..

فقد رسم القرآن بأسلوبه البديع والفاظه المتلألئة صورة مضيئة مشرقة متناسقة يرى الواقف أمامها مكانة خير البشر الذي اختاره الله لقيادة الانسانية وشرفه ربه بقوله « **ورفعنا لك ذكرك** » الانشراح / ٤

والرفع ـ في اللغة الاعلاء سواء كان حسيا ماديا أم معنويا مجازيا ..

وقد اعتنى المفسرون بتأويل رفع الذكر للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان المقصود منه وقالوا في ذلك

اقوالا متقاربة ، ولسنا في حاجة الى سرد كل ما أورده اصحاب التأويل .. فحسب نبينا أن الله أصطفاه رسولا للناس كافة . وفي هذا الاصطفاء ما يجاوز كل مطمح لبشر .. ويرى « الزمخشري » في رفع ذكر محمد عليه الصلاة والسلام أن الله قرن اسمه باسمه في الشهادة والآذان والاقامة والتشهد والخطب .. وفي مواضع عديدة من القرآن الكريم مثل قوله : « **والله ورسوله أحق أن يرضوه** ..(التوبة / ٦٢) وقوله « **ومن يطع الله ورسوله** » الاحزاب / ٧١ والامر الالهي « **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول** » (التغابن /١٢) وفي تسميته صلى الله عليه وسلم برسول الله ونبي الله .. » .

ولقد عظم الخالق جل جلاله رسوله بأن أخذ له الميثاق على الأنبياء فقال : «**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه** » سورة آل عمران / آية ٨١ ـ ومنها يفهم أن الله جعل الأنبياء كالاتباع له وألهمهم الانقياد له ولو أدركوه لوجب عليهم اتباعه صلى الله عليه وسلم .. فإن الله قدم ذكره على ذكر جميع الأنبياء .. قال تبارك وتعالى« **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده** » سورة النساء آية / ١٦٣ .

والحق سبحانه وتعالى قد خاطب كل نبي باسمه فقال(**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة**)البقرة/٣٥(**يا نوح اهبط بسلام منا بركات عليك وعلى أمم ممن معك**) هود/٤٨ ، (**وناديناه أن يا إبراهيم.قد صدقت الرؤيا**) الصافات ١٠٤/١٠٥ ، (**ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك**) المائدة/١١٠ ، (**يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى**) مريم/٧ ، (**يا يحيى خذ الكتاب بقوة**) مريم/١٢ ولم يخاطب الله حبيبه محمدا باسمه وذلك للتعظيم فقال جل جلاله (**يا أيها النبي**) .. (**يا أيها الرسول**) .

ولما ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم للتعريف قرنه بذكر الرسالة فقال تعالى (**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**) آل عمران/١٤٤ ، (**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**) الفتح/ ٢٩ ، ومن دلائل عظمة الرسول بين الناس أخبرنا الله جل جلاله بأن الأمم السابقة كانت تخاطب أنبياءها بأسمائهم كقولهم فيما ورد في كتاب الله (**قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا**) هود/٣٢ (**قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا**) هود/٦٢ ، (**وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون**) البقرة/٥٥ ، (**إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء**) المائدة/١١٢ .

وقد نهانا ربنا جل شأنه ان نخاطب رسول الله باسمه فقال :

« لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » (النور / ٦٣) قال ابن عباس رضى الله عنه أي لا تقولوا يامحمد ولكن قولوا يارسول الله ، وقد امرنا جل جلاله أن نتأدب مع رسول الله ولا يرفع أحد صوته فوق صوت النبي فقال تعالى « **يائيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** » سورة الحجرات ، آية / ٢ .

ومن دلائل عظمة نبينا الحبيب ان الأنبياء السابقين كانـوا يجادلـون أممهم عن أنفسهم ولكن الله الذي اختار محمدا للرسالة الخاتمة تولى بذاته أن يدافع عنه ويرد على أعداء دعوته ,

وقد اقسم الحق بحياة المصطفى فقال « **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** » سورة الحجر / ٧٢ وذلك لاظهار عظمة المقسم به وهنا اشارة تلفت اذهاننا ان حياة محمد نعمة عظمى فما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد عليه الصلاة والسلام فقد جعل محبته من محبته وبيعته من بيعته وجعل طاعته من طاعته وصدق الله عز وجل في علاه إذ يقول « **من يطع الرسول فقد أطاع الله ..** » (النساء / ٨٠)

○ عظمة خالدة ○

إن عظمة محمد التي أحيت موات القلـوب وفتحت البلاد والأمصـار ومنحت الانسانية اللاهثة العـزة والأمان ، وأصلحت القيم والموازين تحقيقا لسعادة الانسـان ، وعدلت المناهج والسلوك وبعثت في الافئدة والنفوس الثقة بالله .

تلك العظمة الفريدة جديرة أن تنال تقدير العالم أجمع وأن يدين لها الناس في المشرق والمغرب ويعترف بفضلها المسلم وغير المسلم .

فإنها لم تكن عظمة الملوك المتجبرين ولا الطغاة الظالمين ، فعظمة هؤلاء عظمة مؤقتة زائلة ..

ولم تكن عظمـة صاحب المـال والثراء والجاه فعظمة أولئك عظمة زائفة كاذبة مرهونة بما يملك أربابها ثم لا تلبث أن تزول ..

ولـم تكن عظمـة الفـلاسفـة والمكتشفين أو الأبطال الفاتحين فتلك عظمة ضئيلة محددة كلما تقدم الزمن تتوارى في زوايا النسيان ..

ولكن عظمة محمد التي بلغت قمة الكمال الانساني في أروع صـوره وأشكـالـه ، وتسنمت ذروة المجـد والعطاء هي بكل المقـاييس عظمة خالدة لأنهـا مستمدة من ينـابيع العظمـة الالهية البـاقية ، وروافـد المبادىء الانسانية السامية ..

فلم تعرف الانسانيـة في ماضيهـا الطويل - ولن تعرف - رجلا ترك في تاريخها أثرا لا يمحي وانطبعت محبته في شغاف القلوب مثل ذلك اليتيم العظيم الذي حمل عبء الرسالـة الخـاتمة وفـاق القـادة والأبطـال والعظماء جميعا حتى ما عرف واحد

من عظماء الدنيا ميزة في نفسه يفخر بها الا كانت في رسول الله اعرق، واوفى .. والمنصفون على اختلاف ازمانهم وعقائدهم وتباين أجناسهم وتنوع اقطارهم يعترفون باستاذيته صلى الله عليه وسلم لكل عظيم .. وقد انبعثت من مفكري وفلاسفة الغرب .

صيحات حرة صادقة تحمل اقوالا وشهادات تتسم بالنزاهة والحيدة والموضوعية أدلى بها أصحابها أحرارا للانصاف الخالص والحق المجرد ، وكان آخر هذه الشهادات الحقة ما سجله الدكتور « مايكل هارت » في كتابه (الخالدون مائة) حيث لم يستطع أمام صحوة ضميره الا أن يضع محمدا صلى الله عليه وسلم في الصدارة والمقدمة من قائمة العظماء الخالدين الذين لهم آثار بارزة خالدة في التاريخ الانساني كله وفي ذلك يقول الدكتور « مايكل هارت » إن اختياري محمدا ليكون الأول في قائمة أهم رجال التاريخ قد يدهش القراء ، ولكنه الرجل الوحيد في التاريخ كله الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والدنيوي إنه الوحيد الذي أتم رسالته الدينية كاملة وتحددت كل أحكامها وآمنت به شعوب بأسرها ولأنه أقام الى جانب الدين دولة جديدة ووحد القبائل في شعب والشعوب في أمة ووضع لهذه الأمة كل أسس حياتها الدينية والدنيوية .. وإن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم . ولكن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء المجردة تماما من كل مقومات الحضارة والتقدم ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة قهرت بعد ذلك امبراطوريات فارس وبيزنطة وروما .

ولا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد وبقى بحروفه كاملا دون تحوير كل هذا الزمن سوى القرآن الكريم ، ومن أجل هذا كله فإني وجدت أن محمدا

هو صاحب الحق الوحيد في أن أعتبره صاحب أعظم تأثير إصلاحي على الاطلاق في التاريخ الانساني » ..

أما الفيلسوف الانجليزي « برناردشو » فقد سجل بعد دراسة عميقة شهادته المأثورة التي يشيد فيها بفضل النبي وعبقريته وعظمته قائلا « إنني اعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم في العالم بأجمعه لتم النجاح في حكمه ولقاده الى الخير ، وحل مشكلاته على وجه يكفل للعالم السلام والسعادة المنشودة » ..

ويقول المستشرق الأمريكي فيلكو « كان عقل محمد النبي من العقول الكبيرة التي قلما يجود بها الزمان » ..

أما الباحث المستشرق « وليم موبر » عندما تحدث عن نبي الاسلام قال امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه وأنه أتم من الأعمال ما يدهش الألباب فلم يشهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الانسانية في زمن قصير كما فعل

محمد صلى الله عليه وسلم » ..
وهذه الشهادات وغيرها مما أملته روح الانصاف والاعجاب بإنسانية محمد وعظمته شيء يسير لما سجلته كتب المنصفين وأرباب الفكر الدقيق والبحث النزيه ..

○ معالم الشخصية ○

هذه شخصية محمد .. صلى الله عليه وسلم ذات الجلال الفارع والامتياز الرائع تنحسر دونها أبصار العباقرة مهما طمحت ، وتتضاءل أمامها أقدار العظماء مهما ارتفعت .. هذه شخصية محمد عليه الصلاة والسلام تبدو دائما مشرقة سامقة يرفع الناس إليها أبصارهم كما ينظرون الى القمم الشوامخ الشواهق التي لا تنال .. وهي مازالت تتقدم مواكب العصور رافعة أعلام الكمال الانساني .. ومنذ خمسة عشر قرنا يتحدث عنها المتحدثون ويكتب الكاتبون . ولكن الكلام لم ينته والمداد لم يجف لأنها شخصية خصبة المزايا ثرية المعاني ، متعددة الجوانب .. فهي من أي جانب تناولتها راعتك ، واستولت على نفسك ، واخذت بمجامع قلبك ، فمن ذا الذي يستطيع حصر معالم الشخصية او يحيط بآفاقها ؟ ومن ذا الذي يستطيع ان يسوّر بحورها المتلاطمة الأمواج بشواطىء او حدود ؟

إنه محمد .. صلى الله عليه وسلم الانسان .. اليتيم — المتواضع .. الذي حباه مولاه من أسراره ما يجعل أعظم فلاسفة الأرض لا يصل الى مصاف قدميه وليس هذا غلوا في تزكية جوهرة الوجود وخاتم المرسلين الذي جعل الله الايمان برسالته الشطر الثاني من شهادة الاسلام ..

والحق أقول إن رسولنا الكريم هو محاسن الفضائل وكمالات الأخلاق ومجامع المثل العليا قد مزجها رب العزة بماء السيادة والنبالة ثم صاغها انسانا يمشي على الأرض هاديا ومبشرا ونذيرا ..

تلك شخصية محمد صلى الله عليه وسلم بعطائها الدائم نتنسم من عبيرها عطر الخلق الذكي ونرى في جوانبها المضيئة أروع المبادىء الكفيلة بهداية الانسانية واسعادها فما احوجنا نحن المسلمين أن نتخذ من سيرته صلى الله عليه وسلم قبسا يضيء طريقنا وأن نتمثله في انسانيته الحافلة وأخلاقه العالية قال تعالى **« وإنك لعلى خلق عظيم » القلم / ٤**

سر العظمة المحمدية

للاستاذ : احمد العناني

تتجلى الفكرة ، ويبرز المبدأ في حياة محمد صلى الله عليه وسلم في صفاء واكتمال لم يعرفا في احد من عباد الله تعالى ، سواء اكانوا رسلا من رب العـالمين ، ام هـداة من أوليـائـه المهديين ، وعباده الصالحين ، ومن ينعم النظر في حياته عليه افضل الصلاة والتسليم يجد نفسا زكية صهر كل كيانها في بوتقة الرضوان الالهي ، فهي لا تنفصم عن ذكر الله في اي منشط من مناشط الحياة ، وتتوجه نحو ما يقضي به الله ، وترضاه ارادته جل جلاله كتوجه البوصلة الى المغناطيس الذي يشدها اليه فتدور ناحيته حيثما وجد واذا كان القرآن ، كما عبرت عن ذلك ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، هو خلق الرسول الكريم ، فإني لم اعلم عن حديث واحد من احاديثـه عليه الصـلاة والسلام إلا وهو مسخر لتفصيل شيء اجمله القرآن العظيم ، أو تأكيد معنى من معانيه ، او أمر من رسالته.من هنا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد الراحة في الصلاة ، ومن هنا كان تألقه العظيم على قدر اشتداد البلاء الواقع عليه كما حصل حين لانت عزيمة ابي طالب أمام ما اعتبره منطقا منصفا في عروض قريش ، وكما حصل

مثلا غداة عودته عام الحزن الى البيت وقد حُثِيَ التراب في الكعبة على رأسه الكريم او في جلوسه مجهدا جريحا في الطائف وذلك الدعاء الخالد الذي توجه به الى الله تعالى ، أو كما حصل غداة دفن ابراهيم آخر ولد رزق به ولعله كان آثرهم عنده ، أو كما حصل وهو بين فكي موت محقق في (احد) وهو يرتجز ،

أنا النبي لا كذب

أنا ابن عبدالمطلب .

إن على الواعين والمثقفين والمنظّرين ، والناشدين رضوان الله تعالى من سائر عباده المؤمنين ان يعيدوا قراءة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لكي يدركوا أبعاد قوله جل جلاله ، « **من يطع الرسول فقد أطاع الله** » النساء / ٨٠ وقوله عز شأنه : « **ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما** » الأحزاب / ٧١

لقد كان محمد صلى الله عليه وسلم يرفض سائر ما خالف عن الفطرة السليمة وروح العدل والانصاف ، ورسالة البر والمرحمة منذ وعى على الدنيا بهدي من الله جل جلاله، فهو يرى في حلف الفضول الذي تعاهدت بموجبه بطون من قريش على التعاون على الخير والاصلاح ومكافحة المعتدين شيئا احب اليه من حمر النعم ، وهو عليه السلام يعتز بدوره في حرب الفجار ، تلك الحرب الدفاعية عن شرف البيت الحرام والاشهر الحرم ودفع البغي اعتزازا كبيرا .. لكن تلك النفس الرضية التي صنعها الله تعالى على عينه وطهرها بعذاب اليتم والفقر والمشقة فجعلها تنفر من حياة البغي والتنضج في أوساط الاغنياء القرشيين ناهيك عن تهتكهم وارجاسهم ، وتألم كذلك لآلام المقهورين من العبيد والفقراء الذين كانوا اكثرية الناس في مكة ، نقول انها اي نفس محمد عليه الصلاة والسلام فرت من ساحات السوء تنشد فوق اعلى قمة فيما جاور مكة من الأرض تأملا في الكون ، وبحثا عن الحقيقة ، ونسكا وهجرة من الظلم والرجس ، فلما ان انضجها الصبر وطول الوحدة والمعاناة تنزلت عليها رحمة الله متمثلة في زيارة جبريل عليه السلام وعاد محمد الى خديجة ليسر لها بالنبأ العظيم ..

إن في زواج محمد عليه الصلاة والسلام من خديجة رضي الله عنها ، وشكل الحياة التي عاشاها من بدء الامر بينهما الى نهايته ما يحمل دلائل يقينية على الاعداد الرباني في لطف خفي وتدبير محكم لاضطلاع محمد ابن عبدالله برسالته العظمى . كان محمد عند ذلك الزواج شابا لا يوازي وفرة الحسن في اخلاقه الا ضائقة ذات يده ، وكانت خديجة تمثل أروع صنف مكرم من الارستقراطية النسوية في الزمان المنحدر . كانت انسانة نافرة من اهل الغي من كبار قريش الذين كبرت امكاناتهم المادية بقدر ما سقطت اخلاقهم ، وكانت هي انسانة سامية بدليل حسن صلتها بقريبها العابد على دين ابراهيم واسماعيل ، ورقة بن نوفل ، وكانت تتمنى رجلا شريف الاصل ناجيا مما اصاب الاشراف من لوثات الخلق

واخلاق الغدر والاستكبار فجاء تقرير ميسرة عن رحلة الشام ومسلك محمد فيها عليه الصلاة والسلام مطابقا لما تمنته العمر كله ولم تعثر له على مثال .. ولم يكن في الامر سوى ان محمدا عليه الصلاة والسلام كان فقيرا ، وتلك آخر مشكلة تخطر لها . بما آتاها الله من اسباب الغنى .. وكان محمد المستقبل احوج الناس الى مال تأتي به عناية الله تعالى ليرفعه ، كما ينبغي للرسل من أمثاله ، عن ادنى حاجة للناس فينجو بكرامته وبشرف رسالته ..

لقد اصبح الفتى الامين العاقل الصامت العف رجلا متزوجا وابا حنونا يجد عند ابنة خويلد فرص الزمان الاول الضائعة : حنان الوالدين اللذين ارتحلا مبكرين جدا ، والمال الذي يسد الفاقة ، ويعين على التحنث والعزلة . لم تبق عقدة في حياته الا حلت ، فبقي شلال الارادة السليمة النظيفة في نفسه يتدفق في جو طاهر ، فلما جاء جبريل عليه السلام اليه برسالة ربه ، وقع الامر في موقعه الصحيح من نفس جاهزة لحمل رسالة التوحيد والدفاع عن شرف الحياة المثلوم بقباحات الظالمين وأنين المساكين ، وظل محمد عليه السلام حبيب الضعاف والمساكين يتمنى دوم العيش معهم والممات بين ظهرانيهم والحشر في محشرهم يوم القيامة ..

لم يستطع النصر ان يفعل في النفس المعدة بعناية الله الا نظير ما صنعه الفقر : في الحالين اعطي محمد عليه الصلاة والسلام الجانب الوضيء من الفقر والغنى : الصمت والتفكر والتواضع والحديث الموجز الفاصل ، والشجاعة الفذة المهتدية ، والايجابية مع الحكمة ، والانطباق التام للعمل على العقيدة والصدق مع اللطف .. فكأنما لكل خصلة من خصال الخير فيه خصلة مقارنة تكف من غلوائها وتحفظها بالاعتدال في النقطة الوسطى المثلى بين طرفين غير محمودين ..

وشيء آخر هام جدا هو عفة محمد صلى الله عليه وسلم حيال كل ما يندرج مع الغرائز فهو مقل في الطعام ، مقل في الكلام ، لا يترخص ابدا في حديث عن الاهواء او الشهوات ، ولا يتكلم في امر من الحياة سفلي الا اذا تعلق الامر بتشريع واجب ، وابانة لازمة لطريق الخير والحسنى وهو عازف عن العنف بالناس او ادنى مساس بمشاعرهم ، اذا سلم فصافح لم يكن اول من ينزع يده ، وإذا استمع لمحدث لم يتأفف ولم يشح بوجهه حتى ينهي المتكلم كلامه ، واذا دعاه داع مستفز مثير للحرب الدفاعية لم ينطق بكلمة واحدة فاحشة او منتفجة .. وهل كان في تاريخ القادة موقف يستفز الغضب نظير ما فعلته قريش بتأييد احلافها من بني بكر للهجوم على احلاف المسلمين بني (خزاعة) بمكة ، وحبر صلح الحديبية لم يكد يجف ، وكان ذلك ابشع امتداد لغي قريش في نقضها لصلح الحديبية فما زاد محمد عليه الصلاة والسلام على ان قال « نصرت يا عمرو بن سالم » وكان ذلك هو الصفحة الاولى في كتاب النصر

العظيم بمكة .. ولم تكن الصفحة الثانية الا يقين المسلمين بأن توجه الجيش الاسلامي كان حتما الى مكة لانه عليه الصلاة والسلام لم يفض لاحد بكلمة منذ الكلمات الخمس التي قالها للخزاعي وهو يكتم غيظه نصرت يا عمرو بن سالم .

منذ فتح مكة والامور تسير بالمصطفى عليه الصلاة والسلام في حشد من المخاطر والانتصارات فبعد اسبوعين فقط من فتح مكة وجد الجيش الاسلامي المكون من اثني عشر الف مقاتل نفسه محصورا بآخرة من الليل في واد سحيق شديد الوعورة والكمائن المعدة له من هوازن وثقيف وجشم وغيرها من القبائل التي شكلت آخر وأعنف رد فعل جاهلي على النصر الاسلامي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وثبت الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم نظير ثباته في احد يستبقي الحياة بين انياب الموت بشجاعة خارقة جبارة الى ان وضح النهار وبانت الامور وعاد المسلمون للوقوف الى جانب الرسول عليه الصلاة والسلام وتحققت آية النصر وسقط للمسلمين ألوف مؤلفة من الاسرى والانعام والمواشي والسبي فقد كانت تلك القبائل قد جاءت بكل وجودها لتجازف به في قتال المسلمين فخسرت بفضل الله كل شيء .. وعلى الحدود الشمالية لدولة الاسلام الناشئة كان المحرضون من نازحي الاسرائليين من يثرب وغيرها قد افلحوا في ايغار صدور الأروام ضد الاسلام فبدأ هؤلاء سلسلة من التعديات الوقحة على المسلمين فضلا عن قيام بعض القبائل البدوية باعمال غادرة غير مبررة ضد الحركة الاسلامية على طريق التجارة الحيوية الى الشام .الامر الذي جعل الرسول عليه الصلاة والسلام يقرر القيام بغزوة تبوك في احوال شديدة العسر والقيظ ، وقد اثبت فيها حسن توكله على الله جل جلاله كأنما يسمعه عز شأنه ويراه .. وما انقضى عام الوفود الا وبوادر بعض الفتن الاجرامية تطل بوجوهها المنكرة كفتنة الكذاب مسيلمة في ساحل الخليج والاسود العنسي في اليمن ولكن موقف الرسول يبدو في احلى بهائه حيال اولئك الصغار معززا وصف الله الحق له بانه على خلق عظيم ..

وكأنما الارادة التي أحيت محمدا عليه الصلاة والسلام للانصهار في مبدأ الاسلام وتعزيز نوره وابلاغ رسالته لم تكن تريد له شيئا من حياة يكون فيها وجوده لهدف غير رسالته وسر خلقه العظيم فسارعت به الى الختام المنطقي بالحج الاكبر ، والبلاغ الاخير في خطاب حجة الوداع والبيان الالهي الاخير باستكمال الدين وتمام رسالته .. فلم يبق الا مرض الوفاة واللحاق بالرفيق الاعلى .

ان سر عظمة محمد عليه الصلاة والسلام كامن في انه عاش حياة كانت كلها تسخيرا للرسالة التي حملها فاحسن حملها ، واجاد في تبليغها وأدائها ، فكانت حياته هي حياة القدوة لكل المقتدين ، والكيان الذي أقامه هو قدوة كل كيان ينشد به المسلمون رضوان الله العزيز الحكيم .

هل نرحم أنفسنا

للأستاذ/محمد الدسوقي محمد

أنعم الله سبحانه وتعالى على البشرية فأرسل لها الهادي البشير محمدا صلى الله عليه وسلم ليأخذ بأيدي الناس الى الحق والفضيلة والخير والنجاة سيرا على الطريق المستقيم الذي حددته آيات الكتاب الكريم المنزل من عند رب العالمين ... قال تعالى : (**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين**) النحل/ ٨٩ ... وقال عز وجل : (**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم**) الأعراف/ ١٥٧ .

وقد تولى رب العزة سبحانه وتعالى تربية رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وتأديبه فخرج على أطيب ما يكون من الخلق الحميد والسمات الطيبة ...

كان نعم القائد المعلم ، والأب الراعي الحنون ... وكان صلى الله عليه وسلم دائم الاصغاء لأنات الضعفاء والفقراء ، مجتهدا ما وسعه الجهد للقضاء

على مشكلاتهم ، وإزالة أسباب آلامهم ، غير ضان في سبيل ذلك بشيء من وقت أو جهد أو عمل أو مال ... وصدق الله تعالى اذ يقول مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم : **(وإنك لعلى خلق عظيم)** القلم/ ٤ .

والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتد طويلا طويلا ، ويتشعب في أكثر من اتجاه ... ذلك أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة للبشرية في كل شيء والنموذج الأمثل للمرء المسلم .

تفرد دون غيره من البشر أجمعين بخصائص جمة .. قال تعالى : **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر)** الأحزاب/ ٢١ .

وقد أكد القرآن الكريم في أكثر من موضع أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما بعث برسالة الاسلام رحمة ورأفة بالعالمين .. قال تعالى : **(وما أرسلناك**

إلا رحمة للعالمين) الأنبياء/ ١٠٧ .. فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام بحق مثالا متفردا للرحمة الفياضة الشاملة والسابغة على كل المحيطين به على اختلاف اعمارهم .

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوبل بأنواع شتى من الايذاء والظلم والاضطهاد على أيدي قومه حين ذهب إليهم داعيا إياهم للاسلام لله الواحد

القهار ونبذ عبادة الأصنام .. فقالوا : ساحر ، وقالوا : مجنون ... وكانوا في كل ما يقولون يدركون كذبهم وخداعهم ويثقون في أنه صلى الله عليه وسلم

إنما هو العاقل والصادق الأمين المبرأ من كل ما وصموه به ظلما وبهتانا لكنه

الحقد الذي اشتعلت به صدورهم ... وفي مواجهة كل هذا كانت رحمة

الرسول صلى الله عليه وسلم بقومه رغم قسوتهم عليه ، وظلمهم له .. قال

تعالى : **(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)** آل عمران/ ١٥٩ .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم عاش مواقف قاسية ، ولاقى معاملات عدوانية من المشركين أقل ما توصف به أنها غير انسانية بالمرة .. وعلى الرغم

من هذا كان صلى الله عليه وسلم يحتمل الأذى ، ويصبر على المكاره ، ويعف عن مقابلة تلك الأعمال بمثلها ... فكان يدعو لأعدائه بقوله : « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » .

الهداية الربانية

جاء الأمين جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم اشتد فيه بلاء قومه به ، ومعه ملك الجبال ، فنادى ملك الجبال الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسلم عليه ، ثم قال : يا محمد إن الله تعالى قد سمع قول قومك ، وأنا ملك الجبال وقد بعثني اليك لتأمرني بأمرك .. فما شئت ؟ إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين ـ جبلين ـ فقال صلى الله عليه وسلم : « بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا » أخرجه الشيخان .

ولا يخفى على أحد أن مشركي قريش لم يقفوا في اساءاتهم للرسول صلى الله عليه وسلم عند حد القول، بل كاشفوه العداء الى حد التخطيط لقتله ، مما اضطره للخروج مهاجرا الى المدينة المنورة ، فلما عاد الى مكة فاتحا دعا أهلها قائلا : « يا معشر قريش .. ما ترون أني فاعل بكم ؟ » قالوا : خيرا . أخ كريم وابن أخ كريم .

وهنا تتجلى رحمته صلى الله عليه وسلم الفياضة ، فيقول لمن ظاهروا على قتله وكالوا له العذاب ألوانا : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

هذا بعض من رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم التي شملت أعداءه فضلا عن أصحابه وتابعيه ... وهو ما يؤكد حقيقة ان الرسول الكريم لم يكن ذا نظرة ضيقة للأمور وإنما كان صاحب بصيرة نفاذة ، ونظرة ثاقبة وعميقة لحقائق الأمور ... ذلك أنه كان يتجاوز المواقف اليومية البشعة التي كانت تتم على أيدي أعدائه تنكيلا به انتظارا للغد المشرق الذي تعم فيه الهداية الربانية مختلف أرجاء الأرض .

ولقد كان الصواب ـ كل الصواب ـ في جانب رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم للأمور وهو المؤيد من ربه ، فكان عفوه عن معذبيه والمسيئين اليه عند

فتح مكة سببا في دخول أفواج عديدة من القرشيين وغيرهم في دين الله .. قال تعالى : (**إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا**) سورة النصر .

رحمة الرسالة

ولم يقف أمر الرحمة المحمدية عند صفات الرسول صلى الله عليه وسلم الخاصة ، بل امتد ليظهر جليا في أحكام ومبادىء وتعاليم وقيم الرسالة الخاتمة التي بعث بها الى الناس هاديا ومبشرا ونذيرا .. ذلك أن الدين

الخاتم لم يطلب من الأعمال والتكاليف إلا ما يسهل على الناس فعله ، فلم يشق عليهم بتكاليف فوق طاقتهم ، ولم يحظر عليهم إتيان أعمال فيها

مصالح لهم ، وإنما حظر عليهم كل عمل فيه إضرار بمصلحة الفرد ، أو مصلحة الجماعة ، أو مصلحة المجتمع .. قال تعالى : (**لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ...) البقرة/ ٢٨٦ . وقال عز

من قائل : (**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**) البقرة/ ١٨٥ .

وقد خطب المصطفى صلى الله عليه وسلم الناس يوما مؤكدا سماحة الاسلام ويسر أحكامه وتعاليمه : « إن الله قد اعطى كل ذي حق حقه ، ألا إن

الله قد فرض فرائض ، وسن سننا ، وحد حدودا ، وأحل حلالا ، وحرم حراما ، وشرع الدين فجعله سهلا سمحا واسعا ولم يجعله ضيقا » رواه الطبراني .

ورسالة الاسلام رحيمة بالمسلمين .. يتجلى هذا في كل تعاليمها وأحكامها ومبادئها .. فقد ساوت بين البشر أجمعين ، فلا فرق بين غنيهم وفقيرهم أو قويهم وضعيفهم . لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والايمان والعمل

الصالح ... وقد رسم الاسلام الحنيف الطريق لاحلال الود والرحمة والتسامح محل العداوة والبغضاء بين الناس تحقيقا لأمن المجتمع وسعادة اهله .. قال تعالى : (**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**) فصلت/ ٣٤ ..

وقد حث الاسلام الحنيف على الصلح بين المتخاصمين تحصيلا لرحمة الله تعالى بعباده .. قال تعالى : (**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**) الحجرات/ ١٠ .

وأكد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهمية ترابط المؤمنين واتفاقهم وتوحدهم ، فجعلهم كالجسد الواحد ..وقال صلى الله عليه وسلم : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه مسلم .

• • •

هذه بعض ملامح رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورحمة الدين الحنيف بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .. غير أن السؤال الذي يطرح في هذا المجال ـ خاصة ونحن نعيش ذكرى ميلاد صاحب الرسالة الخاتمة ـ هو : أين رحمة المسلمين بأنفسهم ؟!!

هل استوعب المسلمون المعاصرون حقيقة دينهم ، وجوهر رسالتهم السمحة أم ان بعضا ـ غير قليل ـ منهم أدار ظهره لكل هذا أمام مغريات المذاهب المستوردة ؟!!

وهل من طريق يحقق السير عليه رحمة المسلمين بأنفسهم ؟!!

الواقع يؤكد أن أغلبية من المسلمين المعاصرين غير رحيمة بنفسها ... ودليلنا على ذلك ما هو منظور من حال الأمة الاسلامية في الحاضر ، فها هي الفرقة قد دبت بين أبنائها في أكثر من قطر ، وها هي القطيعة والتمزق يجري كل منهما في أوصالها تدفعه أيدي أعداء الاسلام في الشرق والغرب ... وهل هناك ما هو أفظع من اهدار الدم الاسلامي بيد مسلمة دونما قدرة على ايقاف

النزيف المستمر ، ودون أن يكون هناك أدنى كسب يذكر أو يعود على الاسلام واهله من المسلمين ؟!!
أين هي اذن ـ رحمة المسلمين بأنفسهم ؟!!

وعلى أرض أخرى اسلامية في أفغانستان يتعرض اخوة لنا في دين الله عز وجل لغزو شيوعي أحمر لا يعرف للانسانية أدنى قيمة ، اذ راح يهلك الحرث والنسل ، ويخرب ويدمر ، ويقتل ويعتقل أبناء المسلمين لا لذنب جنوه الا لأنهم ارتضوا الله ربا ، والاسلام دينا ، ومحمدا صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

سبع سنوات من القهر والظلم والاحتلال ... سبع سنوات من الجهاد والتضحية والفداء من قلة مسلمة .. والأغلبية العظمى من المسلمين في العالم منصرفة عن هذا كله .
فأين هي اذن رحمة المسلمين بأنفسهم ؟!!

وهناك .. على أرض فلسطين المحتلة .. اخوة لنا يذوقون ـ ليل نهار ـ أنواعا مختلفة من مرارة الظلم والطغيان والهوان على يد الكيان الصهيوني الغاشم .. ولا ننكر أن بطولات المسلمين وشجاعتهم تجعلهم يستعذبون

ممارسات أعدائهم الوضيعة في سبيل حماية المقدسات الاسلامية ، غير ان فقدان المسلمين للترابط والتعاون والتكافل فيما بينهم يجعل مسلمي الأرض المحتلة بفلسطين فريسة سهلة لأعدائهم .
والسؤال : أين هي رحمة المسلمين بأنفسهم ؟!!

الأمثلة كثيرة .. والآلام والأحزان أكثر ... واذا كان الجميع ـ عدا المنكرين والمكابرين ـ يقرون ويعترفون بحقيقة وجود الرحمة الاسلامية ، فالذي ينقصنا ـ نحن المسلمين ـ أن نعمل لنرحم أنفسنا بأنفسنا .

ففي خارج أرض الاسلام تذوق الأقليات الاسلامية أبشع أنواع التعذيب والتنكيل بها .. والسبب في كل المرات واحد .. السبب أنها مسلمة ! ...

والأغلبية من المسلمين منصرفة عن هذا كله حتى لا يكون اعتراضها على تلك الأعمال العدوانية وطلبها حماية الأقليات المسلمة تدخلا في شؤون الدول غير الاسلامية .. « هكذا » !!! فأين هي إذن رحمة المسلمين بأنفسهم ؟!!

ان رحمة المسلمين بأنفسهم لن تكون حقيقة ملموسة ، وواقعا ينعمون به الا في ظلال الدين الحنيف .. فالمسلمون مدعوون في كل لحظة لنفض أيديهم

من الأفكار المستوردة والمبادىء الدخيلة .. والمسلمون مدعوون ـ ايضا ـ للدخول في رحمة الرسالة الاسلامية السمحة والاذعان لتعاليم الدين الحنيف

والخضوع لأحكامه ... ففي خضوع المسلمين بحق للاسلام خضوع غيرهم لسلطانهم .. فهل نحن فاعلون ؟

وقفة تأمّل

القُدوَة... وَالعمَل

● جرت عادة الناس قديما وحديثا أن تحتفل في أوقات معينة بمناسبات وأحداث وقعت فيها .. وكان لها تأثير في مسار حياتها .. فهذا يوم وطني تقام فيه الاحتفالات وتذكر البطولات والأمجاد .. وهذا يوم الاستقلال .. وخلوص الارادة للشعوب التي كانت محتلة من الأجنبي .. وذاك يوم تحتفل فيه الأمة بميلاد زعيم من زعمائها .. كان له الفضل في نهوضها وعزتها .. وقيادة سفينتها الى بر الأمان .

● وهكذا .. إذا جاز أن نتدارس سير الأبطال والعظماء .. والقادة .. والفاتحين .. وأن نجعل لذلك مناسبات نشيد فيها بأمجادهم ... ونحيي فيها ذكراهم .. فإن من الواجب علينا تجاه أشرف المرسلين ... محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي أرسله ربه رحمة للعالمين .. وهاديا للناس أجمعين ..

وداعيا الى الله بإذنه وسراجا منيرا .. من الواجب علينا ، ومن حق محمد رسول الله علينا أن نتدارس سيرته وأن نتأسى به ، وأن نحاول ما وسعنا الجهد أن نكون على طريقته ، إن الاحتفال الحقيقي بميلاد الرسول الأعظم .. لا يكون بمجرد خطب رنانة ، وكلمات مسجوعة ، وأشعار بليغة ، ثم ينفض السامر ..

● بل إن الاحتفال الذي نراه مناسبا ، بل واجبا .. هو أن نجعل من رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوتنا ، وأن نحيي سيرته فينا سلوكا حياتيا ..

وواقعا معاشا .. لا مجرد تعاليم غائبة في بطون الكتب ، وكما كان خلق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن .. فينبغي أن يكون القرآن الكريم هو دستورنا ولا دستور سواه ... وأن يكون الحكم فيما بيننا .. لا أن يكون مجرد آيات نقرؤها بقصد البركة ، أو نترحم بها على موتانا .

● إننا ندعو كل مسلم أن يحاول الأخذ بخلق من أخلاقيات الاسلام ، وبسلوك من سلوكيات الاسلام ، فهل حاولت ـ أخي ـ أن تنصف مظلوما من ظالمه ؟ وهل ساهمت في انشاء دار تأوي اليتامى والعجزة ؟ وهل ناصرت إخوة لك مجاهدين في فلسطين وأفغانستان .. ورسولنا يقول : « من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا » ؟

● إن تدارسنا لسيرة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينبغي أن يتمثل في أمة تحيي أمجاد السابقين ، فيكون فيها أمثال الصديق والفاروق ، وذي النورين ، ورجل أحبه الله ورسوله ، وأمين الأمة ، ومن شهادته تعدل شهادة رجلين ، وسيف الله المسلول . إن هذه صفات غرسها الاسلام في نفوس رجال فاشتهروا بها . فهل فينا ـ اليوم ـ من يحاول أن يبلغ هذه القمم الشوامخ ؟

● إننا ندعو إلى أن نخرج من مناسباتنا الدينية ، وقد حققنا الخير في ذواتنا ، ثم ندعو الغير إليه ، وأن نصبر على الواجبات ونواصل العطاء كما نصبر على المكاره واحتمالها ، والحق لا يقوم بنفسه والدين لا ينتشر بذاته بل لا بد له من رجال يدعون الناس إليه بأفعالهم قبل أقوالهم ، وبالقدوة الحسنة نحقق ما نصبو اليه ، فقد كانت حياة الصحابة رضوان الله عليهم في ذاتها دعوة إلى الله .. فهل نحن فاعلون .. ؟ أو سنبقى كما نحن نكثر الكلام ، ونقل العمل ، ونهلك أنفسنا بأيدينا .. ونبدد طاقتنا ، والعدو جاثم على صدورنا ؟

إن الله سبحانه سائل كل راع عما استرعاه حفظه أم ضيعه ، وويل لأولئك الذين يعيثون في الأرض فسادا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون .

فهمي الإمام

السلم ومسئوليتنا تجاهه

للدكتور / بهاء الدين محمود عبدالحميد

الحرب سنة من سنن الحياة : -

ان الحرب سنة من سنن المجتمع البشري ، ومظهر لتنازع البقاء بين الأمم وتعارض مصالحها وأهوائها ولا سيما أهواء ساستها ورؤساء أديانها ، ولذا لم يخل عصر من العصور من ويلاتها ومصائبها ،

فقديما كانت الأمم تتقاتل بدافع التعصب الديني او القبلي ، او التنازع على مصادر الكلأ والغذاء، وكانت كل أمة تحاول أن تفرض سيادتها أو ديانتها ومذهبها على غيرها من الأمم بقوة السلاح ، كما حدث في عهد الحروب الصليبية حين تحالفت أمم الغرب على قتال المسلمين واندفعت جيوشهم تجتاح الممالك الاسلامية وارتكبت من الفظائع ما يجل المقام عن ذكره ووصفه .

ولسنا بحاجة الآن إلى سرد الكثير من الوقائع والأحداث للبرهنة على ذلك ، وإنما سنتعرض لكلمة السلم من وجهة النظر الاسلامية والعربية ونحاول الوصول إلى الوسيلة التي يتخلص بها العالم البشري من طغيان الحروب وويلاتها .

دعوة الاسلام الى السلم : -

لقد سعى الاسلام منذ أن بدأت جذوره تمتد في تربة التاريخ إلى تأسيس علاقات المسلمين بغيرهم على المسالمة والأمان ، كما حرص الاسلام على السلم أشد الحرص يقول الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** » البقرة / ٢٠٨ .

كما أمر الاسلام بمعاملة مخالفيه بالحسنى ومبادلتهم المنافع ، ولم يجز قتل النفس لمجرد أنها تدين بغير الاسلام . وفي هذا يقول الله تعالى : -

(**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**) الممتحنة ٨ .

كما أمر الاسلام المسلمين بأن يميلوا إلى السلم والمصالحة إن وجدوا من الأعداء ميلا حقنا للدماء وحفاظا للجنس البشري وتجنبا لويلات الحروب ، يقول الله تعالى : « **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها** » الانفال ٦١ .

الله سبحانه وتعالى يأمر المسلمين بالقتال :

لقد مكث النبي صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة يبشر بالدعوة من غير قتال ، ولذا فقد عانى الكثيرون من الصحابة الأجلاء من الظلم والأذى الذي تفنن المشركون في ايقاعه بهم ، وكان هؤلاء الصحابة يطلبون من الرسول الكريم السماح لهم برد العدوان بمثله فكان صلى الله عليه وسلم وهو الرحمة المهداة للبشرية يقول لهم : (اصبروا ، إني لم أومر بالقتال) ؟؟ وكلنا يعلم قصة آل ياسر . وما عانته تلك الأسرة من ظلم وأذى على أيدي كفار قريش .

وكان الرسول الكريم إذا مر بهم ورأى ماهم فيه من نصب وتعب يبشرهم بالجنة وبرضاء الله عنهم بقوله : « بشراكم آل ياسر إن موعدكم الجنة » ؟؟

ثم كان الأمر للمسلمين بالقتال أمرا صريحا في قوله تعالى : -

(**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز** » . الحج : ٣٩ و ٤٠ .

ولو أمعنا النظر في تلك الآيات القرآنية التي أمر الله المسلمين فيها بقتال المشركين لوجدنا أنه كان أمرا لرد الاعتداء الواقع على المسلمين في المقام الأول ، وليس أمرا للتنازع والاعتداء على غيرهم وبسط السيطرة

دون سبب او مبرر ، وفي هذا المعنى كذلك نرى الحق سبحانه وتعالى يقول في آية اخرى : « **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** » البقرة ١٩٠ .

مشكلة الحرب في العالم المعاصر والبديل الاسلامي للقضاء عليها :

وحين سئل الفيلسوف الفرنسي المسلم (رجاء جارودي) عن نظرته إلى مشكلات العالم المعاصر وعن أنسب الحلول الكفيلة بإنقاذ هذا العالم من الأخطار المحيطة به ، أجاب بقوله : (إن جنون التسليح الحادث الآن بالعالم الغربي يعد من أخطر مشكلات العالم المعاصر ، فقد أنفق هذا العالم نحو سبعمائة مليار من الدولارات على هذا الجنون في عام ١٩٨٤م ، هذا فضلا عن امتلاك دول هذا السباق لأكثر من مليون قنبلة ذرية كتلك التي ألقيت على هيروشيما خلال الحرب العالمية الثانية ، وهذا يعتبر في حد ذاته كارثة حقيقية ، إذ تستطيع هذه الأسلحة التدميرية أن تبيد سبعين مليار شخص أي ما يعادل عشرة أضعاف سكان هذا العالم الذي نعيش فيه) .

ثم يعلق رجاء جارودي على تلك الحقائق بقوله : « إن هذه الحقائق تكفي دليلا على أنه خلال أربعة قرون من الهيمنة الغربية وصل العالم الى هذه الحالة من الانهيار الشديد ، ثم يمسك الفيلسوف المسلم (جارودي) بخيط المشكلة معلنا أن الحل في رأيه هو تطبيق مبادىء الاسلام وتعاليمه التي تضمن تحقيق السعادة والخير وتوفير الطمأنينة لبنى الانسان .

توازن في الرعب والهلع :

وعن مفهوم الغرب للسلم يقول (رجاء جارودي) إن السلم في نظر الغربيين هو التوازن في الرعب والهلع ، على حين ينظر الاسلام الى السلم على أنه مزاج من العلم والحكمة والايمان ، إنه سلم حقيقي يبعدنا عن الانتحار الجماعي الذي يسير العالم إليه الآن ، ويقصد جارودي بهذا الانتحار الجماعي ذلك السباق المجنون في التسلح الحادث بين القوتين العظميين في هذا العصر ،

والآثار التي سوف تترتب على ذلك إن أخطأ أحدهما في اتخاذ القرار الصحيح في الوقت المناسب .

خلفاء المسلمين يتبعون نهج الرسول الكريم في الحفاظ على السلم :

يروي التاريخ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عين أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا ثم قال : « أغزوا اسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا) رواه مسلم وقد أوصى أبوبكر ـ أول خليفة للمسلمين ـ قائده أسامة بقوله :

(لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله) .

وقد اتبع المسلمون في جميع العصور فلسفة الاسلام فلم يلجأوا للسيف إلا مضطرين ، وقد روى التاريخ أن القائد المسلم العظيم (صلاح الدين الأيوبي) قد حارب الصليبيين حربا لا هوادة فيها جزاء عدوانهم على الأرض الاسلامية ولما هدأت رحى الحرب راح الفرنجة الذين سقطت بلادهم يطرقون ابواب المدن التي لا تزال في ايدي إخوانهم الصليبيين ، لكن أغلقت أبوابها دونهم ، ولما علم القائد (صلاح الدين) بذلك فتح لهم بلاده ، على أن يعيشوا فيها في ظل الاسلام ، وتمتعوا بذلك بالحقوق التي كفلها الاسلام للمسلمين وغير المسلمين .

وهكذا نرى أن الاسلام أباح الحرب ولكنه أحاطها بسياج من الرحمة لم تبلغها مدنية القرن العشرين ، ولا إلى ما يقرب منها ، وقد سن الاسلام كذلك أحكاما وأوجب مراعاتها لتخفيف ويلات القتال ، ولذا نجد أن الله سبحانه وتعالى قد منَّ على الكثير من البلاد التي فتحها المسلمون الأول بالدخول إلى دين الله أفواجا لما رأوه في هذا الدين من تسامح وسلم وعدل .

إنقاذ العالم يكمن في الدولة الاسلامية :

ونصل في نهاية مقالنا هذا إلى سؤال هام وهو : كيف يمكننا إنقاذ العالم من هذا السباق المجنون في التسلح الذي يسير به إلى دمار محقق ؟ وكيف يمكننا تحقيق السلم في هذا العالم ، وهنا نرى أن الفيلسوف المسلم (جارودي) يعلن حقيقة هامة وهي ان تحقيق السلم الدولي إنما يكمن في الدولة الاسلامية التي يتسابق العالم الغربي لتحطيمها على الرغم من أنها الملاذ الوحيد والحل الوحيد لمشكلات هذا العالم المعاصر ، وبهذا أدرك الغرب أن الخلاص لن يكون إلا بالاسلام ، فهل أعددنا أنفسنا ـ نحن المسلمين ـ للقيام بهذا الدور ، حتى لا يظل موتورو هذا العالم يتحكمون في شرقه وفي غربه بعد ان أضعنا دورنا الريادي في هذا العالم بصمتنا الذي طال مداه ؟

دور الشباب المسلم في التحدي المعاصر

للاستاذ / ابراهيم عيسى

الشباب هو سن الطموحات الكبيرة والآمال العريضة وبالتالي فهو سن البذل والفداء والهمم المتوثبة ، من هنا كان سن الشباب في منطق الاسلام ذا مسؤولية وقيمة خاصة،حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إشعار الشباب بها في قوله : « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك ، وفراغك قبل شغلك » . رواه البخاري ومسلم .

والشباب دائما هو القطاع المعتمد لدي كل الاتجاهات ذات الاستراتيجية التطويرية ، ولا يعني الاعتماد على الشباب في منطق الاسلام إغفال دور غيرهم واغماطهم حقهم أو الاقلال من شأنهم كما كان حال الشيوعية حين طالب أحد زعمائها بعد الثورة بإبادة جميع المسنين حتى لا يكونوا عالة على الدولة .

ونقصد بالشباب هنا الذي ينتمي انتماء مطلقا إلى الاسلام حيث ان الشباب بالاسلام شيء وبغير الاسلام لا شيء وإلا لما رأينا المجتمعات البشرية اليوم ممتلئة بشباب فارغ تائه انعدمت شخصيته فهو يقلد كالقردة ، شباب انعدمت اخلاقه فهو إلى الأنعام أقرب ، وشباب غاضت رجولته فهو إلى التخنث أميل ، وشباب جندته قوى الشر والطغيان واحتوته فأصبح ضرره يفوق أضعاف نفعه .

ولعل الوضع الذي عليه أمتنا الاسلامية اليوم لا يرضاه أحد يحب لها الخير ، ومن هنا فإن الأنظار كلها متجهة نحو مهمة الشباب في لَيِّ عنق التاريخ ومواجهة تحديات العصر لوقف الموجات المادية والزحوف الالحادية التي تتهدد الوجود الاسلامي بالزوال والفناء .
وايضا للنهوض بالأمة الاسلامية وعودتها الى مو قع الريادة .

دور الشباب المسلم

إن الدور للشباب المسلم الآن فعليه أن يشمر عن سواعده ويعرف مهمته في هذه الحياة ليعيد للمسلمين رفعتهم ويبني لهم دولتهم ويرفع لهم رايتهم . أجل إنه دور الشباب المسلم ليعقد النية ويحزم الأمر ويؤكد العزم على عزة المسلمين ورفع راية القرآن وعبادة الله تعالى وحده.

ففي مجال النهوض بالواقع الاسلامي يكون دور الشباب هو :

● الأخذ بأسباب العلم والمعرفة والصناعة والتجارة كي يدفعوا عن أمتهم الجهل والفقر والمرض والخمول .

● ان يعود المغترب منهم إلى أرض الاسلام ليقدم علمه وعمله وخبرته لا أن يقدم زوجة اجنبية واولادا مخلّطين .

● العناية بالمزارع وابن القرية والفلاح والعامل يزودونهم بالعلم والمعرفة ، وينتشلونهم من الجهل والفقر والمرض ويمكنونهم من ان يعيشوا عيشة كريمة طيبة . ويرفعون من مستوى معيشتهم ويحسنون من مدى تفكيرهم ومنطقهم ويصلونهم بالمعرفة والثقافة والحضارة الخيرة ويعدونهم ليكونوا لبنة صالحة في بناء المجتمع .

● تعليم الناس الاستفادة من ثروات البلاد المختلفة وتوجيهها الوجهة الاقتصادية العلمية الصناعية الخيرة ليستغلوا جميع ماوهبهم الله من نعم وما آفاء عليهم من فضل استغلالا حكيما ومدروسا .

● الدخول في السباق العلمي والتكنولوجي الذي يعد السمة الأولى من سمات العصر حيث الامكانات المادية متوفرة ومقومات التكامل في الدول الاسلامية موجودة ولا يحتاج الامر سوى الاستيقاظ من السبات العميق .

● وفي مجال الذود عن أمتهم فدور الشباب هو :

● رعاية الناشئة من أخطار المذاهب الهدامة كالشيوعية والرأسمالية ومن فساد المبادىء الخطرة والأفكار الالحادية ومن أضاليل الدعوات المنحرفة كالعنصرية والقبلية .

● درء مخاطر التقاليد والعادات الغربية ، والتنبيه إلى مساوئها وأخطارها والتحذير من مفاسدها وأضرارها والتحصين ضد التغريب وفضح طرقه وأساليبه .

● فضح أساليب الاستعمار والتبشير التي استغل فيها المدارس والمستشفيات والجمعيات الخيرية والنوادي ، وكذلك كشف دور الاستشراق الخطر في تشويه تاريخ

الاسلام وسرقة تراث علماء المسلمين .

● إعداد العدة لاستعادة التراب السليب وتحرير الشعوب المستعبدة ولا يتأتي ذلك الا بالجهاد في سبيل الله قال تعالى : « **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين** » التوبة آية ٢٤ .

وأما في مجال الحفاظ على دين الله الحق فدور الشباب هو :

● عبادة الله والسلوك الفاضل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

● العمل على إقامة حكم الله في الارض خالصا نقيا كما جاء في قرآنه وسنة رسوله .

● التوعية والنصيحة والارشاد ومعالجة الأمور الحياتية معالجة إسلامية مستنيرة .

● السعي لتوحيد صفوف المسلمين وأفكارهم وأهدافهم .

وفي مجال نشر العلم والفضيلة يكون دور الشباب هو :

● الكتابة والتأليف والنشر ليبلغوا دعوة الله وينشروا الحق ويدفعوا الظلم ويفضحوا الكذب ويقضوا على الفساد .

● إقامة الندوات والمؤتمرات لمناقشة الامور وتدارس الأحوال والأخذ بالاسباب لجلب الخير للأمة ودفع الشر عنها .

● دراسة الواقع الحركي الاسلامي ، ودراسة الواقع الحركي الجاهلي في اوروبا وغيرها من الدول غير الاسلامية ودراسة البيئة والمجتمع ودراسة المنطلقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تمثل آمال الجماهير ودراسة العلوم التجريبية الاختبارية .

وجملة القول إنه يقع على عاتق الشباب مسؤولية النهوض بالأمة الاسلامية في كل جانب من جوانب الحياة بما يتفق مع كونها خير أمة .

واقع الشباب المسلم

والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه هنا هو : هل الشباب المسلم على استعداد الآن للقيام بالمهام المنوطة به والتي سبق ذكرها ؟!

والجواب بالنفي على الرغم من مرارته ، ولو قلنا غير ذلك فلن نخدع إلا أنفسنا فالاستعراض المستعجل لنفسية الشباب المسلم والعوامل التي تؤثر في تفكيرهم وسلوكهم تؤكد استنادا إلى مقاييس العلم والمنطق ان الشباب على م عليه غير قادرين على ادراك مسؤولياتهم والقيام بواجبهم في وجه التحديات التي فتكت بالوجود العربي والاسلامي ، فرغم الاخطار المحدقة والتحديات الموجودة في كل جانب من جوانب حياتهم فإنهم مازالوا غارقين في سبات عميق ومعظمهم لا يفكرون الا في لذاذاتهم ولا يتحركون إلا من خلال مصالحهم الشخصية ولا يعيشون إلا ليومهم وقد

أصبحوا مبتوتي الصلة بالماضي عاجزين عن التطلع إلى المستقبل قاصري التفكير مهزوزي الرؤية . اسرى نزواتهم برغم أن كل الظروف تفرض عليهم ان يتجاوزوا كل هذه المغريات وينصرفوا بكليتهم إلى ترميم وجودهم وعلاج عيوبهم .

إعداد الشباب المسلم

ونظرة فاحصة إلى حال الشباب المسلم وأوضاع المسلمين بشكل عام تؤكد ضرورة إعداد الشباب المسلم إعدادا يتكافأ مع مهمتهم المنشودة بل وتجعل القيام بذلك تكليفا شرعيا لا يجوز التهاون فيه . ولما كانت مهمة الشباب مهمة صعبة وشاقة فمن البديهي ان يكون اعدادهم متكافئا مع ضخامة العبء وثقل المسؤولية وخطورة المهمة التي سيضطلعون بها ومن هنا كان لابد من تحديد الأطر الرئيسية لهذا الاعداد :

١ ـ أن يكون اعدادا تاما : بمعنى أن يتناول جوانب الشخصية كلها الفكرية والنفسية والحركية ، فلا يكون إعدادا فكريا نظريا فحسب ، أو روحيا تربويا فقط ، أو حركيا سياسيا وحده وانما تكون العناية بجوانب الشخصية كلها لتكون شخصية إسلامية قادرة على الثبات والتحدي والاستمرار . قال صلى الله عليه وسلم « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » رواه الامام أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك .

٢ ـ أن يكون إعدادا متوازنا : بمعنى أن يكون الاهتمام بإعداد كل جانب من الجوانب بالقدر المطلوب من غير زيادة ولا نقصان ، ذلك لأن الاهتمام فوق المطلوب بأي جانب سيكون حتما على حساب الاهتمام بالجوانب الأخرى وسيؤدي هذا لا محالة إلى تشويه الشخصية واختلال توازنها .

٣ ـ أن يكون إعدادا ميدانيا : بمعنى ألا يقتصر على النظريات وإنما يعتمد على اسلوب ونهج تطبيقي في عملية التكوين وعلى توفير القدوة الحسنة المتحركة .

أي شخصية تتوافر فيها هذه الصفات هي التي يحتاجها الاسلام اليوم وعلى الشباب المسلم المعاصر ان يدرك ان مهمته شاقة وصعبة وطريقها مفروشة بالاشواك وعليه حمل المشاق ، والتعرض للصعاب ، ومواجهة الأخطار لتقوي عزيمته ويشتد عوده ويعظم صبره وتتصلب إرادته حتى لا يكون ممن عناهم الشاعر بقوله :

خطرات النسيم تجرح خديه
ولبس الحرير يدمي بنانه

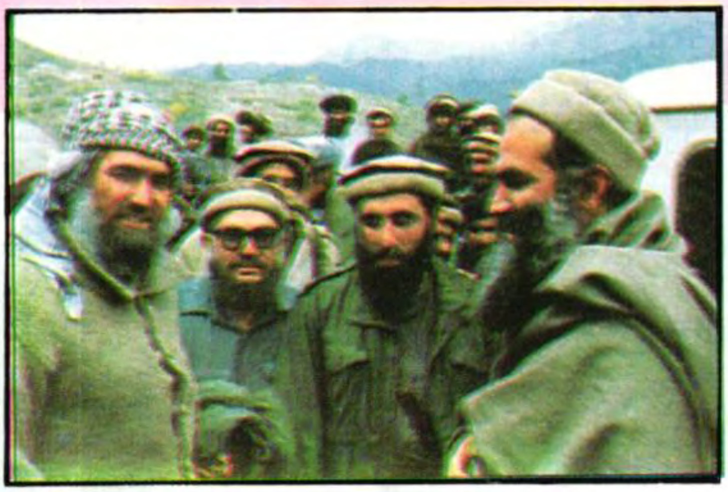
شعب لن يموت

للأستاذ / عبدالرحمن البجاوي

لن يخمد اللهب المؤجج في عيون الصامدين
فالأرض تعرف أهلها ، وتبيد كل الطامعين
السارقين النور من عين الصغار الحالمين
والسافكين دم الضحايا الأبرياء الطاهرين
والناهبين القوت من أيدي الجياع الكادحين
والناقمين على خيول الرابضين الثائرين
في عمق (أفغان) الأشم وفي قلاع الصابرين !!

***

مهلا ، فإنا لن نخر أمام إعصار السنين
فعقيدة الاسلام أصلب من حديد الغادرين
والله أكبر نبضها يحيى جموع الدارعين



والسنة العلياء، والقرآن زاد المؤمنين
يمضون ملء صدورهم رباه أنت لنا المعين !!
ودماؤهم شهب تقض مضاجع المستنسرين
إن مات ليث أنجب الآساد تزأر في العرين
من كل صنديد كسيف الله يضرب باليمين
أو مثل (حيدرة) يصول مدمدما في المشركين !!

***

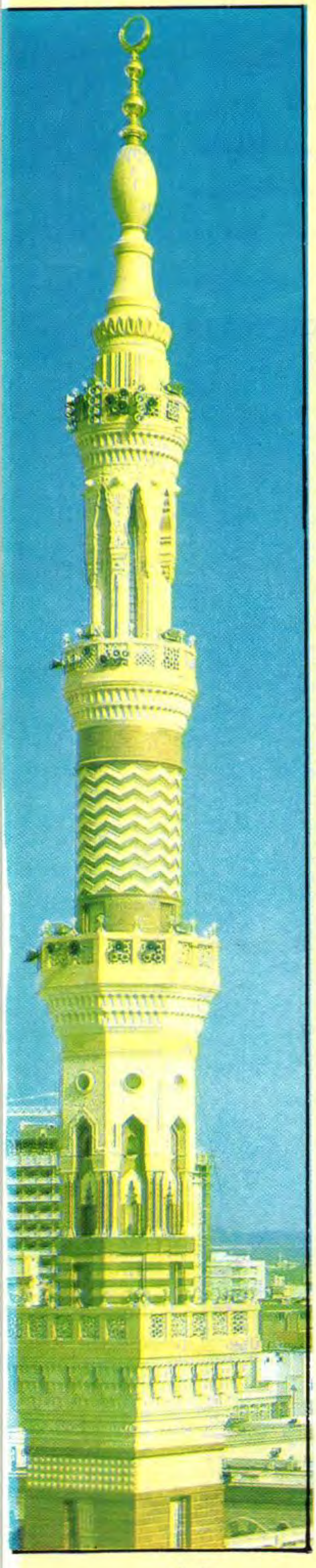
مرحى جنود الحق في مهد الأباة المخلصين
أبناء (حقاني، وسياف ، وياسر) الأمين
يروي الاثير جهادكم في (هندكوش) بلاطنين
و(بقندر هار وكابل) خضتم ملاحم صادقين
يستعذبون الموت إعلاء لنصر المسلمين
حتى تظل الراية الكبرى ترفرف في الحصون !!

***

قد أذن الداعي، ودوى الصور بين العالمين
وغدا سيرجم نجم (أفغان) الغزاة الملحدين
وتغرد الدنيا : هنا اندحروا وباءوا خاسرين
ويصفق التاريخ للشرفاء في الفتح المبين
فشعوبنا راياتها إما الحياة أو المنون !!

المسجدُ النبوي الشريف





تجديداته وتوسعاته

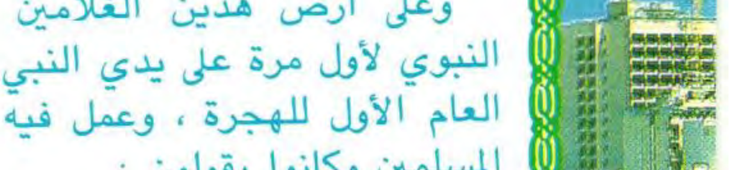
يثرب هي مدينة الأنصار التي هاجر اليها الرسول صلى الله عليه وسلم والتي عرفت باسم المدينة المنورة بعد هجرته إليها ، وهي من مدن الحجاز المشهورة ، وورد ذكرها في القرآن الكريم بهذه التسمية في قوله تعالى : **(واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا)** الأحزاب/ ١٣ وهي التي تقع إلى الشمال من مكة ، ويحدها من الشمال جبل (أحد) ، وتمتاز معظم أراضيها بخصوبة التربة ، وكان لذلك أثره في انتشار الزراعة بها .

وعندما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على يثرب نزل على علو المدينة في حي بني عمرو بن عوف ، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلى أخواله من بني النجار فجاؤوا متقلدين سيوفهم . وبركت ناقة الرسول عند موضع مسجده ... وكان مربد تمر (لسهل وسهيل) غلامين يتيمين من الأنصار ، فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يشتريه منهما فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير .

وعلى أرض هذين الغلامين اليتيمين أسس المسجد النبوي لأول مرة على يدي النبي صلى الله عليه وسلم في العام الأول للهجرة ، وعمل فيه الرسول بنفسه بجانب المسلمين وكانوا يقولون :

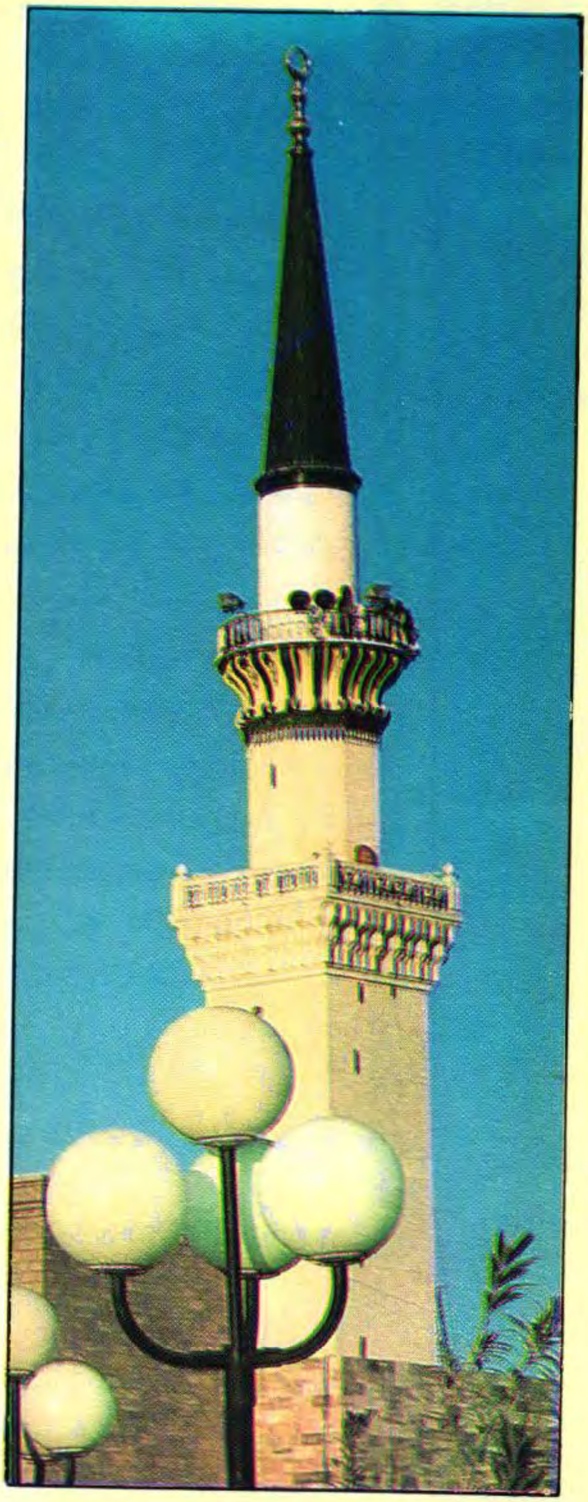
لا عيش إلا عيش الآخرة
اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة





للاستاذ / عبد الستار محمد فيض

وقـد استغرقت عمـارة المسجد سبعة شهور ، قضاها الرسول في ضيافة ابي أيـوب الانصاري . وبلغت مساحة المسجد سبعين ذراعا في ستين ذراعا ، وبنيت جدرانه باللبن وسقف جزء من سقفه بسعف النخيل والطين



□ المنارة المجيدية

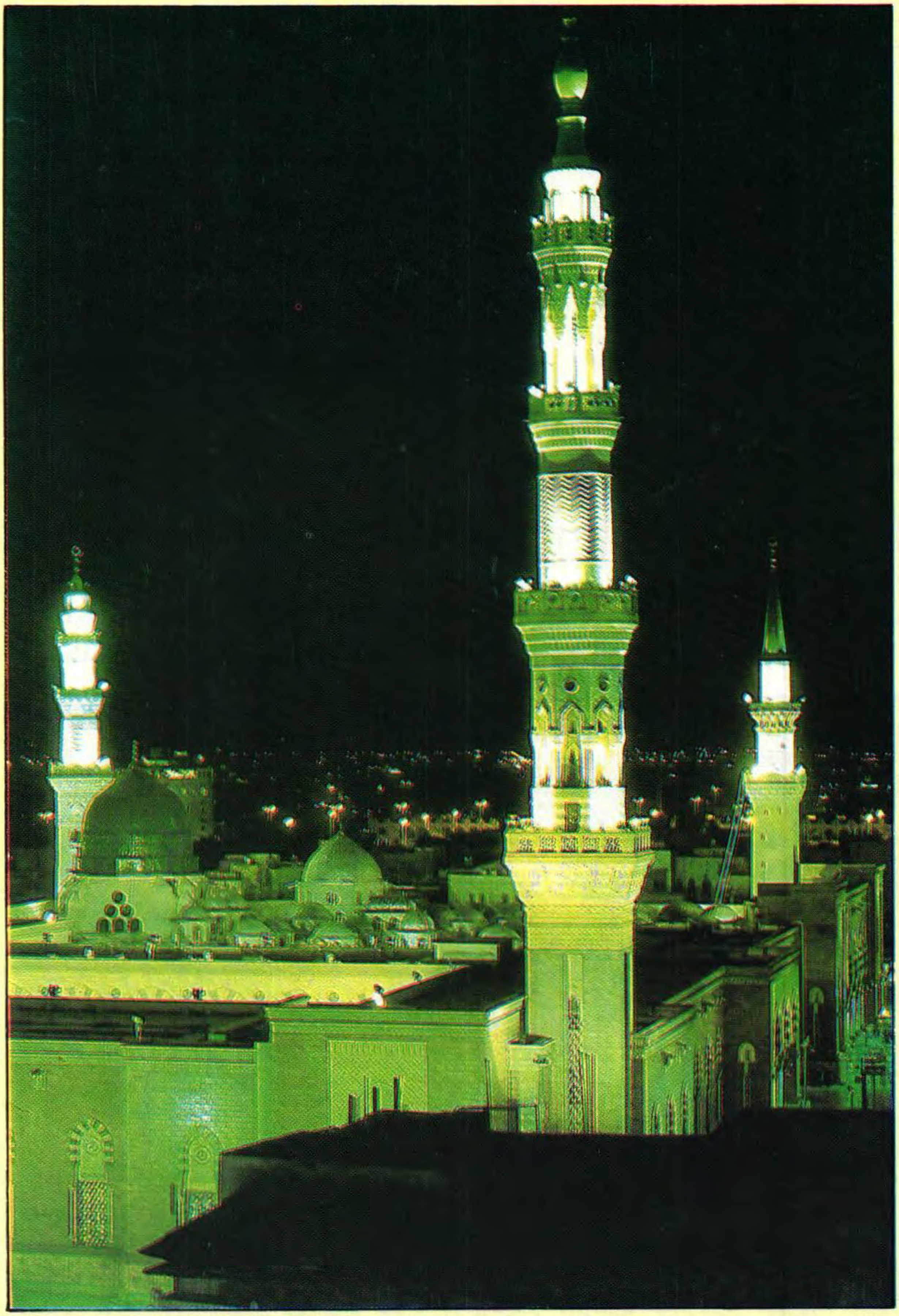
وترك الجزء الآخر مكشوفا ، وكان للمسجد ثلاثة أبواب . باب جبريل وباب النساء وباب الرحمة . وما زالت هذه الأبواب تعرف باسمهـا حتى اليوم .

★ الزيادة في عهد الخلفاء الراشدين ★

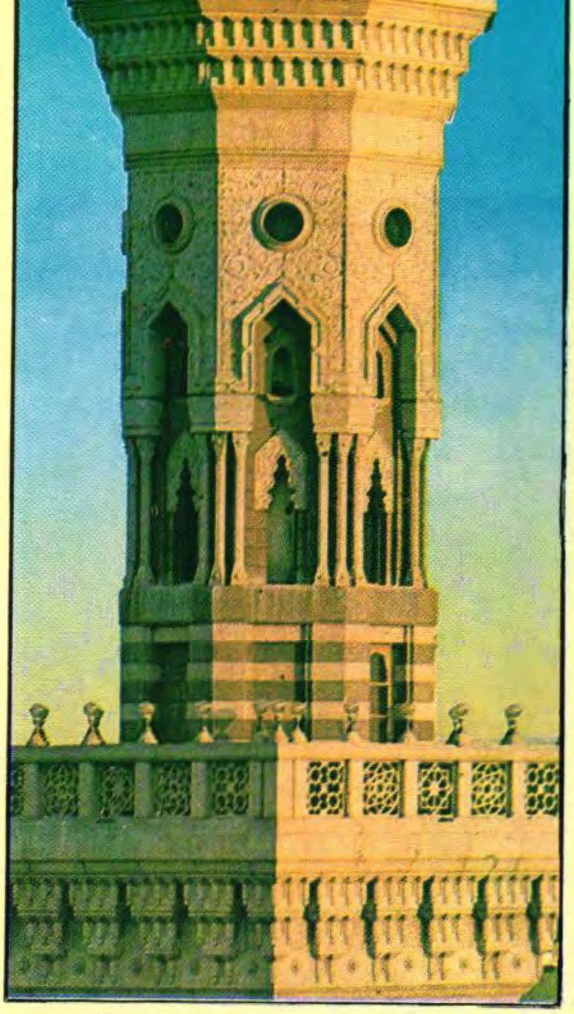
بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم تولى الخلافة من بعده أبوبكر الصديق رضي الله عنه ولم يزد في المسجد شيئا لانشغاله بالفتح . فلما وُلّيَ عمر رضي الله عنه كثر الناس في عهده وضاق بهم المسجد ، فطلبوا منه ان يزيد فيه ، فجدد بناءه وادخل فيه دار العباس ، فأصبح طوله مائـة واربعين ذراعا وعرضه مائة وعشرين واتخذ له عمدا من الخشب وأُنشأ به ستة أبواب . ولما وُلّيَ عثمان بن عفان رضي اللـه عنـه الخـلافـة زاد في مساحته ، فجعل طوله مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين وبني جدرانه بالحجارة المنقوشة واتخذ له عمدا من هذه الحجـارة ، وسقفه بخشب الساج ، وظلت أبوابه ستة كما كانت أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

★ الـزيـادة في الـعصر الأموى ★

بقي المسجد على زيادة عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أيام الوليد بن عبدالملك وكانت له همّـة في البناء



المسجد النبوي ليلا



النقوش الاسلامية الرائعة تبدو واضحة على شرفات المآذن التي أنشئت في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود .

وخاصة بناء المساجد ، ففي عام ثمانية وثمانين من الهجرة أرسل

الوليد إلى عمر بن عبد العزيز وهو وال على المدينة يأمره بهدم المسجد النبوي واعادة بنائه واضافة حُجَر ازواج

الرسول ومن بينها حجرة عائشة وهي التي دفن فيها الرسول وصاحباه

ابوبكر وعمر ، وان يوسعه من قبلته وسائر نواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع .

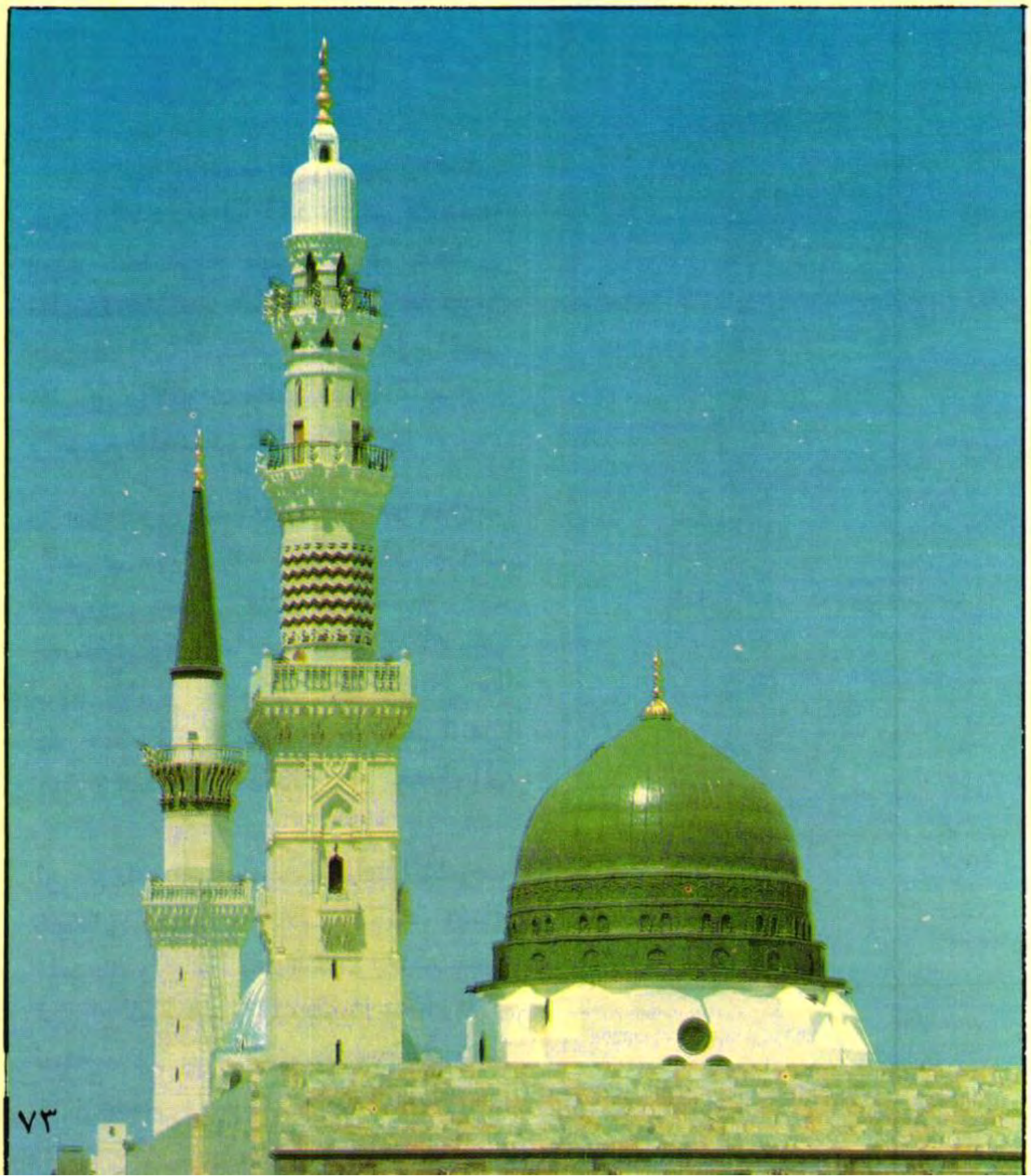
فجمع عمر الفقهاء وأهل المدينة وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين ، فشق عليهم ذلك وقالوا هذه حجر قصيرة السقوف وسقوفها من جريد النخل وحيطانها من اللبن ، وتركها على حالها



○ روعة وجمال الخط الاسلامي تتجلى على حوائط المسجد النبوي والتي كتبت أثناء عمارة السلطان عبدالمجيد بخط الخطاط عبدالله بك زهدي

أولى لينظر اليها الحجاج والزوار فيعتبروا ويكون ذلك ادعى إلى الزهد في الدنيا فلا يعمرون فيها الا بقدر الحاجة . فكتب عمر إلى الوليد بما أجمع عليه الفقهاء ، فأرسل إليه يأمره بالهدم وبناء المسجد ، وأمده بالفعلة والبنائين من الشام .

وأعاد عمر بناء المسجد وأدخل الحجرات النبوية فيه وجوف المحراب ، وزخرف الحوائط من الداخل بالرخام والذهب والفسيفساء وذهب الأساطين ، وأنشأ أربع منارات في كل ركن واحدة وفرغ من بنائه في ثلاث سنوات . وكانت إحدى المنارات الأربع تطل على دار مروان مقر الأمارة ، فلما حج سليمان بن عبد الملك أمر بتلك المنارة فهدمت الى ظهر المسجد وبقي المسجد على ثلاث منارات حتى عام ٧١٦هـ حين أمر السلطان محمد بن قلاوون بإنشاء منارة رابعة .



★ الزيادة في العصر العباسى ★

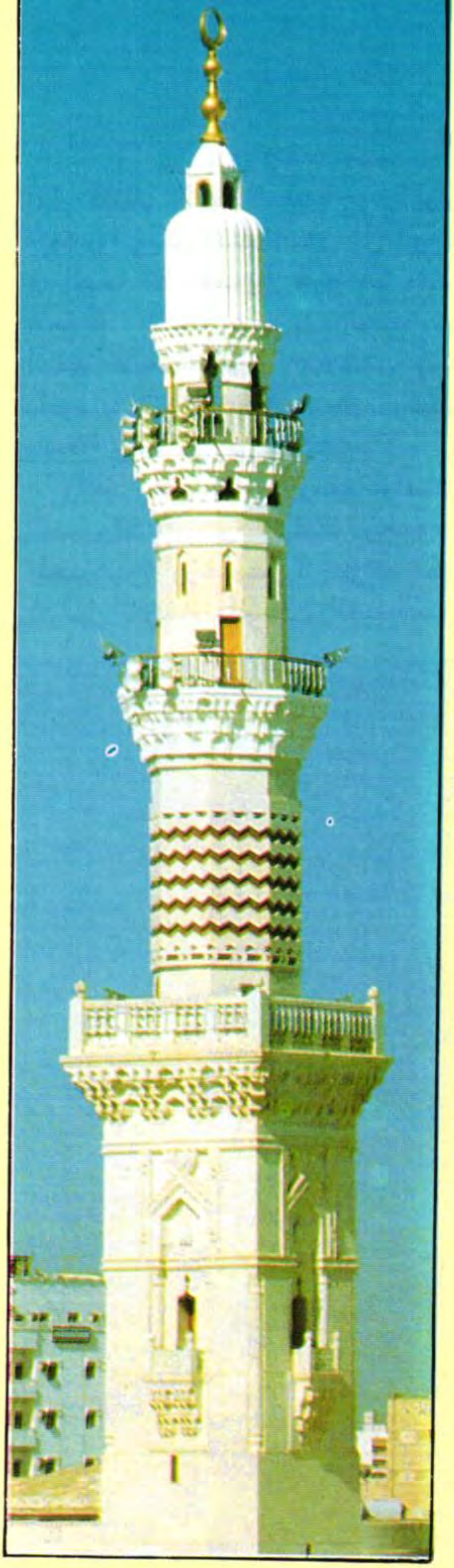
ظل المسجد الذي أعاد بناءه الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك قائما إلى سنة مائة وست وستين حيث جاء المهدي العباسي فأمر بزيادة المسجد ، فأضيفت اليه مساحة كبيرة من ناحيته الشمالية ، واستقرت رقعة المسجد على زيادة المهدى حتى عام ٦٥٤هـ .

★ حريق المسجد ★

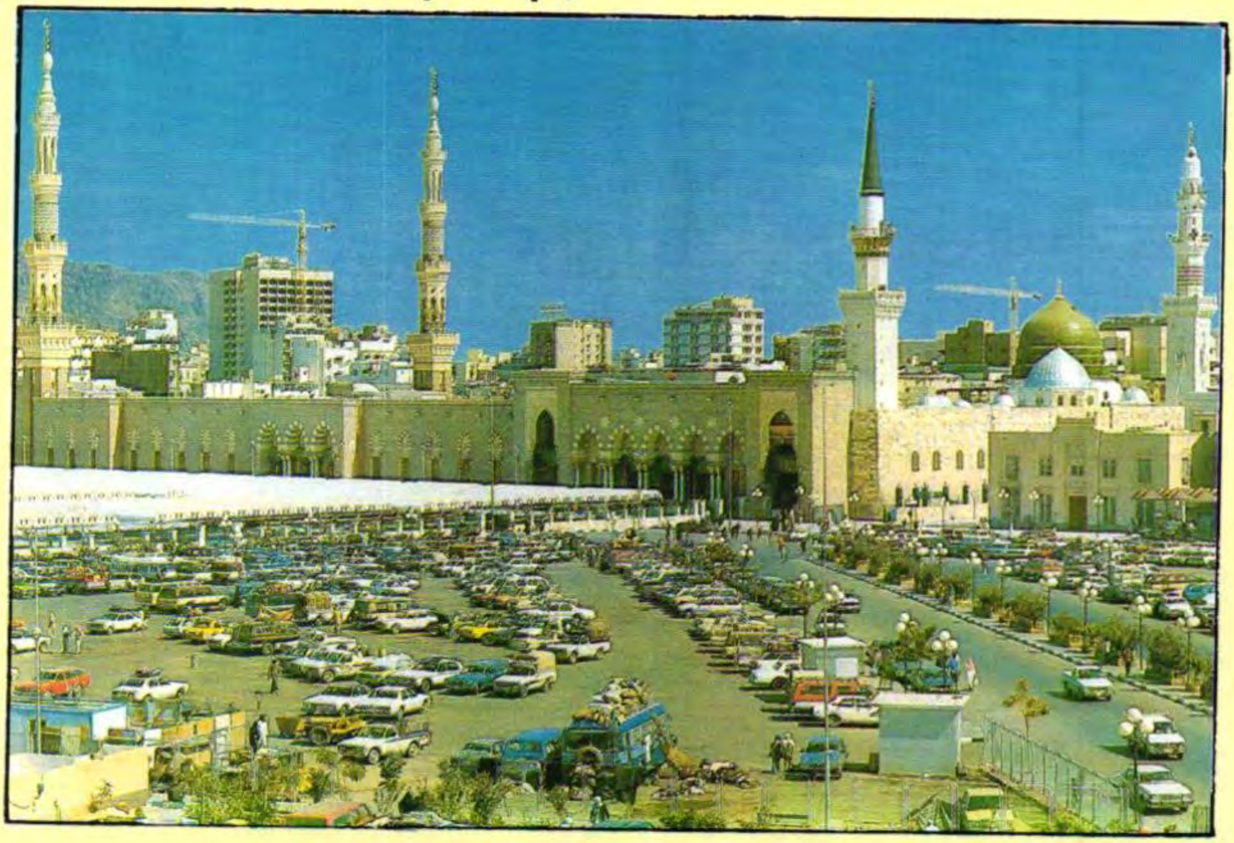
وفي ليلة الجمعة اول شهر رمضان عام ٦٥٤هـ ترك أحد خدام المسجد موقد المصابيح مشتعلا في مخازن المسجد فامتدت النار منه الى ما حوله وسرت إلى المسجد فأتت على المنبر النبوي والأبواب والنوافذ والمقاصير ، وأصبح المسجد حطاما .

فلما تولى السلطان الظاهر بيبرس الملك في مصر بعد ست سنوات من الحريق سارع بإرسال حملة من الصناع وكل ما يحتاجه البناء من مواد خام وأعيد بناء المسجد إلى ما كان عليه قبل الحريق ، ولم يطرأ على عمارة المسجد بعد ذلك أى تعديل إلى

أن جاء السلطان الملك الأشرف قايتباى عام ٨٧٣هـ فجدد بناء المسجد وأعاد إليه رونقه وبهاءه حتى قيل إن تكاليف البناء بلغت ستين الف دينار . ولا يزال المسجد يحتفظ حتى الآن بمنبر ومئذنة عمارة قايتباى .



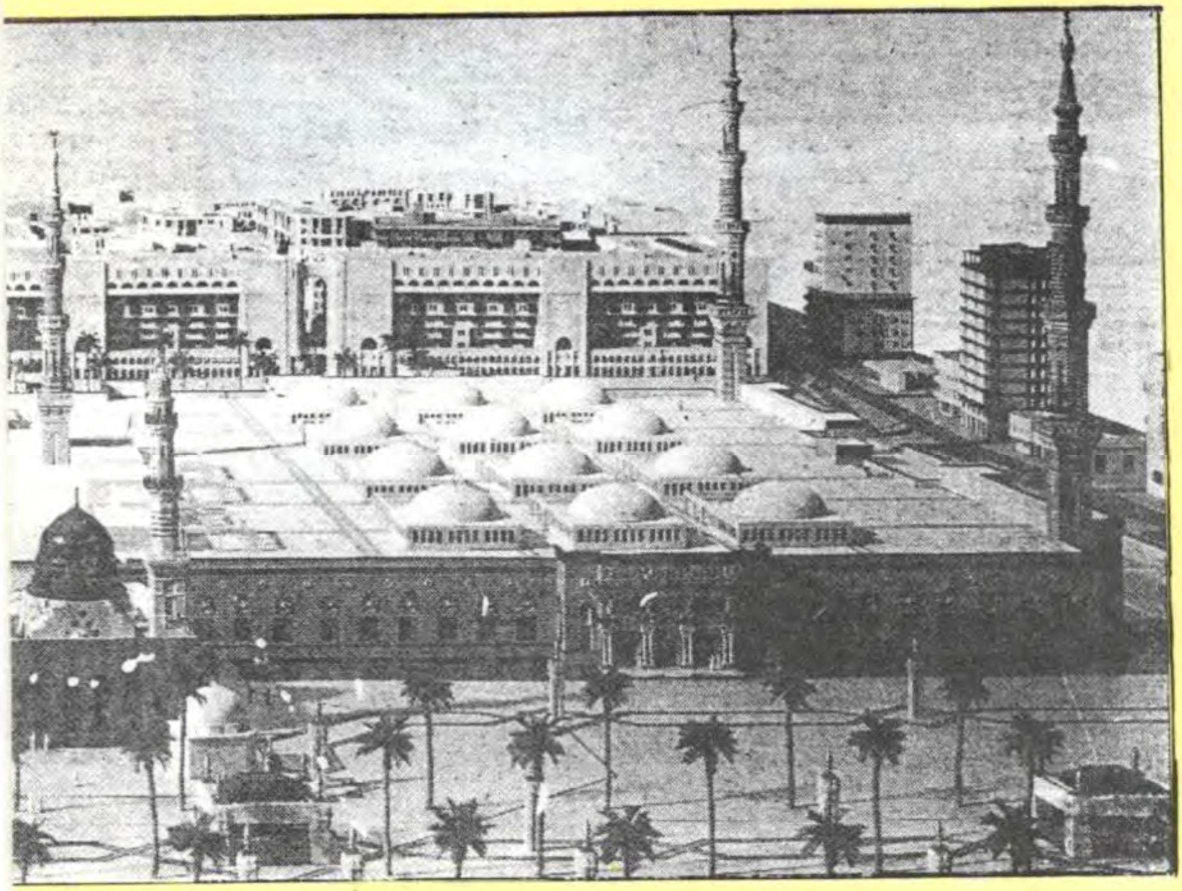
□ منارة السلطان قايتباي



الساحة الغربية للمسجد النبوي والتي سيقام عليها مشروع التوسعة بالاضافة الى الساحة الشرقية للمسجد



جموع المصلين تملأ المسجد النبوي من الداخل

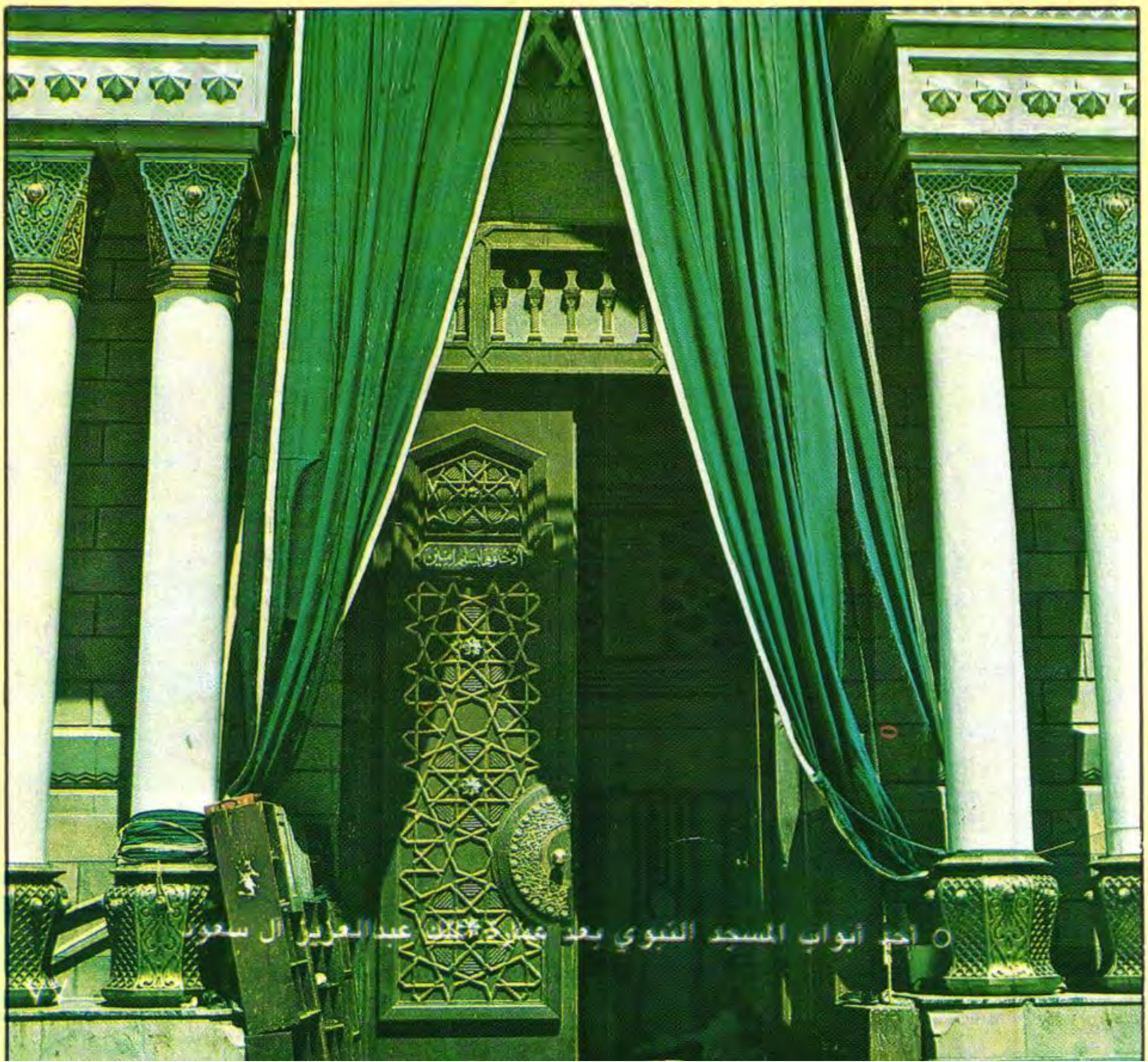


○ منظر فريد
لما سيكون عليه
المسجد النبوي
الشريف
بعد توسعة
الملك فهد الحالية

★ الـزيـادة في الـعصر العثماني ★

لما آلت الخلافة لآل عثمان وجه السلاطين العثمانيون عنايتهم إلى عمارة المسجد النبوي . ففي القرن العاشر الهجري عمره السلطان سليم الثاني . وفي القرن الثالث عشر بني السلطان محمود الثاني القبة الخضراء . وفي عهد السلطان عبد المجيد الأول في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر لوحظ أن المسجد بحاجة الى العمارة بعد أن انقضت على عمارته أربعة قرون لم تحدث به اثناءها عمارة هامة فأمر السلطان بتجديد المسجد النبوي تجديدا شاملا دون تعطيل الشعائر الدينية فيه ، فكان المهندسون يهدمون جزءا من المسجد ويقيمون مكانه ما يحل محله ، ثم يهدمون بعده جزءا غيره حتى تمت عمارة المسجد كله بين سنة ١٢٦٥هـ وسنة ١٢٧٧هـ ومن الآثار الهامة الباقية من تلك العمارة في المسجد النبوي المئذنة المجيدية التي تمثل الطراز التركي اصدق تمثيل ، وقد بلغت نفقات تلك العمارة ثلاثة ارباع المليون من الجنيهات المجيدية . وقد سجلت تلك العمارة من روعة الفن الاسلامي ما لا يزال حتى اليوم بهجة للانظار ، وقد كتبت على جدران المسجد في الداخل سورة الفتح واسماء الله الحسنى وقصيدة البردة واسماء النبي عليه الصلاة والسلام بخط بالغ الروعة والدقة والاتقان .





○ أحد أبواب المسجد النبوي بعد عمارة الملك عبدالعزيز آل سعود

★ الزيادة في العهد السعودي ★

ان المسجد الحالي بشكله الفني الجميل يرجع إلى العمارة الكبيرة التي قام بها ملوك آل سعود في النصف الثاني من القرن العشرين . فقد قام الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٩٥١م باضافة ٦٠٢٤ مترا مربعا إلى المسجد النبوي فأصبحت مساحته الكلية ١٦٣٢٦ مترا مربعا ، وتم الجزء الاول من البناء عام ١٩٥٥م وبلغت تكاليفه ٥٠ مليون ريال سعودي أي ما يعادل أحد عشر مليونا من الدولارات



الروضة الشريفة على وضعها بعد العمارة المجيدية

الأمريكية . وبلغ عدد الاعمدة التي انشئت في العمارة الجديدة (٢٣٢) عمودا كما اقيمت على مداخله الأمامية مئذنتان ارتفاع كل منهما (٧٠) مترا بالاضافة الى مئذنة قايتباي والمئذنة المجيدية .

★ توسعة الملك فهد الحالية ★

ان مشروع الملك فهد لتوسعة المسجد النبوي الشريف والذي تنفذه الآن المملكة العربية السعودية يعتبر من المشاريع العملاقة التي تستهدف اكبر توسعة للمسجد النبوي تلبي احتياجات الحاضر كاملة وتستوعب أي زيادات في المستقبل القريب والبعيد الى عدة قرون من الزمن ، وذلك على ضوء حسابات دقيقة لاحتياجات الحاضر والمستقبل بحيث لا يحتاج الى أي توسعة اوزيادة طوال مدة لا تقل عن عقدين أو ثلاثة عقود من الزمن .

من هذا المنطلق كان تصميم مشروع توسعة وعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان دعت الحاجة إلى هذه التوسعة ، فرأى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ان تكون التوسعة كاملة وشاملة بحيث تليق بالمركز الخاص للمسجد النبوي الشريف من ناحية وتجعله أساسا للتطوير الحضاري الذي تشهده المدينة المنورة من ناحية أخرى . فقام بوضع حجر الأساس لاكبر توسعة يشهدها المسجد النبوي الشريف على امتداد تاريخه يوم الجمعة التاسع من صفر عام ١٤٠٥هـ :

وسيحاط الحرم الجديد بساحات من جهاته الثلاث بعروض تتراوح ما بين مائة ومائة وخمسين مترا . اما الجهة الشرقية من الحرم فسيكتفى بالشارع الحالي الذي يفصلها عن المباني والبقيع لتعذر إزالة أي جزء من البقيع . وستصبح المساحة التي ستتضمن مباني الحرم النبوي الشريف والساحات المحيطة به بعد تنفيذ المشروع بكامل مراحله مساوية تماما لمساحة (طيبة) أيام عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

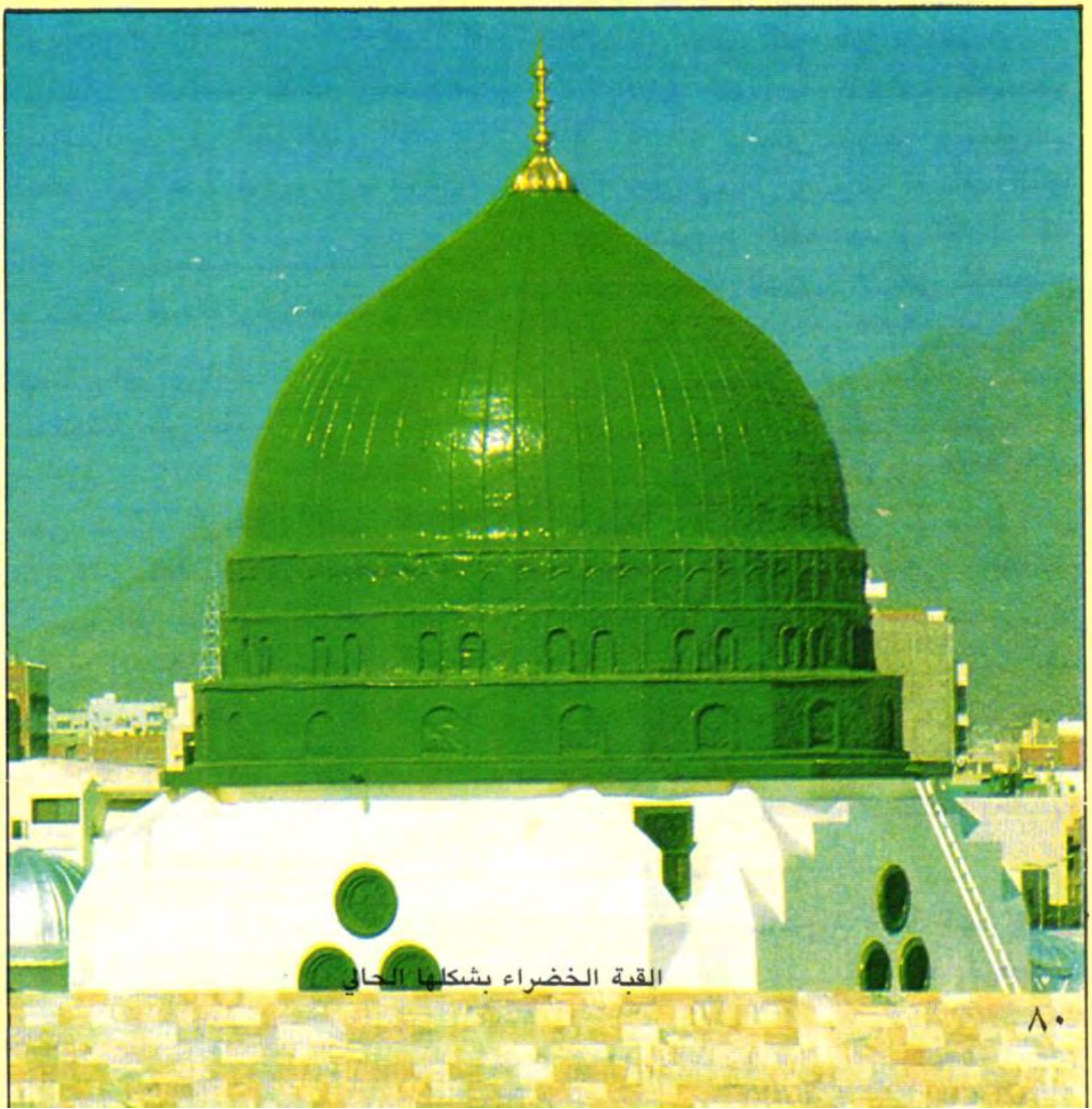
وتبلغ المساحة الحالية للمسجد (١٦٥٠٠) متر مربع وتستوعب ٢٨ الف مصل وسوف تضاف اليها عبر مشروع الملك فهد (٨٢) الف متر مربع للدور الأرضي لتصبح المساحة الكلية (٩٨٥٠٠) تستوعب (١٣١)ألف مصل مع الاستفادة بسطح المسجد للصلاة بمساحة مقدارها(٦٧) ألف متر مربع تستوعب (٩٠) الف مصل ، وبذلك يمكن للمسجد ان يستوعب في الدور الأرضي والسطح ٢٥٥ الف مصل على مساحة قدرها (١٦٥٥٠٠) متر مربع ، كما أخذ في التقدير أنه بالإمكان زيادة قدرة الأماكن المخصصة للصلاة بنسبة ٢٥٪ بسبب تقارب المصلين بعضهم من بعض .

وتضمن مشروع الملك فهد زيادة ست مآذن إلى المسجد ليصبح

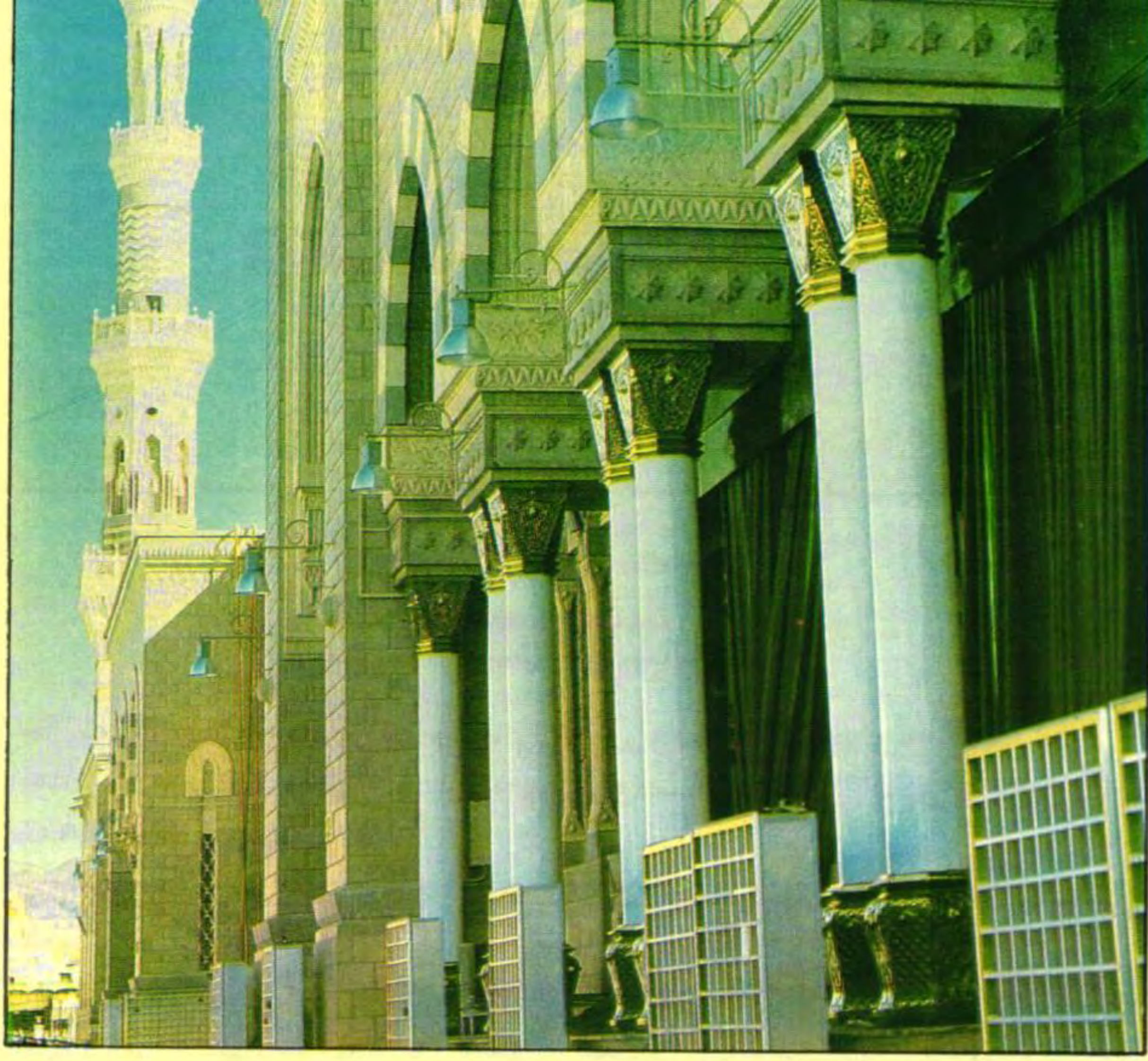
المجموع عشر مآذن موزعة على جميع أرجاء المشروع ، وفي حين أن ارتفاع المآذن الحالية يبلغ (٧٠) مترا فإن ارتفاع المآذن الجديدة سوف يكون (٩٢) مترا .

أما مداخل المسجد الحالية فهي أحد عشر مدخلا وسوف تصبح بعد مشروع التوسعة الجديدة (٢٧) مدخلا أي بزيادة (١٦) مدخلا جديدا . ويبلغ عدد الأبواب الحالية (١٧) بابا سيزاد عليها في التوسعة الجديدة (٦٥) بابا وبذلك يصبح مجموع الأبواب (٨٢) بابا .

كما سيضاف الى الأعمدة الحالية ٢٥٠٠ عمود جديد . ويتضمن المشروع انشاء ١٨ سلما متحركا تؤدي الى سطح المسجد المخصص للصلاة ، كما يتضمن كذلك تركيب ٣٦ سقفا متحركا لتوفير ١٣٠٠ موقف للسيارات تحت سطح الأرض ، وانشاء أربعة آلاف ميضأة ، وخمسمائة وستين نافورة مياه للشرب ، وألف وأربعمائة مرحاض . وسوف يستخدم الرخام الأبيض (البارد) في التبليط ـ كما هو مستخدم في المسجد الحرام ـ والجرانيت للسلالم المؤدية الى المداخل والسطح .



القبة الخضراء بشكلها الحالي



□ احدى المنارتين الحديثتين في عمارة عبدالعزيز آل سعود

وستصنع الشبابيك الخارجية من خشب الأرو يحميها من الخارج مشربيات من البرونز وتعلوها شبابيك مستديرة من الحجر الصناعي والزجاج الملون ، أما الأبواب الخارجية فمن الخشب (العزيزي) المكسو بالبرونز برسومات هندسية ، كذلك تيجان الأعمدة من البرونز والأحواش الداخلية مغطاة بأسقف متحركة على شكل قباب مغطاة من أعلى ببلاط السيراميك بينما يغطى كامل جسم المآذن بالحجر الصناعي مع اعمدة من الرخام .

وقد روعي في تصميم كل هذه الانشاءات توفير كل ما يلزم من خدمات الإنارة والتهوية والسقيا والمناطق المخصصة للنساء . وستكون التوسعة الجديدة منسجمة ومتكاملة مع عمارة المسجد القائم حاليا .

قَال رَسُول الله صَلى الله عليه وسلّم :
صَلاة في مسجدي هذا
خَير من ألف صَلاة في
غَيره مِن المساجد
إلاّ المسجد الحَرام
رواه مسلم

مائدة القارئ

فضل الله على رسوله وواجب الشكر

قال تعالى : (ألم يجدك يتيما فآوى * ووجدك ضالا فهدى * ووجدك عائلا فأغنى ● فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر * وأما بنعمة ربك فحدث) .

ظالم أشبه المظلوم

قال عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه : « ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم ، من الحاسد : غم دائم ، ونفس متتابع » .

الراحة في اجتناب سبع

قال حكيم :
اجتنب سبع خصال يسترح جسمك وقلبك ، ويسلم لك عرضك ودينك .

* لا تحزن على ما فات .
* ولا تحمل هم ما لم ينزل بك .
* ولا تلم الناس على ما فيك مثله .
* ولا تطلب الجزاء على ما لم تعمل .
* ولا تنظر بشهوة الى ما لم تملك .
* ولا تغضب على من لم يضره غضبتك .
* ولا تمدح من لم يعلم من نفسه خلاف ذلك .

بهذا أكرم نفسه

سمع أحد الأدباء رجلا في الثلث الأخير من الليل يقول :

وأكرم نفسي إنني إن أهنتها
وحقك ، لم تكرم على أحد بعدي

فأعجبه قوله فأتاه حتى وقف على رأسه فإذا به يقم الشارع (زبال) ليبيع القمامة ، ويمون نفسه وعياله من ثمنها .

فقال له أنت تقول : أكرم نفسي ؟ فأي إكرام أنت فيه مع ما تصنع من جمع القمامة ؟ فقال له : إليك عني ، لقد أكرمتها بهذه الحرفة عن ذل السؤال لمثلك . فقال : صدقت ، وقبله بين عينيه .

الصبر

قال ابن القيم :
الصبر : حبس النفس عن التسخط بالمقدور ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن المعصية .

فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة . فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه إلى منحة ، واستحالت البلية عطية .

وصار المكروه محبوبا ، فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه ، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته ، فإن لله تعالى على العبد عبودية في الضراء كما له عبودية في السراء ، وله عبودية عليه فيما يكره ، كما له عليه عبودية فيما يحب .

هذا هو نبينا

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « لي خمسة أسماء : أنا محمد وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب » .
أخرجه البخاري

مصيبة فيها نعم

قال عمر ـ رضي الله عنه : ما أصابتني مصيبة إلا وجدت فيها ثلاث نعم .
الأولى : أنها لم تكن في ديني .
الثانية : أنها لم تكن أعظم مما كانت .
الثالثة : أن الله يعطي عليها الثواب العظيم والأجر الكبير .



عمل السجين

للدكتور/ حسن عبدالغني أبوغدة

تمهيد : من المقرر في كتب الفقه والقضاء والسياسة الشرعية وغيرها أن الحبس مشروع في الاسلام ، وهو ثابت في الكتاب والسنة والاجماع ، لكنه لم يشرع لذاته ، بل قصد به التوصل الى ردع السجين واستصلاحه وتقويم سلوكه وتصرفاته ...

واذا كان الأمر كذلك فكيف يعامل المسجون ؟ وهل تضيع قدراته وطاقاته ويترك أسير البطالة أو يمكن من العمل ويجبر على الاشتغال فيما

يفيد ؟ وما هي آراء العلماء المسلمين في كون العمل حقا للسجين ؟ وما هي تعليلاتهم لذلك ؟

● حكم عمل السجين ●

للعلماء **ثلاثة أقوال**: في حكم عمل المسجون بدين ، ويبدو ان هذه الأقوال تنطبق على غيره كالمسجون بجريمة ونحوها ، واليك بيان ذلك :

القول الأول : لا يسمح للسجين بالعمل ، بل يمنع منه ويحال بينه وبين أدواته ، لئلا يهون عليه الحبس وتخف وطأته ، وليضجر قلبه فينزجر عن سلوكه ، والا صار السجن له بمنزلة الحانوت أو السوق ، فيه التسلية وتمضية الوقت ، مع أن الهدف غير ذلك ، وهذا القول هو المعتمد في مذهب الحنفية وبه قال غيرهم من الفقهاء .

القول الثاني : يسمح للسجين بالعمل فهو حقه لا يمنع منه ، ولا يحال بينه وبين أدواته ، لأنه به يستطيع الانفاق على نفسه وأسرته ووفاء ديونه وأداء ما عليه من واجبات مالية تجاه الآخرين ، فضلا عن ان العمل ليس عائقا أمام تحقيق أهداف الحبس في الاصلاح والتقويم . وهذا قول الشافعية والحنابلة وغيرهم وبه أفتى بعض الحنفية .

القول الثالث : ان السماح للسجين بالعمل أو منعه مرهون بتقدير السلطة المسؤولة عنه ، فهي الأعرف بحاله والأقرب اليه في السجن .. والأكثر نظرا في أموره من حيث اتصافه بالهدوء والانضباط أو التمرد والتعنت ونحو ذلك . وبهذا قال المرتضى وغيره من الفقهاء .

*** ويبدو ان القول الثالث هو الأكثر انسجاما مع مبادىء الشريعة ومقاصدها ، وهو الذي تشهد له النصوص العامة والخاصة المتصلة بموضوع الحبس بحسب البيان التالي :**

١ ـ قيمة العمل في الاسلام :

دعا الاسلام الى العمل وبارك جهود العاملين ونهى عن الكسل وحارب البطالة . قال الله تعالى : (**أن اعمل سابغات وقدر في السرد)** سبأ/ ١١ **(اعملوا آل داود شكرا)** سبأ/ ١٣ . وفي الحديث المتفق عليه : « لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه » اللؤلؤ والمرجان/ ٦١٨ .

٢ ـ الاسهام في تحقيق الغاية من الحبس :

ان تشغيل السجين يسهم في تعديل سلوكه والحد من عدوانه وردعه عن مفاسده ، وذلك بتعليمه حرفة أو اكسابه صنعة وتأهيله للخروج الى المجتمع ، وتلك من أسمى غايات الحبس ، وبخاصة ان كثيرا ممن يدخلون السجن بطالون ، ليس عندهم صنعة يكتسبون بها ... في حين ان الاسلام يدعو الى الاستفادة من

طاقات جميع أفراد المجتمع وتوجيهها نحو البناء والتنمية . ومن هنا كان عمر ـ رضي الله عنه ـ يحث الناس على اتخاذ الحرف والصناعات ليتكسبوا منها ويقول لهم : حرفة يعاش بها خير من مسألة الناس .

٣ ـ قيام السجين بواجباته المالية :

لا يخلو أن يكون على السجين واجبات والتزامات مالية كالانفاق على زوجته وأولاده أو وفاء ديونه التي عليه للأفراد أو المجتمع أو الدولة . فاذا لم يمكن من العمل في سجنه وعجز عن القيام بما ذكر من التزامات ترتب على ذلك فساد أعظم وتراكمت عليه الديون وساءت حال أسرته ...

ومن المقرر في الفقه ان النفقة على الأهل ونحوها كوفاء الدين والنذر من الواجبات ، وتلك أمور تحتاج الى العمل والتكسب . ومن المعلوم ان ما كان سبيلا الى الواجب فهو واجب . وبالاضافة الى هذا فان الفقهاء قالوا : يجبر المفلس على العمل ليقضي ديونه وهذا أحد قولي الحنابلة ، ونسبه ابن قدامة الى عمر بن عبدالعزيز وسوار العنبري واسحق من فقهاء السلف .

٤ ـ الحد من الفراغ الباعث على الاحتيال والفساد : ان عيش السجناء في فراغ دائم يبعث في نفوسهم التفكير في أساليب الاحتيال وطرق الفساد وينشر الانحراف فيما بينهم ، ويدعوهم الى تكوين العصابات وابرام الخطط الاجرامية ، ونحو ذلك مما يعارض غايات الحبس الاصلاحية .

٥ ـ قياس العمل في السجن على التعلم فيه :

من المسلم به جواز اشتغال السجين بالتعلم والتعليم في سجنه ، وبه عمل المسلمون من قبل . ومن ذلك تعليم بعض أسرى بدر غلمانا من المسلمين الكتابة كما في مسند الامام أحمد رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه،ويمكن اعتبار تلك الحوادث والوقائع أصلا لجواز ومشروعية عمل السجين واشتغاله في صنعة أو حرفة ، لما في ذلك من إحياء النفوس ، ومنع مد اليد الى الآخرين ، والقضاء على البطالة ، والمشاركة في بناء المجتمع وإفادته وتنمية قدراته ، وتجنيد طاقات جميع أفراده .

واذا تقرر ما تقدم من أن العمل في السجن حق للسجناء ، فانه يجوز للحاكم منع بعضهم منه وكفهم عنه ردعا لهم ، ان كان في ذلك مصلحة كما هو **القول الثالث** ، لأن الحاكم مفوض في عقوبة التعزير ـ والحبس نوع من أنواعه ـ وقد منع النبي صلى الله عليه وسلم **الثلاثة المخلفين** عن غزوة تبوك من الاتصال بنسائهم وأمرهم باعتزالهن كما في البخاري ومسلم وحرمهم من حقهم في ذلك ، تأديبا وردعا لهم من أجل المصلحة الاجتماعية العامة التي أضر بها هؤلاء في تخلفهم عن الجهاد .

● صور من عمل السجناء ●

روى الامام احمد وابن كثير وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم

استأجر بعض الأسرى يوم بدر على تعليم أولاد المسلمين الكتابة ، كل بمقدار فدائه . فكان كل واحد يعلم عشرة من الأولاد الكتابة ، وكان ممن تعلم منهم زيد بن ثابت .

وقد اهتم المسلمون فيما بعد بتشغيل السجناء ، وبخاصة في عصور الحضارة الذهبية زمن العباسيين فكان المسجونون يكلفون بالعمل في السجون كصنع السلال ونسج التكك ، ونحو ذلك من الأعمال الخفيفة التي تحتاج الى حذق وصبر وأناة . وكانت أثمان السلع المصنوعة تعود لحساب السجناء لا لحساب الدولة .. ومما يدل على ذلك قول ابن المعتز الخليفة العباسي حينما سجن :

تعلمت في السجن صنع التكك
وكنت امرءا قبل حبسي ملك

*** هذا ويعتبر تعليم السجين اعمالا وصناعات خفيفة ـ كما فعل المسلمون ـ مبدأ أساسيا لسياسة المؤسسات العقابية المعاصرة التي تهتم بتعليم السجين عملا يؤمن له دخلا ماليا بعد الافراج عنه .**

*** على أنه ليس هناك ما يمنع من عمل السجين لحساب الدولة مقابل أجر معين ، بل ان ذلك أجدى وأنفع له وللمجتمع ، لأن الدولة أقدر على معرفة الأعمال الأكثر فائدة والمهن الأكثر رواجا والتي تنفع السجين في المستقبل وتتناسب ـ في الوقت نفسه ـ مع الأهداف الاقتصادية العامة للدولة . وإن الاسلام يشجع على إدخال المختصين من أهل الصنعة والحرفيين الى السجون لتعليم السجناء وتدريبهم على ما ينفعهم من الأعمال التي تدخل عليهم رزقا حلالا بعد انقضاء محكوميتهم وتشغلهم عن أسباب العود الى الجريمة والسجن .**

● من حقوق السجين العامل ●

يقرر الاسلام مجموعة من المعاني الكريمة التي ينبغي مراعاتها عند تشغيل السجناء ومن ذلك ما يلي :

١ ـ تعلم الحرف والصناعات الكريمة والمفيدة :

حث الاسلام على مباشرة الحرف الكريمة وكره العمل في الحرف المهينة والرديئة مع امكان غيرها . وعليه فينبغي مراعاة ذلك مع السجناء وتدريبهم على الصناعات والأعمال المهمة مما يحتاجه غالب اهل البلد ، ويحقق مقصدا من المقاصد السامية في رقي الأمة وتقدمها وازدهارها ، ولا شك أن تشغيل السجين في الأمور التافهة الخسيسة ـ احتقارا واهانة لشخصه ـ لا يحقق المقاصد الشرعية التي جاء بها الاسلام .

٢ ـ الرفق بالسجين العامل وعدم تكليفه ما يشق عليه :

دعت الشريعة الى الرفق بالعاملين ونهت عن تكليفهم ما يشق عليهم ويصعب تنفيذه ففي الحديث المتفق

عليه يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الرقيق : « ... **ولا تكلفوهم ما يغلبهم** » اللؤلؤ والمرجان/ ١٠٧٧ ولا شك انه يلتحق بهم من في معناهم كالأسرى والسجناء فلا يجوز تكليفهم بما يسمى بالأشغال الشاقة التي تضعف الجسم وتذهب بالعافية ، وتعرض الصحة والسلامة للخطر ، ويقصد بها الانتقام والتعذيب والايلام كما لا ينبغي اكراههم على العمل ساعات طويلة أو في أشعة الشمس المؤذية أو في البرد الشديد أو في الظروف الطبيعية القاسية أو الصحية القاهرة . وقد ذكر العلماء أنه يتبع مع العامل العادة التي يقدر عليها عامة الناس والا أعين بغيره .

وروى أبو يوسف في الخراج أن سعيد ابن زيد مر على قوم أقيموا في الشمس في ارض الشام فسأل عنهم فقيل له : حبسوا في الجزية حتى يؤدوها ، قال : فكره ذلك ودخل على أميرهم يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : من عذب الناس عذبه الله . وفي رواية لمسلم في حادثة مشابهة : ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا . واذا كان ذلك ممنوعا مع السجناء غير المسلمين فكيف بالسجناء المسلمين الذين حبسوا للاستصلاح والتقويم ؟!

● استيفاء السجين أجره كاملا

حذر الاسلام من انتقاص العاملين أجورهم ففي الحديث القدسي الذي أخرجه البخاري : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ... ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » صحيح البخاري/ ٣ - ٥٠ . وقد عاب القرآن الكريم على فرعون اكراهه بني اسرائيل على العمل سخرة وحرمانهم من حقوقهم .. قال الله تعالى : **(وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب)** البقرة/ ٤٩ وتفسير ذلك أنهم كانوا يجشمونهم الأعمال الشاقة ويحرمونهم من الحقوق والأجور-ابن كثير- ولهذا لا يجوز حرمان السجين العامل أجره ، أو بخسه حقه أو إعطاؤه أقل مما يستحق كأجر رمزي بحجة انه يعمل في مدة الحبس ، لأن ذلك من الظلم الذي حرمه الله تعالى . بل يجب اعطاؤه مثل أجر غيره الذي يعمل كعمله ، لأنه حقه المكتسب ، تملكه بجهده وعمله وعرق جبينه .. وليس للدولة سلطان على حقوق السجناء وأموالهم الا بموجب واضح ومبرر شرعي وانما لها ان تمنعهم حرياتهم ومباشرة اعمالهم خارج السجن على وجه التأديب والردع والتقويم ،

* **كلمة أخيرة** : هذا ، وبعد عرض موقف الاسلام من عمل السجين وحقوقه المقررة في ذلك ، تجدر الاشارة الى ان غير المسلمين كانوا منذ القديم يشغلون السجناء سخرة ويجبرونهم على الأعمال الخطيرة والحرف الحقيرة بقصد التعذيب والاهانة والاحتقار .. وكانوا يضربونهم بالسياط الغليظة ليجبروهم على العمل ساعات طويلة في أشعة الشمس اللاهبة :

ففي القرن السابع قبل الميلاد كان الفراعنة يرسلون الأسرى والسجناء للأعمال الشاقة في تشييد المعابد وحفر الترع والبحث عن الذهب في المناجم حتى تخور قواهم ويسقط كثير منهم وهم مقيدون في السلاسل .

وكان الفرس يجبرون السجناء على المحاربة في صفوف حلفائهم والدفاع عنهم .

وظل كثير من السجون حتى أواخر القرن الثامن عشر أماكن للتعذيب والارهاب والأشغال الشاقة الانتقامية :

ففي مدينة طولون الفرنسية كانت محكمتها في سنة ١٦٨٤ للميلاد تحكم بالسجن مع الأشغال الشاقة وتأمر بأخذ السجناء الى السفن الحربية الكبيرة لاجبارهم على العمل في مجاديفها الضخمة .

ولما ازدادت اهمية السجن في أواخر القرن الثامن عشر نشطت الدعوة الى اصلاح السجون ورعاية السجناء ووجوب الاستفادة من طاقاتهم وتعليمهم الصناعات وتدريبهم على بعض المهن لتسهيل الكسب الشريف أمامهم بعد الافراج عنهم . ومع ذلك فقد استمر الحكم والعمل بالأشغال الشاقة في نظام صارم وبخاصة في سجون هولندا وايطاليا .

ومع بداية القرن العشرين تطور مفهوم تشغيل السجين ، وانحسر مفهوم الانتقام والتعذيب والتحقير ، حتى توصلت مجموعة من دول العالم في سنة ١٩٥٧ الى عقد اتفاقية في مدينة جنيف ، تضمنت قواعد الحد الأدنى لمعاملة المسجونين ، وضبطت ساعات العمل وأوقات الراحة والمكافآت العادلة التي يستحقها السجين ... واتجه كثير من الدول التي تنص قوانينها على عقوبة الأشغال الشاقة الى الغاء العمل بها .

ونشطت إقامة الورشات في السجون لتعليم الصناعات الخفيفة والحرف المناسبة كالخياطة والصباغة والحلاقة والنجارة واصلاح النوافذ وصناعة الكراسي وطبع البطاقات والكتب وتجليدها . وصار السجناء يكافأون على أشغالهم وأعمالهم ليسهموا في الانفاق على أنفسهم وذويهم وليوفوا ديونهم والتزاماتهم المالية ولو على أقساط .. وتلك مبادىء وقواعد اصلاحية سبق الاسلام الى تقرير معانيها وتأصيل العمل بها كما تقدم آنفا ، والحمد لله رب العالمين .

السرطان والخمور

للدكتور/ محمد علي البار

قد لايبدو لأول وهلة ان هناك ارتباطا بين شرب الخمور وأمراض السرطان ولكن الأبحاث الحديثة الموثقة أوضحت هذا الارتباط بما لا يدع مجالا للشك .. وكما يقول الدكتور جيمس بريدن (J. Breeden) أستاذ الطب الاكلينيكي (السريري) في جامعة كاليفورنيا في بحثه القيم المنشور في المجلة الطبية لأمريكا الشم"ية (عدد يناير ١٩٨٤) إن الأطباء عادة لا يفكرون في السرطان عندما يقومون بالكشف على مدمني الخمور بينما توضح الدراسات عن المدمنين أن السرطان هو أحد الأسباب الهامة للمرض والوفيات لدى مدمني الخمر كما أثبتت الدراسات المتعلقة بانتشار الأمراض (Epidemiological Studies) أن الكحول هو ثاني أهم سبب للسرطان ولا يفوقه في ذلك الا التبغ .

ان عملية تحول الخلية العادية الى خلية سرطانية Carcinogenesis هي عملية غاية في التعقيد ولم يتم حتى الآن معرفة الكثير من أسرارها إلا أنه تم الاتفاق على أن هذه العملية تتم على مرحلتين متتاليتين :

المرحلة الأولى هي المرحلة البادئة (Initiation Stage) والمواد التي تقوم بهذا الدور تسمى المواد البادئة (Initiators) تليها المرحلة المعززة أو الحافزة (Promotion Stage) والمواد التي تقوم بها تسمى المواد الحافزة . وكثير من المواد التي تسبب السرطان إما أن تكون بادئة أو حافزة أو كليهما معا .

وقد ثبت عن طريق الدراسات المعملية أن الكحوليات تقوم بدور الحافز (Promoter) في عملية السرطنة (Carcinogenesis) . ليس هذا فحسب ولكن الكحول يعمل كمساعد (Co - Carcinogen) للكيماويات الأخرى على إحداث السرطان .. ففي إحدى الدراسات تبين أن سرطان البلعوم والمريء يزداد زيادة كبيرة بين مدخني السجائر والذين يتناولون الكحول بالمقارنة بالمدخنين فقط (سنذكر ذلك بشيء من التفصيل فيما بعد) .

كيف يسبب الكحول السرطان ؟ :

ان الكحول قد ارتبط بالسرطان بعدة طرق فالكحول في حد ذاته يعتبر مادة مسرطنة (Carcinogenic) وتستطيع بذاتها أن تسبب السرطان كما أن الكحول أيضا مادة مهيجة ومساعدة للمواد المسرطنة ولذا يمكن اعتبارها أيضا شريكة ومعاونة للمواد المسرطنة .

وللكحول خاصية أخرى هى أنه يساعد على نمو الورم الخبيث بعد حدوثه (مادة حافزة) Pronoter of tunour growth .

الكحول كمادة مسرطنة

تفرق الدراسات الحديثة (نظريا على الأقل) بين المواد الكيميائية التي تبدأ السرطان وتدعى المادة الأولية أو البادئة (Initator) والمواد التي تنمي السرطان وتدعى المادة المعززة أو الحافزة Promoter .

وتستطيع المواد الأولية أو البادئة (Initator) أن تؤثر مباشرة على الحامض النووي (D.N.A.) مما يؤدي الى تغييرات في الجينات (الناسلات) وذلك بدوره يؤدي الى التكاثر غير المنضبط .

ورغم أن الكحول يسبب ورما مسخيا (Teratoma) في الانسان والحيوان الا أن معظم الباحثين متفقون على أن الكحول ليس مادة أولية (أو بادئة) (Initator) في موضوع السرطان .

ولكن المشروبات الكحولية مثل البيرة والمشروبات المفترة تحتوي على كميات غير قليلة من المواد المسرطنة مثل الفحمائيات المتعددة الدوائر Polycylic Hydrocatons والنايتروز أمينس Nitros Amines وهذه المواد تعتبر بحد ذاتها مواد مسرطنة .

الكحول كمادة مساعدة على السرطان Co - Carcinogen

هناك العديد من الأدلة التي تثبت أن الكحول تعمل كمادة مساعدة على النمو السرطاني وبما أن الطريقة التي تعمل بها الكحول كمادة مساعدة للنمو السرطاني غير معروفة على وجه الدقة فإننا لن نخوض في التفاصيل

ويكفي أن نعرف أن المواد المسرطنة الموجودة في السجائر مثل البينزوبايرين (Benzopyrines) تتركز في الأنسجة مع وجود الكحول وتـزيد درجـة امتصاصها من المريء .. وكذلك فإن الكحول يزيد من تحطيم جدار الانزيمات المذيبة (Lysosomal Enzymes) وبالتالي تنطلق في الخلايا ، وهذه بحد ذاتها تساعد على السرطان .

الكحول كمادة حافزة (Promoter) :

تعتبر المواد الحافزة (Promoter) غير قادرة بذاتها على تسبيب السرطان ولا بد من وجود المادة البادئة ويمكن لبعض المواد أن يكون لها خاصية مشتركة أي بادئة وحافزة ، وان كانت هذه المواد قادرة على زيادة نمو الخلايا والأنسجة (فرط التنسج) (Hyperplasia) ولا بد من كثرة التعرض لهذه المواد وبدرجة تركيز معينة حتى تصل الى تغيير نمو الخلايا الطبيعي .. وقد ثبت من الأبحاث العديدة أن الكحول مادة حـافزة للسرطان . وعندما وضع الكحول على أنسجة الحيوانات لفترات متكررة وجد أن الكحول مادة حافزة للسرطان وتؤيد الدراسات المتعلقة بانتشار الأمراض (Epidemiology) دور الكحول كمادة حافزة للسرطان وذلك في سرطانات الجهاز الهضمي ابتداء بالفم والبلعوم وانتهاء بالكبد .. وهي المواقع التي يتركز فيها وجود الكحول لدى شاربي الخمور .

ورغم أن سرطان الكبد متعلق بفيروس الكبد من فصيلة (B) الا أن دور الكحول كمادة حافزة في سرطان الكبد قد ثبت بما لا يدع مجالا للشك .

الدراسة الابيديمولجية (دراسة انتشار الأمراض) :

توضح الدراسات الابيديمولجية مدى ارتباط الكحول بالسرطان . ورغم ما يعتور هذه الدراسة من صعوبات جمة تتعلق بدراسة السكان ونمط شرب الخمور والكمية المتعاطاة الا أن هذه الدراسات قد أثبتت ذلك الترابط الوثيق بين جملة من السرطانات وتعاطي الخمور .

وتدل الدراسات على المدمنين أن هناك زيادة تقدر بـ ٧٠٪ في الوفيات الناتجة عن السرطان لدى مدمني الكحول بالمقارنة مع غير المدمنين .. وبما أن هؤلاء المدمنين أيضا يدخنون بشراهة وبما أن التدخين أيضا عامل أساسي وهام في انتشار السرطان فإن الارتباط بين المادتين السامتين الكحول والتبغ يؤدي الى زيادة كبيرة في السرطان .. وذلك لأن الكحول تزيد بدرجة كبيرة من قدرة التبغ على إحداث السرطان .. فالتبغ مادة أساسية وأولية في تسبيب السرطان،والكحول مادة حافزة ومساعدة .

وتدل الدراسات المتعددة على أنه كلما زاد التعرض للكحول زادت نسبة حدوث السرطان وخاصة في سرطان المريء حيث ترتفع نسبة حدوث سرطان المريء على هيئة متواليات هندسية لوغارتمية بزيادة استهلاك الكحول .. ولذا فإن مدمني الخمور يتعرضون بالإضافة الى الأمراض العديدة التي تسببها الكحول الى خطر كبير جدا وهو إصابتهم بالسرطان وخاصة في الجهاز الهضمي ابتداء من الفم والمريء وانتهاء بالكبد .

ويبدو من الدراسات المتعددة أن الكحول بحد ذاتها هي المسبب لهذه الزيادة في السرطان اذ لا يوجد فرق حقيقي بين شارب البيرة والنبيذ أو الويسكي .. وانما المهم هو الكمية المتعاطاة من الكحول .. فكلما زادت الكمية واستمرت لفترة طويلة من الزمن زاد احتمال الإصابة بالسرطان .

ارتباط التدخين والكحول :

لقد دلت الدراسات العديدة على أن أغلب مدمني الخمور هم أيضا يدمنون التدخين بشراهة كما دلت الدراسات على أن المواد المسرطنة الموجودة في التبغ تزداد شراسة وعتوا بوجود الكحول الذي يعمل كمادة مساعدة - Co) (Caroinogen وكمادة حافزة (Promoter) وكمثال على ذلك فإن سرطان الحنجرة يزداد بنسبة خمسين بالمئة عند اجتماع المادتين بالمقارنة مع جمع حاصل خطورة كل من التدخين والكحول اذا قيسا على حدة . أما بالنسبة لسرطان الفم والمريء فإن خطر الكحول يزيد على خطر التبغ فبينما نرى أن ٤٣٪ من سرطان الفم والمريء يرجع الى الكحول نرى أن ٣٣٪ يعود الى التدخين .

مواقع السرطان التي تزداد بشرب الخمور :

١ ـ **سرطان الرأس والعنق** : لقد أثبتت الدراسات العديدة ارتباط إدمان الكحول بسرطان الرأس والعنق وقد عرف ذلك منذ القرن التاسع عشر . وفي عام ١٩٥٦ أضاف (Wynder) أدلة احصائية عندما أثبت أن من يشرب سبع أوقيات من الويسكي يوميا يتعرض لسرطان الحنجرة بنسبة عشرة الى واحد بالمقارنة مع غير المدمنين وأثبتت الدراسات المتتالية زيادة في سرطان الفم والبلعوم والحنجرة

وتزداد نسبة اصابة هذه المواضع بالسرطان مع استعمال التبغ ... ويبدو من هذه الدراسات أن الكحول مساوٍ على الأقل في تأثيره المسرطن على هذه الأنسجة (الفم ـ البلعوم ـ الحنجرة) للتبغ ..

ورغم وجود عوامل أخرى تتهم بتسبيب السرطان في هذه الأعضاء مثل نقص فيتامين (أ) أو (ج) ومادة الاسبستوس وتسوس الأسنان وشرب أو أكل الطعام الحار والمواد الحريفة الا أنها جميعا لا ترقى الى مستوى التبغ أو الكحول .

٢ ـ **المريء** : يختلف حدوث سرطان المريء من بلد الى آخر .. وقد سجلت أعلى الحالات في الصين والاتحاد السوفياتي ومناطق من الشرق الأوسط مثل ايران والعراق .

ويعتبر سرطان المريء في أوروبا والولايات المتحدة مرتبطا بالكحول .. ورغم أن التدخين يزيد من حدوث سرطان المريء الا أن الكحول تعتبر أهم في حدوث هذا السرطان .. وقد وجد الدارسون أن سرطان المريء يزداد بنسبة لوغاريتمية كلما زادت كمية الكحول المتعاطاة .. وتبلغ النسبة لدى المدمنين عشرين ضعف ما عليه لدى غير المدمنين .

وعلى الجملة كما تقول المجلة الطبية لأمريكا الشمالية فإن ٨٠٪ من جميع حالات سرطان المريء في الولايات المتحدة وأوروبا والغرب عامة ترجع الى الكحول والتبغ . وهناك أسباب أخرى لسرطان المريء وخاصة خارج البلاد الغربية مثل الصين والشرق الأوسط حيث نجد أن نقص الحديد والريبوفلافين (فيتامين ب) والنيكوتينك والزنك والمغنسيوم هي من العوامل المهمة لسرطان المريء .. ومضغ التبغ والتامبول كذلك ..

٣ ـ **سرطان الكبد** : يختلف حدوث سرطان الكبد من بلد الى آخر .. ففي كثير من البلاد النامية يعتبر سرطان الكبد من السرطانات المنتشرة .. ويرجع سبب ذلك الى انتشار التهاب الكبد الفيروسي من نوع (B) .

أما في الغرب فيرجع سبب انتشار سرطان الكبد الى كثرة شرب الخمور أساسا .. كما تقول المجلة الطبية لأمريكا الشمالية . وتدل الدراسات التشريحية التي أجريت على الموتى أن ٣٠٪ من جميع المصابين بتليف الكبد الكحولي قد أصيبوا بسرطان الكبد

وقد وجد كيلر (Keller) ان سرطان الكبد زاد ثلاثين ضعفا لدى مدمني الخمور المصابين بتليف الكبد بالمقارنة مع غير المدمنين .

والجدير بالذكر أن سرطان الكبد قد يحدث لدى مدمني الكحول حتى مع عدم وجود تليف بالكبد .

وقد وجد الباحثون العلاقة الوطيدة بين سرطان الكبد وفيروس التهاب الكبد من نوع (B) . ورغم أن هذا الفيروس منتشر في كثير من البلدان النامية الا أنه محدود الانتشار في أوروبا وأمريكا .. وقد وجد الدارسون في الغرب أن هذا الفيروس ينتشر في الفئات التالية :

١ ـ مدمني الخمور .
٢ ـ مدمني المخدرات .
٣ ـ الشاذين جنسيا .
٤ ـ المرضى الذين يستخدمون الكلى الصناعية .. وذلك لتكرار استخدام الدم .. وكذلك العاملين بوحدات الكلى الصناعية .. وبما أن الفيروس ينتقل عبر الدم أساسا فإن من يتعرض لتكرار نقل الدم أو يعمل في هذه الوحدات يتعرض للإصابة بفيروس التهاب الكبد الفيروسي من فصيلة (B) .
٥ ـ مرضى الهيموفيليا الذين يحتاجون لتكرار نقل الدم .

وقد وجد (Brechot) عشرين مصابا بسرطان الكبد وكانوا أيضا جميعا مصابين بتليف الكبد الكحولي والتهاب الكبد الفيروسي من فصيلة (B) مما يوضح الارتباط الوثيق بين إدمان الكحول والإصابة بالتهاب الكبد الفيروسي .

وان هذه الحقيقة المرعبة تكتسب بعدا خاصا عندما نعلم أن الإصابة بالتهاب الكبد الفيروسي تجعل خلايا الكبد أكثر استعدادا للإصابة بتأثيرات الكحول السامة .. وبما أن الكحول مادة مساعدة للسرطان (Co - Carcinogen) والتهاب الكبد الفيروسي مادة مسببة للسرطان فإن اجتماع هاتين المادتين يشبه اجتماع البنزين في كومة من القش التي سرعان ما تلتهب بحريق هائل .

سرطان المستقيم (Rectum) :

لقد دلت الدراسات الاحصائية في الولايات المتحدة على ارتباط سرطان المستقيم والقولون بشرب الخمور وخاصة البيرة (الجعة)

وبما أن الكحول تسبب أنواعا من الإسهال والتهاب القولون والمستقيم المزمن كما أنها تزيد من إفراز الصفراء في الأمعاء فإن ذلك قد يفسر هذه الزيادة في السرطان .

وتدل الأبحاث التي أجريت على عمال وموظفي صناعة البيرة في إيرلندا على أن هناك زيادة في سرطان القولون والمستقيم بالمقارنة مع بقية السكان وتقدر هذه الزيادة بـ ٨٠٪ عن بقية السكان .

المعدة :

إن العلاقة بين سرطان المعدة والكحول ليست قوية مثل سرطان البلعوم أو المريء أو الكبد مثلا .. ومع هذا فقد وجد (Flamant) و (Mac Donald) أن هناك ارتباطا وثيقا بين سرطان المنطقة الفؤادية من المعدة Gasteric Cardia واستهلاك الكحول . وتؤكد ذلك دراسة حديثة من فرنسا أجراها (Hoey) وزملاؤه حيث وجد هؤلاء الباحثون أن سرطان المعدة

يزداد بدرجة كبيرة لدى مدمني النبيذ وبدرجة تبلغ ٩٠٦٪ بالمقارنة مع غير المدمنين .

البنكرياس :

لا يزال دور الكحول في تسبب سرطان البنكرياس يسبب جدلا حاميا في الأوساط الطبية .. ويبدو من هذه الدراسات أن الكحول تسبب زيادة غير كبيرة في سرطان البنكرياس رغم ارتباط الكحول بالتهاب البنكرياس الحاد والمزمن .

مواقع أخرى :

يبدو من الدراسات على المدمنين زيادة في سرطان الرئة .. ولكن عند التحقيق وجد ان هذه الزيادة ترجع في معظمها الى زيادة التدخين واستهلاك التبغ وليست راجعة بالدرجة الأولى الى الكحول . ويلعب الكحول في ذلك دورا ثانويا بالمقارنة مع التبغ .

وقد وجد أن معظم مدمني الخمور يدخنون بشراهة ولعل هذا ما يفسر ارتباط سرطان الرئة بالمدمنين .. رغم أن الكحول تعمل كعامل مساعد (Co - Carcinogen) وكعامل حافز (Promoter) للمواد الموجودة في التبغ .

ووجد الباحثون أيضا علاقة بين استهلاك الكحول وسرطان الثدي ولكن مدى ارتباط الكحول بسرطان الثدى يحتاج الى دراسات أوسع حتى تتبين العلاقة بينهما ..وحتى يتبين كذلك مدى الزيادة في سرطان الثدي نتيجة الكحول .

الإدمان ومريض السرطان :

بصرف النظر عن علاقة الكحول كمادة مسببة للسرطان ، فإن مدمن الخمر يعرض نفسه لزيادة انتشار السرطان مهما كان نوعه عندما يستمر في شرب الخمور . ليس ذلك فحسب ولكن الكحول تتعارض مع كثير من العقاقير التي تعطى لعلاج السرطان وبالتالي تزيد من درجة سميتها . وبما أن العقاقير المستخدمة في علاج السرطان مواد شديدة السمية فإن هذه السمية تزداد بدرجة خطيرة عند تعاطي الكحول .

ليس ذلك فحسب بل إن العمليات التي تجري للمصابين بالسرطان تتعرض الى نسبة فشل أكبر لدى مدمني الخمور .

وكذلك تزداد المضاعفات الناتجة عن العلاج بالذرة والأشعة لدى مدمني الخمور .. وتعزى مضاعفات الكحول هذه الى سمية الكحول المباشرة على الأنسجة والخلايا والى سوء التغذية المصاحبة دوما لمدمني الخمور .

وتعتبر بعض المضاعفات محصورة لدى مدمني الخمور ومثال ذلك الهذيان والارتعاش : (Delerium Tremons) الخطير والذي يحصل بعد إجراء عملية لمدمن الكحول . ولهذا فإن كل مدمن خمر يحتاج الى اجراء عملية جراحية وخاصة العمليات الكبيرة التي تجري لأنواع السرطان مثل سرطان المريء ، ينبغي إدخاله الى المستشفى عدة أيام قبل موعد العملية وذلك لتغذيته وإعطائه المهدئات مثل الفاليوم والمواد المضادة للتشنج مثل الهيمنفرين (Heminevrin) .

وبما أن كثيرا من العقاقير المستخدمة في علاج السرطان تسبب نقصا في خلايا الدم المختلفة (الحمراء والبيضاء والصفائح) وبما أن الكحول بحد ذاتها أيضا تسبب نقصا في خلايا الدم المختلفة إما بطريق مباشر على النخاع حيث تصنع الخلايا أو نتيجة تضخم الطحال في حالات زيادة ضغط الدم في الوريد البابي حيث تقوم الطحال المتضخمة بتحطيم خلايا الدم بصورة متزايدة فإن استخدام العقاقير المضادة للسرطان لدى مدمن الخمر تؤدي الى زيادة نقصان خلايا الدم وبالتالي الى مزيد من مضاعفاتها المتمثلة في النزف المتكرر وزيادة شراسة عدوى الميكروبات وتكرر فقر الدم بأنواعه المختلفة .. ولهذا ينصح الأطباء باعطاء جرعات أقل من الأدوية المضادة للسرطان عندما توصف لمدمن خمر .

وهناك من الأدوية المضادة للسرطان ما يتعارض تعارضا تاما مع الكحول مثل مادة البروكاربازين (Procarbazine) التي تسبب أعراضا سمية مميتة اذا تناولها الشخص وتناول شيئا من المشروبات الكحولية .. وهي في هذا تشبه مادة الـ (Antabuse, Disulfiram) التي تتعارض مع الكحول وتمنع تحوله من مادة الاستلداهيد الى حامض الخليك .

وبما أن مادة الاستلداهيد مادة شديدة السمية وتسبب القيء الشديد والتشنج بل والوفاة فإن تعاطي عقار البروكاربازين وتعاطي الكحول يؤدي الى مخاطر شديدة وبيلة العاقبة .

ولهذا فإن تعاطي الكحول يتعارض تعارضا شديدا وخطيرا مع علاجات السرطان المختلفة ابتداء من العمليات الجراحية وانتهاء بالعقاقير مرورا بالعلاج بالأشعة .. والعلاج الطبيعي والتأهيل المهني .

ماذا يفيد

للشاعر : محمود محمد بكر هلال

بعد الذي قَدَّرتَهُ وفعلته ماذا تريد ؟
قد كنت مسموع الكلا م ؛ فمن صغى لك يستزيد !!

قد كنت مرفوع المقا م وكل يوم في مزيد
قد كنت ترفل في النعيم تعيش في قصر مشيد !!!

قد كنت تنعم بالحيا ة ولذّة العيش الرغيد
تسعى إليك الخادما ت كأنهنَّ لك العبيد !!

كل النفوس إليك تهفو كلها ظمأ شديد !!
ولك المكانة والعلا والذّكر والصيت البعيد !!
يلتفّ حولك زمرةٌ من قادة الفكر الرشيد

ولـك الصـدارة كلـهـا أيـان تبـدأ أو تـعيـد !!
تحظـى بتقـديـر ورأ يـك كلـه رأي سـديـد !!

لا يـرتضـون بغـير حكـــمـك فيـه وعـد أو وعيـد !!
وحـديثـك السِّحـر الحـلا ل كـأنـه سحـر النشيـد !!

ونـداك مبـذول يطـوّ ق في سخـاء كـلّ جِيـد !!
قـد كـان هـذا كلـه أيـام عِـزّك يـا سـعيـد !!

لكـن ومـا أقسـاه حـر فـا كـالمنـاشر مـن حـديـد
ينفـي ويثبـت كـالـزمـا ن وسـرّه النـافي أكيـد

لكـن تـغيـرت الأمـو ر وصـرت في وضـع جـديـد
وتنـاثـر الـرواد والـــقصـاد في واد بـعيـد !!!

وكـأنـهـم لـم ينـعمـوا بـالخـير من وقت مـديـد !!
وكـأن عيشـك كـان حــلـوا كلـه عسـل عقيـد !!!

هـلا وضـعـت لـهـم طـعـا مـا فيه ملـح من (رشيـد) !!
دنيـا ونـاس والـزمـا ن عـلى تقلبـهـم شـهيـد

فـاحـذر أسـاليـب النفـا ق فـرب مقتـرب بـعيـد !!
واحـذر تصـاريـف الحيـا ة فكم هـوى فيهـا شهيـد !!

نحوَ مسرح إسلامي معاصر

مسرحية ذات

فصل واحد

للدكتور /

عماد الدين خليل

التحدي

صالة كازينو صحارى في مدينة شرقية ..

تنتشر المناضد الصغيرة المحاطة بالكراسي ، منتظمة هنا ، مبعثرة هناك ، يجلس عدد من الزبائن متحلقين على المناضد فرادى ومجتمعين ، بعضهم يلعب النرد أو الشطرنج أو الدومينو ، وبعضهم الآخر يقرأ أو يتحدث أو يعاين المارة في الشارع المحاذي ، وثمت آخرون أسلموا انفسهم لتيار عالمهم الباطني يتأملون .

يدخل أحد الزبائن وعلى وجهه سيماء الارتياح والسعادة ويجلس على كرسي مجاور لاحدى المناضد الفارغة .. بعد لحظات يتقدم اليه عامل الكازينو « النادل » .

النادل : (بابتسامته التقليدية) أهلا سيد عدنان .. ماذا تحب ان تشرب ،

عدنان : (مبتسما هو الآخر) الشاي السادة طبعا ، ولكني أحب ان تؤخره قليلا ريثما يجيء عبدالرحمن .. إنه آت ، بعد دقائق فقد حان موعده ..

(يهم النادل بمغادرة المكان)

عدنان : لحظة واحدة ، أحب ان تأتيني بالشطرنج فان بيني وبينه اليوم لقاء حاسما .. لقد تحداني انا الذي لم أهزم في حياتي قط !!

النادل : حاضر .

(يبتعد قليلا ويعود لكي يضع الشطرنج على المنضدة) يبدأ عدنان بترتيب القطع ، واذ يلتفت قليلا صوب اليمين تلتقي عيناه برجل يجلس وحيدا الى المنضدة المجاورة فيخفض له رأسه قليلا علامة التحية ، فلا يرد الرجل .. يعود عدنان الى ترتيب القطع ..

عدنان : « مع نفسه » سأعتمد تكتيكا جديدا لسحق عبدالرحمن .. سأكثر من الفراغات أمام الملك لكي أمنحه قدرة أكبر على الحركة ، ولكي أجعله يتنفس ، وسأجعل الوزير يرمي بثقله كلية منذ اللحظات الاولى .. سأفاجئه بالخطة وسأقضي عليه في وقت قصير .. لقد تحداني وسيكون ردي مناسبا . (يفرك يديه بقدر من الارتياح ويلتفت قليلا الى اليمين فيرى الرجل المجاور على جلسته يحدق فيه .. يعروه شيء من الخجل والارتباك يحاول ان يغطي عليهما بتحية اخرى للرجل ولكن هذا لا يرد ، فما يكون من عدنان الا ان يبعثر بهدوء قطع الشطرنج لكي يشغل نفسه قليلا باعادة ترتيبها ، وبعد اقل من دقيقة يسترق النظر من زاوية عينه الى الرجل المجاور فيراه لا يزال يحدق فيه .. يصفق عدنان بيديه بشيء من القلق والارتباك ، وبعد لحظات يكون النادل الى جواره).

النادل : نعم

عدنان : الشاي !!

النادل : الا تنتظر حتى يأتي عبدالرحمن ؟.

عدنان :نعم، فقد تأخر عن موعده ، وأنا اريد أن اشرب الشاي .

النادل : حاضر .

عدنان : أريده سادة ..

النادل : اعرف ، لقد قلت ذلك من قبل .

عدنان : ولكني أؤكده هذه المرة ، فأنا لا اطيق الشاي الممزوج بالحليب ، إنه يفقده طعمه الحقيقي ، ثم إنه يمثل وجبة غداء مشبعة ، وانا لا يعجبني أن أتناول عشائي مبكرا .

النادل : (بشيء من نفاد الصبر) ، حاضر .

عدنان : اسمع ، لا أريد أن تضع فيه كمية كبيرة من السكر ، لانها تفقده طعمه هي الأخرى ..

(يغادر النادل المكان ، وينتهز عدنان فرصة مروره قريبا من المائدة المجاورة فيلقي نظرة خاطفة الى الرجل . فاذا به لا يزال يحدق فيه ، فما يكون من عدنان الا ان يحرك بعصبية اتجاه كرسيه واضعا ظهره بمواجهة الرجل .. يدخل عبدالرحمن ويجلس قبالة صديقه دون ان يسلم)

عبدالرحمن : ها قد أعددت العدة ، يبدو انك تتسرع الخسارة ، وأنا لازلت عند كلمتي .. سأهزمك !!

عدنان : « بشيء من عدم الارتياح » لن تقدر

عبدالرحمن : لقد درست خططك كافة ، وقد أصبحت مكشوفة لي بحذافيرها ، إن الضربات المباغتة لم

تعد تخيفني ..
عدنان : لم يهزمني أحد من قبل ..
عبدالرحمن : ولكنك ستهزم هذه المرة فلندفىء بطوننا بالشاي اولا ثم لنبدأ الصراع ، وسأجعل امبراطورك يتخلى مرغما عن عرشه .. (يضحك) إنها سنوات الشؤم على الأباطرة ، الا ترى كيف سقط عبرها ثلاثة منهم ؟
عدنان : ولكن امبراطوري لن يسقط ، انه اقوى منهم جميعا ، فانا املك زمام مصيره .

عبدالرحمن : دعنا من هذا فأنا لا افهم شيئا في الفلسفة !
عدنان : ولكنك تتحدث في السياسة وهي بشكل من الاشكال نوع من الفلسفة .

عبدالرحمن : لم اقرأ في حياتي كتابا واحدا في الفلسفة ، ولا حتى في السياسة ولكن اللعبة هي التي علمتني الكثير عن قواعد القافية وممارساتها !
عدنان : ولكنك بحاجة الى ان تبطن معلوماتك عن السياسة بالقراءة فيها ..

عبدالرحمن : لا داعي لذلك مطلقاكما دام ان الساسة انفسهم لا يقرأون .
(يجيء النادل حاملا كوبا واحدا من الشاي فيطلب منه عبدالرحمن كوبا أخر ، وينتهز عدنان الفرصة فيلتفت قليلا صوب الرجل المجاور فاذا به لا يزال يحدق فيه ..)
عدنان : (ينفخ في الهواء) انني لا اشعر بالارتياح (يحرك كرسيه قليلا)

عبدالرحمن : ارجو الا تكون هذه احدى مظاهر حربك النفسية من اجل هزيمة خصومك ، تتظاهر بعدم الارتياح متخذا من فتور خصمك ثغرة تنقض منها لكي تضرب ضربتك .
عدنان : ثق يا عبدالرحمن أنني لست مرتاحا هذه المرة .. انني احس بشيء من القلق الدفين .. القلق اللعين ..
عبدالرحمن : اهي محاولة لبقة للهروب من المجابهة ؟
عدنان : أبدا .. إنني مصر على اللعب .
عبدالرحمن : أثمت مشكلة تركتها وراءك في البيت ؟
عدنان : المشاكل كثيرة ، ولكنني اليوم غادرت البيت على أحسن حال .
عبدالرحمن : فاذن ، ليس هناك ما يدعو الى عدم الراحة اللهم إلا ..
عدنان : « مقاطعا » انها عادة حقيرة هذه النظرات الطفيلية التي تنصب عليك !

عبدالرحمن : (لا يفقه شيئا) !
عدنان : في كازينوات اوروبا ونواديها تجلس الساعات الطوال دون ان يتطفل عليك احد ولو بنظرة خاطفة ولكنهم هنا (يضرب على المنضدة) ، هنا ..
عبدالرحمن : (متراجعا بكرسيه الى الوراء) ماذا حدث يا عدنان لقد كدت ان تسكب الشاي علي ..
عدنان : إنه يلاحقني بنظرته منذ اكثر من عشر دقائق ، ماذا يريد ، وكيف تكون قلة الذوق (يرفع صوته قليلا) كيف تكون قلة الادب ، إنني أحس كما لو انه يريد ان يخترق عظام

الجمجمة لكي يرى ما يحدث في دماغي !

عبدالرحمن : عم تتحدث ؟ انني لا أكاد أفهم شيئا .. اوضح قليلا .. فلا يمكننا ان نبدأ اللعبة قبل ان نتجاوز معا هذا الغبار الذي لا ادري ما الذي دفعك الى اثارته ..

عدنان : « بإشارة خفيفة من يده الى الوراء بصوت هامس ، انظر اليه ، الى الرجل المجاور الذي أدرت له ظهري ألا يزال يحدق في ؟

عبدالرحمن : (يخطف نظرة الى المنضدة المجاورة) لعل الرجل في لحظة من لحظات شروده الذهني ، ما الذي يجعلك تحكم عليه هذا الحكم القاسي ؟

عدنان : اي شرود هذا ، أثمت شرود يتجاوز الدقائق العشر ، اللهم الا ان يكون الرجل ابله او متطفلا ، وانا احتقر هذا النوع من التطفل (يرفع صوته) احتقر كل انواع التطفل ، انه اختراق لأمن الآخرين وتجاوز على حرياتهم .. انه بتصرفه هذا يجعلني احس بشيء من القلق وبعد قليل ، ربما ، بشيء من الاختناق ، وسيسلب مني متعة اللعب ، يقينا انه سيسلب مني متعة اللعب ..

عبدالرحمن : وربما متعة الانتصار ايضا !! (ثم كمن يتذكر شيئا) : ولكن قل لي الا يجوز أن يكون الرجل من ؟

عدنان : (وكأنه قد بوغت) ابدا ، لا يمكن ان يحدث هذا ، لا يمكن بأية حال من الاحوال .. انني لم امارس في حياتي العامة غير اللعب فعلام يكون هذا الذي تتصوره ؟

عبدالرحمن : ولكنك كنت تتحدث قبل لحظات عن ضرورة المطالعة في السياسة ، وتعميق الوعي بها بمزيد من القراءة !

عدنان : هذا ما قلته بعد مجيء الرجل .. ثم ان القراءة في السياسة لا تعني ممارستها بأية حال من الاحوال ..

عبدالرحمن : الا يجوز أنك كنت قد اعدت القول فيه في اكثر من مناسبة بحيث اصبح بالنسبة لك اشبه بالعقيدة ؟

عدنان : عقيدة ؟ انك تذهب بعيدا يا أبا العوف ، أية عقيدة هذه فأنا الذي لم أنْتَمِ في حياتي لغير مذهب واحد هو اللعب، واللعب واللعب حتى يصدقك الناس ، أما تكفيني مشاكلي في البيت والدائرة ؟

عبدالرحمن : ولكن اللعب المستمر والاندماج فيه الى حد الجنون ربما يقود الى استنتاج قد لا يجعلك بمنأى عن العواقب !

عدنان : كيف ؟ لا يمكن !

عبدالرحمن : انه اعلان ، بطريقة ملتوية ، عن الرفض ، والرفض ـ وانت ادرى ـ جريمة يعاقب عليها القانون !

عدنان : مهما يكن من أمر فان نظرات الرجل التي تحمل هذا القدر المقرف من الاقتحام والتحدي لا توحي بأنه يمارس المهمة إياها .. انهم لا ينظرون هكذا ، على العكس انهم يحاولون ما وسعهم الجهد الا تلتقي عيونهم بعيون الآخرين ..

عبدالرحمن : في هذه النقطة انا معك تماما .. ولكن للزمن احكام !

عدنان : لقد اخذ شعوري بالضيق يتزايد ..
عبدالرحمن : حاول ان تتغاضى ثم انك بعد قليل ستنغمر في اللعب ، ولن تنتزعك منه اشد العيون قدرة علي التوغل والاقتحام !
عدنان : (مواصلا) ومن يدري فلعلي سأضطر لمجابهته بالمثل فأصب عليه سيلا من نظراتي القاسية ، وربما ، اذا اقتضى الامر سيلا من السباب انك لا تستطيع ان تعامل الكثير من الناس بالاحترام المطلوب (يرفع صوته) لا بد من تجاوز حدود الادب احيانا ، انظر اليه مرة اخرى فلعله قد كف عن استفزازي .. انني اريد ان العب ..

عبدالرحمن: (يبتسم وهو يلقي نظرة خاطفة اخرى) ، لقد كف الرجل عن تحديك وهيا لكي تجابه التحدي الآخر .. سأهزمك !

عدنان : (يلتصق اكثر بالمنضدة وينكب على رقعة الشطرنج) هيا ..
عبدالرحمن : (وهو يحرك احد جنوده) كل الذي ارجوه ألا تحتج بالمتاعب التي سببتها لك نظرات الرجل اذا ماكسبت الجولة .. انني أكره الاحتماء بالأعذار
عدنان : ومن قال انك ستكسب الجولة ؟ عقلك الباطن ؟ رغباتك المكبوتة ؟
عبدالرحمن : (يقتل جنديا ويرمي به في الصندوق) لا اعرف شيئا عن هذه التقسيمات ، انني اعرف شيئا واحدا هو الفعل ، الانجاز .. احذر فوزيرك في خطر !!

عدنان : اقتله اذا شئت وسينقلب قتله عليك وبالا .. ان الفعل ، او الانجاز اذا شئت ، لن يتحقق هكذا من الخارج ، لا بد من اصرار مسبق على تنفيذه والتحقق به ، واذا كان العقل الواعي هو جهاز السيطرة ، فان العقل الباطن هو المخزن الذي يرفد افعال الانسان .. القلعة : سأدمر قلعتك !

عبدالرحمن : (وقد فوجىء بالهجوم) لم انتبه الى هذه أيها الثعلب ، ولكن الطريق طويل بعد ..
عدنان : (يضرب القلعة ويرميها بعنف في الصندوق ، واذ تسقط بعيدا ينكب لالتقاطها فتقع عينه صدفة على وجه الرجل المجاور فاذا به لا يزال يحدق فيه ، يعود الى جلسته ممتقع الوجه ، منفعلا) لقد شرخت دفاعك وسوف اضربك من الخلف !

عبدالرحمن :(بروح انتقامية ولهجة ذات مغزى) لن يقدر علي الضرب في الخطوط الخلفية من كان ظهره مكشوفا للخصم .. احم ظهرك اولا ..
عدنان : (بانفعال) لن تؤثر هذه الترهات على مستوى لعبي ، ومع ذلك فسأضطر اذا اقتضى الامر ان أحمي ظهري .. لقد جاوز الامر كل حدود المعقول (يلتفت الى الرجل التفاتة كاملة ويرميه بنظرة طويلة قاسية دون ان يطرف للرجل جفن ، فيعود عدنان الى جلسته اكثر انفعالا) العب !
عبدالرحمن : (يحرك احدى قطعه) فعلا ، انا لم ار في حياتي ما يفوق هذا الرجل في صلافته !

عدنان : سأتجاوز من اجلك الاكتراث به حتى تنتهي الجولة وسأصفي حسابي معه حينذاك ، لا بد من تصفية الحساب (يحرك وزيره حركة سريعة) .. ولأبدأ بك اولا ..

عبدالرحمن : (بعد نظرة متمعنة في الرقعة يفرك يديه ارتياحا) ها قد سقط الفيل ، سانحره كما تنحر النعاج (يرمي به جانبا) وافعل ما بدالك !

عدنان : (كمن اسقط في يده) لا بأس .. لا بأس .. فيل بجندي ، ولكن حذار فاني عندما امارس الانتقام اذهب الى حده الاقصى .. ان طعمه في الفم احلى من العسل المصفى .. الوزير !

عبدالرحمن : (يبعد وزيره بحركة ذكية) انني لاستمتع حقا عندما أنازل أناسا مثلك يلعبون بكل جوارحهم ، صحيح ان الخسارة قد تخرجهم احيانا عن جادة الصواب فتسمع منهم ما يسرك وما لا يسرك الا ان هذا الاندماج الكامل في اللعب يعطيه متعته الحقيقية ..

عدنان : أتدري انني أهرب بحمى اللعب هذه ، من عشرات الأنواع من الحمى التي تطاردني في الليل والنهار ، في البيت والدائرة والشارع ، ان العصر يسحقنا يا عبدالرحمن ،يفركد بيديه الفاسيتين ككائنات لا حول لها ولا قوة .. اننا ضائعون مطاردون ، عشرون عاما والكبت الملعون يسلخ جلدي بسياطه الملتهبة ، يحرق جسدي حتى اخر خلية فيه .. وعندما أهرب الى الشارع أكاد أجن وأنا انظر الى عشرات المثيرات والمغريات ، حيثما التفتُّ وأنَّى وضعتُ خطاي ، لا ارى الا ما يشعل الشهوة في كياني ، واتمنى لو اصرخ ، لو أركض بحثا عن ملجأ آوي اليه .. وهيهات .

عبدالرحمن : (وهو يزيح جنديا من طريقه) ولماذا لم تتزوج مبكرا وتتجاوز هذا كله ؟

عدنان : (يضحك) اتزوج ، ولماذا لم تتزوج انت مبكرا ؟ الست لحما ودما مثلي ؟ ام تريد ان تبدو امام الآخرين ملاكا ؟ فهل بمقدورك ان تحتمي من الله ؟

عبدالرحمن : لقد أثار الرجل اعصابك .. هدىء من روعك يا أخي ، فانا لم أكذب عليك مرة واحدة في حياتي ، أتدري لماذا لم أتزوج مبكرا ؟

عدنان : التقاليد الملعونة وقيود المجتمع التي ما أنزل الله بها من سلطان ..

عبدالرحمن : بالضبط ..

عدنان : (وهو يحكم الحصار بحصانه على الفيل) فلماذا تطلب مني ان أكسر هذا كله .. هل كان بمقدورك ذلك ؟ الفيل !

عبدالرحمن : لا بأس .. ولكن هل أنقذنا الزواج أخيرا من المطاردة ؟

عدنان : اتسألني أنا ؟

عبدالرحمن : (بخبث) كلا .. إنما هو سؤال موجه الى الرجل الذي يبدو انه قد عشقك !

عدنان : (يلتفت بحركة لا ارادية الى الرجل الذي لا يزال يحدق فيه)

بصراحة ، لم يفعل الزواج شيئا فالمشاكل التي انفجرت في اعقابه كثيرة ..

عبدالرحمن : (بحزن) الروتين والهموم المعاشية ..

عدنان : لا تهمني هذه ، لقد اعتدت عليها .. ولكن مواقف محرجة كهذه تقتلني ! الاحساس الخائف القلق بأن هناك من يلاحقني فيسلبني آخر ما تبقى لي .. الأمان .. إنني أشعر بأن هناك من يعريني رغما عني ، (يرفع صوته) ملعونة أنت ايتها الخنازير !! (يخفض صوته) انني آتى الى هنا هروبا من متاعبي كلها ولذا تراني ادفن نفسي في حمى اللعب الى حد الجنون ، فكأنني كمن يحتمي من النار بالنار ولكن شتان ! ولعل هذا هو السبب الذي يجعلني اتشبث بالنصر وأعض عليه بالنواجذ فماذا لو لحقتني الخسائر هنا ايضا ؟ ها هي قلعتك الاخرى تسقط ، فإلى لعنة الله (يرمي بها في الصندوق .. ينتهز الفرصة ويخطف نظرة الى الرجل المجاور فاذا به لا يزال يحدق فيه) لاحول ولا قوة الا بالله !

عبدالرحمن : (وهو يعاني حرارة سقوط قلعته الثانية) ماذا ؟

عدنان : هذا الخنزير سيضطرني الى سلوك ما لا تحمد عقباه !!

عبدالرحمن : (ينظر الى الرجل) حقا انه يحدق فيك كما لو كان يريد افتراسك انه قد تجاوز التطفل ، وحتى قلة الذوق ، الى نوع من الاعتداء ولا ادري ان كان بمقدورك ان تستجيب للتحديين معا .. العب ..

عدنان : (ممتقع الوجه غاضبا) سألعب ولن ادعه يهزمني (يحرك الوزير بسرعة) ..

عبدالرحمن : (يتمعن في الرقعة قليلا ثم يصرخ) ها قد قتل الوزير ولن يكون بمقدورك انقاذه هذه المرة .. لقد سحقتك يا عدنان ..

عدنان : (بصوت متيبس) لن أدعه يهزمني .. ماذا ؟ الوزير ؟ اقتله اذا شئت ولكنك ستخسر حصانيك ..

عبدالرحمن : (وهو يرمي بالوزير بتشف في الصندوق) لقد انتهى عهد القتال على الخيول ، اقتلهما فلاحاجة لي بهما !

عدنان : ولكن الكمائن لا يمكن تنفيذها بدونهما .. ستضطر للقتال على المكشوف

عبدالرحمن : ما دام وزيرك قد سقط فلا داعي لنصب الكمائن .. انظر لقد اصبحت هزيمتك امرا مؤكدا .

عدنان : عش في وهمك .. اما انا فسأفاجئك بكل فنون اللعب المعروفة وغير المعروفة حتى آخر لحظة .. وسأعرف كيف ادافع عن سمعتي ..

عبدالرحمن : (محاولا إثارته مرة اخرى) تدافع عن سمعتك ولا تدافع عن كرامتك .. حقا إن أمرك لغريب !

عدنان : (وقد تذكر) ستعرف كيف ادافع عن كرامتي ، ولكن ليس قبل ان اهزمك (يلتفت بعنف الى الرجل المجاور ويصوب اليه نظرات خاطفة كمن يريد ان يلتهمه ، والرجل على وضعه تماما يحدق في عدنان بالنظرات نفسها دون ان يطرف له جفن ، يعود عدنان لمواصلة اللعب) اتريد ان نؤجل اللعبة ريثما اصفي حسابي معه ؟

عبدالرحمن : (بمكر) لن أوافق على ذلك ابدا ، ولن اسمح لاحد بان يضيع عليَّ فرصة الانتصار الذي أصبح وشيكا ، ان الخطة التي تبلورت في ذهني الآن ستضيع وتلتبس لاي تأخير في اللعب (يحرك فيله لكي يحكم الحصار)

عدنان : لن تقدر علي .

عبدالرحمن : وها هو ذا الفيل الآخر !

عدنان : (بانفعال) الخنزير !

عبدالرحمن : (يحرك احد جنوده) هيا انقذ نفسك من الهزيمة ان استطعت (يفرك يديه بفرح ويهتز على كرسيه ضاحكا)

عدنان : (يلقي نظرة حزينة على الرقعة) .. هذه اول مرة تهزمني فيها .. لقد كسبت التحدي .. وأنا لا يعجبني ان احتمي بالاعذار .. لم أحتم بها يوما واحدا في حياتي ، ولكنني احب ان اقول لك إن الانسان لا يمكن ان يقاتل على جبهتين في وقت واحد .. كان لا بد ان أنسحب من احداهما لكي اتفرغ للاخرى !

عبدالرحمن : لن أقبل منك هذا التبرير على اية حال .. لقد هزمت وكفى ..

عدنان : انني اعترف بهزيمتي ، وانه ليسعدني ان تهزمني انت (يرفع صوته)
ولكنني لن اسمح لهذا الخنزير ..

عبدالرحمن : هون عليك ، وخير لنا ان نغادر المكان ، فليس لدى او لديك استعداد لاستقبال مشاكل اخرى ..

عدنان : (يضحك) اترك المكان هكذا ؟ واعلن عن استسلامي بالبساطة التي تتصورها ؟ منذ اكثر من نصف ساعة وهو يصوب علي نظراته اللئيمة كسهام ملأى بالسم الأصفر .. منذ اكثر من نصف ساعة وهو يتحداني .. نفس النظرات المثيرة ، المسمومة ، كان يصليني بها على هذا الكرسي .. لم تكن يا عبدالرحمن في حمى لعبك تحس بما كنت أعانيه .. لقد هممت اكثر من مرة بأن اقترب منه وأصفعه ..

عبدالرحمن : لحظة واحدة (ينادي على النادل فيتقدم هذا اليه فيسأله بصوت هامس) اتعرف هذا الرجل الذي يجلس الى جوارنا ؟

النادل : (يلقي نظرة سريعة) لم يسبق له ان جاء الى هذا الكازينو

عدنان : عجيب !

عبدالرحمن : ومنذ متى جاء هذا اليوم ؟

النادل : لا أتذكر بالضبط ، كنت أعد الشاي لعدد من الزبائن في المطبخ ، فلما خرجت مررت من هذا المكان فوجدته جالسا ..

عبدالرحمن : وهل طلب منك شيئا ؟ هل قال لك شيئا ؟

النادل : لم يطلب اي شيء ، ولم يقل شيئا ..

عدنان : لم يطلب اي شيء ؟ أجاء لكي يتسلى بتعذيبي ؟

عبدالرحمن : (ضاحكا) بل انت الذي جئت لكي تسليه ، فكنت كمن سعى الى حتفه بظلفه .

عدنان : (بعصبيته) سترى الآن من منا سيسلي الاخر (يدير الكرسي الذي يجلس عليه فيصبح بمواجهة الرجل ، ويبدأ التحديق فيه) بينما

يقف عبدالرحمن والنادل والدهشة تكسو ملامح وجهيهما .
عدنان : هأنذا قد تفرغت لك ، فانفث ما شئت من سمك الاصفر (يعض على مخارج الكلمات) انني اتحداك !!

الرجل : (لا يجيب بشيء)
عدنان : (يزحف بكرسيه مقتربا اكثر من الرجل) هكذا اذن ، عندما ادير لك ظهري تصليني بنظراتك الكاوية ، وعندما اقف قبالتك وأعرب عن استعدادي لمجابهتك ، لا تجيب بشيء .. جبان !

الرجل : (مستمرا على التحديق فيه دون ان ينبس بشيء)
عدنان : (وهو يدفع الكرسي اكثر باتجاه الرجل) لقد قادتني وقاحتك الى الخسارة ، وانا لم أعتد الهزيمة بسهولة ، ولن انهزم مرتين في يوم واحد اتسمعني ؟ لن أسمح لك بأن تهزمني مرتين (يصك على أسنانه) ايها الحقير !

عبدالرحمن : (صارخا) عدنان ! (يغادر النادل المكان ليداري عددا من الزبائن في زاوية بعيدة من الكازينو)

عدنان : أترى ؟ انه لا يرد علي .. هذا السافل ، ولكنه لا يزال يحدق فيٍ ، (يصرخ) أيها الشؤم الذي انقض علي من المجهول ، قل لي ماذا تريد ؟
الرجل : (مستمرا على التحديق) ..
عبدالرحمن : (يتقدم لكي يجر عدنان بعيدا عن الرجل ، لقد حان موعد مغادرتنا المكان ، هيا ، لا داعي لأن تحرق اعصابك .. فلعل الرجل يكون .. وتخسر اللعبة هذه المرة أيضا !!
عدنان : ليكن ما يكون ولكنني لن أدعه يهزمني (يصرخ) لقد قبلت التحدي ايها الحقير فافعل ما بدالك (ينهض واقفا على بعد خطوة من الرجل)
الرجل : (مستمرا في التحديق)
عدنان : ها أنت أيها القذر لا تستطيع مجابهتي .. حشرة وسوف أسحقها بقدمي .. قف (يبصق في وجهه) ..
عبدالرحمن : عدنان .. لا تتجاوز حدود اللياقة ..

عدنان : (يشير باحتقار الى الرجل ماطا شفتيه) أترى ؟ انه أجبن من أن يرد عليَّ .. ألم أقل لك إنه لن يهزمني .. (ينحني عليه ويأخذ بخناقه) ايها الـ (ما تلبث ملامح الانتصار ان تتحول فجأة الى رعب يغمر وجه عدنان ، ترتعش يداه ويغدو وجهه مصفرا بلون الذهب ، واذ يزداد ارتخاء يديه يسقط الرجل على الأرض) ..
عدنان : (بصوت مرتجف) عبدالرحمن .. ان الرجل ميت.. لقد كان ميتا .. لقد بصقت في وجه رجل ميت ..
(يتهاوى على الكرسي نفسه الذي كان الرجل يجلس عليه .. بينما يتجمع حوله بعض الزبائن ما يلبث عددهم ان يزداد حتى يحجب المنظر تماما !!)

ـ ستار ـ

لماذا أمك.. أمك أمك أمك

-٢-

للدكتور/ مصطفى كمال عبد المعز

أخي المسلم : تحدثت في عدد (شوال ١٤٠٧ هـ عما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يكرر أمك في الحديث الشريف ثلاثا وأباك مرة واحدة وبينت جانبا واحدا من الجوانب المتعددة التي تعانيها الأم طيلة حياتها الشاقة سعيا لتربية أطفالها ألا وهو جانب الحمل وتناولت في نفس العدد ما يصيب الأم من تغيرات وأعباء في القلب والجهاز الدورى أثناء الحمل .

والآن في هذا العدد أحاول أيضا بيان ما يصيب بقية أجهزة الجسم من هذه التغيرات التي سبق وأن قلت إن الجسم لم يتعودها من قبل :

○ الجهاز التنفسي ○

يزداد حجم الهواء الذي تستنشقه الأم مع كل شهيق وزفير وهذا في حد ذاته يتيح للأم وبالتالي الجنين التخلص بصورة جيدة من غاز ثاني أكسيد الكربون الضار « ك أ٢ » والحصول على كمية أكبر من غاز الأكسجين مما يفي باحتياجات ومتطلبات الجنين للنمو .

يزداد معدل استهلاك الأكسجين عن المعدل الطبيعي وذلك أيضا للوفاء باحتياجات الجنين .

وإذا استطلعنا هذين التغيرين لأدركنا قيمة العبء الملقى على الأم ومعاونة الخالق سبحانه وتعالى لها في هذه المهمة الشاقة عملا بقوله تعالى : « **لا تضار والدة بولدها** »

٢٣٣/البقرة .

ولكن كيف يكون الوضع لو كانت هذه الأم مصابة اصلا بفشل في الجهاز التنفسي أو زيادة نشاط الغدة الدرقية أو نوبات الربو الشعبي أو السل « الدرن » أو بأمراض حساسية الصدر « "Allergic Lung diseases" أو بالتهابات الرئة وبؤرها الصديدية أو حتى السمنة فبلا شك أن كل هذه الأمراض تقلل من كفاءة الجهاز التنفسي من جهة وتقلل من كمية الأكسجين التي يحصل عليها من جهة أخرى مما يتعذر معه حتى الاستفادة التامة بهذه الكميات الزائدة من

الأكسجين فيزداد شعور الأم بصعوبة التنفس والنهجان والاختناق ..

○ الجهاز العضلى والعظام ○

هناك ميل الى إصابة الأم بتقوس في عمودها الفقري Lumdar Lorbosis » وهذا ناتج كرد فعل من بعض الأمهات لمواجهة الوزن المتزايد لبطن الأم وجحوظها للأمام فتضطر للانحناء للخلف .

ويزداد هذا التقوس عند ارتداء « الأم» للأحذية ذات الكعوب العالية وهذا التقوس لا تتحمله عضلات الظهر والعمود الفقري فيحدث ألما في الظهر .

ـ قد يحدث ضغط على الضفيرة العصبية بالذراع نتيجة ارتخاء الاكتاف والحزام الكتفي SHOULDER GIRDLE فيحدث شعورا بالتنميل في اليد .

ـ يحدث ارتخاء في الأربطة والمفاصل وبالذات في مفاصل الحوض والأقدام مما قد يؤدي الى تفلطح القدم والاحساس بالألم فيها .

ـ قد يحدث تمزق في عضلات البطن وبالذات كلما ازداد عدد مرات الحمل مما يصاحبه حدوث فتق في عضلة البطن المستقيمة « rectus abdminus » وهذا يشكل عبئا وصعوبة في الولادة وخروج الطفل الى الحياة .

○ الجلد ○

يزداد نشاط الغدد الدهنية والعرقية في الجلد مما يؤدي الى زيادة الشعور بحرارة الجو والى تزايد فرصة حدوث خراريج وتقيحات الجلد اذا لم يتعهد بالنظافة والرعاية الدائمة . ثم ماذا سيكون الوضع عليه لو كانت الأم مصابة بزيادة نشاط الغدة الدرقية او بمرض البول السكري أو بالسمنة فبلا شك أن معاناتها ستزداد أكثر وأكثر .

تزداد كمية الدم التي تغذي الجلد وبالذات في باطن الأيدي وهذا أيضا يعني زيادة العرق .

○ الجهاز الهضمي ○

تميل المعدة الى الاتجاه أفقيا مما يفقدها التحكم في ابقاء الطعام فيها وبالتالي يصعد الى الجزء الأسفل من المرىء محدثا الشعور بالضيق والحرقان والشعور بطعم لاذع « heart burn »

ـ تقل حركة الأمعاء عن الطبيعي مما قد يؤدي الى الاصابة بالامساك .

ـ ركود العصارة الصفراوية مما قد يؤدي الى الاصابة بالصفراء واليرقان . Choletatic jaundice »

الجهاز التناسلي

نتيجة النمو المتزايد للرحم وكبر حجمه فإنه يضغط على الوريد السفلي الأجوف « I.V.C » وهو أكبر وريد في الجسم حيث إنه مسؤول عن نقل الدم الوريدي من أغلب الجسم الى القلب . وينتج عن هذا الضغط ركود الدم في الاطراف السفلى والاصابة بدوالى الساقين والشعور بأعراض نوبات انخفاض ضغط الدم .

○ الغدد الصماء ○

تفرز المشيمة هرمون اللاكتوجين

« H.P.L » المسؤول عن نمو الثدى وتهيئته للرضاعة الطبيعية وهذه رسالة من المولى عز وجل مضمونها أن الرضاعة الطبيعية هي الاصل والأصح والأسلم للأم والجنين وأن الرضاعة الصناعية بدعة غربية غريبة من بدع العصر الحديث .

ـ أضف الى ذلك أن هذا الهرمون يكون مسؤولا أيضا عن تنبيه الجسم الى استخدام الدهون المختزنة به لانتاج الطاقة مما يعود على الجنين بغذاء أكثر وعلى الأم بقوام أرشق وبدانة أقل وولادة أيسر.

ـ زيادة افراز البرجيستيرون Progesterone المسؤول عن : ـ ارتفاع طفيف في درجة حرارة الجسم أثناء الحمل .

ـ ارتخاء عضلات الأمعاء مما يؤدى الى الشعور بالامساك .

ـ نعومة الأربطة المفصلية مما يؤدي الى تفلطح القدم وزيادة الشعور بالألم فيها .

ـ العمل أيضا على تهيئة صدر الأم للرضاعة الطبيعية .

زيادة الهرمون المنبه للخلايا الملونة للجلد « M.S.H » مما يؤدي الى زيادة تلون الجلد وميله الى الغمقة .

لايزداد هرمون الغدة الدرقية وهذه نعمة كبرى من المولى عز وجل اذ لو ازداد لشكل خطرا على الأم واستحث الجسم الهالك والمجهد اصلا لبذل المزيد من المجهود والعمليات الحيوية المجهدة ورغم أن هذا الهرمون لا يزداد أثناء الحمل الا أن معدل العمليات الحيوية في الجسم يزداد وهذه نعمة كبرى .

○ الجهاز البولى ○

تزداد كمية الدم الواردة الى الكلية وهذا يعمل على سرعة وزيادة التخلص من أي فضلات أو مواد ضارة بالجسم او اي مواد متخلفة من العمليات الحيوية المختلفة في الجسم .

ـ تزداد قدرة الجسم والكلى على التخلص من اليوريا وحامض البوليك الذي قد ينتج بكثرة أثناء الحمل .

ـ ركود البول مما يؤدي الى زيادة الاصابة بالتهابات المسالك البولية ويرجع ركود البول هذا الى هرمون البرجيستيرون وكيف يكون الوضع اذا كانت الأم أصلا مصابة بالتهاب في الكلى أو فشل كلوى أو غير ذلك من أمراض الكلى ؟؟

بلا شك ستزداد الصورة سوءا .

★ تعقيب ★

وبعد أن استعرضت هذه التغيرات كلها أود أن أوضح بل وأجزم أنه رغم ذلك كله فإن الحمل والولادة عملية عادية طبيعية فسيولوجية غير مرضية تعقب كل زواج ناجح وأنها ليست وضعا شاذا عن الطبيعة أو وضعا مرضيا أو مهنيا للمرأة وأود ايضا أن أبين وأوضح للكثيرين من إخواني وأخواتي في الله الكثير مما يحدث في الجسم البشرى عملا بالآية الكريمة « **وفي انفسكم افلا تبصرون** » .

وأخيرا أود ايضا ان يكون مقالي هذا رسالة لكل ملحد ـ قسا قلبه فهو كالحجارة او أشد قسوة ـ تنطق وتقول له« **فبأى آلاء ربكما تكذبان** » .

دورُ العميان والأيتام والعجزة في الإسلام

للشيخ احمد مجي الدين العجوز

جاء الاسلام بقواعد إصلاحية ، تضمن مصالح الناس كافة ، فلم يترك أمرا إلا تناوله ، ولا ناحية تدبير الا اهتم بها ، ولا صغيرة ، ولا كبيرة الا عالجها ، فكان نظاما عاما ، ، وقانونا شاملا تناول الانسان في صحته ومرضه ، وفي طوارئه وعاهاته ، وعالج شؤونه واموره ، لا سيما العميان ، والأيتام ، والعجزة ، بجميع مصائبهم المتنوعة .

وقبل أن نذكر ما أنشأ لهم المسلمون من دور للإيواء ، والتربية ، والتعليم والخدمة ، وقضاء المصلحة ، نذكر ما يكون لهم من اسباب طوارىء ، واعراض نوازل ، للوقاية من الإصابة ، لا سيما من عاهة العمى فنقول :

* الانسان وأصل الخلقة *

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان في اقوم خلقة ، وأحسن ابداع ، قال الله تعالى« **لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم** » التين / ٤ .
يبدأ خلقه . وهو بين أحشاء أمه ـ

من مادة ضعيفة قابلة في تطورها لكل تأثر وانفعال .

قال الله تعالى : «**الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير** » سورة الروم . آية ٥٤

. وحالة الجنين في تطوره ، تماثل حالة أمه في صحتها وسلامتها أو في ضعفها ومرضها ، فيتأثر ضمن احشائها تبعا لها ، لأنه يكتسب منها غذاءه ، ونموه ، ونشاطه ، كما يكتسب منها الضعف والانحطاط .

فإن اشتد تأثير إصابتها ، وانعكس على حاسة بصره أورثه العمى أو على حاسة سمعه أورثه الصمم ، أو على حاسة نطقه أورثه البكم ، أو على مركز عصبه أورثه الشلل .

لذلك ينصح الأطباء بأن تحافظ الحبلى على صحتها ، وتبتعد عن المؤثرات البدنية ، مما يسبب الأمراض والعلل ، وعن المؤثرات النفسية ، فإن هذا كله يؤثر على سلامة الجنين ، فالوقاية مطلوبة ، لضمان السلامة لهما معا .

وعاهة العمى يمكن أن تعرض اثناء الحمل ، او في دور الطفولة الى مدى الحياة ، بالأسباب التي تؤدي إليها .

*** طروء العمى أثناء الحمل ***

يتأثر الجنين بمرض أمه تبعا لها ، وكذلك بما تتناوله من الأدوية وعقاقير المعالجة ، لاسيما بالأمراض الطفحية ، كالجدري والحصبة .

وبالامراض الانتانية كالحميات على اختلافها كما افاد الطب وبالدواء المعطل بقصد الإجهاض ، فربما أثر على الجنين ، ولم يحصل به الاجهاض .

وإذا كان أحد الأبوين أعمى فلا يلزم ان يأتي ولدهما اعمى ، بل يأتي من الأعمى بصير ، ومن الأصم سميع ، ومن الأبكم متكلم كما هو متعارف بين الناس .

*** طروء العمى في مجال الحياة ***

قد يطرأ على الاطفال اذا اصيبوا بالحصبة او الجدري ، وهذا قليل وقد يطرأ في مجال الحياة

بالالتهابات

وبمرض السكري إذا اشتد وعلت درجته وبالصدمة العنيفة على الرأس ، أو على جوانبه وبتجمع المياه السوداء بجانب شبكة العين إذا اشتد الضغط عليها والهرم الذي تبرد به طاقة البدن ، ويزول نشاطه ، وتقل حركته لا سيما إذا توالت عليه الأمراض ، وثقلت عليه الرواسب .

وقد حدثني ـ المرحوم الدكتور عبد الغني شهبندر ونشر في مجلته (الحكمة) ـ أن رجلا طاعنا في السن فقد بصره ، فصام سبعين يوما صوما متواصلا ، نحل جسمه ، واضمحلت عنه الرسوبات ، وتلاشت من شفافية عينيه فعاد إليه بصره .

شأن الاعمى في الحياة

الأعمى بصورة عامة مسكين ، حياته مكبوتة ، ومجال تحركه ضيق ، وقد حرم لـذة الحياة البصـرية ، واظلمت الدنيا بوجهه وضاقت عليه برحبها ، فلا يستطيع تمييز طرقها ومسـالكها ، ولا تجـاوز عثـراتهـا وأخطارها ، فهو القاصر عن قضاء مطالبه ، وعن مزاولة شؤون عيشه . لذلك كان محط العناية الانسانية ، وموطن الرحمة والخدمة الدائمة .

* اهتمام الاسلام بالأعمى*

لذلك يهتم الاسلام بالأعمى الذي فقد أعز شيء لديه ، ولزمه العجز عن الاهتداء الى بلوغ الغاية المنشودة بسهولة .

فيخصه بالرعاية التامة ، ويأمر بخـدمته لتـأمين راحتـه ، وقضاء مصالحه ، واعلن مضاعفة الثواب على ذلك .

وقد اكرم الاسلام شأن الأعمى . باكرام الصحابي الجليل عبد الله بن أم مكتوم ، وأعطاه كثيرا من العناية بين الناس ، وأمام النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وسجل له ذلك في القرآن الكريم بسورة (عبس) حيث تتلى آنا بعد آن ، بأدب وخشوع . وتوقير واجلال .

فكان فيها عتاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتطييب لنفس عبد الله بن أم مكتوم ، وكان يقول له إذا أقبل عليه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ، ثم يسأله برفق قائلا هل لك حاجة ؟

وقد بالغ بإكرامه فاستخلفه على المدينة مرتين ، كان فيهما الحـاكم المطاع ، الذي لـه المقام المـرموق بـالإدارة الحكيمـة ، والسيـاسـة الرشيدة ، والتدبير المـوفق ، فكان موضع إجلال واعتبار ، وحب وولاء .

* فضل قيادة الأعمى *

وقد خصص الوليد بن عبد الملك بن مروان لكل أعمى قائدا بصيرا ، يقوده الى حيث يريد ، ويرشده الى الطرق ، ويقوم بخدمته ورعايته وهناءته .

ومن ثم انطلق الناس برغبة الى إكرام الأعمى ، وسارعوا الى قيادته وقضاء مصالحه ، وتدبـير أموره ، وإعانته في شؤون حياته قيامـا بواجب الاخوة وتحقيقا لمضمـون الحديث النبوي الشريف (لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) رواه البخاري ومسلم

* دور العميان *

وقـد أُسس المنصـور الخليفـة العبـاسي دورا للعميـان وجهـزهـا بـالوسـائل الضـرورية ، لتـربيتهم وتعليمهم ، وتـرقيـة شؤونـهم في حياتهم ، وعمل عـلى إعدادهم لمـا ينـاسبهم من الأعمـال اليـدويـة الخاصة .

وقد أمر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بإجراء إحصـاء للمعوقـين وتخصيص مرافق لكل كفيف خدمة له ، ورعاية لمصلحته ومعونته ، رحمة له .

وتعددت دور العميان في المدن الاسلامية وحظيت باهتمام كبير . وذكر بعض السياح الأوروبين انهم شاهدوا في مراكش بناء فخما لا نظير له ، آوى ستة آلآف اعمى ، ينامون فيه ويأكلون ويشربون ويتعلمون ويقرؤون ، وفيه كل وسائل الراحة والرفاهية .

ومن ثم درج المسلمون على إنشاء دور فسيحة-لإ يواء العميان للاهتمام بتربيتهم ـ تشتمل على غرف كبيرة واسعة للدروس والمنام والطعام بشكل يدعو الى الافتخار ، ووقفوا لها الأوقاف الواسعة ، واغدقوا لها الاموال الوافرة .

* أعمال العميان المشرفة *

لقد كان الجمع الغفير من علماء المسلمين المكفوفين الأفذاذ على باع طويل في شتى العلوم والمعارف ، في الدين والتفسير والفقه ، والفلسفة ، والمنطق ، والتاريخ ، والسير ، وعلوم القرآن ، والطب والصيدلة ، والنبات ، والفلسفة ، والحكمة ، والأدب العربي ، وعلوم اللغة ، وغير ذلك .

ولهم المؤلفات والتصانيف المهمة التي خدمت الدين والأمة والعلم ، وأتت بخير عميم ، وسوانح البركات .

مثل داود الأنطاكي المتوفى عام ١٠٠٨ هـ وهو محمد داود بن عمر الانطاكي ، وقد ولد أعمى ، وحفظ القرآن الكريم في نشأته وتبحر في أصول الدين ، وكان قوي الفهم والحفظ شديد الذكاء ، وتوسع في العلوم ، فكان من أساطين الرياضة والفلسفة ، وعلوم الحكمة والصحة ، والصيدلة ، والأبدان ، قرأ كتب الأطباء ، من ابن سينا ، والرازي ، وأبو قراط،وديروفيدس ، وجالينوس ، وانتقد بشدة أطباء اليونان في الطب ، وعلم العقاقير ، وكان يذكر انواع النباتات بأسمائها باللغات المختلفة ويبين الجيد منها والرديء وله مؤلفات عدة منها :

١ ـ كتاب النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة .

٢ ـ ومجمع المنافع البدنية .

٣ ـ والملكي في طلب الملوك .

٤ ـ وتذكرة أولى الالباب الجامع للعجب العجاب .

وقد اضاف فيه المهمات من علم الأعشاب ، وتعرض لمئات النباتات .

وبقى كتاب التذكرة مرجعا معتبرا لدى اطباء الشرق والغرب ، حتى بعد قيام عصر النهضة الأوروبية الحديثة .

* الكتابة للعميان *

أول من ابتكر الكتابة للعميـن كتابة بارزة زين العابدين الآمدى سنة ٧١٢ هجرية - ١٣١٢ ميلادية فقد عمى في أول عمر فكان كلما اشترى كتاب علم لخزانة كتبه وضع على غلافه ورقة بارزة على شكل حرف من الحروف ، فيصبح الحرف البارز علامة له فيستعين به على معرفة اسم الكتاب والموضوع الذي يعالجه .

وكان من قبله أبو الفرج ابن أبي الفتح يقرأ نقش فص الخاتم باللمس المجرد ثم درجت حروف العميان بالثقوب على الورق السميك يقرؤها

الاعمى باللمس بسهولة في مدارس العميان ، وشاهدنا سهولة قراءتهم بأنفسنا .

وينسب الأوروبيون ابتكار الحروف البارزة للعميان الى الفرنسي (لويس برايل) الذي عمي في الثالثة من عمره ، ولما كبر أخذ يدرس للعميان ، وقد ابتكر لهم حروفا بارزة تقرأ باللمس فإن ابتكاره هذا متأخر عن ابتكار زين العابدين الآمدي المسلم مدة (٦٤٠) ستمائة واربعين سنة . اذ كانت ولادة (لويس برايل سنة ١٨٠٩ وتوفى سنة ١٩٥٢ ميلادية

بينما كان ابتكار زين العابدين سنة ١٣١٢ ميلادية وقد طرأ تحسن مرموق في تطوير الحروف البارزة للعميان ، فسمع من راديو الرياض في أوائل شهر جمادي الاولى سنة ١٤٠٧ ان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد امر بطبع المصحف بحروف بارزة للعميان ، وخصص لذلك ثلاثة ملايين ريال سعودي فجزاه الله خيرا .

*** الأيتام ***

اليتيم هو من فقد أباه ـ وهو دون سن البلوغ ـ وقد يكون جنينا ، فإذا بلغ سن الرشد زال اليتم عنه .

قال الله تعالى **(وابتلوا اليتامي حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم)** سورة النساء . آية ٦ .

وأول تيم بلغ لكمال ... حمد ن عبد لله عليه الصلاه والسلام ، مات ابوه عبد الله وأمه حامل به ثم ماتت امه ـ وهو ابن ست سنوات ـ فكفله جده عبد المطلب سنتين ، ثم كفله عمه ابو طالب ـ وهو ابن ثمان سنين وامتنّ الله عليه بهذا الإيواءفقال تعالى « **ألم يجدك يتيما فآوى * ووجدك ضالا فهدى * ووجدك عائلا فأغنى * فأما اليتيم فلا تقهر** » سورة الضحى /٦ - ٩ .

ولما كان خيرا للأيتام ان يعيشوا في كنف أمهم واقربائهم ابتداء ليأنسوا بهم ، ويسكنوا إليهم ويطمئنوا بعيشهم بالغ الاسلام في التوصية بهم . ورعايتهم ، وحفظ اموالهم وانزل الله بشأنهم زهاء عشرين آية في القرآن الكريم ، منها قول الله تعالى : « **ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم** » سورة البقرة . آية ٢٢٠ .

وقوله عز وجل « **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا** » سورة الانسان . آية ٨ .

وقوله عز وجل« **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا** » سورة النساء . آية ١٠ .

وقوله سبحانه وتعالى : « **أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يَدُعُّ اليتيم** » **سورة الماعون /١و٢** .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قبض يتيما من بين المسلمين الى طعامه وشرابه أدخله الله الجنة ألبتة إلا ان يعمل ذنبا لا يغفر) رواه الترمذي

وقال (انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا) واشار بالسبابة والوسطى

وفرج بينهما ، رواه البخاري .

وقال صلى الله عليه وسلم (من مسح على رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له في كل شعرة مرت عليها يده حسنات ، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت انا وهو في الجنة كهاتين ، وفرق بين أصبعيه السبابة والوسطى) رواه احمد .

الى كثير من الأحاديث الشريفة .

ومن ثم اهتم المسلمون بالأيتام كثيرا وقاموا بكفالتهم ورعايتهم لأنهم موطن عطف ورحمة ، ورعاية وخدمة .

وقد اسس ابو جعفر المنصور دورا للأيتام اعدها بجميع وسائلها المطلوبة ، وغرفها الواسعة ، لتعليمهم ، وطعامهم ، ومنامهم ، ووقف لها الأوقاف ، واغدق لها الأموال .

وتعاون المسلمون على إنشاء دور للأيتام على أجمل ترتيب واحدث طراز لتربيتهم وتعليمهم ، ومرانهم على المهن والاعمال اليدوية ، ووقفوا الاوقاف الكثيرة ، وانتشرت في كل البلاد الاسلامية الى هذا الحين بشكل يدعو الى الاعجاب .

* العجزة *

العاجز هو من أصابته عاهة في عقله ، او بدنه ، فعجز عن إصلاح امره ، وقضاء مصالحه .

كالجنون ، والبله ، واضطراب الأعصاب : فلا يستقر على حال وكالعمى ، والبكم ، والصمم ، والشلل ، والبتر ، والمرض المزمن والهرم ، وكالمقعد الذي رسا في ارضه ، فلا يستطيع خدمة نفسه ولا تدبير شأنه .

فالعاجز هو موضع عطف ورحمة ، واهل عون وخدمة .

لا سيما المجنون ، والأبله ، والمشلول المقعد ، والمبتور ، والهرم . فقد جاء الاسلام بخدمتهم ، واصلاح امورهم وقضاء مصالحهم .

ولما كان العجز مصيبة بدنية شاقة ، وعائقا شديدا في الحياة كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله منه فيقول في دعائه (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والهرم وأعوذ بك من عذاب القبر) الخ رواه البخاري .

وكان يأمر بتنفيس الكرب وتيسير الامور والستر على المصاب ، فيقول (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) رواه مسلم

وقال صلى الله عليه وسلم .

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) رواه احمد ومسلم .

فكان الأصحاب يتعاطفون ، ويتراحمون ، ويعينون المصاب ، ويسعون في خدمته .

وقد كان ابو بكر الصديق رضي الله

عنه في اول عهده بالخلافة يتعهد امرأة مقعدة في آخر المدينة ، فيصلح من امرها ، ويعد لها ما تحتاج اليه كل يوم من طعام وشراب ، ويميط عنها الأذى ، ويعقبه لخدمتها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيرى ان غيره سبقه إليها لهذه المهمة ثم تبين له انه ابو بكر ، فقال له : انت هو لعمري ؟

فكانا يتسابقان لهذه الخدمة الانسانية لهذه المسكينة المقعدة .

وكان عمر بن عبد العزيز قد أمر باحصاء المعوقين لخدمتهم ، وتدبير امرهم ثم إن الوليد بن عبد الملك قد اعطى المجذومين الذين اصيبوا بمرض الجذام الفتاك ، ما يكفيهم من النفقة الضرورية وكان يقول لهم : لا تسألوا الناس شيئا.وذلك لعزلهم عن الأصحاء حتى لا تكون بينهم العدوى بهذا المرض الخبيث . وذلك في عام ٨٩ للهجرة .

وقد اسس ابو جعفر المنصور دورا للمعوقين من نساء ورجال لرعايتهم وخدمتهم .

وكان السلطان قلاوون في مقدمة السلاطين الذين شيدوا تلك المؤسسات العلاجية للمعوقين فأسس دورا رحبة في عام ٦٨٣ هـ ١٢٨٤ م لايوائهم وخدمتهم ومداواتهم .

وكذلك سلاطين العصر المملوكي قد اسسوا الأبنية الضخمة والدور الفخمة للمعوقين وقدموا لها الأموال الكثيرة لخدمتهم ، وترقية شؤونهم ، واصلاح امورهم وتدبيرها .

ثم أخذ المسلمون يؤسسون للعميان ، والأيتام ، والعجزة الدور والمؤسسات والملاجىء لايوائهم ، وخدمتهم ، ومداواتهم ، وإطعامهم ومنامهم ، وإعداد كل ما تحتاج اليه من طباخين وأطباء وأدوية ومدرسين ، مع النظافة التامة ، والترتيب اللائق ، والنظام السائد ووقفوا لها الأوقاف الكثيرة التي توفر لها النفقات الضرورية وأغدقوا عليها المساعدات المالية كل عام من الزكاة والصدقات مع ما يكون لها من إيراد أوقافها ، ليضمن كل ذلك بقاءها مزدهرة ، وسائرة على احسن حال ، وعمموا ذلك في جميع البلاد الاسلامية ! عملا بقوله عز وجل « **يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم)** سورة البقرة . آية ٢١٥ .

وقول النبي صلى الله عليه وسلم (الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) رواه ابو داود والترمذي .

بأقلام القراء

بين القاعدة والاستثناء

الأخ / خالد الأصور - من مصر العربية - عاتب علينا أننا لم ننشر له .. ونود أن نطمئن الأخ خالد وكل القراء الذين يكتبون لنا .. بأن رسائلهم تلقى منا التقدير والعناية ،، وما كان صالحا منها للنشر فهو آخذ طريقه الى ذلك . وما لم يكن صالحا أهملناه دون أن نحرج كاتبه .

هذا .. وإن زاويتنا - بأقلام القراء - ترحب بكل إنتاج مفيد .. وتنشر كل وجهة نظر ذات منطلق اسلامي ، وترحب بأية معالجة لمشكلة من مشاكل أمتنا الاسلامية الخالدة .

وها نحن يا أخ خالد ننشر ما كتبت تحت عنوان « بين القاعدة والاستثناء » ، حيث قلت :

الهدف من تحديد النسل أو تنظيمه هو وقف النسل الانساني عن النمو والزيادة بمعنى وقف ظاهرة أساسية من ظواهر الحياة مستمرة منذ آلاف السنين وأول من تقدم بفكرة تحديد النسل هو « مالتوس » Malthis وكان ذلك في نهاية القرن الثامن عشر وقد كان هذا الرجل اقتصاديا متشائما .

وقد تركزت حركة تحديد النسل في الدول ذات الأغلبية المسلمة بزعم ان هذا هو الحل السريع للمشاكل السكانية والاقتصادية والاجتماعية أيضا !!

ان الهدف المقصود ليس كما يدعون وانما هو أعظم من ذلك بكثير حيث ان السهم موجه لتناسل المسلمين المتزايد لضرب الاسلام والمسلمين ، وإضعاف شوكتهم أو السيطرة عليهم .

ان الغرب يقدم للمسلمين وسائل منع الحمل على اختلافها مجانا كما يقدم منحا واعانات وهبات مالية لا ترد على ان تستخدم في تنظيم وتحديد النسل وليس لغرض غيره ، لحل المشاكل الاقتصادية على حد زعمهم الخبيث ، في الوقت الذي تلجأ فيه هذه الدول الى إلقاء ملايين الأطنان من الحبوب ومعلبات الطعام والفواكه واللبن ومشتقاته في البحار والمحيطات حفاظا على أسعارها العالمية المرتفعة في الوقت الذي يتضور فيه الانسان الافريقي خاصة جوعا .

وجدير بالدول الاسلامية أن تعمل على حل مشاكلها الاقتصادية بالانتاج ليس الا ... وعدم تعليق المشاكل على شماعة زيادة السكان ... ان أساس المشاكل هو غيبة التخطيط الواعي ولنا في اليابان أقرب مثال فمساحتها نصف مساحة باكستان ، ومساحة الأرض الصالحة للاستغلال فيها ٨٪ من مجموع المساحة الصالحة في باكستان ومع ذلك فقد حافظت اليابان على سكانها ، ولم تدع لتحديد النسل ، وهم أكثر من عدد سكان باكستان بـ ٢٥ مليون نسمة ... وعلى الرغم من ذلك ارتفعت اليابان بقوتها الاقتصادية لتغزو منتجاتها الأسواق الأميركية والأوروبية .

بيد ان الفلسفة الغربية اللعينة وجماعات التنصير المنتشرة في الدول الاسلامية تحت ستار منظمات اجتماعية يعملون جاهدين على أن يقدموا لنا السم في الدسم ، ويقدموا يد العون ملطخة بالنوايا السيئة والفيصل بيننا وبين هذه الدعاوى والاباطيل هو ـ الناحية الاقتصادية التي ذكرناها ـ والناحية الدينية والناحية العلمية .. فنقول أما من الناحية الدينية فقد قال تعالى : **(وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها** » هود/ ٦ وهو القائل ايضا « **فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور** » الملك/ ١٥ ومن هذا يتضح جليا ان الله تعالى تكفل برزق مخلوقاته الصالح منها والطالح والبار منها والفاجر ... كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة » متفق عليه .. وكما يقول ايضا : « سوداء ولود خير من حسناء عقيم » رواه البخاري . فالقاعدة هي التكاثر والسعي في طلب الرزق .

كما أن من أخطر الفواحش التي تترتب على تحديد النسل هو استباحة الزنا بصورة أو بأخرى حيث تعدد الوسائل والعقاقير المانعة للحمل وسهولة الحصول عليها من دور الصيدلة كما ينتج أيضا عن هذا حالات الاجهاض ، وبخاصة في حالات الحمل غير الشرعي ... هذا من الناحية الدينية ومن الناحية العلمية ... أي تدخل بأي وسيلة في تحديد النسل له من الآثار الجانبية ما يفوق الوصف منها :

- ان حبوب منع الحمل يمكن أن تؤدي الى سرطان الثدي للمرأة .
- اختلال في التوازن الهرموني بجسم المرأة .
- زيادة وزن الجسم وتجمع كميات كبيرة من السوائل به .
- حدوث التهابات بالجهاز التناسلي للأنثى وضعف في صحتها العامة .

واحقاقا للحق فلكل قاعدة استثناء فهم جعلوا القاعدة التحديد (أو التنظيم) ولك ذا جاز، هو الاستثناء من القاعدة وهي التناسل والتكاثر ، ولا يكون التنظيم الا مشروطا باستشارة طبيب مسلم ثقة أو رجل دين ثقة أيضا لدراسة الحالة وملابساتها واعطائها الاستثناء كحالة فردية فقط دون التعميم .

وأخيرا فليعلم المسلمون ان بابا الفاتيكان قد حارب فكرة تحديد أو تنظيم النسل ، وأن بعض الدول الغربية كألمانيا الغربية تعطي مكافآت مجزية للأسرة التي تنجب أكبر عدد من الأطفال وتعطي المرأة العاملة الحامل اجازة للحمل والولادة بأجرها

المعتاد ، بل ومع مكافأة مجزية لها لتشجيعها على المزيد ، فهل ينتهي المسلمون من وهم تحديد النسل وينتبهوا الى المكائد التي تحاك لهم في الظلام . ويعمل المسؤولون على حل مشاكلنا بتوفير سبل العيش ، وزيادة الانتاج ، وبلادنا عامرة بالخيرات ؟؟؟

الخلاف ... والانحراف

تحت هذا العنوان كتب الأخ الأستاذ الشاعر/ فريد قرني .. يحذر من داءين خطيرين ، إذا تمكنا من أمة أضاعاها .. وهما داء الخلاف ... وقد حذرنا رسولنا الكريم منه وإلا هلكنا . وداء الانحراف ، فإذا ما كثرت الأوبئة الاجتماعية والأخلاقية في أمة حقت عليها كلمة الله .

يقول شاعرنا :

طريق الانحلال الانحراف
ومورده هو السم الزعاف

وباء ان دها قوما تداعت
قوائمهم .. فهم أبدا ضعاف

ومختلون .. بعضهمو ذئاب
وأذناب .. وبعضهمو خراف

هو السوس المدمر في الخلايا
يجوس .. وهمه منها الشغاف

له صور يزينها ... ولكن
لقد ساءت نهايته المطاف

ويبدأ بالهواية كل إثم
ومن بعد الهواية الاحتراف

وفي أم الكبائر حين تغري
يجر للارتواء الارتشاف

وطبع الساقطين له اجتراء
وتيار الفساد له اجتراف

فـــذا لص .. وذا وغـــد .. وهـــذا
إذا سميتـــه .. قلمـــي يـــعـــاف

وذا بـــالاحتيـــال عـــلى الضحـــايـــا
يضللـــه مـــن السحـــت اغتـــراف

وذا بـــالـــغش والتـــزويـــر يثـــري
ولا يـــرجـــى لفـــعلتـــه اكتشـــاف

ويـــا مستـــهتـــريـــن ... لقـــد خســـرتـــم
وإنكمـــو لمـــرضى .. لـــن تـــعـــافـــوا

وذو النفس الـــدنيئـــة في عـــذاب
وقـــد تـــودي السنـــون بـــه الـــعجـــاف

ومـــن أعـــلى لقـــاع القـــاع يـــهـــوى
ويـــومـــا ســـوف يفضحـــه اعتـــراف

وقـــد يشكـــو شقـــاوتـــه غنـــي
وقـــد يـــرضى مـــن الـــرزق الكفـــاف

وامـــا البـــاطـــل استشـــرى فحتمـــا
سيـــهـــزمـــه غـــدا : حـــاء وقـــاف

ومجـــد الشـــعـــب سفـــر دفتـــا
ه الـــغنـــى والـــعلـــم .. والطـــهـــر الـــغـــلاف

لنـــا الله إذا القيـــم استبيحـــت
فـــلا مـــن يستحـــي .. أو مـــن يخـــاف

وان مـــن أمـــة لـــم تـــرق .. الا
وداءاهـــا : الخـــلاف .. والانحـــراف

الفتاوى

لا تقتير ولا إسراف

قارئة من قطر تسأل : هل من حق الزوج أن يرفض طلب الزوجة التوسعة في النفقة بناء على أن الرسول صلى الله عليه وسلم رفض طلب نسائه التمتع بزينة الحياة ؟

ـ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرفض طلب زوجاته التمتع بزينة الحياة كما جاء في السؤال ولكن لما تطلعت نفوشهن الى التوسعة بالنفقة ، وكان من السهل عليه أن يلبي طلبهن وأن يمتعهن بما أحببن من اللباس والحلي ورغد الرزق ، وليس ذلك من مال المسلمين وانما من حقه في الغنائم وفي أرض خيبر وغنائم بني النضير ، ولكنه خير نساءه لما نزل قوله تعالى:(**يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما**) وبعد نزول هاتين الآيتين بدأ صلى الله عليه وسلم بتخيير عائشة رضي الله عنها فقالت على الفور .. اختار الله ورسوله وقالت هذه العبارة كل نسائه عند تخييرهن بكل الرضا والايمان ..

وفي ذلك قال العلماء لو استجاب الرسول صلى الله عليه وسلم الى ما طلبن ، لاقتدى بهن جميع النساء ، وما استطاع الرجال صرف النساء عن الاسراف في متع الحياة ، وليس معنى هذا ألا يستجيب الرجل لمطالب المرأة من النفقة والتمتع بزينة الله مع قدرته على ذلك ، بدعوى أن النبي الكريم لم يوافق نساءه على ذلك ، بل عليه أن يستجيب من غير اسراف أو تقتير قال تعالى:(**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**)

إن وضع النساء المؤمنات في ذلك غير وضع أمهات المؤمنات فان رسالتهن فوق مستوى التطلع الى متع الدنيا ، وبهذا لا ينبغي للزوج أن يهرب من النفقة كما لا ينبغي أن يسرف فيها إسرافا زائدا عن الحد فيقعد ملوما محسورا .

زوج أخطأ فندم

زوج من القراء رمز الى اسمه بالحروف ـ م . أ . ب ـ مقيم في الكويت يقول تزوجت فتاة اشتهرت بالخلق والاستقامة ، وبعد شهور من الزواج علمت أن ابن عمها كان يتردد عليها في غيابي ، فاستبد بي الشك وتسرعت بطلاقها ثم تأكدت من براءتها ، كما عرفت أن ابن عمها يعتبر أخا لها من الرضاع وبعد أن وجدت أشرطة بصوته كان يعلمها الفقه وتجويد القرآن الكريم ... يقول ماذا أفعل ؟

ـ من المعلوم ان الشك سهم من سهام ابليس ، كثيرا ما يصيب الأبرياء ، ويوقع المتسرعين في الظلم والإثم والبهتان ، ويسبب غضب الله والناس ، خاصة وان جراحة السلاح قد تبرأ وتلتئم أما جراحة العرض فإنها تظل نازفة ، ما كان ينبغي الشك في زوجة صالحة تقية كما قررت ، وعلى فرض وجود الشك ، كان عليك أن تتأكد وهو حقك ، فإن علمتها بريئة كان خيرا لك ولها ، وان عرفت عنها غير ذلك فالتسريح بيدك والطلاق حق لك ، كما ان الزوجة أخطأت اذا كانت لم تخبرك ولم تستأذنك أما اذا كانت قد أخبرتك بذلك ومع هذا شككت فيها فأنت مبالغ في العدوان ، عليك أن تذهب اليها معلنا الندم ، وأن تبالغ في الاعتذار اليها كما بالغت في العدوان عليها ، وهي بالخيار إن كانت قد انتهت عدتها ولم ترتبط بغيرك .. إما ان تصفح وترضى بك زوجا ، بعد عقد ومهر جديدين واما أن ترفضك وهذا حقها ... على كل شاك أن يتثبت من الأمر ، فكم من بيت دمرته إشاعة مغرضة ، أو ظن سيء وكم من بريئة راحت ضحية الشك الظالم ، والويل لكل من يظلم العفيفات الطاهرات ، قال تعالى : (**إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم**) في ظلال الاسلام تحفظ الأعراض وتعيش الزوجات الشريفات في أمان وسعادة واطمئنان .

للغيرة حدود

قارىء من مدينة طنطا بجمهورية مصر العربية بعث برسالة يقول فيها : زوجتي تتميز بالصلاح والخلق الكريم .. غير أنها لا تحب أن أتفرغ للكتابة والتأليف فهل هذا حقها شرعا ؟

ـ هذه المشكلة يعاني منها كثير من الأزواج والزوجات ، فالزوج يريد أن يشبع هوايته في القراءة أو الكتابة خاصة اذا كان مشغولا بالتأليف ، والزوجة تعتبر الكتاب كأنه ضرة لها ، لأنه يصرفه عنها ويطغى على حقها ، والأمر يحتاج من الزوجة أن تسارع الى تحقيق رغبته ما دام ذلك في طاعة وفي نشر علم وثقافة ، ومن حقه عليها أن توفر له وقتا يفرغ فيه الى القراءة والتأليف ، وأن تهيء له الجو المناسب لذلك ، فالسيدة عائشة رضي الله عنها كانت ترى ميل الرسول صلى الله عليه وسلم الى العبادة فتسارع الى هواه ، وتقول له : « أوثر هواك ، على هواي » ، فالوقوف في طريق الرغبة المشروعة للزوج قد يحول قلبه عنها ، وقد يحمله ذلك على ترك البيت الى مكان يريحه ، لو كان الزوج مشغولا بلهو محرم ، أو ادمان شرب ، أو ممارسة معصية لكان لها الحق في منعه والتصدي له . عليها أن تحمد الله على ذلك وأن تشجعه وتعينه ، وعلى الزوج الا يصرفه ذلك عنها انصرافا يجعلها تحس بإهماله لها ، عليه أن يعطي للزوجة حقها كما يعطي للقراءة حقها ، لا ينبغي أن يظلمها بالتفرغ لغيرها ولو لكتاب أو تأليف ، فالزوجة نعمة وخاصة اذا كانت صالحة ، عليه أن يراعي مشاعرها ولا يجعل الغيرة تتمكن منها ، لعل الزوج قرأ شكوى المرأة من زوجها الذي تفرغ للعبادة وهجرها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعله قرأ ما جاء في الحديث الشريف « إن لبدنك عليك حقا ولزوجك عليك حقا » ـ

ردود موجزة

الى السيد علي البسطاويسى سكرتير مدرسة قرية (٨) الابتدائية محافظة كفر الشيخ ـ بمصر ... عليك الوفاء بنذرك طالما أنت قادر على صيام يوم الاثنين والخميس من كل أسبوع وإذا عجزت عن الصيام فعليك كفارة يمين .

نقول للشاب التونسي - فرج المحمدي - ٢٢ حيدرة الجمهورية التونسية : إن الفتاة « علية » وان كانت بنت عمك نسبا الا أنه برضاعك من ضرة جدتك التي هي الزوجة الثانية لجدك الحاج الطيب أصبح عمك أخاك من الأب رضاعا فلا يحل لك أن تتزوج ابنته لأنه يحرم بالرضاع ما يحرم من النسب .

الى السيد محمد عيسوي .. من شبلنجة - مركز بنها - قليوبية بمصر
بالنسبة لسؤالك عن إقامة الحد على من زنى بفتاة فتزوجها فالجمهور من الفقهاء على أن الزواج لا يسقط الحد ، الا أبا يوسف من فقهاء الأحناف فإنه يرى أن الزواج يسقط الحد .
وبالنسبة لسؤالك عن لبس دبلة الخطوبة من الذهب للخاطب ، فمعلوم أن ذلك حرام .. كما أن دبلة الخطوبة ليست ضرورية وليست مطلوبة شرعا ومن لبسها من الفضة فلا حرج .

الحق والعدل

خطب عمر بن سعيد - رضى الله عنه - وهو والي حمص ، فقال:
« ان الاسلام حائط منيع ، وباب وثيق .
فحائط الاسلام العدل ، وبابه الحق .
فاذا نقض الحائط ، وحُطِّم الباب ، استفتح الاسلام .
ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان .
وليست شدة السلطان قتلا بالسيف ، ولا ضربا بالسوط .
ولكن قضاء بالحق ، واخذا بالعدل . »

من أخبار العالم الاسلامي

الكويت :

طلبة وزارة التربية ومراكز الأوقاف والشؤون الاسلامية لحفظ القرآن الكريم

دعت وكيلة وزارة التربية المساعدة للخدمات التعليمية فضة الخالد نظار مدارس البنين للمراحل التعليمية المختلفة بالمناطق التعليمية الخمس لتشجيع وحث الأبناء الطلاب على الالتحاق بمراكز الحلقات الشتوية لوزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية لتحفيظ القرآن الكريم والتي افتتحت اعتبارا من الثالث من الشهر الجاري في المساجد والبالغ عددها ٦٩ مسجدا موزعة على أنحاء البلاد وذلك لشغل أوقات فراغ الأبناء وبما يعود عليهم بالخير والمنفعة في دينهم ودنياهم .

أسلموا في الكويت

عدد حالات اشهار الاسلام التي تمت بواسطة ادارة التوثيق الشرعية خلال العام الماضي أكثر من ٤٠٠ حالة.اغلب حالات اشهار الاسلام في الكويت تمت بين الذكور وهناك أكثر من ٣٢٠ شخصا من الديانة المسيحية اشهروا اسلامهم من أصل ٤٣٠ حالة اشهار اسلام في السنة الماضية ... وكانت أكثر حالات اشهار الاسلام بين الجنسيات لآسيوية !

فلسطين :

من معاناة إخواننا تحت الاحتلال

أمرت سلطات الاحتلال العسكري الاسرائيلية اهالي قرية كيسان من عرب العبيات قضاء بيت لحم بالرحيل عن قريتهم وقررت هذه السلطات هدم جميع البيوت في القرية وواحد وعشرين حظيرة تضم خمسة آلاف رأس من

الغنم .. وقد شمل قرار الهدم منازل أقيمت منذ عشرات السنين وذلك بهدف اقامة مستعمرة يهودية على أراضي القرية . وكانت السلطات الاسرائيلية قد قامت بترحيل هؤلاء السكان من موقع المصفرة في وقت سابق الى قرية كيسان حيث تلاحقهم الآن لابعادهم عنها بعد أن تعرضوا لممارسات عديدة منها منعهم من الزراعة واقتلاع الأشجار ومصادرة الأغنام .

محاربة من نوع جديد

ذكرت أنباء الأرض المحتلة ان سلطات الاحتلال الاسرائيلي بنت جامعة دينية يهودية بين مدينة غزة ودير البلح بقطاع غزة المحتل .

وتأتي اقامة هذه الجامعة في اطار محاربة السلطات الصهيونية للجامعة الاسلامية في غزة وهي الجامعة الوحيدة في القطاع وتضم خمسة آلاف طالب وسبع كليات مختلفة .

ولا تزال سلطات الاحتلال ترفض الاعتراف بالجامعة الاسلامية في غزة ولا تسمح بتشغيل خريجيها في المؤسسات العامة .

السودان والجفاف

معونات جديدة الى السودان

توجهت الى السودان طائرة تابعة للقوات الجوية الملكية السعودية محملة بالمواد الغذائية المختلفة للمتضررين من الجفاف في بعض الدول الافريقية .

وتأتي هذه المعونات بناء على توجيهات خادم الحرمين الشريفين بهذا الشأن واستمرارا في شحن تبرعات المواطنين للمتضررين من الجفاف في تلك الدولة ـ ومن المقرر ان تتوجه طائرة مماثلة من مدينة جدة الى السوودان وهي محملة بالمواد الغذائية المختلفة .

السعودية :

المؤتمر العالمي الاسلامي الثالث لرابطة العالم الاسلامي

رعى خادم الحجرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز عاهل المملكة العربية السعودية الجلسة الافتتاحية للمؤتمر العالمي الاسلامي الثالث لرابطة العالم الاسلامي الذي عقد في مكة المكرمة .. وتأتي رعاية خادم

الحرمين الشريفين لهذا المؤتمر اقتناعا منه بالدور الأساسي والهام الذي يؤديه الاسلام كتابا وسنة في تنظيم حياة المسلمين وشؤونهم وقيامهم بواجباتهم ومسؤولياتهم وحقوقهم في العمل لصالح المجموع الاسلامي ضمانا لوحدة كلمتهم وتراص صفوفهم ودرء الأخطار عنهم كما تأتي هذه الرعاية تجسيدا لإيمان خادم الحرمين الشريفين بأن الدعوة الى مثل هذه المؤتمرات التي تضم خيرة وأبرز علماء المسلمين وفقهائهم انما ينتج عنها المزيد من التنسيق والتشاور لدعم قضايا الأمة الاسلامية ووضع الحلول الناجعة للكثير من المتغيرات التي تشهدها الساحة الاسلامية .. وكان المؤتمر العالمي الاسلامي الأول قد عقد بمكة المكرمة في الرابع عشر من شهر ذي الحجة عام ١٣٨١هـ الموافق الثامن عشر من شهر مايو عام ١٩٦٢م وافتتحه الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود .. أما المؤتمر العالمي الاسلامي الثاني فقد عقد بمكة المكرمة ايضا في الخامس عشر من شهر ذي الحجة عام ١٩٨٤هـ الموافق السابع عشر من شهر ابريل عام ١٩٦٥م وافتتحه الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود .

طباعة القرآن الكريم بطريقة برايل

أعلن رئيس الاتحاد العالمي للمكفوفين ورئيس لجنة الشرق الأوسط لشؤون المكفوفين ومكتبها الاقليمي في الرياض انه تم الانتهاء من طباعة القرآن الكريم بطريقة برايل ولم يبق سوى التدقيق .

جمهورية بنين :

أشهروا اسلامهم

أشهر ١٣٨ شخصا من سكان قرية « ديكا » بمحافظة ويمي بجمهورية بنين الشعبية اسلامهم بمقر معهد التعليم العربي الاسلامي بايجادو ـ كوتونو عاصمة جمهورية بنين الشعبية .

وقد أشهر هذا الجمع اسلامه امام السادة مدير معهد التعليم العربي الاسلامي وبعض أئمة وشيوخ جمهورية بنين الشعبية ومندوب جمعية الدعوة الاسلامية ومندوب الرابطة ورئاسة الافتاء ومبعوث الأزهر الشريف .

وقد لقي هؤلاء المهتدون النصائح والارشاد والوعظ من قبل المذكورين اعلاه .. وكان يوما عظيما على المسلمين حيث عم الفرح والسرور .. نرجو من المولى عز وجل ان يجعل هؤلاء هداة مهتدين وان يعز بهم الاسلام وان يكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

سيراليون :

أول اذاعة اسلامية في افريقيا

أفاد الأمين العام للجنة مسلمي افريقيا الدكتور عبد الرحمن السميط بأن مجموعة من أعضاء اللجنة ودعاتها قاموا بزيارات ميدانية لعدد من الدول الافريقية .

وقال السميط بأن الأعضاء زاروا دولـ؛ سيراليون وقد قمنا بانشاء عدد من المؤسسات الاسلامية هناك ومن آهمها شراء جهاز الاذاعة التابع لحكومة سيراليون وتحويله الى اذاعة للقرآن الكريم وتعتبر هذه أول اذاعة بيد جمعية اهلية غير حكومية .

كينيا :

كشف أثري يحـــدد تاريخ وصول الاسلام الى افريقيا

بعثة بريطانية للتنقيب عن الآثار اكتشفت مسجدا أثريا من الخشب يرجع تاريخه الى القرن الثامن الميلادي أثناء تنقيبها عن الآثار في منطقة شانجا بكينيا .

وذكر البروفيسور مارك هورتون المحاضر بجامعة اكسفورد أن هذا الاكتشاف الأثري يرجع تاريخه الى قبل حوالي ١٢٠٠ عام ويشير الى أن الاسلام وصل الى افريقيا بعد حوالي ١٦٠ عاما عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

الحرب العراقية ـ الايرانـية
ضياء الحق يحذر من اتساع حرب الخليج

غادر الرئيس الباكستاني الجنرال محمد ضياء الحق عمان متوجها الى تركيا في ختام زيارة رسمية للأردن استمرت ثلاثة أيام أجرى خلالها مباحثات مع العاهل الأردني الملك حسين تركزت على تطورات الحرب العراقية الايرانية ، والقضية الفلسطينية والجهود الدولية لعقد المؤتمر الدولي للسلام .

وقد دعا الملك حسين الرئيس ضياء الحق الى القيام بمهمة مساع حميدة لدى « جارته ايران » من أجل وضع حد للحرب وطالب بتدخله لدى ايران كي يرد هذا البلد بصورة ايجابية على جهود السلام والموافقة كخطوة أولى على قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ .

وحذر الرئيس الباكستاني في مؤتمر صحفي عقده قبيل المغادرة من اتساع نطاق الحرب العراقية الايرانية نظرا لما يحمله ذلك من مخاطر التدخلات الأجنبية في المنطقة .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر :	القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
★ السودان :	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .
★ المغرب :	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .
★ تونس :	الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .
★ الأردن :	عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .
★ المملكة العربية السعودية :	الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـ ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦ جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥ الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١
★ سلطنة عمان :	مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .
★ دبي :	مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .
★ البحرين :	المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .
★ أبو ظبي :	المؤسسة العامة للطباعة والنشر .
★ اليمن الشمالي :	دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .
★ قطر :	دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .
O الكويت :	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في سورة الأنبياء : ١٠٧

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

١٣٨٨

طبع في مطابع دار السياسة - الكويت

هديتك مع العدد
مجلة براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

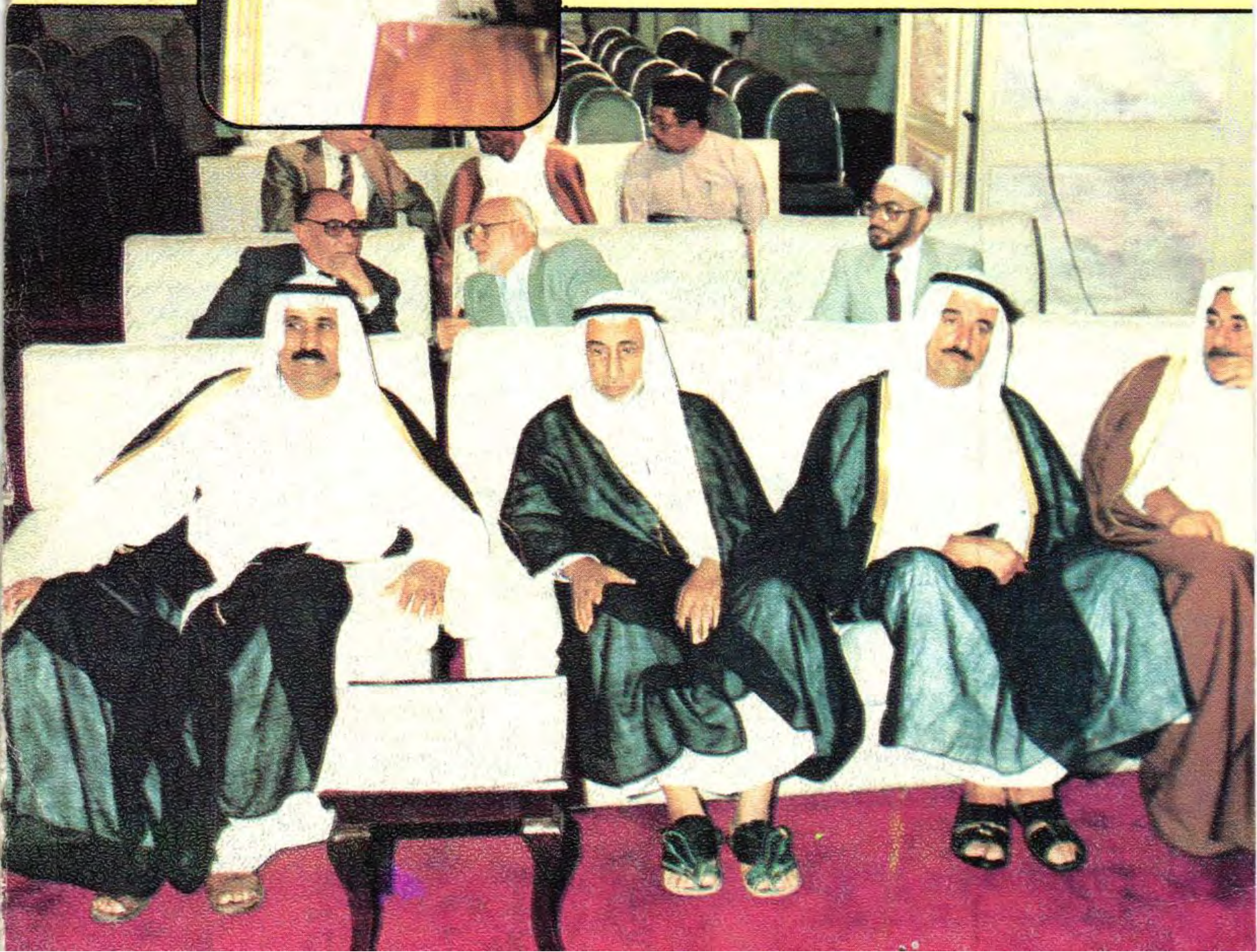
إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٨٠ ـ ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ / ديسمبر (كانون أول) ١٩٨٧ م



الاجتماع الأول للهيئة العالمية للزكاة

استطلاع المجلة ص٨٥



محتويات العدد

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٨٠ ـ ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ / ديسمبر (كانون أول) ١٩٨٧ م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات

المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة

دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

• الثمن •

البلد	الثمن
الكويت	٢٠٠ فلسا
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما
السودان	١٥٠ مليما
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	٣ دراهم
البحرين	٢٠٠ فلس
العراق	١٥٠ فلسا
الاردن	٢٠٠ فلس
سوريا	ليرتان
لبنان	ليرتان
تونس	٢٥٠ مليم
الجزائر	ديناران
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	٣ ريالات
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الذكرى العطرة

سيرة محمد صلى الله عليه وسلم تطبيق للمبادىء وبيان للقرآن

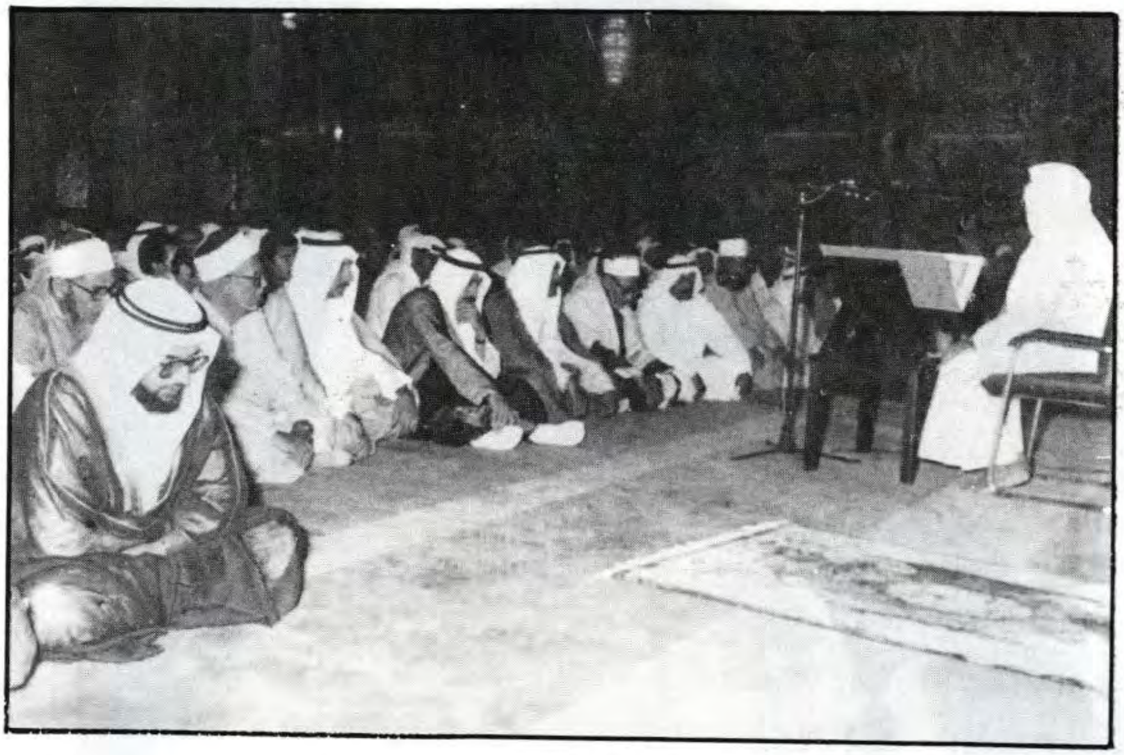
أقامت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية احتفالها السنوي المعتاد بذكرى مولد أشرف المرسلين محمد بن عبدالله عليه افضل الصلاة والتسليم . وقد أقيم الاحتفال ليلة الثاني عشر من ربيع الأول في مسجد الدولة واستهل الحفل بآيات من القرآن الكريم، ثم كلمة الأستاذ / خالد أحمد الجسار وزير الأوقاف والشئون الاسلامية ، ثم تتابعت كلمات الخطباء التي عددت مناقب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودعت إلى الاقتداء به وبصحبه الكرام . وفيما يلي نص كلمة معالي الوزير : -



ليس لغير الله ورسوله إلا الطاعة المقيدة بما لا يخرج عن طاعتهما

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله سيدنا محمد صاحب هذه الذكرى العطرة ، وعلى اخوانه الانبياء والمرسلين وعلى آله وأصاحبه وأتباعه الى يوم الدين .
وبعد

فإن الله تعالي اقتضت حكمته أن يصطفى من الملائكة رسلا لتنزيل كتبه ومن الناس ، لتبليغ شرعه ، وجعل خاتم رسالاته على عاتق سيدنا محمد بن عبد الله سيد ولد آدم ؛ ليحصل التكافؤ بين عظم المهمة وعظم المنزلة ، مصداق ذلك قول الله عز وجل (وكان فضل الله عليك عظيما) وقوله (وإنك لعلى خلق عظيم) .



ان ادراك سر هذا الاصطفاء الالهي لمحمد صلى الله عليه وسلم ـ وهو اختيار من لدن عليم حكيم يجمع بين التشريف والتكليف ـ جدير بأن يكون نصب أعين (أمة الاجابة) لتتخذ منه حافزا للثبات على المنهج القويم والصراط المستقيم ، ونذيرا وتحذيرا من العودة الى ما كانت عليه في الجاهلية من خسار وضلال (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) .

ان ذكرى المولد النبوي وما تلا ذلك من البعثة والهجرة والفتح المبين القائم على التضحيات ما هي الا تذكير بالمسؤولية الموجهة الى كل من اتبع الهدى ليقوم بواجب التبليغ الى (أمة الدعوة) في كل عصر ، اداء للأمانة وقياما بحق الارث النبوى وتلبية لواجب الدعوة الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وبذلك نحقق قول الله تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »

ان المواهب التي خص الله بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، والتكريم الذي حفه به ، والثناء الذي شرعه في حقه بالصلاة والسلام عليه ، اقتضى أن يحظى بالفضل يوم مولده كلما تكرر بل شمل الحقبة الزمنية التي عاش فيها النبي صلى الله عليه وسلم حيث كانت خير القرون . وما هذا الا لما تحقق بوجوده عليه السلام من مثل اعلى ، وقدرة كاملة ، واسوة حسنة ، حتى غدت سيرته التي نتناول طرفا منها في هذه الذكرى جزءا لا يتجزأ من شريعة الاسلام وهديه كيف لا وهي تمثل تطبيقا للمبادىء وبيانا للقرآن ، ونموذجا فاضلا كاملا لمن أراد التقرب الى الله (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) إن منزلة النبوة اعلى منزلة وكما قيل في ضوء مسلمات العقيدة التي يدين بها كل مسلم .

ولم تكن نبوة مكتسبة
ولو رقا في الفضل اعلى مرتبة

ومع هذا يتجرأ البعض على ادعاء بعض ما خص الله به





إن سبب ضعفنا وتداعى الأمم علينا هو تجاهلنا مفاهيم الأخوة والتعاون على البر والتقوى .

انبياءه ورسله من الطاعة المطلقة ، وتسليم مقاليد الأمر اليهم وتشريع ما لم يأذن به الله . وهذا سبب الفتن التي استعصى حلها حين ترك فيها امر الله وامر رسوله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) فليس لغير الله ورسوله الا الطاعة المقيدة بما لا يخرج عن طاعتهما ولا يشذ عن أمرهما ، فالي الله ورسوله المرجع عند التنازع (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)

إن المعنى الاكثر الحاحا لنستحضره الان من معاني هذه الذكرى تلك النعمة الكبرى بمحمد صلى الله عليه وسلم على هذه الأمة وهي الأمة التي بناها على الايمان والدعوة الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصى على

الحق والتواصى على الصبر .. فكان هذا سبب فلاحها ونجاحها وبه اجتمع شمل العرب ومن هداهم الله على أيديهم من الشعوب وكان الشعار الوحيد (أخوة الايمان) و(العدل والاحسان) و (التراحم بين المؤمنين) وان سبب ضعفنا الان وتداعى الأمم علينا هو تجاهلنا مفاهيم الاخوة والتعاون على البر والتقوى ، واستبدالنا بها الشقاق والنزاع الدامي حتى صار بأسنا بيننا شديدا ، واستهين بحق الجوار وغاب التناصر بين المؤمنين بعضهم لبعض وروعت النفوس الآمنة بأمن الاسلام واستبيحت الأموال المصونة فتعرضت للدمار في البر والبحر بدلا من ان تظل مقومات للعيش الكريم .

إن في ذكرى المولد النبوي الشريف تجديدا للنداء العام للمسلمين ان يقوموا لله مثنى وفرادى ثم يتفكروا في الوضع المؤلم الذي آلت اليه حالتهم وان يتفادوا العواقب الوخيمة التي يخشى حدوثها وان يستجيب الجميع لأمر الله بالاعتصام بحبله وعدم التفرق والتمزق ، وان يمتثلوا قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي « إن الله اوحى الى أن تواضعوا حتى لا يطغى احد على احد » وبذلك نجدد ولادة المبادىء التي بعث بها ونستعيد آثار النعمة العظمى بوجوده .

وفي هذه المناسبة اتوجه برفع أسمى آيات التبريك واطيب التمنيات لسمو امير البلاد وسمو ولي العهد داعيا الله عز وجل ان يديم على هذا البلد الامن والامان والرخاء وعلى سائر بلاد المسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وجود الله

بين

الايمان بوجود الله فطرة في النفس الانسانية وهو أمر ضروري يحصل للانسان كثمرة من ثمرات مواهبه العقلية فمن الامور المتفق عليها ان كل شيء له علة توجده او صانع يصنعه فـإذا نظـر الانسـان إلى الكـون واستعرض ما فيه من الكائنات حصل له علم ضروري بأن هذه الكائنات لم توجد صدفة بل لابد لها من موجد

○ **هذا الكون آية :**

من أعظم الدلائل على وجود الله : خلق هذا الكون ، فالارض التي نعيش عليها والمجموعة الهائلة من النجوم التي تتراءى لنا تبهر النظر عند التأمل فيها ، فتقف النفس أمامها حائرة تسـودها الـرهبة ويسيطـر عليهـا الاعجـاب فتزداد إيمـانـا بعظمـة الخالق .

والقرآن الكريم كثرت فيه الآيات التي تدعو الانسان إلى أن يوجه نظره إلى خلق هذا الكون من سمائه وأرضه وتدعوه إلى التفكر في أسراره ليدعم ايمانه ويطرد الشك من نفسه قال الله تعالى « **قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** » يونس / ١٠١ وقال سبحانـه « **أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد**

العلم والقرآن

للاستاذ / عماد الدين محمود

اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون » الأعراف/ ١٨٥

فالقرآن يصرح بأن الإلحاد إذا استمر بعد النظر في هذا الكون ومافيه من حكم وأسرار تدل على التصميم وعلى وجود خالق له - فليست هناك ادلة أقوى من هذه ، كما أنه لن يؤثر في الملحدين أي دليل آخر . يقول اينتشتين « إن ديني يشتمل على الاعجاب المتواضع بتلك الروح العليا غير المحددة والتي تكشف في سرها عن بعض التفصيلات القليلة التي تستطيع عقولنا المتواضعة إدراكها وهذا الايمان القلبي العميق والاعتقاد بوجود قوة حكيمة عليا نستطيع ادراكها خلال ذلك الكون الغامض يلهمني فكرتي عن الإله»ويقول الدكتور ماريت ستانلى كونجدن « عضو الجمعية الأمريكية الطبيعية » : إن جميع مافي الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على قدرته وعظمته وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار قدرة الله وعظمته .

يجب علينا أمام هذا الكون وما تكشف لنا من حقائقه أن نؤمن إيمانا

عن عقل واقتناع بخالقه وترديد ما جاء في القرآن من تقرير هذه الحقيقة « **إن في خلــق السمــوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانــك** » آل عمران ١٩٠ ـ ١٩١ .

○ الليل والنهار والشمس والقمر آيات على وجود الله : ـ

قال تعالى : « **ومن آياته الليل والنــهــار والشمس والقمــر لا تسجــدوا للشمس ولا للقمــر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إيــاه تــعبــدون** » فصلــت/ ٣٧ فاختلاف الليل والنهار هو من تأثير دوران الارض حول نفسها وهـذا الدوران من الآيات الباهرة التي تدل على وجود الله وذلك لما يتراءى للناظر والباحث من الدقة في دورانها بحيث لا تخطىء ثانية من الثواني في حين يعجب الانسان بساعة من صنعه لا تخطىء سوى بضع ثوان فما بالك بالكرة الارضية جرمها ملايين ملايين الملايين من الاطنان تدور فلا تخطىء في اليوم الا بضعة أجزاء من الف من الثانية وتخطئها لأسباب معلـومة محسوبة ؛ فما هي بأخطاء .

ودوران الارض له تأثير عظيم على الحياة على سطح الأرض فلولا هذا الـدوران المنتظم لفـرغت البحـار والمحيطات من مائها ولو دارت الأرض أسرع مما تدور لتناثرت المنازل وتفكك ما على الارض ولو دارت الارض أبطأ مما تدور لهلك من عليها من حر وبرد

وآشـار القرآن إلى دوران الارض « **وترى الجبال تحسبها جامـدة وهي تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء**» النمل/ ٨٨

○ وجـود التصميم في الطبيعـة آية :

يقول العلامة أكريس موريسون « إن استعراض عجائب الطبيعة ليدل دلالة قاطعة على أن هناك تصميما وقصدا في كل شيء وأن ثمت برنامجا ينفذ بحذافيره طبقا لمشيئة الخالق عزّ وجلّ يقول : إن حجم الكرة الأرضية وبعدها عن الشمس ودرجة حرارة الشمس وأشعتهـا الباعثـة للحياة وسمك القشرة الأرضية وكمية الماء ومقدار ثاني اكسيد الكربون وحجم النتروجين وظهور الانسان وبقائه على قيد الحياة كل أولاء يدل على خروج النظام من الفوضى وعلى التصميم والقصد» وهذا هو الذي لفت القرآن

إليه الأنظار في آيات كثيرة منها « **إن في خلــق السمــوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كــل دابــة وتصـريف الـريــاح والسحــاب المسخر بـين السماء والأرض لآيــات لقوم يعقلــون** » البقرة/ ١٦٤ .

وجاء في القرآن « **وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » الرعد/ ٣

فالرواسي ذات فائدة عظيمة إذ ينزل عليها الثلج فيتبقى في ثناياها حافظا لشراب الناس يذوب بالتدريج فتسيل منها الأنهار ومن الماء تخرج اصناف متنوعة من الثمرات تتوقف حياتها على اختلاف الليل والنهار ـ بهذا الطول المعروف الآن فلو كان نهارنا وليلنا أطول مما هما الآن عشر مرات لأحرقت الشمس نباتاتنا نهارا ولتجمد ليلا كل نبت في الارض .

○ **الخلايا الحية آية** :

يقول الله تعالى « **ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون** » الانعام/ ٩٥

وقال « **إن الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت** » التوبة/ ١١٦ فالكائنات الحية تتكون من وحدات أساسية هي الخلايا .

والخلية هي الوحدة المتناهية الصغر التي تحتوى على مادة الحياة وبها القدرة على توزيع هذه الحياة على كل كائن حي كبيرا كان ام صغيرا وتؤدى كل خلية وظائفها الحيوية العديدة بدرجة من الدقة يتضاءل بجانبها أقصى ما وصل إليه الانسان من مهارة في صناعة الساعات الدقيقة وهي البروتوبلازم » ويقول الدكتور وليم سيفرتيز « إن المادة الحية المعروفة باسم البروتوبلازم هي خليط معقد جدا من الماء والاملاح والسكريات والدهون والبروتينات وفي هذه المادة الحية غير المتجانسة تحدث تلك العمليات التي تولف في مجموعها الحياة»ويقول الدكتور رسل تشارلز ارتت « أستاذ في جامعة فرانكفورت بألمانيا وعضو الاكاديمية العلمية بانديانا » « إنني أعتقد أن كل خلية من الخلايا الحية قد بلغت من التعقيد درجة يصعب علينا فهمها . وإن ملايين الملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرة الله شهادة تقوم على الفكر والمنطق ولذلك فإنني أومن بوجود الله إيمانا راسخا».

○ **خلق النبات آية** :

قال تعالى : ـ « **وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون** » الانعام/ ٩٩

أي إن الله يخرج الحب من النبات الأخضر وهذا ما أدركه العلم من أن النبات ينتج المواد الغذائية بوساطة

خلايا الورقة الخضراء ، إن أحسن معمل لدى الانسان لا يقارن بنشاط ذلك المعمل الموجود في خلية الورقة الخضراء فتأمل سر تعبير القرآن الكريم .

ويتساءل الدكتور لسترجون زمرمان - أستاذ الزراعة والرياضيات بكلية جوشن وعضو الجمعية العلمية لدراسة التربة بأمريكا يتساءل عن

كيفية نمو النبات فيقول « لا يكفي ان يكون هناك ضوء ومواد كيماوية وماء وهواء كي ينمو النبات إن هنالك قوة

داخل البذرة تنبثق في الظروف المناسبة فتؤدي إلى قيام كثير من التفاعلات المتشابكة المعقدة والتي

تعمل معا في توافق عجيب،والبذرة التي بدأت من اتحاد خليتين مجهريتين تتألف كل منهما من عدد كبير من العناصر والعمليات تكون فردا جديدا يشق طريقه في الحياة ويكون مشابها

للنبات الذي أنتجه بحيث لا تنتج حبة القمح إلا قمحا ولا بذرة البلوط الا شجرة البلوط ورغم ما بين أنواع النبات من تشابه تجد لكل صفاته وخواصه المميزة ونحن لا نستطيع أن نصل بعقلنا الطبيعي ومنطقنا السليم إلى أن هذه الاشياء قد أنشأت نفسها بنفسها أو نشأت هكذا بمحض المصادفة، ولابد لنا من البحث عن خالق مبدع ويعتبر التسليم بوجود الخالق أمرا بديهيا تفرضه عقولنا علينا .

○ **وحدات الوراثة آية :**

قال تعالى « **قتل الانسان ما أكفره * من أي شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره** » عبس ١٧ ـ ١٩

يقول العلامة أ . كريس موريسون عن وحدات الوراثة الموجودة في نواة خلية كل ذكر وأنثى مستدلا بذلك على وجود الله:إن وحدات الوراثة تبلغ من الدقة أنها لو جمعت كلها ووضعت في مكان واحد لكان حجمها أقل من حجم « الكستبان » بالرغم من أنها تحمل الصفات الوراثية والخصائص الفردية والأحوال النفسية لبليونين من البشر ، ألا إن في ذلك آية على وجود الله وقدرة صنعه .

○ **خلق الانسان آية :**

قال الله تعالى « **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون**» الروم/ ٢٠ وقال ايضا

« وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » المؤمنون : ٧٨ أي ناحية من نواحي

الانسان ليست مثار دهشة وعجب أليست أطواره في الرحم آية من آيات الله،أليس نظام طعامه وشرابه وتحليل الطعام الى عناصر مختلفة بموازين يذهب كل عنصر إلى حيث يؤدي وظيفته عدا العنصر الذي لا يفيد فيطرد إلى الخارج أليس هذا كله آية من آيات الله .

أليس نظام توزيع الدم من مكانه الرئيسي وهو القلب إلى جميع أنحاء الجسم بوساطة الشرايين التي لا يحصى عددها إلا الله ثم عودته عن طريق الأوردة واستكمال الدورة الدموية أليس ذلك ـ آية من آياته ؟؟

دع سمع الانسان وبصره ونطقه وإحساسه بل دع ما يعرض له من تذكر ونسيان وحزن وسرور وعلم وجهل ومحبة وبغض ، فإنها آيات كبرى على وجود الله الخالق .

○ **الخاتمة** : ـ

إن الدراسات الدينية العلمية الحديثة كشفت عن أمور كثيرة جديرة بإمعان النظر والتدقق في آيات وجود الله وتوافقها علميا مع آيات القرآن العظيم فإذا افترضنا بطريقة تعلو عن متناول العقل أن الكون خلق اتفاقا بلا فاعل مريد مختار فهل يعقل أن الاتفاقات والمصادفات تخلق كائنات حية وقوانين ثابتة وآيات أخرى مختلفة ؟!!

ألا يدل هذا وحده على أن في الوجود خالقا مريدا مختارا أبدع الكائنات وخلق الكون ووضع له قوانينه واسس للكائنات مبادئها وقواميسها ولم تخلق ارتجالا فسبحان الله العلي القدير ، خالق كل شيء وكل شيء برهان على وجوده .

أفضل الصدقة

روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا جاء الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :
○ يا رسول الله ، أي الصدقة أعظم أجرا ؟
قال : « ان تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم ، قلت : لفلان كذا ، ولفلان كذا ، وقدكان لفلان » .
أخرجه البخاري

بصائر القرآن

للأستاذ / محمد بدر الدين بن حسن

اعتمد القرآن الكريم في سبيل تدعيم حقائق الوجود الكبرى على جملة من الشواهد منها على سبيل المثال : التاريخ، والنفس البشرية، والآفاق ، هذه الشواهد تقيم الدلائل التجريبية والموضوعية في كل مناسبة على أن حياة الانسان وطبيعة الوجود انما تقومان أساسا على مبدأ واحد خالد هو الحق .

ان الكون محكوم بهذا المبدأ لا يحيد عنه مطلقا في جميع حركاته ، أما الانسان فلأنه زود بحرية الاختيار والارادة فانه قادر على التمرد ولكن ذلك يعرض حياته ومستقبل حضارته الى الانهيار المحتوم ... قال تعالى : (**ومن أعرض عن ذكري فإنَّ له معيشة ضنكا**) طه/ ١٢٤ . أما من اتبع منهج الحق وهدى الله فإنه لا يضل ولا يشقى ... ان شاهد التاريخ يمثل حقل دراسة وثروة من التجارب البشرية يؤدي التأمل في أطوارها الى اكتشاف قوانين ثابتة تحكم عالم الانسان والزمان يطلق عليها القرآن اسم السنن ، وهذا الوعي التاريخي يشكل احدى العلامات الكبرى ليصنع شعب ما تاريخه ، ويشق طريقه نحو النور والمعرفة . قال تعالى : (**أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**) الروم/ ٩ .

ان المسلمين الأوائل استفادوا ولا شك من أسرار هذا المنهج القرآني وساروا في ركابه فحققوا نتائج عظمى في بناء صرح نهضتهم الحضارية نحن اليوم في أشد الحاجة الى الاقتباس من بركاتها .

أما الشاهد القرآني الثاني فهو النفس البشرية محل اعظم تجربة حسية وباطنية ترتد الى أعماق الذات تستمد منها أنصع الدلائل على وحدانية الخالق جل شأنه قال تعالى : **(وفي أنفسكم أفلا تبصرون)** الذاريات/ ٢١ . لقد انطوت حقائق الوجود الخارجي في هذا العالم الداخلي الأصغر مثلما انطوت أسرار الماديات جميعا في أحقر جزء منها وهو الذرة لتشهد لله تعالى بالكمال والجلال .

ان التأمل في نشأة النفس البشرية هو تدبر بديع في آيات التقدير والتدبير الالهية يبدأ من مرحلة النطفة المراقة في قرار مكين حتى تصير جنينا مكتملا شهادة على روعة الترتيب وإحكام الصنعة .

قال تعالى : (**ألم نهلك الأولين * ثم نتبعهم الآخرين * كذلك نفعل بالمجرمين * ويل يومئذ للمكذبين * ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه في قرار مكين * إلى قدر معلوم * فقدرنا فنعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين * ألم نجعل الأرض كفاتا * أحياء وأمواتا * وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتا * ويل يومئذ للمكذبين**) المرسلات/ ١٦ / ٢٨ . لقد جمعت هذه الآيات القصيرة خلاصة الشواهد الثلاثة ، اذ وضعت أولا سنن الله تعالى في المكذبين ومصارع الغابرين ثم جمعت في تناسق عجيب بين شاهد التاريخ ذاك وبين النشأة الأولى وما احتوته من بدائع الأحياء والانشاء ثم ربطت ذلك كله بشاهد الآفاق الكونية دليل اعتبار وتأمل في صفحات الكون المنظور المعد للتمكين والاستقرار مرورا بالأرض الذلول والجبال الشامخات والسحاب المسخر ؛ ان في ذلك لآيات لكل عاقل رشيد أفيبقى بعد ذلك محل للعناد والتكذيب ؟! ويل يومئذ للمكذبين الذين لم ينتفعوا بهذه الشواهد وتعطلت لديهم جميع أجهزة الادراك والاحساس لا جرم انه لا يفيد معهم الا شاهد العذاب فليأكلوا وليتمتعوا قليلا إنهم مجرمون لا محالة .

□ **التكامل والشمول** :

يعتمد القرآن ايضا في عرض مباحثه على الطرق التجريبية الحسية المدعومة ببراهين المنطق ولأنه يفسر بعضه بعضها يلجأ الى توزيع تلك المباحث على مختلف السور وعلى القارىء أن يتلمس وجوه المناسبات والربط بين معظم الآيات ليخرج بثروة زاخرة من ألوان الهداية واليقين ؛ وعلى سبيل المثال فان التتمة الطبيعية لموضوع الشواهد التي أقامها للبرهنة على الحقيقة ينبغي أن ترتبط بمسألة البعث آخر مراحل الحياة الانسانية المؤدية الى الجزاء لتتراءى حقيقة الوجود الكبرى كدورة تاريخية خالدة تبدأ مسيرتها بتعاقب الزمان حيث يقف الانسان جزءا من هذا التاريخ وحلقة من حلقاته مرتبطة بوقت معلوم هو مشروع عمره الذي ينبغي أن يقضيه في يقظة تامة ، ويسجل في صفحاته البيضاء اعماله التي سيقف من أجلها أمام الله للحساب .

ولأنه حجة الله على الخلق عرض القرآن الكريم لهذا الموضوع في ثلاثة آيات في منتهى الدقة والاعجاز ليكمل الشواهد الدالة على عظمة الله تعالى وان اليـه الأمـر والمنتهى . يقـول

القرآن : (**يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قديـر * وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور**) الحج/ ٥ - ٧ .

ان وجود الانسان هو الدليل الأكبر على حقيقة البعث لأنه قد بعث أولا بعد أن لم يكن موجودا وهذا الدليل العقلي اعظم من ـكوجيتو ـ ديكارت ـ لأنه لا ينطلق من الشك ليصل الى اليقين بل ينطلق من حقيقة موضوعية ليصل الى حقيقة غيبية مبرهنة ولكنها متساوية في مستوى اليقين مع الحقيقة الأولى ، بمعنى ان الأولى مشتملة على الثانية بالضرورة . ولم يكتف القرآن بهذا البرهان بل زكاه بـدليل تجـريبي مضمونه أن إحياء الله الأرض صورة من احيائه للموتى ، ولذلك ختمت الآيات رغم قصرها بخمس نتائج كبرى : (**ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير . وأن الساعة آتية لا ريب فيـهـا وأن الله يبعـث من في القبور**) .

على ان هذه النتائج قد سيقت في آيات أخرى بترتيب مماثل من حيث الجلال والاعجاز ؛ فالحساب ليس الا مقتضى يرتبط بالتكليف ، والتكليف يـرتبط كذلك بالاختيار ؛ ولذلك زود الانسان بالأجهزة الربانية العظمى : الحواس والعقل والقلب . قال تعـالى (**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا**)

الانسان/ ٢ ولذلك فان المجنون معفي من الحساب لأنه لا يملك الاختيار بين البدائل ، ومناط التكليف هذا جعـل الاسلام لا ينظر الى الانسان كمجرد كائن حي بل وضعه في منزلة التشريف والخلافة . قال تعالى : (**وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون**) البقرة/ ٣٠ . وما أبعد هذا عن نظرة الفلسفات السائدة في الشرق والغرب والتي جعلت من الانسان كائنا ارضياء الاشباع المادي منتهى طموحه .

لا جرم ان هذا الانسان بما زود من قدرات عقلية هائلة صنع إنجازات باهرة ولكن ستبقى حياته مهـددة بأخطر أنواع التدمير والفناء ما لم يسترشد بهداية السماء .

□ **وحدة الحق** :

إن طريقة القرآن في عرض معالم الوجود جعلت فهم حقـائق الدين ميسورة الجانب لأنهـا قريبـة من طبيعته وليست حكرا على الأنظار الفلسفية ؛ فهي توافق عقله وقلبه من ناحية ، وتستجيب لشهادة الحواس ومنطق العقل ؛ ولهذه الأسباب نجد القرآن الكريم حافلا بما يحض على تدبر آيات الكون وتفهم أسراره ، ولأن طريق الملاحظة يؤدي الى المعرفـة الصادقة ؛ فان المعرفة المكتسبة من طريق التجربة تقتحم بدورها أبواب الايمان وتفسح مجـالا أرحب من محيط المادة لأنها تقود الى ما وراء العلم أو الغيب كما يسميه القرآن : (**الذين يؤمنون بالغيب**) البقرة/٣ ولأن الحقيقة في شمولها واحدة فأيا كان الطريق الذي يسلكه المرء فانه سيلاقي الله جل شأنه المتفرد بكل مظاهر الخلق والتدبير .

وكما ان هناك صلة بين الانسان والعالم الطبيعي الذي يعيش فيه فثمت أيضا صلة تربط حقيقة هذا العالم بأصل الوجود قال تعالى : (**الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون**) غافر/٦١ ـ ٦٢ .

ان المعرفة المتكاملة وفق هده الآيات هي وسيلة الاتصال المباشرة مـع الحقيقة الكلية ، وإن توسيع دائرة مجالات التجربة الانسانية في كشف تلك الحقيقة من صميم مقتضيات الدين ؛ لأنها مسالك تؤدي في نهاية المطاف الى معرفة الله تبارك وتعالى .

وما التصدع الذي تشهده نظريات هذا العصر ،؛ وأزمة أصحابها الا دلائل على ذلك ، لأن التطور المذهل في كشف حقائق الطبيعة ، والاحـاطة بنظام الكون مرحلة حتمية لتلاقي العلم مع الدين . ولهذا لا ينبغي للمسلم المعاصر ان يخشى الأفكار والمعارف أبدا مهما كانت طبيعتها لأنها خاضعة لجريان سيادة الحق عليها وفق قوانين الحركة والجدل المنتهية حتما الى التوحيد : (**إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا**) الطلاق/ ٣

وهنـاك حقيقة ثـابتـة ينبغي عـلى المسلمين رفعها دائما وهي أن دينهم لا يخاف العلم ولا التقنية ولا الفلسفة بل انه لا يزدهر الا في عهود العلم ، وكلما تقدمت مسالك المعرفة تقدم الاسلام واكتسح العقول والقلوب وسوف لن يحدث صدام أبدا بين حقائق الدين التي جاءت في صفحات الكتاب المبين وبين حقائق العلم النافع ومما يدعم ذلك ان العلوم الى حد الآن لم تنقض أي كلية علمية وردت في القرآن الكريم أو تهدم أي مبدأ من تعاليم هذا الدين وأكثر من ذلك فـان كشوف العلم الحديث تسير في خطى الدين ، وواجب علماء الاسلام اليـوم أن ينهضوا للتعـريف بحقائق دينهم الخـالـدة ويثبتـوا الصدق العلمي والفكـري لتعاليم الاسلام التي ستبدد باذن الله ظلمات المادية وعذابات العصر .

لقد تكفل القرآن الكريم أيضا بتحديد العوامل الدافعة لمسيرة عمل الأفراد والتاريخ، وارشدنا الى سبل العمل الاجتماعي السليم ؛ ومن المعلوم أن مدارس فكرية عديدة شغلت جهدها ووقتها للاجابة عن تلك المضامين ؛ فأصحاب المدرسة الاجتماعية الفرنسية مثلا وعلى رأسها «دوركهايم» يرجعون الأمور لسلطان المجتمع وحاكميته لكل حركة تشمل عالم العباد والبلاد في حين ترى المدرسة «الماركسية» ان الأمور تعود حتما الى الأسباب الاقتصادية ممثلة في الصراع الطبقي ونتائجه المحتومة .. ولكن القرآن الكريم يقدم طرحا مخالفا تماما ، اذ يضع المسألة في اطارها الصحيح ؛ فكما ان المولى تبارك وتعالى خلق الانسان وأخضعه لجملة من القوانين الطبيعية ، قبل خضوعه لقانون النمو النباتي ، وقانون الغريزة الحيواني ، وقانون الجاذبية الجمادي ، وقانون التطلع الانساني ، جعل حوادث التاريخ والاجتماع محكومة كذلك بجملة من القوانين الالهية لا تحيد عنها .

فأحداث الكون عامة خاضعة لمبدأ التقدير واللطف الالهيين . قال تعالى : **(سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا)** الأحزاب/ ٣٨ وهذا التقدير محكوم كذلك بمقاصد الحياة الانسانية وأسرار وجودها ، ولذلك فان التاريخ في التصور القرآني هو مسرح اعمال البشر وميدان التجربة المحددة بزمن العيش ، وان سر نجاح أمة ما أو تفككها رهين استقامتها على أمر الله واحكامه الغالبة . قال تعالى : **(وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا * لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا)** الجن/ ١٦ ـ ١٧ . وانطلاقا من هذا التوجه يرسم القرآن لحركة الفرد والمجتمع مسارا أخلاقيا تدور حوله أفعال العباد ، اذا ما تجاوزته تكون قد عرضت نفسها لمخالفة السنن الطبيعية وبالتالي الى الهلاك المبين : **(فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين)** الأنعام/٦ .
وفي مقابل ذلك نجد ان خلود الحقيقة ومعاني الخير التي هي من سبيل النصر ثابتة على الدوام في حياة المجتمعات ـ وان تعرضت لسيل التراكمات السلبية وغزو الباطل لقيمها ـ من حيث كونها حاوية للقيم التي تحفظ للجنس البشري كيانه ، وما سوى ذلك طلاء خادع يزول بزوال تأثيراته : **(فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)** الرعد/١٧ .

ان جميع ما في الكون من حركات تخص عالم الحيوان أو الجماد أو الانسان إنما تسير وفق غاية واحدة هي شهادة حق لله تبارك وتعالى المصور والمهيمن على كل شيء ، ولذلك كانت جميع العبادات في الاسلام مقترنة بمبدأ الحركة و دورة الزمان : فالشهادة وهي الركن الأول في هذا الدين كما يدل اسمها مرتبطة بمبدأ الاعتراف الأولي بأنه لا حقيقة مطلقة وخالدة في هذا الوجود والزمان إلا الله

جل شأنه (**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**) آل عمران/١٨ . والصلاة هي تدعيم يومي لفكرة تعاقب الزمان ، ونداء يتكرر خمس مرات من الشروق الى الغروب ليبعث في النفس اليقظة ، والاحساس بمعاني الوجود ، فمواقيت الصلاة كما يقول المفكر المهتدي ـ رجاء الجارودي ـ نظمت بحسب طلوع الكواكب وغروبها ، تدرج الانسان ضمن النظام الكوني ، وحركات الصلاة تجمع في الانسان كل الحركات الأساسية لكل مستويات الوجود : فالمصلي يستتيم مثل الجبال والزرع والأشجار ويركع ويقوم من جديد مثلما تشرق النجوم وتغرب ، وينحني مثل فرع النخيل كما تنحني الرؤوس نحو مصدر الحياة . ان الصلاة تربط الانسان لا فقط بالطبيعة والكون بل أيضا مع البشرية جمعاء ،

فقبلات كل مساجد العالم تشكل حول الأرض دوائر متمركزة ترمز الى الوحدة الكبرى وتتغير أوقات الصلاة حسب خطوط الطول وفي كل لحظة تنحني جبهة وترتفع أخرى في موجة من العبادة ترتطم باستمرار حول الأرض وهكذا تتجلى وحدة هذا الدين في رموز مادية مدمجة على عصور النبوة من ابراهيم الى موسى ومن عيسى الى محمد صلوات الله عليهم جميعا .

وعبادة الحج تمثل اعظم مظهر لذلك التوجه ، فهي تجمع في أيام معدودات ـ على امتداد الزمان ـ أجناسا عديدة من البشر ومن ورائهم أفئدة ملايين المسلمين ليشهدوا أكبر مهرجان اسلامي تتجمع فيه وحدة الصفوف والقلوب نحو غاية واحدة ورمز واحد حيث يمثل الطواف أبهى صور الاتصال بحقيقة الوجود الكبرى .

وشهر الصيام تجسيم كذلك لتلك الحقيقة حينما تشرئب أعناق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لرؤية الهلال السعيد فيشعر كل فرد أنه جزء معتبر في حركة هذا الكون تربطه به روابط الانقياد والولاء للخالق العظيم فحينما يمتثل لأوامره ويدعوه طمعا في رحمته وابتغاء القربى منه يكون قد شارك في تحقيق أعمق تطلعات ذاته نحو الخلود .. ان التوجه الى الكعبة في الطواف والصلاة يمثل المبدأ الأسمى في تحرك الانسان نحو الله تعالى ، فهو يشارك جميع الكائنات في عملية التعظيم والسجود ولكنه يتميز عنها بكونه يفعل ذلك عن رضا واختيار .. ان ارتباط عمل المسلم بهذه المقاصد والغايات يحرره من كل عبودية لغير الله ـ ما لم تتحول العبادة الى عادة ـ فالصوم يحرره من عبودية الهوى وسلطان الغرائز ،والصلاة تحرره من السجود والتقديس لغير الله ، أما غير المسلم فهو خاضع بالضرورة لعبودية العباد والنفس والمادة .

وفريضة الزكاة تربط المسلم بمبدأين على الأقل : الارتباط بحقيقة الزمن والتحرر من عبودية المال ؛ فمبدأ الحول هو يقظة دائمة طوال العام

حتى لا تتكدس الثروة بين يديه فيفتتها بالانفاق ويرتفع بذلك فوق سلطان المال واغراء الذهب .

المظهر الآخر لمنزع الشمول في العبادات كونها جماعية تربط جموع المؤمنين في عمل دائب لتحقيق ارادة الله ضمن وحدة فكرية وعملية زكاها القرآن الكريم في قوله تعالى : (**وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم**) الأنفال/٦٣ ان هذا التأليف ليتراءى بوضوح في المشاركة الوجدانية العامة التي حكمت حركات وعلاقات الأفراد في المجتمع المسلم وخاصة أيام الصيام والتهليل والتكبير وضمن صفوف الصلاة ، وهو اجماع فريد ينزل نفس المسلم من كبريائها ـ مهما كانت مكانتها ـ الى مستوى التساوي بجموع المسلمين .

ان تلك الصفوف وان تراءت مستقيمة دلالة اجتماعية على الانضباط ووحدة الصف والهدف الا أنها في الحقيقة الخارجية تمثل دوائر فيها حركة دائبة لعمليات القيام والسجود ففي الوقت الذي يسجد فيه الناس في مكان ما من العالم يركع آخرون ، وفي نفس اللحظة تبدأ مجموعة أخرى بتكبيرة الاحرام ، وهكذا بلا انقطاع ليل نهار في كل بقاع الدنيا وان فكرة اصلاح الصلاة نفسها تتضمن هذا المعنى ؛

فالمسبوق في الصلاة هو مسبوق بالزمان لا بالأركان ، ولذلك يواصل صلاته ولا يعيدها من جديد لأن ذلك يعد انقطاعا عن الديمومة والتواصل فهو اذ يتم ما قد فاته يكون قد انضم الى مجموعة اخرى شرعت في تلك اللحظة في عبادة ربها بعيدة عنه بالمكان لا بالتوجه والزمان .

ان المعنى العميق والبعيد للاسلام هو كون جميع الموجودات مسلمة ، فالطير والدواب والأنعام والشجر في توجهها وحركاتها منقادة وخاضعة لمشيئة رب العالمين وتقديره : (**وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون**) آل عمران/٨٣ .

ولكن الانسان يتميز عنها لأنه يفعل ذلك عن ادراك ورضا ، وفي ذلك شرفه وكرامته حيث هيأه هذا القدر العظيم

من الاختيار ان يضطلع بمسؤوليتي التسخير والتكليف والا فان جميع المخلوقات ـ وهو معها ـ أسلمت راضية وغير راضية : (**ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدوّ والآصال**) الرعد/١٥ .

ان القوانين التي تحكم فطرة الانسان تلتقي مع نفس المبدأ الذي ألهم الطير

أو الحيوان لأنها صادرة عن مبدع واحد هو الله جل جلاله ، فما ينطبق

على الوجود ينسجم مع ذات المسلم من جميع الوجوه فليس هناك صراع

بين الانسان والطبيعة بل هي مسخرة له وليس هناك تصادم أو غرابة بين توجهات الانسان ومقاصد الكون

والكل خلق لما هو ميسر له : (**ألم تر ان الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون**) النور/٤١ .

على أن تناسق الوجود ضمن وحدة مطلقة لا يؤدي الى الحلول. وانما هي ناموس الهي عام يحكم فطرة الانسان وفطرة الوجود وينسقها كلها جملة واحدة .

وانا لنجد صدى هذه الوحدة في اعمال القربى التي يقوم بها المسلم امتثالا لأوامر ربه وهي لا تختلف رغم تباعد المواقع والأحوال وعلى سبيل المثال فـان فوارق التـوقيت في الصـلاة والافطار والامساك وسائر الشعائر والعبـادات لا تمثل اختـلافا بـين المسلمين بل تتابعا وتنوعا بحكم تباعد الأمصار وتعاقب الليل والنهار ، اذ ليس هناك نهاية في العبادة وانما هي حركة متواصلة الى يوم يبعث الله الناس للحساب والذين يريدون تحكيم الحساب في أمور العبادات لا يدركون أسرار هذا الدين الذي أراد ربط حياة العباد بحركة الكون والطبيعة النابضة بأعمق مظاهر الروعة والجلال .

تقدم

قيل ان المهدي لما دخل البصرة رأى اياس بن معاويـة وهو صبي ، وخلفـه اربعمـائـة من العلمـاء والفضلاء واياس يقدمهم .

فقال المهدي : اما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث .

ثم التفت اليه وقال : كم سنك يا فتى ؟

فقال سني ـ اطال الله بقاء الامير ـ سن اسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ جيشا فيهم ابو بكر وعمر .

فقال له : تقدم بارك الله فيك .

نظرات في المسيحية والإسلام

مهمة المسيح عيسى عليه السلام

للدكتور/ حسين مرسى

« وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يديّ من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » (الصف/ ٦)

تختلف المسيحية عن الاسلام في نواح عديدة من بينها مهمة المسيح عليه السلام . هل هو نبي من بني البشر بعث إلى بني اسرائيل بعد ان انحرفوا عن تعاليم السماء ، كما يقول القرآن الكريم ، أم هو إله في ثوب انسان جاء ليخلص البشرية من وصمة الخطيئة التي ورثتها عن آدم (عليه السلام) كما تقول المسيحية ؟

والقرآن الكريم يحدثنا بما قاله المسيح عليه السلام عن مهمته على الأرض في سورة الصف (الآية ٦) وأن هذه المهمة قد حددت **بثلاثة أمور هي** :

١ ـ رسول من الله إلى بني اسرائيل .
٢ ـ مؤيد ومحافظ على قوانين التوراة التي جاء بها موسى عليه

السلام وأنه (المسيح) لم يأت لتغييرها أو تبديلها بقوانين جديدة .
٣ ـ مبشر ببعثة رسول الاسلام عليه أفضل الصلاة والسلام

وشهادة القرآن تكفي لنا معشر المسلمين لاننا نؤمن أنها الحق وأنها الصدق (**الحق من ربك فلا تكن من الممترين**) (آل عمران/ ٦٠)

ولكن هذه الشهادة قد لا تكفي غير المسلمين . ومن حقهم أن يتساءلوا عما قاله المسيح عن مهمته من الانجيل ... وهل يتوافق مع ما جاء بالقرآن في هذا الشأن أو يخالفه ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عليه :

في إنجيل متى يتحدث المسيح عليه السلام :

١ ـ « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (متى ١٥ : ٢٤) .

٢ ـ « هؤلاء الاثني عشر (الحواريون) ارسلهم يسوع وأوصاهم :
ـ إلى طريق أمم لا تمضوا .
ـ وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا .
ـ بل اذهبوا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (متى ١٠ : ٤)

٣ ـ « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل » (متى ٥ : ١٧)

وأي باحث منصف سوف يرى التطابق الكامل بين ماقاله عيسى في الانجيل وما قاله القرآن عن مهمته الأولى والثانية :

١ ـ « **يا بني إسرائيل إني رسول الله اليكم** »

٢ ـ « **مصدقا لما بين يديَّ من التوراة** »

أما فيما يتعلق بالمهمة الثالثة والخاصة بالبشارة لبعثة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فهل تنبأ بها المسيح أيضا في الانجيل ؟ وماذا قال عن هذا النبي ؟ وهل سماه ؟

في إنجيل يوحنا (الاصحاح السادس عشر) نقرأ قول المسيح عليه السلام :

● « وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية » (يوحنا ١٦ : ١٣)

ولقد أطلق الانجيل على هذا الشخص الذي تحدث عنه المسيح في إنجيل يوحنا اسم « المعزى » كما جاء في الترجمة العربية للكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس بمصر ـ ١٩٨٣) أو اسم (المريح) كما جاء في الترجمة الانجليزية لانجيل الملك جيمس (Authorised King James — Version)وكلا الاسمين ترجمة لما جاء في الأصل اليوناني لكلمة (PERQLYTOS) ومعناها الصحيح هو : المحمود ـ المشكور ـ الأحمد .

ويستطرد إنجيل يوحنا فيخبرنا بأن المسيح عليه السلام كان قد وضع صفاتٍ وشروطا معينة تنطبق على هذا النبي الذي سيأتي من بعده والذي أطلق عليه اسم « روح الحق » وهذه الشروط هي :

١ ـ أن المسيح لابد أن يرحل قبل أن

يبعث هذا النبي (يوحنا ١٦ : ٧)
٢ ـ أن النبي لن يتحدث من نفسه بل سيوحى إليه ما سيقول (يوحنا ١٦ : ١٣)
٣ ـ أن التعاليم التي سيأتي بها هذا النبي سوف تمكث إلى الأبد . (يوحنا ١٤ : ١٦)
٤ ـ ان هذا النبي سوف يكرم عيسى عليه السلام ويشهد له وينصفه (يوحنا : ١٦ : ١٤)

والتفسير السائد بين رجال الدين المسيحي أن عيسى عليه السلام كان يتحدث هنا عن نزول « الروح القدس » وأن كلامه قد تحقق بما يذكره الانجيل عن نزول « الروح القدس » إلى الحواريين على هيئة « ألسنة منقسمة كأنها من نار » في يوم الخمسين (أعمال ٢ : ٤)

والباحث المنصف لا يسعه إلا أن يختلف مع هذا التفسير للأسباب الآتية :

١ ـ الثابت في الانجيل أن « الروح القدس » نزل قبل بعثة المسيح (لوقا ١ : ٣٥ ، لوقا ١ : ٤٣ ، لوقا ١ : ٦٨)واثناء بعثة المسيح (يوحنا ١ : ٣٢)
وأيضا بعد رحيل المسيح (أعمال ٢ : ٤)

والقول بأن المسيح كان يتحدث عن « الروح القدس » يتعارض تماما مع الشرط الذي وضعه المسيح لبعثة هذا النبي المنتظر :
لابد من رحيلي حتى يأتي هذا المبعوث (يوحنا ١٦ : ٧) .
٢ ـ يعتقد المسيحيون بألوهية « الروح القدس » في حين أن المسيح عليه السلام سبق أن أكد أن هذا المبعوث لن يتحدث من نفسه بل سيوحى إليه ما سيقول (يوحنا ١٦ : ١٣)

والباحث المنصف ايضا لن يجد شخصا أو رسولا آخر تنطبق عليه الشروط التي وضعها المسيح عليه السلام بخلاف نبي الاسلام محمد (عليه الصلاة والسلام) للأسباب الآتية :

١ ـ أتت بعثة النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) بعد بعثة المسيح بحوالي ٦٠٠ عام وبذلك استوفى الشرط الأول الذي وضعه المسيح : « ... لأنه إن لم انطلق لا يأتيكم المعزى » (يوحنا ١٦ : ٧)
٢ ـ نزول الوحي على محمد (صلى الله عليه وسلم) استوفى الشرط الثاني « .. لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية » (يوحنا ١٦ : ١٣)

والجدير بالذكر أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان قد منع أصحابه من كتابة الأحاديث النبوية حتى لا تختلط بالقرآن وحتى لا يعتقد البعض أنها من الوحي :
« **وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى** » النجم/ ٣ـ٥ . « **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان** » الشورى/ ٥٢ .
٣ ـ نزول القرآن الكريم استوفى الشرط الثالث : « .. معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد » (يوحنا ١٤ : ١٦)
(**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » الحجر/ ٩ .

٤ ـ الاسلام هو الدين الوحيد ـ بخلاف المسيحية ـ الذي كرم عيسى عليه السلام وأمه العذراء مريم وبذلك يستوفي الشرط الرابع من شروط السيد المسيح في إنجيل يوحنا : « ذاك يمجدني » (يوحنا ١٦ : ١٤) .

ويكفي مجدا وشرفا أن السيدة مريم هي المرأة الوحيدة التي ذكرها القرآن بالاسم . وأعاد لها الاسلام مجدها وشرفها بعد أن دنسه اليهود باتهاماتهم الباطلة :

« **يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين** » آل عمران/ ٤٢ ويكفي مجدا وشرفا أن القرآن الكريم قد ذكر عيسى عليه السلام بالاسم ٢٥ مرة .

« **والسلام عليَّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا * ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون** » مريم/ ٣٣ و ٣٤ .

اذن فقد تحدث المسيح عليه السلام عن بعثة النبي محمد في الانجيل وسماه لبنى اسرائيل . ولكن اليهود بمكرهم وألاعيبهم حاولوا القضاء على عيسى لأنه جاءهم بالبينات عن النبي المنتظر . واختاروا أن يكذبوه ويؤذوه كدأبهم مع أنبياء الله أو كما قال رئيس الكهنة آنذاك : « خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب » (يوحنا ١٨ : ١٤)

والجدير بالذكر أن ما قاله عيسى عن هذا النبي لليهود لم يكن بجديد عليهم حيث يحدثنا إنجيل يوحنا في الاصحاح الأول أنه عندما بدأ نبي الله يحيى في الدعوة بين اليهود : توبوا إلى الله جاءه الفريسيون من كهنة اليهود يسألونه :

ـ هل أنت نبي الله إيليا (الياس) ؟ قال لست أنا

ـ هل أنت المسيح ؟ قال لست أنا

ـ هل أنت النبي المنتظر ؟ قال لست أنا

فسأله (الفريسيون) وقالوا فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي » ؟ (يوحنا ١ : ٢٥)

كما أن الله عز وجل سبق أن أخبر اليهود (بنى اسرائيل) ببعثة النبي المنتظر على لسان موسى عليه السلام في التوراة :

« أقيم لهم (بنى اسرائيل) نبيا من وسط اخوتهم (أبناء إسماعيل) مثلك (موسى) وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » (تثنيه ١٨ : ١٨)

ومن المحزن أن المسيحيين قابلوا بعثة النبي محمد عليه الصلاة والسلام بنفس المنوال الذي قابل به اليهود بعثة عيسى عليه السلام .

ويقال إن النبيل الفرنسي الذي قام بتمويل الحملة الصليبية الثانية كان قد اعطى نسخة مترجمة لمعاني القرآن لقراءتها ولكنه طرحها جانبا ورفض قراءتها .

إنني أدعو إخواننا المسيحيين إلى قراءة القرآن ودراسة الحياة المثالية لنبي الاسلام محمد وأن يحكموا بأنفسهم عما إذا كان هو النبي المنتظر الذي تحدثت عنه التوراة والانجيل أو لا ؟ وعما إذا كان هو « روح الحق » الذي تحدث عنه المسيح عليه السلام أو لا ؟

أزمة الفكر وفكر الأزمة

للأستاذ / جمال سلطان

في حياتنا الثقافية والفكرية الحاضرة ، شاع الحديث وكثر ، عما يسمى .. **أزمة الفكر العربي المعاصر** ، واتفقت توجهات فكرية وثقافية عديدة ، على وصف الحالة التي يعيشها العالم العربي المعاصر ، وتحديدا منذ ظهور الصحوة الاسلامية ، بأنها حال أزمة ، وحملت لنا كثيرامن الاصدارات الدورية وغير الدورية ، والمنتديات الثقافية ، والحوارات والمساجلات الفكرية ، العديد من الطروحات التي تحدثنا عن هذه الأزمة ، ثم تنطلق محاولة تحديد العلاجت النواجع لها .

إلا ان الملاحظ في عامة هذه الاحاديث والكتابات ، هو غياب التحديد الموضوعي ، والضبط الواضح الصريح ، لطبيعة هذه الأزمة ومظاهرها ، ومن ثم اسبابها وطرق التعاطي معها ، وهذا ما تسبب في جعل معظم هذه الأحاديث متصفة بالتميع والضبابية ، إنهم جميعا يتحدثون عن ازمة فكر ، ويبحثون عن مخرج منها ، ولكن عامة كتاباتهم تقفز فوق تحديد ماهية هذه الأزمة وأسبابها ، أو تعمد الى التعتيم على خريطتها ، او تومىء إيماء ، من غير ان تملك الجرأة على التصريح بها .

والحقيقة اننا مضطرون ، بادىء ذي بدء ، الى التعرض لأوليات النظر ، والبحث في اشكالية ازمة الفكر وذلك من خلال الإجابة عن سؤالين هامين وهما ، **ما هي الازمة** ؟ **ولماذا تنشأ هذه الأزمة** ؟

والإجابة عن السؤالين كفيلة في - نظرى - بالكشف عن المغالطات التي احتوتها تصنيفات المعاصرين لهذه الاشكالية .

إننا عندما نصف أمة من الأمم ، بأنها تعيش في حال « ازمة فكرية فإنما

نعنى بذلك أن المبادىء والمعايير والقواعد التي ينطلق منها العمل الفكرى والابداعي قد اهتزت ، وان المناهج التي تطرح من خلالها الافكار وتعالج المشكلات ، قد اضطربت ، وأن الرؤى الفكرية والتصورية للأمة قد تشوشت وغمضت ، فينتج عن هذا كله ، ضحالة او انعدامية الابداع الفكرى الخلاق والأصيل في هذه الامة ، والذي يدفع بمسيرتها الى العلياء .

هذا في ما هية الأزمة . أما لماذا تنشأ ، فلذلك أسباب عديدة فقد يرجع منشؤها كناتج لمرور الأمة في حالة ركود او تراجع حضاري بوجه عام مما ينعكس بدوره على الفكر ، وقد يكون بوقوع الأمة تحت سيطرة أمة أخرى قوية مهيمنة ، فيحدث التسلط الفكرى والثقافي للغالب ، مع الاستعداد النفسي ـ عادة ـ لدى المغلوب لمحاكاة الغالب ، اعتقادا منه أن الغالب والمسيطر هو الاقوى في نحلته وكافة عوائده ، كما يقول ابن خلدون في المقدمة ، فيؤدى هذا التقليد غير القائم على اسس سوية واعية ، إلى اختلال بنية الأمة عامة والفكر فيها بالدرجة الأولى ، وقد يكون مرد هذه الأزمة كذلك عائدا لعمليات اختراق فكرى وثقافي وعلمى واسعة النطاق ،

مصحوبا بالتأثير النفسي والوجداني ، عن طريق خلق كوادر ثقافية مبرمجة ،

وزرعها في مناطق الفاعلية والتوجيه ، في المؤسسات التعليمية والإعلامية والثقافية ، والأدبية .

ولقد شهد مجتمعنا العربي في تاريخه الحديث ، معظم هذه الأسباب وعاش الفكر العربي دهرا في حالة ازمة حقيقية حيث اهتزت المعايير ، واضطربت المناهج ، وتشوشت الرؤى ، فأفرزت لنا هذه الوضعية ، نتاجا ادبيا وفكريا ، عميق الدلالة ـ النفسية في المقام الأول ـ على معالم هذه الأزمة ذلك النتاج الذي تمخض في بعض جوانبه ، عن تيارات فكرية ، ورموز ثقافية ، حملت في مسيرتها ما يمكن ان نسميه « تراث فكر الأزمة » .

وإنه لمن اليسير على الباحث العربي اليوم ، ان يضع يده على معالم هذه الأزمة وآثارها ، في مجالات عديدة ، ثقافية وفكرية وأدبية ومذهبية ، من خلال تتبعه لكتابات رموز الحركة الفكرية العربية في النصف الاول من القرن العشرين ، وأيضا من خلال تتبع الاعترافات الجريئة التي أدلى بها نفر من هذه الفعاليات الفكرية في لحظات صدق مع النفس ومع الأمة ،

مثل ما فعل الدكتور محمد حسين هيكل ـ رحمه الله ـ والذي اعترف بأن الفكر العربي الحديث قد انزلق عن طريق خداعه في اتباع مسارات التاريخ الفكري الاوروبي الحديث ، الى معارك وهمية ، لاوجود لها اصلا في الواقع العربي ، بل نص في وضوح على انهم قد اختلقوا للاسلام ، صورة « الكنيسة الموهومة » على حد تعبير هيكل ـ كتلك التي عرفها الغرب في صراعاته الفكرية واداروا معها معارك وهمية ، استنفدت منهم عمرا !

نعم ـ ان الفكر العربي اليوم ، يستطيع إذا اراد ان ينظر نظرة موضوعية فاحصة وواعية ، الى وقائع هذه الأزمة ، عندما يتأمل اليوم من بعيد ـ تراث هذه المرحلة القاسية في تاريخنا الفكري ، ولسوف يقف دهشا أمام بروز دعوات مثل الفرعونية المصرية ، والفينيقية في الشام ،

والبابلية في العراق ، وكيف سيطرت على النشاط الفكرى للكثير من القيادات الفكرية يومها ، ويعجب ايضا للدعوة الى الانتماء لحضارة البحر الابيض المتوسط ، بحيث تكون مصر مثلا اقرب الى فرنسا منها الى جزيرة العرب ، ويقف أكثر أندهاشا عند الدعوة الى إغريقية الشخصية المصرية ، ومن ثم هويتها الأوروبية ، بحكم ان أوروبا هي وارثة تراث الاغريق ، ومن ثم ازدراء كل ما يأتينا من الشرق الآسيوي ـ كما يعبر سلامة موسى . ويعجب ايضا لمنهج النهضة الذي ارتآه جموع من هذا الجيل والذي عبر عنه طه حسين بالحرف الواحد . « ان نسير سيرة الأوروبيين ، ونسلك طريقتهم ، لنكون لهم اندادا ونكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، وما يحب منها وما يكره ، وما يحمد منها وما يعاب ؟! »

ويقف ايضا امام الكثير من الدعوات الاخرى التي شاعت في تراث « فكر الازمة » مثل الدعوة الى إحلال العامية محل الفصحى ، ومثل الدعوة إلى كتابة اللغة العربية بالحرف اللاتيني ومثل الدعوة الى فصل الاسلام عن شؤون المجتمع المسلم ، ومثل الدعوة الى القومية العربية اللادينية ، وغير ذلك .

ولكن ، على الرغم من انكشاف الغمة الى حد كبير ، ومرور فترة زمنية كانت كافية لاستبانة الأبعاد الخطيرة لمنتوجات هذه الحقبة الفكرية ، وعلى الرغم من وضوح الأسباب التاريخية والواقعية التي افرزت ازمتها ، حتى باعتراف رموزها ، وفعالياتها البارزة ، وعلى الرغم من الخلل الخطير ، الذي أحدثته التيارات الفكرية الأوروبية الحديثة والمعاصرة والتي تغلغلت في تراث فكر الأزمة ـ في مجتمعاتها هي ذاتها ، من تدمير مؤسف على مستوى الشخصية الانسانية .

على الرغم من ذلك كله ، فإنه مازال هناك نفر من فعاليات الفكر العربي المعاصر يصر على ان تفرض على العقل العربي المسلم ، مناهج وأفكار وتصورات « فكر الأزمة » بدلا من نقضها ، والكشف عن عوراتها تمهيدا لإعادة البناء العقلي ، والتكوين الفكرى ، على اسس صحيحة واعية ،

ومتزنة نفسيا ، بعيدة عن الاحساس بعقدة النقص ، تعيد النظر وتجيله ، في تراثنا الفكرى والعلمي والثقافي والأدبي الهائل ، الذي خلفته لنا عصور « فكر الابداع » في تاريخنا الاسلامي ، نحيي فيه مامات ، ونطبب ماعيي ، ونجدد مابلى ، ثم نبدع نحن ، منطلقين من هذه الأرض الصلبة ، لكى نقدم للفكر الانساني المعاصر ، والآتى كذلك ، وللانسان

العربي المسلم ـ على وجه الخصوص . ما يدفع بمسيرته ـ التي بدأت نحو الحضارة ، في اتزان كامل ووعي مدرك لحجم الرسالة التي يحملها .

نعم ، مازالت هناك طوائف تصر على حمل تراث « فكر الأزمة » على الرغم مما قدمنا ، إضافة الى التحولات الجذرية التي حدثت في بنية المجتمع العربي المسلم ، والروح الإسلامية الجديدة ، التي تسري في اوصال أجياله الناشئة ، والتي أعلنت رفضها القوى بحق وعدل لكافة الإفرازات المرضية لهذه الحقبة الفكرية الماضية .

ومن هنا نشأت تلك العزلة المضروبة على حملة فكر الازمة من رجالات الفكر المعاصرين ومن هنا ايضا ظهرت صيحاتهم المتكررة عن ازمة الفكر العربي المعاصر ، ودعواتهم المستمرة للبحث عن مخرج منها .

وفي الحقيقة ، إن هذه الأزمة ، هي ازمة هؤلاء الذين لا يزالون مصرّين على حمل نتاجات حقبة تاريخية مضطربة سياسيا وفكريا وحضاريا ، ليخضعوا لها واقعا جديدا ناهضا يستشرف آفاق المستقبل ويؤسس لنهضته على قواعد النور والرشاد ، والربانيه ، التي أُحيته اول مرة .
فليس من المقبول ولا المعقول ، ان يظل مفكرونا حتى الآن ، يصرون على اختراع معارك وهمية ، مع « الحكم الإلهي المقدس » ورجال الدين ، والثيوقراط ، والقرون الوسطى أي الكنيسة الموهومة التي حدثنا عنها هيكل في حقبة الأزمة لمجرد أن الأمة بدأت تعود الى قيمها الأصيلة ،

وشرائع الاسلام ، وليس من المقبول ولا المعقول ان يظل مفكرونا مصرّين على مقولة ضرورة عزل الاسلام وأحكامه وقيمه عن المجتمع والدولة ،

فمن الذي فرض هذه الضرورة ؟! وليس من المقبول ولا المعقول ان يظل مفكرونا مصرّين على ضرورة اعتمادنا علي المعطيات الفلسفية والثقافية والقيمية الأوروبية مع الطائرة والماكينة ، تحت تهويمات فارغة ، مثل القول بأن الطائرة ذاتها لها روح ؟!

وليس من المقبول ولا المعقول أن يظل مفكرونا مصرّين على ضرورة فرض التعليم الجامعي بلغة من اللغات الأوروبية وليس اللغة العربية بينما اليهود يحيون لغة ماتت منذ ألاف السنين ، ويفرضونها على برامج أكبر المؤسسات الجامعية الأوروبية ، ليس من المقبول ولا المعقول أن يعلن مفكرونا بأننا لا نستطيع ان نحيا العصر بتقنيات الغرب وثقافة الشرق « الاسلام » إلا أن نكون كما يعبر صاحب كتاب تجديد الفكر العربي كمثل الحمار يحمل أسفارا ؟! وليس من المقبول ولا المعقول ان يعلن مفكرونا بأن تراثنا الاسلامي يعوق النهضة أو أنه أكفان موتى يؤذي ريحها أجواء العصر ، أو كما يصفه شاعر عربي ؟! بأنه « عفن الدروب والتواريخ والأشياء ؟! الى آخر هذا الغبش الذي لا يزال بعض فعالياتنا

الفكرية مصرًا على حمله وغرسه في عقول أجيالنا الجديدة ، فانتهى بعضهم ـ تحت ضغط الواقع ـ الى

إيثار العزلة والتقوقع ، والتأفف والاكتفاء بالحديث عن « أزمة الفكر العربي المعاصر » وبعضهم راح

يتحدى الواقع ، ويناطح الحس المشهود ، ويحاول الاستعلاء على مسار التطور الطبيعي للمجتمع بإعلان إصراره على حمل « فكر

الأزمة » بل ينادي جهرة ، بضرورة تحجيم هذه الصحوة الفكرية الاسلامية الجديدة ، ويحث على

التصدى لهذا المد الروحي والثقافي الذي سرى في أعماق المجتمع العربي ، وبعضهم راح يحاول

مايمكن وصفه « ركوب الموجة » مع محاولة الإسقاط الفكري فيها حيث يغلف مضامين ما يحمله من تراث

« فكر الأزمة » بإطارات إسلامية شكلية جديدة تلائم المتغيرات الحادثة في عقلية الانسان العربي المسلم ،

والتحولات المستجدة في بنية مجتمعه ، وهذا في تقديري نوع من خداع النفس ، وخداع الضمير ، وخداع الأمة كذلك .

وهكذا .. يمكن للمتأمل في حديث القوم عن « أزمة الفكر العربي المعاصر » أن يدرك ببصيرته مالا يستطيعون أن يصرحوا به ، لاعتبارات نفسية عديدة فحقيقة الأزمة ، هي تلك العزلة التي باتت تحسها جموع من فعالياتنا

الفكرية والثقافية ، والتي ما زالت جامدة عند تراث حقبة الازمة

وانصراف الأجيال المسلمة الجديدة عنهم ، بل والشعور الواضح بالسخط

عليهم ، بسبب ما خلفوه على مجتمعنا العربى المسلم من تمزقات

وضلالات عديدة ، فافتقدوا ميزة القدرة على التواصل مع واقعهم ، ومع

الطاقات الشبابية في الأمة بوجه خاص .

وان خروجهم من أزمتهم هذه يستدعى المبادرة الصادقة في الانفتاح

على هذه التحولات الاسلامية الجديدة في الفكر العربي ، وبنيته المجتمعية ،

ومحاولة التعاطي معه بموضوعية وتجرد ، وبلا مقررات سابقة جامدة

وانه لينبغي أن نكون واضحين مع أنفسنا ، وصرحاء أمام مشكلاتنا ،

فإن الخروج من هذه الأزمة ، يحتم على هذه الفعاليات ، أن تعيد النظر

جذريا في مسلماتهم المنهجية وفي ذاكراتهم الفكرية ، ينبغي ان يعيدوا

النظر جذريا في مواقفهم تجاه التراث الفكري الأوروبي الحديث والمعاصر ،

وأصدائه في فكر حقبة الأزمة ، والمفاهيم التي احتملوها عنه ، وكذلك

يعيدون البحث في مواقفهم الشائهة تجاه التراث الاسلامي ، والمفاهيم

التي استقرت في اذهانهم عنه .
بل إن الأمانة والسواء يفرضان عليهم

ان يعيدوا النظر والتأمل والبحث
وبتواضع واتزان في المنبع الأول ،

والمورد الأساسي الذي انبثق عنه هذا
التراث الحضاري الاسلامي الكبير ،

ذلك المنبع الذي برهن في كافة حقب
التاريخ ، وبرغم التحديات العديدة

على أنه المفجر الدائم ، لمكنونات
الانبعاث الحقيقي ، والنهوض

الصادق ، في وجدان وفكر امتهم
المسلمة .

إنه يتحتم عليهم أن يعودوا الى هذا
القرآن الكريم وهدي نبيه الكريم ،

ليتأملوهما بصدق وتجرد هل اقول
مثلما يعودون الى «كونت ،واسبينوزا

وماركس » ؟! كلا ولا كرامة إنه ينبغي
عليهم أن يعودوا الى القرآن الكريم

على أنه ليس سبيلا بين السبل ، ولكنه
السبيل ، وإن الرجل الذي جاء به

وبلغه ، ليس هاديا من الهداة ، ولكنه
الهادي ! وبغير الإيمان بهذا المبدأ

الأول ، سيكون من العبث محاولة فهم
ما حدث ، وما يحدث في المجتمع
العربي المسلم وظاهرته الفكرية
الجديدة .

إن الخروج من الأزمة لن يكون ، إلا
بعد تحررنا من أحمال تراث « فكر
الأزمة » .

جرح لا يندمل

سئل حكيم : أي جرح ذلك الذي لا يندمل ؟
فقال : حاجتك عند اللئيم .. تسألها .. ثم لا يقضيها لك
وسئل عن الذل فقال : أن يقف الكريم بباب اللئيم .. ثم يرد

(٤٣) مطلب

(في تحذير المرء من انتحاله رأي غيره)

إنْ سمعتَ من صاحبكَ كلاماً أو رأيتَ منه رأياً يُعْجِبُكَ فلا تَنْتَحِلْهُ(١) تَزَيُّناً به عند الناسِ. واكْتَفِ من التزيُّنِ بأن تجتنيَ الصوابَ إذا سَمِعْتَهُ، وتنسُبَهُ الى صاحبه.

واعلمْ أنّ انتحالَكَ ذلك مَسْخَطَةٌ لصاحبِك، وأنّ فيه مع ذلك عاراً وسُخْفاً.

فإنْ بَلَغَ بك ذلك أن تُشيرَ برأيِ الرجلِ وتتكلَّم بكلامه وهو يسمع جَمَعْتَ مع الظّلْمِ قِلَّةَ الحياء. وهذا من سوء الأدب الفاشي في الناس.

ومن تمام حُسْنِ الخُلُقِ والأدب في هذا الباب أن تَسْخُوَ نفسُكَ لأخيك بما انتحلَ من كلامِك ورأيك، وتَنسُبَ إليه رأيه وكلامَه، وتُزيّنه مع ذلك ما استطعت.

لا يكونَنَّ من خُلُقِكَ أن تبتدىءَ حديثاً ثم تقطعه وتقول: «سَوْفَ» كأنّك رَوَّأْتَ(٢) فيه بعد ابتدائك إيّاه. ولْيَكُنْ تَرَوّيكَ فيه قبل التفوّه به. فإنّ احتِجانَ(٣) الحديث بعد افتتاحه سُخْفٌ وغَمٌّ.

من كتاب الأدب الكبير والأدب الصغير لابن المقفّع

(١) انتحله: ادّعاه، نسبه.

(٢) روّأ في الأمر: نظر فيه وتدبّره، ومنه الروية. (٣) احتجان: اختزان

التعليم الإسلامي بين النظرية والتطبيق

محمد مؤذن

للدكتور/ احمد عمر هاشم

التعليم في الاسلام حق من حقوق المسلم ، بل فريضة أوجبها الاسلام ففي الحديث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه ابن ماجة وابن عبد البر في العلم عن انس .

في ظل الاسلام تبوأت الانسانية مكانتها المرموقة ، وعاشت وليس على عينها عصابة ، ولا في قلبها غشاوة ، وانطلقت في حياة خصبة ممتلئة ، وفي مجالات رحبة تشرق بالنور والامل غير متلعثمة الخطى ، ولا حائرة الفكر لأن لديها من رصيدها الايماني علما ثابت الأصول ومعرفة نابضة بالخير والإصلاح فأمنت الانسانية المؤمنة من مزالق الضلالة ، ومن تخبطات

الجهالة ، يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي » . أخـرجـه الحـاكم في المستدرك

وقد نزل القرآن الكريم بقوانين السعادة والاصلاح والرشد والفلاح فأطفأ لهيب الجهل والظلم وأضاء الحياة بالعلم والعدل وبعث فيها روح الإخلاص والحق ، وكانت أولى آيات التنزيل دعوة صريحة للعلم والمعرفة على أساس الإيمان والحق بالله الذي علم الانسان مالم يعلم قال تعالى في سورة العلق : « **اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم** » .

التحصيل والتبليغ

وليس العلم حصيلة يحتويها العالم ولا يطالع بها أمته أو يرشد بها النشء أو يوجه بها الناس وإنما العلم في الاسلام فريضة إذا قام بها المسلم وتعلم فلابد أن ينفع غيره ، ويعلم الناس وينذر قومه قال الله تعالى : « **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** » التوبة / ١٢٢ ولقد حث الرسول صلوات الله وسلامه عليه على طلب العلم وتبليغه عن ابن شهاب قال : قال حميد بن عبدالرحمن سمعت معاوية خطيبا يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » - رواه احمد وغيره .

فالعلم في الاسلام أخـذ وعطاء وتعلم وتعليم ودعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن .

قال سبحانه « **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** » النحل/ ١٢٥ .

وهو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ودعوة للايمان والاستمرار في مواصلة مسار الاصلاح والخير وبهذا تتبوأ الأمة الاسلامية مكانتها كخير أمة أخرجت للناس قال تعالى « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** » آل عمران / ١١٠ .

وتحصيل العلم ونشره ونـزاهة التحقيق والحيطة لابد فيه من الأمانة العلمية للحفاظ عليه خاصة إذا كان في الدين،سواء أكان أمرا من القرآن أم من السنة الشريفة فلابد من الأمانة والضبط والاتقان في التبليغ فيؤدي المسلم ويبلغ كما سمع قال صلى الله عليه وسلم : « نضر الله عبدا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » رواه احمد والترمذي .

ولقد اصطفى الله سبحانه وتعالى

رسوله عليه الصلاة والسلام ليبلغ الرسالة الإلهية للناس جميعا ، ويتلو عليهم آياته ويذكرهم ويعلمهم الكتاب الحكمة ولذا فقد أعده إعدادا كاملا فرباه بعنايته وكلأه برعايته وعصمه من الناس وعلمه مالم يكن يعلم قال الله تعالى : « **ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** » النساء / ١١٣ .

المنهج المثالي

وقد نهج رسول الله صلوات الله وسلامه عليه منهجا مثاليا يجب ان يقتدي به كل الموجهين والمعلمين والمصلحين انه منهج القرآن الذي يأخذ الناس بالتدريج في التوجيه والتعليم وفي انتزاع الشر والباطل وفي العمل على غرس أصول الحق والهدى .

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه يفتى كل سائل ومستفسر فيما يسأل عنه في كل زمان وفي كل مكان حسبما اتفق في الحل والترحال وفي المسجد وهو المكان المتعارف عليه . كما كان يتبع معهم أسمى الطرق في التعليم فيتخولهم بالموعظة كراهة السآمة عليهم ويتوخى مخاطبتهم بلغاتهم ولهجاتهم وعلى قدر عقولهم متواضعا معهم حليما كريما ، وبلغ من حرصه الشديد على تحصيل ما يقوله وحفظه وفهمه ان كان يكرر القول ثلاثا حتى يفهم عنه واحيانا يطرح المسألة على المسلمين ليختبر أفهامهم ذلك ادعى لتثبيت المعلومات في العقول وجذب انتباههم ويتحرى أن يكون التدريس والتعليم في الوقت المناسب وبما يتلاءم مع العقول ، وفي الظروف التي يتسنى للمسلمين ان يحضروا فيها وتكون عقولهم واعية ويقظة .

القدوة في التعليم

إذا كان لابد للعلم والتعليم من أساس ثابت يتمثل في الكتاب والسنة ، ولابد مع التحصيل من تبليغ ، ولابد مع التبليغ من أمانة . ولابد من منهج سليم يتبعه العلماء والمتعلمون حتى يثمر العلم . ويؤتى التعليم ثماره ونتائجه فإنه يبقى أمر هام هو القدوة في التعليم ، والقدوة الحسنة انما تتمثل في أبهى صورها وفي أسمى مقاصدها في الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، كان في حلمه وعلمه وصبره وسعة صدره يسع الناس بخلقه الكريم وسجاياه الحميدة مما جعل الناس يقبلون عليه ويستمعون اليه قال تعالى : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » آل عمران / ١٥٩ وقد وجه الله سبحانه وتعالى رسوله عليه الصلاة والسلام ان يدعوه قائلا : « رب زدني علما » هذا هو موقف الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهو القدوة الحسنة ولنا فيه الاسوة كما قال الله تعالى : « **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**

وذكر الله كثيرا » الاحزاب / ٢١ .
ومن ذلك نخلص إلى أن العلم لا يصل إلى نهايته أحد ، ومهما بلغ العلماء في علمهم والباحثون في بحوثهم فإن المجهول كثير ، والغيب لا يعلمه إلا الله سبحانه . قال تعالى : « **قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون** » النمل / ٦٥ .

وما دام الأمر كذلك فيجب على كل مشتغل بالعلم ـ تعلما او تعليما ـ أن يكون لين الجانب متواضعا متحليا بمكارم الأخلاق وحسن المعاملة والمعاشرة والألفة حتى يصل إلى طلبته ويحقق جوهر الرسالة التي نيطت به فللعلم منزلته العالية في الاسلام وبمقدار هذه المنزلة تسمو مكانة العالم والعلم قال سبحانه : « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » المجادلة / ١١ وقال « **هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** » الزمر / ٩ وقال : « **إنما يخشى الله من عباده العلماء** » فاطر / ٢٨ فبالعلم يصل الانسان إلى مراقبة الله وخشيته وبالعلم تتحقق أعظم غاية هي أساس العبادات والمعاملات وصلات الناس بربهم وبعالمهم الذي يعيشون فيه تلك هي العقيدة الصحيحة التي تتمثل في توحيد الله سبحانه وتعالى إنها الحقيقة القرآنية الكبرى التي شهد بها رب العالمين وشهد بها الملائكة المقربون وشهد بها أولو العلم قال الله تعالى : « **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم** » . آل عمران / ١٨ وعلى هذا النحو تتضح لنا أهمية العلم كهدف من أهداف الرسالة الإلهية قال جل شأنه : « **هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** » الجمعة / ٢ .

وقال تعالى « **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** » آل عمران / ١٦٤ وللقدوة اثرها البالغ وأهميتها وفاعليتها في المتعلمين والشباب خاصة اذا تمثلت المبادىء التي يتعلمونها تطبيقا بين الجميع . فلم تعد مجرد نظريات جامدة أو أفكار هامدة لا حركة تدفعها . ولا حيوية تنبعث منها فلابد من التطبيق العملي فإذا تحدثنا عن الصلاة قمنا إليها مسرعين وإذا تحدثنا عن الزكاة كنا أسبق المتصدقين ، وإذا تحدثنا عن مكارم الأخلاق تعاملنا بها مع الجميع وبذلك تشرق البيئة الاسلامية بمثاليات لها واقع ، ولها أصالة وعمل .

وحدة التعليم الديني

وإذا كانت مناهج التعليم تختلف في بعض البلاد الاسلامية عن بعضها في بعض المواد والدروس والمناهج فلا يصح أبدا ان تختلف في التعليم الديني . ودراسة المواد الاسلامية فالاسلام هو الاسلام في عقيدته وعباداته ومعاملاته وسائر أحكامه

وآدابه ... فإذا ما اتفقت سائر البلاد الاسلامية على خطة موحدة في التعليم الديني... من أولى مراحل التعليم إلى نهايتها في المدارس والمعاهد والجامعات بحيث تكون المواد أساسية وأصيلة في جميع الأقطار الاسلامية وبكمية كافية ، وتأليف مستساغ يلبي حاجة المجتمع ويكون في مستوى الفهم والادراك لدى كل مرحلة على حسب ما يناسبها كان هذا أعظم نجاح ... ويكون هناك لقاءات ورحلات علمية بين علماء البلاد الاسلامية للتعرف على مشاكل الحياة وما يحتاجه شباب الأمة ووضع العلاج لكل مشكلة او انحراف وإعطاء القدوة الحسنة بما تشتمل عليه السنة الشريفة من قول وفعل وبما يزخر به تاريخ سلفنا من نماذج رائعة على ان يقوم بجوار ذلك منهج تربوي تطبيقي يشارك فيه العالم والمتعلم والأستاذ والطالب . والداعية والمدعو وهكذا حتى نستطيع إعداد شباب أمتنا المسلمة إعدادا دينيا سليما . على أساس سليم وحتى لا ندع شبابنا للتبعية والامتصاص والتقليد وبذلك يمكن مناهضة كل موجات التحلل السافر التي اجتاحت كثيرا من شباب أمتنا المسلمة ومن هنا نحقق ما ندبنا الله إليه من نصر دينه فيكون نصره الدائم لنا قال الله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » . محمد / ٧ وان العلم في الاسلام ليس مجرد نظريات تعطى وليس أقوالا تحفظ فحسب وإنما هو تبليغ وتعليم وعمل وتطبيق .

ومن أجل ذلك فالويل كل الويل لمن كتم علما سئل عنه ، عن ابى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سئل عن علم علمه ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار » . رواه احمد وابو داود والترمذي .

هذا إذا كان يعلم ما سئل عنه وكتم علمه . أما إذا كان لا يعلم فلا يصح ان يقول بهواه أو بما لا علم له به . وإنما يقول :الله أعلم ... وهكذا كان سلفنا الصالح .

عن عبدالله بن مسعود قال : (يا ايها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل:الله اعلم . فإن من العلم ان تقول لمالا تعلم الله اعلم).

قال الله تعالى لنبيه : (**قل ما اسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين**) ـ ص / ٨٦ ـ

جهل ينجي خير من علم يردي

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي

قيمة العلم وجدواه

لا ينكر أحد شرف العلم وفضله ، وقد حث الاسلام عليه ودعا إليه ، فقال تعالى « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » (سورة المجادلة . آية ١١) .
وقد شرف الله العلماء بمعرفته قال : « **إنما يخشى الله من عباده العلماء** » (سورة فاطر . آية/ ٢٨)

فمن عرف الله خشيه واتقاه مصداقا للحديث الشريف : «إني أعرفكم بالله وأشدكم خشية له » مالك عن عائشة ـ وجاء في الحكم : «رأس العلم مخافة الله »، وجاء في العقد الفريد : قيل للشعبي : أفتني أيها العالم ، فقال : إنما العالم من اتقى الله .

والعلم يرفع صاحبه الى أعلى الدرجات ، ويبوئه أعظم المنازل ، وقد استطاع الموالي في العصور الأولى بعد أن اعتنقوا الاسلام ، وأحسنوا خدمته ، وانتفعوا بعلومه أن يملكوا القلوب بما وصلوا إليه من مرتبة رفيعة في العلم ، فاستدناهم الخلفاء والأمراء ، وتصدروا في البلاد ، يقصدهم الناس من كل مكان يأخذون من علمهم وينتفعون بفضلهم .
وخير شاهد على ذلك أولئك العلماء الذين سادوا فى عصورهم ، من أمثال أبي حنيفة النعمان ، إمام المذهب ، وكان مولى لتيم اللات من بكر بن وائل .

وابن جريج إمام الحديث ، وهو عبدالملك بن عبد العزيز وكان مولى لخالد بن أسيد ومحمد بن اسحاق بن يسار وكان مولى لقيس بن مخرمة . والأوزاعي ويكنى أبا عمرو ، واسمه عبد الرحمن بن عمر ، وكان من سبي اليمن،وعمرو بن عبيد ، شيخ المعتزلة الذي يقول فيه المنصور : **كلكم يطلب صيد .. غير عمرو بن عبيد** . كان مولى لبني تميم ، وكان جده من سبى كابل من رجال السند . وشعبة بن الحجاج وكنيته أبو بسطام كان مولى لبني شقرة من الأزد ..
وعكرمة الذي تولى الافتاء بالمدينة كان مولى لابن عمر ، وسالم الذي تمنى عمر بن الخطاب بيتا مليئا بأمثاله كان مولى لأبي حذيفة .. وطاوس بن كيسان إمام اليمن كان من الموالى وغيرهم كثير كانوا أئمة فتيا ، ومنارات هدى وشموس علم .

وكان الخلفاء والمقدمون في الدولة يعظمون العلماء ، وكان العقلاء يعرفون قدرهم .
حدث الرواة ان ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ اخذ بركاب دابة زيد بن ثابت ، فقال له : لا تفعل يابن عم رسول الله ، فقال : هكذا أمرنا ان نفعل بعلمائنا فقبل زيد يده ، وقال هكذا امرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ـ صلى الله عليه وسلم .

★ وجوب العمل بالعلم ★

والعلم يطلب للعمل به ، وإلا كان عبئا على صاحبه ووبالا عليه ، وقال الحكماء :
عالم بعلمه لم يعملن
معذب قبل عباد الوثن
والقرآن الكريم يذم قوما لم يعملوا بما علموا فقال في حقهم موبخا لهم « **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** » (سورة البقرة . آية/ ٤٤) .

ومما يؤثر عن مالك بن دينار أنه قال : العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلب كما يزل الماء عن الصفا .
وقال الحكماء : لولا العمل لم يطلب العلم ولولا العلم لم يطلب العمل ولله در أبي تمام الطائي حيث يقول :
ولم يحمدوا من عالم غير عامل
ولم يحمدوا من عامل غير عالم
والحسد المقبول ـ وهو الغبطة ـ لا يكون الا في إحدى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فأهلكه في الحق ورجل آتاه

الله الحكمة فهو يعمل بها ويقضى بها ويعلمها . ومما يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أيها الناس تعلموا كتاب الله تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله .

والعلماء هم أولياء أمور الناس بما فسره بعضهم من قوله تعالى « **ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم** » (سورة النساء . اية / ٨٣) .

فأى قدر أرفع من رجل أتاه الله بصيرة نافذة يميز بها بين الحق والباطل ، ويفصل بها بين الأمور المتشابهة والقضايا المبهمة ، ولا يكون ذلك إلا بالتقوى التي يقول الله في حقها (**إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا**) سورة الأنفال . آية / ٢٩

ويقول « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به** » (سورة الحديد . آية/ ٢٨)

★ العلم بدون عمل وبال ★

والعالم الذي لا يعمل بعلمه يكون علمه وبالا عليه وعمله مردوداً عليه ، وحجة الاسلام الغزالي رضي الله عنه يقول في رسالته : أيها الولد : «العلم بلا عمل جنون والعمل بغير علم لا يكون . أيها الولد ، لا تكن من الأعمال مفلسا ولا من الأحوال خاليا ، وتيقن أن العلم المجرد لا يؤخذ باليد ، مثاله لو كان على رجل في برية عشرة أسياف هندية . في أسلحة أخرى ، وكان الرجل شجاعا وأهل حرب فحمل عليه اسد عظيم مهيب فماظنك ؟ هل يدفع السلاح شره بلا استعماله ؟ فمن المعلوم أن الأسلحة لا تدفع الا بالتحريك والضرب ، فكذا لو قرأ رجل الف مسألة علمية وتعلمها ولم يعمل بها لا تفيده الا بالعمل « **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** » (سورة النجم . آية/ ٣٩) .

وليس المهم كثرة العلم بل المهم اتقان العمل به - قال مالك بن دينار فيما يرويه صاحب العقد الفريد : من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة .

ويروى أيضا : من طلب العلم لأربع دخل النار ، من طلبه ليباهي به العلماء وليمارى به السفهاء ، وليستميل به وجوه الناس او ليأخذ به من السلطان .

★ الجاهل مسؤول عن نفسه والعالم مسؤول عن نفسه وعن غيره ★

والمثل السائر يقول : إذا زلَّ العالم زل بزلته عالمٌ ، فما زال العالم في موضع القدوة يقتدي به الناس ويفعلون مثله ، فشأنه في ذلك شأن الملك ، والناس على دين ملوكهم .

وكما يعتبر العالم مسؤولا عن العامة فهو مسؤول عن العلم الذي تعلمه هل صانه أوضيعه ؟ والعلم النافع الباقي هو الذي ينفع صاحبه وينفع غيره ،

تعلمـــوا فان كنتم سوقـة سدتم
وإن كنتـــم ســـــادة فقـــــتم

ويبقى في ميزان عمل صاحبه بعد موته مصداقا للأثر الشريف .

وكلما اتسعت دائرة معارف العالم ازدادت مسؤوليته ، وأصبح مطالبا أن يضع علمه وخبرته وجهده في خدمة مجتمعه ووطنه ، فإن كان من أصحاب الابتكـار والسـابقـين في الكشف والاختراع ، وجب عليه أن يصون ذلك لأمته ، وأن يرفع به شأنها حتى لا تكون عالة على غيرها في مجال ، أو مضيعة بحال من الاحوال ، أو عرضة للمساومة ، أو نهبة للمطامع .

★ صور من تضييع العلم ★

وأول صورة من تضييع العلم عدم العمل به ، وفي ذلك فساد للعـالم والمتعلم معا ، وقديما قالوا :

يامعشر العلماء ياملح البلد
مايصلح العلم إذا الملح فسد ؟

أو بثه في غير أهله ، وهم يقولون : العلم كالماء تسقى به شجرة الورد لتزداد نضارة ، وتسقى به شجرة الحنظل فتزداد مرارة . والعلم في النفس الخبيثة يزيدها خبثا ، فهي كالأفعى تسقى سما ، وقد ورد في ذلك قولهم :

لا تعلموا أولاد السفلة العلم .

ولكنها قضية في حاجة الى المناقشة ، لأن القدماء قالوا : تعلموا فإن كنتم سوقة سدتم وإن كنتم سادة فقتم . وكيف نميز بين فئات المتعلمين ؟ أو كيف نحرم من يأتي راغبا في العلم اعتباراً لمكانه ؟ هذا وقد رأينا فيما تقدم كيف رفع العلم أقواما وجعلهم في القمة بين الناس . والامام الشافعي رضى الله عنه يقول :

رأيت العلم صاحبه كريم
ولو ولدته آباء لئام
وليس يزال يرفعه الى أن
يعظم أمره القوم الكرام .

وربما كان المقصود الا يُبثَّ العلم بين الزاهدين فيه الذين لا يقدرونه حق قدره ، وفي العلم اسرار عميقة وحكم عالية لا ينبغي ان تعرض على من لا يعرفون قيمتها لأن في ذلك إهدارا لها وتضييعا لثمرتها والشافعي نفسه هو الذي يقول :

سـأكتم علمي عن ذوى الجهـل طاقتي
ولا انثر الدر النفيس على الغنم
فإن يسر الله الكريم بفضله
وصادفت اهلا للعلوم وللحكم .
بثثت مفيدا واستفدت ودادهم
والا فمخزون لدى ومكتتم
فمن منح الجهال علما اضاعه
ومن منع المستوجبين فقد ظلم

والانسان حريص عادة على ما يحصله بجهد ، ومضيع ما يناله بيسر وسهولة . وجلة العلماء القدامى كانوا يتعنون في طلب العلم ، ويبذلون في تحصيله قصارى جهودهم ، وبذلك وصلوا إلى ماوصلوا إليه من سبق وتقدم .

روى ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس قوله : لما قبض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانهم اليوم كثير . قال : فقال عجبا لك يابن عباس ، أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من فيهم ؟ قال فتركت ذاك وأقبلت أسأل أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الحديث ، فإن كان ليبلغني عن الرجل فآتي بابه وهو قائل: فأتوسد ردائي على بابه، تسفى الريح على التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا ارسلت إلى فآتيك ؟ فأقول : لا،أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث ـ فعاش ذلك الانصارى حتى رآني وقد اجتمع الناس حولى ليسألونى فيقول : هذا الفتى كان أعقل منى ..

ويمكن ملاحظة ذلك الآن ، فالمدارس التي تقدم أوليات العلم مفتوحة امام الجميع ، وربما دفع التلاميذ إليها بقوة القانون . أما نفائس الحكمة والتخصص في مجالات العلم فلا تنال إلا بالرغبة فيها والاقبال عليها وبذل الجهد والنفيس في تحصيلها .

وقد يكون من تضييع العلم الضن به على أهله ، والشافعي في أبياته المتقدمة يقول :

ومن منع المستوجبين فقد ظلم

دخل رجل على عبد الملك بن مروان ، وكان لايسأله عن شيء الا وجد عنده منه علما فقال له :

أني لك هذا ؟ فقال : لم أمنع قط يا أمير المؤمنين علما أفيده ، ولم أحتقر علما أستفيده ، وكنت إذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته ـ وعبارته الأخيرة تعني مدارسة العلم ومذاكرته ، والعلم يحيا بالمدارسة والمذاكرة ويضيع بالهجر والنسيان .

ويبقى ثواب العلم بتوريثه لمن ينتفع به إما بتدريسه لطلابه ، او بتآليفه التي يتركها العالم بين الناس حاملة اسمه حافظة ذكره مخلدة أثره .

★ تبعة العالم ثقيلة ★

والشعور بالتبعة عند العالم اليقظ ذي الضمير الحى يؤرقه فهو يعتبر نفسه مسؤولا عن المسلمين لأنه من أولي الأمر ـ كما عرفنا ـ وواجبه النصح لهم ، ولرعاتهم حتى يحسنوا رعايتهم ، ومن أولى بالعالم المخلص بأن يحسن المشورة للحاكم فيسير سيرة العدل بين الناس ؟ ولئن كان الامام راعيا مسؤولا عن رعيته كما يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالعالم راع كذلك ومسؤول عن رعيته ، ومن رعيته الحاكم نفسه ، فإنه يقال الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك .

وهذه تبعة ثقيلة كلف صاحبها الكثير بل ربما كلفت صاحبها عنقه لدى الحاكم الجائر ، ولكنها الشهادة وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .

ولكن الموفقين من الحكام يصيخون السمع للنصح ، بل كانوا يتعرضون بأنفسهم لنصح العلماء وسماع اقوالهم ووعظهم ، وكان كثير من العلماء العاملين بعلمهم يعزفون عن عطايا السلاطين ، ويقول احدهم : لو قبلنا صلتك ما أحسنا نصحك .

ومن الشعور بالتبعة أن يعتقد العالم مدى تأثير فتواه في المستفتي ، فإنه بفتواه يعمل وبضوئها يستهدي فأي فتوى هي ؟ هل صدرت عن تأن وروية ؟ أو كانت نتيجة عجلة وسرعة خاطر ؟ او من افتتان العالم بعلمه وأنفته من أن يقال لم يجب ؟

وكثير من المزالق يقع فيها العلماء بسبب ذلك ، فليست ظروف الناس واحدة او أحوالهم متوافقة ، ولذلك كان بعض العلماء العارفين لايتسرعون بإصدار الأحكام قبل التروي . روى ابن سعد عن نافع ان رجلا سأل ابن عمر عن مسألة فطأطأ ابن عمر رأسه ولم يجبه ، حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته ، فقال له : يرحمك الله أما سمعت مسألتي ؟

قال بلى ولكنكم كأنكم ترون أن الله ليس بسائلنا عما تسألوننا عنه ، اتركنا يرحمك الله حتى نتفهم في مسألتك ؛ فإن كان لها جواب عندنا والا أعلمناك أنه لا علم لنا به .

وكان ابن عمر رضى الله عنهما إذا سئل عن شيء لا يعلمه لا يأنف أن يقول لا أعلم ، وهذه ميزة العالم الفاضل فليس العلم بالتباهي ، ومما يروى عن مالك أنه قال : إذا ترك العالم لا أدرى أصيبت مقاتله ، وقال العلماء ـ فيما يرويه ابن عبدربه : العلم ثلاثة : حديث مسند ،وآية محكمة،ولا أدرى ، فجعلوا لا أدري من العلم إذا كان صوابا من القول . واسندوا الى عبدالله بن عمرو بن العاص قوله من سئل عما لا يدري فقال لا ادري فقد احرز نصف العلم .

إن الاغترار بالعلم داء وبيل ، وحب التصدر به آفة مهلكة ، وحلية العلماء التواضع ، حين طلب ابو جعفر المنصور عمرو بن عبيد ـ وكان معروفا بالزهد ـ قال له المنصور هل لك من حاجة يا أبا عثمان ؟ قال نعم قال ما هي ؟ قال ألا تبعث إليّ حتى آتيك . قال المنصور : إذن لا نلتقي . قال : هي حاجتي .

وكان المنصور قد أمر له بعشرة آلاف فرفضها ، فأقسم عليه ليأخذنها ، فأقسم هو ألا يأخذها ، وكان ولى عهده المهدي حاضرا فقال : يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟ فقال عمرو ابن عبيد : من هذا الفتى ؟ فقال المنصور : هذا ابني محمد وهو المهدي وهو ولي عهدي . فقال عمرو : أما والله لقد ألبسته لباسا ما هو لباس الأبرار ، ولقد سميته باسم ما استحقه عملا ، ولقد مهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه . أراك قد وطدت له الأمور وهي تصير اليه وأنت عنه

مسئول . ثم أقبل على المهدي قائلا نعم يابن اخي اذا حلف أبوك احنثه عمك ، لأن أباك أقوى على الكفارات من عمك .

ومما أورده الجاحظ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه من وصيته : كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم ،

وسلوا الله رزق يوم بيوم ، ولا يضيركم ألا يكثر لكم . قال وأوصى بعض العلماء ابنه فقال اوصيك بتقوى الله وليسعك بيتك ، واملك عليك لسانك وابك على خطيئتك .

رحم الله تلك الأيام حين كان العلم يطلب لوجه الله : أما الآن فإنه يطلب لتحصيل المال والجاه ، وكان العالم يزداد كل يوم في قلوب الناس مهابة وعزا ، فإذا به اليوم ـ بابتذال نفسه ـ

يزداد مهانة وذلا . والعالم الفطن هو الذي يتنبه لوساوس نفسه الخفية التي تزين لصاحبها الشهرة والصيت والتطلع الى المناصب العليا والتصدر بين الناس حتى يقال : هذا عالم وقته .

وقليل من العلماء من يفطن لذلك ، كان من هؤلاء القليل الغزالي رضى الله عنه ، فحين وجد علمه يحول بينه وبين غايته العظمى من معرفة الحقيقة عزف عن العلم والشهرة والمال والجاه والصدارة ، وانزوى بعيدا عن الضوضاء يعبد ربه ويلقى دروس العلم في مدرسة متواضعة في بلدته طوس ، ولولا الإلحاح عليه في ذلك ما قبل ، وظل كذلك حتى وافاه أجله عام ٥٠٥ هـ

ومن العلماء الذين خطوا خطوة واسعة في التخفف من تبعة العلم ابو حيان التوحيدي ، الذي أحرق كتبه في آخر عمره لقلة جدواها في نظره أو ضناً بها على من لا يعرف قدرها بعد موته ، وحين سئل عن ذلك أجاب في رسالة كتبها الى صديقه القاضي ابي سهل عليّ بن محمد ، واوردها ياقوت في معجم الأدباء حـ ١٥ ص ١٦ يقول فيها :

اعلم علمّك الله الخير أن هذه الكتب حَوَتْ من أصناف العلم سره وعلانيته ، فأما ما كان سرا فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغبا ، وأما ما كان علانية فلم اصب من يحرص عليه طالبا ، على أني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ، ولعقد الرياسة بينهم ، ولمد الجاه عندهم ، فحرمت ذلك كله ، وكرهت مع هذا وغيره ان تكون حجة عليّ لا لي .. ولى في إحراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدي بهم ويؤخذ بهديهم ويعشى الى نارهم منهم ابو عمرو ابن العلاء وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف ،

دفن كتبه في بطن الأرض فلم يوجد لها اثر ، وداود الطائي ـ وكان من خيار عباد الله زهدا وفقها وعبادة ، ويقال له تاج الأمة طرح كتبه في البحر وقال يناجيها : نعم الدليل كنت ، والوقوف

مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول وبلاء وخمول ، ويوسف بن اسباط حمل كتبه الى غار في جبل وطرحها فيه وسد بابه فلما عوتب على ذلك قال دلنا العلم في الأول ثم كاد يضلنا في الثاني

فهجرناه،لوجه وصلناه،وكرهناه من أجل ما أردناه .

وهذا سليمان الداراني جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار ، ثم قال والله ما أحرقتك حتى كدت احترق بك .

وهذا سفيان الثورى مزَّق الف جزء وطيرها في الريح وقال ليت يدي قطعت من هاهنا بل من هاهنا ولم أكتب حرفا .

وهذا شيخنا ابو سعيد السيرافي سيد العلماء قال لولده محمد : (قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خيرا لأجل فإذا رأيتها تخونك فاجعلها طعمة للنار ..)

إنه لون من يقظة الضمير وشعور بالتبعة الثقيلة ، واعتراف بأن الشهرة وبعد الصيت وعدم الالتزام بأهداف العلم معوق عن القصد ومؤد الى سوء العاقبة وما أخف مئونة الجاهل إذن ، فله عذره غدا إن نوقش الحساب . وقليل من العلم مع إتقان العمل خير من كثير من العلم مع التقصير في العمل .

فالعلم بشروطه الواجبة والتزاماته المؤداه عظيم الجدوى طيب الأثر يرفع الله به الدرجات ويضاعف الحسنات . أما اذا أهمل العالم حقه وضيع ما تعلمه في سبيل شهرة زائفة او عرض زائل او هدف رخيص اردى صاحبه وأورده موارد التهلكة شأنه في ذلك شأن المال المكتنز يكتوى به صاحبه في نار جهنم .. وقد كان في إمكانه أن ينال به جزيل الثواب .

أليس من المفارقات ان يغبط العالم المقصر الجاهل الذي نجا بجهله من سوء المصير ـ كما يغبط الغني الشحيح الفقير الذي نجا بفقره من عذاب السعير ؟

وبعد .. فنحن بهذه الكلمات لا ندعو الى الجهل ، ولكنا ندعو الى العلم بحقه المفروض ومقامه المحمود فبذلك وحده يرتفع العالم درجات وينال أعظم القربات والا فجهل ينجي خير من علم يردي .

والله الهادي الى سواء السبيل .

افلا يشكرون

قال تعالى : « أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون » ـ الآيات من سورة يس .

هل الخلع طلاق؟

الخلع بضم الخاء وسكون اللام ، معناه في اللغة فراق الزوجة على مال تقول : خلعت الثوب اذا نزعته لان المرأة لباس الرجل ، والرجل لباس لها قال تعالى : « **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** » (البقرة : ١٨٧)

أما معناه في الاصطلاح الشرعي : فهو فراق الرجل زوجته ببدل يحصل عليه منها، وقد أجمع العلماء على مشروعيته ولم يشذ عن هذا الاجماع الا بكر بن عبدالله المزني التابعي فانه قال : ولا يحل للزوج أن يأخذ من امرأته شيئا مما اعطاها في مقابل فراقها وادعى أن قوله تعالى : « **فلا جناح عليهما فيما افتدت بـه** » (البقرة : ٢٢٩) منسوخ بقوله تعالى في سورة النساء : (**فلا تأخذوا منه شيئا**) النساء/ ٢٠ ولكن لا اعتبار لرأيه هذا مع اجماع العلماء،على ان آية النساء مخصوصة بآية البقرة وبآيتي النساء الاخيرتين وقبل ان نتعرض لبيان احكام الخلع وذكر خلافات الفقهاء فيها نحب ان نسوق بين يدي القارىء المسلم النصوص الواردة في الخلع من الكتاب والسنة ثم نذكر له بعد ذلك الاحوال التي لا يحل والتي يحل اخذها بالتفصيل وهي في جملتها لا نخرج عن دائرة فهمهما من



للاستاذ/ زكريا احمد محمد نور

آيات الكتاب وبيان السنة .

★القرآن الكريم والخلع ★

قال تعالى (**الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون**)
البقرة/ ٢٢٩

وقال تعالى: (**وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا**)
النساء آية/ ٤ .

★ الخلع في ضوء السنة النبوية المطهرة ★

«عن ابن عباس قال جاءت امرأة ثابت بن قيس بن شماس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني ما اعتب عليه في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر في الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اتردين عليه حديقته ؟ قالت نعم ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل الحديقة وطلقها تطليقة » رواه البخاري .

(وعن ابن عباس أن جميلة بنت سلول اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما أعتب على ثابت في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام لا اطيقه بغضا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتردين عليه حديقته ؟ قالت نعم فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأخذ منها حديقته ولا يزداد) رواه ابن ماجة .

فالآية التي ذكرناها صدر هذا الكلام تفيد نهي الازواج عن أخذ شيء من ازواجهم مما اعطوه لهن على وجه المضارة . ولذلك رأى بعض الفقهاء أن الرجل لا يصح له اخذ شيء مما أعطاه زوجته الا اذا كان الفساد والنشوز أتيان من قبلها هي وقال ابن المنذر عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال اذا جاء الظلم والنشوز وإتيانه من قبل الرجل وخالعته فهو جائز .

وقول ابن المنذر عن النعمان يخالف ظاهر كلام الله ويخالف كذلك الخبر الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث امرأة ثابت بن قيس فهو صريح في انه لم يكن ثمت ضرر أتى من الزوج وأنها لا تريد فراقه لسوء في خلقه ونقصان في دينه وانه لم يصنع بها شيئا يحملها على الشكوى منه او يضطرها لطلب فراقه وانما هي - فقط - تبغضه بغضا لا تطيق معه دوام معاشرته بل انها من شدة كراهيتها له تكره ان تكون وهي مسلمة ممن يكفرن لعشير ويقصرن فيما يجب للزوج من حقوق .

وسواء كانت تطلب الفرقة لشدة بغضها له او لقبح خلقته - كما ورد في بعض الروايات فانه لا حرج على الزوج أن يأخذ منها ما اعطاها ولا حرج على الزوجة كذلك ان تفتدي نفسها برد ما اخذت منه وذلك ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم مع ثابت وامرأته حيث امرها ان ترد اليه حديقته التي أعطاها وأمره ان يقبل منها الخلع ، لا يكون حلالا الا اذا خاف كل من الزوجين عدم اقامة حدود الله .

★ ما معنى الخوف من جانب كل منهما ★

ومعنى الخوف ان يخاف كل منهما انه لن يستطيع القيام بحق النكاح لصاحبه حسب ما أوجبه الله تعالى لكراهة يحس بها نحوه وقال الشعبي الا يقيما حدود الله الا يطيعا الله،ولا ريب ان المغاضبة تدعو الى ترك الطاعة ومن حدود الله التي يخاف ألاتقام بين الزوجين حسن العشرة وجميل الصحبة،وان استخفاف المرأة بحق زوجها وسوء طاعتها اياه ترك لاقامة حدود الله،وقال بهذا القول ابن عباس وجمهور الفقهاء والامام مالك رضي الله عنهم جميعا .

★ متى يحل الخلع ★

اذا قالت المرأة لزوجها لا أطيع لك امرا ولا اغتسل من جنابة ولا أبر لك قسما حل الخلع وقال عطاء بن ابي رباح يحل ويجوز اخذ الفدية من الزوجة التي تقول لزوجها اني اكرهك

ولا أحبك ومن الفقهاء من يرى الخلع خاصا بحالة الضـرر فحسب وأن شرطه وجود الشقاق بين الزوجين الامر الذي يخشى معه الا تقام حدود الله واستدلوا على هذا بما ورد في بعض الروايات في قصة امرأة ثابت بن قيس عن عائشة ان حبيبة بنت سهل كانت عند ثابت بن قيس بن شماس فضربها فكسر بعضها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الصبح فاشتكت اليه فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ثابتا فقال خذ بعض مالها وفارقها. قال ويصلح ذلك يا رسول الله ؟ قال نعم قال فإني كنت أصدقتها حديقتين وهما بيدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذهما وفارقها .. فأخذهما وفارقها وجمهور الفقهاء يقولون بجواز الخلع من غير اشتكاء ضرر كما دل عليه حديث البخاري وغيره وأما استدلال من قال بعدم جواز الخلع الا في حالة الضرر والشقاق فلا وجه له لان الله لم يذكرها على جهة الشرط وانما ذكرها لأن الغالب من أحوال الخلع أن يقترن بحصـول الشقاق والضـرر فخرج مخرج الغالب .

وقال الزهري ـ وهو ممن قال بعدم جواز الخلع الا عند الغضب والخوف من ألا يقيما حدود الله ـ فان وقع في غير هذه الحالة كان فاسدا. وهم يستندون في هذا الى ان ظاهر الآية صريح في انه لا يجوز للزوج ان يأخذ من المرأة عند طلاقها شيئا مما اعطاها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال «الا ان يخافا الا يقيما حدود الله » وجمهور الفقهاء استدلوا على جواز الخلع في حالة الخوف وفي غيرها يقول الله تعالى : « **فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا** » فقالوا ان جاز لها ان تهب مهرها لزوجها من غير أن تحصل منه على شيء في مقابل ما بذل كان ذلك جائزا في الخلع الذي تصيربه المرأة مالكـة لنفسها من باب أولى .

الفخر الرازي وأقسام الخوف الذي يكون شرطا لصحة الخلع .

وقد قسم الفخر الرازي الخوف الذي جعل شـرطا لصحـة الخلع وجوازه الى اقسام **أربعة** نلخصها في الاتي :

اولا : ان يكون الخوف حاصلا من قبل الزوجة **ثانيا** : ان يكون حاصلا من قبل الزوج **ثالثا** : ان يكون حاصلا لا من قبل الزوج ولا من قبل الزوجة **رابعا** : ان يكون حاصلا من قبلهما معا ، فاذا كان الخوف حاصلا من قبل الزوجة أجاز الخلع اكثر الفقهاء والمال الذي يأخذه الزوج منها حلال لا إثم عليه فيه لان الزوجة هي التي كانت سببا في الضرر بإظهارها النشوز والبغض للزوج ففي هذه الحالة جاز للزوج اخذ ما اعطاه لزوجته ولا اثم على الزوجة أيضا في رد ما أخذت منه والدليل على ذلك واضح من حديث امرأة ثابت بن قيس وقضاء الرسول صلى الله عليه وسلم بينهما .

واذا كان حصول الخوف آتيا من قبل الزوج فقط بأن يضربها ويؤذيها حتى تلجأ الى الفدية ففي هذه الحالة يكون المال الذي يأخذه الزوج منها

حراما بدليل أول هذه الآية وبدليل سائر الآيات التي ورد فيها النهي عن ذلك كقوله تعالى :

« **ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا * وإن اردتم استبدال زوج مكان زوج وأتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا** » سورة النساء ١٩ و ٢٠ فهذه الآيات صريحة في النهي عن اخذ ذلك المال وفيها مبالغة كبيرة في تحريمه على الزوج .

وان كان حصول الخوف لا من قبل الزوج ولا من قبل الزوجة كأن يحصل من حاكم او متوسط بينهما فأكثر الفقهاء على جواز الخلع بسبب هذا الخوف وعلى أن المال المأخوذ من الزوجة حلال لزوجها وقال قوم حرام .

وإذا كان حصول الخوف من قبل الزوج والزوجة معا : حرم على الزوج أخذ شيء مما أعطاه زوجته لأن الآيات التي تقدم ذكرها تدل على حرمة اخذه اذا كان السبب حاصلا من قبل الزوج وليس فيه ما يفيد ان للمرأة سببا فيه ولأن الله تعالى أفرد لهذا القسم آية أخرى وهي قوله تعالى « **وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها** » الآية (النساء/ ٣٥)

★ مقدار الخلع ★

ومن مسائل الخلع المختلف فيها بين الفقهاء ايضا **القدر الذي يجوز وقوع الخلع به** فقال فريق منهم لا يجوز للزوج أن يأخذ من زوجته اكثر مما اعطاها وهو قول علي رضي الله عنه وبه قال الشعبي والزهري والحسن البصري وعطاء وطاووس اما سعيد ابن المسيب فقال لا يجوز للزوج ان يأخذ من زوجته الا أقل مما اعطاها حتى يكون له الفضل ولكن اكثر الفقهاء يرى جواز الخلع بالاكثر والاقل والمساوى ونستعرض الكتاب والسنة والاجماع فيما ورد بالاكثر والاقل والمساوى فاما القرآن الكريم فإن الله تعالى قال : « **ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا** » ثم قال بعد ذلك : « **ولا جناح عليهما فيما افتدت به** » فوجب ان يكون هذا راجعا الى ما آتاها واذا كان كذلك فلا يدخل في الاباحة الا ما قد أعطاها من المهر .

أما السنة فلما ذكرناه من ان ثابتا لما طلب من امرأته ان ترد عليه حديقته قالت وأزيده فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا، حديقته ولا يزداد » فلو كان الخلع بالاكثر جائزا لما منع منه النبي صلى الله عليه وسلم .

وأما الاجماع او القياس فهو ان الزوج قد استباح بضعها فلو أخذ منها أزيد مما أعطاها لكان ذلك إجحافا بجانب المرأة . وإلحاقا للضرر بها وهو غيرجائز ،وجمهور الفقهاء يعارض ذلك بقوله الخلع عقد معاوضة فوجب الا يتقيد بمقدار معين فكما ان للمرأة الا ترضى عند النكاح الا بالصداق الكثير فكذلك للزوج الا يرضى عند المخالعة الا بالبذل الكثير

لاسيما وأن الزوجة هي التي أظهرت الاستخفاف بالزوج حين اظهرت بغضه واعلنت كراهته .

أما جواز الخلع بالقليل فيدل عليه ما ورد من أن عمر ـ رضي الله عنه ـ أتى بامرأة ناشز ، فأمر بها الى بيت كثير الزبل ، ثم دعا بها فقال : كيف وجدت ؟ فقالت : ما وجدت راحة منذ كنت عنده إلا هذه الليلة التي كنت حبستني . فقال لزوجها : اخلعها ولو من قرطها .

وروى ان ابن عمر جاءته امرأة قد اختلعت من زوجها بكل شيء وبكل ثوب لها الا درعها فلم ينكر عليها .

★ الخلع فسخ للحياة الزوجية أو طلاق

قيل ان الخلع فسخ وقيل إنه طلاق واستدل اهل الفسخ بأن الله تعالى قال « **الطلاق مرتان** » ثم ذكر الخلع ثم قال : « **فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره** » البقرة / ٢٣٠ فلو كان الخلع طلاقا لكان بعد الطلقتين **ثالثا** وكذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم لزوجة ثابت بن قيس اعتدى بحيضة فلو كان الخلع طلاقا لاعتدت كما تعتد المطلقة وقد بين الله عدة المطلقة فقال : « **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** » (البقرة : ٢٢٨) فلما ثبت ان المختلعة اعتدت بحيضة واحدة ثبت انها بخلاف المطلقة اما من قال بان الخلع طلاق فانهم احتجوا بما ورد عن ابن عباس ايضا في حديث امرأة ثابت ابن قيس فقد جاء فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم لثابت اقبل الحديقة وطلقها تطليقة واحدة ومن ثم جعلوا الخلع طلاقا مكملا للثلاث لا يجوز بعده ان ترجع الى زوجها الا بعد ان تنكح زوجا غيره وللفقهاء استدلالهم في كون الخلع فسخا او طلاقا وباستعراض اقوال الفقهاء في مسألة الخلع نرى أن الاجماع يكاد يكون منعقدا بينهم على أن الرجل لا يجبر على قبول الخلع ولكن ورد ان ابن رشد يرى جبر الرجل على قبول الخلع .

وعند اكثر اهل العلم ان الخلع طلاق بائن بينونة صغرى لا رجعة فيه بخلاف ابن رشد الذي اعتبره مكملا للثلاث : بينونة كبرى اما اذا شرط عليها الرجعة وقبلت ذلك يكون رجعيا ويرد عليها ما اخذه منها والله اعلم .

عفو المجني عليه عن العقوبة

للدكتور/ أحمد يحيى

الخير والشر من غرائز بني الانسان ، ومنذ الخليقة والخير والشر يتنازعان ، انظر إلى قول الحق جل في علاه : (**واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فَتُقُبِلَ من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين * إني أريد أن تبوء بإثمي و إثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين**) المائدة/٢٧ ـ ٣٠ .

ولم يقف الأمر عند بداية الخليقة ، بل نجد الشر يزداد يوما بعد يوم ، ويقل الخير ، رغم وجوده ، وسيظل التناحر والتصارع بينهما حتى قيام الساعة .

وقد أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل ، داعين للخير ، حاضِّين على فعله ، فلم تخل شريعة من الدعوة إلى الخير وهجر الشر .

إلا أنه بمرور الزمان ، واقتراب الساعة ، يقل الخير من الأرض ، ويزداد الشر فيها ، ويجد المناصرين المؤيدين الحاضين على فعله ، الساعين لتحقيقه بشتى الوسائل والسبل .

وها نحن الآن نتناول أمرا قد هجره المسلمون ، اتباعا منهم لشهوات النفس البشرية ، واقتداء بالبعيدين عن تعاليم ومبادىء الشريعة الغراء .

من المعلوم أن العفو معناه التنازل ، أو هو اسقاط الحق دون مقابل . والعفو عن العقوبة يقصد به تنازل المجتمع أو المجني عليه في بعض الجرائم عن حقهم في توقيع العقوبة على المذنب بعد ارتكابه الفعل الإجرامي وصدور حكم قضائي باستحقاقه للعقاب جزاء ماكسبت يداه .

والعفو سبب خاص يسقط العقوبة في بعض الجرائم دون بعضها الآخر .

موقف الشريعة الاسلامية من العفو عن العقوبة :

حثت الشريعة الاسلامية على العفو عن العقوبة ، فقال تعالى : (**ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**) فصلت/ ٣٤ . اي إن الصفح والعفو يقلب العدو وليا حميما ، أي صديقا قريبا .

وقال تعالى : (**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين**) النحل/ ١٢٦ .

وقد نزلت هذه الآية بمناسبة قول النبي صلى الله عليه وسلم عندما رأى استشهاد عمه حمزة بن عبدالمطلب وقد مثل به الأعداء ، أنه لابد وأن يمثل بسبعين رجلا من المشركين ، وبعد أن نزلت هذه الآية صبر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يمثل بأحد .

كما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه « ثلاث أقسم عليهن ، وأحدثكم حديثا فاحفظوه قال : ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا فاعفوا يعزكم الله ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » رواه أحمد والترمذي

كما قال عليه الصلاة والسلام : « ثلاث من جاء بهن مع ايمان دخل من أي أبواب الجنة شاء ، وزوج من الحور العين كم شاء ، من أدى دينا خفيا ، وعفا عن قاتله ، وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات **(قل هو الله أحد)** . فقال أبوبكر : أو إحداهن يارسول الله ؟ فقال أو إحداهن » رواه الطبراني في الأوسط .

ويتضح من ذلك مدى حث الشريعة الاسلامية للمسلمين على العفو والصفح عن الجناة حتى يعم التسامح والتسامي والصفاء بين المسلمين ، وفي ذلك كل الخير على الأمة الاسلامية .

لذلك ينبغي على المسلم أن يكون قويا قادرا على أخذ حقه ، ورد العدوان ، ودفع الظلم ، ورغم مقدرته على ذلك يتسامى ويتسامح ويعفو عمن ظلمه وجار عليه ، فإن فعل ذلك فله عظيم الثواب في الدارين .

○ ولكن ماهو موقف المسلم الذي وقع عليه ظلم لم يستطع له دفعا ؟

عليه أن يبحث في أسباب وقوع الظلم عليه ويتجنبها ، وأن يقوي نفسه حتى يخشاه الظالم ويتجنبه ،إن أراد الاعتداء عليه ، وعليه أن يرفع مظلمته

إلى ولي الأمر ـ السلطة الشرعية في البلاد . وعلى المسلمين جميعا مساعدته وشد أزره إلى أن يأخذ حقه ، وحتى لايجرؤ قوى ظالم على ضعيف فيعم الفساد والظلم بين المسلمين .

ولكن إذا قدر الضعيف المظلوم على دفع الظلم بنفسه أو بمعونة غيره من المسلمين ، وعفا حينذاك فله عظيم الثواب ، وإن لم يستطع رغم ذلك فعليه أن يحتسب أمره عند الله ويصبر وله في ذلك أيضا أجر عظيم عند الله ؛ وكفاه أن دعوته ليس بينها وبين الله حجاب .

○ هل العفو عن العقوبة جائز في جميع الجرائم ؟

عرفت الشريعة الاسلامية ثلاثة أنواع من الجرائم هي :

أولا ـ جرائم الحدود :

الحد لغة : هو المنع ، وجرائم الحدود هي تلك الجرائم التي فرض الشارع لها عقوبة محددة تجب حقا لله تعالى ، رغبة منه في دفع الفساد عن الناس وتحقيق الصيانة والسلامة لهم .

وقد اتفق فقهاء المسلمين على أنه ليس للمجني عليه أو وليه حق العفو عن هذه الجرائم أو عقوباتها بصفة عامة ، ولا الشفاعة فيها ، لأنها تتعلق بحقوق الله سبحانه وتعالى .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فهو مضاد لله في أمره » رواه أحمد وأبوداود .

ولكن تجوز الشفاعة قبل رفع الشكوى إلى الامام ـ أي السلطة المختصة بتلقي البلاغات في وقتنا الحاضر ـ وليس بعد ذلك ، لما في حديث صفوان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لمن لم يرد أن تقطع يد من سرق رداءه فشفع فيه : « هلا كان قبل أن تأتيني به » رواه أحمد وأبوداود والنسائي .

والحكمة من ذلك أن في العفو سترا للجرائم ، وهو مستحسن دائما في الاسلام ، ولأن الجريمة المعلنة تدعو في ثناياها إلى الجريمة ، وهي سبب لإشاعة نوعها ، ولأن التسامح مع الجاني قد يؤدي إلى توبته وتأليف نفسه مع المجتمع .

ثانيا ـ جرائم القصاص والدية :

وجرائم القصاص هي تلك الجرائم المعاقب عليها بالقصاص أو بالدية ،

وهي خمس : **القتل العمد ، والقتل شبه العمد ، والقتل الخطأ ، والجناية على مادون النفس عمدا ، أو خطأ .**

وتجيز الشريعة الاسلامية للمجني عليه أو ولى دمه أن يعفو عن عقوبة القصاص والدية .

ولايؤثر ذلك العفو على عقوبة الكفارة أو أي عقوبة تعزيرية ، ومن ثم فلوليِّ الأمر أن يقضي بعقوبة تعزيرية يقدرها حسب مستلزمات زجر الجاني وتأديبه .

ولايجوز العفو عن الجريمة هنا ، لأنه يؤدي إلى عدم جواز توقيع عقوبة الكفارة أو أي عقوبة تعزيرية .

والأصل في هذا الحق قوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عُفِيَ له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان**) البقرة / ١٧٨ . وقوله جل شأنه : (**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له**) المائدة/٤٥ .

وما ورد عن أنس بن مالك أنه قال : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع إليه شيء من قصاص إلا أمر فيه بالعفو .

ويرى عدد من فقهاء المسلمين عدم جواز العفو إذا كان القتل غيلة ، أي الذي يظهر فيه التصميم على القتل والدافع الدنيء أو الرغبة في الافساد والإمعان في الشر .

والعفو عن الجاني يؤدي إلى إحلال الحب والمودة بين المسلمين ؛ وبث روح السماحة ، وفتح باب الندم والتوبة والصلاح للجاني .

ثالثا : جرائم التعازير :

التعزير لغة يعني الردع والمنع ، فيقال عزر فلان أخاه ، أي نصره ، لأنه منع عدوه من أن يؤذيه ، ومن ذلك قوله تعالى : (**وتعزروه وتوقروه**) الفتح/ ٩ وسميت العقوبة تعزيرا ، لأن من شأنها منع الجاني ورده عن ارتكاب الجرائم أو العودة إلى اقترافها .

وقد استدل الفقهاء على جواز العفو في التعزير بقول الرسول عليه الصلاة والسلام : « تحاموا عن عقوبة ذوي المروءات » وبقوله عليه الصلاة والسلام : « أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم » ، وبقوله عليه الصلاة والسلام في الأنصار : « أقيلوا عن محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » ،

وجرائم التعازير يجوز العفو فيها بصفة عامة إن رأي الإمام مصلحة في ذلك ، ويجوز الشفاعة فيها وتسقط بالتوبة بلاخلاف .

وذهب المالكية والحنفية الى أن التعزير الواجب حقا للأفراد يجوز للعبد العفو عنه . ولكن عفوه لايؤثر على حق الجماعة في تأديب الجاني وتقويمه ، فإذا عفا المجني عليه انصرف عفوه إلى حقوقه الشخصية .

وقد فرق في الأحكام السلطانية بين حالتين :
الأولى : حالة العفو من الآدمي قبل الترافع إلى ولي الأمر ، وفيها يكون له فعل الأصلح من التعزير تقويما أو الصفح عفوا .
الثانية : حالة العفو بعد الترافع ، فقد اختلف في سقوط حق الدولة في العقاب على ما يمس المجتمع على وجهين :

١ـ يسقط حق الدولة بالعفو وليس لها حق التعزير .
٢ـ لولي الأمر أن يعزر فيه مع العفو قبل الترافع إليه وبعده .
ونحن نرى إعطاء ولي الأمر هذا الحق ـ التعزير ـ حتى يمكنه تقدير الأمور حسب الظروف المحيطة بكل واقعة .
وجدير بالذكر أنه لايجوز العفو إذا كان التعزير عن حق من حقوق الله تعالى كترك الصلاة .
نخلص من جماع ما تقدم إلى أن الشريعة الاسلامية حضت المسلمين على العفو والصفح عن الجناة ، إذا ما تعلقت تلك الجرائم بحق من حقوقهم ، أو كان حق العبد فيها أغلب .

وللعفو فوائد عديدة ، منها ما يعود على من عفا ، ومنها ما يعود على من عفي عنه ، ومنها ما يعود على المجتمع .

أولا : بالنسبة لمن عفا :

يستفيد في الدارين ، ففي الدنيا يكون قد ملك زمام نفسه ، وكبح جماح شهوة حب الانتقام ، وفي ذلك نصر كبير له على الرغبات الدنيوية في النفس البشرية ، مما يساعده في المستقبل ، على إعمال العقل في كل أموره .
هذا فضلا عن أنه يكون قد قطع سبيل الانتقام من الآخرين ، مما يجعله مرتاح البال ، هادىء النفس ، لأن الرغبة في الانتقام تجعل الفرد هائجا ، مضطربا ، ميالا إلى أن ينتقم ، فإن حقق مراده ، استمر في اضطرابه لتوقع رد العدوان عليه ، وهكذا يستمر في دوامة أخذ الحق والانتقام .

ولايخفى أن في العفو سموا بالنفس ، وارتقاء بها ، مما يجعل المرء يحس بقدر عظيم ، ومقدرة كبيرة ، تجعله سعيدا مسرورا ، ينعته الناس بالكرم وسعة الصدر والحلم ، وهذا أمر تتوق إليه النفوس العلية .

هذا فضلا عن أنه ، إذا أخطأ في حق الآخرين سيجد من يعفو عنه ويصفح ، لأنه كثيرا ما قدم الخير للجميع .

أما في الدار الآخرة ، فيكفيه أن الله سبحانه وتعالى سيجازيه خير الجزاء ، مادام عفوه من أجل الله ، ألا يكفيه أن يغفر الله له ، انظر قول الحق في سورة النور/٢٢ : (**وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم**) ألا يكفيه أن يحبه الله ويعده من المحسنين ، : (**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**) آل عمران/ ١٣٤ .

ثانيا : بالنسبة لمن عفى عنه :

يستفيد هو أيضا في الدارين ، ففي الدنيا ، كفاه أن يجد قلوبا رحيمة ، ونفوسا عالية ، تعفو عنه ، رغم القدرة على رد العدوان ، ودفع الظلم ، وفي ذلك راحة له من انتظار الانتقام منه ، والعدوان عليه .

هذا فضلا عن أن في العفو عنه دافعا له على كف أذاه وعداونه على الآخرين ، خشية أن يعرف عنه ذلك ، فيحجم الناس عن العفو عنه .

وإن العفو عن المخطيء يولد رغبة لديه إلى العفو عن الآخرين ، فيقل الشر لديه ، ويزيد حبه للخير وفي ذلك صلاح أمره وصفاء نفسه .

أما في الدار الآخرة ، فإذا تنازل صاحب الحق عن حقه في الدنيا ، فلن يأخذ الله له حقه في الآخرة ممن ظلمه ، ومن ثم لن يعذبه نتيجة اعتدائه في الدنيا ، ولن يؤخذ من حسناته عند حسابه .

ثالثا : بالنسبة للمجتمع :

المجتمع مجموعة من الأشخاص ، منهم المعتدي ، والمعتدى عليه ، فإذا ما صلح الأفراد صلح المجتمع ، وإذا عم التسامح والعفو بين الناس ، سادت الفضيلة ، وقل الشر ، وصارت سبل التقدم ميسورة سهلة ، وارتقى المجتمع وتقدم .

ومن ثم فواجب عليك أيها المسلم ، أن تنمي لديك روح العفو والتسامح ، وتتدرب على ذلك ، وتبث هذه الروح عند من تعرف ، وتحثهم عليها ، وتساعدهم حتى تنتشر مباديء الاسلام ويتقدم المسلمون

وبالله التوفيق .

الثلث للطعام

للدكتور/ مصطفى كمال عبدالمعز

عن المقدام بن معد يكرب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه . رواه الامام احمد والترمذي وابن ماجة وقال الترمذي حديث حسن.

الم يفكر أحد منا لماذا لا نملأ المعدة كلها بما لذ وطاب وليس ثلثها فقط ؟ الم يتدبر أحد منا قول المولى عز وجل في الآية الحادية والثلاثين من سورة الاعراف :

« **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** » .

ويسأل عن حكمة ذلك ويسأل عن موقف ونظرة علم القرن العشرين من هذا القول .

فهل من المعقول الا تدور عجلة الزمن ويتغير كل شيء معها ؟ وهل من المعقول ان يصمد كتاب نزل منذ اربعة عشر قرنا من الزمان امام طفرات وتطورات العلم الحديث ؟

واذا ثبت هذا فعلا بعد الف وأربعمائة عام اليس هذا دليلا قاطعا يقطع اي ذرة شك ؟ واليس هذا دليلا قويا على انه كتاب لا يأتيه الباطل ابدا وانه من عند عزيز حكيم ؟

فهل لنا ان نخضع ساجدين لرب العالمين وأن نبدأ لحظة صدق مع الله ومع النفس ومع الناس !!

في مقالي هذا أتناول بشيء من الاقتضاب والاختصار وكل الحياد ما قد ينشأ من الافراط في تناول الطعام ولعلك بعد قراءة المقال تقتنع وتعتز اخي المسلم بكتابك وتعرف انه كتاب كل زمان ومكان كتاب العلم والايمان كتاب الخلق أجمعين حتى يوم الدين .

إن للافراط في تناول الطعام تأثيرا واسع الانتشار في الجسم فما أشبهه

بالسرطان حين ينتشر ولا يترك خلية واحدة لا تتأثر به فها هي ذي كل اجهزة الجسم تستغيث من صاحبها الذي لم يصن امانة الله التي أعطاها اياه وعصى امر ربه حين قال :

« **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** »

وعصى امر رسوله بل وعصى اولى الامر منا والحكماء والاطباء حين قالوا « **كلما طال حزامك قصر عمرك** » .

فالافراط في تناول الكربوهيدرات « النشويات » يصيب الجسم بداء السمنة ومرض البول السكري . والافراط في تناول الدهون يصيب الجسم بأمراض عدة منها على سبيل المثال لا الحصر السمنة وتصلب الشرايين وأمراض قصور الدورة الدموية للقلب والاطراف وتشحم الكبد Fatty Liver، والافراط في تناول الاملاح يصيب الجسم بارتفاع ضغط الدم ومضاعفاته، والافراط في تناول بعض انواع البروتينات واللحوم يصيب الجسم بمرض النقرس المعروف باسم داء الملوك gout، والافراط في تناول بعض الفيتامينات مثل فيتامين «ج» يؤدي الى الاصابة بحصوات الكلى .

وقد وجد أن زيادة الكالسيوم في الدم تكون مصحوبة بحصوات الكلى وعتامة عدسة العين Cataract، وزيادة النحاس في الدم تكون مصحوبة بترسبه في بعض أجزاء المخ واصابة الجسم بمرض الشلل الرعاش ومرض ويلسون Willson's disease .

وزيادة الحديد في الدم تكون مصحوبة بمرض hemochromatosis وترسب الحديد الضار في البنكرياس والطحال والكبد وأنسجة الجسم الاخرى .

كذلك فإن تناول المريض المصاب بأنيميا البحر الابيض المتوسط لأية كميات من الحديد مهما كانت صغيرة تكون خطرا على حياته

كذلك فان زيادة الصوديوم في الجسم تصيبك بارتفاع ضغط الدم، وزيادة البوتاسيوم في الجسم تصيبك بضعف العضلات، وزيادة تناول المواد والاطعمة الغنية بمادة الاكسلات مثل الفراولة والمانجو والسبانخ والملوخية وغيرها تساعد على الاصابة بحصوات الكلى .

وحتى الماء فان تناوله في بعض الحالات يصيب الجسم بالمرض اذا تم تناوله بكميات كبيرة وتزداد الحالة سوءا وبخاصة في بعض حالات الفشل الكلوي وبعض الحالات التي تعالج بالمحاليل بكميات كبيرة وارتفاع ضغط الدم بنسب كبيرة .

وبما ان مرض السمنة obesity هو اكثر هذه الامراض حدوثا واكثرها شعبية وانتشارا فانه يفرض نفسه فرضا على بساط حديثنا اليوم .

فما هي السمنة ؟ وما اسبابها ؟ واعراضها ؟ ومضاعفاتها ؟ ودور الوراثة فيها ؟ وهل من علاج دوائي ؟

السمنة هي زيادة وزن الجسم اكثر من معدل الوزن الطبيعي بالنسبة للسن والطول والنوع والجنس .

ومعدل الوزن الطبيعي للشخص البالغ يحسب بطرح مائة سنتيمتر من الطول ان كان ذكرا او مائة وعشرة سنتيمترات ان كانت انثى ويكون ذلك هو الوزن الطبيعي بالكيلوجرامات ويمكن

التجاوز عن عشرة بالمائة من هذا الوزن ولكن اذا زاد وزن الجسم عن معدل الوزن الطبيعي مضافا اليه نسبة العشرة بالمائة فان الشخص يكون مصابا بالسمنة .

ويرجع سبب المرض في اكثر من حوالي ستين بالمائة «٦٠٪» من المرضى لاسباب نفسية واجتماعية فبعض الاشخاص يستجيبون لبعض الضغوط النفسية والاجتماعية بالافراط في الاكل مما يؤدي الى الاصابة بالسمنة ولكننا هنا لا ننكر بعض الامراض التي تؤدي الى الاصابة بالسمنة ومنها نقص نشاط الغدة الدرقية hypothyroidism والغدة النخامية وزيادة افراز الكورتيزول من الغدة الكظرية Cushing desease وزيادة افراز الانسولين Insugioma .

ويبقى السؤال هل الاصابة بالسمنة وراثية اولا ؟

تتضارب هنا الاقوال وتختلف بين مؤيد ومعارض والذي لا شك فيه هو ان وجود الاطفال مع والدين يأكلان كثيرا واكثر مما يحتاجان يؤدي بالطبع الى اصابة الابناء لانهم يحاولون بصورة غير ارادية تقليد آبائهم في كل شيء وبالذات في تناول الطعام .

والخلاصة: أن فرصة إصابة الابناء تكون كبيرة وبخاصة لو كان الوالدان مصابين . ويرجع ذلك إما لأسباب وراثية وإما لاسباب نمطية تتعلق بنمط وعادات الاسرة الغذائية .

ويشكو المريض غالبا من سهولة التعب والنهجان مع اقل مجهود وآلام في العظام والمفاصل وذلك ما لم تحدث مضاعفات، وتكمن المضاعفات في تناقص العمر الافتراضي للمريض وإصابته بجلطات في الساقين وارتفاع ضغط الدم والبول السكري ومضاعفاته والانزلاق الغضروفي وتآكل العظام والتهابها وفتو الحجاب الحاجز وصعوبة التنفس ونقص كفاءة الجهاز التنفسي Pickwickian Syndrome والعلاج يكمن اساسا في نفس قوية وارادة حديدية وعزيمة فتية تستطيع ان تقاوم شهوة الافراط في الطعام ويكون ذلك باتباع نظام غذائي تحت اشراف طبي تقل فيه الطاقة المقدمة للجسم في صورة طعام وشراب وتزداد فيه الطاقة التي يبذلها الجسم في صورة مجهود بدني وليس عقليا على ان يكون ذلك بصورة تدريجية حتى لا تحدث مضاعفات وذلك دون المساس باحتياجات الجسم الاساسية من البروتين الحيواني والنباتي وبعض الاحماض الدهنية الهامة .

وماذا عن الدواء ؟

يحبذ اكثر من تسعين بالمائة «٩٠٪» من الاطباء والعلماء عدم استخدام أي دواء وذلك لسببين أساسيين : اولهما: أن دواء بلا عزيمة وارادة قوية وتحكم في الاكل كسيارة بلا وقود، وثانيهما : أن اغلب هذه الادوية لها مضاعفات كثيرة وخطيرة منها الاكتئاب وتأثيرات سلبية على الجهاز العصبي واضطرابات بالطمث .

والان اخي في الله **ما رأيك** ؟

الإسلام والحضارة العربية

للاستاذ / ماجد أحمد مومني

تشمل الحضارة الرقي في مجالات العلوم العملية والتجريبية ، بجانب الرقي الثقافي في الأفكار النظرية ومجموعة الأخلاق والسلوك ، وبالتالي فالحضارة هي مجموعة الآراء والعادات الناشئة عن الجهود التي تبذلها الأمة في ميادين العلوم والفنون والصناعات والآداب والعبادات .

فالحضارة بهذا المفهوم تجسيد للنشاط العقلي عند الانسان ، ومظاهر هذا النشاط تشمل التقدم العلمي والأدبي والاجتماعي والفني . وقد عرف ابن خلدون الحضارة في مقدمته على انها نمط من الحياة المستقرة ينشىء القرى والأمصار ، ويضفي على حياة أصحابه فنونا منتظمة في العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وإدارة شؤون الحياة والحكم وترتيب وسائل الراحة وأسباب الرفاهية .

ومن التعريف السابق لابن خلدون يتضح أن العرب قبل الاسلام كان لهم نصيب متواضع في الحضارة ، وليس لهم أي دور إيجابي مؤثر خارج نطاق الأرض العربية خلال الحقبة الزمنية التي سبقت الاسلام والتي تعارف

عليها المؤرخون بفترة الجاهلية .

وبظهور الاسلام أصبح للعرب حضارة تمتاز عن سائر الحضارات التي عرفتها البشرية بخصائص فريدة جعلت منها حضارة حية متحركة نامية على الدوام ـ وإن تعرضت عبر مسيرتها التاريخية لطوارىء الضعف على حين كانت الحضارات الأخرى تعيش فترة من الزمن تطول او تقصر ، ثم ينتهي عطاؤها وتتوقف حركتها ولا يبقى منها الا بعض آثارها .

وذلك يرجع إلى أن قوام الحضارة العربية كان يتمثل بالعقيدة الاسلامية التي جاءت متممة للرسالات السماوية في شكل عقيدة كاملة شاملة نظمت المسائل الروحانية وعالجت الأمور الدنيوية ، فأصبحت بذلك أول وآخر نظام يجمع بين الروحانية والمادية في إطار واحد وبطريقة إعجازية . فقد ظهرت هذه العقيدة العظيمة للسمو بالانسان في جميع أوجه الحياة الوجدانية والحسية ، وكانت أول آية كريمة نزلت في القرآن مبشرة بما للقلم من فضل وما للكتابة من أثر في العلم والمعرفة وإذكاء العقول الانسانية وإدراك حقائق الكون وتمثل قدرة الله والتوصل إلى معرفته والايمان به ، فتلقى محمد عليه الصلاة والسلام قوله سبحانه وتعالى « **اقرأ** ... » وماهي الا سنوات قليلة حتى جمعت عقيدة العلم والحضارة شمل العرب ووحدتهم في جزيرتهم تحت راية واحدة سرعان ما علت فوق الأمصار في مشارق الأرض ومغاربها .

○ خصائص الحضارة العربية الاسلامية : ○

امتازت الحضارة العربية الاسلامية عن سائر الحضارات التي عرفتها البشرية بطابعها الروحي والمادي فهي عطاء دائب لا ينتهي وطوعا لهذا الاساس العقائدي الراسخ للحضارة العربية الاسلامية فإن لها عدة خصائص من أهمها :

* حرية العقيدة والفكر :

فالاسلام يرفض مبدأ الاكراه في الدين . لأنه يعتبر أن صحة العقيدة مصدرها الاقناع القائم على المنطق والوجدان . والاسلام لم يرفع السيف ويبح الحرب ويحض على الجهاد ليحمل الناس حملا على الايمان به ـ كما يزعم عامة المستشرقين ومن دار في فلكهم من الباحثين ـ وإنما كانت الحروب الاسلامية وستظل ردعا للمعتدين وحماية للأوطان والمواطنين وتمكينا للحرية بعيدا عن ضروب القهر والتعسف ورغبات القاسطين والمتجبرين.

وحرية الفكر في الاسلام مكفولة لكل إنسان يحترم عقله . فهو في تفكيره غير مكبل بقيود العصبية ونزعات الهوى . ومن يقرأ الكتاب العزيز او ينظر في

مجاميع السنة النبوية الشريفة فإنه لن يجد آية واحدة او حديثا واحدا يحد من سلطان العقل وانطلاقه في مجالات البحث والعلم .

* الحضارة الاسلامية حضارة إنسانية :

الحضارة الاسلامية حضارة إنسانية تحترم الانسان لذاته دون النظر الى جنسيته أو عقيدته . فهي حضارة تسعى جهدها ، لخدمة الانسان والسمو به وتنأى بقيمها عن النزعات العنصرية او الطائفية ، او عن ان تكون أداة لامتهان الانسان والتسلط عليه ، ولهذا نعم بخيرها المسلمون وغير المسلمين على السواء .

وكما احترمت هذه الحضارة الانسان ، آمنت بالمثل العليا ، ودعت إليها لأنها حضارة تحمي القيم الانسانية والاخلاق الكريمة ، إنها حضارة تريد للبشرية حياة طيبة تظللها مبادىء الأخوة والمحبة والتعاون والتكافل والتضامن والفضيلة .

فهي حضارة تنشد معالي الأمور ، وتسير كل يوم خطوة الى الأمام في طريق التقدم والبناء ، وهذا سر حيويتها ونمائها وخلودها .

منجزات الحضارة الاسلامية في عصورها الذهبية :

لعل مراجعة عابرة لبعض الكتب التي ألفها الغربيون عن الحضارة والعلم عند العرب ـ تعطينا صورة واضحة عن مدى التفوق الفكري للعرب في القرون الأولى للهجرة ، وما كان لهم من باع طويل في سائر العلوم الدنيوية كالفلك والهندسة والكيمياء والطب وغيرها .

وانه لمن الصعب وضع تاريخ واف وبيانات مفصلة عن فطاحل وعلماء العرب في تلك العصور وعن كل الأعمال التي تمت على أيديهم .

والسبب في ذلك راجع إلى هجمات المغول المتوحشة والتي طمست الكثير من معالم الاسلام وحضارة العرب ، فقد أحرقوا أعدادا لا تحصى من نفائس الكتب والمراجع والبحوث في بغداد عاصمة العباسيين عند انهيار دولتهم .

ومع هذا الخراب الذي سببه التتار والمغول تبقى شواهد تدل على اعمال فذة خلفها العرب . فهم أول من ألف في الجبر بصورة علمية منتظمة ، وكان كتاب « الجبر والمقابلة » لمحمد بن موسى الخوارزمي الذي وضعه في عهد المأمون منهلا لا ينضب للعلماء ـ على مر العصور ـ وينسب إليه تقدم علمي الجبر والحساب ، ولاشك أن كلمة الغورذم Algorithm هي تحريف لا سمه وتعني الطريقة الوضعية في حل المسائل . وهناك بحوث ابن الهيثم في الهندسة المستوية والمجسمة والضوء والانعكاسات في المرايا الكروية والمخروطية

والاسطوانية المحدبة منها والمقعرة . كما يعود الفضل الأكبر إلى العرب في وضع علم المثلثات بشكل علمي مستقل عن علم الفلك ، مما جعل الباحثين يعتبرونه علما عربيا ، كما اعتبروا الهندسة علما يونانيا . ومن الأسماء اللامعة في هذا المجال أبو الوفاء محمد بن يحيى البوزجائي .

وكان فضل العرب في علم الحساب كبيرا ، فقد أخذوا طريقة الترقيم عن الهنود ثم قاموا بتهذيبها وتطويرها مكونين مجموعتين :

* **الأولى** هي المستعملة في أكثر الأقطار العربية وتعرف باسم الأرقام العربية الشرقية .
* **والأخرى** كان انتشارها في بلاد المغرب العربي والأندلس ومنها إلى أوروبا حيث عرفت بالأرقام العربية .

ولم ينته عمل العرب عند ذلك الحد ، بل اخترعوا النظام العشري مع استعمال الصفر لنفس الغاية ، مما وضع الأساس لعلم الحساب . وأبسط شاهد على ذلك هو ان ترتيب ارقام اي عدد حسابي يبدأ من اليمين حيث تأتي الآحاد اولا يليها الى اليسار العشرات ثم المئات وهكذا ، وقد استعملت اوروبا نفس الترتيب والنظام رغم ان كل لغاتها تكتب من اليسار الى اليمين . ومن الاسماء اللامعة في علم الحساب بدر الدين محمد المارديني وابن الهيثم وابن الهائم شهاب الدين .

ولعل من الأسماء التي لا تنسى في عالم الطب الجهبذ الفذ أبو علي الحسين ابن سينا الذي توفي في الربع الاول من القرن الثامن الهجري . وقد اشتغل في الطب ووضع فيه كتبا مختلفة في التشريح والمداواة بجانب الدراسات النفسية . وكانت كتبه هي المورد الأصلي للطب في اوروبا منذ القرون الوسطى حتى اوائل العصر الحديث . ولاغرو فقد احتفل العرب بمرور الف عام على مولده سنة ١٩٥٣ ، كما احتفلت جامعة باريس بهذه المناسبة .

وهناك دراسات علاء الدين بن النفيس (٦٩٦ هـ) في علوم الأغذية ، وأعمال شهاب الدين بن طيبوغيا القاهري (٨٥٠ هـ) في المراصد ونشاطات موسى بن شاكر واولاده في الهندسة والفلك والميكانيكا .

وبفضل العرب أصبحت قرطبة اكبر مدينة اوروبية وأبعدها صيتا ، يحج إليها طلاب العلم والفلسفة ، وكانت مكتبتها زاخرة بكثير من المصنفات في مختلف العلوم والفنون وبلغت اربعمائة الف مجلدمبوبة ومصنفة ومفهرسة . كما اشتهرت مدارس الطب بقرطبة وأجريت العمليات الجراحية التي كان لنجاحها صدى عالمي . ويعترف علماء الطب أن عمليات أبو الطيب خلف الجراحية في القرن الحادي عشر الميلادي تطابق اليوم العمليات الحديثة . وإن ابن زهر قد كشف عن أساليب كثيرة في العلاج والجراحة ، وان ابن البيطار قد الف كتابا جامعا لعلم النبات .

كما كانت دار الحكمة اول دار للدراسة العالمية والترجمة المنسقة والمخابر العلمية والمراصد الفلكية .

أثر الحضارة العربية والاسلامية في النهضة العلمية الاوروبية ..

يحدثنا التاريخ عن أربعة لقاءات تمت بين العرب وأوروبا ، كان لها أكبر الأثر في النهضة الأوروبية الحديثة ، ولعل أبرز هذه اللقاءات وأعمقها أثرا ذلك الذي كانت شبه جزيرة « إيبريا » مسرحا له ، والتي تعرف في تاريخ الحضارة باسم الأندلس .

ولقد استمر العرب زهاء ثمانية قرون في الأندلس ، منذ سنة ٧١١ ميلادية وحتى سنة ١٤٩٢ م ، يشعون على العالم علما ونورا وحضارة ، ولم ينته هذا الوجود العربي بسقوط مملكة غرناطة ـ آخر معاقلهم في الأندلس ـ بل استمر تأثيرهم الحضاري والعمراني واللغوي في اسبانيا التي انتقلت منها الحضارة العربية الى أوروبا وإلى أمريكا منذ كشفها « كولومبس » وذلك حين حمل الفاتحون الأسبان إلى العالم الجديد كثيرا مما استقر في نفوسهم من عناصر حضارية عربية طوال عدة قرون .

وكانت جزيرة صقلية وجنوبي ايطاليا ميدان اللقاء الثاني بين العرب وأوروبا وقد استمر هذا اللقاء بضعة قرون ، فقد فتح العرب صقلية منذ القرن الثالث الهجري ـ وظلوا بها حقبة طويلة ، وتركوا الطابع العربي في حضارتها ومظاهر الحياة فيها . ومن صقلية وجنوبي ايطاليا امتدت أقباس الحضارة العربية إلى أوروبا .

ثم كانت الحروب الصليبية التي تتابعت وقائعها نحو قرنين من الزمان بين مد وجزر ، وكر وفر ، وحصار وانحسار ، فكان لهذا اللقاء الثالث أثره في نقل الحضارة العربية الى الغرب .

وأخيرا كان اللقاء الرابع عن طريق الامبراطورية العثمانية التي امتد نفوذها إلى شرقي اوروبا ، وكان الأتراك جسرا عبرت عليه الحضاة العربية إلى القارة الأوروبية .

في هذه اللقاءات ولا سيما في الأندلس حدث امتزاج اجتماعي واسع النطاق ، وظهرت أجيال من المولدين والمستعمرين ممن تشبعوا بالثقافة العربية ، ولابد أن نذكر أن كثيرا من الانجازات العلمية التي قام بها العرب قد نقلت عنهم إلى أوروبا التي كان من حسن طالعها ان ابتكرت فيها الطباعة في اواسط القرن الخامس عشر فطبعت الكتب العربية ، وترجمت إلى اللاتينية واللغات الأجنبية الأخرى ، وأعيد طبعها عدة مرات ، وكانت المراجع المعتمدة في جامعات اوروبا ومعاهدها قرونا طوالا .

والنهضة العلمية العربية بلغت القمة بفضل عوامل أربعة هي :

* **حرية الرأي العلمي .**

فقد حظي العلماء العرب في هذه الحقبة الوضاءة بحرية رأي لا يعرف لها

نظير ، وكان للعالم أن يقول ما يشاء في المسائل العلمية دون ان يخشى بأس أية سلطة حاكمة . وقد تكلم العرب في التطور والجاذبية والفلك ومارسوا التشريح ،وقاسوا محيط الارض وأبعاد النجوم ، وتحدثوا في نشأة الحياة وزرقة السماء والمد والجزر ، وسرعة الصوت ، ولم ينلهم بسبب ما أعلنوه من آراء وافكار علمية أي ضيم أو أذى . فلم نسمع عن عالم واحد اضطهد او قتل أو سجن بسبب رأيه العلمي ، وهي حرية لم تمارسها اوروبا إلا بعد ذلك بعدة قرون ، فقد كانت تحرم الاشتغال بالعلم وتحاكم من يجهر برأيه العلمي .

* **وثاني هذه العوامل.**

ما حظي به العلماء من تقدير وتوقير من الحكام والولاة فقد كان هؤلاء يتفاخرون بمن يحضر مجلسهم من العلماء ، ويتنافسون في رعايتهم وفي الاغداق عليهم بسخاء ، وثم عدد من الحكام العرب كانوا على القمة رعاية للعلم وأهله ، مثل هارون الرشيد الذي كان يقبل الجزية كتبا ، والمأمون الذي يدفع وزن ما يترجم ذهبا . ونور الدين زنكي الذي نشر المدارس في سوريا والحاكم بأمر الله الذي أنشأ المرصد الحاكمي فوق جبل المقطم وبنى دار الحكمة في القاهرة . ثم صلاح الدين الأيوبي الذي كان يصطحب العلماء ويستشيرهم .

* وكان تسامي العلماء العرب بعلمهم ثالث هذه العوامل :

فقد اشتهر اغلبهم بالعزوف عن الصغائر ، والزهد في الترف والمال والسلطان .

* اما العامل الرابع فهو هذا الاستعداد الذهني العجيب والذكاء الفطري الوقاد إلى جانب الصبر والمصابرة والجلد على العمل ، فكان انتاج العالم من الكتب والرسائل لا يعد بالآحاد ولا بالعشرات ، بل بالمئات . ومن المعروف ان لابن سينا نحو ستة وسبعين ومائتي كتاب . ولابن الهيثم نحو مائتين وكذلك للبيروني .

ويكفي ان نذكر للعرب في مجال العلوم الرياضية والفلكية أنهم استعملوا نظام الترقيم ، كما ابتكروا الصفر والنظام العشري ، وعرفوا النسبة العددية ، والهندسية التأليفية وموضوعات التناسب والمتواليات الحسابية والهندسية واستخراج الجذور وجمع المربعات والمكعبات .

وكانوا أول من استعمل كلمة « جبر » وكان كتاب « الجبر والمقابلة » للخوارزمي ، المصدر الذي اعتمدت عليه اوروبا ، وله أثره البعيد في تقدم علم الجبر فيها وكذلك كان كتابه في الحساب ، بحيث يمكن ان يقال عنه : إنه واضع علمي الجبر والحساب .

ويجب ان نذكر ابتكارات ثابت بن قرة في الهندسة التحليلية وحلول ابن يونس لبعض المسائل الصعبة في المثلثات الكروية .

كذلك قام العلماء العرب برصدات فلكية رائعة ، قاسوا بها محيط الارض

ورسموا صور الكواكب ، وابتكروا آلات الرصد ، وربطوا بين القمر والمد والجزر ، ونسبوا زرقة السماء الى انعكاسات الضوء على ذرات الغبار وبخار الماء العالق بالجو وقد عرفوا الجاذبية قبل « نيوتن » .

وقد عالج ابن سينا موضوع سرعة الصوت والضوء في كتابه « الشفاء » كما يعتبر ابن الهيثم في مقدمة علماء الطبيعة ، وكذلك البيروني في علم الحركة « الميكانيكا » .

وتكلم ابن مسكويه وابن خلدون وإخوان الصفاء في التطور قبل « داروين » .

ولا ينبغي ان ننسى في مجال الكيمياء « جابر بن حيان » الذي عرف كثيرا من العمليات الكيمائية كالتبخير والتقطير والترشيح والتكليس والتبلور والتصعيد وحضر حامض الآزوتيك ونترات الفضة وغيرها .

وإنه ليحق لنا أن نقول : لو لم تعوقنا نكبات المغول والترك والاستعمار لكانت هذه النهضة التي تفاخر بها أوروبا من نصيب الأمة العربية والاسلامية ولكانت لغتها هي العربية فقد كانت أعمال العرب العلمية بمثابة الشعلة التي أنارت لأوروبا طريق النهضة .

○ القرآن الكريم ذخر الحضارة الاسلامية ○

حث القران الكريم المسلمين حثا شديدا على التفكير والتعقل وتدبر أسرار الكون والتأمل والبحث في الخليقة ، فقد حوى تعليمات مفصلة تمس جميع النشاطات البشرية . والقرآن الكريم طاقة جبارة ينهل منها الانسان لينطلق بعقله وفكره في علم الله اللانهائي ... « **وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » الاسراء/ ٨٥ .

فمن صلب الدين الاسلامي الاعتقاد الراسخ بأن الكون المادي بأسره مظهر من مظاهر الله وخلقه الواسع . فمن الضروري أن نعمل الفكر في دراسة جميع نواحي هذا الكون ـ أي عالم الحيوان والنبات والمعادن ـ الذي على الانسان ان يعيش فيه . كذلك دراسة الانسان ذاته .

قال تعالى في محكم كتابه : « **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون** .. » البقرة آية/ ١٦٤ .

فليس هناك أدنى مجال للشك في أن تعاليم القرآن الكريم ومبادىء الاسلام قادرة في كل زمان ومكان ، ليس فقط على مواجهة التطور الحضاري بل على التحرك المستمر للأمام ... وما أصابنا من جمود يرجع إلى عيب فينا يتمثل في تقليد الحضارات المستوردة والابتعاد عن حضارتنا الاصيلة .

مائدة القارئ

هكذا يجب أن نكون

قال تعالى : (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) .

هاديا لا جابيا

شكا أحد الولاة الى عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ من أن كثرة الدخول في الاسلام تسبب هبوطا في دخل الدولة من الجزية . فقال عمر قولته الخالدة التي تكشف عن طبيعة هذا الدين : « **إن الله بعث محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ هاديا ولم يبعثه جابيا** » .

لماذا الحزن ؟

مر ابراهيم بن أدهم على رجل ينطق وجهه بالهّم والحزن ... فقال له : أيها الرجل : إني سائلك عن ثلاث فأجبني .

قال الرجل : نعم .

قال ابراهيم : أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله ؟

قال : كلا .

قال : أينقص من رزقك شيء قدره الله ؟

قال : كلا .

قال ابراهيم : أينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة ؟

قال : كلا

فقال ابراهيم : فَعلامَ الهمُّ والحزن إذن ؟

أبي يغزو ، وأمي تحدث

قال ابن الاعرابي : ذكروا أن رجلا قدم من غزاة ، فأتاه جيرانه يسألونه عن الخبر ، فجعلت امرأته تقول : قتل من القوم كذا ، وهزم كذا ، وجرح فلان . فقال ابنها متعجبا : أبي يغزو وأمي تحدث .

احذر هؤلاء

ذكر القرطبي في تفسيره عن سهل ابن عبدالله : « علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب القرآن حب النبي - صلى الله عليه وسلم - وعلامة حب النبي - صلى الله عليه وسلم - حب السنة » .

البخل

يفنى البخيل بجمع المال مدته وللحوادث والأيام ما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهدمها وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

علامات

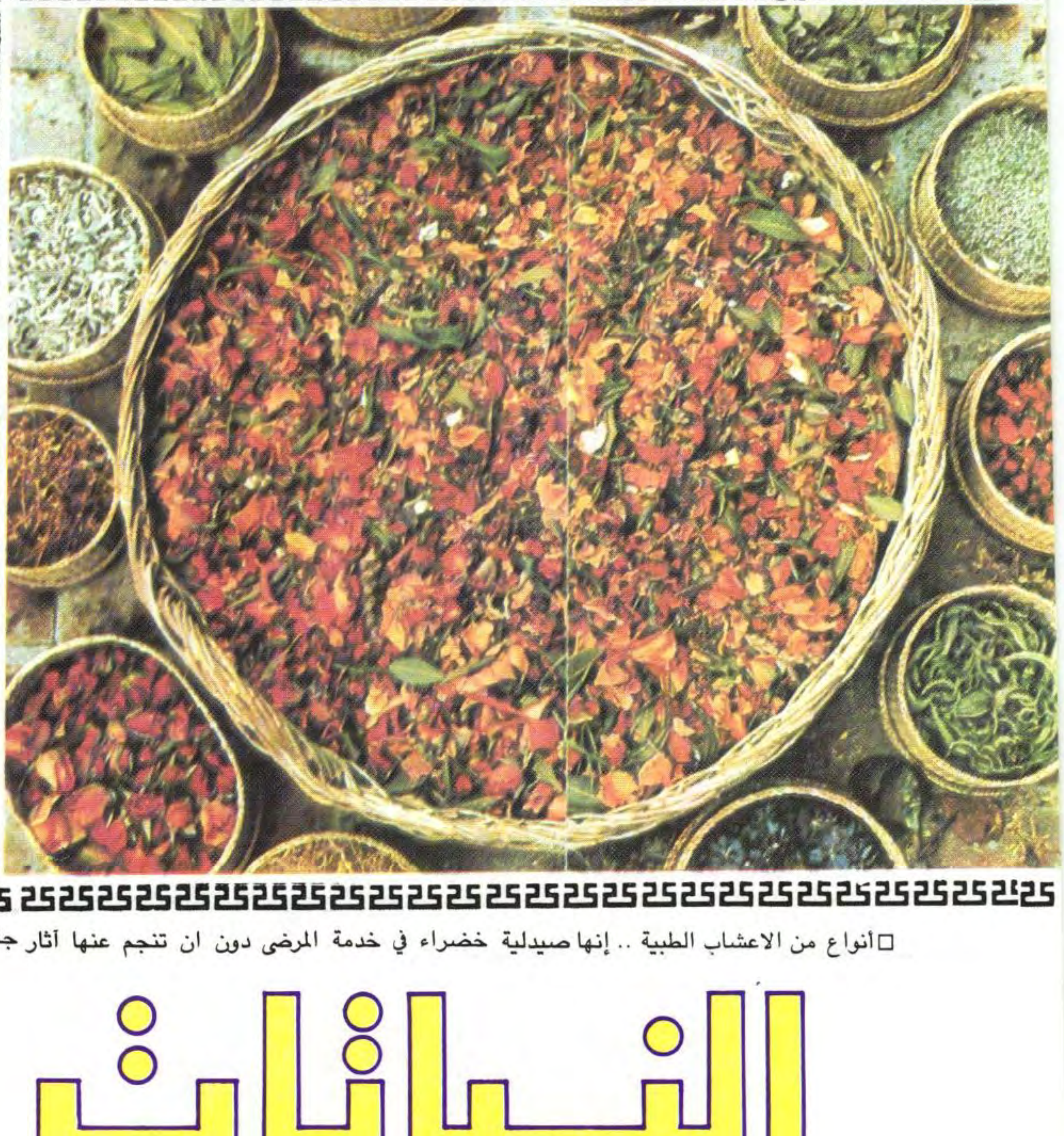
احذر الحقود إذا تسلط ، والجاهل اذا قضى ، واللئيم اذا حكم ، والجائع إذا يئس .

المرض .. من الشدائد التي تهز كيان الانسان وتضعضع بنيانه . ومن لطف الباري ـ عز وجل ـ بعباده أن خلق لكل داء دواء ، وجعل لكل علة ترياقا وبلسما شافيا . واذا كان المرض يمثل اختبارا وابتلاء من الله للانسـان ليعوده الصبر على المكاره ، والثبات عند المحن ، فإن الدواء يعتبر نعمة من نعمه سبحانه وتعالى التي لا تحصى والتي من دونها يستفحل المرض وربما أودى بحياة من أَلَمَّ به .

للمهندس / محمد عبد القادر الفقي



□ ابن سينا .. طبيب المسلمين الأول غير مدافع ومؤلف اشهر موسوعة طبية تناول فيها الفوائد العلاجية للنباتات والاعشاب الطبية

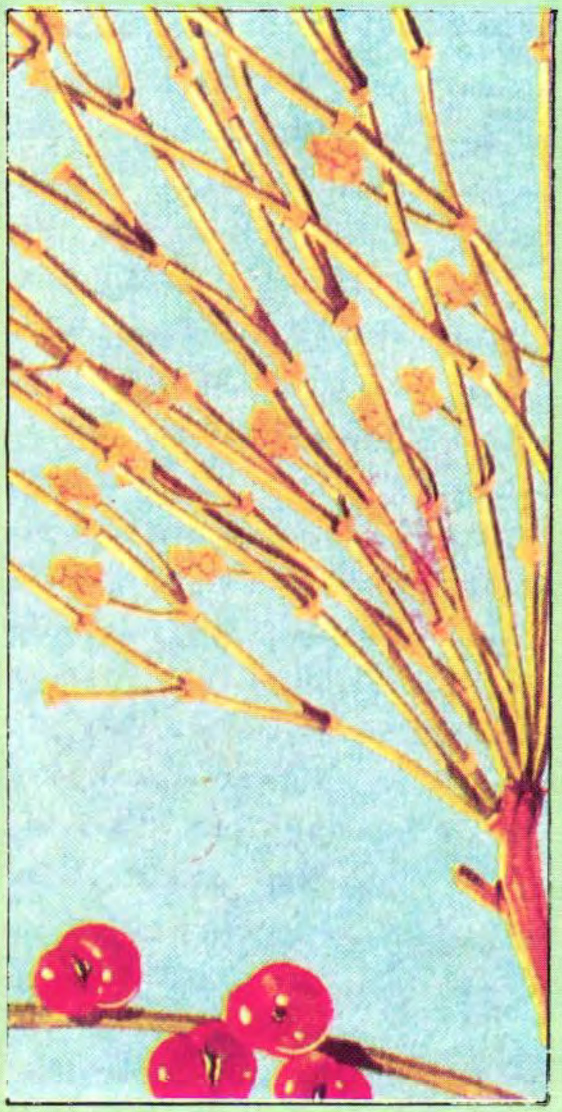


□أنواع من الاعشاب الطبية .. إنها صيدلية خضراء في خدمة المرضى دون ان تنجم عنها آثار جانبية .

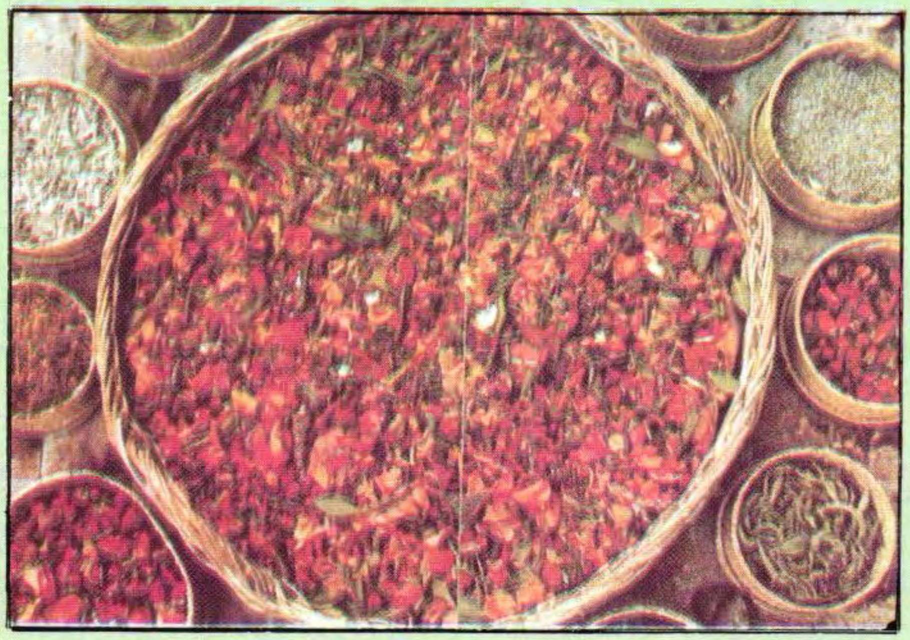
النباتات والأعشاب الطبية

فالبحث عن الدواء ، والجد في طلبه ، والاجتهاد في معرفة مزاياه وفوائده ، والعلاج به ، والايمان والاعتقاد باهميته في الشفاء . كل ذلك أمور علينا القيام بها .

ولقد أدرك القدماء اهمية النباتات والأعشاب في علاج المرضى ، فيمموا وجوههم شطر أماكن تواجدها ، وراحوا يجربونها ، ويعرفون خواصها ومزاياها وآثارها العلاجية . ويبدو ان الحيوانات اسهمت بدور كبير في ارشاد الانسان الى النباتات الطبية ، تماما كما ارشد الغراب ابن آدم الى كيفية دفن جثة أخيه ، ولا شك ان ذلك كان وحيا من الخالق . ـ عز وجل ـ ويحدثنا الشاعر (فرجيل) عن عنزته البرية التي كانت تسرع الى تناول عشب الدقتامون Dittany لكي تداوي جروحها التي سببتها نبال الصيادين . وقد ذكر العرب فيما أثر عنهم ـ أن ابن عرس اذا ما اراد قتال حية شرسة لجأ الى نبات الشذاب فأكل منه ليحميه من عضتها . كما



□ نبات الخلة استخدمه اطباء المسلمين في علاج البهاق والذي اثبت العلم الحديث فعاليته في هذا العلاج □





□ابو بكر الرازي صاحب اعظم كتاب اكلينيكي في الطب (الحاوي) كان يعالج مرضاه بالغذاء والاعشاب الطبية □

ذكروا ان الأفاعي تبحث في الشتاء عن نبات الشمر ليزيل ظلمة عيونها عندما تختبىء في أوكارها في باطن الأرض .

● المسلمون والعناية بالنباتات الطبية :

اهتم علماء المسلمين بالنباتات والأعشاب الطبية اهتماما بالغا . ولم تقف جهودهم عند معرفة كيفية استفادة الأمم السابقة كاليونان وعرب الجاهلية والهنود والفرس من خصائصها الطبية ، بل اهتموا بطرق زراعتها ، وأدخلوا من النباتات في تحضير الأدوية ماجهله علماء الأمم السابقة مثل الراوند والتمر هندي وخيار الشنبر وورق السنامكي والاهليلج والكافور . والف علماء المسلمين كتبا عديدة تتناول الفوائد العلاجية للنباتات والأعشاب نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ **كتاب** « تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب » لـ داوود الانطاكي المتوفي عام ١٠٠٨ هـ ، والذي ذكر فيه أكثر من ٣٠٠٠ من النباتات الطبية والمفردات العطرية .

٢ ـ **كتاب** البهجة والدرة المنتخبة فيما صح من الأدوية المجربة لـ داوود الانطاكي ايضا ، والذي ابرز فيه اسماء النباتات الطبية ومصادرها

وقواها واهميتها في علاج الامراض .
٣ - **كتاب الحاوي** « لأبي بكر الرازي (٢٥٠ هـ - ٣٢٠ هـ) وقد تناول الرازي في هذا الكتاب - من بين ما تناوله بالشرح الآثار الفعالة لبعض النباتات والأعشاب الطبية .
٤ - **كتاب** « القانون » لابن سينا (٣٧١ هـ ٤٢٨ هـ) وقدخصص ابن سينا جزءا كاملا من هذا السفر الضخم لدراسة واستعمالات العقاقير الطبية ذات الاصل النباتي .

٥ - **كتاب** « المغني في الأدوية المفردة » لابن البيطار (٥٩٣ هـ - ٦٤٦ هـ) الذي سافر الى بلاد اليونان وبلاد الروم وجميع بلاد العالم الاسلامي ليجتمع باعلام العلاج بالاعشاب الذين كانوا يعرفون في عصره بالعشابين ويدارسهم في انواع النباتات الطبية وغير الطبية . وكان في رحلاته يدرس النباتات في بيئتها الطبيعية ويدرس التربة التي تنمو فيها والعوامل المناخية التي تؤثر على



□رسم في مخطوطة اسلامية يصف الزهرة شكلها والوانها » فوائدها في شفاء بعض الامراض .□



□نبات سجلت اوصافه وفوائده في مخطوطة اسلامية لاحظ كيف اهتم الرسام المسلم ببيان كافة التفاصيل الدقيقة لهذا النبات .□

نموها ، حتى اذا جمع خبرة طويلة مستندة على الملاحظة الدقيقة ألف كتابه المذكور . وقد استطاع ابن البيطار ان يخرج من دراسته للنبات والأعشاب بمستحضرات ومركبات وعقاقير طبية تعد ذخيرة للصيدلة العالمية .

٦ ـ **كتاب** « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » لابن البيطار ايضا ويحتوى هذا الكتاب على وصف لأكثر من ١٤٠٠ عقار بين نباتي وحيواني ومعدني ، منها ثلاثمائة من صنعه ، كما ذكر الفوائد الطبية لكل عقار منها وقد ترجم هذا الكتاب الى عدة لغات اوروبية كاللاتينية والفرنسية والالمانية .

٧ ـ **كتاب** « الأدوية المفردة » لرشيد الدين الصوري (٥٧٣ هـ ـ ٦٣٩ هـ) وقد اشتهر مؤلف هذا الكتاب بأنه كان يطوف مواطن نمو

النبات ويصطحب معه مصورا (رساما) لكي يرسم النبتة في بيئتها بألوانها الطبيعية في ايام نضارتها وازهارها وإثمارها وجفافها .

قال عنه ابن ابي اصيبعة في كتابه عيون الأنباء في طبقات الاطباء « كان يستصحب مصورا ومعه الأصباغ .. فكان يتوجه رشيد الدين الصوري الى المواضع التي بها النبات مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختص كل منها بشيء من النبات ، فيشاهد النبات ويحققه ، ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه واغصانه واصوله .. ويجتهد في محاكاتها ، ثم إنه سلك ايضا في تصوير النبات مسلكا مفيدا ، وذلك



□ نبات الكاشم الرومي الذي عالج به العشابون المسلمون عضات الحيوانات والحشرات السامة واستخدموه لادرار البول ولا يزال استعمال هذا النبات كمدر للبول معترفا به في دستور الادوية الالمانية □



□اربعة انواع من شقائق النعمان (الكسكح) استخدمت في علاج الجرب قديما ولا تزال تستخدم حتى وقتنا الحاضر . الصورة مأخوذة عن مخطوطة اسلامية تعود الى عام ٨٦٦ هـ لاحظ جمال الرسم والألوان .

أنه كان يري النبات للمصور في ابان نباته وطراوته فيصوره ، ثم يريه إياه أيضا وقت كماله وظهور بذره فيصوره تلو ذلك ، ثم يريه إياه أيضا في وقت ذواه ويبسه فيصوره فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب وهو على انحاء ما يمكن ان يراه في الأرض فيكون تحقيقه له أتم ، ومعرفته له أبيّن » .

○ نماذج من بعض النباتات والاعشاب الطبية وفوائدها العلاجية

١ ـ الزيتون :

الزيتون شجرة مباركة ورد ذكرها في القرآن الكريم حيث أقسم بها الحق



□ عشب الانيمون
.. من فصيلة شقائق
النعمان ،
كانت تستعمل
اوراقه وسوقه
لزيادة حليب الأم
المرضعة وتلطيف
الطمث وعلاج الجذام

عز وجل في سورة التين فقال تعالى : « **والتين والزيتون * وطور سنين * وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم)** » سورة التين الآيات ١/٤ كما اشار اليها القرآن الكريم في قوله تعالى : « **الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار)** سورة النور الآية ٣٥ .

ولزيت الزيتون فائدة طبية عظيمة . قال عنه ابن سينا في كتابه (القانون في الطب) إنه مقو للبدن مبسط للحركة ، يحفظ الحركة، ويمنع سرعة الشيب اذا استعمل في كل يوم وعكر الزيت يستخدم في أدوية العين .

وتفيد الدراسات العلمية الحديثة ان زيت الزيتون يسهم في خفض نسبة الكوليسترول في الدم ، وبالتالي تقل



□الثوم تبتت فعاليته في تخفيف ارتفاع ضغط الدم □



□ البصل ، له أيضا فوائد صحية كتلك التي للثوم .□

فـرصة الاصـابة بـامراض القلب وتصلب الشرايين والدليل على ذلك ان شعوب الدول التي تقع في حوض البحر الأبيض المتوسط والتي تعتمد على زيت الزيتون في غذائها تندر فيها امراض القلب .

٢ ـ الحلبة : أطلق عليها العرب لقب (سلطانة الأدويـة) لأنها مقـوية للجسم طاردة لريح البطن ، وتنفع في علاج القولنج . قال عنها ابن سينا (الحلبة نبات له حب اصفر يتعالج به وييبس فيؤكل) .

يصفي الصوت ، ويغذي الرئة ويلين الصـدر والحلق ، ويسكن السعال والربو ، وخصوصا اذا طبخ بعسل وطبيخها بالماء جيد للاسهال) كما استخدمها أطبـاء المسلمين لادرار الطمث .

ويقرر الطب الحديث أن شراب الحلبة يساعد مرضى السكري على شفاء جروحهم . وهو يفيد في الالتهابات الرئوية والنزلات المعوية والامساك والبواسير . ويستعمل كغرغـرة في التهاب اللوزتين والدفتيريا .

٣ ـ الريحان :

ورد ذكر الريحان في القرآن الكريم في قول الحق عز وجل : (**والحب ذو العصف والريحان**) سورة الرحمن آية ١٢ .

ويساعد الريحان على تهدئة الاعصاب ويستخدم منقوع اعشاب الريحان ساخنا لعلاج بعض حالات نزلات البرد في مراحلها المبكرة وتسـاعد اعشاب الريحان ايضا على تخفيف آلام الدورة الشهرية والشفاء من بعض الامراض المعدية في الأمعاء وتفيد اوراق هذا النبات في تخفيف الآلام والأورام الناتجة عن لسعات بعض الحشرات .

وهناك نوع من الريحان يطلق عليه اسم (الريحان الليموني) وهو يستخدم طبيا كطارد للغازات ويحتوي هذا النوع على زيت طيار يساعد على شفاء الجروح والقروح ، ويؤدي الى زيادة العرق ، وبالتالي يؤدي الى تخفيض درجة الحرارة ويصلح في حالة الانفلونزا والزكام ، كذلك يساعد على رفع المعنويات وازالة الكابة والسوداء .

٤- شقائق النعمان :

من خصائص هذه الأعشاب أنها تستعمل في علاج جرب الجلد والأظافر والحكة الناتجة عنهما وفي إزالة الثآليل وعلاج داء الثعلبة . وتستخدم هذه الاعشاب بأوراقها وسيقانها وأزهارها .

ويفيد نقيعها الحار في علاج لسعة البرد .ولجذورها تأثير مسكن لآلام الاسنان ـ.

وهناك نوع من شقائق النعمان يعرف باسم الانيمون Anemone تستخدم جذوره لعلاج وجع الرأس والتهابات العين اما ساقه واوراقه فقد استخدمهما العشابون المسلمون لزيادة حليب الأم المرضعة وتلطيف آلام الطمث وعلاج الجذام .

٥ ـ الكاشم الرومي :

نبات استخدمه الأطباء المسلمون في العلاج ، حيث تفيد جذوره في تدفئة الجسم وعلاج سوء الهضم وغازات المعدة والأمعاء وعلاج عضات الحيوانات والحشرات السامة واذا اخذت هذه الجذور كمنقوع فإنها تفيد في ادرار البول وتلطيف الآم الطمث

ولا يزال الكاشم كمدر للبول يستعمل بصورة رسمية في دستور الأدوية الالماني حتى يومنا هذا .

٦ ـ الخلة :

الخلة نبات معروف ، تباع عيدانه الثمرية لاستعمالها في تنظيف الاسنان . وبذور الخلة تستخدم طبيا لادرار البول وفي حالات المغص الكلوي لتسهيل مرور الحصوات الدقيقة

وقد استطاع ابن البيطار الذي عاش في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي

ان يكتشف مزايا ومفعول مسحوق بذور الخلة الربانية (لا الشيطانية كما تدعى فالشياطين لا تخلق نبتة ولا حتى ذرة) حيث استخدم هذا المسحوق كعلاج ناجح لمرض البهاق . وجاء داوود الانطاكي بعده فأكد في تذكرته الشهيرة التي ـ سبق ان اشرنا اليها ـ على فعالية هذه البذور ، وصدق بذلك على ما قاله ابن البيطار وفي عام ١٩٧٤ ، استخلصت مادة كيميائية من نبات الخلة الربانية تعرف باسم الامويدين Ammoidine وقد استخدمها فريق من أساتذة الأمراض الجلدية في جامعة بوسطن بنجاح لعلاج البهاق ومرض الصدفية ـ احد أمراض الجلد واخطرها ـ وهو ما يتفق مع ما كان يصنعه اعلام الطب الاسلامي في العصور الوسطى من

استخدام مسحوق بذور الخلة الربانية في علاج الأمراض الجلدية بما فيها البهاق .

٧ ـ **الثوم** :

قال عنه أطباء المسلمين انه يحلل الريح ، ويقوم في اللسع مقام الترياق ، ولذلك كانوا يضمدون به مواضع لسع الحية والعقرب ، كما كانوا يستخدمونه لتسكين الآلام الموضعية التي لا يعرف لها سبب ظاهر فضلا عن تسكين آلام الأذن وذلك بوضع نقط دافئة من زيت الزيتون مع بعض فصوص من الثوم ، وتسكين آلام الأسنان وذلك بوضع فصوص ثوم مهروسة فوق موضع الألم .

ويفيد الثوم في علاج تقيح اللثة المزمن ، وفي جميع انواع الاسهال ، وفي ازالة القشور من الرأس عن طريق تدليك فروة الرأس بفصوصه . وهو يزيد من مناعة الجسم ، ولهذا يوصى بأكله للوقاية من الأوبئة ، خاصة أوبئة الكوليرا والتيفوئيد والزحار .

وللثوم علاقة أكيدة بالصحة العامة وهو يحتوى على عناصر قوية تستخدم في تصنيع بعض المضادات الحيوية مثل الاليسين الذي يوجد في بصيلاته للقضاء على بعض الجراثيم التي تهاجم الجسم . وقد درج الاتحاد السوفياتي على استخراج صنوف من البنسلين من الثوم منذ زمن بعيد .

وقد دلت الدراسات والتجارب الطبية التي اجريت في كلية الطب بولاية فرجينيا الأمريكية مؤخرا على أن سائل الثوم يحد من نمو الفطريات التي عرف عنها أنها تسبب التهاب السحايا .

كما اثبتت دراسات أخرى أجرت بعضها جامعة انديان الأمريكية أن الثوم يوقف او يحد من نمو أنواع من الفطريات والعفن والخميرة .

وفي جامعة واشنطن ، قام نفر من العلماء الباحثين بدراسة تاثير الثوم على تكون الجلطة . وقد تبين ان زيت الثوم يمنع التجلط ويحد بالتالي من احتمالات التعرض للنوبة القلبية والسكتة .

ويفيد زيت الثوم ايضا في علاج مرض سكري الدم ، والمصابين بارتفاع ضغط الدم ، والأورام الخبيثة ، والجرب ، وجميع انواع الاسهال . كما يشفي الثوم من الاضطرابات الناجمة عن التسمم المزمن بالنيكوتين من أثر التدخين .

٨ ـ **البصل** :

قال عنه ابن سينا في كتابه « القانون » ان ماءه ينفع القروح الوسخة ، وإنه يقطر في الأذن لثقل الرأس والطنين والقيح في الأذنين ـ ويجلو البصل الصبر، وهو مع العسل يمنع الخناق ، ويفتح افواه البواسير وماء البصل يدر الطمث ويلين الطبيعة .

وفي العصر الراهن ، تستخدم جذور البصل في علاج امراض الروماتيزم وهو يساعد الجسم على التخلص من السوائل الزائدة وبعض املاح الصوديوم المترسبة في الجسم .

٩ ـ البابونج :

استخدمه اطباء المسلمين كملطف وملين ومحلل ومدر للبول والحيض وتغلى أزهار البابونج للتقوية ولتسكين السعال ويحصل على زيت البابونج بتقطير ازهاره ويستعمل هذا الزيت كمقيىء .

١٠ ـ النعناع :

استخدمه العشابون القدامي في منع القيء وللنعناع فوائد عديدة بالنسبة لبعض الأمراض المتعلقة بالجهاز الهضمي والكبد والحويصلة المرارية

وآلام الامعاء كما ان له تأثيرا مفيدا في علاج بعض امراض القلب وتوترات

الأعصاب . وهو يستخدم في طرد الغازات وتسكين المغص المعوى . كما

يفيد في علاج التهابات الثدى . وفي شفاء بعض حالات الصداع وتخفيف

آلام الدورة الشهرية ويدخل النعناع في اعداد الكثير من العقاقير الطبية وفي

بداية ظهور اعراض نزلات البرد فان استنشاق بخار سائل النعناع المغلي يساعد على الشفاء من هذه النزلات .

١١ ـ الحلفا بر :

عشب معمر معروف بمصر ينمو على الترع والمصارف قال عنه داوود الانطاكي في التذكرة « اذا شرب بالماء والعسل اخرج الديدان وفتح السدود ورماده يجلو الآثار ويدمل القروح » .



□نبات يعرف باسم «الأفيدرا» تستخرج منه مادة (الأفدرين) التي تستخدم في علاج الربو □

ويساعد على الشفاء من بعض نزلات البرد ، والتهابات اللوزتين .
وقد دلت الأبحاث العلمية على ان المادة الفعالة في البصل (والثوم ايضا) تضمن بقاء صفائح الدم منفصلة بعضها عن بعض ولا يخفى ان تكتلها كفيل بحدوث التجلط ولذلك يفيد البصل والثوم في منع حدوث الجلطة والسكتة القلبية .

١٢ ـ الزعتر :

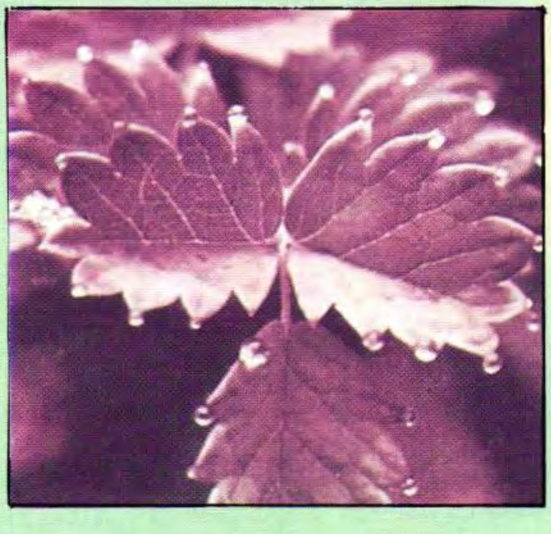
يساعد الزعتر في الشفاء من بعض نزلات البرد والتهابات الحلق ويساعد مشروب الزعتر على الشفاء من بعض آلام الروماتيزم . ويضاف الزعتر الى الاطعمة فيكسبها نكهة طيبة . وهو يستخدم ايضا لمعالجة آلام الأسنان ، وفي علاج التهابات القصبة الهوائية وتجمع البلغم ، والسعال الديكي ولبعث الحرارة في الاقدام الباردة .

١٣ ـ العناقية الوردية :

نبات ينمو في مدغشقر ، يعتبر مصدرا لمادة (الفنكريستين) التي تعتبر افضل علاج لسرطان الدم عند الاطفال .

خاتمة :

بالاضافة الى النباتات والاعشاب الطبية السابقة هناك عشرات الانواع منها لا تستخدم في التداوي فحسب ، بل تستخدم ايضا في صناعة التخدير وفي صناعة المستحضرات الطبية



□عشب الشمر يستخدم في صناعة العطور وفي معالجة النزلات الشعبية والسعال ونوبات الربو □



□نبات العناقية الوردية الذي تستخلص منه مادة لعلاج سرطان الدم عند الاطفال □

ومستحضرات التجميل ، وفي صناعة الزيوت والعطور والخل ، بالاضافة الى ان استخدام الاعشاب في الاطعمة كان وما يزال يحتل المكانة الاولى في معظم دول العالم في قائمة المواد التي يتهافت المستهلكون على استخدامها . مثل اعشاب الكمون والكزبرة والدارسين وانواع التوابل وحبة الهيل والسمسم والخردل .

ولا يزال العلم يكتشف انواعا جديدة من النباتات والاعشاب البرية ، كما لا تزال مراكز الأبحاث الطبية تكتشف فوائد ومزايا جديدة لأعشاب معروفة منذ غابر الأزمنة وصدق الحق عز وجل حين يقول في محكم كتابه : « **وفي الأرض آيات للموقنين** » سورة الذاريات الآية ٢٠ ، وحين يقول سبحانه وتعالى : « **الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى** » سورة طه الآية ٥٣ .

الاجتماع الأوّل للهيئة العالميّة للزكاة

إعداد الاستاذ/ خالد بوقماز

تصوير : عبد الرحيم ابو شماله

تحت رعاية وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية السيد خالد احمد الجسار : تم افتتاح الاجتماع الاول للهيئة العالمية للزكاة والذي دعا إليه بيت الزكاة بالكويت في الفترة ما بين ٧ ـ ٩ صفر سنة ١٤٠٨ هـ الموافق ٩/٣٠ و حتى ٢/١٠/١٩٨٧ م

وقد دُعي الى هذا الاجتماع ست عشرة شخصية من مختلف البلاد الاسلامية من علماء الشريعة والخبراء والمتخصصين في المجالات ذات الصلة بالزكاة ويطيب لمجلة الوعي الاسلامي ان تلقي الضوء على هذا الاجتماع ، وأن تعطي فكرة موجزة عن هذه الهيئة .

إنشاء الهيئة

كان وجود الهيئة تنفيذا للتوصية التي صدرت عن مؤتمر الزكاة الأول والذي عقد بدعوى من بيت الزكاة بالكويت في سنة ١٩٨٤ م

حيث اشتمل ذلك المؤتمر على تجربة ناجحة ، جمع فيها مابين فقهاء الشريعة وخبراء الاقتصاد والمحاسبة لتحقيق التكامل العلمي لمفهوم الزكاة لذلك فقد أصدر المجتمعون في ذلك المؤتمر توصية خاصة لتكوين الهيئة الشرعية العالمية للزكاة والتي كان هذا الاجتماع الأول للهيئة الشرعية العالمية للزكاة . إعلانا رسميا عنها .



• أهداف الهيئة ووسائل تحقيقها

تنظيم

الاجتهاد الجماعي لعلماء الشريعة والخبراء في شتى المجالات ذات الصلة بقضايا الزكاة بغية إعداد نظام متكامل لأحكام الزكاة تجمع بين الأمانة العلمية في استظهار واختيار الاحكام الشرعية وبين دقة الصياغة وسهولة التطبيق ومراعاة ظروف المجتمعات .

٢ ـ إصدار الفتاوى وتقديم الخبرة والمشورة فيما يعرض للمؤسسات والافراد من مشكلات في مجال الزكاة بقصد ترشيد التجربة وتصحيح المسار .

٣ ـ دراسة ميدانية لتطبيقات الزكاة المعاصرة والتعرف على أفضل منجزاتها وتقييم نتائجها واقتراح الحلول المناسبة لما يواجه هذا التطبيق من مشكلات .

٤ ـ اعداد صيغ نموذجية لأنظمة الزكاة ، تحقق المصالح والحاجات المشروعة المتنوعة للبلدان والمجتمعات الاسلامية بعد جمع ودراسة قوانين الزكاة التي أعدت في البلاد الاسلامية وما طبق منها وما لم يطبق .

٥ ـ دعم التعاون بين الهيئة والمؤسسات المعنية بالزكاة في تحقيق هذه الأهداف .



٦ ـ جمع البحوث والدراسات وأعمال المؤتمرات والندوات وتصنيفها وإعداد فهارس لها وإصدار نشرة دورية بها وتوزيعها على المؤسسات والمراكز المهتمة بقضايا الزكاة .

٧ ـ إعداد خطة بحوث كاملة على مستوى العالم الاسلامي تغطي النقص الذي لم تغطه البحوث والدراسات الموجودة من قبل ثم التنسيق ما بين هذه الخطة وبين ما قد يكون لدى هيئات ومؤسسات الزكاة في البلاد الاسلامية من خطط اخرى ، توفيرا للجهد والمال وتشجيعا للباحثين على إعداد البحوث والدراسات في هذا المجال .

٨ ـ عقد حلقات بحث ومجموعات عمل ولجان خبرة لدراسة موضوع خاص او مشكلة معينة وتقديم الحلول الشرعية وصياغتها بما يساير التطور .

٩ ـ العمل على نشر وتوزيع نتائج البحوث والدراسات التي تقوم بها الهيئة او غيرها من المؤسسات والأفراد في هذا المجال

● تكوين الهيئة

تتكون

الهيئة من أعضاء يختارهم بيت الزكاة في الكويت من علماء الشريعة والخبراء في المجالات ذات الصلة بقضايا الزكاة على ألا يقل عدد الاعضاء عن ستة عشر عضوا ولا يزيد عن اربعة وعشرين عضوا وعلى أن يشكل علماء الشريعة ما لا يقل عن الثلثين من مجموع الأعضاء ولا يزيدون عن ثلاثة أرباع الاعضاء ويشترط في الأعضاء أن يكونوا من المهتمين بقضايا الزكاة المعاصرة

تكون للهيئة أمانة سر دائمة بدولة المقر يشرف عليها الأمين العام وتطبق أمانة السر في عملها أنظمة وإجراءات بيت الزكاة .



●موارد الهيئة المالية

تتنوع

المصادر المالية للهيئة وأهم هذه المصادر :

- الدعم الذي يقدمه بيت الزكاة في دولة الكويت .
- الاسهامات السنوية التي تقدمها مؤسسات الزكاة في البلاد الاسلامية
- التبرعات والهبات المقدمة من الحكومات والمؤسسات والأفراد .

● الاجتماع الأول للهيئة العالمية للزكاة

افتتحت

الجلسة بتلاوة من القرآن الكريم ثم القى السيد وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية رئيس مجلس إدارة بيت الزكاة الاستاذ خالد أحمد الجسار كلمة بيّن فيها منزلة الزكاة ودورها الاجتماعي والاقتصادي والاهتمام المعاصر بتطبيقها ثم تناول البواعث التي أدت إلى تكوين الهيئة الشرعية العالمية للزكاة ومنجزات بيت الزكاة داخل وخارج الكويت واخيرا مساهمة الكويت في إنشاء الهيئة وقد تم اعتماد هذه الكلمة كوثيقة من وثائق الهيئة ونظرا لأهمية هذه الكلمة فإننا نوردها بنصها :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه وبعد ، فلا تخفى المنزلة العظمى لفريضة الزكاة بين شعائر الدين وانظمته ، فهي قد جمعت بين الجانب العبادي والمالي ، كما اتصفت بالطابع الفردي والجماعي معا ، وعالجت مشكلات اقتصادية واجتماعية ، وكان لها في تاريخ هذه الامة موقع معروف ..

● منزلة الزكاة ودورها الاجتماعي والاقتصادي

تمهيد

ظل للزكاة دورها المتميز على كل الصيغ التكافلية التي طرحت الى يومنا هذا في الشرق والغرب ، ولم يرق شيء من تلك الصيغ التي حظيت بالالتزام أو بالالزام الى ما استقر للزكاة في النفوس من شأن باعتبارها (حقا معلوما) ولم يقتصر دور صاحب المال على أداء الحق عند طلبه ، بل كان يسعى من بيدهم هذا الحق لأدائه لأهله مؤتجرين مجتهدين في حسن الأداء ، طيبة نفوسهم (**يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون**)

إن من خصائص هذه الفريضة أن الله عز وجل أودع في نظامها ما به قوامها ودوامها ، فجعل (العمالة على الزكاة) جزءا لا يتجزأ من ذلك النظام الجامع بين الحكمة والحزم ، واقتضى ذلك ان تحتل مقامها رسميا بين الولايات التي يتكون منها جهاز ادارة الدولة وأن يكون لها فقهها الشرعي والاداري ..



● الاهتمام المعاصر بتطبيق الزكاة و (بيت الزكاة) في الكويت .

وقـد

مر على هذه الفريضة حين من الدهر طرأ عليها الاختلال حتى صارت النظرة اليها ـ عند أكثر الناس ـ خلقية بحتة ، وغاب التصور الشمولي لدورها في اعادة توزيع الثروة بقواعد عادلة ومبادىء فطرية ، ونسيت الحكم الخفية لاوعيتها وأنصبتها وأثر ذلك على الاقتصاد العام مما كشفته الدراسات الفنية العميقة ..

ثم قيض الله للاهتمام بشأن الزكاة في كل بلد اسلامي ـ حسب امكاناته ـ أناسا من ذوي الغيرة الدينية من حكام وحكماء وبادرت دولة الكويت الى انشاء (بيت الزكاة) برعاية صاحب السمو امير البلاد حفظه الله ودعمه المتواصل له ماديا

ومعنويا وجعله مؤسسة مستقلة تعني بالزكاة ، وقد اتيح له خلال [illegible] سنوات توسيع نشاطه في مختلف الميادين وتوثيق علاقاته بالمسلمين في كل مكان ورسم خطى التعاون مع المؤسسات المشابهة وكانت البذرة الاولى في مؤتمر الزكاة الاول الذي أقامه بيت الزكاة عام (١٩٨٤) م حيث اشتمل ذلك المؤتمر على تجربة ناجحة في اقامة ندوات تم فيها الجمع بين فقهاء الشريعة وخبراء الاقتصاد والمحاسبة ، لتحقيق التكامل العلمي ، فما كان من

المؤتمرين الا أن تطلعوا لاستدامة هذه الفرصة وعبروا عن ذلك بتوصية خاصة بتكوين هيئتكم التي نشهد اليوم ولادتها ، آملين أن تنهض بما نيط بها من مهام وأن تنجح في تدبر أقوم السبل الشرعية وأجدى الوسائل المدروسة في جمع الزكاة وصرفها ، ورسم الحلول لمعطيات العصر الحديث في عالم المال ورصد تطور الخبرات والمعايير والامكانيات التي لا يسوغ تجاهلها .

إن توفير المؤسسات التي تتيح لقاءات دورية لتدارس شؤون فريضة الزكاة ضرورة عصرية بعد وضع الزكاة موضع التطبيق وان تنويع الطاقات المعنية بالموضوعات الحيوية علاج لما ابتلي به عالمنا الاسلامي من ازدواجية ثقافية وما تعانيه مجتمعاتنا من جفوة مصطنعة بين علوم الشريعة وعلوم الحياة ، وان في الاكثار من هذه الروابط تعزيزا لقيام (مجمع الفقه الاسلامي) بدوره الشامل من خلال اعضائه الشرعيين وخبرائه في شتى العلوم ، ولا يخفى أثر التخصص في الدراسات والتوفر على ركن واحد من أركان المعرفة .

● منجزات بيت الزكاة

ولا تفوتنا الاشارة الى بعض منجزات (بيت الزكاة) رغم قصر المدة التي مرت على وجوده بالنسبة لعمر المؤسسات ، تحدثا بفضل الله علينا وعلى الناس ، وشكرا للعاملين في ميادين الخير ، فإنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس . لقد نوع بيت الزكاة وسائله لسد الحاجة في الداخل ، وطرح صيغا كثيرة ظهرت في لائحته الشرعية التي وزعت عليكم والتطبيقات العملية الموافقة لها . ليشمل المعونات المؤقتة والدورية لذوي الحاجة من يتامى وارامل ومطلقات ومرضى وذوى الدخول الضعيفة وطلبة العلم وتوزيع لحوم الأضاحي وإقامة ولائم الإفطار في رمضان وكفاية الأسر المتعففة وتقديم القروض الحسنة .

ولم يقف نشاط بيت الزكاة عند هذا الحد فبعد ان اطمأن الى توفير الكفاية داخل البلاد رأى ان يؤدي حق الاخوة الاسلامية من فائض موارده انطلاقا من طبيعة هذه الشعيرة الاسلامية وعموم دورها بعد سد الحاجة المحلية او عند تفوق الحاجات الخارجية عليها ، فقد أقام بيت الزكاة أساليب متميزة لخدمة المسلمين من خلال توظيف الزكاة في مشاريع يقيمها البيت او يساعد في

اقامتها باشراف (ادارة التوزيع الخارجي) وهي الادارة التي تتلمس مواطن الحاجة وتدعم المراكز الاسلامية في أنحاء العالم .
كما اقام مشروع (كافل اليتيم) الذي يرعى الاف اليتامى المسلمين بطرق مدروسة تجمع بين العون المادي والرعاية المعنوية وتصونهم من الوقوع في براثن التبشير الذي يمسخ هويتهم الاسلامية ويفرض عليهم التبعية الدينية والفكرية .
وأنشاء مشروع (طالب العلم) لتقديم منح دراسية وتوفير بعثات للطلبة الفقراء في البلاد الاسلامية ، مع مشروع خاص للطلبة الأفارقة ، وأقام مشروع نشر القرآن الكريم ، فضلا عن مشاريع الإغاثة المتعددة في المواطن المتضررة بالمجاعات او المصابة بالنكبات في افريقيا وافغانستان وفلسطين ولبنان وغيرها . وهذا الجمع بين الأنشطة الداخلية والخارجية يتفق مع توجهات صاحب السمو أمير البلاد في توثيق الأخوة الاسلامية .

● دور الكويت في إنشاء هذه الهيئة العالمية

ويسر دولة الكويت ، وهي في عهد رئاستها للمؤتمر الاسلامي ، ان تقوم بما يتطلبه نشوء هذه الهيئة الى ان تشق طريقها ، تأكيدا لاهدافها العالمية غير المحدودة بأي دولة كانت ، وعونا لها على إيتاء ثمارها الطيبة لشتى بلاد عالمنا الاسلامي وأقلياته وجالياته .
وإننا لندعو المؤسسات الزكوية القائمة الآن ، وما سيوجد بعون الله ، الى التعاون لتمكين هذه الهيئة من مزاولة انشطتها العلمية والفكرية والله نسأل ان يسدد الخطى ويبارك الجهود لخدمة دينه وشرعه .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
ثم القى مدير بيت الزكاة السيد عبد القادر ضاحي العجيل كلمة رحب فيها بالمشاركين وأشار الى ارتباط قيام الهيئة بتنفيذ توصية مؤتمر الزكاة الأول الخاص بشأنها
بعد ذلك ألقي رئيس اللجنة التحضيرية الدكتور عبد الستار أبو غده كلمة بيّن فيها الحاجة الى تدارس القضايا المعاصرة للزكاة بنظرة جماعية ودور الهيئة في استكمال مقومات التطبيق الأمثل لهذه الفريضة وفي التعامل والتنسيق مع مؤسسات الزكاة وبيّن خصائص تكوين هذه الهيئة بصفة عالمية جامعة لأعضاء من علماء الشريعة وخبراء في شتى المجالات ذات الصلة بالزكاة .

جلسة العمل الأولى

تم خلال هذه الجلسة إنجاز ما يلي ـ
ـ اعتماد جدول الاعمال
ـ اختيار رئيس الهيئة ونائبه والأمين العام والأمين العام المساعد على النحو التالي :

- سماحة الشيخ محمد المختار السلامي رئيسا .
- فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي نائبا للرئيس .
- فضيلة الدكتور خالد مذكور المذكور امينا عاما
- فضيلة الدكتور عبد الستار ابو غدة امينا عاما مساعدا

تم تشكيل لجنة الصياغة ومقرري الجلسات من السادة الدكتور عبد الستار أبو غده ـ الدكتور حسين حامد حسان ـ الدكتور محمد أنس الزرقا ـ الدكتور محمد سليمان الأشقر
ـ تشكيل لجنة لدراسة توصية مؤتمر الزكاة الأول بشأن (صندوق الزكاة الاسلامي) من السادة : يوسف العوضي ـ محمد سليمان الاشقر ـ داتو الشيخ محمود .

جلسة العمل الثانية

تم خلال هذه الجلسة تداول مشروع النظام الأساسي للهيئة وقد تمت الموافقة عليه بصيغته النهائية .



جلسة العمل الثالثة

خصصت هذه الجلسة لمناقشة واعتماد الميزانية التقديرية المقترحة للهيئة وقد ووفق عليها بصيغتها النهائية

جلسة العمل الرابعة

★ نوقشت بهذه الجلسة الاقتراحات المقدمة حول قضايا الزكاة المعاصرة وقدم بيت الزكاة في الكويت ومؤسسة الزكاة في الأردن والسودان وماليزيا العديد من الاقتراحات للنقاش وقد تقرر احالتها الى الأمانة العامة للهيئة لتبويبها بالشكل المناسب وتنفيذها حسب الأولوية لاختيار موضوعات منها للندوات القادمة .

★ كما اطلعت الهيئة على الاتصالات التي اجراها بيت الزكاة مع صندوق التضامن الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي لبحث سبل تنفيذ هذه التوصية وترى الهيئة ان الورقة في حاجة الى مناقشة مفصلة من قبل مؤسسات الزكاة التي ينتظر ان تتعاون في انشاء وادارة هذا الصندوق .

لذا توصي الهيئة بان يقوم بيت الزكاة بالاتصال بمؤسسات الزكاة واستطلاع ارائها حول مشروع هذا الصندوق وسبل

التعاون في جمع الزكاة وتوزيعها على نطاق العالم الاسلامي ثم تنظيم لقاء بين ممثلي مؤسسات الزكاة والقائمين على صندوق التضامن الاسلامي للاتفاق على الخطوات التنفيذية الملائمة .

★ اطلعت الهيئة على ما قام به بيت الزكاة في الكويت من خطوات ايجابية لتنفيذ التوصية رقم (٥) من توصيات مؤتمر الزكاة الأول بشأن صندوق زكاة تشترك فيه الدول الاسلامية

★ كما اطلعت الهيئة على الخطوات الرائدة التي قام بها بيت الزكاة في الكويت مثل مشروع كافل اليتيم وصندوق طالب العلم

وصندوق الطلبة الأفارقة الدارسين بجامعة الأزهر ومشروع نشر القرآن الكريم ومشروع الأضاحي خارج الكويت الخ



● الجلسة الختامية

تم في هذه الجلسة مناقشة واعتماد قائمة بأسماء الاعضاء الستة عشر والمراقبين الدائمين للهيئة وهما الدكتور محمد الحبيب بن الخوجه الامين العام لمجمع الفقه الاسلامي بجده .

السيد يوسف العوضي رئيس المجلس التنفيذي لصندوق التضامن الاسلامي .

● النظام الاساسي للهيئة .

● ميزانية الهيئة



على أعتاب طيبة

للأستاذ / علي محمد محاسنه

يا طيبة النور المبارك إننا
في ظلمة الليل الطويل تخيفنا
غيلان رعب والطريق يخوننا
.. مذ صار منا الحال ما صنع الرخيص فعالنا
مذ صار بالفولاذ والرنان معتصم لنا
نلتف بالأسوار بالدرع المزرد نحتمي
في قفرنا
لكننا ..
ما زال يرتعد الفؤاد وضلعنا
فالدفء فارق غاضبا
ويقيننا ... ضحلا ... وآسن مائه
قتل الفسائل واستحال رواؤها
قترا ووجها كالحا
نسعى بصبغ ... بالدهان ... نجمله
ويهولنا أن لا براعم .. أو زهر

***



يا طيبة الشجعان قد ذبل النوار بمرجنا
وغدت مراعينا هشيما ... والشرر
من كل صوب ... والأمان يكاد يخبو ... نجمه
وذئاب ليل والفحيح تلاقيا
حول الخباء وفيه ليلى ... وحدها
والصيد والفرسان في خدر وليل أسلموا
للريح والمملوك مسألة الأعنه

* * *

...

والبعض لاه في الطراد مع الظبا
يا للظبا
فقد الطراد مذاقه
وجيادنا ماعاد يطربها القصيد ولا الحدا
والشعر لعبة خائر متنطع ..
.. لا ملح في عينيه في عصر الدمى
أعرفتنا يا طيبة الأنصار من .. ؟
ألمحت فينا سعدهم ... أم ... خالدا .. ؟
أحزينة لجنوحنا ... وقعودنا ... والمستقر ؟
أبصدرك الحاني بقية مهجع ..
للأشقياء العائدين وأنت من .. ؟

من أبحاث
المؤتمر العالمي
للتربية الاسلامية

الوحدة والتنوع في التربية الإسلامية

إن الأوضاع القائمة في المؤسسات التربوية والتعليمية في معظم بلدان العالم الاسلامي .. لا تمثل الصورة الاسلامية الصحيحة ولا تقوم بدورها الواجب .. في تنشئة الأجيال المسلمة على هدى الاسلام ـ عبادة وتصورا وسلوكا ـ يضاف الى هذا .. ما تسرب الى مناهج التعليم من نظريات وفلسفات وأفكار .. معادية لمبادىء الاسلام الحنيف أو مناقضة له على أقل تقدير .

ومن أجل تصحيح المسار .. مسار التعليم والتربية في ديار المسلمين ـ لتصبح مناهجه .. إسلامية المحتوى ، معبرة عن هوية الأمة الاسلامية ، قادرة على مواكبة المتغيرات في جميع مجالاتها .. عقدت مؤتمرات عدة لمعالجة كل آفات التنوع والتشعب .. وتقضي على التفرق

عرض وتحليل :
محمود بيومي

والتشتت .. وتضع الأسس المتينة وتحدد معالم استراتيجية التربية الاسلامية في دول العالم الاسلامي .

وكان آخر هذه المؤتمرات .. المؤتمر العالمي للتربية الاسلامية .. الذي عقد بالقاهرة في الفترة من ٨ ـ ١٣ رجب ١٤٠٧ هجرية ـ ٨ـ١٣ مارس ١٩٨٧ ميلادية .. بغية إقامة بنيان تربوي متكامل للأمة الاسلامية .

ومن أهم البحوث التي ألقيت في هذا المؤتمر .. البحث الذي أعده الدكتور عبد العزيز كامل ـ وزير الأوقاف المصري الأسبق والمستشار بالديوان الأميري بالكويت .. عن « الوحدة والتنوع في التربية الاسلامية ».

عناصر الوحدة في التربية الاسلامية

يحدد الدكتور عبد العزيز كامل .. عناصر أربعة للوحدة في التربية الاسلامية .. **أولها** التوحيد باعتباره مدخل الاسلام ومحوره والروح السارية فيه .. لأن التوحيد كامن في كل حقائق الوجود .. وجميعها تدل عليه وتقود اليه .

في آفاق العقيدة الاسلامية : توحيد لله تبارك وتعالى.. وفي آفاق العبادات : تسود خطوط التوحيد حياة المسلمين .. ونراها في آفاق المعاملات : ميزانا أخلاقيا .. وفي آفاق العلم : أمانة ودأبا وتوجها الى الله .. في مطلع الطريق واستعانة به في أثنائه وحمدا لله عند تمامه .

أما العنصر **الثاني** من عناصر هذه الوحدة .. فهو **الإخاء الانساني** ـ حيث أكد الدين الاسلامي وأيده البحث العلمي ـ لن الانسان أصل واحد ـ.. وأن الاختلاف في التكوين الطبيعي للبشر .. ليس له علاقة بالقدرات العقلية منهم .. وأن الاختلاف في القدرات والابداع مرجعه الى الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تحياها الشعوب والأفراد .

فوراء هذه الاختلافات الظاهرة .. هناك الأصل الواحد الذي يبينه القرآن الكريم « **ومن آياته خَلْقُ السمواتِ والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين** » (سورة الروم ٢٢) ويبينه الحديث الشريف : « أيها الناس إن ربكم واحد ، وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب »

★ الناموس الاخلاقي ★

أما العنصر **الثالث** .. فهو **العمل والجزاء** .. فيؤكد الاسلام الربط بين القول والعمل والجزاء في الدنيا

والآخرة .. يقول الله تعالى : « **إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** » (سورة البقرة ٦٢) وتحت العمل الصالح نستطيع ان نضع كل ما يصلح به أمر الدين والدنيا والآخرة .. وذلك في إطار الناموس الأخلاقي الذي بينه الكتاب والسنة .. والذي جاءت جهود الأجيال الصالحة ترجمانا كريما له في مجال العلم

النص القرآني
هو سفينة
النجاة للاسلام
وسط تعدد
مناهج التفسير

ومنهجيته والعمل والابداع الذي يؤدي الى بناء المجتمع وتطوره .
أما العنصر **الرابع** فهو الجزاء .. ومع الجزاء العدل والرحمة

مصادر الوحدة في التربية الاسلامية

ثم انتقل الدكتور عبد العزيز كامل الى بيان مصادر الوحدة في التربية الاسلامية .. وهى القرآن الكريم باعتباره الخط الاساسي في العقيدة الاسلامية والحياة .. ثم **السنة النبوية** .. التي هي بيان للقرآن الكريم .. ثم العبادات والمعاملات مع الربط بين صورة العبادة او المعاملة وروحها .. لأن الاسلام يقوم على أساس التواصل والتكامل بين آفاق الحياة الاسلامية .. ثم **أخلاقيات الاسلام** النابعة من الكتاب والسنة ..

وتأتي بعد ذلك الصورة العامة للحضارة الاسلامية التي تجعل من الكتاب حقائق مترابطة لا مجموعة من الحقائق المتناثرة .. ثم الهدف والعمل المشترك وهو الجانب التطبيقي للتربية الاسلامية .. باعتبارها حركة واعية مستمرة .

★ تحدى الوجود الاسلامي ★

إن قبول التحدي الحضاري المعاصر الذي يواجه الوجود الاسلامي يجب أن يسبقه معرفة أبعاد هذا التحدى وتخطيط العمل الاسلامي لمواجهته .. لأن تشتيت الأهداف يعرقل المسيرة الاسلامية في مجال التربية .

ومن هذه التحديات التي تواجهنا .. الرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الاسلام عندما يتناولون النص القرآني باعتباره وثيقة تاريخية دون النظر الى قداسته الدينية .. ورد الشبهات التي عادت ترفع رأسها من جديد .. تشكيكا في السنة ومكانتها ومحتواها .. ومواجهة عمليات الطمس المنظمة ضد معالم حضارتنا الاسلامية .

★التربية الاسلامية .. والحياة ★

مهما قيل في أهداف التربية وتعددها .. فهناك هدف تلتقى عنده الأهداف .. هو إعداد الفرد ليكون قادرا على الحياة معنويا وماديا .. الا أن هناك فرقا بين الإعداد الصالح والإعداد الظاهري .. وأقوى هذه الفروق بينهما هي قدرة الإعداد الصالح على الصمود في التنافس الحر في داخل الوطن وخارجه ... وأن الإعداد الظاهرى يحتاج الى وقاية مستمرة .

والحقيقة أن نظم التعليم في أغلب أقطار العالم الاسلامي لا توفر التأهيل الأنسب للحياة .. مما أوجد نوعا من « الطفولة الاقتصادية » التي لم تستطع أن تبلغ مرحلة النظام والاستقلال والاعتماد الحقيقي على الذات .

★ تباين البيئات الاسلامية ★

وفي مجال التلاؤم مع متطلبات الحياه .. يقول الدكتور عبد العزيز كامل :

ان البيئات الاسلامية متنوعة من حيث عناصرها الطبيعية والبشرية .. ومن حيث معدلات الدخل فيها .

فهناك أقطار الوفرة .. يهددها التناقص المستمر في مواردها وتمثلها الافطار النفطية وهناك الأقطار التي يهددها الموت الزاحف .. تمثله المجاعات في إقليم الساحل الممتد من السودان الى المحيط الأطلسي .. والماء المتدفق في بنجلاديش حيث الماء والموت معا .. وهناك أقطار تعاني من أزدحام السكان الذي وصل الى درجة الاحتقان كما في مصر .. وهناك مجالات للتوسع الزراعى والرعوى يمثلها السودان الأوسط وأجزاء من العراق وسوريا .. وهناك اختلال سكانى تعاني منه الأقطار الاسلامية ويمثله الزحف من الريف والبادية الى المدينة .. وأقطار يمكن أن يتبلور فيها الاسلام .. رغيف خبز وشربة ماء وكساء وحذاء .. وأقطار يمكن ان يتبلور فيها بحثا علميا متقدما يرتفع رأسيا في مجتمعه ويمد يد العون الى اخوانه في الانسانية والعقيدة .

تشتيت الأهداف يعرقل مسيرة التربية الاسلامية في ديار المسلمين

★ خريطة التربية في العالم الاسلامي ★

فنحن محتاجون الى خريطة لتوزيع نظم التربية في العالم الاسلامي .. فيها العناصر الاساسية التي تمثل الوحدة وفيها الاستجابة لمتطلبات كل بيئة من هذه البيئات والتي تمثل التنوع .. وبهذا .. تستطيع التربية الاسلامية أن تؤكد شمول مصداقيتها واحتوائها لمشكلات العالم الاسلامي كله .

التربية الاسلامية والحوار والايجابية

التغيير في أسلوب التدريس هو جزء من تغيير أسلوب الحياة كلها .. وكثيرا ما يوضع التلقين مقابلا للحوار في

التربية .. والتلقين معناه الفهم .. ويدل على الأخذ وسرعة الاستيعاب ولا يدل على اي نوع من الخضوع الفكري أو الإملاء او الاستعلاء .. إن التربية على الحوار والايجابية وتحديد الهدف والربط الوثيق بين الكم والكيف والدرجة والمستوى يجب ان تسير مع المسلم الواعي من طفولته وفي موطنه وتصاحبه في رشده وفي هجرته ـ وهي نور ـ يضيء له الطريق في تربية أبنائه وفي الدفاع عن حقوق وطنه وعقيدته .

★ تأكيد الذات الاسلامية ★

إننا بالحوار الواعي مع شبابنا نستطيع أن نوجه طاقاتهم الى قبول التحدى الحضاري المعاصر .. وننضج في نفوسهم أبعاده .. بعد أن تقلص في نفوس البعض فأصبح صراعا عنيفا على أصغر الجزئيات في الاسلام .. وتعصبا للاشكال والمظاهر ومسارعة الى تكفير اخوانهم وعنفا في مهاجمة من يظنون أنهم خصومهم .

فهناك معارك كثيرة ينبغي أن نخوضها لنؤكد ذاتنا الاسلامية .. ولن يتأتى التحرر السياسي والاقتصادي الا بالتحرر العلمي .. وهو تكوين القواعد العلمية القادرة على صيانة الحرية السياسية والاقتصادية معا .

★ الاستبداد .. مرض يصيب الانسانية ★

إن التربيية السياسية تبدأ في البيت والمدرسة .. ولن تجد مستبدا يحترم

خريطة توزيع نظم التربية الاسلامية تؤكد أن الأمة الاسلامية في خطر !!

نفسه في اعماقها .. لأن احترام كرامة الانسان .. يبدأ من النفس ثم ينعكس على احترام الآخرين .. باعتبارهم أخوة في الانسانية .. لأن الاستبداد مرض يصيب الانسانية .. وعلاجه تأكيد لكرامة الذات والآخرين معا .. وقد دعانا الاسلام الى التوحيد في العقيدة ودعنا الى التشاور والتناصح والتراحم بيننا في الحياة .. كما أن مناقشة الرأي .. ليست صورة لإهدار كرامة فرد أو الانتقاص منه .. والتعود على ذلك يحتاج إلى دراية طويلة في كل مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة .

★ محاور اساسية في التربية الاسلامية ★

إن الجسر الذي يجب أن يمتد بين الشباب وعلماء الاسلام .. يجب أن يعتمد على **أربعة** مسارات اساسية لأنها في ذات الوقت هي المحاور الأساسية في التربية الاسلامية هي :

- من العنف الى الحكمة .

● من العلمانية والآلية الى العلم والايمان والمنهجية :
● من الانحـلال الاخـلاقي الى التماسك الأخلاقي .
● من الجمود والتقليد الى التقدم والابداع .

فهذه المسارات تمثل آفاق التعاون والحوار بين الشباب وعلماء الاسلام .. كما انها تستطيع أن تبين آفاق الوحدة وآفاق التنوع .. في التربية الاسلامية .. دون ان يكون عليها قيد ... ودون أن تتنازع أو تتفتت في مجالاتها .

★ الاستمـرار والتـغـير .. في الاسلام ★

إن الاسلام يؤكد عاملين في الحياة الانسانية .. هما الاستمرار والتغير .. وكلاهما ورد في القرآن الكريم .. فمفهـوم الاستمرار تؤكـده الآيـة الكريمة « **سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا** » (سورة الاحزاب ٦٢) وفي قوله تعالى « **فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون** » (سورة الروم ٣٠ »

كما جاء التغيير نصوصا في القرآن الكريم وواقعا في الحياة .. يقول تعالى « **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال** » (سورة الرعد / ١١)

وهناك مستوى للتغيير فوق طاقة البشر .. كالظاهرات الكونية .. من رعد وبرق وصواعق .. ومستوى في طاقة البشر بما أودع الله فيهم من قدرات وما أعطـاهم من حـريـة التصـرف والمسؤولية .

★ الاستمرار والتغير في التربية ★

ليس للتـغـير او للظـاهـرة في استمرارها .. سرعة واحدة .. فهناك تغيـرات بطيئـة نكـاد نحسبهـا استمرارا .. وتغيرات سـريعة هى استمرار قصير المدى .. ونحن نطلق اسم الزمن الجغرافي على التغيرات البطيئـة التـي تكـاد أن تكـون استمرارا .. والزمن الاجتماعي على التغييرات الأكثر سرعة .. والزمن الفردي على التغيرات السريعة التي تخضع لأعمال الأفراد ..

> علينا مواجهة الطمس المتعمد لمعالم الحضارة والتربية الاسلامية

الحوار الواعي مع شبابنا يوجه طاقاتهم الى قبول التحدى .

ونحن لا نود أن ندفع التغيير في التربية الى مجال الزمن الفردي الذي يتغير مع تغير الأفراد .. ولا أن ندعه بطيئا

قريبا من التحجر في مجال الزمن الجغرافي .. ولكننا نود أن نجعل من التربية الاسلامية .. مؤسسة اجتماعية تقع في مجال الزمن الاجتماعي .. الذي يستفيد من

مقومات البيئة الطبيعية من ناحية .. ومن عزمات الأفراد من ناحية أخرى .. فتكون لديه الطاقة والقاعدة معا ..

ثم هو يضرب بجذوره في أرضه يستمد منها الثبات ويمد فروعه في السماء .

فالاستمرار والتغير ليسا نقيضين .. انما هما درجتان .. أو مواقع أطراف

لدرجات من إيقاع الحياة .. وأن عوامل الثبات والتغير .. تعبر الزمان وتحتفظ بالمكان .

ومع كل ظاهرات الاستمرار والتغير .. والوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية .. هناك إطار واسع يجمعها ـ زمانا ومكانا ـ دون أن يكون عليها قيدا .. وأن هناك حرية في حركتها دون أن تكون تشتتا وانفراطا .

★ تكوين الشخصية الاسلامية ★

ويقترح الدكتور عبد العزيز كامل ..

اعداد دراسات ميسرة للشباب .. لتكون عونا له على تكوين الشخصية الاسلامية .. لأن التربية هي التي تشد الرباط الوثيق بين الأصول وتفرعاتها التي تتلاءم مع تطور الحياة .. لأن وحدة المنبع هي المفهوم الذي نود تأكيده في مجال التربية ..

فالنص القرآني الكريم .. هو سفينة النجاة للاسلام .. وحفظه والدفاع عنه والعمل به هو الطريق المستقيم للتربية الاسلامية .. وذلك رغم تعدد مناهج تفسير القرآن الكريم .. وما أصاب العالم الاسلامي من تعدد في مذاهبه وطوائفه واستناد كل منها الى تأويل النص القرآني .

كما يرى ضرورة تيسير السنة للشباب المسلم .. وبخاصة ما يتعلق بتكوينهم الذي يقابل مسؤوليات الحياة المعاصرة وتحديات الصحوة الاسلامية .. كما أن للحضارة الاسلامية في مكتبة الشباب أكثر من مجال في آفاق الدين والعلم والفن والفلسفة والاقتصاد وأنشطة الانسان انتاجا وابداعا وتجارة

واستهلاكا .. الى جانب الترويح والرياضة والعناية بالصحة البدنية والنفسية ..

★ الاهتمام بتربية الطفل المسلم ★

ويضيف الدكتور عبد العزيز كامل .. ان كل هذه الدراسات الميسرة المتناسقة المتكاملة .. تمكن الشاب المسلم من أن يجد في حدود قدراته المالية المعقولة .. صورة الاسلام ..

كما يمتد بنا الأمل لوضع سلسلة لكتب الأطفال تبدعها عقول مسلمة .. وبهذا تتكامل الدراسات اللازمة للتربية الاسلامية

★ أمة في خطر !! ★

كما أشار الى تقرير أعده خبراء التعليم بالولايات المتحدة الأمريكية .. لتطوير التعليم فيها حتى تستطيع ان تثبت اقدامها في مجال التنافس العلمي .. وقد اصدر الخبراء تقريرهم تحت عنوان « أمة في خطر » سجلت فيه صورة التنافس ومستوياته ووضع الولايات المتحدة بالنسبة الى غيرها من الدول وأملها في المستقبل والطريق الى تحقيق هذا الأمل .

فاذا كان هذا هو الوضع في الولايات المتحدة .. وانها اصبحت أمة في خطر !! فماذا نقول عن الأمة الاسلامية .. وماذا علينا ان نقوم به لانقاذ الأمة الاسلامية من هذا الخطر .. دون أن يتطرق الى نفوسنا البأس !!
ان وسيلتنا هي كشف القادرين على الابداع .. في سن مبكرة .. ورعايتهم باعتبارهم ثروة قومية وزادا للمستقبل واستثمارا بشريا يعود خيره على المجتمع الاسلامي .. لأن قيادة الحركة الابداعية وإتاحة الفرص للقوى المبدعة .. يؤدي الى الوصول الى أفضل النتائج التي تؤتي ثمارها .

حذار .. حذار

قال تعالى : « وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للانسان عدوا مبينا » .
الآية ٥٣ من سورة الاسراء .
فلنحذر عدونا الأول الشيطان ، ولنحكم العقل في أي خلاف ينشأ بيننا ، وشرع الله هو المنقذ مما نعاني منه .

مشهد مسرحي

أكرم العرب

للاستاذ /

سامي عبدالوهاب

[ستار المسرح ما زال مغلقا ... ولكن تتناهى الينا أصوات مختلطة]

أصوات : قيس ... بل عبدالله .. لا .. لا قيس ... بل هو عرابة .. عرابة الأوسى اكرمهم ... إنه قيس بن سعد أسخاهم يدا ... بل عبدالله بن جعفر اكثرهم سخاء ... لا .. قيس .. عبدالله .. عرابة .. أقسم أن قيس بن سعد هو .. وأنا أقسم انه عرابة .. بل قيس .. بل عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ..

[في هذه الاثناء يفتح الستار ببطء ... لنرى جماعة من العرب يتحدثون في شبه مجلس سمر وإن كان الوقت لم يزل مبكرا ... عند اكتمال فتح الستار ..]

الشيخ : مهلا ... مهلا ... يا رجال مهلا ... رويدكم ، رويدكم .

رجل (١) : **قل لهم يا شيخنا ... أنبئهم .. أليس عبدالله بن جعفر بن أبي طالب اكرم العرب ..؟**

رجل (٢) : بل أكرم العرب هو بلا ريب قيس بن سعد بن عبادة ... أليس كذلك يا شيخنا ..؟

رجل (٣) : .. لا هذا .. ولا ذلك .. إن أكرم من في أرض العرب عرابة الأوسى ..

الشيخ : رويدكم ... رويدكم ... أصواتكم قد علت ، وجدلكم أوشك أن يوقعكم في الخطأ ... اهدءوا ... ولتعلموا يا أبنائي ان الكرم صفة عربية .. ولا جدال في ذلك ... كلكم يعلم ان الأمثلة التي ضربت في الكرم ، قد نبتت كلها في ارض عربية ... وهذا أمر مسلم لا يستدعي كل هذا الجدل والعراك .

رجل (١) : هو ما قلت يا شيخنا ... ونحن لا نختلف على ما ذكرت ... ولكننا نختلفُ الآن على من هو أكثر كرما وسخاء في زماننا .. وأنا أقول:إن عبدالله ابن جعفر بن أبي طالب هو ذلك الرجل ... وصاحباى لا يرضيهما ذلك ..

رجل (٢) : نعم ... فأنا أؤكد ان ذلك الرجل هو قيس بن سعد بن عبادة ... ولا أحد يماري في هذا الامر ..

رجل (٣) : أنا .. وأقول : إنه اذا كان هناك وجود لرجل كهذا فلن يكون غير عرابة الأوسى ..

الشيخ : ولم الخلاف والشقاق ... في أمر يسير كهذا ..

رجل (١) : ماذا تعني يا شيخنا .. ؟

الشيخ : أعني اننا نستطيع ان نعرف الآن أيهم أكثر كرما وسخاء ..

رجل (٢) : وكيف يكون ذلك أيها الشيخ .. ؟

رجل (٣) : هل تعني ان نجري رهانا ؟

الشيخ : شيء كهذا ... ان من ذكرتم الآن من سادة العرب ... يعيشون بين ظهرانينا ، وليست ديارهم ببعيدة عنا ... فما عليكم الا ان يتوجه كل منكم إلى دار صاحبه ... يسأله شيئا لابن سبيل ... وسنرى ما يعطيه كل منهم لصاحبه ... وبهذا نستطيع ان نحكم عيانا على الأمر الذي تختلفون فيه هيه ... ما رأيكم ؟

رجل (٣) : نعم الرأي ما رأيت يا شيخنا ..

رجل (٢) : هو ما تقول أيها الشيخ المبجل ..

رجل (١) : رأي سديد .. والله . وسأنطلق من فورى الى عبدالله بن جعفر ، وسوف ترون عطاياه ... التي ستقطع قول كل خطيب ..

رجل (٢) : هل ننصرف نحن ايضا الى صاحبينا... أم ننتظر عودته .. ؟
الشيخ : بل اذهبا إلى صاحبيكما ... ونحن في انتظار عودتكم ..
[يمضي الجميع خارجا ... ويتحلق باقي الرجال حول الشيخ الذي يروى لهم حكاية من حكايات حاتمَ الطائي في الكرم ... بعد لحظات يدخل رجل (١)

حاملا حقيبة من القماش منتفخة بما فيها من ثياب وكيس مما يوضع به النقود ..]

رجل (١) : السلام عليكم ..

الجميع : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته .

الشيخ : هيــه ... أرى البشر يملأ وجهك ..

رجل (١) : أجل أيها الشيخ ... ألم أقل لكم إنه أكرم العرب جميعا ..

الشيخ : لا جدال في ان عبدالله بن جعفر من اكرم العرب ... آرنا إذن ماذا كانت عطيته لك ..

رجل (١) : لا والله .. لا أريكم حتى يعود صاحباي لنرى معا ..

الشيخ : (مبتسما) لك ما تريد ... اجلس حتى يعودا ..

[يلتفت الشيخ إلى جلسائه ويكمل حكايته التي بدأها عقب خروج الرجال الثلاثة ... يدخل رجل (٢) حاملا كيسا من اكياس النقود وخلفه عبد،يكون الشيخ قد اكمل حكايته لحظة دخول رجل (٢)]

رجل (٢) : السلام عليكم ..

الجماعة : عليك السلام ورحمة الله وبركاته .

الشيخ : اجلس ... حتى يصل صاحبكم ... آه ... ها هو قد جاء ..

(يدخل رجل (٣) وليس بيده شيء ... ولكن يتبعه عبدان)

رجل (٣) : السلام عليكم ..

الجميع : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ..

الشيخ : ها قد عدتم ثلاثتكم ... وإن كنت أرى البشر في وجوهكم جميعا .. مما ينبىء بنجاحكم في مساعيكم ... وهذا مما يصعب مهمتنا في الحكم .. والآن ليحكي كل منكم ما حدث له مع صاحبه ... ويرينا ما أعطاه له . قل يا صاحب عبدالله بن جعفر ... فأنت اول من عاد ..

(يقف رجل (١) .. ويواجه الجمهور ..)

رجل (١) : بينما أنا في طريقي إلى داره .. إذا به يصادفني في الطريق

قاصدا ضيعة له .. وكان راكبا ناقة واضعا رجله في ركابها ... فناديته : (يمثل ما حدث) يا عبدالله... يا عبدالله ، توقف الرجل ... قلت : ابن سبيل ومنقطع به فما كان منه الا ان نزع قدمه من ركاب ناقته ... وقال لي : ضع رجلك واستو ، وخذ ما في الحقيبة ، واحتفظ بهذا السيف ، فإنه من سيوف علي بن أبي طالب .. وها هي الحقيبة امامكم (يفتحها ويخرج ما فيها) مليئة كما ترون بثياب من الحرير ... وهذا ايضا ... (يرفع كيس النقود ليراه الجميع) هنا كيس به أربعة آلاف دينار ... والناقة تقف على مبعدة هناك مع نياق أخر ... وأعظم عطاياه جميعا السيف ... سيف على بن أبي طالب (يريهم السيف) ... فبحق الله .. أليس ذلك الرجل بأكرم العرب جميعا ..

أصوات : هذا والله حق ..
كريم من بيت كرم ..
لن تجد أكرم منه ..
هو أكرم العرب بلا ريب ..

الشيخ : صدقتم ... صدقتم ... دعونا الآن نرى صاحبيه ... تقدم يا صاحب قيس بن سعد ... واحك لنا ما حدث لك مع صاحبك .. (يتقدم رجل (٢) ويواجه الجمهور) .

رجل (٢) : قصدت دار قيس بن سعد ... وطرقت بابه فأجابتني جاريته بأنه نائم ... وسألتني عن حاجتي إليه .. فقلت ابن سبيل ومنقطع به ..
فردت الجارية قائلة : إن حاجتي أهون من إيقاظه ... وأعطتني كيسا به سبعمائة دينار وهي تقول : يعلم الله ان ما في دار قيس غيره .. خذه وامض الى حيث إبلنا فخذ ناقة وعبدا واذهب لحال سبيلك ... فذهبت الى مرابط الابل واخذت ناقة وعبدا ... الناقة هناك ... وهاهو العبد أمامكم ... فما قولكم في كرم هذا الرجل ..
صوت : ولكن هذا فعل جاريته ..
رجل (٢) : لو كانت تعلم انه سيغضب منها لما جرؤت على هذا ..

العبد : سيدي ... سيدي ... عند عودتنا من مرابط الابل .. وعندما عرجت على منزل سيدي قيس لاستوثق ... كان قد استيقظ وقد علمت من جاريته انه اعتقها عندما عرف ما فعلته مع ابن السبيل ..
رجل (٢) : أرأيتم ... أرأيتم اكرم من هذا الرجل ..
أصوات : حقا ... هو رجل كريم ..
أكرم من انجبت أرض العرب ..
الشيخ : حقا .. حقا .. والآن .. تقدم يا صاحب عرابة .. واحك لنا ما رأيته من صاحبك ...

رجل (٣) : بينما انا في طريقي اليه ، قاصدا داره ... إذا به يقابلني قاصدا المسجد للصلاة وهو يتوكأ على عبدين وقد كفّ بصره ، فلم يعد يرى .. فناديته ..

يا عرابة : ابن سبيل ومنقطع به ... فترك العبدين ، وصفق بيمناه على يسراه وهو يقول : أواه !! أواه ! ما تركت الحقوق لعرابة مالا !! .. ولكن خذ هذين العبدين ... فتحرجت منه وقلت له : ما كنت بالذي يقص جناحيك ، فقال : ان لم تأخذهما فهما حران ... فإن شئت تأخذ ... وإن شئت تعتق ، وأقبل يتلمس الحائط بيديه راجعا الى داره ... فأخذت العبدين وجئت ... وها هما أمامكم ... فهل رأيتم بالله اكرم من رجل كعرابة ..

الشيخ : هو كريم بلا ريب ... بل من أكرم العرب ... والحكم في رجال كهؤلاء جد صعب ومحير ... ما رأيكم يا رجال .

أصوات : هو والله أمر محير حقا ... نعم أعطى كل منهم ما تحت يده لكن عبدالله أعطى اكثر ..

وقيس أعطى ما عنده ..

وعرابة أيضا .. اعطى ما يملك ..

إن اكرمهم عبدالله .. بل قيس .. لا لا .. إن عرابة اكثرهم كرما ، قيس .. عبدالله .. عرابة ... عبدالله ... عرابة ... قيس .. عرابة ..

صوت : لك الحكم يا شيخنا ... فقد تحيرنا في الامر ..

الشيخ : لا تعودوا للجدال والعراك .. إنهم بالفعل اكثر العرب كرما وسخاء ولا نستطيع ان نفرق بينهم ... ولكن ... ولكني أرى أن عرابة أكرمهم فقد اعطى عبدالله الكثير ... حقا ... ولكن ما زال عنده الكثير ... لانه أعطى مما يملك ... وكذلك قيس بن سعد ... اعطى مما يملك ... أما عرابة فقد أعطى ما يملك ... كل ما يملك ... ومع ذلك فلا تنسوا أن العرب جميعا اصحاب كرم ومروءة ... وكما قلت لكم ... الكرم شجرة عربية ... نبتت وازهرت في أرضكم العربية ... فلا تنسوا ذلك أبدا ... وهنيئا لهم جميعا ... وهنيئا لعرابة ..

أصوات : الرأي ما رأيت يا شيخنا ... هنيئا لهم جميعا ... وهنيئا لعرابة الأوسى .. أكرم العرب .

بين الأخلاق وعلم النفس

للأستاذ / أمين محمد عثمان

كان ابو العتاهية شاعر الزهد المعروف ، حريصا على جمع المال ، شحيحا حتى في الانفاق على نفسه ، لئيما كزا ، يكنز الدرهم والدينار ، ويحتفظ بالدانق والسحتوت .. ومع هذا كله ، كان يدعو الى ذم الدنيا ، وينهى عن البخل والحرص وكثيرا ما كان يتهم الناس ، بأنهم بخلاء اشحاء ، حراص على جمع المال ... استمع إليه وهو يهجو صديقه سلم بن عمرو :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تساق إليك عفوا أليس مصير ذلك للزوال ؟
ويقول عنه ابو الفرج الاصفهاني ، في كتابه (الاغاني) :
« كان ابو العتاهية أبخل الناس مع يساره ، ومع كثرة ما جمع من أموال ،
ثم يذكر (ابو الفرج قصته مع ثمامة بن أشرس فيقول :
قال (ثمامة) أنشدني (أبو العتاهية) :
إذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكه
إلا إنما مالى الذي أنا منفق وليس لي المال الذي أنا تاركه
إذا كنت ذا مال فبادر به الذي بحق وإلا استهلكته مهالكه
فقلت له :

ـ يا أبا العتاهية : من أين قضيت بهذا ؟ فقال :
ـ من قول النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول ابن آدم مالى مالى ، إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت » .
ـ رواه مسلم ـ

فقلت له :
ـ يا أبا العتاهية : أو تؤمن بأن هذا قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) وانه الحق ،
قال : نعم ، قلت له :
ـ فلم تحبس عندك سبعا وعشرين بدرة من الدنانير ، ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تزكي ، ولا تقدم ذخرا ليوم القيامة ؟

قال أبو العتاهية :
ـ والله إن ما قلت لهو الحق ، ولكنني أخاف الفقر والحاجة إلى الناس .
فقلت له :
ـ وهل تزيد حال من افتقر على حالك التي أنت فيها ، وأنت دائم الحرص والجمع ، شحيح على نفسك ، لا تشتري اللحم إلا من عيد إلى عيد ؟
فقال :
ـ والله لقد اشتريت يوم عاشوراء لحما وتوابله بخمسة دراهم ..
قال ثمامة فأضحكني قوله : حتى أذهلني عن إجابته ، وعلمت أنه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام .

ويروي قاضي القضاة ، شمس الدين بن خلكان في كتابه وفيات الأعيان نقلا عن أبي العباس المبرد في كتاب (الكامل) ... تلك القصة التي إن دلت على شيء ، فإنما تدل على أن أخلاقه ، لم تكن بالموضع الذي يخفي على اللبيب .. لقد كان مرائيا حتى في ادعائه أنه يحب (عتبة) جارية الخليفة (المهدى)

لقد استأذن (أبو العتاهية) الخليفة المهدي في هدية يهديها إليه ، في عيد (النيروز) فأهدى إليه (برنية) ضخمة فيها ثوب ناعم طيب ، قد كتب على حواشيه :

نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها
إني لأ يأس منها ثم يطمعني فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهمَّ (الخليفة) أن يدفع إليه (عتبة) فجزعت وقالت : يا أمير المؤمنين حرمتي وخدمتي ، أتدفعني إلى رجل قبيح المنظر ، بائع جرار ، متكسب بالشعر ، فأعفاها وقال: املئوا له (البرنية) مالا ... فقال لخزنة بيت المال : أمر لي بدنانير ، فقالوا : لا ندفع إليك ذاك ، ولكن إذا شئت أعطيناك دراهم ، إلى أن يفصح الخليفة بما أراد ، فاختلف في ذلك عاما ، فقالت (عتبة) لو كان عاشقا حقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ عام في التمييز بين الدراهم والدنانير ، وقد أعرض عن ذكري صفحا ..

ثم يقول ابن خلكان في كتابه المذكور .. ان الشاعر (سلم بن عمرو) حينما علم بهجاء (أبي العتاهية) له غضب وقال :

لهفي على بائع الجرار ... يزعم اني حريص وهو الذي يحبس عنده (سبعا وعشرين بدرة) من الذهب والفضة ، لا يأكل منها ولا يشرب ولا يزكي ثم أرسل إليه هذه الأبيات

ما أقبح التزهيد من زاهد يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزهيده صادقا أضحى وأمسى بيته المسجد
ويرفض الدنيا ولم يقنها ولم يكن يسعى ويسترفد
والرزق مقسوم على من ترى يناله الابيض والاسود
كل يوفى رزقه كاملا من كف عن جهد ومن يجهد

★الاسقاط النفسي★

فبم نسمي هذا التناقض بين فعل أبي العتاهية وقوله ؟
ان المثل العربي يقول (رمتنا بدائها وانسلت) والاساس النفسي لهذا المثل هو ما يعرف عند علماء النفس (بالخلع أو الاسقاط النفسي)

وهو أن يخلع المرء ما يرتديه من عيوب ، وما تشتمل عليه نفسه من ضعف على غيره من الناس ، أو على ما يحيط به من ظروف .

فقد ينسب المرء إلى صديقه الجحود أو الكذب أو التكلف ، على حين أنه هو الجاحد الكاذب المتكلف ، أو يتهم غيره بأنه ثرثار كثير النقد ، في حين أنه هو المصاب بهاتين الصفتين .

فالارتياب في الناس ، قد يكون إسقاطا لعدم ثقة الفرد في نفسه .
والزوج الذي تنطوي نفسه على رغبة مكبوتة في خيانة زوجته ، كثيرا ما

يتهم زوجته البريئة بالخيانة وسوء الخلق ..

وقد صور الشاعر (المتنبي) هذا المعنى أبلغ تصوير فقال :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته وأصبح في ليل من الشك مظلم

والأب المهمل في عمله ، يميل إلى اتهام ابنه بالاهمال في دراسته ، وكثيرا ما يكون الاهتمام بفضائح الناس وتصيد اخطائهم نوعا من الاسقاط ، لأن من يشعر بالذنب ان تراءى له ان الآخرين مذنبون أيضا ، خف شعوره بالذنب ..

يقول الدكتور مصطفى محمود في كتابه (التوراة) :

« والذي يقرأ التوراة المتداولة بيننا الآن ، لا يخرج منها بأنها كتاب أوحى الله به إلى (موسى ..) ... فإن الانبياء الذين تعارفنا على إجلالهم واحترامهم ، نراهم في التوراة المزيفة عصبة أشرار ، سكيرين ولصوصا وزناة ، وكذابين ومخادعين وقتلة ..

وتقرأ في هذه التوراة ، أن نبي الله (داود) عليه السلام ، يفتتن بحب زوجة قائد جيشه ، وقد رآها على سطح المنزل وهي عارية فيهيم بها حبا ، فيرسل هذا القائد إلى مكان يقتل فيه ، حتى يحظى هو بهذه الزوجة الجميلة وهي (بتشيع) زوجة أوريا الحثي .

« انها اشياء لم تحدث طبعا ولكنها الأقلام التي كانت تكتب التوراة من اليهود الذين ضربت عليهم الذلة ، واقتيدوا إلى السبي في بابل ممن كانوا يرون نساءهم سبايا ، وأولادهم عبيدا ، وبناتهم يقدمن عرايا لمتعة القصور في فارس ... فحرصوا على تلطيخ كل شيء ، وإسقاط القذر الذي يعيشون فيه على وجه التاريخ كله ... » .

★ في حياتنا اليومية ★

ان الاسقاط النفسي يلعب دورا كبيرا في حياتنا اليومية ، فكثيرا ما نعمد إلى هذه الوسيلة ، فننسب السقوط في الامتحان إلى صعوبته ، والتأخر في الحضور إلى المواصلات ، والفشل في المشروعات إلى الحظ ..

وصدق من قال :

نعيب زماننا والعيب فينا وما بزماننا عيب سوانا

ان مثل عملية الاسقاط هذه ، كمثل (الفانوس السحري) أو (الآلة السينمائية) التي تسقط الصورة ، على ستارة ، أو حاجز نصب في الخارج ، والصورة لا تنتمي إلى الستارة ، أو إلى الحاجز الذي أسقطت عليه ، وإنما تنتمي إلى (آلة السينما) أو (الفانوس السحري)

فالإسقاط إذن : هو تفسير أعمال الغير بما يجري في نفوسنا نحن .

★ من أقوال الحكماء ★

وقد قالت الحكماء : إذا أردت أن ترى العيوب جمة ، فتأمل عيَّاباً ، فإنه إنما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب ، إن أحدهم ليرى الشعرة في عين أخيه ، ولا يرى القذى في عين نفسه .

وعاب رجل آخر عند الخليفة (المأمون) فقال له (المأمون) : قد استدللنا على كثرة عيوبك ، بما تذكر من عيوب الناس ، لان طالب العيوب لايطلبها الا بقدر ما هي فيه لا بقدر ماهي فيهم .

وشتم رجل (أبا ذر الغفاري) فقال لشاتمه :

« لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعا ، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه » .

★ كل إناء بما فيه ينضح ★

وذكر (الجاحظ) في كتابه (البيان والتبيين) : أن عيسى عليه السلام ، مر بجماعة اليهود ، فكانوا كلما اسمعوه شرا ، أسمعهم خيرا ... فقال الحواريون :

ـ ما هذا يا نبي الله يسمعونك شرا ، وتسمعهم خيرا ... ؟ فقال عيسى :

ـ نعم كل اناء بما فيه ينضح ..

ان أصحاب المبادىء ، والمثل العليا ، لا ينظرون إلى الناس إلا من ناحية جوانبهم المضيئة ، وهناك من لا ينظرون إلى غيرهم إلا من ناحية جوانبهم المظلمة ويعجبني في ذلك قول (ايليا أبو ماضي) :

ان شر النفوس في الارض نفس تتوقى قبل الرحيل الرحيلا
وترى الشوك في الورود وتعمى ان ترى فوقها الندى إكليلا
والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئا جميلا

★ المقنع الكندى ★

ويروى (أبو الفرج الاصفهاني) أبياتا للمقنع الكندي ، تدل على ان الرجل كان نبيلا كريما ، يحمل في حنايا صدره ، قلبا ينبض بالمحبة والايثار لبنى قومه ، كما يحمل نفسا زكية طيبة تحب الخير ، والسعادة لقبيلته وأبناء عشيرته ، وأريحية نادرة تؤهله للقيادة والرياسة ، وقد رأيت ان اتحف بها سمع القارىء :

وان الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جدا

فـان أكلوا لحمي وفـرت لحومهم	وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
وان زجروا طيراً بنحس تمر بي	زجرت لهم طيرا تمـر بهم سعدا
لهم جـل مالي ان تـوافر لي غنى	وان قـل مـالي لم أكلفهـم رفـدا
ولا أحمـل الحقـد القـديم عليهم	وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

★ الهجاء العربي سبة ★

ان الهجاء والسباب والشتم ، كلها أساليب تدل على سقوط الهمة ، وفقد المروءة ، وهو إلى أخلاق السوقة ، وألفاظ العامة أقرب ..

وأعتقد أن الهجائين من الشعراء ، قد خرجوا على مكارم الاخلاق والسبب ـ كما تعلم ـ يعود إلى عيب في نفوسهم ، لا إلى عيب فيمن يهجونهم ..

وإني لأكبر كل من ترفع عن الهجاء ، وقابل السيئة بالحسنة ، أو على الاقل قابلها بالتغافل والسكوت ، فإن هذا أوقع في نفس المعتدي ... وتأمل أدب القرآن الذي أدب به المؤمنين حين يقول في الآيتين (٣٤،٣٥) من سورة فصلت :

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » .

وقد عقد ابن رشيق في كتابه (العمدة) بابا سماه (من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الأكفاء) وفيه يقول :

« ومنهم من لا يهجو كفئا ولا غيره ، لما في هجوه من سوء الاثر ، وقبح السمعة كالذي يحكي عن (العجاج) انه قيل له ..

لم لا تهجو ؟ فقال : ولم أهجو ؟ ان لنا أحسابا تمنعنا من أن نظلم ، وأحلاما تمنعنا من ان نظلم وهل رأيتم بانيا لا يحسن الهدم ؟

والحق ان باب الهجاء سيئة من سيئات حفظ الآثار ، وجناية على الادب ومكارم الاخلاق ، فيه تعريف بالشر للمبتدئين ، وافساد للذوق في نفوس عشاق الادب ، والفن الجميل الا ترى وانت تقرأ باب الهجاء في كتب الادب، كأنك تشهد مصارعة الثيران ، أو مهارشة الديكة ، ومناطحة الكباش ؟ انها تسلية ، ولكنها تسلية قاسية ، فالحيوان يهدر دم الحيوان ، وفي الهجاء نرى أفظع من ذلك وأنكى ، نرى الانسان ينهش عرض أخيه الانسان ..

وقد نهانا القرآن الكريم عن سوء الظن وعن التجسس والغيبة ، ونهش اعراض الناس وتأمل ذلك في الآية (١٢) من سورة (الحجرات) :

« يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم » .

★ المزاح والدعابة ★

ومن أطرف ما أثار انتباهي في هذا الموضوع قول ابن قتيبة وهو من كتاب القرن الثالث الهجري ، في كتابه العظيم (أدب الكاتب) :
« ونحن نستحب لمن قبل عنا ، وائتم بكتابنا ، أن يؤدب نفسه قبل ان يؤدب لسانه ، ويهذب اخلاقه قبل ان يهذب الفاظه ، ويصون مروءته عن دناءة الغيبة ، وعن شين الكذب ، ويجانب ـ قبل مجانبة اللحن ، وخطل القول ـ شنيع الكلام ، ورفث المزح ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ولنا فيه اسوة حسنة ـ يمزح ولا يقول الا حقا ، وما زح عجوزا فقال :
« إن الجنة لا يدخلها عجوز » وقد بكت العجوز حينما سمعت ذلك ، فقال لها : إنك يومئذ لست بعجوز ... ألم تسمعي قوله تعالى : (انا انشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا) .

وكان في (علي) رضي الله عنه ـ دعابة ، وكان ابن سيرين يمزح ويضحك حتى يسيل لعابه ، وسئل عن رجل فقال : توفي البارحة ، فلما رأى جزع السائل قرأ قوله تعالى « الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها » .

ومازح (معاوية بن أبي سفيان) الأحنف بن قيس ، فما رؤى مازحان أوقر منهما ..
قال له (معاوية) :
ـ يا أحنف : ما الشيء الملفف في البجاد ؟ قال (السخينة) يا أمير المؤمنين
أراد (معاوية) قول الشاعر :

اذا ما مات ميت من تميم فسرك أن يعيش فجيء بزاد
بخبز أو بتمر أو بسمن او الشيء الملفف في البجاد
تراه يطوّف الآفاق حرصا ليأكل رأس لقمان بن عاد

(والملفف في البجاد) وطب اللبن ، والبجاد كساء فيه خطوط ، وكانوا يلفون وطب اللبن فيه ، ويتركونه حتى يروب اللبن ... وأراد (الاحنف) أن قريشا كانت تعير بأكل (السخينة) وهي حساء من دقيق يتخذ عند غلاء الاسعار ، وعجف المال ، وكلب الزمان .. قال (حسان بن ثابت)

زعمت سخينة أن ستغلب ربها وليغلبن مغالب الغلاب

مكتبة المجلة

أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام

للدكتور/ حسن ابو غدة

كتاب جدير بكل اهتمام ، لان موضوعه جديد ، ولم يبحث بمثل هذا الاسلوب العلمي والميداني الذي أعطى تصورا جليا واضحا ، لما كان

عليه السجن ، عند المسلمين ، بالمقارنة إلى ما عليه السجن عند غيرهم ماضيا وحاضرا .

وهو يستجيب لحاجة ماسة في المجتمع اليوم ، ليبرهن على حيوية الفقه الاسلامي وعلى السبق الذي

حظي به المسلمون في حل كثير من القضايا ، التي يظن ان المجتمع

الانساني لم يحلها الا في أواخر القرن الثامن عشر بعد الثورة الفرنسية .

إنه كتاب فقه عملي واقعي متميز ، رصد الأحداث ، واستقصى

النصوص ، واستفاد من الواقع المشهود في دنيا السجون . وقد ذيلت كثير من أبحاثه بمواقف الأعلام ،

وإجراءات الحكام الصالحين من سلف هذه الأمة ، ومستلطفات من

الشعر والأدب ، وإشارات من علم

النفس والاجتماع ، مما يسر للقارىء الاسترسال في قراءته .

وقد قام الكتاب على مقدمة وأربعة أقسام وخاتمة :

المقدمة : في العقوبة وأنواعها ماضيا وحاضرا .

القسم الأول : في السجن (تاريخه ـ مشروعيته في الاسلام ـ أنواعه وجرائمه)

القسم الثاني : في السجون (نشأتها وتصنيفها والانفاق عليها عند المسلمين وغيرهم)

القسم الثالث : في معاملة السجين (العناية بصحته وتعليمه وتشغيله ،

علاقاته الاجتماعية داخل السجن وخارجه ، ومعاقبته وانواعها

وحدودها ، تصرفاته الدينية والمدنية ، اخراجه من السجن ودمجه في المجتمع) .

القسم الرابع : في إدارة السجن (الهيئات المسئولة ونشاطاتها ،

صفات السجان عند المسلمين وغيرهم ، مراقبة الدولة السجون وحماية السجناء)

الخاتمة : في محاسن السجن ومساوئه .

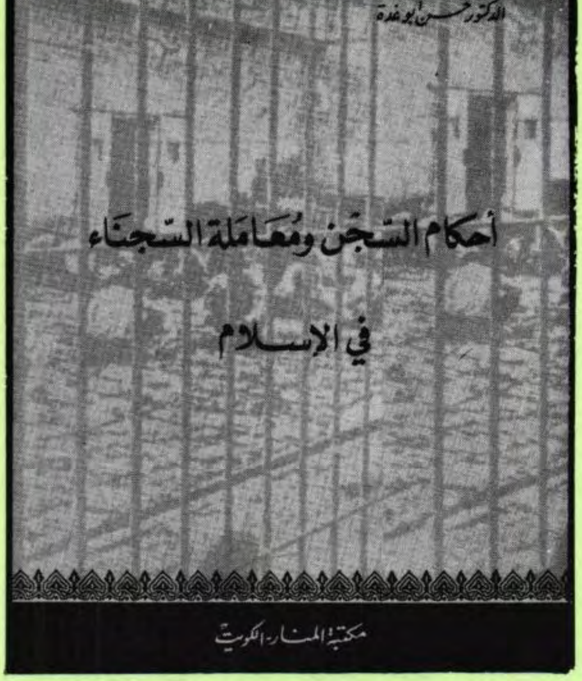
وقد عرض المؤلف في كتابه الوان الحبس في القديم والحديث : عند

الفراعنة واليونان والهنود ، وعند الروم والفرس ، وعند العرب وغيرهم ، ثم في الاسلام حتى العصر

الحديث ورسم ما تخللها من مآس ومخاز ، وبخاصة في الباستيل في

القرن الثامن عشر ، وقارن ذلك بما كان من مآثر الحكام المسلمين

المصلحين ، حتى ظهرت الحركات الاصلاحية الاخيرة للسجون .



كما استقصى اوكاد النصوص الاسلامية التي تقرر ان الغاية من السجن الردع والاصلاح لا التنكيل

والاهمال . كما جمع جرائم السجن التي كانت منتشرة في المجتمع

الاسلامي ، والأحكام المتصلة بالسجناء من حيث العبادات

والتصرفات المالية والجنائية والاخلاقية وما يتعلق بالامور القضائية والأحوال الشخصية .

واستعرض تاريخ السجون قبل الاسلام وبعده ، وذكر سجون الجزيرة واليمن والعراق والشام ،

حتى وصل إلى سجون مصر والمغرب والاندلس ، وكتب عمن سجن فيها من المشهورين ، وطرح صورا وعبرا قيمة من التاريخ .

وتناول المؤلف هيئة أبنية السجون عند المسلمين وغيرهم ماضيا وحاضرا ، وما روعي فيها من اتساع

واضــاءة ونظافــة وتوفـير المـرافق والخدمات الاخرى او غير ذلك كما بين اهتمام المسلمين بتصنيف السجناء والسجــون بحسب الجنس والعمر والجريمة ومـدة العقوبـة وتقسيم السجون،هذا ومما زاد في اهمية الكتــاب زيــارة المـؤلـف لبــعض السجون ، واطلاعه على مجـريات الأمور فيها ، ومقارنتها بالنصوص الشرعية والقانونية .

وكان من دأبه الموازنة بين أهداف السجن ووسائله عند المسلمين وعند غيرهم في القديم والحديث ، وإبراز مدى اهتمام المسلمين برعاية السجناء وتعليمهم وتشغيلهم وإصــلاحــهم والاشراف على أسرهم .

وفي الكتاب دراسة ومعالجة لبعض المسائل المعاصرة : كإضراب السجين عن الطعام ، وحقه في الاطلاع على وسائل الاعلام المقروءة والمنظـورة والمسموعة ، وحق السجين في الخلوة بزوجته في السجن ، ونحو ذلك من المسائل المهمة .

وفي الخــاتمــة : نــاقش المؤلف بأسلوب علمي منصف الانتقادات المـوجهة للسجن كتعـويق الانتاج وإفساد السجناء بعضهم ، وإرهاق خـزانة الـدولة ، والاضــرار بأسر السجنــاء ، والاصابــة بالأمــراض النفسية... وقد فندها كلها وأرجعها ـ بحق ـ الى القوانين الوضعية التي ازدادت فيها اهمية السجن في القرون الاخيرة ، حتى صار العقوبة الوحيدة المعمول بها أو يكاد ، بينما هو في الاسلام عقوبة احتياطية اضطرارية من بين خمس عشرة عقوبة تعزيرية اخــرى تأتي بعـد مرتبـة الحدود والقصاص .

و لقد أجاد المؤلف بعدئذ بتبيان محاسن السجن وفوائده ، وأيد ذلك كله بما نقله عن المسجونين في القديم والحـديث ، ومن تلـك المحــاسن : التعقـل والرشــاد ، وإدراك قيمـة الحرية ، واكتساب المهن المفيدة ، والتفرغ للتعلم والعبادة ، واستصلاح الجناة المنحرفين ، ومنع شر المجرمين عن المجتمع .

ومجمل القول : ان الكتاب يكشف عن كثــير من المبادىء والقـواعـد والنصــوص والوقــائع الاســلاميــة المقررة منذ مئات السنين ، والتي تلتقي معها المعاني والمبادىء الملاحظة والمرعية عند رواد المدنية الحديثة وفي سجون القرن العشرين .

هذا ، وقد وقع الكتاب في نحو سبعمائة صفحة من القطع الوسط ، جمعت مادته من المصادر العلمية القديمة والمراجع الحديثة الموثوقة .

وقد قرظ الكتاب عدد من الفضلاء المختصين في الشريعة والقانون . وهو بهذا كله يستحق القراءة ، ويستحق التبصر ، والله ولي التوفيق .

الفتاوى

« التصرف في الوصية »

جاء الى المجلة بعض الورثة يسألون عن قسمة الثلث الذي أوصى به المرحوم والدهم ولما كان بعض الورثة يجهلون الحكم على حد زعمهم طلبوا نشره في المجلة .

ـ من الثابت شرعا ، أن الوصية مقررة بالكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى : (**من بعد وصية يوصي بها أو دين**) كما جاء في طلب الايصاء أحاديث كثيرة ، ومن حكمة الوصية أنها قربة يتقرب بها الانسان الى الله عز وجل في آخر حياته من أجل زيادة حسناته أو تكفير سيئاته ، وتدارك ما فاته في حياته من بر وخير واحسان هذا الى جانب ما فيها من البر بالناس ومواساة المحروم واطعام الجائع ، ويلاحظ ان الوصية حق يتعلق بالتركة ، بعد تكفين الميت وتجهيزه وقضاء ديونه ، تنفذ وصيته في ثلث الباقي من التركة وما بقي بعد ذلك يقسم على الورثة حسب الأنصبة الشرعية المقررة ولا يجوز الجور على الوصية من جانب الورثة ، ولا يحل لهم توزيعها بينهم ، روى أصحاب المغازي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عام الفتح « لا وصية لوارث » وفي رواية « إن الله أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث » واذا كان الاسلام قد حافظ على حق الورثة ومنع صاحب المال أن يوصي بأكثر من الثلث ، فإنه يدعو الورثة الى المحافظة على الوصية والابقاء عليها ، وتوزيعها في وجوه الخير كما طلب الموصي . لأن الموت يقطع الأعمال الا الصدقة الجارية فإنها تلحق الميت ما دامت جارية . قال صلى الله عليه وسلم : (اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) وعلى هذا فلا يأخذ الورثة من الوصية الا اذا احتاجوا وذلك بوصف الفقر والحاجة والأقربون أولى بالمعروف .

(حول محاربة الحجاب)

زوجة مؤمنة رمزت إلى اسمها بالأحرف س .م .ح . تشكو من زوجها الذي يصر على أن تترك الحجاب ، تقول ماذا أصنع بعد أن هداني الله الى هذا اللباس الاسلامي الوقور ؟ أرجو أن تنصحوه خاصة وأنه يحرص على قراءة أبواب مجلتكم القيمة

- أزواج كثيرون تدفعهم الغيرة على العرض ، ويلزمون الزوجة بالحجاب إن كانت غير محجبة أو كان حجابها غير شرعي ، وينجح الزوج بالترغيب أو الترهيب في إقناع الزوجة بالحجاب المطلوب اما أن يلح زوج على زوجته لتفعل المعصية بعد الطاعة ، فهذا تصرف غير إسلامي وسلوك لا يتفق مع غيرة الرجال المسلمين على أعراضهم ، وهو يعلم أن السفور الذي يطلبه يعرض زوجته للنظرات الجائعة ، وقد غاب عنه أن هذه النظرات صورة من صور الزنا حيث قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري : « العينان تزنيان وزناهما النظر ... » وسماه النبي صلى الله عليه وسلم زنا ، لأن فيه من التلذذ واشباع الغريزة ما يتفق مع الزنا ننصح الزوج بالتزام ما جاء في الكتاب والسنة من الدعوة إلى التستر وصيانة العرض كما قال تعالى :

(وليضربن بخمرهن على جيوبهن ...) وكقوله سبحانه : **(يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما)** والأحاديث النبوية في ذلك كثيرة وكثيرة هداك الله يا أخي الى طاعة الله وامتثال أمره ، لا تعرض عن نداء الاسلام متأثرا بدعوة نادى بها أعداء دينك وعرضك وشرفك

- السفور لا يمكنها من الصلاة ويذيقها مرارة المعصية بعد احساسها بحلاوة الطاعة ويعرضها للشبهات وأطماع ضعاف الايمان والخلق ، لقد نعى القرآن الكريم على اهل الكتاب صدهم من آمن في قوله تعالى **(يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون)** واذا كان هذا النكير موجها لغير المسلمين ، فهو أشد على من كان مسلما .. يعلم الحلال والحرام ندعوك بالانتصار على نفسك الأمارة بالسوء ، ليعيش اهلكم في صيانة وأمان وفي جو اسلامي كريم .

« هل هذا ظهار ؟ »

أحد المقيمين في الكويت أرسل الى زوجته في مصر بوساطة شريط يقول لها فيه أنت مثل أمي بسبب نزاع عائلي ، ويسأل هل تحرم عليه بذلك ؟ وهل هذا ظهار ؟ كما يسأل عن كفارة الظهار .

ـ الظهار منه ما هو صريح ومنه ما هو كناية ، فالصريح ان يقول لزوجته . أنت علي كظهر أمي .

والكناية كأن يقول انت مثل أمي أو مثل أختي .. وصريح الظهار يقع ظهارا وان نوى به الطلاق وقد أجمع العلماء على أن الظهار حرام ، ولا يجوز الاقدام عليه ، أو التلفظ به ، لقول الله تعالى : (**الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور**) ومعلوم أن أول ظهار حدث في الاسلام كان من أوس بن الصامت قال لزوجته خولة . كلمة الظهار فذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاكية باكية . فقال لها ما عندي من أمرك شيء .. فقالت اللهم اني أشكو اليك ، فنزل قول الله تعالى (**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير**) الى آخر الآيات من سورة المجادلة .

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها ـ الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات ، لقد جاءت خولة بنت ثعلبة تشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا في زاوية من بيتي ، الا أسمعها وهي قريبة مني ولكن الله يسمعها وينزل في شأنها قرآنا من فوق سبع سماوات .

ويترتب على الظهار أمران . أولهما يحرم على المظاهر ان يقرب زوجته حتى يكفر كفارة الظهار . ثانيهما وجوب الكفارة وهي عتق رقبة ولا وجود لها الآن ، فيكون المطلوب صيام شهرين متتابعين ، ومن عجز عن الصيام يطعم ستين مسكينا ، هذا بالنسبة للظهار الصريح أما كناية الظهار كأنت مثل أمي أو أختي فيرجع فيها الحكم الى نية الحالف ، فان قصد بهذا القول ظهارا كان ظهارا وعليه كفارة الظهار ، وان قصد به طلاقا كان طلاقا وان لم يقصد به شيئا فلا يقع به شيء وعلى هذا فالحكم يتوقف على نية السائل وهو مسؤول عن نيته وقصده ، وانما لكل امرىء ما نوى .

مصير هذه الأمة واحد لا يتجزأ



عاد حضرة صاحب السمو امير البلاد بحفظ الله ورعايته الى ارض الوطن حوالي الساعة السادسة والربع من مساء ١١/١١ قادما من المملكة الاردنية الهاشمية بعد ان حضر مؤتمر القمة العربي الطارىء الذي عقد في عمان. وكان في استقبال سموه على ارض المطار سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء والشيوخ والوزراء وكبار رجالات الدولة .

وقد رافق سموه في العودة نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية الشيخ صباح الاحمد الجابر ومستشار سموه عبدالرحمن سالم العتيقي ووزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء السيد راشد عبدالعزيز الراشد بالاضافة الى عدد من كبار موظفي الديوان الاميري ووزارة الخارجية ورئيس مجلسالادارة المدير العام لوكالة الانباء الكويتية ورؤساء تحرير الصحف المحلية .



وقد ادلى سموه بالتصريح التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم

في مثل هذه الظروف التي تجتاح امتنا العربية حيث تتعرض لمختلف التهديدات التي تمس كيانها كأمة ذات رسالة انسانية خيرة وكوجود عربي وحضارة عربية، في ظروف كهذه تواجه الوطن العربي اليوم وتهدده بالفرقة والتباعد تأتي الاهمية البالغة للقاء العربي في عمان .

فلقد كان الاخوة القادة العرب متفهمين تماما ومدركين لدقة الظروف الراهنة وخطورتها على الكيان العربي ومن ثم كان تطلعهم مثل شعوبهم ان تكون هناك نتائج إيجابية تعيد الى العرب جميعا امالهم كأمة واحدة تثبت مقدرتها على مواجهة كافة التحديات مهما كانت خطيرة وتذكي في نفوسهم الوعي الصحيح لعمل جاد من اجل الحاضر والمستقبل ومن اجل تقوية اواصر الاخوة العربية ورباطها الوثيق .

ان روح القمة العربية غير العادية في عمان تترجم احساس الفرد العربي بان امته التي تواجه التحديات

منذ سنين آن لها الاوان ان تقف موحدة في الرأي والهدف والعمل وانها بدون هذا الموقف الجوهري ستفقد قدرتها على المخاطر المحدقة بها .

ولهذا فان الخطوات الايجابية التي اتخذت في قمة عمان هي علامات مهمة على طريق مستقبل امتنا العربية نحو الهدف المشترك وهو وحدة المواقف ووحدة الرأي .

كما انها تأكيد صريح على ان مصير هذه الامة واحد لا يتجزأ كما هو واضح من تاريخها الطويل عبر القرون وان اي اخلال بهذا المفهوم سيجعل البلدان العربية فرادى يواجه كل بلد تحديات هـذا العصر المليء بمختلف المخاطر .

ان العرب اليوم يواجهون مسؤولياتهم التاريخية تجاه اجيال الحاضر والمستقبل ولا بد من ان يكونوا على هذا المستوى الرفيع من المسؤولية والامة العربية بكل تأكيد تستطيع ان تثبت للعالم اجمع انها قادرة على مواجهة مختلف العواصف بعزم وقوة وايمان .

ويطيب لي هنا ان اشيد بالدور المهم الذي قام به صاحب الجلالة الاخ الملك الحسين بن طلال ملك المملكة الاردنية الهاشمية وما بذله من جهود لعقد هذا اللقاء العربي التاريخي رغم ما يكتنف واقعنا من ظـروف وتحديات عصيبة .

واود ان اشيد كذلك باصالة الشعب الاردني الشقيق الذي احتضن بلده المضياف هذا الحشد العربي الكريم واسجل تقديري للاخوة القادة العرب لما ابدوه من روح اخوية ودية وايمان مخلص بقضايانا هذه الروح التي اوصلت مؤتمر القمة العربي غير العادي الى هذه النتائج الطيبة .

واحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق كما ادعوه جلت قدرته ان يسدد خطانا جميعا لما فيه خير امتنا العربية المجيدة وديننا الاسلامي الحنيف .

النص الكامل للبيان الختامي لقمة « الوفاق والاتفاق »

ادانة الاستفزازات والاعتداءات الايرانية وتضامن عربي كامل مع الكويت



اصدر مؤتمر القمة العربي غير العادي مؤتمر الوفاق والاتفاق في ختام اجتماعاته في عمان امس البيان الختامي التالي الذي القاه السيد الشاذلي القليبي الامين العام لجامعة الدول العربية .. بيان ختامي صادر عن مؤتمر القمة غير العادي المنعقد في عمان - المملكة الاردنية الهاشمية خلال الفترة من ١٧ - ٢٠ ربيع الاول ١٤٠٨ هجري الموافق من ٨ - ١١ تشرين الثاني ١٩٨٧ ميلادي . استجابة لارادة قادة الدول العربية التي استند اليها قرار مجلس جامعة الدول العربية في دورته الطارئة المستأنفة في تونس بتاريخ ١٤٠٨/١١/٢٦ هجرية الموافق ١٩٨٧/٩/٢٠ ميلادية

وتلبية لدعوة من جلالة الملك الحسين بن طلال ملك المملكة الاردنية الهاشمية اشتضافت العاصمة الاردنية عمان مؤتمر القمة العربي في دورة غير عادية انعقدت خلال الفترة من ١٧ - ٢٠ ربيع الاول ١٤٠٨ الموافق من ٨ - ١١ تشرين الثاني ١٩٨٧م .

وانطلاقا من موقع المسؤولية التاريخية ومبادىء القومية العربية ومن علاقات الاخوة وتشابك المصالح الامنية والسياسية والاقتصادية وروابط الحضارة والتاريخ .. وادراكا لما يمر به الوطن العربي من مرحلة دقيقة عصيبة وما يواجه من تحديات تستهدف حاضره ومستقبله وتعرض وجوده للاخطار ووعيا لما تسببه حالة الفرقة والشقاق من وهن يفتت امكانات الامة العربية ال ويبعثر طاقاتها استأثر موضوع التضامن العربي باهتمام القادة العرب فتدارسوا مختلف جوانبه وتبينوا مواطن ضعفه واماكن خلله ..

فكان تأكيدهم على وجوب دعمه وتعزيزه اولوية توحدت عندها اراؤهم . والتقت كلمتهم على ان التضامن العربي هو السبيل الوحيد لتخفيف كرامة الامة العربية وعزتها ودرء الاذى والضرر عنها .. واجمع القادة على تجاوز الخلافات وعلى ازالة اسباب العجز وعوامل التمزق والانقسام وقرروا من منطلق الوفاء لوطنهم وصدق الانتماء لقوميتهم اعتماد التضامن قاعدة اساسية لعمل عربي مشترك هدفه تجسيد وحدة موقفهم وبناء قدرات الامة العربية وتوفير عناصر القوة والمنعة لها . وقرر القادة بعد ان استمعوا الى خطاب جلالة الملك الحسين في الجلسة المغلقة الاولى للقمة اعتبارا الخطاب الذي اطلق فيه جلالته شعار « الوفاق والاتفاق » عنوانا للمؤتمر وثيقة رسمية من وثائقه وجددوا تمسكهم بضرورة دعم التعاون العربي الافريقي وادانتهم للارهاب والتمييز العنصري اللذين يمارسهما النظام العنصري في جنوب افريقيا ودعمهم لنضال شعوب جنوب افريقيا وناميبيا والتزاما بميثاق جامعة الدول العربية ومعاهدة الدفاع المشترك وميثاق التضامن العربي .. وتأكيدا للعزم على حماية الامن القومي العربي وصيانة الارض العربية .. وفي جو مفعم بروح الاخاء والمحبة الذي ساد لقاء عمان تصدر موضوع الحرب بين العراق وايران والوضع في منطقة الخليج جدول اعمال المؤتمر . وقد اعرب القادة عن قلقهم من استمرار الحرب وعبروا عن استيائهم بسبب اصرار النظام الايراني على مواصلتها وتماديه في استفزاز وتهديد دول الخليج العربي وادان المؤتمر ايران لاحتلالها جزءا من الاراضي العراقية ومماطلتها في قبول قرار مجلس الامن الدولي رقم ٥٩٨ وطالبوها بقبوله وتنفيذه بالكامل وفق تسلسل فقراته الكاملة وناشدوا المجتمع الدولي تحمل مسؤولياته وبذل جهود فعالة واتخاذ الاجراءات الكفيلة بحمل النظام الايراني على الاستجابة الى نداءات السلام . واعلن المؤتمر تضامنه مع العراق وتقديره لقبوله قرار مجلس الامن رقم ٥٩٨ وتجاوبه مع كافة مبادرات السلام واكد تضامنه مع العراق ودعمه له في حماية ارضه ومياهه وفي الدفاع عن حقوقه المشروعة .

واستعرض القادة تطورات الوضع في منطقة الخليج وما ادت اليه التهديدات والاستفزازات والاعتداءات الايرانية من نتائج خطيرة . واعلن المؤتمر تضامنه مع الكويت في مواجهة عدوان النظام الايراني كما اعلن شجبه للاحداث الاجرامية الدامية التي اقترفها

تضامن مع السعودية واجماع على تجاوز الخلافات وازالة اسباب العجز والانقسام



الايرانيون في رحاب المسجد الحرام بمكة المكرمة .. واكد المؤتمر تأييد الكويت في كافة ما اتخذه من اجراءات لحماية اراضيها ومياهها ومن اجل ضمان سلامة امنها واستقرارها واعلن مساندته لها في التصدي لتهديدات النظام الايراني واعتداءاته كما اكد المؤتمر تضامنه الكامل مع المملكة العربية السعودية وتأييده التام للاجراءات التي تتخذها لتوفير الاجواء المناسبة كي يؤدي حجاج بيت الله الحرام شعائر الحج في امن وخشوع ومنع اية اساءة لحرمة بيت الله الحرام ومشاعر المسلمين واكدوا رفضهم لاية اعمال شغب في الاماكن المقدسة تمس بأمن وسلامة الحجاج وسيادة المملكة العربية السعودية . ودعا الدول والحكومات الاسلامية الى تبني هذا الموقف والوقوف ضد الممارسات الخاطئة التي تتنافى وتعاليم الدين الاسلامي الحنيف .

وبحث المؤتمر موضوع النزاع العربي الاسرائيلي واستعرض تطوراته على الساحتين العربية والدولية وجدد التأكيد بان القضية الفلسطينية هي جوهر النزاع واساسه وان السلام في منطقة الشرق الاوسط لا يتحقق الا باسترجاع كافة الاراضي العربية المحتلة وفي مقدمتها القدس الشريف واستعادة الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني وحل القضية الفلسطينية من كافة جوانبها . واعلن المؤتمر ان تعزيز قدرة العرب وبناء قوتهم الذاتية وترسيخ تضامنهم وتجسيد وحدة موقفهم عناصر اساسية في التصدي للخطر الاسرائيلي الذي يهدد الامة



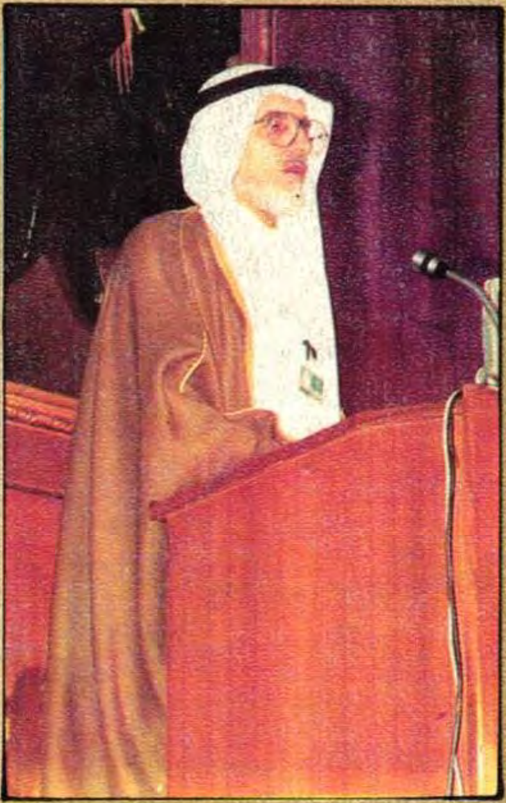
طبع في مطابع دار السياسة - الكويت

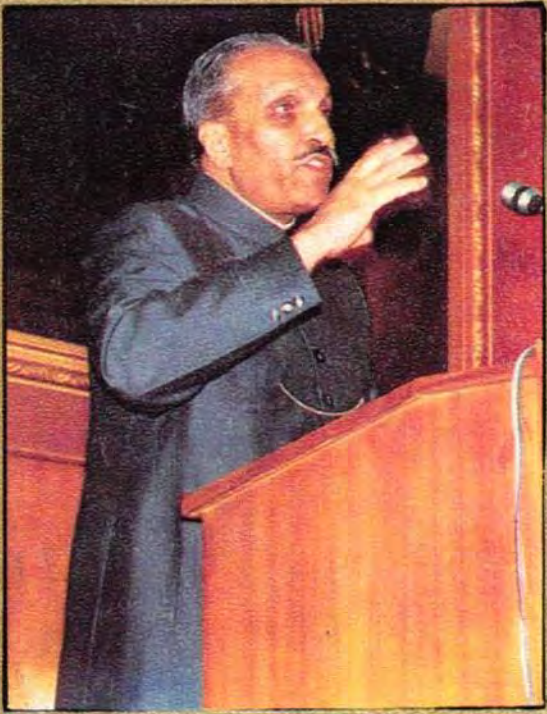
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٨١ ـ جمادي الأولى ١٤٠٨ هـ

يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ م



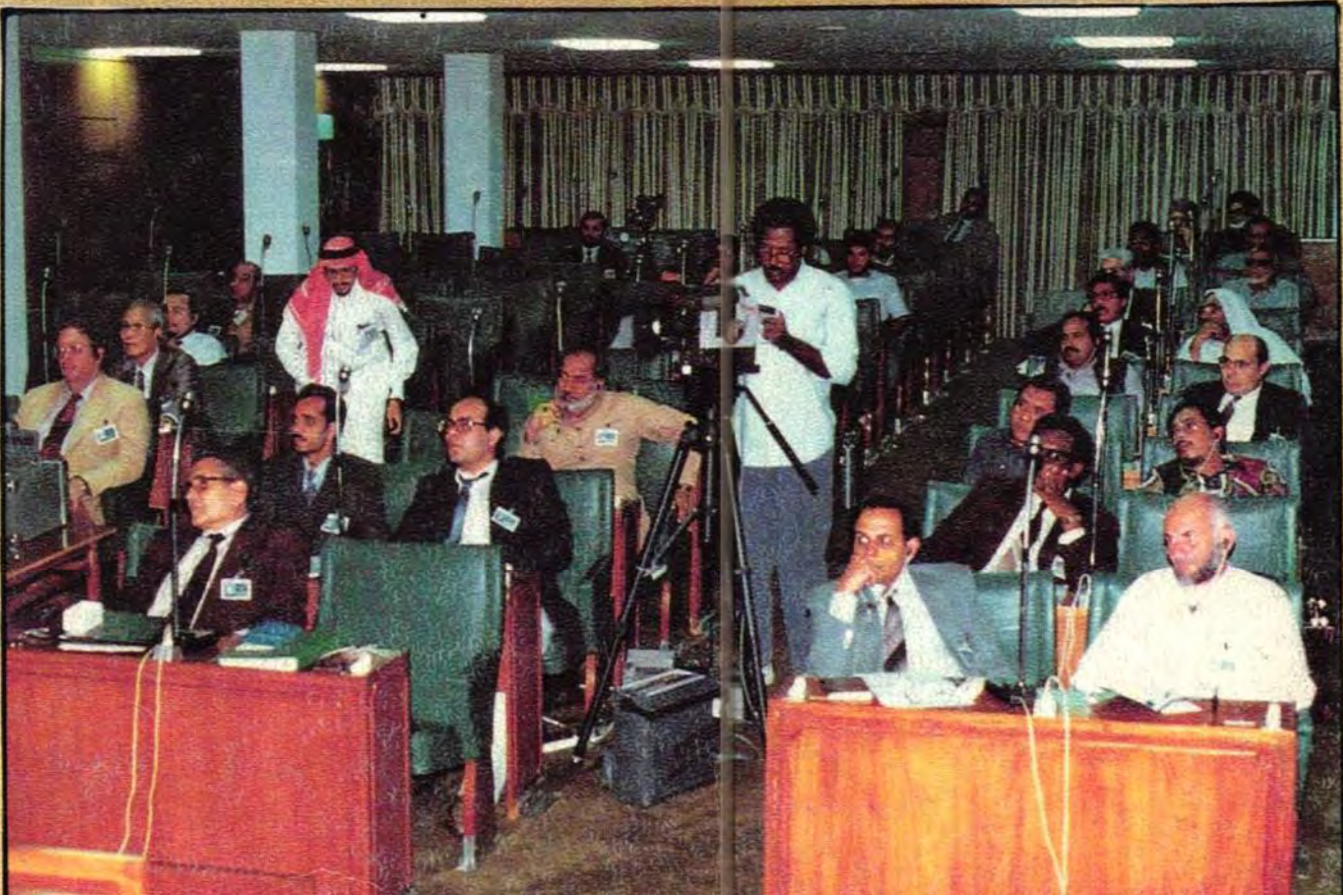


استطلاع العدد ص: ٦٨

هديتك مع العدد

مجلة براعم الايمان

الاعجاز العلمي في القرآن



محتويات العدد

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٨١ ـ جمادي الأولى ١٤٠٨ هـ / يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

الثمن

البلد	الثمن
الكويت	٢٠٠ فلسا
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما
السودان	١٥٠ مليما
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	٣ دراهم
البحرين	٢٠٠ فلس
العراق	١٥٠ فلسا
الاردن	٢٠٠ فلس
سوريا	ليرتان
لبنان	ليرتان
تونس	٢٥٠ مليم
الجزائر	ديناران
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	٣ ريالات
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا

بسم الله الرحمن الرحيم

كَلِمَة الوَعي

الخمر وراء كلّ بلاء

الناس أمام هذا الداء فريقان : فريق يراقب ربه في كل ما يأتي وما يذر ، خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه ، وشكرا لله على إحسانه الذي لا يحد ، ونعمه التي لا تحصى ولا تعد ، هذه المراقبة ، توقظ الضمير الديني وتحرسه ، وتربي في النفس حب القيم الفاضلة ، الهادية إلى الطريق السوي والخلق الكريم ، فلا يحيد عن تعاليم الاسلام التي ميزت الحلال من الحرام ، بل يسمو به الجانب الروحي عن هواتف المادة وطغيان الهوى واغراء الشهوات ، وإذا كان للغرائز سلطان لا ينكر ، فسلطان الايمان

أقوى وأقدر ، يضع لها ميزان الاعتدال ، ويكبح جماحها إذا تجاوزت الحد ، وهكذا تقف قوة الايمان أمام طغيان الغرائز فتحد من شرهها ، وتقوم من انحرافها ، وهي التي تمد الضمير الديني في نفس الانسان بمدد الخشية والمراقبة ، بها يمسي المؤمن ويصبح مراقبا لربه محاسبا لنفسه، متدبرا لعواقب الأمور ؛ فلا يأكل ما يضره ، ولا يشرب ما يذهب عقله ، أو يدمر عافيته، لذا لم نجد في الاوساط المحافظة التي تلتزم بالاسلام عقيدة وسلوكا ، إلا الصور الكريمة من الفضيلة والمشاعر العَفَّة ، والأخلاق النظيفة ، لا مجال فيها لسهرات حمراء ، ولا تقام في أحيائها مائدة للقمار ولا ترى مجلسا للخمر أو المسكر ، ولا أثر فيها لأي من ذلك سرا أو علانية ، لأن التربية الدينية أيقظت الضمائر ، فأعطت الاشارة الخضراء على طريق الطاعة وصالح العمل ، كما أعطت الاشارة الحمراء انذارا بالخطر وتحذيرا من طريق المعصية ومسالك الشر ، ما دامت تؤدي الى القلق والألم ، والعذاب والندم ، ومما لا شك فيه از التربية الاسلامية تزدهر في جوها الفضائل ، وتصدق النوايا ، وترتقي الأخلاق إلى أفق السمو والكمال ، بها يسعد الفرد ويرقى ، وفي ظلها يعز المجتمع ولا يشقى ، هذا الصنف من الناس ، لا يقصر في جنب الله ، ولا يعتدي على حرماته ، يصون عقله كما يصون عرضه ، لا يتلف ماله أو يهدر كرامته ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ، .

● الفريق الآخر يخف وزن الايمان عنده ، فينقاد لأمر هواه ، لا يلبي للضمير نداء ولا يحسب لله حسابا ، يعيش غافلا عن نفسه ، أسير شهواته ولذاته ، وصدق الله العظيم : (**ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله** ...) القصص/ ٥٠ ومن الضلال المبين والخسران المدمر ، جناية الانسان باختياره على عقله ومقومات وجوده وهو يعاقر الخمر ويمارس المسكر ، انه في مجلس الكاس والطاس يغتال كرامته ، وفي دنيا الناس يجلب العار لنفسه وأسرته ، والازعاج لمجتمعه وأمته ، وصدق القائل :

فذاك الذي ان عاش لم ينتفع بــه
وان مــات لا تبكي عليــه أقــاربــه

ومن هنا دعا الاسلام إلى المحافظة على الضرورات الخمس وهي : الدين والنفس والمال والعقل والنسل ، وصرح في مصادر تشريعه بتحريم كل ما يضر بشيء من هذه الضرورات المذكورة ، في نصوص محكمة لا تقبل التأويل بحال من الأحوال ، وذلك من أجل صلاح الأمة وسعادة الفرد ورقي المجتمع ، ومما هو معلوم أن الخمر وكل ما هو مسكر ، يخامر العقل فيحجبه ويستره عما حوله ، ومن شر ما يصاب به الانسان ، أن تكون مصيبته في عقله ، اذ لا يكون الانسان إنسانا إلا بالعقل وإلا كان في عداد الدواب،منْ الناس الذين ينصرفون باختيارهم عن تصفح الهدى ، وعن سماع الحق والنطق به ؛ كأنهم صم لا يسمعون ، بكم لا ينطقون ، وقد غلبت عليهم أهواؤهم ، فعطلوا طاقة العقل وحركته في التمييز بين الخير والشر ، فكانوا من الأخسرين أعمالا ، وكانوا في حكم الله من شر الدواب ، وصدق الله العظيم : (**إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون**) الأنفال/٢٢ . ومما لا شك فيه أن عشاق الخمر ، يمارسون باختيارهم اغتيال عقولهم وهي من أجل النعم التي ميز الله بها الانسان وفضلهم على كثير من خلقه ، وليس في عداد الانسان من يدمر عقله بارادته ويجني عليه باختياره ، بل ينحط بجنايته عن مستوى الحيوان الذي لا يعقل ، ولقد قال الحكماء من العرب في الخمر : « إنها تحيل صاحبها إلى ثلاثة أشكال من الحيوانات ، أول الأمر يكون الشارب كالطاووس مختالا معجبا بنفسه ، وتالي الأمر يصبح كالقرد خفيفا دون اتزان ، ونهايته يصير كالخنزير نجسا يتمـرغ على الأرض » ! وإن مجتمعات تعيش في هذه المخازي ، وتستسلم لهذا الداء ، لجديرة بالضياع والزوال والفناء ، وهذا هو ما خطط له الاستعمار في كل بلد حل به من بلاد المسلمين ، وكانت الخمر وكانت المسكرات من أقوى الأسلحة فتكا وأشدها خطرا في يد الأعداء ، لأن سمومها تنتشر في الأجسام دون مقاومة ، تفتك بالعقول ، وتلتهم القوى ، وتعطل

الطاقات ، وتشيع في الشاربين روح الاستهتار وعدم المبالاة بالقيم وشرف السلوك ، تفعل المسكرات كل ذلك في صمت ودون صخب أو انفجار ، وتحقق من الهدم والانكسار ما لا تحققه الجيوش الغازية !

وبهذا التخطيط الحاقد مرت ظروف صعبة بأمة الاسلام في القرون الأخيرة ، وذاقت الأفراد والشعوب ويلات المسكرات ، التي مهدت الطريق لانهيار أخلاقي محزن هز كيان المجتمع بالفساد العاصف والجرائم المنكرة ، يوم امتلأت الحانات بفئات تتبع الهوى ، وتتيه غراما بحلاوة السم المدسوس في العسل ، مما جعل الأعداء يضحكون طويلا لنجاح خطتهم ، وهم يرون ضحايا الخمر والمسكرات في عداد المجرمين ، تمتلىء بهم السجون ، أو المصابين في عقولهم وأبدانهم قد أودت بهم أم الخبائث إلى مصير غير كريم . لذا كان الاسلام حاسما كل الحسم في محاربة أم الخبائث وإبعاد المسلم عنها ولم يكتف بتحريم شربها قليلها وكثيرها ، بل حرم ملابستها ببيع أو شراء أو إهداء أو صناعة أو ممارسة ، ومن أجل ذلك لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها وبائعها وآكل ثمنها والمشتري لها والمشتراة اليه ـ ولقد بادر القرآن الكريم بتحريمها والدعوة إلى اجتنابها ، وقررت السنة تشريع حد الشرب ، سدا لكل منافذ أخطارها ، وصيانة للأمة من رجس هذا الداء وويلاته ، وليبقى الدم الاسلامي حارا في عروق أبنائه ، يقيمون شرع الله في قوة ، ويرهبون عدو الله وعدوهم ، بالدعوة إلى الله على بصيرة بالعقول المفكرة والسواعد البناءة ، وفي ظل سلامة الحواس وصفاء الروح نستعيد أمجادنا ونكون بحق خير أمة أخرجت للناس .

رئيس التحرير
حسن مناع

أيها المسلمون أفيقوا

محمد مؤذن

للدكتور
محمد محمود متولي

كثيرة هي الدراسات التي نقرؤها دون ان تتعلق بها أنفسنا أو تترك أثرا عقليا فينا وقليلة جدا الدراسات التي تحفر آثارا غائرة في عقولنا وقلوبنا ومنذ فترة طويلة تطلعت نفسي كما تتطلع أنفس الكثيرين من أبناء الأمة الإسلامية لدراسة وتأمل أسباب تخلف الأمة الاسلامية عن الأمم الاخرى ، وقد وقع في يدي حلقة تحمل رقم (٢) من مقال بجريدة الاهرام كتب حوالي (١٩٨٠) كتبه الأستاذ مكرم محمد أحمد عن اليابان ، ومثل هذا المقال يعرض تجربة حية وماثلة للعيان وآثارها شاخصة أمام أعيننا في منتجات ذات جودة عالية وتكنولوجيا معقدة وفي مجالات متنوعة .

وبدايات النهضة فيها بدأت مع بداياتنا في الوطن العربي والاسلامي ، مع ندرة في المواد الخام هناك ، ووفرة في المواد الخام عندنا ، وهزيمة في حرب عالمية طاحنة هناك ، وبدايات تحرر من الاستعمار هنا ، ولكن الذي حدث انهم تقدموا وبقينا نحن عند نقطة البداية او تجاوزناها ، ولكن في خطوط لم توصلنا إلى النهضة أو لم تبلغنا ما بلغوه ، من تقدم صناعي وتكنولوجي مذهل .

وفي الوقت الذي يتنادى فيه عشاق التغريب والانسلاخ من جلدنا العربي والاسلامي وكأن اسلامنا وعروبتنا هي سبب تخلفنا نرى في اليابان مزجا بين القديم والحديث والفرد والجماعة ، ونرى مبالاة الى حد السهر على حماية المصنع كما يسهر الجندي على حراسة حدود وطنه ، بل وحرصا على القديم بصورة اقرب الى التقديس .

وفي ذلك يقول الاستاذ مكرم محمد أحمد

١ ـ لقد نجحت اليابان لأنها عرفت كيف تمزج بين أصالة الماضي وروح المعاصرة بين المهارة الرشيقة لأصابع الحرفيين القدامى وتكنولوجيا العصر المتطورة ..

٢ ـ كما ان هذا الإحساس القوى الذي يربط الياباني الى جماعته في الحي أو في القرية .. يعطي اليابان الآن المعادلة الساحرة بين واجب الفرد وحق المجموع ، هو الذي يزكى هذا الاستعداد الطبيعي الكامن في كل فرد بأنه عضو في فريق ، كما يعطى الجميع الاعتقاد بان نجاح الفرد مربوط بنجاح جماعته ، وان تقدمه مرهون بتقدم مصنعه ، لا يعرف اليابانيون اللامبالاة ، إنما يعرف الياباني أن اللامبالاة سوف ترتد على مصيره ! ثم يتحدث عن الصفات التي صنعت تقدم اليابانيين فيقول : وفي الياباني من صفات المحاربين الاعتداد والشجاعة وروح الفداء والاحساس القوي بالانتماء ، وفيه روح الفنان فهو مرهف الحس سهل التأثر ، رقيق نشيط ، محب للبحث ، ذو ولاء وصبر ، شديد الاستيعاب لأدق التفصيلات ، قادر على الفهم السريع والاقتباس والمهارة العلمية .

إن عالمنا الاسلامي يشكل وحدة لو نسقت لما احتاج إلى شيء ولأمكنه أن يصنع تكاملا يغنيه عن مد اليد الى غيره ، ولدينا المواد الخام ، ورءوس الأموال والأيدي العاملة وسبل المواصلات .. الخ ولكن هذه الاشياء موجودة في حالة توهان او تمزق او بعثرة وفي ذلك يقول باول شمتز صاحب كتاب « الاسلام قوة الغد العالمية » : ان عودة المسلمين الى القوة تتحقق إن هم أحسنوا استثمار مواردهم الطبيعية وعرفوا كيف يستخرجونها ويستفيدون منها ، وإن هم استفادوا من موقعهم الجغرافي في العالم وإن هم تعلموا التكنولوجيا كما تعلمها الاوربيون ، وإن هم استفادوا من الزيادة المطردة في عدد السكان .

فلننظر ماذا فعلنا بموادنا الخام وماذا فعلت اليابان وهي تستورد ٩٨٪ من بترولها من الشرق الأوسط فمن ناحية تحقيق معدل عال للتنمية تفوقت اليابان ومن ناحية الادخار وصلت مدخرات اليابانيين مع غلاء الأسعار الى ٢٠٪ لأنهم يعلمون ان مدخراتهم هي الطريق إلى التنمية وقد حققت في سنة (١٩٧٩) فائضا بلغ (١٧,٧) بليون دولار بينما حققت دول البترول (١١) بليون فقط .

إننا في عالمنا الاسلامي إما فقراء لاهثون وراء الكفاية وإما أثرياء لاهثون وراء الترف لدرجة جعلت الناظر في احوالنا يتعجب ويتساءل لمن ولاؤنا ، هل هو لشهواتنا وامزجتنا أم

لديننا وأوطاننا وهـل نحن نخطط لمستقبل ام تائهون في التيـه نعيش لحظتنا ، واليوم ـ كمـا قال امـرؤ القيس ـ (خمر وغدا أمر) والعامل يعمل الشيء فلا يبالي بسمعته ولا بسمعة مصنعه ولا بسمعة وطنه ولا بسمعة دينه المهم ان يربح الربح العاجل في لحظته او يومه ولا يبالي بما سيصيب أمته أو شعبه غدا ومرة أخرى أعود لمقال الاستاذ مكرم عن اليابان يقول :

٣ ـ لقد نجحت اليابان ليس لأنها تستخدم فقط أساليب تكنولوجيـة متطورة ولكن لهذه العقيدة التي تقرب من رسوخ الدين فتدفع الياباني لأن تكون علامة (صنع في اليابان) دلالة الجودة وقلة التكلفة حتى تظل اليابان قادرة على المنافسة الشرسة في سوق التجـارة الـدوليـة . وفي هـذا من التضحية والولاء والطاعة ما مكنهم من ان يكسبوا لليابـان معركتهـا الاقتصادية ـ الى هنا والحديث عن اليابان فإذا انتقلنا الى الحديث عن بعض الحالات لبضائع قادمة من بلادنا وقد يكون ما اذكر حالات سهو أو إهمال فردي ولكنها واقعة على أي حال ، كمية من الأحذية واردة من إحدى الدول العربية وجدت مثلا اثنين يمين او واحدة مقاسها مختلف عن الأخرى ... الخ إننا لو نظرنا الى حديث الاسلام عن العمل لوجدناه يتحقق في رؤية الله ورسوله والمؤمنين ثم يكـون عليه الجـزاء الأخـروى ولوجدناه يوزن بدقة الذرة ولوجدناه يجب ان يكون متقنا فإذا انتقلنا إلى الوقت وجدنا المسلم محاسبا عليه ؛ ووجدنا القسم به في شتى ازمنته في القرآن الكريم بالفجر وبالليل وبالنهار وبالضحى وبالعصر ماذا يعني هذا ؟ انه يعني ان له قيمة في صنع حاضر الانسان ومستقبله على هذه الارض وبعد ان يخرج من الدنيا الى الاخرة .

ومرة أُخرى اعود إلى مقال اليابان لأُرى

علاقة العمل الراقيـة بين الادارة والعامل،ادراك العامل بان استفادته رهن باستفادة المجموع

تفتح الصدور للاقتراحات والمكافأة عليها

انعدام المسحوبية والرشوة

وفي مقارنة بين فاقد الوقت في اليابان والولايات المتحـدة والمانيـا الغربية نجد أن عدد الأيام المفقودة في اليابان (٩٣٠) الف يوم عمل

وفي الولايات المتحدة (٣٣) مليون يوم عمل

وفي المانيا الغربية (٢٨) مليون يوم عمل فإذا انتقلنا إلى ساعات العمل وجدنا الياباني يعمل (٢١٤٦) ساعة سنويا والامريكي (١٩٣١) ساعـة سنويا ، الالمـاني (١٧٢٨) ساعـة سنويا . وعن عدم غرامهم بتشييد الابنية يقول كـاتب المقال : يكفي حوائط ومكائن،حوائط تقي العمال تقلبـات الجو،ومكـائن عـلى أرقى مستوى .

وهي تخصص (٦٪) من دخلها العام للأبحاث لأنها تـرفض فكرة استيراد التكنولوجيا لانها في نظرهم غير صحيحة فبدلا من الاعتماد على الغير تستورد الفكرة وتشتل في الارض اليابانية ويعملون على تطويرها هناك

وفق ظروفهم ..

لقد ذكرني ذلك بمن ينتظرون من الولايات المتحدة او روسيا ان تعطيهم التكنولوجيا ، ونسوا أنها أجيال يأتي كل جيل ليتقدم على ما قبله فإذا أعطانا الغرب فماذا يعطينا ثم هل يتصور ان يبذل قوم جهودا مضنية لعلماء ومفكرين ومهندسين ثم يهدوا هذا لكسالي أو حتى لنشطين ، إن لكل تقدم اسراره ونواميسه وألغازه وكل من يصل إلى شيء من هذا يحاول استبقاءه لنفسه إلا أن يسرق منه أو يتقادم فيعطيه للغير على انه قديم وكلمة أخيرة في مقال الاستاذ مكرم : إن التقدم الصناعي في بلد ما هو في النهاية حصاد جهد شعب هذا البلد وان التحديث لا يعني بالضرورة التغريب كما أن المعاصرة لا تنفى الأصالة وسبب آخر لنجاح اليابان هو انسياب المعلومات على كافة افراد الشعب حتى تولد عند الياباني حرص شديد على القراءة لدرجة تسجيل المعلومات وتصنيفها على شرائط الحاسبات الالكترونية وهذا لن يكون إلا بتشجيع التعلم وحفز الابتكار وترقية المواطن المسلم ثقافيا ورفع الإحساس بالمشاركة وان الحضارة او التقدم هي مجموع الساعات التي يعملها شعب ، وإن اول لوازم التقدم كما يرى المفكر الجزائري المسلم المرحوم مالك بن نبي هو : تحقيق جو يتيح فرصة تطبيق ما نتعلمه ، ويتيح لنا ان نستخدم الموجودات تحت قانونها بالذات لمصلحتنا الخاصة حيث نتمكن من امتلاك الطبيعة والهيمنة عليها ..

وهذا يتطلب تغييرا في الاساليب والعقول يثير في أبنائنا بواعث الابتكار والتطلع الى تطبيق ما يدرسونه تطبيقا عمليا نثيبهم عليه إن اصابوا وكذلك إن أخطأوا بلا قصد ما دام رائدهم الوصول الى الصواب وفتح الآفاق الى كشف جديد ولسوف يحتاج الأمر الى جهد من المربين والمفكرين ووسائل الإعلام والآباء والأمهات ولكنه جهد لابد منه ما دامت الانطلاقة لن تتحقق إلا من الانسان نفسه فإنه قبل كل شيء نصنعه لابد لنا من تحسين نوعية الانسان، ضميره وخلقه ونفسه . وهدفه وإحساسه وقد جربت مشاريع نجحت ابهر نجاح في بيئات ففشلت في بيئات اخرى اشد الفشل انه الانسان اولا، الانسان الذي استغرق زرع العقيدة فيه عمر النبي صلى الله عليه وسلم وصدق الله العظيم « **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » (الرعد / ١١)

إن أولى عبقريات الاسلام هي تغيير الانسان من عابد وثن إلى عابد إله واحد ومن فارغ من هدف أسمى إلى عاشق لهدف أسمى ومن ضائع الكرامة إلى خليفة لله في أرضه ومن تابع الى وصي على شعوب العالم التي تدين بغير الاسلام، مسئوليته أن يخرجها من الضلال الى الهدي ومن العمي الى النور وتلك تغيرات حضارية مسّت قيم الفرد وقيم الجماعة واختلطت بشغاف القلوب وجرت مجرى الدم في الانسان ومرة أخرى يقول المفكر الجزائري مالك عليه رحمة الله :

« إن التغيرات التي نشاهد

نتائجها بعد مدة طويلة في عالم الاقتصاد أحيانا هي في جوهرها تغيرات حضارية تعتري القيم والأذواق والاخلاق في منعطفات التاريخ بحيث تتغير معالم الحياة بتحول الانسان نفسه في إرادته واتجاهه عندما يدرك معنى جديدًا لوجوده في الكون وذلك كالتغيير الذي أحدثه الاسلام في الأمة العربية وهذا التحول لا يؤثر في عالم الأشياء ولا في المعقولات ما لم يؤثر في محتوى النفوس » وليس في عالم الناس شيء بمعزل عن التأثر بالأشياء الأخرى فقلة الانتاج في بلادنا مرتبطة بأنماط التربية وبطرائق التفكير وبنظام البيوت وبأسلوب الحكم ووسائل الاعلام والتعليم ، ان تحويل المنتج الى مستهلك لابد انه نتيجة من نتائج فقدان الاحساس بالذاتية وتحقيق الكفاية ولو للنفس ، وتحول الفلاح بعد بيعه ارضه الى بواب امام عمارة حلت محل حقله هو انقلاب في فكره جعله يؤثر الراحة على التعب والاستهلاك على الانتاج ومرة اخرى اعود الى مالك رحمه الله فأجده يقول :

إن الاقتصاد مهما كانت نوعيته المذهبية هو تجسيم لحضارة على شرط ان نحددها كمجموعة الشروط المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما ان يقدم جميع الضمانات الاجتماعية لكل فرد فيه ، فهذا التحديد الوظيفي يجعلنا نرى في الحضارة جانبين !

الجانب الذي يتضمن شروطها المعنوية في صورة إرادة تحرك المجتمع نحو تحديد مهماته الاجتماعية والاضطلاع بها .

والجانب الذي يتضمن شروطها المادية في صورة إمكان-أي انه يضع تحت تصرف المجتمع الوسائل الضرورية للقيام بمهماته أي بالوظيفة الحضارية .

فالحضارة هي هذه الارادة وهذا الامكان بحيث نستطيع الآن التعبير عن الاقتصاد بأنه الصورة المجسمة لهذه الارادة ولهذا الإمكان في ميدان خاص هو ميدان الاقتصاد وبهذا يوضح الاستاذ مالك رحمه الله ان العمل البنائي محتاج الى نية أو إرادة وإلى طريقة او نموذج يؤدي عليه العمل ونحن في مجتمعاتنا قد توجد لدينا الارادة ولا يوجد العمل وقد يكون ذلك لغش أو خور في العزائم ، وقد يوجد العمل في صورة حائرة زائفة تجعله عارا على صاحبه وخسارًا عليه والدليل على ذلك ما يبنى من مصانع وسرعان ما يبدو أنها لا ضرورة لها وما يقام من مشاريع سرعان ما تتعرض للخراب أو الاهمال ، إذ نحن نحتاج إلى ان نتعرف على ما نحتاج إليه وقد عرف غيرنا ما يحتاج إليه بل وما نحتاج إليه فانطلق يدرس مجتمعاتنا ونفسياتنا ويرسل بخبرائه الى بلادنا ويسمي انتاجه بأسماء بلادنا فهذه تنفع لكذا وتلك تنفع لكذا والنتيجة إغراق اسواقنا بمنتجاتهم وفتح صنبور المال الاسلامي ليتدفق الى بلادهم ثم يرتد سلاحا وسياسة معادية الى نحورنا .

والمسألة محتاجة كما قلت إلى تربية على العمل والانتاج والعمل من أجل الجماعة وإحياء روح الفريق والغيرة على سمعة الوطن وانتاجه كما

نغار على مصالحنا الخاصة .

إن الاسلام حول العمل إلى قيمة ترفع وتخفض وتدخل الجنة وتحول بين صاحبها والنار وهو جهاد وخلافة وتعمير، والله يقول « **فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** » الملك/ ١٥ جمل ثلاث مترابطة ارتبط فيها السعي في الارض بالأكل من الرزق بالبعث فأي تلاحم بين العمل وثوابه وبين الدنيا والآخرة اعظم من هذا التلاحم، إنه مشي في مناكب الارض لاستخراج خيراتها ومعرفة دروبها والبحث عن معادنها والسيطرة على منافعها وهو عمل يقترن بفروض العين « **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض** » الجمعة/ ١٠ فصلاة الجمعة فرض عين والعمل كذلك فليس هو نافلة للانسان الخيار في ان يقوم به اولاء وليس السعي في الارض ازجاء للوقت وإنما هو للتعمير وبذر بذور الهداية والسعي لاثراء المجتمع المسلم ، إذ ليس من المسلمين من لا يهتم بأمورهم ، ويغار على عزهم ، ويضيع عمره في الضار بدلا من النافع، وإذا كان المنتحر من اهل النار فمضيع عمره سدى هو من اهل النار ايضا ، ومن لم ينشغل بالنافع انشغل بالضار ، وكفى بالمسلم إثما ان يضيع عمره ، وهو هبة من خالقه ، فيما لا يعود عليه وعلى أمته بالفائدة .

واخيرا من الواجب علينا أن نحيي في الناس الحرص على أداء الواجب أكثر من الحرص على الحصول على الحق ، لأن الحصول على الحق دون أداء الواجب أنانية تؤدي بالمجتمع إلى التخلف .

ولن يتقدم مجتمع إلا بسواعد تعمل ويفيض من عملها شيء يقتصد او يصدر ولا ينبغي ان ننسي أن العمل الجيد هو خير اعلان عن نفسه ، وخير سفير لمن صنعه يعرف هذا من يدخل سوقا من الاسواق فيجد فردا او اكثر يبحث عن شيء من صنع البلد الفلاني وإذا وصلنا إلى حد الكفاية فهذا بداية السيادة لأن من يملك حد الكفاية ليس محتاجا إلى الخضوع او التبعية لغيره .

وإذا ما تجاوزنا الكفاية الى التصدير فهذا اقتصاد الازدهار والوفرة وهو ما يجعل مكانتنا تعلو بين الشعوب وثقتنا بانفسنا تزداد ، ونظرة الى اليابانيين او غيرهم ترينا كيف تعلو وتزداد مكانة الانسان وثقته بنفسه حين يحس انه عمليا وعلميا سيد نفسه ، إن الناس لا يحترمون من يحتاجهم ، وإنما يحترمون من يستغنى عنهم ويحتاجون إليه فماذا نحن فاعلون ؟

هل سنبقى راضين بما نحن فيه ، أم أننا حكومات وشعوبا سوف نضع نصب أعيننا أنه لابد من التغير ومحاولة اللحوق بركب العلم والتحضر ، وهو الركب الذي لا يحابي ولا يرشى ، وإنما يحتاج إلى مواصلة جد الليل بجهد النهار .

« **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » التوبة/ ١٠٥

وبعد : فالذين تقدموا اناسى ، ونحن اناسى ، لنا من العقول مثل عقولهم ومن الجهد مثل جهدهم فهل نصف أقدامنا على الطريق ، والألف ميل تبدأ بخطوة ؟

الإسلام

وتربية الصمود

للاستاذ / عبدالغني احمد ناجي

تهب الرياح عاصفة عاتية فيغمض الناس عيونهم ويداخلهم شيء من الذعر ثم تهدأ العاصفة فيفتحون عيونهم ويسري الهدوء الى نفوسهم وئيدا ثم يتطلعون ليجدوا بعض الكائنات الواقعة قد عانقت الارض بفعل العاصفة وبعضها مازال واقفا في شموخ وشمم فيداخل النفوس الإعجاب من هذا الكائن الصلد الذي بقى يصافح السماء وغيره ممدد على الغبراء .

هذه ظاهرة تحدث كثيرا ، وتفسيرها يتبلور في تحديد معنى الصمود وبيان أثره في إيجاز يتبعه البسط والتحليل . فالصمود خلق يكتسبه الشخص بالمران والمراس الطويلين حتى يصل الى مرحلة من مراحله او الى قمته الشاهقة وعندئذ نسمع تشبيه الآخرين له بالطود ونرى الأثر فنكاد ـ لفرط دهشتنا ـ نلحق التشبيه ـ وهو مجاز ـ بالحقيقة ولا نغلو إذا قلنا : لانجاح في الحياة بدون صمود وتلك قضية أثبت التجريب عبر التاريخ صدقها وصدقها يسلم الى تأكيد أهمية الصمود للفرد والجماعة في كل مجالات الحياة فالشدائد والأزمات وهي شبيهة بالأعاصير ـ لاتفتأ تهب على الانسان من كل جانب وهذه سنة الله في كونه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، والانسان أمامها إما أن يقف في صلابة لاتلين فيظل مرفوع الرأس ثابت الخطا هادىء النفس وإما أن يعتريه الضعف وتنهار قواه وتضعف عزيمته ولا يجد سبيلا للتنفس حتى يختنق ويبيد .. على هذين النمطين تسير رحى الحياة بالمخلوقات .

لما كان الأمر كذلك ولما كان الاسلام دين القوة والعزة ولا يرضى لمعتنقيه الضعف والهوان ـ فقد أخذ المسلم بصنوف عدة من التربية الهادفة ليصب فيه عناصر الصمود صبا أو ليصبه هو في قالب من الصمود فيخرج منه كالطود الراسخ لا تؤثر فيه الشدائد والازمات

ولما كانت أية توجيهات أو إرشادات لاتجدي أولا ينصاع لها المسلم إلا إذا برزت في نموذج حي على شكل تطبيقي لما يلقى من نظريات فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ هو النموذج الحي والأسوة الحسنة في هذا المجال ، فهو بشر مثلنا كما قرر الاسلام وكما قرر هو عن نفسه وتحكي السيرة العطرة من مواقفه صلى الله عليه وسلم ـ مايعد الخطوات الأمينة الثابتة في طريق الصمود فلقد ناشده الكفار ـ لما عيل صبرهم ـ أن يعبد آلهتهم وقتا ليعبدوا إلهه وقتا ، وقبل أن يحدث أدنى ميل أو تفكير في صلاحية هذا الحل نزل عليه ـ صلى الله عليه وسلم قول الحق تبارك وتعالى «**قل يأيها الكافرون * لا أعبد ماتعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ماعبدتم * ولا أنتم عابدون ماأعبد * لكم دينكم ولي دين**» وبهذه الآيات الكريمات التي تمثل السد الشاهق المتين أمام هذه الحلول المائعة الخبيثة ـ علم المشركون أنهم أمام نموذج بشري صلب لا يحيد عن الحق الذي يؤمن به قيد شعرة ، ولو كان في ذلك ضياع الحياة أو لو وضعت بين يديه ـ ليميل ـ كل مباهج الحياة .

وإن قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمام قريش وعمه ايضا «والله ياعم ـ لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» ـ هذا القول الصامد مازال يرن في أذن الزمان مجلجلا ومنبئا عن القلب الصمود ، والعزيمة الصلبة ، والارادة التي لا تلين ، بل تستهين بالموت في سبيل التمسك بالحق ، والدفاع عنه حتى ينتشر ويذيع .

بهذه الخطوات الثابتة كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم الرائد الأمين لأمته على طريق الصمود المنشود أمام مايعوق سيرهم في دروب الحياة وكان بنهجه القويم المعلم الفذ لتلقين الصمود لاتباعه بطريقة لاتضارعها كل طرائق التربية الحديثة ، ولا نتصور بل لا تتصور الدنيا بأسرها حالة الناس لو لم يسلح رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قِبَلِ ربه العزيز بالصمود لمجابهة أحابيل الكفر والكافرين وكأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يقول لكل مسلم واع عبر أربعة عشر قرنا من الزمان : مادمت ترى الحق في يدك أبلجاً ناصعا فالزمه حتى ينتصر ولو فارقت الحياة فإن ذلك عزٌ مابعده عزٌ .

وعندما يعجز المناوئون عن الجذب الى بؤرهم العفنة بالشدة والتهديد ربما يلجئون الى الإغراء الجاذب بما في الحياة من متع تجري وراءها النفوس البشرية لاهثة ناسية مابيدها من حق ، أو تاركة ماكلفته من هدى وتبصير، فلسد هذه الثغرات أمام

المسلم يرن صوت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في صمود فذ فريد : «والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ، على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» والأمر الذي يعنيه هو الحق ، وليس هناك أبلغ من التعبير بوضع الشمس والقمر في يد صاحب الحق ليتزحزح عنه ـ في إفادة الصلابة والصمود .

كانت هذه هي الخطوات الأولى في ارتياد طريق الصمود ولقد لمسنا فيها القوة والصلابة والثبات على الحق

ولما كان المسلم ـ بحكم بشريته ، وقبل تربية الصمود لديه ـ

ـ لايستطيع قلبه الثبات في مواقف الشدة العصيبة ـ فإن الاسلام الحنيف بتعاليمه الحكيمة الحصيفة يوالي الربط على قلب المسلم حتى يجعله كالفولاذ أو أشد وحتى يبهر في ثباته وصموده جميع البشر فلقد أرشده وهو في خضم الأزمات أن يقابل موجات هذا البحر المائج بذراعين قويتين بهما يستطيع السباحة بمهارة فائقة فينجو بدل التراخي الذي يسلم حتما الى غرق وضياع

هما هاتان الذراعان «الصبر والصلاة»

يقول الله تعالى في سورة البقرة . «**واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين**» البقرة / ٤٥ فالصلاة في أدائها الخاشع الضارع تحيل الانسان من بشر الى ملك شديد الإيمان بقضاء الله وقدره وبأنه لامناص من حدوث ما قدر في الأزل ، فلماذا النكوص والخوف الهالع ، ولماذا الندم وعض البنان ، فالأوفق لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يثبت أمام الشدة حربا كانت أم أزمات حتى تنجلي بالنصر والتفريج ، وهذا هو الصبر الذي يعتبر نتيجة للعنصر الأول ـ الصلاة ـ فمهما كان القلب هشا لينا كقلب الطفل الغض ـ فإنه بالصبر والصلاة يزايله الضعف ، وتسرى القوة فيه أو تتدفق ، وحينئذ نجد النموذج من البشر الذي يجابه الموت لا منتحرا ، أو برما بالحياة ، ولكن ليحافظ على الحياة ويدفع عنها ذئاب البشر أو ليرد الخراف الضالة الى المرعى الأمين متحملا في ذلك بالغ المشاق

ولا يزال القرآن الكريم يكرر هذا النداء : النداء بالصبر في مواقف تنخلع لها القلوب يكرر النداء ليوجد المسلم القوي الجديد بتحمل الرسالة ، والمستطيع تحقيق النفع له ولمجتمعه : «**يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**» آل عمران / ٢٠٠ .

وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يهرع الى الصلاة كلما حزبه أمر ليأخذ من الصلاة الرباط الوثيق لقلبه ، والجاذب له الى ربه وليكون في ذلك تطبيق لما يدعو إليه من تربية الصمود بالصلاة .

ولدى المسلم الصامد تبرز الإجابة عن السؤال المحيّر وهو : لماذا كلف الله تعالى المسلم المقاتل في الحرب ـ أن يقتل عشرة من الأعداء أو اثنين بعد التخفيف ؟ نقول تبرز الإجابة هنا لأن

المسلم الصامد المربوط على قلبه بالصبر والصلاة ـ يملك القلب الشجاع ، والقدم الثابتة ، والنفس المؤمنة الراضية ، في حين أن الكافر مجرد من هذه العناصر التي تكون القوة الدافعة الى مجابهة الخطر .

وإذا قرأنا سورة الأحزاب طالعتنا بعض آياتها بما يبهر من المواقف الرائعة للمؤمنين الصادقين ، وأرتنا أروع مظاهر الصمود تقول تلك الآيات :«**من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدنوا تبديلا**» الأحزاب / ٢٣ إن قول الله تعالى « **ومنهم من ينتظر ، ومابدلوا تبديلا**» يضع في مخيلتنا صورة طود أشم حاول العابثون أن يحطموه فلم ينالوا منه سوى خدوش في قشرته الظاهرة وهو كما هو ثباتا ورسوخا وشموخا ولعل هذا الموقف وأمثاله للمؤمنين في الصدر الأول تقفنا على أصدق نتيجة لتربية الصمود لدى المسلم .

حتى في السلم نجد للصمود الأثر نفسه ، فهناك المغريات البراقة ،

والمظاهر الجاذبة في الحياة التي تجنح بالمسلم عن الجادة السوية التي ترضي الله تعالى ، ففي هذا المنزلق نجد المسلم المتحصن بالصمود يشيح في

إباء ديني متزن ـ عن كل إغراء فلا ينزلق ناسيا خالقه ولايزهد في الحياة في انقطاع مشين ، بل هو المستجيب لنداء ربه الى التمتع بطيبات الحياة بقدر ، مع ذكر خالق الحياة ومبدع الكون ، ومصور الوجود في كل خطوة من خطواته وهو يعبر الحياة .

في تصوير هؤلاء المؤمنين المتزنين الذين لاتلهيهم الحياة عن خالق الحياة يقول القرآن الكريم في سورة النور : «.. **رجال لا تلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار**» النور/ ٣٧ .

وإذا كان المؤمن القوي ممدوحا وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ـ فإن المؤمن الصامد أدعى للمدح ، وأحق بحب الله له ، إذ هو محقق خيرا دائما .

وإذا قيل إن صمود المؤمن في جبهات القتال محقق نصرا للأمة ورقيا للمجتمع ، فإنه محقق نفعا لا يقل عما سبق أهمية ، وربما يفوق إذا صمد أمام مغريات الحياة ، إذ هو بصموده الصلد يغلق أمام نفسه كل منافذ السخط والبرم المؤديين إلى تزعزع الايمان ، وضعف العقيدة ، فالله تعالى يأمر بالصمود ، ويرشد إلى الجرعات المفيدة في تكوينه ، وتربيته :

من صبر ، وصلاة ، واستعانة بالله ، وعدم إيغال في التشبث بالحياة ثم تعانق تلك النتيجة الباهرة أختها أبهر منها ، وهي اطمئنان القلب ، ورضا النفس ، وقوة العقيدة .

وبعد ، فما أحرى كل مسلم أن يأخذ نفسه بتربية الصمود التي أصّلها دينه الحنيف ، حتى يتحقق لديه الصمود ، فيحقق به لنفسه ولأمته الخير المنشود والسعادة المبتغاة .

الإسلام

يقظة فكرية

للدكتور /

ابراهيم أبو الخشب

حينما جاء محمد صلى الله عليه وسلم للناس بهذا الدين الذي حمل لواءه ، اهتزت ارجاء الدنيا وأرهفت أذانها لتصغي الى هذا النداء الجديد . الذي دعاها الى ان تتخلص من الخرافات . وأن تترك تلك الترهات وان تنفض عنها غبار هذا الجهل الذي كانت تعيش فيه ، وهذه الأوهام التي كانت تسيطر عليها . وان تكفر بما توارثته عن الآباء والأجداد من الضلال المبين الذي كانت متمسكة به . ثم وجدت نفسها تلقائيا واقفة منه هذا الموقف الذي يقتضيها ان تفكر وتنظر . وتتأمل وتعي ، لأن كتابه الذي جاء به ، ودينه الذي كان يعلنه ، لم يكن ليرضى بالقسر ، او يكرههم على النزول على ارادته ، ولا الخضوع لرغبته ، بأسلوب المتسلطين ، او طريقة الجبارين ، اونهج المستبدين : « **انلزمكموها وانتم لها كارهون** » هود / ٢٨ وإنما كان يفتح المنافذ التي يدخل منها الهواء النقي . وهنالك شعرت النفوس التي كانت تعيش في هذا الجو الخانق ، أنها أمام حرية مكفولة ، وإرادة طليقة .

وان من حقها أن تأخذ ما تأخذ ، وتدع ما تدع ، وان هذا الدين يمتاز بالوعي والفكر . والتأمل والانتباه ، وأنه لا يرضى لأهله بتبلد الإحساس ، وغفوة الشعور ، ونوم هذا العقل ، وإنما يدعوهم دائما وأبدا إلى أن يكون لهم نظر وتأمل ، وصحو ويقظة . وفي القرآن الكريم مجال واسع لذلك كله .

وهو ينادى به . ويرغب فيه ، ويحث عليـه ، ويجعـل لـه من التقـديـر والاعتبار ، ما يصل به إلى حدود الفريضة المحتومة ، أو الواجبات التي لابد منها وربما حارب تلك العلل التي تقـاومها ، او تعتـرضها وتقف في سبيلها . ولا نبالـغ في القول . او نتجاوز الحد . إذا قلنا:إن الانسانية كانت ترزح في عبودية الفكر وأغلال الجهل ، قبل أن يرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم الذي أنصف الحق من الباطل ، والعدل من الظلم ، والهدى من الضلال ، والحرية من الاسترقاق ، وحسبنا أن نتصور كيف كانت هذه البشرية تعاني من التخلف

والطيش . والرجعية والتأخر . وهي تعيش في ليل دائم . وظلام قـائم « **وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها** » آل عمران/ ١٠٣ وقد أثبـت التـاريـخ أن اليـهـوديـة والنصرانية تقلص ظلهمـا ، ووقفت

حدتهما ، وانكمش سلطانهما ، لأن

الاسلام الذي أشاع الحرية ، وأيقظ

العقـل ، وأعلن العـدل ، ونـادى بالإنصاف . وهتف بالأذان . وشرع المساواة . قضى على الجمود . ومكن للحق . وقلّم أظافر البـاطل وأفهم الناس أن العبادة لله . وأن الآدمية ليست وقفا على السادة . ولا حكرا للرؤساء . وهنالك كان التمرد على الكنيسـة . والتكـذيب للـرهبـان .

والرفض لما يقول به هؤلاء من بيع قراريط في الجنة . وأخـذ صكوك الغفران . وصارت هنالك حينئذ حركة تجديدية تحاول ان تبعث العقل من رقدته ، والفكر من وهدته ، وبخاصة بعد هذه اللقاءات التي كانت مع المسلمين في الاندلس الذي دام حكمهم له ثمانية قرون واستقبلتهم هنالك المدارس والجامعات وقد أخذوا منها ،

وانتفعوا بها . وكذلك كان الاحتكاك الصليبي الذي دام أكثر من قرنين كاملين . وقد سجل مؤرخوهم ذلك ولم ينكروا هذا الأثر الذي كان من جراء ذلك كله من تحرر ويقظة . وتحلل من كثير من خرافات كانوا مستغرقين فيها . او متمسكين بها . وان الاسلام وحده كان صاحب الفضل في تفتح العقول . أو تحرر الأفكار . ليتخلصوا من هذه الرجعية التي كانوا ينسون معها ان لهم آدمية تقتضيهم من الحقوق والواجبات . ان يتخلصوا من هذا الرق ، وتلك العبودية .

ولايشك أحد في أن الاسلام الذي كانت له هذه الفاعلية في غير أهله ، كان له مثلها أو أكثر منها في أهله الذين يؤمنون به . ويعملون بما أمر به على أنه عقيدة لابد منها ، ولا استغناء عنها . وكان صلى الله عليه وسلم مع المسلمين هكذا يحثهم على التطلع،

ويدفعهم إلى التأمل . ويحبب اليهم النظر والاعتبار ، وأن يكون اليوم دائما أبدا خيرا من الأمس ... ولا يخطر بذهن انسان ان هذا النشاط الذي كان يحثهم عليه . أو يرجو ان يكون منهم . مما يتعلق بتحصيل الرزق . او جمع المـال . وتحصين الحصـون ، وإعـداد الجيـوش .

واستكمال القوى المادية التي يتقدمون بها غيرهم من اليهود والنصاري . لتكون لهم الغلبة عليهم ،

او السبق دونهم ، اما الفقه في الدين ، والعلم بكتاب الله وسنة رسوله فإنهما توقيفيان لا مجال فيهما لرأي أو فكر.

ونحن نعلم أن الكتاب والسنة قد استوفيا غايتهما : (**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا**)

المائدة / ٣ وليس من حق ذي عقل أو نظر أن يكون له هنالك زيادة أو تأويل ، واجتهاد أو رأي . ولا يدور بخلدنا ونحن نقول بحركة الفكر ، أو يقظة العقل . أننا نعمل على أن نسد ثغرة كانت مفتوحة . او نكمل نقصا كان موجودا . أو ما يشبه ذلك مما يشعر ان خللا كان باديا وكان لابد من العمل على تلافيه او تداركه .

وقد كان أحد الخلفاء يقول : والله لو ضاع مني عقال بعير لوجدته في كتاب الله ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يقول وهو في آخر أيامه : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي » رواه الحاكم ونحن نبادر الى

دفع هذه الشبهة . بأن مثل هذا الكلام إنما يرد على الذهن إذا كان هذا متعارضا مع هذا الدين الذي ثبت له التمام والكمال .لأن هذه الإضافات أو تلك الحركات من معين الدين ،

وليست غريبة عنه ، ولا زائدة عليه ، وأنها تلتقي معه بعنوان او بآخره ولابد أن نسلم أولا وقبل كل شيء أن

غاية هذه الشريعة تنتهي إلى أمرين اثنين هما : جلب المصلحة ودرء المفسدة ، وليس لله حاجة في ذلك إنما الحاجة كلها للناس وإن الله لغنى عن العالمين . وفي هذا المحيط كان الرأي والفكر والاجتهاد والنظر أو التأمل .

والنبي صلى الله عليه وسلم وهو المعلم الأول لهذه الأمة لم يكن يحظر على أصحابه أو يعيب عليهم الفكر . أو يقاوم النزوع إلى التجديد . وإنما كان يفتح لهم الآفاق ، ويشجعهم على النظر . ويسترشد بهم ، ويشاورهم في الأمور ، ويغريهم بأن يقلبوا الأمور على وجوهها ، وكانوا يعترضون عليه .

ويعلنونه بالمخالفة . وكان هو من ناحيته يتقبل منهم ذلك بالرضا والارتياح. لأنه لهم بمثابة المعلم والمربي الذي يريد أن يربي تلاميذه على حرية الرأي في فهم الأشياء .

وعدم أخذها إلا بعد الإذعان والقبول . كما حدث ذلك في أسارى بدر . وفي مشروعية الأذان للصلاة . وفي الصلاة على عبدالله بن ابي بن سلول . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحمل لواء المعارضة ويوافقه الوحي ... وكان ذلك كله من النبي صلى الله عليه وسلم تدريبا لأمته على أن يتحرروا من أغلال عبودية الفكر . وأن يكون لهم مصباح من الرأي والتأمل يضيء لهم الدرب في الدنيا وفي الدين .

ويقول سبحانه وتعالى : « **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** » محمد / ٢٤ وهو بذلك لا

يطلب منهم أن يكونوا كالببغاء التي تحكي ما تسمع دون أن تدري له معنى . أو تدرك له مغزى . وانما يطلب التدبر الذي يكون من ورائه الوعي والإدراك . والفقه والمعرفة .

وما دام المغزى من الدين جلب المصلحة ودرء المفسدة . فنحن لا نطالب المتحرك والمجتهد الذي يجتهد بشيء وراء ذلك . ولعلماء الدين مبادىء مقررة قد اتفقوا عليها . مثل قولهم « الأمور إنما تعتبر بمقاصدها » ومعنى هذا ان التحليل والتحريم بالنسبة للغاية التي تنتهي اليها . كالبيع الذي ينتهي إلى الربا .

او النكاح الذي ينتهي إلى التحليل للمطلق طلاقا بائنا باتاً . والأصل في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات . وإنما لكل امرىء ما نوى » رواه الجماعة ومن تلك المبادىء ايضا « **اليقين لا يزول بالشك** » ويترتب على ذلك قولهم بمبدأ الاستصحاب وهو بقاء ما كان على ما كان عليه من قبل . ومن ذلك كذلك قول

النبي صلى الله عليه وسلم « لا ضرر ولا ضرار » رواه أحمد اي لا تضر نفسك ولا غيرك . ومن مبادئهم المشهورة قولهم « إن مصلحة الجماعة مقدمة على مصلحة الواحد » ويقول سبحانه جل شأنه : « **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها**) البقرة/ ٢٨٦

(**وما جعل عليكم في الدين من حرج**) الحج / ٧٨ وهذه كلها منارات يضعها في اعتبارهم أولئك الذين يتحررون من جمود العقل . او

برود التفكير ، وهم يسيرون وراء هذا الدافع النبيل الذي يسوقهم إلى جلب المصلحة ودرء المفسدة على أن هذه الحركة الفكرية في هذه الشريعة كانت مع هذه الأبواب التي يدخل منها أولئك الذين يريدون الانطلاق من الأمور الفطرية في الانسان منذ كان في هذه الدنيا لأنه الانسان وليد حرية الرأي التي هي مترتبة على حرية النفس التي يحارب من أجلها .

ويموت في سبيلها ، ولا يراد بهذه الحركة الفكرية . او النشاط الذهني الا اتساع آفاق الفهم . ومرونة ألوان الفقه . وطواعية النصوص لتتناول الوقائع والحوادث من غير ان تقتصر على بعض منها دون آخر .

على أننا لا ننسى مع ذلك كله ان هنالك مناطق محرمة ليس من حق الباحث او المجتهد ان يتناولها بالرأي . او يخوض فيها بفهم لأنها مأخوذة على علاتها من غير تغيير او تبديل . وذلك مثل وحدانية الله . وفرضية الصلاة ،

وإرسال الرسل . والايمان باليوم الآخر ، أما ما سواها من فروع المسائل التي لم تثبت بنص قاطع مثل عمران الارض واستغلال الطاقة .

وتخطيط المدن ، وتوزيع الأعمال بين الكفايات . مما هو خاضع للرأي والفكر . والأخذ والرد . والكياسة والعقل . وتوهم المصلحة او المفسدة فلا بأس من ان تكون مجالا لاختلاف وجهات النظر . والقبول او الرفض ، على ضوء التأمل والاعتبار . ولا يستطيع أحد أن ينكر أن ذلك كان

موجودا بين المسلمين حتى مع وجود النبي صلى الله عليـه وسلم وهو صاحب فصل الخطاب فيه . وصاحب الرأي الذي لا يرد : (**وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى**) النجم/ ٣ ـ ٥

وما كان موقفهم بعد ان اختار الله نبيه إلى الرفيق الاعلى لاختيار الرجل الذي يسوس امورهم . ويرأب ما عسى ان يكون هنالك من صدع . إلا لونا من ذلك . وصورة واضحة له . وقد سموا الرجل الذي اختاروه لاتمام المسيرة بعد موتـه صلى اللـه عليه وسلم « خليفة » وتوالى الامر بعده لعمر وعثمان وعلي في حين أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل بهذا الاسلوب ولا نص عليه . وانما هو فكر المسلمين ورأيهم .

وكان لكل واحد من هؤلاء سياسة وكياسة . ورأى وسلوك . وإضافات صارت تشريعا فيما بعد ، وقد جمع ابوبكر القرآن . وقاتل أهل الردة . وجاء بعده عمـر وكان لـه رأي ، وصدرت عنه أُحكام . والمسلمون كلهم على طول المدى كانوا يصادفون جديدا من المشكلات لم يقفوا أمامها جامدين وإنما أحدثوا لها أحكاما . وقد دل ذلك كله على أن الفكر الديني كان دائب الحركة . لم يجمد في موقفه . ولم يرض أهله بهذه الغفوة التي تصيب المغلوبين على امرهم . والـذي يلم بعض الإلمام بكتب الشريعة في الفقه أو في تفسـير القرآن أو العقيـدة وغيرها ، يرى أن القدامى منهم كانوا يسمون بالسلف ، وان المحدثين كانوا يسمون بالخلف . ويمتاز أُولئك الخلف او المحدثون بأنهم كانوا أصحاب اجتهـاد ورأي . وانهم لم يكونـوا جامدين ولم يقفوا اُمام النصوص دون ان يقلبوها على وجوهها ليعلموا ماذا تعنى ، وقـد زخرت حـركة الفكـر الاســلامي بـالطـوائف والفـرق . والأحزاب والجماعـات التي كانت تتبادل الآراء . وتتصارع على الأفكار ومنذ كانت الخلافة العباسية واختلط العرب بالفـرس ، ودرس المسلمون المنطق والفلسفة . والرحى تدور على الجدل والمناظرة . والبحث عن حقائق الأشياء ، وتلك الإضافات الجديدة التي يعثر عليها الفكر الحر . والعقل المتطلع لأن الانسان منذ كان يتطلع الى التجديد الذي دفعته إليه الفطرة لا في أمور دنياه ، ووسائل عيشه . وأسباب رفاهيته وكفى . ولكن في امور دنياه وفي أمور دينه . ولو حاولنا ان نحصى هذه الامثلة . وتلك الشواهد . لطال بنا المدى . وحسبنا أن نقول إن العجلة تدور . وان الحياة مليئة بكل جديد .

مفهوم المال وقيمته في التصوّر الإسلامي

للدكتور/ حسن احمد عبد السلام

المال في الأصل ، هو كل ما يمكن تملكه من الذهب والفضة ، ثم أطلقت كلمة المال على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان ، وكان استعمال الكلمة عند العرب ينصرف في اكثر الحالات إلى الابل لأنها كانت أكثر أموالهم .

وكل ما يتملك من نقود أو أرض أو حيوان أو غير ذلك يسمى مالا ، وقد وردت كلمة (مال) في الشعر العربي القديم متسعة لكل ذلك ، ووردت بهذه المعاني أيضا في القرآن الكريم ، وذلك في مثل قول الله عز وجل :

« **وتحبون المال حبا جما** »
الفجر / ٢٠
« **و آتوهم من مال الله الذي آتاكم** »
النور / ٣٣ فالمال يشمل كل ما يمكن تملكه من نقد أو غير نقد .

وورد في الحديث الشريف ، عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال) رواه البخاري .

ومن العلماء من قال في تفسير هذا الحديث ، إن المقصود بالمال في الحديث هو الحيوان ، والنهي عن إضاعته يعني الاحسان إليه وعدم إهماله .

وقيل : المقصود النهي عن اضاعة المال بانفاقه في الحرام والمعاصي وما لا يحبه الله وعلى التفسير الثاني تكون كلمة المال شاملة للحيوان وغيره .

وفي أيامنا هذه تندرج كل الممتلكات تحت اسم المال ، فالمصانع والمزارع والأراضي والحلى من الذهب والفضة ، والعملات المختلفة كلها مال ، وكذلك الحيوان ، والبساتين الى غير ذلك مما يعده الناس ثروة ، وقد جمعت الآية الكريمة :

« **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** » (سورة آل عمران . آية ١٤)

أكثر أنواع المال التي تتعلق بها رغبات الناس وتدور عليها معاملاتهم .

والمال باعتباره عنصرا من عناصر الانتاج ينقسم في المفهوم الاقتصادي الاسلامي إلى الآتي :

١) رأس المال التجاري .
٢) رأس المال الكاسب .
٣) رأس المال الانتاجي .

فرأس المال التجاري هو مجموعة الأموال الاقتصادية التي تستخدم بقصد المبادلات سواء أكانت هذه الأموال عينية كالسلع أم كانت نقدية كالنقود السائلة .

فالسلع التي تكرس للمبادلات تعد من رأس المال التجارى لأنها لا تستخدم في رأس المال المباشر لمن استحوذ عليها ، ولكنها توجه للبيع للحصول على الربح .

وكذلك النقود التي تستخدم في المبادلات هي رأس مال تجاري .

أما رأس المال الكاسب فهو الذي يحقق لصاحبه ربحا دون استخدامه في التجارة ولا في الانتاج وذلك مثل آلة الصانع وقلم الكاتب وعدة الجراح والعمارات التي تؤجر للسكن مثلا ، فهذا رأس مال يربح لكنه لا يتاجر به ، ولا يستخدم في عملية انتاجية ورأس المال الانتاجي يشمل المبالغ النقدية المستخدمة في تمويل عملية انتاجية ما والادوات والآلات المستخدمة في العملية الانتاجية ، وهو رأس المال الفني وكذلك المنشآت والمباني التي تمارس من خلالها العملية الانتاجية ، وتسمى رأس المال العيني .

والمال بكل هذه الأنواع له قيمته الكبيرة الناشئة عن أثره في حياة الافراد والجماعات والأمم .

لهذا فقد أولى الاسلام عناية كبيرة للمال في الأمر بالمحافظة عليه واستثماره ، ومعرفة قيمته ودوره في حياة الناس ، على الوجه الذي يظهره المبحث التالي .

○ أهمية المال وقيمته في الاسلام ○

من البدهيات المسلمة أن المال هو عصب الحياة ، فهو وسيلة التبادل المنفعي بالبيع والشراء أو الايجار والرهن أو الهبة والاقتراض الى غير ذلك من أنواع التعامل التي يمثل المال فيها مركز الدائرة .

وليست هذه خاصة اكتسبها المال

في العصر الحديث فهو كذلك ولا يزال ولن يزال سنة الله في نظام الكون والحياة ولن تجد لسنة الله تبديلا .

والمال على ذلك شيء ضروري في حياة الافراد والجماعات والأمم بل هو عصب الحياة كما يقولون .

وقد جعل الاسلام العظيم للمال قيمته اللائقة ، وأنزلـه منزلته ، وأولاه من التشريعات ما يليق بوظيفته حيث هو وسيلة الناس في التعامل بما يكفل للحياة استمرارها ويعين الانسان على عمارة الأرض كما أراد الله .

ويتجلى موقف الاسلام من المال باعتباره شيئـا له قيمـة في دعوة الاسلام الناس الى العمل والكسب والسعى من أجل تحصيل الرزق .

فالاسلام يأمر المسلم بأن يسعى في الحياة سعيا يسعه ويسع أبناءه ومن يعولهم ويفيض منه ما ينفقه على العاجزين عن الكسب والسعى . وربط الاسلام بين الرزق والسعى ربطه بين السبب والمسبب ، والمقدمة والنتيجة ، ونهى عن التكاسل والتخاذل وذم البطالة والتسول ، واثني على الجد والاجتهاد في العمل وأرشد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم الى أن يترك ورثته أغنياء فذلك خير من أن يتركهم عالة يسألون الناس .

وفي هذين الاتجاهين : الحث على العمل والسعى ، والنهي عن التسول والبطالة وردت آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وآثار عن الصحابة ، تبين أن للمال قيمته الخطيرة في حياة الأفراد والأمم ، وتدل على أن الاسلام أعطى للمال العنايـة التي تليق بوظيفتـه وأثره .

فمثلا يقول الله عز وجل :

« **يأيها الذين آمنوا إذا نـودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * فإذا قضيت الصـلاة فـانتشـروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » سورة الجمعة / ٩ ـ ١٠ .

والمتأمل في الآية الكريمة يرى أنها قرنت العمل بالعبادة فأمرت بالصلاة وأمرت بالانتشار في الأرض بعد قضاء الصلاة طلبا للرزق وابتغاء لفضل الله .

ويقول الله عز وجل :

« **فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** » الملك / ١٥ .

والآية الكريمة تدعـو المؤمنين الى السعى في الأرض ، والربط واضح في الآية بين السعي والرزق ، ومادام الله يأمر عباده بالعمل ، فقد أصبح العمل في الاسلام عبادة يثاب عليها العامل لانه يمتثل أمر ربه .

لا غرابة إذن أن نجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر بأن هناك ذنوبا لا يغفرها الله للمسلم إلا بسبب سعيه على رزقه ورزق أولاده ولا عجب في أن يكون الساعي طلبا للرزق وكسبا للمال من وجوهه المشروعة كالمجاهد في سبيل الله أو كالعابد المخلص .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(السـاعي على الأرملـة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، وأحسبه

قال : كالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر) متفق عليه .

ويبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تحمل مشقة العمل حتى لو كان العائد قليلا خير وأفضل للمسلم من أن يترك العمل ويتسول ، فيسأل الناس الصدقة فعن أبى عبدالله الزبير بن العوام رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) رواه البخاري .

وعن المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) رواه البخاري .

الى هذا الحد يعلي الاسلام من قيمة العمل لأنه وسيلة لكسب الرزق وسبب مشروع للحصول على المال ، وطريق حلال للبعد عن الفقر واجتناب الحاجة ، ومقدمة لتوفير المال ، وتحسين أحوال الفرد والاسرة والمجتمع ، ويكره الاسلام للمسلمين ان يكونوا كسالى ، ويكره لهم أن يكونوا فقراء فالفقر يولد الضعف ، والضعف يأتي بالهزيمة . والغنى يولد القوة ، والقوة هي سبيل النصر والمؤمن القوى خير عند الله وأحب من المؤمن الضعيف .

والاسلام يدعو أبناءه الى كسب المال من وجوهه المشروعة حتى يكونوا أقوياء ، وينهاهم عن البطالة والكسل لانهما سبب الفقر والحاجة والذل ، ورضى الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، مر على قوم تركوا العمل وجلسوا يتسولون . ويدعون أنهم بذلك قد توكلوا على الله فما كان منه الا أن ضربهم ، وقال إنكم متواكلون ، ولستم متوكلين فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة .

وصلى الله على رسولنا كان يستعيذ بربه من العجز ومن الكسل ومن الفقر ومن أن يغلبه الدين : كان يدعو ربه فيما أثر عنه :

« اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » .

(اللهم أني أعوذ بك من الكفر والفقر) .

الى هذا الحد نجد التشريع الاسلامي يكره لأبنائه الفقر ، ويحثهم على الغنى ويدعوهم الى كسب المال من وجوهه الصالحة ، مبينا أن للمال قيمته الكبيرة ، وآثاره الخطيرة في حياة الأفراد والأمم .

أكثر من هذا نجد القرآن الكريم يجعل المال مقابلا للنفس ، ومساويا لهابل مقدما عليها في دعوته الناس إلى الجهاد في سبيل الله .

يقول عز و جل:

« **انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله**

(سورة التوبة . آية/ ٤١)

ويقول الله عز وجل « **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم**

من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »(سورة الصف . آية ١٠،١١)

للمال إذن قيمة كبيرة ، المسلمون مدعوون من الله الى معرفة هذه القيمة ، وتقدير أثر المال وخطره .. وهم مأمورون بالجد في تحصيله ، ومأمورون بالمحافظة عليه وعدم تضييعه فيما لا يفيد ومأمورون بتنميته واستثماره واستخدامه في تقوية أنفسهم واعزاز وطنهم ، ومنهيون عن الاسراف فيه ، وعن البخل به في وجوه الخير ، وعن تمكين السفهاء منه .

يقول عز من قائل :

« **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما** » (سورة النساء . آية/ ٥)

فالسفيه لا يحفظ المال بل يضيعه ، لذلك يحجر عليه في النفقة ويقوم على ماله العقلاء من المسلمين الذين يعرفون للمال قيمته ويقدرون أثره ، ويعلمون خطره ، فينمونه ولا يضيعونه ويصرفونه في وجوهه الصحيحة التي تعود على صاحبه وعلى المجتمع بالنفع والخير .

وما دام للمال هذه القيمة فإن كل راع يولى في مجتمع المسلمين أمرا له تعلق بالمال فإن الاسلام يأمره بالمحافظة والرعاية ، وينهاه عن التقصير والتضييع والاهمال حتى الخادم الذي يستأجر للعمل في البيوت راع فى مال سيده ومسؤول عن رعيته .

أكبر من ذلك أن الاسلام يجعل المال مساويا للدين والعرض والنفس في مقام الدفاع عن أحد منها .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(من قتل دون ما له فهو شهيد) رواه البخاري .

ولكن هل تبلغ قيمة المال أن يستعبد المال صاحبه ؟ وهل تساوى هذه القيمة أن يجمع المرء المال من أي طريق ؟ وأن يحصله بأية وسيلة ؟ في الاسلام ، لاءثم لاءثم لا .

فهناك ضوابط وتشريعات ، تدعو المسلم الى أن يجعل المال وسيلة لاغاية فلا يحصل المال إلا من مصادره الحلال ، ولا ينفقه الا في وجوهه المشروعة على هدى من كتاب الله وسنة رسوله ، وما فصله وبينه علماء المسلمين .

والله المستعان .

الشريعة والفقه

للدكتور/محمد الدسوقي

يخلط بعض الكاتبين والمتحدثين بين الشريعة والفقه ، فيرى أنهما سواء من حيث الدلالة ، ومن ثم يستعمل كلمة الشريعة مكان كلمة الفقة او العكس .

ومن اجل توضيح العلاقة بين الشريعة والفقه ينبغي بيان الدلالة اللغوية ، والاصطلاحية لكل منهما ، وما طرأ عليها من تطوير او تغيير ، ففي هذا البيان كشف عن الخصائص العامة للشريعة والفقه ، وبذلك يمكن الوقوف على جوهر الصلة بينهما .

الشريعة :

قال صاحب كشاف اصطلاحات الفنون في مادة شريعة : الشريعة ما شرع الله تعالى لعباده من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء صلى الله عليهم وعلى نبينا وسلم ، سواء كانت متعلقة بكيفية عمل ، وتسمى فرعية وعملية ، ودون لها علم الفقه ، او بكيفية الاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية ، ودون لها علم الكلام .

فهذا النص الذي اورده التهانوي في تعريف الشريعة يؤخذ منه أنها تشمل كل الأحكام التي شرعها الله لعباده ، ويذهب بعض العلماء الى ان الشريعة لا تشمل كل الأحكام

الشرعية ، وإنما هي خاصة بالأحكام العملية لأن هذه الاحكام هي التي تمثل المنهج الذي يختلف به الاسلام عن سائر ما بعث به الانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، فكل الرسالات الإلهية لا تختلف من حيث الدعوة الى وحدانية الله والى العمل الصالح ، والى الايمان بيوم النشور وما فيه من حساب وثواب وعقاب ، ولكن تلك الرسالات تختلف بعد هذا من حيث العموم والخصوص ، ومن حيث ما جاءت به من فرائض او تشريعات . ان الرسالات التي سبقت رسالة الاسلام التي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم كانت مقصورة على النبي أو آله او قومه ، وليست موجهة الى الناس كافة ، بيد أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت دعوة عامة ، وموجهة الى البشر اجمعين ، بل الى الإنس والجن ، ولهذا كانت خاتمة الرسالات الإلهية ، ومهيمنة عليها .

وقد أشار القرآن الكريم الى تباين المنهج والشرعة بين الأنبياء ، وان كل نبي اختصه الله ببعض الفرائض ، وان كانت كل التعاليم التي بعث بها كل الرسل لا تخرج عن غاية واحدة ، وهي إفراد الحق تبارك وتعالى بالطاعة والعبادة فالاختلاف بين التشريعات الالهية في الكمية او الكيفية لا يعني ان بينها تفاوتا في الغاية والهدف .

قال الله تعالى : « **وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** » (المائدة ٤٨) .

فهذه الآية - وقد وردت عقب آيات تحدثت عن التوراة والانجيل - تبين أن الله قد أنزل القرآن بالصدق الذي لاريب فيه ، وأن هذا الكتاب العزيز مهيمن على كل كتاب نزل من قبله ، أي حاكم ورقيب عليه ، فما وافقه منها فهو حق ، وما خالفه منها فهو باطل .

ثم تأمر الآية الرسول صلى الله عليه وسلم بالحكم بين الناس بما انزل الله عليه ، وأن يحذر اتباع اهواء الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ، ويدَّعون انهم اهل شريعة يرغبون في التحاكم اليها ، والنزول عند اوامرها كما فعل اليهود ، فقد نسخ القرآن كل تشريع سابق عليه ، وأصبح وحده التشريع الحق الذي يجب أن يقضى به بين الناس .

وتقرر الآية بعد ذلك أن الله جعل لكل رسول أو أمة شريعة أوجب إقامة أحكامها ، وطريقا للهداية فرض سلوكه لتزكية الأنفس وإصلاحها « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** » ان هذا الجزء من الآية فيه إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الاحكام المتفقة في التوحيد .

وجاء الحديث عن الشريعة في آية أخرى وهي قول الله تعالى : « **ثم جعلناك على شريعة من الأمر**

فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » (الجاثية/ ١٨)

وتكاد هذه الآية تكون نصا في دلالة الشريعة على الأحكام العملية دون غيرها ، فقد روى الطبري عن قتادة انه قال : « الشريعة ، الفرائض والحدود والأمر والنهي ، أي ان الشريعة هي الأحكام العملية دون العقائد والحكم التي يشتمل عليها الدين .

ومن الشريعة بهذا المعنى اشتق شرع بمعنى أنشأ الشريعة وسن قواعدها ومنه قوله تعالى : « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب** » . (الشورى/ ١٣) وقوله تعالى :« **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم** » (الشورى/ ٢١) .

فمعنى شرع في هاتين الآيتين هو وضع الدين وإنزاله من عند الله تعالى وليس لغيره أن يشرع ، وهذا يدل على أن وضع الدين لله ومخاطبته الناس به يسمى شرعا بالمعنى المصدري .

وجملة القول : أن الشريعة اسم للأحكام العملية ، أو هي النظم التي شرعها الله ، أو شرع أصولها ، ليأخذ الانسان بها نفسه في علاقته بربه ، وعلاقته بأخيه المسلم ، وعلاقته بأخيه الانسان ، وعلاقته بالكون وعلاقته بالحياة ، وهي من ثم أخص من الدين ، وإنما تدخل في مسماه من حيث أن العامل بها يدين الله تعالى بعمله ، ويخضع له ، ويتوجه إليه مبتغيا مرضاته وثوابه بإذنه .

ويؤكد هذا المعنى للشريعة الجزء الأخير من آية المائدة ، إذ يخبر عن قدرة الله وأنه سبحانه لو شاء لجمع الناس كلهم على شريعة واحدة ، لا ينسخ شيء منها ، ولكنه تعالى بعث كل رسول بشريعة على حدة ، ثم نسخها أو بعضها بما بعث به الرسول الذي جاء بعده ، حتى نسخ الجميع بما بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم « **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة** » اي أمة واحدة ذات شريعة واحدة ومنهاج واحد في فرائضها (**ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا**) فالاختلاف في التشريع لحكمة أرادها الله وهي ابتلاء عباده في الطاعة والعمل ، وأن على هؤلاء العباد ان يستبقوا الخيرات ، فإلى الله مردهم ومعادهم ، وسيخبرهم بما اختلفوا فيه من الحق فيجزي الصادقين بصدقهم ، ويعذب الجاحدين العادلين عن الحق بلا دليل ولا برهان .

ولعل الاختلاف بين الرسالات الإلهية في التشريعات يرجع إلى أن البشرية مرت بمراحل متعددة من حيث تطورها الفكري واستعدادها النفسي للالتزام بما كتب الله عليها ، فكان كل نبي يخاطب قومه بما يفهمون ، ويبعث اليهم بالتشريعات التي عليها يقدرون ، فلا تكليف الا بما

يطاق ، ومن هنا جاء الدين الخاتم للبشرية وكانت قد بلغت المنزلة التي تؤهلها للعقيدة الشاملة والشريعة الكاملة ، ولذا كان الاسلام دعوة الله للناس كافة ، وكانت الشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع وصالحة للتطبيق الدائم حتى يرث الله الارض ومن عليها ..

وبذلك يتضح ان الشريعة لا تعني الدين كله ، وإن ذهب إلى غير هذا بعض العلماء ، وانها خاصة بالأحكام العملية التي وردت في الكتاب والسنة، وان هذه الاحكام منها ما دلت عليه النصوص دلالة قطعية كوجوب الصلاة وحل البيع وحرمة الربا ، وكل ما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وهذه لا مجال للاجتهاد فيها ، ومنها ما دلت عليه النصوص دلالة ظنية ، وسبيل الوقوف عليها الاجتهاد ، وفق القواعد والضوابط التي حرر معناها علماء الأصول .

الفقه :

تطلق كلمة الفقه لغة على العلم بالشيء والفهم له والفطنة ، كما تطلق على فهم غرض المتكلم من كلامه ، جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس : الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح يدل على إدراك الشيء والعلم به ، تقول : فقهت الحديث افقهه ، وكل علم بشيء فهو فقه .

وجاء في لسان العرب لابن منظور : الفقه : العلم بالشيء ، والفهم له ، والفقه : الفطنة .

فالفقه ليس مجرد فهم اللفظ ، إنه قدر زائد على هذا ، إنه الفهم الدقيق العميق الذي لا يقف عند ظاهر اللفظ ، ولكنه يتجاوزه إلى ما يوحي به من دلالات ، ويتضمنه من توجيهات وإشارات ، وفي القرآن الكريم : **(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم)** التوبة/ ١٢٢ فصيغة التفقه في هذه الآية تومىء الى ان فهم أحكام الدين ليس أمرا يسيرا ، لأن صيغة التفعل للتكلف ، فالتفقه في الدين إذن يحتاج إلى معاناة في طلبه ، وبذل جهد عقلي في تحصيله ، وذلك لصعوبته كما يقول الألوسي في تفسيره :

وأما معنى الفقه اصطلاحا فهو وثيق الصلة بمعناه لغة ، فهو يطلق على استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية ، وهو أمر يقتضي من المجتهد استفراغ الوسع في البحث والنظر ، ومع هذا يلاحظ من يتتبع مدلول كلمة فقه في تاريخ الفكر الاسلامي أنها مرت بثلاث مراحل :

الأولى : إطلاق كلمة فقه على كل الأحكام الشرعية ، وعلى تفهم هذه الأحكام ، وبدأ هذا الاطلاق منذ عصر البعثة ، وظل إلى عصر نشأة المذاهب تقريبا ..

والأحكام الشرعية تنقسم ثلاثة اقسام أساسية هي :

● ـ احكام اعتقادية تتعلق بما يجب على المكلف اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

● ـ أحكام خلقية تتعلق بما يجب على المكلف ان يتحلى به من الفضائل ، وان يتخلى عنه من الرذائل :

● ـ أحكام عملية تتعلق بما يصدر

عن المكلف من أقوال وأفعال وعقود وتصرفات ، وهـذه الأحكام تنتظم نوعين :

أحكام العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج ونذر ونحوها من العبادات التي يقصد بها تنظيم علاقة الانسان بربه ، وأحكام المعاملات من عقود وتصرفات وعقوبات وغيرها مما يقصد به تنظيم علاقـة المكلفين بعضهم ببعض سـواء أكانـوا أفـرادا أم جماعات أم أمما . فكلمة الفقه كانت تطلق على كل هذه الأحكام الشرعية ، كما كانت تطلق على تفهم تلك الأحكام لا فرق بين حكم وآخر ، وإلى هذا المعنى تشـير الآية القـرآنية التي تحدثت عن ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة ، ليتفقهوا في الدين ، وايضا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » (رواه الامام مسلم في كتاب الإمارة) .

وهذا الاطلاق العام لكلمة الفقه جعلها مرادفة لكلمة الدين ، وكذلك لكلمة الشريعة لدى من يرى أن هذه الكلمة تشمل كل الأحكام التي شرعها الله .

والفقه بهذا المعنى الشامل كان يطلق قديما على معرفة النفس ما لها وما عليها سواء أكان من الأمـور الاعتقادية أم العملية ، وهو بهذا الاطلاق يمثل الطابع الحقيقي للتفكير الاسلامي .

★ **الثانية** ... ولما بدأت العلوم تتمايز ويستقل بعضها عن بعض ضاقت دائرة الفقه ، ودخل التخصص على ذلك الاطلاق العام الذي شمل كل الأحكام ، فأصبح خاصا بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية سواء من حيث فهمها ، أم اطلاق الاسم عليها ، أي أن كلمة فقه كما تدل على العلم بهذه الأحكام العملية تدل على نفس هذه الأحكام التي تستنبط بالرأي والاجتهاد .

وبهذا المعنى الاصطلاحي الجديد لكلمة الفقه خرجت من مدلوله الأحكام الاعتقادية والاخلاقية ، وصار مدلوله مقصورا على الأحكام العملية ، أي العبادات والمعاملات ، وخرج ايضا من هذا المدلول الاحكام التي لا تؤخذ بالنظر والتأمل ، لأنها معلومة من الدين بالضرورة ولا مجال للاجتهاد فيها كالواجبات والمحرمات التي دلت عليها النصوص دلالة قطعية لا تحتمل تأويلا ولاشكا ، ولهذا لا يجوز أن يسمى الله تعالى فقيها ، لأنه سبحانه لا يخفي عليه شيء ، كذلك لايعد علم المقلدين بالأحكام فقها ، لأنـه غير مكتسـب عـن طـريـق النظـر والاستدلال ، كما لا يسمى صاحبها فقيها

★**الثالثة** : ثم جاءت المرحلة الثالثة ، وفيها توسع الفقهاء في مدلول كلمة فقه ، وكان ذلك بعد أن شاع التقليد ، وأصبـح جمهور الفقهـاء من أهل التخريج والترجيح في المذاهب ، او الاجتهاد المنتسب . فأصبحت الكلمة تطلق على جميع الأحكام الشرعية

العملية التي جاء بها الوحي صراحة ، ولا تحتاج الى نظر في معرفتها ، وتلك التي استنبطها المجتهدون ، اي الأحكام المستفادة عن طريق النظر في الأدلة وكذلك الأحكام التي خرجها المقلدون على قواعد أئمتهم وأصولهم .

إن كلمة الفقه كانت دلالتها عامة على كل الأحكام الشرعية في عصر البعثة الى عصر نشأة المذاهب ، ثم طرأ عليها التخصيص الذي قصر معناها على الأحكام العملية المستنبطة من الأدلة ، واصطلح المتأخرون من الفقهاء على أن تشمل الكلمة في مدلولها كل الأحكام العملية سواء كان طريق العلم بها النص القطعي في ثبوته ودلالته ، أم النظر والاجتهاد أم التخريج والترجيح على قواعد الأئمة .

بين الشريعة والفقه :

ما أسلفته عن الشريعة والفقه يمكن ان يعطي ما يلي :

١ ـ الشريعة مرادفة للدين في رأي بعض العلماء ، وفي رأي بعضهم الآخر انها تنصرف في دلالتها الى الأحكام العملية دون غيرها ، وهذا ما أرجحه ، فهذه الأحكام هي التي تمثل الشرعة والمنهاج .

٢ ـ الشريعة نصوص محكمة ثابتة ، وقواعد كلية عامة مستمدة من النصوص ، ومن ثم كانت احكامها ثابتة وخالدة .

٣ ـ الفقه هو الفهم البشري لنصوص الشريعة ما دامت مجالا للاجتهاد ولذا كان أخص من الشريعة ، وليس مرادفا لها ، وليس لآراء الفقهاء والمجتهدين صفة الثبات والخلود .

٤ ـ ما ذهب إليه الفقهاء في عصر التقليد من إطلاق كلمة فقه على كل الأحكام العملية هو اصطلاح أملاه ـ فيما أرى ـ واقع التخلف العلمي، ولا ينبغي العدول عن أن الأصل في الفقه هو الاجتهاد والنظر والاستنباط .

٥ ـ عرفت اللغة العربية كلمة « شريعة » قبل كلمة « فقه » بزمن طويل فقد وردت مادة « شرع » ، ومشتقاتها في كثير من آي القرآن الكريم ، بل نجد كلمة شريعة نفسها جاءت في قوله تعالى : **(ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها)** (الجاثية / ١٨)

٦ ـ لم تعرف كلمة فقه في معناها الذي نريده اليوم الا بعد مضي صدر من الاسلام .

وبعد فإن الشريعة ما دامت نصوصا محكمة وقواعد كلية مستمدة من هذه النصوص، وما دام الفقه هو الفهم البشري للنصوص إذا كانت مجالا للاجتهاد فإن الأحكام العملية تنقسم من حيث مصدرها قسمين :

الأول : أحكام جاءت عن طريق النصوص القطعية في دلالتها وثبوتها فهي من ثم أحكام لا تحتمل خلافا ، ولا يجوز عليها التغيير او التبديل . وليست مجالا للاجتهاد .

الثاني ... أحكام جاءت عن طريق الفهم البشري للنصوص اذا كانت مجالا للنظر ، وهذه الأحكام لا يتوافر لها الثبات ، فالفهم البشري عرضة

للصواب والخطأ ، لأن الانسان في فهمه للنص لا يمكنه ان يكون بمنجاة من التأثر بثقافته الذاتية ، وواقع بيئتــه الخــاصــة ، ولكن الجـديـر بالإشارة اليه أن هذا الفهم البشري للنصوص الشرعية تحكمه ضوابط خاصة مستمدة من قواعد الشريعة ومبادئها ، ولهذا لا يأخذ صبغة الآراء البشـرية الخــالصــة كـالقــوانــين الوضعية . وتظل له صبغته الدينية التي ينفرد بها بين هذه القوانين .

إن هذه الأحكام التي جاءت عن طـريق الفهم البشـري للنص هي الأحكام الفقهية ، ولقيام هذه الأحكام على الوحي الإلهي قرآنا أو سنة جعل لها في نفس المسلم هيبة وسلطانا ، واستجـابة لـلأخذ بهـا طـواعيـة واختيارا ، وهذا ما لا يتوافر للأحكام الوضعية لعدم قيامها على مصدر يؤمن به الانسان ، ويطمئن الى عدالته وحكمتــه ولهذا لا تبلـغ القوانــين الوضعية منزلة الأحكام الفقهية ، لا من حيث الالتزام بها فحسب ، وإنما كذلك من حيث سلامتها من الأهواء وصلاحيتها للحياة ، فتلك القوانين مصدرها العقل البشري ، والانسان لا يستجيب دائما لما يراه غيره ، فضلا عن ان هذا العقل محكوم فيما يصدر عنه بعوامل مختلفة ، منها ظـروف النشـأة وطبيعـة البيئـة والثقافة ، وهذه تقضي على ما يصل اليه العقل من أفكار وآراء بالقصور ، ولعل هذا مناط تعرض هذه القوانين للتطوير والتغيير والنسخ والإلغاء .

والخلاصة أن الشريعة وحي الله الى عباده ، وأن الراجـح أنها في مدلولها تنصرف الى الأحكام العملية وحدها ، وان الفقه اجتهاد واستنباط لهذه الأحكام من النص الشرعي اذا كان ظني الدلالة أو الثبوت ، وذلك طوعا لأصول وقواعد منهجية سبق بها الفقهاء المسلمون كل علماء القانون في العالم ، إذ لم يُعن هؤلاء العلماء بوضع أصول القوانين إلا في القرن الماضي ، على حين أن أول مؤلف في اصول الفقه وصـل الينا وصحت نسبته الى مؤلفه ظهر في أواخر القرن الهجري الثاني ..

تراث لك

الغاية من العقاب

الغـاية من العقـــاب فى الفقـه الإســـلامى ـ أمـــران : أحدهما : حمـاية الفضـيلة وحماية المجتمع من أن تتحكم الرذيلة فيـــه ، والثانى : المنفعة العامة أو المصلحة ، وما من حكم فى الإسلام الا كان فيه مصلحة الناس ، ولذا يقول سبحانه وتعالى (قد جاءتكم موعظة من ربـكم وشفاء لمـا فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين) وقال النبى صلى الله عليه وسلم ، (لاضرر ولا ضرار) وان النصوص القرآنية الـكثيرة تدل على أن الفساد ممنوع بحكم الشرع ، وأشـد ما يرمى به المشركون والمنافقون أنهم مفسدون ، وليسوا مصلحين كما قال تعالى فى وصف المنافقين : (ألا إنهـم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) وقد وصف الله المؤمنين بأنهم (لا يبغون علوا فى الأرض ولا فسادا) ٠ وقد قال تعالى فى وصف الحـاكم الظالم : (وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيهـا ويهلك الحرث والنسـل والله لا يحب الفساد) ٠

وفى الحقيقة أن الفضيلة والمصـلحة وإن كانتا فى ظاهرها عنصرين مختلفين من حيث المدلول ـ هما متلازمان ، فالفضيلة تترتب عليها المصلحة الإنسانية العامة ، وهى فى ذاتها أعلى المصالح وأسماها ، فلا مصلحة فى الرذيلة ، ولا فضيلة الا ومعها مصلحة ، فهما وان كانتا متغايرتين فى المفهوم ، متلازمتان فى الواقع ، فلا توجد احداهما ، الا ومعها الأخرى ، بل إن كثيرين من علماء الأخلاق يعتبرون مقياس الفضيلة أو الخير هو المصلحة الحقيقية غير المنبعثة من الهوى ،

من كتاب "العقوبة" للشيخ محمد أبو زهرة

حتى لا ينقطع

ميراث النبوة

للأستاذ الدكتور/ محمد محمد ابو موسى

لم تكن حياة العرب العقلية قبل الاسلام تدور حول مذاهب وقضايا فكرية يتدارسونها وينبغ فيها أذكياؤهم ويصنفون في أطرها فهذا فيلسوف وهذا مؤرخ وهذا ناقد كما كان عليه الحال في الامم الأخرى مثل الفرس والبابليين والمصريين واليونان ، فليس من العرب مثلا من يؤمن بعقيدة الخلاص وظهور الرسول المخلص في الزمن المقبل الذى يلقي بردا على اللهب ، ويتكفل برعاية جميع الناس ويقضي يومه وهو يلم شمل قطعانه ، كما كان يؤمن قدماء المصريين ـ وليس من العرب من يؤمن بعودة مردخ الى الارض ليقمع الفتنة ويطهرها من الفساد ، أو يؤمن بظهور رسول من إله النور كما كان يؤمن الفرس .

لم يؤمن الجاهليون بشيء من هذا لأنهم كانوا لا يطيقون ترحيل حل مشاكلهم حتى يظهر الرسل المترقبون فقد كانوا يقومون هم انفسهم بذلك ، فإذا كان المصريون ينتظرون من الرسول المرتقب ان يلقى البرد على اللهب وان يلم شمل قطعانه فقد كان الجاهلي قادرا على ان يلقى البرد على اللهب بنفسه ان أراد ذلك أو يضرم اللهب ويملأ به الارض ان أراد ذلك .

ثم إن المذاهب الفكرية والفلسفية والحضارات العقلية إنما نبعت في تاريخ الامم من هذه المنابع الاعتقادية ، ولذلك اتسعت دائرة الفكر الفلسفي في هذه الأمم كما اتسعت دائرة الأوهام والاساطير والرموز والآداب ، وتنوعت ، وانحصر كل ذلك في حياة الجاهليين وبقي الشعر وحده ثم لم يدونوه في كتاب وانما حوته صدورهم . وهذا أمر قدره الله وهيأ له علله واسبابه لانهم ظلوا صفحة بيضاء حتى نزلت فيهم كلمة الله ودخلوا في دينه أفواجا ، وبدأت العلوم الاسلامية تتسلسل من النبع

الطهور الذي تلقى الوحي وبين للناس ما أنزل اليهم صلوات الله وسلامه عليه .
وأخذ هؤلاء يتلقفون ما يسمعون وتزكو نفوسهم بما تسمع وتفجرت ينابيع العلم في هذه الصدور واتسعت دائرة النور ، وزحفت جيوش الفاتحين وسحقت أوهام الخلاص ، ومخاريق سدنة الهياكل وأصحاب الأسرار ، ودخل هذا الدين ما دخل عليه الليل ، وقامت حلقات العلم في أرجاء بلاد الاسلام ، واتقدت جذوة العقل الانساني وتسامى البناء الفكري والحضاري الذي تأسس على كلام الله وكلام نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وترامت أضواؤه في آفاق الارض فخلصت العقل الانساني من ظلمات الجهل والوهم ، والوهن .

كما لابست التراث العقلي للأمم التي كانت لها حضارات غابرة تراكمت في أحقاب تلو أحقاب وداخلها ما داخلها من خطل وزيف فخلصت كل ذلك ، واستخلصته من هلاك محقق حين اطبق الجهل والقهر على أبناء هذه الأمم ، وعجزوا عجزا مطلقا عن المحافظة عليه ، وقدمت هذا العطاء السخي للعقل الانساني فاقتبس منه ما اقتبس مما أضاء السبيل الى الحضارة المعاصرة ، وكان طلاب العلم من المسيحيين يحضرون حلقات الشيوخ في الأندلس ويأخذون عنهم العلوم التي حفزت عقولهم ، والتي نقلوها إلى الممالك الاوروبية وهم بمثابة الآباء الاولين لرواد النهضة لأنهم صاروا جزءا من تراث هذه الامم وجذورا في شجرة المعرفة تمدها بالعطاء والازدهار .
ولكن أين العناصر التي يمكن ان تشكل ميراث النبوة في هذا التراث الفكري المتسع ؟
لاشك أن إرث رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا هو بيان الحلال والحرام .
وهذا البيان يتطلب ضروبا من المعرفة لا يتم إلا بها وهي دراسة اللغة ، والنحو ، والتصريف ، والأصول ، والفقه ، والتفسير ، والحديث ، والعقائد ، والرواية ، والمعاني ، ومصطلح الحديث ، والشعر، وعلم الرجال ، وفروع دراسة اللسان من لهجات ، وغريب ، وعلوم القراءات ، الى آخر هذه البنية المتماسكة والتي تعين على الاستنباط والقياس والاجتهاد .

ومن ظن أنه يقرأ الكتاب والسنة وهو بمعزل عن هذه العلوم ثم يستخرج الحلال والحرام فقد ظن وهما لا ريب فيه،ولم يدع هذا احد من كتابنا الا بعض كتاب القصص والمفكرات والمسلسلات وهؤلاء لايلتفت اليهم عند اهل الرأي ؛ ثم إن عامة المسلمين يسقطون كلامهم حين يزعمون أنهم قادرون على الاجتهاد في باب الفقه ، ولا يأخذون عنهم شيئا .
وكثير من كتابنا المنافحين في صحفنا عن شريعة الله والذين لم يدرسوا أصول المعرفة الفقهية دراسة تؤهلهم للرأي والفتيا إذا جاؤوا عند الحلال والحرام توقفوا وأحالوا القضية الى العلماء ، ونحن بالطبع

لانعني تحصيل الاحكام الفقهية من كتب الفقه لأن هذا يقرؤه الطلاب المبتدئون ويقعون عليه ، وإنما نعني فقه الكتاب والسنة ، واستخراج احكام الحلال والحرام فيما يواجه المسلمين من اقضية وأحوال وتحديد شرع الله منها،وهذا هو جوهر الارث الشريف لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك فينا ما إن تمسكنا به لن نضل ، وهو كتاب الله وسنته صلوات الله وسلامه عليه ، وليس المراد بالضلال ان نجهل احكام العبادات مثلا ، وان كان الرجل يدخل الجنة لأنه كان يحسن الوضوء وإنما المراد ضبط الحياة الاسلامية على صراط الله المستقيم .

وهذه العلوم التي هي جوهر حضارتنا وارث نبينا صلوات الله وسلامه عليه ، والعين التى نرى بها صراط ربنا المستقيم قد ابعدت ابعادا كاملا في نظام التعليم المدني الذي قام في اقطار المسلمين وله برامج ان لم تكن واحدة فهي متقاربة جدا ، وقد قامت هذه البرامج على طرح هذه العلوم كلها إلا قشورا لا تصل ابناءنا بهذه المنابع وصلا حيا يشكل عقولهم ويوجه فكرهم .

هذه العلوم غريبة في مدارسنا وكلياتنا ومعاهدنا ونسميها علوم المشايخ لانه لم ينظر فيها الا هم اما بقية المثقفين والمفكرين والكتاب فليس لهم بها صلة الا ان تكون صلة واهية جدا ، وهذا أمر تفردنا به من بين الامم ، فليس هناك امة تقوم برامج التعليم فيها على مجافاة إرثها الحضاري والفكري الا ان تكون أمة مقهورة في سلطانها ، مغلوبة على أمرها ، او مغبونة في رأيها ، هذا مع ان الأمر عندنا له مزيد اهتمام لان هذا الارث هو فقه الاسلام وهو الماضي كله والحاضر كله والمستقبل كله . ومع هذا كله زحزحت هذه العلوم من مواقعها الطبيعية في مناهج التعليم التي هي منابع صياغة عقول أبنائنا وانحصرت في حلقات المشايخ في الازهر والمعاهد الدينية التي أنشئت في الاقطار الاسلامية لدراستها وكان يجب ان تظل حية فاعلة في عقول كل المثقفين من أبناء المسلمين الذين تتحرك بهم الحياة الفكرية في المجتمع الاسلامي ويوجهون حياته العقلية ، ومن هنا كان التوجيه الفكري والثقافي في بلاد الاسلام توجيها لا يتجه الى الكتاب والسنة كجهة تتأرجح حولها « بوصلة » العقل الاسلامي او كعبة يولي الفكر وجهه نحوها مهما تنوعت اهتماماته ، واختلفت محاريبه ، كما هو الحال في تاريخنا كله ، قبل ان توضع أقدامنا على غير طريقنا ، في هذا العصر الحديث ، وكما هو الحال في الأمم ذات التاريخ والارث الحضاري .

بدأ التعليم النظامي الذي يستقطب اكثر أبنائنا والذي صار « الزاميا » في أكثر اقطار المسلمين موليا وجهه نحو مناهج الغرب وموليا ظهره نحو الحضارة الاسلامية والفقه الاسلامي بمعناه المتسع الذي كانت فراقده قد غابت في غبار احقاب التخلف التي مرت بالأمة منذ زمن

بعيد ، وكان المقصود بإنشاء التعليم النظامي إخراج هذه الأقطار من بؤرة التخلف ، وكان أخصر طريق أمام من أقاموه أن يقتبس من الأمم الناهضة ، وقد حدث التباس شديد في معرفة الطريق الصحيح ، ولولا ذلك لكان من الممكن ان يكون هناك تخطيط لنظام التعليم وبرامجه ينقل الأمة من بؤرة التخلف الى عصر النور وهي في إطار حضارتها ومعارفها وارثها الشريف ولو حدث ذلك لكان اكثر عطاء وأجدى في صقل الشخصية المتميزة القادرة على البناء الفكري والحضاري المتميز ، ولكن هذا هو الذي كان وعليه مضى الحال ، ولا يزال يمضي .

وانحصرت العلوم العربية والاسلامية وإرث النبي صلى الله عليه وسلم كما قلنا في الازهر والمعاهد المناظرة في الاقطار الاسلامية ونشطت آنذاك وواكبت النهضة بل إن هذا العلم الشريف الموروث بعناصره ، القوية الفاعلة في بناء الانسان هو الذي أمد الامة في مصر وفي غير مصر بالكتاب والمفكرين الذين كان لهم اثر ظاهر في كسر شراسة الصليبية الثقافية التي هاجمت أقطار الاسلام بضراوة وحقد يضمر في احشائه روح الانتقام من هذه الحضارة التي قرع فرسانها أبواب بلادهم يوما ما .

وبقيت هذه المعاقل القائمة على إرث النبي صلى الله عليه وسلم بمثابة الأوتاد في ديار الاسلام ، وكان هذا النشاط المزدهر بمثابة العوض عن هذه الجموع الهائلة من أبنائنا الذين ابتلعهم التعليم العام وغيَّبهم عن إرثنا الحضاري إلا معلومات سطحية عن هذا الارث لا تغني شيئا في باب فقهه ومعالجته ، وكان أهل الرأي منا ينكرون ذلك .

ثم رأينا أنفسنا ـ وهذا هو العجب ـ في موقف نحسد فيه هذا الأمس الذي مالت فيه كفة الميزان لانها الآن قلبت رأسا على عقب

أما الأزهر الذي هو شيخ الجامعات ، فرغم توجه الجامعات الاسلامية اليه وما نقرؤه من كلمات رؤساء الوفود التي يذكرون فيها الازهر وعلمه وجلاله وتاريخه وهم صادقون لان هذه الكلمات تجري في خواطرهم وهم في أروقة المسؤولين في الازهر ، وجلال التاريخ الحافل لا تزال بقاياه .

إلا أن الذي اكتبه لك اكتبه وبين يدي هول الواقع لأني أدرس في كلية تسمى الكلية الأم وقد عشت فيها عمري كله متعلما ومعلما ورأيت فيها نضارة العقول الحية وكيف كنت أحسب حسابي بدقة قبل أن أتكلم بينهم في مسألة ، وكيف كنت أعد دروسي قبل لقاء طلابي ثم الآن استمع الى الطلاب فأرتاع حين أذكر أن هذه العقليات هي التي نعدها لتحمل إرث النبي صلى الله عليه وسلم وكيف يكون حال هذا الارث الشريف حين نضعه في ايدي هؤلاء ليبلغوه عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الهم الذي لا يطاق احتماله ، ومن واجبي ان أضع امام الرأي العام الاسلامي حقائق ماأجد ـ وان كان قلبي يقطر حسرة ولوعة ـ ولو كتمت ذلك لكنت من المشاركين بالصمت ـ في ضياع إرث النبي صلى الله عليه وسلم وإذا فعلنا ذلك فكيف نلقاه ونرجو شفاعته ؟!!

ويجب أن نتذكر أن طلاب المعاهد الدينية التي أقيمت في الأقطار الاسلامية لتؤدي في هذه الاقطار مايؤديه الازهر في مصر قد أصابها ماأصاب الازهر وهؤلاء يفدون الينا في الأزهر لاتمام الدراسة الجامعية أو ماهو فوقها ويظهر لنا التدهور المفزع في مستواهم لاننا كنا ندرس لنظرائهم قبل ضرب التعليم الديني في العالم الاسلامي

ونحن نطالب بالنهوض بمستوى طلاب هذه الجامعات والمعاهد . ونشير إلى أن هناك سبيلا آخر أمام الجماهير المسلمة التي تحرص على ارث نبيها صلوات الله وسلامه عليه ، وهذا السبيل هو إقامة معاهد دينية خاصة على غرار المدارس الخاصة ، ويدفع الطلاب فيها مصاريف كما يدفعون في المدارس الخاصة وسوف يكون الاقبال عليها موفورا ويجب ان توضع مناهجها بطريقة مدروسة دراسة ذات بصيرة واعية لان هذا تخطيط لاحياء حضارة وفكر ، وقيام نهضة حقيقية تقوم على علومنا ومعارفنا وبعقولنا كما قامت النهضات في كل أمة ناهضة ثم هو غرض نبيل تتوافى على المشاركة فيه الهمم النبيلة .

وبلادنا مليئة بالمدارس الأجنبية التي يداخلها ريب لا ريب فيه ، فلا أقل من أن تقوم مدارسنا التي هي جديرة بأن تنتمي الينا تهيىء ابناءنا الى الاستمداد من معارفنا وثقافتنا ويبقى فينا رجال يعرفون الحلال والحرام ، ويتوارثون العلم الذي يحمله عن كل خلف عدوله ، كما قال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وتبقى تلك الطائفة التي تنذر قومها كما قال الحق جل جلاله : « **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** » التوبة اية / ١٢٢ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ومن قبلهم باحسان .

عش في ظلال الله

للأستاذ / محمد لبيب البوهي

ليست العبادات طقوسا صماء خالية من متعة النفس المطمئنة ومباهج الروح . فالانسان المسلم حبيب الله .. والحبيب لا يكلف حبيبه الا بما فيه السعادة والخير له .. فقد ضمن سبحانه للمؤمن أن يحيا حياة طيبة . بل إن له كذلك أن يفيض على من حوله من الأهل والأحباب والصحاب بما يرضيهم ويسعدهم ويكتب له ثوابا عظيما ، فالمسلم الحق مصدر خير وبركات ولا يحتاج في تحقيق ذلك الى مشقة أو عناء بل إن الخير للناس ليفيض منه كما تفيض قطرات الماء من السقاء ، ليس عليه في ذلك الا أن يحقق معانى

إسلامه ظاهرا وباطنا متوكلا على الله محتسبا ، والحق سبحانه في كل ذلك معين له ميسر له الأمور مهيىء له أسبابها التى يرضاها ، بل إنه سبحانه يدعوك الى ان تطلب منه المزيد من كل ما يسعدك ويرضيك « **رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا**) المزمل / ٩

وما أروع واجمل ان نتأمل هذا النداء الرباني الذى تسعد به الروح وتشرق شمس الآمال : فقد تكون لك قضية في أمر من أمور دنياك ، فأنت تبحث لها عن محام من أهل الأرض قدير تبذل له من الأجر ما قد يفوق الطاقة ثم أنت لا تعرف مدى كفاءته في تحقيق دعواك .. ولكن ربك رب السموات والارض ومدبر أمرها سيحقق لك حين تتخذه وكيلا مافيه خير دينك ودنياك ، وانظر الى الفرق العظيم بين تعاملك مع الله وتعاملك مع الناس :

فالله يغضب إن تركت سؤاله
وبني آدم حين يسأل يغضب

فما اسعد الذي يتأمل هذا الامرفيسرع الى وضع اموره كلها بين يدى الوكيل العظيم القدير ، مطمئنا الى ما سوف تكون عليه عواقب الأمور ..
ثم إنك بهذا التفويض والتوكيل لرب العزة والقدرة والكرامة قد أرحت نفسك من هموم كثيرة ، وظفرت مع تحقيق الخير لك بمحبة ربانية لا سبيل إلى تحديد مداها (**فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**) ١٥٩ / آل عمران

إن قصارى القول أن تحقيق كل سعادة لا تكون الا بحسن اسلام الوجه والقلب والذات لله سبحانه مع العمل ، غير متواكل ، ثم لن تكون النتائج إلا خيرا ، وهناك امر يجب أن تكون على يقين منه ذلك أنك بتفويض الامر لله ليس حتما ان تأتي النتائج كما تشتهي وتهوى النفس فعلم الانسان قاصر ، وعلم الله محيط . فقد يكون أحدنا في عجلة من أمر لو تحقق له على هواه لأتعبه وأضناه (**وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون**) ٢١٦ / البقرة

سر إذن في حياتك وأمور دينك ودنياك هادىء البال مطمئنا ، واذا تأخر مطلب أو جاء بغير ما تهوى فلا تدع الدعاء فمجرد الدعاء في حد ذاته هو ذكر عظيم وهو مخ العبادة وقد يكون ثوابه أكثر قدرا ، وأعظم أجرا من تحقيق الأمر الذى كنت ترجوه ، ان خزائن الله ليس لها حدود ، ولقد تدعوه في أمر يرى فيه شرا لك فلا تكون الرحمة مجرد أن يصرف ذلك عنك ، بل إنك ما دمت قد دعوته فانتظر التعويض عما كنت ترجوه على صورة ما ، توفيقا في عمل أو هناء في عيش أو بركة في ذرية أو مزيدا في رزق فالمسلم دائما موضع حب

مولاه ورضاه وأموره كلها خير (**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**) ٩٧ / النحل

المسلم دائما في رحاب مولاه وتحت عين رضوانه يدافع عنه ويشد أزره وينصره ، وتتضاعف يوما بعد يوم بل لحظة بعد لحظة صحف حسناته ، بما يكتب في هذه الصحف من كل قول طيب أو مسعى حميد او عمل كريم فجسر السعادة قائم ممتد بين دنيا الفناء ونعيم الخلد ، وعند آخر يوم من أيام دنياه سوف يكون القبر روضة من رياض الفردوس .. انه خير بعد خير حتى تقوم القيامة فيكون الرضوان الأكبر في أمن من الفزع بعيدا عن أهوال ذلك اليوم الموعود (**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون * لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون**) الانبياء / ١٠١ ـ ١٠٢

من هم اولئك السعداء اصحاب هذا الوصف ؟ وكيف يدرك أحدنا ان يكون واحدا منهم أو في زمرتهم ؟ اولئك هم الذين عناهم الهادي البشير عليه صلوات الله وسلامة في حديثه عن السبعة الذين في ظل الله يوم لا ظل الا ظله

إمام عادل .. وشاب نشأ في عبادة الله .. ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه .. ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل قلبه معلق بالمساجد ـ ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين ـ ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه».

والامام العادل لا يقف التعريف به عند الحاكم ـ بل كل من تولى امرا أو أمانة أو مسئولية فهو إمام فيما يؤديه، يقتدى به سواه، فعامل النظافة في الطرقات ـ وحارس المبنى ـ والمدير ـ ورئيس مجلس الادارة والوزير والخادم في دار سيده والزوجة كل هؤلاء سواء في هذا الوصف فالكل راع والكل مسئول عن رعيته وننتقل مع سياق الحديث الشريف الى الشاب الناشيء في عبادة الله .

ألا ما أعظم هذا الشاب !؟ وما اسعده ـ وما أحسن حظه في كل امور دينه ودنياه ـ ان كل شيء مرهون بما تعوده فانت ترى المريض وقد اشتد به الضعف والمرض وكان قد تعود صلاة الفجر يجد نفسه برغم ضعفه ومرضه مستيقظا في اللحظات التى تعود فيها اداء الفريضة لا يستطيع مما تعوده فكاكا ـ فالخير عادة ـ والشر عادة ـ والطاعة عادة ـ والمعصية عادة والشاعر يقول :

وينشــأ نــاشىء الفتيــان منــا
عــلى مــا كــان عــوده أبــوه

اننا نلحظ أكثر المواعظ والخطب قد لا تحرك كثيرا أو قليلا ممن تقدمت بهم السن وتأصلت فيهم العادة بغير ما تدعو اليه الموعظة . وهنا تأتى مسئولية البيوت والآباء عن تنشئة الصغار على الطاعات بالقدوة الحسنة ـ والحافز الكريم ـ والتوجيه الحكيم فالشباب هم عماد الحاضر والمستقبل دينا ودنيا وان شئت ان تعرف ما قد يكون عليه مستقبل أمة من الأمم فانظر إلى ما عليه شبابها في حاضر أيامها .

ويشير الحديث الشريف الى من تعلق قلبه بالمساجد ـ وهنا رجعة الى الشاب الناشىء في عبادة الله ـ إن قلبه سيكون يقينا معلقا بمساجد الله التى هي دور عبادته مع وجوب التركيز على ان تكون العبادة جوهرا ومظهرا ظاهرا وباطنا ، وليست عملا ظاهريا أو شكلا خاليا من الجوهر واللب والمعنى ، فالمصلى في المسجد من الخير ان يتعوده ، أو أن نعوده نحن أن تصحبه روح المسجد بعد اداء الفريضة فيه ـ إن روح المسجد هي السلوك الاسلامي الحقيقي النقي في المعاملة مع الله ـ ومع النفس ـ ومع الناس وان يتعود ان يرى أثر فضل الله في كل شيء ـ وعند كل نعمة ـ ونعمه سبحانه لا تحصى ـ فالذي يستمتع بالنعم قبل أن يذكر المنعم بها المتفضل كان مثله كمثل من يدعى الى وليمة يقيمها له ملك من الملوك والملك يستقبله ويمد اليه اليد مصافحا ولكنه يغفل عن ذلك مبهورا بمباهج الوليمة غير ملتفت الى صاحبها .

ان من الخير ان نتعود حضور القلب مع الله . لأنه في الحقيقة لاشيء سواه ولا وجود لشيء معه ، فالوجود كله والاشياء كلها ظلمات في ظلمات لولا ما اشرق عليها من أنواره لما بدت صورها وأحجامها واشكالها . ولذلك ينصح أحدنا بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه ، فان الله يراه .. انظر الى الشمس انها قد تكون ساطعة في اروع اشراق لها ثم يضع انسان كفه على عينه فيجد ظلاما يحجبه عن الشمس التى تغمر كيانه كله باشعتها ونورها ولله تعالى المثل الأعلى .

ورجلان تحابا في الله ...

الحب هو قوام الحياة في شتى صورها ، وقد تختلف المسميات ولكن الجوهر الكوني واحد ، إن الحب بين بنى الانسان ، يقابله التجاذب بين الكواكب ولولا هذه الجاذبية المقننة بقوانين الله ، ما استطاعت هذه الكواكب أن تقوم ، إن الحب هو مادة البناء ، هو في العمارات الشاهقة المادة اللاصقة التى تضم مئات الألوان أو الملايين من قطع الاحجار ومواد البناء والخشب

والحديد فتقوم العمائر الآمنة المتكاملة .
انه الحب او التعاطف ، أو الجاذبية ـ أو المواد اللاصقة فالنتيجة واحدة لهذا العنصر الذى لا يقوم الكون بدونه .

لقد علمنا الهادى البشير أن الجنة لن تفتح أبوابها بغير الايمان ، وان الايمان لن يكون له قوام بغير الحب بشتى صوره الصادقة المطابقة لما امر الله .
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « ان رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مَدْرَجَتِه (١) مَلَكاً ، فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هـــذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تَرُبُّها ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل ، قال : فإني رسول الله إليك ، بأن الله قد أحبك كما أحْبَبْتَه فيه » (٢) أي أقعده يرقبه (مدرجته) أي طريقه .
ما أعظم سعادة الناس اذا اتخذوا الحب شعارا ، إذن لعم الخير وترادفت البركات على الارض ولعاشت الانسانية في نعيم لا سبيل الى وصفه وما قامت حروب ولا أحقاد ولا منغصات ، وما كانت هناك حاجة الى تكديس شتى انواع السلاح .. ولا كانت القنابل الذرية .
ان اسرائيل تعربد في ارض الله بسلاح واحد له شتى صوره ومظاهره ولكنه يرتكز على تقطيع أواصر المودة والحب بين بعضهم بعضا من العرب خاصة والمسلمين عامة ، لانهم إذا تجمعوا وتحابوا لما كانوا في حاجة الى سلاح ولذاب الشر الصهيونى وتآكل ..
لقد وضع الحق سبحانه للأنسانية في كل زمان ومكان دستورا لا مناص منه اذا أرادوا خيرات الحياة : (**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير .**) ١٣ / الحجرات

وتسألنى كيف يتم ذلك ؟ وكيف تكون البداية ؟ الأمر هين أن ينوى كل إنسان ذلك ، ويعزم ، ويتوكل على الله ، ويحسن صلته بربه ، ويرجو عونه ، ويبدأ رسالة الحب بذاته ، وبين اهله وأبنائه وعشيرته ، فالكل راع ومسئول عن رعيته .
وباقى الحديث عن العفة والنقاء والطهر والانفاق وخلاصتها في عشق وحب وإيثار المتع الروحية الباقية الخالدة التى تقود الى النعيم الابدى والخلود فيه وتقديمها على المتع الحسية الهابطة الزائلة التى تزول بعد لحظتها وتقود الى الخلود في عرصات الجحيم .

الإعلام

اولا : مفهوم الصورة الذهنية :

هناك تعريفات متعددة لمفهوم الصورة الذهنية image وخلاصة هذه التعريفات : ان الصورة الذهنية هي الأفكار والمعتقدات والمشاعر والأحاسيس التي تتكون في عقول الجماهير ووجدانهم تجاه قضية او منظمة او فكرة او شخص ، وهي تتبادر الى الاذهان عند ذكر اسمها لتعطي فكرة معينة او مفهوما عاما عنها قد يكون طيبا او سيئا ، وتتكون الصورة الذهنية مما يستقيه الفرد من معلومات ومعارف من المصادر المختلفة وكذلك مما يكتسبه من خبرات ، أي أن الصورة الذهنية هي محصلة محددات تاريخية وثقافية وسياسية وأجتماعية ، وتلك المحددات بطبيعتها غير منفصلة عن الواقع وإنما هي مرتبطة به ارتباطا وثيقا وهي انعكاس له كما أنها وسيلة لتغيير هذا الواقع وتطويره الى الأفضل .

ثانيا : الصورة الذهنية للمرأة في الدين الاسلامي :

في أواخر القرن السادس الميلادي ، ووسط ظلام كثيف يخيم على شخصية المرأة في جميع انحاء العالم المتمدن وغير المتمدن يومئذ ، انطلق من جزيرة العرب ، من فوق رمالها الدكناء ، وسهولها الجرداء ، وجبالها الحمراء ، من مكة المكرمة انطلق صوت السماء على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، ليضع الميزان الحق لكرامة المرأة ، ويعطيها حقوقها كاملة غير

والصورة الذهنيّة للمرأة

للاستاذ / بركات عبدالعزيز محمد

منقوصة ، ويرفع عن كاهلها وزر الإهانات التي لحقت بها عبر التاريخ ، والتي صنعتها أهواء الأمم ، يعلن إنسانيتها الكاملة وأهليتها الحقوقية التامة ، ويصونها عن عبث الشهوات ، ويجعلها عنصرا فعالا في نهوض المجتمع وتماسكه وسلامته .

إن الاسلام قد رسم صورة ذهنية إيجابية للمرأة ودعم هذه الصورة وكان ثورة جذرية على الصورة الذهنية السلبية الظالمة التي كانت موجودة عنها في المجتمع الجاهلي المظلم ، ويمكن تحديد أهم ملامح الصورة الذهنية التي حددها الاسلام للمرأة في العناصر الآتية :

● المرأة كالرجل في الانسانية سواء بسواء ، فقد قال الله عزوجل « **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة**» النساء /١ ، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنما النساء شقائق الرجال » رواه احمد وأبو داود والترمذي وغيرهم ، أي أنه من بين العناصر التي تقوم عليها الصورة الذهنية للمرأة ـ كما رسمها الاسلام ـ المساواة بينها وبين الرجل في الانسانية كمبدأ عام .

● المرأة أهل للتدين والعبادة ودخول الجنة إن أحسنت ، ومعاقبتها إن أساءت ، كالرجل سواء بسواء ، أي إن الاسلام سوى بين الرجل والمرأة في المسؤولية الدينية والجزاء والعمل والثواب ، وفي ذلك عديد من الآيات القرآنية الكريمة : قال الله تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » النحل/٩٧ وقال تعالى : « **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم.وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار » التوبة ٧١ و ٧٢
وقال تعالى : « **فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى** » آل عمران/ ١٩٥ .

● المرأة في الاسلام مُحرّم وأدها كما كان يفعل العرب بها في الجاهلية ، فجاء الاسلام وحارب هذه العادة ، وشنع عليها أشد ما يكون التشنيع .. قال تعالى : « **قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين** » الأنعام / ١٤٠ ، وقال تعالى : «**وإذا الموءودة سئلت . بأي ذنب قتلت**» التكوير/ ٨ ـ ٩ .

● المرأة في الاسلام مُحرّم التشاؤم بها والحزن لولادة الانثى ـ كما كانت عليه الحال في الجاهلية : قال تعالى : « **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون** » النحل /٥٨ و٥٩وقد سلك القرآن الكريم أساليب البيان العاليةوالوان الزجر الرهيبة لمن يرتكبون هذه الفعلة النكراء ـ ألا وهي التشاؤم بالأنثى والحزن لولادتها .

● المرأة في الاسلام مكرمة ومعززة أما وبنتا وأختا وزوجة وانسانة ، وفي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يؤكد هذه العزة والكرامة التي كفلها الاسلام للمرأة ، سواء كانت أماً أم بنتاً أم أختاً أم زوجةً .

● المرأة في الاسلام لها حق العلم ، فتعليم الفتاة هو حق لها مثل الفتى تماما ، وقد حث الاسلام كلا من الرجل والمرأة على العلم ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » رواه البيهقي والطبراني .

● المرأة في الاسلام لها حق الإرث : أما وزوجة وبنتا ، كبيرة كانت او صغيرة ، كذلك لها حق حيازة المال والعقار مهما عظم قدره .

● المرأة في الاسلام ـ محاطة بحماية وعناية شديدة فيما يتعلق بقضيتي الطلاق وتعدد الزوجات ، فبالنسبة للطلاق نجد أن الاسلام قد نظم هذه العملية بما يمنع تعسف الرجل واستبداده ، فجعل له حداً لا يتجاوزه وهو الثلاث ، وكان عند العرب قبل الاسلام ليس له حد ، وجعل الاسلام وقتا لوقوع الطلاق .. الخ ..
أما بالنسبة لتعدد الزوجات فقد حد الاسلام من هذا التعدد فجعله أربعا ، وقد كان عند العرب وغيرهم غير مقيد بعدد معين .

● المرأة في الاسلام آمنة مطمئنة في فترة ما قبل البلوغ ، حيث جعلها

الاسلام تحت وصاية أوليائها ، وجعل ولايتهم عليها ولاية رعاية وتأديب وعناية بشؤونها لا ولاية تملك واستبداد .

● المرأة في الاسلام ـ مصونة في بيتها : رسالتها الاساسية تنشئة وتربية الأجيال الصالحة ورعاية البيت لتقدم للمجتمع المسلم أبناء أقوياء أصحاء يجعلون هذا المجتمع آمنا على حاضره ومستقبله ، وعلى الرغم من ذلك فقد أباح الاسلام للمرأة أن تعمل خارج المنزل اذا ما وجدت ضرورة ملحة لذلك ، فالبيت ورعاية شئون الأسرة هو العمل الأساسي للمرأة ، أما إذا وجدت ضرورة لخروج المرأة للعمل فالاسلام يجيز ذلك،وقد خرجت المرأة للعمل والجهاد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن ذلك لم يكن هو المبدأ العام ، إذ أن المبدأ العام هو القرار في البيوت والاستثناء هو الخروج للعمل للضرورة الملحة .

● المرأة في الاسلام ـ مصونة عن استبداد الرجل فيما يتعلق برئاسته للبيت ، فقد نظم الاسلام حقوق الزوجين ، وجعل للمرأة حقوقا كحقوق الرجل مع رئاسة الرجل لشؤون البيت ، وهي رئاسة غير مستبدة ولا ظالمة ، قال تعالى : « **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة** » البقرة / ٢٢٨ .

● المرأة في الاسلام ـ روعيت طبيعتها وتكوينها النفسي والجسمي والعاطفي وبالتالي وجهها الاسلام الى ما تصلح له من أعمال في الحياة وأبعدها عن كل ما يناقض تلك الطبيعة أو يحول دون أداء رسالتها كاملة في المجتمع ، ولهذا خصها ببعض الأحكام عن الرجل زيادة او نقصانا ، كما أسقط عنها لذات الغرض بعض الواجبات الدينية والاجتماعية فالمرأة إذا حاضت أو نفست لا تصلي ولا تصوم ، ولا تكلف بإعادة الصلاة ، إلا أنها تعيد الصوم بعد زوال السبب ، كذلك راعى الاسلام طبيعة المرأة في بعض الأعمال والمجالات التي لا تناسبها مثل الإمامة وقيادة الجيوش ، وباختصار فإنه إذا كان الاسلام قد فَرّق بين الرجل والمرأة في بعض المجالات ، فإن هذا التفريق لا علاقة له بالمساواة بينهمافي الانسانية والكرامة والأهلية بل لضرورات اجتماعية ونفسية واقتصادية تطلبت ذلك .

هذه هي بعض أهم جوانب الصورة الذهنية المشرقة كما رسمها الاسلام للمرأة ، وهي الصورة التي يجب على كل المؤسسات والجماعات في المجتمع الاسلامي أن تعمل على دعمها وتأصيلها في نفوس الجماهير ، وأن تتم تنشئة الأجيال على أساسها ، لأن هذه الاجيال هي التي ستقرر مستقبلا وضع المرأة في المجتمع ، وما لم يتم رسم ودعم صورة ذهنية على أسس اسلامية عن المرأة في نفوس هذه الأجيال ، فإن المجتمع بالتالي سيبتعد عن الصواب الذي حدده الاسلام بخصوص المرأة .

ثالثا : الصورة الذهنية للمرأة بين الاهتمام الدولي والواقع الإعلامي الإسلامي :

لقد كانت الصورة الذهنية التي تعكسها وسائل الإعلام عن المرأة محل اهتمام من جانب تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الإعلام والاتصال ، وقد تشكلت هذه اللجنة من قبل منظمة اليونسكو « منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم » عام ١٩٧٦م ووضعت لنا تقريرا وافيا عن مشاكل الإعلام والاتصال في ضوء النظام الإعلامي الدولي الحالي ، فجاء هذا التقرير خلاصة وثمرة جهود مضنية لعدد كبير من الخبراء والصحفيين واساتذة الجامعات وغيرهم .. وعلى الرغم من أن التقرير تناول بعض الموضوعات الاعلامية الخاصة بالمرأة ، إلا أن الصورة الذهنية التي تعكسها وسائل الإعلام عن المرأة كانت اهم هذه الموضوعات ، حتى انها خصصت لها وثيقة مستقلة « الوثيقة رقم (٥٩) مكرر من وثائق اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال » .

وينتقد تقرير اللجنة بمرارة الممارسات الإعلامية التي تعكس صورة ذهنية سلبية للمرأة مثل :

تصوير وسائل الإعلام للمرأة ، أي تقديمها للجمهور من خلال الأفلام والمسلسلات .. الخ .. وهي تؤدي اعمالا غير ذات شأن في المجتمع .

★ تقديم المرأة واظهارها للجمهور على أنها عاجزة عن اتخاذ أي قرار .

★ تقديم المرأة ـ خاصة من خلال المادة الدرامية ـ على أنها تستهين بذكائها وتتواكل على غيرها ويعوزها المنطق وتؤمن بالخرافات ولا تتحكم في عواطفها .

★ الاعلانات تظهر المرأة في صورة ذهنية سيئة ، حيث تظهر المرأة في الاعلانات كرمز مغر للجنس لجعل السلع الاستهلاكية أكثر جاذبية عن طريق تداعي الافكار .

يجب الا ننسى ان تقديم المرأة الى ملايين المشاهدين والمستمعين والقراء بمثل هذه الصورة السلبية ينطوي على مخاطر متعددة ، وتكون هذه المخاطر أشد وطأة بالنسبة للمجتمع الاسلامي ، لأن هذه الصورة في أبسط وأقل تقدير تخالف الصورة الذهنية للمرأة كما رسمها الاسلام !

أو قل إن شئت : إن اظهار وسائل الاعلام في المجتمع الاسلامي للمرأة في صورة ذهنية سلبية وسيئة هو انتهاك صريح لقواعد وأوامر الدين الاسلامي الحنيف .

لكن تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال ، عندما تناول الصورة الذهنية للمرأة في وسائل الإعلام المختلفة فإنه تناولها في المجتمع

الانساني بصفة عامة ، أي دون تمييز بين المجتمع الاسلامي وغير الاسلامي ، حيث كانت اللجنة مشكلة على مستوى دولي وتضم شخصيات من دول اسلامية وغير اسلامية ، ودرست الصورة الذهنية للمرأة في وسائل إعلام دول إسلامية وغير إسلامية .. الخ .

ولما كانت أحكام الاسلام صالحة وصائبة وسليمة لكل المجتمعات على ظهر الأرض ، فليس غريبا إذاً أن نتبين بسهولة أن الصورة الذهنية السلبية للمرأة التي تعرضها وسائل الإعلام كانت محل إدانة واستنكار شديد من جانب اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال ، بل إن أعضاء اللجنة من الدول غير الاسلامية كانوا أشد استنكارا وإدانة لهذه الصورة ، يؤكد ذلك ما أعدته السيدة«مرجريت جالاجر»من وثيقة بعنوان :

.."The image reflected by the Mass Media: Images of Women"

الإدانة والاستنكار لتقديم صورة ذهنية سلبية عن المرأة في وسائل الإعلام المختلفة لم يكونا على اساس اسلامي لكن الفطرة البشرية والانسانية لهؤلاء المدينين والمستنكرين جعلتهم يدركون أن مثل هذه الصورة الذهنية للمرأة كما تقدمها وسائل الاعلام هي ظلم للمرأة واهدار لمكانتها وحقوقها .

لقد ادركوا ذلك ولم يكن في اذهانهم تلك الصورة الذهنية المشرقة التي وضعها الاسلام للمرأة ، ولو أدركوا هذه الصورة لما وجدوا افضل منها واعدل كي تقدم بها المرأة في وسائل الاعلام .. الاسلام دين الفطرة الصالح لكل زمان ومكان .

إذا كانت الصورة الذهنية للمرأة كما تعرضها وسائل الإعلام محل إدانة واستنكار من جانب غير المسلمين ، أليس من المفروض علينا كمسلمين أن نحتكم الى شريعة الاسلام فيما يتعلق بهذا الموضوع ، ونكون أشد إدانة واستنكارا له إذا ما تبين أن الصورة الذهنية للمرأة كما تعرضها وسائل الإعلام في المجتمع الاسلامي تخالف هذه الشريعة ؟

ثم أليس من المفروض على وسائل الإعلام في الدول الاسلامية أن تلتزم بالصورة الذهنية الاسلامية للمرأة ؟

أحد الأبحاث والدراسات العلمية تناول بالتحليل المتعمق الصورة الذهنية للمرأة كما تعرضها أفلام السينما في إحدى الدول الاسلامية .

وأفلام هذه الدولة تسوق في عديد من الدول العربية والاسلامية الأخرى ويراها الملايين من البشر هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذه الدراسة التي تتناول تحليل الصورة الذهنية للمرأة انتقيتها من الدراسات العلمية التي اتبعت إجراءات منهجية غاية في الدقة والإحكام والموضوعية والتجرد وبالتالي فإن نتائجها علمية ودقيقة .. فما هي أهم

النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة ؟ ما هي الصورة الذهنية للمرأة كما تعرضها أفلام السينما في المجتمع الاسلامي ؟ والى اي حد تتفق مع الصورة الذهنية للمرأة كما حددها الاسلام ؟

إليكم النتائج التي أسفرت عنها دراسة تحليلية لصورة المرأة في أفلام السينما .

اولا : المرأة منحرفة : شكلت قضية انحراف المرأة ١٤,٩٪ من مجموع القضايا التي عرضتها مجموعة أفلام الدراسة ، وتبين أن أسباب انحراف المرأة حسبما جاء في الأفلام ، المال ، الحب ، الفهم القاصر والخاطيء للحرية ، الخلافات الأسرية .

وقد أُعطى التحليل العلمي لقضية الخيانة الزوجية أهمية خاصة لعظم وزرها ، واتضح أن أفلام السينما لا تصور المرأة لمجرد خسة الخيانة الزوجية ، وإنما تقوم هذه الأفلام التي تعرض على ملايين المشاهدين في المجتمع الاسلامي ، باضفاء أبعاد بالغة السوء ، ضالعة الإجرام لصورة المرأة الخائنة ، كأن تقدم المرأة وهي تتفق مع عشيقها على قتل الزوج والتخلص منه ، أو وهي تتفق مع هذا العشيق على أن تزوجه ابنتها أو ابنة زوجها حتى تضمن علاقتها به حتى النهاية ، فهل هذا يتفق مع الصورة الذهنية للمرأة كما حددها الاسلام ؟

ثانيا : المرأة عاطلة ، وفارغة ، غير مبالية بأبسط أُمور الحياة ، غير مهتمة برعاية بيت أو أسرة أو إنسان ، وقد بلغت نسبة من هُنّ بهذا المعنى ٢٣,٢٪ من إجمالي الشخصيات التي عرضتها الأفلام .. فهل هذا يتفق مع شرف الأمومة وجهاد المرأة وعملها في الاسلام ؟

ثالثا : المرأة المطلقة ـ كما تصورها أفلام السينما ـ تقدم في صورة ذهنية سيئة فهي امرأة تافهة أُدى بها الطلاق الى الانحراف أو هي في طريقها الى الانحراف ، او أن مهمتها الأساسية اقتناص زوج ، أو هي امرأة تقف بلا سند بين رجال متحفزين للنيل منها .. فهل هذا يتفق مع فريضة الاسلام وشرعه بخصوص الطلاق ؟

رابعا : المرأة ـ كما تصورها أفلام السينما ـ تعتقد في الخرافات والدجل والشعوذة ، وقد بلغت قضية اعتقاد المرأة في الخرافات ٨,٤٪ من إجمالي القضايا التي عرضتها السينما ، كما أن المرأة غير منطقية في مواجهة المشكلات ، وقد شكلت قضية عدم منطقية المرأة ٥٠,٦٪ من إجمالي هذه القضايا مقابل ٢٣,٧٪ شكلتها المرأة المنطقية و ٢٥,٧٪ ممن جمعن بين المنطقية وعدم المنطقية في مواجهة المشكلات .

خامسا : المرأة ، كما تصورها أفلام السينما عاجزة عن حل أبسط المشكلات حتى في نطاق البيت ولا يمكن ان تتخذ حتى القرارات البسيطة في الأمور

التي تدخل في نطاق طبيعتها واهتماماتها كسيدة أصلا .

سادسا : تضمنت الأفلام السينمائية محل التحليل صورة ذهنية سيئة للمرأة حيث جاءت كالاتي : **امرأة ليل** بنسبة ٤٨٪ ، **عضو عصابة** ٣٦٪ ، **نشالة** ١٢٪ ، **شحاذة** ٤٪ من اجمالي الشخصيات المنحرفة التي تضمنتها الأفلام .. فهل هذا يتفق مع عزة وكرامة المرأة التي كفلها لها الاسلام ؟

سابعا : ليس هناك اهتمام يذكر بالمرأة الريفية التي تقوم بأجَلّ الأعمال لخدمة التنمية في أبعادها المختلفة ، حيث تبيّن من تحليل الأفلام عينة الدراسة أن المرأة الريفية لم تظهر إلا بنسبة ٥,٤٪ من إجمالي ظهور الشخصيات في حين ظهرت الراقصة والمطربة ... الخ بنسبة ٩,٥٪ فهل هذا يتفق مع النسبة العددية لوجود كل نوعية في المجتمع ؟ وهل هذا يتفق مع اهمية الدور التنموي الذي تؤديه كل نوعية ؟ وهل هذا الظلم يتفق مع مكانة المرأة في الاسلام ؟

ثامنا : ظهور بنات الثانوية ـ كما اتضح من تحليل عينة الأفلام السينمائية بصورة غير مشرفة إن المرأة حسبما جاء في هذه الأفلام جعلت الحياة الجامعية مجالا للانحراف وليست مجالا لتلقي العلم وتحصيله بل زادت من اضطراب العلاقات في الجامعة ، وتشوهت صورتها في المجتمع من خلال المرأة ، فهل هذا يتفق مع إكرام الاسلام للمرأة .

ومع اعترافنا بوجود بعض النماذج السيئة في كل مجتمع ، إلا أنه من المفروض على وسائل الإعلام سواء كانت إذاعة أم تلفازا أم (سينما) أم صحافة أم مسرحا ألا تتناول هذه النماذج بما يشيع الفاحشة ويشجع على ارتكابها في المجتمع الاسلامي كذلك يجب على وسائل الإعلام في المجتمع الاسلامي ألا تروج لهذه النماذج بشكل واسلوب يضر بمصالح الأغلبية المؤمنة المكافحة من النساء ، بل إن على وسائل الإعلام ، وغيرها من المؤسسات في المجتمع الاسلامي مسؤولية مقاومة السوء والانحراف سواء كان مصدره الرجل أم المرأة وهناك العديد من الأساليب الإعلامية المؤثرة التي يمكن من خلالها التصدي للانحراف وجذبه الى دائرة الضوء ووضعه تحت رقابة اجتماعية دون أن تقوم القلة المنحرفة بشكل ومضمون يخلق ويدعم صورة ذهنية سلبية للأغلبية غير المنحرفة .

حقوق الزوجة

مما لاشك فيه أن الاسلام شرع مركز المرأة في الحياة . وجعل لها من الحقوق والواجبات ما لم تجعله شريعة سابقة ، بل ضن عليها رجال بعض الأديان بأن تكون إنسانا ، فاعتبروها حيوانا نجسا لا روح له ، أو أنها إنسان لا حيوان ، لكنها إنسان خلق لخدمة الرجل ، ومنهم من جعل حياتها مرتبطة بحياة الرجل . فإذا مات الرجل أصبحت المرأة لاحق لها في الحياة فيحكم عليها بالموت معه ..

ثم جاءت شريعة الاسلام السمحة لتجعل لها من الحقوق والواجبات مثل ما للرجل ، فأعطاها الاسلام حرية التصرف في أموالها ، كما أعطاها حرية اختيار زوجها ، بل جعلها الله سبحانه وتعالى آية من آياته .

فقال تعالى : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) سورة الروم آية (٢١)

فاذا نظرنا إلى هذه الآية الكريمة وجدنا أن الله سبحانه وتعالى جعلها آية من آياته . لا حيوانا نجسا . خلقت من أنفس الرجال لا من طينة اخرى ، فهي من الرجل والرجل منها .. وقد خلقها عز وجل لتكون زوجة ـ لا لتكون خادمة . وزوجة يسكن إليها . والسكن أمر نفساني وسر وجداني يجد فيه المرء سعادته وراحته وأمنه وطمأنينته .

وقد أودع الله في كل منهما سر الحنين الى صاحبه والاقبال عليه فهو يدلى إليها بمودته ورحمته وهي تدلى

على الزوج

للأستاذ / عبد الفتاح السيد عبد السلام

إليه بمثل هذه المودة والرحمة . وهو معنى قوله تعالى : « **وجعل بينكم مودة ورحمة** » .

ولهذا فقد قرر الاسلام ما بين الزوج والزوجة من أصول التعاون على رسالة الحياة الزوجية فجعل للزوج على زوجته حقوقا ، كما جعل - ايضا للزوجة حقوقا منها :

● **النفقة** :

فالنفقة تلزم الزوج من حين عقد الزواج - يعد لها المسكن والمتاع ، ويوفر لها الطعام والشراب والكسوة ، ولا تلزم الزوجة ولو كانت ذات مال أن تنفق على نفسها شيئا من مالها ، قليلا أو كثيرا إلا أن تتطوع به عن طيب نفس منها ولا يحق للزوج ان يجبرها على شيء من هذا حتى ولو كانت ذات مال وزوجها فقير ..

وفي ذلك يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : (ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف) . (رواه مسلم) .

وعن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال (قلت يارسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال عليه الصلاة والسلام : أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت . ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت) رواه ابو داود ..

وقال سبحانه وتعالى : (**اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم**) . سورة الطلاق . آية ٦ .

أي على قدر ما يطيقه كل منكم . كما أن نفقة الطعام والكسوة تقدر بطاقة الزوج وقدرته المالية : فالغني ينفق من

سعته ، والمقل على قدره لقوله عز وجل :« **لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا** » . سورة الطلاق آية ٧

فإذا قدر الزوج الغني ان يكسو زوجته الحرير ويعيشها في مستواه المادي حكم عليه بذلك .

● **إحسان العشرة** :

ومن حق الزوجة على الزوج إحسان العشرة : لقوله تعالى : « **وعاشروهن بالمعروف** » سورة النساء . آية ١٨ .

وقال الله عز وجل « **ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن** » سورة الطلاق . آية ٦ . أي يجب التوسيع عليهن في المعاملة ، ويحرم ما يضرهن ، فمن استقام على ذلك مع زوجته فهو المسلم الحق المقيم لحدود الله عز وجل ، ومن ضيق عليها وضارها بسوء خلقه وشراسة طبعه ، فليس ذلك من الاسلام في شيء . وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو هريرة رضى الله عنه (أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم) .
رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ..

ومن حسن المعاشرة ألا يألو الزوج جهدا في الترفيه عنها بما يدخل عليها السرور وأن يكون طلق الوجه ، يحسن اختيار الكلمة الحلوة ويشكرها على ما تؤديه من خدمة له ولأولادها ، فانها غير مكلفة شرعا بشيء من ذلك ويحاول أن يسرى عنها اذا غضبت ويخفف عنها إذا تعبت . وأن يمازحها المزاح المباح .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسابق السيدة عائشة فتسبقه أو يسبقها .. وكان عليه الصلاة والسلام يجمع نساءه كل ليلة فيتبسط معهن في الحديث . ويلاطفهن حتى تنصرف كل منهن الى مضجعها وهي قريرة العين .

ومن حسن عشرتها حسن الظن بها وترك التجسس عليها وعدم تتبع عثراتها ..

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ـ فيما نقل عنه جابر رضى الله عنه قال (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلا، يتخونهم أو يلتمس عثراتهم) (رواه مسلم)

والتخون أن يظن وقوع الخيانة من زوجته . والمراد من الحديث ألا يطرقها مفاجأة ليعرف ما تكون عليه من عثرات . فحسن الظن بها واشعارها بكمال الثقة أولى .

ومن حسن المعاشرة المحافظة على حيائها وكذلك المحافظة على حقوقها الزوجية من اعطاء حقها في الفراش . والمحافظة على شعورها وذلك بألا يجرح شعورها بكلمة سيئة أو نظرة غليظة .

كما يجب عدم كشف سرها لأحد لأن ذلك ينذر بالقطيعة ويخلق الحقد والضغينة في النفوس ويعتبر من سوء الخلق . لهذا منع الاسلام كشف سرها .

السماح لها بزيارة أهلها إذا هي أرادت ذلك والسماح لأهلها بزيارتها في بيتها في أوقات معلومة . لأن ذلك من صلة الرحم وهي واجبة في الاسلام .. كما يجب مساعدتها ومعاونتها عند الحاجة . كما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع نسائه .

كما يجب احترام ملكيتها الخاصة وألا يتصرف فيها إلا بإذنها ..

● تعليمها ما تحتاجه من أمور الدين

الرجل مسؤول عن زوجته أمام الله عز وجل لأنه راعيها وكل راع مسؤول عن رعيته يوم القيامة . كما جاء في الحديث

فحق عليه أن يعلمها ما لم تتعلمه من الطهارة والوضوء واحكام الحيض والنفاس والاستحاضة وأمور الصلاة والصيام وقراءة القرآن الكريم وذكر الله ؛ وواجبها نحو اهلها وجيرانها وأقاربها وأهل بيتها . وكيف تلبس ملابس شرعية وكيف تجتنب الخلوة بالرجال وكيف تخاطب الرجال وتحادثهم ان دعا إلى ذلك داع . إلى آخر ما يطلب منها شرعا . فإن لم يستطع فعليه أن يسأل العلماء ويبلغها فان لم يفعل وجب عليه أن يأذن لها لتخرج وتتعلم أمور دينها . فإن لم يأذن لها وجب عليها الخروج بغير اذنه بالنسبة لتعلم الأمور الواجبة والمحرمة . فإذا تعلمت الواجب والمحرم فلا تخرج لطلب العلم إلا بإذنه .

هذه هي حقوق الزوجة على الزوج التي ينبغي على كل زوج مسلم أن يؤديها لزوجته كما أمر بها الله ورسوله : فالزوجة هي الجانب الأضعف والأحوج الى العطف والرحمة وحسن الرعاية . ولهذا فقد وصانا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بها خيرا .هذا وبالله التوفيق ..

سماحة العلماء

نقل عن أبي حنيفة انه قال : « هذا الذي نحن فيه رأي لا نجبر أحدا عليه ، ولا نقول : يجب على أحد قبوله بكراهة ، فمن كان عنده شيء أحسن منه فليأت به .

الفتيات العربيات
لماذا انصرفن عن العمل ؟

للاستاذ / عباس عباس سيد أحمد

هذه السطور ربما لم تكن لتتداعي على النحو الذي هي عليه لولا حديث سيدة سمعته كما سمعه غيري من خلال حلقة حوار بثها « التلفـزيون » في إحدى العواصم العربية .

والسيدة صاحبة الحديث معروفة بسعة ثقافتها ، وكثرة ترحالها ، ولها عدد من المؤلفات الأدبية ، ثم إن صوتها من أقوى الأصوات النسائية الداعية إلى أن يكون للنساء كل حق استقر أنه للرجال .

في الحوار المشار إليه سئلت هذه السيدة ما رأيها في موقف فتيات الجيل الحاضر من الحقوق التي كسبتها قضية تحرير المرأة ؟ فكان ردها معبرا عن أسى عميق ، وكان رأيها أنهن لم يستمسكن بهذه الحقوق ، وإنما فرطن فيها فأضعنها .

كيف حدث ذلك ؟ يأتي تفسيرها بأن الفتيات ـ ويالخيبتهن ـ صبرن السنين الطويلة متنقلات بين مراحل التعليم ، حتى إذا تخرجن من الجامعة رضين ـ كما تقول ـ أن يتزوجن صارفات النظر عن العمل :(الاشتغال بالوظائف) متجاهلات أن عمل الزوجة فيه كرامتها .

وهنا أتوقف قليلا لأشير إلى أن السيدة المتحدثة سئلت عن الحقوق التي كسبتها قضية تحرير المرأة ، كما أنها أجابت عن الحقوق نفسها باعتبار أنها ضيعت ، لكنها لم تخرج عن التركيز على أمر واحد هو العمل أو التوظف ، وكأن ذلك الأمر الواحد هو الحقوق كلها ، ولهذا مغزى نعود إلى الحديث عنه خلال ما يأتي من السطور .

ولا بأس أن أشير أيضا إلى أن التوظف حق قانوني للمرأة ، وكل حق صاحبه مخير بين الحصول عليه وتركه ، وعليه فلا وجه للومها الفتيات اللاتي اخترن ألا يعملين ، لولا أنها تتعمد أن تضع الحق في مكان الواجب .

هذا .. ولعلي لا أكون متجنيا على إجابتها حين أفصلها في عدد من القضايا بعضها مصرح به من المنطوق ، وبعضها يتحتم فهمه من ملابسات الحوار .

● الزواج لا يجوز أن يكون متطلع الفتاة إلا بعد أن يكون لها عمل وظيفي ومع ضمانها أن تستمر فيه بعد الزواج .

● في عمل الزوجة كرامتها ، أي أن الزوجة التي لا تعمل لا تكون لها كرامة ، أو ـ على الأقل ـ ليست مؤهلة لتكون ذات كرامة !!

● الزوجة التي تعمل لا تكون عالة على زوجها ، والعكس بالعكس !!

ويطيب لي أن أتساءل : إذا لم يتيسر لفتاة عمل يناسب قدراتها بحسب ماتأنس من نفسها ، أو كان أقل من أن يحقق لها مقابلا ماليا يقنعها ، وطلب الزواج منها رجل موسر ، مرضي الخلق والدين ومرضي عندها ، فهل ترفض مطلبه نزولا على رغبة الأستاذة الزعيمة ؟ ثم اتظل ترفض من بعده ومن بعدهما ، لا تعدل عن الرفض إلا أن يتيسر لها العمل ، مع احتمال ألا يتيسر إلا بعد سنين متى بلغت منتهاها صارت غير مرغوبة ، لسنها من جهة ، ولما عرف عنها من رفض كل خاطب ؟

ثم أتساءل : إذا تقدم لفتاة تعمل خاطب ممتع بكل صفات الزوج المرغوبة ، لكنه اشترط تركها العمل لتتفرغ للأسرة الجديدة ، فهل ترى الأستاذة المجربة أن ترفض الفتاة الزواج منه إلا أن ينزل عن شرط تركها العمل ؟

أرجو ألا أكون مخطئا إذا قلت : إن هذا تضييق ليس في صالح الفتيات ، وإن نظرة كنظرتها لابد أنها تعتبر الزواج أمرا ليست له أهمية !! كيف لا وهي تمنع منه الفتيات إلا أن يعملن قبله وبعده ، متجاهلة الطبائع البشرية .

ولا يسع المرء إلا أن يعجب لفرق ما بين هذه النظرة ونظرة امرأة من نساء الجاهلية ، لم تكن تعرف المبادىء الأولية للقراءة والكتابة ، تزود ابنتها المنتقلة إلى بيت الزوجية بدستور شامل ، وتقول لها في التمهيد : أي بنية ، لو أن أمرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها ، لكنت أغنى الناس عنه ، لكن النساء للرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال .

إنه لمن رحمة الله بالنساء ـ وبالرجال ايضا ـ أن نظرة السيدة الأستاذة العصرية لم تجد قبولا لدى فتيات هذا الجيل ، اللاتي تحدثت عنهن ساخطة ، كأنما أحدثن في الأخلاق ثلمة ، ولست أخفى الرضا كل الرضا لما أسخطها ، لا من شماتة بها ـ لا سمح الله ـ ولكن لمايحمل من دلالات انتصار العقل على الأهواء ، فلعل الفتيات المتهمات في نظرها بخذلان ما يسمى تحرير المرأة عقلن ان الزواج الذي شرعه الله سبحانه وتعالى عصمة من الزلل ليس إلا أمرا مهما ولعلهن عرفن أن العمل بالنسبة للزوجة يعرضها لمتاعب ليس من الحكمة أن تواجهها إلا مضطرة ، ولعلهن قارن بين الربح والخسارة ، فوجدن أن الزائد بالعمل قليل ، وأن الناقص كثير ، وأن الزيادة لا تسوغ أن يضحين براحتهن ، وراحة أزواجهن ، ومن سيسألن عنهم من بنين وبنات .

ولعلهن ـ وليس ذلك بآخر ـ قد استبان لهن أن القول بأن عمل الزوجة فيه كرامتها زعم لايثبت أمام تمحيص .. فعند من هذه الكرامة ، أو في نظر من ؟

عند الزوج مثلا وفي نظره ؟ وهل يختار رجل امرأة لتكون له زوجا ، ولولده أما ، إلا وهو مقتنع بأنها ذات كرامة ؟ وهل يظل يمسكها تحت سقف بيته ، إلا أن يظل على الاقتناع بأنها ممتعة بالكرامة ؟ ثم لكأن الزوجات من لدن حواء الى أول عهد النساء بشغل الوظائف كن مهينات ، أوفاقدات في بيوتهن أهلية الكرامة !!

أما ما يقال من أن الزوجة يجب أن يكون لها عمل لئلا تكون عالة على زوجها ، فما أعجبه ، إذ كيف لا ينقاس عليه أن كل ذات حق من النساء عالة على من يجب عليه حقها من الرجال : الأم عالة على ابنها الذي لا كافل لها غيره ، والفتاة على أبيها ، والأخت على أخيها ، فهل ترى أن ذلك إلا من مرفوض الأحكام ؟

ولقد نسلم بأن الزوجة التي تشتغل بعمل وظيفي تحقق بعملها كرامة ما كانت لتنبغي لها لولاه ، ونتساءل : ما السر ؟ أهو أنها تستغنى بالمقابل المادي لعملها عن أن تأخذ من مال زوجها ؟ هذا مالا يؤيد صحته واقع ، فالنساء العاملات أكثر من غيرهن تكلفا للمظهر ، وتعلقا بما يسمى (بالكماليات) ، وهن لذلك أكثر من غيرهن مطالبة للأزواج .

فإن توهمت أنها بعملها تضمن مركز القوة حيال زوجها فكيف تنسى أن ذلك لا يتأتى إلا وهي في مركز الضعف حيال مالك العمل ؟ ولماذا لا تؤرقها الحساسية حيال من تعمل له بحيثية المستأجرة ، وتأخذ الحساسية عليها كل سبيل حيال من يعمل لها لحيثية أنها زوجة ؟ وبين الحيثيتين فرق كبير ،

فأين من المرأة الزوجة المرأة المستأجرة ؟ ثم بين ما يترتب على الحيثيتين فرق كبير أيضا ، فالمرأة عاملة لها أجر قدره الناس ، وأما المرأة الزوجة فإن لها حقا قدره خالق الناس ورازقهم وآمرهم : « **لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدِرَ عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله** » (من الآية ٧ سورة الطلاق) .

ولقد تقرر في التشريع الاسلامي أن للزوجة على زوجها ما يكفيها من مطعم وكسوة ومأوى ، لايعفيه من شيء من ذلك أن يكون لها مال خاص ، فإن قصر كان لها أن تأخذ من ماله ولو بغير علمه ما يجبر القصور .

فأية كرامة تلك التي يزعم أن الزوجة تفتقر إليها إن قرت في بيتها تمسح عن نفس زوجها عوالق الهموم ؟ وأية إهانة في أن تصرف النظر عن وظيفة لاتحوجها إلى عائدها فاقة ، لتوفر لأولادها ما هم بحاجة اليه من الحنو والاطمئنان ؟

لقد كنا ـ ودوران الحديث حول المرأة التي نالت من إجازات التعليم أرقاها نقدر أن يقال إن كرامتها وقد تزوجت في معرفتها الكاملة حدود مسؤوليتها كزوجة ، واضطلاعها بهذه المسؤولية بحيث لا تتيح فرصة ليد أن تشير إليها بمؤاخذه أو أن تتهمها بتقصير ، وأن يتسع معنى الكرامة عندها فلا يتحقق لها منها حظ إلا أن يتحقق لها ولزوجها .

هذا .. وأرى أن نكتفي بهذا الجانب من المناقشة لندخل إلى جانب منها جديد ، هو : كيف أن إعراض فتيات هذا الجيل عن العمل الوظيفي ، ودخولهن في الزواج مكتفيات بحمل مسؤولياته يعتبر في رأي السيدة ـ التي نقلت رأيها من قبل ـ إضاعة لحقوق المرأة التي كسبتها بجهد هذه السيدة ، وجهد زميلاتها اللائي سرن بالحركة النسائية منذ تخرجهن من الجامعة (كن أول دفعة نسائية تخرجت فيها) وما زلن سائرات بها إلى الآن ؟ هل يعتبر عمل النساء في نظر الزعامة النسائية وبالنسبة لما يطلق عليه تحر يـر المرأة بمثابة القلب من الجسد مثلا ، يضيع هذا إذا توقف ذلك ؟ الجواب نعم ، فالزعيمات ـ وهن سليلات ما كان يسمى الوسط الراقي ، عربيات المولد والهوية ، أوروبيات التقاليد والميول ـ عملن لتحرير المرأة ، لكن تحريرها مم ؟ أمن قيود وجدن أنها كانت مفروضة عليها من جهل المجتمع ببعض أحكام الشريعة السمحة ، بسببها تحرم من التعليم ، ولا تخرج الى الطريق العام إلا في صحبة محرم ، وإذا مرضت لا يدعى لها الطبيب لأنه من الغرباء ، ثم تزوج دون أن تكون رأت زوجها ، ودون أن يؤخذ رأيها فيه ؟ إلى آخر هذه التقاليد التي لو سعت زعيمات الحركة النسائية لتصحيح الخطأ فيها لكن مشكورات مأجورات ؟ لا .. ليس ذلك هو التحرير الذي عملن له ، ولا التحرر الذي أردنه للمرأة وإنما يردن ما يختلف عن ذلك تماما وهو ما تدركه حين تسمع إحداهن تلوم المجتمع العربي قائلة لماذا تمنع الفتاة حق السفر الى الخارج بينما يسمح بذلك للفتى ؟ ولماذا والمجتمع يتغاضى عن الشاب يرى في صحبة فتاة تقوم الدنيا ضدها حين يراها في صحبته ؟ وأليس

من الظلم أن يكتفي الزوج بإخبار زوجته في « التليفون » أنه مسافر ، وإذا أرادت هي السفر فلا بد من الحصول على إذنه ؟

إنهن إذن يردن امرأة عربية صورة طبق الاصل من المرأة الاوروبية فإذا هي فتاة تستقل بتدبير حياتها ما دامت بالغة سن الرشد ، وتتحول العلاقة بينها وبين أسرتها الى علاقة شركة في طعام تدفع نصيبها النقدي فيه ، كما تدفع مقابل الأوىٍ إلى المنزل ، والخدمات المتاحة كالكهرباء « والتليفون » ثم لا هى مسؤول عنها أحد ، ولا أحد هي مسؤولة عنه ، ولا يختلف الأمر عن ذلك كثيرا إذ هي زوجة ، فالحياة الزوجية إحدى الشركات المتفق على قيامها بين اثنين ، ليس لواحد منهماالتدخل في شؤون الآخر ، ولكن لأي منهما إلغاؤها بالفعل ولو بقيت بقوة العقد حبرا على ورق .

لكن المرأة الأوروبية أو الغربية لم تصل إلى هذا الشكل من التحرر فقط لأن مجتمعها ارتضى العلمانية صيغة لحياته منذ زمان طويل ، ولكن ومع ذلك لأنها اندفعت تعمل في مجالات العمل ، وأنى للمرأة العربية مسلمة وغير مسلمة أن تنال حرية مماثلة إلا أن تعمل فتستقل بكسبها .

هذا معنى أن في عمل المرأة او الزوجة كرامتها ، وهو أيضا تفسير أن تفريط المرأة في العمل تفريط في الكرامة وفي مكاسب الحرية ، وإضاعة للقضية .

على أن العمل الذي تتحرر المرأة العربية به هذا التحرر الذي علمت ليس قاصرا على ما كان يقال إنه يناسبها كالتمريض ، والتربية ، ولكنه العمل كله ، في المجالات التي يعمل فيها الرجال كلها !! وما الذي تخشاه المرأة من ذلك ؟

ألم تقارن الدراسات المتنطعة بينها وبين الرجل فإذا هي تكتشف أنها متفوقة عليه في كل شيء لترجح قوة بدنها قوة بدنه ؟! ومن الطرائف أن بهذه نفث الغرور في روع بعض الشابات فعملن في وسط الزحام ذات يوم محصلات بحافلات النقل العام ، والحق أن عدد الركاب تزايد لتكالب الكثير منهم على هذه الحافلات بقصد السخرية أو بقصد (المسخرة) !!

هذا .. ولأن الزوجات اللاتي لا تضطرهن الى العمل فاقة ربما تراودهن نفوسهن بتركه لصعوبة الجمع بينه وبين أعبائهن البيتية اتبعت معهن وسيلة غسل الدماغ وملئه ، بكثرة التخويف من الرجال الأزواج ، فالرجال جميعا خوانون غدارون ، لايرعون لعيش الزوجات حرمة ، والتعيسة منهن من انخدعت بطيبة زوجها ولم تحذر الغدر منه ولو بعد التسعين .

وأدى التخويف أغراضه ، فإنك لتجد من كثرت شكايتها من متاعب العمل كلما همت باتخاذ القرار لتركه تراجعت قائلة في نفسها : عمل في اليد أمان حين يقع أبغض الحلال .

ولنتساءل بعد كل ذلك : مذ خرجت المرأة العربية للعمل ما الذي أفادته حتى الآن ؟ في تصوري أنها لم تفد ، بينما فقدت الكثير ، وكأنها كانت تريد

أن تحوط حياتها بالعمل ، فنسيت وحاطته هو بحياتها ، فإذ اعتادت أن تكون (باشة) في مجتمع عملها لم تجد غضاضة أن تتجهم بين أفراد اسرتها ، وعنيت بنظام مكتبها ، وأهملت نظام بيتها ، وحرصت على حقوق المدير وفرطت في واجبات الزوج ، وكلما ذكرت بأن الحياة الزوجية والأسرية تفقد بهذا الواقع طعمها ، انفجرت باكية تندب حظها الذي جعل رجلها لا يقدر أنها تحارب في جبهتين ، وتنتقل بين موقعين ، كأنه هو الذي اختار لها ذلك .

وإذا أشير عليها بأن تترك العمل فتريح وتستريح ، ثارت بخواطرها عقدة الرجل الغدار ، وما أكثر البيوت التي انهارت لأن الزوجة العاملة مصرة على تعذيب نفسها ومن حولها برغم غنى زوجها ، ومسارعته بتحقيق كل مرغوب لها .

ولا على الزعيمات اللاتي لا يزلن مصرات على أن كرامة الزوجة في عملها ، لا فرق بين معوزة ومغتنية ، ولا بين من يرضى زوجها ، وتلك التي يستنكف زوجها من عملها وكلما ازدادت نسبة الطلاق ارتفاعا وهي في وسط المتعلمات العاملات تزداد ، ارتفعت الاصوات : الاسلام دين التيسير وأحكامه مرنة ، وهو قادر على ان يساير كل الظروف فكيف لا تجدون من تشريعاته ما يحجر على الرجل في حرية الطلاق ؟ وهل يراد من الاسلام أن يبارك لكل ذي هوى من الناس هواه ؟

وبعد .. فآمل ألا يظن بهذه السطور أنها تجور على حقوق النساء ، فما يجور على حقوقهن إلا من يجهل كيف عنى بهن الاسلام ، ثم إنه لا يترخص لنفسه رجل في أن يدعو إلى حرمانهن ما لهن فيه صالح إلا أن يكون ترخص لنفسه في حرمان بناته وأخواته إياه .. وهيهات .

فإذا زهدت هذه السطور النساء في العمل إلا من اضطرت إليه فما ذلك الا من رحمة بهن ، وإشفاق عليهن .

لذلك لا يسعنا إلا أن نبتهج إذ نسمع أن من فتياتنا العربيات من اخترن بعد أن أتممن التعليم الجامعي أن يدخلن في مرحلة الزواج لا يعبأن بالعمل بدلا من أن يطبقن مقلدات مقولة : العمل اولا وبعده فليكن الزواج أو لا زواج .

وما أروع أن يكون موقفهن الشجاع هذا من حرص على اداء دور فعال في حياة الزوجية، وعلى بناء اسرة يقدرن ما لقوتها من أهمية ، ووعي بأن حاجة مجتمعنا الى خلية ذات عافية أشد (الآن) أضعاف المرات من حاجته إلى أداء أعمال وظيفية لا يتوقف أداؤها على جهود النساء ،

أنا وأنت

للاستاذ/ محمود مفلح

« التقيته في الغربة أخا حبيبا فتوحد جرحانا »

أنا وانت وهذا البعد والقلق ... متى سيبزغ فجرانا فننعتق

أنا وانت كلانا ماؤه كدر ... انا وانت كلانا قلبه مزق

انا وانتوما بالغت في كلمي ... كأننا في جحيم العصر نحترق

مضيعون فلا اهل ولا وطن ... مقيدون فلا خطو ولا أفق

مرت على كبدينا ألف أغنية ... فما تضوع ريحان ولا حبق

ونشرب الماء لا ندري بنكهته ... وما شربناه الا غالنا شرق

ونحن كنا شبابا زانهم أدب ... وللطموح على راياتنا ألق

ونحن كنا وأرض الغار منبتنا ... وليس الا سيوف الحق نمتشق

فكم جرينا وللساحات زغردة — وكم سرينا ونجم الظلمة الحدق
تشدنا طرق عزت مسالكها — وتستبينا الى أسرار ها طوق
فكم شدونا فكان الحرف ملحمة — وكم ضربنا فكان الصخر ينفلق
وكم رتقنا فتوقا في خلاقهم — وغيرنا ما رأوا فتقا ولا رتقوا
وكم حملنا غيوما والثرى لهب — وغيرنا في يديه الشوك والخرق
وكم زرعنا غراسا طاب مأكلها — فكلما نضجت أودى بها العلق
وما جزاؤك الا السوط تعرفه — وما جزائي الا القيد والفلق

* * *

نضيء ليل جهالات معربدة — نكاد وسط ضجيج القوم نختنق
فعن يمينك ريح الكفر عاصفة — وعن يسارك ريح الجهل تصطفق
وانت تحمل روحا زاده ألقا — آي الكتاب فهلا يطفأ الألق

* * *

نجوع ، نعري وتدمينا سهامهم — ونمتطي الدرب والرواد قد سبقوا
فكم تشرد آلاف مؤلفة — كأنهم في خريف الغربة الورق
نحن يا صاحبي للدار في وله — كما أحن ويدمي قلبك الشفق
على الشواطىء تلقى كل أمسية — تحية العشق والباقون ما عشقوا
هناك قرب قلاع المجد كان لنا — نهر من الحب ان الحب منطلق
هناك تركض أكباد لنا ورؤى — وذكريات لها جرس لها عبق
يهزنا عبق التاريخ يا وطني — فهل نعود وفي أعمارنا رمق

* * *

فلا ورب الورى ما كنتم هملا — وانتم نعم من قالوا ومن صدقوا
وقد حملتم هموم الناس كلهم — وغيركم همه التدليس والملق
وما رجعتم عن الأهداف أنملة — وما تشاغل عنها القلب والعنق

مائدة القارئ

● سنة الله ●

جرت سنة الله سبحانه أن يبتلي المؤمنين ويختبرهم ليمحص ايمانهم ، ثم يكون لهم التمكين في الارض بعد ذلك .. والأمن بعد الخوف . فقد سئل الامام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ هل لنا ان نمكن أو نبتلى ؟ فقال : لا نمكن حتى نبتلى ، فإن الله لم يعط نوحا ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمدا ، صلوات الله وسلامه عليهم حتى صبروا .

وتدبر قول الله تعالى : « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا إن نصر الله قريب » ٢١٤/ البقرة .

● الصبر ●

عرفه بعضهم بأنه حبس النفس عن الجزع ، ومنعها عن محارم الله ، وإلزامها بأداء فرائضه ، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء فرائض الله ، وصبر عن محارم الله ، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى .

● البدار .. البدار ●

قال تعالى : « **وأنفقوا من ما رزقناكم من قبل ان يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ● ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون** » الآيتان ١٠ و ١١ من سورة « المنافقون » .

● مثل ●

اذا نزل القدر

عمي البصر

● جاهلية ●

قال عربي وقد بشر بأنثى : ماهي بنعم الولد ، نصرها بكاء ، وبرها سرقة .

● احذره ●

قال احدهم : إن الشيطان قاسم أباك وأمك أنه لهما لمن الناصحين ، وقد رأيت ما فعل بهما ، وأما أنت فقد أقسم على غوايتك ، كما قال الله تعالى حكاية عنه « فبعزتك لأغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين » فماذا ترى يصنع بك !! فشمر عن ساق الحذر منه ، ومن كيده، ومكره وخديعته .

● لا شيب في الهمم ●

قال الشاعر :

ما شاب عزمي ولا حزمي ولا خلقى ... ولا وفائي ولا ديني ولا كرمى
وإنما اعتاض رأسي غير صبغته ... والشيب في الرأس غير الشيب في الهمم

● نرجو النجاة ●

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ، ويمسى كافرا ، ويمسى مؤمنا ، ويصبح كافرا ، يبيع احدهم دينه بعرض من الدنيا قليل » .

رواه مسلم

تحقيق العدد

للمهندس /
محمد عبدالقادر الفقي

القرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الذي أنزله على رسوله الكريم ليخرج البشرية من ظلمات الجهالة والضلالة والشرك الى آفاق التوحيد والمعرفة والعلم . وهذا الكتاب الكريم قد حفل بآيات كثيرة في أمور الشريعة والعقيدة والمعاملات ، كما حفل بآيات كثيرة ايضا في الحث على طلب العلم والتدبر في ملكوت السموات والأرض . وبالاضافة الى ذلك ، فقد وردت فيه إشارات علمية الى الكثير من الظواهر الطبيعية التي يحفل بها الوجود حولنا .



الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق يلقى كلمة الافتتاح .

المؤتمر الدولي الأول

للإعجاز العلمي

في القرآن والسنّة

وبرغم ذلك ، فان مزاعم خصوم الاسلام كثيرة وافتراءاتهم تتعدد جوانبها لتشويه جمال هذا الدين الحنيف وصرف الناس عن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . ومن تلك الافتراءات رمي الاسلام بأنه دين يعوق العلوم ويعطل ركب الحضارة ، وانه يضاد التكنولوجيا ، وانه سبب في تخلف الأمم وتأخرها ... الخ . ويقيم المفترون الدليل على دعواهم من واقع الأمة الاسلامية وتخلفها وتبعيتها . وهي افتراءات باطلة من أساسها . ولا يخفي على أي حصيف مدى اهتمام الاسلام بالجانب العلمي والحض عليه قرآنا وسنة وسلوكا .

وإذا كانت الدول الاسلامية تعاني الآن من التخلف العلمي والحضاري ، فالعيب ليس في الدين ولكنه فينا .

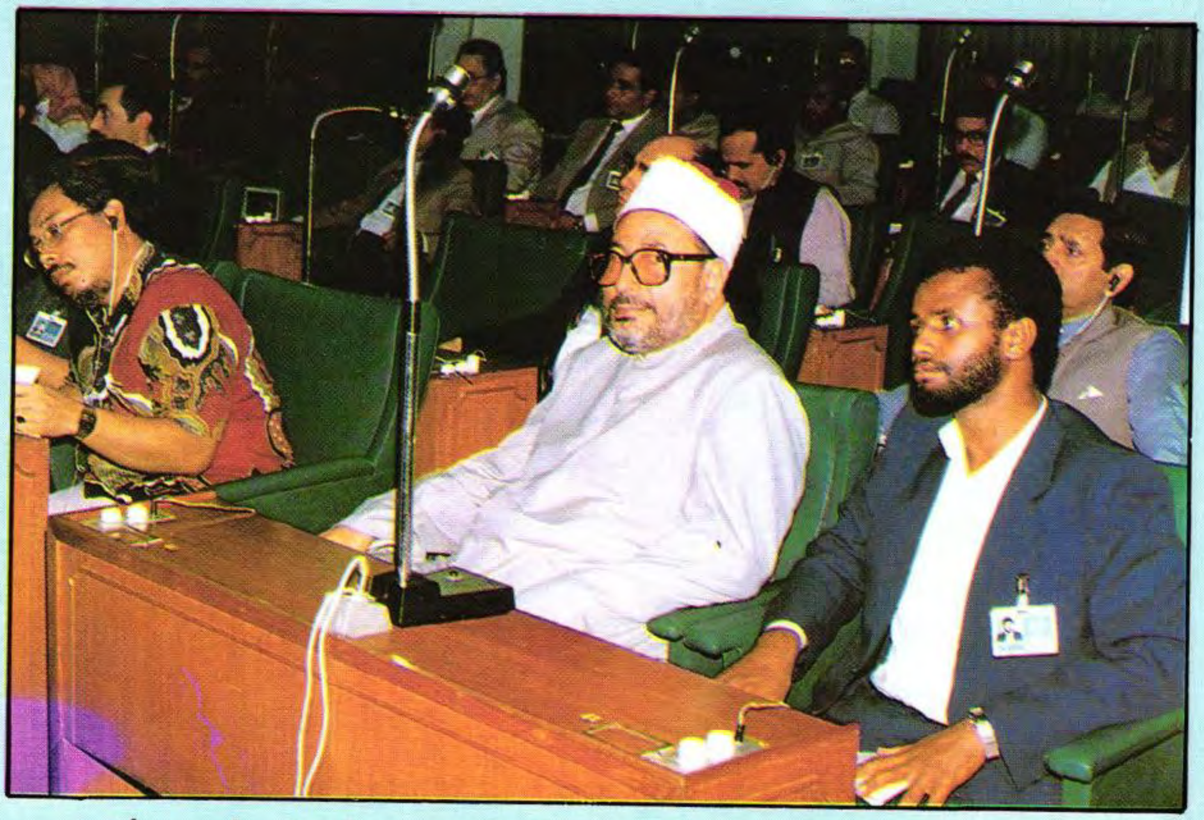
ونظرا لأهمية موضوع الاعجاز العلمي فقد عقد في مدينة إسلام أباد ـ عاصمة باكستان ـ المؤتمر الدولي الأول للاعجاز العلمي في القرآن والسنة خلال الفترة من ٢٤ الى ٢٧ صفر الخير (١٨ الى ٢١ اكتوبر الماضي) .

نظمت المؤتمر رابطة العالم الاسلامي وهيئة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة ، بالتعاون مع الجامعة الاسلامية العالمية بإسلام أباد . وشارك في المؤتمر نحو (٣٠٠) عالم ، جاءوا من مختلف الاقطار الاسلامية ، وبخاصة مصر ، والمملكة العربية السعودية ، والجزائـر ، والكويت ، والباكستان . كما شارك فيه ايضا عدد من العلماء والباحثين والمتخصصين في علوم الطب والكيمياء والفلك والتشريح والارصاد الجوية والجيولوجيا والبيولوجيا من الولايات المتحدة الامريكية وكندا والمانيا الغربية وبريطانيا .

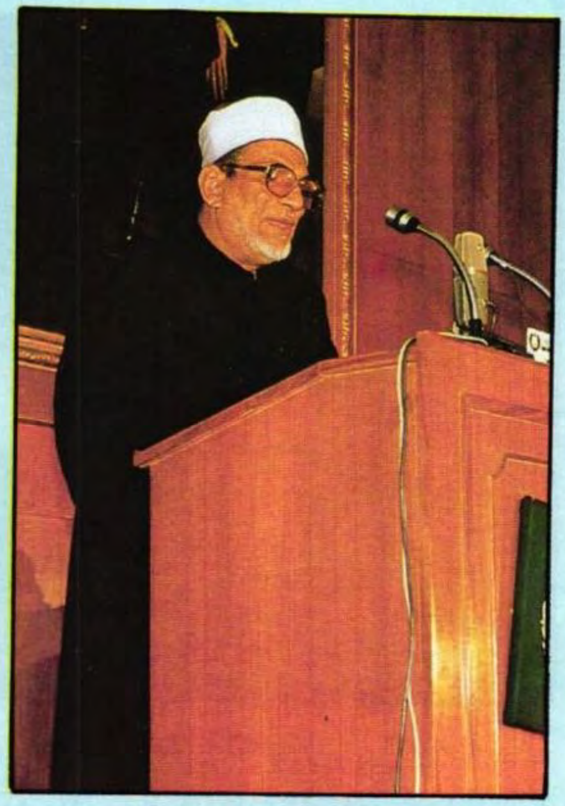
الاسلام يدعو إلى التقدم العلمي والتقني :

عقدت جلسات المؤتمر في قاعات بنك باكستان الدولي . وقد حضر حفل الافتتاح الرئيس الباكستاني محمد ضياء الحق ، حيث ألقى كلمة بهذه المناسبة بيّن فيها موقف الاسلام من العلم ، ومما قاله في هذه الكلمة : « إن القرآن الكريم ـ كما نعرف جميعا ـ معجزة الاسلام الدائمة ، ورسالة الله الأخيرة والخالدة إلى البشرية جمعاء . وتزودنا تعاليم هذا الكتاب الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، بدستور كامل للحياة ، حيث تتصل هذه التعاليم اتصالا وثيقا باكتساب المعرفة والعلم .

وفي الحقيقة ، فإن الانسان بدأ في اكتساب المعرفة منذ بداية الحياة ، فالقرآن الكريم يؤكد على ان الخالق ـ عز وجل ـ زود آدم بكل انواع المعرفة والعلم . قال تعالى : « **وعلم آدم الأسماء كلها** » سورة البقرة/ الآية ٣١ . وحينما سأل الله الملائكة عن الأسماء أجابوا : « **سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا** » البقرة/ ٣٢ . ولا خلاف في ان هذا الرد يتضمن مغزى كبيرا ، فهو يعني ان الله قد وهب آدم من العلم والمعرفة ما تفوق به على علم الملائكة . ومع تعاقب أجيال البشر ، أخذت هذه الهبة التي منحها الخالق للانسان تنمو وتزدهر بصورة مطردة مستمرة .



الدكتور يوسف القرضاوى شارك فى المؤتمر ورئاسة جلساته



الدكتور عبد الرؤوف شلبي يلقى كلمة شيخ الأزهر في الحفل .



الدكتور عبد الله عمر الأمين العام لرابطة العالم الاسلامي يلقى كلمته

وتبين دراسة القرآن والسنة لنا ان الباري ـ جلت عظمته ـ زود الانسان بنوعين من المعرفة : المعرفة المادية والمعرفة الروحية . وقد قام الرسل والانبياء بنقل بعض المعرفة للانسان بينما اكتسبت باقي العلوم والمعارف من خلال عمليتي التعلم والتدبر في آيات الله في الكون .

والعلم الذي لا ينال به الانسان رضا الرحمن لا قيمة له . ولقد أشار القرآن الكريم إلى أمم خلت ، اكتسب افرادها القوة بفضل تحصيل العلم ، إلا أنهم فشلوا في استخدام العلم بالطريقة التي يستوجبون بها رضا الله ، فدمرت مدنهم وقراهم . لقد زين الشيطان لافراد هذه الأمم البالية طريق الغواية والضلال فعشوا عن ذكر الرحمن ، وانتهكوا حدود الله ، ونسوا ان قدراتهم العقلية هبة الله وخلقه ، فحقت عليهم كلمة العذاب .

ان الاسلام يريد من البشر في كافة العصور أن يتقدموا ماديا من خلال التطور العلمي والتقني ، وفي الوقت نفسه ، فإنه يطالبنا بالمحافظة على القيم الروحية التي جاءت بها الاديان السماوية » .

كما القى الشيخ عبدالمجيد الزنداني ـ الامين العام لهيئة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ كلمة في حفل الافتتاح قال فيها : « ان الاكتشافات العلمية تضع لنا الاسس والقواعد اللازمة التي تعيننا على فهم حقائق الوجود والكون . والدين بجانب دوره السامي في هداية البشرية يحثنا على



الشيخ عبد المجيد الزندانى الأمين العام لهيئة الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة يناقش أحد البحوث المقدمة للمؤتمر.

طلب العلم والمعرفة واستكشاف أسرار العالم والحياة » . وأضاف الزنداني : « ليس ثمة تعارض بين الدين والعلم في الاسلام ، وإنما عرف هذا التعارض في الأديان الأخرى التي حرفت . ولقد تضمن القرآن الكريم عدة اشارات الى حقائق علمية سبق بها العلم الحديث ، والهدف من هذا المؤتمر هو كشف أوجه الاعجاز العلمي في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تتضمن هذه الاشارات العلمية » .

ومن بين الكلمات التي القيت في المؤتمر كلمة كتبها المفكر الفرنسي الشهير (موريس بوكاي) ، اكد فيها على دور الاسلام في إثراء الثقافة العالمية وفي تطوير الحضارة الانسانية : « فلأول مرة في تاريخ البشرية القديم ، نجد الدين الاسلامي يقدم عقلية جديدة قادرة على التأمل والابتكار . لقد طلب الاسلام من الانسان ان يتأمل ظواهر الطبيعة ، وان يدرسها كي يكتشف قدرة الله في الخلق ، وإعجاز الخالق في مخلوقاته .

ان القرآن الكريم في الكثير من آياته يدعو الانسان إلى الملاحظة والتفكر والتدبر وإعمال العقل والبصر والسمع . وقد استفاد المسلمون الأوائل من هذه الدعوة وشيدوا حضارة عظيمة . وانه لأمر مفزع حقا ان يتجاهل الباحثون غير المسلمين هذه الحقيقة عند دراستهم لأسباب ازدهار العلوم في حضارة الاسلام إبان العصور الوسطى » .

ويستطرد « بوكاي » قائلا : « إنه لم يوجد قبل القرآن الكريم اي كتاب مقدس يحث الانسان على طلب العلم والبحث في ملكوت السموات والارض

لاكتساب المعرفة . كما كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ اول من أدرك اهمية ترغيب الناس في تحصيل العلم ، وله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحاديث كثيرة في الدعوة إلى طلب العلم والمعرفة . ولقد أدى اقتناع المسلمين الأوائل بأهمية العلم الى تذليلهم لأية عقبات تعترض سبيل البحث العلمي .

لقد كانت العقلية المسلمة اكثر تفتحا ووعيا من العقلية الغربية في العصور الوسطى، فلم تكن في العالم الاسلامي أية تعارضات او خصومات بين الدين والعلم ، بينما كانت الكنيسة في اوروبا تقف حجر عثرة امام البحث العلمي ، فعقدت المحاكمات لغاليليو وآخرين من العلماء ، وحكمت عليهم احكاما جائرة ، وصل بعضها الى الحرق حتى الموت » .

خمسة وسبعون بحثا في شتى العلوم :

بلغ عدد البحوث التي القيت في المؤتمر نحو خمسة وسبعين بحثا ، شملت إعجاز القرآن والسنة في معظم العلوم . ومن أهم المظاهر الايجابية التي تجلت في المؤتمر اشتراك عدد من الباحثين والعلماء غير المسلمين في إلقاء الضوء على ما تحمله آيات القرآن من إعجاز باهر ، وما تتضمنه أحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من معجزات علمية . وكثيرا ما كانت تنطلق كلمات التهليل والتكبير والاستحسان في قاعات المؤتمر كلما تم كشف النقاب عن معجزة علمية في القرآن والسنة .

وقد شارك في المؤتمر عدد من أبرز رجال الدعوة الاسلامية ، من بينهم احمد ديدات ، والدكتور يوسف القرضاوي ، والدكتور عبدالله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الاسلامي .

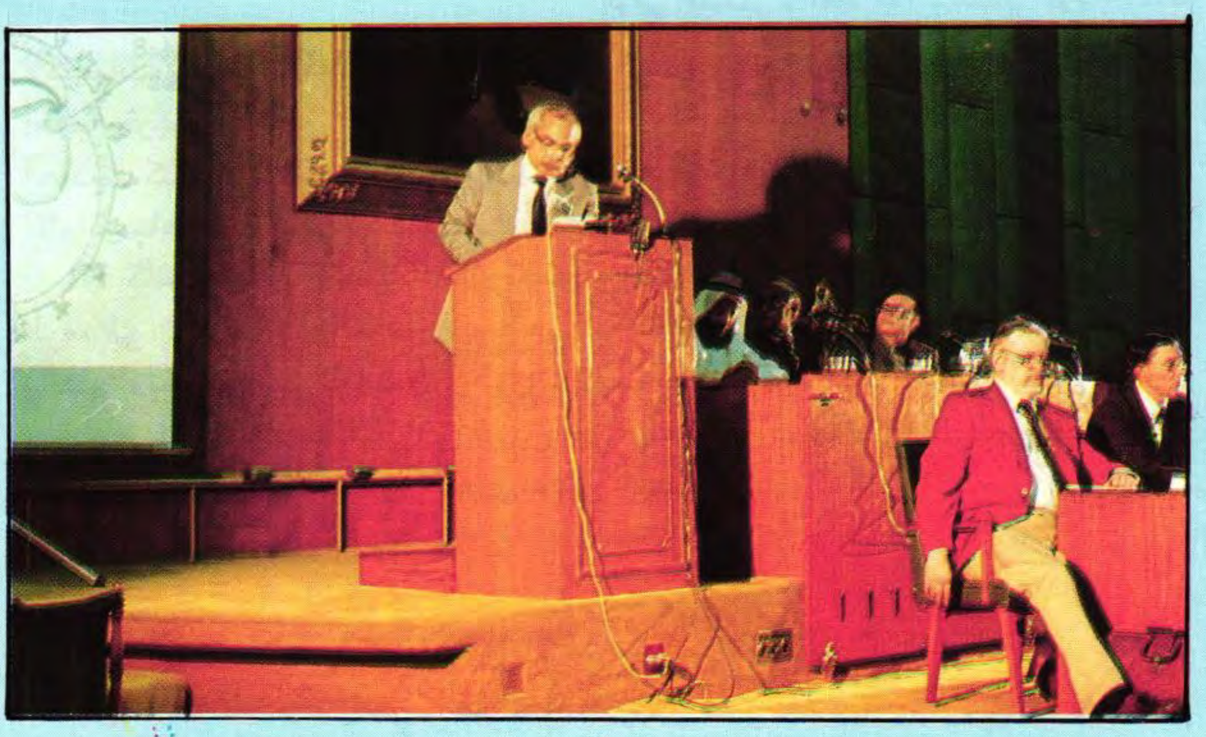
ضوابط الاعجاز العلمي في القرآن والسنة :

ألقيت في المؤتمر عدة ابحاث حول ضوابط الاعجاز العلمي في القرآن والسنة ، من بينها بحث للدكتور السيد رزق الطويل اشار فيه الى أن قضية الاعجاز العلمي في القرآن الكريم تقوم على حقيقتين :

● اولاهما : أن الاعجاز العلمي ليس هدفا في ذاته .

● والاخرى : أن القرآن الكريم كتاب هداية ، ومن وسائل هذه الهداية ماتتضمنه آيات الكتاب العزيز من دلائل علمية ذات بال .

أما الدكتور (محمد خير حسب الرسول احمد) فقد اوضح في بحثه الذي قدمه للمؤتمر ان التفسير العلمي لنصوص القرآن والسنة هو السبيل لبيان



الدكتور برساد يتحدث عن علم الأجنة في ضوء القران الكريم .

الاعجاز العلمي في هذه النصوص ، وبالتالي ، لابد إذن من استيفاء شروط هذا التفسير والالتزام بضوابطه ، وصولا الى اعجاز مقنع ومفيد .

وألقت الدكتورة سعاد يلدرم بحثا عن (مستندات التوفيق بين النصوص القرآنية وبين النتائج العلمية الصحيحة) ذكرت فيه اهمية التوفيق بين الآيات القرآنية وبين المكتشفات العلمية ، خاصة وان القرآن الكريم قد جاء من عند الله تعالى الذي احاط بكل شيء علما ، كما ان القرآن أكد ان بعض المسائل سوف تتضح بصورة جلية فيما يستقبل من الزمان قال تعالى : (**ولتعلمن نبأه بعد حين**) سورة ص/ ٨٨ . وقوله تعالى ايضا : (**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله**) يونس/ الآية ٣٩ . وبالاضافة الى ما سبق ، فإن القرآن لا تنقضي عجائبه ، وهو معجزة باقية ، ولذلك ، لابد أن يكون فيه ما يصلح لأن تتناوله أفهام من يأتي من الناس في عصور انتشار العلم في الامة .

الاعجاز العلمي في مجال علم الأجنة :

ألقيت في المؤتمر عدة بحوث علمية تناولت علم الأجنة ، من بينها بحث للبروفيسور ج .س . جورينجر G.C.Goeringer أشار فيه إلى أن هذا العلم لم يتطور بشكل كبير الا في الاربعينيات من القرن الميلادي الحالي . وعلى الرغم من ذلك ، فإن القرآن والسنة قد سبقا العلم الحديث في الاشارة إلى أهم الاكتشافات العلمية في هذا العلم ، فقد ذكر القرآن كيف يتطور الجنين داخل الرحم من نطفة الى علقة إلى مضغة إلى عظام ، ثم كيف تكسى العظام



الداعية الاسلامى أحمد ديدات كان من بين المدعوين .



الشيخ عبد العزيز العانى الى اليمين وبجواره الشيخ محمد بدرالدين .

باللحم ، ثم يتخذ الجنين شكلا شبيها بشكل الانسان (مرحلة النشأة) .
قال تعالى :

(ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر) المؤمنون/ الآيات ١٢ ـ ١٤

والترتيب الذي ورد في القرآن الكريم لمراحل تطور الجنين الانساني في غاية الدقة. وقد قال الدكتور (كيث مور) Keith L. Moore استاذ ورئيس قسم التشريح بكلية الطب بجامعة تورنتو الكندية في بحثه المقدم إلى المؤتمر : في الوقت الذي اشار فيه القرآن الكريم إلى مراحل تطور الجنين لم يكن أحد في اوروبا يعرف شيئا عن هذه المراحل ، واستمر الوضع على هذه الحالة حتى القرن العشرين ، حيث لم يصبح وصف مراحل الجنين جزءا من علم الأجنة الا في هذا القرن .

وأشار (مور) في بحثه الى الآية الكريمة التالية : (**يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث**) سورة الزمر/ الآية ٦ .
وقال : إنه من المعقول اعتبار الظلمات الثلاث هي : جدار بطن الأم ، وجدار الرحم ، والغشاء الذي يحيط بالجنين.

وأضاف هذا العلامة : ان هناك بعض الآيات القرآنية الأخرى التي تعطي اسماء معينة للمراحل التي يمر بها الجنين في نموه . فالطور الاول (النطفة) يشير الى مرحلة إخصاب بويضة الانثى بالحيوان المنوي للذكر . وتلي ذلك مرحلتان يتطور خلالهما شكل الجنين وهما كما يسميهما القرآن : العلقة والمضغة . وتبدأ بعد ذلك مرحلة التشكل حيث تنمو العظام ثم تكسى باللحم والعضلات ، ويصبح شكل الجنين شبيها بشكل انسان صغير . والمرحلة الاخيرة هي مرحلة النشأة ، وعندها يأخذ الجنين في النمو السريع .

وقد اقترح (مور) استخدام الالفاظ القرآنية (النطفة والعلقة ... الخ) في وصف مراحل الجنين . وأضاف الدكتور (مارشال جونسون) E. Marshall Johnson الاستاذ بجامعة جيفرسون الطبية بولاية فيلادلفيا الامريكية في بحثه الذي قدمه للمؤتمر أن الالفاظ القرآنية لوصف نمو الجنين هي أدق وأوفى المصطلحات التي تنسجم مع النمو في الرحم ، وهي ـ حسب تعبيره ـ مصطلحات مثالية للاستخدام في علم الأجنة الذي يعاني الباحثون الغربيون فيه من مشكلة عدم توافر المصطلحات،الامر الذي جعلهم يصفون مراحل نمو الجنين بالأرقام .

وقال (مارشال جونسون) ايضا :

« إن القرآن الكريم يسمي المكان الذي تستقر فيه النطفة في الرحم بالقرار ، اي مكان الاستقرار . وفي السنوات الأخيرة اكتشف العلم كثيرا من التفاصيل فيما يتعلق بهذا الوصف الجامع (القرار المكين) . فالرحم يكون سكنا ومستقرا للجنين لمدة تسعة أشهر ، بالاضافة الى أنه يوفر للجنين الغذاء ايضا . وللرحم عضلات واربطة تحمي الجنين وتتسع مع زيادة نموه حتى تكون مأوى مناسبا ومريحا له . ويحاط الجنين بسائل وعدة وسائل اخرى تضمن له المكان المناسب للاستقرار والنمو .

وكلمة (مكين) تعني : « مثبت بإحكام » ، وهذا يشير الى علاقة الرحم بجسم الام . وهناك آية كريمة تؤكد هذا المعنى هي قوله تعالى : **(فلما كلّمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين)** سورة يوسف/ الآية ٥٤ .

وقال هذا العلامة ايضا : يقع الرحم في منتصف الجسم في وسط تجويف الكلية ، وهو محاط بالعظام والعضلات والاربطة التي تجعله مثبتا في موضعه بإحكام كما ذكر في القرآن الكريم . وهكذا ، نجد الوصف القرآني للرحم بأنه القرار المكين في غاية الدقة العلمية ، حيث يبيّن هذا الوصف وظيفة الرحم وعلاقته بالجنين ، الأمر الذي لم يكن معروفا من قبل .

وقال الدكتور (جوي سمبسون) إن النطفة حين تتحول الى علقة ، يصبح الجنين شبيها بدودة العلقة التي تعيش في مياه البرك ، كما انه يعلق بجدار الرحم ، وهذا وصف دقيق للقرآن حيث لم يتمكن العلم الحديث من معرفة شكل العلقة الا مؤخرا . اما المضغة فإن الجنين يكون خلالها مثل قطعة صغيرة من اللحم تم مضغها . بحيث تظهر عليها آثار الأسنان . ولاشك ان ذلك إعجاز علمي باهر للقرآن الكريم ، خاصة وان حجم المضغة صغير جدا ودقيق للغاية ، ولم يكن المجهر قد اخترع في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - مما يبرهن على أن القرآن الكريم من لدن عليم حكيم .

فخلقنا المضغة عظاما :

وفي محاضرة القاها الدكتور (جورينجر) عن الطورين الرابع والخامس لنمو الجنين ، أشار هذا الدكتور الى صدق وإعجاز ما ورد في القرآن الكريم من تحول المضغة الى عظام . ويحدث ذلك التحول في الاسبوع السابع من الحمل . أما تكون اللحم والعضلات فإنه يتلو نمو العظام ، ويكون ذلك في الاسبوع الثامن .

واستطرد هذا العالم قائلا : « إن القرآن الكريم استخدم حرف العطف (الفاء) للاشارة الى التطور السريع في تحول المضغة الى عظام ، ونمو اللحم عقب ذلك مباشرة حول العظام . ولكن القرآن استخدم حرف العطف (ثم) - الذي يتضمن الاشارة الى التأخير - في تحول الجنين من طور اللحم الى طور النشأة (**ثم أنشأناه خلقا آخر**) . وهذا صحيح علميا ، وفي منتهى الدقة وينسجم تماما مع الملاحظات العلمية التي تم اكتشافها مؤخرا في علم الأجنة .

وقال الدكتور ت . ف . ن برساود T.V.N. Persaud ان استعمال القرآن الكريم لكلمة (أنشأناه) يدل على بلوغ الجنين في هذه المرحلة من مراحل النمو شكل الانسان بعد ان كان كدودة العلقة او قطعة اللحم الممضوغة . ويتخذ الجنين الشكل الانساني في نهاية الاسبوع الثامن للحمل ، حيث

تكسى العظام بالعضلات ، ويظهر الجلد ، وتتولد كل اعضاء الجسم ، وتبدأ في القيام بوظائفها .

وقال الدكتور (برساود) أيضا إنه بعد اليوم الثاني والاربعين من حدوث الحمل يكون الجنين ذا خصائص انسانية معروفة ، حيث يتخذ الشكل الانساني المعروف ، وبعد هذا اليوم يبدأ الجنين في التطور والنمو ، ولا يمكن تمييز الجنين الذكر عن الجنين الأنثى الا في بداية الاسبوع الثاني عشر من حدوث الحمل .

وقد أشار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى كل هذه الأحداث في تطور الجنين ، والى زمن وقوعها ، وذلك في الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« إذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة ، بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمهاوعظامها ثم قال : يا رب : أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ماشاء ويكتب الملك » ـ رواه مسلم في صحيحه . وهذا اعجاز علمي باهر للرسول الكريم .

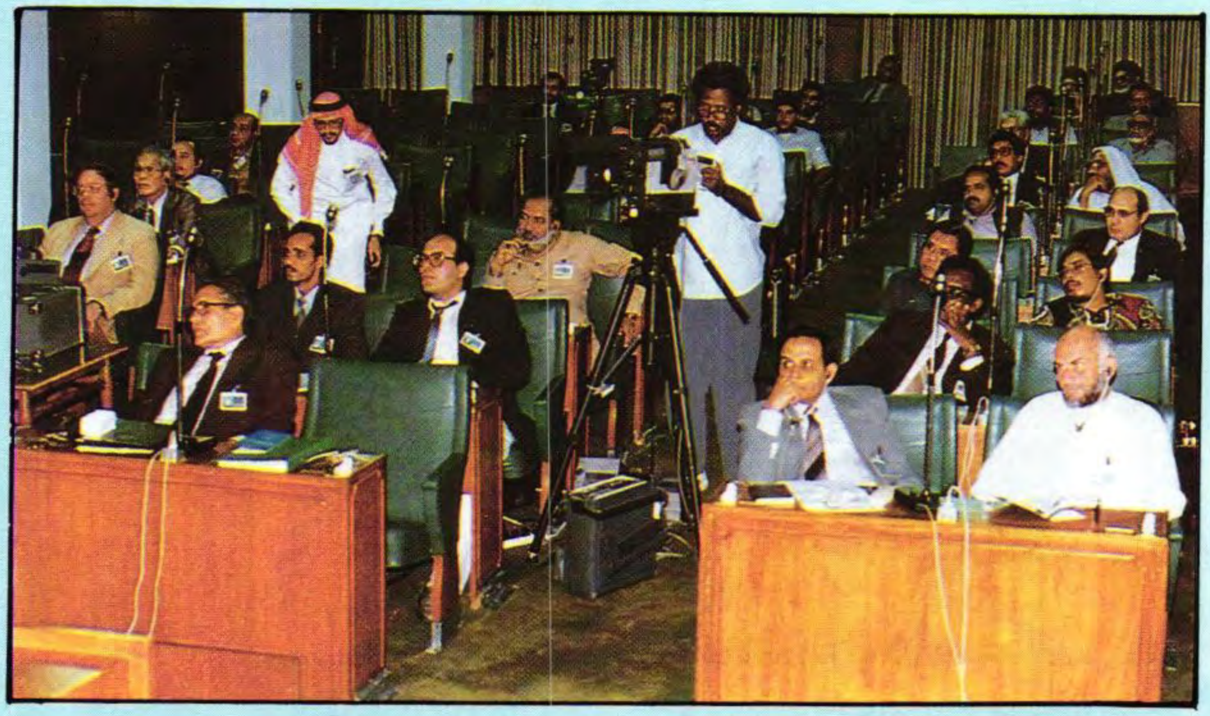
الاعجاز العلمي في الناصية :

ورد ذكر الناصية في القرآن الكريم في قول الحق ـ عز وجل : **(كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة)** سورة العلق/ الآيتان ١٥ ـ ١٦ .

كما وردت في سورة هود في قوله تعالى : **(إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم)** الآية/ ٥٦ .

وقد نزلت آيتا سورة العلق في أبي جهل عليه لعنة الله . وقد ذهب المفسرون ـ ومنهم ابن كثير ـ الى أن معنى هاتين الآيتين هو : والله لئن لم ينته ابو جهل عما هو فيه من الشقاق والعناد ولم ينزجر لنأخذن بناصيته . والناصية هي المنطقة التي تقع أعلى الجبهة . وناصية أبي جهل كاذبة في مقالها ، خاطئة في أفعالها .

ومن البحوث الجيدة التي القيت في المؤتمر بحثان تناولا موضوع الناصية . اما البحث الأول:فهو لأحد اساتذة تشريح الجهاز العصبي بكلية طب الازهر الدكتور احمد مصطفى كمال . وقد ذكر هذا العلامة الفاضل انه باستقرائه لمعاني الذكر الحكيم عن وظيفة الناصية وجد انها المسؤولة عما يتصف به الشخص من صفات الصدق والكذب والخطأ والصواب وغيرها من الصفات الاخرى المسؤولة عن تكون الشخصية . اما في سورة هود فقد اضيفت وظيفة اخرى للناصية هي الهيمنة والسيطرة على تصرفات

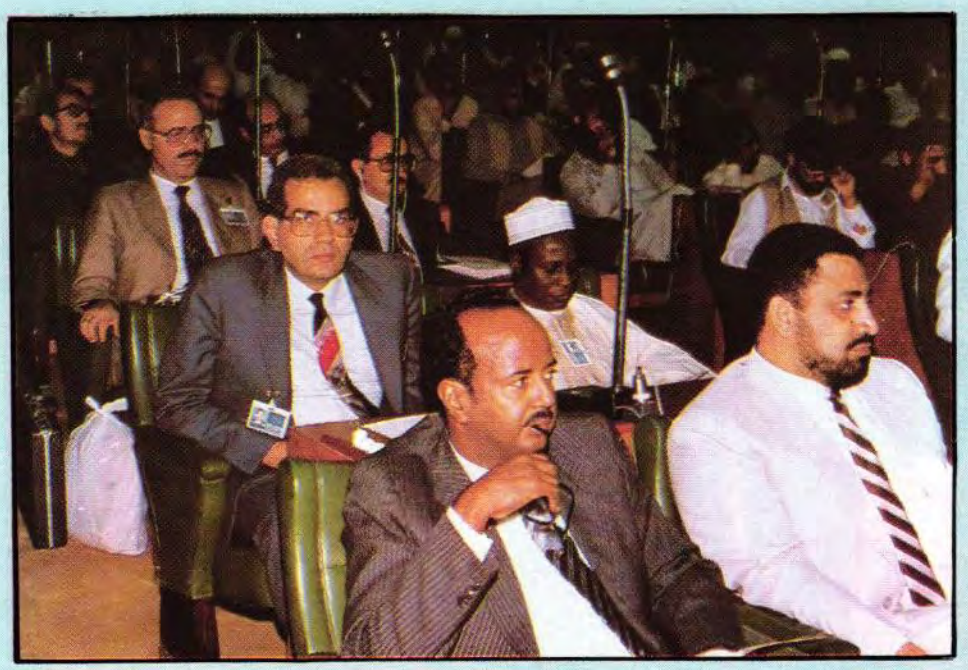


جانب من الحضـــور .

الشخص وأفعاله . وبدراسة ما كتب عن التركيب التشريحي وعن وظائف مقدم الرأس (الناصية) في المراجع الطبية الحديثة اكتشف الاستاذ احمد مصطفى كمال ان ذلك يتفق تماما مع ماورد في القرآن الكريم ، حيث يحتوي مقدم الرأس على القشرة الامامية الجبهية . وتشكل هذه القشرة مركزا علويا من مراكز التفكير والتركيز والذاكرة ، وهي الموجهة لتصرفات الانسان الشخصية مثل الصدق والكذب والصواب والخطأ . كذلك فإن هذه القشرة تحث الانسان على المبادأة بعمل الخير او الشر .

وهذه القشرة التي تقع أسفل مقدم شعر الرأس مباشرة هي التي كانت تحث أبا جهل - لعنه الله - على أن يتوعد النبي - صلى الله عليه وسلم - بالشر اذا صلى عند البيت الحرام ، ولذلك وصفها القرآن الكريم بأنها (ناصية كاذبة خاطئة) ، ومن ثم فإنها تستحق ان تؤخذ بعنف حتى ترتدع وترتد عن الطريق الخاطىء .

والبحث الثاني: المتعلق بالناصية القاه الدكتور يحيى ناصر الخواجى ، وهو خلاصة تجارب علمية اجريت على بعض المرضى بالمستشفى العسكري بالرياض ، حيث تبين ان أي خلل يصيب ناصية الانسان مثل التورمات السرطانية والخرّاج والنزيف الداخلي والحوادث يؤدي الى حدوث تغيرات في سلوك الانسان ، فبدلا من ان يكون حكيما مراعيا لشؤون الاخرين من حوله ، يصبح فاقدا للشعور بالمسؤولية نحو نفسه واسرته ومجتمعه ، ولا يبالي بما يجري حوله . ومن بين المرضى الذين خضعوا للدراسة مريض



الدكتور أحمد مصطفى كمال مع الحضور .

اصيب بنزيف في القشرة الأمامية الجبهية (الناصية) نتيجة لحادث سيارة . ومع ان المصاب كان واعيا الا أنه كان غريب السلوك ، حيث كان يمشي عريانا ، ويضرب كل من يقابله في طريقه او يقترب منه ، وبعد العلاج الذي استمر لمدة ستة اشهر عاد الى عمله ، وهو في كامل قواه العقلية ، بعد ان شفيت « ناصيته » .

واختتم الدكتور الخواجى بحثه بتوصية مفادها انه من الممكن رفع الحد الشرعي عن المصابين بخلل في نواصيهم عند ارتكابهم لبعض الجرائم التي تستوجب العقاب ، لان تصرف هؤلاء خارج عن ارادتهم . ونصح الباحث بضرورة استدعاء الطبيب المختص لتقويم حالة الشخص الذي ارتكب الجريمة قبل اقامة الحد الشرعي عليه .

اختلاط الماء بالارض :

ومن بين بحوث المؤتمر ، بحث عن الاعجاز العلمي في القرآن الكريم في قوله تعالى : **(وترى الارض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج)** ـ سورة الحج/ الآية ٥ .

وبين كاتب البحث الدكتور قطب عامر فرغلي الذي يعمل في كلية العلوم بجامعة اسيوط اوجه الاعجاز العلمي في الآية الكريمة السابقة ، حيث يؤدي سقوط مياه المطر على التربة الى اهتزاز حبيبات الطين وانتفاخها وإنبات ما فيها من بذور . ويحدث اهتزاز حبيبات التربة عند سقوط الماء عليها لان هذه الحبيبات تحمل شحنات كهربية ، وهذه الشحنات لابد لها ان تتعادل قبل ان تستقر فتتحرك لتجد ما يعادلها كهربائيا ، وهذا ما عبر عنه القرآن بلفظة (اهتزت) ، أما انتفاخ الحبيبات فيكون نتيجة لامتصاصها الماء الذي

يدخل بين طبقاتها فيزداد حجمها ، وهذا ما أشارت اليه الآية الكريمة بكلمة (ربت) . وبعد نزول الماء تبدأ البذور الموجودة في التربة بالنمو ، وبهذا تكون الأرض قد (أنبتت) .

وتسلسل حدوث الاهتزاز والانتفاخ للارض ثم الإنبات يتفق تماما مع الميقات الزمني لحدوث كل مرحلة من هذه المراحل . وهو إعجاز علمي عظيم للقرآن الكريم سبق به العلم الحديث بقرون .

بحوث أخرى :

وبالاضافة الى البحوث التي ذكرناها ، هناك عدة بحوث اخرى جيدة تناولت جوانب مختلفة من الاعجاز العلمي في القرآن والسنة ، من بينها بحث للدكتور صلاح الدين المغربي يكشف فيه النقاب عن الأعراض الفسيولوجية التي يتعرض لها الانسان عندما يصعد في السماء ، حيث يصبح صدره « ضيقا حرجا »،وبحث عن حبة البركة (الحبة السوداء) للدكتورين احمد القاضي وعثمان قنديل أثبتا فيه صحة وصدق إعجاز قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم : ـ « الحبة السوداء فيها شفاء من كل داء الا الموت » ـ رواه أبو نعيم في الطب . فقد قام الباحثان بإجراء تجارب معملية على عدد من المتطوعين ، وأثبتت هذه التجارب أن للحبة السوداء أثرا منشطا على جهاز المناعة ، وهي بالتالي ، تساعد في علاج السرطان والايدز والامراض الاخرى التي تصاحب حالات قصور جهاز المناعة في الجسم .

وقد القى كاتب هذا التحقيق بحثا عن بعض جوانب الاعجاز العلمي في القرآن الكريم في مجال علوم الارض ، تحدث فيه عن خواص الصخور الخازنة للمياه الجوفية في ضوء آيات القرآن ، وأهم صفات الفلزات والمعادن التي ورد ذكرها في كتاب الله كالحديد والفضة والذهب والنحاس والياقوت .



ممثلو المجاهدين الافغان شاركوا فى المؤتمر .

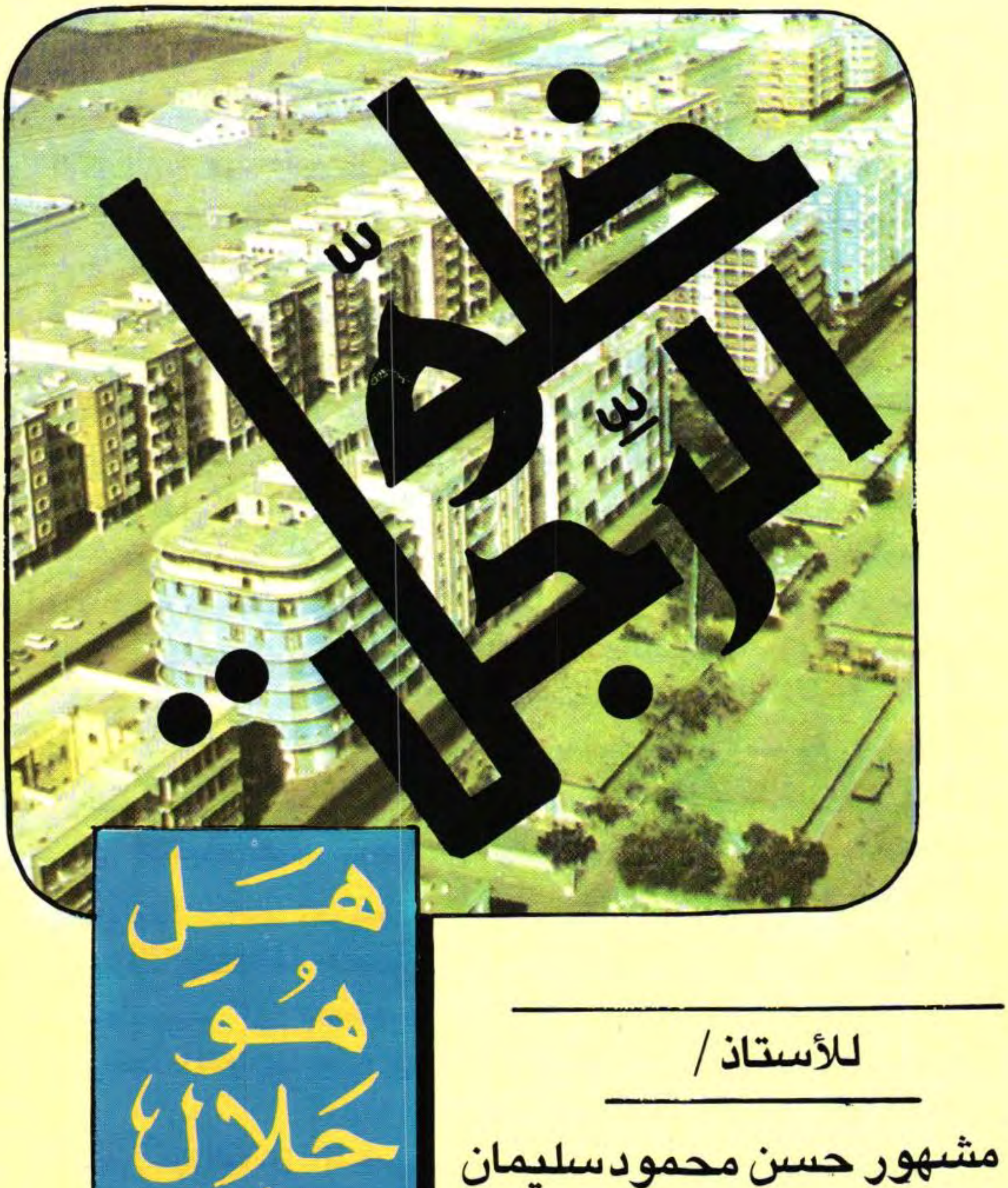
وبجانب هذه الابحاث المتخصصة ، شهدت قاعات المؤتمر الدولي الأول للاعجاز العلمي في القرآن والسنة مناقشات جادة ومثمرة حول الطب الوقائي في الاسلام . ومن بين البحوث الجيدة التي تناولت هذا الموضوع بحث للدكتور عبدالحميد القضاة برهن فيه هذا العلامة على تفوق الطب الوقائي في الاسلام على الطب الوقائي المعاصر ، حيث كان له قصب السبق ، وكان دقيقا ومطابقا للحقائق العلمية الحديثة ، وسهلا وميسرا ولا يستلزم أية كلفة مادية ولا جهدا ولا وقتاولا مشقة ، كما ان الطب الوقائي في الاسلام يرتبط بعقيدة المسلم ، فهو يمارسه بشكل دائم في الوضوء والاغتسال وفي عدم ممارسة الفاحشة .

خاتمة :

لقد كانت البحوث التي قدمت في المؤتمر الدولي الأول للاعجاز العلمي في القران والسنة بحوثا جادة ورصينة . وكان المؤتمر فرصة طيبة للدراسة والاستقصاء والبحث العلمي الهادف في كل فروع العلم الحديث لبيان أوجه الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية . وعلى حد تعبير الدكتور (محمد افضل) راعي الجامعة الاسلامية في اسلام اباد ، فإن المؤتمر لم يكن « تظاهرة دينية للاحتفاء والاحتفال ، وانما كان هدفه الرئيسي احياء روح البحث والاستقصاء العلمي في أمتنا الاسلامية ، وذلك في ضوء ما قرره القرآن الكريم والسنة النبوية منذ أربعة عشر قرنا . وقد نجح المؤتمر في تحقيق هذا الهدف . وبجانب ذلك ، فإن من أهم ما تمخض عنه هذا المؤتمر : تلك الدراسات القيمة التي قدمها أقطاب الطب الغربي عن الاعجاز العلمي في القرآن والسنة .

ولقد كان المؤتمر عاملا من عوامل توطيد العلاقة بين علماء المسلمين في الدول الاسلامية ، كما كان عاملا من عوامل انفتاح الفكر الاسلامي على الثقافة العالمية الجادة .

ولا يفوتنا أن نشير في نهاية هذا التحقيق الى ما بذلته حكومة باكستان وعلماؤها من جهود محمودة لإنجاح المؤتمر ، وتوفير مناخ طيب للبحث العلمي في جوانب الاعجاز العلمي في القرآن والسنة ، فضلا عن كرم الضيافة وحسن الاستقبال ؛ كما لا يفوتنا ان نشيد بجهود الامين العام لرابطة العالم الاسلامي في الاعداد لهذا المؤتمر ، وكذلك جهود الشيخ عبدالمجيد الزنداني الأمين العام لهيئة الاعجاز العلمي في القرآن والسنة ، والذي كان لمناقشاته وآرائه اثر محمود في إذكاء روح البحث والاستقصاء داخل قاعات المؤتمر .



هل هو حلال ؟

للأستاذ /

مشهور حسن محمود سليمان

بذلت محاولات لمعالجة موضوع « خلو الرجل » والبحث عن الحكم الشرعي فيه ، وتجلت هذه المحاولات في أبحاث هامشية متفرقة في بطون الكتب .

ومقالتنا هذه (موقف الشريعة الاسلامية من خلو الرجل) ليس حكما نهائيا أو قضاء محتوما وإنما هي محاولة بحث للحكم الشرعي ، ومجهود متواضع للدراسة .

ولا شك أن مسألة «الخلو» من القضايا والحوادث التي لفتت أنظار الباحثين وشغلت بالهم وليس ذلك حديثا فحسب وإنما منذ القرن التاسع الهجري وسأحاول أن أجمع شتات كلام العلماء الأقدمين والمحدثين في هذه المسألة ، والله المستعان .

* مسميات « الخلو » :

«خلو الرجل » هو المصطلح المتعارف عليه في مصر وبلاد الشام ، أو «المفتاح » أو « الزينة » أو «الجلسة» كما هو معروف عند اهل المغرب ، أو « القفلية » أو « السرقضلية » كما يطلق عليها العراقيون ، أو « الفروغية » كما هو معروف عند بعض اهل الشام لا سيما أهل حماة أو «نقل القدم» أو « خلو اليد » كما ورد في بعض كتب الفقه .

* تعريف « الخلو » :

« خلو الرجل » اصطلاح للمتأخرين من الفقهاء عرف تبعا للعرف السائد ولهذا سنجد تعريفات مختلفة له تختلف باختلاف العصر والمصر .. وربما نجد أن بعضها لاينطبق على واقعه المتعارف عليه في أيامنا .

عرف الشيخ عبدالقادر الفاسي « الخلو » بقوله : « إنه عقد كراء على شرط متعارف » .

والكراء : عقد على منفعة الأشياء وجمهور الفقهاء يطلقون لفظ الإجارة على إجارة الأشخاص وإجارة الأشياء .. أما المالكية فإنهم يفرقون بينهما ، فيطلقون لفظ الإجارة على عمل الانسان وأما منفعة الأشياء فإنهم يسمون العقد عليها كراء .

وقوله : « على شرط متعارف »
هذا قيد عام ، لا يميز « الخلو » عن غيره من العقود ، تمييزا دقيقا ، ولهذا أضاف القاضي محمد العربي على هذا التعريف مفد الا هذ القيد :

« بأن لا يخرج الا اذا رضي بالخروج أو يخل بالمصلحة التي روعيت في إحداثها » .

ويعرفه بعضهم بقوله :
« إنه المنفعة التي يملكها دافع الدراهم لمالك الأصل ، مع بقاء ملكه للرقبة » وهذا تعريف الشيخ العلامة نور الدين علي الأجهوري المالكي في باب « العارية » من شرح ومختصر خليل » كما قال الحموي في «شرحه للأشباه والنظائر » والشيخ عليش في «فتح العلي المالك » .

ولم يفصل لنا الشيخ عبدالقادر الفاسي ـ صاحب التعريف الأول ـ والشيخ علي الأجهوري ـ صاحب التعريف الثاني ـ طبيعة ملك الدافع للدراهم للمنفعة ، هل هي بيع دائم أو تنازل مؤقت .

ونص على هذا محمد بن أحمد الفاسي في تعريفه للخلو ، إذ قال :
« إنه شراء الجلوس والاقامة بدكان على الدوام والاستمرار ، مقابل كراء فقط ، دون جواز الاخراج » .

* التكييف الفقهي للخلو

يتضح لنا من التعريفات السابقة : أن « خلو الرجل » كان حسب عرف المتقدمين يملكه صاحب المحل ، مقابل تنازله عن حقه في إخراج المستأجر أو تحديد ملكيته للمنفعة بمدة معينة .

ونستطيع أن نقول بتعبير فقهي دقيق :

إن « الخلو » يقابل بيع جزء من منفعة الشيء المستأجر على التأبيد .. والظاهر ان هذا التخريج ، هو الذي اعتمده علماء المالكية والحنابلة جاء في «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير » :

« ... ومن جملة المملوك بأجرة : منفعة « الخلو » فيجوز وقفها كما أفتى به جمع منهم :

الشيخ احمد السنهوري ، وعليه عمل مصر ، وهو مقتضى فتوى الناصر اللقاني بجواز بيع « الخلو » .

قلت : وهو مقتضى تعريف محمد الفاسي المتقدم ايضا .

وجاء في « مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى » :

« الخلوات المشهورة يمكن تخريجها عندنا من هذه المسألة ، مع ما تقدم من جواز بيع المنفعة ، مفردة عن العين ، كعلو البيت ، يبنى عليه ونحوه ، كما تقدم في أول البيع .

وفي الصلح :

وما يؤخذ من الأجرة ، من صاحب الخلو ، هو في مقابلة الجزء الباقي من المنفعة ، فإذا كانت أجرة مثل المكان ، عشرين مثلا ، ودفع لجهة الوقف شيئا معلوما . على أن يأخذ منه عشرة فقط مثلا ، فقد اشترى نصف المنفعة وبقي للوقف نصفها » انتهى .

وهذا ظاهر اليوم « فكثيرا ما يكون « الخلو » عاملا في تخفيض قيمة الأجرة التي يستوفيها صاحب العقار من مستأجره ويظهر هذا من أنه لو تم تقسيم قيمة « الخلو » مضافا الى الأجر السنوي أو الشهري للعقار على المدة التي يتم فيها استئجار العقار لكان الأجر السنوي أو الشهري - بمجموع الاثنين معا - أخفض من الأجر الشهري أو السنوي لو استوفاه صاحب العقار من المستأجر وحده ، من غير « الخلو » لو وزع ذلك على المدة التي ينص عليها في عقد الاجارة »

وإذا اتضح لنا هذا التكييف استطعنا أن ندرك ربط العلماء « الخلو » بـ « التنازل عن الوظائف » أو قل : «بيع الوظيفة» كما فعل ابن نجيم في آخر النوع الأول من القواعد الكلية عند القاعدة السادسة : « العادة محكمة » في كتابه « الأشباه والنظائر» .

❊ الحكم الشرعي :

تبين لنا : أن « الخلو » في حقيقته تنازل مالك المنفعة عن ملكيته لها مقابل مال زائد عن الأجرة ، والمنفعة مال ؛ يجوز الاعتياض عن التنازل عنها حيث أن مفهوم المال في الفقه الاسلامي يتسع ليشمل المنافع كأصول معنوية .

وتفصيل ذلك :

ان المالك عندما يأخذ « الخلو » إنما يأخذه مقابل تنازله عن حقه في إخلاء المستأجر أو مقابل تنازله للمستأجر عن حقه في تأجير العقار لمن يريد حين انتهاء مدة الايجار وفي كل من الحالين يكون أخذه « الخلو » أمرا جائزا لأنه ما أخذ مقابل الحق الذي تنازل عنه وهو حق أصلي ، يجوز التنازل عنه على

مال .
ولكننا نرى أن العقود التي تجري بين المالك والمستأجر ، تكون خالية عن النص على ذلك التنازل ، وهل يرضى أحد من المالكين النص على ذلك ؟
وهنا نقول : ان كانت العقود قد خلت من النص ، على تنازل المالك عن حقه في إخلاء المستأجر فإن العرف قد جرى بين الناس على أنه لا يحق للمالك إخلاء المستأجر ، ولذلك فإن المالك يأخذ هذا المبلغ الكبير من المال باسم « الخلو » .
وقد ساعد على تكوين هذا العرف بعض التشريعات الوضعية ، التي أصدرتها بعض الدول بمنع المالك من إخلاء المستأجر الا في حالات قليلة حددتها هذه التشريعات .
فهل يقوم هذا العرف مقام النص على ذلك في العقد ؟
إن العرف يقوم مقام الشرط ، إذا لم ينص على خلافه ، ولذلك فإننا نعتبر ماقبضه المالك من « الخلو » هو مقابل إسقاط حقه في إخلاء المستأجر وإن لم ينص على ذلك لأن العرف جرى بهذا .

* اعتماد المجيزين على العرف :

جاء في « غمز عيون البصائر »

« وقد اشتهر نسبة مسألة « الخلو » الى مذهب عالم المدينة : أنس بن مالك ، والحال أن ليس فيها نص عنه ، ولا عن أحد من أصحابه حتى قال البدر القرافي :

إنه لم يقع في كلام الفقهاء ، التعرض لمسألة « الخلو » فيما أعلم ، وإنما فيها فتيا للعلامة ناصر الدين اللقاني المالكي ، بناها على العرف وخرجها عليه ، وهو من أهل التخريج فيعتبر تخريجه وإن نوزع فيه، وقد اشتهرت فتياه في المشارق والمغارب وتلقاها علماء عصره بالقبول وهبت عليها نسمات الصبا والقبول ولنذكر صورة السؤال والجواب ، والله الهادي للصواب .
فنص السؤال :
ما تقول السادة العلماء أئمة الدين - رحمهم الله - في « خلو الحوانيت » الذي صار عرفا بين الناس في هذه البلدة وغيرها ، وورثت الناس في ذلك مالا كثيرا حتى وصل « خلو الحانوت » في بعض الأسواق أربعمائة دينار ذهبا جديدا فهل إذا مات شخص وله وارث شرعي ، يستحق « خلو حانوت » مورثه ، عملاً بعرف ماعليه الناس أم لا ؟
وهل إذا مات شخص وعليه دين ، ولم يخلف ما يفي بدينه ، فإنه يوفى ذلك من « خلو حانوته » ؟
أفتونا مأجورين .
ونص الجواب :
الحمد لله رب العالمين ، نعم ، إذا مات شخص ، وعليه دين ، ولم يخلف مايفي بدينه فإنه يوفى من « خلو حانوته » والله سبحانه ؛ أعلم بالصواب » انتهى .
وجاء في «حاشية الطحطاوي على الدر المختار » :
« ان صحة النزول على الوظائف ، وصحة « الخلو » إنما هو على اعتبار العرف

الخاص» .
وقال ابن نجيم في «الأشباه والنظائر» :
« والحاصل أن المذهب : عدم اعتبار العرف الخاص ولكن أفتى كثير من المشايخ باعتباره .
فأقول على اعتباره :
ينبغي أن يفتى بأن ما يقع في بعض أسواق القاهرة من « خلو الحوانيت » لازم ، ويصير « الخلو » في الحانوت حقا له فلا يملك صاحب الحانوت إخراجه منها ولا إجارتها لغيره ولو كانت وقفا .
وقد وقع في حوانيت الجملون بالغورية أن السلطان الغوري لما بناها ، أسكنها للتجار بـ « الخلو » وجعل لكل حانوت قدرا أخذه منهم وكتب ذلك بمكتوب الوقف .
كذا أقول ـ أي ابن نجيم الحنفي ـ على اعتبار العرف الخاص قد تعارف الفقهاء بالقاهرة النزول على الوظائف بمال يعطى لصاحبها وتعارفوا ذلك ، فينبغي الجواز وانه لو نزل له وقبض منه المبلغ ثم أراد الرجوع عليه ؛ لا يملك ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم »

* أخذ « الخلو » مقابل « الجدك »

ومن أدلة المجيزين لـ « الخلو » أنه يؤخذ في بعض صوره مقابل « الجدك» .. جاء في « تنقيح الفتاوي الحامدية » من باب شد المسكة بعد أن بيّن معنى « الكردار » مانصه :

« وهذا الكردار يوجد في زماننا أيضا في الحوانيت ويسمى « جدكا » وهو : ما يبنيه المستأجر في الحانوت من ماله لنفسه وما يضعه فيها من آلات الصناعة ونحو ذلك ، من الأعيان القائمة فيها بإذن المتولين له بذلك أو لمن باعه ذلك وثبت له بذلك حق القرار ما دام يدفع أجرة مثل الحانوت خالية عن جدكه » .
ثم قال صاحب « التنقيح » بعد ذلك ما نصه :
« وقد يختص « الجدك » بما يثبت في الحانوت على وجه القرار مما لا ينقل ولا يحول كالبناء والإغلاق ونحو ذلك وهذا يسميه الفقهاء : السكنى » فقد ذكر للجدك عندهم معنيان :
معنى عام : يتناول ما يوضع في الحانوت لا على وجه القرار كما يتناول ما يثبت فيه على وجه القرار مما لا ينقل ولا يحول .

ومعنى خاص : وهو ما يثبت في الحانوت على وجه القرار مما لا ينقل ولا يحول كالبناء والاغلاق ونحو ذلك ، فلا يتناول ما يوضع فيه لا على وجه القرار .

وسقف الحانوت وباب الحانوت وارضيته وعليته و« السدة » و« ديكوره » يشمل كلا المعنيين وهو مايجوز بيعه ، وعرف التجار ، التنازل عن كل هذا مقابل أخذ « الخلو » .

وقد قرن بعض الفقهاء ـ قديما ـ بين الخلو والجدك .. جاء في « فتح العلى المالك »: ومقتضى الحال في المسألة

الواقعة هى ان .

حوانيت الأوقاف بمصر ؛ جرت عادة سكانها أنه إذا أراد أحدهم الخروج من الدكان أخذ من الآخر مالا على أن ينتفع بالسكنى فيه ويسمونه « خلوا » و« جدكا » ويتداولون ذلك بينهم واحدا بعد واحد » .

* العلاقة بين « الخلو » و« شهرة المحل » :

يطلق بعضهم على « شهرة المحل » اسم « خلو الرجل » والواقع ان « شهرة المحل » تختلف اختلافا شديدا عن « الخلو » وذلك أن الأخير نشأ عادة إما عن تنازل المستأجر عن عقار أو محل كان قد استأجره قديما بمبلغ يقل عن المبلغ الذي يجب عليه أن يدفعه الآن نتيجة انخفاض أسعار الإيجارات ، أو لتحسن موقع المحل حديثا عما كان عليه سابقا .

أما « شهرة المحل » فإنها أعم وأشمل من « الخلو » وذلك لجلبها الأرباح الاستثنائية وغير العادية نتيجة لعديد من العوامل قد يكون إحداها موقع المحل الذي بسببه عادة يدفع « خلو الرجل » .

وأعني بذلك :
ان مكان المحل أو مبنى المشروع وتوزيع منتجاته ، وعرض سلعه ، كلما كان في الأمكنة التجارية النشطة وفي المجالات التي يتردد عليها جمهور المستهلكين أدى ذلك الى رفع « خلو الرجل » وذلك لأن حسن اختيار موقع المحل له اهمية كبرى في اتساع نشاطه التجاري ، وزيادة كمية مبيعاته وبالتالي تحقيق الأرباح المرتفعة وربما تصل قيمة الخلو في بعض الأحايين بحكم موقع المحل الممتاز الذي لا يتمتع به أي مشروع آخر بحيث تكون أغلى مما يوجد في المحل من سلع واغراض .

و« شهرة المحل » قد يبيعها صاحبها ـ كما في النظم القانونية ـ وهو في محله ، ولم يخرج منه فهي تخالف « الخلو » من هذا الجانب وان كان في كل من الصورتين تنازل عن حق تعطيه النظم قوة حامية بحيث لا يأتي أحد يزاحمه فيه .

* موقف العلماء والمطلعين المعاصرين من « الخلو » :

يمكن القول : بأن هناك أدبا رفيعا وفكرا منيرا وتوجها عاما ، بين العلماء والمطلعين المعاصرين الى القول بمشروعية « خلو الرجل » .

فمن العلماء والمطلعين المعاصرين الذين يفتون بمشروعيته :

فضيلة الشيخ العلامة مصطفى الزرقاء وسمعت فتواه مشافهة .

وفضيلة الشيخ العلامة عبدالفتاح أبوغدة ، وسمعت فتواه مشافهة .

وفضيلة الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني وسمعت فتواه مشافهة .

وفضيلة الشيخ العلامة محمد صالح العثيمين وكتبت اليه فيه فكتب إليّ في ٢٧/٧/١٤٠٧هـ ما نصه :

« إذا كان بين المؤجر والمستأجر مدة معينة كعشر سنوات مثلا ، فلا حرج على المستأجر ان يأخذ عوضا ، عن تنازله عن بقية مدته ، مثل أن يطلب المؤجر منه التنازل بعد مضي خمس سنوات من العقد فيقول المستأجر : لا أتنازل عن خمس السنوات الباقية الا بعوض فالعوض حلال للمستأجر لأنه في مقابلة التنازل عن حقه .

أما إذا لم يكن بين المؤجر والمستأجر مدة فليس للمستأجر حق في الامتناع عن تسليم العقار ولا يحل له أن يأخذ عوضا عن تسليمه لأنه ليس له فيه حق ولا عبرة بالنظم والقوانين المخالفة لشريعة الله عز وجل والانسان سيحاسب على حكم الله فقط كما قال تعالى : (**ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين**) القصص /٦٥ .

ونقل الدكتور عبدالحليم عويس في مقاله : « قواعد أساسية في فقه المعاملات » : الحلقة السابعة) « الخلوات من وجهة نظر المبيحين » المنشور في « جريدة الشرق الأوسط » الصادر بتاريخ ١٩٨٧/٣/٣م أن جماعة من فقهاء ومفكري عصرنا يفتون بمشروعية الخلو وذكر منهم : الشيخ محمد الغزالي والداعية الفقيه أحمد المحلاوي والدكتور عبدالله شحاته قلت :

وذكر مشروعيته فضيلة الشيخ السيد سابق في «فقه السنة » فقال : « يجوز للمستأجر أن يؤجر العين المستأجرة ، اذ قبضها بمثل ما أجرها به ، أو أزيد ، أو أقل .. وله أن يأخذ ما يسمى بـ « الخلو » انتهى .

والى مشروعية « الخلو » ذهب الدكتور وهبة الزحيلي في موسوعته : الفقه الاسلامي وأدلته » : (٧٥٢/٤) والدكتور عبدالعزيز الخياط في كتابه : «نظرية العرف » : (ص ١٠٢) وغيرهم .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

واذا جاز الخلو فينبغي ان يكون معلوما انه مقابل منفعة حقيقية يقدر بقدرها بلا استغلال لحاجة المستأجر ، او ان يكون مظلة لاكل اموال الناس بالباطل . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لاضرر ولاضرار» .

الوعي الاسلامي

وقفة تأمل

قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ..



في هدأة الليل وسكونه ، وقد أوى كل إنسان إلى فراش نومه ، امتدت يد صاحبنا الى مفتاح مذياعه ، ليلتقط محطة من محطات الارسال المتعددة ، ليشغل نفسه بسماع شيء ما يذهب عنه ما يعانيه من قلق وشعور يكاد يقتله « بالوحدة »

سورة التغابن

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾

صدق الله العظيم

ومن بين محطات الارسال التي تبث أكثر ماتبث غثاء من أغان وألحان رخيصة .. وكلمات هابطة ، ذات معان ساقطة .. وسط هذا الكم الهائل من البرامج غير المفيدة .. ولا نقول الضارة التقط مؤشر مذياعه محطة من محطات القرآن الكريم ، فاستوقفه صوت القارىء الندي ، وتلاوته الخاشعة وتأمل الآيات الكريمة من سورة التغابن :

واستخلص صاحبنا من الآيات ما يلي :

أولا : ان قول الكافرين بعدم البعث هو مجرد زعم .. فهو قول كاذب . « **زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا** » .

ثانيا : أمر الله رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يقسم بربه سبحانه على أن البعث يوم القيامة بعد الموت واقع لا محالة .. « **قل بلى وربي لتبعثن** » . وهذه الآية

احدى ثلاث آيات أمر الله فيها رسوله بأن يقسم بربه على وقوع البعث .. والآيتان الأخريان هما : « **ويستنبئونك أحق هو قل اي وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين** » ٥٣/يونس

و« **قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بل وربي لتأتينكم** » . ٣/سبأ

ثالثا : سوف يجد كل انسان جزاء عمله ، فالله لا تخفي عليه خافية .

وقد أحصاه الله ونسوه ، وذلك البعث ، واحصاء الأعمال يسير على الله سبحانه ,

رابعا : واذا كان هذا هو المصير ـ وهو كذلك ـ فينبغي أن تؤمنوا أيها الناس جميعا بالله الواحد الأحد ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وبهذا النور الذي معه ، وهو القرآن الكريم ، نور في ذاته ، ونور في آثاره ، لأنه يهدي إلى الخير ، ويزرعه في نفس المؤمن .

« **فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا والله بما تعملون خبير** »



خامسا : يوم القيامة هو اليوم الذي تجمع فيه الخلائق كلها منذ النشأة إلى آخر يوم في عمر الحياة الدنيا وهو يوم التغابن .. فما معنى التغابن ؟ يجيبنا على هذا السؤال الحسن رضي الله عنه حيث قال : غبن أهل الجنة أهل النار أي استنقصوا عقولهم باختيارهم الكفر على الايمان .

سادسا : فريق إلى الجنة وهم المؤمنون العاملون الصالحات ... « **ذلك الفوز العظيم** » . وفريق الى النار وهم الذين كفروا وكذبوا بالبعث وبآيات الله ... « **وبئس المصير** » .

سابعا : يقرر الله سبحانه قاعدة من قواعد الايمان وأثرها في هداية القلب .. تلك القاعدة هي الايمان بقدر الله ، وان كل مـا يصيب الانسان هو قضاؤه ، ولا مفر منه ،

فمن صبر واحتسب عوضه الله خيرا . ذلك الخير ، هو الهدى في القلب واليقين الصادق ، وحسن الجزاء في الآخرة .

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « عجبا للمؤمن ! لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له . ان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ، وان أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » .
أخرجه الشيخان

ثامنا : **ما دام الأمر كله بيد الله سبحانه ، وهو المحيط بكل شيء علما . فأطيعوا الله ، وأطيعوا رسوله ، وان توليتم فاعلموا أنه**

ليس على رسول الله إلا البلاغ المبين . ثم من شاء فليؤمن ومن شـاء فليكفر ، وكـل نفس بما كسبت رهينة .

قال الزهري : من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم .
تاسعا : وعلى هذا الأساس « **الله لا إله إلا هو** » من التوحيد تقوم عقيدة المسلم ، فيتوكل على الله في كل أموره « **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** » وليعلم أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه .
عاشرا : قال صاحبنا ، وقد أخذ الكرى يداعب جفونه ، فـوضت أمري اليك يا حي يا قيوم ،فلك ما أخذت ولك **ما أعطيت** .
ثم ردد قول الشاعر :

لكل شيء اذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش انسان
هي الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الأرض لا تبقي على أحد
ولا يدوم على حال لها شأن
فجائع الدهر أنواع منوعة
وللـزمان مسـرات وأحـزان

وقال :« **لا حول ولا قوة إلا بالله** »
ثم أخـذه الكرى إلى عـالم من الأحلام والرؤى .

فهمي الامام

جراحة التجميل

مقدمة

مما بدأ ينتشر في الواقع المعاصر ، بدافع من : غريزة المرأة ، أو عقلية الانسان ، أو ابتكارات العصر ، أو من جميعها « جراحات التجميل » .

وهي عمليات جراحية ، صغيرة أو كبيرة ، يراد منها : إما علاج عيوب خلقية ، تتسبب في إيذاء صاحبها بدنيا أو نفسيا .

وإما تحسين شيء في الخلقة ، بحثا عن جوانب من الجمال أكثر من الموجود ، أو بدلا من المفقود .

وقد كثر هذا اللون من ألوان التجمل في أيامنا هذه ، وفي واقعنا الذي نعيشه ، وتخصص له أناس قصروا أنفسهم عليه ، ووفروا وقتهم للتفنن فيه ، كما أصبح له أقسام في كثير من كليات ومعاهد الطب ، وعيادات لكبار الجراحين ، للاهتمام به : تدريسا ، ومزاولة .

وإذا كانت أجهزة الاعلام في كثير من الدول تلهب النساء بسياط التشجيع والترغيب في هذا اللون من التجمل بنوعيه ..

وإذا كان الواقع الانساني المعاصر : يتقبل بصدر مفتوح كل ما يثير الغرائز ، وينمي لديه الشهوات ..

فإن التشريع الاسلامي يختلف عن ذلك كلية ، وسنرى ذلك واضحا فيما يلي :

بين التشريع الاسلامي والواقع المعاصر

للدكتور / عبد الحي الفرماوي

جراحات التجميل

من الممكن تقسيم هذه الجراحات إلى قسمين :

الاول :
الجراحات التجميلية التي تعالج عيبا في الانسان (امرأة كانت أو رجلا) يتسبب في إيذائه نفسيا أو بدنيا ، ويصاحبه ـ كذلك ـ إن لم يعالج ألم شديد لا يستطيع صاحبه تحمله ، كما قد يتسبب في إعاقته عن أداء وظيفته ، أو كمال قيامه بها .

الثاني :
الجراحات التجميلية ، التي لا تعالج عيبا في المرأة يؤلمها ويؤذيها ، بل يكون الدافع لذلك : رغبة المرأة في إشباع نزعة غرور تعتريها ، أو تطلعها إلى فترة ثانية في الشباب بعد تقدمها في العمر ، كما يصرح أخصائي جراحة التجميل البروفيسور جان فرانكو كوديجا وكما هو الشائع في واقع الناس المعاصر .

موقف التشريع الاسلامي

ولأن التشريع الاسلامي لا يهدف إلى : تعذيب الناس ، أو حرمانهم مما يحقق لهم فائدة ، تمكنهم من النجاح في حياتهم ، وتعينهم على تحقيق إنسانيتهم ، ودونما إطلاق لعنان فوضى الغرائز ، ودونما إماتة لفطرة الأنوثة ـ التي خلقها المشرّع ـ في المرأة ..

فقد أباح النوع الاول من هذه العمليات وتتضافر الأدلة على إباحة ذلك .

أما النوع الثاني فيحرّمه الاسلام . والأدلة على ذلك هي :

أولا في القرآن :

دخوله في عموم قوله تعالى : « **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** » الحشر/ ٧ .

ففي رواية مسلم : من صحيحه (عن عبدالله بن مسعود ، أنه قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله): فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد يقال لها : ام يعقوب ، وكانت تقرأ القرآن ، فأتته فقالت : ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ؟

فقال عبدالله : ومالي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله .

فقالت المرأة :

لقد قرأت ما بين لوحي المصحف ، فما وجدته ، فقال لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ، قال الله عز وجل (**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**) فقالت المرأة :

فإني أرى شيئا من هذا على امرأتك الآن ، فقال : اذهبي فانظري - قال - أي الراوي - فدخلت على امرأة عبدالله ، فلم تر شيئا ، فجاءت إليه فقالت : ما رأيت شيئا ، فقال أما لو كان ذلك لم نجامعها . أي لم نصاحبها ، ولم نجتمع نحن وهي .

ثانيا من السنة :

ما رواه : البخاري ومسلم ، وابو داود وغيرهم .

وكله : يحرّم المبالغة في عملية التزين ، وينهى عن تغيير - أو محاولة تغيير - خلق الله تعالى .

وهي نصوص اكثر من أن يتسع لها المقام هنا .

ثالثا :

إجماع سلف هذه الأمة ، وعلمائها ، على : تحريم ذلك ، والالتزام باجتنابه .

فهذا عبدالله بن مسعود ، الصحابي الجليل المتوفى سنة ٣٢هـ - ٦٥٣م تتحداه أم يعقوب في بيته - كما رأينا - حتى تتأكد من براءته من الوقوع فيما حكم بحرمته ونهى عنه . وقد أخرج الطبراني هذا الحديث : وزاد في آخره ، كما يقول ابن حجر في فتح الباري ، فقال عبدالله ما حفظت وصية شعيب اذاءيعني : قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام : (**وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه**) هود آية / ٨٨ .

● ومن الضروري : أن يكون جل الصحابة ، رضوان الله عليهم - إن لم يكن كلهم - على شاكلة عبدالله بن مسعود ، فهما وتطبيقا لهذا .

● ويرى الامام الطبرى ، المتوفى سنة ٣١٠هـ ٩٢٢م ، انه : لا يجوز للمرأة ، تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها ، بزيادة أو نقص التماسا للحسن ، لا للزوج ولا لغيره ، كمن تكون : مقرونة الحاجبين ، فتزيل

ما بينهما، ا هم البلج ومن تكون: لها سن زائدة فتقلعها أو طويل فتقطع منها أو لحية، أو شارب او عنفقة فتزيلها بالنتف ومن تكون شعرها قصيرا أو حقيرا فتطوله، أو تغززه بشعر غيرها، ـ شكل ذلك: داخل في النهي، وهو من تغيير خلق الله.

ثم يقول:

ويستثنى من ذلك: ما يحصل به الضرر والأذية كمن تكون لها: سن زائدة، أو طويلة، تعيقها في الأكل، أو أصبع زائدة، تؤذيها وتؤلمها فيجوز ذلك.

★ لكن الامام النووي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ ـ ١٢٧٧م يرى: أنه إذا نبت للمرأة لحية أو شارب او عنفقة، فلا يحرم إزالتها، بل يستحب.

★ ويعقب ابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢هـ ـ ١٤٤٨م على ما يراه النووي بقوله: وإطلاقه مقيد بإذن الزوج وعلمه، وإلا فمتى خلا عن ذلك: منع، للتدليس.

ويقول في موضع آخر من فتح البارى: المذمومة، من فعلت ذلك ـ أي عمليات التجميل ـ لأجل الحسن فلو احتاجت إلى ذلك لمداواة مثلا جاز.

حكمة التشريع الاسلامي

قال الامام الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ ـ ٩٩٨م.

إنما ورد الوعيد الشديد، ومنع هذه العمليات لما فيها من الغش والخداع، ولو رخص في شيء منها لكان وسيلة إلى استجازة غيرها من أنواع الغش، ولما فيها من تغيير الخلقة.

ويضاف الى ذلك:

ان فتح الباب للنساء في هذه المبالغات، يؤدي إلى ارتمائهن في أحضان الغرائز الشهوانية، والبعد ـ تدريجيا ـ عن رسالتهن الانسانية.

وعدم النجاح ـ بالتالي ـ في خلافة الانسان لله على هذه الارض، بل فشله ـ بسبب إغراقه في مثل ذلك ـ في عمارة الكون، وحسن الاستفادة من كل ما سخره الله تعالى له.

ولشغله الوقوع الدائم في هذا المنكر ـ الذي حرمه عليه، لمصلحته، التشريع الاسلامي ـ عن عبادة الله تعالى، بل عن الايمان نفسه.

وبالضرورة: عن الأمر بالمعروف، الذي لا يفعله هو، أو لا يعرفه أصلا، وعن النهى عن المنكر، الذي يفعله هو، عن علم، أو عن جهل.

وهنا: يفقد «خيريته» التي خصه الله تعالى بها، والتي تؤهله لقيادة هذا العالم، الذي يعاني التخبط، ويقاسى الحروب، ويحاط بالرعب .. و .. و ... الخ.

والذي هو في أمسِّ الحاجة إلى قيادة، حكيمة، عاقلة، راشدة.

ولن تكون هذه القيادة للعالم ... إلا بتوجيه ممن خلق هذا العالم نفسه، وبإرشاد منه، وبالتزام لمنهجه، وتعاليمه، ولا يتوافر كل ذلك، أو بعض ذلك إلا في أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

أضف إلى ذلك:

أنه لو عمت هذه العمليات: لكان الاعتراض الدائم على ما خلق الله،

سبحانه وتعالى ، والانشغال بتغييره عن الوظائف الحقيقية ، والمهام الأساسية التي أنيطت بالانسان في هذا الكون ، ولصرفت المرأة بها عن الرغبة في الإنجاب ، ولو أنجبت : لصرفت عن تنشئته وتربيته ، حتى لا يحرمها هذا الإنجاب من الجمال ، أو تصرفها التنشئة عنه وتشغلها .

ومن هنا :

ولكل هذا :

فقد حرَّم التشريع الاسلامي هذا النوع من عمليات التجميل .

وليس التشريع الاسلامي في هذا : متجنيا على المرأة ، أو مانعا لها من شيء فيه مصلحتها .

وإنما ينبه المرأة دائما إلى : ان الجمال الحقيقي : هو في الخلق لا الخلقة ، وأن الجمال الدائم هو جمال الروح والأفعال والأقوال لا في الاشكال والهيئات ، وأن الذي ينبغي الحرص عليه : هو ما به يتحقق للمرأة إنسانيتها ، وكرامتها ، وحسن سيرتها ، وهو جمال الخلق والطباع ، وأن الجري وراء هذه المحاولات المستمرة للبحث عن الجمال الشكلي الزائف :

لن يكسب الانسان ـ امرأة كانت أو رجلا ـ شيئا يستحق الذكر ، بل لم يكسبه في عصوره الغابرة ، سوى الانطلاق في طريق الشهوات والغرائز ، الذي يشيع الفاحشة في المجتمع . ثم ينتهي به إلى : الانحلال ، والدمار والهلاك .

خاتمة

وحقا : فإنه ما انتشرت هذه الأشياء في قوم ، وألفها الناس ، وأحبوها ، إلا كانت دليلا على انشغالهم بالوسائل دون الغايات ، وعلامة بارزة على شيوع الفواحش والموبقات ، ونذيرا إلى اضمحلال حضارتهم وطريقا سريعا إلى هلاكهم ودمارهم .

والتاريخ القديم والحديث يؤكد ذلك .

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فيما يرويه : البخاري ، ومسلم ، وأصحاب السنن ، لأصحابه ونساء أمته : « إنما هلك بنو اسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم » .

وهو نفس ما حدث للامبراطورية الرومانية وللأمبراطورية الفارسية ، و ... لكثير من الحضارات ـ الغابرة .

ويذكر المؤرخون : ان فرنسا لم تهزم أخيرا إلا لأن رجالها كانوا بين الكؤوس وأفخاذ النساء حين دخلتها جيوش الاحتلال .

تصحيح خطأ:

● نشرنا مقالا في عدد ربيع الأول ١٤٠٨ هـ تحت عنوان « دور الشباب المسلم في التحدى المعاصر » لكاتبه الاستاذ / ابراهيم عيسى ..

وقد تضمن المقال حديثا نصه « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك ، وفراغك قبل شغلك »

ثم قال الكاتب « رواه البخاري ومسلم »

● وبعد وصول العدد الى ايدي الأخوة القراء جاءتنا رسالة الأخ / محمد نجيب لطفي لتصحيح ما وقع فيه الكاتب من خطأ ، حيث نسب الحديث المذكور الى البخاري ومسلم وهما لم يخرجاه . ثم نقل الينا الأخ / محمد نجيب ، ما قاله العجلوني في كتابه « كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس » حيث قال العجلوني بعد ذكر الحديث : « رواه الحاكم وصححه ، والبيهقي عن ابن عباس قال قاله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لرجل وهو يعظه عند احمد في الزهد ، والبيهقي عن عمرو بن ميمون مرسلا » انتهي كلام العجلوني .

● هو إذن حديث مرسل ، والحاكم معروف بتساهله في تصحيح الأحاديث ، والحديث المذكور لم يخرجه البخارى ومسلم كما زعم الكاتب . فأرسلنا إليه نستطلع رأيه ونعرف هل هو حقا موجود عند البخاري ومسلم . فجاءنا بالبريد رد طويل من الأستاذ ابراهيم عيسى ، ، عاتبا علينا اسلوبنا في مخاطبته ، متناسيا أننا **نشرنا مرارا وتكرارا نرجو من السادة الكتاب تخريج الأحاديث** . فإذا به يقول لنا إن الحديث المذكور في أعلى درجات الصحة .. **أهذا هو التخريج الذي نريد . لا ، بل عدم** تخريج الحديث بمثل هذه الصورة أفضل ، لأننا عندها سوف نبذل جهدنا في المجلة لتخريجه من مصادره .

● على كل اعترف الكاتب بخطئه ، وذكر لذلك قصة لا تعنينا ، المهم أنه قال : كان ينبغي أن اسند الحديث الى الترمذي والحاكم والبيهقي ، **وهو حديث ضعيف** .

● ثم دلنا سيادته على خطأ آخر لم نكتشفه نحن ، وهو أنه أسند حديث « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه** » إلى غير راويه حيث قال رواه الامام احمد في مسنده والحاكم في المستدرك ـ **والصحيح ـ كمال قال** ـ أن يسند الى « **ابو يعلى ، وابن عساكر وغيرهما** »

● هذا .. وإنا نلح على السادة الكتاب أن **يراعوا الله فيما يكتبون ، ويتحققوا من صحة الاحاديث وصحة نسبتها إلى رواتها ومخرجيها . وندعو الله أن يجنبنا وإياهم الزلل ، إنه سميع مجيب .**

نحن ومسلم الأمس

للاستاذ / معالي عبدالحميد حمودة

الاسلام هو دين الله تعالى ، وهو الدين الوحيد المقبول عند المولى عز وجل ، ثم هو عقيدة وشريعة ودين ودنيا وسلوك وحياة ، ثم هو منهج كامل متكامل لاصلاح الفرد والأسرة والمجتمع والأمة والبشرية جمعاء .

والاسلام لأنه يتغلغل تماما في حياة المسلم ، فلا يمكن ان يتقوقع هذا الدين أو يدخل (القمقم) كما يحاول بعضهم أن يفعل ، وإذا كنا نقول إن الاسلام هو دين الله فإننا الآن العيب فينا نحن ، نحن الذين أعرضنا عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحكمنا مجتمعاتنا بقوانين المخلوقات ، العيب فينا نحن الذين تفرقنا ـ والله يأمرنا بالاتحاد ـ وتنافرنا والله يأمرنا بالتآلف ، العيب فينا نحن الذين تقاعسنا عن الجهاد في سبيل الله ، فابتلانا الله تعالى بما فينا من أمراض ومتاعب لا أول لها ولا آخر ، العيب فينا نحن الذين تحالفنا مع أعداء الاسلام ، وتركنا إخواننا في الأمة الاسلامية يكافحون وحدهم دون معين ولا نصير ، العيب فينا نحن الذين تركنا القيم الثابتة وظللنا نهرول وراء مغريات الحياة الدنيا وظن كثير منا أن الحياة الدنيا هي نهاية المطاف ؟ العيب فينا نحن الذين ابتعدنا عن منهج الله وسعينا وراء هوى المخلوقات ، فأصبح حالنا كما هو الآن .

وهذه الكلمة عن مسلم الأمس ، ليس القصد منها أن نتغنى بأمجاد المسلمين الأوائل ، ولكن القصد ان نتدبر ونتعلم كيف كان مسلم الأمس ،

وكيف كان يفعل وما الذي أعطاه الله تعالى له .. ليفيق مسلم اليوم من الغيبوبة الغريبة التي يستغرق فيها ،

وليحاول أن يكون مسلم اليوم مثلما كان مسلم الأمس .

والسجل العظيم لمسلم الأمس حافل .. ولا نعرف من أين نبدأ ؟ هل نبدأ عندما بعث المقوقس حاكم مصر رسلا الى جيش عمرو بن العاص عليه من الله سحائب الرحمة والرضوان ، فأبقاهم عمرو عنده يومين وليلتين اطلعوا خلالها على حياة جند رباهم الاسلام وهيأهم لفتح ارض الكنانة ، ولما عادت الرسل وقد رصدت كل شيء الى المقوقس سألهم : كيف رأيتموهم ؟

نقدم الاجابة لمسلم اليوم ليقرأها لعل وعسى .

قال الوفد « رأينا قوما الموت أحب الى أحدهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرفعة ، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، وإنما جلوسهم على التراب ، وأكلهم على ركبهم ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد من العبد . واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم » .

هذا كان الوصف الدقيق لرسل المقوقس عن المسلمين ، فماذا قال المقوقس ردا على هذا الوصف الدقيق ؟

« قال المقوقس : والذي يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد »

هذه شهادة من غير المسلمين لمسلمي الأمس ، ثم نقلب صفحات التاريخ لنتعرف على المزيد عن مسلم الأمس ..

عقب معركة نهاوند العظيمة (فتح الفتوح) وانتصار المسلمين الساحق على الفرس بقيادة البطل المسلم الفذ (النعمان بن مقرن المزني) أرسل كسرى الفرس رسولا يحمل هدايا الى ملك الصين ويطلب المدد والعون . وكان أن تحاور ملك الصين مع رسول كسرى ثم سأله عن المسلمين وما هي صفاتهم ؟

فقال رسول كسرى :

إنهم يوفون بالعهد ، ويطيعون قادتهم ، وإنهم قبل القتال يدعون عدوهم الى ثلاث : إما الاسلام ، وإما الجزية ، وإما القتال ,

وتطرق الحوار الي سؤال بالغ الاهمية عندما قال ملك الصين لرسول كسرى سائلا عن المسلمين (أيحرمون ما حلل لهم أو يحلون ما حرم عليهم ؟؟)

فقال رسول كسرى : لا

هنا قال ملك الصين عبارة ليت كل مسلم يقرؤها ويتدبرها · قال « فإن هؤلاء القوم لا يهلكون أبدا ، حتى يحلوا حرامهم ويحرموا حلالهم » واخيرا كان على ملك الصين أن يقول رده على طلب كسرى فكتب ملك الصين اليه قائلا :

« إنه لم يمنعني أن أبعث اليك بجيش أوله بمرو وآخره بالصين إلا الجهالة بما يحق عليّ ، ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم لو يحاولون الجبال لهدموها ، ولو خلى سربهم أزالوني ماداموا على ما وصف . فسالمهم وارض منهم بالمساكنة ولا تهجم ما لم يهيجوك »

ونمضي مع اوراق التاريخ الاسلامي المجيد ، نتعرف على ما كان عليه مسلم الأمس ونختار على قمة هذه المواقف الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم عندما وقف في موقعة (أحد) وعندما تكاتفت قوى الشر والشرك والكفر والوثنية تريد القضاء على خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وكان الموقف وقتها اسوأ ما يكون،فقوات المسلمين تمزقت شر ممزق ، واختلط الحابل بالنابل ، واذا بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم يقدم لنا أروع صور البسالة والشجاعة، وقد كان في وسعه الانسحاب من ارض المعركة ، ولكنه صلى الله عليه وسلم يربي الأمة المسلمة وإذا به صلى الله عليه وسلم يجاهد ويدافع ويقاوم ـ والموقف بالغ السوء ـ بل إن من بقي من المسلمين ذهلوا وهم يرون نبيهم وقائدهم صلى الله عليه وسلم وقد أصيب في وجهه الشريف يدافع عنهم بعد ان وقفوا حوله ليدافعوا عنه .

هل نسينا الصديق رضى الله عنه وقد سير الجيوش المسلمة لقتال أهل الردة ، وهل نسينا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كانت ايامه اعظم أيام الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم ؟

وهل نسينا القائد الفذ خالد بن الوليد عليه من الله سحائب الرحمة والرضوان الذي لم ينهزم قط في معركة ، وعندما رقد على فراش الموت فإذا به يكاد يبكي لأنه يموت على فراشه وقد كانت رغبته أن يموت وهو يدافع عن دين الله ؟

وهل نسينا جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، هذا الشهيد المجيد يلقى وجه ربه شهيدا في غزوة مؤته وقد قطعت يده اليمنى ، فينقل اللواء الى اليد اليسرى فتقطع يده اليسرى فيضم اللواء بعضديه ، وهو ينادى المسلمين يحثهم على الجهاد في سبيل الله ودماؤه الزكية تغطي أرض المعركة ؟

وهل نسينا عمرو بن الجموح رضوان الله عليه هذا الشهيد الاعرج ، وما كان الاسلام يجبره ان يجاهد وهو بهذا العرج ومع ذلك يخرج الرجل الباسل الشجاع للجهاد في سبيل الله وهو يقول : سأدخل الجنة بعرجتي هذه ؟

وهل نسينا البراء بن مالك ـ هذا المقاتل الصاعقة ـ في حرب يوم اليمامة . عندما حمله المسلمون فألقى بنفسه على باب الحديقة التي لجأ إليها مسيلمة الكذاب ، فيقتحم البراء ابن مالك باب الحديقة ثم يدخل المسلمون وينصرهم الله وتنتهي فتنة مسيلمة بن حبيب كذاب اليمامة ويخرج البراء بن مالك من المعركة ببضع وثمانين جرحا ؟

وهل نسينا النعمان بن مقرن المزني فاتح نهاوند ، عندما دخل الجيش المسلم نهاوند وفتحها ، يومها انزلق جواد النعمان فوقع على الأرض ، وقبل أن تصعد روحه الطاهرة الى بارئها وعقب إغماءة

قصيرة فتح النعمان عينيه ، وكان أول ما سأل إخوانه « ماذا فعل المسلمون ؟ »

لم يسأل عن جراحه وإصابته ؟ لكنه سأل عن مجريات المعركة . وعندما أبلغه الصحابة البواسل أن الله تعالى فتح لهم نهاوند قال قولته المشهورة الأخيرة (الحمد لله ، اكتبوا الى عمر) وصعدت روحه الطاهرة الى بارئها عز وجل . هذا الرجل لإسلامه وشجاعته وقوته عندما وصل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه خبر استشهاده ارتقى درجات المنبر ثم انفجر في البكاء وهو ينعى الى المسلمين استشهاد النعمان .

تلك كانت مجرد نماذج على سبيل المثال لا الحصر ، والقائمة طويلة متعددة فما القصد من كتابة كل ما تقدم ؟

نقول وبالله التوفيق إن مسلم الأمس التزم بشريعة الله تبارك وتعالى في كل حركة من حركات حياته ، بل مع نفسه ، وكان يضع مصلحة الاسلام فوق أية مصلحة واعتبار .

إن مسلم الأمس سعى الى طلب العلم والذين والثقافة ، وكان جهاده هو الجهاد الحق ، وأخذ بالأسباب ولم ينس أن الله تعالى هو مسبب الاسباب ، وكان يعرف مسلم الأمس التوكل على الله حق المعرفة ولذا بعد عن التواكل . كان مسلم الأمس يعرف جيدا قول الله تعالى « **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا** » سورة الانفال . آية/ ٤٦ . ويعرف جيدا قول الله تبارك وتعالى (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) سورة آل عمران . الآية/ ١٠٣

مسلم الأمس كان يعف عن أخذ ما لا يحل له ، ويضع الحلال والحرام نصب عينيه . مسلم الأمس كان يعرف أن دينه هو الاسلام وان عقيدته هي العقيدة الصحيحة ، مسلم الأمس كان لا يضيع وقته في مجادلات فاشلة عقيمة من أن العروبة هي دينه والقومية هي عقيدته ؟

مسلم الأمس كان يعرف أن الوقت يجب استخدامه في المكان الصحيح ، لا في تلك المجادلات والمحاورات والخزعبلات الفكرية التي يغرق فيها مسلم اليوم .

مسلم الأمس كان يعلم أن لقاء الله تعالى بالعمل الصالح ، وليس بالمال الوفير ولا الأولاد والبنين .

إن التاريخ الاسلامي هو ذاكرة المسلمين ، وعلى مسلم اليوم ان يعرف ويعي ويتدبر ويتفكر في ان هؤلاء الصحابة الأماجد ، هم اسلافنا البواسل الأتقياء الشرفاء والعبرة ان المسلمين الأماجد ساروا وراء كتاب الله تعالى وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ولم يصلوا الى ما وصلوا اليه بالحافلات الفارهة . ولا الاختيال الممقوت ولا بالاسراف البذىء . او الشح الممقوت ، او الحفلات الباهظة ، لم يصلوا الى ما وصلوا اليه بعقوق الآباء وظلم الابناء،لم يصلوا الى ما وصلوا إليه بالاعراض عن شريعة الله عز وجل وسنة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم،لم يصلوا

الى ما وصلوا اليه بتحريم الحلال وتحليل الحرام ، لم يصلوا الى ما وصلوا اليه بالتهاون حتى في أمور دينهم .

كلا إنهم اصبحوا أفاضل أماجد لأنهم أطاعوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ولأنهم خرجوا في سبيل الله تعالى ، وفي سبيل نصرة دين الله . ولأنهم جميعا اعتصموا بحبل الله تعالى ولم يتفرقوا ، ولم يتنابذوا ولم يشنوا الحرب على بعضهم بعضا ، ولم ينفقوا أموالهم إلا في سبيل الله ، وفي سبيل التكافل والتكامل الاجتماعي بين المسلمين ، ولأن حياتهم كانت حياة العفة والشرف والنقاء والخلق القويم .

ولأنهم كانوا في موقع المسؤولية عن نسائهم وفتياتهم فأدبوهن وربوهن على خلق الاسلام القويم ، ولأنهم رضوان الله عليهم جميعا لم ينهزموا أمام العقائد البشرية المستوردة الدخيلة ، بل اكتمل اسلامهم جميعا ووقفوا كالجدار الصلب المتين ، فنصرهم الله عز وجل ، وسجل سبحانه أسماءهم وأخبارهم في سطور التاريخ الاسلامي المجيد .

هذا هو الدرس الذي يجب أن نتأمله ونتدارسه ليكون حاضرنا امتدادا لماضي المسلمين البواسل .

إن الاسلام لن يتبدل ، والقرآن الكريم لن يتغير ، وشريعة الاسلام لن يعتريها أي زيادة أو نقصان ، والسنة النبوية المطهرة على صاحبها الصلاة والسلام ثابتة كالجبل الأشم .

والأمر لا يحتاج منا الى مستحيلات . او معجزات ، أو خوارق للعادة ، والأمر لا يستدعى ان نظن أنها من المعضلات المستعصية أن نكون مثل مسلمي الأمس .

إن الأمر يحتاج باديء ذي بدء الى النية الخالصة النقية الطاهرة لنعود الى الله تبارك وتعالى ، ثم بعد النية يبدأ العمل الجاد المخلص لنحيل هذه النية الى عمل .

إننا نحيا الآن في سلبية ولا مبالاة غريبة .. فكل مسلم يلقى التبعة على أخيه المسلم ، والكل في سلبية ولا مبالاة عجيبة ، وهذه السلبية هي اخطر مايواجهنا كأمة اسلامية .. لأن هذه السلبية تعطل كل قوتنا ومداركنا وعقولنا ، وتجعلنا ندور في حلقة مفرغة ، وهذا ما يريده أعداء الاسلام .

كما أننا في حالة تنافر وتباعد لم تحدث مطلقا للمسلمين طوال تاريخهم ، وهذا التنافر وذاك التباعد هو أهم ما يسعى الى استمراره أعداء الاسلام ، بل إن أحد قادة الكيان الصهيوني قال ذات مرة (إن اسرائيل لا تعتمد على قوتها العسكرية في نزاعها مع العرب والمسلمين لكنها تعتمد في المقام الأول على اختلاف الأمة العربية والاسلامية)

ونحن في حالة غياب كامل عن تحقيق التكافل والتضامن الاجتماعي بين المسلمين ، ولو تحقق هذا التكافل والتضامن لما احتاجت مجتمعات مسلمة بعينها الى الخضوع لأعداء الاسلام في المساعدات والقروض الخ .

إن كثيرا من المسلمين انهزموا للأسف أمام بعض العقائد المستوردة الدخيلة التي فتكت بالكثير من المسلمين والمسلمات .

إن الله تعالى يقول في كتابه الكريم :

(**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) سورة الرعد ، آية/ ١١ .

ولن يغير الله ما نحن فيه إلا اذا عقدنا العزم عل تغيير ما نحن فيه واذا بدأنا مجرد الخطوات الاولى للعودة الى الله تبارك وتعالى فإن الله تعالى لن يخذلنا وسيساعدنا وسيشد أزرنا .

إنه ليس أمام الأمة الاسلامية إلا أن تعود الى ربها عز وجل وتتمسك بكتابه الكريم وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وأن نحكم بشريعة الله ،

وأن نجهز القوة المطلوبة للدفاع عن وجودنا وانفسنا ومواردنا وأن نتعاون جميعا على البر والخير والتقوى ولا نتعاون على الاثم والعدوان .

ووقتها سينصرنا الله تعالى .. قال عز من قائل :

« **ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز** » سورة الحج . آية/ ٤٠
وخير ما نختتم به هذه الكلمة قول الله تعالى :

(يا أيها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير) .
سورة الحج . آية/ ٧٧و٧٨ .

من أسرار اللغة

تقول العرب :
للحجر العظيم : « صخرة » .
وللجيش العظيم : « فيلق » .
وللشجرة العظيمة : « دوحة » .
وللفأس العظيمة : « معول » .
وللموقعة العظيمة : « ملحمة » .

شخصية العدد

عرفجة ابن هرثمة

من هو؟

للاستاذ / **عبد العظيم السيد الطنطاوي**

لم تكن « **ذات الصواري** » . كما يعتقد الكثيرون ـ أول معركة بحرية يخوضها المسلمون ، فالحقيقة تثبت غير ذلك ، فقد كانت التجربة البحرية الأولى قبل ذلك بعدة سنوات ويحدثنا التاريخ عن محاولات عسكرية إسلامية لخوض غمار البحر ، فقد خاض الصحابي الجليل « علقمة بن مجزّز المدلجي » البحر من مكان يقال له **الشعيبة** على رأس سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول لتسع من الهجرة،كما سبق للصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي ان خاض البحر بجيش المسلمين على ظهور الخيل والإبل مسيرة يوم وليلة لملاقاة المرتدين في البحرين .

وفي عام سبعة عشر للهجرة شن المسلمون هجوما على الفرس عن طريق البحر على ظهر سفن انطلقت بهم بقيادة « خليد بن المنذر » وبتوجيه وتشجيع من العلاء بن الحضرمي والي ـ البحرين ـ في عهد الفاروق عمر بن الخطاب ـ الذي ندب الناس لركوب البحر وشن الهجوم على فارس ووجد استجابة من أهل البحرين وإن لم تذكر الروايات حجم تلك القوات أو أعداد السفن التي أقلتهم . وحمل العلاء الجند بقيادة خليد بغير إذن من عمر الفاروق وعبرت تلك القوات من البحرين الى فارس بكامل اسلحتها ومعداتها حتى نزلت في مكان يقال له « **طاوس** » قبالة حصن « **اصطخر** » وأمامهم قوات الفرس يقودها « الهربذ » فالتف الفرس حول المسلمين وحالوا بينهم وبين سفنهم فأغرقوها وقطعوا عليهم خط الرجعة .

واقتتل القوم فقتل من أهل فارس مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها من قبل . ثم خرج المسلمون يريدون البصرة عن طريق البر بعد أن غرقت سفنهم ، فلم يجدوا الى الرجوع سبيلا ، ولكن « شهرك » الذي كان قائدا فارسيا ـ أحاط بهم وحاصرهم ، فعسكر المسلمون وقد حاروا في أمرهم وأسقط في أيديهم بانتظار الفرج من الله .

وعندما بلغ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الموقف الحرج الذي وقع فيه المسلمون : غضب غضبا شديدا على « العلاء » وكتب الى والي البصرة « عتبة بن غزوان » بهذا الأمر وجمع « عتبة » الناس وأخبرهم بكتاب « عمر » الذي طلب فيه النجدة لإنقاذ جيش المسلمين ، فخرجوا في اثني عشر ألفا تحت إمرة « أبي سبرة بن أبي رهم » وكان من القادة الذين أرسلهم « عتبة » الصحابي الجليل « عرفجة بن هرثمة البارقي » **فمن هو ذلك الصحابي** ؟ ... والقائد المسلم الذي أبلى البلاء الحسن في المعارك الاسلامية المختلفة وتذكره بعض الروايات بأنه أول قائد عربي ركب البحر والمؤسس لمدينة الموصل ؟

إسلامه :

أسلم الصحابي الجليل « عرفجة بن هرثمة بن عبدالعزيز بن زهير البارقي » في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنا لا نعرف متى أسلم بالضبط ، ويبدو أنه أسلم متأخرا ، أي في عام الوفود من السنة التاسعة للهجرة ؛ لأنه لم يرد له ذكر في غزوات الرسول القائد ، ولكنه بدون شك كان صحابيا جليلا ؛ لأنهم لم يكونوا يُؤَمِّرُون إلا الصحابة .

جهاده ضد المرتدين :

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ارتد كثير من القبائل العربية عن الاسلام ، ووقف الصديق ليحارب هؤلاء المرتدين ، فعقد أحد عشر لواء لأحد عشر قائدا ، ووجههم لحرب المرتدين، وعقد لعرفجة لواء وأمره بالتوجه لمقاتلة أهل الردة في مَهْرَة ، كما وجه حذيفة بن محصن الغلقاني لمقاتلة المرتدين في عمان ، وأمرهما أن يبتدئا بعمان ، وكان أبوبكر قد أرسل « عكرمة بن أبي جهل » الى اليمامة ، ففشل في مهمته ؛ فأمره « الصديق » أن يلحق بركب «عرفجة » و« حذيفة » ، فلحق بهما قبل وصولهما عمان ، وهناك انضمت اليهم قوات المسلمين الذين ثبتوا على دينهم في تلك المنطقة ، فقاتلوا المرتدين .. في منطقة **عُمان** .. قتالا عنيفا وانتصروا عليهم ، كما خاضوا معركة أخرى في منطقة « **مهرة** » وكان النصر حليفهم أيضا وأعادوا تلك الربوع الى الاسلام .

عرفجة أول قائد عربي ركب البحر :

يذكر اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتابه «قادة فتح العراق والجزيرة » نقلا عن « ابن سعد » في « الطبقات الكبرى » أن الصحابي الجليل «عرفجة بن هرثمة » هو أول من ركب البحر عندما بعثه « العلاء بن الحضرمي » والي البحرين الى أسياف فارس فقطع البحر في السفن فكان أول من فتح جزيرة بأرض فارس وأسس بها مسجدا .

وكان ذلك قبل سنة أربع عشرة هجرية كما يقول اللواء « محمود شيت خطاب » لأن عرفجة كان حينذاك في ساحات قتال العراق ، فلم تكن الغزوة ـ كما قال ابن سعد ـ في سنة أربع عشرة هجرية .

« عرفجة » والفتح الاسلامي لبلاد فارس والعراق :

بعد وفاة « الصديق » وتولي«الفاروق عمر بن الخطاب» الخلافة ، واصل المسلمون فتحهم لبلاد فارس ، وبعد هزيمة المسلمين في معركة الجسر ، ندب الخليفة الناس الى الجهاد ، فكان « عرفجة » أحد المتطوعين الذين قاتلوا تحت لواء « المثنى بن حارثة الشيباني » في معركة « **البويب** » الحاسمة ، وأبلى فيها بلاء حسنا حتى أنه ـ كما قيل ـ قتل تسعة ـ من رجال الفرس ـ وحده .. وعن هذه الواقعة قال ـ وهو يحدث « المثنى » ـ : «طاردت كتيبة منهم ـ أي الفرس ـ الى الفرات ، ورجوت أن يكون الله تعالى قد أذن في غرقهم وسلى عنا بها مصيبة « الجسر » ، فلما دخلوا الى حد الأحراج كروا

علينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى قال بعض قومي «لو أخرت رايتك » فقلت : « على إقدامها » وحملت بها على حاميتهم فقتلته ، فولوا نحو الفرات ، فما بلغه منهم أحد فيه الروح » .

وبعد استشهاد المثنى بن حارثة وتولي «سعد بن أبي وقاص » القيادة من بعده ، واصل «عرفجة » جهاده تحت لواء «سعد» ، فاشترك معه كواحد من أفراد الوفد الذي وجهه سعد لمفاوضة رستم قائد الفرس ، وكان «عرفجة » ـ كعهدنا به دائما ـ أحد الذين أبلوا البلاء الحسن في معركة « **القادسية** » وما تلتها من معارك أخرى حتى دخل الجيش الاسلامي «**المدائن** » عاصمة الامبراطورية الفارسية .

وعندما علم « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه ، باجتماع أهل الموصل وتوجههم الى تكريت كتب الى سعد : «سرح اليهم عبدالله بن المعتم ، واستعمل على مقدمته « ربعي بن الأفكل » وعلى الخيل «عرفجة بن هرثمة » فشهد بذلك فتح « **تكريت** » والمنطقة من تكريت حتى الموصل تحت لواء « ابن المعتم » .

وقد كان عرفجة محبا للجهاد حتى أنه يؤثره على غيره من المناصب ؛ فقد عاد مع قومه الى البحرين ، ولما تولى « عتبة بن غزوان البصرة ؛ كتب «الفاروق» اليه : « قد كتب إليّ العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن هرثمة : وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدو ، فإذا قَدِمَ إليك فاستشره » ، فكان خير معين ومساعد لعتبة في الإدارة والجهاد .

وكما سبق أن أشرنا كان عرفجة من بين قادة الجيش الاسلامي الذي أرسله عتبة لإنقاذ جيش العلاء الذي كان الفرس قد حاصروه ، فانتصر المسلمون في الأهواز انتصارا رائعا وأنقذوا جيش العلاء من خطر محدق كما كان عرفجة رضي الله عنه من بين القادة الذين أوكل اليهم فتح مدينة « **رامهرمز** » ومدينة « **تستر** » .

وبقي عرفجة مجاهدا في ساحات القتال حتى عاد الى الموصل سنة اثنتين وعشرين للهجرة واليا عليها من قبل الخليفة « الفاروق » الذي سبق أن ولاه خراج الموصل بعد فتحها ، ثم عاد الى ساحات الجهاد في بلاد فارس في أول خلافة « ذي النورين عثمان بن عفان » الذي ما لبث أن أعاده مرة أخرى واليا على الموصل .

« عرفجة » وتأسيس الموصل وإسكان العرب بها :

كانت الموصل قبل عرفجة تحوي الحصن وبيع النصارى ومنازل قليلة لهم عند تلك البيع بالإضافة الى محلة لليهود ، ولكن الخليفة «عثمان بن

عفان » أمر عرفجة أن يتوجه اليها على رأس أربعة آلاف جندي من الأزد وطيء،وكندة،وعبد القيس ، فسكن هذا الجيش الموصل ، وبعد استقرار الحال بعرفجة بنى بها المسجد الجامع وأسكن العرب الى جانب إخوانهم عرب قبائل إياد وتغلب والنمر والتي ما زالت حتى اليوم تحافظ على أمجادها وأنسابها وتفتخر بعروبتها واسلامها

خصال « عرفجة » التي تمتع بها :

إن من يقرأ سيرة «عرفجة بن هرثمة » يتبين له ـ منها ـ أنه كان مؤمنا حقا محبا لدينه وعقيدته ومبادئه ، يتفانى من أجلها ، كما كان صادقا وفيا ، شهما غيورا ، رزينا متزنا عاقلا ذكيا ، يحب لغيره ما يحب لنفسه . وهي خصال تصل بالمسلم الى أعلى درجات الايمان وبها يرضى الله عنه .. هذا الى جانب تميزه وبروزه كإداري حازم ، كما برز في ميدان الجهاد والحرب . فكان ـ رضي الله عنه ـ مثلا نادرا في الشجاعة والإقدام ، لذلك لا نعجب من اختيار « الفاروق » له بالاسم في البعوث التي كان يرسل بها كلما تأزم موقف المسلمين في موقعة ما من مواقع الجهاد والنضال .
فأرسله « الفاروق » على رأس قومه الأزد الى العراق ، ولم يكن التوجه اليها ـ يومئذ ـ سهلا ، خاصة بعد خسائر المسلمين الجسيمة في معركة « **الجسر** » ، ولكن شجاعة « عرفجة » أبت عليه إلا أن يختار أخطر ساحات القتال وأشدها ضراوة ، وأبلى هناك البلاء الحسن ، ورغم سرعته في اتخاذ القرار إلا أنه كان موفقا في كل قراراته ، كما كان رضي الله عنه يتميز بميزة أخرى قلما تتوفر في أقرانه ؛ هي أن نفسه كانت لا تتأثر ولا تتغير سواء في حالة النصر أو عند الهزيمة ، لأن من طبيعة النفس البشرية أن السرور والزهو قد يداخلانها ـ أحيانا ـ عند تحقيق النصر ، وقد تؤثر فيها الهزيمة أو الاندحار ، مما يكون له أبلغ الأثر في ساحات القتال ...
وكان «**عرفجة** » يتحمل المسؤولية كاملة بلا تردد ولا خوف ، كما كان يتمتع بسرعة الخاطرة والبديهة نظرا لذكائه واتزانه ، يثق برجاله ويثقون به ، يحبهم ويحبونه ، كما كان صاحب إرادة قوية وماض مجيد ، فلا ننسى أنه كان صحابيا جليلا من صحابة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وكان رضي الله عنه يطبق أهم مبادىء الحرب التي سبق بها قادة الاسلام قادة الغرب والشرق في عالمنا الحديث المليء بالأكاديميات العسكرية التي تدرس الخطط والنظريات العسكرية وتطبقها على مستوى أكبر وأوسع ، ولكنهم ـ مع ذلك ـ استفادوا من خبرات القادة المسلمين في حروبهم

وغزواتهم ويكفينا فخراً أن هؤلاء القادة الأجانب شهدوا لنا بأسبقيتنا فكان رضي الله عنه يحدد هدفه وغايته بكل دقة ويستعد ويحشد لعدوه أكبر قوة ممكنة ، كما طبق مبدأ المفاجأة والمباغتة مع التركيز على رفع معنويات قواته وتأمين كافة المتطلبات الإدارية اللازمة لهم .

مكانته في قومه وتقدير « الفاروق » له :

احتل **عرفجة** رضي الله عنه مكانة مرموقة بين قومه ؛ فكانوا يطيعونه عندما يأمرهم ويثقون به ، فقد أورد الطبري في تاريخه أن أمير المؤمنين «عمر ابن الخطاب » قال للأزد ـ وهم قوم «عرفجة» : « أي الوجوه أحب اليكم ؟ قالوا : الشام ، فقال رضي الله عنه : « ذلك قد كفيتموه ، العراق ... العراق » ذروا بلدة قد قلل الله شوكتها وعددها واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش ، لعل الله يورثكم قسطكم من ذلك ، فتعيشوا مع من عاش من الناس » ، فقال عرفجة لقومه : يا عشيرتاه .. أجيبوا أمير المؤمنين الى ما يرى » فقال الأزد : « إنا قد أطعناك وأجبنا أمير المؤمنين الى ما رأى وأراد » .

وكما احتل «عرفجة » هذه المكانة بين قومه ؛ فقد احتل مكانة تماثلها عند أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » الذي أراد أن يستعمله على «**بجيلة** » فقال «جرير بن عبدالله البجلي » لقومه : « تقرون بهذا ؟ » ؛ فأتوا عمر رضي الله عنه وقالوا : «اعفنا من عرفجة » فقال لهم الفاروق : « لا أعفيكم من أقدمكم هجرة وإسلاما وأعظمكم بلاء وإحسانا» ، فقالوا : « استعمل علينا رجلا منا » فأرسل « عمر » الى «عرفجة » يخبره بما قالوا ورفضهم أن يكون **عرفجة** واليا عليهم ، فقال عرفجة : صدقوا وما يسرني أني منهم ، أنا امرؤ من الأزد ثم من بارق » فقال « عمر » : « نعم الحي الأزد يأخذون نصيبهم من الخير والشر»، فأمَّر عمر عرفجة على الأزد ففرح الأزد بعودة عرفجة اليهم .

كانت تلك سطورًا مضيئة من حياة صحابي جليل من صحابة رسول الله ممن جاهدوا . لإعلاء كلمة الحق وأبلوا البلاء الحسن من أجل رفعة الاسلام ورغم إغفال التاريخ له وقلة ما كتب عنه في كتب السيرة ، إلا أنه قد نال الحب والتقدير من صحابة رسول الله ومن ذوي الفضل من أهل البلاد التي شارك في فتحها وولي أمرها .. ومن أدلة عدم اهتمام كتاب السيرة به وظلمهم له أنهم لم يكتبوا ولم يذكروا شيئا عن أعمال عرفجة العامة بعد تمصيره الموصل ولا عن مصيره ومتى وأين توفي فرحمة الله على عرفجة جزاء ما قدم للإسلام .

كتاب

الكشاف عن حقائق التنزيل

للأستاذ / محمود الشرقاوي

الكاتب :

جار الله الزمخشري ، هو ابو القاسم محمود بن عمر ، ولد في بلدة زمخشر ، من خوارزم جنوب بحيرة آرال سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٠م) ثم كثرت اسفاره ، جاء الى بغداد ثم جاور مدة « سكن مكة المكرمة » ولذلك سمى جار الله . توفى الزمخشري في الجرجانية « كركانج » من خوارزم في سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣م) .

كان الزمخشري إمام عصره ، أديبا شاعرا مترسلا لغويا ، كما كان فقيها أصوليا متكلما عارفا بالتفسير والحديث .

له من الكتب الفائق « في تفسير غريب الحديث ، والمفصل في النحو ، وقد اقتصر فيه على ما ينفع المتعلمين (المقدمة) ، (والرائض في علم الفرائض) (الارث) والمنهاج في الأصول ، وشافي العيّ من كلام الشافعي ، وأساس البلاغة (وهو قاموس موجز ذكر فيه المعاني الحقيقية والمجازية للكلمات) .

والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ولم يؤلف في بابه مثله ، جودة واتقانا ، فنال تقدير الجميع ، لابانته وجوه الإعجاز في آيات القرآن وبلاغته . وقد أعانه على تحقيق ذلك معرفته بلغة العرب وإحاطته بعلوم البيان والنحو . قال الزمخشري في المقدمة : « ولا

يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، **وهما علم المعاني وعلم البيان** ، وتمهل في ارتيادهما آونة ، وتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ، بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ ، جامعا بين أمرين : تحقيق وحفظ ، كثير المطالعات ، طويل المراجعات ، قد رجع زمانا ورجع اليه ، وَرَدَّ وَرُدَّ عليه ، فارسا في علم الإعراب مقدما في جملة الكتاب» .

وقد أثبت الزمخشري في « **الكشاف** » أنه ممن اتصفوا بهذه الصفات اذ كان يعتمد في بيان المعنى على أساليب لغة العرب المعهودة في مأثور كلامهم ، وكانت اللغة التي كتب بها الزمخشري كتابه لغة رفيعة سامية بليغة .

وقد جمع هذا الكتاب عدة خصائص منها :

١ ـ أنه أوسع كتاب في استجلاء نواحي الجمال في القرآن ، والكشف عن وجوه الإعجاز .

٢ ـ أنه اضخم تفسير للمعتزلة وصل الى أيدينا وهو يعبر عن عقائدهم من خلال شرحه للآيات ، ويمكننا أن نقول إنه جمع أقوال أئمة الاعتزال المتقدمين مثل الجاحظ والقاضي عبدالجبار وغيرهما من كبار المعتزلة . وقد خالف الزمخشري المعتزلة في مواضع قليلة ذهب فيها الى خلاف الرأي الذي يتجه اليه علماء الاعتزال .

٣ ـ خلا هذا التفسير من الحشو والتطويل ، على أن هذا الايجاز والتركيز لم يورث الكلام غموضا ولا تعقيدا بل هو واضح جميل .

٤ ـ يُقِلّ من ذكر الروايات الاسرائيلية ، ويناقش ما يورده منها ، وغالبا ما يردها ، ولذا فإننا نستطيع أن نعد « الكشاف » خاليا من الاسرائيليات . كان الزمخشري معتدا بهذا الكتاب فخورا به الى حد بعيد حتى نسب اليه حاجي خليفة في « كشف الظنون » البيتين الآتيين :

إن التفاسير في الدنيا بـلا عدد   وليس فيهـا لعمري مثـل كشافي
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته   فالجهل كالداء و« الكشاف » كالشافي

الكتاب :

يتحدث الزمخشري في مقدمة « **الكشاف** » عن سبب تأليفه ويشير الى منهجه في التفسير فيقول : (ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية ـ الظاهر أنه يقصد المعتزلة ـ الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية ، كلما رجعوا إليّ في تفسير آية ، وأبرزت لهم بعض الحقائق من الحجب ، أفاضوا في الاستحسان والتعجب ، واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك ، حتى اجتمعوا إليّ مقترحين أن أملي الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل ، في وجوه التأويل ، فاستعفيت ، فأبوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد .

والذي حداني على الاستعفاء ـ على علمي أنهم طلبوا ما الاجابة اليه عليّ

واجبة ، لأن الخوض فيه كفرض العين ، ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله ، وركاكة رجاله، وتقاصر هممهم عن أدنى عدد هذا العلم ، فضلا أن تترقى الى الكلام المؤسس على عِلمَيْ المعاني والبيان ، فأمليت عليهم مسألة في الفواتح ـ لعله يقصد فواتح السور من امثال : **ألم** ، **حم** .. وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة ، وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب ، طويل الذيول والأذناب ، وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم ، وأن يكون لهم منارا ينتحونه ، ومثالا يحتذونه)ويمضي الزمخشري فيحدثنا عن تلهف الأمير الشريف علي بن حمزة الى تفسير الزمخشري ، كما يحدثنا عن شعوره بكبر السن ودنو الأجل ، وكثرة الإلحاح في وضع هذا التفسير ، **ثم يقول** :«فأخذت في طريقة أخصر من الأولى ، مع ضمان التكثير من الفوائد ، والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ، ففرغ منه في مقدار خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ـ أي في سنتين وثلاثة أشهر تقريبا ـ وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة ، وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم ، وبركة أفيضت عليّ من بركات هذا الحرم المعظم ، أسأل الله أن يجعل ما تعبت فيه سببا ينجيني ، ونورا على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ، ونعم المسؤول » .

عنى الزمخشري بالمسائل اللغوية في الكشاف ، فهو يأخذ بالمفهوم اللغوي للفظ على ما هو معروف من كلام العرب . يقول في تفسير قوله تعالى : **(وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون)** « الأنعام / ١٠٩ » قيل « أنها » بمعنى « لعلها » من قول العرب : « ائت السوق أنك تشتري لحما » .

وفي تفسير قوله تعالى : **(ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوْء فأغرقناهم أجمعين)** « الأنبياء/٧٧ » يقول : هو نصر الذي مطاوعه « انتصر » وسمعت هذليا يدعو على سارق : « اللهم انصرهم منه »«اي اجعلهم منتصرين منه » .

وفي تفسير قوله تعالى : **(واعتزلكم وما تدعون من دون الله)** مريم/٤٨ يقول المراد بالدعاء العبادة لأنه منها ومن وسائطها . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « الدعاء هو العبادة » .

ولا تفوت الزمخشري دلالة لغوية للفظ القرآني ، وهو يورد في الآية كل المعاني التي يمكن أن تخرج اليها . يقول في تفسير قوله تعالى : **(ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون)** يوسف/ ٤٩ يعصرون العنب والزيتون والسمسم ، وقيل : يحلبون الضروع ، وقرىء : « يعصرون » على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه ، وهو مطابق للإغاثة ، ويجوز أن يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون ، كأنه قيل : فيه يغاث الناس ، وفيه يغيثون أنفسهم ، أي يغيثهم الله ، ويغيث بعضهم بعضا ، وقيل « يعصرون » « يمطرون » من أعصرت السحابة ، وفيه وجهان : إما أن يُضَمّنْ أعصرت معنى مطرت ، فيعدى تعديته ، وإما أن يقال : الأصل

أعصرت عليهم ، فحذف الجار ، وأوصل الفعل . إن هذا النقاش اللغوي يبين أن الزمخشري في وقفاته النحوية يوجه اهتمامه لبيان ما يترتب على اختلاف الحكم النحوي من فروق في المعنى .

أوضح الزمخشري الإعجاز البلاغي للقرآن ، ويبدو اتجاهه هذا في تفسير قوله تعالى : (**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**) البقرة / ٢ . حيث يقول بعد أن يعرض المحال التي تحتملها جملة « **هدى للمتقين** » من الإعراب ،«والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحا ، وأن يقال إن قوله « **ألم** » جملة برأسها ، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها ، **وذلك الكتاب** جملة ثانية ، و « **لا ريب فيه** » ثالثة ، و « **هدى للمتقين** » رابعة ، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة ، وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حروف نسق ، وذلك لمجيئها متآخية آخذ بعضها بعنق بعض».

وهكذا يصور لنا الزمخشري نزعته البلاغية في تفسير القرآن ، ويكشف عن اهتمامه بنظرية النظم أو الاسلوب في القرآن .

يقول جولد تسيهر في كتابه :« مذاهب التفسير الاسلامي » عن الزمخشري : « ولم يبد مفسر نشاطا واجتهادا اكثر من الزمخشري في بيان الإعجاز البلاغي لنظم القرآن » .

ويقول ابن خلدون في المقدمة وهو بصدد الحديث عن علم البيان: إن « تفسير الزمخشري كله مبني على هذا الفن وهو أصله » .

ومن وقفات الزمخشري البيانية قوله في تفسير قوله تعالى : (**ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم**) الدخان / ٤٨ . فإن قلت هلا قيل : « صبوا فوق رأسه من الحميم » كقوله تعالى (**يصب من فوق رؤوسهم الحميم**) الحج/ ١٩ . لأن الحميم هو المصبوب لاعذابه . قلت : إذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته ، الا أن صب العذاب طريقة الاستعارة ، كقوله « صبت عليه صروف الدهر من صب » وكقوله تعالى : (**أفرغ علينا صبرا**) البقرة / ٢٥٠ فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون أهول وأهيب .

يقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه « البلاغة تطور وتاريخ » : « إن الزمخشري في نظراته البيانية والبلاغية كان يحاول تطبيق ما نادى به عبدالقاهر الجرجاني في « **دلائل الإعجاز** » **و** « **أسرار البلاغة** » بعد أن تمثله بحيث أصبح يصدر عنه في كل أحكامه .. ويكفي أن نشير الى مثال واحد مما أورده الدكتور شوقي ضيف لنتبين أن الزمخشري كان يبحث الإعجاز القرآني في ضوء ما قرره عبدالقاهر الجرجاني .

فقد قرر عبدالقاهر الجرجاني في « دلائل الإعجاز » أنه إذا لم يكن في العبارة نفي ولا استفهام ، وتقدم المسند اليه ، وكان معرفة مثل أنا فعلت ، فإن التقديم حينئذ إما يفيد تخصيص المسند اليه بالمسند ، وإما يفيد تقوية

الحكم وتأكيده في ذهن السامع ، ونرى الزمخشري يقف بإزاء بعض الآيات التي قدم فيها المسند اليه ليدل على أن الغرض من التقديم هو التخصيص . يقول في تفسير قوله تعالى : (**الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**) الرعد / ٢٦ اي إن الله وحده يبسط الرزق ويقدره دون غيره .
ويقول في تفسير الآية الشريفة : (**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم**) الزمر / ٢٣ إيقاع اسم الله مبتدأ ، وبناء « **نزل** » عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث ، ورفع منه ، واستشهاد على حسنه ، وتأكيد لاستناده الى الله وأنه من عنده ، وأن مثله لا يجوز أن يصدر الا عنه ، وتنبيه على أنه من وحي معجز ، مباين لسائر الاحاديث .

أكثر الزمخشري من الاستشهاد بالشعر في مواقف وأغراض مختلفة في تفسيره ، وقد أعانته إحاطته الفائقة بالشعر كثيرا في هذا المجال ، فوسع دائرة الاستشهاد بما نظمه الشعراء ، ولم يقف عند حد الاستشهاد بالشعر الجاهلي ، وانما تعداه الى الاستشهاد بشعر الشعراء الاسلاميين فاستدل بشعر حسان بن ثابت حيث يقول في تفسير قوله تعالى : (**وأفئدتهم هواء**) ابراهيم / ٤٣ الهواء الذي لم تشغله الأجرام ، فوصف به ، فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة . ويقال للأحمق أيضا قلبه هواء . قال حسان بن ثابت : « فأنت مجوف نخب هواء » .

كما استشهد بشعر عبدالله بن قيس الرقيات . يقول في تفسير قوله تعالى : (**وما نقموا منهم**) البروج / ٨ وما عابوا منهم ، وما انكروا الا الايمان .
قال ابن الرقيات :
ما نقموا من بني أمية الا أنهم يحلمون إن غضبوا
على الرغم من غلبة منهج الدراية على الزمخشري إلا أننا نجد في الكشاف معالم كثيرة للتفسير القائم على الرواية ، فمن ذلك أنه يورد عددا وافرا من الأحاديث الموضوعة دون أن ينبه على ذلك ، ولا سيما في فضائل السور . اذ كان يورد في آخر كل سورة ، الأحاديث التي تشير الى فضلها وثواب قراءتها ، ومعظمها موضوع .
وهو يذكر أسباب النزول لما فيها من زيادة في إيضاح المعنى وبيانه . يقول في تفسير قوله تعالى : (**وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم**) البقرة / ١٤٣ .
عن ابن عباس رضي الله عنهما لما وجه رسول الله صلى الله عليه و سلم الى الكعبة . قالوا : كيف بمن مات قبل التحويل من إخواننا فنزلت .
ويقول في تفسير قوله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى**) البقرة / ١٧٨ روى أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية ، وكان لأحدهما طول على

الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد منا ، والذكر بالانثى ، والاثنين بالواحد ، فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الاسلام فنزلت .

واذا اختلفت الأقوال في سبب نزول الآية فان الزمخشري يرجح القول الذي يطمئن اليه ، فمثلا في تفسير قوله تعالى : (**إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا**) آل عمران / ٧٧ يعرض الأقوال التي وردت في سبب نزولها ، ثم يختار واحدا منها فيقول « والوجه أن نزولها في أهل الكتاب » .

ومن معالم تفسير الرواية عند الزمخشري أنه كثيرا ما يفسر القرآن بالقرآن يقول : ومعنى : (**ومن دخله كان آمنا**) آل عمران / ٩٧ معنى قوله : (**أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم**) العنكبوت / ٦٧ وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام : (**رب اجعل هذا البلد آمنا**) ابراهيم / ٣٥ وهو يورد أحاديث الرسول والصحابة في سياق معنى الآية ، ويلاحظ أنه لا يهتم بسلسلة السند . يقول في تفسير قوله تعالى : (**كشجرة طيبة**) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إنها النخلة » ويقول في تفسير قوله تعالى : (**فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها**) الكهف / ٧٧ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (كانوا أهل قرية لئاما) ويقول في تفسير قوله تعالى : (**ولم يصروا على ما فعلوا**) آل عمران / ١٣٥ عن النبي صلى الله عليه وسلم « ما أصرّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة » .

ويغلب على الزمخشري أنه لا يتعرض للأحاديث التي ترد في سياق التفسير فيبدو وكأنه مطمئن لها . يقول في تفسير قوله تعالى : (**إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسرُّ الناظرين**) البقرة / ٦٩ عن علي رضي الله عنه « من لبس نعلا صفراء قل همه ، لقوله تعالى « تسر الناظرين » ولا يذكر فيه شيئا مع بيان الوضع فيه .

ويقول في تفسير قوله تعالى : (**ومن دخله كان آمنا**) آل عمران / ٩٧ عن النبي صلى الله عليه وسلم « من صبر على حر مكة ساعة من نهار ، تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام » . يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في « الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف » عن هذا الحديث إنه باطل لا أصل له ، وأن راويه الحسن بن رشيد يُحدّث بالمناكير ، ومع ذلك فالزمخشري يسكت عنه ولا يقول فيه قولا .

ومن المواقف التي أبدى رأيه فيها قوله في تفسير قوله تعالى : (**إذ يريكهم الله في منامك قليلا**) الأنفال / ٤٣ . إن الله عز وجل أراه إياهم في رؤياه قليلا ، فأخبر بذلك أصحابه ، فكان تثبتا لهم ، وتشجيعا على عدوهم . وعند الحسن : في منامك في عينك لأنها مكان النوم ، وهذا تفسير فيه تعسف ، وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن .

الادب
الاسلامي
يتغلغل حتى
مكاتب
العصر
الحديث

للاستاذ /
منذر شعار

أصل كلمة

علاوة

كلمة (علاوة) التي تستعمل اليوم في الزيادات المالية للموظف أو العامل ، وفي الترقيات ، تتعلق بحادثة ازدهر منها أدب اسلامي رائق ، تلألأت فيه اللغة ، وفاحت منه الأخلاق . وفي هذه الحادثة نجوم إسلام سواطع . وصحابة أخيار ، هم : عمر بن الخطاب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة ، ولبيد بن ربيعة ، رضي الله عنهم أجمعين .

ومبدأ الحادثة أن الفاروق عمر رضي الله عنه أرسل إلى الكوفة ، وواليها يومئذ المغيرة بن شعبة ، رضي الله عنه ، يطلب إليه أن يستنشد من قبله من الشعراء ماذا قالوه في الاسلام .

ومعنى ذلك :

ان رئيس الدولة الأعلى يحب ان يعرف من هؤلاء الشعراء الذين كانوا في وقتهم كوزارات الإعلام اليوم بصحفها وسائر وسائلها .. ماذا أحدثوه من شعر وبيان بعد إذ أسلموا ، شأن كل رئيس يحب ان يطمئن على ما يطرح في دولته من فكر وأقوال ، فلما وصل كتاب عمر إلى المغيرة في الكوفة نظر فلم يجد من الشعراء في العراق يومئذ الا اثنين :

لبيد بن ربيعة ، والأغلب العجلي .

أما لبيد فهو أحد أصحاب المعلقات . في الجاهلية ، وأدرك الاسلام وأسلم وصحب النبي صلى الله عليه وسلم صحبة ، ثم تحول إلى العراق مع قومه بني عامر ، وهو من المعمرين ، ومعلقته الرائعة أولها :

خلت الديار محلها فمقامها
بمنى تأبد غولها فرجامها

وفي الاسلام قل شعره جدا ، وسكت إلا من أبيات قالها في الفترات ، منها :

إن تقوى ربنا خير نفل
وبأمر الله ريثي وعجل
أحمد الله فلاند له
بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى
ناعم البال ومن شاء أضل

وهو قائل البيت المشهور :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

قاله في الجاهلية قبل ان يسلم .

وليس من شعراء المعلقات من أدرك الاسلام وأسلم غيره .

وأما الأغلب العجلي فكان اكثر شعره رجزا حتى سمي الراجز .

فلما علم المغيرة بأن ليس في العراق عنده إلا هذان أرسل إليهما فدعاهما ثم أخبرهما بطلب أمير المؤمنين ، فذهبا ليحضرا أشعارهما وضربا موعدا ، وفي الموعد جاء الأغلب العجلي منتشيا بأشعاره مكتوبة وهو يقول للمغيرة :

أرجزا تريد أم قصيدا
فقد سألت هينا موجودا

وأعطاها له .

ثم جاء لبيد بن ربيعة بورقة كبيرة فأعطاها للمغيرة فنظر فيها المغيرة فإذا فيها (سورة البقرة) ، فنظر في لبيد متعجبا متسائلا فقال لبيد :

- أبدلني الله هذه في الاسلام مكان الشعر .

فكتب المغيرة إلى عمر بجواب لبيد وشعر الأغلب ، فكتب عمر إلى المغيرة أن خذ من عطاء الأغلب خمسمائة وأعطها للبيد ، ففعل المغيرة ، فكتب الأغلب إلى عمر: أتحرمني أن أطعتك .. فكتب عمر إلى المغيرة أن أثبت عطاء الأغلب كما هو ولا تنقص من لبيد شيئا ..

أي : كان عمر ، قد أعطى الأغلب ولبيدا عطاء (وهو الراتب) وقدره ألفان ، ويبدو أن ذلك كان في أثناء المراسلات بين عمر والمغيرة ، أو لعل العطاء كان منذ سكن الشاعران الكوفة وكان لكل من المسلمين يومئذ عطاء ... فلما أعجب عمر بجواب لبيد وحماسته للاسلام والقرآن وخفضه الشعر وهو من أصحاب المعلقات .

نقص من عطاء الأغلب خمسمائة وزادها في عطاء لبيد ، فصار لبيد يأخذ ألفين ، وخمسمائة ، والأغلب ألفا وخمسمائة . وإنما نقّص عمر من الأغلب هذا المقدار لأنه لم يكن كلبيد في الاستخفاف بالشعر ، وبدا منه أنه حريص عليه متمسك به وكأن عمر لما سمع جواب لبيد رأى أن ذلك ينبغي ان يكون جواب كل شاعر في الاسلام ، فنقص عطاء الأغلب ، لكن الأغلب كتب له أن ما ذنبي ؟ طلبت شعرا فاستجبت لك وأطعتك .

فتنقص راتبي بدل أن تزيدني ؟!!
فصحح عمر الحال وأرجع راتب الأغلب كما كان ، ألفين ، لكن أبقى الزيادة في عطاء لبيد ، فصار لبيد يأخذ ألفين وخمسمائة ... متميزا بهذا عن جميع أنداده ونظرائه في الكوفة .

ومر الزمن ، وتوفى عمر وقام عثمان ثم علي ، وعطاء لبيد في ديوان الكوفة الفان وخمسمائة ، وعطاء غيره ألفان ، حتى جاء عهد معاوية ، بعد استتباب الأمر له ، وزار معاوية الكوفة ، ولاشك اطلع على الدواوين وبين له الموظفون ما عندهم ، فرأى عطاء لبيد الزائد ، غير المتسق مع عطاءات غيره ، فأنقصه ، وجعله ألفين ، كأشباهه وأضرابه ، وراجعه لبيد يومئذ يرجوه إبقاء الراتب على حاله ، فقال معاوية يومئذ للبيد ، على اسلوب العرب وبيانهم وتشبيهاتهم :
« هذان العدلان ، فما بال العلاوة » .

العدلان : مثنى عدل ، وهما كيسان كبيران ضخمان يوضعان في العادة على يمين رحل البعير وشماله عند التحميل ، أما العلاوة فهي كيس صغير . يوضع بين العدلين ، على ظهر البعير . أمام الراكب ، زيادة على الحمل ، وسماها العرب علاوة ، لأنها يعلى بها ظهر البعير ، وهي قديما بمثابة حقيبة اليد ، هذه التي يحملها راكب الطائرة اليوم ، ويدخل بها الطائرة بعد أن يكون وزن أحماله وحقائبه قد حملت عنه ، فالعلاوة عند العرب معروفة قِدْماً أنها شبه (البُغْجة) المرتفعة العالية التي يضعها الراكب أمامه بعد ان يكون قد علق العدلين اللذين هما حمله الحقيقي ، ونادرا ما كان العربي قديما يسافر إلا بعدلين وعلاوة ، لأن المسافر دائما معه زيادة . والعلاوة غير الحقيبة ، إذ الحقيبة منخفضة شبه مستوية على مؤخرة البعير وراء الراكب ، والعلاوة مرتفعة أمامه ، والحقيبة أكثر أساسية في السفر ، من العلاوة .

وقد جرى ذكر (العلاوة) كثيرا في كلام العرب ، مع العدلين ، وفي الحديث الشريف ، أنه ، صلى الله عليه وسلم ، كان يركب الحسن

والحسين أبني فاطمة ، وهما طفلان ، على ظهره الشريف . ويقول : نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما .

وحين نزلت آية البقرة : « **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** » اية/ ١٥٧ .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، « نعم العدلان ونعمت العلاوة » ، فقد شبه عمر رضي الله عنه « الصلوات من الرب » و « الرحمة » بالعدلين على جانبي البعير ، وشبه « الهدى الذي يأتي من الله للمحسنين » بالعلاوة .

يريد أن ثواب الصابرين الذي بينته الآية وما قبلها هو « صلوات من الله ، ورحمة » وهما شيئان كبيران عظيمان ، كافيان وافيان ، ولكن الله تعالى زاد عباده الصالحين هدية ومنحة فوق الثواب المقرر ، وهو قوله (**وأولئك هم المهتدون**) ، فقال عمر رضي الله عنه : ما أعظم الثواب ، وما أعظم الزيادة عليه . وهذا قوله :

« نعم العدلان ونعمت العلاوة » ولكن هذه الأقوال في العلاوة كانت مبقية كلمة (العلاوة) في مجالها اللغوي ومحافظة عليها في بيئتها العربية ، والحمل ، والجمل ... أما معاوية رضي الله عنه ، فهو الذي وجه الكلمة توجيهها المالي الرسمي ، لأول مرة ، حين قال للبيد : « هذان العدلان فما بال العلاوة » .

أي : لك عطاء ، كأمثالك ، ألفان ... فكل ألف عدل ، فلا معنى لهذه العلاوة ... وهي الخمسمائة التي كنت تأخذها زيادة على المقرر المعروف . وقد قال لبيد لمعاوية يومئذ :

« إني هامة اليوم أو غد ، ولعلي أموت ، فيرجع لك العدلان والعلاوة »

فرق له معاوية ، وأبقى عطاءه على حاله ، وقد صدق القدر لبيدا فقد مات بعد أشهر ، وتوقف ، نهائيا ، راتبه .

فهذا أصل كلمة (العلاوة) ، مستعملة في الزيادات المالية ، في الراتب الثابت .

ومعاوية كما بينا هو أول من جعلها جارية في هذا الاستعمال المالي (الراتبي) ، وكانت العلاوة (زيادة) في حمل الراكب ، صغيرة بالنسبة لحمله الأساسي ، فأصبحت (زيادة) في راتب الموظف ، صغيرة أيضا بالنسبة لراتبه الأصلي .

وإنما نقص معاوية (العلاوة) للبيد ، رحمهما الله ، لأنه رأى أن هذه الزيادة كانت وقتية ، وكأنها منحة لفترة ، ورأى أن إرجاع عطاء لبيد إلى مقدار عطاءات أمثاله أدخل في النظام ، والرئيس دوما يحب التوفير ، وحذف الزوائد ، والفيء إلى القسط والمساواة بين الناس .

والعطاء ذاك كان سنويا ، وهل كان بالدنانير أم بالدراهم ؟ الأغلب أنه كان بالدراهم ، وكانت ألفا درهم يومئذ مبلغا كبيرا . مع أن المسلم يومئذ كان يأخذ من (دار الرزق) التابعة لبيت المال كل ما يحتاجه من مئونة ، بالمجان ، طول السنة .

وقول بعض الناس في هذا العصر :
« علاوة على ذلك » .. كأنه يريد :

« ومع ذلك . أو فوق ذلك » : غير فصيح ، ولم تقله العرب . وإنما فعله بعض أهل هذا العصر بعد فشو كلمة (العلاوة) وترسخها في معنى الزيادة والعلو ، هذا وإن جمع (العلاوة) هو العلاوات والعلاوى ، ولكن الأول هو المستعمل اليوم .

والحقيبـة الوارد ذكـرها آنفـا أصلها، كما ظهر . من لوازم البعير ،

ثم نقلت عندنا إلى هـذه الحقيبة المدرسية والمكتبية والدبلوماسية ، مع حقيبة السفر . وذكرها امرؤ القيس في قوله :

اللـه أنجـح مـا طلبـت بـه
والبـر خـير حقيبـة الـرحـل

وهـو مـن آعجـب أبيـات الجاهليين ... أن يكون عربي جاهلي قد ارتفع إلى هذه القمة الدينية ، فقال في شطر بيته الأول ما يوافق الحديث الشريف :

« وإذا استعنت فاستعن بالله »
وقال في الشطر الثاني ما يوافق قول الله تعالى في البقرة :

« **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** »

ولكن العرب أمة شرف ، وهذه سفوحهم ، فما بالك بقممهم .. ؟؟

عند الملتزم

دعا اعرابي عند الملتزم فقال : اللهم إن لك علي حقوقا فتصدق بها علي وللناس قبلي تبعات فتحملها عني وقد اوجبت لكل ضيف قرى ، فاجعل قراي الليلة الجنة .

الفتاوى

★ « البنات والختان » ★

● القارئة س . م . أ.من الكويت تسأل عن حكم ختان البنات وتقول إني حائرة بين الأقوال التي تحتم ذلك والأخرى التي تمنعه وتقول إني في انتظار الجواب في باب الفتاوى في عدد المجلة القادم .

ـ موضوع الختان بالنسبة للبنات وهو ما يسمى بالخفاض اختلف فيه الأطباء بين مؤيد ومعارض ، والمطلوب هو رأي الفقهاء في ذلك .. وقد ثبت من تتبع أقوالهم أن ختان الذكر واجب شرعا ولا خلاف بينهم في ذلك لأنه شعار المسلمين وكان في ملة ابراهيم عليه السلام .

أما ختان الأنثى فالصحيح عند الشافعية أنه واجب ، وذهب الحنابلة كما في المغني لابن قدامة إلى أنه واجب في حق الذكور ، وليس بواجب بل هو سنة

وتكرمة في حق الاناث ، وهو قول كثير من أهل العلم ،! وذهب الحنفية والمالكية الى أنه سنة وليس بواجب ، وبهذا يتضح أن أكثر أهل العلم يرى أن

خفاض الأنثى ليس واجبا وعلى هذا فترك الختان للبنات لا يوجب الاثم كما أن من اختار الختان لا إثم عليه كذلك بل فعل السنة،لما أخرجه أبو داود من

حديث أم عطية . أن امرأة كانت تختن بالمدينة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم « لا تنهكي فان ذلك أحظى للمرأة » يعني لا تجوري .

وبهذا من فعله فلا إثم عليه ومن تركه فلا إثم عليه ، وعند فعله تراعى وصية النبي صلى الله عليه وسلم التي وصى بها المرأة التي كانت تباشر هذه العملية في المدينة .

★ « حكم تارك الصلاة » ★

أكثر من سؤال ورد الى المجلة بشأن معرفة حكم تارك الصلاة هل هو كافر أو مسلم ؟

- ترك الصلاة جحودا وإنكارا لها كفر وخروج عن ملة الاسلام ، وذلك باجماع المسلمين ، أما من يتركها مع إيمانه بوجوبها ومع اعترافه بأنها ركن من أركان الاسلام ، ولكنه يتركها كسلا أو بتشاغله عنها من غير عذر ،

فذهب جماعة من العلماء إلى تكفيره ، لورود أحاديث صريحة في أن تارك الصلاة كافر ، وذهب كثير من علماء السلف والخلف منهم أبو حنيفة ومالك والشافعي رضي الله عنهم ، إلى أن تاركها كسلا لا يكفر بل هو فاسق ،

ويستتاب ، فان لم يتب قتل حدا عند مالك والشافعي ، وقال أبوحنيفة لا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي ، وحملوا أحاديث التكفير على الجاحد أو المستحل للترك ، لقول الله تعالى : (**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**) وعلى هذا فتارك الصلاة كسلا يعتبر مسلما فاسقا ولا يعتبر مرتدا اذ لا يحكم على المسلم بالردة إلا إذا انشرح صدره بالكفر واطمأن قلبه به ، ودخل فيه بالفعل ، ومن الأمثلة الدالة على الكفر انكار ما علم من الدين بالضرورة مثل إنكار وحدانية الله تعالى وإنكار وجود الملائكة وإنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنكار فرضية الصلاة والزكاة والصيام والحج ، ومثل استباحة الخمر والربا والزنا وسب الأنبياء وسب الدين والطعن في الكتاب والسنة .. أما تارك الصلاة كسلا فإنه معترف بأركان الاسلام يؤدي الشهادتين ويصوم رمضان ويزكي وقد يحج غير أنه يقصر في أداء الصلاة ومثله يطلب منه التوبة وإلا يقام عليه الحد أو يحبس حتى يصلي .

★« الفيديو بين الحل والحرمة » ★

● القارىء حمد صالح من دبي يقول في سؤاله الأول ما حكم شراء جهاز الفيديو هل حلال أو حرام ؟ وفي سؤاله الثاني يقول هل يحل لنا أخذ دية الوالد الذي قتل في حادث سيارة ؟ وكيف تقسم بيننا اذا كانت حلالا ؟

ـ شراء الفيديو واستعماله حلال اذا استعمل في أمر مباح كعرض ما ينفع ولا يضر من محاضرات علمية أو ندوات دينية أو تمثيليات اجتماعية هادفة ، وكل ما فيه خير للشباب والناس يجوز عرضه عن طريق هذا الجهاز وغيره في حدود تنمية الوعي الاسلامي والمحافظة على الأخلاق الفاضلة والتقاليد الأصيلة والتسلية البريئة أما اذا كان الغرض منه عرض الرقصات المثيرة أو الأفلام الماجنة أو المناظر التي تخدش الفضيلة وتجرح الحياء ، أو أي لون يحرك الشهوة ويلهب الغريزة فشراؤه ، وشراء الأشرطة المحرمة ، ومطالعته واستعماله بثا وتسجيلا يكون محرما كما تحرم التجارة في هذه الأشرطة واعارتها وتداولها لما فيها من اشاعة الفساد والدعوة الى الانحلال الخلقي باسم الترفيه والتسلية ، هذه الأجهزة يسمح بها في جانب الخير ولا يسمح بها كمفاتيح للشر والانحراف ، وعلى الآباء أن يحرسوا بنيهم وبناتهم من بواعث الفتنة وأن يجنبوهم مهاوي الرذيلة وأن يتعاملوا مع هذه الأجهزة باليقظة والحذر فالله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع . هذا بالنسبة للسؤال الأول أما بالنسبة للسؤال الثاني فالدية مشروعة صرح القرآن الكريم بمشروعيتها قال تعالى في سورة النساء (**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله إلا أن يصدقوا** ...) هذه الدية توزع على الورثة كالميراث .. كل وارث يأخذ حقه حسب الأنصبة المقررة للورثة شرعا .

القوة العظمى لله خالق كل شيء

عقد موءتمر قمة ثنائي بين الرئيس الأميركى والزعيم السوفيتى فى العاصمة الأمريكية اتفقا فيه على ازالة الصواريخ النووية متوسطة المدى فى أوروبا . .

وناقشا قضايا ومنازعات وحروب اقليمية . . . وانفض الاجتماع دون أن يتخذا بشأنها قرارا واضحا لتبقى دول العالم موزعة بين الكتلتين . . أو العملاقين كما يقال .

هذا . . وقد وجه سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح رسالة الى العملاقين هذا نصها :

ان لقاء القمة الثنائي يحظى بالاهتمام الكبير من جميع حكومات وشعوب العالم كما انه يحظى بتفاؤل جميع محبى السلام في عالم تتوزع في ارجائه الحروب والاضطرابات والازمات الاقتصادية .

وان العالم يترقب خطوات تتلو اتفاقية ازالة الصواريخ النووية متوسطة المدى في أوروبا ، ويأمل أن تحظى القضايا العالمية والاقليمية ذات



الطابع الانساني بعنايتكم .

وانني أستذكر رسالتكم لي باعتباري رئيسا للدورة الحالية لمنظمة المؤتمر الاسلامي والتي عبرتم فيها عن مشاعركم الطيبة ، وابعث الى فخامتكم بخالص التحية والتقدير وأود أن تستذكروا وانتم على أبواب مرحلة جديدة من الحوار بين القوتين الاعظم قضايا عالمية واقليمية نحس انها تشغل تفكير الملايين في عالمنا المعاصر .

وعمليا لم يعد هناك فاصل بين القضايا الاقليمية والعالمية ، وما من قضية اقليمية الا وللقوى الكبرى فيها يد أو أثر ، وما من لقاء عالمي أو اقليمي الا وكان في جدول أعماله قضايا تهم الانسانية في شمولها ، وتنظر الى الانسان كانسان له حقوقه وكرامته ، وقضايا ذات طابع أقليمي هي أجزاء من النظرة الكلية للانسانية وتأتي في المقدمة قضايا التحرر الوطني وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها والحياة فوق أرضها دون عدوان منها أو عدوان عليها أو تدخل في شؤونها ، ومن أبرزها حق الشعب الفلسطيني والشعب اللبناني وشعب ناميبيا والاغلبية الافريقية المضطهدة في جمهورية جنوب افريقيا والشعب الافغاني وشعوب جنوب شرق اسيا وامريكا اللاتينية والدول الكاريبية .. ولكل من هؤلاء حقوق تدخل تحت عنوان « حقوق الانسان » وان القمة الثنائية تستطيع أن تكون عونا على اقامة جسر قوي بين المواثيق الدولية

الديون على الدول النامية تحولت إلى رق اقتصادي واجتماعي شامل

وبين تنفيذها متعاونة في هذا مع المنظمات الدولية ، وفي مقدمتها هيئة الامم المتحدة .

انسانية ثنائية

اننا نعيش في ظل انسانية ثنائية ونتطلع الى انسانية موحدة .

ان العالم الان عالمان .. الشمال المتقدم الغني الدائن والجنوب المتخلف الفقير المدين على تباين في درجات تخلفه ونموه .

واذا كانت الانسانية قد استطاعت أن تكسر قيود الرق القديم وتعلن حقوق الانسان فلقد أصبحت الديون على الدول النامية قيودا جديدة تحول بها الرق الفردي آلى رق اقتصادي واجتماعي شامل وان قبضة الدول الدائنة تشتد كل يوم على مقدرات الدول المدينة ، وتمتص حيوية الاجيال الحاضرة وامال الاجيال المقبلة .

وهناك خطر يهددنا جميعا كبشر يستوي في هذا الغني والفقير والمتقدم والمتخلف وهو الافساد المستمر للبيئة الطبيعية التي نحيا فيها والتي عاش فيها الاباء ونود آن يعيش فيها الابناء فالتقدم العلمي والتخلف يهددان معا توازن البيئة الطبيعية ومكوناتها في البر والبحر والجو . ويمر المصير الانساني في طريق خطر بين آسراف في الاستخدامات الصناعية في الدول المتقدمة واسراف في آستهلاك مقومات البيئة في المراعي والغابات في الدول الفقيرة .

ويزداد آلتلوث في الارض والانهار والجو وتنتقل السحب المسمومة من قطر آلى قطر عبر اليابسة والبحار حتى ان وسط آفريقيا واجزاء من اسيا وامبركا اللاتينية اصبحت أنهارها مهددة وامطارها آخذة في القلة .

وان هذا خطر لا يقل عن اخطار الحروب واذآ كانت اصوات مخلصة قد ارتفعت تنادي بالحفاظ على آلبيئة وضرورة اتخاذ خطوات ايجابية في هذا السبيل ومقاومة آلجفاف والتصحر وما يحملان من خطر آلمجاعة والموت فان اللقاء الثنائي بين القوتين الاعظم يحمل من المقومات ما يجعله منبرا عالميا لاتخاذ خطوات آيجابية في هذا السبيل .

واننا في منطقة آلخليج العربي نذكر القرار آلذي اسهمتم في آصداره من مجلس الامن بشان ألحرب العراقية

الافساد المستمر للبيئة الطبيعية خطر لا يقل عن اخطار الحروب



نعيش في ظل إنسانية ثنائية. وعالم غنيّ دائن، وآخر فقير متخلف!.

الايرانية، ونأمل بصدده القيام بخطوات ايجابية توقف هذه الحرب المدمرة ، وما تستهلكه من الارواح والاموال وما تهدد به من انتشار ونأمل انيعود الى الخليج السلام الذي عاش به قرونا دون ان يكون لابنائه مطامع اقليمية ولا أهداف توسعية وعاشت مختلف الاجناس فوق ارضه في مودة وتفاهم .

ونحن حيث نبعث أليكم بهذه الرسالة في لقاء يمثل القوتين الاعظم في عالمنا المعاصر نؤمن كمسلمين بان القوة العظمى هي لله تعالى خالق كل شيء ، وهو الذي دعانا الى الاخوة الشاملة والى الايمان بكرامة الانسان.

هذه الكرامة التي قامت من اجلها الامم المتحدة والتي نادت بها منظمة المؤتمر الاسلامي وهي أمل الانسانية في مسيرها نحو غدها .

واذا كان العلم وأنتم تمثلون قمة عالية فيه قد استطاع ان يصل الى آفاق الفضاء الخارجي ، فاننا نامل ان يصل أجتماعكم الى اعماق النفس الانسانية ، وان يستمع الى حاجاتها الحقيقية في الامن والتقدم والسلام .

إلى السادة كتّاب المجلة

- كثرت شكاوى القراء من الأحاديث التي ينسبها الكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي اما باطلة أو ضعيفة ، بل وصل الأمر ببعض الكتاب الى أن يقول عن حديث ما " متفق عليه" أو "أخرجه الشيخان" . والحقيقة أن الكاتب لم يرجع الى صحيح البخارى ولم يطلع على صحيح مسلم . . ولقد تعددت كتاباتنا الى السادة الكتاب بأن يراعوا الله فيما يكتبون ، وأن يتأكدوا من صحة الحديث ، وصحة نسبته الى راويه ومخرجه .
- نأمل أن تتجه عناية الكاتب الى اختيار موضوع ذى صلة بواقعنا المعاصر ، يعالج قضية من قضاياه المعاصرة ، ويناقش مشكلة من مشاكله - وما أكثرها - ويعرض سيرة السلف الصالح ، وأبطال الاسلام ، لتكون حافزا للقراء الى الاقتداء بهم ، وبذلك نلبس الموضوع شيئا من المعاصرة والجدية ، مع اضافة جديد كلما أمكن ذلك ، واعمال الفكر فيما يحتاج الى اعمال فكر . . والبعد عن الموضوعات المعادة المكرورة والتى قتلت بحثا - كما يقال - .
- عند عرض ونقد كتاب . . لا بد لكى يتنسى نشره فى المجلة من ارسال نسخة من الكتاب حتى نتمكن من الاطلاع على محتواه قبل نشره ، ونعرض صورة غلافه فى المجلة
- المقال أو البحث المرسل لا يقل عن خمس صفحات فلسكاب مكتوب بخط واضح - ولا يزيد عن سبع صفحات ، وأن يتم ارسال أصل المقال ، ولا تقبل صورة المقال .
- لا تقبل البحوث المسلسلة أو المقالات المجزأة .
- موضوعات المناسبات الاسلامية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر على الأقل ، حتى يتسنى نشرها فى حينها .
- أن تكون المقالات العلمية والطبية مدعومة بالصور والرسوم المتعلقة بالموضوع .
- أن يكون الانتاج المرسل خاصا بالمجلة وألا يكون قد سبق نشره أو ارساله الى جهة أخرى للنشر .
- الاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية أو النشر . ولا تلتزم المجلة برد المقالات التى لم تنشر .
- ذكر المراجع حتى يمكن التحقق مما جاء فى المقال عند المراجعة .
- البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية . .
- كتابة الأسماء والعناوين كاملة وواضحة فى ختام كل مقالة أو بحث .
- ترسل المقالات باسم رئيس تحرير مجلة" الوعى الاسلامى" - ص.ب: ٢٣٦٦٧ (الصفاة) الرمز البريدى ١٣٠٩٧ - دولة الكويت .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
★ السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .
★ المغرب	:	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .
★ تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .
★ الأردن	:	عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥).
★ المملكة العربية السعودية	:	الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦ جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥ الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١
★ سلطنة عمان	:	مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .
★ دبي	:	مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .
★ البحرين	:	المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .
★ أبو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر .
★ اليمن الشمالي	:	دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .
★ قطر	:	دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .
○ الكويت ○	:	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



طبع في مطابع دار السياسة ـ الكويت

هديتك مع العدد
مجلة براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٨٢ ـ جمادي الآخرة ١٤٠٨ هـ / فبراير (شباط) ١٩٨٨ م





ادفع دينارًا

تنقذ مسلمًا

استطلاع ص ٧٨



محتويات العدد

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٨٢ ـ جمادي الآخرة ١٤٠٨ هـ / فبراير (شباط) ١٩٨٨ م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

الثمن

البلد	الثمن
الكويت	٢٠٠ فلسا
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما
السودان	١٥٠ مليما
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	٣ دراهم
البحرين	٢٠٠ فلس
تونس	٢٥٠ مليم
الاردن	٢٠٠ فلس
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	٣ ريالات
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

في دين الله العصمة والنجاة

مما لاشك فيه ، أن الشباب هم أمل الأمة ورجاؤها ، وأنهم فجر الغد المرتقب ، بقوتهم تقوى الأمة وتبقى الحياة ، كما تضيع الأمة وتذهب سريعة إلى الزوال والفناء ، إذا ضعف شبابها واستعبدته الشهوات وطحنته الفتن في غياب الدين ، لذا حرص أعداء الأمة على ابعاد الشباب المسلم عن دينه ، ليسهل التحكم في سلوكه ، وحينئذ لايتردد في استباحة المنكر ما دام فيه إشباع غريزته ولذته ، وقد نجح هذا التخطيط الحاقد في تحريض بعض الشباب المسلم ، على المروق من الدين وآدابه ، وفي التمرد على القيم الأخلاقية الفاضلة في غير خجل أو حياء ، وإذا كانت الطاقة النووية تخيف العالم وترهبه ، فالطاقة

الجنسية المحرمة أشد خطرا من السلاح النووي لماذا ؟ لأن القنبلة الذرية لا تجد من يوافق على استعمالها بل تلقى معارضة اجماعية من كل المعسكرات والأنظمة ، أما قنبلة الانحراف الجنسي فلها مروجون ولها دعاة يجيدون فن الخديعة والاغراء ، ومن جهة أخرى الأسلحة النووية يمكن حصر خطرها في نطاق معين ، وحصر ضحاياها في عدد محدود ، كما حدث في قنبلة « هيروشيما » أما أمراض الجنس فإنها تعصف بالقوى المذخورة الكامنة في شباب الأمة ، وتقضى على الأفراد

والجماعات ، من غير ضجيج ، بل يتوارث ضحاياها الداء والعلل جيلا بعد جيل ، ومما يؤسف له ان نجد من بني الانسان دعاة يلبسون الحق بالباطل ، مثل « فرويد » اليهودي ، الذي أطلق نظريته الفاسدة بجعل الجنس هو الأساس الذي تبنى عليه حياة الفرد وقال « ان الانسان لايحقق ذاته بغير الاشباع الجنسي ، وكل قيد من دين أو اخلاق او تقاليد هو قيد باطل وهو كبت غير مشروع » ! وأكد ذلك حكماء صهيون بقولهم « يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ،

ولكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ويصبح همه الأكبر هو إرواء غريزته الجنسية » ! ـ اليهود وفي مقدمتهم « فرويد » حينما فكروا في أستعمال الجنس للسيطرة على الشخص وقيادته بسهولة ، كان هدفهم الأول ، فتنة شباب العالم الاسلامي ، لتصورهم أن الاسلام مصدر خطر على كيانهم ، ومن هنا بذلوا الكثير من الأموال والأعراض لاغراء

الشباب وفتنته ، وبمساندة الاستعمار لهذا الغزو الجنسي تفتحت مشاعر كثير من الشباب على حياة مادية رهيبة ، وكثر رواد السهرات الحمراء وعشاق الصور العارية ، وأفلام الجنس التي اسهمت في إثارة

الغرائز الجنسية وإشباع النزوات الرخيصة إلى حد كبير ، وأمام الاحصائيات الدقيقة نجد المجتمعات التي يباح فيها الجنس تعاني من

الأمراض الجنسية ابشع صور المعاناة ، يقـول الدكتـور « جون بيستون » : « إن القرائن التي جمعت من عدة دراسات تثبت أن الأمراض الجنسية معظمها ينتج من العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج » .

وقد اصبحنا نقرأ ونسمع كل يوم عن مرض جنسي جديد يسري في اجسام الشباب الطائش سريان النار في الهشيم ، ولن يكون اخرها وباء (الأيدز) الذي اكتوي بناره الغرب المنحل ، وبدأ يتسلل الى المناطق الاسلامية ، وقد عاشت في حماية الاسلام وصيانته حينا من الدهر !

ونحن إن تركنا هذه الفئة العريضة في المجتمع من فتيان وفتيات ، ان تركناهم للداء عز الدواء واستعصى الشفاء . إن تركنا هذا النبت الطري ينمو على عوج حصدنا الشوك الدامي ومر الثمر ، ومن المعلوم أن الانحرافات تعالج بازالة المتناقضات كطب وقائي ، وبوضع الدواء وضرورة استعمال هذا الدواء كطب علاجي ، وقد عالج الاسلام هذه القضايا منذ فجر الدعوة ، حين اعطى الشباب حقه من العناية به قبل مولده ، وفي بداية نشأته ، ووضح له معالم الطريق في فترة المراهقة التي هي أخطر مرحلة في حياة الشاب والفتاة ، ومن عنايته بالشباب قبل ان يولد أن امر باختيار الزوجة ذات الدين قال تعالى (وأنحكوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ..) النور الآية ٣١ ، وفي

جو هذة الآية الكريمة تدعو السنة إلى اختيار الزوجة ذات الدين كما جاء في الحديث الشريف « عليك بذات الدين » وكما اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأولياء ألا يردوا خاطبا يتميز بالدين والخلق الكريم فقال « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه الا تفعلوا تكن

فتنة في الارض وفساد كبير » إلى غير ذلك من وصايا تهيىء الجو الاسلامي الطهور ، يتربى فيه الشباب على الخلق والأمانة ، ويلتزم بالسلوك النظيف ، ومن عناية الاسلام بالشباب في بداية خطوه على طريق الحياة يقول النبي الكريم « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء

سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع » وفي الفترة الحرجة فترة المراهقة نجد النداء النبوي يخص الشباب بالتوجيه الراشد فيقول « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة

فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » ولما كان الشباب في عصر الناس هذا تتجاذبه

تيارات شتى فحمايته الواجبة وصيانته المفروضة تحتاج امرين ـ المنهج الاسلامي والقدوة الخيرة التي تطبق المنهج بأمانة ، في ظل هذا المنهج تربى شباب وتخرج رجال ، ارتفعوا بايمانهم فوق مغريات المادة

ولذات الشهوات ، ولم يجد الانحراف الجنسي ثغرة يتسلل منها إلى عواطفهم ووجدانهم ، وسوف يظل شباب اليوم في حيرة ، إذ افتقد القدوة الصالحة ولم يجد المحاضن الروحية في البيت والمدرسة والمجتمع ، ولن يعذر الآباء والأمهات أن شغلتهم انفسهم وتركوا أبناءهم وبناتهم للحيرة والقلق والضياع ، ولن يعذر الأولياء ان أصروا على غلاء المهور وحرموا الشباب مما أحل الله ، وعرضوا الفتيات لعنوسة لا يرضاها خلق ولا دين ، ولن يعذر اصحاب السلطة والنفوذ ، إذا لم يطبقوا شريعة الله ، وإذا لم يصونوا شباب الأمة من كل ما يلهب الغريزة ويشيع الفساد ويحطم القيم الاخلاقية الفاضلة ، ما أحوجنا إلى ايمان يسمو بالنفس ، ويولد طاقة المقاومة حتى تخر أمامها أسوار الغرائز الجامحة ، مهما كان لها سلطان على المشاعر والسلوك ، من المعلوم ان الجريمة لا تجد لها مجالا في جو التقوى والايمان ، ولذا نرى الطبقات المحافظة تقل فيها نسبة الجريمة عنها في بيئة لا تلتزم بمنهج الاسلام وآدابه ، وقد أثبتت الاحصـائيات والدراسات انخفاض الجرائم في شهر رمضان ، شهر الصفاء الروحي ، وتوجه القلوب إلى تقوى الله وترك الحرام، في الاسلام ـ وهو الدين عندالله ـ عز الدنيا وسعادة الآخرة وشرف الحياة ، وهو أقرب الطرق الى النصر المرتقب ، وفي دين الله العصمة والنجاة .

رئيس التحرير
حسن مناع

كيف نتعامل مع القرآن الكريم

للاستاذ / احمد محمود ابو زيد

إن القرآن الكريم الذي أحيا الله به العرب بعد موات ، وأخرجهم به من ظلمات الجاهلية وفسادها وظلمها الى نور الاسلام واستقامته وعدله ، وصنع منهم أمة علت فوق الأمم وقادت البشرية وأصبحت بفضل هذا القرآن الكريم خير أمة أخرجت للناس .

إن هذا القرآن الكريم لقادر على أن يعيد للأمة الاسلامية عزتها وكرامتها وقيادتها للأمم وخيريتها عليهم وذلك إذا عاش المسلمون في كنفه واتخذوه منهجا ودستورا لحياتهم ، ورفضوا مادونه من النظم والتشريعات والقوانين الوضعية .

فالظاهرة الواضحة على مرّ العصور هى أنه ما تمسك المسلمون بكتاب الله وعاشوا في رحابه ، والتزموا بما فيه إلا وارتقوا فوق الأمم وعزوا وانتصروا ، وما أهملوا كتاب الله وخلفوه وراء ظهورهم إلا وأحاطت بهم الذلة والمسكنة وضعفوا وانهزموا .

القرآن روح الأمة

فالقرآن الكريم للأمة الاسلامية بمثابة الروح من الجسد ، هي به كل شيء وبدونه لا شيء ، ذلك أنها تدين لهذا الكتاب بالهداية بعد الضلال ، وبالعلم بعد الجهل ، وبالوحدة بعد الشتات والتفرق ، وبالقوة بعد الضعف ، وبالعزة بعد الذلة .

والقرآن الكريم الذي بين أيدينا اليوم هو ما نزل بنصه على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم دون تحريف أو تبديل او تغيير لأن الحق

تبارك وتعالى تكفل بحفظه ، قال تعالى « **إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون** » سورة الحجر آية/ ٩ . وهو نفسه الذي صنع الله به من الرعاة قادة وعظماء سادوا العالم بإيمانهم وقوتهم وعظمتهم وعدلهم ناشرين لدين الله ، هادين الناس إليه ، ولكن التغيير حدث في المسلمين أنفسهم عندما هجروا كتاب الله ورضوا بغيره دستورا ونظاما لحياتهم .

أعداء الاسلام يمكرون للقرآن

ولعل هذا التغيير الذي حدث في المسلمين كان وراءه مخططات وحملات نظمها أعداء الاسلام بهدف إبعاد المسلمين عن كتاب الله وتشكيكهم في نصوصه وإفهامهم أنه كتاب عبادة فقط لا يتعدى جدران المسجد الى الحياة بنظمها وشرائعها .

فهذا « جلادستون »رئيس وزراء بريطانيا سابقا - يقول « مادام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق الاسلامي ولا أن تكون هي نفسها بأمان » ويقول « وليم جيفورد » « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه »

ويقول رجل آخر منهم يدعى المستر « باكلي » في كتابه « التبشير والاستعمار » « يجب أن نستخدم القرآن - وهو أمضى سلاح في الاسلام - ضد الاسلام نفسه حتى نقضي عليه تماما ، يجب أن نبين للمسلمين ان الصحيح في القرآن ليس جديدا وأن الجديد فيه ليس صحيحا »

وعلى الرغم من كيدهم للقرآن الكريم ورغبتهم في إبعاده عن حياة المسلمين نجد بعضا من المستشرقين الأكاديميين يستقيم لسانه وقلمه ويشهد شهادة صدق للقرآن الكريم تقول الدكتورة « لوريا فيشيافاغليرى » في كتابها « دفاعا عن الاسلام »«إن عظمة الاسلام الكبرى هي القرآن الكريم الذي تنقل الينا بالرواية الراسخة غير المنقطعة من خلال أنباء تتصف باليقين المطلق ، وهو كتاب لاسبيل الى محاكاته ولا يعقل أن ينبثق من غير الذات الالهية الذي وسع علمها كل شيء في السماء والأرض .»

ويقول المستشرق « ماكسي متنى » «إن مرشد المسلمين هو القرآن الكريم وحده ، والقرآن ليس بكتاب ديني فقط بل هو يرشد الانسان الى الوظائف اليومية والأحكام الاسلامية ، والتي لا توجد في القرآن توجد في السنة، والتي لا تكون واضحة لا في القرآن ولا في السنة توجد في الفقه الاسلامي الواسع » .

تغير علاقتنا بالقرآن الكريم

ولكن إذا كان للقرآن الكريم هذا الدور العظيم في إحياء الأمة الاسلامية وتقدمها وعزتها ونصرها .

فماذا حدث في علاقة المسلمين بالقرآن الكريم حتى وصلوا الى ما هم عليه اليوم من التخلف والضعف .

لعل الذي حدث هو أن علاقة المسلمين بالقرآن قد اختلت واختلفت عما كانت عليه من قبل،فقد حدث خلل في كيفية التعامل مع القرآن الكريم الذي نزل من السماء ليكون منهجا متكاملا لحياة المسلمين بكل جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والاعلامية والقانونية .

فالمتفقد لأحوال المسلمين اليوم يجد أنهم يتعاملون مع القرآن الكريم تعاملا سطحيا ، فمنهم من يكتفي بقراءته على الموتى ، ومنهم من يزين به المجالس ، ومنهم من يتهادى به ، ومنهم من يضعه في بيته أو في سيارته للتبرك به ، ومنهم من يتخذه حجابا دون محاولة للنظر فيه وتدبر آياته والعمل بها ، حتى وصل الأمر الى وجود من يتسول بالقرآن .

فهل بهذه الطريقة نكون قد تعاملنا مع القرآن الكريم كما أراد لنا الحق تبارك وتعالى ـ.

لقد نزل القرآن الكريم ليحيي الله به أمة تحسن التعامل معه بالقراءة والتدبر والعمل باعتباره منهاجا عمليا لحياتها .

الصحابة والقرآن

ولقد فهم الصحابة الكرام هذه الحقيقة فأحسنوا التعامل مع كتاب الله وكانوا لاينتقلون من العشر آيات الى العشر الأخرى حتى يروا ما فيها من القول والعمل فصاروا جميعا قرآنا يمشي على الأرض ، ولعل ذلك ما جعل عمر بن الخطاب يأخذ ثماني سنوات في حفظ سورة البقرة وتعلمها . أما نحن الآن فمن السهل ان نقرأ ونحفظ بدون تدبر وعمل ، حتى أن المسلم قد يلعن نفسه بالقرآن دون ان يدري ، فقد قال بعض العلماء : إن العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه دون أن يعلم يقول « ألا لعنة الله على الظالمين » وهو ظالم « آلا لعنة الله على الكاذبين » وهو منهم .

وقد قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « أنزل القرآن ليعملوا به فاتخذوا [illegible] عملا ، إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته مايسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به »

التعامل الحقيقي مع القرآن الكريم

فالتعامل الحقيقي مع القرآن الكريم لا يكون بقراءته أو حفظه أو تعلمه فحسب ولكن يكون بتطبيق تعاليمه في مجالات الحياة حتى يصبح كل مسلم وقد تمثل القرآن الكريم في أقواله وأعماله وسلوكه وأخلاقه .

ونحن هنا لا نقلل من قيمة قراءة القرآن الكريم فقد وردت آيات كثيرة تحض على القراءة قال تعالى «**فأقرأوا ما تيسر من القرآن**» سورة المزمل . آية/ ٢٠ .

« **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به** » **سورة البقرة آية /١٢١** .

« **وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** » سورة الاسراء آية / ١٠٦ .

كما روى الترمذي عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
«من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها» .

● ولا نقلل ايضا من قيمة تعلم القرآن الكريم ودراسته لأن التعلم وسيلة الى الفهم والعمل وقد روى البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» .

ولكن لا يكفي ان يقرأ المسلم القرآن ويحفظه ويتعلمه دون أن يعمل بما فيه لأن القراءة والحفظ والتعلم ما هي الا وسائل لتحقيق غاية اسمى وهي العمل بالقرآن الكريم واتخاذه منهجا للحياة ، وقد وضح ذلك في آيات كثيرة وفي أحاديث نبوية شريفة قال تعالى :

« **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** » /سورة القيامة آية/ ١٨ .

« **وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون** » سورة الأنعام آية/ ١٥٥

« **فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » سورة النساء آية/ ٦٥ .

فمع قراءة القرآن وتعلمه ودراسته لابد من العمل بما فيه واتباع هديه

القرآن منهج شامل

والناظر في كتاب الله يجد انه شمل كل مجالات الحياة فهو ليس كتاب عبادة فقط كما يدعي أعداء الاسلام وانما فيه العبادات والمعاملات والاخلاق ، فيه السياسة والاقتصاد والاجتماع والقانون والتعليم والاعلام وغيرها من مجالات الحياة وصدق الله تعالى اذ يقول :

« **ما فرطنا في الكتاب من شيء** » الانعام آية/ ٣٨ فالقرآن الكريم نظام شامل للحياة ودستور كامل للبشرية ينظم حياتها ويضبط سلوكها وتصرفاتها فنجده ينظم علاقة الفرد بمن حوله من أبوين وزوجه واولاد واخوة واقارب وجيران وينظم علاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة القائد بالمقود وعلاقة القوي بالضعيف ، والغني بالفقير والصحيح بالمريض والكبير

القرآن ليس كتاب عبادة فقط بل فيه السياسة والاقتصاد والاجتماع وغيرها

بالصغير ، وينظم علاقة المجتمع المسلم بغيره من المجتمعات .

● وفي كتاب الله نجد العبادات قال تعالى .

« **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين** » البقرة آية/ ٤٣

« **يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم** » سورة البقرة آية/ ١٨٣

« **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** » سورة الحج آية ٢٧

وفيه نجد الأخلاق : قال تعالى :

« **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم** »

« سورة النور آية/ ٣٠ .

« **يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ..** » سورة النور . آية/ ٢٧ .

« **يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب** » سورة الحجرات آية ١١ « **يأيها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا** » سورة الحجرات آية/ ١٢ « **والذين هم عن اللغو معرضون** » سورة المؤمنون آية/ ٣ .

« والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » سورة المؤمنون آية/ ٨ .

« **والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما** » سورة الفرقان آية/ ٧٢ .

● وفي كتاب الله نجد السياسة قال تعالى -

« **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** » سورة الشورى . آية/ ٣٨ .

« **وشاورهم في الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله** » سورة آل عمران آية ١٥٩

« **ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق** » . سورة ص آية/ ٢٦ .

● وفيه نجد الاقتصاد قال تعالى .

« **وأحل الله البيع وحرم الربا** » سورة البقرة آية/ ٢٧٥ .

« **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه** » سورة البقرة ./ ٢٨٢

● وفيه نجد القانون والتشريع قال تعالى .

« **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى** » سورة البقرة آية/ ١٧٨ .

« **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسب نكالا من الله** » سورة المائدة ٣٨ .

« **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون**

بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » سورة النور . آية/ ٢ .

« **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون** » النور آية/ ٤ .

« **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض** » سورة المائدة آية/ ٣٣ .

وفي البغى « **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** » سورة الحجرات ٩ .

● وفي كتاب الله ايضا نجد الاعلام قال تعالى :

« **يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** » سورة الحجرات آية/ ٦ .

« **حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون**» النمل آية/ ١٨ .

● وفيه نجد التعليم والحث عليه قال تعالى .

« **اقرأ باسم ربك الذي خلق** » العلق/ ١ .

« **ن والقلم وما يسطرون** » القلم/١

« **إنما يخشى الله من عباده العلماء**» سورة فاطر آية/٢٨ « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون** » سورة الزمر / ٩ «**فاسألوا اهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** » سورة النحل آية/ ٤٣ .

● وفيه نجد الحرب والدفاع عن النفس والجهاد قال تعالى .

« **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** » الانفال آية ٦٠

« **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين** » سورة البقرة آية/ ١٩٠ .

وفي السلم « **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** » الأنفال سورة /٦١

هذه أمثلة قليلة مما ورد في كتاب الله تبين لنا كيف ان القرآن الكريم شمل كل مجالات الحياة ولم يترك منها شيئا ، فاذا احسن المسلمون التعامل مع كتاب الله واتخذوه دستورا ومنهجا لحياتهم فإن في ذلك عزهم ونصرهم وسيادتهم على الأمم والشعوب أما اذا هجروا العمل به واكتفوا بتلاوته ملء الأسماع صباحا ومساء فلا ينتظرون إلا الذل والضعف والهوان بين الأمم ذلك أنه لانصر ولا عز ولا تقدم ولا رقي للمسلمين الا بالعمل بكتاب الله عز وجل .

الكذب

ريبة وفجور!

للشيخ /
معوض عوض ابراهيم

ـ عرض القرآن الكريم فضيلة الصدق ، ورذيلة الكذب على نحو جاءت السنة المطهرة فيه بما تقوم به حجة الله في ايجاب الصدق ، والدفع عن الكذب الذي يتنافى وكمال المؤمن ، وإنسانية الانسان ..

واجراء الكلام على خلاف ما يعرف أنه الواقع ، والتحدث بما لايطابق الحق ، ولا يوافق الصواب ، ، هو الكذب الذي ذمه الله ومقت اهله ، وحرمهم هداه فقال تعالى : « **إن الله لايهدي من هو مسرف كذاب** » سورة غافر ـ آية ٢٨ وتكتمل مهانة الكاذبين وهم يقترنون ههنا بالمسرفين حين نعرف المسرفين في مثل قوله تعالى « **كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب** » سورة غافر آية/٣٤

● **والكذب** قد يكون على النفس بمعنى خداعها قال تعالى :

« **انظر كيف كذبوا على أنفسهم ..** » سورة الانعام آية ٢٤ أي خدعوها ـ ويكون الكذب على الله ورسوله كما قال تعالى :

« **وقعد الذين كذبوا الله ورسوله** » سورة التوبة آية ٩٠ أي نسبوا إليهما ماليس بصحيح .. وادعوا عليهما ما هو باطل .. والكذب على الله في قوله تعالى :

« **ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين** » سورة هود آية ١٨ .

أي أخبروا عنه بما هو مخالف للواقع ، أو نقلوا عنه مالم يقل ، أو وصفوه بما هو منزه عنه ، وأقبح برذيلة توجب لأهلها اللعنة ، أشد ما عنون به الله على غضبه ، ويكونون بها ظالمين باغين .

ويكون الكذب اختلاق القول على الناس ، وافتراء الاراء التي ليس معهم فيها بينة ولابرهان .

وإذا كان **الصدق** هو الصحة ، والاستقامة في القول وكل ما يحق ويحصل ، فإن الكذب هو ما يضاد الصحة ، ويجافي الاستقامة وينافي الصواب ،

ـ وكما جل الصدق ، فقال فيه ربنا سبحانه ، « **ومن أصدق من الله حديثا** » سورة النساء آية ٨ « **ومن أصدق من الله قيلا** » سورة النساء آية ١٢٢ .

فقد جعله الله منبعا للبر الذي يهدي الى الجنة ، وأهلا للصداقة التي هي صدق المودة ، وهي من خواص الانسان السوى ، والمرء حيث يضع نفسه !

والصدقة هي من الصدق ، فالصدقة مال نخرجه مما أعطانا الله قربة إليه تعالى « **تطهرهم وتزكيهم بها** » سورة التوبة آية ١٠٣ .

إن الكذب لا يجتمع مع الايمان في قلب مسلم أبدا ، والله تعالى يقول ، « **إنما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون** » سورة النحل آية ١٠٥ .

أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل ليسلم ، وهو لا يستطيع أن ينخلع من اسر الزنا وسعار الخمر ، وأمهات المحرمات ، لما جاء وكأنه يستبيح الرسول الكريم بعض ذلك .

ـ كما جاء في مسند الامام أحمد برواية أبي امامة رضى الله عنه .

ـ وما كان صلوات الله عليه بالذي يحل ما حرم الله او يحرم ما أحل ،

فاخذ الاسلام توحيدا لله ، وكفرا بالأوثان ، وعهدا ألا يكذب ، ومضى ،

فكان كلما الح عليه الهوى ، وراودته نفسه باثم ، ذكر العهد ، فترك الكذب ، فترك الاثام جميعها !!

ـ إن الايمان عهد مع عالم السر والنجوى ، أن تراقبه في الامر

والنهي ، ونطيعه في الجهر والسر ، ونتقى مساخطه على كل حال ، فبذلك وحده تدرك سكينة النفوس ، وأمن الحياة ، وبورك الصدق مع الله ،

والصدق مع النفس ، والصدق مع الناس . .

ـ وأبو محمد الحسن بن على بن أبي طالب رضى الله عنهما يقول ، حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « دع ما يريبك ، الى ما لا يريبك ، فان الصدق سكينة ، والكذب ريبة »

رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

وقد كان النبي في ميعة صباه ، يعرفه قومه بما فطره الله عليه من صدق وأمانة ، كانا إطار ماوصفه الله تعالى في قوله « **وإنك لعلى خلق عظيم** » سورة القلم آية/٤

وفي الآية ، وهي من كلام اصدق القائلين ، كل ما وعته اللغة من وسائل التوكيد .

ـ ويوم كادت حرب تشب بين قبائل العرب بسبب خلافها ، أيها يذهب بشرف إقرار الحجر الأسود بمكانه ،

بعد أن أعادوا بناء الكعبة المشرفة ، أجمعوا على أن يحكموا في خلافهم أول

داخل عليهم ، فكان الداخل محمدا قبل ان يرسله الله برسالة الاسلام ،

فقالوا فرحين مستبشرين بلسان واحد ، هذا هو الأمين محمد قد رضيناه حكما ، فحقن الله به الدماء ، وانهى الخلاف وجمعهم على كلمة سواء ،

فلما اصطفى الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأرسله بالهدى ودين الحق ، نادى صلوات الله عليه ،

العرب قبيلة قبيلة ، وبطنا بطنا ، وحمل الله صوته من اعلى الصفا الى آفاق مكة ، وقال الناس ، هذا محمد ينادي فأتوه من كل فج ، ما تخلف

منهم رجل وخطبهم صلى الله عليه وسلم ، فكان مما قال ، إن الرائد لا يكذب اهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ماكذبتكم ، وسألهم .

أرأيتم لو أخبرتكم أن وراء هذا الوادي خيلا تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقي ،؟

قالوا نعم وما يكذبك منا رجل واحد ،

وفي الحديث أن عمه أبا لهب عبد العزى بن عبد المطلب كان اظلم الناس

لابن اخيه حين ملأ الاسماع بقوله للوفي الحفي الذكور صلوات الله عليه ، « تبا لك الهذا جمعتنا » ؟!

ـ ومضى رسول الله بكل اليقين يبلغ رسالة ربه ، لا ينهنه من عزمه تكذيب قومه ، ولا يفت في عضده إعراضهم عنه .

ولقد علم الله الذي يعلم من خلق ، انهم يوقنون من صدقه ، ولكنهم ينقمون منه دعوته ،

يقول الامام ابن كثير في تفسير قوله تعالى ، « **قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** » سورة الانعام آية ٣٣ .

فانهم لايتهمونك بالكذب في نفس الأمر ، ولكنهم يعاندون الحق ـ ظالمين ـ ويدفعونه بصدورهم .

وأورد كلمة أبي جهل ـ للنبي صلى الله عليه وسلم « إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما بعثت به فأنزل الله تعالى « **فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** »

وأسنده الى الحاكم وهو عنده صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ،

وأورد ابن كثير ماصح في كتب السنة والسيرة انهم كانوا يعارضونه جهرة ،

ويتسللون خفية ليسمعوا قراءته صلى الله عليه وسلم ، وكم جمعهم الطريق راجعين الى بيوتهم ، فلا يستبيحون الكذب وهم يصارحون بما كانوا فيه من الاستماع لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وساق رواية ابي جرير والاخنس وبني زهرة قبل بدر وانفراد الاخنس بابي جهل ، وسؤاله في خلوة من سامع أصادق محمد ام كاذب ؟!

فقال ابو جهل ،

ـ ويحك والله ان محمدا لصادق ، وما كذب محمد قط ، ولكن إذا ذهبت بنوقصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ؟!

وهو حسد مكتوم : منذ دعاهم الرسول الى الله يبدو أحيانا ويختفي ليظهر ،

وفي إحدى روايات مراجعة الأخنس لابي جهل في أول الامر قال ابو جهل تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ـ أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ،

وأعطوا فأعطينا ، حتى اذا تجاذبنا على الركب وكنا كفرسي رهان ، قالوا منا نبيء يوحى اليه ،فمتى ندرك ذلك ؟ والله لانؤمن به ابدا ولا نصدقه ، فأدبر الاخنس مغضبا !!

ـ انهم لا يكذبونه عندما يصحو الضمير ويصحّ الشعور ، فاذا أفتهما آفة الحسد والتطاول الى ما لا يرشحهم له فضل ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، عادوا الى سخائم نفوسهم كما فعل النضر بن الحارث ،

فقد أنكر من قومه أول امره تكذيبهم لرسول الله وقال على ملأ منهم لقد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم قولا واصدقكم حديثا ، فلما بدا في صدغيه عارض وجاءكم بما جاءكم به قلتم إنه كاذب !

والله ما هو بكاذب ، والله ما هو بكاذب ، والله ما هو بكاذب ، لكن ضميره لم يلبث ان اعتل ومضى يهيم في كفره وضلاله حتى بلغ به غروره ان يجلس ويحدث الناس بما عرف من اخبار ملوك فارس ويقول بالله اينا احسن قصصا ، انا أم محمد ؟! وما

كان القرآن قصصا كله « **ونـزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** » سورة النحل آية/ ٨٩

وتمادى النضر في غروره فقال : لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا اساطير الأولين ، فاكذبه الله وهو يحكي مقالته ويقص قصته قال تعالى ، « **وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين * واذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم** » سورة الانفال آية ٣١و٣٢

ولقد امهله الله حتى قتل في نهاية بدر ، اقطع ما كان للرحم واكذب ما كان على الله ورسوله بعد ان ازور عن الحق وقد تبنيت مشاهده وشواهده »

« **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين** » سورة القصص آية/ ٥٠

-وما انسى مواقف حسانا لابي سفيان صخربن حرب وهو في جاهليته ، فقد أمكن فاطمة بنت رسول الله من ان

تلطم ابا جهل كما لطمها حين اتت ابا سفيان بأمر رسول الله فأخبرته بما

صنع معها عدو الله ، وسمع ابن عباس يومئذ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . اللهم لا تنسها لأبي سفيان .

قال ابن عباس فما شككت في ان الله سيهدى أبا سفيان للاسلام !!

وموقفه الآخر في إجابة هرقل ملك الروم عن سؤاله عن النبي محمد ورسالته وحاله في قومه ، وحال من

آمن ، وحال من كفر ، وابن اسحاق يروى من كلام ابي سفيان يومئذ قوله ، « فوالله لو قد كذبت ماردوا

على ، ولكني كنت امرءا سيدا أتكرم عن الكذب ، والحديث اخرجه الامام البخاري في كتاب « بدء الوحي ج/١

في صحيحه وفيه ، ان هرقل استدعى الى مجلسه أبا سفيان وصحبه .

فقال : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، ؟

فقال ابو سفيان فقلت أنا أقربهم نسبـا : فقال أدنـوه منى وقربـوا

اصحابه فاجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه ، قل لهم اني سائل هذا عن هذا الرجل فان كَذَبَنِي فكذبوه !

فوالله لولا الحياء من ان يأثِرُوا على كذبا لكذبت عنه .

حتى قال هرقل ، فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟!
قلت لا ..

يقول صاحب الفتح ابن حجر رحمه الله إنما عدل الى السؤال عن التهمة

عن السؤال عن نفس الكذب تقريرا لهد على صدقه ، لأن التهمة اذا انتفت

انتفى سببها « **انها لـواحدة من ثواقب نظر ابن حجر رضى الله عنه** » .

وتعددت أسئلة هرقل واجابات ابي سفيان حتى قال هرقل لترجمانه قل له كذا وكذا مؤكدا صدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال ؟! فذكرت ان لا ، فقد اعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله ..

ـ وهو استخلاص يشهد بسداد نظره ، وأنه مقارب فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ويتفق وقوله لأبي سفيان رضى الله عنه .. وسألتك بم يأمركم ، فذكرت انـه يأمـركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ،

وينهاكم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ،

فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين ، وقد كنت اعلم انه خارج لم أكن اظن أنه منكم ، فلو أني اعلم اني اخلص اليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ..

إنه كلام يشي بالصدق ، ولكن خبر المعصوم صلوات اللـه عليه الـزم للمؤمن من الظنون وظاهر القول ، وقد ختم صاحب الفتح رحمه الله بحثا في قول هرقل « إني مسلم » في كتاب أرسله الى النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك .

فقال النبي صلى اللـه عليه وسلم « كذب بل هو على نصرانيته » ومثلها في كتاب الاموال لأبي عبيدة من مرسل بكر بن عبد اللـه المزني ، بسند صحيح .

ولفظه « فقال كذب عدو الله ليس بمسلم». فعلى خبر اطلاق صاحب الاستيعاب .. انه آمن به أي أظهر التصديق ولكنه لم يستمر عليه ، ولم يعمل بمقتضاه ، بل شح بملكه ، وآثر الفانية على الباقية ..

فهل نؤثر الصدق على الكذب ليجمع الله لنا بين عز الدنيا وأمن الآخرة ؟!

لقد حاول كل من الفريد غلوم في كتابه « الحديث في الاسلام » وتريتون في كتابه « الاسلام عقيدة وعمل » الطعن في طرق جمع السنة الشريفة ، زاعمين أن السنة النبوية الصحيحة لم يكتب لها البقاء لأنها لم تدون ، بل كانت تتناقل شفاهة بين الرواة ولمدة قرنين من الزمن . ولقد تفرد غلوم عن صاحبه بإيراد بعض الاحاديث الصحيحة التي توضح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد نهى عن تدوين الحديث ، وذلك لكي يثبت بهذا أن السنة لم تدون إلا في عصور متأخرة .

من افتراءات المستشرقين على صحيح البخاري

محمد موذن

للدكتورة / عزية على طه

بعد مهاجمة السنة الشريفة والمحدثين في عصر الصحابة والتابعين واتباعهم لجأ غلوم الى الطعن في أصحاب المصنفات الكبرى بادئا بالامام البخاري ، ليشكك في مدى أصالة الأحاديث التي جمعها في صحيحه .

ولقد زعم غلوم أنه إن طبقت الشروط التي وضعها الامام البخارى في حكمه على صحة الحديث ، فإنه لن يكون بالامكان الحصول على ٧٢٧٥ حديثا صحيحا كما فعل البخاري ، وذلك بالطبع يرجع لاعتقاد غلوم بضياع السنة الصحيحة قبل وصولها

الى عصر المصنفات .

أما تريتون فقد طعن في صحيح الامام البخارى زاعما أن البخارى وأصحاب المصنفات الأخرى والمحدثين من قبلهم اعتمدوا في تصحيحهم للاحاديث على نقد السند دون المتن ، وليثبت صحة ماوصل اليه من افتراء نراه يزعم بأن الامام البخاري قد اعتمد في صحيحه أحاديث نقلها المسلمون عن أناجيل النصارى ، ولكي يدعم رأيه في هذا الشأن أورد قصتين مذكورتين في الأناجيل ومنسوبتين لسيدنا عيسى عليه السلام .

أولاهما : The Parable Of The Sower وفيها تشبيه المؤمن بالتربة الخصبة والكافر بالتربة الجدبة ، والقصة مذكورة في انجيل متى (١٣) من (٤) الى (٨) ومرقص (٤) من ١ الى ٩ ولوقا(٨) من ٤ الى ٨ .

ثانيتهما The Workers Of In The Vineyard وهي قصة مزارعين عملوا بأجر يومي نهارا في حقل كرم، إن القصة باختصار تبين ان صاحب الحقل اعطى عماله الأجور التي يستحقونها نظير عملهم في ذلك اليوم ثم اعطى اجرا مضاعفا لعمال آخرين شاركوا في العمل آخر النهار ، وعندما احتج بقية العمال على ذلك بين لهم صاحب الحقل انهم مخطئون في احتجاجهم لأنه لم يظلمهم في اجورهم بل تفضل على العاملين الذين شاركوا في العمل آخر النهار بهذا الأجر المضاعف،والقصة مذكورة في انجيل متى (٢٠) من ١ الى ١٥ .

● تفنيد افتراءات غلوم على صحيح البخاري ●

إن الحجج التي استند عليها غلوم للطعن في الحديث الصحيح حجج واهية إذ إن المحدثين منذ عهد الصحابة والى عصر المصنفات الكبرى كانوا يتحرون الدقة في قبول الحديث الشريف وروايته ومما يدلنا على هذا الحرص ازدياد جهود المحدثين في التحرى في عصر صغار التابعين وأتباعهم بعد الخمسين والمائة من الهجرة ، وذلك بعدما ظهرت الفرق السياسية ، وبعد أن برز أصحاب النحل المغايرة للاسلام ، وبعدما زاد انتشار الاسلام بين اصحاب الألسن المختلفة ، بجانب ظهور اصحاب الأهواء والبدع .

إن كل هذه العوامل أدت إلى ازدياد نسبة التحرى في عهد صغار التابعين عند تلقي السنة وأدائها وعند كتابتها وإلى عصر المصنفات الكبرى للحديث .

وهذا مما يبطل الشكوك التي أثارها غلوم حول عدم الدقة في جمع السنة الشريفة قبل ظهور المصنفات الكبرى .

أما الحديث الشريف الذي استشهد به غلوم في أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد نهى عن كتابة السنة فهو حديث صحيح اخرجه الامام مسلم بسنده من حديث ابي سعيد الخدرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «لا تكتبوا عني ،

ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب عليّ - قال همام احسبه قال متعمدا - فليتبوأ مقعده من النار» .

لكن غلوم تغافل عن آراء العلماء حول هذا الحديث والتي لخصها الامام النووى بقوله : كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير منهم في كتابة العلم فكرهها كثيرون وأجازها أكثرهم ثم أجمع المسلمون على جوازها وزال ذلك الخلاف .. واختلفوا في المراد بهذا الحديث الوارد في النهي فقيل هو في حق من يوثق بحفظه ويخاف اتكاله على الكتابة اذا كتب .. وقيل إن حديث النهي منسوخ بأحاديث وردت في الاذن بالكتابة وكان النهي حين خيف اختلاطه -ويعني الحديث - بالقرآن فلما أمن ذلك أذن في الكتابة وقيل إنما نهي عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة لئلا يختلط فيشتبه على القارىء في صحيفة واحدة .

وعليه فإن حكم غلوم على هذا الحديث كان متسرعا وقاصرا ويدل على أنه لم يستوعب الموضوع من كل جوانبه .

أما قوله : إن الحديث كان يتناقل شفاهة فإن هذا لا يعني أن الحديث الشريف كان قد ضاع قبل وصوله الى البخاري كما زعم لأن الحديث الشريف كان يروى شفاهة بين قوم اتصفوا بقوة الذاكرة وبالورع والتقوى وذلك معروف من سيرتهم المتضمنة في الكتب التي تحدثت عن تاريخ الرواة وطبقاتهم ومناقبهم وغيرها .

ويمكننا أن نقول إن غلوم غفل أيضا عن ان السنة كانت تدون ايضا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ويدلنا على ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حث الصحابة على أن يكتبوا لأبي شاه عندما شكا اليه النسيان ، فقد أخرج الترمذي في حديث طويل عن ابي هريرة رضى الله عنه أن أبا شاه قال : أكتبوا لي يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لأبي شاه .

وقد جاء في كتاب « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » من حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قيدوا العلم بالكتاب » .

ومما يدل كذلك على أن السنة كانت تدون بجانب حفظها تلك الصحف التي كتبها بعض الصحابة ، ومن ذلك صحيفة عبد الله بن عمرو رضي الله عنه والتي كانت تسمى بالصحيفة الصادقة ، وصحيفة علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفيها اسنان الابل وشيء من الجراحات،ومنها صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري وغيرها . بل إن الحديث كان قد كتب بصورة منتظمة في عصر التابعين ، ومن اشهر التابعين الذين كتبوا الحديث ابن شهاب الزهري المتوفى عام ١٢٤ هـ ، ثم ظهرت الكتب التي ورد فيها الحديث علي أبواب الفقه كموطأ الامام الجليل مالك بن انس المتوفي عام ١٩٧ هـ ، ذكر محمد عجاج الخطيب في كتابه «السنة قبل التدوين » أن على بن المديني المتوفي عام ٢٢٤ هـ صنف

مصنفات كثيرة في الحديث الشريف وعلى بن المديني هذا من شيوخ الامام البخاري .

مما سبق يتبين لنا ان الاحاديث الصحيحة التي وصلت الى الامام البخاري كانت كثيرة جدا ، فاختار من بينها البخاري الأحاديث التي وافقت شروط الصحيح عنده وضمنها كتابه الصحيح ، وترك كثيرا من الاحاديث الصحيحة لاسباب ذكرها هو نفسه . جاء في مقدمة ابن الصلاح قول البخاري : أحفظ مائة الف حديث صحيح ، ومائتي الف حديث غير صحيح ، وقد قال البخاري أيضا :

ماتركت من الصحاح اكثر وقال ايضا : ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صح ، وتركت من الصحاح لحال الطول ، وفي رواية اخرى لملال الطول اي حتى لا يطول الكتاب فيمل الناس من قراءاته .. وعليه فإن ادعاء غلوم بأن الاحاديث الصحيحة كانت قد فقدت قبل وصولها الى البخاري ادعاء باطل .

تفنيد افتراءات تريتون حول صحيح البخاري :

اما الشكوك التي أثارها تريتون حول عدم اهتمام البخاري بمتن الأحاديث التي دونها في صحيحه فيبطلها المنهج الذي اتبعه البخاري في اعتماده لاحاديث الصحيح .. ولقد استنبط العلماء الشروط التي سار عليها الامام البخاري في اعتماده للاحاديث الصحيحة وضمنوها في تعريفهم للحديث الصحيح ، كما جاء في مقدمة ابن الصلاح حيث قال : الحديث الصحيح هو المسند الذي اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله الى منتهاه ولا يكون شاذا ولا معللا .

وإ ذا استعرضنا هذا التعريف نجد ان هذه الشروط لا تقتصر على السند فقط بل ان هناك شرطين يتعلقان بالسند والمتن معا وهما : عدم الشذوذ وعدم العلة .

وبما أن الامام البخاري قد اعتمد هذه الشروط جميعا في صحيحه ، فلا يمكن اتهامه بأنه قد أغفل المتن واعتمد السند فقط .

أما الشكوك التي أثارها تريتون حول عدم اهتمام المحدثين بمتن الحديث فيبطلها الاهتمام الزائد الذي أولاه المحدثون لنقد متون الأحاديث مثل أسانيدها تماما وهذا النقد تجلى في رفض المحدثين للحديث الذي تدل القرائن على عدم صحته ، كرفضهم للحديث الذي يخالف المعقول ويباين المنقول مما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

بل كان المحدثون يعرضون الحديث بعضهم على بعض للتأكد من سلامة متنه ، فقد جاء في كتاب « تحذير الخواص من أكاذيب القصاص » قول

الأوزاعي : كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزائف ، فما عرفوا منه

اجزناه وما أنكروا تركناه ، وجاء فيه ايضا قول جرير : كنت إذا سمعت الحديث جئت به الى المغيرة فعرضته عليه فما قال إلي ألقه ألقيته .

وفيه أيضا قول الربيع بن الهيثم : إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار تعرفه . وإن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل تنكره .

وظاهر أن هذه الانتقادات كلها موجهة إلى متن الحديث ، إذن فالمحدثون قبل ظهور مصنفات الحديث (الكبرى) لم يهملوا متون الحديث كما أدعى تريتون ، بل إن ظهور أقسام الحديث المردود الذي انبنى على نقد العلماء للمتن يبطل أفتراء تريتون السابق أيضا ومن ذلك : الحديث المدرج ، والحديث المقلوب ، والحديث المصحف .

وسوف نبين المقصود بتلك الأحاديث اصطلاحا ، ثم نمثل لتلك الأنواع لنوضح صورتها أمام القارىء .

أولا الحديث المدرج اصطلاحا : هو ما غير سياق إسناده أو أدخل في متنه ما ليس منه بلا فضل ، ومن التعريف السابق يتضح لنا أن الادراج قد يكون في السند وقد يكون في المتن ، والذي يهمنا هنا هو الادراج في المتن .

ومثاله ما جاء عند الخطيب عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا أنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسبغوا الوضوء ويل للاعقاب من النار . فقوله أسبغوا الوضوء كما قال المحدثون مدرج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد اتضح للمحدثين ذلك من رواية أخرى أخرجها الامام

البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : أسبغوا الوضوء فإن أبا القاسم صلى الله عليه وسلم قال : ويل للأعقاب من النار .

ثانيا : الحديث المقلوب اصطلاحا : هو الذي أبدل لفظ في سنده أو متنه بتقديم أو تأخير أو نحوه ، والقلب قد يكون في السند وقد يكون في المتن ، وقد مثل شيخ الاسلام في شرح النخبة للقلب في المتن بحديث : «ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ماتنفق شماله» قال : فهذا مما انقلب على أحد الرواة وانما هو حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه كما في الصحيحين .

ثالثا : الحديث المصحف : والتصحيف اصطلاحا هو تغيير الكلمة في الحديث الى غير ما رواها الثقات لفظا او معنى ، والتصحيف يقع كذلك في السند وفي المتن ، وقد مثل السيوطي في كتابه « تدريب الراوي » للتصحيف في المتن بحديث زيد بن ثابت : أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجر في المسجد ، أي اتخذ حجرة من حصير أو نحوه يصلي فيها صحفه ابن لهيعة فقال : احتجم في المسجد .

ومن الملاحظ أيضا أن عناية العلماء بمثل هذه الأخطاء التي وقعت في المتن

وتصحيحها يدل على عناية المحدثين بمتن الحديث .

أما الحديث الشبيه في نظر تريتون ـ بقصة الإنجيل حول التربة الصالحة والتربة الطالحة فقد أخرجه الامام البخاري في «كتاب العلم» باب فضل من علم وعلم كالآتي :

حدثنا محمد بن العلاء قال حدثنا حماد بن أسامة عن بريد بن عبدالله عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به .

اما الحديث الشبيه ـ في نظر تريتون ـ بقصة صاحب الحقل وعماله الواردة في الانجيل فقد أخرجه الامام البخاري ايضا في عدة مواضع منها ماجاء في كتاب التوحيد باب في المشيئة والارادة كالآتي :

حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب عن الزهري اخبرني سالم بن عبدالله أن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول : إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس ، اعطى أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ، ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ، ثم أعطى أهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ، ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غروب الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين ، قال أهل التوراة : ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر اجرا قال : هل ظلمتكم من أجركم من شيء ؟ قالوا : لا، فقال : فذلك فضلي اوتيه من أشاء .

وبما أننا لسنا هنا بصدد المقارنة بين قصتي الانجيل وهذين الحديثين الشريفين ، فإنه يكفينا أن نوضح للقارىء أن هذا التشابه الذي اوهم

تريتون بان المحدثين قد اقتبسوا بعض القصص من الانجيل وضمنوها أحاديث نسبوها لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد يرجع لاحتمالين لا ثالث لهما .

اولهما : أن التشابه الذي يقع بين القصص المذكورة في التوراة والانجيل وبين أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يرجع الى أن أنبياء الله

عليهم السلام يدينون بعقيدة أصلها واحد هي عقيدة التوحيد التي أنزلت على سيدنا إبراهيم الخليل أبي الأنبياء ، والحقائق الصادرة عن الله سبحانه وتعالى واحدة لا تتغير .

ثانيهما : ان الأحاديث النبوية الصحيحة قد ثبتت نسبتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطرق لايتطرق إليها الشك ، أما ما ورد في الأناجيل من أقوال منسوبة لسيدنا عيسى عليه السلام فليس لها اسناد قائم مما يشكك في صحتها، وبجانب ذلك فأن بعض النصارى وبخاصة في الغرب كانوا وما زالوا لا يتورعون عن إضافة أقوال المفسرين والشراح الى متن الأناجيل بل وتغيير بعض عبارات الأناجيل بما يلائم البيئات المختلفة .

● الخاتمة ●

وفي ختام هذه المقالة يمكننا أن نعزو حساسية المستشرقين الى مركب النقص الذي يعانون منه حيال هذا الموضوع حيث توجد فجوة زمنية واسعة بين ظهور أنبيائهم وبين تدوين الكتب المقدسة التي جاء بها أولئك الانبياء .

وبجانب ذلك فإن الاشخاص الذين نسب اليهم تدوين الكتب السماوية لم تكن لهم منهجية معروفة ، كما هو الحال عند المسلمين ـ في تدوين هذه الآثار المقدسة فقد كان كل منهم يكتب بالطريقة التي تحلو له ولا يتورع عن إدخال البدع والخرافات في مؤلفه . كما أن هؤلاء المؤلفين كانوا مجهولي العين والحال فلا أحد يعرف شيئا عن سيرتهم الذاتية وتاريخ حياتهم الشخصية على وجه اليقين .

ولذا نجد أن المستشرقين الموتورين امثال غلوم وتريتون يحاولون جهدهم أن يلصقوا مثل هذه النقائص بعلماء المسلمين ويتهمونهم بعدم الجدية وعدم الدقة في تدوين السنة النبوية الشريفة .

قرأت لك

أهل النصفة قليل

عن التجارة وأخلاق التجار ، ومن ينبغي له اجتناب حرفة التجارة يحدثنا ابن خلدون في مقدمته الشهيرة قائلا :

« إن معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأغلى من ثمن الشراء اما بانتظار جوالة الأسواق أو نقلها الى بلد هي فيه أنفق وأغلى أو بيعها بالغلاء على الآجال،وهذا الربح بالنسبة إلى أصل المال يسير إلا أن المال إذا كان كثيرا أعظم الربح لأن القليل في الكثير كثير،ثم لا بد في محاولة هذه التنمية من حصول هذا المال بأيدي الباعة بشراء البضائع وبيعها ومعاملتهم في تقاضي أثمانها،وأهل النصفة قليل فلا بد من الغش والتطفيف المجعف بالبضائع ومن المطل في الأثمان المجعف بالربح كتعطيل المحاولة في تلك المدة ونمائه ومن الجحود والانكار المسحت لرأس المال إن لم يتقيد بالكتاب والشهادة،وغناء الحكام في ذلك قليل لأن الحكم إنما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك أحوالا صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الربح إلا بعظم العناء والمشقة أو لا يحصل أو يتلاشى رأس ماله فان كان جريئا على الخصومة بصيرًابالحسبان شديد المماحكة مقدما على الحكام كان ذلك أقرب له إلى النصفة بجراءته منهم ومماحكته وإلا فلا بد له من جاه يدرع به يوقع له الهيبة عند الباعة ويحمل الحكام على انصافه من معامليه فيحصل له بذلك النصفة في ماله طوعا في الأول وكرها في الثاني وأما من كان فاقد الجراءة والاقدام من نفسه فاقدا للجاه من الحكام فينبغي له أن يجتنب الاحتراف بالتجارة لأنه يعرض ماله للضياع والذهاب ويصير مأكلة للباعة ولا يكاد ينتصف منهم لأن الغالب في الناس وخصوصا الرعاع والباعة شرهون إلى ما في أيدي الناس سواهم،متوثبون عليه ولولا وازع الأحكام لأصبحت أموال الناس نهبا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين .

الإسلام والأمن الثقافي

للاستاذ /

توفيق محمد سبع

تهتم الدولة الحديثة بتوفير الأمن الغذائي لأبنائها ... وتخطط لهذا الامر تخطيطا دقيقا لتتوقى أسباب القحط والمجاعة من تصحر وجفاف .
وإلى جانب هذا النوع من الأمن يوجد الأمن السياسي والأمن الاجتماعي اللذان يجنبان المجتمع تلك الهزات الرهيبة التي يدبرها الخارجون على النظام والحكم ..

إن هذا كله نوع من التدبير الوقائي قبل أن تحدث الكوارث الماحقة وإذا كان ذلك حقا لا معدى عنه ... فإن هناك نوعا من الأمن تجب الحيطة له ، والاهتمام به ، والعمل على توفيره للمجتمع الاسلامي ... ذلك هو « **الأمن الثقافي** » الذي لم يلتفت الكثيرون إليه في غمرة الاهتمام بالأمن الغذائي والسياسي ..

ونعني بالأمن الثقافي .. ان يطمئن المجتمع على ثقافته الاسلامية ان تلوثها تيارات الغزو الفكري ... والعقدى .. والأخلاقي .. تلك التى تهب علينا سوافيها بين حين واخر ... فتنقل إلى ثقافتنا الايمانية جراثيم العفن الخلقى والاجتماعي .. وعوامل التحلل والفساد متذرعة بالتقدمية والتطوير .. وهما من عوامل الافساد والتخلف ويضاف إلى ذلك الوباء الوافد .. وباء اخر لايقل عنه فتكا بتقاليدنا وتراثنا ... وهو الوباء الذي يصيب ثقافتنا

الاسلامية من الداخل ... بفعل المنحلين والفاسدين من أبناء هذه الأمة ... وقد يكون الالحاد والمروق من العوامل لتغذية هذا الوباء الداخلي ... وبخاصة إذا استطاع هؤلاء المنحلون ان ينفذوا إلى وسائل الاعلام ومراكز التوجيه ... هذا النوع من البلاء ينبغي ان تحتاط له الدولة المسلمة اكثر مما تحتاط لغيره ... لأن خطره أعظم : وضرره اكبر ... فهو يصيب الأمة في عقيدتها ودينها وفكرها ... فيضعف روحها ، ويبدد طموحها ، ويجعلها فارغة من كل معنى جليل ، مجردة من كل قيمة رفيعة ، لايقوم على سواعدها بناء ، ولايرتجى نصر ..

فإذا استطعنا بمفهوم الامن الثقافي ... أن ندرأ عن ثقافتنا هذا الطفح القذر ... فقد ضمنا للأجيال الناشئة ان تتنفس في جو صحي من آداب الاسلام ومثله الرفيعة . ولعله من المناسب في هذا المقام ان نحدد **معنى الثقافة** .. ثم ننطلق من ذلك الى مفهوم **الثقافة الاسلامية** التي نطالب بالذود عنها والابقاء عليها حرة كريمة تعمل عملها في شبابنا عقلا وجسما وروحا ... كي لا ينزلقوا إلى المراهقة الرخيصة التي تمتص رحيق العافية من أجسامهم فتتركهم كعصف مأكول ... وهذا النوع من التوقى هو ما أسميه بالأمن الثقافي .

ماذا يقصد بالثقافة ؟

ثقافة اي مجتمع تعنى حصيلة معارفه الروحية والفكرية والذوقية والأدبية ... فهي خلاصة تجاربه في هذه المجالات ... اي أنها تشمل أنماط الحياة الانسانية - وأسلوبها في المعرفة روحيا وفكريا وأدبيا ... وعلى هذا فقد تتلاقى شعوب وأمم على تراث فكري واحد فتكون بينها **وحدة ثقافة** ..

والرجل المثقف هو الحاذق البصير ، العارف بمطالب عصره ، الذي لايقتصر في المعرفة على جانب دون آخر ... وإنما يلم إلماما واعيا بأطراف من العلوم المختلفة ، والمعارف المتنوعة ... فهو يحدثك في كل فن ، ويدير كلامه في كل اتجاه ... ويلقاك بلون من المعرفة الشاملة التي لا تعمق فيها ولا استقصاء ... فلديه معلومات طبية ، وأدبيـة ، ونفسية ، واجتمـاعية وسياسية ... يتنقل بين هذه المعارف تنقلا سهلا لا عسر فيه ولا مشقة ... ويمتع سامعه بطرف من العلم ... تشده إليه ، وتجذبه نحوه ... بحيث يحس بأنه متفتح لبق ... وقليل ان تظفر بهذا الطراز من الناس في هذا العصر الذي احتبس فيه طلاب العلم داخل تخصصاتهم .. لا يريمونها ولايبرحونها ... يعرفون عنها كل شيء .. ولكنهم يعجزون عن فهم ما عدا ذلك من قضايا المجتمع وشئون الحياة العصرية ..

وكلمة « ثقافة » مأخوذة في الأصل **من تثقيف الرمح** ... اي تهذيبه وصقله وتسويته ... ثم انتقلت إلى تثقيف العقل بالمعارف وتهذيبه بالعلوم المتنوعة ..

وبذا تكون الكلمة قد انتقلت عبر الزمن من الماديات إلى الروحيات والمعنويات .
قال في لسان العرب : رجل ثقف حاذق ... والحذق سرعة الفهم .
وقال ابن دريد : ثقفت الشيء حذقته
وعن أم حكيم : إني حصان فما أكلم ، وثقاف فما أعلم .
وفي القرآن الكريم : « **فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم** » الانفال/ ٥٧ اي فإما تظفرن بهم ، وبذا يكون هذا الفعل في الآية « تثقفتهم » من الثقافة اي الظفر بالشيء ..
ولاشك ان هذا المعنى مقصود ... ففي الثقافة نوع من الظفر والاحاطة بألوان المعارف ونحن نؤمن بأن المجتمع في حاجة ماسة إلى المثقفين الذين يعيشون بعقول متفتحة ذكية ، تشارك في بناء الحياة، وتسهم في حل المشكلات .
وأقبح ما نلقاه في المجتمع ... ان نظفر بمتخصص لا يعرف إلا تخصصه ... ولا يحسن التصرف في شئون الحياة ... أو التحدث في معارف العصر .. وليس معنى ذلك ان كل متخصص على هذا النحو من القصور .. فقد يجتمع في الشخص صفة الثقافة والتخصص معا .. وذلك هو ذروة ما نطمح إليه .

الثقافة وشخصية الأمة

إذا أردت ان تحكم على أمة ما من أمم الأرض - أو تتعرف على مكانتها ... فانظر الى رصيدها من الثقافة والعلم ... فإذا كانت تملك رصيدا كبيرا من المعرفة ، وموردا صافيا من الحكمة ، ومعينا فياضا من العلم فثق بأنها أمة عظيمة ... تؤثر في سير التاريخ ، وترتقي بأساليب العيش ، وتفرض شخصيتها على العالم بأسره .

وعلى النقيض من ذلك ترى الأمم المتخلفة ... التي لم تصقلها المعرفة ، ولم يهذبها العلم ، ولا سمت بأرواحها ثقافة ... تراها تعيش خاملة لاحظ لها من سبق أو تفوق ، ولا شخصية لها بين الدول ، تفتك بها الأمراض ، وتحاصرها الأزمات ، فتجدب ارضها، وتكسد تجارتها ، وتضمحل ثروتها ، وينتابها الضعف ، وتتفشى فيها الآفات الخلقية والاجتماعية .
وقديما صنع العرب مجدا ، وكتبوا تاريخا ، وصدروا المعرفة إلى أمم الأرض جمعاء ، وكانت لهم شخصيتهم الثقافية التي فرضت نفسها على العالم ، فاستعان بها في صنع حضارته ، وترقية شئونه وبخاصة أوروبا التي كانت يومذاك أشبه بجثة هامدة .
يقول المستشرق الانجليزي ميلر « إن مدارس العرب المسلمين في أسبانيا كانت مصادر علوم ، وكان الطلاب الأوربيون يهرعون إليها ، وكذلك أصبح

جنوب ايطاليا منذ احتله العرب واسطة لنقل الثقافة إلى أوروبا ، كانوا يتلقون على يد العرب العلوم الطبيعية والرياضية وما وراء الطبيعة .

وقد استفاض هذا الكلام على ألسنة الاوروبيين المنصفين ، بحيث أصبح من نافلة القول الاستفاضة فيه .

طبيعة الثقافة الاسلامية :

تتميز الثقافة الاسلامية بطابعها القرآني ، الذي جعل لها صبغة ربانية ، تنمي جوانب الخير ، وتزكى فضائل النفس ، وتشحذ مواهب العقل ، وتستحثه على الدراسة والبحث ، والنظر الثاقب في ملكوت السموات والارض ، وتفتح امامه الطريق لكي يبدع ويبتكر ، ويستغل عناصر الكون في انشاء الحضارة الربانية .. وبهذه العناصر الفذة من إبداع العقل ، وتجليات الروح ، تكونت الثقافة الاسلامية ... لقد أسهم القرآن في بناء هذه الثقافة ، ولون حضارتها ، وصبغها بالصبغة الالهية ... لأنه مصدر إلهامها ، وأساس معارفها وعلومها ، وسر حركتها وانطلاقها .. إنه النبع السخي الذي أغدق الخير بلا حدود ، وسدد الوجهة بلا شرود ، وحدد الغاية والهدف لتلك الأمة العظيمة المعطاء ... وجعل لها طابعا حضاريا له خصائصه الاصيلة ، ومقوماته النبيلة ، وآفاقه العالمية .

إن هذه الحضارة الايمانية هي التي دفعت بالحضارة الانسانية دفعة قوية في الغرب ، بل في العالم بأسره ، وأكسبتها طابعا انسانيا يتميز بالرحمة والانصاف ، وتجاوبت هذه الحضارة مع المواهب الكامنة في الانسان ... فبعثت العبقرية الانسانية تسعى وتبدع على عين الله ... فأتت بالعجائب ... وتحركت في كل مجال فكانت ثقافة علم وفن وادب وابداع وسياسة وحكم .

ولقد كان العرب قبل القرآن جهالا ، تفنيهم العصبية ، وتقتلهم الحروب والثارات ..

فلم تكن لهم ثقافة تذكر ... **لكن ثقافة القرآن** عندما خامرت مواتهم الأدبي اطلقت مواهبهم ، فأبرزت منهم كنوزا ثمينة ، كانت مبددة بين ركام الجاهلية ، فجمعتها ، ثم نسقتها ، ثم أضاءتها ثم أرسلتها تعمل في الحياة فرأى العالم من ذلك الأعاجيب ..

إن ثقافة القرآن لم تكتف بصوغ نفوسهم ، وتحرير عقولهم ، وتحريك مواهبهم ، وإنما أبت إلا أن تجعل منهم قادة يسوسون البشرية ، ويقودون العالم إلى مراشده ، ويعلمون الناس الحكمة ... بعد أن كانوا في جاهليتهم عبيد شهوات ؛ ومساعر حروب ، وطلاب ثارات ... ورعاة إبل وغنم ، فصاروا قادة ممالك وأمم ... تصنع مجد الحياة وحضارتها ولله في خلقه شئون !!! ولقد عاشت تلك الأمة بهذه الثقافة الفريدة ، ترعاها بروحها ، وتحميها بعزمها ، وتدفع عنها غوائل الحضارات الآفلة من هنا وهناك ،

وتجعل من العقيدة حصنا يقيها من جراثيم المدنيات الغاربة كمدنيات فارس والروم ... تلك الحضارات التي تفشت فيها أعراض التفكك وفتكت بها آفات الترف ، فاستنام قادتها على هدهدة الأماني والأحلام ... وفقدوا طبيعة الفروسية التي كانت لهم قديما ، وابتعدوا عن أخلاق الميدان . فصاروا هياكل بلا روح ، وأجسادا بلا طموح ، وقد اختلط المسلمون بتلك النماذج العفنة ، ونازلوهم في الحروب ، وقارعوهم بالسيوف ، فما تأثروا بأخلاقهم ، ولاسرت العدوى الى نفوسهم ، لان عقيدتهم المؤمنة كانت تدرأ عنهم كل سوء ، وتحميهم من كل عدوى ، وتدفع عنهم كل بلاءلقد عاشوا في أمن نفسي وثقافي بفضل ايمانهم ودينهم .

واقعنا المعاصر

في هذا العصر المادي الذي نعيشه ، نرى آفاق الثقافة قد اتسعت ، ومصادرها قد تعددت ، وعقائدها قد تنوعت ، وأن العلم بوسائله قد قرب منها كل بعيد ، وأدنى كل قصي ، بحيث أصبح من المتعذر ان تحمي الثقافة الاسلامية نفسها من تيارات الفكر الوافد شرقية او غربية .

فهناك وسائل الاعلام المختلفة من تلفاز ومذياع وصحف ومجلات ... وكلها تذيع الثقافة وتشيع المعرفة ، وتنقل إلينا من فنون الغرب وعلومه ، وأخلاقه وتقاليده ما يؤثر في نفس الشباب ويدفعه إلى التأثر ثم إلى التقليد .

ولهذه الثقافات الوافدة من الجاذبية والبريق ما يدهش عقول الشباب ويخطف ابصارهم ، لانهم يرون ان هذه الثقافة الاجنبية قد نهضت بشئون الحياة ، وغيرت وجه المجتمع ، وصنعت لاصحابها عالما ماديا مريحا يكفل لهم أن يعيشوا في سعادة ويسر ، كما ان هذه الثقافة ابتكرت من أساليب القوة ما يدعو إلى الانبهار فماذا بقي بعد ذلك ؟ وسائل حضارية تريح الانسان ، ووسائل قوة ودمار تضمن لاصحابها الهيبة والجبروت ، وسلوك يبدو للنظرة العجلى مثاليا رقيقا فيه الذوق والرقة والجمال .

وتلك مظاهر خالبة لا يستطيع شبابنا ان ينفذ الى أعماقها ، ولا أن يكتشف حقيقتها وأبعادها ... **فكيف السبيل إلى الأمن الثقافي** وسط هذه العوامل المتشابكة ؟ كيف نستطيع ان نحمي ثقافتنا وأخلاقنا بين هذه التيارات العاصفة ؟

إنها تيارات تحمل إلينا إلحاد الشرق ووثنية الغرب ... وتحلل المجتمعات هنا وهناك ولم تعد الكنيسة في الغرب معبدا يجمع الشباب على الطهر والايمان ... وإنما غدت ناديا للمتعة ، يلتقي فيه الشبان والشابات في حفلات مخمورة ، ونزوات عارمة !!! على نغمات الموسيقى ، وحركات الرقص ... وأيسر ما ينالنا من أمراض هذه المجتمعات أن يسرى الانحلال في مجتمعاتنا وأن يتسرب الوهن إلى أخلاقنا ، وأن تتلوث ثقافتنا النظيفة النقية

بأدران الغرب وشوائبه ... وأخطر من ذلك كله ان يضطر شبابنا في سن مبكرة للسفر إلى هذه البلاد للدراسة وبذا تتاح له فرصة اختلاط واندماج .
فالخطر إذن خطران ... خطر وافد علينا يغزونا في عقر دارنا بواسطة وسائل الاعلام،وخطر من جراء الاختلاط والعيش بين هؤلاء الناس ..
وهناك خطر ثالث داخلي... وهو ما ينتقل إلى طوائف الشباب والمثقفين عن طريق المنحلين والملحدين من أبناء الوطن ـ فيما يكتبون من مقالات في الصحف ، أو ينشرون من روايات وقصص وكتب ، أو يلقون من كلمات في الاذاعة .

ويعظم خطر هؤلاء إذا مكن لهم في الدولة ... فاحتلوا وظائف عامة ، أو تسلطوا على وسائل التوجيه ..

ضرورة الأمن الثقافي او عوامل الوقاية :

لابد لنا بين هذا الموج المتلاطم من خطة أمن محكمة ... نحمي بها أنفسنا من فتنة هذه الثقافات الوافدة ، وأخطارها الماحقة وغزوها الفاتك بالعقول والألباب والمشاعر . ولابد لهذه الخطة المقترحة أن تكون عملية تصون ثقافتنا الحرة النقية من فتك تلك الثقافات المنحلة الغازية ... وتحول بين شبابنا وبين التردى في حمأة هذه الأوبئة الوافدة ، تلك الأوبئة التي تنزلق بهم إلى المراهقة الرخيصة التي تمتص رحيق العافية من جسومهم ... وتتركهم أحطابا جافة أو هياكل محطومة ... أو تجرفهم الى تيارات الالحاد والتبعية .

ولن نكون مبالغين اذا قلنا : أن كثيرا من الشباب فعلا قد تأثر بهذا الوباء الوافد ... فأصبح سفيرا فوق العادة لتقاليد الغرب ، أو أسيرا لمذاهب الالحاد ..

وهؤلاء يتحولون على مر الزمن ـ إن لم نفطن لهم ـ إلى فئات من المتربصين الذين ينتهزون الفرص للانقضاض على أمن الوطن أو إذاعة البلبلة بين فئاته وطوائفه !!

لابد إذن من خطة أمن ثقافي نتوفر عليها جميعا ونخطط لها بالعقل الذكي ، والفكر المستنير ، لكن نؤمن عقيدتنا ونرعى تقاليدنا ..

ولن تكون خطة الأمن الثقافي **أقل شأنا من خطط الأمن السياسي ـ أو الأمن الغذائي ـ أو الأمن الاجتماعي** ... تلك التي برزت في هذه الأيام وطفت على السطح ، واحتلت مكان الصدارة في عالمنا النامي ، لان الأمن الثقافي في الواقع **هو صمام** الأمن لما عداه من انواع الأمن ، فإن الثقافة متى استقامت أمكن أن تدبر الغذاء ، وتصلح السياسة ، وتنهض بالمجتمع ، وفي ثقافتنا الاسلامية من عناصر الخير ما يدرأ خطر الهزات الاجتماعية ، ويبعد شبح التطرف السياسي ويلزم الأمة كلها بطاعة أولى الأمر الصالحين ... كما

أن العمل والكفاح والحركة سمات بارزة في ثقافتنا الاسلامية ... لتحقيق مبدأ الاستخلاف في الارض .

إن الأمن الثقافي هو قاعدة البناء ، وأساس التربية ، ونقطة الانطلاق ... وهو أولى أن نوليه اهتمامنا ونضعه في مكان الصدارة .

فما وسائل ذلك الأمن ؟

نحن نكذب على أنفسنا إن زعمنا أننا نستطيع أن نلوذ بالعزلة في عصر الانفتاح الثقافي والعلمي ... بل إن هذا مسلك يدعو إلى الانتحار ... لأن طبيعة ثقافتنا تأبى العزلة ولقد أرادت الرهبنة في العصور الوسطى أن تعزل نفسها عن العالم فاختنقت ثم ماتت ... لانها سلكت طريقا يجافي الطبيعة ويخاصم الحياة ..

وإذا كان تصور العزلة ممكنا في العصور السابقة فإنه اليوم مستحيل ، فقد غدا العالم كتلة واحدة بفعل وسائل الاعلام ، يتأثر بعضه ببعض وينقل بعضه عن بعض -

على ان من خصائص ثقافتنا عبر العصور **انفتاحها** على ثقافات العالم من حولها تأخذ وتعطى وهي خاصية كفلت لها النماء المطرد والازدهار الدائم وضمنت لها بقاء متجددا ، وبهذا أخذت وأعطت .. وكان عطاؤها سخيا متميزا .. وبهذا لا تعيش في عزلة عن تجارب البشر - وليس كل ما عندنا صوابا وما عند غيرنا خطأ ... كلا ... فهناك النافع المثمر من تجارب الغرب وعلومه ... الذي لا يتناقض مع طبيعتنا ولا مع عقيدتنا .

وبهذا المقياس اخذنا التجارب الحية النافعة - وأعطينا ما لدينا من تجارب ... فلم نحتكرها لانفسنا ولا بخلنا بها على غيرنا ... وهل الحياة إلا اخذ وعطاء ؟!

وبهذا التجاوب المستمر لم ننفصل عن الحياة ولم نعش منعزلين عن العالم من حولنا ... إن ثقافتنا واعية بصيرة ... تأخذ وتدع ... لا تصد عن تجارب البشر بالتعصب - ولا تبخل عليها بالعطاء .. وقديما أعطينا فسخونا في البذل ، والعالم كله يعرف كيف أسهمنا بثقافتنا في صنع حضارة ربانية - ومدنية فاضلة تقومان على الحق والعدل ، وتحرران الضعفاء من بطش الاقوياء ... وتعطران الحياة بأنسام الحرية ... وتسهمان في بناء عالم افضل - وما تزال اوربا تنعم بثمرات حضارتنا وثقافتنا حتى اليوم ..

ماذا نأخذ وماذا ندع من ثقافات الأمم الاخرى ؟

نأخذ تجارب الحياة ، وفروع المعرفة ، ووسائل العلم التجريبي ، ومناهج البحث الدقيق ... وهذه ثمرات من عطائنا السابق لتلك الامم - فهي إذن بضاعتنا ردت الينا .

إن الابتكار في شئون الحياة مدنيا وعسكريا واقتصاديا لابد ان ننتفع به

ونستفيد منه ... أما ما يتعارض مع اصول عقيدتنا وقواعد ديننا أو يتناقض مع تراثنا وشخصيتنا فإننا نرفضه كما رفضنا فنون النحت لأنها تنطوى على فكر وثني !!

إنه إذن أخذ بصير يعتمد على النقد ويخضع للتمحيص ، وليس نقلا عشوائيا بلا تبصر ولا روية ... وليس غريبا ان تأخذ ثقافة عن ثقافة بهذه المعايير .

يقول الاستاذ العقاد : إنه لا يطلب إلى أمة ان تبتدع ثقافة جديدة ، ولا يعاب عليها ان تحج إلى المعرفة حيثما وصلت إليها ، وإنما يعاب عليها ان تنطفىء شعلة الثقافة في يديها ـ وان تنقطع عن السلسلة .

ولقد امتازت امتنا عبر العصور بالاستيعاب الحضاري ... الذي ينقل ما ينفع ويدع ما يضر ـ ويتحكم في مقدار الجرعة الثقافية التي يأخذها ـ كما يتحرى عن المصادر حتى يكون على بينة فيما يأخذ ـ وفيما يدع ... وقد استثمرت كل ذلك في اقامة حضارة رائعة تتمازج فيها عناصر شتى ـ ولكن الطابع الذي **يسودها هو الطابع الاسلامي** . لانها صقلته بميسمها ، وصهرته في بوتقتها ، ومزجته بذاتها فغدا عربيا اسلاميا ... ليست فيه شوائب... ولا تخاليط ..

ولم يحدث يوما ان ارتفعت أمتنا الى المستوى الذي يحجب عنها الأخطاء ، ولم تهبط إلى المستوى الذي يجعلها ترفض النافع الجميل ..

وقد كانت في هذا النقل تتهدى برسولها ... وتسترشد بعقيدتها .. فقد منحها الرسول الكريم تجربة النقل **الثقافي والحضاري** بمعيار **الاسلام ومبادئه** ، فقد قبل من قيم الجاهلية وترك ـ **وأخذ منها** ورفض ، وقال على باب الكعبة : [ألا إن كل مأثرة ، أو دم ، أو مال يدعى ... فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة الكعبة ، وسقاية الحاج ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء ... فكلكم لآدم ، وآدم خلق من تراب] .

إن النقل من غير تمييز جهالة ومعرة ، والاعراض الجاهل جمود ومضرة ... وبين هذين المسلكين طريق تتسابق فيه الخطى ، وتجد العزائم ، وتخصب الثقافات .

إن الرسول عليه الصلاة والسلام ـ وهو القدوة في هذا المقام المعقد ـ لم يصد عن التجارب النافعة ، ولم يعصب عينيه عن خبرات العالم من حوله .

ففي طبقات ابن سعد عند الكلام على وفد ثقيف ـ ذكر ان عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة لم يحضرا حصار الطائف لأنهما كانا بجرش (في مهمة عسكرية) يتعلمان صناعة العرادات ، والمجانيق والدبابات .

ونجد في هديه صلوات الله وسلامه عليه قاعدة واضحة المعالم لما نأخذ وما ندع ... وهي قاعدة مرنة تتسع لما يجد في الحياة من وسائل ، وادوات

حضارية ... كما تتسع لنظريات نستفيد منها وننتفع بها تلك هي قوله صلوات الله عليه : [إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم] .

وهي معالم ندرك بإحساسنا انها من مقومات ديننا او دنيانا ... فهذه ينبغي أن تظل سليمة الجوهر ... لا نمسها ، ولا نأخذ عن غيرنا ما يصادمها أو يتناقض معها ... وقد سماها الرسول صلوات الله عليه (معالم) لانها واضحة جلية وبهذا نقبل على ما ينفع ، ونذر ما يضر ـ ونبنى حياتنا الثقافية على اساس بصير يقظ .

كيف السبيل الى تحقيق الامن الثقافي ؟

هنا نقول : إنه لا مناص من تركيز العقيدة في نفوس شبابنا ، وتوضيح معالم الدين التي هي المعيار في هذا المجال لما نأخذ وما ندع ، والاهتمام بأداء العبادات ، والفهم الصحيح لجوهر هذا الدين الذي اكرمنا الله به ، والارتباط بالقرآن الكريم والسنة المطهرة ـ وحفظ ما يمكن حفظه منهما ... فهذه الوسائل درع واق لشبابنا من الانزلاق ، وقاعدة رصينة تتكسر عليها سهام الغزو الفكري والثقافي ... ومعين لا ينضب من الخير ... يعين الدارس في بلاد الغرب على قوة الانتماء ، ويحميه من بوائق السوء ..

وبهذه المناسبة اؤكد على معنى خطير ... هو أن تربية الشباب على الدين لابد ان تتم بوعي وإدراك وتخطيط دقيق ... حتى تحبب ابناءنا في دينهم ، حين يجدون فيه حلا لمشكلاتهم ، وعلاجا لأرواحهم ، فالقضايا الحية ، والمشكلات المعاصرة ، وبخاصة ما يرتبط منها بالشباب يجب ان يكون لها المقام الأول .. وأسلوب التوعية ينبغي ان يكون جذابا مشوقا ... مبنيا على اسس علمية .

أما ان تتم المواعظ كيفما اتفق مادة وأسلوبا وموضوعا فذلك هو التنفير بعينه ... **كذلك ينبغي** الابتعاد عن اساليب **التشدد والتصعب** وتناول الأمور بالرفق الذي هو سمة هذا الدين ، بهذا نضمن لشبابنا ثقافة رائدة منيعة ... تصمد في وجه التحديات الفكرية المعاصرة ... وتقف كالطود امام موجات الالحاد الوافد من الخارج ، او النابع من الداخل .

ثم إنه مع ما مر لابد من الحيطة والحذر من أن يتسرب المنحلون والمنحرفون الى مراكز التوجيه فيسيئوا إلى حياتنا الثقافية ... بما يعتنقونه من مذاهب الفجور والالحاد ... ويلحقوا بشبابنا ابلغ الضرر **يقول مسيوشا تلييه الفرنسي** واضعا الخطة التي يسهل معها القضاء على الاسلام داخل حصونه : « لاشك ان إرساليات التبشير تعجز عن نزع العقيدة الاسلامية من نفوس منتحليها ـ ولا يتم ذلك الا ببث الافكار عن طريق وسائل الاعلام » .

ويرى مستر جب ان الصحافة الاوروبية هي اقوى الأدوات الاوروبية وأعظمها نفوذا في العالم الاسلامي ، لان مديري الصحف من (التقدميين) ومثل ذلك ادوات التوجيه التي تصنع الرأي العام .. يجب ان يلي امرها تقدميون يعرفون كيف يوجهون الحركة الثقافية ..

ولاشك ان التقدميين عند جب هم جماعة المنحلين الذين يتحمسون للغرب وثقافته كيما يدمروا التقاليد والقيم التي يؤمن بها مجتمعنا .

كما ان الاهتمام بانتقاء المعلمين والموجهين من الصفوة المؤمنة التي تتسم بالغيرة على عقيدتها ودينها امر واجب ... حتى نأمن على ثقافة اولادنا داخل قاعات الدراسة.

وانتشار التعليم الديني ... وكثرة معاهده عامل من عوامل مقاومة الغزو الثقافي ... ولذا اهتم مستر (جب) بتحطيم هذه المعاهد ... وسمى اصحابها الرجعيين ـ وأكد على إطفاء سحر القرآن لتنطفىء الثقافة الاسلامية التي هي مناط الامل في تلك الأجواء المشبوهة .

استمع إليه يقول : [ان المعاهد الدينية ما تزال قائمة ، وإن حفاظ القرآن ودارسوه لم ينقص عددهم ، ولم يضعف سحر آيات القرآن وتأثيرها على تفكير المسلمين ، وإنه ليجب قبل كل شيء ان تزول تلك المعاهد لتنطفىء جذوة الثقافة الاسلامية ، ويقضى التطور لبانته » .

فليتنبه المسلمون الى ما يراد بهم وبأبنائهم .. وفي هذا بلاغ .

أعلام

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

« أرحم أمتى بأمتى أبوبكر ، وأشدهم في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أبى بن كعب ، وأفرضهم زيد ابن ثابت ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » .

الصّراع بين العقل والغرائز

للاستاذ / محمد رجاء حنفي

إن الانسان بطبيعته التي خلق عليها يجمع بين عدة غرائز مختلفة ولولاها لما استطاع أن يظل في هذه الحياة ويبقى بشخصه وجنسه في معركة تنازع البقاء مع الطبيعة ، ومع الحيوانات . ومع بني جنسه ، وهكذا قضت حكمة الخالق تبارك وتعالى بأن تجهز الانسان بهذه الغرائز .

فلولا غريزة البحث عن الطعام لكان مصير الانسان الى الهلاك ، والموت جوعا ولولا غريزة المحافظة على النسل وبقاء النوع لكان مصير الجنس البشري الى الفناء والانقراض .

ولولا غريزة الادخار للغد المجهول لم يكن هناك سعي في طلب الرزق ولم يكن هناك كسب ، ولاحذر .

ولولا غريزة حب الظهور لم يكن هناك تنافس في احراز القوة والتمسك بالفضيلة ومكارم الأخلاق .

ولولا غريزة الغضب والمقاتلة لم

يكن هناك دفاع عن الحياة وعن الذات والعقيدة والوطن والأبناء ، وما الى غير ذلك .

ولولا غريزة حب الاستطلاع لم تكن هناك اكتشافات وما وجد العلم ولا التقدم الحضارى والازدهار .

الغرائز قد تكون خيرا أو شرا

ان الغرائز التي تسلح بها الانسان لخيره وخير المجتمع الذي يعيش فيه قد تنقلب الى شر على الفرد وعلى الجماعة ، وذلك حين تترك جامحة لا يقيدها العقل السليم ولا يحدها الدين القويم بقيود من الأخلاق تحدد الخير والشر ، وتضع النظم والضوابط التي يسير على هديها الأفراد .

ومن هنا فقد تصبح غريزة البحث عن الطعام شرها وبطنة وأنانية .

وغريزة المحافظة على النسل وبقاء النوع زنا ، وفسقا وعدوانا على أعراض الآخرين .

وغريزة الادخار والاقتناء طمعا وشحا وسرقة .

وغريزة حب الظهور خيلاء وكبرا وغطرسة وعلوا في الأرض واستكبارا .

وغريزة الغضب والمقاتلة جنونا وسفكا للدماء .

وغريزة حب الاستطلاع تجسسا وبحثا دنيئا عن عيوب الناس ومساوئهم وتتبعا مشينا لعوراتهم ونقائصهم .

ومن هنا كانت المعركة بين العقل والغرائز وعلى قدر السيطرة والتحكم تكون النتائج واضحة المعالم على مدى التجارب الانسانية ، وتتحدد بالتالي مكارم الأخلاق التي تواضع الأفراد عليها للتوفيق بين الغرائز ، والحاجات الفردية وحاجات المجتمع .

ولم يكن العقل هو المنتصر دائما في معركته مع الغرائز لأن الغرائز خلقت في الانسان بكل قوتها ومتساوية في جميع الافراد فالطفل عندما يولد ، يولد ومعه غرائزه ، والتي تتكشف كلها في دوري الطفولة والصبا بكافة مظاهرها بينما العقل يكون في دور الطفولة شبه معدوم ، وفي دور الصبا كالمتخبط بين الظلام والنور لأن العقل لايتكامل الا تدريجيا مع التجارب الطويلة التي يمر بها الفرد وتعيشها المجتمعات .

ولذلك فإنه لاتتحقق المساواة بين العقول في الأفراد ولا بين الأجيال المتتالية ، فكان من الطبيعي أن يوجد الاختلاف في العقول ، وكان لا بد من عون السماء لوضع النظم وتحديد مكارم الأخلاق ومساوئها فنزلت الكتب السماوية قبل القرآن الكريم محددة أنواع السلوك ، وواضعة الضوابط لحفظ المجتمعات .

الحاجة الى وجود الشريعة الاسلامية

ان الانسانية في عصورها الأولى كانت غير مهيأة بعقولها وتجاربها لادراك حدود الحق ، والعدل والخير ادراكا كاملا ، وكانت بالتالي عاجزة عن تحديد مكارم الأخلاق ومساوئها تحديدا منضبطا ، وكانت الشرائع السماوية السابقة تتولى هذا التحديد

بأوامرها ونواهيها على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام فترة بعد فترة .

وعندما وصلت الانسانية في التطور والتكامل الى الحد الذي تستطيع معه ان تعتمد على عقولها ، وتتمكن من معرفة الحق ، والعدل ، والخير ، انزل المولى تبارك وتعالى آخر كتبه على آخر رسله صلوات الله وسلامه عليه ، وجعل للعقل بمقتضى هذه الشريعة الأخيرة السلطان الأعلى ، في إدراكه حكمة ما حدده القرآن الكريم من المبادىء العامة ، لخدمة الحق ، والعدل ، والخير ، ومكارم الأخلاق ، وفي مراعاة هذه الحكمة على اساس تلك المبادىء فيما سيصادف البشرية من وقائع وأحداث .

وهذا السلطان العقلي الذي امر المولى تبارك وتعالى بالاحتكام اليه في كثير من آيات القرآن الكريم هو سلطان شامل ومطلق يتناول بسلطته كل معنى في الوجود ابتداء من فهم ابسط الأشياء كإماطة الأذي عن الطريق ، الى فهم اعظمها وهو معنى الألوهية يقول المولي تبارك وتعالى « **وهديناه النجدين** » سورة البلد الآية/ ١٠ . ويقول عز وجل « **إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا** » سورة الانسان الآية /٣ ويقول سبحانه وتعالى « **ونفس وما سواها.فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها** » سورة الشمس الآية ٧ — ١٠ .

الشريعة الاسلامية اساسها المعرفة

إذا كان العقل السليم هو طريق الاهتداء الي العقائد الحقة ، والمنهج السليم ، بادراك معنى الخير والشر ، والحق والباطل ، والحسن والقبيح ، فان للدين دورا كبيرا ، وعلى جانب عظيم من الأهمية ، في تقرير هذه المعاني المثالية ، وتحقيق الحياة الفاضلة ، واحاطتها بالثواب والعقاب ، لأن العقل وان كان من صفاته التمييز الا انه في حاجة الى نور خارجي يهتدي به ، ويظهر له الأمور على ما هي عليه في الواقع ويقيه شر الانحراف ويبعده عما ركن اليه من الأهواء والشهوات والأباطيل .

ومن هنا كانت الشريعة الاسلامية شريعة واقعية اساسها المعرفة ، تلك المعرفة التي تعتمد اساسا على العقل ، ولا تنعزل عن الواقع الحسى ، لأن جميع المدركات العقلية عنده تستند الى المدركات الحسية ، إذ أن علم الانسان ليس مصدره العقل فحسب ، بل العقل المعتمد على المشاهدة الصحيحة والاختبار ، فالعقل لايستطيع ان يقوم بوظيفته من التفرقة بين الأمور الفاضلة وغير الفاضلة ، والشؤون الضارة والنافعة ، الا اذا ارتكز على امرين اساسيين ، هما .

١ ـ المعارف بجميع فروعها .
٢ ـ التجارب على اختلاف انواعها .

ومن أجل هذا حث الاسلام على وجوب طلب العلم ، يقول المولى تبارك وتعالى: «**قل هل يستوى الذين**

يعلمون والذين لا يعلمون » سورة الزمر : الآية/ ٩ فلا بد للباحث عن الحقيقة من النظر والتأمل،واذا هدى الى مايرى أنه الحق فإن عليه ان يستهدف ما وراء ذلك من فائدة مرجوة ، ومنفعة تحفزه الى العمل وهي الحكمة التي ذكرها المولى تبارك وتعالى في قوله « **يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا** » سورة البقرة : الآية/ ٢٦٩ .

وإذا كان العلم يمد الانسان بمفاهيم ومعارف يزوده بها ، فان الحكمة تحقق الى جانب ذلك الكشف عما وراء العلم من خير ، وما يحققه للفرد والجماعة والأمة من فائدة فهي بمعنى الفلسفة العملية لمعرفة النظريات العلمية والمفاهيم النظرية ، يقول المولى سبحانه جل شأنه : « **هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** » سورة الجمعة الآية/ ٢

إن الشريعة الاسلامية وهي تدعو الى التدبر وإعمال الفكر تتوجه بالخطاب الى العقل البشري وهي تسوق الأدلة وتوضح الفائدة والحكمة في كل ما تأمر به ، والأضرار والأخطار في كل ما تنهى عنه . ليكون سلوك الانسان في حياته عن حرية واقتناع ، وعلى ضوء المعرفة ، حتى لا يكون اشبه بآلة صماء فيتعطل عقله وينسلخ بذلك من بشريته ، ويتجرد من آدميته ، يقول الله عز وجل في هذا الشأن « **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** » سورة الأعراف الآية/ ١٧٩ .

حرية الانسان حق وضرورة

إن حرية الانسان حق طبيعي له ، وضروري ضرورة الماء والهواء لحفظ حياته ، وحقيقة بديهية اقرتها آيات القرآن الكريم ، فالواقع الطبيعي للانسان أنه خلق حرا ، فهو عندما يتنفس يتنفس بحرية وبدون مانع ، وعندما ينظر ينظر بحرية وبدون عائق ويحرك يديه ورجليه بحرية ليسعى لكسب قوته،ويفكر بحرية ليأخذ بالنافعات ويتجنب المضرات .

وحكمة المولى تبارك وتعالى تقضي بأن تكون للانسان هذه الحرية في التفكير ، لأن تعطيل حريته في التفكير يتناقض مع مصلحته في الحياة ، ويتناقض مع معنى العبادة التي خلق الانسان من أجلها يقول المولى تبارك وتعالى « **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** » سورة الذاريات الآية/ ٥٦ ـ ويتناقض مع التكاليف التي امرنا عز وجل باتباعها . يقول جل جلاله « **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول** » سورة المائدة الآية/ ٩٢ . ـ وخاصة في اتباع مكارم الأخلاق واجتناب مساوئها .

والله عز وجل الذي خلق الانسان حرا في تفكيره لم يكرهه على ان يؤمن به ، ويعبده ويلتزم بأوامره ونواهيه

أكراها آليا ، لأن معنى العبادة الحقة ومعنى التكليف المعقول لايتلاءمان مع الاكراه الآلى الذي يجعل عقل الانسان من حديد في آلة متحركة لا حرية لديها ولا إرادة .

وهذا هو ما قرره القرآن الكريم حين قال تأكيدا لكرامة الانسان ، وتعظيما لشأن العقل ، الذي وهبه المولى تبارك وتعالى للانسان وأنعم به عليه « **لا إكراه في الدين** » سورة البقرة الآية/ ٢٥٦ وحين قال للمصطفى صلوات الله وسلامه عليه « **ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** » سورة يونس : الآية ٩٩ فالاستفهام في الآية الكريمة استفهام إنكارى .اي لاينبغي لك أن تكره الناس حتى يدخلوا في دينك .

ويقول مخاطبا رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم « **فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ** » سورة الشورى آية/ ٤٨ .

الغرائز والعقل وحرية الارادة

لقد صدق المولى تبارك وتعالى حينما قال « **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. ثم رددناه أسفل سافلين. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** » سورة التين الآيات (٤ ـ ٦) لأن الانسان مخلوق فعلا في أحسن تقويم .

وهذا التقويم الأحسن والأكمل انما يقوم على هذه العجيبة الجامعة بين الغرائز والعقل وحرية الارادة ، وما كان المولى تبارك وتعالى الذي خلق الانسان ليعبده ، أن يجعله على غير هذه الصورة المركبة والتي بدونها لايستقيم معنى العبادة ، يقول المولي جل شأنه « **يا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم . الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ماشاء ركبك** » سورة الانفطار الآية ٦/ ٨ ، فلو خلقه بلا غرائز وبدون شهوات ومن غير رغبات لتلاشى وجوده ،ولو خلقه بلا عقل لتردى في المهالك،ولو خلقه بلا حرية لأصبحت عبادته بالاكراه ولفقدت العبادة معناها .

والخالق سبحانه وتعالى عندما يذكر خلق الانسان في احسن تقويم ثم يذكر رده في أسفل سافلين ، ثم يستثنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، انما يعبر عن هذا العراك بين العقل والغرائز وحرية الارادة .

إن الشريعة الاسلامية تعتمد كل الاعتماد على العقل السليم في جميع أحكامه ، وفي كل توجيهاته وتفتح امامه آفاقا بعيدة للتطلع والنظر والبحث ، وتكشف له جوانب الحياة ، وتدفعه الى الابتكار والتجديد ، وأطلقت له حرية البحث التي تعد مفخرة من مفاخر الاسلام وميزة يمتاز بها على غيره من الأديان .

فالانسان وقد تسلح بالعقل ، وزود بالمعرفة القائمة على الحجة والبرهان ، وانفعل بما علم ، فهو بعقله حر في تصرفه ، مستقل في تفكيره لا تؤثر فيه

المؤثرات ولا تنال منه الحادثات فهو بعقله وفكره فوق الزمان والمكان والأحداث والمؤثرات .

وفي هذا تأكيد من الشريعة الاسلامية على حرية الانسان في تفكيره وعقله ، وسلوكه واختياره وتركه يدبر شؤونه على عين منه ومن هديه ، سواء في ذلك ما يتعلق بأمر دنياه او أخرته ،يقول المولى تبارك وتعالى :

(فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) طه ١٢٣ ـ ١٢٦

إن مشكلة الأخلاق نشأت وتنشأ على الدوام من هذه المعركة المستمرة بين رغبة الغرائز ورغبة العقل ، وجعل الانسان حر الارادة بين هاتين الرغبتين ، وعن هذه الحرية يعبر القرآن الكريم اوضح تعبير وأدقه ، حيث يقول تبارك وتعالى « **بل الإنسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره** » سورة القيامة الآيتان ١٤و١٥ .

ومن هنا كانت مشكلة مكارم الاخلاق ومساوئهاومن هنا تولت الشريعة الاسلامية بيان تلك المكارم ومساوئها ووضعت قواعد التربية الاخلاقية الصالحة ومبادئها .

ان المبادىء الأخلاقية في الشريعة الاسلامية لها اثر بعيد المدى في السلوك الاجتماعي ، وبها تقوم قواعد الحق . والعدل والخير ، وكلها من سبل الايمان ، والتقرب الى المولى تبارك وتعالى،وكلها لبنات في صرح البناء الاجتماعي السليم الذي يقوم على الضمير الحي والاخلاص في العمل والقدرة على الانجاز بالكفاية والعلم وتحكيم العقل .

قدرة الله

○ يقطع الدم في مجراه في الشرايين يوميا مسافة ١٦٨ مليون ميل .
○ القلب يخفق يوميا أكثر من ١٠٣ آلاف خفقة .
○ يتنفس الانسان يوميا أكثر من ٢٣ ألف نفس .
فسبحان الخالق العظيم .

خطر الزواج

ما أكثر المشاكل الاجتماعية المطروحة في واقع العالم الاسلامي ، مشاكل تحدق به وتعمل بشكل أو بآخر ـ على شده الى الوراء وتساهم في تكريس الأزمة وشد الخناق ، وقد اضحى التصدي لها ومحاولة علاجها أمرا محتما من أجل تسهيل عملية الدعوة الاسلامية وتوسيع مجالاتها الرحبة .

ولعل من أبرز هذه المشاكل مشكلة الزواج بالأجنبيات وجدير بنا ان نسميها مشكلة لأن آثارها ونتائجها السلبية قد أساءت الى الأسرة الاسلامية وحملتها ما لا تطيق مما يجعل الحديث عنها اليوم وقيام الكتاب والعلماء والتربويين بواجبهم إزاءها مما يجعل ذلك قضية يقتضيها البحث العلمي ويفرضها الحوار والمناقشة الهادفة والتوجيه السليم .

وبما أننا نثير هذه المسألة في ظل الفهم الاسلامي وتوجيهه التربوي فإننا سنحاول في البداية أن نتوقف عند موقف الاسلام من الزواج بالأجنبيات، فالأجنبية في نظر الاسلام إما أن تكون مشركة أو كتابية فأما المشركة وهي التي تعبد الأوثان فقد حرم الاسلام الزواج بها قال الله تعالى « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم » سورة البقرة الآية/ ٢٢١ .

من الأجنبيات

الأستاذ / عبدالعزيز بغداد

وأما الكتابية من اليهود والنصارى ، فقد أجاز القرآن الكريم الزواج منها تبعا لنظرة الاسلام لأهل الكتاب ومعاملته الخاصة لهم لأنه يعتبرهم أهل دين سماوي وإن حرفوا فيه وبدلوا فكما أباح مؤاكلتهم أباح كذلك مصاهرتهم بزواج المسلم من نسائهم فقد جاء في القرآن الكريم : « **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولامتخذي أخدان** » سورة المائدة الآية/ ٥ .

وهذه لفتة أخرى من تلك اللفتات التي يمتاز بها الاسلام في إظهار التسامح الذي قل أن يوجد له مثيل في الديانات الأخرى ، لقد أباح الاسلام للمسلم أن تكون الكتابية زوجته وربة بيته وسكن نفسه وأم اولاده .

وهذا كله رغبة في خلق مجتمع عالمي يتحقق فيه حسن التعامل والتساكن وتبادل المصالح والمنافع لكن الاسلام في نفس الوقت ورغم هذه الاباحة يرى أن المسلمة المتدينة الحريصة على دينها خير للمسلم من مجرد مسلمة بله الكتابية والرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا ذلك فيقول «فاظفر بذات الدين تربت يداك » كما في صحيح البخارى وهذا توحيه من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الى التشبث بما هو أولى .

ويمكن القول بأن القرون الأخيرة التي بسط فيها الاستعمار نفوذه على العالم العربي والاسلامي فاستطاع ان يقذف في هذه المجتمعات ألوانا من الثقافة رسبت في النفوس أحكاما على المجتمع وافكارا قبلت على أنها مسلمات ساعدت على انتشار ضباب فكرى ظل ينمو ويتعمق حتى زحزح الكثيرين عن الأصالة وعن القيم وأوقعهم في خلط كبير فكم من أشياء درست على أنها من الدين فإذا محصناها وجدنا أنها هراء أو جنوح فردى محدد أو تفكير ضيق ، وحرام

أن نحبس أمة ضخمة كالأمة الاسلامية في تفكير ضيق بعيد عن جو وأصالة الدين الاسلامي .

لقد كان من بين ما روج له الاستعمار في قلب المجتمع العربي والاسلامي ان الفتاة العربية والمسلمة جاهلة متخلفة لا تعرف من السلوكيات العصرية شيئا فهي غير أهل لأن يشركها المثقف في حياته ، وهذه قضية تحتاج الى تمحيص فعلى فرض أن المرأة العزبية قد عانت من ذلك فيما سبق فان هذا كان نتيجة ظروف صعبة وقاسية لم يكن الاسلام فيها هو السبب بل كان الاستعمار وتخطيطاته هو السبب

ورغم هذا - ورغم ذلك الوضع الخانق فقد حققت المرأة العربية المسلمة ماعجزت عنه المرأة غير المسلمة في مثل هذه الظروف : لقد كانت المرأة العربية والمسلمة أما وأختا لمئات الشهداء الذين ردوا للعالم الاسلامي اعتباره واشعروه بضرورة انتصاره .

وإذا كان بعض شبابنا يفضلون المرأة الاجنبية ويتخذونها شريكة لحياتهم فلأنهم ومع الاسف الشديد لا اختيار لهم فقد اختلط عليهم الجوهر والشكل واصبح الشكل هو الشبح المسيطر على أذهانهم فسقطوا بين مخالب الاغراء .

إن هناك جموعا من الشباب العربي الاسلامي ينعم عليهم مجتمعهم وذووهم ووطنهم ويقتطعون من طاقاتهم وعرقهم وقوتهم ويدفعون بهم الى ساحات العلم والمعرفة في الخارج خدمة لهم ورغبة في الارتقاء والنماء والاغتراف من علوم الغرب ثم يعود هذا الشباب من مهاجره بنواة غريبة عن ارضه وعن أصالته زاعما أنه سيساهم في بناء الوطن ناسيا أن عملية البناء تعتمد على الأصالة والصيانة والانسجام الأسرى وتوافق الأمزجة .

ونستطيع أن نؤكد - مع الكثيرين - ان الاقدام على التزوج بالأجنبيات عملية خاسرة وخطأ بين ، وكما يقال فإن الخطأ لا ينتج الا خطأ . كيف ذلك

إن الذين يعودون بهذه النواة يشعرون انهم يعيشون منفصلين غرباء عن مجتمعهم وعن أهليهم يحيون حياة تمزق نفسي وجمود ذهني واضطراب روحي بعيدين عن الطمأنينة والهدوء والرضاء وهذه هي أهم عوامل الاستمرار والخلق والابداع،وكنتيجة لذلك فإن هذا يدفع بهم الى البحث عن غرباء أمثالهم ، ليكونوا فيما بعد فصيلة لا تفيد المجتمع الذي كونهم ولا تحس مشاكلهم وهمومهم وليس لها من التطلعات والآمال ما لغيرها من فصائل المجتمع الآخر .

ونحن نناقش هذه المسألة فكأننا نستمع الى من يقول « لا يجوز أن نغالي في إنكار هذا الزواج فقد دلت التجارب ان بعضه كان ناجحا لأنه انبنى على عاطفة وإلفة من شأنهما أن يتيحا نوعا من الانسجام والعطاء المثمر »

وكرد على ذلك نقول إن عنصرين مختلفين لا يمكن ان ينصهرا في بوتقة واحدة حتى ولو كانت هذه البوتقة

تقوم أساسا على العاطفة، فالعربي المسلم من نسيج عملت ظروف عديدة دينية واقتصادية وثقافية واجتماعية على تكوينه وإعطائه مميزات خاصة في حين ان الغربي من نسيج آخر ، ولقاء هذين ضمن أطار الثقافة والفن قد يكون ممكنا لكن لقاءهما ضمن بيئة مشتركة او ضمن أسرة واحدة من أجل تكوين وتنشئة أجيال في حالة سوية موحدة الشخصية والفكر والنظرة ، شيء غير ممكن .

ذلك أن ثمة عوامل تاريخية وتقاليد وتصورات للأشياء والقيم والمستقبل كل ذلك يحول دون الوصول الى الهدف بالصورة التي يرتضيها المجتمع العربي الاسلامي على ان أخطر ما في هذه المعضلة هو قضية الابناء الذين ستفرزهم هذه العملية هذا الجيل من المواطنين الذين يطلع نصفهم صالحا ونصفهم خاسرا نصفهم محمد ونصفهم جورج ، على حد قول الشاعر الامين العمودي وهو يداعب صديقا له متزوجا بأجنبية .

حيوا الحكيم ولا تنسوا قرينته
فهو سليمان والمدام بلقيس
له غلام اطال الله مدته
تنازع العرب فيه والفرنسيس
لا تعذلوه اذا ما خان أمته
فنصفه صالح والنصف موريس

نعم إنه جيل ممزق يعيش حياته في صراع كبير نتيجة تصورات تربوية يخضع لها هذا الجيل من الأطفال : ذلك ان الأم الأجنبية التي أنجبتها بيئة معينة قولبت نظرتها للحياة والقيم والاشياء ان هذه الام مضطرة بفطرة الامومة - ان تأخذ بأيدي اطفالها وتعطيهم - عن وعي او عن غير وعي كل ما لديها ولا يمكن ان تعطيهم غير ما ترسب في فكرها وفي نفسها من جراء التربية التي تلقنتها في مجتمعها الغربي وكأني مرة اخرى بمتدخل في المناقشة يطرح المسألة هكذا :

ولكن ثمة دور للأب في تصويب الامر وتوجيه العملية .

وببساطة نؤكد ان دور الأب في التربية الأساسية وفي السنوات الأولى من حياة الطفل دور محدود الفعالية اذا ما قيس بدور الام وبما تغرسه في نفوس اطفالها في هذه المرحلة الشديدة الاهمية تربويا ونفسيا واجتماعيا ودينيا .

والاب في هذه المرحلة لا يألف البيت كثيرا بحكم المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي انه يعيش أكثر وقته خارج البيت .

ان قضية الزواج بالاجنبيات لم تعد قضية شخصية بل انها قضية غدت تمس في أبعادها وجوهرها - صميم المجتمع الاسلامي ودعائمه وتمس كل القيم التي ينطلق هذا المجتمع الآن في إرسائها من جديد .

ومما يريح النفس والفكر ان الشعور بخطر هذه القضية موجود تتحدث عنه الاوساط ويلقى اهتماما لدى الباحثين وعلماء المسلمين الذين مافتئوا يقذفون في روع الشباب انه اصبح من واجبه ان يستبرىء لدينه ويتجنب هذا الخطر وتكاد كلمة

العلماء المحققين تتفق على انه اذا كان عدد المسلمين الذكور قليلا في بلد مسلم فالراجح أنه يحرم على رجال هذا البلد الزواج بغير المسلمات لان زواجهم بغيرهن يعتبر قضاء على مئات المسلمات او على فئة غير قليلة منهن والحكم عليهن بالبوار والكساد وفي هذا ضرر محقق على المجتمع المسلم ، وهو ضرر يجب ان يزول بتقييد هذا المباح او تعليقه الى حين كما يقول الدكتور يوسف القرضاوى في كتابه : « الحلال والحرام في الاسلام »

اننا عندما اقدمنا على تحرير هذه السطور لنذيعها بين القراء قصدنا تحميس جهود العلماء في البحث والتنوير فإننا من حيث المبدأ لسنا ضد فكرة التقاء الشعوب ببعضها بل العكس هو الصحيح فالاسلام كرسالة وكقيم هو الدين الوحيد الذي احتضن كل اهل الكتب السماوية في الوقت الذي نجد فيه ان المسيحي لا يتجاوز تفكيره ما هو موجود في الاناجيل الموضوعة ، ونجد اليهودي لاتتجاوز نظراته كلمات ممضوغة في حين ان الاسلام جاء بعدهما ولم يكتف بان احتوى العناصر الجوهرية لهاتين الرسالتين ، بل احتضن كل من يؤمن بهما فأعطى الدليل الواضح على شموليته والاسلام حينما اباح الزواج بالكتابيات كان دافعه هو خلق هذه النظرة وتحقيق هذه الشمولية وفتح المجال للتربية الصادقة في ضوء ملابسات العصر واجتهادات العلماء .

إن معضلة الزواج بالاجنبيات معضلة لاتفتأ تنخر في جسم الامة الاسلامية وتخلف ثلما واضحة في حياة الاسرة وفي مستقبل الابناء وقد بات اكيدا ان هذا الموضوع موضوع ملح وليس من الهراء او الخطابة الممقوتة ان يتجدد البحث فيه وتنظم من أجله المناظرات والندوات لتوعية الشباب وتنشئته على الاخذ بالافضل في امور دينه والانفع من العمل والانبل من الولاء

وهذه عملية دقيقة يجب ان يتم فيها تثقيف العقل وتهذيب النفس في عنان واحد ووضع ايدي الشباب على الاصول المحكمة التي استصفاها العلماء والمفكرون من التراث الاسلامي على مر الدهور .

وان خطورة هذه القضية تستحث العلماء الرواد ليجمعوا في ابرادهم خلائق الشجاعة من أجل مواجهة الحقيقة مهما تكن،ذلك أن الاقدام على شيء وان شق يفضي الى الغرض المتوخى وليثق العلماء ان سعيهم وشجاعتهم وإقدامهم وإيمانهم ومثابرتهم ستكون وراء كل اصلاح وتقدم .

الحدود

رحمة بالفرد والجماعة

للاستاذ / محمود سعيد علي

الحدود في الاسلام جزء من نظام الهي كامل انزله رب العالمين على نبيه ليكون نظاما يكفل لمن اتبعه السعادة والامان والاستقرار ، واساس الحدود في الاسلام انها ضابط يحفظ التوازن بين حقوق الفرد والجماعة معاً ، فمن حق الفرد على الجماعة تحقيق مصالحه وحفظها ، وللمجتمع الحق في صيانة كيانه من كل اعتداء او مساس وفي الحصول على حياة آمنة وادعة تتسم بالطهر والعفاف ، وجميع الجرائم التي حرّمها الاسلام انما هي من النوع الذي لو ترك وشأنه لأدى الى اضطراب المجتمع وإشاعة الفوضى والقلاقل فيه .

وينبغي ان يعلم أن الاسلام لا يعتمد على العقوبة في إنشاء الحياة النظيفة بين الناس ولا يتخذها الوسيلة الوحيدة لذلك ، وإنما يعمل على الوقاية من الجريمة ومحاربتها بالضمير الوازع والنفس المهذبة والسلوك المستقيم وتوفير اسباب الحياة النظيفة لكل الناس ، فمن ارتضى هذه

الأسباب واتخذها منهج حياته ارتقى وعز بالاسلام وسعد بالمجتمع وسعد به مجتمعه ، ومن هجر هذه الأسباب ونفر منها وسعى في الارض فسادا دون رادع من خُلُقٍ أو وازع من ضمير ، فهو كمن يتمرغ في الوحل مختارا ، وحق للاسلام أن ينزل به عقابه ليحمي المجتمع من شروره ويوفر للناس الأمن والاستقرار .

والاسلام لم يرصد عقوبة دنيوية لكل انحراف او معصية ، بل إن هناك كثيرا من الانحرافات والمحرمات اكتفى فيها الاسلام بأن أنذر مرتكبيها بغضب الله وعقابه ، وترك عقابهم الدنيوي للقاضي حسبما يراه كافيا في التأديب والتعزير ، ويتلاءم مع أثر المخالفة في المجتمع وذلك مثل الكذب والرياء وأكل الربا وشهادة الزور وخيانة الأمانات وأكل الميتة والغش في المعاملات والتطفيف في الكيل والميزان وعقوق الوالدين والغيبة والنميمة .. الخ، أما الجرائم التي أرصد لها الاسلام حدودا معينة فهي جرائم محدودة بعضها جاء به القرآن الكريم وبعضها الآخر جاء في السنة وهي السرقة ، الزنا ، القذف ، شرب الخمر ، الردة ، البغي ، الحرابة (قطع الطريق) القتل العمد ، القتل شبه العمد ، القتل الخطأ ، والعقوبة المقررة للجرائم السبعة الاولى تسمى حدا بمعنى أن العقوبة المقررة فيها هي حق لله تعالى وهي بذلك لا تقبل الإسقاط لا من الفرد المجني عليه ولا من الجماعة أو ولي الأمر اما العقوبات المتعلقة بجرائم القصاص والدية فلا تسمى حدا - عند بعض الفقهاء - لأنها حق الأفراد ، بمعنى أنه إذا عفا المجني عليه أو وليه عن القصاص او الدية سقطا .

★★★

والعقوبات المقررة في الاسلام عقوبات ملائمة للجرائم المرصودة لها ، وقد شرعت على أساس محاربة الدوافع الخاصة بكل جريمة ، فهي في الزنا الرجم للمحصن والجلد لغير المحصن وتغريب عام،وهي في السرقة القطع،وفي القذف والشرب الجلد،وهي في الحرابة وقطع الطريق كما قال سبحانه وتعالى: « **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتّلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض**) المائدة/٣٣ وهي في الردة والبغي القتل،وهي في القتل والجرح ، القصاص ، وفي القتل الخطأ الدية ، وعلة التشديد في هذه الجرائم بالذات انها من الخطورة بمكان والتساهل فيها يؤدي الى انهيار الأخلاق وفساد المجتمعات ، إذ هي جرائم رئيسية تتصل بالحياة العامة ولا

يقتصر ضررها على مرتكبيها فقط ولكنه يتعدى إلى الافراد والجماعات ، فالقتل العمد عدوان على الحياة التي اختص الله وحده بمنحها للإنسان ، فهو عدوان على حق الله ، زد على ذلك ما يترتب على هذه الجريمة من الاستهانة بحرمة الدماء وإشاعة الفتن والذعر بين الناس ، وجريمة الزنا تشيع الفوضى الجنسية في بيئة الانسان وتظهر الشخص منتكسا قذرا كالحيوان وما يترتب على ذلك من اختلاط الأنساب وإثارة الأحقاد وتهديد بنيان الأسرة،وفي السرقة عدوان على أموال الناس وحرمانهم من الاستمتاع بأمنهم وأموالهم،وقطع الطريق فيه ترويع للآمنين والاعتداء على أموال الناس ودمائهم بشكل جماعي أشبه ما يكون بالعصابات المسلحة التي تستهين بالانسان وما يملكه ، والقذف فيه تجريح للأعراض وتلويث للسمعة وإشاعة الشكوك في جو الأسر ، وتلك حالات تهدد البيوت بالانهيار ، وفي شرب الخمر سلب للعقل كما أنها تعرض شاربها للعربدة والتعدي على حرمات الناس وتحطم قوى الشباب وتضر بنفوسهم وعقولهم،وفي الردة كفر بالاسلام ونظامه وتجريح له واستهانة به ، فالخارج عن الاسلام أقل ما يوصف به أنه خارج على نظام الدولة وهو يشبه في أيامنا هذه جريمة الخيانة العظمى وعقوبتها الاعدام ، يقول الاستاذ علال الفاسي « وقع اجماع المسلمين على قتل المرتد مستدلين بحديث«من بدل دينه فاقتلوه » ولكنهم لا يعتبرون قتله عقابا له على كونه لم يعد مسلما وإنما يعتبرون ذلك نتيجة خيانته للملة التي انخرط في عداد افرادها ثم غدرها ، فلو ستر كفره لم يتعرض له أحد كما كان يقع للمنافقين .

أما ما عدا هذه الجرائم من مخالفات ، فقد ترك التصرف بشأنه لولي الأمر ، فيؤدب المخطىء عن طريق ما يسمى في الفقه الاسلامي بالتعزير ، وهو عقوبة لم تحدد الشريعة مقدارها وتركت للقاضي التقدير الملائم لنوع الجريمة ولحال المجرم وسوابقه وهي تبدأ بالزجر والنصح وتتراوح بين الحبس والنفي والتوبيخ والغرامات المالية ومصادرة ادوات الجريمة والحرمان من تولي الوظائف العامة وقد تصل الى أشد العقوبات كالحبس والجلد والقتل وذلك في الجرائم الخطيرة كالتجسس لحساب العدو مثلا .

وبعد ، فإنه لا يزال البعض يتحرج من إقامة حدود الاسلام ويصفها بالشدة والقسوة ، وعدم مسايرتها لروح العصر الذي ارتفعت فيه المدارك والطباع الانسانية ولكن يبدو أن هؤلاء يجهلون فقه الحدود الاسلامية وحكمتها ، ولا يعرفون متى تقام ومتى لا تقام ، ولهؤلاء وأمثالهم نسوق الملاحظات التالية في مغزى الحدود والملابسات المحيطة بها ، والظروف التي تراعي عند اقامتها ، وأثرها في القضاء على الجريمة وفي سلامة المجتمع وأمنه :

● ـ إن الذي شرع الحدود ، وحدد العقوبات هو عالم الغيب والشهادة الخبير بمسالك النفوس ودروبها العليم بما يصلحها ويقومها وإذا كان الأمر كذلك فتشريع الله لعباده بعيد عن كل معاني النقص والقصور ، وهو أخبر بما يصلح حياتهم ويهذب طباعهم ، فليس لمتشدق أن يتحدث عن قسوة الحدود وشدة العقوبات لأنه ليس أُبصر بمصلحة الخلق وأرحم بهم من خالقهم ، ومن يظن غير ذلك فقد خرج من الإيمان .

● ـ المتأمل في تشريع الحدود يجد أن علاج النفس الانسانية بها يتسم بالحكمة والرحمة معا : أما الحكمة فتتجلى في أن لكل جرم حدا معينا ، ولكل مخالفة عقوبة خاصة دون غلو أو زيادة ، بحيث تلحظ أن الشارع قد سار في هذه الأمور كما سار في غيرها على أدق المقاييس وأعدلها ، فالذي يريد أن يستمتع بنشوة اللذة عليه أن يتوقع أنه سيذوق من الألم أشده ، والذي يريد الثراء من كسب غيره يعامل بنقيض مقصوده ، وتقطع منه أداة كسبه والذي يريد أن يحقر غيره بالقذف سيجد التحقير من الجماعة كلها فتسقط شهادته ويمشي بينهم لايوثق بكلامه .

يقول ابن القيم (وأنت تلحظ أن هناك تناسبا جيدا بين الجريمة وعقوبتها المقررة لها بحيث لو وضعت واحدة مكان أخرى أو لو عممت عقابا واحدا على جرائم متعددة لظهر لك على الفور الاختلال والاضطراب وعدم العدل في الأحكام ، فالشريعة مثلا عاقبت على السرقة بقطع اليد ولكنها لم تعاقب على القذف بقطع اللسان ، ولم تعاقب على الزنا بالخصاء وعاقبت في القتل بالقصاص ولكنها لم تعاقب في إتلاف المال بالقصاص) .

أما عن أن الحدود رحمة فهي كذلك بالنسبة للمنحرف ذاته وبالنسبة للمجتمع الذي يعيش فيه اما بالنسبة للمجتمع فذلك ظاهر لما تجلبه له من شيوع الأمن والحماية للأموال والدماء وبما تدفعه عنه من أذى العدوان والقلق والترويع فإذا أرخص الاسلام دم قاتل فلكي يحقن ألوف الدماء ويحيط الجماعة كلها بما يحفظ عليها حياتها وأمنها : « **ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب لعلكم تتقون** » سورة البقرة ، آية ١٧٩ .

أما أن الحدود رحمة بالمعتدى فيتجلي ذلك في مغفرة الله ورحمته التي تحوطه بعد إقامة الحد عليه فالحدود كفارات للآثام وجوابر لها ، تغسل آثارها وتمحو ذنبها ، وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ماعز (لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم) رواه الخمسة واللفظ للترمذي كما جاء في السنة « من أصاب في الدنيا ذنبا فعوقب به فالله أعدل من أن يثنى على عبده العقوبة » ابن ماجة ، فالحد أشبه بجرعة من الدواء الكريه يشربها الانسان ليحصل بعد ذلك على الراحة .

● ـ لا يرى الاسلام العقوبة غاية في ذاتها ، ولكنه يراها وسيلة لتقويم

النفس الانسانية وكفها عن الانحراف ولذلك فإن الاسلام لا يتربص بالمجرم لكي يوقع عليه العقاب ولا ينتظر عثرة العاثر ليبطش به أو ينتقم منه ، إنه طالما نصح بالستر عليه لعله يتوب او يستغفر، دليل ذلك قوله علي الصلاة والسلام « **تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حد فقد وجب** » الحاكم والبيهقى وقال عليه الصلاة والسلام « ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة » **رواه ابو داود** ويكره الاسلام ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا حتى لا تجرح اعراض الجماعة المسلمة ويلوث جوها بالقيل والقال ، (ولما جاء ماعز الى النبي صلى الله عليه وسلم قال لهزال (رجل حرضه على الإقرار) لو سترته بثوبك كان خيراً لك) ابو داود، ويروى أن ماعزا مر على عمر قبل أن يقر فقال له عمر أأخبرت أحدا قبلي ، قال لا ، قال فاذهب فاستتر بستر الله وتب إليه فإن الناس يعيرون ولا يغيرون والله تعالى يغير ولا يعير فتب الى الله ولا تخبر به أحدا ، وذهب إلى أبي بكر فقال مثل ما قال عمر ، ثم ذهب الى هزال فأمره بما أقر به » وهذا يدل على أن الجريمة اذا ارتكبت في غير إعلان ينبغي سترها وعدم كشفها .

● ـ إذا ضبط الجاني وجيء به إلى القاضي لا يقام عليه الحد فورا ، فإنه يدرأ ما كان هناك مخرج منه لقوله صلى الله عليه وسلم « ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام إن يخطىء في العفو خير من أن يخطىء في العقوبة » الترمذي ، فحين توجد أي شبهة فمبدأ الإسلام هو قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إدرؤوا الحدود بالشبهات » البيهقي وكذلك يقول عمر بن الخطاب: «لأن أعطل الحدود بالشبهات أحب اليّ أن أُقيمها بالشبهات » ولهذا لم يقطع عام الرمادة عندما انتشرت المجاعة ولم يقطع عندما سرق غلمان حاطب بن ابي بلتعة ناقة رجل من مزينة بعد أن تبين أن سيدهم يجيعهم وغرّم السيد ضعف ثمن الناقة تأديبا له .

★★★

ولعل القصد من وراء الأخذ بمبدأ الشبهة التي تدرأ الحد هو التقليل من العقوبات ما أمكن إذ القليل منها كافٍ في الزجر والتخويف ومن أمثلة ذلك ما أورده الفقهاء من أنه لا قطع إذا كان السارق والداً أو زوجا أو كان في ظروف مجاعة، وبالنسبة للقذف قالوا: لا حد بالتعريض

وبالنسبة للزنا قالوا: لا حد إذا لم يصرح الشهود او المقر بالعبارات الدالة عليه من غير احتمال . فالتضييق في الحدود أمر محبب في الاسلام حتى يكون العقاب قليلا مانعا بدل أن يكون عاما جامعا ، على أن الفقهاء وإن كانوا قد اتفقوا على أن الحدود تدرأ بالشبهات إلا أنهم لم يتفقوا على كل الشبهات فما يراه البعض شبهة صالحة للدرء قد لا يراه الآخرون كذلك ، وتلك أمور كلها من مصلحة المتهم .

ومن أمثلة ذلك أن ابا حنيفة يجعل التفاهة شبهة في المال تدرأ الحد عن سارقه،ويترتب على ذلك ألا قطع في التراب والطين والتبن والحصى وأشباهها إلا إذا أخرجته الصنعة عن تفاهته فيكون القطع واجبا ، ويخالف مالك والشافعي وأحمد مذهب أبي حنيفة ولا يرون شبهة في تفاهة المال ما دام يبلغ النصاب ولا يرى ابو حنيفة الحد في سرقة ما يتسارع إليه الفساد كالطعام والرطب والبقول واللحم ويرى مالك والشافعي وأحمد القطع في كل هذا .

● ـ يوفر الاسلام الضمانات الكاملة والكافية لكل متهم ، حتى لا يؤخذ بغير دليل ثابت،ولذلك كان من المبادىء المقررة في الشريعة أنه لا يصح الحكم بالعقوبة إلا بعد التثبت من أن الجاني ارتكب جريمته ، فإن كان هناك شك في الجريمة ولم تتقرر أدلة الإثبات وجب العفو عنه .

ومن جهة أخرى نجد أن أدلة الإثبات التي قررتها الشريعة في الحدود دقيقة قلما ثبتت إلا على محترفي الإجرام ، فهي في الزنا الاقرار أو أربعة شهود رجالا يقرون برؤية الفعل فإذا لم يتكامل العدد أربعة وأصرّ واحد أو اثنان أو ثلاثة على قولهم اعتبر من أصرّ قاذفا ويحد حد القذف وفي السرقة الاعتداء على مال الغير المتقوم المحرز خفية ولا بد معها من الإقرار او شهادة اثنين،وفي الشرب والقذف بالإقرار أو بشهادة اثنين،ومثل هذه الشروط لا تنطبق إلا على المصرّ المجاهر بمعصيته الذي تكررت منه حتى أمكن أن تقع منه علنا . ويضبط متلبسا بها ، ومن حق المجتمع أن يحمي نفسه ممن لا يأبه بحرمة الله دون استثناء لأي اعتبار كان،ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم الحدود دون مجاملة وقد رفض الشفاعة فيها من أعز أحبابه أسامة بن زيد وقال له"يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد

سرقت لقطعت يدها » رواه الخمسة .

● ـ ذهب بعض الفقهاء إلى أن توبة الجاني تسقط الحد عنه وتكون سببا للتجاوز عنه وإخلاء سبيله واستدل هؤلاء بقوله تعالى بعد آية المحاربة « **إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم** » سورة المائدة ، آية ٣٤ وحجتهم في ذلك أن القرآن الكريم نصّ على سقوط عقوبة المحارب بالتوبة ، وجريمة الحرابة هي من أشد الجرائم خطورة ، فإذا دفعت التوبة عن المحارب عقوبته كان من الأولى أن تدفع التوبة عقوبة ما دون الحرابة من الجرائم ، لكنه إذا أخذ بهذا الرأى الذي يسقط الحد بالتوبة ، فإنه ينبغي أن يراعي ما **يأتي** :

(أ) ان يكون ذلك فيما يتعلق بحق الله تعالى كشرب الخمر مثلا ولا يكون مما يمس الأفراد كالقتل أو الضرب فلا بد في ذلك من عفو أصحابها .
(ب) أن تكون التوبة عن الجريمة الأولى ، فإذا عاد الى انحرافه مرة أخرى وضبط وادعى التوبة فينبغي أن يعاد النظر في قبول توبته حتى لا يتعطل القضاء او يستهين بحدود الله تعالى .

● ـ إذا تعلل البعض بأن الحدود لا تناسب أذواق العصر ومداركه لأنها وضعت لنفوس قاسية غير مدركة أما الآن فقد أرهفت الأحاسيس وعلت المدارك فلا سبيل الى مثل هذه العقوبات . قلنا لهم مصداق هذا الادعاء ألا توجد أسبابه ، فلا توجد السرقة التي أوجبت عقوبتها،ولا يوجد الزنا الذي أوجب عقوبته وهكذا ، ولكن الجرائم ما زالت قائمة وقد تعددت أسبابها وتفتحت أبوابها بل إن الإحصاءات تشير الى أن أكثر الجرائم خطورة في العالم تنتشر في الدول المتقدمة صناعيا وطبقا لتقرير صدر عن وزارة العدل الأميركية أن جريمة قتل تقع كل (٢٣) دقيقة ، وجريمة اغتصاب كل (٦) دقائق،وجريمة سطو كل (٢٤) دقيقة .

مقومات العمل التغييري

للاستاذ / محمد الصالح عزيز

لم تشهد أمة من الأمم مثلما شهدته أمة الاسلام من حركات اصلاحية عبر تاريخها الطويل ، كلما كان المجتمع عرضة لانحرافات مختلفة على المستوى العقائدي او الاخلاقي او السياسي او الاقتصادي أو غيره ، وكلما عم التناقض بين التصور والسلوك جوانب كثيرة من الحياة ، وكلما سادت هذا المجتمع الاسلامي ممارسات سلوكية اعتبرها المخلصون خرقا للمثل الاسلامية وخروجا عن المثل الذي شهده المجتمع الاسلامي في تطبيق الدين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين من بعده .. لقد ظلت هذه الروح المتوثبة إلى إصلاح الفساد ومقاومة مظاهر الانحراف السلوكي عن التعاليم الدينية ، قوية عند عامة المسلمين وسمة بارزة في شخصية الانسان المسلم،يتعامل على أساسها مع المجتمع طيلة قرون ، استجابة لواجب أساسي مفروض على المسلم **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)** آل عمران/ ١٠٤

ولاشك ان الصحوة التي تعيشها الأمة الاسلامية اليوم من شرقها إلى غربها تدخل ضمن سلسلة حركات التغيير التي شهدتها الأمة والتي ساهمت فعليا في إبقاء تعاليم الاسلام حية ناصعة رغم المحاولات المتكررة عبر التاريخ الطويل لطمسها والقضاء عليها الا أن الحقيقة التي نريد

التركيز عليها في حديثنا هي أن هذه الحركات الاصلاحية التي ظهرت عبر التاريخ الاسلامي اذا كانت «تصدر في معظمها عن إرادة مخلصة للضمير الاسـلامـي في تصحيـح المسـار التاريخي لقيـومية الدين على حياة الناس لما يحدث في ذلك المسار الخلل والاضطراب فإنها لم تكن موفقة دوما في الوصول الى الغاية التي قامت لتحقيقها بل كانت مترددة بين الفشل والنجاح بقدر ما تستوعب من الواقع وماتحسن من الحوار معه وما تأخذ به من الأسباب الناجعة في تغييره وقد ثبت بذلك أن عنصر الاخلاص في حركة التغيير والتصحيح ليس بكافٍ في إزالة الباطل وإيقاع الحق بل إن الواقع بما يجد فيه من الانحراف عن سمت الشريعة أكثر عنادا من أن يتغير بالارادة المخلصة فلابد من أن تتوفر ايضا عناصر من الحكمة في التعامل مع هذا الواقع تبني عليه منظومة متكاملة لمنهجية التعامل معه بقصد التغيير والاصلاح وان عدم الاهتداء إلى تلك العناصر لاقامـة منهجية التغيير عليها كثيرا مايوقع في الانتكاس بالواقع إلى أسوأ مما كان فيه من الاختلال فيقع بذلك الانتهاء الى البوار من حيث اريد عن حسن نية قصد الاصلاح» .

ونحن إذ نريد للصحوة أن تواصل نجاحها حتى تحرر كامـل الأرض الاسلامية مما علق بها من انحرافات وما سادها من مفاهيم مغلوطة عن الدين فإننا نريد أن نرشدها إلى أهم مقومات نجاح العمل التغييري وأن نبصرها ببعض الأخطاء التي وقعت فيها الحركات الاصلاحية في التاريخ كانت وراء انتكاسها أخر الأمر بعد الخطوات الكبرى التي قطعتها في طريق النجاح وايمانا منا بأن الاعتبار «بمـاضي المحـاولات الاصـلاحيـة والاستفادة من أدبها في الحوار مع الواقع حقيقة دائمة بين أجيال الأمة تنير السبيل في حركة التغيير» وإيمانا بأن «مشاريع التغيير في حياة الأمة الاسلامية عبر تاريخها لئن كانت متغايرة في الأشكـال تبعا لتغـاير الظروف والملابسات فانها تجتمع في عناصر ثابتة مبنية على ثبات التعاليم الالهية وحقيقة التواصل التاريخي في شخصية الأمة الاسلامية» وإيـمانا بأن المجتمعات التي لاتحسن التعامل مع أحداث ماضيها هي مجتمعات لاتستطيع الانتقال من مرحلة الطفولة الى مرحلة النضج والكمال .

معرفة الواقع معرفة دقيقة

من اولى اهتمامات العمل التغييري أن يتجه إلى الواقـع الذي يـريد إصلاحه وتغييره فيعطيه حقه من الدراسة والبحث ليعرف أهم العوامل المؤثرة فيه سلبا وايجابا ليركز عليها العمل في التغيير وليعرف أهم المناهج والأساليب التي تتفق وتتلاءم مع طبيعة هذا الواقع وتكون أبلغ في الهدم بغية البناء الأمتن يعني أن تكون هذه المناهج والأسـاليب إفرازا لعـلاقة وطيـدة بين الـواقع والعملية التغييرية ـ فلا يعقل مثلا أن نتجه الى شعب يعاني الفقر في المرتبة الأولى

فنخاطبه جاعلين الديمقراطية والحرية السياسية اولى اهتماماته وبالتالي أولى مطالبه في وجه النظام الحاكم فنكون بذلك كأننا نخاطب صما بكما لايفقهون شيئا مما ندعوهم اليه

وغياب المعرفة الدقيقة بالواقع يفقد حركة التغيير جماهيريتها التي تتحدد - الى جانب ماتحمله من ايديولوجيات وشعارات ومواقف رسمية - بمدى اهتمامها بهموم الجماهير المسلمة حتى نفوّت الفرصة على الاعداء الذين يرفعون الشعارات مدافعين عن هذه الجماهير التي يكنون لها في الأصل الحقد والكراهية .. إنه لمن العار حقا أن نرى المنظمات اليسارية المزروعة في الوطن الاسلامي تجعل قضية العدالة الاجتماعية وتوزيع الثروة أولى مطالبها واهم شعاراتها بينما المنظمات الاسلامية تعالج مشاكل أخرى لاصلة لها باهتمامات الجماهير اصلا وانه لمن العار حقا أن نرى المنظمات التبشيرية في الوطن الاسلامي تهتم بمشاكل الشباب الاسلامي والطفولة المسلمة بينما لانجد لهما في عمل الحركات الاسلامية شيئا يذكر . إن معرفة الواقع الذي سيكون مسرحا لتجربة التغيير يتطلب وقوفا متفحصا له وتفاعلا عميقا معه يشمل مختلف جوانبه السياسية والثقافية والاجتماعية وأي اهمال لهذه الحقيقة هو خرق في عملية البناء الذي نريد .

الالتزام بالواقعية

إذا كانت الواقعية هي اهم خصائص الشريعة الاسلامية التي مكنتها من الخلود ومن صلاحيتها للتطبيق في كل زمان ومكان ، فإن الالتزام بها اليوم - الواقعية - أمر محتوم ، واي حركة تغيير تبغي الاصلاح والسير نحو الأفضل لا تحترم هذه الخاصية في برامجها وأعمالها هي حركة محكوم عليها بالفشل مهما جندت من امكانات وطاقات .. والواقعية تعني المحافظة على أبنائها من التحليق عاليا في عوالم مثالية حيث لا ظلم ولا كراهية ولاخطايا ، شأن الحركات المثالية كلها ، حتى إذا ارتطموا - أي الاتباع بالواقع وما يزخر به من متناقضات كانت الصدمة قوية ، فيكون التكفير ويكون الهروب من مواجهة المجتمع وتكون الردة واليأس من نجاح الاسلام في المجتمع الحالي ويكون التطرف وما ينتج عنه جملة وتفقد الحركة مصداقيتها

والواقعية تعني ان نلتزم الصدق في حربنا لأوضاع المجتمع الذي نبغي تغييره فلا نسرف في وصفه بالكفر والالحاد والخروج عن الدين إلا إذا كان ذلك واقعا فعلا وذلك يستدعي ان ننطلق في تصويرنا للواقع وتقويمنا له من معاينة ذلك الواقع نفسه في جميع جوانبه ، والاحتكاك المباشر بالأوضاع الواقعية والمعايشة الواعية ، وألا نكتفي بالاعتماد على المروي من الأخبار .

والواقعية تعني كذلك ألا نتولى التغيير والاصلاح على مستوى المفاهيم العقدية فحسب بل لابد من تجاوزه الى التغيير على مستوى الواقع المعاش ليكون الربط بين العلم والعمل ضمانا لعدم الانفصال بينهما ، وهذا يستدعي الا تقتصر عملية التغيير على مجرد المشاعر ، لأن المشاعر « مهما كانت حدتها لا تتحول الى عمل ثوري الا بتأطير الجماهير وتنظيمها ضمن المؤسسات الجماهيرية للمجتمع ، كالنقابات والجمعيات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية .

وان ثورة لا تعتبر مؤسسات المجتمع خلايا للتربية الثورية لن تكون سوى مجموعة من أبواق الدعاية او عصابة مسلحة معزولة».

والواقعية تعني أخيرا وليس آخرا الحذر من الهدم دون البناء لأن مجرد هدم القديم لا يؤدي حتما الى ثبوت الجديد المراد ، ولقد تجلى الأدب التغييري في العهد النبوي الذي

كان يمر بجملة من الخطوات من أهمها خطوة اقتلاع التصورات الفاسدة وزرع التصورات الجديدة مكانها ، عبر عنها أحد الصحابة بقوله « كان صلى الله عليه وسلم يفرغنا ويملؤنا » وليست المفاهيم والعقائد والتصورات الفاسدة وحدها في حاجة الى زرع تصورات جديدة مكانها في الحال ، بل كذلك هذه المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وغيرها ، لا نبدأ هدمها إلا اذا توفر لدينا البديل المناسب والا وقعنا في فراغ لن يوصلنا إلا الى عكس ما كنا نبغي .

الشمولية مقوم هام من مقومات نجاح الحركات التغييرية تكسبها توازنا وتكاملا وتحميها من تسرب الفساد الى بعض جوانبها ليغطي بقية الجوانب .. والشمولية تعني انه لا يطغي اهتمامنا بمشكل لايحتل الا حيزا صغيرا من مساحة الخلل فنسلط عليه الأضواء ونوليه من العناية والرعاية أكثر مما يستحق على حساب بقية المشاكل التي قد تكون أقرب الى اهتمامات الناس وأهم في عملية التغيير .

إن الواقع تحكمه عناصر متشابكة تستدعي تقويمها تقويما شاملا يتناول جميع جوانبها العقدية والثقافية والسياسية وتستدعي كذلك طرح بديل يتصف بالشمولية ويتجه بالعلاج الى جميع مواطن الفساد .

فلا الاعداد العقائدي وحده بقادر على تعبئة الجماهير وتسخيرها لعملية التغيير ولا المنهج التربوي وحده بقادر على ذلك ولا الاعداد العسكري بقادر وحده هو الآخر على تغيير الواقع نحو الأفضل إذ « قلما تمكنت حركة ثورية من تحقيق أهدافها السياسية دون عمل عسكري ولكن العمل العسكري دون عمل سياسي ـ عقائدي وتربوي واعلامي ـ يعبيء الجماهير ويستقطب الرأي العام المحلي والعالمي حولها لا يجعل من الحركة في النهاية سوى منظمة ارهابية»،«بل لكل منه دور

لا يستهان به ليس من السهل التغاضي عنه او اهماله لاي سبب من الأسباب» .

إن الشمولية تقتضي أن نجرب كل الوسائل المشروعة في عملية التغيير : « صحافة،تلفزيون ، اذاعة ، سينما الخ » وان نشرك القاعدة العريضة في عملية التغيير هذه فلا نهمل دور الشباب في ذلك ولا نهمل - خاصه-دور المرأة في هذه العملية بعد ان اهمل دورها في تاريخ الحركات الاصلاحية بدون استثناء تقريبا لان « المكانة التي تحتلها المرأة في حركة ما ، تحدد الى مدى بعيد مستقبل تلك الحركة جماهيريتها إذ كلما تقلص دورها ،

تقلص دور الجماهير واستقر الاستبداد ، يقول « فوربيه » : تتم التطورات الاجتماعية وتبدلات الزمن وفقا لتقدم النساء نحو الحرية .. إن اتساع امتيازات النساء يشكل الاساس العام لجميع التطورات الاجتماعية»بل إن الاسلام يذهب الى أبعد من ذلك إذ يربط صلاح المجتمعات بالدور النضالي لكل أفراده في إزهاق الظلم واحقاق الحق عن طريق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل الوسائل المتاحة ويجعل دور النساء في ذلك لا ينفصل عن دور الرجال : **(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم)** التوبة ٧١ .

وتعني الشمولية أخيرا ـ وليس آخرا ـ ان تحدد الحركة الاصلاحية نمط العلاقات التي ينشئها العاملون في صفوفها مع وسطهم الذي يتحركون فيه ، فبقدر ما تكون تلك العلاقات ملتزمة منسجمة مع المثل والمبادىء والشعارات المرفوعة بقدر ما ترتفع مصداقيتها أي الحركة لدى الجماهير فتكسب ثقتهم وتسقطبهم للنضال في صفها .. وهذا يعني ان تجذر الحركات المذكورة التربية الأخلاقية في أفرادها إلى جانب إعدادهم في الميادين الأخرى السياسية والعسكرية والفكرية وأن تأخذ المقياس الأخلاقي الى جانب مقاييس أخرى، المقياس الأساسي للانتماء أليها لتقويم افرادها .

التنظيم :

لقد اثبتت التجارب التاريخية أن العمل التغييري لا بد له من تنظيم وأن وجوده بدون تنظيم أدى به آجلا الى الفشل والزوال ذلك لأن العمل لايكون مثمرا إلا اذا كان منظما ولا يكفي وجود الجماعة ولا وجود النوايا الطيبة والكفاءات العالية إذا لم تكن مؤطرة داخل تنظيم محدد .

«والتنظيم يعني وجود قيادة مسؤولة وجندية مطيعة ونظام اساسي ينظم العلاقات بين القيادة والجنود ويحدد المسؤوليات والواجبات ويبين الأحداث والوسائل وجميع ما تحتاج اليه الحركة في إدارة أجهزتها».
والتنظيم يحمي الحركة التغييرية من إهدار قوتها في قضايا هامشية تستنفد

طاقات أفرادها ويحميها من خلافات تبدأ بسيطة ثم تتعاظم وتتعاظم حتى تنتهي بتشتت الصفوف وتمزيقها ويحميها كذلك من العمل المرتجل الذي تكون مضرته أكبر من نفعه سواء في تحديد الأهداف أم في تحديد الوسائل .. وكل ذلك لا يكون الا بالتخطيط أولا وذلك يعني « ألاتدع الحركة نفسها للظروف والمصادفات تسيرها سيرا عشوائيا اعتباطيا تعمل ما لا تريد وتريد ما لاتفعله وتدفع دفعا الى السير في غير طريقها . وإنما يجب أن تسير في خط واضح المعالم محدد المراحل بين الأهداف معلوم الوسائل » وممارسة الشورى ثانيا اذ هي « مقوم أساسي لاستمرار ونجاح كل تجمع بشري حتى في ابسط صورها كالعائلة فإذا كان الأمر يتعلق بادارة مؤسسة كبرى زاد تأكدا والحاحا بل ان الديمقراطية او الشورى لا تستمد قيمتها من مجرد الفوائد المنجرة عن ممارستها كالنجاح والقوة والتضامن والأمن وانما تستمد قيمتها قبل ذلك من حيث هي مقوم اساسي لشخصية الانسان ولا معنى لانسانيته بدونها ».

هـذه بعض مقومات العمل التغييري أو الاصلاحي كما رأيتها من خلال تجارب الحركات الاصلاحية التي عرفها تاريخ الأمة الاسلامية طيلة القرون الماضية وهذه المقومات وان كانت قليلة فإن المجال مفتوح لمفكري الأمة الاسلامية للبحث عن غيرها في تجارب الحركات الاسلامية التي « تركت لنا تراثا ثريا في أدب التعامل الاصلاحي مع الواقع وهو تراث يمثل مرجعا ثرا للامة الاسلامية في توقها الأبدي الى التغيير رفعا للخلل وإحلالا للصواب ».

ذكاء وبخل

في كتاب « البخلاء » للجاحظ :

قال رجل لثمامة بن أشرس : إن لى إليك حاجة .

قال : وأ نا لي إليك حاجة .

قال : وما حاجتك إليَّ ؟

قال : لا أذكرها حتى تضمن قضاءها .

قال : قد فعلت .

قال : فان حاجتى إليك ، ألا تسألنى حاجة فانصرف الرجل عنه .

هل نعرف أعداءنا؟

للواء/ محمد جمال الدين محفوظ
عضو المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية

● في مجتمع العرب والمسلمين سلبيات في مجال معرفة العدو تحتاج الى العلاج لعلاقتها الوثيقة بأمنهم وسلامتهم في الحاضر والمستقبل .

فالمعروف أن الانسان اذا كره شيئا لا يريد أن يسمع عنه أو أن يقع عليه نظره ، وكأنه يحاول أن يلغيه تماما من حياته ، لكن هذا الاتجاه اذا جاز أحيانا لأسباب نفسية في علاقات الناس بالأشياء أو بعضهم ببعض ، فإنه لا يجوز أبدا في مجال الصراع مع الأعداء ، اذ كيف يمكن أن نلغي العدو من حياتنا وهو يشكل واقعا وحقيقة ؛ كما يشكل خطرا ماثلا محدقا بالأمة ؟ الأمر الذي يقضي بأن نكون على استعداد لمواجهته وقتاله ورد عدوانه .

● ويزيد من خطورة هذا الاتجاه السلبي في التفكير والتقدير أننا لو نظرنا الى الجانب الآخر لوجدنا ان عدونا « لا يتفق معنا فيه » ، بل هو يلقي بكل ثقله وبكل الوسائل الايجابية في سبيل معرفة أحوالنا العسكرية والاقتصادية والسياسية ، بل انه يغوص في أعماق مجتمعاتنا ليتعرف على نبض حياتنا حتى في ميادين الثقافة والأدب والفن .

ويمكن لادراك واقعنا أن نتساءل : كم من أبنائنا يعرف لغة العدو ، ويقرأ عنه ، ويقرأ له ، ويسعى الى معرفة كل ما يتعلق بحياته ؟

معرفة العدو تأمين للأمة

● إن الاسلام يقرر أن معرفة العدو ضرورة حيوية لأمن المسلمين والدفاع عنهم ، وهو ما يتضح من «الربط الوثيق» بين الأمر بإعداد القوة والمرابطة ، وبين التعريف بالعدو في قوله تعالى : (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**) الأنفال/ ٦٠ .

● وأول ما يستخلص من هذا التوجيه القرآني هو تعريف ابناء الأمة بأعدائهم « الظاهرين » وأعدائهم « الأخفياء » :

١ ـ « **عدو الله** » : وهو كل خوان أثيم يجاهر بمعصية الله ويعتدي على الحرمات والمقدسات .

٢ ـ «**وعدوكم** » : وهو الذي يعتدي على الأمة الاسلامية أو معتقداتها أو مقدساتها .

٣ ـ « **وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** » : وهم ـ كما جاء في تفسير السابقين ـ المنافقون الذين يلبسون ثوبا ظاهره الرحمة وباطنه العذاب ، وهم أيضا بروح العصر ، كل القوى المضادة التي تحارب الأمة في الخفاء بالفتنة والإرهاب وتثبيط العزائم واشاعة اليأس والسلبية والفساد وقتل الارادة والايجابية ، ومنهم من يكون داخل البلاد الاسلامية وبين صفوف أبنائها ومنهم من يكون خارجها يدبر ويخطط ويتحرك بأساليب الغزو الفكري والدعاية والحرب النفسية .. الخ .

● وليس من شك في أن هذا الربط الواضح بين إعداد القوة والمرابطة وبين التعريف بالأعداء مع تحديد الهدف بكل وضوح وهو « إيقاع الرهبة » في قلوبهم ، يوجه المسلمين الى الاهتمام بعدة أمور أساسية نذكر منها ما يلي :

١ ـ ضرورة المعلومات

فمن الضروري الحصول على المعلومات « الشاملة » عن العدو حتى نستطيع « بناء القوة » المناسبة والتي يمكنها تحقيق هدف الردع وإيقاع الرهبة التي أمر بها الله سبحانه .

٢ ـ استمرار الحصول على المعلومات

ويجب أن يكون الحصول على المعلومات عن العدو « عملا مستمرا لا يتوقف » في السلم والحرب على حد سواء ، لأن القوة تتطور مع تطور العلوم والتقنية ، وهذا التطور له تأثيره المباشر على « توازن القوى » ،

بالاضافة الى أنه ـ في هذا العصر ـ يسير بسرعة مذهلة بحيث تقطع الأنفاس ملاحقته .

فإذا قصرت الأمة في هذا الأمر ، فسوف يسبقها العدو في التطور ، وتصبح متخلفة عنه وعن مقتضيات عصرها ، مما يعرضها للخطر والهلاك ، فضلا عما « يلحقها من

إثم » لتقصيرها في أداء أمانة التكليف التي وضعها الله في عنقها بإعداد القوة الرادعة التي ترهب العدو .

٣ ـ توفير الانذار المبكر

ثم انه يجب الوقوف على « أحدث المعلومات » أولا بأول ، فذلك مطلب حيوي لتحقيق أمرين في غاية الأهمية هما : الانذار المبكر ، والتخطيط السليم .. فاذا قصرت الأمة في ذلك ، فإنها تتعرض للمفاجأة من عدوها ،

وتفقد « المبادأة وحرية العمل » ، كما تفقد القدرة على « الحركة السريعة » لمواجهة أي عدوان يقع عليها .
وهكذا يوجه الاسلام الى أهمية المعرفة والحصول على المعلومات عن العدو حتى يتمتع المسلمون «بوضوح الرؤية » ، ومعرفة مواقع خطواتهم فلا يضربون في المجهول ، والله تعالى يقول : « **أفمن يمشي مكبا على وجهه اهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم** » الملك/٢٢ .

تحذير الاسلام من اهمال معرفة العدو

● يحذر الاسلام من إهمال معرفة العدو ؛، ويعده «غفلة » من المسلمين عن الخطر المحدق بهم ، فالعدو المتربص ، ينتظر ان يقعوا في تلك الغفلة لكي ينقض عليهم بكل قوته للقضاء عليهم وهو بعض ما يفهم من قوله تعالى : (**ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة**)
النساء/١٠٢ وما يفهم ايضا من ربط القوة بالمرابطة (**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)** لأن اخطر ما تتعرض له القوة هو المفاجأة .

● كما يقول الله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون**) آل عمران/٢٠٠ ويقول : (**يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم**) النساء/٧١ .

هدي الرسول القائد في معرفة العدو

(١) تعلم لغة العدو

عني الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يتعلم المسلمون لغة العدو ، ومن ذلك أنه أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود ، يقول زيد : « أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلمت له كتاب اليهود بالسريانية وقال :"إني والله ما آمن يهود على كتابي"، ثم يقول زيد : فوالله ما مر بي نصف شهر حتى تعلمته وجُدْتُ فيه فكنت أكتب له اليهم وأقرأ له كتبهم اليه » رواه ابو داوود .
وصدق من قال : « من تعلم لغة قوم أمن شرهم » .

(٢) العيون والأرصاد

كان للرسول صلى الله عليه وسلم عيون وأرصاد ليس فقط داخل شبه الجزيرة العربية بل خارجها ايضا :
● ففي المدينة ، كانت له عيون وأرصاد يطلعونه على كل صغيرة وكبيرة تضر بمصلحة المسلمين في

السلم والحرب على حد سواء فاختار مثلا حذيفة بن اليمان العبسي ليأتيه بأخبار المنافقين ونواياهم .

● وفي مكة كان عمه العباس وبشير بن سفيان العتكي ، وفيها ايضا كانت قبيلة خزاعة قال الزهري : « وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم (أي خاصته وأصحاب سره) مسلمها ومشركها ، لا يخفون عنه شيئا كان بمكة » .

● وفي القبائل العربية الأخرى كانت له عيون ، ومنها مثلا عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي في قبيلة هوازن يوم حنين .

● أما خارج شبه الجزيرة فكانت له عيون وأرصاد في بلاد فارس وبلاد الروم .

● وقد أفادت هذه العيون والأرصاد المسلمين غاية الفائدة بانذارهم المبكر بنوايا العدو بالعدوان ومن ذلك مثلا ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان على علم بخروج قريش لقتاله في أحد والخندق عن طريق عمه العباس ، ولعل أبلغ برهان على أن الإنذار كان يأتيه مبكرا جدا هو أن المسلمين تمكنوا من حفر الخندق ـ في غزوة الخندق ـ وهو عمل يستغرق حوالي عشرين يوما «قبل» أن تصل قريش التي «فوجئت به » فقال قائلهم : « والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ! » وهذه الواقعة لا تدل على كفاءة أرصاد النبي صلى الله عليه وسلم فحسب بل تدل ـ في الوقت نفسه ـ على عجز قريش عن الحصول على المعلومات عن نظام الدفاع عن المدينة بحفر الخندق بدليل مفاجأتها به ، كما تدل على نجاح المسلمين في كتمان أسرارهم وأسرار خططهم وحرمان العدو من معرفتها .

● ثم ان هذه العيون والأرصاد بنجاحها في تحقيق الإنذار المبكر مكنت المسلمين من « اجهاض» تدابير القبائل العربية للعدوان على المدينة والقضاء عليها في مهدها وكانت القبائل من فرط المفاجأة تضطر الى الفرار تاركة أموالها وديارها ، ومن أمثلة ذلك الغزوات التالية : بني سليم ـ ذي أمر ـ بحران ـ ذات الرقاع ـ دومة الجندل ـ بني المصطلق ـ بني لحيان .

(٣) استخدام الرمز (الشفرة)

● في مجال الاستخبارات عادة ما تحول لغة الرسائل سواء الشفوية أم المكتوبة الى لغة أخرى تستخدم فيها الرموز التي لا يفهمها الا مرسلها والمرسلة اليه . وقد عنى الرسول صلى الله عليه وسلم باستخدام الرمز ، ومن ذلك أنه في غزوة الخندق علم أن يهود بني قريظة قد نكثوا عهدهم ، فبعث سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وعبدالله بن رواحة ، وخوات بن جبير الى بني قريظة ليقفوا على جلية الأمر ، وأمرهم أن «يلحنوا» بالقول ولا يفصحوا في حالة تأكدهم من خبر نكث بني قريظة للعهد ، ولقد كانت حكمته صلى الله عليه وسلم في استخدام الرمز في ذلك الموقف خوفه على معنويات المسلمين وحرصه على كتمان خبر

نقض اليهود للعهد حتى يستكملوا تجهيزات الدفاع عن المدينة قبل أن يعلمهم به .

(٤) استنطاق الأسرى

ومن وسائل الحصول على المعلومات عن العدو استنطاق (استجواب) أسراه الذين يقعون في أيدي المسلمين ، ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم بعث قبل غزوة بدر بمفرزة للاستطلاع بقيادة على بن أبي طالب ، فعادت بغلامين لقريش ، فاستنطقهما عليه الصلاة والسلام وعلم منهما أن قريشا وراء الكثيب « بالعدوة القصوى» ولما أجابا بأنهما لا يعرفان عدد جيش قريش ، سألهما : « كم ينحرون من الإبل كل يوم » فأجابا : يوما تسعا ويوما عشرا ، فاستنبط صلى الله عليه وسلم من ذلك أن القوم بين التسعمائة والألف ، وعرف من الغلامين كذلك أن أشراف قريش جميعا خرجوا مع الجيش .

قواعد تداول المعلومات

● ويوجه الاسلام المسلمين الى أفضل الطرق لتداول المعلومات التي تتعلق بالعدو او بخططنا لمواجهته ، ويحوط هذا الأمر بأحكم الضمانات التي تتيح للمسلمين الاستفادة منها الى أقصى حد لتحقيق أهدافهم بنجاح ومن ذلك ما يلي :

(١) مراعاة السرية في الحصول على المعلومات :

فلا بد من إحاطة عمليات الاستخبارات بالعيون والأرصاد وغيرها من الوسائل بالكتمان لحرمان العدو من كشف أهدافنا وخططنا ومن ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب لعبدالله بن جحش كتابا وأمره الا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ، وكانت المهمة مهمة استطلاع : « فترصد بها (أي بموضع نخلة بين مكة والطائف) قريشا وتعلم لنا من أخبارهم » ، وهكذا كانت طبيعة المهمة سرا حتى عن الذين سيقومون بها حتى اذا ابتعدوا بعدا كافيا عن المدينة والناس فتحوا الرسالة « المكتومة » فعرفوا مهمتهم .

(٢) تحليل المعلومات بمعرفة المختصين :

ويوجه الاسلام الى أن «تسلم المعلومات أولا » الى المختصين الذين يستطيعون معالجتها بالتحليل والتنسيق واستخلاص النتائج النافعة للقائد والقيادة عند وضع الخطط فالتخطيط السليم لا يتم الا على أساس المعلومات « الدقيقة والمؤكدة » ، وهو ما لا يمكن تحقيقه الا على أيدي من تخصص في هذا المجال ومهر فيه ، ولننظر الى قوله

تعالى : (**واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا**) النساء/٨٣

(٣) توزيع المعلومات بقدر وفي الوقت المناسب

ثم يوجه الاسلام الى ان « توزيع المعلومات » يجب أن يخضع لحسابات دقيقة :

● فليس من المعقول ان تعلن « كل » المعلومات «لجميع» الأفراد من قادة وجنود بل يجب أن يعطى كل منهما القدر الذي يهمه معرفته طبقا لدوره ومسؤوليته .

● فالمسؤول عن التخطيط مثلا تتطلب مهمته أن يعرف أكبر قدر من المعلومات من حيث قوة العدو وأسلحته وأوضاعه ونواياه وحركاته .

● والقادة الذين سوف ينفذون المهام ، يعطى كل منهم قدرا معينا من المعلومات بحسب مستواه في القيادة طبقا لتسلسل القيادة .

● والجنود المقاتلون يجب أن يعطوا من المعلومات القدر الذي يجعلهم يدخلون المعركة بقلوب ثابتة وخطى واثقة ولا يتعرضون للمفاجآت فإن أخطر ما يتعرض له المقاتل أن يكون جاهلا « بما وراء التل » كما يقولون ، فذلك ـ فضلا عما يكون له من تأثير مدمر على معنويات المقاتلين ـ فإنه يعرضهم للخسائر الشديدة في الأرواح .

● ثم ان هذا القدر المحسوب من المعلومات الذي يعلن للقادة والجنود :

«له وقته » المحسوب ايضا بكل دقة ، وذلك طبعا لتحقيق السرية والأمن ، فتوزيع المعلومات مثلا قبل الأوان المناسب قد يؤدي الى إفشاء أسرارها .

● وللامام علي رضي الله عنه حكمة بليغة في مجال تداول المعلومات اذ يقول : «**ليس كل ما يعرف يقال ... وليس كل ما يقال حضر أهله ... ولا كل ما حضر أهله ، جاء أوانه** » .

حرمان العدو من الحصول على معلومات عنا

وأخيرا لا بد من التنويه بأمر هام للغاية وهو ضرورة حرمان العدو من الحصول على المعلومات عنا ، فليس من المعقول أو المقبول أن نتصور أننا نسعى للحصول على المعلومات عن العدو لكي نتمكن من مفاجأته أو توفير الإنذار المبكر لأنفسنا عن تدابير عدوانه ، بينما نترك الفرصة للعدو ليحصل على ما يريد من معلومات عنا وعن نوايانا . يقول الله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا خذوا حذركم**) النساء/ ٧١ .

مائدة القارئ

وما يعقلها الا العالمون

قال سبحانه : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ، إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم ، وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » الآيات ٤١ ـ ٤٣ من سورة العنكبوت .

موعظة

قال اعرابي يعظ رجلا : غفلنا فلم يغفل الدهر عنا ، فلم نتعظ بغيرنا حتى اتعظ غيرنا بنا ، فقد ادركت السعادة من تنبه ، وادركت الشقاوة من غفل ، وكفى بالتجربة واعظا .

الزاهد

ليس الزاهد من لا يملك شيئا
إنما الزاهد من لا يملكه شيء

مسئولية الآباء

قال الشاعر :

مشى الطاووس يوما باعوجاج	فقلد شكل مشيته بنوه
فقال : علام تختالون ؟ قالوا	بدأت به ، ونحن مقلدوه
فخالف سيرك المعوج واعدل	فإنا ـ إن عدلت ـ معدلوه
اما تدري أبانا كل فرع	يجاري بالخطى من ادبوه
وينشأ ناشيء الفتيان منا	على ما كان عوده ابوه

صلة الرحم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله ان لي قرابة أصلهم ويقطعوني ، وأحسن اليهم ويسيؤون الي ، وأحلم عنهم ويجهلون علي . فقال : « لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ، ما دمت على ذلك » المل : الرماد الحار .

اياك والخلط

قال حكيم :
احفظ عشرا من عشر
أناتك من التواني
وإسراعك من العجلة
وسخاءك من التبذير
واقتصادك من التقتير
وإقدامك من الهرج
وتحرزك من الجبن
ونزاهتك من الكبر
وتواضعك من الدناءة
ولسانك من الاعتذار
وكتمانك من النسيان

مثل

الغريب من ليس له حبيب

من كنوز الجنة

كتمان الصدقة
وكتمان المصيبة
وكتمان المرض

عجوز تشتكي عيشتها

قالت : مذ اغبر العيش الأخضر ، وازور المحبوب الأصفر ، اسود يومي الأبيض ، وابيض فودي الأسود ، حتى رثى لي العدو الأزرق ، فيا حبذا الموت الأحمر .

* أبناء « يهود » يسيطرون على ٩٥٪ من وكالات الأنباء العالمية

رسالة الإعلام



مجتمع الشريعة

للأستاذ /
عبد الحسيب الخناني

أصبح انسان العصر الحديث - بعد التقدم التكنولوجي - يستمد أنموذج حياته من خلال وسائل الاعلام باعتبارها قنوات حضارية للموروثات الاجتماعية التي تتناقلها الأجيال المعاصرة ، حيث تقوم بتشكيل عقولهم ووجداناتهم كما تهوى في غفلة موقوتة من بعض الهيئات التوجيهية والارشادية ، مما أدى الى اهتزاز القيم الدينية عند الناشئة ، وأوجد هوة سحيقة في المحيط الاجتماعي نتيجة ما تنشره الوسائل الاتصالية من قيم مادية أصابت البناء الانساني في مجتمع الغرب بالتصدع والانهيار .

ولقد انعكس ذلك على مجتمعات العالم الثالث ، وخاصة العربية الاسلامية منها ، عن طريق الغزو الثقافي والإعلامي الغربي لتلك المجتمعات التي وقعت في دوامة التبعية الغربية ، مما آدى الى ظهور فئة من العلماء تتأذى من ذكر « كلمة

الإعلام » وتعتبر مفهومها عدوا خفيا يحارب الاسلام بالكلمة والصورة وصارت الكلمة عندهم تعني كل ما يتنافى مع الأخلاق . وذلك بخلاف الكثيرين من علماء الأمة ومثقفيها الذين ينظرون للإعلام على أنه قوة عصرية يجب استغلالها في خدمة الدين ، ولا ينبغي بأي حال من الأحوال تركها للعابثين الذين يحاولون هدم صرحه .

ولا يستطيع مسلم أن يتجاهل أثر الوسائل الاتصالية التي يعج بها العصر الحديث ، فهي قوة خطيرة لا يستهان بها ، وواجبنا أن نحولها إلى أجهزة صالحة تبني المجتمع المسلم ولا تهدمه ، خاصة أننا لا نكف عن الحديث حول صلاحية الاسلام لكل العصور واستيعاب معطياتها ومستحدثاتها ، وقدرة الشريعة السمحة على بناء الانسان ، ولا يزال المفكرون الاسلاميون يتناولون هذا الموضوع كمخرج وحيد لا بديل له ينقذنا من المشكلات التي يعاني منها انسان هذا العصر في غياب شريعة الاسلام التي سيكون تطبيقها هو المجال الأمثل لتكوين المجتمع الفاضل الذي يعبر إعلامه تعبيرا صادقا واعيا عن نبضه ومبادئه ، وينقل الاسلام الى العالم الانساني في صورة مشرقة .

● الاسلام دين إعلامي ●

وهناك حقيقة مهمة قد تغيب عن بعض الذين يرفضون وجود علاقة بين الاسلام والاعلام ، ويجب أن نقررها بطبيعة الحال .. وهذه الحقيقة هي أن الاسلام دين إعلامي بطبيعته ـ كما يقول الدكتور ابراهيم امام أستاذ الإعلام الاسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، فالاسلام يقوم على الإفصاح والبيان ، بعكس بعض الأديان الأخرى التي لا تختص برسالة ، وتتذرع بالكتمان والسرية ،

فالذين لا يدعون بدعاية الله ، ولا يقومون بالإعلام عن هديه ورسالته يكتمون الحق الذي أنزله الله ، اذ ينبغي أن يتم الاعلام عن دين الله مهما كلف ذلك المرء من مشقة وعناء ، لأن كل مسلم مكلف بالإعلام عن عقيدته ، ودعوة الناس الى هذا الدين في موقع عمله وهدايتهم له بأية صورة مشروعة ، أي بلا إكراه أو عنف ، لأنه لا إكراه في الدين كما قرر الله تبارك وتعالى .

ويأتي هذا التكليف لكل من ينتمي الى الاسلام انطلاقا من قوله تعالى **(ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين)** فصلت/ ٣٣ هذا فضلا

الإعلام قوة عصرية

يجب تسخيرها في خدمة الدين

لا في خدمة الشيطان .

عن تولي فئة خاصة مسؤولية التوجيه والارشاد وهي فئة الدعاة والإعلاميين بحيث يقوم كل فرد منهم بالدور الذي لم يستطع أن يقوم به الآخرون لقوله جل وعلا : (**ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون**) آل عمران/ ١٠٤ مما يدعونا الى القول أن أمة الاسلام هي أمة اعلامية .

إذن .. فرسالة الاعلام في مجتمع الشريعة أن يدعو المسلمين الى الالتزام بدينهم والتمسك بشريعتهم

وعدم الميل عن منهجها الى منهج آخر ، ويدعو غيرهم إلى هذا الدين القيم بكل ما يستطيع من إمكانات بشرية ووسائل وخبرات إعلامية ،

فيوضح لهم أن الاسلام جاء الى الناس جميعا على اختلاف ألوانهم ولغاتهم ولا يخص العرب وحدهم كما

كانت عليه الأديان السابقة ، وذلك عن طريق توظيف الفن الاعلامي الشائق

الذي يستحوذ على عقولهم ووجداناتهم .

مع مراعاة المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والظروف المعيشية

والعقائد التي يدين بها جمهور المخاطبين لكي تحدث الرسالة الاعلامية الاسلامية تأثيرها كما يقول خبراء الاعلام .

● الحكمة من مناهج الدعوة ●

ان مراعاة المستوى الثقافي للناس المخاطبين أمر ضروري ينبغي أن يضعه في الاعتبار رجل الاعلام الذي يهدف الى تغيير المفاهيم والأفكار والأيديولوجيات بالإقناع العقلي بالفكرة الجديدة وترسيخها في عقولهم .

وقد أولى الاسلام هذا الجانب اهتماما عظيما حين أوصى رجال الدعوة وقادة الفكر بالحكمة في قول رب العزة : (**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه**) النحل١٢٥ فالحكمة هنا لا تعني فلسفة الحياة أو المناظرة مع الآخرين بأساليب علماء المنطق والفلسفة ، ولكنها تعني المنهج الحكيم في الدعوة الذي لا يغفل دعاته عن الإلمام بمختلف الظروف الحياتية التي يتفاعل معها الناس ، وذلك لكي تثمر العملية الاتصالية معهم .

ولعل علماء البيان قد عبروا عن ذلك قبل أساتذة الاعلام حين عرفوا البلاغة بأنها «مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته » ففي تحقيق عناصر هذا التعريف نجاح للعملية الاتصالية بين المرسل (رجل الاعلام) والمستقبل (المخاطبين) . وهذا الاتجاه نلحظه الآن في معظم وسائل الاتصال الجماهيرية ، حيث ظهرت الصحافة النوعية والمتخصصة ، وظهرت

إعلامنا في حاجة الى وقفة لتصحيح المسيرة .. وإنهاء تبعيته للإعلام الغربي

البرامج الاذاعية والتلفزيونية التي تتوجه الى الشباب والعمال ، والمرأة والطفل ، وغيرهم من فئات المجتمع ، كما تتوجه ايضا لاشباع ميول الجماهير كجمهور الكرة ، والفن ، والمسرح ، ولا تخفى علينا الأموال التي يتحملها جهاز الاذاعة والتلفزيون في بلد ما ، لنقل مباراة كروية أو حفل غنائي ، من بلد آخر ، عن طريق الأقمار الصناعية ، والتي كان من الممكن أن تستثمر في إنتاج البرامج الهادفة والتي تحث الأفراد على العمل بدل أن تزين وتحبب لهم حياة الدعة والتراخي والكسل .

ويخطىء من يظن أن ربط وسائل الاعلام بالشريعة الاسلامية معناه أن تتحول هذه الوسائل الى منابر خطابية فتنقلب المادة الصحفية برمتها الى مقالات دينية بحتة ، وتأخذ برامج الاذاعة والتلفزيون ، صورة دروس الوعظ والمحاضرات داخل المساجد ، فليس ذلك بيسير على العقل أن يتقبله ، اذ كيف يتابع الاعلام الاسلامي في تلك الحال « **ماجريات** » الأحداث اليومية في أنحاء العالم ؟ خاصة أن اعلام مجتمعاتنا الاسلامية في حلبة سباق ـ ان صح التعبير ـ مع الاعلام الدولي في مجال المتابعة الاخبارية للأحداث العالمية ، وأننا في عصر ثورة الاتصال الذي جعل العالم «قرية صغيرة » كما يقول خبير الاعلام المشهور مارشال ماكلوهان ، حيث استطاع الانسان أن يسمع ويشاهد ما يجري من أحداث في أنحاء الأرض وهو جالس في بيته ، أو مضطجع في فراشه .

● الصحافة توجيه وإرشاد ●

والصحافة باعتبارها وسيلة إعلامية ذائعة الانتشار يتمثل دورها الذي ينبغي لها أن تقوم به في مجتمع الشريعة ، في مراقبة كافة الهيئات والجهات المسؤولة عن إصدار القرار ، وتوجيهها ، بصفتها نائبة عن ذلك المجتمع ، توجه ، وترشد ، وتوضح أبعاد تلك القرارات .. ولا يعني ذلك أنها توجد لكل قرار أو تصرف اداري خاطىء مبرراته ،

فالمفروض أنها بعيدة عن القيام بمسؤولية هذا الدور وتحمل تبعاته ، ولكنها تكشف تلك الأخطاء وتحذر من الوقوع فيها ، بالإضافة الى إلقاء الضوء على الإنجازات البناءة التي تخدم المسلمين وتحث على كل عمل ايجابي ، كما تهتم بالسلبيات فتكشفها لا بهدف التشهير عمداً بمن

كانوا سببا فيها ، ولكن تداركاً للأخطاء وتبصيرا لهم ونصحا وإرشادا وذلك بالتالي يساعد على استمرار مسيرة المجتمع المسلم .

أما الصحفي .. فلا بد أن يلتزم في مجال عمله بعدة معايير أخلاقية ، فلا إثارة أو تضليل ، ولا مجاملة في صنع الأخبار - مثلا - ولكن ينقلها بحجمها الحقيقي ، حتى لا يكون سببا في قلاقل يحتمل حدوثها ، كما لا بد له من ضمانات تساعده على أداء واجبه وفي نطاق مسؤوليته ، بما لا يتعارض مع شرف العمل الصحفي .

هذا بالاضافة الى ضرورة إيجاد خطة عمل يلتزم بها الصحفي وفقا لمتغيرات منطقة عمله فيستعين بها على نشر الحقائق ، وفضح الأكاذيب والافتراءات التي يحاول الإعلام الغربي أن يدسها على مجتمعه ، وكذلك مؤامراته الخبيثة التي تنال من عقيدته وعقيدة أمته المسلمة ، سواء بأسلوب مباشر أم غير مباشر عن طريق وكالات الأنباء - مثلا - التي تمد صحف العالم الاسلامي بالأخبار والتقارير التي تحمل في معظمها وجهة نظر أجنبية - أي غير اسلامية .

ولعلنا نلحظ خطورة هذه الوكالات العالمية اذا علمنا أن « يهود » يسيطرون على ٩٥٪ منها ونتيجة ذلك معروفة للجميع مما يستدعي قيام الحكومات العربية والاسلامية مجتمعة بإنشاء وكالة أنباء اسلامية عالمية .

وتأسيسها على أساس علمي ومنهج إيماني ، بحيث تشارك في إبداء الرأي وتوظيف الأخبار والمعلومات التي تلتقطها وتبثها توظيفا إسلاميا .

وبذلك نكون قد قطعنا نصف المسافة وأوجدنا وحدة في الهدف أمام الصحفي المسلم ، أما النصف الآخر من المسافة فيتحقق بالعمل على إيجاد ضمانات أمنية لمثل هذا النوع من الصحفيين في صورة اتحاد أو هيئة عالمية للصحافة المسلمة تسأل عنهم اذا اختفوا وراء الأسوار ، وتقف تؤازرهم في حالة تعرضهم لمحاولات اضطهادية أو تعسفية ، وهذا ما عبر عنه الصحفي الأستاذ صلاح عزام بعبارة « **وحدة الهدف ووحدة الصف** » في محاضرة له عن ضمانات وجود الصحفي المسلم واستمراره - بقسم الصحافة والاعلام بجامعة الأزهر بالقاهرة في مارس ١٩٨٧ .

الحكومات العربية الاسلامية مطالبة بإنشاء وكالة إسلامية عالمية .. فهل من جواب ؟!

والخبر الصحفي يتسم بالصدق والأمانة وعدم تأويل المعلومات والحقائق حسب الأهواء الشخصية ، أو صياغتها بأسلوب يخدم اهدافا خاصة ، أو يتمشى مع سياسة الصحيفة فقط ، لأن الصحيفة في ظل الشريعة ترسم سياستها على النهج الاسلامي الذي من أهم عناصره التثبت .. فليس من النهج الاسلامي إشاعة الفوضى نتيجة خبر كاذب أو مشكوك في صحته ، جاء به صحفي غير أمين وسارعت الصحيفة بنشره لاحراز «سبق صحفي » مما يعرضها للمساءلة والمقاضاة ، ولذا فعلى الصحفي أن يتأكد من صحة المعلومات والبيانات قبل نشرها حفاظا على رسالته وصحيفته وسمعته .

وليس من النهج الاسلامي نشر ما يؤدي الى اهتزاز قيم المجتمع المسلم وأخلاقياته .. كالصور العارية ، والقصص الجنسية ، وغراميات نجوم السينما والمسرح والتلفزيون واخبارهم العاطفية ، أو أخبار الحوادث والجرائم وتضخيمها .. لأن نشر مثل هذه النوعيات في الصحيفة يساعد على إشاعة الفاحشة ويهون من شأنها ويقلل من قيمة الجريمة ويدفع الآخرين الى ارتكابها وكأنها أمر طبيعي مع أنها خطأ كبير في حق المجتمع وايضا لا تتفق على الاطلاق مع شرف العمل الصحفي ونتيجتها في معظم الأحيان غير مرضية . يوضح ذلك قوله تعالى : (**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة**) النور/ ١٩ .

● مسؤولية الاذاعة والتلفزيون ●

واذا كان للصحافة هذا الدور في مجتمع الشريعة ، فجهازا الاذاعة والتلفزيون يضطلعان بمسؤولية توجيه أفراد المجتمع الى اتخاذ السلوك المتفق مع شريعته السامية ،

والارتفاع به عن الأخطاء والسلبيات إذ إن تأثير الاذاعة والتلفزيون يفوق تأثير الصحافة على اعتبار أن الاذاعة والتلفزيون يسعيان الى الفرد أينما وجد ولا يحتاجان الى القراءة

بالاضافة الى ميزة سرعة الانتشار ويكفي أن نعرف ان الموجة القصيرة تدور حول الأرض ٨/ث (ثماني مرات في الثانية) والتلفزيون يجمع بين حاستي السمع والبصر الذي يكسب بهما الانسان ما يقرب من ٩٨٪ من معلوماته .

ولذلك فإن هذه المزايا تلقى التبعة على هذين الجهازين الجماهيريين في تتبع أحداث المجتمع الاسلامي وتبني قضاياه الداخلية والخارجية ، بحيث يكون كل منهما مرآة تعكس واقعه

وتعالجه بصدق وموضوعية ، ويمثل حلقة اتصال فعالة بين القمة ـ ممثلة في ولاة الأمور ـ والقاعدة ـ ممثلة في عامة أفراد المجتمع ـ وبحيث لا يكون كلاهما وسيلة دعائية لنظام ما ، تغطي عيوبه وترسم له صورة جميلة لدى الناس وتشوه له رد فعل قراراته على الجماهير .

فمسؤولية الإذاعة والتلفزيون تقديم النصح والإرشاد لكل أفراد المجتمع حاكما ومحكوما ، انطلاقا من أن

الدين النصيحة لله ولرسوله ولعامة المؤمنين وخاصتهم ، وأن النصيحة هي حق الجميع ، ومن هنا فلا تبرير

للأخطاء ولا ارتفاع بفئة من الناس فوق أخرى ، ولا تشويه أو إخفاء للحقائق .. حتى لا يتجه المواطنون الى الاذاعات الأجنبية بحثا عن حقيقة ما يجري في بلادهم لأنها في نظرهم

أصدق في إذاعة الأحداث الجارية في العالم ، وهذا في حد ذاته شيء خطير حيث إنه يخلق مواطنين بآذان

أجنبية ، وغير خاف علينا ما يكيده الاعلام الغربي بجميع أجهزته للاسلام والمسلمين ، وما يدبرونه صباح مساء لزعزعة عقيدته وتشويهها في نفوس أبنائه .

● التعبير عن روح الاسلام وفكره ●

وخلاصة القول : أنه اذا كان الإعلام بمعناه العام هو تعبير عن أي شعب أو أمة أو جماعة ، فاعلام

المجتمعات الاسلامية لا بد أن يكون أصدق تعبير عن روح الاسلام وفكره

ونظرته للأمور وأن يكون لسان حال المجتمع المسلم على الصعيد الدولي ، مما يلزم الاعلاميين أن يتقيدوا بشرع

الله فيما يتعلق بعلاقات الأفراد وعلاقات الأمم والشعوب بل والعلاقات الدولية التي تعتبر أعظم شأنا وأكثر حساسية .

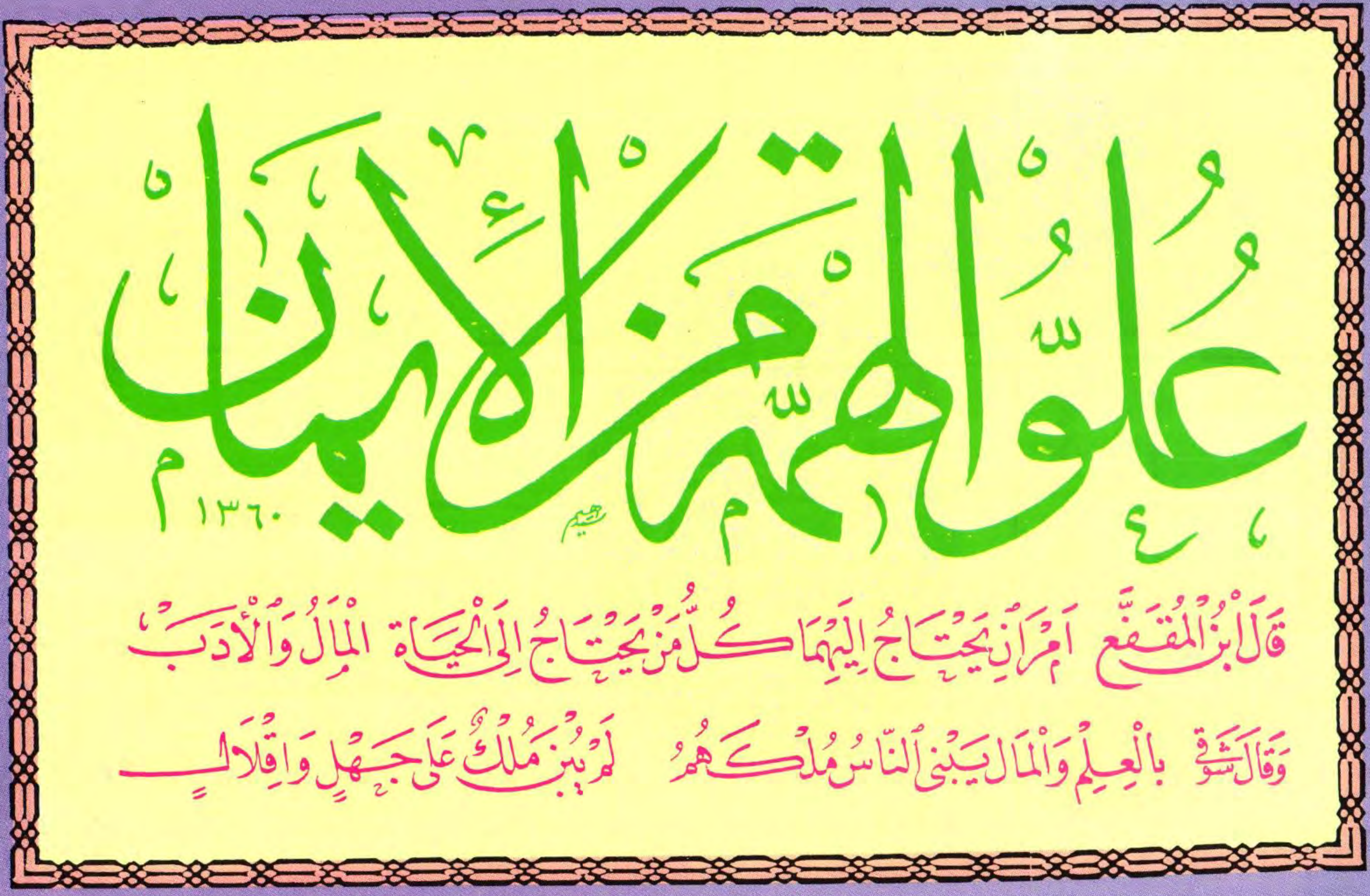
وعلى **سبيل المثال** اذا طبق رجل الاعلام قوله تعالى « **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها** » النساء / ٨٥ في تناوله للأخبار الداخلية أو الخارجية وعرف ثقل المسؤولية التي تحملها له هذه الآية الكريمة ، لما كان هناك بث لروح العداوة والبغضاء بين الأفراد

والشعوب ، أو تزكية لروح الحرب الساخنة أو الباردة بين الدول والتي تتنافى جميعها مع روح الاسلام تلك الروح التي يجب أن يلتزم بها إعلام المجتمعات الاسلامية حتى يمكنه التعبير عن فلسفة اعلامية تنبثق من

شريعة الله الخاتمة ، التي هي - بلغة العصر - أيديولوجية الدولة الاسلامية - فهل من وقفة لتصحيح المسيرة الاعلامية في بلاد المسلمين

لتكون وفق المنهج الاسلامي ؟ وهل من تحرك يعيد خطوتها الواثبة لتنطلق من حظيرة الاسلام النقية الطاهرة ؟

وهل من استراحة لاعلامنا يلتقط أنفاسه ويعيد حساباته مع الاعلام الغربي الملوث ، فيفيق من تبعيته له ، ويستريح من الجري وراء فلسفاته ومناهجه ... آمل أن يتحقق ذلك .



علو الهمة من الإيمان
١٣٦٠
هاشم
قال ابن المقفع امران يحتاج اليهما كل من يحتاج الى الحياة المال والأدب
وقال شوقي بالعلم والمال يبني الناس ملكهم لم يبن ملك على جهل واقلال

مَــرَّة
أُخْرَى

ولتكن منكم امة يدعون الى الخير

إعداد /
فهمي الامام

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

ادفَــع
دينارًا
تنقــذ
مسلمًا



قيل لرجل اعتاد أن يهلك ماله في وجوه الخير : لا خير في السرف ، فإن الله يأمر بالاعتدال في كل شيء .. يقول سبحانه : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) فأجاب الرجل السخي المعطاء : لا سرف في الخير .

من هنا فإننا ندعو إلى البذل والعطاء في ميدان البذل والعطاء ، وإنه لجهاد بالمال يعدل الجهاد بالنفس .

أرأيت أخي لو كان تبرعك سينقذ مسلما من براثن الفقر ، ويحميه من الزيغ والضلال ، ويصد عنه تيارات الفساد التي تريد أن تصرفه عن دينه ، وتفتنه في إيمانه .

أرأيت أخي لو كان دينارك الذي تتبرع به سينقذ هذا المسلم .. فهل تتأخر عن بذله ؟

بل إنه يجب عليك وأنت قادر على ذلك أن تسارع إلى العطاء طيبة به نفسك ، وإلا فأنت مسؤول أمام الله عما يعتري الاسلام ويصيب المسلمين .

وقد رفعت الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية شعار : « ادفع دينارا تنقذ مسلما » . وعقدت الهيئة أسبوعها الخيري الأول تحت شعار : « المسلمون بين الحاضر المأساوي والمستقبل المشرق » .



الجسار:

صنائع المعروف تقي مصارع السوء

وكان حفل الافتتاح الرسمي يوم السبت الموافق ١٢/١٢/١٩٨٧ ، وقد شمله سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح برعايته .. وقد أناب سموه وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الأستاذ خالد احمد الجسار الذي ألقى كلمة نيابة عن سموه أكد فيها ان وجود الهيئة يعتبر ضرورة لازمة .. ووسيلة يتوقف عليها أداء الواجب الاسلامي العام للمسلم نحو أخيه المسلم .

واعتبر الجسار أنها تقدم البديل السوي الذي يؤمن به وقوع المنكوبين من المسلمين فريسة لجهود مشبوهة توظف لاغاثتهم على حساب اضعاف انتمائهم لدينهم وولائهم لأمتهم .

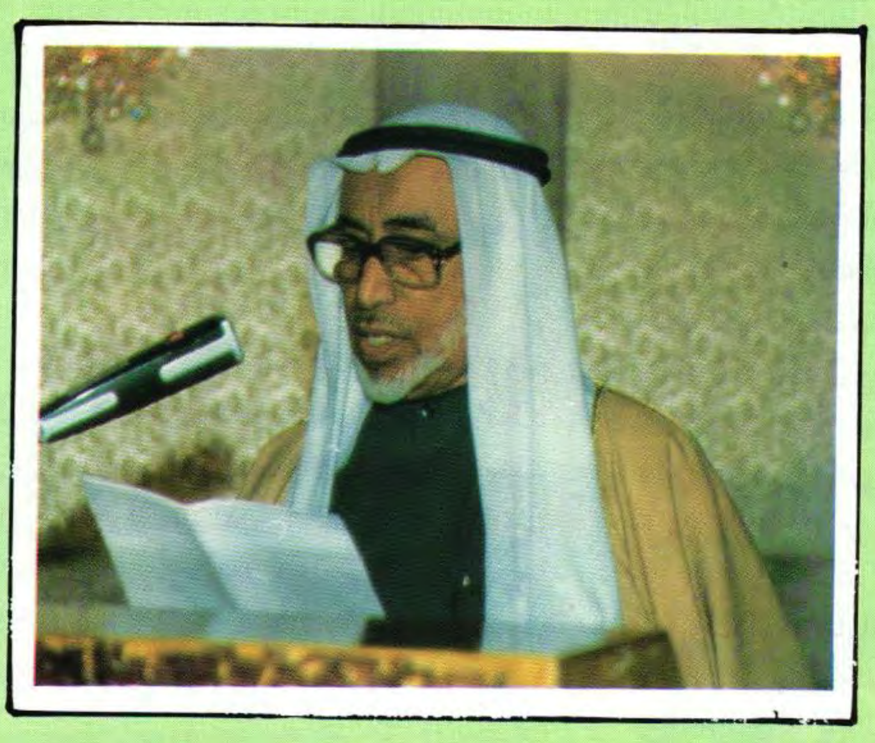
وقال الجسار في كلمته لقد تفضل سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء فشرفني عنه بالانابة .. بافتتاح الأسبوع الخيري الأول للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية .

وقال لقد كان مما وفق الله اليه دولة الكويت - باهتمام سمو أمير البلاد وولي عهده حفظهما الله - أن تضيف الى مبادراتها المقدمة للعالم الاسلامي النهوض بانشاء « الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية » ، واتخاذ الكويت مقرا لها ، ومنحها الصفة العالمية المستقلة انسجاما مع طبيعة تأسيسها وميادين نشاطها ، وعمق اهدافها المتمثلة في تحسس آلام المسلمين في كل مكان من العالم والاهتمام بمشكلاتهم المادية والمعنوية التي تتطلب مد يد العون لازالة معاناتهم وتحسين أوضاعهم اقتصاديا واجتماعيا وفكريا بما يصون عقائدهم والتزامهم بمبادىء دينهم ويحفظ مقومات شخصيتهم الاسلامية ويحقق معاني التكافل الذي لا يكمل الايمان الا به والمشار اليه في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم به » ، وقوله عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ولا نبالغ ان قلنا ان وجود هذه الهيئة يعتبر ضرورة لازمة ، ووسيلة يتوقف عليها أداء الواجب الاسلامي العام للمسلم نحو اخيه المسلم فهي تقدم البديل السوي الذي يؤمن به وقوع المنكوبين من المسلمين فريسة لجهود مشبوهة توظف لاغاثتهم على حساب اضعاف انتمائهم لدينهم وولائهم لأمتهم .. وهذا الدور المنوط بالهيئة وقاية وعلاجا هو في غاية الأهمية ومن العسير أن ينهض به الأفراد أو المؤسسات المحلية على الوجه الأمثل .

وأضاف قائلا ان وجود هذه الهيئة يأتي استجابة طبيعية لما أمرنا الله به من التعاون على البر والتقوى بأسلوب يجمع بين الخبرات التي يقدمها اهل الغبرة في رصد أحوال المعاناة للمسلمين وبين القدرات المالية على البذل والانفاق في سبيل الله « ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله » و«يد الله مع الجماعة » .

ومن هذا المنطلق تأتي اقامة هذا الأسبوع الخيري للهيئة لتكثيف الجهود لدعمها وامدادها بمقومات المسيرة المنتظمة في تحقيق اهدافها وقطف ثمارها ، وان الاسهام السخي المأمول لانجاح هذا التداعي الى الخير والتنادي الى البر ينبثق من مكاسب القدرة الطيبة والأسوة الحسنة والتواصي بالحق والتنافس على التماس الأجر والمسارعة الى الخيرات والواجبات التي يعود نفعها على الجميع ويدوم خيرها دوام الصدقات الجارية ، وفي هذه المبادرات التي تذكر من كان ناسيا ، وتعين من كان ذاكرا جاء الحض النبوي البليغ بقول



الرسول صلى الله عليه وسلم : « من سن سنة حسنة عمل بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء » .

الفطرة المؤصلة

لقد عرف اهل الكويت بالجود بالموجود ، والمواساة بما في أيديهم منذ أن كانوا في المنزل الخشن الذي صبروا عليه ، وبعد أن أيسروا ، وفي كل الأحوال والظروف وقد استقر في نفوسهم واطمأنت قلوبهم بالفطرة المؤصلة بالمعاني الاسلامية التي تقرر ان من تعرف الى الله في الرخاء يعرفه في الشدة ، وأن صدقة السر تطفىء غضب الرب وان صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وان الزكاة تحصن المال ، وانه ليس للانسان من ماله الا ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ؛ أو تصدق فأبقى وان الله لا يضيع أجر المحسنين .

اننا نأمل ان تكون النتائج الطيبة التي يحققها هذا الأسبوع الخيري للهيئة مدعاة الى تكراره في بلدنا المعطاء وفي شتى البلاد التي من الله عليها بالقدرة ووفقها الى البذل وتقديم العون المنظم لمستحقيه فالهيئة لها ـ ان شاء الله ـ جذورها في كل بلد اسلامي ولها بذورها المثمرة في كل بيئة تفتقر الى مقومات الحياة الكريمة ، وقد حققت اعمالا جليلة رغم قصر الفترة التي أمضتها من عمرها الفتي .

وذلك الفضل من الله في وجودها ومنجزاتها ثم ممن استجابوا الى قول الله تبارك وتعالى : **(من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة)** .

ونسأل الله العلي القدير ان يكلأ بعين رعايته وعنايته من أقام الهيئة واحتضنها ونادى بدعمها واسنادها سمو أمير البلاد وسمو ولي عهده حفظهما الله وحفظ البلاد واهلها من كل شر ومكروه .

الحجي: افتتاح أول إذاعة إسلامية في سيراليون

رئيس الهيئة

ثم ألقى رئيس الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية يوسف جاسم الحجي كلمة أوضح فيها ان اختيار الكويت لتكون مقرا رئيسيا لأول هيئة خيرية اسلامية عالمية لم يكن مصادفة انما جاء متفقا مع المشاعر الخيرية النبيلة التي عرفت عن اهل الكويت ماضيا وحاضرا ، وسنكون كذلك مستقبلا باذن الله واشار الى ان الهيئة وضعت شعار « المسلمون بين الحاضر المأساوي والمستقبل المشرق » ليكون منطلقا وأساسا لحملتها الاعلامية .
وذكر ان الاحصائيات الدولية تشير الى ان نسبة الفقر في العديد من المجتمعات الاسلامية تصل الى أكثر من ٨٠٪ وان متوسط الدخل السنوي للفرد الواحد لا يتجاوز الـ ١٠٠ دولار ... وان نسبة الأمية تصل في بعض المجتمعات الاسلامية الى أكثر من ٩٠٪ وانه في عام ١٩٨١ مات ١٧ مليون طفل رضيع في العالم « ١٣ مليون منهم كانوا من الدول الفقيرة في آسيا وافريقيا والتي معظم سكانها من المسلمين » ، وان قدرة هذه المجتمعات في الانفاق على القطاع الصحي لا تتجاوز الدولار للفرد في العام الواحد .

٥٩ مشروعا

وأفاد الحجي انه رغم المدة القصيرة لانشاء الهيئة فقد بلغ عدد المشروعات التي تم استكمالها في الفترة الماضية ٥٩ مشروعا في ١٣ دولة بتكلفة اجمالية قدردها ٨ ملايين و٥٩ ألفا و٣٩١ دولارا موزعة بين مساجد ومدارس ومراكز طبية ومزارع نموذجية ومشروعات انتاجية ومجمعات اسلامية وكليات للقرآن الكريم والعلوم الاسلامية وآبار ارتوازية .

اضافة الى افتتاح أول اذاعة اسلامية في سيراليون بالتعاون مع لجنة مسلمي افريقيا حيث تبث البرامج الاسلامية والقرآن الكريم والسنة النبوية والشريعة والعقائد لتلك المنطقة بلغة اهلها وباللغة الانجليزية والفرنسية . وتوجه رئيس الهيئة في ختام كلمته بالشكر لمقام حضرة صاحب السمو أمير البلاد وسمو ولي عهده الأمين والحكومة الرشيدة لاحتضانهم الهيئة ورعايتها ودعمها .. وشكر كل من ساهم بماله وجهده في دعم الهيئة .



كلمة المذكور

ووصف د . خالد المذكور الاحجام عن الاتفاق في سبيل الله بأنه تهلكة للفرد والمجتمع .

وقال في كلمته ان الاسلام يرغب في الصدقة ويحث على الاحسان والنفقة ويستثير في الفرد أقصى طاقات البذل ،

ويصل الى مكامن النفوس ويوقظها من سباتها وينهضها الى المشاركة الدائمة في تحقيق الآمال وتخفيف الآلام وتقديم العون الى مستحقيه .

وشدد القول بأن قبض اليد عن سبيل الله والضن بالمال على خير المجتمع ، هلاك للفرد يزله عن مراتبه ، ويؤخره في سباقه ويرده أسيرا لنوازع هابطة . وأضاف ان الاحجام عن الانفاق في سبيل الله تهلكة للفرد والمجتمع ، وارتقاء لبناء الأنانية يقطع الأواصر ويوهن العلائق ويفقد المجتمع خصائصه وينزع منه سره وروحه .

وقال ان دعوة الاسلام في أمر الخير والاحسان تطلب من كل مسلم جهده وترضى منه بطاقته ، ولا تحقر من المعروف شيئا فالمسلمون بحاجة الى كل جهد والقليل يعتبر كثيرا اذا ضم اليه غيره فليس قياس الاحسان بكمه بل بكيفه ونيته وغايته .

يقول صلى الله عليه وسلم « اتقوا النار ولو بشق تمرة » فان لم تجدوا فبكلمة طيبة . وقد عاب القرآن الكريم على العرب قبل الاسلام نزعتهم المادية التي لا تصل بالانسان الى أكثر من جلب الخير لنفسه ، والاستزادة من متاع الدنيا دون التفات الى غيره فقال تعالى : (**وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما**) .

عصر تخطيط

ومضى يقول ان عصرنا عصر تخطيط وتنظيم في شتى مجالاته والمسلمون اليوم في أمس الحاجة الى عقل مخطط ووسيلة منظمة للانفاق والعيش الكريم ، ومجابهة واعية

> ليس قياس الإحسان بكمه بل بكيفه ونيته وغايته

ملتزمة لما يخطط له اعداء الاسلام من غزو فكري واقتصادي ـ.

وأحسب ان الحملة الاعلامية الموفقة من الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية التي تبدأ برعاية سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء تهدف الى غايتين :

الأولى : استنهاض الهمم لمعاني الخير والاحسان في النفوس والتذكير بما أفاء الله على هذه الأمة من النعم لتحمد الله على نعمائه وتشكره على جزيل عطاياه .

الثانية : اعطاء النموذج المثالي للانفاق في سبيل الله وفق مخطط مرسوم يتناول جمع المال واستثماره وطريقة انفاقه في سبيل الله لتشمل جميع المسلمين في شتى اقطارهم وتباعد ديارهم .

وتلك لعمري غايتان جليلتان أثبتت الهيئة منذ انشائها التزامها بهما وتأتي الحملة الاعلامية تذكر بهما وتنشط لهما . داعيا الله ان تجد هذه الحملة الاعلامية قلوبا مفتوحة للخير تلبي نداء الله سبحانه وتعالى (**ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**) .

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه اهل طاعتك ويذل فيه اهل معصيتك ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر انك على كل شيء قدير .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



ثم عقدت محاضرات للرجال وأخرى خاصة بالنساء ، شارك فيها كل من الدكتور/ يوسف القرضاوي ، والدكتور خالد المذكور ، والشيخ يوسف السند ، والشيخ احمد القطان ، والشيخ عودة فرهود ، والشيخ صلاح أبواسماعيل .

وبعد كل محاضرة أقيم معرض للصور الفوتوغرافية التي تحكي واقع المسلمين كما عرضت أفلام تلفزيونية (فيديو) عن أوضاع المسلمين والمشاريع الخيرية وكانت هناك تظاهرة اعلامية قامت بها الصحافة اليومية والأسبوعية والشهرية في الكويت ، والاذاعة والتلفزيون .

ويطيب لـ « الوعي الاسلامي » أن تشارك في هذا العمل الخير فتكون منبرا ندعو من فوقه الى التسارع في ميدان يثيب الله عليه أجزل الثواب ، يقول سبحانه : (**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء** » .

كيف ظهرت فكرة الهيئة ؟

واجابة على سؤال كيف ظهرت الى الوجود فكرة إنشاء الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية ؟ تقول الرسالة التي نشرتها الهيئة : ظهرت الفكرة عندما اجتمع المجمع الكنسي العالمي في كلورادو ، وقرر أن يجمع ألف مليون دولار لتنصير المسلمين . وكان هناك اجتماع بمؤتمر المصارف الاسلامية ، فأطلق الدكتور يوسف القرضاوي صرخته في المجتمعين داعيا الى جمع ألف مليون دولار لانقاذ المسلمين ،

ومن هـذا المنطلق التقت مشاعـر المخلصين من أبناء الأمة الاسلامية ومن كافة أقطار المعمورة في مؤتمر ضم ما يربو على (١٥٠) شخصية اسلامية من شتى انحاء العالم في الكويت ، وكان ذلك في ١٧ من رمضان سنة ١٤٠٤هـ ـ الموافق ١٧ من يونيو سنة ١٩٨٤م .

وتوحدت قناعة المجتمعين تفاعلا مع حـاضر الأمة ومستقبلهـا بضرورة انشاء هيئة اسلامية عالمية فكانت الفكرة وكان العمل على تأسيسها .

موطن الفكرة

احتضنت الكـويت هذه الانطـلاقة الخيرة ، وجريا على عادتها كـانت سباقة في ميدان الخير ، ليس على أرضها فقط ، بل في كافة الأقطار العربية والاسلامية ، واتسعت دائرة الخير لتشمل الشعوب الصديقـة ، وذلك كله بفضـل الله ، واعترافـا بنعمه ، وشكرا له سبحانه،وتجسيدا

للفكرة ونقلا لها الى حيز الوجود صدر المـرسوم الأميـري رقم ٦٤ لسنة ١٩٨٦ في شأن انشاء الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية ، ليكون مقرهـا الكويت .

أهداف الهيئة

الهيئة عالمية التأسيس ، تهدف الى جمع ألف مليون دولار كحد أدنى يساهم فيه المسلمون من كل أنحاء العالم ، وشعارها « ادفع دينارا تنقذ مسلما » .

ويمكن اجمال اهدافهـا في النقاط التالية :

* معاونة الفقراء والمرضى والأيتام والمعوذين ومنكوبي الكوارث والمجاعات والقيام بكافة أنشطة الخير والبر ..

* نشر الثقافة الاسلامية والتعريف بمبادىء واخـلاقيات الـدين الاسلامي الحنيف .

* اعداد الدراسات العلمية التي ترمي لمعرفة واقع المسلمين ووضع البرامج والخطط المناسبة لمعاونتهم .

* انشاء المساجد والمراكـز والمؤسسات التعليميـة والاجتماعيـة والصحية والثقافية الاسلامية وتنشيط رسالتها والمساهمة في نفقاتها .

* تقديم المعونات العينية والنقدية في حالات الكوارث والمجاعات ...

* تنسيق العمل الخيري مع المؤسسات والهيئات ذات الأغراض المتشابهة .



ومع ان الهيئة قد تلتقي مع غيرها من الهيئات والمؤسسات الاسلامية واللجان الخيرية في أوطان المسلمين ، إلا أنها تختلف عما سواها في أنها عالمية التكوين والأهداف والاستثمارات ونشاطها ممتد الى دول العالم الاسلامي ، والى الأقليات الاسلامية في شتى أقطار المعمورة . ثم ان الهيئة تنسق مع غيرها من الهيئات واللجان الخيرية المحلية ، حتى لا تتعارض الجهود ، أو يحدث تداخل في العمل ، كأن يبنى أكثر من مسجد في بلد لا يحتاج الا الى مسجد واحد .

ريادة في عمل الخير

هذا وان الهيئة قد قررت ان تستثمر أموالها في مشاريع انتاجية ، تدر ربحا مستمرا ، وعائدا يوزع على المحتاجين وبذلك يبقى الأصل مصدر عطاء دائم ، الى جانب ان المشاريع تستوعب أعدادا من ذوي الحاجات يعملون ، ويبذلون جهدهم وعرقهم

فيحصلون على أجر يكفيهم ويغنيهم عن السؤال ويتحولون الى طاقة منتجة ، لا الى عالة ومتسولين . وذاك هو المنهج الاسلامي .. فاليد العليا خير من اليد السفلى ، وقد أرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ـ قائلا :

« والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا ، فيسأله أعطاه أو منعه». وبذلك يتم غرس معاني العزة والاعتماد على النفس وتكون الهيئة رائدة في عمل الخير حيث حققت هدفين معا :

الأول : ضمان مصدر رزق مستمر للمحتاج من المسلمين .

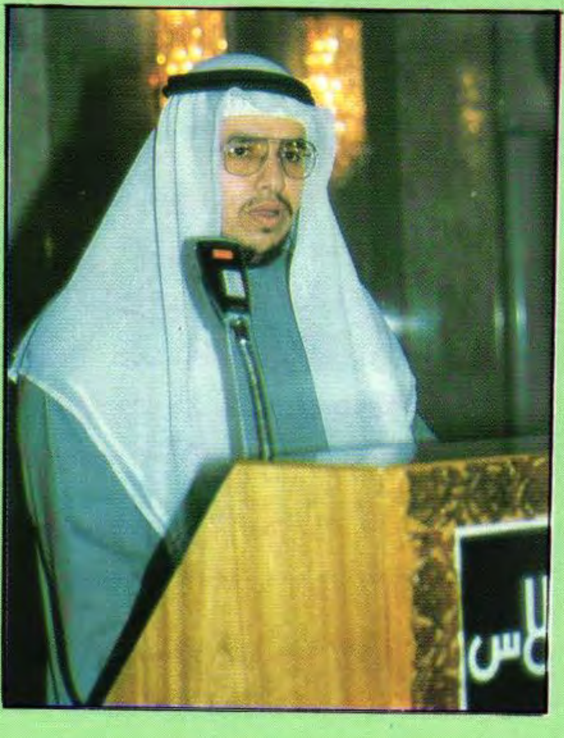
الثاني : أن المنفق يحصل على ثواب يناله حتى بعد موته مصداقا لحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

الخير بمفهومه الشامل

الخير ليس في انفاق المال فقط ، بل قد يكون تبسمك في وجه أخيك صدقة ، وكلمة طيبة صدقة ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر صدقة ، ودعوة الناس الى الخير صدقة ، فالدال على الخير كفاعله ، ومساهمتك بالعمل وبذل جهدك وخبراتك وكفاءتك في سبيل الخير عمل عظيم تثاب عليه في الدنيا والآخرة ، حيث يبارك الله لك في صحتك ويرزقك العافية في بدنك ، ويجزيك خير الجزاء في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، فقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنك اذا أعنت الرجل على دابته كان ذلك صدقة ، فمن لا يملك المال يملك الخبرة الاستشارية ، والمساهمة بالجهد ، والمهارة في الاشراف على مشاريع الهيئة ، والدعوة الى الله ، والدفاع عن الاسلام ، والتدريس لأبناء المحتاجين وتطبيبهم فالخير مفهوم شامل لكل ما يعود بالنفع على المسلمين . ومما ينبغي أن نشير اليه هو ان الهيئة لم توجد لجمع المال من دول الخليج العربي وتصديره للخارج فقط . ولكن هذه الأموال تحرك الاقتصاد الداخلي في دول المنطقة كاستثمار داخلي بشتى صوره وفي نفس الوقت تقدم المساعدات المالية لمن يحتاج من المسلمين في أي مكان .







نشاطات اعلامية للهيئة

وتمثلت نشاطات الهيئة الاعلامية غير ما ذكرنا ـ في :

١ ـ انتاج مسلسل باسم الهيئة تحت شعار : مسيرة الخير .

٢ ـ تسجيل أحكام الصدقات واذاعتها في الاذاعة الكويتية ، واختيار كل من فضيلة الشيخ حسن مناع رئيس التحرير ، والدكتور خالد المذكور ـ المدرس بكلية الشريعة ـ جامعة الكويت ، والدكتور عمر الأشقر المدرس بكلية الشريعة ـ جامعة الكويت ـ للرد على استفسارات المواطنين والمقيمين للتعريف بالهيئة وصور الانفاق ، والزكاة ، وغيرها من التشريعات في هذا المجال .

٣ ـ قامت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بحث الناس على التبرع عن طريق المساجد وخطبائها الى غير ذلك من الأنشطة .

انجازات للهيئة

خلال الفترة من سبتمبر ١٩٨٧م الى يناير ١٩٨٨م :

قامت الهيئة بانجاز عدد من المشروعات منها :

● بناء مسجد في قرية نديم مركز بلبيس في مصر .

● اكمال متطلبات العيادة والمدرسة الملحقين بمسجد الرحمن في مشتول السوق بمصر .

● حفر بئرين ارتوازيين في منطقة تانغيم في بوركينا فاسو .

● بناء مسجد النور في منطقة دلتوتا بسيرلانكا .

● بناء مسجد المعهد الديني الأزهري للفتيات بمنطقة حجازي قبلي مركز قوص بمصر .

● بناء مسجد الجامعة المحمدية «أنصرة الاسلام» في الهند .

● بناء معهد اعدادي ثانوي أزهري للبنات بمنطقة بهرس مركز امبابة بمصر .

وللمرأة دورها الايجابي

وفي كلمة للأستاذ احمد بزيع الياسين عضو مجلس ادارة الهيئة التي خاطب بها جمعا نسائيا مرحبا بهن وبمشاركتهن للهيئة في حملتها الاعلامية في يومها الثاني .. والذي أقيم تحت رعاية الشيخة لطيفة فهد السالم الصباح حرم سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح .

قال الياسين : ان اختيار الكويت لتكون مقرا رئيسيا لأول هيئة خيرية اسلامية عالمية لم يكن مصادفة انما جاء متفقا مع المشاعر الخيرية النبيلة التي عرفت عن اهل الكويت ماضيا وحاضرا وستكون مستقبلا باذن الله .

نظرة مستقبلية

ثم قال سيادته :
ان نظرة الهيئة الى المستقبل لا تقف عند حدود المساعدات العاجلة فقط انما اعتمدت الأسلوب الاستثماري بغرض الوصول الى مستقبل مشرف للمسلمين من خلال تأمين فرص عمل مستمر للعاطلين ، وتدريب وتطوير المهارات للعاملين ، اضافة الى اقامة مشاريع اقتصادية متعددة الأغراض لتنمية ورفع المستوى الثقافي والتعليمي والعقائدي لهم . وبذلك ينشأ الفرد المسلم العامل الذي يعتمد في رزقه على الله ثم على جهده وعرقه وانتاجيته .

مشروعات تم انجازها :
ثم قال : ورغم المدة القصيرة لانشاء الهيئة فقد بلغ عدد المشروعات التي تم استكمالها في الفترة الماضية ٥٩ مشروعا وتفاصيلها كالآتي :

المشروع	القيمة
١ ـ اقامة مشروعات انتاجية وخدمات	بقيمة ٤٨٨٨٠ دولار
٢ ـ بناء مدارس ووحدات صحية	بقيمة ١٠٤١٥٤٠ دولار
٣ ـ بناء مساجد ودعم مراكز اسلامية	بقيمة ٤٦٥٥١٤٧ دولار
٤ ـ منح دراسية وتعليمية مختلفة	بقيمة ٣٤٣٦٤٨. دولار
٥ ـ مساعدات للأسر الفقيرة	بقيمة ٢٩٨٢٣٤ دولار
٦ ـ توزيع مصاحف وكتب اسلامية	بقيمة ١١٢٦٠٧ دولار
٧ ـ مساعدات اغاثة لمواجهة كوارث ومجاعات	بقيمة ١٥٠٤٠٨٥ دولار
٨ ـ قروض حسنة	بقيمة ٥٥٢٥٠ دولار

عالمية الهيئة

الأخوات الفاضلات :
بعد انتهاء حملتنا الاعلامية الشاملة لجمع التبرعات في الكويت وهو المقر الرئيسي للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية سننطلق باذن الله تعالى لاقامة حملات اخرى مماثلة في الدول الخليجية والعربية والاسلامية والعالمية حتى تصل اهدافنا ومشاريعنا الى كافة أرجاء المعمورة والى كل مسلم يعيش على هذه الأرض .

وقد بدأت دولة قطر الشقيقة بالاستعدادات الاعلامية على مختلف الجهات ، حيث أصدر وزير التربية القطري ـ جزاه الله خيرا ـ قرارا الى جميع العاملين بالوزارة ومدارسها للحث على التبرع للهيئة واعمالها الخيرية .

كما انه ليسعدني ايتها الأخوات الفاضلات انه تم بعون الله تعالى افتتاح أول فرع للهيئة خارج الكويت في دولة النيجر حيث وفرت الدولة هناك كافة الامكانات لرعاية المكتب ومنح موظفيه الحصانة الدبلوماسية واعفائه من جميع الضرائب المفروضة على الأعمال التجارية وناشدت الدولة جميع وزاراتها ومؤسساتها التعاون التام مع مكتب الهيئة وأنشطة المكتب التجارية والاستثمارية المختلفة ، ونأمل بانطلاقات جديدة لفروع أخرى في القريب ان شاء الله في كل من أوغندا والسودان والبحرين والأردن وغيرها ...

أوّل فرع للهيئة خارج الكويت في النيجر

نداء

أترانا بعد الذي قلنا بحاجة الى أن ندعوك أخي المسلم لتقوم بواجبك تجاه دينك وتجاه أخيك المسلم أم أن مواقفنا سوف تظل في دائرة ردود الأفعال ، لا نتحرك الا اذا جثمت الأخطار على صدورنا ، وساعتها لن نستطيع حراكا، ولو استطعنا لاستدعى ذلك جهدا مضاعفا ، وعملا شاقا ومضنيا ، ان أفضل طريق لدفع العدوان ـ كما يقولون ـ هو الهجوم .

ان الدين الاسلامي ، دين فاعل حركي ، وليس مجرد طقوس وشعائر تؤدى في المسجد وحول البيت العتيق وفقط ، انه المعاملة ، ونصرة المظلوم والتعاون على البر والتقوى ، ومواساة اليتيم ، والبائس والمحتاج وصدق القائل :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

وانا لنعجب مع شوقي :

عجبت لمعشر صلوا وصاموا ظواهر خشية وتقى كذابا
وتلفيهم حيال المال صما اذا داعى الزكاة بهم أهابا
لقد كتموا نصيب الله منه كأن الله لم يحص النصابا
ومن يعدل بحب الله شيئا كحب المال ضل هوى وخابا

ونحن نعوذ بالله من الضلال والخيبة ، ونذكرك بأنه توجد للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية حسابات في المصارف التالية :

في دولة الكويت
بيت التمويل الكويتي
حساب زكاة ١٩/٥
حساب تبرعات ٢٣/٣

في دولة قطر
مصرف قطر الاسلامي
صدقات ٧١٧
اغاثة ٧٢٣

في دولة البحرين
بنك البحرين الاسلامي
صدقات ٢٧٢٠
زكاة ٢٧٢١

تركيا ـ استانبول
بنك فيصل الاسلامي
عام ١٣٤٥٦٠

في السودان ـ الخرطوم
بنك التضامن الاسلامي
صدقات ٤٧٩٢/٨
زكاة ٤٧٩٣/١

الأردن ـ عمان
البنك الأردني الاسلامي
عام ١٧٢٦٩
عام ٦٠٤

أبو ظبي
بنك دبي الاسلامي
عام ٣٥٠٠
ـ

دبي
بنك دبي الاسلامي
صدقات ٧٠٥٠
زكاة ٧٠٤٠

القاهرة
المصرف الاسلامي الدولي
عام ٤١١٦٧
زكاة ٢٠٣٢٧
اغاثة ٢٠٣٢٨



ويمكن ارسال شيكات أو حوالات مصرفية من أي مكان في العالم لأي مصرف من المصارف المذكورة كما يمكن ارسال شيكات أو حـوالات بريدية على عنوان الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية :

الكويت ـ ص .ب : ٣٤٣٤ الصفاة الرمز البريدي : (13035) .

عنوان الهيئة في الكويت : مجمع الأوقاف ـ برج ١٧ الدور الثاني ـ هاتف : ٢٤١٨٠٢٥ ـ ٢٤٤٨٦١٤



دعائم الأخلاق في الإسلام

للدكتور / محمد الدسوقي

مما لا مراء فيه ولا خلاف عليه أن الاسلام بكل تعاليمه وآدابه يبني مجتمعا أخص سماته الأخلاق الحميدة ، والشواهد على هذا من النصوص القرآنية والحديثية كثيرة ، بل لا أكون مغاليا إن ذهبت إلى أن كل هذه النصوص تصب نحو تربية الشخصية الانسانية تربية أخلاقية سامية تجعل منها النموذج الأمثل في الفضائل والشمائل ، ومن ثم تصبح خليقة برسالتها في الحياة ، وهي العبودية لله وحده . « **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . إنها ساءت مستقرا ومقاما . والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما . يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب و آمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم**

حسنات وكان الله غفورا رحيما »
سورة الفرقان / ٦٣ـ٧٠)

ولقد جاء وصف عباد الرحمن في هذه الآيات البينات . بعدة صفات ، وصفوا بأنهم الذين يمشون على الأرض هونا ، أى في تواضع ولين ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، كما وصفوا بالتهجد والخوف من عذاب جهنم وعدم الاشراك بالله ، أو فعل ما حرمه على عباده ، ولكن وصفهم بالسهولة والتواضع وسماحة النفس وسعة الصدر والصفح والعفو كان أول ما وصفوا به مما يؤذن بأن الانسان ، إذا كان على خلق كريم فهو عبد لبارئه يخلص له العبادة ولا يأتي أمرا منكرا ، ومن لم يتحل بالخلق الكريم فقد معنى عبوديته لخالقه ، وباء بخسران مبين ، ولعل هذا يفسر ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (بعثت لأتمم محاسن الأخلاق) رواه الامام مالك في الموطأ . او (إنما بعثت لأتمم صالح الاخلاق) رواه الامام احمد في المسند . فقد قصر هذا الحديث بعثة محمد صلى الله عليه وسلم على اتمام محاس الأخلاق ، أي علاج ما انحدرت إليه البشرية من فساد في العقيدة والسلوك والأعراف ، لقد لخص الحديث رسالة محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الهدف النبيل (في ظلال القرآن لسيد قطب حـ ٢٩ صـ ٢٢٣ . هدف التربية الاخلاقية التي تكفل للانسان كرامته وسيادته في هذا الكون ، فقد أسبغ الله عليه نعمه التي لا تحصى ، وفي مقدمتها تسويده وتكريمه وتسخير كل ما عداه من المخلوقات له ، واصبح بموجب هذه السيادة والكرامة مسؤولا عن كل تصرفاته الاختيارية ، وليست الأخلاق في جوهرها سوى مسؤولية الانسان عما يفعل .

على أن الانسان بما منحه الله من طاقات وقدرات يميز بها بين الخير والشر ، وبين الخلق الحسن والخلق السيىء لم يترك وحده لتحديد معايير الخلق المقبول ، والخلق المرذول ، لأن النفس الأمارة بالسوء قد تزين له الأمر القبيح فلا يرى فيه إلا الصورة التي تروق له ، وبذلك لا تنضبط المعايير ، ولا تستقيم المفاهيم الأخلاقية ، ويعتريها التفاوت من مكان إلى آخر ، ومن عصر الى عصر ، مع أنه لا تفاوت بينها من حيث الزمان والمكان ، فالانسان هو الانسان منذ خلقه الله ، وسيظل كذلك الى يوم النشور .

لقد وضع الاسلام الدعائم الاخلاقية التي يجب أن تكون المقياس الوحيد للخلق الانساني ، كما ينبغي أن يكون ، حتى يظل الانسان أهلاً للخلافة في الأرض يعمرها بالفضيلة والخير ، ويعلى فيها كلمة الحق والصدق ، وأهم هذه الدعائم ما يلي :

أولا : تطابق الظاهر والباطن .. تنهض التربية الأخلاقية في الاسلام على اساس ان يكون السلوك البشري ترجمة صحيحة لما وقر في الوجدان من إيمان ، فهو الصدق مع النفس في القول والفعل ، والتطابق بين السر والعلن ، أو الظاهر والباطن ، ولذا يصبح الخلق المقبول في الاسلام هو

الذي ينبثق عن يقين قلبي ، ويصبح كل سلوك لا يعبر عن شعور صادق ، وإيمان راسخ خلقا غير مقبول ، وإن اكتسى في الظاهر ثوب الفضيلة والأخلاق الكريمة .

وطوعا لهذا الأساس يكون النفاق والرياء والكذب والتدليس ، ونحو ذلك مما لا يترجم عن مشاعر صادقة خلقا ذميما لا يرتضيه الاسلام للمؤمنين به .

إن الخلق الاسلامي يرفض مبدأ المصانعة والتكلف ؛ وأن يعطى المرء من طرف لسانه حلاوة ، ومن صفحة وجهه بشاشة على حين يحمل الفؤاد مقتا وحقدا وخبثا وكيدا ، ومن هنا كان المنافق في الاسلام احط مرتبة من الكافر ، فهذا صادق مع نفسه فيما يؤمن به وإن كان مسؤولا عن كفره ، إنه يعيش حالة من الاستقامة النفسية ، ولا يكابد صراعا داخليا يمثل التناقض والتعارض بين الظاهر والباطن . أما المنافق فهو يظهر غير ما يبطن ، إنه يخون نفسه ويخدعها ومن كان كذلك خان الله ورسوله والأمانات التي كلف بحملها ولذا كان أسوأ حالا ومآلا من الكافر ، وكان كما أخبر القرآن الكريم في الدرك الأسفل من النار ، وبئس المصير .

ولأن الأخلاق في الاسلام حديث صادق عن يقين صادق كانت آية من آيات شجاعة المؤمن في الحق ، وسمة من سماته في العزة والاباء ، ودليلا على أنه لا يخشى فيما يؤمن به لومة لائم ، او سطوة ظالم او سفاهة جاهل ؛ ومن ثم لا يقيم للمعايير البشرية الفاسدة وزنا ، بل هو حرب عليها ، وقوة صامدة تقف امام تيارها لتنتصر القيم السامية ، ويسود طابع الخير المجتمع الانساني .

ثانيا الايمان بالوحدة الانسانية .. وإذا كانت الدعامة الأولى للأخلاق في الاسلام هي الصدق مع النفس ، والتطابق بين المظهر والمخبر فإن الدعامة الثانية لهذه الأخلاق هي الايمان بالوحدة الانسانية في أصل نشأتها ومصيرها ، فالناس جميعا خلقوا من أب واحد وأم واحدة ومردهم إلى الله ليحاسبهم على ما قدمت أيديهم في الدنيا إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر « **يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء** » سورة النساء آية ١ . « **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير** » سورة الحجرات آية ١٣ .

وهذا الايمان بالوحدة الانسانية يفرض على المسلم ألا يجعل للتفاوت بين الناس من حيث العقيدة واللون واللسان والوطن أثرا في الالتزام الخلقي نحوهم ، فهو يسلك مع الجميع سلوكا واحدا لحمته وسداه المبادىء والأحكام الاسلامية التي سوت بين البشر ، فهم كافة كأسنان المشط ، فلا طبيقية او طائفية أو عنصرية ، ولهذا يأبى الخلق الاسلامي أن يتعامل المسلم مع أخيه المسلم على نحو لا يأخذ به في تعامله مع غير المسلم ، لأنه إن فرق بين الناس لأمر ما في السلوك والأخلاق لم

يكن مسلما كاملا في اسلامه ، ولم يكن التزامه الخلقي في موقف دون موقف إلا انعكاسا لوهن العقيدة والتربية الأخلاقية الاسلامية التي تهيمن على المشاعر والضمائر في كل احوالها وعلاقاتها مع الانسان كانسان .

ويتصل بالايمان بالوحدة الانسانية ايمان الانسان بانه جزء من كل ، أو أنه لبنة في بناء المجتمع الانساني كله ، وأن كل أذى ينال اي جزء في هذا البناء يرتد عليه ، فالمسلم طوعا لهذا لا يظلم ولا يسخر ولا يغتاب ولا يلمز ، وبعبارة موجزة لايعتدي على سواه في صورة من الصور ، لأنه إن فعل ذلك فقد ظلم نفسه أو سخر منها ، او اعتدى عليها والله لا يحب المعتدين « **يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون** » سورة الحجرات . آية ١١ .

وإذا أيقن الانسان بأن كل انحراف خلقي يقع منه يرتد أثره عليه فإنه يأخذ نفسه ما استطاع باتباع كل سلوك محمود ، لأن الانسان بفطرته ينفر من كل عمل يعود بالضرر عليه ، ومن ثم لن يصدر عنه مايؤذي الآخرين ، لأنه بعض منهم ، فهو يؤذي نفسه وينال منها قبل أن يؤذيهم أو يسيء إليهم .

ويتجاوز المسلم في سلوكه الخلقي حدود السلبية أو الايجابية التي قد تجلب له خيرا الى البذل الايثار دون انتظار لأخذ ، فهو يحسن إلى الناس ، ولكنه لا يطمع في أن يكافئه أحد على الاحسان ، بل قد يرى في هذه المكافأة إهدارا لقيمة ما أعطى من معروف ، وهي ذروة في القيم الأخلاقية لم تبلغها كل المناهج البشرية .

إن وحدة المجتمع البشري في أصل نشأته ومصيره ، وإيمان المسلم بأنه جزء من كل يقضي عليه في أخلاقه بأن يحب لغيره ما يحب لنفسه ، ويكره لسواه مايكره لشخصه ، ويعتقد أنه مسؤول عن الأخرين كما أنهم مسؤولون عنه ، فهو التكافل المشترك ، والتراحم المتبادل ، والايثار الكريم .

وهذه الدعامة الأخلاقية تحطم كل نظريات العصبية الجنسية او العرقية وهي نظريات جلبت على الانسانية قديما وحديثا أفدح الأخطار والاضرار ، ويكفي أن الحرب العالمية الأولى والثانية قد نشبت بسبب النعرات العنصرية وما صاحبها من أطماع سياسية ، واستعمارية ، وقد دفعت البشرية ضريبة باهظة لتلك النعرات الكريهة ، تمثلت في ملايين الضحايا من الانفس ، وبلايين الأموال التي كانت تكفي لعلاج كل أمراض البشرية ومشكلاتها المختلفة .

ثالثا : الايمان بالضعف الانساني خلق الله الانسان ضعيفا ، ويتجلى ضعفه في صورة من صوره العديدة في سيطرة الأهواء عليه ، ومن ثم يؤمن ويكفر ، ويحسن ويسيء ، لكنه مع هذا الضعف يملك أسباب الانتصار على ما يفسد فطرته وينحط به في اخلاقه .

ويملك قدرة التمييز ، وإرادة الاختيار ، وحرية التصرف ، ولذا كان مكلفا ومسؤولا .

وما دام الانسان ضعيفا وعرضة للخير والشر ، والصواب والخطأ فإن من أهم دعائم الخلق الاسلامي مراعاة الطبيعة البشرية ، طبيعة الضعف التي قد تدفع إلى الخطأ ، وتسوق الى الانحراف ، وتتمثل هذه المراعاة في الصفح والعفو والتجاوز عن اللمم ، وإتاحة الفرصة لمن زلت قدمه أن يبدأ من جديد حياة نظيفة شريفة حياة الاستقامة والتخلق بالأخلاق الكريمة ، قال الله تبارك وتعالى « **وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين * الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين * والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين** » سورة آل عمران . آية ١٣٣ـ١٣٦ .

فالجنة التي عرضها السموات والأرض أعدت لهؤلاء المتقين الذين يسارعون إلى مغفرة الله ، هؤلاء وصفتهم الآيات ببعض الصفات على رأسها أنهم ينفقون في كل حال ، لاتغيرهم السراء ولا الضراء ، إنهم ثابتون على البذل والعطاء . وهذا يدل على صدق الايمان والاطمئنان إلى فضل الله وأنه سبحانه وتعالى يخلف على الانسان ما ينفقه وهو خير الرازقين .

وتأتي بعد هذا صفة المدافعة لثورة الغضب والانتقام ، إنه كظم الغيظ وضبط النفس ، واطفاء نار الانفعال ، ولكن هذه المدافعة وحدها لا تكفي ، فقد يكظم الانسان غيظه ليحقد ويضغن فيتحول الغيظ الفائر الى إحنة غائرة ، ويتحول الغضب الظاهر الى حقد دفين ، فكان مع الغيظ عفو ، ومع كل هذا إحسان ، والله يحب المحسنين ، ومن حب الله للاحسان ينطلق حب الاحسان في قلوب عباده فيصبح كظم الغيظ لا مجرد ضغط شكلي على الانفعال والضيق ، وإنما يصبح تعبيرا عن صدق النفس في عفوها وتجاوزها وإحسانها .

فالمسلم الذي يحب ان يغفر الله له ، ويعفو عما وقع منه ينبغي أن يحب لغيره ما يحب لنفسه ، وأن يحاول التخلق بالصفح وكظم الغيظ والاحسان إلى الاخرين (في ظلال القرآن حـ ٣ صـ ٧٥) ويبلغ الاسلام درجة سامية في التجاوز عن العثرات حين يدعو لا الى العفو فحسب ، وإنما يدعو إلى الدفع بالتي هي أحسن ، أي الرد على السيئة بالحسنة فهما لا يستويان أبدا يقول الله تبارك وتعالى « **ولاتستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** » سورة فصلت / آية ٣٤ .

وقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » « رواه الامام الترمذي » .

إن الحسنة لا يستوى أثرها كما لاتستوى قيمتها مع السيئة ، والصبر والتسامح والاستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر ترد النفوس الجامحة إلى الهدوء . فتنقلب من الخصومة إلى الولاء ، ومن الجماح إلى اللين ، ولكن تلك السماحة تحتاج إلى قلب كبير يعفو ويعطف ويسمح وهو قادر على الاساءة والرد ، وهذه القدرة ضرورية لتؤتي السماحة اثرها حتى لا يصور الاحسان في نفس المسيء ضعفا ، فإذا أحس أنه ضعف لم يكن للحسنة أثرها اطلاقا .

وهذه السماحة تقصر على حالات الاساءة الشخصية لا العدوان على العقيدة وفتنة المؤمنين بها ، فأما في هذه فهو الدفع والمقاومة بكل صورة من صورها أو الصبر حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا . (في ظلال القرآن حـ ٢٤ صـ ٢٤١) .

رابعا : سد الذرائع : لأن الانسان خلق ضعيفا وتجنح به غرائزه وشهواته إلى الانحراف أحيانا لم يقتصر منهج الاسلام في التربية الاخلاقية على الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب والحض على العفو والصفح ، وإنما كان مع هذا ينأى بالانسان عن أسباب الفساد الخلقي ، ويضع له حاجزا يكفه عن الوقوع فيما لا ينبغي ان يقع فيه ، إنه يسد أمامه ذرائع المنكر ، ويعد الدنو منها خطوة نحو التردى فيها ، لأن القرب من الشر يغري بالاقدام عليه ، والاستهانة بما يترتب على اقترافه فتستمرىء النفس الاثم شيئا فشيئا ويصبح لديها معروفا لا جناح في فعله .

إن الوسيلة إلى الخير تأخذ حكمه ، وكذلك الوسيلة إلى الشر ، فما كان سبيلا للطاعة فهو طاعة ، وما كان ممهدا للمعصية فهو معصية ، ومن هنا كان النهي عن التبرج وابداء الزينة والمفاتن ، والأمر بغض البصر . وألا يختلى رجل بامرأة ، والا يداوم مسلم على ما هو مباح من اللهو ، لكي لا يجره إلى ماليس بمباح ، أو يصرفه عن فرض مطلوب .

وقد قررت بعض آيات الكتاب العزيز كثيرا من الاحكام ، جاء بعضها في صيغة تنهى عن القرب مما حرمته « **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** » سورة الانعام ، آية ١٥١ . « **ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا** » سورة الاسراء آية ٣٢ . كما ختمت بعض الآيات بالاشارة إلى أن ما قررته من احكام حدود الله ، وحذرت من الدنو منها لا من تعديها « **تلك حدود الله فلا تقربوها** » سورة البقرة آية ١٨٧ .

إن النهي عن القرب له حكمته ، فالانسان الضعيف لا يملك نفسه في كل وقت فأحرى به الا يعرض إرادته للامتحان بالقرب من المحظورات المشتهاة ، اعتمادا على انه يمنع نفسه حين يريد ، ولهذا كان النهي عن القرب لتكون هناك منطقة أمان ، فمن

حام حول الحمي يوشك ان يقع فيه .

وفي نفس هذا المعنى روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :

(إن الحلال بين والحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله في الأرض محارمه » رواه الامام مسلم .

إن هذا الحديث النبوي الشريف يشبه محارم الله والتحذير من القرب منها بما كان معروفا لدى العرب وغيرهم من حماية بعض الملوك وزعماء القبائل لأماكن أو مناطق ، ويمنعون غيرهم دخولها ، ومعاقبة من يقع فيها ، والعاقل من احتاط لنفسه وباعد بينه وبين الحمى ، كذلك حمى الله وهي محارمه على الانسان ان يحتاط لنفسه فلا يدنو منها ، أو يتعلق بشيء يقربه من الوقوع فيها ، كالشبهات ونحوها .

وسد الذرائع في التربية الأخلاقية الاسلامية منهج قويم في التربية والتوجيه ، لأنه يتعامل مع الانسان من منطلق واقعي ، لا يتجاهل ضعفه ، واستجابته لعوامل الاغراء ، ولذا يغلق أمامه أبواب الشر ، ويضع له في طريق الحياة شارات تحذره من أن يكبو ، او يضل .

وهذا بلا مراء منهج فريد في تربية الانسان ، سبق به الاسلام كل المذاهب الوضعية .

وبعد فتلك اهم دعائم الأخلاق في الاسلام عرضت لها في اجمال ، وهي تدل على أن الأخلاق في هذا الدين هي غاية تعاليمه وآدابه ، وأن هذه التعاليم والآداب إذا لم تثمر ثمرتها في تهذيب السلوك وتزكية النفوس ، والنهي عن الفحشاء والمنكر كانت كجسد بلا روح ، ولفظ بدون معنى ، ولم يكن للمسلم في القيام بها سوى العناء البدني ، فكم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، وكم من مصل لا صلاة له ، وكم من حاج لم يعد من حجه كيوم ولدته أمه ، وما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن المرأة التي كانت تصوم وتصلى وتؤدي سائر العبادات ، بيد أنها كانت تؤذي جيرانها بغير الطيب من القول والفعل ، وانها من ثم لم تجن من العبادات خيرا وأن مصيرها الى النار ـ يؤكد أن حسن الخلق هو الغاية مما كتب الله على عباده وحذرهم من التفريط فيه .

إن الأخلاق الاسلامية جاء بها الوحي ، وليست من صنع البشر ، إنها من عند الله الذي انشأ الانسان وسواه وييسره لما خلق له ، ولهذا كانت وحدها دون غيرها مما نادت به المذاهب الأخلاقية في الماضي والحاضر ، الأخلاق التي تحفظ على الانسان معنى عبوديته لربه ، كما تحفظ عليه معنى آدميته وكرامته ، ومهما يبدع الفكر البشري من قيم اخلاقية فلن يبلغ شأو ما جاء به الاسلام « **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون** » « **سورة البقرة** آية ١٣٨ .



هجمة التغريب

للاستاذ / احمد العناني .

دعنا أولا نشرح مدلول « هجمة التغريب » إنها الحركة التي ابتدىء بها لدى غزوة نابليون بونابرت لمصر ، حيث لم تقتصر حملته على الجنود ، وإنما جاء بمجموعة من العلماء الفرنسيين ، الذين كانوا يمثلون الآراء التي سادت فرنسا أيام الثورة الفرنسية بما تميزت بـه من روح الاستعلاء الفرنسية والتوجه العلماني الالحادي المتطرف ..

وكانت لبونابرت مطامح واسعة من ذلك الغزو تكاد تتماثل مع مطامح الاسكندر المقدوني في إضفاء الصبغة الثقافية الغربية على الشرق ، للتوصل الى وحدة سياسية ثقافية دولية عالمية تتصدرها وتوجهها الثقافة الاغريقية الهلينية ..

وقد انهمك بونابرات في مشروعه لتغريب الثقافة الاسلامية ذات الأسس والقواعد والتوجهات المتميزة ، ففشل في ذلك فشلا ذريعا ، واتضح له أن ضمان النصر في غزو ثقافي ضد الاسلام أشق بكثير من أي نصر عسكري .

جاء بعد بونابرت الخديوي محمد على باشا ، وينبغي لنا أن نلاحظ الأهداف الاستعمارية المادية المواكبة لتطور الثورة الصناعية التي بدأت بوادرها في الربع الأخير من القرن الثامن عشر واشتد ساعدها كثيرا بعد الحروب النابوليونية . لقد أدت تلك الثورة الى إيجاد تسهيلات كبرى في وسائط الشحن والتحميل في الموانىء إضافة إلى تضخيم الانتاج في صناعات الغزل والنسيج والتعدين .

ولقد يفيدنا ان نعلم أن بونابرت أكد في غزوته لمصر حقيقة معروفة ، وهي أن أصحاب المطامع التجارية والاستعمارية يبدأون نشاطهم في المجال الثقافي ، لقد كان بونابرت

يقصد إلى تحطيم حواجز الكراهية والتناقض بين حضارة بلاده العلمانية وحضارة الاسلام التي تمد أبعاد اهتمامها لتشمل الدنيا والآخرة ، لهذا كانت قيمها تتنافر جوهريا مع البراجماتية المادية المعنية بالأرباح . وربما كان نابليون ومن معه مستهينين بصلابة الدفاع الثقافي الاسلامي ، وربما كانوا يتصورون أن لدى أوروبا كل شيء وليس لدى المسلمين سوى التخلف والجمود ، فلما أن وجدوا صعوبة تحطيم الذاتية المتماسكة للحضارة الاسلامية بدا الدهش في سلوك الغزاة ، وبدأ نابليون يتكلم عما سماه إعجابه بالاسلام ومحاولاته الانتهازية بالظهور مرتديا العمامة . ومهما يكن من شيء فإن تحطيم أسطوله وفشله أمام ساحل عكا وتسلله عائدا الى فرنسا بعد أن أنهى نلسون أحلامه البحرية بتكرار الهجمات الناجحة على الاسطول الفرنسي في ابو قير والطرف الأغر ، كل ذلك أجّل مبادرات الغزو الثقافي الفرنسي ، الذي تحول الى شمال إفريقيا الغربي بالهجوم المباغت الغادر على الجزائر عام ١٨٣٤ .

لم يكن الانجليز أقل لهفة من أي شعب اوروبي لتحطيم الثقافة الاسلامية وإبطال مفعولها العجيب في التأثير في نفوس المسلمين وفي تداعيهم العاطفي من أقصى الوطن الاسلامي الى اقصاه .. لقد كان مسلمو الهند في ميسور ودلهي يحاولون منتهى الجهد للتعاون مع أية قوة إسلامية للمقاومة المشتركة ضد الزحف الاستعماري البريطاني .

ولقد كان الانجليز من أحرص الاعداء في موضوع الهجوم الثقافي على تمزيق الوحدة الثقافية للعالم الاسلامي ، وكان تنبههم ضد أهمية القرآن الكريم فائقا لكل من عداهم من الأوروبين ، لكنهم كانوا دائما يقتربون من هذا الهدف على قدر ما تسمح به ظروف الزمان والمكان .

دور المستعمرين الانجليز .

أصبحت حاجة الانجليز لتدفق مضمون ودائم للمواد الأولية الرخيصة لصناعاتهم ولأسواق مستهلكة لانتاجهم الغالي الثمن اعتبارا من نهاية الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، وأصبحت حدة هجومهم على المؤسسات الثقافية الاسلامية تسير جنبا الى جنب مع مقاصدهم الاستعمارية .

وبينما نجدهم في بلاد كنيجيريا وغيرها في القارة السوداء يحظرون قراءة القرآن ويطاردون حركة التثقيف بكل وسيلة ، فإنهم يعهدون في الهند والخليج الى بعض المبشرين القيام بحملة مباشرة لاغراء المسلمين بترك دينهم ، وفي مرحلة لاحقة نجدهم يطاردون في البحرين وغيرها كل متعامل مع كتابات الشيخ رشيد رضا ، وكل متداول لمجلة العروة الوثقى التي لم يصدر منها في باريس سوى اعداد محدودة لكنها كانت تصل الى الخليج العربي وتتناقلها الأيدي ، وتعار للقراءة من البحرين لعمان كما نجد رجالات من المسلمين

يطبعون مقولاتهم ضد التبشير في مطابع حجرية في الهند وينقلون مطبوعاتهم سرا بمنتهى الفداء واللياقة .

ومعروف تماما أن فرنسا كانت تلتجيء لطرق اشد وضوحا وأكثر تميزا بالبربرية بإعلانها ضم الجزائر لفرنسا ومطاردتها كل أثر للتثقيف الاسلامي في الحواضر والى أقصى الممكن في الريف وحيث أنها كانت لاتبالي أن توضح مقاصدها وأهدافها فقد حملت الناس بالاكراه على تعلم الفرنسية ، والتعامل بها وشيئا فشيئا بدأت المصيبة تكبر وإن كان تأثيرها في الريف ظل أقل بكثير .

لكن الانجليز كانوا يلجأون لوسائل أشد فعالية وإن بدت ناعمة وغير مستحيلة ففي الهند ناضل الانجليز لانشاء قومية هندوكية ربطوها بكراهية المسلمين كما أنشأوا فرقا ضالة يتزعمها أناس ظامئون للقوة والشهرة منهم القاديانيون والبهائيون وفرق أخرى لا نود التعرض لها في هذا المقال ، وكان هم الانكليز الأكبر تخريب الوجود الاسلامي المتفوق في الهند بحركات من داخله .

ومن يتفحص نظم التعليم البريطانية في الهند لا يجد فارقا بينها وبين سائر ما طبقوه في مصر والسودان وفلسطين وعدن وغيرها من بلاد المسلمين التي كانوا يحتلونها ، وهي باختصار تشمل أولا شيئا يشبه التجهيل التام في البيئات القروية والمترحلة ، وأما في الحواضر فالتعليم العالي يشمل النخبة المتفوقة من أبناء البلد في كلية هدفها إحلال التثقف بالثقافة الاغريقية اللاتينية محل الثقافة الاسلامية ، وتخرج أناسا منفصلين عن بيئتهم ليكونوا طليعة متميزين في بيئاتهم ولينسج الناس على منوالهم وهذا ما حصل في كليات لاهور والخرطوم والقدس وغيرها ..

وفي كل حال كان المسلمون بدوافع ذاتية مستميتة في الدفاع عن الدين ينشئون مؤسسات علمية متخصصة في الثقافة التراثية ، بأموالهم وجهدهم مثل جامعة عليكرة في أجرا والجامعة العثمانية في حيدر آباد بالهند ، والكلية الاسلامية السابقة للكلية العربية في القدس على سبيل المثال لاالحصر .

وفي الوقت نفسه سلطت جهود المستشرقين والمبشرين نحو غايات واحدة تنحصر في تفكيك مناعة الجسد الثقافي الاسلامي ومقاومته لتلك الوافدات المرضية الغريبة ، فأنشئت لليسوعيين بخاصة كليات تدعمها مفوضيات ووكالات الدول المسيحية ،

وذلك في استنبول (روبرت كوليج التي كانت تدّرس الهندسة ضمن إطارها التبشيري) والجامعة الأمريكية في بيروت ، وكلية البنات الأمريكية في طهران والأمركية في القاهرة ، ويكفي أن أشير هنا إلى تقرير لاجتماع دولي للمبشرين يعلن الفرحة الكبرى بإغراء أول أسرة إسلامية مشهورة في طهران بارسال ابنتها الى كلية البنات ؛ وكان ذلك عام

ثلاثة عشر وتسعمائة وألف للميلاد ، واعتبر الأمر انتصارا على الثقافة الاسلامية أكبر من أي انتصار عسكري .

لقد كانت فترة الثمانين سنة ما بين (١٨٦٠)م وهو عام فرض الامتيازات الأجنبية على حكومة الأستانة وعام (١٩٣٩)م وهو سنة قيام الحرب العالمية الثانية هي اشد فترات التراجع الاسلامي حلكة وظلاما .. لقد استطاع الانجليز خلالها أن يطبقوا سياسة استعمارية قائمة على مبدأ « فرق تسد » بوسائل كوسائل الامبراطورية الرومانية القديمة وأهمها العسف والرشوة والغش والافساد وتخريب الذمم ، فكنت ترى عمان تعادى نجدا ، ومهراجات الهند المسلمين يعادون شعب الهند خارج مقاطعاتهم ، وايران تعادي تركيا فالحرب على حدود العراق مع إيران لاتكاد تتوقف حتى تعود للاشتعال .

أما في إفريقية فإن تلك القارة السوداء تلقت من صنوف العسف والخسف والتمزيق ومحاولات محو الاسلام ما لم يعرف بعد إلا جزء بسيط منه ، ومنه تقشعر الأبدان ..

لقد حورب الاسلام بالوسائل الجريئة المباشرة ، وأعطيت السلطات للأقليات المسيحية ، فإن لم توجد استجلبت أقليات اسيوية وخاصة من الهند لتغيير الأوضاع السكانية ، ثم أطلقت أيدي المبشرين والمنصرين ودعموا بأموال طائلة حتى تغيرت المعادلة السكانية في إفريقيا السوداء وجوبه المسلمون بحقائق مروعة مستجدة ..

وكان من أفدح الاجراءات السياسية تقسيم الصومال وإلحاق أجزاء منه بإثيوبيا وكذلك ما وقع في اريتريا وجيبوتي .. لقد كانت كل هذه الأجراء كمّا اسلاميا واحدا ، فبعثر بعد تمزيقه واستغلت اثيوبيا ذات الأقلية النصرانية حتى في حدودها القديمة وعلى مستوى ذلك الظلم وأكثر ، كانت تجري المحاولات المباشرة والخفية لاخراج الناس من الاسلام وفرض النصرانية .

أثر الجامعات العلمانية

وكما ذكرت عن كليات التعليم بالثقافة اللاتينية والاغريقية التي كانت بريطانيا تنشىء واحدة منها في كل بلد ذي سمعة كمركز للثقافة الاسلامية من قبل كلاهور والخرطوم والقدس وبومباي والقاهرة وغيرها فإن تيار التغريب اكتسب زخما هائلا بإنشاء جامعات في العالم الاسلامي على أسس العلمانية واختلاط الطلبة والطالبات الأمر الذي مكن لاحقا من قيام قيادات قومية علمانية خاوية من الانتماء ، ضالعة من حيث تشعر أو لاتشعر مع الأعداء ..

وكانت هناك إجراءات أخرى عجيبة لتدمير كل تجمع مركز للثقافة الاسلامية كالقدس مثلا حيث كانت مدارس المؤسسات التبشيرية

كالفرير ، والفرندر ، والتراسانته ، والسان جورج تتلقف العديد من أبناء المسلمين ، وحيث كانت الأديرة الغنية والمفوضيات الأجنبية ووكالات المعونة الكنسية تدعم تلك المؤسسات فقد كان في وسعها أن تقدم تسهيلات عصرية ومكلفة ضمن نظمها ومؤسساتها كالملاعب والمراكز الثقافية والفنية وقلما تجد طالبا واحدا مسلما تخرج منها دون أن يكون سلوكه علمانيا ، وعشقه للحضارة الغربية فائقا ، وإهماله لشعائر الاسلام إهمالا فاضحا .

لكن كل تلك المراكز الثقافية لم تبلغ المدى الذي بلغته بيروت ومؤسساتها الثقافية الغربية ، فهي اعرقهن جميعا ، ولها جندت طوائف مسيحية لبنانية وأسر بكاملها .. وكان تركيزها جميعا منصبا في إنشاء ولاء للقومية لدى المسلمين أقوى من ولائهم لدينهم ، وهي قومية عنصرية غربية علمانية مبنية على تجارب وممارسات أوروبية ، وعلى مفاهيم أفرزها في الغرب صراع الكنيسة مع السلطات الدنيوية .. ليكون ذلك كله مصدر محاكاة واحترام لدى العقول المغسولة من كل حماسة للاسلام في لبنان وسوريا .

التيار اللبناني

كان تيار التغريب المتدفق من لبنان لا يلقى حماسة الحكام المحليين المستعمرين في ديار الشام ولبنان وفلسطين والأردن والعراق وحسب ، ولكن كان يلقى القبول والتأييد الصامت من بعض الأسر الاسلامية التي تمكنت من الغنى في ظل الاستعمار ، ومن أبناء هؤلاء المتخرجين في معاهد التغريب جاء أكثر الحكام والمتنفذين في سائر هذه البلدان وبالنظر لكثرة الأقليات وانقسام الولاءات في بلاد الهلال الخصيب ، فقد أصاب الاسلام وثقافته السامية ضربة موجعة ولولا أن قضية فلسطين نبهت الأعين الغافلة وأثارت قديم الشجن لظل المسلمون يسيرون معصوبي الأعين وراء العاملين على غسل أدمغتهم ومحو الاسلام من وجودهم .

ولكن المآسي المقترنة بقضية فلسطين أماطت اللثام عن كل وجه ملثم ، وكشفت ستر الرياء عن حقائق المقاصد ، وتبين للشعب المسلم المطارد أن المطلوب هو رأس الاسلام لا سواه .. وأن المعسكر الشرقي المكدود بسوء موارده الزراعية ، المحتاج للقمح الأمريكي حاجته للحياة ليس أقل شغفا من سواه في استعمار العالم الاسلامي ، لم يبق على الساحة من جاهل يذكر .

الكشف الحاسم

لقد كشفت محنة فلسطين حقائق الموقف العالمي من الاسلام والمسلمين والثقافة الاسلامية . فلقد تولت بلدان العالم الاشتراكي وعلى راسها تشيكوسلوفاكيا - ولا بد أنه كان

للاتحاد الرئيسي تعليمات في ذلك الصدد ـ موضوع تسليح وتدريب جيش الهاجناه الاسرائيلي، وذلك لاحقا لتصويت الاتحاد السوفياتي لصالح قيام دولة يهودية في فلسطين ...

المهم أن المواقف البراجماتية لسائر دول الرأسماليين والاشتراكيين على حد سواء أيقظت المسلمين في المنطقة على الحقيقة التي ما كان لها أن تغيب عن البال وهي أن إنقاذ فلسطين لا يمكن أن يتم إلا بجهاد أمة إسلامية فاهمة واعية ، وبعمل قيادات وعقول مثقفة بالثقافة الاسلامية لقد سقطت عبادة لينين وماو وجيفارا ، واصبحت مسؤولية الجهاد على كاهل عباد الرحمن الذين لا تأخذهم في الله والجهاد لومة لائم ، وها هي الحقائق المتجددة بين جماهير الأمة المطحونين بالاحتلال الصهيوني الاجرامي تؤيد ذلك .

لقد سقط فيما سقط أيضا سحر الدعوات المشبوهة التي جاء بها تيار التغريب المتراجع الآن إلى جحوره ، ، ولقد كان مذهلا أن تكشف الوثائق في لندن واستنبول على حد سواء مدى الكذب الذي ألصق بالسلطان المجاهد عبد الحميد ، ومدى الثمن الفادح الذي دفعه دعاة التتريك من تلاميذ الدولمة في سالونيك لقاء ضرب الاسلام في تركيا . فلقد فصلوا أمة من خمسين مليونا فصلا تاما عن ماضي ثقافتها ومجموع تراثها وحضارتها ، وحسبك أن يعجز الأبناء عن قراءة شيء من ميراثهم الهائل بسبب حملهم على استعمال الحروف اللاتينية .. وإنه ليرجى من الله تبارك وتعالى أن تسقط الحروف اللاتينية ..في تركيا كما سقطت «البرانيط» والأكاذيب الآخرى ، وأن تؤدي حركة الانعاش الاسلامي إلى انتصار حروف الكتاب العربي العظيم القرآن الكريم المنزل من رب العالمين ؟

ابن جرير الطبري

عرض وتقديم: مصطفى عبدالشافي مصطفى

في القرن الثالث الهجري كانت العلوم الاسلامية قد اقتربت من النضج فقد وضعت الأسس الثابتة لمذاهب الفقه وألفت الكتب الصحاح في الحديث وجمعت اللغة من أفواه الأعراب وصنفت كتب السيرة والمغازي والفتوح واتسعت آفاق المعرفة عند العلماء فكان المشتغل باللغة والنحو عالما بالحديث ووجوه التأويل ، والشاعر يأخذ بنصيب من اللغة والنحو والتصريف والفقيه يحفظ الشعر والمثل ويروي الحديث والخبر

ويشارك في صنوف الآداب .

ولم تعد حلقات الدروس ومجالس العلماء ومدارسة العلوم وصناعة التأليف موقوفة على الكوفة والبصرة وبغداد بل امتدت شرقا إلى فارس وخراسان وما وراء النهر وسارت غربا إلى الشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس . وفي هذه الحقبة من الزمن بزغ نجم المحدث الفقيه الجامع لأشتات العلوم أبي جعفر محمد بن جرير الطبري .

نشأته وثقافته :

فقه العلم صبيا ورحل في سبيله يافعا لم يبلغ مبلغ الرجال ، وطالع صنوف الكتب ولم يلبث أن أصبح اماما وصاحب مذهب . كان مولده بآمل طبرستان في سنة ٢٢٥ هـ تقريبا .

يقول الطبرى : (حفظت القرآن ولي سبع سنين ، وصليت وأنا ابن ثماني سنين ، وكتبت الحديث وانا ابن تسع) .

كان ابوه ورعا تقيا ، دفع بابنه إلى الرحلة في سبيل العلم فرحل عن مسقط رأسه (آمل طبرستان) ولم تبلغ سنه الثانية عشرة ... وكفاه مؤنة العيش ومعاناة الرزق ، فكان يرسل إليه نفقته حيث حل ، فصانه بذلك عن عطايا الخلفاء والملوك والوزراء ، وزهده في مناصب الدولة ، وأعانه على الانقطاع إلى المدارسة والرواية والتصنيف .

كان أول ما رحل إلى (الري) وما جاورها من البلاد ، فأخذ عن شيوخها ، ودرس فقه العراق على أبى مقاتل ، وكتب عن أحمد بن حماد الدولابى كتاب (المبتدأ) وأخذ مغازي ابن اسحاق عن سلمة بن الفضل وعليه بنى تاريخه فيما بعد ، وترامت إلى الناس أنباء أحمد بن حنبل فعزم أبو جعفر على الرحلة إليه في بغداد ليأخذ عنه ، ولم يكد يصل إليها حتى علم بوفاته ، فعدل عن الاقامة فيها ، ثم رحل إلى الكوفة فكتب عن هناد بن السرى وإسماعيل ابن موسى الحديث ، وأخذ عن سليمان بن خلاد الطلحى القراءات ، ولقي فيها أبا كريب محمد بن العلاء الهمذاني وكان عالم عصره ، ويقال : إنه سمع من أبي كريب أكثر من مائة ألف حديث ، ثم عاد أبو جعفر إلى مدينة السلام وأخذ في مدارسة علوم القرآن ، ثم جنح إلى دراسة فقه الشافعي ، وكان هناك الحسن بن محمد الصباح وأبو سعيد الاصطخرى من أئمة الشافعية ولم يلبث ان اتخذه مذهبا وأفتى به سنوات .

وكان يقيم بمصر على عصره بقية من أصحاب الشافعى :
اسماعيل بن ابراهيم المزني ، الربيع ابن سليمان ، محمد بن عبدالله بن الحكم ، وأخوه عبدالرحمن ، فدعته نفسه الى اللقاء بهم والرحلة إليهم ، وكان أول من لقيه بها أبو الحسن السراج المصري ، وكان أديبا متصرفا في فنون الآداب ، وكل من

دخل الفسطاط من أهل العلم يتلقا ويتعرض له وكان ذلك سنة (٢٥٣) هجرية . وحينما لقى أبا جعفر ساءله عن فنون من الفقه والحديث واللغة والنحو والشعر فوجده عالما في كل ما سأل آخذا من كل علم بنصيب وافر . وطالت أيامه بمصر سنوات ذهب في اثنائها إلى الشام ثم عاد فأخذ من فقه الشافعي عن الربيع والمزني ومحمد ابن عبدالله بن الحكم وعبدالرحمن ابن الحكم .

ومن فقه مالك عن تلاميذ ابن وهب ... وفي مصر أيضا لقى يونس بن عبد الأعلى الصدفي شيخ الإقراء بها فأخذ عنه قراءة حمزة وورش ثم عاوده الحنين الى بغداد فعاد إليها بعد رحلة طويلة ، وعزم على أن ينقطع للدرس والتأليف . نقل ابن عساكر أنه : « لما تقلد الخاقاني الوزارة وجه إلى ابي جعفر بمال كثير فامتنع من قبوله وعرض عليه القضاء فأبى وعرض عليه المظالم فامتنع ، فعاتبه أصحابه وقالوا له : لك في هذا ثواب ، وتحيي سنة قد درست وطمعوا في قبوله المظالم ، وباكروه ليركب معهم لقبول ذلك فانتهرهم وقال : قد كنت أظن لو رغبت ذلك لنهيتموني عنه ولامهم » .

ثم ابتنى لنفسه دارا برحبة يعقوب في بغداد وزع فيها نفسه بين العبادة والقراءة والإملاء والتصنيف وعاش بها رضي النفس مهيبا من الخلفاء والولاة إلى أن مات يوم السبت ليومين بقيا من شوال سنة (٣١٠) هجرية . ودفن في داره .

قال الخطيب في تاريخ بغداد : (اجتمع على جنازته من لا يحصي عددهم إلا الله وصلى على قبره عدة شهور ليلا ونهارا ورثاه خلق كثير من أهل الدين والآدب) .

آثاره العلمية :

هذا وقد جال ابن جرير الطبري في نواحي كل فن وضرب فيها جميعها بسهم حتى أصبح إمام عصره .

قال عبدالعزيز الطبرى : (كان كالقارىء الذي لا يعرف إلا القرآن ، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث ، وكالفقيه الذي لا يعرف الا الفقه ، وكالنحوي الذي لا يعرف الا النحو ، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب ، وكان عالما بالعبادات ، جامعا للعلوم ، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غيرها) .

ولكن كان اكثر ما اشتهر به من هذه العلوم الفقه والتفسير والحديث والقراءات .

اما الفقه فقد درس المذاهب جميعها ، وفقه الشافعي على الخصوص ، واتخذه مذهبا له وأفتى به في بغداد عشر سنين .

التفسير :

أما التفسير فإنه قد أفضى بعلمه فيه إلى كتابه الكبير (جامع البيان في تفسير القرآن)

قال ابو جعفر : (استخرت الله تعالى في عمل كتاب التفسير وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل ان أعمله فأعانني) .

وقد جعله ثلاثين جزءا بعدد أجزاء القرآن الكريم وقدم له برسالة في بيان الإعجاز وطرق القراءات وتفسير أسماء السور ثم تلاها بتأويل القرآن حرفا حرفا فذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من تابعي التابعين ، وكلام اهل الاعراب من الكوفيين والبصريين وجملا من القراءات واختلاف القراء فيما فيه من المصادر واللغات والجمع والتثنية .

والكلام على ناسخه ومنسوخه وأحكام القرآن والخلاف فيه والرد على من كان من اهل النظر فيما تكلم به أهل البدع والرد عليهم ، على مذاهب اهل الإثبات ومبتغى السنن وذكر فيه من كتب التفسير المصنفة الموثوقة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والحسن وعكرمة والضحاك بن مزاحم ، ولم يتعرض لتفسير غير موثوق به . واشتهر هذا التفسير حتى روي عن أبي حامد الاسفراييني الفقيه انه قال : (لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل على كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا) .

الحديث :

أما الحديث فقد عده الذهبي من رجال الطبقة السادسة ، وذكر النووي في (كتاب تهذيب الاسماء واللغات) أنه في طبقة الترمذي والنسائي .

ومن أشهر ما صنف فيه كتاب (تهذيب الآثار) .

قال ابن عساكر : (وهو من عجائب كتبه ابتدأه بما رواه ابوبكر الصديق مما صح عنده بسنده وتكلم على كل حديث منه وما فيه من المعاني والغريب وكان قصده فيه أن يأتي بكل ما يصح من حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

القراءات :

وقد تلقى حروف القرآن على شيوخ الاقراء ببغداد والكوفة والشام ومصر وأخذ بقراءة حمزة تلقاها عن يونس ابن عبد الأعلى بمصر كما أخذ عليه قراءة ورش ، ثم لم يلبث أن اتخذ لنفسه قراءة لم يخرج بها عن المشهور كما فعل في الفقه والتفسير ووضع كتابه المسمى (بالفصل بين القراءات) ذكر فيه اختلاف القراء في حروف القرآن .

وإلى جانب علمه بالقراءة كان حسن التلاوة حسن الترتيل ، سمعه ابوبكر ابن مجاهد وهو في طريقه الى المسجد لصلاة التراويح ، يقرأ سورة (الرحمن) ، فقال : (ما ظننت ان الله تعالى خلق بشرا يحسن هذه القراءة) .

وكان أيضا شاعرا ، ذكره القفطي في (المحمدين من الشعراء) وقال : (كان له رحمه الله شعر فوق شعر العلماء) .

وأورد له :

إذا أعسرت لم يعلم رفيقي
وأستغني فيستغني صديقي
حيائى حافظ لي ماء وجهي
ورفقي في مرافقتي رفيقي
ولو أني سمحت بماء وجهي
لكنت إلى الغنى سهل الطريق

وقد اختار في تاريخه (تاريخ الرسل والملوك) من عيون الشعر

ومنخول الخطب والرسائل والوصايا ما يشير إلى طول باعه في هذا الشأن وحسن ذوقه .

مؤلفاته

١ ـ تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبرى)

يعد أوفى عمل تاريخي بين مصنفات العرب ، أقامه على منهج مرسوم ، وساقه في طريق استقرائى شامل ، بلغت فيه الرواية مبلغها من الثقة والأمانة . وقد أكمل ما قام به المؤرخون قبله ، كاليعقوبي ، والبلاذرى ، والواقدى ، وابن سعد ، ومهد السبيل لمن جاء بعده كالمسعودي وابن مسكويه وابن الأثير وابن خلدون .

وترجع قيمة تاريخ الطبرى إلى أنه قد استطاع ان يجمع بين دفتيه جميع المواد المودعة في كتب الحديث والتفسير واللغة والأدب والسير والمغازي وتاريخ الأحداث والرجال ونصوص الشعر والخطب والعهود . ويقع الكتاب في عشرة أجزاء تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم وقد صدر عن دار المعارف المصرية .

هذا وقد ترجم الكتاب الى الفارسية ثم نقل من الفارسية إلى التركية كما ترجم من الفارسية إلى الفرنسية في أربع مجلدات ونقلت ايضا إلى بعض اللغات اللاتينية .

٢ ـ جامع البيان عن تأويل اي القرآن

وهو أجل التفاسير على الإطلاق وأعظمها . أملاه في بغداد من سنة (٢٨٣) إلى (٢٩٠) هجرية .

قال ابن النديم : (وقد اختصره جماعة منهم ابوبكر بن الاخشيد وغيره) .

وترجم إلى الفارسية والتركية . وقد قام الأستاذ محمود شاكر بتحقيقه ونشره في طبعة علمية محررة بدار المعارف بالقاهرة . ويقع الكتاب في ثلاثين جزءا بعدد أجزاء القرآن الكريم .

٣ ـ تهذيب الآثار وتفصيل الثابت من الأخبار

ابتدأه بما رواه ابوبكر مما صح عنه بسنده وتكلم عن علة كل حديث منه وطرقه وما فيه من الفقه والمعنى والغريب . نقل ياقوت عن أبي بكر بن كامل قال : (لم ار بعد أبي جعفر أجمع للعلم وكتب العلماء منه) .

٤ ـ آداب المناسك

قال ابن عساكر : (هو لما يحتاج إليه الحاج من يوم خروجه وما يحتاج إليه من الاتمام لابتداء سفره وما يدعو إليه ربه عند ركوبه ونزوله ومعاينته المنازل والمشاهد إلى انقضاء حجه) .

٥ ـ آداب النفوس

قال ابن عساكر : (عمله على ما ينوب الانسان من العرائض في جميع اجزاء جسده ، فبدأ بما ينوب القلب واللسان والبصر والسمع على أن يأتي بجميع الأعضاء ، وما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ذلك وعن الصحابة والتابعين ، ويذكر كلام المتصوفة وما حكى من أفعالهم

وإيضاح الصواب في ذلك) .

٦ ـ اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الاسلام

قصد به ذكر أقوال الفقهاء وهم : مالك ، والأوزاعى ، والثورى ، والشافعى ، وأبو حنيفة ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وابراهيم بن خالد .

٧ ـ الجامع في القراءات

٨ ـ حديث الطير

قال ابن كثير : (رأيت له كتابا جمع فيه حديث الطير) .

٩ ـ الخفيف في الفقه

قال ياقوت : (ومن جياد كتبه كتابه المعروف بكتاب الخفيف في أحكام شرائع الاسلام) .

١٠ ـ ذيل المذيل

قال ياقوت : ومنها كتابه المسمى (ذيل المذيل) المشتمل على تاريخ من قتل او مات من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حياته او بعده على ترتيب الأقرب فالأقرب منه) .

١١ ـ لطيف القول في أحكام شرائع الاسلام

قال ياقوت : (هو مجموع مذهبه الذي يعول عليه جميع أصحابه وهو من أنفس كتبه وكتب الفقهاء وأفضل أمهات المذاهب) .

١٢ ـ البصير في معالم الدين

١٣ ـ الرد على الحرقوصية

١٤ ـ الرد على ذي الأسفار

١٥ ـ صريح السنة

ذكره ابن عساكر باسم (شرح السنة) .

١٦ ـ طرق الحديث

١٧ ـ عبارة الرؤيا

ذكرهياقوت في معجم الأدباء .جمع فيه احاديث ومات ولم يتمه .

١٨ ـ كتاب العدد والتنزيل

١٩ ـ مختصر الفرائض

٢٠ ـ كتاب المسترشد

٢١ ـ المسند المجرد

٢٢ ـ كتاب الوقف

٢٣ ـ كتاب الفضائل

٢٤ ـ بسيط القول في أحكام شرائع الاسلام .

٢٥ ـ الرد على ابن عبدالحكم على مالك

هذا عن مؤلفاته كما ذكرت المصادر التي نقلنا عنها ، ولعل ابن جرير الطبرى قدم للمكتبة العربية والاسلامية هذا الكم فرحم الله محمد ابن جرير الطبري بما قدم من خير للمسلمين.ولعلنا نعود الى هذا التراث فنتدارسه ، ورحم الله ذلك المحدث الفقيه الجامع لأشتات المعارف والعلوم .



مقوّمات النظام الاقتصادي الإسلامي

اعداد الدكتور/ اسعد محمد الراس

عرض وتلخيص محمد منير الجنباز

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وبعد :

فإنه لمما يسر القلب ويبهج النفس أن تزداد كتب الاقتصاد الاسلامي زيادة ملحوظة من حيث العدد والكتابة المنهجية ، لقد ظهر الاقتصاد الاسلامي بادىء ذي بدء وهو يحبو على استحياء ، حيث الأضواء مسلطة على غيره من أنظمة الاقتصاد المسيطرة على زمام الأمور العالمية ، وجاءت محاولات الكتاب الأوائل في الاقتصاد الاسلامي وإظهار أهميته للعالم ، فردية يغلب عليها طابع التعريف والحماس وتقتصر على الوصف ، لذلك كان أغلبها يدخل تحت مسمى « **مداخل للاقتصاد الاسلامي** » حيث الكتابة بلا عمق أو تأصيل لقواعد أساسية : صحيح أن الاقتصاد الاسلامي قديم قدم الفقه الاسلامي الفريد ولكن ظهوره بشكل نظام يدير عجلة الاقتصاد لم يكن معروفا في الطفرة الاقتصادية الحديثة ، ثم توالت المؤلفات في هذا الباب ودخل معتركها عدد من ذوى

الخبرة والاختصاص ممن يعتد برأيهم وعلمهم حتى أصبح لهذا العلم أصوله وقواعده .

فإذا كان للمتأخرين فضل في التقعيد والتأسيس فإن للمتقدمين فضلا في التنبيه وتسليط الضوء على هذا الاقتصاد النافع وكل عامل له أجره وثوابه من الله لهذا نجد أن بعض المؤسسات بدأت تقيم نظامها على الاقتصاد الاسلامي كما قامت الجامعات بتدريسه وسيكون له انتعاشة أقوى وظهور أكثر هيمنة عندما يهيىء الله له دولة اسلامية تتبناه وتقيم نظامها الاقتصادي وِفْقَهُ ، عند ذلك سيظهر أثره وتبدو أهميته العملية للعيان ، وما سيطرة النظام الرأسمالي أو الشيوعي إلا بوجود دول تحمي هذه الأنظمة وتتبناها ولولا ذلك لما عرفها الناس ،

فالتطبيق هو المحك لكل نظام اقتصادي وبه تظهر ايجابيات النظام او مثالبه ، ورغم كثرة المثالب في كلا النظامين الرأسمالي والشيوعي،ورغم وجود نقد شديد لهما فإنهما قائمان بقوة الدول التي تتبنى هذين النظامين .

ولقد أعجبني وشد انتباهي كتاب ظهر حديثا ، كتب عن الاقتصاد الاسلامي بموضوعية متناهية من البحث والتحليل ، يؤصل الجذور والأسس ويبرهن بشكل علمي على قيمة هذا الاقتصاد من خلال دراسة واعية تعرف ماذا تريد .

والكتاب هو « **مقومات النظام الاقتصادي الاسلامي ، تحليل ومقارنة ونقد** »

وهو من اعداد الدكتور/ اسعد محمد الراس ، الأستاذ بكلية العلوم الادارية بجامعة الملك سعود ، وهو من إصدار مركز البحوث للجامعة المذكورة .

يقع الكتاب وهو من القطع المتوسط في مائة واربعين صفحة ، وينقسم الى ثلاثة فصول ، الأول يتكلم عن مقومات الاقتصاد الاسلامي وهي ثلاث مقومات :

١ ـ بواعث النظام الاقتصادي .

٢ ـ مؤسسات النظام الاقتصادي .

٣ ـ شكل النشاط الاقتصادي .

أما الفصل الثاني فيبحث في العلاقة بين شكل النظام الاقتصادي وأسلوب توافق مقوماته ، ويبحث هذه العلاقة من خلال :

١ ـ علاقة تغير شكل الانتاج بتغير النظام الاقتصادي الوضعي .

٢ ـ العلاقة بين مقومات النظام الاقتصادي الاسلامي .

أما الفصل الثالث فيبحث في : مناقشة بعض الآراء في الاقتصاد الاسلامي . لقد بدأ المؤلف بتأصيل أسس للنظام الاسلامي وكان عليه أن يأتي بتعريفات عالمية للاقتصاد ويستخلص منها أسسها التي تقوم

عليها فتمثلت في :

١ ـ بواعث النشاط الاقتصادي .

٢ ـ المؤسسات المحددة لإطار النشاط الاقتصادي ولتوزيع سلطة القرار الاقتصادي .

٣ ـ آلية النشاط الاقتصادي وأسلوب التنسيق بين القرارات الاقتصادية .

وشرح المؤلف معنى البواعث التي تمثل الغايات الاقتصادية التي يتجه النظام لتحقيقها ، فإذا خرج النظام عن هذه البواعث يكون قد خرج عن الأساس الكلي للنظام ، لأن البواعث ، بمثابة قيم عقيدية للنظام الذي أنشأها .

كما شرح الأساس الثاني أو المقومة الثانية وهي : مؤسسات النظام الاقتصادي وبرهن على أن أي تغيير في مؤسسات النظام يعد تغييرا في القيم العقيدية أي البواعث ثم شرح أيضا الاساس أو المقومة الثالثة وهي آلية النشاط الاقتصادي وبرهن على أن خروج هذه الآلية عن الحدود يعني إحداث تغيير في النظام لاحتوائها وتغيير النظام يحتاج إلى تغيير البواعث وهذا يعني الخروج التام عن النظام وعقيدته .

ثم استعرض أسس النظام للإقتصاد الإسلامي من خلال مقدمة علمية وتعريف للإقتصاد الإسلامي حيث قال « النشاط الاقتصادي الاسلامي هو ما جاء به الاسلام لضبط معاملات الناس ومهامها الحياتية للفرد والجماعة بالتزامهم ببواعث السلوك المبثوثة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وبإخضاع علاقات وقوى نشاطاتهم الاقتصادية لأحكام الشريعة المنبثقة عنهما مما يحول دون إمكانية ظهور تناقض بين مقومات النظام عند تطبيقه » ثم استخرج، للاقتصاد الاسلامي على غرار أسس الاقتصاد العالمي، ثلاثة أسس فكانت :

١ ـ بواعث النظام الاقتصادي الاسلامي .

٢ ـ مؤسسات النظام الاقتصادي الاسلامي .

٣ ـ شكل النشاط الاقتصادي الاسلامي .

وقد شرح كل أساس او مقومة شرحا وافيا فيه غاية الاتقان ومنتهى البرهان ، فضرب مثلا عن بواعث الانظمة الاقتصادية الوضعية فقال :

« إن تدخل الدولة في النظام الرأسمالي يعني التراجع عن الالتزام المطلق بالباعث العقيدي المتمثل بحرية الفرد في السعى لتحقيق مصلحته ، وكذلك سماح النظام الاشتراكي بالملكية الخاصة في الزراعة يعني الخروج عن الباعث العقيدي المتمثل في إلغاء هذه الملكية .

ثم انتقل الى نظام الاقتصاد الاسلامي فقال « لا يوجد باعث عقيدي معتبر لوحده وبشكل مستقل

عن اي باعث آخر بل إن كل باعث يقترن على الأقل بباعث آخر يقيده عند توفر ظروف معينة ، والغاية من هذا هي أن تتوفر الامكانية العملية لبلوغ الباعث الأول باستمرار دون أن يترتب على ذلك أي أثر من الآثار التي تحتمل أن تخل بحياة الفرد أو الجماعة ،

ويبرهن على ذلك بأمثلة منها : إن المقاصد العامة للشريعة الاسلامية حافظت على الدين والنفس والمال والعرض ؛ وباعث المحافظة على الدين مثلا يتطلب أداء العبادات ومنها الصلوات الخمس ، ومع ذلك فقد رخصت الشريعة للمسافر بالقصر وللحائض والنفساء بترك الصلاة في هذه الأوقات وعدم القضاء ، وفي الباعث المتمثل في المحافظة على النفس لم يمنع الشريعة من إنزال القصاص بالجاني .

وفي المجال الاقتصادي فإن البواعث تنقسم إلى قسمين : بواعث مركزية وبواعث تكميلية مقيدة وداعمة للأولى .

ويضرب مثلا على ذلك فيقول « إن المحافظة على المال واحد من المقاصد العامة للشريعة وهو على هذا باعث مركزي لكنه غير مطلق بل هو مقيد بسياج من البواعث التكميلية منها وجوب بذل العارية وإخراج الكفارات وأداء الزكاة وصلة الأرحام وبذل المال تطوعا وصدقة ـ.. الخ » ويستعرض كثيرا من هذه الأمثلة ليصل الى القاعدة التالية :

« إن البواعث التكميلية أوجدها الشارع لسد أي خلل ينتج عن الباعث المركزي وهذا يعطيها طاقة هائلة من مرونة التطبيق العملي وينفي عنها الطابع المثالي او الفلسفي وبالتالي فإن تطبيق النظام الاقتصادي الاسلامي لا يحدث عن تراجعات عقيدية كما في النظم الوضعية »

ويعود الكاتب ليضرب مثلا جيدا من صميم المعاملات الاسلامية في الاقتصاد فيقول :

« إن التراضي في العقود مقصد من مقاصد الشريعة وهي على هذا تعد باعثا مركزيا لكنه مقيد ببواعث تكميلية مثل النهي عن بيع الغرر وتعاطي الربا والغش .. إلخ ومع ذلك فقد يحدث الظلم وتفوت مصلحة الأمة كأثر جانبي للتمسك بالتراضي في العقود ، لذا فقد أوجد الشارع الباعث المقيد « **لا ضرر ولا ضرار** » ليستأصل كل ضرر مهما كان نوعه ،

وقد يحدث خلل في آلية السوق ويترتب على ذلك أبعاد خطيرة تمس مصلحة الأمة لذلك وضع الشارع مبدأ السعي لتحقيق المصالح ودرء المفاسد ، وبموجب ذلك يقوم الحاكم بالتدخل في توجيه الحياة الاقتصادية وفقا للمصالح المرسلة **أما الأساس الثاني** فيناقشه كالاتي : « إن لكل نظام اقتصادي مؤسسات تمثل مجموع الصيغ التنظيمية له وعليه فمؤسسات النظام الاسلامي هي الأحكام الشرعية التي تنظمه وهي القواعد الاصولية العامة للشريعة واجتهاد

المجتهدين في الأمور الظنية ، ويقول نقلا عن الشاطبي « كل دليل شرعي فمبني على مقدمتين: إحداهما راجعة إلى تحقيق مناط الحكم والأخرى ترجع إلى نفس الحكم الشرعي » وعبارة تحقيق مناط الحكم تعني : تعيين محله ، وعلى هذا فإنه يبرهن على ثبات مؤسسات النظام الاسلامي وأن قاعدة تغيير الأحكام بتغير الأزمان لا تعني تغيير النظام للاقتصاد الاسلامي ـ كما قال بذلك بعض من كتبوا في الاقتصاد الاسلامي ولم يؤتوا حظا من الفقه الاسلامي وإنما تؤدي إلى تزايد الأحكام الفقهية بشكل تراكمي مما يعطي وفرة في الأحكام الشرعية ، والعمل بنوع من الأحكام الشرعية الاجتهادية لا يغني عن العمل بالأنواع الآخرى . ويلح الكاتب على فكرة ثبات النظام الاسلامي وأن قاعدة « تغير الأحكام بتغير الأزمان » لا تؤثر في مؤسسات النظام الاسلامي ويضرب مثلا من الواقع فيقول « فلو أخذ بلد مثلا بقاعدة السُلَّم المتحرك للأجور ،

بمعنى أن الاجور تتغير بتغير الأسعار ، فإذا حصل ذلك فلا يعني تغير القاعدة وإنما يعني ثبات قاعدة الأجور لأنها قعدت لهذا السلم ، وعليه فإن قاعدة النظام الاسلامي للاقتصاد لا تتغير بتغير الزمان وإنما تثبت بالاجتهاد المتجدد .

ثم تطرق إلى الأساس الثالث أو المقومة الثالثة : وهي شكل النشاط الاقتصادي وآليته فإنها تشتمل على أربع خصائص .

١ ـ قيام علاقات اقتصادية وفقا لنظام الملكية الخاصة المقيدة .

٢ ـ حرية المنافسة ، والتدخل استثناء .

٣ ـ فردية مسؤولية متخذي القرارات الاقتصادية .

٤ ـ الاعتماد على سعر المثل في اتخاذ القرارات الاقتصادية .

وحول الخاصة الأولى كتب « فانتفاء وجود هذه الملكية ينفي مثلا امكانية وجود تركات فينتفي العمل بنظام المواريث الشرعي وعلى غرار ذلك لا بد من أن تنتفي امكانية العمل بأحكام الشريعة الخاصة بالصدقات والهبة والوصية ..إلخ وعليه فلا بد من ملكية خاصة وتقيد وفقا لمصلحة الأمة ومصلحة الفرد كالحجر على السفيه مثلا .

وعن حرية المنافسة ، استشهد الكاتب بعدد من الأحاديث الشريفة منها « دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » والقيد يكون استثناء في حالة الاحتكار مثلا . ثم يشرح بقية الخصائص بالأدلة الشرعية والمنطق المحكم .

وينتقل في الفصل الثاني الى العلاقة بين شكل النظام الاقتصادي وأسلوب توافق مقوماته ، فيتعرض للنظم الوضعية : رأسمالية واشتراكية ، ثم يبرهن على منع الاستغلال الطبقي عند تطبيق

الشريعة الاسلامية فيقول « حددت الشريعة الاسلامية الأجر بـ « أجر المثل » فأجر عامل معين هو أجر مثله في السوق ، ويجب أن تتوفر فيه ثلاثة شروط تخص العامل ورب العمل ، هي :

١ ـ توازن أهلية التعاقد ، فإن الشريعة تدخلت لحماية المجنون والمعتوه والقاصر .

٢ ـ توازن إرادة التعاقد ، فإن الشريعة توجب انتفاء تحايل أحد المتعاقدين .

٣ ـ توازن قوة التفاوض الاقتصادية وهي الرجوع الى ثمن المثل عند الخلاف وكذلك أجر المثل حيث « لاوكس ولا شطط » .

ثم يتعرض الكاتب لعملية تمركز رأس المال وظهور المليونيرية بسبب القمار والاحتكار والربا ويبين

بالبراهين العملية والجداول البيانية انعدام التمركز بتطبيق أحكام

الشريعة الاسلامية وكذلك يتحدث عن مجابهة التمركز بتطبيق نظام التكافل الاجتماعي ، ويضرب بذلك أمثلة

متعددة حسب فئات الناس ومستوى انفاقهم وحاجاتهم للسلع ، وعلى

حسب مبدأ التكامل الاسلامي فإنه يحمل الفئة الغنية جدا عبء التكافل

الاجتماعي وبالتالي تتوزع ثروتها ولا تتمركز عندهم .

وفي هذه الفقرة بعض الملاحظات :

١ ـ توزيع الفئات ومدى حاجاتهم للسلع أمر نظري .

٢ ـ ليس هناك حد بين الحاجيات الكمالية والحاجيات الضرورية ، فما كان كماليا في وقت مضى أصبح اليوم ضروريا وباتت الضروريات كثيرة فالثلاجة مثلا باتت ضرورية وقد تستغني بعض الاسر عن بعض الطعام لتوفير ثمن الثلاجة وقد كانت كمالية من قبل .

٣ ـ ليس العبء وحده على الفئة الغنية جدا كما أنها لا يمكن أن تسد الخلل لأن هذه الفئة قد تدفع الزكاة فقط وهي المفروضة فهل يقف التكافل الاجتماعي عليها فقط وهي قليلة العدد ؟ وهل نعفي الطبقة الغنية والمتوسطة من مسؤولية الزكاة والتكافل الاجتماعي ؟

٤ ـ التكافل الاجتماعي لا يقف عند الزكاة والصدقات ولكن له موارد كثيرة مثل إحياء الموات والقرض الحسن لتأمين العمل والمرابحة .. إلخ ..

أما التمركز فلا يجابه بأخذ الزكاة أو الصدقة من الفئة الغنية جدا وماذا تؤثر على المال أن يؤخذ منه إذا كان بالملايين ٢,٥٪ أو حتى ١٠٪ في حالة طلب صدقات زيادة . إن الاسلام لم يلغ التمركز والربح الحلال ، والميراث الشرعي يقلل منه على المدى الطويل ويعيد توزيع الثروة ، والتاريخ يروي

الكثير عن الأغنياء الذين لم يعد لهم وجود ولا لأنسابهم بل خلفهم آخرون وهكذا دورة الحياة ، إن الالتزام بأحكام الاسلام له آلية التوزيع ، وليس المهم في الاسلام أن يصبح المسلمون كلهم أغنياء ، إنما المهم ألا يكون بينهم محتاج ، لذلك فإن قوله في صـ ٩٣ « إن العمل بالتكافل الاجتماعي لا يسمح لفئات المجتمع المسلم أن تتفاوت في درجة ثرائها تفاوتا كبيرا بأي حال من الأحوال » » فيه نظر ومجال كبير للمناقشة .

أقول : ومن الذي قال بذلك ، هل الأموال التي كان يملكها عثمان بن عفان رضى الله عنه غير متفاوته مثلا مع أبي عقيل صاحب الصاع يوم غزوة تبوك ؟ إن عثمان قد تبرع بمبالغ ضخمة يوم الغزوة وهي جزء من ماله ويومها تبرع ابو عقيل بصاع من تمر عمل يومه في السقاية حتى أخذ أجره صاعين من تمر فتبرع بأحدهما ، أي لم يكن يملك شيئا وعثمان يملك الآلاف اليس هذا تفاوتا كبيرا ؟ وكان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمثلة كثيرة .

أما ما كتبه في الفصل الثالث عن مناقشة بعض الآراء في الاقتصاد الاسلامي فهي جديرة بالدراسة وتحتاج الى إفراد مقال خاص بها وذلك خشية الاطالة ولعل إصرار الكاتب حفظه الله على فكرة ثبات النظام الاسلامي للاقتصاد وغيره من المقومات التي ناقشها تنطلق لامن تعميم النظام في هذا الوضع القائم وإنما من خلال بناء دولة اسلامية تحكم : الشريعة وتعمل بهذا النظام ، وهذا ما جعله يختلف مع الذين كتبوا عن الاقتصاد الاسلامي الذي يعمل كتيار مستقل في مجتمع الوضع الراهن .

وفي ختام قراءتي لهذا الكتاب القيم فإن الكاتب جزاه الله خيرا قدم لنا خلاصة فكره الاقتصادي بالبرهان المدلل والمعلل على أهمية الاقتصاد الاسلامي ودوره الريادي في حل الأزمات والنهوض بالأمة إلى طريق الخير والبناء حيث لا فقر ولا عوز ولا بطالة في ظل تطبيقه .

الفتاوى

● هل هذا حديث ؟ ●

قارىء يقول : زوجتي دارسة في دار القرآن الكريم بالكويت،ودار نقاش حول عبارة « اتق شر من أحسنت إليه » أنا أقول إنها حديث شريف وهي تنفى ذلك وأخيرا رأينا عرض الأمر عليكم وما زلنا في انتظار الإجابة على صفحات المجلة.

هذه العبارة مشهورة على السنة الناس ، يقولها من يشكو ظلم شخص قدم إليه معروفا فلم يقدّر هذا ، بل سعى في الإساءة إلى من أحسن إليه . هذه العبارة ليست حديثا ويظهر انها حكمة معبرة عن سلوك بعض الناس ، تصور حالة افراد لا ضمير لهم يقابلون الإحسان بالإساءة ، لما جبلوا عليه من ضعف الايمان وسوء الخلق،هم على طريقة الجاحدين نعمة الله الذين يقابلون فضله ونعمه بالانكار والجحود بدل الحمد والشكر كما في قوله تعالى « **وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله**» وقوله تعالى« **فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون** » وفي هذه العبارة تنبيه للمسلم اذا ابتلى بهذا الصنف من الناس ان يتقي وسائل كيدهم ، وأن يأخذ حذره منهم ، على أن ذلك لا يمنعه من صنع المعروف وبذل الإحسان ، يعنى مع الحذر منهم لا يعاقبهم بالحرمان ، لعل الاحسان يكون علاجا وتوجيها ، قال تعالى « **ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم** » وقد ثبت ان سيدنا ابابكر رضي الله عنه كان له ابن خالة اسمه مسطح ، ومسطح هذا كان فقيرا معدما ، وكان سيدنا ابوبكر يعطيه كثيرا من ماله ، فلما افترى المنافقون حديث الافك واتهموا الطاهرة المطهرة السيدة عائشة رضي الله عنها بالبهتان العظيم ، ونزل القرآن الكريم ببراءتها ، حلف سيدنا ابوبكر رضي الله عنه ليمنعن النفقة عن مسطح لأنه خاض مع الخائضين في اتهام ابنته عائشة ، ونسي فضل ابيها عليه ، فنزل قوله تعالى « **ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم** » فواصل سيدنا ابوبكر إحسانه إلى مسطح من جديد وقال أنا احب أن يغفر الله لي .

● من أهل البادية ●

قارىء من أهل البادية يقول شاهدت القطة تشرب من ماء في آنية ، فهل يجوز الوضوء من هذا الماء ؟

ثم يقول اغتسلت من الجنابة ولم اتوضأ . هل تجوز الصلاة بهذا الاغتسال ؟

● الماء الذي تشرب منه القطة طاهر كما قرر ذلك الفقهاء ، فلك ان تتوضأ منه من غير حرج ، لما ورد في حديث كبشة بنت كعب وكانت زوجا لأبي قتادة ،

روى ان زوجها دخل عليها فسكبت له ماء ، فجاءت هرة تشرب منه فأصغى لها الاناء يعني (امال لها الاناء) حتى شربت منه ، قالت كبشة ـ فرآني انظر

فقال : أتعجبين يا ابنة اخي ؟ فقالت نعم ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنها ليست بنجس إنها من الطوافين عليكم والطوافات »

هذا الحديث رواه الخمسة وبهذا تقرر ان سؤر الهرة طاهر يجوز الوضوء منه .

● ثم نقول للسائل . يجوز لك ان تصلى بهذا الاغتسال من غير وضوء لأن الاغتسال يرفع الحدث الاكبر والحدث الاصغر معا . قالت عائشة رضي الله

عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوضأ بعد الغسل ، على أن نية الطهارة من الجنابة تأتى على طهارة الحدث ، وما دامت مواضع الجنابة

أكثر من مواضع الحدث فإن الأقل يدخل في نية الأكثر ، بمعنى أن رفع الحدث الأصغر يندرج تحت رفع الحدث الأكبر ، وبهذا يجزىء الاغتسال

عن الوضوء ، وإن كان الأفضل ان يبدأ من عليه جنابة بغسل يديه ثلاثا ثم يغسل فرجه ثم يتوضأ ثم يفيض الماء على رأسه ثلاثا مع تخليل الشعر ليصل

الماء إلى أصوله ، ثم يفيض الماء على سائر بدنه بادئا بالشق الأيمن كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

● حول الزكاة ●

قراء من الاخوة الموظفين يسألون . الرواتب الشهرية كيف يزكيها الموظف ؟ ويسألون عن الودائع الربوية تزكى أم لا ؟

أجور العمال ورواتب الموظفين وحصيلة عمل الطبيب أو المهندس ، وما يستفيده الانسان من مكافآت وغيرها . هذا النوع من المكاسب ، ذهب جمهور العلماء إلى أنه لا يزكى وقت قبضه ، ولكن يضم الى رصيده ، وإلى ماعنده من أموال تستحق الزكاة ، ثم تخرج الزكاة عن الكل عند تمام الحول منذ إتمام النصاب .

كما جاء في عبارة بعض الفقهاء « وما استفيد اثناء الحول يضم الى النصاب ويزكى بزكاته » وذهب بعض الفقهاء إلى أن يجعل لكل مال مستفاد تاريخا ويزكيه عند تمام الحول ما دام مستوفيا لشروط إخراج الزكاة .

ولكن رأي الجمهور انفع للفقير وأيسر على المزكي .

يعني ما يحصل عليه من مكاسب أثناء الحول يزكى في آخر الحول ، ولو لم يتم حول كامل على كل جزء منها ، يعني من كسب مالا قبل إخراج الزكاة ولو بمدة قليلة يخرج الزكاة عن الكل ، ولو لم يتم الحول بالنسبة لما كسبه أخيرا وضمه إلى ماله المدخر .

وبالنسبة للسؤال الثاني . فمن المقرر أن الودائع الربوية وكذلك السندات ذات الفوائد الربوية ، يجب فيها تزكية الأصل زكاة النقود ـ ربع العشر ٢/١ ٢٪ ـ اما الفوائد المترتبة على الاصل فإنها لا تزكى لأنها مال خبيث والله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وعلى المسلم ألا ينتفع به وان يتخلص منه من غير ان يحسب له زكاة او صدقة ، وبالمناسبة المال المسروق والمال المغصوب لا يزكى الأصل ولا العائد منه لأنه غير مملوك ويرد إلى صاحبه .

من أخبار العالم الاسلامي

الانتفاضة البطولية في فلسطين

سمو أمير البلاد :

أقل ما يمكن عمله حيال الانتفاضة و التعنت الصهيوني هو أن يقف العرب وقفة جادة لاثبات مصداقية المطالب .



الشعب الفلسطيني العربي المسلم الذي عاش على الوعود البراقة ، والأمل في استرجاع حقوقه المغتصبة ، وبعد أن شعر باليأس ، ولم يعد قادرا على احتمال الضيم والذل والهوان قاوم المستعمر الغاشم بكل ما يملك حتى بالحجارة ، وشارك في المقاومة الطفل قبل الفتى ، والمرأة قبل الرجل . وإذا صدق العزم ، وتوحدت الجهود تحت راية الجهاد ، فالنصر حليفنا إن شاء الله،وعن الانتفاضة ، والموقف منها قال سمو أمير البلاد لرئيس مجلس الادارة المدير العام لوكالة الأنباء الكويتية برجس حمود البرجس :

• الشعب الكويتي في طليعة المتجاوبين مع إخوانه الفلسطينيين بوسائله الخاصة .



ان انتفاضة الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة التي يشاهدها العالم اليوم جاءت نتيجة لأمرين ...

أولا : القهر والاذلال الذي لاقاه ويلاقيه اخواننا في الأراضي المحتلة من قبل السلطات الاسرائيلية من اجراءات تسعفية ومصادرة كافة الحقوق الانسانية واستخدام جميع وسائل الظلم والاستبداد .

كل ذلك ولد في النفوس ثورة عارمة انفجرت في وجه الظلم والقهر مدفوعة بالشعور الوطني لا من زعامات أو

جهات معينة بل هي صادرة عن مشاعر اليأس ومعبرة تعبيرا واضحا

عن التصميم والتضحية مهما كان الثمن ومستخدمة كل الوسائل الممكنة

لاظهار مشاعر الرفض القاطع للاحتلال التعسفي بكل مظاهره

والتطلع الى استعادة الحرية والعزة والكرامة .

ثانيا : تعبر هذه الانتفاضة عن المشاعر الحقيقية اليائسة التي تمكنت

في نفوس اخواننا هناك تجاه أمتهم العربية وزعاماتها ، فقد عاشوا على

الوعود التي لم يجدوا لها نتيجة ولم يروا لها فاعلية وظلوا يسمعون طوال

السنوات الماضية عن استعدادات أمتهم لنصرتهم ومد يد العون

والمساعدة لهم والاستعدادات لاسترجاع الأراضي المحتلة ورصد

المبالغ الطائلة ولكن للأسف لم يجدوا لكل ذلك بين ظهرانيهم أي وجود أو أثر

بل كانت النتيجة هي ما يشاهدونه اليوم من ضعف وتفرق وتشتت عربي

وانفراد قوى الاحتلال الظالمة بهم وسحق كل صوت يرتفع بينهم مطالبا

بأبسط حقوق الانسان في الوقت الذي يرون فيه أمتهم مشغولة أكثر

بالخلافات الجانبية أو العقائدية أو

الداخلية أو تواجه ما تخلقه لها القوى

المعادية من أزمات ومشاكل لصرف طاقاتها لتلك المشاكل بدلا من قضيتها الأساسية فلسطين وشعبها الشقيق .

ان أقل ما يمكن عمله الآن هو ان يقف العرب وقفة جادة موحدة لمساندة هذه

الانتفاضة العارمة فهي فرصة مواتية لكي يثبت العرب للعالم صدق وعودهم

باسترجاع حقوقهم السليبة ويثبتوا لاخوانهم في الأراضي المحتلة الذين

يقدمون التضحيات كل يوم ويضربون أمثلة رائعة من الجهاد والفداء أنهم

معهم هذه المرة قلبا وقالبا بالعمل الجاد لا بالأقوال والتصريحات .

ان مساندة اخواننا الفلسطينيين في الأراضي المحتلة مسؤولية تاريخية

يتحملها كل عربي مهما كان موقفه ومركزه .

ولقد كان الشعب الكويتي في طليعة المتجاوبين مع اخوانه الفلسطينيين

وبذل ولا يزال يبذل عن قناعة ورغبة واستعداد متواصل كل ما يستطيع

لمساندتهم ولجعلهم يشعرون انه معهم فيما يواجهون من تعسف وظلم .

كما ان الكويت التي ساهمت ولا تزال تساهم في دعم القضية الفلسطينية ومساندة اخواننا الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة بوسائلها الخاصة تعمل كل ذلك منطلقة من ايمانها الراسخ بأن الشباب هم أمل المستقبل وهم الذين سينتزعون حقهم وحريتهم بقوة الايمان والتضحية من المغتصب مهما كان لديه من قوة وجبروت .

● قطر

مجلس ادارة مركز بحوث اسهامات المسلمين يناقش خطط وبرامج المركز المقبلة

الدوحة ـ عقد مجلس ادارة مركز بحوث اسهامات المسلمين في الحضارة أول اجتماع له بعد اعادة تشكيله برئاسة الشيخ فهد بن جاسم بن احمد آل ثاني رئيس مجلس الادارة والأمين العام للجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم . وقد ألقى الشيخ فهد بن جاسم آل ثاني كلمة في بداية الاجتماع

أكد فيها ان تبني دولة قطر لمشروع ترجمة أمهات الكتب في الحضارة الانسانية الذي يعد أبرز اعمال المركز حاليا يأتي تأكيدا على الدور الاسلامي الذي تضطلع به دولة قطر لخدمة قضايا الاسلام ونشر الثقافة الاسلامية . وأشار الى ان هذا المشروع يتناول الحضارة والثقافة الاسلامية في شكل سلسلة متكاملة تشمل الثمانمائة عام الأولى من الاسلام وهي فترة الثراء الاسلامي التي كتب فيها ما يفوق حجما وتأثيرا ما كتب عن أي حضارة سابقة أو معاصرة . وقال الشيخ فهد في كلمته التي نقلتها وكالة الأنباء القطرية ان رسالة واهداف المركز الذي شهدت الدوحة مولده منذ أربع سنوات ويتخذها مقرا له تكتسب اهمية خاصة وانه قد حان الوقت لابراز التراث الاسلامي الخالد وترجمته الى اللغة الانجليزية وغيرها ليجد طريقه الى المسلمين غير العرب والمدارس والجامعات الاسلامية والعالمية مما سيقدم للتراث الانساني وحضارته المعاصرة أعظم الخدمات . وقد ناقش المجلس في هذا الاجتماع عددا من الموضوعات من بينها انجازات المركز وخططه وبرامج عمله في المرحلة القادمة وميزانية المركز وتحديد اختصاصات اعضاء مجلس الادارة ومهامهم في الفترة المقبلة . وقد تم الاتفاق على ضرورة مراجعة وتحقيق أمهات الكتب الاسلامية التي سيتم ترجمتها مراجعة شاملة ودراسة امكانية انشاء دار نشر خاصة بالمركز تتولى نشر وتوزيع انتاجه ووضع خطة اعلامية للتوعية بالمركز واهدافه وأنشطته والمساهمة فيه ماديا ومعنويا لأداء رسالته على أكمل وجه لخدمة المسلمين .

● فلسطين

منظمة العفو الدولية تندد بالقمع الاسرائيلي

نددت منظمة العفو الدولية بسلطات الاحتلال الاسرائيلي بسبب حملة الاعتقالات الجماعية والمحاكمات السريعة التي تجريها للفلسطينيين الذين اشتركوا في مظاهرات بالأراضي العربية المحتلة في الشهر الماضي للمطالبة بحق تقرير المصير .

وقالت المنظمة انه لا يمكن اتخاذ اجراءات الأمن مبررا لهذا النوع من التدابير التي تشمل القاء القبض على الأشخاص والاعتقالات والمحاكمات التي تجري في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين .

وقالت في رسالة الى وزير الحرب الاسرائيلي اسحاق رابين ان المتهمين لا تكفل لهم الحقوق الأساسية التي يقضي بها القانون الدولي كما أنهم لا يمثلون في المحاكم تمثيلا كافيا .

وطالبت المنظمة باتخاذ اجراءات لضمان هذه الحقوق للمعتقلين الفلسطينيين . وقالت ان اسرائيل قد اعتقلت ١٢٠٠ فلسطيني على الأقل منذ ان تفجرت الانتفاضة الشعبية في الأراضي العربية المحتلة في الشهر الماضي .

٥٥ امرأة فلسطينية « حاملا » أجهضن بسبب اعتداءات الاحتلال

ذكرت مجلة هاعولام هازيه الاسرائيلية ان أكثر من عشرين امرأة فلسطينية « حاملا » ممن تعرضن لاعتداءات الجنود الصهاينة خلال الانتفاضة في قطاع غزة قد أجهضن في مستشفى الشفاء بغزة .. وأضافت المجلة ان النساء الحوامل قد تعرضن لاصابات متوسطة وبليغة من جراء قيام الجنود الاسرائيليين بالقاء كميات كبيرة من القنابل المسيلة للدموع باتجاه المتظاهرين وكذلك من جراء تعرضهن للضرب الوحشي بالهراوات والعصي من قبل جنود الاحتلال . واضافت المجلة ان هناك ما يقرب من خمسة وثلاثين امرأة فلسطينية حاملا في أنحاء الضفة الغربية قد تعرضن لاصابات مماثلة واجهضن في المستشفيات المحلية .

● المغرب

« الجمعة ١٥ يناير » يوم التضامن الاسلامي مع الانتفاضة

ايفران ـ الوكالات ـ أدانت لجنة القدس في اجتماع لها في ايفران المغربية برئاسة عاهل المغرب السياسات والممارسات الاسرائيلية اللاانسانية تجاه سكان الأرض المحتلة وطالبت الأمم المتحدة بالتدخل لوضع حد لهذه الاجراءات التعسفية التي تمارسها سلطات الاحتلال .

وأوصت لجنة القدس بتشكيل لجان اسلامية في جميع أنحاء العالم الاسلامي للتضامن مع الشعب الفلسطيني ونجدته وتقديم العون المادي والمعنوي له لدعم ثورته حتى يتمكن من استعادة وطنه وتقرير مصيره .

وأقرت اللجنة ارسال رسائل الى الأمين العام للأمم المتحدة خافيير بيريز دي كويلار والى رئيس مجلس الأمن الدولي ورؤساء الدول الخمس ذات العضوية الدائمة في مجلس الأمن لدعوتهم الى التدخل العاجل والفوري لوقف الممارسات الوحشية الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة ، واتخاذ كافة الاجراءات والعقوبات الكفيلة بردع اسرائيل وكفها عن انتهاج مثل هذه الممارسات .

ووافقت اللجنة على تشكيل وفد للاتصال بالأمين العام للأمم المتحدة والدول الخمس الكبرى لاطلاعهم على تطورات الوضع في الأراضي المحتلة وتطالبهم بالعمل على تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٦٠٥ بما في ذلك تأمين الحماية اللازمة للمواطنين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين .

وقررت اللجنة اعتبار يوم الجمعة الموافق ١٥ يناير يوما للتضامن الاسلامي مع الانتفاضة ودعت الى تخصيص خطبة الجمعة في ذلك اليوم للتحدث عن الانتفاضة وعن آلام الشعب الفلسطيني ومعاناته وصموده أمام سلطات الاحتلال ودعت الى اقامة صلاة الغائب على الشهداء في اليوم نفسه .

وندد عاهل المغرب بالموقف السلبي للقوى العظمى وخصوصا الموقف الأميركي ازاء ما يجري في الأرض المحتلة ، ابلغ ياسر عرفات الاجتماع بأن « ثورة العصي والحجارة » سوف تستمر حتى تحرير القدس . وقال ان الانتفاضة جاءت بسبب سياسة القبضة الحديدية التي تمارسها سلطات الاحتلال .

وطالب بحماية دولية للشعب الفلسطيني ودعما معنويا وماديا .

إلى السادة كتّاب المجلة

كثرت شكاوى القراء من الأحاديث التى ينسبها الكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى اما باطلة أو ضعيفة ، بل وصل الأمر ببعض الكتاب الى أن يقول عن حديث ما " متفق عليه" أو أخرجه الشيخان" . والحقيقة أن الكاتب لم يرجع الى صحيح البخارى ولم يطلع على صحيح مسلم . . ولقد تعددت كتاباتنا الى السادة الكتاب بأن يراعوا الله فيما يكتبون ، وأن يتأكدوا من صحة الحديث ، وصحة نسبته الى راويه ومخرجه .

نأمل أن تتجه عناية الكاتب الى اختيار موضوع ذى صلة بواقعنا المعاصر ، يعالج قضية من قضاياه المعاصرة ، ويناقش مشكلة من مشاكله ـ وما أكثرها ـ ويعرض سيرة السلف الصالح ، وأبطال الاسلام ، لتكون حافزا للقراء الى الاقتداء بهم ، وبذلك نلبس الموضوع شيئا من المعاصرة والجدية ، مع اضافة جديد كلما أمكن ذلك ، واعمال الفكر فيما يحتاج الى اعمال فكر . . والبعد عن الموضوعات المعادة المكرورة والتى قتلت بحثا ـ كما يقال ـ .

عند عرض ونقد كتاب . . لا بد لكى يتنسى نشره فى المجلة من ارسال نسخة من الكتاب حتى نتمكن من الاطلاع على محتواه قبل نشره ، ونعرض صورة غلافه فى المجلة

المقال أو البحث المرسل لا يقل عن خمس صفحات فلسكاب مكتوب بخط واضح ـ ولا يزيد عن سبع صفحات ، وأن يتم ارسال أصل المقال ، ولا تقبل صورة المقال .

لا تقبل البحوث المسلسلة أو المقالات المجزأة .

موضوعات المناسبات الاسلامية ترسل قبل موعدها بثلاثة أشهر على الأقل ، حتى يتسنى نشرها فى حينها .

أن تكون المقالات العلمية والطبية مدعومة بالصور والرسوم المتعلقة بالموضوع .

أن يكون الانتاج المرسل خاصا بالمجلة وألا يكون قد سبق نشره أو ارساله الى جهة أخرى للنشر .

الاخطار بوصول المقال لا علاقة له بالصلاحية أو النشر . ولا تلتزم المجلة برد المقالات التى لم تنشر .

ذكر المراجع حتى يمكن التحقق مما جاء فى المقال عند المراجعة .

البعد عن الخلافات المذهبية والسياسية حرصا على الوحدة الاسلامية . .

كتابة الأسماء والعناوين كاملة وواضحة فى ختام كل مقالة أو بحث .

ترسل المقالات باسم رئيس تحرير مجلة " الوعى الاسلامى " ـ ص ب : ٢٣٦٦٧ (الصفاة) الرمز البريدى ١٣٠٩٧ ـ دولة الكويت .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥).

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـ ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

O الكويت O : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا

محمد موزون ١٤٠٨ هـ

وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ سورة الإسراء

طبع و مطابع دار السياسة - الكويت

هديتك مع العدد
مجلة براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٨٣ - رجب ١٤٠٨ هـ / مارس (آذار) ١٩٨٨ م



٢٧ عاماً من الاستقلال





مركز الطب الإسلامي

استطلاع ص ٧٠

محتويات العدد

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٨٣ ـ رجب ١٤٠٨ هـ / مارس (آذار) ١٩٨٨ م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات

المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

• الثمن •

الكويت	٢٠٠ فلسا
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما
السودان	١٥٠ مليما
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	٣ دراهم
البحرين	٢٠٠ فلس
تونس	٢٥٠ مليم
الاردن	٢٠٠ فلس
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	٣ ريالات
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

«ألا إن نصر الله قريب»

توافينا ذكرى الاسراء كل عام ، فتجدد فينا الأحزان وتعصر منا القلوب وتحرك المشاعر ، من أجل غربة الأقصى واحتلال أولى القبلتين

وثالث الحرمين ، وفي هذا العام وفي مطلع الذكرى ، نلمح في الأفق القريب إشراقة التحرر من بين غيوم اليأس ، تبعث الأمل وبشارة النصر المرتقب

وكأننا بالأقصى المبارك يتعجل يوم الثأر ممن أحرقوا منبره ، واقتحموا حماه ، وعبروا دروبه ، بنعال نجسة وألسنة شتامة ، ولعل العناية الالهية

قد ادخرت ليوم الخلاص ، من يحطم القيود ويحقق الآمال ،كما ادخرت من قبل القائد المؤمن صلاح الدين الذي ابيض بجهاده وجه التاريخ ، وقد سحق الجيوش الصليبية في حرب غير متكافئة في العدد والعتاد ،

ولكنه انتصر بسلاح الحق وعدة الايمان ، بجمع الشمل وتوحيد الصف والزحف تحت مظلة الاسلام ، وأحداث الأمة في ماضيها يجب أن تكون دورسا متاحة لحاضرها المضطرب ، فلا ينبغي أن يغيب الحل الاسلامي عن ساحة الصراع الدامي ، ولا يجوز في دين الله أن يتضاءل الشعور بالمسؤولية نحو الأرض والمقدسات ، أو أن يظل نزيف العدوان بينهم مستمرا في حرب مدمرة ، أشعل نارها عدو يقوم كيانه على رؤية توراتية باطلة ، أساسها العدوان والعنف ، بمساندة الشرق الملحد والغرب الصليبي الكافر ، على الحكومات والشعوب ان أرادوا نصرا لا تكدره نكسات ، وعزا لا مهانة بعده ، أن يسيروا على نهج المؤمنين الأولين الذين ارتفعوا بايمانهم فوق دوافع الخوف من الناس مهما جمعوا لهم ،

فاستحقوا ثناء الله عليهم بقوله سبحانه : (**الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم . الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم**) آل عمران من ١٧٢ ـ ١٧٤ . وهكذا من كان مع الله فهو في حمايته يؤيده بنصره ولو اجتمعت الدنيا على حربه ، فلا مجال لخوف العرب والمسلمين من قوة المعسكر الشرقي ، ولا من تفوق المعسكر

الغربي ، ولا يأس ولا إحباط من طول محنة الاحتلال ، فإنها لا تساوي شيئا في تاريخ هذه الأمة إذا ما قيست بالمحنة التي استمرت مائتي عام في عهد الاحتلال الصليبي ، أو قورنت بالاعصار المغولي الذي استهدف كيان الأمة وعقيدتها ، ثم سقط هذا وذاك عند حصن الاسلام ووحدة المسلمين ، وولى الغاصب خائبا ذليلا وبقى الاسلام عزيزا كريما .. وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ـ لا يأس من نصر الله لنا على اليهود ـ

أعداء الله والانسانية ـ ما دام الحق سبحانه قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة ، وانهما لا ترتفعان عنهم الا بحبل من الله وحبل من الناس ، لاترتفع الذلة ولا المسكنة إلا قليلا من الزمن ثم تعودان اليهم ويبعثن الله

عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، ويرى المفسرون« أنهم يذلون في كل عصر ولا يعصمهم إلا الدخول في ذمة الله وذمة المسلمين » ـ وما دام طبعهم نقض العهود

والتمرد على منهج السماء ، وتوارث الخيانة والغدر ، فلن تبقى لهم قوة ولن يدوم لهم كيان ، إذا ما واجهوا رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وهم يتدافعون ركضا إلى الله بائعين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، إن يقظة الحس العربي وحركة البعث الاسلامي لهما أثر لا ينكر ، في قوة الصراع الدائر في أرض الله المقدسة ، ولعل الأحداث الجارية تكون بداية لتنفيذ سنة الله وتحقق مشيئته ، في قوم كتب الله عليهم اللعنة الأبدية ،

ومما لا شك فيه أن الصراع يحسم لصالحنا ، إن صحت النوايا وصدقت العزائم وتوحدت الكلمة وهانت التضحيات ، في جو الايمان بـالله والاعتصام بحبله ؛ يومئذ لا نرهب البشر ما دمنا مع خالق القوى والقدر ،

فاليهود وأسياد اليهود ليسوا من الشجاعة وقوة البأس ما يجعلهم مصدر إزعاج وخوف كما يدعون زورا « ان اسرائيل لا تقهر » هذه الاسطورة الخادعة كشفتها حركة إيمانية في مواجهة لم يطل مداها في حرب

رمضان ، انهار فيها خط الدفاع في لحظات وولت فلولهم مذعورة في الصحراء ، وأحست الأمة بكرامتها وقدرتها على سحق العدوان . ان أخذت بأسباب النصر كما هو وعد الله (**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا**

الله ينصركم ويثبت أقدامكم) سورة محمد الآية/ ٧ ـ وفي أيامنا هذه يشهد العالم عجز الحديد والنار أمام انتفاضة بطولية لا تملك من الوسائل المادية وأسلحة المقاومة غير الصخر والحجر ! وقف العالم مبهورا وهو

يرى براعم الانتفاضة تنبت من أرض الألم والمعاناة ، وهو يرى بطولات تؤكد ان فلسطين حل لأهلها حرام على كل غاصب محتل ، ما دامت جبالها تنبت أحجارا وأرحام أهلها تلد أطفالا ينامون على حكايات المأساة ،

ويقطع نومهم هجوم غادر وبغي فاجر ، يخلف الدماء والأشلاء ، ويفرض على من بقى من الأحياء حصار الجوع والمرض ، من غير رحمة ودون مبالاة ، ويفاجأ عدو الله والانسانية بانتفاضة صامدة تحدد أسلوب

التفاوض مع العدو المغرور ، أسلوب الكفاح ولو بالحجر . انتفاضة مباركة قام بها الشعب المقهور ، يواجه في قوة أحدث الأسلحة بصدور عارية وهامات عالية من أجل تحرير المقدسات ، وتطهير التراب من رجس الاحتلال ، الأمر الذي جعل العدو يعترف بضراوة المقاومة التي قلبت

حساباته وأبطلت دعواه « ان إسرائيل استطاعت أن تتعايش مع أهل فلسطين ، وأن تتخذ منهم أجيالا رضوا بالتسلط وقنعوا بالعيش في ظل الاحتلال » هذا ، ولا يخفى أن الانتفاضة المعاصرة حركت القضية وجعلتها في مقدمة الاهتمامات الدولية ... بقي على العرب والمسلمين في كل أطراف الأرض ، أن يتحركوا بعد جمود طويل ، وأن تكون لهم مواقف إيجابية مؤثرة ، عن طريق الجهاد بالنفس أو المال ، يبذل كل منا قدر طاقته في سبيل الله ، مهما بعد موطنه أو ثقلت مطالبه ، أما إذا اكتفى العرب والمسلمون باصدار المزيد من بيانات التأييد ، والاقتصار على الدعم الكلامي أو إعلان الشجب والاستنكار ، فهذه مواقف سلبية لا تفيد المنكوبين ولا تردع المعتدين لا معنى لمظاهرات هنا وهناك ، ولا أثر لاضراب أو اعتصام ألفهما الغاصب المحتل ، كما أن الاكتفاء بالشكوى في المحافل الدولية ، لايجدي مع قوم استهانوا بقرارات الادانة على مدى أربعين عاما ، لن يعذر العرب والمسلمون ، وطاقاتهم المادية وفيرة ، وأعدادهم البشرية تزيد على ألف مليون نسمة ، ومواقعهم الجغرافية يحسب حسابها الشرق والغرب على السواء عليهم جميعا أن يجيبوا داعي الله ، فقد أذّن مؤذن الجهاد ، وتحرك الشعب المقهور ، ولن تتوقف مسيرة التحرير ، وإن هدأت الانتفاضة فترة فالى عودة أشد وأقسى ، إلى أن يعود الحق إلى أهله ، ويعود الغريب إلى وطنه ، وترجع الحمائم المهاجرة ، إلى السقوف الطاهرة ، وصدق الله العظيم (**ألا إن نصر الله قريب**) .

رئيس التحرير

حسن مناع

دلائل الايمان في خلق الانسان وفي الكون

للدكتور/ احمد عمر هاشم

لم يكن للالحاد وتياراته من أثر . على القلوب المؤمنة الصادقة التي عرفت ربها من خلقها ومن خلق الكون فانه لا يدبر إلا الله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ومن استنار قلبه وفكره لا يحتاج إلى دليل إلا أن هناك تيارات منحرفة ، مضللة . أخذت أشكالا متعددة وطفت على سطح الحياة الانسانية متمثلة في ظواهر مختلفة منها : المادية الملحدة والحركات الهدامة ، والوجودية المتبجحة الضالة ، مما يبثه أعداء الاسلام .

والاسلام بكتابه الخالد ودستوره المبين . يرد على المنكرين مسفها

احلامهم رافعا راية الحق : « **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** » وقد روى عن جبير بن مطعم قال : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب «الطور» فلما بلغ هذه الآية (**أم خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون * أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون * أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون** »

كاد قلبي ان يطير الى الاسلام ..

وكتاب الله تعالى منذ القدم وعلى مر أدوار الحياة يتحدى كل افاك أثيم ، وكل جاحد ومعاند « **هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه** » (سورة لقمان ـ الاية ١١) وفي آية اخرى يكشف عن جهلهم الفاضح وانحرافهم الذي بلغ درجة السفه والتخريف . بحيث يدعون غير الله من اصنامهم فيقول سبحانه وتعالى « **ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** » (سورة الحج ـ آية ٧٣)

● ادلة الايمان في النفس ●

ويوضح الله آياته في انفسهم فيقول « **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** » (سورة الذاريات ـ آية ٢١) ويوضحها في الكون .

« **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد** » (سورة فصلت ـ آية ٥٣)

ويوضح الله تعالى أدلة الايمان من أقرب طريق وذلك من خلق الانسان واطوار حياته التي مر بها من أول مرحلة منذ أن خلق من نطفة إلى أن صار علقة فمضغة الى آخر تلك الاطوار .

قال سبحانه وتعالى « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** » (سورة المؤمنون ـ آية ١٢/١٦)

تلك هي الاطوار التي يتقلب فيها الانسان بقدرة الخالق الواحد الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير .

الطور الأول : ذكره في قوله تعالى « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين** » والسلالة هي الخلاصة التي تسل من بين الكدر . وقال ابن عباس وعكرمة المراد منه آدم عليه السلام فهو الذي سل من طين وأما ذريته فمن ماء مهين .

والطور الثاني : ذكره في قوله : « **ثم جعلناه نطفة في قرار مكين** » أي إنه سبحانه وتعالى بعد أن خلق أولا جوهر الانسان من طين أو الجنس الانساني وهو المتمثل في آدم عليه السلام جعل تكرار افراده عن طريق نطفة في قرار

مكين . انها نطفة واحدة تخرج من صلب الرجل تستقر في رحم المرأة بل انها خلية واحدة من عشرات الالوف من الخلايا الموجودة في تلك النطفة فانظر إلى مدى قدرة الله تعالى،ومن رحمته سبحانه أن جعلها ثابتة في الرحم بين عظام الحوض لتحفظ من التأثرات والتحركات، فالمراد بالقرار موضع القرار وهو المستقر .

الطور الثالث : في قوله تعالى : « **ثم خلقنا النطفة علقة** » وذلك عندما تمتزج خلية الذكر ببويضة الانثى وتعلق هذه بجدار الرحم نقطة صغيرة في أول الامر ويكون غذاؤها عن طريق دم الأم،وانها لقدرة عظيمة تلك التي حولت النطفة البيضاء الى علقة حمراء ومن صفاتها الاولى إلى صفات العلقة وهي الدم الجامد .

الطور الرابع : في قوله تعالى « **فخلقنا العلقة مضغة** » اي جعلها قطعة لحم بمقدار ما يمضغ وسمى التحويل خلقا . لانه يفني اعراضا ويخلق اعراضا اخرى .

الطور الخامس : في قوله « **فخلقنا المضغة عظاما** » أى صيرناها عظاما وشكلها سبحانه فكانت ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها .

الطور السادس : في قوله « **فكسونا العظام لحما** » فيكون اللحم كالكسوة للعظم ، وهنا يثبت القرآن الكريم حقيقة علمية رائعة سبق بها العلم الحديث الذي لم يعرفها الا بعد تقدم علم الاجنة وهي ان خلايا العظام غير خلايا اللحم وانها تتكون أولا فإذا تمت كانت خلايا اللحم التي تكسوها بعد ذلك .

الطور السابع : في قوله « **ثم أنشأناه خلقا آخر** » اي خلقا مختلفا عن الأطوار الأولى حيث انتقل من الجمادية الى الحيوانية وكان أبكم فصار ناطقا ومنحه السمع والبصر وغير ذلك من الخلقة الالهية العظيمة التي تتمثل في صورة البدن والروح والقوى بنفخه فيه «**فتبارك الله** » اي تعالى شأنه في قدرته وحكمته « **احسن الخالقين** » المقدرين تقديرا .

الطور الثامن : في قوله تعالى : « **ثم إنكم بعد ذلك لميتون** » أي صائرون إلى الفناء والموت وليس هذا نهاية الأطوار كما يظن البعض وإنما هو نهاية الحياة الدنيا وطور من اطوار النشأة الاخيرة .

الطور التاسع : في قوله « **ثم انكم يوم القيامة تبعثون** » وهنا نشاهد أن الله تعالى جعل الموت الذي هو نهاية الحياة الدنيا ، وجعل البعث الذي هو إعادة ما أنهاه وأفناه جعل هذين دليلين ايضا على عظيم قدرته وهو سبحانه وتعالى بهذه الادلة التي سقتها قد اعطى الانسان دليلا قويا ومحسوسا حتى يؤمن عن اقتناع كامل ويقين راسخ وان تلك الادلة انما جاءت من اقرب طريق من اطوار خلق الانسان وتقلبه بين الحياتين الدنيا والاخرة وعن خلق ادم من الطين .

روى الامام احمد بسنده عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنوآدم على قدر الارض ، جاء منهم الاحمر والابيض ، والاسود وبين ذلك والخبيث والطيب وبين ذلك . رواه ابو داود والترمذي وقال حسن صحيح وعن معنى قوله « **ثم انشأناه خلقا آخر** » .. يقول ابن كثير يعني نفخنا فيه الروح . وقال العوفي عن ابن عباس « **ثم انشأناه خلقا آخر** » يعني ننقله من حال الى حال الى ان خرج طفلا ثم نشأ صغيرا ثم احتلم ثم صار شابا ثم كهلا ثم شيخا ثم هرما ، وقد روى احمد في مسنده عن عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق (أن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما) وفي بعض الروايات ، نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات رزقه وأجله وعمله وهل هو شقي او سعيد فوالذي لا إله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع . فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها،وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل الجنة فيدخلها .

وروى الامام احمد عن عبدالله قال : مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه . فقالت قريش : يايهودي إن هذا يزعم أنه نبي فقال لأسألنه عن شيء لا يعلمه الا نبي قال فجاءه حتى جلس فقال : يا محمد مم يخلق الانسان ؟ فقال يايهودي من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة فاما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب واما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم فقال هكذا كان يقول من قبلك ..

● أدلة الايمان في الكون ●

وبعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى أدلة الايمان في النفس عن طريق خلق الانسان والأطوار التي مر بها ذكر أدلة الايمان في الكون فقال : « **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين * وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون * فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون * وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين * وان لكم في الآنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون * وعليها وعلى الفلك تحملون** »(سورة المؤمنون ـ آية ١٧/٢٢) .

لقد خلق الله سبع سموات وسميت طرائق لتطارقها فبعضها فوق بعض أو لانها طرائق للملائكة في العروج والهبوط والطيران أو لأنها طرائق الكواكب . فيها مسيرها ،

وفي هذه الآية : « **ولقد خلقنا فوقكم**

سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين » دليل كوني على أن خالق السماوات وجميع المخلوقات لا يهملها وإنما يحفظها من الزوال ومن الاختلال ، ويدبر امرها حتى تصل الى ما قدره الله تعالى لها وانه سبحانه وتعالى يعلم اعمال العباد واقوالهم . وما تكنه صدورهم ، وهذا يفيد الزجر عن مخالفته ، وفي الآية الكريمة دلالة واضحة على كمال قدرة الله وعلمه وأن فيها دليلا على وجود الله تعالى لأن خلق السماوات على هذه الصورة البديعة وما يعتريها من احوال كل ذلك يدل على وجود الخالق المدبر لها ، والصانع القادر العظيم وهو الله سبحانه وتعالى وإذا كان الدليل الكوني الأول على الايمان هو خلق السماوات . فإن الدليل الثاني هو : خلق الماء وانزاله من السماء والنعم التي نحصل عليها عن طريقه ، قال تعالى : « **وانزلنا من السماء ماء بقدر** » . فقد انزله سبحانه من السماء بتقدير يتناسب مع حاجة الحياة والاحياء . وبحيث يكون نفعه كثيرا وجعله سبحانه وتعالى ثابتا مستقرا في الأرض وهو القادر أن يذهبه إن شاء بازالته أو تصعيده أو تعميقه بحيث يتعذر استخراجه فيمكن ان يجعل الماء يغور في الارض عن طريق شقوق في طبقات الصخور او غير ذلك من الوجوه . فان القادر على إمساكه قادر على ازالته وتبديده .

ومن هنا يتضح فضل الله على العباد ، كما ان في انزال الماء بقدر وبحسب الحاجة حكما عالية دقيقة فلم يسقه كثيرا غامرا يفسد العمران ، ولا قليلا لا يكفى الحاجة بل على حسب الحاجة إليه بل أن الأرض التي تحتاج إلى ماء كثير للزرع ولا تحتمل بلادها انزال المطر الكثير عليها مخافة ان يفسد ما عليها من الديار والزروع كان من لطف الله تعالى وحكمته ورحمته انه يسوق اليها الماء عن طريق بلاد اخرى . كما في ارض مصر . فانه يسوق إليها ماء النيل ومعه الطين الاحمر من بلاد الحبشة في اوقات المطر بها فيسقى الارض ويقر الطين على الارض ليزرع اهل مصر فيه لان الارض هناك سياح يغلب عليها الرمال .

ثم ذكر سبحانه بعد نعمة الماء . ما يترتب عليه من النعم الاخرى التي تحصل عن طريقه فقال « **فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون * وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين** » وانما ذكر النخيل والاعناب لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام ومقام الادام ومقام الفواكه كما اشار الى غيرها من الفواكة الكثيرة مما يعجز الناس عن القيام بشكر الله تعالى فيه : كما انشأ ايضا شجرة هي شجرة الزيتونة . تخرج من طور سيناء والطور الجبل وهو الذي كلم الله سبحانه وتعالى سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وهو بين مصر وايلة وقيل بفلسطين وفي قوله « **تنبت بالدهن** » إنها متلبسة به ومتصحبة له ، وصبغ للآكلين أي أدم ، ففيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ .

وأما الدليل **الثالث** من الادلة الكونية

على الايمان فهو ما ذكره في قوله تعالى « **وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون * وعليها وعلي الفلك تحملون** » وهنا نشاهد انه بعد ان ابرز دليل التوحيد . عن طريق الانسان وأطوار خلقته انتقل من جانب النفس الانسانية الى جانب الآدلة الكونية . فأوضح خلق السماوات وانزال الماء وأحياء النبات في الأرض ثم انتقل من ذلك إلى عالم الحيوان فذكر على طريق الاجمال ما في الانعام من عبرة يمكن للعاقل ان يعتبر بها ويستدل عن طريقها على وجود الله تعالى وقدرته ووحدانيته . ثم اخذ في تفصيل تلك العبرة فبينها في الوجوه التالية :

أولا : نسقيكم مما في بطونها من الألبان وإذا تمعن الانسان في كيفية خلق اللبن شاهد أدلة القدرة الالهية عن كثب ، فهذا اللبن يجتمع في الضرع ويتخلص من بين فرث ودم ويستحيل الى طهارة ولون وطعم ، غذاء نافعا مفيدا ، ومن عظيم قدرة الله وحكمته ان الانعام اذا ذبحت لا تجد له اثرا .

ثانيا «**ولكم فيها منافع كثيرة** » في ظهورها وأصوافها وأوبارها واشعارها أو في بيعها . للانتفاع باثمانها وما شاكل ذلك .

ثالثا : « **ومنها تأكلون** » وفي هذا الوجه انتفاع باعيانها فكما ينتفع بها وهي حية بما سبق ينتفع ايضا بها بعد ذبحها بالأكل ..

رابعا « **وعليها وعلى الفلك تحملون** » وذلك لان الانتفاع بالابل في الحمل والركوب على البر مثل الانتفاع بالفلك في البحر أو ما هو بمنزلته قال سبحانه « **وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الابشق الانفس ان ربكم لرؤوف رحيم** » سورة النحل آية ٧

تلك هي دلائل القدرة الالهية في النفس وفي الكون وفي الانسان وفي الحيوان وفي الماء والنبات وغير ذلك من المخلوقات افبعد كل هذا يستسيغ منكر أوجاحد ان يقف في وجه الحق ؟ او يثير شبها حول هذا الدين القيم ؟ « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** » (آل عمران ـ آية ٨٥)

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوارة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » ٢٩ ـ سورة الفتح .

النذير البشير

للدكتور/ حامد الهوال

محمد رسول الله

هذا هو التحديد الالهي لمهمة النبي صلى الله عليه وسلم وهو محور سيرته في القرآن الكريم .

بدأت به الآية ، وكأنها أرادت بمناسبة الحديث عن فتح مكة أن تبرز الصفة الأساسية للنبي لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتي كانت وراء انتصاره ، ولازمته منذ جاء إلى قومه يدعوهم إلى الاسلام قائلا لهم « إني رسول الله »

وقد جمعت الآية مع النبي صحابته الذين آمنوا به وسلكوا معه نفس الطريق ، في إطار من الصفات يجسم علاقتهم مع الاصدقاء والأعداء في عرض أدبي رائع .

وإذا كان اهتمام الآية كماهو واضح منصبا على إبراز صورة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في وضع مميز أهلهم للنصر وحمل الرسالة ـ فإنها قد تضمنت إشارة رامزة تلفت الأذهان إلى تاريخ السيرة النبوية الشريفة ، الذي يضرب إلى عهدين من عهود الانسانية سابقين على عهد الرسول صلى الله عليه

وسلم ، تركا آثارهما أكثر من غيرهما من العهود على حياة العرب في المنطقة وهما العهد اليهودي والعهد المسيحي اللذان لم يكونا غريبين على الناس ،

وكانت بعض افكارهما معروفة لديهم ، وسيكون لبقاياهما من الأتباع الذين يعيشون في الجزيرة العربية وما حولها ، تاريخ طويل ومؤثر في حياة النبي وأصحابه ، وفي حياة المسلمين فيما بعد .

وقد أكدت الآية على نقاط مترابطة تشمل مساحة كبيرة من حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

١ ـ فهو رسول الله .

٢ ـ يجمل ذلك ويثبته ويؤكده ويدعمه القرآن الكريم ومن قبله التوراة والانجيل .

فسيرة الرسول هنا ممتدة الى عمق التاريخ المعروف للعرب .

٣ ـ وهو وأصحابه يتميزون بالرحمة فيما بينهم والشدة على الكفار أعدائهم واعداء دينهم مما يضمن لهم النصر وانتشار دينهم وهم يتسمون بسمات المتدينين الصالحين .. وقد غرس فيهم النبي افكاره وتعاليمه المستوحاة من دينه الكريم فنمت وازدهرت وآتت ثمارها ناضجة تثير العجب من حولها ... كما تثير الغيظ عند الأعداء الحاقدين .

٤ ـ وقد نصرهم الله بإيمانهم وعملهم الصالح ، وبذلك حقق لهم وعده .

وتبدأ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن بأول اتصال إلهي به ، أي عند نزول أو ل آية في كتاب الله ، والتي يخاطب فيها محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله (**اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم** » العلق/ ١ ـ٥ .

وكان ذلك تمهيدا لاعلامه بالرسالة .

فالأمر بالقراءة باسم الله الخالق للانسان والمعلم له ، يعني التنبيه إلى ما يعد في هذا السبيل ، والذي يقتضي بعض المقدمات التي تخفف من المفاجأة كما أن المهمة التي ستلقى إليه تعتمد على التلاوة والقراءة .

وبناؤها العلم ، فهي مهمة مميزة، وتثير التأمل والتفكير بدرجة كبيرة .

الاشارة الى مرحلة سابقة قبل البعثة :

على اننا نجد بعض الاشارات التي تسبق هذا التاريخ . كما ذكرنا عند الحديث عن صفات الرسول واصحابه . وورود امثلة لها في التوراة والانجيل وتضيف هنا ما بشر به عيسى قومه عن رسول يأتي بعده معينا لهم اسمه (**وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**) ٦ ـ ٧ الصف .

كما تضمنت سورة الضحى شيئا يسيرا من حياة الرسول قبل البعثة . في قوله تعالى

(ألم يجدك يتيما فآوى * ووجدك ضالا فهدى * ووجدك عائلا فأغنى) .. الآيات ٦ ـ ٨ .

وقد جاءت هذه الاشارة السريعة إلى الماضي مع أمور تتعلق بالحاضر والمستقبل معا ، في قوله تعالى :

(والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى * وللآخرة خير لك من الأولى * ولسوف يعطيك ربك فترضى) ١ـ ٥ من سورة الضحى

وهذا الترابط بين الأزمنة الثلاثة حزم التوجيهات التي ألقيت إلى النبي بعد ذلك وكأن فيها شيئا من آثار هذه الأزمنة **(فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر * وأما بنعمة ربك فحدث)** ٩ ـ ١١ من سورة الضحى .

وأحب أن ألاحظ هنا أن مثل هذه التوجيهات يمكن ترجمتها إلى سلوك انساني ثابت لدي النبي الكريم ، شأنها شأن كل ما يستفاد من التوجيهات التي تلقى إليه في القرآن ،

فهي تصبح لونا من ألوان الوصف والتعريف بشخصه خاصة اننا على يقين من أن النبي ينفذ هذه التوجيهات ولا يحيد عنها .

بدء الرسالة :

يتحدد بدء الرسالة إذا من لحظة الأمر بالاستعداد لها ، والتهيؤ لمواجهة أعبائها ، والتعامل مع الملابسات التي تظهر في طريقها .

وهي اللحظة التي تحقق فيها الاختيار ، وظهر الى الوجود ويحددها الأمر بالقراءة على النحو الذي تقدم ذكره .

ويلزم لهذه المرحلة الأولى من مراحل الرسالة أمر مهم في الاعداد ، ربما ليس غريبا على الرسول ولا جديدا عليه ، ولابد انه لاحظه في تأملاته قبل البعثة ، وسيلاحظه أكثر بعدها ، ولكنه كان محتاجا إلى استحضاره في ظروف الاختيار .

هذا الأمر هو تعريف النبي بطغيان الاغنياء الذي كان سائدا في الجزيرة العربية ، والذي هو طابع الانسان الذي له صفة العموم ، وإن لم يكن لازما عند الجميع . وذلك رغم طبيعة خلقه من علق ، والتي تشير الى الدقة وإلى ضرورة التواضع في نفس الوقت ، ورغم النهاية التي ينتهي إليها هذا الخلق برجوع الكل إلى الله الذي أوجدهم من العدم .

رغم كل ذلك فإن الانسان بطغيانه هذا سيقاوم تبليغ الرسالة إلى الناس وسيعارض إقامة أركانها وشرائعها .

(كلا إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى * إن إلى ربك الرجعى * أرأيت الذي ينهى * عبدا إذا صلى * أرأيت إن كان على الهدى * أو أمر بالتقوى * أرأيت إن كذب وتولى * ألم يعلم بأن الله يرى) ٦ ـ ١٤ من سورة العلق

وسواء كان هذا الانسان معينا مقصودا ـ هو أبو جهل ـ كما يذهب المفسرون . او كان مطلق الانسان دون تحديد . فإن الامر يتعلق بالاستعداد لما سيأتي . ولما يحدث مع الناس من صراعات .

ولكي يطمئن الرسول على ان الطريق أمامه ـ وإن كان محفوفا بالمخاطر ـ مفعم بالأمل في النصر ، كان لابد من بيان النتيجة بوضوح . **كلا لئن لم ينته** (هذا الانسان) **لنسفعا بالناصية * ناصية كاذبة خاطئة * فليدع ناديه سندع الزبانية)** ١٥ ـ ١٨ من سورة العلق .

المرحلة الثانية في تلقى الرسالة كانت في إحدى الليالي التي كان فيها النبي متزملا ثيابه بين النوم واليقظة فلعله فيها كان يستعد للنوم . أو يخلو إلى نفسه في لحظة يكون وحيدا حتى ولو أن زوجته كانت بجانبه فيخاطبه الله بقوله .

« **يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا * إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا * إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا** » ١ ـ ٦ المزمل .

وهي تعنى ان حياة الرسول بعد البعثة لم تعد حياة عادية روتينية . بل إن ليله سيكون قياما وترتيلا للقرآن الذي بدأ يوحى إليه .

وفي هذه الحياة الحافلة ـ يتلقى النبي أمور دينه ، وهي ليست سهلة يسيرة ، إن الأمر صعب ثقيل سواء في آيات الدين ونظرياته ، أو مهامه وأركانه .

وتأتي المرحلة الثالثة مرحلة الابلاغ المباشر ، والانتقال من تهيئة النفس ، وملاءمتها للدعوة الجديدة إلى مخاطبة الناس ، ونقل نفس الأحاسيس والأفكار والأعمال إليهم ويأتي الخطاب بها في قوله تعالى .. **(يا أيها المدثر * قم فأنذر)** ١ ـ ٢ المدثر

والرثاء نوع من الغطاء وتركه يوحي بالانتشار والصحوة . فقد أدت التأملات دورها وتهيأت النفس بالقيام والقراءة وممارسة بعض ألوان العبادة لمرحلة ربط النظرية بالتطبيق . ومفهوم الدعوة بالممارسة

ولا أدري هل يحق لنا أن نستلهم شيئا من الخروج إلى العمل الفردي والجماعي من تحت الغطاء في قوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا ... ويا أيها المدثر قم فأنذر ...

وهو ما فسرته الآيات بعد ذلك بالخروج من الظلمات إلى النور . أم نكتفي بأن نأخذ منها صورة حقيقية للحظات من تاريخ السيرة النبوية في مراحلها الأولى .

وفي الحالتين فإن النبي أحوج ما يكون إلى الصبر (**وأصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا)** . ١٠ / المزمل . « **ولربك فاصبر** » ٧ ـ المدثر

لغة الدعوة

من الملاحظ أن الدعوة في صورتها المباشرة إلى الناس بدأت بالانذار ،

وهو التحذير من التكذيب والتحذير من غضب الله . وهي تناسب جو المعارضة والانكار الذي جوبهت به الدعوة منذ ظهورها ... وتناسب كذلك طابع الحياة السائد في هذا العصر حيث يغلب الضلال على النـاس ،

ويتبع معظمهم هواه . وتنتشر المفاسد الاجتمـاعيـة والمنكـرات . فهنـاك استغراق في الخطيئة ، وكبرياء وظلم وانحراف ، وصور جاهلة للعبادة .

لذلك كان ظهور النبي في حياتهم نعمة ومنة ، لأنه بدأ معهم عهدا جديدا من العلم والتطهير والحكمة .

(لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويـزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) ١٦٤ آل عمران .

والنبي صلى الله عليه وسلم يركز بأمر ربه على الانذار كمهمة أولى من مهامه . (**قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين)** ٤٩ الحج .
والابانة في الانذار قد تعنى انه يوضح لهم ماهم بصدد التحذير منه ، أو تبين لهم المقصود من هذا الانذار .

وإذا كان الرسول في بعض المواقف اقتصر على ذكر الانذار فإن التبشير للمؤمنين بأخذ الجانب الثاني من جانب الدعوة .

(ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير) ٢ هود وعندما يكون الخطاب للناس عامة فقد يناسبهم الانذار مع الاشارة إلى ما يعطي الأمل في التبشير ـ كقوله بعد آية الحج السابقة (**فالذين آمنـوا وعملوا الصـالحـات لهم مغفـرة ورزق كريم** » . « **والذين سعوا في آياتنا مـعـاجـزيـن أولئـك أصحـاب الجحيم)** .. ٥٠/٥١ الحج .

وحين يكون الحديث متعلقا بموقف معارض او ساخر أو غير متعاطف من الكافرين مع الرسول يكون التأكيد

مـرة اخرى عـلى الانذار (**أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذر مبين)** .. ١٨٤ / الاعراف

وليس التبشير والانذار من الرسول موجها إلى العرب فقط ، ولكنه وجه ايضا إلى أهل الكتاب من اليهود

والنصارى . (**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نـذير فقـد جـاءكم بشـير ونذير والله على كل شيء قدير)** ١٩ المائدة .

وهو يتلاقى عندهم مع ما يعرفونه من طابع الرسالات ومهمة الرسل عموما ... وهو ما أكده لهم القرآن بقوله (**وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) ٤٨ الأنعام .

ويدخل التبشير والانذار وهو طابع الدعوة واسلوبها ضمن صفات جامعة شكل فيها الله شخصية الرسول في قوله (**يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا**) ٤٥ ـ ٤٦ الاحزاب .

وفي موقف آخر يرتب على هذا التحديد والتوصيف وصايا للمسلمين الذين استفادوا من التبشير والانذار .

(**إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا**) ٨ ـ ٩ الفتح .

الابلاغ

والانذار والتبشير هما فحوى الابلاغ ومحتواه ، إذا نظرنا إلى أن مهمة الرسول في جوهرها تعنى إبلاغ الناس بما أمر الله به . إبلاغهم بأنه أرسل إليهم وأنه يحمل رسالة الله في إجمالها وفي تفاصيلها ..وانه بمقتضى كونه رسولا فإن كل ما يعظهم به يدخل في مفهوم الرسالة ومحتواها .. (**وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى**)٣ ـ ٤ النجم .

فالرسالة تستلزم التبليغ

(**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**) ٦٧ ـ المائدة .

فالتبليغ هنا بالامر ثم بالتأكيد ، ولعل التأكيد ضروري لمواجهة المعارضات القائمة في المجتمع والتي تنعكس بدرجة واضحة وخطيرة على الناس الذين يتمسكون بعاداتهم وأسلوب حياتهم ومكاسبهم ولذلك كان التركيز عليهم ، بالتهوين من أمرهم وما يمكن أن يصلوا إليه في هذه المعارضات .

فكان النبي يقابل محاولاتهم التشويش على الدعوة او التعجيز الذي يقصدون منه إظهار ضعف النبي أمامهم وأمام مطالبهم . « كان في أغلب الأحيان يرد بأنه مبلغ فقط ... وأن مهمته تنحصر في ذلك ، فكان ينفذ بهذا المنهج التوجيه الالهي المحدد (**إن عليك إلا البلاغ**) الشورى ـ ٤٨

(**فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين**) النحل ـ ٨٢ .

الله سبحانه وتعالى هو الخالق ، خلق السموات والأرض وما فيهما ، وأبدع في خلقه ، وأحسن في كونه ، وإن مخلوقات الله تعالى لا يحصيها العدّ ، ويأتي في قمة هذه المخلوقات الإنسان ، الذي فضله الله تعالى على سائر خلقه ، وكرّمه غاية التكريم ، وخلقه في أحسن تقويم ، وجعله خليفة له في أرضه ، وأكرمه بالنبوات والرسالات السماوية ، وأنزل عليه الكتب الإلهية ، وخلق في تركيبه كل عناصر الكائنات الأخرى .

وصرح القرآن الكريم بهذا التفضيل والتكريم للإنسان ، فقال تبارك وتعالى « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » سورة الإسراء . آية/٧٠ .

الإنسان أفضل المخلوقات

للدكتور / محمد الزحيلي

وإن **أوجه التكريم للانسان** ، وميزات التفضيل له علي غيره كثيرة ، نذكر جانبا منها على ضوء هذه الآية التي صرحت بلفظ « **كَرّمنا** » وهو تضعيف « **كرم** » أي جعلنا له كرما ، أي شرفا وفضلا ، «وهذا هو كرم نفي النقصان ، **لا كرم المال** »

فمن أوجه التكريم والتفضيل أن الله تعالى جهز **الانسان بصفات متنوعة ، ووضع فيه من كل جنس قدرا معينا يشاركه فيها ، وجعل من**

مجموع هذه الصفات مركبا نادرا لا مثيل له ، ولا يستطيع جنس آخر أن يتباهى به على الانسان ، وركبه من ثلاثة عناصر أساسية ، وهي :

١ ـ **العقل** : الذي يمثل التسامي والتفكير ، والوعي والإدراك ، والاختيار والحرية في الأمور .

٢ ـ **الروح** : التي وهبها الله تعالى للانسان « **ونفخت فيه من روحي** » سورة (ص) آية ٧٢ ، « **ثم سواه ونفخ فيه من روحه** » سورة السجدة ، آية ٩ ، ليتدرج الإنسان في مراقي الكمال والرفعة ، ويتعلق أمله بالله وتستمر روح الإنسان بعد وفاته محلّقة في عالم الأرواح .

٣ ـ **الجسد** : من المادة ، وما فيها من شهوات وغرائز وميول يشترك فيها الإنسان مع بعض المخلوقات التي تقتصر عليها أحيانا .

وإضافة إلى ذلك فقد خلق الله تبارك وتعالى **الانسجام الكامل** بين هذه العناصر الغريبة وأقام بينها **التوازن العادل** في الإنسان القويم ، وأن أي انحراف أو خلل في العناصر يؤدي الى الشذوذ من جهة ، وتعطيل جانب أساسي من عناصر الإنسان من جهة أخرى .

ومن أوجه التكريم والتفضيل أن الله تعالى خلق الإنسان على **أحسن هيئة ، وأكمل صورة** ، وهو ما صرح به القرآن الكريم في آية أخرى فقال تبارك وتعالى « **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** » سورة التين . آية ٤ ، وهو الاعتدال ، والاستواء ، بينما خلق غيره منكبا على وجهه ، وخلق الإنسان مستويا ، مع امتداد القامة ، وحسن الصورة ، وله لسان ذلق ، وأصابع يقبض بها ، وزينه بالعقل ، وهداه بالتمييز ، يتناول مأكوله بيده ، ويختار الطيبات بنفسه ويؤدي أوامر الله ، قال القاسمي « أي في أحسن تعديل خلقا وشكلا ، صورة ومعنى »

ومن أوجه التفضيل التي ذكرها العلماء في تفسير الآية الكريمة أن الله تعالى **حمل الإنسان في البر والبحر والجو** ، وأن الله خصصه بأنواع المطاعم والمشارب والملابس ، وأن الإنسان يكسب المال خاصة دون الحيوان ،ويلبس الثياب ، ويأكل المركبات من الأطعمة .

وحكى الطبري عن جماعة أن التفضيل هو أن **يأكل بيده** ، وسائر الحيوان بالفم ، وروى ذلك عن ابن عباس ، وقال الضحاك : كرّمهم بالنطق والتمييز ، وقال عطاء كرّمهم بتعديل القامة وامتدادها ، وقال الطبري : بتسليط الإنسان على سائر الخلق ، وتسخير سائر الخلق له .

وأرى أن هذه المميزات صحيحة ، ولكن أهم ميزة للإنسان يستحق بها التفضيل على غيره هي **العقل** وهو ما جحه القرطبي ، وبيّنه بقوله « **والصحيح الذي يعول** عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف وبه يعرف الله ، ويفهم كلامه ، ويوصل الى نعيمه ، وتصديق رسله ، إلا أنه لما لم ينهض العقل . بكل المراد من العبد ، بعثت الرسل ،

وأنـزلت الكتب ، فمثـال الشـرع الشمس ، ومثال العقل العين ، فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء » ثم قال (وقد جعل الله في بعض الحيوان خصالا يفضل بها ابن آدم أيضا كجري الفرس وسمعه وبصره ، وقوة الفيل ، وشجاعة الاسد ، وكرم الديك ، وإنما التكريم والتفضيل بالعقل) . وزيادة في تكريم الإنسـان ، وأنه المخلوق المفضل عند الله تعالى ، وأنه المستخلف عن الله في أرضه ، فقد **سخّر له ما في الكون** ، وجعله تحت تصـرفه ، ومكّنـه من استعمـالـه واستغـلاله ، وسلّطـه على تـذليله واستخدامه ، ووهبه الملكات والقدرات عـلى إخضـاعـه ليستطيـع تحقيق مطـامحه ، والـوصول إلى آمـالـه وأهدافه .

فالله سبحانه وتعالى **سخر الأرض للإنسان** . وجعلها له مقرا ، وذللها له طوعا ، ثم أمره بالمشى في أرجائها ، والسعى في جنباتها ، فقال تعالى « **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** « سورة الملك / آية ١٥ .

وقال عز وجل « **ألم تروا أن الله سخّر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة** » سورة لقمان ، آية ٢٠ .

وقال تعالى « **هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الـزرع والـزيتـون والنخيـل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليـل والنهار والشمس والقمـر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذّكّرون** » سورة النحل . آية ١٠-١٣ .

وبين القرآن الكريم أُن الله خلق الليـل والنهار ليستفيـد الإنسـان منهما ، فقال تعالى « **وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضـلا من ربكم ولتعلموا عـدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا** » سورة الإسراء . آية ١٢ .

وصرح القرآن الكريم أن الله تبارك وتعالى **خلق الأنعام** ، **وملكها للإنسان** ، ثم ذللهـا له للـركوب ، والأكل والمنافع والمشارب ، فقال تعالى « **أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكـون . وذللنـاها لهم فمنهـا ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون** » سورة يس . آية ٧١-٧٣ .

ونقتصر على آية جامعة عامة تبين أن كل **ما في الأرض خلق للإنسان** . فقال تعالى « **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا** » سورة البقرة . آية ٢٩ وهذا التسخير لعناصر الكون للإنسان ينبه الى الأمور التالية .

١ ـ أن الله تعالى خلق الإنسان وخلق له ما يتوقف عليه بقاؤه ، ويتم به معاشه ، ممـا في الأرض جميعا ، لينتفع به ، وهو ما يستدل به العلماء

على أن الأصل في الأشياء المخلوقة الإباحة ، فالله تعالى أودع باطن الأرض وطيات الجبال ، وقاع البحار ، وطبقات الجو والهواء ، خيرات كثيرة ، وذخائر عجيبة ، وموارد وفيرة ، مما يكفي الانسان والبشرية وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة « **وقدر فيها أقواتها** » سورة فصلت . آية ١٠ .

٢ ـ أن هذا التسخير **دعوة ملحة للنظر في الكون** ، والبحث في مكنوناته للاستفادة مما ادخره الله فيه وأن يضرب الإنسان في أرجاء الأرض للبحث والتنقيب ، والسعي والجد ،

لإعمارها وبنائها وإقامة المدنية والحضارة فيها وهو ما أراده الله تعالى بقوله « **هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها** » هود . آية ٦١ ثم أمر بالنظر والبحث والكشف فقال تبارك وتعالى « **قل انظروا ماذا في السموات والأرض** » سورة يونس . آية ١٠١ .

والانتفاع بالأرض والكون ليس منحصرا في **الظاهر** ، وإنما يشمل الظاهر الذي نصل إليه بالنظر السريع ، ويشمل الباطن الذي يحتاج الى بحث عميق ، ودراسة وعلم ، لذلك وجّه القرآن الكريم الإنسان الى البحث في الكون والتعرف على خواصه وأسراره . والانتفاع به في الحياة فقال تعالى عن الثروة المائية . « **وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها** » النحل آية/ ١٤ .

وقال تعالى عن الثروة النباتية « **وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه** » الأنعام/ ١٤١ .

وقال تعالى عن الثروة الحيوانية : « **والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم** » سورة النحل . آية ٥ـ٧ .

فإن قام الإنسان بواجبه تحقق الهدف من خلقه ، ومما خلق له ، وإلا كان **مقصرا ومهملا** ، كالعامل الذي وضعت بين يديه الآلات ليستعملها ، ولكنه لم يشغلها والوكيل الذي كلف بعمل ، ولكنه لم يقم به ، ومن هنا يثير القرآن الكريم أكبر الحوافز للبناء والتعمير ، واكتشاف الكون ، ومعرفة أسراره .

٣ ـ أن الله تعالى الذي سخر الكون للإنسان **منحه القدرة على استخراج أسراره ، وجعله في** قبضته ، ومتناول عقله ، وأن الله تعالى ربط تسخير ما في الكون بهذه الملكات التي وهبها للانسان بالنظر والتفكير والعقل ، وهو ما ختمت به آيات كثيرة ، بقوله تعالى : « **افلا تعقلون** » و « **لعلكم تعقلون** » و« **إن كنتم تعقلون** » مما يدل على أن الاستفادة من الكون وتسخيره لا يتوقف إلا على إعمال العقل والفكر ، واستخدام وسائل البحث والعلم ، سواء كان الانسان مؤمنا أم كافرا ، ومتى تحقق النظر الكامل ، والبحث الكافي ، فإن

الانسان يسبر أجزاء الكون ، ويستغلها لصالحه وصالح البشرية ، ولم يربط القرآن الكريم ذلك بأسرار كهنوتية ، ولا بطلاسم مغلقة ،

لكن الله تعالى استثنى بعض الأشياء فلم يفتح بابها للإنسان ، ولا تطولها يده ، ولا يصل اليها علمه ،

مهما أوتى من جد وبحث ، فمن ذلك حقيقة الروح ، وظاهرة الموت ، وتغيير السنن الكونية ، وتبديل نظام الكون .

وهذه **الاستثناءات تؤكد عظمة الله الخالق المدبّر** من جهة ، وضعف الإنسان المخلوق وعجزه من جهة ثانية ، وأنه يعمل ويتحرك ضمن النواميس التي رسمها رب العالمين .

٤ ـ أن الله تعالى : **سخّر الكون للإنسان لتحقيق رفاهيته** وتأمين سعادته ، وتوفير الكفاية له وتدبير أسباب العيش ، وجني خيرات الأرض ، واستخراج دفائنها .

لذلك حذر القرآن الكريم من استغلال الكون للضرر والإضرار ، والفساد والإفساد وأحاطه بسياج من التوجيه والتنبيه ليبقى على الصراط السوى ، ويسعى نحو الخير ،

ويتجنب سبل الشر ، فبسط الأرض للزراعة والبناء ، وسلك فيها السبل للتجارة والانتقال ، وألان الحديد والمعادن للصناعة ، قال تعالى : « **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز** » سورة الحديد / آية ٢٥ وقال تعالى « **وألنا له الحديد . أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير** » سورة سبأ . آية/ ١٠ و ١١ .

ونتيجة لذلك فقد استفاد المسلمون الأوائل من هذا التوجيه القرآني ، وأعملوا عقولهم في شؤون الكون ، وسخروا آلاءه الى أقصى حد قدروا عليه ، **وأنشأوا حضارة باسقة ، ، وعلوما مزدهرة ، ومدنية راقية** .

بينما تجمد المسلمون في العصر الحاضر ، واكتفوا بالقشور ، ووقفوا عند سور الدين الخارجي ، وقنعوا بالرائحة والاسم للاسلام ، وحصروا فكرهم وعقلهم في مجرد تلاوة القرآن الكريم بدون فهم ولا تدبر ولا تطبيق ،

ووضعه بعضهم على الرفوف والصدور ولوحات الزينة ، ولم يلجوا الى حقيقة الدين ، ورحبة الاسلام وأغوار القرآن الكريم وأصبحوا عالة على غيرهم ، يأخذون منهم العلوم ومنتجات الحضارة المادية ويقفون خلف الأمم بالتقاليد ، ويكتفون بالنظر إليهم ، وملاحقتهم بالأبصار والعبرات .

وفوق كل ذلك يقوم فريق **باتهام الإسلام بالجمود** وأنه يتنافى مع العصر ، ويقف في سبيل التقدم ويتعارض مع العلم ، مع الغفلة والتغافل عن الدعوة الصريحة له ، والحث الشديد عليه ، والنعوة على المقلدين الذين يقفلون عقولهم ، أو

يستخدمونها في غير محلها ، فيضلون الطريق ، ويضلون الناس ، قال تعالى :

« **لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** » سورة الأعراف / آية ١٧٩ ، وعذر هذا الفريق أنه لم يفتح كتاب الله تعالى ، ولم يتدبر القرآن الكريم ، ولم يبحث في تراث السلف وتخرج على أيدي المستشرقين وأذنابهم ، وغبّ من ثقافة المستعمرين وأتباعهم .

ومن مظاهر تفضيل الإنسان أن الله كلف الملائكة بالسجود لآدم ، وذلك أن الأمر الإلهي لم يقتصر على اختيار الإنسان خليفة في الأرض بل أكد ذلك في السماء والجنات العلا ، وقرنه بالفعل والتطبيق ، وأعلن ذلك في الملأ الأعلى عن إرادته في خلق آدم ،

واتخاذه خليفة ، وسجل ذلك في اللوح المحفوظ ، وأنزله وحيا يتلى على البشر ، فقال تعالى : (**وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين**) سورة (ص) آية ٧١ ـ ٧٤ .

وقال تعالى « **واذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين . فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبي أن يكون مع الساجدين** » سورة الحجر . آية ٢٨ـ ٣١ .

وقال تعالى : « **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى** » سورة البقرة . آية ٣٤ ، وكرر القرآن الكريم هذا الأمر ، وهذه القصة في عدة سور قرآنية لتذكير الإنسان بفضل الله تعالى عليه أولا وليعرف مكانته في الوجود والكون ثانيا ، وليحذر من غواية إبليس ثالثا .

قال علماء التفسير « أمرهم بالسجود له على وجه التحية والتكرمة ، تعظيما له ، واعترافا لفضله ، واعتذارا عما قالوا فيه ، وهذه كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم عليه السلام ، وهو سجود تعظيم وتسليم وتحية ، لاسجود عبادة »

ونستنتج من تكليف الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ما يلي :

١ ـ أن الملائكة الذين هم من جبلة خاصة ، وهم مفطورون على الخير المطلق ، والطاعة الكاملة ، قد كلفوا بتعظيم الإنسان واحترامه ، مما يدل على أن **عنصر الخير في الإنسان أساسي** ، وأنه إذا استخدمه بشكل جدي في الاتجاه الصحيح ، مع دفع المقاومة المادية والجسدية ، والوقوف حائلا أمام الشهوات والغرائز ، والمغريات الأرضية ، فإنه يكون عندئذ **أقوى شكيمة من الملائكة ، وأكثر عزما على مرضاة الله تعالى ، وأشد قربا** من الملائكة لجلال الله تبارك وتعالى .

وهذا ما صرح به كثير من علمائنا أن الانسان يفضل الملائكة أحيانا ،

واحتجوا بأدلة أخرى ، منها قول الله

تبارك وتعالى « **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية** » سورة البينة / آية ٧ على قراءة الهمز « البريئة » من برأ الخلق

أي هو خير الخلائق ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الملائكة لتضع

أجنحتها لطالب العلم رضي بما يصنع » رواه أبوداود والترمذي .

وبما جاء في الأحاديث أن الله تعالى يباهي بأهل عرفات الملائكة ولا يباهي إلا بالأفضل

قال العلامة القاشاني « وأما أفضلية بعض الناس كالأنبياء

المقربين فليست من جهة كونهم بني آدم ، بل من جهة السر المودع فيهم ،

المشار اليه بقوله تعالى « **إني أعلم ما لا تعلمون** » سورة البقرة / آية ٣٠

وهو ما أعد لذلك البعض من المعرفة الإلهية »

٢ ـ **أن الانسان مفطور على الخير ،**

وأن ما يصدر عنه من شر فهو لأمر عارض ، أو نزوة جانبية ، لقوله تعالى :

« **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** » سورة الروم آية

٣٠ ولقوله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه

يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه » رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعا .

وهو القول الراجح عند العلماء .

٣ ـ أن الله تعالى **جهز الإنسان**

بملكات خاصة ، وميزه **بصفات فريدة** ، وفطره على أشياء تفوق فطرة

الملائكة ، وعنده الاستعداد الخاص الذي يمتاز به ، ويؤهله للخلافة ، وهو

ما أراده الله تعالى بقوله « **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة**

فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا

إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال ياآدم أنبئهم

بأسمائهم » سورة البقرة / آية ٣١ـ٣٣ ، فالله سبحانه علم آدم

الأسماء كلها ، ليبين للملائكة شرف آدم ومكانته ، **بما فضله عليهم في العلم** وقال تعالى « **علّم الإنسان ما لم يعلم** » سورة العلق آية / ٥ .

وهذا المعني يبين السر في الدلالة القرآنية التي كشفت عن حمل

الإنسان للأمانة الكاملة ، بعد أن عرضت على السموات والأرض ، قال

تعالى : « **إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا** . » سورة الأحزاب آية ٧٢ .

٤ ـ أن إباء إبليس عن السجود لآدم يعتبر عصيانا واستكبارا ، فاستحق به اللعنة والوصف بالكفر ، والعذاب بالجحيم ، وهذا يدل على أن جند إبليس ، الذين يتصفون بهذه الصفات ويتكبرون على الله ، ويعصون أوامره ، ويعتزون بالإثم ويغلقون العقل عن التأمل والعمل في الكون للوصول الى خالقه ، ويغترون بما وهبهم الله تعالى من المنح الإلهية والعطايا ، إنما يقلدون إبليس ، ويرتدون صفاته ، وسوف يكون جزاؤهم جزاءه ، ومصيرهم مصيره .

كما يدل هذا المشهد القرآنى من أمر الملائكة بالسجود لآدم ، وإباء إبليس لذلك على هذا **الصراع اليوم** وكل يوم ـ بين الخير وأهله ، وبين الشر وأعوانه ، وأن الصورة واحدة ، والمشهد يتكرر لينال كل فريق جزاءه ويصل كل فريق الى هدفه قال تعالى :

« **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » سورة الزلزلة / آية ٧و٨ .

وبعد فإن هذه الفضيلة للإنسان توجب عليه عقلا وشرعا أن يعرف مكانه عند ربه ، وفي الكون ، والحياة ، كما توجب عليه أن يشكر ربه على هذه النعم العظيمة ؛ وأن يلتزم بشرع ربه ، ويقف عند حدوده ، ويقصد مرضاته ، ليحقق إرادة الله ومشيئته ، ويفوز برضوانه وجنته ، والحمد لله رب العالمين .

● سنة الله ●

جرت سنة الله سبحانه أن يبتلي المؤمنين ويختبرهم ليمحص ايمانهم ، ثم يكون لهم التمكين في الارض بعد ذلك .. والأمن بعد الخوف .
فقد سئل الامام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ هل لنا ان نمكن أو نبتلى ؟ فقال : لا نمكن حتى نبتلى ، فإن الله لم يعط نوحا ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمدا ، صلوات الله وسلامه عليهم حتى صبروا .
وتدبر قول الله تعالى : « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا إن نصر الله قريب » ٢١٤/ البقرة .

المحادون لله ورسوله

للدكتور / محمد محمود متولي

حفزني الى تسجيل هذه الخواطر حافزان . اولهما : استشعرته من الحياة بين الناس اثناء الدعوة إلى الله والتعامل مع الناس ، إذ لاحظت بين طوائف البشر ، أن فريقا كبيرا منهم يتميز بالطبع الكفور ، والقلب الجحود ، والحس البارد ، كفران الاحسان اقرب شيء إلى أنفسهم ، وغمط أصحابه هو أسرع شيء على ألسنتهم ، هذا النموذج يسرح على هواه ، ويلهث وراء شهواته ومصالحه كما تسرح الأنعام ، إذا انقطع طمعه من إنسان قلب له ظهر المجن ، وهو كالحرباء وراء مراده ، يتلون بلون المحيط الذي يرى شهوته فيه، فبين الاتقياء تقي ، وبين المعربدين عربيد ، بل وربما إذا حقق مآربه وعاد إلى

جلده الحقيقي اراد ان يفرض عوجه على الأتقياء ، على أنه أمر واقع ما دام قد استغنى عنهم .

على ألسنتهم ألفاظ جوفاء عن الأصالة والرجولة والأدب وحفظ الود هم أبعد ما يكونون عنها ، وكيف يبقى منافق على ود ؟ وقد تألمت أشد الألم وأنا أرى التنكر باديا من وجوههم الكالحة .

وثانيهما : هو ما لاحظته اثناء مطالعتي للقرآن والسنة ، وبعض الكتب الاسلامية ، إذ وجدت أن معوج الطبع قد يفعل ما فعله من إنكار حقوق الخلق مع خالقه سبحانه وتعالى فيأخذ النعم لا ليشكرها ، وإنما ليبارز ربه بها ، فهو قد يستخدم جسمه القوي في المعصية وعقله الذكي في الخطيئة وجيبه الثري في الانفاق الحرام ، إنه لا ينظر إلى الله قدر ما ينظر إلى نفسه وإلى المخلوقين وكأنه قد أله نفسه وأله غيره ونسي ربه .

ورحت أتلو القرآن لأسكن به نفسي وأعيد الطمأنينة إلى قلبي وأمسكت المصحف أقلب صفحاته وقابلتني أول صورة من صور الجحود في بنى اسرائيل إذ وصفهم القرآن بما وصفوا به انفسهم باعترافهم وبغير تجن عليهم يقول تعالى « **وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون** »البقرة / ٨٨ هذه القلوب المغلفة المختوم عليها موجودة بيننا تحمل اسماءنا ، قلت لواحد منهم قوي البنية متعلم ، يعيش في النعمة : اشكر الله يا فتى ، فأجاب : نعم . ولكن على ماذا لو كنت ابن روكفلر أو روتشيلد لشكرته ، ومثل هذا الكنود قد جعل حجب الشهوات تحيط بقلب صاحبه فتجعله يتمنى ان لو ولد من أب غني وان كان كافرا لأنه لا يرى نعمة الاسلام عليه نعمة تشكر ، وتكملة لهذا المشهد من كنود النعمة يضيف القرآن ان هؤلاء في علمهم بالحق وعدم عملهم به كأنهم جهلة لا يعلمون « **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون** » البقرة/ ١٠١ وجاحدوا اليوم كجاحدى الامس يعلمون انهم على الباطل وان هدى الله هو الهدى ولكنها الدنيا المؤثرة تصدهم عن الحق ، وقد أشار القرآن إلى أن الكفار والمنافقين يشاركون بني إسرائيل هذه الخليقة اللئيمة فقال تعالى : « **وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون** » فصلت / ٥ وقال : « **افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدي الشيطان سول لهم واملى لهم** » محمد / ٢٤ ـ ٢٥ .

ولله على هؤلاء الحادين حكم . بمصير يليق بكنودهم وتفرعنهم وانتفاخ أوداجهم ، فلهم جهنم وعليهم الذلة كما كانت على من قبلهم مهما اظهروا العزة ومهما تظاهروا بالمظاهر المنمقة والمزخرفة وهذا كله وفق قوانين ذكرها رب العزة في القران الكريم فالله يقول : « **ومن يشاقق الرسول من**

بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »النساء / ١١٥ فليهنأوا في دنياهم ، ولكن من باب « **نمتعهم قليلا** » وكذلك يكبتون وفق قانون الجزاء من جنس العمل ، « **إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم** » المجادلة / ٥

وهم بهذه المشاقة ظالمون وطبعا لانفسهم ومعرضون ، ناسون لما جنته ايديهم إذا ذكروا لا يذكرون يقول تعالى : « **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، وإن تدعهم إلى الهدى ، فلن يهتدوا إذا ابدا** » الكهف/ ٥٧

وهم ايضا موتى رغم حياتهم إذ الحيُّ فعلا هو حيّ القلب ، والميت هو ميت القلب وقد قيل :

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا
كاسفا باله قليل الرجاء

وقد قال تعالى : « **إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله** » الانعام / ٣٦ .

وهم يعيشون في ضنك رغم مظاهر النعيم التي يحيطون انفسهم بها فتلك ثمرة الإعراض عن شرع الله يقول تعالى : « **ومن أعرض عن ذكرى ، فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى** » طه/ ١٢٤ ـ ١٢٦ .

ويقول الامام ابن كثير : « أي خالف امري ، وما انزل على رسولي ، وأعرض عنه وتناساه، وأخذ من غيره هداه » .

ومنها أنهم لخبث طويتهم حواسهم مطموسة وقلوبهم غافلة ، وهم كالأنعام بل هم أضل : « **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**» الاعراف/ ١٧٩ . « ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون » الانفال / ٢٣ .

وأخطر ما في طباعهم هو ان مسالكهم المعوجة قد تحسن في انظارهم فيحسبون انهم على شيء وماهم على شيء ويظنون ان سعيهم مشكور ، بينما أعمالهم في الحقيقة بور ، يقول تعالى : « **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** » الكهف / ١٠٣ ـ ١٠٤ .

يقول ابن كثير : وهذه الآيات عامة في كل من عبدالله على غير طريقة مرضية ، يحسب انه مصيب فيها ، وأن عمله مقبول ، وهو مخطىء وعمله مردود ، كما قال تعالى : « **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا** » الفرقان/ ٢٣ ، « والذين

ضل سعيهم في الحياة الدنيا اي عملوا اعمالا باطلة على غير شريعة مرضية ، وقد روي البخاري عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضه ، وقال : اقرأوا إن شئتم « **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** » الكهف /١٠٥ . إن بعض الناس يسب الدين ويعلن انه يهودي او نصراني ويخرج على دين الله علنا وسرا ، ويفرط في الفرائض ببلادة صفيقة ، ثم يقول : إنه من أهل الجنة ، أي جنة،لا أدري لعلها جنة الحالمين مع فرعون

، وانها لقلوب لم تنشرح للاسلامُ أصلا ، أو انشرحت له ظهرا ولم تنشرح له بطنا ، إنهم يسيطر عليهم منطق المصلحة لا منطق اليقين ، وهؤلاء ذكر الرسول وصفا دقيقا لهم يشخص فيه امراضهم القلبية وأن فرق ما بين الذاكر والغافل كالفرق بين الحي والميت ، وبداية حياة القلب تبدأ من تقدير المعروف الذي يسد يه الخلق إليه ، فالناسى لمعروف الناس ناس لمعروف الرب سبحانه وتعالى وقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « من استعاذ بالله فاعيذوه ، ومن سألكم بالله فاعطوه ، ومن استجار بالله فأجيروه ، ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه » رواه ابو داوود والنسائي،وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أعطي عطاء فوجد فليجز به ، فان لم يجد فليثن،فإن من أثنى فقد شكر ، ومن كتم فقد كفر ، ومن تحلى بمالم يعط كان كلابس ثوبي زور » رواه الترمذي .

وعن الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أشكر الناس لله تبارك وتعالى اشكرهم للناس » .

وفي رواية :«لا يشكر الله من لا يشكر الناس » رواه احمد ورواته ثقات

وإذن فهؤلاء الذين يطعمون خير الناس وينالون معروفهم ثم يقابلون المعروف بالنكران فلا يعترفون به ولا يدعون لمن صنعه معهم ولا يثنون عليه فقد كفروا نعمة أسداها إليهم أناس ما انتظروا أن ينحط هؤلاء الى هذا الدرك ، وقد رأينا بعض الحيوانات تستميت من أجل إنقاذ من يطعمها بل وتموت حزنا إذا مات .

والعمر لا يحسب بطوله وإنما يحسب بعرضه ، والحياة تحسب بالحس المتوقد لا بالتبلد وقد روى ابو موسى الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل المؤمن الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت » متفق عليه .

وهؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار تنتظرهم جائحة تقتلعهم اقتلاعا لأن النذر ما أغنتهم شيئا ، ولن تغني عنهم ساعتها قوى الوجود كلها بل لعلها تكون حينئذ وبالاً عليهم وقد قال الرسول الكريم منذرا بمصير هؤلاء المغترين بما أوتوا « مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح

مرة ، وتعدلها مرة ، ومثل المنافق كالارزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة » متفق عليه .

والقلوب التي لا تحفظ الحق ولا تنصاع له كالارض السبخة لا تستفيد ولا تفيد ، بل إنها تحيل الحلو النافع إلى مر ضار ذلك انها لخبثها لا تقترب من شيء الا نفحته بعض خبثها روى ابو موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير ، أصاب ارضا ، فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب ، أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا واصاب منها طائفة أخرى ، إنما هي قيعان ، لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » متفق عليه .

ويعلق الامام ابن القيم على هذا الحديث الشريف بقوله « وهذه «الارض التي قبلت الماء فأنبتت ... » بمنزلة القلب القابل لهدى الله ووحيه المستعد لزكائه فيه وثمراته ونمائه، وهذا خير قلوب العالمين ،

وهذه ـ الارض الثانية ـ بمنزلة القلب الذي حفظ الوحي وضبطه ، وأداه إلى من هو أفهم له منه وأفقه وهذا في الدرجة الثانية .

وهذه ـ الارض الثالثة ـ حال اكثر الخلق ، وهم الاشقياء الذين لم يقبلوا هدى الله ، ولم يرفعوا بذلك رأسا ، ومن كان بهذه المثابة فليس من المسلمين ، إذ لابد للمسلم ان يثمر الوحي في قلبه فينبت عملا صالحا ، وكلما طيبا ، ينفع به نفسه وغيره ، بحسب قدرته ، فمن لم ينبت قلبه شيئا من الخير البتة ، فهو من أشقى الأشقياء » .

ويحق في هذا الاخير قول القائل

فما لك ليس ينفع فيك وعظ
ولا زجر كأنك من جماد
ستندم إن رحلت بغير زاد
وتشقى إذ يناديك المنادي
فإن تأمن لذى الدنيا صلاحا
فإن صلاحها عين الفساد
ولا تفرح بمال تقتنيه
فإنك فيه معكوس المراد
وتب مما جنيت وانت حي
وكن متنبها يوم الرقاد
أترضى أن تكون رفيق قوم
لهم زاد وانت بغير زاد

المعاصي بريد النقم

لبعض الغافلين ولع شديد بالشهوات ، وإذا فترت حدة تشهيه بحث عن المشهيات والمقويات والمنبهات ، ليله فكر في لذة ، ونهاره نهم في اكلة ، يظن أن حاله في التنعم إلى دوام ، ولا يعلم أن هذا من غلبة الشيطان عليه ، إذاذكروا لا يذكرون ، وإذا وعظوا لا يتعظون ،

« **ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا** » الفرقان / ٢٧ ويغفلون عن ان كل شيء عرضة للزوال غير ربي وصالح الأعمال ، وان من اشتد تشبثه بالشهوات خطوة ، انفتح عليه

باب زوالها خطوات إذ كل طاعة يقابلها من الرب عطاء ، وكل معصيه يقابلها منه منع ، فهل ينتبه الغافلون او يرعوي العاصون ، وهل نذكر ان الشكر قيد النعم ، وان المعاصي بريد النقم .

روى ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا معشر المهاجرين ، خصال خمس ، إن ابتليتم بهن ، ونزلن بكم ، أعوذ بالله ان تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم ، حتى يعلنوا بها ، الا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في اسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين ، وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة اموالهم الا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله ، إلا سلط عليهم عدوا من غيرهم فيأخذ بعض ما في ايديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم »رواه ابن ماجه و البزار والبيهقي .

وصدق من لا ينطق عن الهوى ، فما الآيدز والهربس وما يستجد من امراض الا بعض آثار انكباب المنكبين على شهواتهم ، وما عدم الاستقرار والاطمئنان وقحط الارض وشح السماء بالمطر الا نتائج معجلة لعصيان العاصين وصدق الله العظيم « **جزاء وفاقا** » ويقول الامام ابن القيم : فما أزيلت نعم الله بغير معصية .

إذا كنت في نعمة فارعها
فإن المعاصي تزيل النعم

فآفتك من نفسك ، وبلاؤك من نفسك ، وانت في الحقيقة الذي بالغت في عداوتك وبلغت في معاداة نفسك مالا يبلغ العدو منك كما قيل :

ما يبلغ الأعداء من جاهل
ما يبلغ الجاهل من نفسه

ومن العجيب انهم يشكون الاقدار ويلومونها مع انهم فرطوا في حظ انفسهم وعجزوا عن معرفة أسباب سعادتها وكأنهم المعنيون بقول القائل :

وعاجز الرأي مضياع لفرصته
حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

أو بقول القائل :

أفنيت عمرك والذنوب تزيد
والكاتب المحصي عليك شهيد
كم قلت لست بعائد في سوأة
ونذرت فيها ثم صرت تعود
حتى متى لا ترعوي عن لذة
وحسابها يوم الحساب شديد
وكأنني بك قد أتتك منية
لاشك أن سبيلها مورود

والمعاصي من إغواء الشيطان ، والمسلم العاقل هو من يسد منافذ الشيطان الى قلبه ونفسه من غضب وقسوة وشبع وطمع وسوء ظن بالمسلمين ، وما أكثر تلك المنافذ .

من منافذ الشيطان الى القلوب

كثيرة هي منافذ الشيطان الى القلوب ، ولكن أهمها بالنسبة لعبيد الشهوات

● ـ اتباعهم لأهوائهم واعجابهم بآرائهم فترى الواحد منهم عبد هواه فمنه ينطلق وعليه تنبني مواقفه ، قد

يكره صالحا ويحب طالحا ويقرب عاصيا ويبعد عابدا ، لأن هواه زين له ذلك،فكره متقلب ومواقفه غير ثابتة لأنها لا تعتمد على حق ثابت وإنما تعتمد على هوى جامح وصدق الله العظيم « **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون** » المؤمنون/ ٧١ .

وأما إعجابهم برأيهم فيصدهم عن الحق صداً لا يجعل نافذة - ولو ضيقة - مفتوحة للحق في قلوبهم ، إن قلت قال الله قالوا : « قالت (المودّةْ)» ، وان قلت قال الرسول قالوا قال:« التحضر » ، وإن قلت قال آباؤنا وأجدادنا قالوا : جبنا لم تكن عندهم الشجاعة للخروج على الموروث ، العري : عندهم مدنية والتنكر للرحم-حتى لو كانت - أبا أو اماً - مشاغل،اذا وجدوا فراغا هرعوا إلى الكازينو الفلاني او الشاطىء الفلاني ، همهم هم جماعاتهم،هذا لا مانع عنده من مجالسة زوجته شبه عارية لصديقه فإن بدا منك اعتراض وصفوا العاريات بكل مكرمة والصقوا بالمستورات كل نقيصة .

● الغضب-وطبعا ليس لله-فالغضب إذا انتهك الحق مطلوب ، وإنما غضب المحاربين لله لأن الناس ليسوا على هواهم أبغض الاشياء اليهم ان تذكر عذاب السعير ، ولربما سبوا سبا منكرا أو قالوا هجرا وزورا ، أحدهم يقول : كلما رأيتني قلت : النار . النار . النار . ومعلوم أن الغضب لغير الحق هو غول يغتال العقل وجمرة توقد في جوف ابن آدم وإذا ضعف العقل واتقدت نار الغضب أخذت الشياطين بخطام ابن آدم فصيرته الى ما تريد فوجدته أحكامه معتلة وبصيرته مختلة ، قد وظف لسانه لغير ما وظف له من حمد وشكر ، في عنفوانه قد يهدم ما بناه ، أويهين من والاه ، او حتى يكفر بمن خلقه ..

● الشهوات - سواء أكانت في النساء ام الطعام هي سلاسل ابليس يجتذب منها الخلق الى جهنم ، ذلك ان الشبع يقوي الشهوات ، ويفتق المعدة لتطلب المباحات حتى تستعبد لها وكذلك شهوات النساء : المشغولون بها فكرهم تافه ، وحديثهم غث ، ووقتهم ضائع وهناءتهم العائلية لا وجود لها ، لأن قلوبهم تتقلب في الإعجاب بالحسان وعيونهم لا تعرف الاستقرار على وضع جمالي حلال هو الزوجة ، لا يذوقون طعم الرضا بما قسم الله وقدر فيعيشون في ضجر دائم ، وتلك عقوبة الله المعجلة للمحادين له .

وفي آفات الطعام وحدها ستة أدواء مذمومة :

أ - تذهب خوف الله من القلب

ب - تذهب الرحمة للناس من القلب لأنه يظن ان الناس كلهم شباع

جـ - تثقل الجسد عن الطاعات وقد قال لقمان : إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة .

د - عدم الشعور بالرقة من سماع الحكمة فكيف يحزن من عاش حياته فرحا وكيف يرق القلب وهو متخم

هـ - عدم وقوع الوعظ اذا صدر منه في قلوب الناس ولذلك حسن ان يعظ الانسان وهو جائع

و ـ تهييج الامراض في الجسم فالمعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء .

● الطمع فيما لدى الناس ، او في تحصيل اكبر قدر من النفع لأنفسهم ، ذلك لأنهم انانيون اذا عمل احدهم عملا ، او شارك في شركة أو جلس إلى مائدة كان كل همه الظفر بنصيب الاسد، عيونهم دائما ممتدة إلى ما في يد الغير من زهرة الحياة الدنيا ، لا ينظرون إلى من دونهم في الرزق وإنما نظرهم الى من فوقهم ، يحجبهم حجاب الطمع عما اوتوا من نعم الولد والعافية والمنصب يريدون الغنى من كل شيء والاستمتاع بكل متاع ونسوا قوله تعالى « **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون** » يونس/ ٥٨ وقول الرسول الكريم : « إذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق ، فلينظر إلى من هو اسفل منه » متفق عليه .

● سوء الظن بالمسلمين ، فماذا تنتظر من محاد لله ولرسوله ولعباده ، يعيش لذاته من ملذات ومتاع، يطير الى اللقمة، ويخنس عند أول بارقة لكلمة حق ، أو وقفة صدق مع نفسه أو مع غيره ، شرير يظن ان الناس جميعا أشرار ، لم يجرب طهر القلب ولا النفس ولا سمو الفكر ومتى رأيت انسانا يسيء الظن بالخلق بغير سبب ويفتش عن عيوبهم فاعلم أنه خبيث الباطن يرشح خبثه على نظراته وأفكاره وكلماته ، إذ المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العثرات وأغرب ما في سوء الظن من هؤلاء، أحكامهم العامة التي لا تعرف التخصيص لانهم لا يتصورون الطاعة الا ستارا خادعا لباطن خرب كما هو حالهم .

وهؤلاء الجاحدون قلوبهم مشحونة بالهوى منكوسة لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا ، مسدودة عن الملائكة مفتوحة على مصراعيها للشياطين ، ألفت العيش مع هواها واستولت عليها الظلمات وران عليها ما اكتسبت من معاص واوحت اليهم شياطينهم من القول زخارف حتى قوي سلطان الشيطان وضعف سلطان الايمان عليهم فأصبحوا صرعي لا ينفع فيهم وعظ .

وأخيرا هذا المقال نصيحة صادقة قصدت بها ان يفيق هؤلاء المشاقون لله قبل ان يفوت الأوان فيقللوا العلائق بالشهوات ويستجيبوا لداعي الفطرة « **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله** » الروم/ ٣٠ ..

تطوير الفقه الإسلامي العام

للأستاذ / محمد بن علي بن جبرة

لا ريب أن الأمة الاسلامية اليوم في حاجة إلى نهضة شاملة في كل المجالات ، تثور على الأوضاع التقليدية وتخلص الفكر الاسلامي من الجمود ، وتؤسس النظام الاسلامي وتقيمه على هدى الشريعة الاسلامية المرنة ، وتسخر من أجل ذلك كل علوم العصر وتقنياته .

ولا يمكن أن تقوم هذه النهضة الاسلامية المعاصرة بعاطفة جياشة نحو الاسلام أو بالاشتغال بالجزئيات والفروع دون النظر الى مقاصد الدين الكلية ، بمعنى أنه لا بد أن تقوم هذه النهضة على منهج تشريعي معاصر مقدر يلبي حاجاتنا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .. علما بأن القضايا التي تجابه الأمة الاسلامية اليوم هي قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية عامة أكثر منها قضايا خاصة فردية ، ، ذلك أننا نريد أن نستدرك ماضيعنا في جوانب الدين ، والذي عطل منه أكثره يتصل بالقضايا الجماعية والواجبات الكفائية .

الواقع الفقهي للأمة الاسلامية

إن الأمة لا تشكو أزمة في فقه العبادات والأحوال الشخصية ، فتلك أمور يتوافر فيها فقه كثير ويحفظها المسلمون ، ولو ضيعوها أحيانا لا يضيعونها اعتقادا ولا يغفلون عنها غفلة كاملة .

أما الأزمة التي تواجهنا ففي القضايا العامة من سياسة واقتصاد واجتماع وعلاقات دولية ، فهي معطلة لدينا ومغفول عنها .

إننا نعيش أزمة في الفقة العام لم يعش مثيلا لها المسلمون الأوائل إذ اعتصموا بأول وثيقة دستورية توحيدية ، فكان عهدا تشريعيا رعى مصالح الأمة العامة رعاية شاملة ..
غير أن الضعف مالبث أن أعترى صفوف المسلمين ، فأصابتهم الفتنة وتلهى الشعب المسلم بالصراعات والجزئيات ، وافتتن الحكام بالسلطان وبريقه ، بينما انصرف الفقهاء عن الاشتغال بالسياسة والقضايا التشريعية العامة بسبب الأظهاد الذي سلط على البعض منهم ـ فأصبح موروثنا في الفقة العام ضئيلا بالنسبة الى الموروث من التراث الفقهي في المجالات الأخرى ، وعجز الفقه العام عن مجاراة التجارب البشرية والتبدلات الجذرية في الحياة الاسلامية عبر التاريخ .

لقد بان للدعاة اليوم أن الفقه الذي بين أيديهم ، مهما تفنن حملته بالاستنتاجات والاستخراجات ومهما دققوا في المراجعات والحواشي والشروح ، لن يكون كافيا لحاجات الدعوة وتطلع المخاطبين بها . ذلك ان قطاعات واسعة من الحياة قد نشأت من جراء التطور المادي والاجتماعي ، وهي تطرح قضايا جديدة في طبيعتها لم يتطرق إليها الفقه التقليدي ، ولأن علاقات الحياة الاجتماعية وأوضاعها تبدلت تماما ، ولم تعد بعض صور الأحكام التي كانت صالحة منذ الف عام تحقق مقتضى الدين اليوم ولا توافي المقاصد التي يتوخاها لأن الامكانات قد تبدلت وأسباب الحياة قد تطورت والنتائج التي تترتب على إمضاء حكم معين بصورته السالفة قد انقلبت انقلابا تاما
ثم إن العلم البشري قد اتسع اتساعا كبيرا ، وكان الفقة القديم مؤسسا على علم محدود بطبائع الأشياء وحقائق الكون وقوانين الاجتماع مما كان متاحا للمسلمين في زمن نشأة الفقه وازدهاره . ومع تزايد المتداول في العلوم العقلية المعاصرة بأقدار عظيمة ، أصبح لزاما علينا أن نقف في فقه الاسلام العام وقفة جديدة لنسخر العلم كله لعبادة الله عز وجل ، ولعقد تركيب جديد يوحد ما بين علوم النقل من قرآن وسنة وبين علوم العقل التي تتجدد كل يوم وتتكامل بالتجربة والنظر . وبذلك العلم الموحد نجدد فقهنا في مجالات الحياة العامة ، وإنها لعملية صعبة تتطلب مجهودا علميا موحدا ، وأناسا واثقين بأنفسهم وبدينهم وحجتهم .

التعميم لم يعد كافيا والتعامل مع العصر بحاجة الى صياغة جديدة

من المآخذ التي يؤاخذ بها الدعاة اليوم تلك التعميمات والاطلاقات التي تؤكد أن الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، وان تقدم الأمة مرهون بمدى

تمسك المسلمين بمنهج دينهم في جميع مجالات الحياة .. وإذا كانت تلك التعميمات قد فعلت شيئا لاعادة ثقة المسلمين في دينهم وانفسهم ، حين تعرض كيانهم لعدة هجمات ضروس ، وحين بلغ منهم اليأس مبلغه ورأى بعضهم أن سبيل الانقاذ في الانسلاخ من تاريخهم وشخصيتهم ومتابعة الغرب « المظفر » في كل شيء .

فإن تلك العبارات العامة المتفائلة لم تعد تقنع العامة في الأمة فضلا عن مثقفيها .. مما يستوجب إعادة صياغة الفكر الاسلامي حتى يتسم بالوضوح والعمق والتطور .. وتلك مهمة تاريخية عظيمة فلم يعد إسلام الوعظ والارشاد ، إسلام المواقف الانفعالية بقادر على التعبئة والنهوض .
ولئن شعر علماء الاسلام ومنذ سنوات بضرورة تطوير الفقه العام وامتلاك البديل الاسلامي إلا أنهم لم يسيروا عمليا في اتجاه إيجاده ، فما يكاد أحاد يعملون أذهانهم ويقدمون للناس رأيا صوابا أو خطأ حتى تنقض عليهم الغالبية العظمى من متعلمين وغير متعلمين بحجارة المروق والضلال (وأحيانا الزندقة والكفر ، ناسين أن فتح باب الاجتهاد يقتضى ضمان حريات المجتهدين وحرماتهم أصابوا أم أخطأوا ويستلزم الحفاظ على الحق في الخطأ غير العمدي ، وما أروع حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي ضمن للمجتهد المخطىء أجرا حين قرر للمصيب أجرين . إن واجب المسلمين في كل عصر ومصر ان يحيلوا المبادىء العامة الى صيغ أكثر تحديدا تعالج المشكلات القائمة معالجة إسلامية واقعية ، وتخاطب الناس بما يفهمون وتبين لهم طريق الخلاص مما يعانون بالذات ، ولا نضيع في تيه التعميمات التي لا تحدد الداء او الدواء ولعلها تقنع بترديد أن الداء يكمن في فصل الدين عن الدولة وأن الدواء هو تحكيم الاسلام في الحياة .. وليس ثمة اختلاف في أن هذا هو الأصل العام بالنسبة للدعاة ، ولكن يبقى بعد ذلك واجب المفكر الذي يختلف عن واجب الواعظ ، وهو ان يبرز المشكلة بمختلف جوانبها ويحدد العلاج ويصوغ القوانين بشكل مفصل دقيق .

ومهمة المفكر بطبيعتها محدودة بحدود زمانه ومكانه فينبغي ألا يخشى الخطأ والقصور ، وينبغي ألا يخشى الحوار والنقاش والاختلاف في الرأى مع غيره ، وليذكر أن اختلاف الأراء ظاهرة صحية إذا توافرت لها الشروط المنهجية والأخلاقية فلا يصدر عن هوى وفتنة بل يكون تمحيصا رشيدا وحوارا بناء مثريا للفكر معينا على تلمس وجه الحق .

وأمام المفكرين المسلمين مجالات واسعة متعددة لتقديم صيغ إسلامية معاصرة نذكر منها :

● حقوق الانسان وحرياته العامة متوازنة مع واجباته والتزاماته إزاء الأفراد آلآخرين والدولة .

● المؤسسات السياسية وطبيعة وضعها ومهامها وحقوقها وواجباتها .
● المساواة الدستورية والقانونية والاقتصادية ، طبيعتها وحدودها ، ضماناتها وفعالياتها في مجال التطبيق وبخاصة للمرأة ولغير المسلم ..
● المؤسسات الاقتصادية في مجالات الانتاج والخدمات والنشاط الرأسمالي والفعاليات الممكنة للقطاع العام والخاص . ونشاط المؤسسات المصرفية ومؤسسات التأمين ..
● العلاقات الدولية ، والأحلاف السياسية ، والتعاون مع غير المسلم ولن يقنع المثقف المسلم اليوم أن يقال أن حقوق الانسان تكفي لبيانها وتفصيلها آية من القرآن الكريم ذكرت كرامة الانسان ، وإن بقيت الآية الأصل الجامع الخالد الذي تنفجر منه صيغ غير متناهية تتوالى بتوالى الأزمان وتباين الحاجات والأفهام لتفصيل ما يحقق كرامة الانسان وما يضمن إنفاذ الحقوق المقررة .

ولن يقنع أحدا أن الآيتين اللتين ذكرتا الشورى في القرآن الكريم غناء عن معالجة طبيعة هذه الشورى وحدودها ومجالاتها والأجهزة القائمة على تحقيقها . ولم يعد مقنعا أن نذكر تحريم الربا بنصوص محدودة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، دون النفاذ الى تطوره التاريخي وصور المعاملات الواقعية .

وخلاصة القول : أن المجتمع المسلم ينبغي أن يكون أكثر المجتمعات وأدقها تنظيما لأن جميع شؤون الحياة في الاسلام تتوجه الى عبادة الله سبحانه وتعالى ، فلا يمكن أن نستشير ملايين الناس تطبيقا لآية الشورى ، إلا إذا نظمت شئونهم في جمعيات ومؤسسات . ولا يمكن أن نحقق الاخاء والتناصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الا بالتنظيم الدقيق .

حاجتنا للاجتهاد وتطوير أصوله

قلنا أن القضايا التي تجابه الأمة ، هي قضايا شرعية عامة أكثر منها قضايا خاصة ، ففي مجال السياسة والاقتصاد العام والاجتماع تواجهنا المشكلات والتحديات والأسئلة المحرجة . ولا يعارض أحد ـ يدرك تمام الادراك أهمية الاجتهاد وضرورته لتسيير النظام الاسلامي في أوضاع

العصر المتطورة وظروفه المتغيرة ـ في وجوب فتح باب الاجتهاد ، ذلك أن حاجتنا للاجتهاد في جوانب الحياة العامة واسعة جدا نظرا لقلة النصوص التي تتعلق بنظام الحياة العامة . ولئن كانت كل آية في القرآن الكريم وكل سنة فرعية تؤثر بصورة أو بأخرى على تلك الحياة ، فإن النصوص المباشرة ليست كثيفة للطبيعة المرنة في وظائف الحياة العامة وما تقتضيه من سعة .

وقد أدى انحسار الطبيعة الدينية للحياة السياسية والاقتصادية في تاريخ المسلمين الى أن تكون الممارسات والتجارب السابقة ضئيلة وكذلك الموروث الفقهي الذي يعالجها ومن هنا تنشأ الحاجة الملحة لتطوير وتجديد اصول الفقه الاسلامي كنظام يضبط نشاطنا الفقهي حتى لا تختلط علينا الأمور وترتبك المذاهب ويكثر سوء التفاهم والاختلاف في مسائل تتصل بالحياة العامة السياسية والاقتصادية والادارية والدولية وغيرها مما يؤثر على وحدة الأمة ونهضتها .

وهذا لا يعني بحال نبذ او اهمال أسس الاجتهاد وقواعده التي دونها الفقهاء قبل ألف سنة لمجرد أن قد تقادم عليها العهد ، بل الذي علينا بشأنها أن نستعرضها بمعقولية وجدية حتى نعرف بماذا تتسم به هذه الاصول والقواعد من مزايا ومقاصد ، وهل من الممكن ان تكون للاجتهاد أصول وقواعد أخرى على ضوء العلم الحديث (إعلامية .. علم الاحصاء والنسب) ، ولنحذر في الاستعانة على الاجتهاد بكل ما كسب الانسان المعاصر من علوم أن نقع في أسر الغزو الثقافي فتتغير معاييرنا من حيث لا نشعر .

نحو أصول واسعة لفقه اجتهادي

نحتاج في نشاطنا الفقهي لأن نركز تركيزا واسعا على جوانب الحياة العامة ، وعلى تطوير القواعد الاصولية التي تناسبها .

وفي هذا المجال يلزم الرجوع الى النصوص بقواعد التفسير الاصولية ، ولكن ذلك لا يشفي إلا قليلا لقلة النصوص ، لذا وجب أن نطور طرائق الفقه الاجتهادي التي يتسع فيها النظر بناء على النص المحدود .

القياس الواسع : إن القياس التقليدي أغلبه لا يستوعب حاجاتنا بما غشيه من التضييق انفعالا بمعايير المنطق الصوري التي وردت على المسلمين مع الغزو الثقافي الاغريقي . فعبارة القياس واسعة جدا تشمل معنى الاعتبار العضوي بالسابقة وتشمل المعنى الفني الذي تعارف عليه الفقهاء من تعدية حكم أصل إلى فرع بجامع العلة ، ولربما يجدينا ايضا أن نتسع في القياس على الجزئيات لنعتبر الطائفة من النصوص ونستنبط من جملتها مقصدا معينا من مقاصد الاسلام أو مصلحة معينة من مصالحه ، ثم نتوخى ذلك المقصد حيثما كان في الظروف والحادثات الجديدة ، وهذا فقه يقربنا جدا من فقه عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنه فقه مصالح عامة واسعة ، يركب مغزى اتجاهات سيرة الشريعة الأولى ويحاول على ضوء ذلك توجيه الحياة الحاضرة .

والقياس الواسع يستلزم شيئا من التجربة من الظروف المحدودة التي جاءت سياقا ظرفيا إنه القياس الاجمالي أو قياس المصالح المرسلة .

الاستصحاب الواسع :

حسب قاعدة الاستصحاب الفقهية « الأصل في الأشياء الحل وفي الأفعال الاباحة وفي الذمم البراءة من التكليف ، وكل ماأخذ لمتاع الحياة الدنيا عفو متروك لا له ولا عليه إلا أن يرد النص فينفي صفة العفاء أو الاباحة عن فعل معين » .

ومن هنا ضاقت دائرة المحرمات في شريعة الأسلام ضيقا شديدا واتسعت دائرة الحلال اتساعا كبيرا ، ذلك أن النصوص الصريحة الصحيحة التي جاءت بالتحريم قليلة جدا ، وما لم يجيء نص بحله أوحرمته فهو باق على أصل الاباحة وفي دائرة العفو الالهي وفي هذا ورد حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم « ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله عافيته ، فإن الله لم يكن لينسى شيئا ، وتلا قوله تعالى : « **وما كان ربك نسيا** » رواه الحاكم وصححه واخرجه البزار .

وإذا جمعنا أصل الاستصحاب مع قياس المصالح المرسلة تتهيأ لنا أصول واسعة للفقه العام .

إن إنجاز البديل الاسلامي وتحقيق المشروع الرسالي مهمة أجيال ولعمري انها لعملية صعبة على إنسان هذا العصر ، لكنه الأمر الذي لا بد منه إن عاجلا أم أجلا ولندرك أيضا أن طريق الألف ميل يبدأ بخطوة ، والله ولي التوفيق .

من ملامح الإعلام الإسلامي

في سرية عبد الله بن جحش

للدكتور /
محمود محمد عمارة

في رجب من السنة الثانية للهجرة بعث صلى الله عليه وسلم عبدالله بن جحش . وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين . ليس فيهم من الانصار أحد . وكتب له كتابا وأمره ألا ينظر فيه الا بعد يومين من مسيره . فاذا نظر فيه فليمض لما أمره به . ولا يستكره من أصحابه أحدا .

فلما سار عبدالله يومين . فتح الكتاب . فنظر فيه . فاذا فيه : (اذا نظرت في كتابي هذا . فامض حتى تنزل نخلة . فترصد بها قريشا . وتعلم لنا من أخبارهم) .

فقال عبدالله بعد قراءة الكتاب : سمعا وطاعة . ثم قال لأصحابه : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا .. وقد نهاني أن استكره أحدا منكم .

فمن كان منكم يريد الشهادة . ويرغب فيها . فلينطلق . ومن كره ذلك فليرجع .. فأما أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فمضى . ومضى معه أصحابه . لم يتخلف عنه منهم أحد .

وهكذا يلقنهم صلى الله عليه وسلم دروسا في : الكتمان .. والتدريب على الاحاطة بأحوال العدو قبل مواجهته . ثم .. كيف لا يفرض القائد الدور على الجندي فرضا .. حتى يختاره بمحض ارادته .. اللهم الا اذا تعين هذا الجندي لأمر .. فلابد حينئذ من التكليف ..
وكانت الأسوة الحسنة خاتمة الدروس المستفادة .. والتي حققت ثمرتها باستجابة الجند لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .. والذي اختار لهم أميرا لا يدير المعركة من غرفة العمليات .. وانما هو معهم .. بل أمامهم على خط النار .. ثم هو قد احترم آراءهم .. ففوض أمر الاشتراك في الخطر اليهم .. فكانوا هم أصحاب القرار الذي جاء موفقا رشيدا .

ومن وراء ذلك كله حكمة الرسول الخبير باتجاهات النفوس .. والمعين لها على اتخاذ أصعب القرارات .. في أحرج اللحظات .. ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم لم يأمر عبد الله بمشاورتهم عند أول خطوة وقريبا من ديارهم وأهليهم وأولادهم في المدينة .. ولو قد فعل لغلبتهم نعومة المضاجع .. وأحاديث الأهل .. فلم تساعدهم أنفسهم على الانطلاق وجاذبية السلامة تشدهم شدا !

لكنه صلى الله عليه وسلم مع ارادة السرية .. قصد الى دمجهم في الدور .. بهذا السفر الطويل مقدار يومين .. والذي يعانون فيه شظف العيش .. ووحشة الطريق .. ليكون ذلك كله تدريبا وتهيئة للنفس التي دخلت منطقة الخطر فعلا .. وناهيك بالخطر باعثا على الفدائية والتضحية .
ويلاحظ أن السرية كانت من المهاجرين . ولم يكن فيها أنصاري واحد .. لماذا ؟
انهم الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق .. فهم أول من يصفي الحساب مع الذين أخرجوهم ظلما وعدوانا ..
ثم هم يخرجون أقوياء .. بلا حماية من الأنصار .. أهل المدينة .. ومعنى ذلك أن المهاجرين لم يعودوا مستضعفين كما كانوا .. بل هم أقوياء .. وها هم أولاء يتحركون في الميدان .. بلا منازع !
فاذا تصورنا قوة الأنصار الرابضين في المدينة مضافة الى هذه القوة أدركنا حكمة الرسول الرامية الى إرهاب الأعداء بهذه السرايا الخاطفة .. حتى لا تكون دماء ولا ضحايا ..
وأدركنا كذلك حنكة القائد الملهم . والذي لا يلقى بكل قواته على أرض المعركة دفعة واحدة .. وإنما يرسلها تترى .. على ما يقول سبحانه وتعالى : **(إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث ..) يس / ١٤** .

الامتحان الصعب

كان من أهداف السرايا قبل غزوة بدر الكبرى ترويض النفوس على معايشة أصعب المواقف ..

وقد حدث شيء من ذلك في سرية عبدالله حين (أضل سعد بن أبي وقاص . وعتبة بن غزوان بعيرا لهما . كانا يعتقبانه . فتخلفا عليه في طلبه) .

وكان المتوقع أن تحدث هذه المفاجأة ربكة في خطة السرية .. ولكن الأمير مضى كما أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فليبحث سعد وعتبة عن بعيرهما الغائب .. ولتمض السرية في خطها المرسوم .

(ومضى عبدالله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة) .

ولا تغيب عنا صورة المعاناة التي فرضت على كل اثنين أن يتناوبا ركوب بعير واحد .. ومعنى ذلك أن يمشي كل واحد يوما كاملا في هجير الصحراء ..

وأنت خبير برحلة العودة وما تفرضه من إرهاق .. إلى جانب الجهد المبذول في إنجاز المهمة الأساسية . والتي من أجلها كانت السرية .

وجاءت ساعة الصفر حين مرت بالسرية عير لقريش تحمل زبيبا وأدما . وتجارة من تجارة قريش . فيها عمرو بن الحضرمي .

إذن فقد حانت الفرصة لتصفية الحسابات القديمة مع قريش ! .

قريش التي صادرت ممتلكات المهاجرين .. بل حاصرت في مكة أولادهم وحالت بينهم وبين رؤياهم .. وبكل المقاييس .. فمن حق هؤلاء المهاجرين أن يستردوا أموالهم .. وقبل ذلك أن يؤدبوهم في لحظة ما كانت تخطر لقريش على بال !

وثارت غرائز التملك .. والثأر .. راغبة في التعبير عن نفسها في فرصة قد تذهب ولا تعود !

عنق الزجاجة

لم يملك أمير الجماعة أن يفرض على زملائه رأيه .. وانما كان أمرهم شورى بينهم .. لم يرد أن يكون زملاؤه أصفارا على الشمال .. ولقد كان له مبرر لو فعل : فهو المفوض من قبل الرسول أن يكون أميرا على الجماعة .. لكن الامارة لا تمنحه سيطرة تكبت الآراء .. وتنسف في قلوب الشباب إرادة الاستقلال .. وعنصر الرجولة الفعال ..

بدأت الشورى :
قال القوم فيما بينهم : (والله لئن تركتم القوم ـ أي تجار قريش ـ هذه الليلة . ليدخلُن الحرم . فليمتنعُن منكم به . ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام وكان ذلك آخر يوم في رجب . وكان الاختيار صعبا .. ومع ذلك لم يطل تردد عبدالله بن جحش ومن معه فقرروا قتل من قدروا عليه منهم . وأخذ ما معهم . فرمى « واقد ابن عبدالله » « عمرو بن الحضرمي » بسهم فقتله .. وأقبل عبدالله ومن معه بالعير .. وأسيرين . حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة) .

مضاعفات التسرع

غضب الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . ان وظيفة السرية محددة : رصد تحركات قريش . والوقوف على أخبارهم .. فلحساب من تصعيد الموقف .. حتى كنتم كما يقولون : ملكيين أكثر من الملك ؟! وغضب اخوانهم من الصحابة أيضا فعنفوهم فيما صنعوا .

لحظة الندم

وأسقط في أيدي السرية وظنوا أنهم قد هلكوا .. وأفاقوا على الحقيقة الواضحة : وهي أنهم تجاوزوا الحد .. ولم يشفع لهم أنهم مخلصون

فدائيون .. فلكي يبقى الاخلاص لابد من تتويجه بالالتزام بطاعته صلى الله عليه وسلم . والأخذ في الاعتبار مصلحة الدعوة التي قد تضرها الرصاصة الطائشة .. تطلقها يد راعشة منفعلة ..

الاعلام المعادي يشن حملته

انتهزت قريش فرصة تورط المسلمين في القتال خلال الشهر الحرام .. وشنوا حملة اعلامية يراد بها ابراز المسلمين في صورة المعتدي الذي لا يحترم المواثيق وقالوا : (قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام . وسفكوا فيه الدم . وأخذوا فيه الأموال . وأسروا فيه الرجال) .

ووقفت قريش تبكي على الأطلال .. على حرمة الشهور التي انتهكت .. وجعلوا من عمرو بن الحضرمي حائط المبكى !

وكان لليهود اعلامهم الموجه والمصبوغ بالشماتة . والخبث . فقالوا فرحين معرضين بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه : « عمرو بن الحضرمي » قتله « واقد بن عبدالله » ويعني ذلك : عمرو .. عمرت الحرب . والحضرمي .. حضرت الحرب . وواقد بن عبدالله .. وقدت الحرب !

القرآن يحسم المعركة

شاءت حكمة الله تعالى ألا يضع هذا الشباب المؤمن تحت رحمة المعتدين الذين يقتلون القتيل .. ثم يتباكون في جنازته !

وصحيح أن الشباب أخطأ .. ولكنه خطأ الممارسة لا خطأ القصد .. فاذا جاء المغرضون اليوم ليجعلوا من الحبة قبة .. فقد آن أوان نصر الله والفتح .. بما أنزل من القرآن شفى به صدور المؤمنين بقدر ما كشف به نوايا المغرضين .. نزل قوله تعالى :

(يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن

دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون . إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) البقرة/٢١٧و٢١٨ .

(وقد صرح هذا الوحي بأن الضجة التي افتعلها المشركون لاثارة الريبة في سيرة المسلمين لا مساغ لها . فان الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الاسلام . واضطهاد أهله . ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين تقرر سلب أموالهم وقتل نبيهم ؟ فما الذي أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة . فأصبح انتهاكها معرة وشناعة ؟ لا جرم أن الدعاية التي أخذ ينشرها المشركون دعاية تبتني على وقاحة ودعارة) .

من خصائص الاعلام الاسلامي

يعترف الاعلام الاسلامي بالواقع الماثل . ثم ينطلق بالحقيقة يدمغ بها الباطل .. مع ملاحظة الأساس الأخلاقي لهذا الانطلاق .. وضرورة الحذر وأخذ الاحتياط ..

وهذا ما أشارت اليه الآيات الكريمة : اعترفت الآيات أولا بأن الشباب اخطأوا حين قتلوا في الشهر الحرام ..

لكنها تحاكم المشركين بخاصة وبنفس المقياس .. وكأنما تقول لهم : سلمنا بأن المسلمين ارتكبوا كبيرة .. فأنتم اذن أكبر اثما وأعظم خطيئة : صددتم عن سبيل الله تعالى .. وكفرتم به سبحانه .. وبالمسجد الحرام .. وأخرجتم أهله من ديارهم وأموالهم .. وطالما حاولتم فتنة المسلمين عن دينهم . حتى تردوهم إلى الكفر بعد الايمان .. بل مازلتم مصرين على فتنتهم .حتى يصير كفرهم حقيقة واقعة :

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)

وعندئذ أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سراح الأسيرين المشركين : عثمان بن عبدالله . والحكم بن كيسان . وأدى دية المقتول الى أوليائه . واضعا الأخلاق الطيبة أساسا للتعامل حتى مع أعدائه الذين لم ير المسلمون منهم يوما يبكون عليه .

ومع هذا الاساس الأخلاقي فقد كانت للكياسة كلمتها وقتئذ : فلم يشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطلق سراح الأسيرين المشركين الا بعد عودة « سعد بن أبي وقاص » و « عتبة بن غزوان » وكان بعيرهما قد ضل وذهبا في طلبه ولم يعودا حتى لحظة المفاوضات على فداء الأسيرين المشركين .. وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم كما روى ابن اسحاق : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا . فانا نخشاكم عليهما . فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم . فقدم سعد وعتبة . فأفداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم) وهذه الحكمة في

تناول الأمور توفر على الأمة كثيرا من الحمـلات الاعلاميـة التي تستنفد الجهـد والوقت . لتصـرفها فيمـا يجدي .

السرية تحقق أهدافها

حققت سرية عبدالله بن جحش أهدافها .. وانحسر الاعلام المعادي كالرغوة العائمة التي ذهبت جفاء .. (وأما ما ينفـع الناس فيمكث في الأرض) .

١ ـ عاد أفراد السرية كما كانوا أبرياء صلحاء .. استعدادا للجولة الحاسمة في بدر الكبرى .

يقول ابن اسحاق :
(فلما تجلى عن عبدالله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حـين نزل القرآن . طمعوا في الأجر فقالوا : يا رسول الله: أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين ؟ فأنزل الله عزوجل فيهم : (**إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم**) . فوضعهم الله عزوجل من ذلك على أعظم الرجاء .

ومعنى ذلك : فشل الاعلام المعادي في إضعاف روح القتال في ضمير الجيش الذي لم يستسلم . ولم يمكن الأعداء من هزيمته نفسيا .

٢ ـ كان الحكم بن كيسان أحد الأسيرين المشركين .. وفي مدة الأسر أتيح له أن يرى المسلمين عن كثب .. وأن يلمس بنفسه شمائل النبي صلى الله عليه وسلم . فأدركته من جلال النبوة بركة .. فأسلم وفضل الاقامة بالمدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل شهيدا يوم « بئر معونة » وكسب الاعلام رجلا خيرا من حمر النعم .

وهكذا . تأكد لقريش : أن المسلمين صاروا أقوياء قادرين عـلى قتلهم وحصارهم .. فكان أن نصر الله تعالى اولياءه بالرعب .

٣ ـ يقول ابن القيم تعقيبا عـلى السرية :

(والمقصود أن الله سبحانه حكم بين أوليائه واعدائه بالعدل والانصاف . ولم يبرىء أولياءه من ارتكاب الاثم بالقتال في الشهر الحرام . بل أخبر أنه كبير . وأن ما عليه أعداؤه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام . فهم أحق بالـذم والعيب والعقوبة .
لا سيما وأولياؤه كانوا متأولين في قتـالهم ذلك . أو مقصـرين نـوع تقصير . يغفر الله لهم في جنب ما فعلوه من التوحيـد والطـاعـات . والهجرة مع رسوله وايثار ما عند الله) .

الآداب الغربية

وحديث الإسراء والمعراج

للاستاذ / منذر شعار

ليس هذا الكلام وهما ، أو غرورا ، ولكنه الحقيقة التي اثبتها مؤرخو الآداب في أوروبة انفسهم ، فقد قال « ماكييل » وهو يحاضر الغربيين عن الشعر الاوروبي :

« إن اوروبة مدينة لبلاد العربية بنزعتها المجازية الحماسية » والمجاز روح الأدب ، وهو طريقة العرب في مخاطباتهم وكلامهم ، وبذلك نزل القرآن .

ويعني ماكييل بالحماسية (العاطفة) ، ولا أدب بدون عاطفة ، وكان أهل الغرب قبل اتصالهم بالعرب يتكلمون بلا مجاز وبلا عاطفة ، أي : بلا أدب ، فتعلموا ذلك من العرب ، فنشأت عندهم الرومانسية ، أو الروماتيكية ، او الابداعية ، فبرزوا في ساحات الآداب من يومئذ .

ورأي بعض علمائهم ـ ولا سيما الدكتورة زيغريد هونكة ـ انه لا يمكن

أن يكون أدب بلا (امرأة) ، يتوجه إليها الأديب بحبه واشواقه ، فيرتفع ويحلق ، إذ الادب صورة الحياة ، والحياة جامدة مبتورة إن اختل فيها عنصر المرأة ، وكان الغربيون قساة منكرين لحق المرأة لا يرونها شيئا ويحتقرونها ولا يتوجهون اليها إلا بكل استصغار ، فلما اتصلوا بالعرب تعلموا منهم ـ فيما تعلموا ـ إكبار المرأة ، والتوجه إليها بالشوق ، فكان عندهم أدب .

وكانت أكبر الوسائل لذلك شعراء (التروبادور) في اسبانية وجنوب فرنسا وهم ، حتى باشتقاق اسمهم ، عرب في الاتباع كليا ، إذ التروبادور مشتقة من الطرب .

ولكن أعظم شيء في هذا التأثير وجعل الاوربيين يترسخون في الادب هو « الكوميديا الالهية » لدانتي ، وهي المسرحية التي طارت شهرتها في الغرب والشرق والفها « إليجيري دانتي » في ايطاليا في القرن الرابع عشر الميلادي تقريبا ، وسماها الكوميديا الالهية لان فيها وصف الجنة والنار يوم القيامة ، فإن دانتي يتخيل انه رحل إلى العالم الآخر ، ومعه دليل ، فزار الجنة وزار النار ورأى من شئونهما ، ووصف ذلك . ثم عاد إلى حياته الدنيوية .

وقد استعمل دانتي في هذه المسرحية التي سماها/ الكوميديا الالهية/ لغة **المجاز** ، وكان فيها ، كما يرى ، كل **الخيال** ، واقترب فيها اقترابا قويا من **الرمز** ، وتغطى كل تعبير فيها وكل مشهد بلحاف خلاب من **العاطفة** ، وكل ذلك اساس في الادب .

وكان ذلك جديدا على (العمل الادبي) الغربي ، فأقر جهابذ الغربيين يومئذ ان الكوميديا الالهية لدانتي هي اصل الآداب الاوروبية ، فقد تعلم الغربيون منها طريقة التعبير الادبية ، وفشا فيهم عامة وفي أدبائهم خاصة نازع المجاز والخيال والرمز والحماسة أو العاطفة ، وظلوا على ذلك زمنا ، حتى نجم فيهم ، من انفسهم ، من يقول إن دانتي حين ألف الكوميديا الالهية إنما تأثر أبا العلاء المعري الذي ألف قبله بقرون رسالة الغفران وفيها يتخايل صديقه ابن القارح بعث بعد الممات وحضر القيامة ودخل الجنة واطلع على النار ورأى من فيهما من الادباء والشعراء .

ثم حدثت الضجة الكبرى ، ورميت القنبلة ، عام ١٩١٩ حيث ألقى المستشرق الاسباني أسين بلاثيوس كلمته العلمية في جلسة الاكاديمية الملكية الاسبانية فأعلن فيها ان دانتي إنما تأثر قصة الاسراء والمعراج الاسلامية وهو يؤلف كوميدياه ، وبث تعاليم الاسلام بتفاصيلها في ثنايا حديثه عن الجنة والنار ، وقد حدث رد فعل كبير في اوروبة عامة وفي ايطاليا خاصة على هذا الاعلان الشديد ، وفجع الايطاليون وأهل الغرب عامة برائد أدبهم وبأدبهم ، أن كان ذلك كله من أثر (تقليدهم) للعرب والمسلمين . فألفوا ردودا في دحض كلام بلاثيوس ، ولكنه رد عليهم هو ايضا ردا قويا ... واصدر نشرات في ذلك في الاربعينات من هذا القرن ، ولكن بلاثيوس والغربيين كلهم .. كان

يتردد في نفوسهم سؤال .. ، ان التشابه بين مسرحية دانتي وبين حديث الاسراء والمعراج كبير جدا ، حتى ليتبين لكل ذي عينين وعقل ان دانتي نقل نقلا عن المسلمين وتأثرهم جدا ،

ولكن الغربيين مولعون بالماديات في أدلتهم ، وبالتجريد ، وبالالحاح ، فكانوا بعد إعلان بلاثيوس يريدون دليلا يبين لهم : هل كانت قصة الاسراء والمعراج الاسلامية منتشرة في أوروبة قبل دانتي وفي أيامه ؟ وهل كانت مترجمة حتى نطمئن كل الاطمئنان إلى أنه أخذ منها ، فيجتمع البرهان عليه من جانبيه : التشابه في النص مدهش ، والقصة الأولى الاسلامية كانت بين يدي دانتي وهو يؤلف كوميدياه .

والحقيقة ان بلاثيوس نفسه ، مات ولم يتوصل إلى هذا الدليل ، حتى نجم عالمان غربيان ، بعد موت بلاثيوس ، فأثبتا ـ في عام ١٩٤٩م ـ وكان قد مضى على وفاة بلاثيوس خمس سنوات ـ ان قصة الاسراء والمعراج الاسلامية كانت منتشرة بلغات اوروبية أيام دانتي نفسه .

وهذان العالمان كانا يعملان منفصلين للغرض نفسه ، أما أحدهما فهو ايطالي : واسمه : « انريكو اتشرولي » ، نشر في اواخر الاربعينات من هذا القرن الترجمتين : اللاتينية والفرنسية لكتاب عربي في (المعراج) كان (إبراهام الحكيم) ـ وهو عالم عندهم ـ قد ترجمه من العربية الى الاسبانية القشتالية ، بأمر من ملك قشتالة وليون (الفونسو العاشر) الذي كان يقال له (الفونسو الحكيم) لعنايته بالآداب والعلوم ، وإثابته عليها .

وإذن فإن ابراهام الحكيم هو أول من ترجم حديث المعراج الاسلامي إلى القشتالية الاسبانية ، ثم جاء بعده (بونافنتورا داسيينا) فترجم القصة إلى اللاتينية والفرنسية في القرن الثالث عشر .

وحين نشر العالم انريكو اتشرولي هاتين الترجمتين اضاف ملحقا بين فيه الشواهد الدالة على معرفة « كتاب المعراج » في المجتمعات الاوروبية حتى القرن الخامس عشر .

وأما الثاني فهو خ : مينوز ساندينو ، ونشر في الوقت نفسه الترجمات الثلاث لقصة الاسراء والمعراج الاسلامية باللغات الثلاث : الاسبانية والفرنسية واللاتينية ، مع شروح وتعليقات .

والخلاصة ان هذه الترجمات وجدت في اوروبة قبل ميلاد دانتي بسنة .

وقد تساءل اتشرولي نفسه : هل عرف دانتي قصة الاسراء والمعراج الاسلامية ؟ وللاجابة على هذا السؤال لاحظ ما يلي :

١ ـ الكاتب الغربي : « فازيو ديلي اوبرتي » وكان يعيش بعد دانتي بعشرات السنين كان يعرف (كتاب المعراج) واقتبس منه .

٢ ـ احدى وقائع المعراج النبوي الشريف في الجنة ظهرت في قصة انتشرت في (بيزا) بايطاليا في القرن الرابع عشر .

٣ ـ كتاب المعراج انتشر في ايطاليا لمدة طويلة ، حتى إن الباحثين وجدوا ان علما كروبرتو كرتشيولـو في القرن الخامس عشر يشير إليه بصراحة ويقتبس منه .

٤ ـ وإن المخطوطات التي استند اليها اتشرولي في نشرته : نسخت إحداها في بريطانيا والثانية في أفنيون والثالثة في نورماندي وهذا يدل على سعة انتشار الكتاب خارج اسبانيا ، بعد ترجمته بسنوات قليلة ، فمن غـير المعقول الا يكون منتشرا جدا في ايطاليا وهي أول بلد أوربي نهض ، والا يكون دانتي الاديب الكبير قد اطلع عليه .

ولكن ما أوجه التشابه بين قصة الاسراء والمعراج الاسلامية وبـين الكوميديـا الالهية لـدانتي ؟ لقد لاحظ الكتاب والأدباء ما يلي :

١ ـ كان الغربيون قبل دانتي قد ألفوا قصصا في الرحلة الى الجنة والنار ، وكان فيها (دليل) يدل بطل القصة على الطريق ، ويفسر له المناظـر ، ويفعل ذلك فقط، لكن الدليل في حديث الاسراء والمعراج هو سيدنا جبريل عليه السلام ، وكان دوره مختلفا عن ذلك ، اذ كان جبريل عليه السلام ـ في الحديث ـ يحاور النبي صلى الله عليه وسلم ويفسر له كثيرا من القضايا في الرحلة وفي التوحيد والكون كله ، وفي جـزئيات من الـدين تتصل بيـوم الحسـاب والـعـالم الآخـر ، وفي الصراط ، وفي قدر الجنة مساحة وحجما ، وفي مقادير ما بين السموات وما بينها وبين الارض ، ويتكلم في أمور كثيرة ..

وكل هذا لم يكن موجودا في كتب الغربيين الموسومة باسم (الرحلة الى العالم الآخر) وهو موجود كله في (الكـوميديـا الالهيـة) لـدانتي ، بحذافيره ، مما يدل عـلى اقتباس دانتي من الاسلام واخذه التفاصيل اخذا متتبعا .

٢ ـ والتشابه الثاني بين الكوميديا الالهية وبين حديث الاسراء والمعراج الاسـلامـي ، عنـايـة كليـهمـا (بالجغرافيا الفلكية) ، وهو امر لم يكن معتنى به ألبتة في الكتب المشابهة قبل دانتي .

٣ ـ والغريب في الكوميديا الالهية ... ان فيها كلمات وتعبيرات غيرمفهومة . وكأنها حكاية لغة اخرى غريبة على الاوربيين الذين اطلعوا على الاسراء والمعـراج المحمـدي عن طـريـق القشتالية والفرنسية ثم الايطالية ، وكـانت تلك التعبيـرات والكلمـات الغريبة تمر صفحا ثم درسها العلماء فـراعهم انها مـأخوذة عن اللغـة العربية .

وكان دانتي إذاً يردد احيانا ما يـأخذه من النص العـربي أخـذا حرفيا لامباشرة،ولكن عن طريق ما قـرأه بـالـلاتينيـة والاسبـانيـة والفرنسية ، محافظا عليه هناك ايضا باللفظ .

٤ ـ وكان في كتاب المعراج الاسلامي الذي ترجم إلى اللغات الغربية ذكر لديك كبير يسبح الرب تبارك وتعالى هذا الديك صار (نسرا) في الكوميديا الالهيـة ، ودوره هـو دور الـديـك المعراجي نفسه ، يسبح الله تعالى

وينادي بتسبيحه ، وهو إذن يختلف عن النسر الوارد ذكره في بعض أناجيل النصارى وأسفار اليهود ، إن دانتي جعله نسرا بالاسم لكن دوره هو دور ديك المعراج ، حرفا بحرف ، ويدل ذلك على تأثره الكامل بالحديث الشريف .

٥ ـ وطريقة العروج في الحديث الشريف هي طريقة العروج عند دانتي نفسها ، وقد يعترض ناس فيقولون انه ورد في (سفر التكوين) ذكر (سلم يعقوب) ، ولكن المتعمق في الكوميديا الالهية يلمس بوضوح ان دانتي انما استلهم في عمله (كتاب المعراج) لا (سفر التكوين) ، لأن الجزئيات واحدة . والروح هي هي والامر واحد قطعا .

٦ ـ وكذا الصراط ، في المفهوم الاسلامي وصراط الكوميديا الالهية ، إنه نفسه ، وإن دانتي ينقل بالحرف ، شيئا لم يكن قومه يعرفونه ، إنه قرأ الحديث الشريف واقتبس منه حتما .

٧ ـ وثمة تشابهات كثيرة في التفاصيل ، لا حصر لها يؤكد ان دانتي عرف حديث الاسراء والمعراج وتأثره حين ألف .

ولكن يجب ان يعلم ان (كتاب المعراج) الذي امر الفونسو العاشر بترجمته الى القشتالية الاسبانية لم يكن الا الحديث الشريف عن قصة الاسراء والمعراج بشرح محيي الدين ابن عربي ، اي : كتاب المعراج الذي عرفه الغربيون كان جزءا أو حيزا من كتاب (الفتوحات المكية) لابن عربي ، وكذا عرف الغربيون ، منذ وقت مبكر من نهضتهم (مناظرة الفيلسوف الكندي) ، (وحوار عبدالله بن سلام رضي الله عنه) ، ونشر ذلك في اسبانيا في مجموعة سميت بمجموعة طليطلة .

وفي هذا كله ذكر لتفصيلات حول الاسراء والمعراج الاسلامي أو قل فيه ذكر للتصورات الاسلامية للعالم الاخر ، وقد وجد ذلك بالحرف ، وبكل الدقة ، في الكوميديا الالهية لدانتي .

وإذا ـ كما يقول الدكتور عبدالرحمن بدوي ـ أصبح من الثابت الآن ان دانتي ، شاعر اوربا الاكبر ، قد تأثر الى مدى بعيد عميق ، وهو يؤلف الكوميديا الالهية ، بالاسلام وبالتصورات الاسلامية للآخرة .

والغربيون يرون ان تلك الكوميديا الالهية هي سبب الاداب الاوروبية أجمع ، أو هي المنار المشع في ظلمات أولياتها البدائية ... وإذا فالعرب والمسلمون ... هم سبب آداب الغربيين ، وإذن يحق لنا ان ننشد هذا القول الجميل الصادق :

إذا نظرت عيناك مجدا مؤثلا
بأية أرض فهو مقتبس منا
وما مات فينا ارثنا من « محمد »
ولا نسيت آذاننا ذلك اللحنا

ولسنا نبالي الصاعقات من الردى
إذا نحن صدقنا الرسول وآمنا

في ذكرى الإسراء والمعراج

للأستاذ / محمود شاور ربيع

عجبا له ركب « البراق » وطارا يطوى القفار ويقطع الأقطارا
كالبرق يمضي في ضياء خالص والنور يجمع حوله الأنوارا
« بالمسجد الأقصى » يؤم صحابه رسلا ، كراما ، سادة ، أبرارا
ويظل « يعرج » في السماء محييا سكانها ويسابق الأقمارا
والكل يزجى « للحبيب » تحية والكل يلمس للحبيب إزارا
ويظل يعلو « والأمين » بركبه حتى دنا متفردا مختارا
ومضى يحيى والكريم 'يحوطه بعطائه ، ويزيده إكبارا
وعليه قد فرض « الصلاة » تقربا وحباه فضلا دائبا مدرارا
قد عاد يسأل ربه في رحمة يأتي ويمضي بالرجاء مرارا
حتى غدت « خمسا » وزيد ثوابها فأتى بها للعالمين منارا
وسعى يقص على الجموع حديثه ويردد الأنباء والأخبارا
فارتد عن دين الإله عصابة وسعت هناك تساند الكفارا
وأتى « ابو بكر » يصدق « أحمدا » ويرد عنه الكيد والإنكارا
إني أصدقه على وحي السما صدق الأمين لقد رأى الأسرارا
الله قربه ، وأعلى شأنه فدعاه للعرش الكريم فسارا
ورأى هنالك مارأى بمحبة والله جلى دونه الأستارا
مازاغ من بصر هناك وماطغى شهد الرياض وعاين الأنهارا
ورأى النعيم لمن تحنف واهتدى ورأى العذاب لكافر والنارا
صلي عليك الله يانورا سرى وكسيت ياخير العباد فخارا
لا تعجبوا للنور يسري هاديا يطوي القفار ويقطع الأقطارا
كالبرق يمضي في ضياء خالص فالنور يجمع حوله الأنوارا

الإسراء والمعراج

يقصد بالإسراء الرحلة العجيبة التى بدأت من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس . ويقصد بالمعراج ، ما أعقب هـذه الرحلة من ارتفاع فى طباق السموات حتى الوصول إلى مستوى تنقطع عنده علوم الخلائق ولا يعرف كنهه أحد ، ثم الأوبة — بعد ذلك — إلى المسجد الحرام بمكة . وقد أشار القرآن الكريم إلى كلتا الرحلتين فى سورتين مختلفتين . ذكر قصة الإسراء وحكمته بقوله :

« سبحانَ الذى أسرى بِعَبْدِهِ ليلاً من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى الذى باركْنا حولَه لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إنه هو السميعُ البصيرُ » .

وذكر قصة المعراج وثمرته بقوله :

« ولقد رآه — يعنى جبريل — نَزْلةً أخرى * عندَ سدرةِ المُنْتهىَ * عِنْدَها جنةُ المأوى * إذْ يَغْشَى السِّدرَةَ ما يَغْشَى * ما زَاغَ البَصَرُ وما طَغَى * لقد رأى من آياتِ ربِّه الكُبْرى » .

فتعليل الإسراء — كما نصّت الآية — أن الله يريد أن يُرِيَ عبده بعض آياته . ثم أوضحت آيات المعراج ، أن الرسول عليه الصلاة والسلام شهد — بالفعل — بعض هذه الآيات الكبرى .

وقد اختلف العلماء — من قديم — : أكان هذا السُّرى الخارق بالروح وحده .

أم بالروح والجسد جميعاً ؟ والجمهور على القول الأخير.

وللدكتور هيكل رَأيٌ غريب . فقد اعتبره استجماعاً ذهنيا ونفسياً لوحدة الوجود من الأزل إلى الأبد ، فى فترة من فترات التألّق النفسانى الفذّ ، الذى اختُصَّ به بشر نقىٌّ جليل مثل محمد صلى الله عليه وسلم . وفى إبان هذا التألّقِ الذى استعلى به على كل شىء — استعرض حقائق الدين والدنيا ، وشاهد صور الثواب والعقاب . . . الخ .

فالإسراء حق . . وهو ـ عنده ـ روحىّ لا مادّىٌّ . ولـكنه فى اليقظة لا فى المنام . فليس رؤيا صادقة كما يرى البعض . بل هو حقيقة واقعة على النحو الذى صوّره ، ثم قال فيه بعدئذ : « وليس يستطيع هذا السموّ إلا قوة فوق ما تعرف الطبائع الإنسانية » .

والحق، أن الحدود بين القوى الروحية والقوى المادية، أخذت تضمحلّ وتزول ، وأن مايراه الناس ميسوراً فى عالم الروح ليس بمستوعر فى عالم المادة .

وأحسب أنه بعد ما مزّق العـلم من أستار عن أسرار الوجود ، فإن أمر المـادة أضحى كأمر الروح ، لا يعرف مداه إلا قيُّوم السموات والأرض .

وإن الإنسان ليقف مشدوهاً ، عند ما يعلم أن الذرة تمثل فى داخلها نظام المجموعة الشمسية الدوّارة فى الفلك . وأنها — وهى هباءة تافهة — تـكمن فيها حرارة هائلة، عند ما أطلقت ، أحرقت الأخضر واليابس . .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم أُسْرِى به وعُرِجَ . كيف ؟ هل ركب آلة تسير بأقصى من سرعة الصوت كما اخترع الناس أخيراً ؟

لقد امتطى البراق — وهو كائن يضع خَطْوَهُ عند أقصى طرفه ، كأنه يمشى

بسرعة الضوء . وكلمة « براق » تشير اشتقاقها إلى البرق ، أى أن قوة الكهرباء سخرت فى هذه الرحلة .

لكن الجسم ـ فى حالته المعتادة ـ يتعذر عليه التنقل فى الآفاق بسرعة البرق الخاطف ، لابد من إعداد خاص ، يحصن أجهزته ومسامه لهذا السفر البعيد .

وأحسب أن ماروى عن شق الصدر ، وغسل القلب وحشوه ، إنما هو رمز هذا الإعداد المحتوم ... وقصة الإسراء والمعراج مشحونة بهذه الرموز ، ذات الدلالة التى تدق على السذج :

إن الإسراء والمعراج ، وقعا للرسول عليه الصلاة والسلام بشخصه . فى طور بلغ الروح فيه قمة الإشراق وخفت فيه كثافة الجسد حتى تفصّى من أغلب القوانين التى تحكمه .

واستكناه حقيقة هذه الرحلة ، وتتبع مراحلها بالوصف الدقيق ، مرتبط بإدراك العقل الإنسانى لحقيقة المادة والروح ، وما أودع الله فيهما من قُوى وخصائص !

ولذلك سنتجاوز هذا البحث إلى ماهو أيسر وأجدى ، أى إلى تسجيل المعالم المتصلة بالإسلام باعتباره رسالة عامة وتشاريع محدَّدَة .

وقصة الإسراء والمعراج ، تهمنا من هذه الناحية .

ألم ترأن « علم النفس » لم يستبحر وينطلق إلا يوم تحرَّر من البحث فى الروح والخبط فى مدلولها ؟ ؟ .

* * *

لماذا كانت الرحلة إلى بيت المقدس ، ولم تبدأ من المسجد الحرام إلى سدرة المنتهى مباشرة ؟

إن هذا يرجع بنا إلى تاريخ قديم . فقد ظلت النبوات دهورا طوالا وهى وقف على بنى إسرائيل . وظل بيت المقدس مهبط الوحى ، ومشرق أنواره على الأرض ، وقصبة الوطن المحبّب إلى شعب الله المختار .

فلما أهدر اليهود كرامة الوحى وأسقطوا أحكام السماء ، حلّت بهم لعنة الله ، وتقرر تحويل النبوة عنهم إلى الأبد ! ومن ثمّ كان مجيء الرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم انتقالا بالقيادة الروحية فى العالم ، من أمة إلى أمة ، ومن بلد إلى بلد ، ومن ذرية إسرائيل ، إلى ذرية إسماعيل .

وقد كان غضب اليهود مشتعلا لهذا التحول ، مما دعاهم إلى المسارعة بإنكاره « بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أنفُسَهم أن يكفُرُوا بما أنزَلَ اللهُ بغياً أن ينزِّلَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مَنْ عباده . فباءوا بغَضَبٍ على غضبٍ » .

لكن إرادة الله مضت . وحملت الأمة الجديدة رسالتها . وورث النبيُّ العربيّ تعاليم إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب . وقام يكافح لنشرها وجمع الناس عليها . فكان من وصل الحاضر بالماضى ، وإدماج الكل فى حقيقة واحدة ، أن يعتبر المسجد الأقصى ثالث الحرمين فى الإسلام ، وأن ينتقل إليه الرسول فى إسرائه . فيكون هذا الانتقال احتراما للإيمان الذى درج ـ قديما ـ فى رحابه . . .

ثم يجمع الله المرسلين السابقين من حملة الهداية فى هذه الأرض وماحولها ليستقبلوا صاحب الرسالة الخاتمة . إن النبوات يصدق بعضها بعضا ، ويمهد السابق منها اللاّحق ، وقد أخذ الله الميثاق على أنبياء بنى إسرائيل بذلك .

« وإذْ أَخَذَ اللهُ ميثاقَ النبيِّين لمَا آتَيْتُكم من كتابٍ وحكمةٍ ثم جاءكم رسولٌ مُصدِّقٌ لما معَكُمْ لتؤمِنُنَّ به ولتَنْصُرُنَّه قال: أأقْرَرْتُم وأخذتم على ذلكم إصْرِي؟ قالوا: أقْرَرْنا. قال: فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ».

وفى السنة الصحيحة أن الرسول صلىّ بإخوانه الأنبياء ركعتين فى المسجد الأقصى. فكانت هذه الإمامة إقراراً مبينا بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه، أخذت تمامها على يد محمد بعد أن وطّأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين.

والكشف عن منزلة محمد صلى الله عليه وسلم ودينه، ليس مَدْحاً يُساق فى حفل تكريم. بل هو بيان حقيقة مقررة فى عالم الهداية، منذ تولّت السماء إرشاد الأرض، ولكنه جاء فى إبانه المناسب.

فإن جهاد الدعوة الذى حمله محمد صلى الله عليه وسلم على كواهله، عرّضه لعواصف عاتية من البغضاء والافتراء. ومزق شمل أتباعه، فماذاقوا ــ مذ آمنوا به ــ راحة الركون إلى الأهل والمال وكان آخر العهد بمشاق الدعوة، طرد « ثقيف » له، ثم دخوله البلد الحرام فى جوار مشرك. إن هوانه على الناس ــ منذ دعاهم إلى الله ــ جعله يجأر إلى رب الناس، شاكيا راجيا . . .

فمن تطمين الله له، ومن نعمائه عليه أن يهيىء له هذه الرحلة السماوية لتمسّ فؤاده المعنّى ببرد الراحة. وليشعر أنه بعين الله، مذقام يوحده ويعبده، ويعلّم البشر توحيده وعبادته . . .

كان يقول: « إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى »[١] فالليلةَ علم أن حظه من رضوان الله جزيل، وأن مكانته بين المصطفَيْنَ الأخيار، موطدة مقدّمة.

---

(١) تقدم فى خبر الطائف أنه حديث ضعيف.

إن الإسراء والمعراج يقعان قريبا من منتصف فترة الرسالة التي مكثت ثلاثة وعشرين عاما ، وبذلك كانا علاجاً مَسَحَ متاعب الماضي ، ووضع بذور النجاح للمستقبل .

إن رؤية طرَف من آيات الله الكبرى في ملكوت السموات والأرض لهأثره الحاسم في توهين كيد الكافرين ، وتصغير جموعهم ، ومعرفة عقباهم .

وقد عرف محمد في هذه الرحلة أن رسالته ستنساح في الأرض ، وتتوطن الأودية الخصبة في النيل والفرات ، وتنتزع هذه البقاع من مجوسية الفرس وتثليث الروم .

بل إن أهل هذه الأودية سيكونون حملة الإسلام جيلا في أعقاب جيل .

وهذا معنى رؤية النيل والفرات في الجنة ، وليس معناه أن مياه النهرين تنبع من الجنة كما يظن السذج والبلهاء .

لقد روى الترمذي مثلا أن رسول الله قال : « إذا أُعطِيَ أحدكم الريحان فلا يردّه فإنه خرج من الجنة »[1] . فهل ذلك يدل على أن الريحان من الجنة ، ونحن نقطف أزهاره من الحقول والحدائق ؟

من كتاب فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي وخرج أحاديثه الشيخ / الألباني

---

(١) حديث ضعيف أخرجه الترمذي (٤/١٨) من طريق حنان عن أبي عثمان النهدي مرسلا و هذا مع إرساله فيه جهالة حنان هذا ، ولم يوثقه غير ابن حبان ، و لو صح الحديث لكان اللائق حمله على ظاهره وهو أن الريحان أصله من الجنة ولا يلزم منه أن مانقطفه منه من الحقول هو من الجنة أيضاً كما ظن المؤلف . ألا ترى أنه إذا قال إنسان لماء في كأس: هذا من السماء لكان صادقاً وكان قصده معروفاً؟ فليتأمل . ونحو هذا يقال فيما صح عنه صلى الله عليه وسلم أن أربعة أنهار من الجنة . أي أصلها من الجنة ، لا أنها تنبع الآن منها .

القرآن الكريم

قال تعالى :

(وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين • أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين • بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) .

من سورة يونس - الآيات ٣٧ ـ ٣٩

الفرج القريب

قال الشاعر :

اذا اشتملت على اليأس القلوب
وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت
وأرست في مكانتها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها
ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك-على قنوط منك-غوث
يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت
فموصول بها الفرج القريب

مائدة القارئ

هل رأى محمد (صلى الله عليه وسلم) ربه ؟

عن مسروق قال : قلت لعائشة رضي الله عنها يا أمتاه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه ؟ فقالت لقد قف شعري مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ، ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) ، ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ، ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) الآية ، ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين . أخرجه البخاري .

استعارة الكتب

استعار رجل من صاحبه كتابا ، فأعاره اياه وقال له : لا تكن في حبسك الكتاب كصاحب القربة ، قال : لا .
ولا تكن في ارتجاعك الكتاب كصاحب المصباح . قال : لا .
وكان من حديثهما أن رجلا استعار من رجل قربة على أن يستقي فيها مرة واحدة ثم يردها فاستقى فيها سنة ثم ردها اليه متخرقة .
وأما الآخر فان رجلا ضافه ضيف من النهار فاستعار من جار له مصباحا ليسرجه لضيفه في الليل فلما كان بعد ساعة أتاه وطالبه برده .
فقال له : أعرتني مصباحا لليل أو للنهار؟ قال : لليل .
قال : فما دخل الليل .

من فضائل الصحابة

عن أنس - رضي الله عنه - قال : جمع القرآن على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - أربعة : كلهم من الأنصار : أبي ، ومعاذ بن جبل ، وأبوزيد ، وزيد بن ثابت .



كتاب الشهر

تأليف الدكتور /
ماجد عرسان الكيلاني

جيل صلاح الدين

عرض الأستاذ : عبدالله خليل شبيب

○ **احتفلوا بحطين وصلاح الدين :**

مرت الذكرى الثمانمائة لمعركة حطين بقيادة صلاح الدين الايوبي رحمه الله ، تلك المعركة الفاصلة من معارك الاسلام التي يزدهى بها تاريخه والتي مهدت السبيل لتحرير بيت المقدس من براثن الصليبية الطامعة الباغية وتطهير بقية فلسطين والشام من آثار رجس الكفر والظلم كله صليبيا كان أو تتاريا أو تابعا لهما .

وكان لابد أن نقف أمام هذه الذكرى وصاحبها لتلمس العبر والفوائد من التاريخ - خصوصا

ونحن في مواجهة غزو صهيوني خبيث استطاع أن يجمع بين أصابعه القذرة كل خيوط الشر ، ويؤلب علينا كل قوى الشر العالمي فتجلب علينا بخيلها ورجلها ..

فكانت غزوة تتارية صليبية صهيونية حاقدة تستهدف مصيرنا ووجودنا وتستهدف أخس الوسائل لتدميرنا وتخترق صفوفنا وتضربنا بأيدي بعضنا البعض !

ويتطلع كثير من الطيبين إلى السماء مبتهلين إلى الله تعالى أن يرزقهم قائدا كصلاح الدين ، ويرى أو يعتقد كثيرون أنه لا تنقصنا إلا قيادة مخلصة حكيمة وأن هذا الجيل الموار بالاخلاص والوعي والرغبة في إعزاز أمة الاسلام وتوحيد صفوفها ومداواة عللها وتطبيق شريعتها وكف يد أعدائها عنها ... إنما تنقصه فقط قيادة ... أو قائد من صنف صلاح الدين مثلا ... وغاب عن كل هؤلاء أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لم ينزل من السماء وليس إلا ابن وقته وزمانه .

ولم يقم بكل ما قام به بمفرده ولم ينتصر وحده ... والناس متواكلون لا يريدون بذل جهد ولا تقديم تضحية ! ... وإنما كان مع صلاح الدين رجال يناسبونه ... وانبتته بيئة تغيرت ، وقضى على جيوب الخيانة التي كانت متصارعة « شاور وغيره في مصر وغيرها » وكان بعضها متعاونا مع الأعداء الصليبيين ..

وقضى على الخلل الفكري والردة الباطنية فحرر مصر من الحكم العبيدي الذي ران عليها دهرا طويلا ببدعه وخرافاته وحركاته الجنونية « كالحاكم بأمر الله وأمثاله » ووحد صلاح الدين كذلك قوى مصر والشام فأصبحت الجيوب الصليبية والمشبوهة بين فكي الرحى وطحنت واحدة تلو الاخرى ... وكان تحرير القدس ... الذي لم يأت اعتباطا ولا في ليلة واحدة .

○ ما قائدا ملهما نريد ولكن ..

وهذا ما أراد الدكتور ماجد عرسان الكيلاني توضيحه في كتابه القيم ...« هكذا ظهر جيل صلاح الدين ، وهكذا عادت القدس » ويرى الدكتور ماجد أن الاعتقاد بأن الحاجة فقط إلى قائد مسلم ملهم أمر وفهم خطر وضار لأسباب :/ أولها أنه يصطدم بالقوانين القرآنية التي تقرر ان التغيير إلى الأفضل أو الأسوأ لايحدث إلا إذا سبقه تغيير جماعي يقوم به « القوم » « الأفراد » لما بالأنفس من مفاهيم واتجاهات ، وأن آثار هذا التغيير تنعكس على ما بالقوم من أحوال سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية في المجالين الداخلي والخارجي بالقدر الذي يحدث به التغيير المذكور .

والسبب الثاني أن هذا الفهم يصرف الأنظار بعيدا عن الأمراض

ليظهر جيل مثلهم ... لا جيل يلعن أخره أوله ، ويكفر سلفه الصالح أو ينتقده ويثلبه وينظر إليه نظرة احتقار في الوقت الذي نحن فيه أحوج ما نكون إلى مثل هذه الآراء والرجال والمدارس والمناهج ... لننهض من كبوتنا بعيدا عن البدع المتلبسة بالشريعة ، وعن النزاع الفكري والحزبي والعقائدي ، وعن تشتيت الجهود بالتركيز على الخلافات والأمور البسيطة متناسين أهم أمر وهو تكوين الانسان المسلم الحق بجميع مواصفاته طبقا للكتاب والسنة والسيرة الشريفة بحذافيرها .

وكما درس الدكتور ماجد آثار الانحرافات فيما سبق ، تعرض كذلك لآثار التصحيح والتحول وتغير النفوس ، فبحث في الباب الرابع والاخير حول : « الآثار العامة لحركة الاصلاح والتجديد » فتحدث عن قيام الدولة الزنكية الرشيدة وسياستها في الاصلاح والتجديد والتقريب والتوحيد ، وعن إعداد الشعب إعدادا إسلاميا وتربويا شاملا وعسكريا ، وعن صبغ الدولة بالصبغة الاسلامية وتكامل القيادات السياسية والفكرية وعن رعاية الصالح العام وتوافر الأمن والعدل واحترام الحريات .

كما تحدث عن تعبئة القوى الاسلامية المتمثلة في : التعاون بين المدرسة القادرية والدولة الزنكية ،

وإعداد أبناء النازحين من مناطق الاحتلال الصليبي ، والعمل في المدارس النورية والصلاحية ، والمشاركة في ميادين السياسة والجهاد ، ونبذ التعصب المذهبي وتوحيد كلمة المذاهب .

كما تحدث عن ازدهار الاقتصاد وبناء القوة العسكرية والصناعة الحربية كما تحدث عن بناء الوحدة الاسلامية وتحرر المقدسات والأراضي المحتلة ، بل ومحاولة استئناف الفتوحات الاسلامية في أوروبا لولا تكبر ملك الموحدين في المغرب يعقوب ابن يوسف بن عبدالمؤمن وتمسكه بالشكليات التافهة .

وفي ختام الكتاب في الفصل العشرين يعرض المؤلف ثمانية من قوانين العمران « على حد تعبير ابن خلدون » أي السياسة والمجتمع والتاريخ ... وقد استخلص المؤلف هذه القوانين من تحليله للفترة التاريخية التي درسها وبسط القول فيها بوعي وصراحة وضرب أمثلة واقعية ملموسة ـ من التاريخ الماضي او الحاضر تؤكد ما يقول ... ووضع يديه على الجراح وعلى مواضع الداء إن كان هناك من معتبر أو من مجيب أو من قارىء واع أو إدارة مخلصة تريد الخير لمن تقود !

○ ثمانية قوانين تاريخية علمية لابد ان يتولاها فقهاء لا خطباء

ولنعرض باختصار تلك القوانين التي تحكم التاريخ لأهميتها ولحاجتنا الماسة لفقهها والعمل بموجبها :

١ ـ الدين أساس الحضارة لأنه يقدم المثل الأعلى ، ولكن لابد أن يتولى الدور الحضاري فيه الأذكياء « أولو الالباب » وليس غيرهم وهنا يلمح الى هجرة العقول .

٢ ـ لابد من توافق السلوك مع المبدأ لدى الذين يقودون الأمة بالاسلام إلى الحياة الأفضل . وبتجرد تلك القيادات وإخلاصها ، وذلك حسب نظام خاص وترتيب معين .

٣ ـ صحة الفكر أو مرضه أساس لصحة المجتمع أو مرضه وهو مناط التغيير وعلامة الرقي تبعية الأشخاص والأشياء للأفكار وليس العكس المؤدي للانحطاط كما نشاهد جليا .

٤ ـ لابد من تكامل الفكر والسياسة ، وأن تدور السياسة في فلك الفكر وليس العكس .

٥ ـ تزاوج الاخلاص مع الاستراتيجية الصائبة في تعبئة الأمة وإلا تفجرت داخليا وهنا يشير المؤلف إلى الصراع الحزبي داخل العالم العربي وما جر من ويلات ويستنتج أن الاطار الحزبي استراتيجية خاطئة ويورد لذلك عشرة أسباب وجيهة « ص ٢٨٨ ـ ٢٩٥ » .

٦ ـ قيام الاصلاح على التدرج والتخصص وتوزيع الأدوار .

٧ ـ ترجمة أفكار الاصلاح والوحدة إلى أعمال وتطبيقات ، ولا تكون مجرد شعارات تناقض الواقع الملموس مما يفقدها فاعليتها ويؤدي إلى تصدع المجتمع وتعميق التخريب فيه بتسارع كتسارع الانشطارات النووية التي لاتتوقف عند حد « ص ٢٩٨ » .

ويضرب هنا الأمثال بتشتت وتشرذم الأقاليم العربية ومواطنيها في الخارج ... ويقارن ذلك بدولة اليهود ... وللأسف فالمقارنة ليست في صالحنا ..

وربما يشابه هذا القانون : القانون الثاني ، إلا أن هذا على مستوى جماعي ، وذاك ـ ربما كان ـ اكثر خصوصية .

٨ ـ مراعاة قوانين الأمن الجغرافي ، ويؤكد هنا على استراتيجية موقع بلاد الشام ، مستندا إلى النصوص والوقائع ـ فقد كانت مرتكزا لانتشار الفتوحات الاسلامية الأولى ، كما كان توحيدها وصلاحها في الفترة الزنكية والصلاحية مفتاحا للنصر والتحرير ..

وبالعكس كان طعنها بالخنجر الصهيوني المسموم ـ في الحاضر ـ بابا لكل شر مستطير ولا نزال نجني من آثارها الشوك والعلقم وسنلقي المزيد إلى أن يأذن الله بأمر من عنده يكون فيه التغيير والشفاء من كل هذه العلل فلابد من شفاء القلب والرأس أولا .

ولابد من إفشال سياسة الجبال العازلة التي يريد لها الاستعمار أن تقوم بدور كسر موجة الاسلام إلى

الحقيقية التي تنخر في جسم الأمة من داخل فتفرز فيها القابلية للتخلف والهـزيمة ، ويشغلهـا بـالأعـراض الخارجية الناجمة عن تلك الأمراض ،

أي أن هذا الفهم يضع العاملين أمام خطوة من العمل يستحيل إنجازها لأن الأمة الضعيفة من داخل يستحيل أن تتغلب على الخطر من خارج . ولكن الخطوة الممكنة في حالة الضعف هي معالجة الضعف نفسه ، فإذا شفيت الأمة من أمراضها صارت الخطوة المستحيلة ممكنة :

والسبب الثالث ، أن هذا الفهم يفرز صورة خاطئة قاتلة لدور كل من القادة والأمة في تحمل المسؤوليات ومواجهة التحديات . فهوفهم ينمي في نفوس القادة روح الفردية والانفراد بـالتخطيط والتنفيذ . ويـزجهم في صراع مع كل من يحاول المشاركة في الـرأي أو العمل في الـوقت الذي لايستطيع هؤلاء القادة الانفراد في الرأي أو العمل فينتهون إلى الفشل والاحباط .

أما الأمة فإن هذا الفهم يستبعد دورها في المسؤولية ويطمس في عقولها مفهوم المسؤولية الجماعية ويشيع التواكل على القيادات وحدها ، فمهما

دعيت إلى التضحية والمشاركة أجاب لسان حالها : اذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون !! ومهما تتالت أمام

عيونها صور العجز والفشل والهزيمة فإنها تظل متثاقلة إلى الأرض تنتظر حـدوث المعجـزة وظهـور القـائـد المخلص ... وتتسـامـر في هـويتـه وشخصيته ، فلعله المهدي المنتظر ... ولعله ... ولعله .. ؟!

○ استنتاجان مهمـان من تحليل استـراتيجية الاصـلاح « هـدف البحث »

ويدرس الدكتور ماجد الكيلاني الموضوع دراسة متعمقة تقوم على البحث والاستقراء الذي غاص لأجله في نحو ٨٥ مصدرا ومرجعا وقدم لنا نتائج بحثه في كتابه المذكور الذي زاد على ثلاثمائة صفحة . وجاء في أربعة أبواب رئيسية وعشرين فصلا ، وقد حلل الدكتـور ماجـد استراتيجيـة الاصلاح والتغيير والتجديد تحليلا تاريخيا متبصرا ، وخرج من تحليلاته تلك باستنتاجين رئيسيين هما زبدة الموضوع ... وهما :

الأول : أن فترات القوة والمنعة في التاريخ الاسلامي إنما ولدت حين تزاوج عنصران هما : الاخلاص في النية ، والصواب في التفكير والعمل .

فإن غاب أحدهما أو كلاهما ، أو طلق أحدهما الآخر فلا فائدة من الجهود التي تبذل والتضحيات التي تقدم .

والأمر الثاني : أن التاريخ كله ـ الاسلامي وغير الاسلامي ـ برهن على أنـه حين تقـوم شبكة العـلاقـات الاجتماعية على أساس الولاء الشامل للفكرة فإن كل فرد في المجتمع يصبح مقدسا ومحترما ، سواء أكان حيا أو

ميتا ، ومهما اختلفت آراؤه مع الآخرين ، ويوجه الصراع إلى خارج المجتمع وتتوحد الجهود وتثمر . أما حين تتشكل شبكة العلاقات الاجتماعية طبقا لمحاور الولاء الفردي والعشائري والمذهبي والاقليمي ، فإن الانسان يصبح أرخص شيء في داخل المجتمع وخارجه ، ويدور الصراع في داخل المجتمع نفسه ويمزقه إلى شيع يذيق بعضها بأس بعض .

إن وقوفنا على تفاصيل هذا التغيير ومظاهره ومراحله التي جرت في المجتمع الاسلامي سواء في المرحلة التي مهدت للغزو الصليبي آنذاك ، أو المرحلة التي هيأت لدفع هذا الغزو يقدم لنا الدرس المفيد في محنتنا التي نواجه إزاء عوامل الضعف التي تعمل في كياننا من داخل ، والأخطار التي تتهددنا من خارج !

وهذا هو ما استهدفته هذه الدراسة التحليلية للتاريخ .. ودعائي إلى الله العلي القدير ان تسهم في تبصير المسلمين وقياداتهم الفكرية والسياسية والاجتماعية والتربوية للاستراتيجية الصائبة التي تمكنهم من حشد الطاقات وتؤهلهم لمواجهة التحديات .

ولله الفضل والمنة اولا وآخرا .

○ عرض موجز لفصول الكتاب

لقد قسم الدكتور ماجد بحثه إلى أربعة أبواب رئيسية ـ كما أسلفنا ـ بحث في الباب الأول : التكوين الفكري للمجتمع الاسلامي قبيل الهجمات الصليبية حيث عرى مذهبية الفكر الاسلامي وانقسامه وحلل التحديات التي كانت تواجه الأمة في تلك الفترة الحالكة وخصوصا تحديات الباطنية والفلاسفة ، وقد استغرق هذا أربعة فصول ... وعرض الدكتور ماجد بعض الصور والنصوص المخزية في هذه المجالات ...

وأما الباب الثاني فقد استغرق الفصول الاربعة التالية وتحدث فيه المؤلف عن : آثار اضطراب الحياة الفكرية في المجتمع الاسلامي . تلك الآثار التي تمثلت في فساد الحياة الاقتصادية والاجتماعية وانحلالها والانقسام السياسي والصراع المذهبي وما أنتج ذلك من آثار منها ضعف العالم الاسلامي أمام الهجمات الصليبية .

وفي الباب الثالث، تحدث الدكتور ماجد عن حركة التجديد والاصلاح وعرض عرضا علميا مفصلا لدور مدرستين رئيسيتين في هذا المجال كان لهما أكبر الأثر في إصلاح الجيل الذي مهد للنصر ... وهما مدرسة ابي حامد الغزالي ومدرسة عبدالقادر الجيلاني أو الكيلاني وطريقته القادرية .

ومع أن هذا الباب مكون من فصلين فقط فقد استغرق أكثر من مائة صفحة أي نحو ثلث الكتاب ... وهذا أمر يتسق مع أهمية الموضوع في كتاب يبحث عن ظهور جيل التحرير ـ جيل صلاح الدين ... ويتلمس لنا طريقا

داخل الصحراء وينقطع امتداده وتأثيره عبر أمواج البحر المتوسط الى العالم القديم والحديث .

ومزيدا من التنوير للقارىء ، وتأكيدا لاستنتاج الدكتور ماجد عرسان حول الأهمية البالغة للاستراتيجية الحساسة لبلاد الشام - وإكمالا لما ذكره عن تصريح الزنيم لورنس « ص ٣١٠ - ٣١١ » نعيد نشر فحوى تصريح لناحوم غولدمان رئيس المؤتمر الصهيوني السابق « ولسنوات طوال بنيت فيها الدولة الصهيونية ودعمت » وكنا نقلنا التصريح المذكور عن مجلة « الراية والصليب » التي كانت تصدرها الجمعية الوطنية النصرانية في الولايات المتحدة والتي أسست سنة ١٩٤١ ومن مبادئها مجابهة التغلغل والتسلل اليهودي والشيوعية والفاشية ... وللأسف فإن الحرية الاميركية الواسعة « كما يتشدقون » وحقوق الانسان « كما يزعمون ويفترون » لم تتسع لهذه النشرة البسيطة فأوقفتها حكومة الولايات المتحدة بشكل قمعي كأي نظام متخلف ، وبعد أن استمرت في الصدور اكثر من ٤٠ عاما حيث أنها كانت تنتقد بحدة كل الرؤساء والمرشحين والشيوخ والنواب الخاضعين للنفوذ الصهيوني - يقول ناحوم غولدمان في تصريحه المذكور :

« إننا - أي اليهود - كان يمكن أن نقبل - كما عرض علينا - وطنا قوميا في أوغندا أو استراليا أو الأرجنتين - ولكنا أصررنا على فلسطين ليس فقط لأن فيها ضعف احتياطي الأمريكتين من البترول ولا لأن البحر الميت فيه ما قيمته خمسة تريشليونات من الليرات الذهب ، ولكن لأنها في موقع استراتيجي متوسط حساس ، من يسيطر عليه يسيطر على العالم » .

بقي أن نقول إن الجهد الذي بذله الدكتور ماجد في هذا الكتاب القيم جهد يستحق الثناء ... ويلاحظ فيه نكهة جديدة وأسلوب فريد واع في كتابة التاريخ وتحليل أحداثه ..

يارب

قال تعالى معلما عباده كيف يدعونه :

« رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين » ١٥ / الأحقاف .

النسر

شعر : احمد محمد الصديق

الى النسر الفلسطيني ء.. العائد بطائرته الشراعية ء.. ليثأر لوطنه

بجناحين من هوى واشتياق طار كالنسر حيث عز التلاقي
لم تكن نزهة ... ولكنها الأو طان تدعو لعودة ... وانعتاق
إنها ذروة التوهج .. يوم الرو ع ... والروح شمعة الاحتراق
شب فيه الايمان نورا ونارا يتلظى في القلب والأعراق
حملته نحو الشهادة أحلا م كبار ... علوية الاشراق
أترعت من سنا فلسطين عينا ه ... ومن طهر مائها الرقراق

****

ومن الصخر ... من جلاميدها الصـ ـم تجلى بعزمه الدفاق
ومن الراسيات .. من قمم المجـ ـد .. شموخ الجباه والأعناق
تتلاشى الحدود في ناظريه وهو يسري كالكوكب الخفاق
وشراع الفداء ... كالسهم ماض أي فتح هذا .. ؟ وأي اختراق ؟
تحت ثوب الدجى ... ترجل محفو فا بصمت ... مدجج الأعماق
ثم ندت (الله أكبر) تتلى بلسان حر .. ودمع مراق
قالها ... والشفاه تستمطر الحـ ـب على وجنة الحمى في عناق

****

ومضى الفارس الملثم إعصا را يدوي ... بالعصف والإبراق
صال في حومة المعسكر يجتا ح الأعادي ... في خفة وانطلاق
يحصد الآثمين ... جرثومة الشـ ـر ووكر الأذى ... وبذر النفاق
تشتكي الأرض والسموات ... مما أفسدوا في الحياة والأخلاق
وأذاقوا العباد ... مكرا وغدرا وأثاروا من فتنة وشقاق
واستباحوا « الأقصى » وكل القداسا ت لجيش البغاة ... والفساق

****

هاهي الصحوة التي افزعتهم قد اصابت نهارهم بالمحاق
تتهاوى على الثرى جيف الأو غاد رجسا مدنس الأرماق
وقريبا تأتي نهاية ليل يتمطى بالظلم والارهاق
كل شيء في الكون يفتح صدرا وذراعا للباسل العملاق
بدماء الشهيد ... كل المصابيـ ـح استضاءت شهبا على الآفاق
تستحث الصباح في صفحة الغيـ ـب كأن المنى خيول سباق
لعلعي يا بنادق النصر .. إن الـ فجرا آتٍ ... فبلغيه اشتياقي

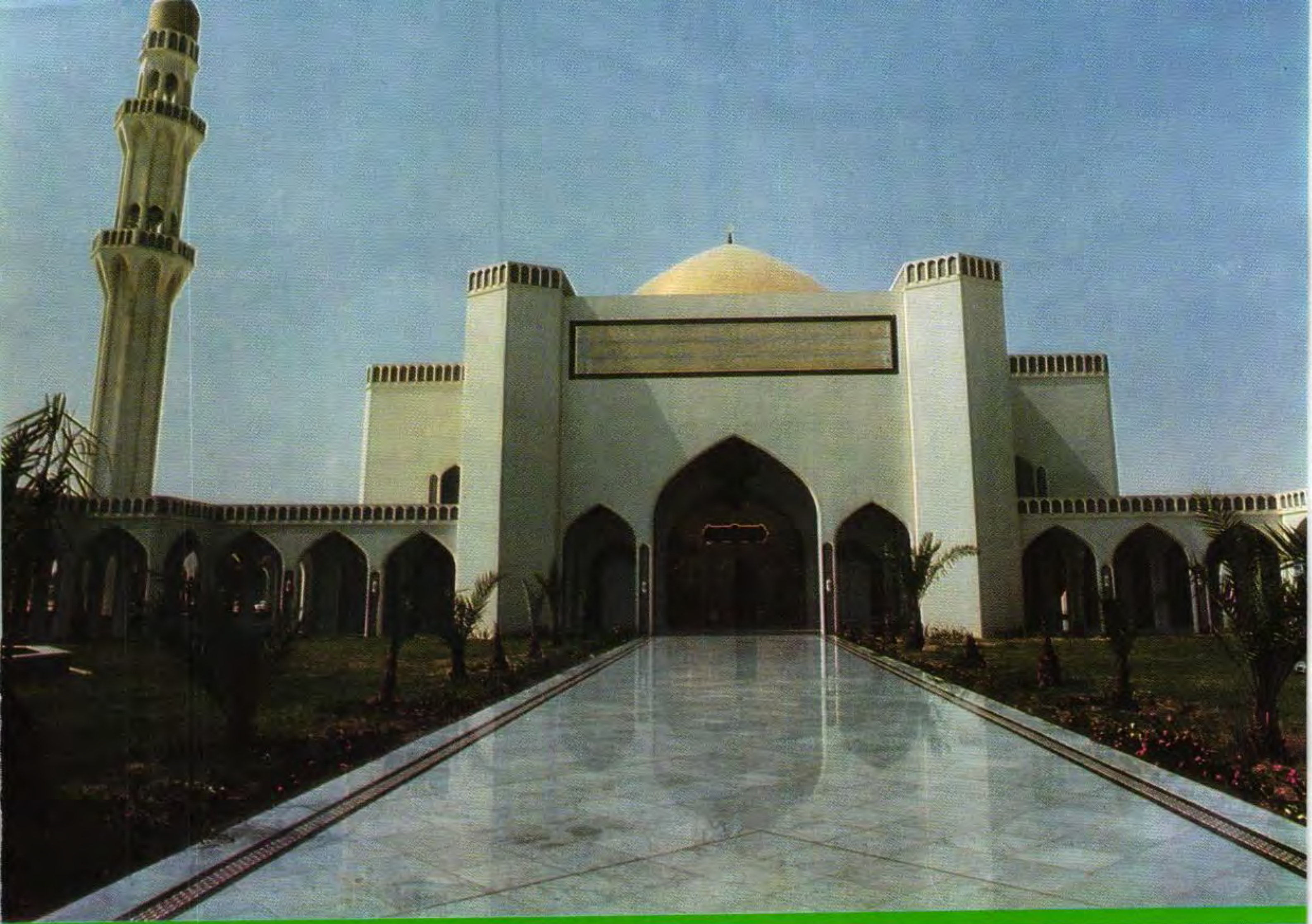
التداوي بالأعشاب والنباتات الطبية

مركز يوسف المرزوق للطب الإسلامي

أجراه : الأستاذ خالد بوقماز

تصوير : عبدالرحيم أبو شماله





انطلاقا

من قول الرسول صلى الله عليه وسلم « يا عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء » .

وهذا أمر صريح من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالعلاج والتداوي ونبذ الشعوذة والخرافة ، لذلك بذل الرواد من علماء المسلمين الأوائل جهودا حثيثة في مجال الطب والأدوية فلم يقتصر علم الطب عندهم على ما نقلوه عمن سبقوهم في هذا المجال بل إن هذا العلم تقدم على أيديهم تقدما كبيرا نتيجة للطرق العلمية التي اتبعوها في اجراء تجاربهم وأبحاثهم القائمة على التجربة والمشاهدة والاستنتاج ، فدرسوا اتزان المركبات الكيميائية في جسم الانسان وأدركوا الفروق بين الكثير من الأمراض المتشابهة والتي لم يكن لمن قبلهم علم بها ، فعالجوا الحميات ذات البثور كالجدري والحصبة وتفتيت الحصى والنزيف وغيرها من الأمراض وبرعوا بطرق تشخيص الأمراض بحيث رتبت الأمراض من الرأس الى القدمين ووصفوا لكل مرض علاجا خاصا به كما عرفوا التخصص في فروع الطب من (طب عيون ـ باطنية ـ جراحة ـ أمراض النساء ـ أطفال وغيرها) .



وأصبح الطب لديهم علما تخصص له المعاهد ، كما وصفوا الامتحانات الطبية لطلبة الطلب تحت اشراف لجنة متخصصة تمنح الشهادات الطبية للناجحين منهم ، ومن مشاهير علماء المسلمين في مجال الطب وممن كانت لهم آثار بعيدة المدى في المجال الطبي (محمد بن زكريا الرازي) صاحب كتاب الحاوي والذي جمع فيه كل ما عرف من صناعة الطب ، (وأبو علي بن سيناء) مؤلف كتاب القانون في الطب وهو عبارة عن قاموس في الطب والصيدلة والتشريح ، و(أبو القاسم الزهراوي) صاحب كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف و(ابن النفيس) مكتشف الدورة الدموية الصغرى ، و(ابن البيطار) صاحب كتاب الجامع الكبير لقوى الأدوية والأغذية والذي جمع فيه أكثر من ألف وأربعمائة دواء مرتبة على حروف المعجم .

وبذلك ترك علماء المسلمين ذخيرة ضخمة من التجارب والمؤلفات التي شكلت بمجموعها تراثا استفادت منه الانسانية وكانت منطلقا للعلوم الحديثة أخذت أوروبا من هذه الذخيرة حتى القرن التاسع عشر حيث ظهرت الكيمياء التي نجح علماء أوروبا في احلالها محل النباتات الطبية في العلاج ومن ثم استطاعوا الترويج لها واقناعنا بمفعولها وبذلك أصبحت

بلادنا سوقا استهلاكية كبيرة لتسويق منتجاتهم في مجال الطب والعلاج والأدوية لذلك كان لا بد للمسلمين وبخاصة العلماء والأطباء من العودة الى تراثهم والاستفادة منه بتقديم العلاج بوساطة النباتات الطبية نظرا لرخص تكلفتها وقلة مضاعفاتها وتأثيراتها الجانبية أو انعدام ذلك ، وعدم حاجاتها للخبرة كالمواد الكيميائية وهي متوفرة بكثرة في البلاد الاسلامية مع مسايرة العلاج الحديث ومحاولة التوفيق بينه وبين العلاج بالنباتات الطبية ليكمل كل منهما الآخر .

لذلك ظهرت الحاجة الماسة لوجود منظمة ترعى شؤون الطب وما يتعلق به وتتبنى التعاليم والقواعد الاسلامية في ممارساتها واهدافها ووسائلها .

نشأة المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية

نوقشت فكرة انشاء منظمة اسلامية للعلوم الطبية ، من ضمن العديد من الأفكار التي طرحت خلال الاحتفال بدخول القرن الخامس عشر الهجري ولقد لاقت هذه الفكرة التشجيع والحماس عند بعض الاخوة الذين بذلوا جهودا كبيرة لهذا الغرض ، ولقد أصدر حضرة صاحب السمو الأمير جابر الأحمد الجابر

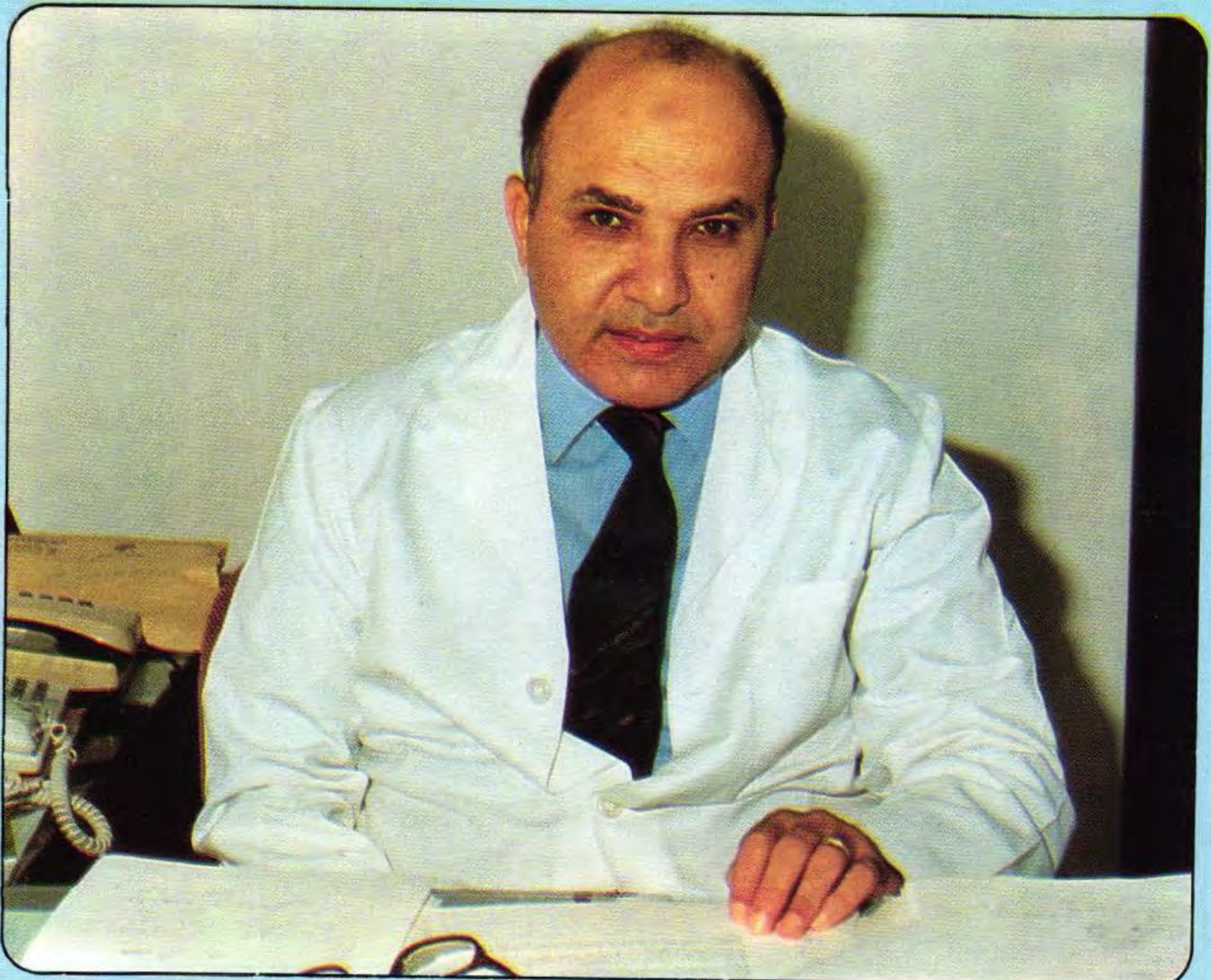


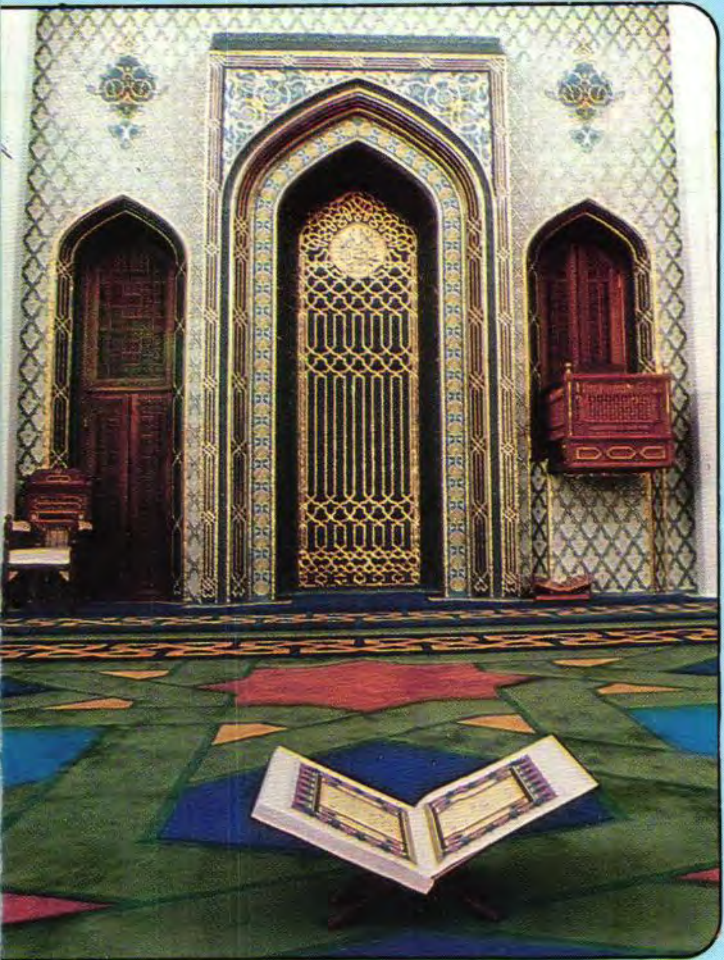
الصباح المرسوم الأميري رقم (١٨) لسنة ١٩٨٤م بانشاء المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية على أن تكون لها الشخصية الاعتبارية - ومقرها دولة الكويت ولها أن تنشيء مراكز للبحوث والدراسات داخل دولة الكويت وخارجها وأن تباشر نشاطها وفقا لأحكام النظام الأساسي للمنظمة . ولقد سارع اخوة آخرون في بناء مركز طبي اسلامي ليكون مقرا للمنظمة وصرحا اسلاميا ومركزا لاشعاع ثقافي اسلامي حضاري إهداء للكويت والمسلمين ، وكان الطموح أكبر من أن يكون محلي الجهد أو اقليمي الموطن .

دوافع انشاء المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية

هناك العديد من الدوافع التي أدت بالغيارى من المسلمين للتفكير في ايجاد منظمة اسلامية تعنى بشؤون الطب والأدوية وفق النهج الاسلامي وهذه الدوافع .

● ظهور ما يسمى بالهندسة الوراثية ومحاولات العلماء للعمل على تطبيقها على الانسان ؛ وهذه الأبحاث تجرى في معامل الغرب والشرق حيث انفصل الدين عن العلم ، وقد اكتفى المسلمون بالمشاهدة وتتبع الأخبار دون





المساهمة الفعالة فيها .

● ظهور الطب العلماني المطالب بإبعاد تعاليم الدين عن الطب وعن سلوكيات الطبيب ومحاولة نشر هذا الفكر بين دول العالم بالتحرر من كل فضيلة تنادي بها الأديان .

● اهمال المسلمين للمجال التطبيقي للطب وهو ما يهم صحة الانسان المسلم سواء أكان فردا أم جماعة أم أمة من طب وقائي وطب علاجي .

● عدم وجود منظمة أو هيئة اسلامية متخصصة في هذا المجال للتصدي لمن يتجنى على الاسلام الذي أصبح السكوت عليه جريمة وتقصيرا بحق الاسلام والمسلمين .

أهداف المنظمة

تقوم المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية على تحقيق الأهداف التالية :

١ ـ احياء تعاليم الدين الاسلامي الحنيف فيما يتعلق بعلاج مختلف الأمراض البدنية والنفسية والوقائية وكذلك احياء التراث الاسلامي في مجال الطب بتحديث البحوث والدراسات التي وضعها الرواد من أطباء المسلمين على ضوء التقدم التقني المعاصر والعمل على تطبيقها بأسلوب علمي حديث لخدمة الانسانية .

٢ ـ تشجيع العاملين في مجال العلوم الطبية الاسلامية والعمل على تضافر الجهود الطبية والفقهية للوصول لرأي موحد في تطبيق ما يستجد من أمور في البحث الطبي الحديث وايجاد البدائل الصحيحة للوسائل والعقاقير المحظور استعمالها اسلاميا .

٣ ـ انشاء المراكز الصحية للفئات المحتاجة من المسلمين في العالم .

٤ ـ التعاون مع الهيئات والجمعيات الوطنية والدولية التي تعنى بنفس الأهداف في أنحاء العالم وتشجيع تكوين مراكز أو جمعيات جديدة لها نفس الأهداف ومساعدتها على نشر رسالتها والعمل على انضمامها للمنظمة .

٥ ـ العمل على ربط برامج الدراسات الطبية بالقيم التي ارتكزت عليها الحضارة الاسلامية وتعاليم الدين الحنيف وتوعية النشء المسلم بتراثه في هذا المجال .

٦ ـ توحيد ونشر المصطلحات والمفاهيم العلمية والأخلاقية الاسلامية للمهن الطبية وتعميمها .
٧ ـ تنسيق الجهود في مجالات الخدمات الصحية بالعالم الاسلامي .

ماهية الطب الاسلامي

الطب الاسلامي هو الطب المتميز في نظرته للانسان على أنه خليفة الله في الأرض وانه كل لا يتجزأ جسدا ونفسا وروحا وهو طب يستمد تعاليمه وممارساته من الشريعة الاسلامية ملتزما بأحكامها الشرعية من الحلال والحرام .

علاقة مركز الطب الاسلامي بالمنظمة الاسلامية للعلوم الطبية

يشكل مركز الطب الاسلامي والمنظمة الاسلامية للعلوم الطبية وجهين لعملة واحدة ويعتبر مركز الطب الاسلامي الأداة التنفيذية الطبية للمنظمة الاسلامية للعلوم الطبية . وفي أرجاء هذا المركز يتم اجراء الأبحاث والتطبيقات العملية والعلاج الطبي بواسطة النباتات والأعشاب الطبية بدون استخدام الأدوية والمستحضرات الكيميائية .

مركز يوسف المرزوق وزوجته للطب الاسلامي

على مساحة تقدر بحوالي خمسة عشر ألف متر مربع شيد مركز يوسف المرزوق للطب الاسلامي في زاوية من



زوايا المساحة المخصصة لمستشفى الصباح بمنطقة الشويخ بالكويت .. وقد استغرق العمل بهذا المشروع الرائد زهاء أربع سنوات من العمل المتواصل . وبلغت تكاليف المركز بمرافقه جميعها ستة ملايين ونصف مليون دينار كويتي ، وينقسم هذا المشروع الى قسمين أساسيين :
المسجد وهو رمز العبادة .
والمركز الطبي وهو رمز العلم وهما جزءان متلازمان في ديننا الحنيف .

الجناح الأيمن :

ويضم هذا الجناح المسجد والذي تبلغ مساحته ألف وثلاثمائة متر مربع



تقريبا ويعتبر من أحدث مساجد الكويت .. ويتكون هذا المسجد من ثلاثة أدوار :

ـ الأرضي وهو خاص بالرجال ويتسع لحوالي ألف وخمسمائة مصل .

ـ الأول : وهو خاص بالنساء ومزود بدورة مياه خاصة .

ـ الثاني : وهو خاص بالخدمات .

ومن أبرز المميزات لهذا المسجد القبة التي يبلغ قطرها عشرون مترا وبارتفاع يبلغ خمسة وعشرين مترا .

وقد كتبت عليها بعض الآيات القرآنية الكريمة ، وقد نقشت القبة بالأشكال الهندسية ذات الطراز الاسلامي والتي شكلت مع السجاد المنقوش خلية متكاملة ذات ألوان متناسقة كما زينت جدران المسجد بالأقواس والفسيفساء وللمسجد ستة أبواب صنعت من النحاس المنقوش يدويا أما المئذنة فبلغ ارتفاعها خمسة واربعين مترا وقد طلي الجزء العلوي منها باللون الذهبي .

ومعروف ان للعبادة دورها في راحة الانسان النفسية والبدنية ، والمسجد مكان يلجأ فيه الانسان الى الله ويخرج منه وهو أكثر تفاؤلا وأملا في أن يحقق الله رجاءه .. والشفاء أولا واخيرا إرادة الله ، والدواء لتحقيق ارادته سبحانه .



الجناح الأيسر :

هذا الجناح يضم المركز الطبي وقد كتب على مدخله الآية الكريمة «وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين » .
ويتألف المركز الطبي من طابقين :

● **الطابق الأرضي** – ويشغل الجانب الأيمن منه العيادات الخارجية أما الجانب الأيسر فتوجد فيه بعض القاعات والصيدلية ثم المكتبة والتي تزخر بكتب التراث والفقه والطب والصيدلة والعلوم .

● **الطابق العلوي** – يشغله مقر ادارة المركز ومقر المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية والمختبرات والسكرتاريا .

● **الممرات** : تربط بين الجناحين الأيمن والأيسر ممرات على شكل أقواس منقوشة صممت على الطراز الاسلامي وزادها اللون الأبيض والأرضية الرخامية جمالا وتناسقا ثم زين المكان بأربع نوافير ذات طابع إسلامي وأحيطت بالحدائق الجميلة .

المكتبة : مازالت مكتبة المركز في بداياتها ومع ذلك فهي تحتوى على ما يقرب من ثلاثة الاف كتاب والكثير من المخطوطات ، شملت شتى المعارف والعلوم وبخاصة : علوم الطب والصيدلة ، ويمكن إيجاز ما تحتويه

المكتبة فيما يلي :

● بعض الكتب المخطوطة والتي كتب بعضها باللغة العربية والبعض الآخر باللغة الفارسية . تناقش هذه المخطوطات النباتات الطبية واستعمالاتها المختلفة وطرق تحضير وصناعة الأدوية ، كما تناقش قوانين وأصول الصحة الوقائية ، وأهم هذه المخطوطات : كتاب ابن النفيس (الموجز في الطب) وكتاب ابن سينا (نظريات في التشريح والطب) وغير ذلك .

● بعض المخطوطات المصورة على الميكروفلم واهم تلك المخطوطات (الحاوي في علم التداوي) وكتاب (التصريف لمن عجز عن التأليف) و(شرح منظومة ابن سينا في الطب) و(شرح أصول أبوقراط) و(كنز الطبيب وبغية السيد الحبيب) و(البيان في كشف اسرار الطب للعيان) .

● كما تضم المكتبة مطبوعات المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية وتشمل المؤتمرات والندوات التي عقدت سواء داخل وخارج الكويت ، ابتداء من المؤتمر الأول حتى المؤتمر الرابع .

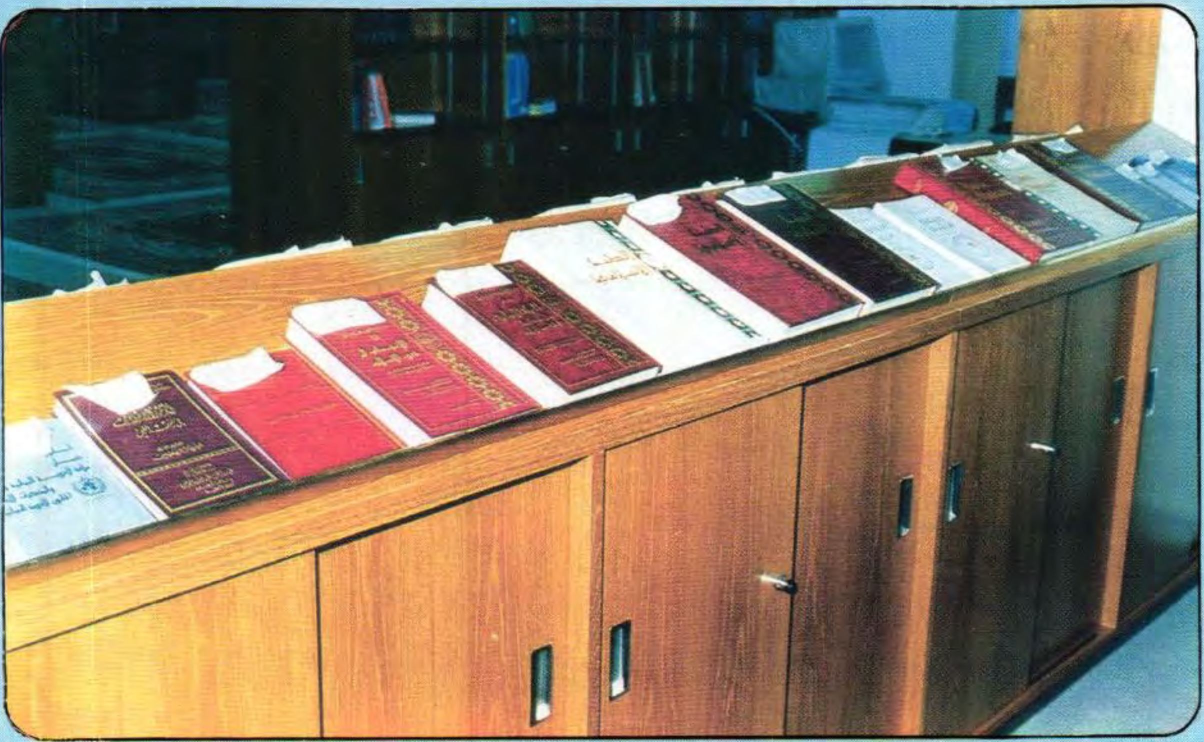
● كما تحوى المكتبة بعض الموسوعات الخاصة بالطب بشكل عام وبالطب الاسلامي بشكل خاص .

● كما توجد كتب خاصة بالشريعة والفقه والقرآن الكريم وتفسيراته وتراجم للقرآن الكريم .

● تضم بعض الكتب العامة والخاصة بالجغرافيا والتاريخ والتربية وغيرها من العلوم .

● تستخدم المكتبة ست لغات هي : العربية ، الانجليزية ، الفرنسية ، التركية ، الاوردو ، الفارسية .

● بلغت الدوريات خمسا وخمسين دورية . منها ثلاثون باللغة الانجليزية وخمس وعشرون باللغة العربية .



الأقسام الأساسية للمركز :

ينقسم المركز الى ثلاثة أقسام أساسية يتفرع منها العديد من الأقسام والوحدات ووظيفة هذه الأقسام جميعها هي التداوي بالنباتات الطبية .

الأقسام الرئيسية

هي :

● **العيادات** ـ ويبلغ عددها ثلاث عشرة عيادة كل واحدة منها متخصصة بمرض معين من الأمراض التي يتم علاجها بالمركز وفي كل واحدة منها طبيب متخصص ذو كفاءة عالية في مجال تخصصه .

● **المختبرات** ـ ووظيفتها الأساسية وضع مواصفات توصيف للنباتات الطبية للتأكد من سلامتها وصلاحيتها للاستعمال الآدمي داخل المركز .

○ **المصنع** : ويقوم بفحص النباتات للتأكد من صلاحيتها ثم تبدأ عملية تصنيعها وتحويلها من شكلها النباتي الى شكلها الطبي المعروف كالاقراص ـ والكبسولات ـ الشراب ـ والمساحيق ـ وغيرها .

أما الأقسام والوحدات المتفرعة من الأقسام الرئيسية والتي تقوم بمهام وانشطة متنوعة فهي تمثل بمجموعها الأعمال التي يقوم بها المركز وهي : معمل الأجهزة الحساسة ـ وحدة



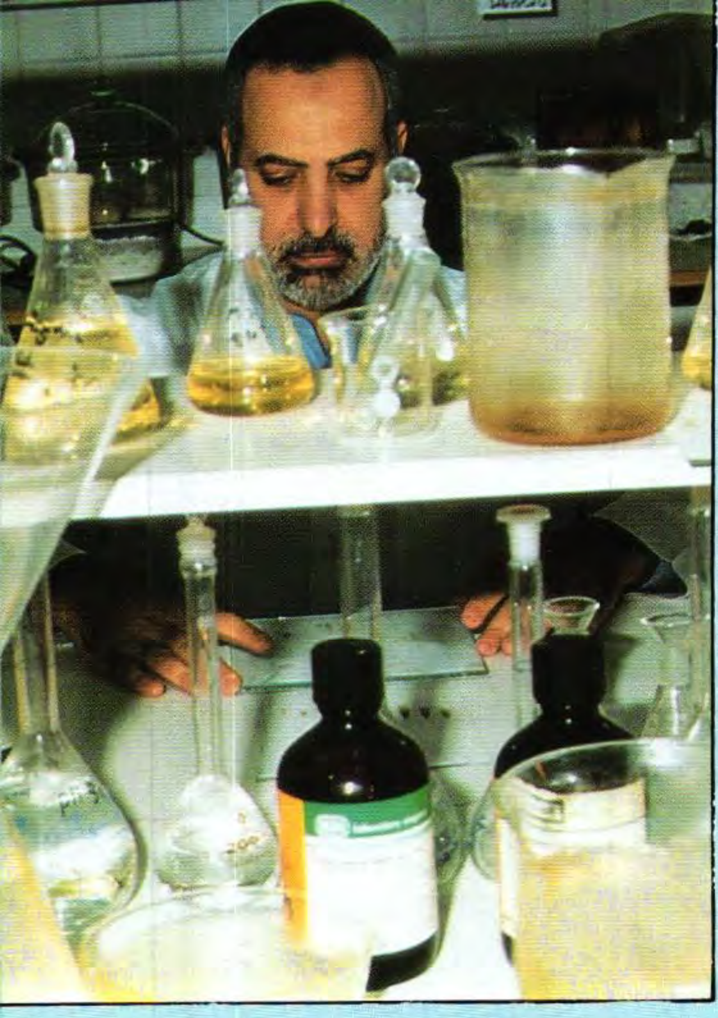
الميكروبيولوجيا
قسم الصيدلانيات ـ قسم العقاقير
قسم الكيمياء الحيوية ـ قسم كيمياء العقاقير
قسم الاقرباذين ـ قسم الرقابة

الامراض التي يتم علاجها بالمركز :

يقوم المركز بتقديم العلاج للكثير من الامراض والتي من أهمها : ـ
الحساسية الانفية ـ الجيوب الانفية
الربو الشعبي ـ امراض الجهاز التنفسي
الصداع النصفي ـ الروماتيزم
البهاق (الامراض الجلدية) ـ الامساك
السكري ـ امراض الجهاز البولي (الالتهابات والحصى)
زيادة دهنيات الدم ـ قرحة الاثنى عشر وزيادة الحموضة
كسل في كفاءة الكبد .

مراحل علاج المرضى :

تمر عملية علاج المرضى بثلاث مراحل هي : ـ
ـ **التشخيص** : وهي الخطوة الاولى التي لابد لأي مريض يعالج بالمركز من المرور بها ، حيث يتم فحص المريض فحصا دقيقا للتأكد من ان المريض يعاني من احد الأمراض الثلاث عشرة التي يتم علاجها بالمركز ، أما إذا احتاج المريض إلى بعض الاجراءات الطبية كالأشعة او التخطيط أو غيرها فإنه يحول إلى



إحدى المستشفيات التخصصية لاجراء اللازم .

ـ **العلاج** : وهو الخطوة التالية فبعد تحديد المرض يبدأ المريض بأخذ العلاج المقرر ويكون ذلك على شكلين ، إذا كان المريض لا يستعمل اي نوع من الأدوية فإنه يبدأ مباشرة بالعلاج بالنباتات الطبية ، أما إذا كان ممن يستخدم الأدوية الخطرة (الأدوية التي يؤدي إيقافها او سحبها مباشرة إلى ضرر قد يصيب حياة او صحة المريض) فإنه يبدأ بتقليل جرعات هذا الدواء وتحل النباتات الطبية محلها بالتدريج .

ـ **المتابعة** : بعد ان يبدأ المريض بتناول العلاج المقرر له تتم متابعته (اكلينيكيا) للتأكد من استجابة

المريض لهذا العلاج ، فإذا كانت الاستجابة ايجابية يستمر المريض بتناول الدواء ، أما إذا كانت سلبية فيعاد التشخيص مرة اخرى ولكن بعد مضى ستة اشهر من الفحص الطبي السابق .

القوة الطبية للمركز :

تتكون القوة الطبية للمركز من اثنين واربعين اختصاصيا موزعين على :

- ٨ من الاطباء .
- ١٢ من الصيادلة .
- ١٢ من الكيميائيين .

ويحمل هؤلاء الاختصاصيون اعلى الدرجات العلمية في مجال تخصصاتهم ، ويعاونهم عشر من الممرضات المتمرسات .

مصادر النباتات الطبية :

إن المصدر الاساسي للبناتات الطبية يعتمد على المادة الفعالة التي تكون أكثر تركيزا في مكان معين من النبات ، وهناك العديد من هذه المصادر والتي يمكن الحصول بوساطتها على الكثير من النباتات الطبية والتي من اهمها ـ الجذور ـ البذور ـ اوراق النباتات ـ ازهار النباتات ـ سيقان النباتات ـ لحاء الشجر .

أما أهم الدول التي يتم استيراد النباتات الطبية منها فهي الباكستان ـ الهند ـ جمهورية مصر العربية .

عدد المرضى :

إن ازدياد اعداد المرضى المترددين على المركز يدل دلالة قاطعة على الثقة التي اكتسبها المركز لدى المرضى والمراجعين خلال الفترة الزمنية القصيرة من عمره ، كما يدل على مدى فاعلية وايجابية التداوي بالنباتات الطبية التي يعتمدها المركز بالعلاج . ولقد تردد على المركز في عام ١٩٨٤م ـ ٩٥٠٠ مريض

١٩٨٥م ـ ١٣٠٠٠ مريض ،

١٩٨٦م ـ ١٣٥٠٠ مريض .

ولم يقتصر العلاج على سكان الكويت بل تعداه إلى العديد من دول الخليج العربي وبخاصة من المملكة العربية السعودية .

انجازات المركز :

على الرغم من قصر الفترة منذ بداية العمل في المركز الى الآن الا أنه استطاع ان يقوم بإنجازات كبيرة ومتنوعة في مجالات تخصصه والتي يمكن إيجازها فيما يلي :

○ مجال المختبرات :

ـ استطاع المركز إدخال العلاج بالنباتات الطبية للعديد من الحالات المرضية .

ـ ثم وضع تفسيرا وشرحا علميا لطريقة تأثير النباتات في علاج الحالات المرضية .

ـ وأجرى عملية تصنيع للنباتات

والاعشاب الطبية المستخدمة في العلاج بالاشكال الصيدلية المختلفة .
ـ ووضع كتابا يتضمن المواصفات الخاصة لتسجيل ومراقبة المستحضرات الصيدلانية التي من أصل نباتي .

مجال الادوية :

تم تخليص عدد كبير من المستحضرات الصيدلانية من الكحول تمشيا مع تعاليم ديننا الاسلامي الحنيف .

مجال الفقه الطبي :

عقدت ثلاث ندوات نوقشت فيها العديد من المشاكل الطبية المعاصرة كالانجاب في ضوء الاسلام والحياة الانسانية بدايتها ونهايتها في المفهوم الاسلامي وبينت الاراء الاسلامية في هذا المجال من خلال الحوار الذي تم بين علماء الطب والفقه الاسلامي .

○ مجال التراث :

تمت المشاركة مع الهيئات العالمية لاجلاء دور ومكانة علماء المسلمين في المجال الطبي والمشاركة بمعظم المؤتمرات المتعلقة بأنشطة المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية في الدول العربية او الاسلامية او الأجنبية كما قام المركز بتصوير عدد كبير من المخطوطات الطبية على الميكروفلم وتبادل الوثائق مع الكثير من المكتبات العالمية المهتمة بالمجال الطبي .

المشاركة في مؤتمر القاهرة :

سيشارك المركز بمؤتمر القاهرة الذي سوف يعقد في شهر نوفمبر سنة ١٩٨٨م بدعوة من الازهر الشريف ونقابة اطباء جمهورية مصر العربية وسيتناول هذا المؤتمر ثلاث قضايا :

- التعليم الطبي من منظور اسلامي .
- مشكلات الشباب والأوبئة المعاصرة وتشمل (المخدرات ـ المسكرات ـ الاباحية) .
- المجال التطبيقي للعلاج ومدى الاستفادة منه .

افتتاح المركز :

تحت رعاية حضرة صاحب السمو الشيخ جابر الاحمد الصباح تم افتتاح مركز يوسف المرزوق وزوجته للطب الاسلامي في يوم ٢١ فبراير ١٩٨٧م ، بمناسبة العيد الوطني السادس والعشرين لدولة الكويت وقد حضر الحفل عدد كبير من المسؤولين والمواطنين واعضاء السلك الدبلوماسي والمهتمين بالشؤون الطبية .

واقع العمل الاسلامي

في حوار مع:



أجرى الحوار :

محمد الدسوقي

● الأمة الاسلامية في أشد الحاجة الى العودة الصحيحة لأحكام الدين الحنيف سعيا للخلاص من مشكلاتها الحاضرة ، وايجادا للحلول الناجعة التي تقضي على أسباب الفرقة وعوامل التمزق التي يدسها عليها أعداء الاسلام .

والمتأمل المدقق في تاريخ المسلمين الأوائل يجد أنهم سادوا وعزوا ، وكانت لهم الغلبة في الأوقات التي أحسنوا فيها الانضواء تحت لواء الدين الحق .

ولا شك في أن العمل الدعوي يتأثر كثيرا بمدى صلة المسلمين وأخذهم بأحكام دينهم ، ففي فترات قوة المسلمين

الدكتور عبدالله التركي

مسيرة الدعوة تعكس واقع المسلمين وتتأثر بعوامل قوتهم وضعفهم

قلة الدعاة مشكلة تتطلب تضافر الجهود للتغلب عليها

مقتضى الايمان هو التزام الناس بأحكام الشريعة الاسلامية

تقوى مسيرة الدعوة وتتعاظم وسائلها وتزيد حماسة المسلمين للوفاء بها ، وفي فترات ضعفهم تضعف المسيرة الدعوية أيضا .

من هنا كانت الانطلاقة لبدء هذا الحوار مع الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي رئيس جامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية ورئيس رابطة الجامعات الاسلامية ●

● الدعوة الى الله تعالى من الضرورات الحياتية الواجبة باعتبارها دعامة من دعامات التقدم والتحضر .. فما مدى قيام الأمة الاسلامية بواجبها تجاه الدعوة الى الله داخل بلاد المسلمين وخارجها ؟

- الدعوة الى الله تعالى فريضة على المسلمين عامة ، لأن الله سبحانه وتعالى أوجب عليهم القيام بإبلاغ دينه ، ونشر دعوته ، قال تعالى : **(ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)** آل عمران/ ١٠٤ . وقال تعالى : **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران/ ١١٠ .

وحقيقة الدعوة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بمعنى أن يبين للناس الحق ، ويدعون إليه ، وأن يبين لهم الباطل والضلال وينهون عنه ،

وهذا هو جوهر الدعوة الى الله تعالى . والأمة الاسلامية في الحاضر فيها ضعف ، وفيها تفرق ، وفي كثير من مناحي حياة شعوبها بعد عن كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. ومعروف ان مصدر القوة للمسلمين ارتباطهم بالكتاب والسنة واعتصامهم بهما .

وكلما ابتعدت الأمة الاسلامية عن هذين المصدرين ضعف إيمانها ، وضعف التزامها وتطبيقها لهذا الدين . والدعوة جانب من الجوانب المطلوبة للمسلمين ، فإذا كانوا في حالة من الضعف فستكون مسيرتهم مع الدعوة ضعيفة ، وإذا تقدم المسلمون وقوى ايمانهم وازداد تمسكهم وعملهم بالدين وتطبيقهم لشريعة الله انطلقت الدعوة قوية سواء كانت داخل بلاد المسلمين أم خارجها .

على أن هذا الكلام لا يعني أن الدعوة ليست موجودة ، فما دام المسلمون موجودين ، فالدعوة قائمة ، وما دام مسلم موجودا على هذه الأرض فالخير مؤمل ، لأن المسلمين يعيشون بالاسلام ، وهو محفوظ بحفظ الله تعالى له .. قال عز وجل : **(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)** الحجر/ ٩ .

والقرآن الكريم محفوظ برعاية الله عز وجل وعنايته ، والسنة محفوظة بالجهود العظيمة التي قام بها علماء السنة ، والتراث الفقهي والعلمي للمسلمين موجود ، فأينما وجد مسلم مرتبط بهذه المصادر فإن بإمكانه أن يقوم بالدعوة الى الله عز وجل ..

إن الدعوة الى الله تعالى في الوقت الحاضر يشوبها شيء من النقص والتناقض والخلاف والفرقة ، لأنها صورة لواقع المسلمين .

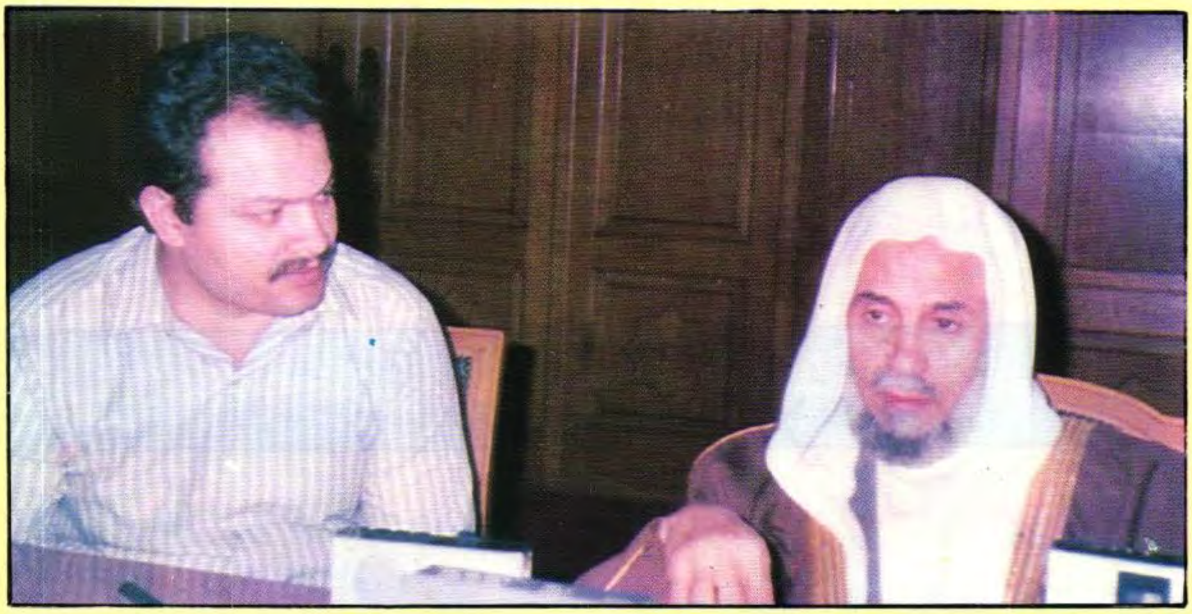
هذا في الوقت الذي نرى فيه إقبالا شديدا على الاسلام من الشباب والشيوخ والنساء سواء كان ذلك على مستوى الأفراد أم الجماعات وهو مايستلزم الجد في أمور الدعوة وتدارس قضاياها والاجتماع بشكل مستمر بين المتخصصين فيها من أجل أن يبحثوا كافة مشكلاتها وقضاياها وأوضاعها حتى تواكب الرغبة لدى الناس في الاستجابة للدين .

تأهيل الدعاة

● أكثر ما تعانيه الدعوة الاسلامية في الحاضر قلة الدعاة وفقر هذه الدعوة الى الثقافة الاسلامية الواعية القادرة على ملء الفراغ لدى العامة .. فكيف ترى الطريق للتغلب على هذا ؟

ـ هذه واحدة من المشكلات الكبيرة التي تواجه مسيرة العمل الدعوي بالفعل ، فلو وجد عدد من الدعاة وجدنا قدرات غالبيتهم محدودة وتصوراتهم غير شمولية ، وليست واسعة كما أرادها الاسلام ، وبالتالي فإن هذا يؤثر سلبا على مستوى الأداء للدعاة .

وعلى كل حال هناك مستويات متعددة فالجامعات الاسلامية وكليات الدعوة ومعاهدها عليها واجب كبير في إعداد وتدريب وتخريج الدعاة الذين



يقومون بالدعوة الى الله عز وجل في الوقت الحاضر .. وعلى المؤسسات التعليمية واجب كبير في مجال تأهيل الدعاة القادرين على الوفاء بالواجب نحو نشر الدين الحنيف والتعريف بقيمه واحكامه ..

والجمعيات والمراكز الاسلامية في مختلف البلاد الاسلامية مدعوة للقيام بواجبها في مجال تدريب وتأهيل الدعاة باذلة الجهد في سبيل تجميع الموهوبين وإفادتهم عن طريق اللقاءات والندوات والمحاضرات التي يشارك فيها كبار علماء الاسلام ممن لهم خبرات وتجارب في مجال الدعوة .

ونحن في كثير من المؤتمرات نرى نماذج جيدة من الدعاة الى الله الذين يجمعون بين العلم والعمل ، ويؤثرون في الناس تأثيرا كبيرا ، وهؤلاء من الخير أن يستفاد من قدراتهم في مراكز التدريب ، وفي الجمعيات والمدارس العلمية والمراكز الاسلامية لايجاد عدد يمكن أن يؤدي الحد الواجب ، أو الضروري في مجال الدعوة الى الله تعالى .

تحصين الشباب

• يتعرض الشباب المسلم لعمليات غزو فكرية عديدة تأخذ أشكالا مختلفة ، وتهدف الى العصف بقيمه ونزعه من دينه الحنيف ، واحلال ثقافات وافدة محل الثقافة الاسلامية .. فكيف الطريق الى تحصين الشباب المسلم في مواجهة تلك الالحاديات ؟

ـ يُحمى الشباب المسلم بالتربية الاسلامية الصحيحة وبتأصيل المفاهيم الاسلامية لديه وبتحديد الثقافة الاسلامية التي ينبغي أن يتزود بها حتى تأتي تصوراته منذ النشأة الأولى ومنذ البدء في دخول مجال العلم والثقافة تصورات صحيحة وسليمة .

اما أن يترك الشباب المسلم ليتزود بالمعلومات وينال ثقافته من خلال برامج إعلامية وافدة ، أو من خلال مايكتبه بعض الكتاب الذين منهم الجاهل الدخيل والمدسوس في الصف

الماسونية والبهائية والقاديانية أسلحة فتاكة موجهة لتمزيق المسلمين

التربية الاسلامية ضرورة لحماية الشباب من التيارات الوافدة

الاسلامي فهذا بلا شك من شأنه ان يضر بشبابنا ويجرهم الى طريق غير صحيح .

وهنا تبرز مسؤولية العلماء ، ومسؤوليات المؤسسات التربوية والجامعات الاسلامية في أن تقدم

الزاد الفكري الثقافي الذي يحصن الشباب ويزودهم بالتصورات الصحيحة عن الاسلام ، وعن كل ماينبغي أن يقوم به المسلم في مواجهة التيارات الغازية .

ولا بد من العناية بالكتاب الاسلامي ، وكذا البرامج الإعلامية الاسلامية لما لها من مهمة أساسية في هذا المجال .

ويجب استخدام المؤتمرات والأندية والأنشطة العامة لتوضيح خطورة الغزو الفكري للناس ، وبيان كيفية مواجهته ، وتأكيد ضرورة الحذر ممن يتسمون بأسماء اسلامية ويكتبون باسم الاسلام وهم في الحقيقة ضد الاسلام .

وما أكثر الذين يسيئون للاسلام ـ وان كانوا مسلمين ـ إما عن جهل أو عن حقد وقصد سيىء .

مخاطر الغزو الفكري

• الحاجة الملحة الى صد كل محاولات الغزو الفكري تتطلب بالضرورة تعاون مؤسسات عدة من أهمها وسائل الاعلام .. فكيف السبيل لتطويع هذه الأجهزة في خدمة الثقافة الاسلامية ؟

ـ الواقع أننا اذا نظرنا للعناصر البشرية العاملة في أجهزة الإعلام في البلاد الاسلامية ، وجدناها في الغالب غير مؤهلة للقيام بعمل اسلامي ، فإذا نظرنا للوسائل التقنية فهي تختلف من بلد الى بلد .

ولذا ينبغي أن يعد رجال للاستفادة من هذه الأجهزة إعدادا اسلاميا بحيث يجمعون بين القدرة على الاستفادة من وسائل الاعلام والاستفادة من الخبرات التي أنتجها العقل البشري في هذا المجال من خلال الارتباط الوثيق بالقيم والأسس الاسلامية ..

اننا حين ننظر في كثير من الأجهزة المعاصرة نجد ان الذين يعملون فيها اما أنهم درسوا في البلاد الغربية ، أو تأثروا بالمناهج والطرق المأخوذ بها في

غير بلاد المسلمين ، وهؤلاء التزامهم الديني ضعيف ، ومن ثم فهم عاجزون عن تحصين الشباب المسلم من الغزو الفكري أو الثقافة الوافدة .

ومن هنا تأتي أهمية قيام إعلام اسلامي يؤدي دوره في نشر الثقافة الاسلامية الصحيحة ، وكشف خطط الغزاة الذين يهدفون الى نزعنا من ثقافتنا .

ونحن نرى في الحاضر بوادر قيام إعلام اسلامي على مستوى الجامعات الاسلامية ، وعلى مستوى بعض المؤسسات الخاصة التي بدأت في بذل الاسهام النافع لبناء إعلام إسلامي قوي .

ونحن في المملكة العربية السعودية لدينا عدد من الأقسام الاعلامية في كليات الاعلام ، وكليات الدعوة . هذه الأقسام ، تؤهل الشباب للجمع بين الخبرات العالمية في المجال الاعلامي وبين المعرفة والثقافة الاسلامية الصحيحة .

وليست المسئولية في هذا المجال مقصورة على رجال الاعلام وحدهم ، وإنما هي مسئولية مشتركة بين الجامعات والعلماء والمفكرين ورجال الاعلام . فكل هؤلاء مطالبون بتقديم الدراسات والبدائل الاسلامية ، وأن يقوموا بجهود نافعة في سبيل دعم مسيرة العمل الاسلامي .

إن الشباب المسلم في حاجة إلى البرنامج الهادف والكلمة الأمينة الصادقة والفيلم الاسلامي النافع .

الطوائف الضالة

○ عادت الفرق الضالة كالبهائية والقاديانية للظهور من جديد في بلاد المسلمين ... فكيف الطريق لمقاومتها ؟ وبم تعللون ظهورها في هذه الآونة بالذات ؟

إذا ضعف أهل الحق ، وضعف القائمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أي مجتمع من المجتمعات الاسلامية تظهر هذه الفرق .

إن الطوائف الضالة لا توجد إلا إذا ضعف أهل الحق ، أو حدث الجهل بأحكام الاسلام وابتعد الناس عن المنبع الصافي لهذا الدين .

وعودة تلك الفرق إنما هي نتيجة حتمية لعدم احتكام كثير من تلك المجتمعات إلى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ذلك ان تلك المجتمعات لو كانت ملتزمة بأحكام الله لما ظهرت مثل تلك الطوائف المضلة .

إن المجتمع الذي يلتزم بدين الله عز وجل في تصوراته وفي كل أعماله إنما هو مجتمع خير يظهر فيه للناس الحق ويدعون إليه ، فإذا أصر صاحب الضلال على معصيته يحاكم ويعاقب ويمنع من نشر ضلالاته وبدعه .

وفي هذه الظروف التي تعيشها عدة دول اسلامية يجب على العلماء ورجال الفكر الاسلامي ان يوجهوا نشاطهم وأقوالهم لفضح أفكار هذه الطوائف وتلك الفرق التي نبتت لتضل الناس ، وكثير منها له علاقة بأعداء المسلمين

الـذين يحرصـون على ان يتـأخر المسلمون ولا تقوم لهم قائمة .

وعـلى الحكـومـات في البـلاد الاسلامية ان تدرك خطورة هذه الفرق على الوحدة الاجتماعية ، وعلى تعاون المسلمين فيما بينهم ، ذلك ان الخلاف والفرقة والمذهبية الفكرية من أشد الاسلحـة الفتـاكـة التي تعـرض المسلمين للتأخر والتمزق والضعف .

إن الحكومات في الدول الاسلامية يجب عليها أن تعني أولا بإيضاح الحق الذي كان عليه أهل السنة والجمـاعة وتتـابعت عليـه الـدول الاسلامية منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى العهد الحاضر .

والدول الاسلاميـة في التاريـخ الاسلامي كله كانت تظهر فيها فرق وطوائف لكنها كانت تقمع . وكان العلماء يقومون بدورهم في سبيل بيان الحق وتأكيد ان هذه الفرق فـرق ضـالـة ، ثم تتكـاتف السلطـات والحكومات مع العلماء لابعاد هؤلاء الضالين عن الساحة الاسلامية حتى لا يضروا الناس .

تطبيق الشريعة

○ كلما ارتفعت أصوات المطالبين بـالعودة إلى أحكـام الشـريعـة الاسلامية ، ظهر في المقابل من يزعم أن القوانين الاسلامية جامدة لم تتطور منذ أربعة عشر قرنا ، ومن ثم فهي ـ كما يزعمون ـ غير صالحة للتطبيق في الحاضر .. كيف ترون هذا الزعم ؟

الذي يقول من الناس إن الشريعة الاسلامية غير صالحة لكل زمن ولكل بيئة إما أنه جاهل بهذه الشريعة وبصـلاحيتها وغـاياتهـا الساميـة وجوهرها ، أو أنه عدو للدين وعدو للمسلمين .

إن الالتـزام بالشـرع الحنيف وتطبيق أحكـام الدين هـو مقتضى الايمان وأي إنسان يدعي الاسلام ، ويعتقد أن الشريعة غير صـالحة للتطبيق في كل زمان ومكان أو يرى عدم وجوب تطبيقها إنما هو خارج عن هذا الدين .. قال تعالى : « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا ممـا قضيت ويسلموا تسليمـا** » النساء/ ٦٥

إن مقتضى الايمان أن يلتزم الناس بالشريعة الاسلامية ، وأن يطبقوها ، فإذا كانت لديهم عوائق زمنية أو ظرفية فيجب الاسراع لازالتها .

ويجب ان يتوفر عدد من العلماء المسلمـين والمفكـرين الاسـلاميـين لدراسة الواقع في أي مجتمع من المجتمعات الاسلامية ، وللنظر في هذه العـوائق ، والتفـاهـم والتـدارس والتشاور حول إزالتها وتطبيق أحكام الدين .

وهذا التطبيق لا يمنع من الأخذ بـوسائـل الحياة العصـرية ، وأن نستفيد من المدنية الحديثة ، وأن نتقدم في وسائل الاتصال ، وأن نخطو خطوات كبيرة عـلى طريق التقـدم الصناعي والزراعي ، وغيرهما من المجالات الحياتية .

ثم نقول لأصحاب المزاعم الواهية : ان ما تعانيه البلاد الاسلامية من مشكلات مرده الى البعد عن شريعة الله عز وجل .

أهل الكتاب

○ يحاول البعض ان يجعل من وجود غير المسلمين في المجتمع الاسلامي تكئة لتعطيل تطبيق الشريعة عن طريق الزعم بأن الشريعة تجعل من غير المسلمين مواطنين من درجات دنيا ... فكيف احترم الاسلام حقوق غير المسلمين ؟

نظرة الاسلام لأهل الكتاب والطوائف التي تعيش تحت لواء الدول الاسلامية نظرة واضحة من خلال تاريخ المسلمين الطويل ، ولاشك في أن أي إنسان غير مسلم يتخوف من تطبيق الاسلام عليه ما دام يجهل أحكامه ، ولا يدرك نبل غاياته ومادام محاصرا بتلك المزاعم الحاقدة عن الدين الحنيف .

إن أي مجتمع مسلم فيه أغلبية مسلمة يجب عليه أن يحكم بشريعة الله عز وجل ، ويجب على أفراده وجماعاته المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية ما لم تكن أحكامها معمولا بها . وليس في هذا أدنى انتقاص لحقوق غير المسلمين او تضييق عليهم ، فالأقلية لها احترامها ، ولها حقوقها ، وعليها واجباتها .

ونحن في هذا المجال نتساءل : هل الأقليات الاسلامية منعت من تطبيق انظمة البلاد غير الاسلامية في الخارج ؟ إنها لم تمنعها . وبالتالي البلاد الاسلامية يجب عليها أن تحسم هذه القضية لصالح تطبيق الشريعة الاسلامية .

رابطة الجامعات الاسلامية

○ بوصفكم رئيسا لرابطة الجامعات الاسلامية ... هل لنا أن نتعرف منكم على بعض أنشطة الرابطة ؟

رابطة الجامعات الاسلامية مؤسسة مستقلة ينضوي تحت لوائها أكثر من أربعين جامعة في العالم الاسلامي . وهذه الجامعات تقوم بمهمات عظيمة في البلاد الاسلامية على مستوى تأهيل الدارسين في مختلف التخصصات الاسلامية ، وعلى مستوى الأبحاث والدراسات التي تقوم بها هذه الجامعات ، وكذا مستوى النشر وطباعة الكتب التي تسهم إسهاما كبيرا في فكر المسلمين الصحيح وفي نشر الثقافة الاسلامية الواعية وتنير لهم الطريق في حياتهم .

ورابطة الجامعات الاسلامية تعمل جاهدة لكشف وتعرية التيارات الوافدة والفرق الضالة عن طريق ماتقدمه الجامعات الاسلامية من بحوث ودراسات تفضح تلك التيارات المنحرفة .

وسيظل العلماء والمفكرون والباحثون يقولون ويكتبون وينصحون فيما يستطيعون عمله ، لكن هناك قضايا ليست بأيديهم هم ، وإنما بأيدي فئات أخرى نرجو أن تحسن التوجه للأخذ بأحكام الله عز وجل ؟

وقفة تأمّل

لعِبٌ.. ولهوٌ.. وزينة!

هل نام ؟ هل أصابته إغفاءة ؟ أو هو إرهاق وتعب ... ظن معه أنه قد نام ؟
على أية حال فإن عقله ظل نشطا ... يعمل في المنام أكثر مما يعمل في اليقظة . وقد اعتاد صاحبنا على سماع دقات متقطعة كأنها دقات ساعة منبعثة من داخله ثم بعد قليل تتواصل الدقات فتصير رنينا يتلاقى مع الصوت الآتي من المسجد الملاصق لمسكنه : « الصلاة خير من النوم » .

عندها يقوم مسرعا ... وهو يقول سبحان الله ... والحمدلله ... ولا إله إلا الله ، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، الحمدلله الذي رد علي روحي ، وعافاني في بدني ، وأذن لي بذكره . أصبحنا وأصبح الملك لله . الحمدلله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور .
ثم أخذ يحدث نفسه ... كنت فيما سبق أقول لنفسي وأنا آوى إلى فراش نومي : أريد أن استيقظ ساعة كذا ... ثم أنام في أي ساعة أريد ، لأصحو في الموعد الذي اخترت بلا عناء ولا تعب ، فما بالي الآن ... لا أدري ... أنمت أم لا ؟ وما بال ساعتي قد أصابها توتر شديد . فهي تدق بعنف وبغير انتظام ، وفي أوقات لم تكن تدق فيها من قبل .
ثم قال : على أية حال .. هأنذا أغسل ذنوبي بقطرات الماء المتساقطة من وضوئي ... ولا يعنيني إذا كنت قد نمت أم لا ، وهل يستطيع واحد من البشر ان يحدد بدقة النقطة الفاصلة بين النوم واليقظة بين الشعور و « اللاشعور » بين الحياة والموت ؟

أني أراها فصولا متداخلة ، وحالات يتنقل الانسان فيها من حالة إلى اخرى ... قبل الميلاد ... حيث لم يكن شيئا مذكورا ، ثم جنينا بمراحله المتطورة ، ثم طفلا ، ثم شابا ، ثم شيخا . ثم تنتهي مسرحية الحياة ثم التحول إلى نوع آخر من الحياة « الحياة البرزخية » او الموت ، وما بعده .

« **تبارك الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور** »

● ثم وجد صاحبنا نفسه ، واقفا خلف الامام ، يمثل لبنة في بناء الصف الاسلامي . وبعد ان انقطع عما حوله ، واقبل على الله بتكبيرة الاحرام ، وقرأ دعاء الاستفتاح : « سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك » أنصت لتلاوة الامام الذي قرأ الفاتحة واستعان بالله . وتوكل عليه ، وسأله الصراط المستقيم . بعد ان أقر له بالملك المطلق ، وحمده ، وأثنى عليه .

ثم سكت الامام قليلا ، وخلال تلك الوقفة قرأ المأمومون الفاتحة سرا .

● وبعد الفاتحة قرأ الامام من سورة الحديد ... وكان مما قرأ قوله تعالى : ـ

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤)

● نعم تلك هي الحياة في الحقيقة ، فكل نعمة لم يكتب لها الدوام لا قيمة لها ، قال القائل :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

فإذا أزلنا ذاك الغطاء الظاهري الجذاب ، الذي جعلنا نتصارع ونتقاتل في الحياة ، ويظلم بعضنا بعضا ، لو أزلنا ذاك الغطاء لتعرت الدنيا أمامنا ، ولظهرت على حقيقتها ، التي لا تعدو ان تكون لعبة يلهو بها الأطفال . هي لعب ، ولهو ، وزينة ، وتفاخر بأشياء لا قيمة خالدة لها ، وتكاثر في الأموال والأولاد ، والأموال متروكة ، والأولاد إلى فناء . وشأن الحياة كشأن ذاك المطر الذي أصاب أرضا فأنبتت نباتا أعجب الزراع ، ثم أخذ النبات في النمو والنضج ، وبعد الحيوية والنضارة يميل إلى الاصفرار والذبول ، ثم يحصد ، فيكون حطاما .. وكأن شيئا لم يكن ..

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ... ولم يسمر بمكة سامر .

وليست الأمر اقتصر على ذلك . بل كل منا محاسب على ما عمل في هذه الحياة ، وواجد نتيجة سعيه .

حيث القيم الحقيقية هناك في الآخرة ، فإما عذاب شديد ينال الظالمين . وإما مغفرة للذنوب ورضوان من الله لأولئك الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم .. إن ربك واسع المغفرة . والحياة إذن متاع غرور ... وأن ينبغي ان نجعلها في أيدينا لا في قلوبنا ، وان نتعامل معها بحذر ، ولا نركن اليها ، نعم نحن مطالبون بعمارتها ، وقد استخلفنا الله فيها لذلك ، ولكن ليكن شأننا معها كشأن الضارب في الصحراء ، وقد أضناه المسير والتعب وشدة الحر ، فلجأ الى شجرة ، فاستراح في ظلها ساعة ، ثم راح وتركها ، فقط استراح ساعة ثم راح وتركها . تلك هي الحياة .. فلنخفف من شدة الحرص عليها ، والتكالب على التافه من شئونها ، وليكن سباقنا في الميدان الذي ينبغي فيه التسابق ، الى حيث الجنة التي أعدها الله لمن خافه واتقاه : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » . أعدها الله لعباده بواسع فضله وكرمه ، لا باستحقاقهم لها ، « والله ذو الفضل العظيم » .

وما دام الأمر كذلك ، وما دام هذا شأن الحياة ، فلا تأسوا على ما فاتكم منها . اسى يخرجكم الى ما يسخط الله ، ولا تفرحوا بما أوتيتم فيها فرح بطر يخرجكم عن مرضاة الله ، ولتعلموا ان ما يصيبكم في الأرض أو في انفسكم هو بمشيئة الله ، وقدره .



فما حدث لأطفال « الحافلة » التي اعترضت طريق قطار فشطرها نصفين ، وانتقل الى رحمة الله عشرات من الأطفال ـ هم طلاب مدرسة ابتدائية ـ في مصر ... هو من قدر الله . وابتلاء من الله ، لنتعلم الصبر والرضا والتسليم .

وما يحدث لاخواننا في فلسطين ـ فيما يسمى بالانتفاضة ـ هو من قدر الله ـ وواجب على أهل البلد فرضه الاحتلال ، ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، والدفاع عن الحرمات واجب . والموت في سبيل الله أسمى الأماني، وذلك كله إرادة الله ... « **ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض** » .

وما الكوارث الطبيعية الا ابتلاء اخر من الله .

غير ان هناك فرقا كبيرا بين ما يصيب الانسان بلا كسب منه ، او ما يقع في الكون من أحداث لا دخل للانسان فيها ، وبين ما يكتسبه الانسان .

ويبذل جهده في كسبه ، ومن ذلك التفجيرات النووية ، واشعال الحروب والفتن في الخليج العربي ، وفي لبنان ، وفي افغانستان ، وفي بقاع اخرى في العالم ، وكلها من فعل الانسان ، نعم هو محكوم بالقانون الالهي ، كشأن اللاعبين داخل الملعب ، ولكنه بما وهبه الله من إرادة وعقل له ان يختار ما يريد داخل ارض الملعب ، ولكنه لا يستطيع الخروج من دائرة الملعب بالكلية ، ولذا فالانسان محاسب على فعله وكسبه في حدود ما منحه الله من حرية اختيار وارادة .

واذا كانت تلك هي الحياة ، وهذا شأن الانسان فيها ، فلم البخل اذن ؟ والأنكى أن يبخل الانسان على نفسه ويأمر غيره بالبخل ، عجيب شأن الانسان ، يظل طوال حياته في غفلة عن الحقيقة حتى اذا دهمه الموت استيقظ على حقيقة الاخرة .

فالناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . هل هو انتباه المتوفي بعد فوات الأوان على الواقع المفزع . او هو انتباه من حوله من الأحياء ، فقد انتقل من كان يملأ السمع والبصر الى حفرة في الارض ، تاركا كل شيء وراءه ، ولم يصحب الا عمله وعلموا ان :

كل ابن انثى وان طالت منيته يوما على آلة حدباء محمول

تذكر صاحبنا كل ذلك ، وأيقن أن الحياة كلها جملة ناقصة ، لا حياته هو فقط ، وانها عبارة لا يحسن السكوت عليها ، وما نحن في الدنيا الا ضيوف عليها ، ولابد يوما للضيف أن يرحل ، وان كنا نحزن لرحيل عزيز ، فانه حزن لا يخرجنا عن الرضا بقضاء الله وقدره .

ولا تجزع لريب الدهر واصبر فإن الصبر في العقبى سليم
فما جزع بمغن عنك شيئا ولا ما فات ترجعه الهموم

ثم دعا صاحبنا ربه ان يفرج كربه ، ويستر عيبه ، ويصرف عنه الهم ، ويرحم النازلين به ، فهو الكريم .

ثم قرر ان يأخذ نفسه بهذا المنهج

استر همومك بالتجمل واصطبر ان الكريم على الحوادث يصبر

فهمي الامام

العمل وعلاقته بالقيمة والتوزيع

للأستاذ / الحسين عصمة

تمهيد

كان نزول آدم عليه السلام من الجنة مشيئة ربانية بكل تأكيد ، وهي مشيئة لها دلالاتها وحكمها البالغة . ومن ذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل آدم الى الأرض ليعمرها . وليقوم فيها بدور الخلافة نيابة عنه .. ومن هنا فان آدم عليه السلام وزوجه حواء ـ كانا على موعد اثر نزولهما الى الأرض ، مع حياة لا تمت الى حياتهما الأولى في الجنة بصلة ، إذ أصبح عليهما منذ اللحظة الأولى لمغادرتهما السماء ؛ أن يواجها حياة غاية في القسوة والصعوبة ، حياة ليست على استعداد أبدا لتعطي أي شيء بدون مقابل ، وعلى آدم ـ هذا الانسان ـ أن يتصدى لهذه الحياة ويخوض غمارها لينتزع منها كل ما عساه يحتاج اليه ، حتى يضمن لنفسه البقاء والاستمرار لأداء الرسالة التي القيت على عاتقه ، باختصار ، إن آدم الذي لم تعد له أية ضمانة الهية من ألا يظمأ في الحياة ولا يضحي ولا يجوع فيها ولا يعرى ، كما كان في الجنة ، أصبح عليه منذ تركه

لهذه الجنة أن يؤدي الثمن لكل شيء وهذا الثمن ليس شيئا آخر غير الكدح والعمل .

العمل : ما هو ؟

يمكن تعريف العمل ـ عموما ـ **بأنه كل نشاط انساني واع** ـ ذهني أو عضلي ـ يبذل في سبيل اشباع حاجة ما ، أو حاجات مادية كانت أو معنوية ، سواء تم تحقيق هذا الاشباع أو لم يتم ، وبغض النظر عن طبيعة هذه الحاجات وعما اذا كان المجتمع أو العرف أو الدين يقرها أو لا . **(من يعمل سوءا يجز به)** النساء/١٢٣ ويمكن أن نميز بين أنواع عديدة من العمل ـ حسب الحاجة التي يراد إشباعها ـ ونقتصر هنا على ذكر بعضها فقط على سبيل المثال :

*** العمل البسيط والعمل المركب :**

فيما مضى من العصور ، كانت المتطلبات الحياتية للانسان قليلة بحكم بساطة عيشه ومن ثم فان الحصول على هذه المتطلبات لم يكن يستدعي سوى تدخل بسيط من طرف الانسان في الطبيعة برغم ما كان يستلزمه هذا « التدخل البسيط» من جهد عضلي وانما كان هذا التدخل بسيطا لأن العلاقة بين الانسان والطبيعة كانت مباشرة بمعنى أن الانسان كان يصطاد من النهر أو يقتنص من البرية أو يقطف من الشجرة .. فيأكل مباشرة اللحم أو الفاكهة أو يلبس جلد الحيوان .. دون أن يستدعي الأمر عملية تحويل أو تحسين لما تجود به الطبيعة .. بل كان الانسان ينتفع بما يجده أمامه كما هو ، في شكله أو حالته الطبيعية وشيئا فشيئا وكلما وصل عقل الانسان وادراكه الى مرحلة معينة من النضج طور أدواته تطويرا يناسب مستوى ذكائه ويستجيب لمستجدات المتطلبات الانسانية التي تتكاثر وتتعقد باستمرار والتي يتطلب اشباعها مباشرة أعمالا مركبة أي التي تستدعي حصيلة مسبقة من التجارب والمعلومات بمعنى آخر الأعمال التي تتطلب نوعا من التأهيل بعكس العمل البسيط الذي لا يتطلب جهدا فكريا كبيرا فعمل المهندس مثلا عمل معقد لما يفترض في المهندس من أنه انسان قضى وقتا معينا في التحصيل قبل مباشرة عمل الهندسة بعكس عمل البناء مثلا .

*** العمل الذهني والعمل الجسدي :**

أو العمل غير المنتج والعمل المنتج . وهذا لا ينقص من قيمة العمل الفكري ولكن فقط لأن هذا الأخير لا تترتب عنه سلع مادية بعكس العمل اليدوي .. ومن الطريف والمؤسف معا أن نذكر ان الانسان فيما مضى من الزمن قد احتقر العمل اليدوي احتقارا شديدا لذا لم يمارسه سوى العبيد على أساس انه عمل أقرب ما يكون الى عمل الحيوان ! في حين استأثر الاشراف والنبلاء بالأعمال الفكرية والتأملية

على اعتبار أنها لون من ألوان الأعمال الراقية . ولعل هذه المسألة تتضح في شيئين : كل المنجزات العمرانية القديمة كالأهرامات والمسلات ونحوهما والتي ننسبها ظلما الى الملوك والأباطرة الغابرين . انماشيدت في الحقيقة بأذرع العبيد وسواعدهم وتحت سياط السادة والنبلاء وطغيان طابع الحكمة والتفلسف على كافة مناحي المعرفة القديمة حتى العلمية منها كالرياضيات والطب وغيرهما من العلوم المحضة .

*** العمل الضروري والعمل الاضافي :**

العمل الضروري يقصد به المدة الكافية من العمل لتوفير كل الحاجيات الضرورية لحياة العامل في مجتمع معين وزمان محدد ، بينما يقصد بالعمل الاضافي ، والذي لا يكون الا بعد انجاز العمل الضروري فيتمثل في المدة التي يقضيها الانسان العامل في نشاط ما لأجل الحصول على بعض الكماليات .

ان تحسين الظروف الاجتماعية لأية أمة يمكن أن يقاس بكمية العمل الاضافي بالنسبة لمجموع العمل بمعنى أنه كلما كانت نسبة العمل الاضافي كبيرة دل ذلك على أن الناس أو أغلب الناس ، قد تجاوزوا اشباع الضروريات الى الاستمتاع بالكماليات . أما عندما تطغى نسبة العمل الضروري على نسبة العمل الاضافي .. فذلك يعني ان الناس أو أغلب الناس ، ما زالوا لم يتمكنوا حتى من اشباع ضرورياتهم .

والملاحظ ان العمل الضروري هو الذي كان سائدا من قبل عندما كانت وسائل الانتاج بسيطة لا تكاد تسمح حتى بانتاج الضروريات للسواد الأعظم من الناس ولا يستمتع بالكماليات الا النخبة المصطفاة في المجتمع . ولكن بعد ما سمي بالثورة الصناعية والتي تمثل الانطلاقة الحقيقية الأولى للرأسمالية أصبحت الآلات تدور باستمرار لتلفظ ألوانا واشكالا من المنتوجات ولتكتسح هذه المنتوجات في وقت وجيز كل الطبقات الاجتماعية لتخلق بذلك حاجات لم تكن سائدة من قبل ولتحول كماليات الأمس الى ضروريات لا غنى عنها كالسيارات مثلا وهكذا كلما قطعت أمة أشواطا من التقدم المادي ازدادت دائرة الضروريات اتساعا في مقابل تقلص مدة العمل الضروري .

العمل أساس القيمة :

ليس من الاقتصاديين الوضعيين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم الا من ربط ـ بشكل أو بآخر ـ بين قيمة أية سلعة وبين كمية العمل الذي أهرق في سبيل انتاجها .

* فقد اعتبر دافيد ريكاردو ـ الاقتصادي الكلاسيكي المعروف ـ أن السلعة مدينة في قيمتها للعمل البشري وحده دون وسائل الانتاج الأخرى التي ترافق هذا العمل في اثناء العملية الانتاجية . وذلك رغم اعترافه الضمني بالزمن كعامل منتج للقيمة . اذ تتضح هذه المسألة جليا

عند الدكتور ريكاردو بعدم شجبه للربح الرأسمالي رغم أن رأس المال بالنسبة اليه لا يخلق قيمة تبادلية جديدة وبمحاولته لتبرير الربح بالفترة الزمنية التي تمضي بين الاستثمار وظهور المنتجات للبيع وبهذا اعترف ـ ضمنيا ـ بالزمن بوصفه عاملا آخر لتكوين القيمة التبادلية .

* وبرغم ان ماركس يرفض رفضا شديدا هذا التبرير الريكاردي للربح الا أنه مع ذلك يتبنى أطروحة ريكاردو القائلة بأن العمل هو وحده أساس كل قيمة وبالتحديد يرى ماركس ان القيمة الاقتصادية أو القيمة التبادلية لسلعة ما تعزى الى العمل الذي أهرق لأجل انتاجها ويتحدد هذا العمل في عدد الساعات الضرورية اجتماعيا بالنسبة لعامل متوسط الكفاءة يشتغل بأدوات شائعة الاستعمال في مجتمعه وعلى هذا الأساس فان كل مادة لايكون مصدرها العمل البشري لاتدخل في اطار السلع وبالتالي فهي ليست ذات قيمة تبادلية وهكذا أسقط ماركس من حسابه كل الموارد الطبيعية من أرض واشجار ومياه لكونها لا تجسد أي نوع من العمل . والحقيقة ان الذي يقف وراء اصرار ماركس هذا على اعتبار العمل البشري كأساس وحيد لمتغير القيمة هو رغبته في المحافظة على البناء الداخلي لمذهبه فهو يحتاج الى نظرية القيمة هذه كأساس لأطروحته عن القيمة الفائضة ولاقامة الدليل بعد ذلك على استغلال العمال من طرف الرأسماليين .. اذ بالنسبة اليه يعتبر أن أصل الربح هو العمل الاضافي الذي يؤديه العامل دون أن يحصل مقابله على أجر أو ما يسميه ماركس بالقيمة الفائضة .. وتعليل ذلك عنده هو أن المالك أو الرأسمالي الذي يستخدم العامل لعدد معلوم من الساعات يكون قد اشترى من العامل قوة عمله في حين يعطيه الأجير العمل نفسه .. وهكذا تمثل القيمة الفائضة ـ أساس الربح ـ الفرق بين ما يعطيه العامل وما يتسلمه أي ما يستولي عليه المستخدم على حساب المستخدم .

التوزيع وعلاقته بالعمل :

بشكل عام ، وفيما يخص المدرسة الكلاسيكية فإن جل روادها يرون أن توزيع القيم المنتجة على عناصر الانتاج (العمل ـ رأس المال ـ الأرض) يتم حسب «قانون طبيعي» يحقق الاشباع الاجتماعي ويقيم العدالة الشاملة وهو قانون الثمن أو بتعبير آخر قانون العرض والطلب الذي يتمخض عنه الثمن في اطار المنافسة الكاملة .. فكل عنصر من عناصر الانتاج يتحدد نصيبه من القيمة ـ التي أسهم في خلقها الى جانب العنصرين الآخرين ـ حسب ثمنه الاسمي (Prix Nominol) أي الثمن الذي يتوافق فيه العرض والطلب .

وقوة العمل سلعة كباقي السلع لها ثمن هو الأجر ، وحسب هذا الأجر يتحدد نصيب العامل من الثروة المنتجة . بمعنى أنه كلما كان الأجر مرتفعا كانت الحصة التي يستولي عليها العامل من القيمة المنتجة مهمة والعكس بالعكس ولكن المعروف ان

جل الكلاسيكيين يتبنون ما يسمى بالقانون الحديدي للأجور ، والذي يعني أن أجر العامل من الطبيعي أن يكون دائما في حدود ما يكفل لهذا العامل البقاء والاستمرار وهكذا ففي الوقت الذي يعترف فيه جل الكلاسيكيين للعمل بالقدرة على خلق القيمة الاضافية يرون أن العامل محكوم عليه طبيعيا أن يقنع بما يقيم أوده .

ولقد كان من نتائج هذا الحيف المبالغ فيه الذي مارسه الكلاسيكيون تجاه العمال ، ان خلق جوا ملائما لظهور فكر متظرف كالفكر الماركسي الذي ناقض الفكر التقليدي في كلياته وجزئياته حتى كأنه صورة مقلوبة عنه وفيما يخص مسألة التوزيع فان ماركس يعتقد أنه يجب أن يتم حسب العمل والعمل وحده فيملك كل عامل نتيجة عمله وكذلك المادة التي أنفق فيها هذا العمل لأنها انما أصبحت ذات قيمة بسبب العمل وينتج عن هذا القاعدة التالية : « **كل حسب عمله** » بمعنى أن الأجر يجب أن يساوي كل القيمة التي خلقها العمل وحده ، الربح والريع وكل أنواع المداخيل ليست في الحقيقة الا أشكالا مختلفة لشيء واحد هو فائض القيمة الذي أنتجته قوة العمل .

○ في الاسلام : تمييز أولي بين العمل الصالح والعمل السيىء :

في دائرة الاسلام لا يلعب العامل المادي الا دورا فرعيا ـ على أهميته . الى جانب العامل الديني فهذا الأخير يشكل الدائرة التي يجب أن تنصب فيها كل اهداف وحركات الفرد المسلم أو الجماعة الاسلامية وكل سلوك جاءت نتائجه خارج دائرة الدين يعد مرفوضا مهما كانت نتائجه هذه ثقيلة في الميزان المادي (**وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا**) الفرقان/٢٣ وعلى هذا الأساس يمكن أن نميز في اطار الاسلام بين نوعين من العمل : العمل الصالح والعمل السيىء (**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها**) فصلت/٤٦ والعمل الصالح يترتب عليه كل أنواع الطيبات مادية كانت أم معنوية ويترتب على عمل السوء كل أنواع « الخبائث » المادية والمعنوية بل ان مجرد العمل في اتجاه الطيبات يعد عملا صالحا حتى وان لم يتم التوصل اليها ومجرد العمل والتحرك في اتجاه الخبائث يعتبر عملا سيئا حتى وان لم يتم تحقيقها لأن « الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » .

في الاسلام : العمل طريق الكسب والامتلاك :

يتجلى تقديس الاسلام للعمل واضحا في أن جعله أساسا للكسب وسببا من أسباب الامتلاك (**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم**) البقرة/٢٦٧ وما اعتراف الاسلام بالملكية الخاصة الا احدى الدلالات على احترام جهود العامل وثمار عمله ، وتشجيعا له على مزيد من العمل في حدود ما شرع الله ، وإعلان

الرسول صلى الله عليه وسلم بأن « من أحيا أرضا ميتة فهي له» رواه احمد دل على ان العمل يترتب عليه بالأساس حق تملك نتائج هذا العمل من العامل ويحسن آن نورد هنا حادثة ذلك الرجل الذي أتى يسأل النبي صلى الله عليه وسلم فأرشده الرسول صلى الله عليه وسلم إلى طريق يتكسب منه .

وأمره أن يبيع الحلى الذي في بيته والقعب الذي يشرب فيه الماء ، فباعهما بدرهمين أنفق درهما منهما على نفسه وأهله ، واشترى بالدرهم الآخر قدوما ، ثم ذهب يحتطب ، وعن طريق هذا العمل ، استطاع الرجل ان يصون نفسه عن ذل السؤال .
ولهذا دلالات كثيرة نشير إلى بعضها :

فهذه الحادثة تحمل دلالات كثيرة نشير الى بعضها فيما يلي :
* حق تملك العامل ثمار جهوده .
* الاسلام يعتبر العمل والاعتماد على النفس أفضل طريق لمحاربة الفقر والاستغناء عن الناس .
* ضرورة ايجاد العمل من طرف الدولة لكل عاطل عنه مع القدرة عليه أو تيسير السبيل أمامه لايجاده بنفسه .
* قبول أي نوع من العمل الشريف من طرف العامل عندما يكون في حالة بطالة معلنة .
* في فترات أزمات الشغل ، يمكن أن يشترك كل من العمال والدولة في ايجاد وسائل الانتاج لصالح العمال .
* ذم المسألة والتواكل مع القدرة على العمل والانتاج .

الاسلام ومعادلة العمل والقيمة :

اذا كانت القيمة التبادلية للسلعة تعزى - عند الاقتصاديين الوضعيين عموما - الى العمل المتمثل فيها وحده ، كما ذهب الى ذلك ماركس ومن قبله ريكاردو فان الاسلام أو الاقتصادي المسلم وان كان يعترف بدور العمل في خلق القيمة التبادلية لأية سلعة الا أنه يأخذ في الاعتبار عوامل أخرى تحتمها طبيعة النظرة الاسلامية الى السلعة .. فكمية العمل التي تتجسد في أية سلعة غير كافية وحدها لتقويمها اذ لا بد أولا من معرفة ما اذا كانت هذه السلعة من الطيبات أم من الخبائث ، فاذا كانت من الخبائث فلا قيمة لها مطلقا مهما استدعى صنعها من ساعات عمل لأنها لا تمثل أية مصلحة داخل المجتمع الاسلامي : قال : صلى الله عليه وسلم - (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميته والخنزير والاصنام) متفق عليه . وحتى اذا كانت هذه السلعة من الطيبات فلا بد من معرفة أي نوع من العمل ذلك الذي أدى الى ايجادها . فقد يقر الاسلام نوعا من السلع لوجود مصلحة بها أو لعدم وجود أي ضرر بها ، ولكن قد يسلك الانسان لأجل ايجادها سبلا لا يقرها الشرع الحكيم . ومن ثم تصبح السلعة مرفوضة لأنها جاءت بطريقة غير شرعية ومعلوم أن في الاسلام « الغاية لا تبرر الوسيلة » .
وأخيرا لا بد من معرفة أية أنواع من الحاجات تلك التي بإمكان السلعة

اشباعها .. بمعنى أن السوق من جانبه هو الآخر يتدخل في تحديد قيمة السلعة ويظهر ذلك في أهمية الاقبال أو الطلب الذي يكون على هذه السلعة أو تلك .

الاسلام ومسألة التوزيع :

ان التوزيع عملية لا بد من التطرق إليها في الاطار المذهبي العام حيث لاتشكل الا حلقة واحدة في سلسلة متماسكة من العمليات الأخرى بمعنى ان التوزيع ليس في النهاية الا نتيجة منطقية لجملة من المبادىء النظرية حول الانتاج والقيمة ونحوهما .

وهكذا فاذا كان الكلاسيكيون يرون أن عملية التوزيع انما تتم بطريقة ميكانيكية وحسب قانون طبيعي يكفل مصالح الجميع فلأنهم يؤمنون بأن هذا القانون هو الذي يحكم الحياة الاقتصادية كلها ومن ثم كانت دعوتهم مثلا الى العمل على توفير المناخ المناسب لأجل أن يعمل هذا القانون بكيفية طبيعية وذلك بتحييد الدولة في المجال الاقتصادي وضمان الحرية الاقتصادية ...

وكذلك اذا كان الماركسيون يرون أن عملية التوزيع يجب أن تتم حسب العمل والعمل وحده فلأنهم يرون ان القيمة التي يراد توزيعها إنما خلقها العمل والعمل وحده .

وفيما يخص النظرية الاسلامية عن التوزيع فانها ايضا تنبع بالضرورة من مبادىء الاسلام العامة ، عن العدالة والتكافل الاجتماعي ونظرته الى الانسان ودوره في الحياة وباجمال فان الاقتصاديين المسلمين يرون ان عملية التوزيع يجب أن تتم حسب **معطيين أساسيين هما** : العمل والحاجة : فأما العمل فيضمن نصيب كل فئة اجتماعية قادرة ليس فقط على توفير معيشتها بل ايضا على توفير الكثير من الكماليات . أما الحاجة فتضمن نصيب الفئات التي لا يمكنها أن تعمل بالمرة لضعف بدني مزمن أو عاهة جسدية أو عقلية وذلك على أساس الكفاية العامة في المجتمع الاسلامي .

وهناك فئات اجتماعية أخرى بين هذه وتلك وهي الفئات التي تستطيع بالكاد توفير ضروراتها وهذه الفئات تعتمد في دخلها على العمل والحاجة معا : فالعمل يكفل لها معيشتها الضرورية والحاجة تدعو وفقا لمبادىء الكفالة والتضامن الى زيادة دخلها بأساليب وطرق محددة في الاقتصاد الاسلامي ليتاح لها العيش بالدرجة العامة من الرفاهة .

إلى الشباب

عبد الرحمن الكواكبي

محمد مؤذن

شخصية العدد

للأستاذ / عبد الله الطنطاوي

كان الأستاذ خالد ـ مدرس التاريخ في ثانوية الكواكبي بحلب . معروفا بآرائه الصريحة التي كان يبثها في نفوس الطلاب في جرأة يحسده عليها المخلصون ، ويخافها عليه المحبون من تلاميذه وزملائه وأصدقائه .

وكان الأستاذ خالد معجبا بأبطال الأمة العربية ، فكان يدرس شخصياتهم وتفاصيل حياتهم ، ويتحدث عنهم في اعتزاز وإعجاب ويقول :

يجب أن ندرس حياة هؤلاء الأبطال الميامين ، ونتعلم منهم ، كما يجب علينا أن نعلم أبناءنا وتلاميذنا الشىء الكثير عن أولئك الرجال العظام وأن نحببهم فيهم ، حتى نتمكن من زرع روح البطولة في نفوسهم ، وننمي الرجولة في شخصياتهم ، ليشبوا رجالا عظاما يعملون على إعادة الأمجاد لأمتهم العربية ، ولشعوبهم المقهورة .

وقف الأستاذ خالد ذات يوم في الصف وقال :

ـ اسمعوا ـ يا أبنائي الطلاب ـ وافهموا كل كلمة أقولها لكم ، فسوف أحدثكم عن شخصية فذة من أبناء مدينتكم حلب ، كان له اثر كبير في تحرير النفوس ، تمهيدا لتحرير البلاد من حكم الغرباء والمستعمرين والمستبدين الظالمين .

سأل أحد الطلاب في اهتمام :
ـ ومن يكون هذا البطل الحلبي يا أستاذ ؟
فأجابه الأستاذ خالد :
ـ إنه المفكر العبقري عبد الرحمن الكواكبي الذي سميت مدرستكم هذه باسمه ، تخليدا لاسمه وآرائه وذكراه .

وتابع الأستاذ خالد يقول :
فقد كان الكواكبي كاتبا أديبا ، ومصلحا سياسيا واجتماعيا عظيما يحق لأبناء العروبة أن يعتزوا به ، ويقرأوا كتبه بإمعان ، ويتشبعوا بمعاني الحرية التي كان يقدسها ويعتبرها أعظم نعمة من بها الله على الانسان ، وأن يكونوا أعداء اشداء على الظالمين والمستبدين ، سواء أكانوا من العرب أم من الأجانب ، وألا يرضوا بحكم الغريب مهما كانت الظروف والمسوغات (المبررات) .

وقد دفع الكواكبي راحته وماله ومستقبله ثم حياته كلها ثمنا لآرائه الجريئة هذه ، فقد تألب عليه الحكام وأذنابهم والخونة وأتباعهم ، فسجنوه وصادروا أمواله وطاردوه من بلد الى بلد حتى تمكنوا من سمه فمات شهيدا مسموما في مصر ، وعمره لا يتجاوز ثمانيا وأربعين سنة فقط .. تصوروا يا أبنائي ، خلال هذا العمر تمكن الكواكبي من أن يملأ الدنيا ويشغل الناس بما كان يكتب ويخطب ويدعو إليه من رأي حصيف يدل على عقل راجح .

قال أحد التلاميذ ، وكان تلميذا مبرزا ذكيا .
ـ لقد حدثتنا ـ ياسيدي ـ عن الكواكبي كلاما عاما ، وقد شوقتنا لسماع تفاصيل حياته . فهل نطمع منك ـ يا أستاذ ـ في سرد تفصيلات حياة هذا الرجل العظيم ؟

ابتسم الأستاذ خالد لأنه استطاع أن يثير اهتمام تلاميذه بهذه المقدمة ، ثم اتخذ هيئة جادة وقال :
ـ أجل يا أبنائي .. لكم ما تطلبون ، فاسمعوا وعوا ما اقوله لكم :
ولد عبد الرحمن الكواكبي في مدينة حلب ، وفي حي الجلوم الجواني . عام ١٨٥٤ في اسرة عرفت بالعلم ، والفضل والأدب والدين كان جده مسعود شاعرا ، وكان أبوه عالما يدرس في الجامع الأموي الكبير بحلب ، ويتولى ادارة المدرسة الكواكبية التي أنشأها على غرار الجامع الأزهر وكانت حلب ولاية مهمة من ولايات الدولة العثمانية فكان والي حلب يحمل رتبة وزير او مشير أو باشا .

وكان للولاة صلاحيات مطلقة ، وأحكامهم قطعية ، وكانوا يأخذون

أموال الناس عن طريق الرشوة والهبات والاغتصاب .. ومع ذلك كانت حلب مدينة العلم والعلماء ، وكان فيها اول مطبعة عربية أنشئت في الشرق ، فقد اسست في العشر الأول من القرن الثامن عشر وكان فيها جرائد ومجلات ومدارس ومعاهد ومكتبات كثيرة .. وفي هذه البيئة الثقافية ، يا أبنائي ، نشأ الكواكبي ، فأتقن اللغة العربية والتركية والفارسية ، وأخذ العلوم العربية والأدبية والشرعية والتاريخية على أيدي كبار العلماء بحلب ، ولكنه لم يكتف بما أخذ عن هؤلاء ، بل أكب على القراءة والتحصيل العلمي ، حتى أنه ما كان يأنف أن يأخذ العلوم العصرية عن أولاده التلاميذ . وكان يجتمع بأصدقائه العلماء والأدباء والشعراء ، ويتداولون في الشؤون الثقافية والسياسية والاجتماعية ، فكان بهذا مثال العالم الساعي الى خير شعبه وأمته .

سأل التلميذ عادل :

ـ هل كان لأمه دور في تربيته يا أستاذ ؟

أجاب الأستاذ خالد :

ـ نسيت أن اقول لكم ـ يا أبنائي ـ إن أمه توفيت وهو ابن ثلاث سنين فأخذته خالته وربته عندها في إنطاكية ، وكانت خالته هذه من نوادر النساء مشهورة بأدبها وذوقها وكبر عقلها ، وكان أبوها مفتيا في انطاكية ، وكان لها أثر عظيم في تربية الطفل عبد الرحمن الكواكبي .

وكان للمكتبات العامة والخاصة في حلب أكبر الأثر في تكوين شخصية الكواكبي ، خاصة أن أهل حلب يعتقدون أن الكتب تجلب الرزق فكان يستكثر من اقتناء الكتب .

قال التلميذ :

ـ كنا نظن ـ يا أستاذ ـ أن المطابع والجرائد والمدارس لم تكن موجودة في عصر الكواكبي .

فرد عليه الأستاذ خالد قائلا :

ـ قلت لكم : إن أول مطبعة في الشرق كانت في حلب ، ثم تلتها عدة مطابع أخرى لايزال بعضها موجودا حتى الآن في حلب والكواكبي نفسه اسس في حلب جريدتين هما : جريدة الشهباء سنة ١٨٧٧ ثم جريدة الاعتدال سنة ١٨٧٩ وكان قد جلب مطبعة حجرية من استانبول عام ١٨٧٨ لطباعة جريدتيه ، ولكن الحكومة العثمانية ضبطتها وصادرتها كما عطلت له الجريدتين ، لأنه كان يدعو فيهما الى الحرية والثورة على الظلم والظالمين .

وكان نصيرا للفلاحين ، ويدعوهم الى الثورة على الاقطاعيين وكان

متواضعا للبائسين والفقراء ، وكان متكبرا على الأغنياء ، والحكام ويناصر الضعفاء عليهم .

وكان في حلب ـ يا أبنائي ـ جريدة ثالثة ، وفي سنة ١٩١١ بلغ عدد الجرائد والمجلات في حلب وحدها تسع عشرة صحيفة .

سأل احد الطلاب :

ـ ألم يعمل الكواكبي في وظائف الدولة يا أستاذ ؟

فأجاب الأستاذ خالد :

ـ بلى يا بني ، لقد عمل الكواكبي في عدة وظائف حكومية ، فقد عمل محررا في احدى الصحف الرسمية ، ثم رئيسا لكتاب المحكمة الشرعية ، ثم قاضيا شرعيا ، ثم رئيسا لبلدية حلب ، ولكنه لم يكن يحرص على الوظيفة فانتقل الى العمل في الصحافةتارة ، وفي التجارة والمشاريع العمرانية مرات وكان في كل مايعمل نزيها ، عادلا ، مستقيما يسعى في قضاء حاجات الناس ، ويواجه مايعترضه من مشكلات بشجاعة ، لأنه كان يحب الحق ، ويضحي من أجل المبدأ والفضيلة ..

وقد ندد الكواكبي في افتتاحية العدد الأول من جريدته (الشهباء) بتصرفات الحكومة ، وفضح سوءآت الموظفين وبين ما تحتاج إليه الأمة من إصلاحات يتغافل الحكام عن القيام بها ، من نشر الأخلاق الفاضلة ، والتمسك بأهداب الدين الحنيف ، وتوسيع دائرة المعارف ، بنشر الابحاث العلمية التي سبقنا بها الأوروبيون ، والأبحاث السياسية لتوعية الشعب ، ليعرف حقوقه وواجباته .. الأمر الذي جعل الحكام يضيقون به وبآرائه ، ويضايقونه فعطلوا له جريدة (الشهباء) فأغلقوها وصادروها مع مطبعته الحجرية ، عندئذ قرر الكواكبي مغادرة حلب الى مصر ، هربا من رقابة العثمانيين على قلمه الحر .

سأل التلميذ احمد أستاذه قائلا :

ـ ولماذا إلى مصر يا أستاذ ؟ ألم تكن مصر تابعة للدولة العثمانية ؟

فأجاب الأستاذ خالد في حزن :

ـ كانت مصر ـ يا أحمد ـ بعيدة عن التسلط التركي ، وكانت قد بدأت فيها نهضة أدبية وفكرية وسياسية وفنية ، فهاجر إليها كثيرون من أحرار العرب ، وأسسوا فيها المطابع والجرائد والمسارح ، وكان قد ظهر فيها مفكرون عباقرة من أمثال جمال الدين الافغاني وتلميذه محمد عبده ، ورشيد رضا ، وغيرهم وغيرهم ، ولكنها ـ للأسف ـ كانت واقعة تحت سيطرة الاستعمار الانكليزي .

قال أحمد :

ـ وهل كان الكواكبي عدوا للأتراك وصديقا للانكليز يا أستاذ ؟

فأجاب الأستاذ خالد في جدية واهتمام :

ـ لا ـ يا أحمد ـ الكواكبي ما كان يحارب الاتراك لأنهم أتراك وإنما كان يحارب الاستبداد السياسي لدى الأتراك وتسلطهم على العرب وتخلفهم ، ووقوفهم في وجه الأفكار الحرة .

وأستطيع أن أقول لكم : إن الكوّاكبي قد تألم من زحف الاستعمار الأوروبي على الشرق للاستيلاء على تركة (الرجل المريض) وهذا هو الاسم أو الوصف الذي كان يطلقه الأوروبيون على الدولة العثمانية ـ ولذلك . كان يهاجم المستعمرين والحكام الغرباء ، وكان يستثير الهمم لتقف الشعوب العربية والاسلامية ضدهم ولتطردهم من بلادها ، لأنهم حكام غرباء وظلام ومتسلطون .

وفي مصر ـ يا أبنائي ـ اتصل الكواكبي بالأدباء والمفكرين والسياسيين والصحفيين ، وراح يكتب في الصحف بتوقيع مستعار ، كـان باسم (الرحالة : ك) إشارة الى الحياة المضطربة غير المستقرة التي كان يعيشها ، فقد كان الكواكبي كثير الأسفار والتنقل في الدول الآسيوية والافريقية ، كما كان يخفي اسمه كيلا يتعرض هو وأهله لا نتقام الحكام الظالمين في حلب وفي مصر .. ومن هذه المقالات كان كتابه الرائع : (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) الذي دعا فيه إلى الحرية بجرأة وشجاعة نادرتين ، فقد استعمل فيه ذكاءه ، وصب فيه تجاربه واطلاعه الواسع على أحوال الشعوب المقهورة ، ونقد **فيه الحكومات الاسـلامية**

وهذه الموضوعات كانت محرمة على الكتاب والمفكرين ، ولا يجرؤ على الكتابة فيها إلا من كان مثل الكواكبي شجاعة وثقافة وقوة حجة ، وقد بين سبب تأليفه هذا الكتاب فقال : « أردت بذلك تنبيه الغافلين لمورد الداء الدفين ، عسى أن يعرف الشرقيون أنهم هم المتسببون لما هم فيه فلا يعتبون على الأغيار (أي أحداث الدهر المتغيرة) ولا على الأقدار .

إن الكواكبي ـ يا أبنائي ـ كان يرى أن الاستبداد مفسد للأخلاق ، ومفسد للتربية ، وعدو لدود للعلم والعلماء ، لذلك كان يدعو أبناء الأمة الى العلم والى التخصص في العلوم العملية ليلحقوا بركب الحضارة كما كان يرفع شعار الاصلاح والتطهير في مجال العقائد الدينية لأن الاسلام بريء من كل ما ينسب إليه من تواكل وعادات فاسدة وخرافات مضلة ، كما يرى أن تعاليم الاسلام إذا تمسك بها الناس فإنها سوف تميت الاستبداد ، وتحيي العدل ، ومن أجل أن يتحقق هذا لا بد من حرية البحث والبحث العلمي .

وكانت هناك خرافة تقول : إن الأمة تحتاج إلى المستبد العادل ، فتصدى لهذه الخرافة وقال : ليس هناك مستبد عادل ، فالاستبداد ضد العدل ، والمستبد يعشق الخيانة ، ولذلك يخون الحكام المستبدون .

قال التلميذ جلال .

ـ نريد أن نرى كتاب (طبائع الاستبداد) يا أستاذ .

وقال تلميذ آخر :

ـ نريد أن تسمعنا بعض النصوص من كتاب (طبائع الاستبداد) ياأستاذ .

وهنا فتح الأستاذ خالد محفظته وأخرج منها كتاب : (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) وفتحه وراح يقرأ : « ياقوم .. ما هذا التفاوت بين أفرادكم ؟ وقد خلقكم ربكم أكفاء (أي متماثلين) في البيئة أكفاء في القوة ، أكفاء في الطبيعة ، أكفاء في الحاجات ، لا يفضل بعضكم بعضا إلا بالفضيلة ، ولا ربوبية بينكم ولاعبودية ، والله،ليس بين صغيركم وكبيركم غير برزخ (اي حاجز) من الوهم » .

« متى تستقيم قاماتكم ؟ وترتفع من الأرض إلى السماء أنظاركم ؟ وتميل الى التعالي نفوسكم ؟ فيستقل كل إنسان منكم بذاته ، ويملك إرادته واختياره ؟ » .

وقال الكواكبي في موضع آخر : « أطلقت الأمم الحرة حرية الخطابة والتأليف والمطبوعات ، مستثنية القذف فقط .. ورأت أن تحمل مضرة الفوضى في ذلك ، خير من التحديد ، لأنه لاضامن للحكام أن يجعلوا الشعرة من التقييد سلسلة من حديد ، يخنقون بها عدوتهم (الطبيعة) اي الحرية وقد حمى القرآن الكريم قاعدة الاطلاق بوضعه قاعدة « **ولا يضار كاتب ولا شهيد** » سورة البقرة آية ١٨٢ .

وقال الكواكبي في موضع اخر من كتابه هذا « ترتعد فرائص المستبد من علوم الحياة ، مثل الحكمة النظرية ، والفلسفة العقلية وحقوق الأمم ، وسياسة المدنية ، والتاريخ المفصل ، والخطابة الأدبية

وغيرها من العلوم الممزقة للغيوم ، المبسقة للشموس ، المحرقة للرؤوس »

« المستبد لا يخاف من العلوم كلها ، بل من التي توسع العقول وتعرف الانسان ما هو الانسان ، وما هي حقوقه ، وهل هو مغبون ؟ وكيف الطلب ؟ وكيف النوال ؟ وكيف الحفظ ؟ »

وقال الكواكبي ايضا « يسعى العلماء في نشر العلم ، ويجتهد المستبد في إطفاء نوره ، والطرفان يتجاذبان العوام .. ومن هم العوام ؟

« هم أولئك الذين إذا جهلوا خافوا ، وإذا خافوا استسلموا ، وهم الذين متى علموا قالوا ، ومتى قالوا فعلوا »

وقال الأستاذ خالد وهو يقلب صفحات كتاب (طبائع الاستبداد) .

ـ وكان الكواكبي ـ يا أبنائي ـ عدوا للجمود ، وداعيا إلى التطور والتجديد في كل شيء ، اسمعوه يقول : إن الخور (اي الضعف) علة معدية تسري من الشيوخ الى الشباب ومن الطبقة العليا الى العامة وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة والخمول وسقوط الهمة والدناءة والاستسلام ، فيتركون أهل النشأة الجديدة (أي الشباب) وشأنهم » .

وهو ـ بهذا يا ابنائي ـ يدعو الأدباء والمفكرين إلى الثورة على هؤلاء الجامدين .

وسأل تلميذ آخر الأستاذ قائلا :

ـ وما اسم الكتاب الثاني الذي ألّفه الكواكبي في مصر ياأستاذ ؟

وأجاب الأستاذ على تساؤل التلميذ قائلا :

ـ اسم الكتاب الثاني (أم القرى) وقد بحث في هذا الكتاب العديد من المشكلات الشعبية وأدواء الشعوب « جمع داء » ، وترك التركيز على أنظمة الحكم واستبداد الحكام الى كتابه الأول الذي حدثتكم عنه وقد نقد في هذا الكتاب الشعوب الاسلامية .

وأراد أن تفهم الشعوب حقوقها والواجبات المترتبة عليها ، بل اتبع فيه اسلوب المحاورات فتخيل جمعية سرية عقدت مؤتمرا لها في (أم القرى) أي في مكة المكرمة .

وضم هذا المؤتمر ثلاثة وعشرين مفكرا يمثلون مختلف الدول والأقليات الاسلامية في العالم ، وناقش المؤتمرون داء الأمة الاسلامية وسبب تخلفها فوجدوا أن (الركود) هو الداء وهو سبب التخلف والضياع ، ثم بحثوا علاج هذا الداء ، فوجدوه في تسليم قيادة الأمة الاسلامية الى العرب .. يعني يا أبنائي ـ أن هذا الكتاب هو عبارة عن محاضر الجلسات لذلك المؤتمر .

وهذا الكتاب ـ يا أبنائي ـ يدل على كبر عقل الكواكبي ، وعلى قوة تفكيره ، وسعة اطلاعه ، وصدق غيرته على العالم الاسلامي ، وثقته بالعرب وبقيادتهم التاريخية ، وبوجوب إسناد قيادة الأمة الاسلامية إليهم ، لتنهض الأمة من كبوتها وتخلفها ..

وتابع الأستاذ خالد يقول في نهاية الدرس :

ـ هذا النشاط الذهني ، وهذه الآراء الجريئة ـ يا أبنائي ـ لم ترق للحكام الأتراك ، فأرسلوا إليه من يدس له السم في كأس شاي كان يشربه مع ثلة من زملائه المفكرين والسياسيين في إحدى المقاهي في القاهرة وقد قال لصديقه التاجر الحلبي الذي كان يشرب معه الشاي : لقد سموني يا عبد القادر ، ثم فارق الحياة بعد لحظات في بيته الذي كان يسكنه في القاهرة ، وشيع جثمانه في اليوم التالي ودفن في القاهرة سنة ١٩٠٢ وكتبوا على قبره : هذا قبر الشهيد عبد الرحمن الكواكبي ..

وتابع الأستاذ خالد كلامه قائلا :

ـ وفيما كان جثمانه يحمل إلى قبره في القاهرة ، كانت الشرطة تداهم بيته في حلب ، وقد فتشته تفتيشا دقيقا ، واخذوا أوراقه وكتبه المخطوطة واعدموها ..

واتخذ الأستاذ خالد سمتا مهيبا وقال :

ـ لمثل هذا فليعمل العاملون يا تلاميذي النجباء .

قراءة في الفكر الغربي

البطولة في مستوياتها العليا

للدكتور/ عماد الدين خليل

كلنا نعرف الكاتب الانكليزي الشهير توماس كارلايل (١٧٩٥ - ١٨٨١م) من خلال كتابه المعروف (الابطال) ، لكن الكثيرين منا لا يكادون يعرفون شيئا عما قاله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفصل القيّم الذي خصصه له .

وليس هذا المقال بطبيعة الحال مجالا لمتابعة وتحليل مفهوم كارلايل للبطولة ولموقع رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، إنما نريد أن نؤشر على بعض تقويمات الرجل للنبي الذي يمثل البطولة الانسانية في مستوياتها العليا .

المحور الاول الذي تدور حوله معطيات كارلايل هو صدق محمد عليه

الصلاة والسلام ، اذ لا يمكن بحال من الأحوال أن يتمكن من زعزعة عالم بكامله من الأضاليل والأوهام ، وان يقيم بدلا منه عالما آخر تماما ، ينتمي إليه ملايين المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها دون ان تكون دعوته قائمة على الصدق ، مبنية بمفرادته . انه يتساءل : « ... هل رأيتم قط أن رجلا كاذبا يستطيع ان يوجد دينا عجبا ؟ » ثم يجيب : كلا !! « فإنه لا يقدر ان يبني بيتا من الطوب ! فهو إذ لم يكن عليما بخصائص الجير والجص والتراب وما شاكل ذلك ، فما ذلك الذي يبنيه ببيت وانما هو تل من الانقاض وكثيب من أخلاط المواد ، وليس جديرا أن يبقى على دعائمه اثني عشر قرنا يسكنه [مئات الملايين] من الأنفس ، ولكنه جدير أن تنهار اركانه فينهدم فكأنه لم يكن . واني لأعلم أن على المرء أن يسير في جميع اموره طبق قوانين الطبيعة وإلا أبت أن تجيب طلبته » . وما يلبث كارلايل ان يخلص الى النتيجة التالية التي تأتي أمرا منطقيا إزاء المقدمات التي طرحها « كذب مايذيعه أولئك الكفار وإن زخرفوه حتى تخيلوه حقا ... ومحنة أن ينخدع الناس شعوبا وأمما بهذه الاضاليل » .

ثم هو يستمد من استقراء تفاصيل حياة محمد صلى الله عليه وسلم قبل البعثة دليلا آخر على صدق دعوته ، فإن « مما يبطل دعوى القائلين أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن صادقا في رسالته ... أنه قضى عنفوان شبابه وحرارة صباه في تلك العيشة الهادئة المطمئنة [مع خديجة رضي الله عنها] لم يحاول اثناءها إحداث ضجة ولا دوي مما يكون وراءه ذكر وشهرة وجاه وسلطة .

ولم يك الا بعد ان ذهب الشباب وأقبل المشيب أن فاربصدره ذلك البركان الذي كان هاجعا وثار يريد امرا جليلا وشأنا عظيما » .

كما أنه يستمد من خصائصه الاخلاقية والنفسية والذهنية ، ومن صدق العقيدة التي حمل أمانتها ، وطرائق تلقيها ، وتساوقها مع أسرار الوجود ، وهما امران يشكلان المحورين الآخرين اللذين سنتحدث عنهما بعد قليل ، يستمد من هذا وذاك دلائل وبراهين أخرى على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد كان في فؤاد ذلك الرجل الكبير ، ابن القفار والفلوات ، العظيم النفس ، المملوء رحمة وخيرا وحنانا وبرا وحكمة وحجى ونهى ، افكار غير الطمع الدنيوي ، ونوايا خلاف طلب السلطة والجاه . وكيف وتلك نفس صامتة كبيرة ورجل من الذين لا يمكنهم الا ان يكونوا مخلصين جادين ، فبينما نرى آخرين يرضون بالاصطلاحات الكاذبة ويسيرون طبق اعتبارات باطلة ، اذ نرى محمدا « صلى الله عليه وسلم » لم يرض أن يلتفع

بالاكاذيب والأباطيل . لقد كان منفردا بنفسه العظيمة وبحقائق الأمور والكائنات ، لقد كان سر الوجود يسطع لعينيه بأهواله ومخاوفه ومباهره ، ولم يك هنالك من الاباطيل ما يحجب ذلك عنه ، فكأنه لسان حال ذلك السر الهائل يناجيه : ها أنذا . فمثل هذا الاخلاص لا يخلو من معنى الهي مقدس ، وما كلمة مثل هذا الرجل الا صوت خارج من صميم قلب الطبيعة ، فإذا تكلم فكل الآذان برغمها صاغية وكل القلوب واعية ، وكل كلام ما عدا ذلك هباء وكل جدل جفاء » .

وعلى ضوء هذا كله يتساءل مرة اخرى « أيزعم الكاذبون انه الطمع وحب الدنيا هو الذي أقام محمدا (صلى الله عليه وسلم) وأثاره ؟ » ويجيب بمفردات تحمل بنفسها احتقاره البالغ لهذا الادعاء « لنضرب صفحا عن مذهب الجائرين القائل ان محمدا كاذب [وحاشاه] ونعد موافقتهم عارا وسبة وسخافة وحمقا ، فلنر بأنفسنا عنه ولنترفع » .

وما يلبث ان يخلص الى القول الفصل الذي لا تكتنفه شبهة ولا تشوبه شائبة « ما كان محمد (صلى الله عليه وسلم) بعابث قط ، ولا شاب شيئا من قوله شائبة لعب ولهو ، بل كان الأمر عنده أمر خسران وفلاح ومسألة فناء وبقاء . ولم يك منه ازاءها إلا الاخلاص الشديد والجد المر . فأما التلاعب بالاقوال ، والقضايا المنطقية ، والعبث بالحقائق ، فما كان من شأنه قط » .

إن الأمر أكبر بكثير وأخطر بكثير من أن يتجاوز دائرة الصدق المطلق ... انه موقف يتعلق بمصير البشرية كلها ، امر خسرانها وفلاحها ، ومسألة فنائها وبقائها ، وهو من ثم يحمل جديته البالغة التي تتهافت ازاءها وتتضاءل عند سفوحها الدنيا ادعاءات الادعياء وهزل الهازلين .

وكارلايل يعرف جيدا أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه لم يتلق درسا على أحد أو يأخذ تعليما من أستاذ ... إن فطرته النقية كالبللور ... صدقه الباطني ورغبته المتأصلة في البحث عن الحق ، وتجاوز مواقع الباطل ومظان الاوهام والاضاليل ... ذهنه المتوقد كالنار والذي لم يكف خفقانه لحظة وهو يبحث عن اصل الوجود وسبب الأسباب ومنشىء السنن والنواميس ... ان هذا كله ، متدفقا من سريرة لا تعرف ميلا ولا التواء ، هو الذي جعل محمد بن عبدالله يقلب ابصاره في الكون والعالم والظواهر والاشياء آناء الليل واطراف النهار من أجل أن يرسو على شاطىء يرتاح له عقله وتطمئن إليه نفسه ويسعد وجدانه .

إنها بلا ريب ارادة الله أن ينفخ في هذا الرجل العظيم بذرة القلق تهيئة وتمهيدا ليوم الفصل ، يوم اللقاء الكبير الحاسم بين وحي الله ورسوله الأمين .

ان كارلايل يقف عند هذه المسألة ، يقلبها على وجوهها ، ويرسم من تفاصيلها ومنحنياتها العجيبة الفذة ملمحا آخر من ملامح بطولة الرجل ـ النبي الذي قدر له ان ينجح في امتحان البحث عن الحق وان يبعث الى العالم كي يقوده الى الصراط .

وهو بهذا يعمق خطوط الملمح الأول ويضيف عليه « إن محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يتلق دروسا على استاذ أبدا ، وكانت صناعة الخط حديثة العهد إذ ذاك في بلاد العرب ، ويظهر لي ان الحقيقة هي ان محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يكن يعرف الخط والقراءة ، وكل ما تعلّم هو عيشة الصحراء واحوالها وكل ما وفق الى معرفته هو ما أمكنه أن يشاهده بعينيه ويتلقى بفؤاده من هذا الكون، العديم النهاية ... انه لم يعرف من العالم ولامن علومه الا ما تيسر له ان يبصره بنفسه أو يصل الى سمعه في ظلمات صحراء العرب ... ولم يضره ... أنه لم يعرف علوم العالم ، لا قديمها ولاحديثها ، لأنه كان بنفسه غنيا عن كل ذلك .

ولم يقتبس محمد (صلى الله عليه وسلم) من نور اي انسان آخر ، ولم يغترف من مناهل غيره ولم يك في جميع أشباهه من الانبياء والعظماء ـ أولئك الذين اشبههم بالمصابيح الهادية في ظلمات الدهور ـ من كان بين محمد وبينه ادنى صلة . وإنما نشأ وعاش وحده في أحشاء الصحراء ... بين الطبيعة وبين افكاره » .

انها القدرة الذاتية التي منحه الله إياها ، الاستغناء المطلق عن اي مخلوق والتلقي المطلق عن الله وحده ... فأية أمانة هذه التي ناءت بها السماوات والارض واختير لها الرجل ؟ وأية بطولة يمكن ان تسامت هذه البطولة أو تبلغ خطواتها الاولى ؟ « لقد كان (صلى الله عليه وسلم) منفردا بنفسه العظيمة ، وبحقائق الامور والكائنات ، لقد كان سر الوجود يسطع لعينيه باهواله ومخاوفه ومباهرة » .

ويواصل كارلايل رحلته مع الرجل ـ النبي الذي كان يجابه وحيدا اغاميض الكون والوجود ببطولة نادرة فيقذف هذه الاغاميض بألف سؤال عله يحظى بالجواب الموعود « وما زال محمد (صلى الله عليه وسلم) منذ

ايام رحلاته وأسفاره يجول بخاطره آلاف من الافكار : ماذا أنا ؟ وماهي الحياة ؟ وما هو الموت ؟ وماذا اعتقد ؟ وماذا افعل ؟ وهذا ما ينبغي لكل انسان أن يسأل عنه نفسه . فقد احس ذلك الرجل القفري ان هذه كبرى المسائل وأهم الامور وكل شيء عديم الأهمية في جانبها . انه في واد (والناس) في واد يعمهون في ضلالهم ، وهو ماثل بين يدي الطبيعة،قد سطعت لعينيه الحقيقة الهائلة ، فإما ان يجيبها والا فقد حبط سعيه وكان من الخاسرين .. » .

ومن وراء كل المظاهر الكاذبة ، من وراء كل الأضاليل والمذاهب والفلسفات المخادعة ـ من وراء ضباب الزيف وعتمة الأوهام التي غطت على العالم من اقصاه إلى اقصاه ، قدر محمد صلى الله عليه وسلم ان ينفذ برؤيته الى الحق ... لقد كان ينظر ، كما يقول كارلايل « من وراء اصنام العرب الكاذبة ، ومن وراء مذاهب اليونان واليهود ورواياتهم وبراهينهم ومزاعمهم وقضاياهم ... بقلبه البصير الصادق وعينه المتوقدة الجلية الى لباب الامر وصميمه ، وقال في نفسه : الوثنية باطل ، وهذه الاصنام لا تضر ولا تنفع ، وهي منكر وكفر ، انما الحق أن لا اله الا الله وحده لا شريك له » .

تلك كانت نهاية مرحلة وبدء مرحلة اخرى ... لقد اريد للرجل الذي ظل يبحث عن الحق عشرين سنة ان يبعث الى العالم كله لكي يقوده الى الصراط ... وكان الامر في كلتا المرحلتين يتطلب بطولة من نوع فريد ... ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم جديرا بهذه البطولة ، كفئا لها ..

حتى اذا ما بلغنا خصائص الرسول الخلقية عليه الصلاة والسلام ، لكي نرى ماذا يقول كارلايل وهو يعاينها ويتملاها ، فإننا سنلتقي بخط آخر من خطوط هذه الشخصية المتفردة ... خط يتضمن هو الآخر قيم البطولة في مستوياتها العليا التي لم يكن احد اقدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم على التخلق بها .

فمنذ البداية « لوحظ على محمد « صلى الله عليه وسلم » انه كان شابا مفكرا ، وقد سماه رفقاؤه الامين ـ رجل الصدق والوفاء ـ الصدق في مقاله واقواله وافكاره . وقد لاحظوا انه ما من كلمة تخرج من فيه الا وفيها حكمة بليغة . واني لأعرف عنه أنه كان كثير الصمت يسكت حيث لا موجب للكلام فإذا نطق فما شئت من لب وفضل واخلاص وحكمة ، لا يتناول غرضا فيتركه إلا وقد أنار شبهته وكشف ظلمته ... وقد رأيناه طول حياته رجلا راسخ المبدأ صارم العزم بعيد الهم كريما برا رؤوفا تقيا فاضلا حرا ، رجلا شديد

الجد مخلصا ، وهو مع ذلك سهل الجانب لين العريكة ، جم البشر والطلاقة ، حميد العشرة ، حلو الإيناس ، بل ربما مازح وداعب ، وكان على العموم تضيىء وجهه ابتسامة مشرقة من فؤاد صادق ... وكان ذكي اللب ، شهم الفؤاد عظيما بفطرته ، لم تثقفه مدرسة ولا هذبه معلم ، وهو غني عن ذلك ... فأدى عمله في الحياة وحده في اعماق الصحراء » .

ان بعضا من هذه الخصائص قد تجتمع في شخص فيكون عظيما ، فكيف بها جميعا ؟ هذا إلى ان هذه المجموعة الكبيرة المتنوعة من القيم الخلقية والتي قد يذهب بعضها يمينا بينما يذهب بعضها الآخر شمالا ، يصعب ان تجتمع وتتلاءم في شخصية واحدة ، بل إننا لنجد الكثير من الأبطال ، عبر التاريخ ، يتألقون في جانب وينطفئون في جانب آخر، بل قد يذهب بهم التناقض الى ماهو اركس من الانطفاء ... انه الطغيان والتجبر والشذوذ والاعجاب بالذات ، والانحراف ـ احيانا ـ صوب انفصام الشخصية وربما الجنون ... ونحن نسمع كثيرا بهذا التعبير المحزن الذي جر على الشعوب والجماعات المآسي والويلات : جنون العظمة ..

اما هنا ، ازاء شخصية رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام ، فإننا نجد شيئا عجبا ... تناغما بين حشود القيم والخصائص لم تتهيأ لانسان من قبل ومن بعد ، ولم يكن ذلك الامر العجيب فلتة عابرة او صدفة تغرم بالاستثناءات ولكنها إرادة الله سبحانه شاءت ان يتحقق هذا الوفاق العظيم للرجل الذي سيحمل الرسالة الاخيرة ، ويغير العالم ، وتدين لطاعته ومحبته وإجلاله مئات الملايين من المؤمنين في مشارق الارض ومغاربها .

من أجل ذلك يعلن كارلايل الذي تبهره هذه الشخصية « إني لأحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع . ولقد كان ابن القفار هذا رجلا مستقل الرأي لا يعول الا على نفسه ولا يدعي ما ليس فيه . ولم يك متكبرا ، ولكنه لم يكن ذليلا فهو قائم في ثوبه المرقع كما اوجده الله وكما أراد ، يخاطب بقوله الحر المبين قياصرة الروم وأكاسرة العجم ، يرشدهم الى ما يجب عليهم لهذه الحياة وللحياة الآخرة ، وكان يعرف لنفسه قدرها . وكان رجلا ماضي العزم لا يؤخر عمل اليوم إلى غد .. » .

ويمضي كارلايل يستعرض جملة اخرى من خصائص رسول الله الاخلاقية ومن القيم التي تشربت بها نفسه فاستحالت امرا واقعا ، وحياة منظورة ، وتجربة معاشة ، وليس مجرد مثل معلقة في السماء تدعى ولا تجد طريقها للتنفيذ فيكون الازدواج وتكون الثنائية التي عرفها التاريخ عن كثير من زعمائه وابطاله . اما ها هنا فإنه التوحد الذي لا يعرف كسرا ، والالتئام الذي لا يحتمل شرخا ، ولنستمع الى كارلايل وهو يقول « ما كان محمد

(صلى الله عليه وسلم) أخا شهوات برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا ، وشد مانجور ونخطىء اذا حسبناه رجلا شهويا لا هم له الا قضاء مآربه من الملاذ ، كلا ! فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أيا كانت . لقد كان زاهدا متقشفا في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر اموره وأحواله ، وكان طعامه عادة الخبز والماء ، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار ... وكان يصلح ويرفو ثوبه بيده ، فهل بعد ذلك من مكرمة ومفخرة ؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد في الله ، قائم النهار ساهر الليل ، دائب في نشر دين الله ، غير طامح الى ما يطمح اليه أصاغر الرجال من رتبة أو دولة أو سلطان ، غير متطلع إلى ذكر أو شهرة كيفما كانت . رجل عظيم ... وإلا فما كان ملاقيا من أولئك العرب الغلاظ توقيرا واحتراما واكبارا واعظاما ، وما كان يمكنه ان يقودهم ويعاشرهم معظم اوقاته ، ثلاثا وعشرين حجة ، وهم ملتفون به ، يقاتلون بين يديه ويجاهدون حوله . لقد كان في هؤلاء العرب جفاء وغلظة ، وكانوا وعري المقاد صعاب الشكيمة ، فمن قدر على رياضتهم وتذليل جانبهم حتى رضخوا له واستقادوا فذلكم بطل كبير ، ولولا ما ابصروا فيه من آيات النبل والفضل لما خضعوا له ولا اذعنوا ، وكيف وقد كانوا اطوع له من بنانه ؟ وظني انه لو كان اتيح لهم بدل محمد (صلى الله عليه وسلم) قيصر من القياصرة بتاجه وصولجانه لما كان مصيبا من طاعتهم مقدار ما ناله محمد (صلى الله عليه وسلم) في ثوبه المرقع بيده . فكذلك تكون العظمة وهكذا تكون الابطال ! » .

وما أروع أن نختتم مقالنا هذا بهذه الصورة (الانسانية) المؤثرة التي تهز وجدان كارلايل فيعلن اخوة الرسول صلى الله عليه وسلم للبشرية جمعاء !

« لما استشهد مولاه زيد بن حارثة في غزوة مؤته (٨ هـ) قال محمد (صلى الله عليه وسلم) لقد جاهد زيد في الله حق جهاده ، ولقد لقي الله اليوم فلا بأس عليه . ولكن ابنة زيد وجدته بعد ذلك يبكي ! وجدت الرجل الكهل الذي دب في رأسه المشيب يذوب قلبه دمعا ! فقالت : (ماذا ارى ؟) قال : (صديق يبكي صديقه !)

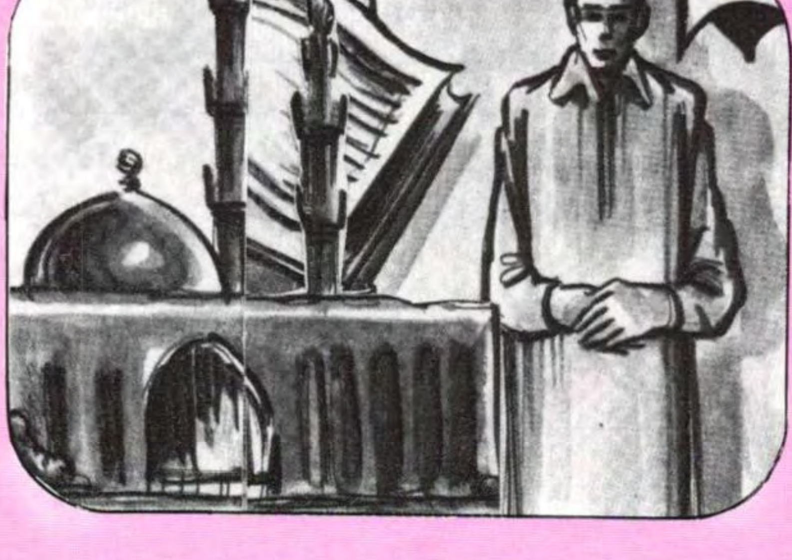
« مثل هذه الاقوال وهذه الافعال ترينا في محمد (صلى الله عليه وسلم) أخا الانسانية الرحيم ، اخانا جميعا الرؤوف الشفيق ، وابن امنا الاولى وابينا الأول » .

الفتاوى

وضع اليدين في الصلاة

القارىء على السيد وافي من بار الحمام مركز بسيون غربية يسأل عن حكم الاختلاف في وضع اليدين بالنسبة للمصلى وما الحكمة في ذلك ؟

الامور التعبدية علينا أن نلتزم بها ما دامت قد وردت في صفة صلاة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، فنحن مأمورون بالاقتداء به فيها ، ولو نظرنا في اعمال الحج نجد فيها امورا تعبدية قد تخفى علينا الحكمة في فعلها كتقبيل الحجر الاسود مثلا ، ولذا نجد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول وهو يقبل الحجر الاسود ، « لولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك لأني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع » ومع وجوب الاقتداء والتسليم تلمس العلماء بعض الحكم من وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى في الصلاة ، وقالوا لعل الحكمة من هذه الهيئة ضم أطراف المصلى اليه لئلا يكون لأطرافه حرية الحركة في الصلاة ، والشرع أمر بعدم



الاكثار من الحركة وعدم الالتفات في الصلاة ، وهذا الوضع يساعد المصلى على الانتباه ومن حكمة ذلك ايضا توفر الخضوع : فكما أن المطلوب في الصلاة خضوع القلب وخشوعه فالمطلوب كذلك خضوع الجوارح ، وقد ورد في السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « اسكنوا في الصلاة » صحيح مسلم .

ومن حكمة هذه الهيئة ايضا تنبيه النفس الى العبادة وذكر الله كلما غفلت عن ذلك لأن من طبيعة الانسان الحركة فاذا غفل في صلاته واراد أن يتحرك يذكره هذا الوضع بأنه بين يدي الله تعالى وبهذه المناسبة لا تجوز اثارة خلاف حول كيفية هذه الهيئة ولا ينبغي تشكيك الناس في أمر حدد هيئته الائمة الاعلام ، او اثارة جدل حول كيفية وضع اليدين في الصلاة ، هذه الهيئة وإن اختلفت صورها ـ على الصدر أو على القلب أو تحت السرة ، كلها تؤدى الى معنى واحد ، هو الخشوع والخضوع بين يدى الله عز وجل ، ولا يكون مخطئا من قلد إماما له قدم في العلم والورع ودقة الفهم من الكتاب والسنة . وجزى الله فقهاءنا وعلماءنا احسن الجزاء .

أنية الذهب والفضة

جاء الى ادارة المجلة اخ مؤمن وقال اني احد الورثة لاختى وكانت تعمل في أميركا ومن بين التركة وجدنا اواني مطلية بالذهب واخرى مصنوعة من سن الفيل . هل يجوز لنا استعمالها ام لا ؟ ثم طلب نشر الاجابة على صفحات المجلة ليقرأها ويقتنع بها بقية الورثة .

من المقرر شرعا تحريم اتخاذ اوانى الذهب والفضة في البيت المسلم او استعمالها ، وأن الذهب يباح التحلي به للنساء فقط وأن انية الذهب والفضة محرمة على الرجال والنساء معا، وقد تهدد النبي صلى الله عليه وسلم من يفعل ذلك بالوعيد الشديد ، روى مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضى الله عنها : « إن الذي يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم » وروى البخارى عن حذيفة قال : «نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه وقال هو لهم (اي الكفار) في الدنيا ولنا في الاخرة » وما حرم استعماله حرم اتخاذه تحفة وزينة هذا الوعيد يشمل النساء والرجال على السواء لأن علة التحريم هو السرف والخيلاء وكسر قلوب الفقراء ، ولأن الذهب والفضة هما الرصيد العالمي للنقود التي هي معيار لقيمة الأموال فلا تعطل في شكل الاواني وادوات الزينة .



أما الانية المموهة بالذهب والفضة فقد ذهب جماعة من الفقهاء الى ان الانية المطلية بماء الذهب او الفضة وما تحته نحاس او حديد او حجر او زجاج مثلا ـ هذه الانية يجوز استعمالها اذا كان التمويه ، يعني الطلاء لا يمكن تخليصه من الاناء ، فيجوز الاكل بها والشرب فيها ، وذلك باجماع علماء الاحناف . كما حكى الكاساني واجاز الشافعية استعمال المموه اذا كان التمويه قليلا أما الاواني النفيسة من غير الذهب والفضة فيجوز استعمالها ولا تقاس على الذهب والفضة لانها ليست اثمانا كالذهب والفضة ، والاواني المتخذة من سن الفيل فبعض الفقهاء يرى جواز استعمال سن الفيل ان ذكى « اي ذبح » والا فلا يجوز لأنه لا يؤكل لحمه ، والبعض يرى طهارة سن الفيل مطلقا واستدل هذا البعض بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمتشط بمشط من عاج وهو عظم الفيل فلو لم يكن طاهرا ما امتشط به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على اتخاذ الانية من عظم الفيل ، وحجتهم ان العظم والسن والقرن كالشعر والصوف فاقد الحس والالم فلا يحرم ، ولقول النبي الكريم عليه الصلاة والسلام : (.. إنما حرم من الميتة لحمها) فاللحم هو المحرم وما عدا اللحم باق على الحل ، الا ان الفقهاء اجمعوا على حرمة استعمال عظم الخنزير لحرمة عينه وعلى حرمة عظم الانسان ولو كان كافرا لكرامته ، وبناء على ما تقدم يجب على الاخ السائل وغيره من الورثة الا بتعاد عما يجدونه في التركة من انية الذهب او الفضة ولا بأس باستعمال المطلى بهما إن تعسر تخليص الطلاء ، ولا بأس في استعمال المتخذ من سن الفيل على رأى فريق من العلماء .

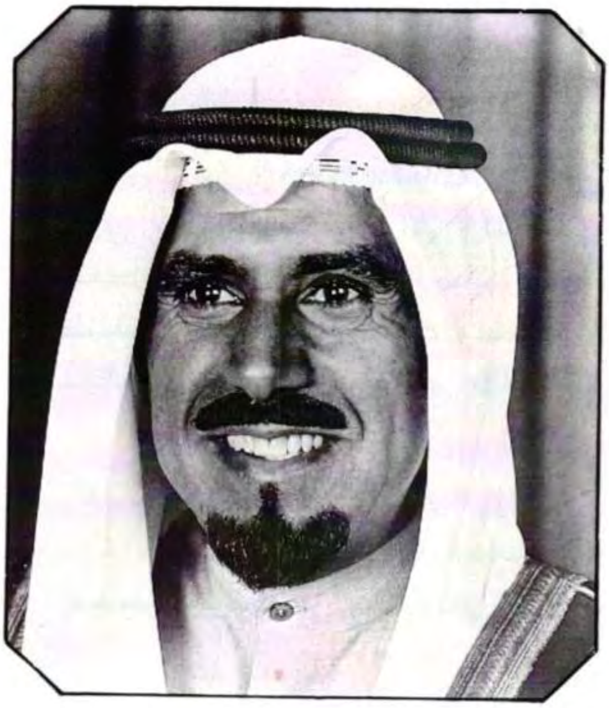
ردود قصيرة

رسالة من قارىء بالمغرب لم يذكر اسمه أو عنوانه .
حصولك على رخصة القيادة عن طريق الرشوة حرام ، وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش ـ يعني الوسيط وما كان لك ان تنعجل في الحصول على اجازة القيادة وعليك ان تأخذها باستحقاق وكفاءة صيانة لنفسك من الهلاك وحماية للارواح البريئة التي تركب معك ، اما ماتأخذه بعد ذلك من أجر مقابل عمل فهو حقك .

القارئة نعيمة ع . ق شارع المضيق ـ الحسيمة المغرب .
ما دام الله قد هداك الى الحجاب اجمعي الصور التي كانت قبل ذلك من صديقاتك وتخلصي منها حتى لا يرى الاجانب صورا لك وانت سافرة .

القارىء عادل محمد القهوجي بنك القاهرة فرع المنصورة . ادارة المجلة تشكر لك وللاخوة القراء ما جاء في رسالتكم من تقدير وثناء ونجيبك على اسئلتك بالأتي
أ ـ يصح الوضوء في دورة المياه التي يوجد فيها حوض للوضوء مادام المتوضىء يبتعد عن النجاسة في مكان الوضوء
ب . عملك في البنك لا يبيح لك تأخير الصلاة عن وقتها ولك ان تصلى في صالة العملاء بشرط طهارة المكان .
جـ ـ يرى الفقهاء وجوب الترتيب وعلى هذا الراى لا يجوز لك ان تصلى العصر قبل الظهر الا في حالة النسيان او زيادة الفوائت عن خمس او ضيق وقت المكتوبة

القارىء على محسن ـ كرتير ـ عدن المحافظة الاولى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .
للزوجة الثمن وللبنتين الثلثان والباقي للأخت لأنها صارت مع البنات عصبة ، ولاميراث لأبناء العم اذا كانت الاخت شقيقة بالنسبة للمتوفي ، اما اذا كانت اخت المتوفى من أمه فلا ترث لحجبها بالبنتين ويكون الباقي حينئذ بعد فرض لزوجة والبنتين الى ابناء العم الذكور دون الاناث .



الوطن

○ عام جديد من أعوام الاستقلال ... وحرية الارادة ، وشمعة اخرى من شموع الشموخ والعزة توقد في عيد استقلال الكويت السابع والعشرين .

○ ومع الاحتفال بعيد الاستقلال ننظر من وراء الأفق إلى سيرة رجال شيدوا صرح الوطن ، وأقاموا دولة للعرب والمسلمين تنتظم في سلك الدول العربية الشقيقة لتكون درة الخليج .

○ أشاد البنيان ، وأرسى دعائمه ، وثبت أركانه المرحوم الشيخ أحمد الجابر الصباح . ثم جاء الاستقلال على يد المرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح ، وتتواصل المسيرة ، ويتفاعل القديم والحديث ، وتبرز للوجود نهضة شاملة في شتى الميادين ، كان من أبرزها جامعة الكويت ، والمستشفيات الحديثة ، والطرق والمنشآت العصرية ، في عهد المرحوم صباح السالم الصباح .

وواجبنا تجاهه



○ ويحمل الراية ، ويقود السفينة إلى بر الأمان ... الربان الماهر سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح .

الذي في عهده الميمون تتمتع الكويت بعلاقات دولية واسعة ، وسمعة عالمية طيبة ، ومكانة سامية بين أشقائها العرب والمسلمين ، والدول الصديقة ، ودول العالم أجمع .

○ وعلى أرض الكويت الطيبة عقد مؤتمر القمة الاسلامي برئاسة سمو الأمير في ظروف صعبة مرت بها أمتنا الاسلامية ، وما تزال تمر بها إلى اليوم .

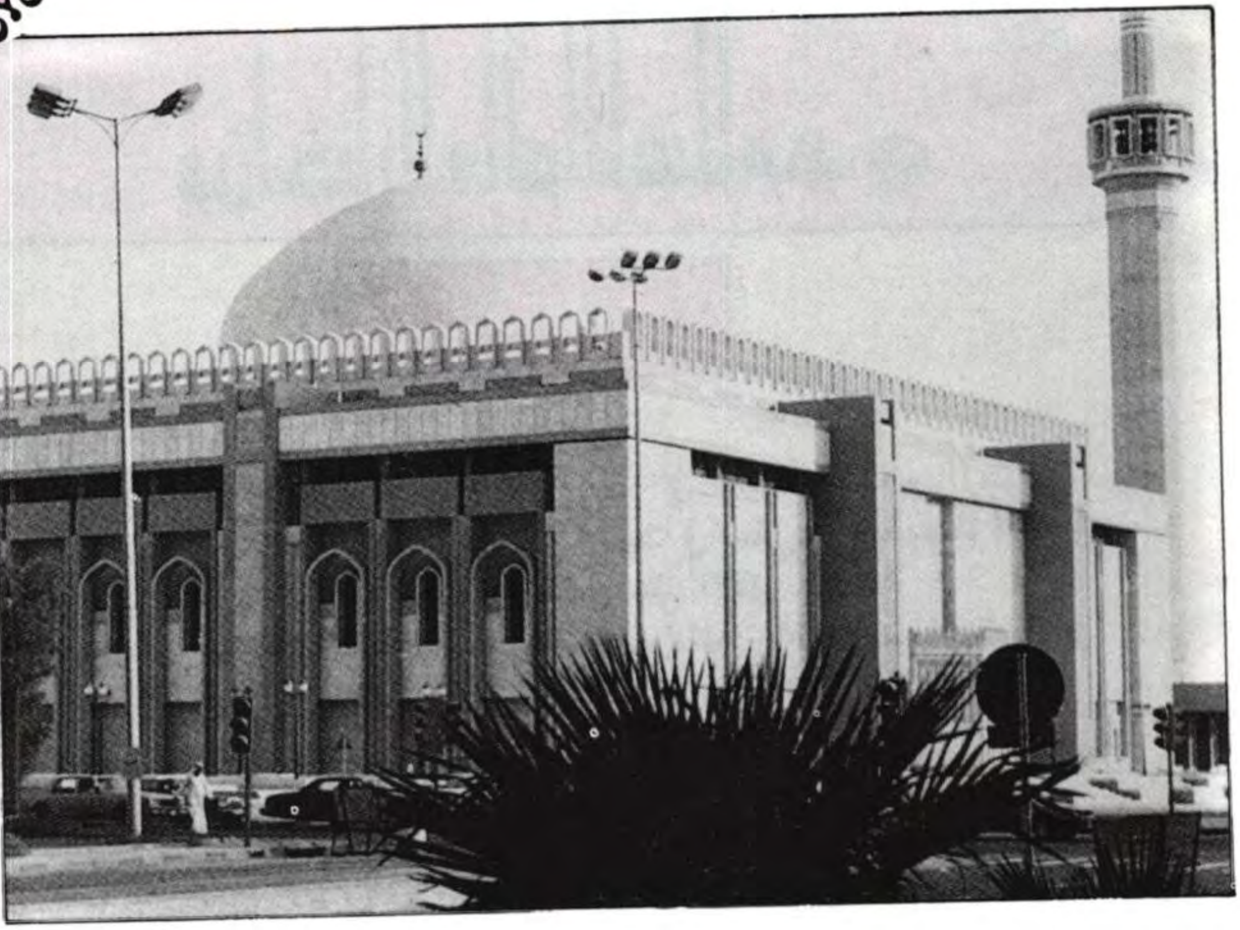
○ ورغم العواصف الهوج ، وتيارات الموج الحاقد ، ورغم ما يكيده الأعداء لوطن الأمن والأمان ، فإن حكمة الأمير وسمو ولي العهد كفيلة بإبطال مكر الماكرين ، ورد كيد الأعداء إلى نحورهم .

○ إن مواقف الكويت الانسانية الرائعة تجاه أشقائها في العروبة والاسلام ، واستضافتها الكريمة لابناء العروبة الذين يعملون على أرضها ، ليمثلوا مع إخوانهم الكويتيين الجيل العربي الواحد ، الواعد بالخير العميم .

إن مواقف الكويت تلك لا تنسى ولا تنكر ، بل هي شاهد على عمق النخوة والشهامة لدى الكويتيين ، وإن من أبرز هذه المواقف مساندة الكويت للاخوة الفلسطينيين في انتفاضتهم البطولية في وجه أشرس عدو عرفه التاريخ .

○ إن وطننا هذا شأنه جدير بأن نصونه بكل ما نملك ، وأن نكون جنودا له في كل ميدان ، نحافظ عليه في الداخل، وندفع عنه من الخارج ، وأن نكون جميعا يدا واحدة ، وقلبا واحدا ، وصفا واحدا ، نرفع على القواعد التي أرساها السابقون ، ونلتف حول القائد ، وولي عهده ، لتكون البسمة دائما على





الشفاه ، وليبقى الأمل مزهرا في النفوس بغد أفضل . ومستقبل أكثر إشراقا .

○ وفي ظلال الايمان ، وتحت راية القرآن ، نصنع ما تفخر به الأجيال القادمة .

و« الوعي الاسلامي » تهنيء سمو أمير البلاد الشيخ جابر الأحمد الصباح ، وسمو ولي عهده الأمين الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح ، والشعب الكويتي ، والعربي ، والاسلامي بعيد استقلال الكويت السابع والعشرين .

ونقول كما قال الامير : حفظ الله الكويت وشعبها من كل مكروه .

التحرير

من اخبار العالم الاسلامي

الانتفاضة

الكويت :
دعما للانتفاضة الفلسطينية الرابعة في وجه أعداء الحياة ، المغتصبين ، تبرع العاملون في دولة الكويت في شتى مواقعهم الوظيفية حكومية وغير حكومية براتب يوم كامل على الأقل .
وجاء هذا الموقف استجابة لما رآه مجلس الوزراء من مساندة كفاح وصمود الشعب الفلسطيني البطل .

قالوا في الانتفاضة

الديلي تلغراف : الانتفاضة احدثت تحولا نوعيا في الأراضي المحتلة .
نشرت جريدة القبس في عددها الصادر يوم ٧/٢/٨٨ في صفحة قضايا هذا العالم »
مقالا مترجما نقلا عن الديلي تلغراف .. نقتطف منه ما يلي :

لاريب في ان عشرة اسابيع من احداث العنف ، ورشق الاسرائيليين بالحجارة والقنابل الحارقة والاضرابات من جانب فلسطينيي الضفة الغربية وغزة قد جعلت العديد من الاسرائيليين يشعرون بصدمة بالغة في الوقت الذي يقتربون فيه من الذكرى الاربعين لنشوء « اسرائيل » من العدم (في مايو المقبل) والآن يتساءل العديدون ما اذا كانت اسرائيل ستعيش اربعين سنة اخرى بشكلها الحالي .
وقد احس السياسيون ورجال الاعلام والجيش والشرطة بالدهشة بسبب ضراوة احداث العنف التي تفجرت في ديسمبر الماضي وبسبب النمط الثابت والمنظم بشكل متزايد الذي اتسمت به هذه الاحداث وفي البداية جاءت مبادرة الحكومة التي عرضها رئيس الوزراء شامير ووزير الدفاع رابين من قبيل الصدفة ولكن الآن بدا زعماء من الحزبين السياسيين الرئيسيين في اسرائيل يقترحون حلولا طويلة المدى لاشد الازمات الداخلية التي شهدتها اسرائيل عبر تاريخها الحديث .
وفي معرض تقييم للاوضاع القائمة



ينقسم الـزعماء والمفكـرون اليهود والعرب بشكل لم يسبق له نظير . فبالنسبة للاسرائيليين فان الشعار الذي ينادون به يتلخص بالعودة الى الحالة الطبيعية في اشارة الى الحياة التي ظلت سائدة الى ما قبل ثلاثة اشهر مضت .

وقال قائـد الجيش الاسرائيـلي في الضفة الغربية الميجر جنرال امرام متزنا « مسؤولياتنا هي ضـربهم واعتقالهم ثم تركهم يعيشون حياة طبيعية .

ومن ناحية أخرى فان الشعار السائد هو ان احداث العنف صارت تعرف باسم « انتفـاضة » الشعب الفلسطيني الذي يجمع الآن عـلى هدف قومي واحد وقد اعرب المحامي البارز في القدس الشرقية (جوناثان كتاب)عن وجهة النظر الفلسطينية بوضوح عندما قال « لقد شاهدنا شيئا مختلفا نوعيا عن اي شيء جرى خلال العشرين سنة الماضيـة وما يسميهـا الاسـرائيليـون بـالحيـاة الطبيعية لا يمكن ان تعود ابدا .

والاختلاف النوعي يقاس بالتنظيم الـذي اتسمت بـه المظـاهـرات وبالاضرابات التي انتشرت على نطاق واسع فالمدن التي ظلت تنعم بالهدوء طوال اسابيع مثل نابلس والخليل سرعان ما انفجرت بدون سابق انذار

ثم مضى المقال يقول :

وتعتبر طبيعة الزعامة الجديدة التي تقف وراء احداث العنف جوهرية وحاسمة بالنسبة للطريقة التي ستحل من خلالها الازمة الحالية .

وتسلط التعليقات الاسرائيليـة الاضواء على ادوار منظمة التحرير الفلسطينيـة والمتشددين المسلمـين واللجان السرية وهي لا تعرف على وجه اليقين اين تضع تركيزها ويقول (جوناثان كتاب) الزعامة الجديدة بلا وجه ولا اسم ولا عنوان فهي تمارس

نشاطاتها من خلال حركات كحركة اللجان النسائية القوية في غزة .
وقال (كتاب) عن العلاقة بمنظمة التحرير الفلسطينية انها ذات علاقة بها ولكنها ليست علاقة هرمية . بمعنى انها كلها منظمة التحرير الفلسطينية ولكن حركة الانتفاضة ليست بحاجة للاتصال هاتفيا بياسر عرفات في تونس بغية الحصول على اوامر فاعمال العنف تدار محليا بالكامل وبذلك فان ذلك يعطيهم الحق في انتقاد زعامة منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج -

وجرى التركيز مؤخرا على المتشددين المسلمين في غزة حيث قام التلفزيون بعرض صور لشيخ مسلم وهو يحض المسلمين على رشق الاسرائيليين بالحجارة مستخدما مكبرا للصوت وقد بثت وعرضت هذه اللقطات في جميع انحاء العالم .

الانتفاضة .. ودور المسجد

استمع ألوف المصلين في يوم جمعة الى خطبة موحدة القيت في المسجد الأقصى وفي مساجد الضفة الغربية وقطاع غزة تدعو الى مواصلة الجهاد ضد العدو الصهيوني حتي يتحقق النصر المبين بإذن الله وقد خاطب ائمة المساجد المصلين بقولهم « ايها المجاهدون ايها المرابطون يأأهل الثغور يا اهل الارض المباركة لقد اختاركم الله لأن تكونوا حماة الاقصى المبارك وها انتم تسطرون صفحة جديدة في جهادكم الطويل غير متكافئين مع عدوكم لا في العدد ولا في السلاح لكن سلاحه الخوف والذعر وسلاحكم سواعدكم القوية وحجارة ارضكم المباركة فكبروا وهللوا وقوموا قومة رجل واحد فالنصر آت باذن الله .

وجاء في الخطبة أن العدو يبحث عن طريق للخلاص من الورطة التي هو فيها ولن يستطيع فمن ضربت عليه الذلة والمسكنة وباء بغضب من الله لا يمكن ان يتحول الى شجاع وبطل ولقد خبرتم اليهود عن قرب كيف يرجفون امامكم والسلاح بايديهم ويفرون والدبابات تحميهم ويولون الادبار والحجارة ترميهم .

وصدق الله العظيم « لايقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » .

وشهدت ساحات الحرم القدسي الشريف مظاهرات حاشدة بعد صلاة الجمعة حيث تظاهر الشباب ورفعوا اعلام فلسطين فيما تظاهرت النساء ورددن اناشيد وطنية .

السعودية . في حفل دورة مجمع الفقه الاسلامي الدولي

خادم الحرمين : المجمع يهدف الى ابراز معالم الدين الاسلامي والقاء الضوء على تطورات عالمنا المعاصر

جدة ـ افتتح نائب امير منطقة مكة المكرمة الامير سعود بن عبد المحسن الدورة الرابعة لمجلس مجمع الفقه الاسلامي الدولي المنبثق عن منظمة المؤتمر الاسلامي بمقر المجمع في جدة وقد نوه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية في كلمة القاها نيابة عنه الامير سعود بن عبد المحسن بجهود مجمع الفقه الاسلامي في ابراز معالم الدين الاسلامي الحنيف والقاء الضوء على ما استجد في عالمنا المعاصر من قضايا ومشكلات وقال ان عالم اليوم يواجه التقدم التكنولوجي الهائل والاختراعات العلمية المعقدة في شتى الوان الحياة .. مما يتمخض عنه بعض القضايا التي لم تواجه اسلافنا اعلام الفقه الاسلامي مما يجعل حتما علينا فتح باب الاجتهاد الاسلامي والذي لم يقفل في تاريخنا المضيء واضاف ان العالم الاسلامي يواجه كل يوم عددا ونوعا جديدا من التحديات الصليبية الحاقدة والشيوعية الملحدة والتي لا تألو جهدا متحدة او منفصلة في المساس من كرامة الاسلام وسماحته وغزو ابنائه في عقيدتهم واخلاقهم وسلوكياتهم . واهاب الملك فهد باعضاء المجمع وبكافة علماء العالم الاسلامي بان لا يدخروا وسعا في سبيل تحقيق الاهداف الاسلامية والانسانية العامة للمجمع واكد ان حكومة المملكة تؤكد وتناصر دوما وتعمل على ما فيه رفعة الاسلام وعزة المسلمين .

كلمة ولي عهد الاردن

وبعد ذلك تليت كلمة ولي عهد الاردن الامير حسن بن طلال التي وجهها الى الدورة الرابعة لمجمع الفقه الاسلامي والتي اعرب فيها عن سروره لمواصلة المجمع العلمي الدولي الاسلامي لمسيرته الخيرة بغية تحقيق الاهداف والغايات النبيلة التي انشىء من اجلها وقال ان رسالة هذا المجمع هي موضوع اهتمام ومحط انظار امتنا الاسلامية التي ترجو من علمائها وفقهائها الاجلاء مساعدتها على جمع كلمتها في الرأي والفكر خاصة في هذا الوقت الذي تجد امتنا مستهدفة من الطامعين في خيراتها وموقعها والذين يخططون لبقائها في فرقة وعزلة ويعملون ما امكن لاضعاف ايمانها وتمسكها بعقيدتها مستغلين نفوس الحاقدين والضعفاء والمندسين بين صفوفها ونوه بجهود الامين العام للمجمع التي لها اكثر الاثر في نجاح قراراته وتوصياته .

كلمة الطيب

بعد ذلك القى مستشار الامين

العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي احمد صالح الطيب كلمة الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي السيد شريف الدين بيرزادة اعرب فيها عن ترحيبه بوفود الدول الاسلامية المشاركة في هذه الدورة وقال ان هذه المؤسسة الاسلامية المهمة التي انعقد مؤتمرها التأسيسي بمكة المكرمة اصبحت اليوم ملتقى صفوة فقهاء هذه الامة ومثابة لعلمائها ومفكريها وحكمائها ودعا المسلمين لتوحيد الصف وجمع الطاقات للثبات امام كل خطر يهدد القيم الروحية وامام كل من يحاول طمس معالم الهوية والشخصية الاسلامية واشار الى ان الميادين التي يعمل فيها المجمع ميادين رحبة واسعة رحابة هذه الشريعة السماوية الخالدة .. ذلك ان اهمية المجمع الاسلامي تتجسد في كونه يتناول بصورة مباشرة او غير مباشرة حياة الفرد المسلم والاسرة المسلمة والمجتمع المسلم كما يتناول العلاقات بين المجتمعات المسلمة والمجتمعات الواقعة خارج دار الاسلام واوضح ان الدورة العلمية الفقهية الرابعة للمجمع ستناقش طائفة من الموضوعات العامة ذات الصلة المباشرة بحياة المسلمين في كل مكان ومنها وحدة الامة الاسلامية ومنها كذلك الحفاظ على الصحة العامة ووقاية مجتمعاتنا المسلمة من المخدرات وحرمة جسم الانسان وموضوعات اخرى تتناول شؤونا مالية واقتصادية مختلفة .

اللغة العربية في باكستان

اثنى سفير الكويت لدى باكستان قاسم عمر الياقوت على الجهود التي تبذلها الحكومة الباكستانية لتعزيز ونشر اللغة العربية .

وابلغ حلقة دراسة اقامها مركز باكستان الوطني استعداد الحكومة الكويتية تقديم كل المساعدات الممكنة لتعزيز هذه الجهود .

وحيا السفير الياقوت بشكل خاص الجهود التي يقوم بها العلماء الباكستانيون والمؤسسات الباكستانية في نشر اللغة العربية في الاراضي الباكستانية .

وقام بتنظيم هذه الحلقة الدراسية المجلس العربي الباكستاني .

وشدد سفير الجمهورية العربية اليمنية في اسلام اباد عبد المالك الطيب على اهمية اللغة العربية .

وقال في كلمته بان اللغة العربية مكنت المسلمين من تفهم القرآن الكريم والسنة .

وشدد على اهمية هذه اللغة في تعزيز روابط الاخوة بين الدول الاسلامية .

وقال رئيس دائرة اللغة العربية في جامعة العلامة اقبال البروفسور محمد حنيف ان الجامعة بدأت مقررات لدراسة اللغة العربية عن طريق المراسلة تشمل جميع انحاء باكستان والاشراف على برامج لتعليم اللغة العربية عن طريق التلفزيون والاذاعة ودعا عضو البرلمان الباكستاني سيد واسى مظهر ندفي الى تبنى اللغة العربية كلغة الزامية ثانية في المؤسسات التعليمية الباكستانية .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

○ الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

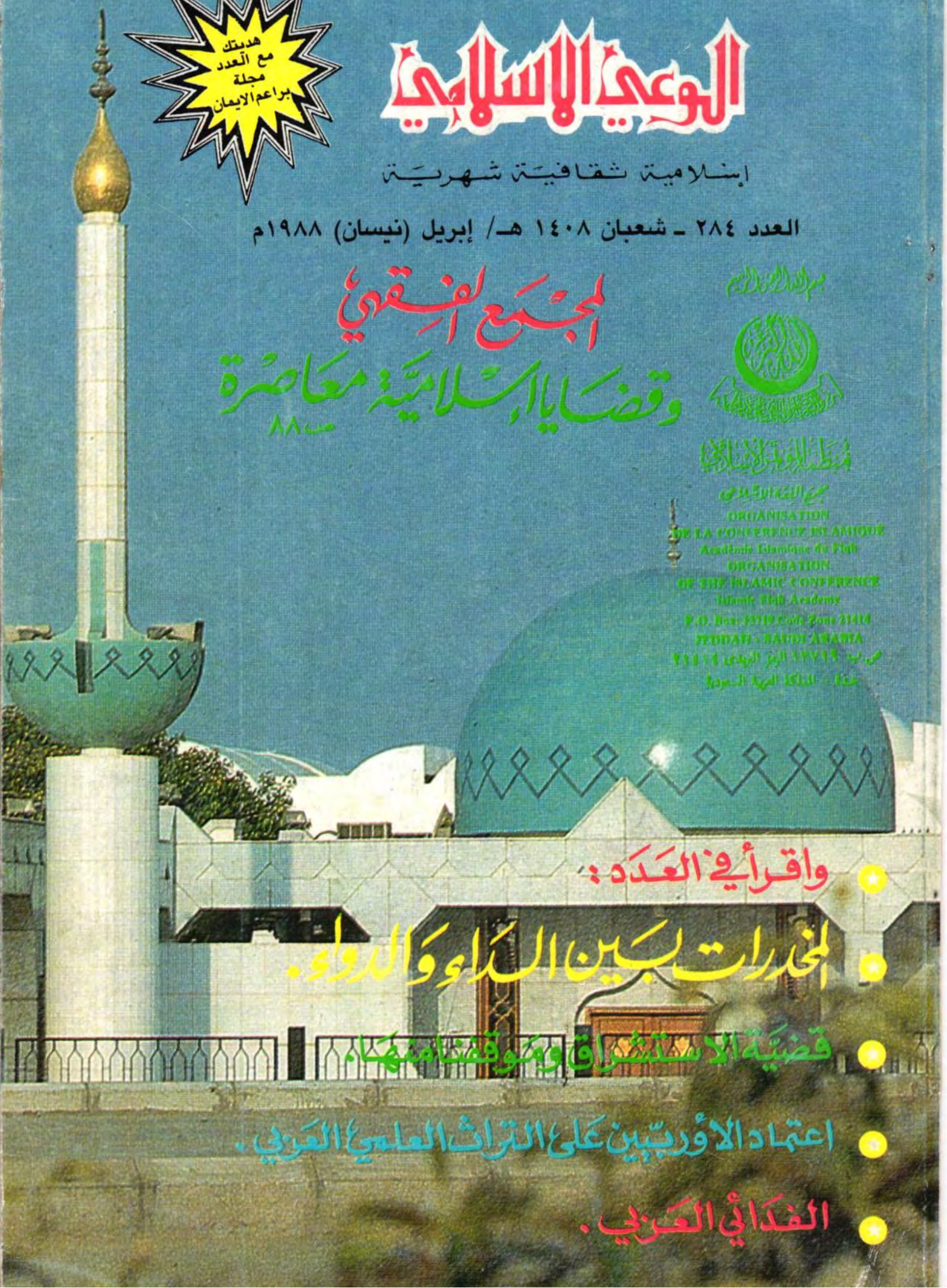
ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ:

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا

مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ
لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

طبع في مطابع دار السياسة - الكويت



هديتك مع العدد مجلة براعم الايمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٨٤ ـ شعبان ١٤٠٨ هـ/ إبريل (نيسان) ١٩٨٨م

المجمع الفقهي وقضايا إسلامية معاصرة

ص ٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

منظمة المؤتمر الإسلامي

مجمع الفقه الإسلامي

ORGANISATION
DE LA CONFERENCE ISLAMIQUE
Académie Islamique du Fiqh
ORGANISATION
OF THE ISLAMIC CONFERENCE
Islamic Fiqh Academy
P.O. Box 13719 Code Zone 21414
JEDDAH - SAUDI ARABIA

ص. ب ١٣٧١٩ الرمز البريدي ٢١٤١٤
جدة - المملكة العربية السعودية

واقرأ في العدد :

- المخدرات بين الداء والدواء .
- قضية الاستشراق وموقفنا منها .
- اعتماد الأوربيين على التراث العلمي العربي .
- الفدائي العربي .

محتويات العدد

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٨٤ ـ شعبان ١٤٠٨ هـ/ إبريل (نيسان) ١٩٨٨م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

الثمن

البلد	الثمن	البلد	الثمن
الكويت	٢٠٠ فلسا	تونس	٢٥٠ مليم
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما	الاردن	٢٠٠ فلس
السودان	١٥٠ مليما	اليمن الشمالي	ريالان
السعودية	ريالان	قطر	٣ ريالات
دولة الامارات العربية	٣ دراهم	سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
البحرين	٢٠٠ فلس	المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

المخدرات بين الداء والدواء

من أجل نعم الله على الانسان وأسماها ، نعمة العقل ، إذ هو مناط التكليف وأساس المسئولية ، بدونه يعيش الانسان عيش الحيوان ، لا يعرف الا طعامه وشهوته ، وبدونه لا يتوجه التكليف من خالق الانسان ليكون هذا الانسان خليفة في الارض ، يعمرها بعقله ، وينظم الحياة بفكره ، لذا حرص الشارع على حفظ العقل وحمايته ، حتى لا يتسلل إليه خلل ، أو أن ينال منه فساد ، ولا شيء يغتال العقل ، كالخمر والمخدرات ، وقد تناولنا من قبل بيان أضرار الخمر ، وأنها وراء كل بلاء ، أما المخدرات فهي لا تقل في خطورتها عن الخمر إن لم تزد عليها ، ومما لاشك فيه أن تعاطى المخدرات يتعارض مع المصالح التي هي غاية التشريع ، وليس أضر على الأمة من داء يجعل أبناءها في حالة صحية متردية ، وما خلفت المخدرات إلا الخراب والضياع ، وهلاك الحرث والنسل ، كأنها إعصار مدمر يمضي بالأمة إلى الزوال والفناء ، وهذا ما قصده الاستعمار في كثير من البلاد التي ابتليت به ، إذ مكن للمخدرات ان تعمل عملها ، بالعنف حينا وبالاغراء احيانا ، كما حدث في الصين عندما

سيطرت بريطانيا على الهند واحتكرت انتاج الأفيون عام ١٧٧٣ ، استطاعت شركة بريطانية ان تفرض سيطرتها على الشعب الصيني وكان لها دور بارز في انتشار هذا المخدر ، وعندما قرر امبراطور الصين التصدى لذلك قامت بريطانيا بحرب الافيون المشهورة ، واليهود من أجل عبادتهم للذهب خطط كبار الرأسماليين منهم للحصول على المال ، عبر مكاسب تجارة المخدرات المغرية حقا ، فأوجدوا لها سوقا رائجة في كثير من مناطق العالم ، وخاصة بلاد الشرق والعالم الاسلامي ، وبجانب تحقيق غايتهم في جمع المال ، عمدوا إلى القضاء على معنويات الشباب المسلم لتسهل سيطرتهم على بلاد العرب اولا والمناطق الاسلامية ثانيا ، قدموا بين يدي ذلك الدعاوي السافرة من أن هذه المواد عقاقير لها اثرها في تسكين الألم ، وإحداث النشوة ، ومضاعفة القوة الجنسية ، إلى غير ذلك من دعايات تحمل السم في العسل ، ولكن أرقام الضحايا من المدمنين ، بلغت حدا مزعجا ورهيبا ، ورأى الناس بأعينهم ما خلفته المخدرات من عجز ومرض و« خراب » ، وما يتبع ذلك من انحلال خلقي وفساد اجتماعي ، وتنوع الجرائم بصورها المخيفة التي تهدد الأمن وتزعج النفوس المطمئنة ، ومع هذا لم يخجل اليهود وأذناب الاستعمار من استقطاب الخونة ، وإغراء العملاء لنشر هذه السموم القاتلة ، على الرغم من تحذير منظمة الصحة العالمية في تقارير متتابعة فيها بيان للناس بأضرار المخدرات الشاملة ، الأمر الذي حرك كثيرا من الدول لدعم اجهزة مكافحة الخمور والمخدرات ، ومن المؤسف حقا ان يقول متورط او مخادع ، إن المواد المخدرة لم يرد في تحريمها نص كالخمر إنه لا مجال لمثل هذه المغالطة المكشوفة ما دام الخمر يطلق على كل ما يخامر العقل ويسكره ، فقد جاء في البخاري من خطبة لسيدنا عمر رضي الله عنه (.. والخمر ما خامر العقل) ، ولما رواه البخاري ومسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر

حرام » وجاء في السنة النبوية نصوص تذكر المسكر بعمومه حتى لا يبقى مجال للرأي والاجتهاد ، جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم قادما من اليمن فسأله عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة ، يقال له (المذر)، فقال صلى الله عليه وسلم للرجل ، أو مسكر هو ؟ قال نعم،فقال صلى الله عليه وسلم : « كل مسكر حرام وإن على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الخبال[قالوا وما طينة الخبال ؟] قال : عرق اهل النار » رواه مسلم والنسائي . وبذلك يشمل الوعيد كل مادة تسكر او تفتر دون تحديد للخمر بالذات ، هذا وقد أدلى الفقهاء المسلمون برأيهم في صراحة ووضوح ، تجاه مشكلة تعاطى المخدرات ، فبينوا مضارها ووضحوا رأى شرع الله فيها ، ومنذ قرابة خمسة قرون نادى الفقيه المسلم ابن حجر المكي الهيثمي قائلا: « واعلم ان الحشيشة المعروفة حرام كالخمر ، يحد آكلها ـ أي على قول جماعة من العلماء ـ كما يحد شارب الخمر ، وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج ـ اي فساداً عجيبا حتى يصير في متعاطيها تخنث قبيح ، ودياثة عجيبة ، إلى غير ذلك من المفاسد فلا يصير من المروءة شيء البتة » .

كما أفتى ابن تيمية بحرمة الحشيش وسائر المخدرات ، في السياسة الشرعية فقال « جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما غطى العقل وأسكره ، ولم يفرق بين نوع ونوع ، ولا تأثير لكونه مأكولا او مشروبا وكل ذلك حرام » وقد أفتى العلماء على مر العصور بحرمة تعاطى المواد المخدرة .

وحرمة الاتجار فيها أو زراعتها أو الترويج لها ، صيانة من أضرارها ، وحماية من خطرها وزجرا لمن يستهين بنعمة الله عليه ، على المدمنين ان يتولوا إلى الله من قريب ، وأن يستجيبوا لقول الله تعالى:«ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة»، وعلى المستغل ، عبد الدينار والدرهم ، ان يثوب إلى رشده ويقنع برزق حلال طيب ، خير له من مال يحمل وزره ، وفساد في الارض يسجل

خزيه في الدنيا ويوم لا يغنى عنه مال إذا تردى ، وعلى الأمة أن تجيب داعى الله ، وأن تغلق منافذ فتنة المخدرات ، بنشر الوعى الديني بين الناس ، ومضاعفة المصحات الخاصة لعلاج الادمان ، مع اعتبار عصابة المخدرات وما استجد من سموم بيضاء ، ممن يحاربون الله ورسوله ، وحكم الله فيهم بينته الآية الكريمة « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » المائدة ٣٣ ـ هذه المشكلة المستعصية على الحل رغم امتداد القرون وتعاقب الاجيال ، يزول خطرها في جو شريعة الله وحكم الاسلام وهو الدين عند الله ، إن تعاليمه قادرة على ضبط السلوك الانساني ، وتهذيب الغرائز الجامحة مهما كان لها سلطان على المشاعر والسلوك ، أفلح الاسلام في تحريم الخمر وكانت تجري في نفوس الناس مجرى الدم ، وما أن نزل التحريم النهائي لها حتى استجاب المسلمون من غير تردد ، وسفكوا ما عندهم من خمر وفاضت طرقات المدينة بما كان عند الناس منها وهم يقولون انتهينا ربنا ... انتهينا ربنا ! هذا وعما قريب يرقب المسلمون في الافق هلال رمضان ضارعين الى الله ان يهله بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام ، وفي الصوم تقوى تعصم الانسان عن كل ما يجرح الفضيلة او يخدش الحياء ، وفي الصوم تربية تقوى بها ارادة الانسان فينتصر فيه الجانب الروحي المشرق على الجانب المادي المظلم ، وبذلك يفطم الانسان نفسه عن كل ما يدنسه ، ويعيش انسانا سويا يمشي على صراط مستقيم ، والله المستعان .

رئيس التحرير
حسن مناع

وفي رسم المصحف أيضاً

تمهيد :

القرآن الكريم هو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة التي ما زالت شاهدة بصدقه في دعوته ، وهو احيانا يسمى قرآنا وأحيانا اخرى يسمى كتابا ، وكأن الله تعالى قد ضمن حفظه بالطريقين معا : القراءة والكتابة ، فهو يقرأ ليحفظ في الصدور ، ويكتب ايضا ليحفظ في المصحف عن طريق الكتابة ، وقد انفرد القرآن الكريم بذلك عن الكتب السماوية الاخرى ، حيث أوكل حفظها إلى غيره (بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ) المائدة ٤٤ .

ومن المعروف ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ أيد أنبياءه بمعجزات متنوعة من جنس ما برع فيه أقوامهم ، ولكنها كانت موقوتة بحياتهم ، ولذلك كانت محلا للأخذ والرد ممن أتى بعدهم ، لأنهم لم يروها ، وشاء الله سبحانه ان يؤيد رسوله بالمعجزتين معا ،أعني الموقوتة والدائمة المتمثلة في القرآن الكريم ، كما شاء سبحانه أن تكون معجزته الدائمة هي منهجه الذي جاء به ، وهذا مما انفرد به صلى الله عليه وسلم .

بلاغة

للدكتور / عبد الجواد محمد طبق

وإذا كان من معجزات عيسى عليه السلام إحياء الموتى بإذن الله ، فإن في معجزة رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام إحياء لأجيال متعاقبة منذ بعثته صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) الأنفال ٢٤ ورحم الله شوقي حين قال :

أخوك عيسى دعا ميتا فقام له — وأنت أحييت أجيالا من الرمم

والجهل موت فإن أوتيت معجزة — فابعث من الجهل أو فابعث من العدم

ولما كان للقرآن الكريم منزلة لا تدانيها منزلة اخرى ، وكان إعجازه هو سر عظمته ، هب المسلمون منذ العصور الغابرة حتى الآن يحاولون كشف اوجه إعجاز هذا الكتاب الكريم ، وتناولوا منها مناحي شتى ، لا مجال للتعرض لها الآن . والواقع ان عناية المسلمين بهذا الكتاب الكريم بدأت منذ ان جعل الرسول صلى الله عليه وسلم نفرا من خاصة رجاله كتابا للوحي ، وأمناء على مصدر العقيدة الاسلامية الاول ، ثم أمر ابو بكر الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن الكريم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبمشورة عمر رضي الله عنه لما استشهد عدد كبير من حفاظ القرآن الكريم في موقعة اليمامة ، وكان المكلف بهذه

المهمة الشاقة زيد بن ثابت ، وقد عبر عن جسامة هذه التبعة وخطورتها بقوله : « والله لو كلفني نقل جبل من الجبال لكان اهون علي من جمع القرآن » .

وكانت الصحف التي جمع منها القرآن عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه ، ثم عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده ، ثم عند حفصة ابنته من بعده ، ثم عند عثمان بن عفان رضي الله عنه من بعد حفصة ، وقد قام عثمان بنسخ هذه الصحف في مصحف واحد ، وجمع الناس على لغة قريش ، وقام ايضا بنسخ ثلاث نسخ اخرى من النسخة الاولى ، فصارت النسخ اربعا على ارجح الاقوال ، استبقى نسخة عنده ، وبعث بنسخة ثانية الى البصرة وبنسخة ثالثة الى الكوفة ، وبالنسخة الرابعة إلى الشام ، ويقال إن جمع القرآن الكريم في عهد ابي بكر كان مقصورا على جمع الآيات التي تتكون منها السورة على ما هو معروف اليوم ، واما ترتيب السور فكان في عهد عثمان رضي الله عنه ، وقيل ان ترتيب السور او بعضها كان بتوقيف منه صلى الله عليه وسلم ، بدليل انه كان يعرض ما نزل من القرآن الكريم على جبريل مرة كل عام ، وفي العام الاخير عرض القرآن على جبريل مرتين ، ومعنى ذلك انه كان قد تم ترتيب سوره وآياته[1] ولعل هذا الرأي هو الارجح .

الرسم العثماني في المصحف الشريف

قام سيدنا عثمان رضي الله عنه كما ذكرت بجمع الصحف التي دون فيها القرآن الكريم في مصحف واحد ، نسخ منه عدة مصاحف بالخط الذي نراه اليوم في المصحف ، والذي اشتهر بالرسم العثماني ، والمتأمل لهذا الرسم يجده احيانا يتفق مع القواعد الخاصة بالرسم الاملائي المعروف ، واحيانا يختلف عنها ، والتساؤل الذي يطرح نفسه الآن هو : هل هناك حكمة وراء هذا الاتفاق او الاختلاف ؟ وهل كان الرسم الاملائي المعروف لدينا الآن معروفا لديهم ايضا فوافقوه احيانا وخالفوه احيانا اخرى ؟ او ان الرسم الذي رسم به المصحف الشريف كان اصطلاحا خاصا بهم فرسموا به المصحف دون قصد الى شيء اخر يكمن وراء مخالفة هذا الرسم احيانا للقواعد الاملائية المعروفة لدينا الآن ؟ وهل يجوز مخالفة رسم المصحف العثماني الآن ؟ وبعبارة اخرى : هل يجوز لنا ان نكتب المصحف بالقواعد الاملائية المعروفة الآن ؟ او ان رسم المصحف أمر توقيفي لا تجوز لنا مخالفته ؟

هذه التساؤلات التي تطرح نفسها حول هذا الموضوع الخطير سنحاول الاجابة عنها في الصفحات التالية .. وبالله التوفيق

(١) انظر في هذه القضية : الصديق أبوبكر ، د . محمد حسين هيكل . الفصل الخاص بجمع القرآن الكريم .

انواع الخط العربي

الخط العربي ثلاثة انواع :

١ ـ خط يسير وفق النطق ، فما ينطق يكتب ، وما لا ينطق لا يكتب ، وهذا هو الخط العروضي .

٢ ـ خط يسير وفق القواعد الاملائية المعروفة ، فتكتب احيانا حروف لا ينطق بها ، ولا ترسم احيانا حروف ينطق بها .

وهذا الخط كان معروفا قديما ، والدليل على ذلك ما نراه في كثير من رسم الكلمات في المصحف وفق القواعد الاملائية المعروفة فيما يتعلق برسم الف المد ياء او واوا على حسب اصلها دون مخالفة إلا لحكمة كما سنبين ، وايضا رسم الهمزة المتطرفة المسبوقة بساكن صحيح مفرده كالخبء والملء .. الخ

٣ ـ خط المصحف الشريف ، وهو خط يتفق احيانا مع الرسم الاملائي ، واحيانا يختلف لغرض معين ، وهو خط يجب اتباعه الآن في رسم المصحف الشريف كما ذهب اليه جمهور العلماء على ما سنوضح .

هل رسم المصحف توقيفي ؟

سئل مالك رحمه الله تعالى : هل نكتب المصحف على ما اخذته الناس من الهجاء ؟ فقال : لا ، إلا على الكتبة الاولى[١] ثم قال ولا مخالف له من علماء الأمة : وقال في موضع آخر[٢] سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والالف : أترى أن تغير من المصحف إذا وجدا فيه كذلك ؟ فقال : لا

وقال الامام احمد رحمه الله : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في ياء أو واو أو الف وغير ذلك[٣] .

من هذا يتبين ان رسم المصحف توقيفي يجب اتباعه عند مالك واحمد ومن وافقهما .

ولاشك ان ذلك كان في الصدر الاول الذي يؤمن معه اللبس ، بمعنى أن من اراد منهم كتابة آية يستطيع ان يكتبها برسمها الذي ورد في المصحف ، لصفاء الذهن ، وشدة الاخلاص لكتاب الله تعالى ، وقلة الشواغل التي تصرفهم عنه .

واما في العصور التالية فقد يخشى الالباس ، بمعنى انه اذا تعمد انسان ان يكتب آية أو بضع آيات بخط المصحف فإنه قد يمكنه تحرى الصواب في موضع دون موضع ، فيلتبس الامر ، ويظن ان هذا الرسم هو على نمط مرسوم مصحف عثمان رضي الله عنه ، بينما هو ليس كذلك في بعض المواضع ، ولهذا ذهب الشيخ العز بن عبد السلام صاحب كتاب (الاشارة الى الايجاز في بعض انواع المجاز) إلى انه لا تجوز كتابة المصحف الآن على الرسوم الاولى

(١) رواه أبو عمرو الداني في المقنع ص ١٠ . (٢) ص ٣٠ (٣) ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ / ٣٧٩ .

باصطلاح الأئمة ، لئلا يوقع في تغيير من الجهال

وهذا الرأي الذي ذهب اليه العلامة ابن عبد السلام لا يخلو من مناقشة ، لأننا لو أخذنا به على إطلاقه لأدى إلى درس العلم ، والذهول عن الحكمة في بعض الرسوم الخطية لبعض الكلمات التي خالف الرسم فيها الرسم الاملائي المعروف .

ورحم الله البيهقي عندما قال في شعب الايمان :

« من كتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على حروف الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيها ، ولا يغير مما كتبوه شيئا ، فانهم اكثر علما ، واصدق قلبا ولسانا ، واعظم أمانة منا ، فلا ينبغي ان نظن بأنفسنا استدراكا عليهم .. واتباع حروف المصاحف عندنا كالسنن القائمة التي لا يجوز لاحد ان يتعداها » ولما كان خط المصحف على الراجح توقيفيا، لأنه ينطوي على حكم معينة .

آثرت ان اكتب عن ناحية البلاغة في رسم المصحف الشريف لأمرين :

اولهما : قلة ما كتب عن هذه الناحية .

ثانيهما : ما نراه اليوم في رسم بعض الآيات القرآنية في بعض الكتب الدراسية أو المجلات العلمية من عدم تحر للرسم العثماني في المصحف احيانا .

والكشف عن بعض الاسرار الكامنة وراء اختلاف رسم المصحف عن الرسم الاملائي امر مهم جدا ، لأنه يرتبط بالقرآن الكريم ، وهو يضيف الى نواحي العظمة والجلال فيه عظمة اخرى في رسمه ..

الطابع العام لاختلاف رسم الكلمات في المصحف الشريف

المتأمل في رسم الكلمات في المصحف الشريف يجدها احيانا يزاد فيها حرف لم ينطق به ، واحيانا يحذف منها حرف نطق به ، واحيانا يكون الرسم على وفق النطق ، وممن تناول هذه الظاهرة بالدراسة ابو العباس المراكشي الشهير بابن البناء[1] وسنتناول فيما يلي نماذج لبعض الحروف الزائدة والمحذوفة بقدر ما يسمح به المقام .

نماذج من الحروف الزائدة في بعض الكلمات (زيادة الالف)

الالف قد تكون زائدة فى أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها .

ومن النوع الاول : (أَوْلَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ) النمل ٢١

---

(١) هو ابو العباس احمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء توفي سنة ٧٢١هـ صاحب كتاب : عنوان الدليل في رسوم خط التنزيل .

زيدت الالف للدلالة على أن المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه في اللفظ ، فالذبح أشد من العذاب الشديد (لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ)

ومن زيادة الالف ايضا (وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ) يوسف ٨٧ لأن اليأس من روح الله أشد ألما وإيذاء للنفس من الصبر وانتظار الفرج .

ومن النوع الثاني وهو ما زيدت فيه الالف وسطا أن تزاد لمعنى ظاهر في نفس الكلمة كما في قوله تعالى : (وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ) الفجر ٢٣ زيدت الالف للدلالة على ان هذا المجيء مجيء ظاهر خاص ليس هو المجيء المعروف المعهود بدليل قوله تعالى (وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ) الشعراء ٩١ وقوله جل شأنه : (إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا) الفرقان ١٢

وهذا بخلاف (وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ) لأنه المجيء المعروف المعهود ، ومن تأوله بمعنى البروز في المحشر للدلالة على عظمة الحق سبحانه وعظمة الموقف اثبت الالف ايضا .

ومن زيادة الالف وسطا ايضا (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا) الكهف ١٣ لأن الشيء المذكور في الآية معدوم ، وإنما قيس على شيء موجود ، فأثبتت الالف للدلالة على هذا القياس على الموجود ، فهو موجود ذهنا معدوم في الاعيان

وهذا بخلاف (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) النحل ٤٠ لأن الشيء هنا معلوم لله سبحانه وتعالى فقط ، ونحن لا نعلم كيفيته ، بل نؤمن به تسليما لله تعالى ، فلما كان غير معلوم لنا كيفيته لم تثبت الالف رمزا الى ذلك . وزيدت الالف وسطا ايضا في قوله تعالى (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ) آية ٧٥ يونس للدلالة على التفصيل المقصود في الملأ ، وهو ظاهر في الوجود .

ومن النوع الثالث ، وهو ما زيدت فيه الالف آخرا زيادتها في آخر الفعل « يرجوا » من الآية الكريمة (أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ) الزمر ٩ وكذلك في آخر الفعل « يدعوا » من قوله تعالى في الآية السابقة على هذه الآية من السورة نفسها (وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ) الزمر ٨

وهذه الزيادة للتنبيه على ثقل الفعل عن الاسم ، لأن الفعل يستلزم فاعلا دون الاسم فهو جملة ، كما أن الواو أثقل حروف اللين ، والضمة أثقل الحركات ، والمتحرك اثقل من الساكن ، فزيدت الالف تنبيها على ثقل الجملة ، وإذا زيدت مع الواو التي هي لام الفعل فمع ضمير الفاعلين الملحق بالفعل عند النصب أو الجزم أولى .

وقد تسقط من الفعل للدلالة على اضمحلاله ، وأنه لا قيمة له كما في (سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ) سبأ / ٥ (وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) الاعراف ١١٦ (جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا) الفرقان ٤ (وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ) يوسف ١٦ (وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ) يوسف ١٧ ، لأن المجيء في هذه الآيات كلها

ليس على وجهه الصحيح ، وحذفت من الفعل في (فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) البقرة ٢٢٦ لأن الفيء هنا ليس محسوسا ، وإنما هو بالقلب والاعتقاد .
وكذلك حذفت ايضا من (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ) الحشر ٩ لأن هذا التبوؤ ليس على الجهة المحسوسة التي يقصدها الناس ، وإنما هو لمرضاة الله تعالى بدليل وصفهم بالايثار والخصاصة ، وعطف الايمان على الدار . هذا ومما تجدر الاشارة إليه ونحن بصدد الحديث عن الالف في المصحف أن الفعل (طَغَا) رسم مده ياء في كل المواضع جريا على الرسم الاملائي المعروف ، لأن الالف فيه اصلها الياء ، لأن الفعل من الطغيان ، فيما عدا آية واحدة رسم المد فيها الفا على خلاف الرسم الاملائي ، وذلك في الآية القرآنية الكريمة (إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ) ولعل السر في ذلك يرجع .. من وجهة نظرى ـ إلى أن الطغيان أصلا مذموم ، لأنه ظلم وفساد ، وأما الطغيان في هذه الآية فهو محمود لأنه لحكمة معينة اقتضتها إرادة الله تعالى ، فرسم الفعل بالالف رمزا إلى السمو والعلو ، وللاشارة إلى هذه الحكمة من وراء هذا الطغيان ، وأما رسمها بالياء في بقية الآيات الاخرى فهو ـ فضلا عن كونه واردا على اصل الرسم الاملائي ـ رمز الى الانحطاط والتسفل ، لأن الطغيان ظلم وعدوان ، فرسم المد ياء إشارة إلى ذلك .

نماذج من زيادة الواو

زيدت الواو في بعض الكلمات للدلالة على قوة الظهور في وجود المعنى المراد ، كما في قوله تعالى (سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ) الأعراف ١٤٥ (سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى) الأنبياء/٣٧ والذي يؤيد ذلك ان الآيتين جاءتا للتهديد والوعيد .
وزيدت الواو في (**أولو وأولات**) للدلالة على قوة المعنى وزيادته على اصحاب اللتين هما بمعناها لما في ذلك من معنى الصحبة ، وزيادة التملك والاستيلاء .

نماذج من زيادة اليــاء

زيدت الياء في بعض الكلمات كما في قوله تعالى (وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ) ، الذاريات/٤٧ للدلالة على الفرق بين الأيدي بمعنى القوة ، والأيدي المحسوسة ، والأيدي هنا قوة عظيمة بنى الله بها السماء ، والأيدي المحسوسة جمع يد ، وقوتها محدودة معروفة .
وزيدت الياء أيضا في (بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ) القلم/٦ للدلالة على تخصيصهم

بالصفة دونه عليه الصلاة والسلام ، أعني صفة المفتون ؛ لأنهم هم المفتونون دونه ، فزيدت الياء تنبيها على هذا الفرق بينه وبينهم .

نماذج من الحروف الناقصة في بعض الكلمات

المراد بنقص بعض الحروف هنا نقصها عن اللفظ الذي تنطق به ، ولنذكر نماذج فيما يلي لحذف الألف أو الواو أو الياء .

نماذج من حذف الألف

تحذف الألف اذا كان المعنى التفصيلي للكلمة غير ظاهر في الوجود ، وإنما يرجع لأمور علوية لا تدرك بالحس وتثبت اذا كان التفصيل يرجع الى ناحية علمية حقيقية ، أو لأمور سفلية .

ويظهر ذلك في لفظتي القرآن والكتاب ، لأن القرآن تفصيل الآيات التي أحكمت في الكتاب ، لذلك كان القرآن أدنى الينا في الفهم من الكتاب ، وأظهر في التنزيل . قال تعالى : (الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) هود/ ١ وقال تعالى في فصلت : (كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ) فصلت/ ٣ وقال جل شأنه : (إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ) القيامة/ ١٧ . ولذلك ثبت في الخط ألف القرآن ؛ وحذفت ألف الكتاب .

وإذا أتى القرآن مرادفا للفظ الكتاب تحذف الألف كما في قوله تعالى : (إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا) يوسف/ ٢ ـ (إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا) الزخرف/ ٣ ، لأن الضمير في الآيتين يرجع الى الكتاب المذكور قبله (تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ) و« الكتب المبين » في كل من يوسف والزخرف ، وقوله تعالى في الموضعين (لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ) دلالة على ان هذه أمور عقلية تناسب الكتاب أكثر ، لذلك حذفت الألف في الموضعين كما حذفت فى قوله تعالى : (وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ) الزخرف/ ٤ وهذا يؤيد ما فهمناه .

أما اذا كان الكتاب مخصوصا لا يراد به الكتاب السابق فإن الألف تثبت ولا تحذف من ذلك قوله تعالى (لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ) الرعد/ ٣٨ ؛ لأن هذا كتاب الآجال ، فهو أخص من الكتاب المطلق أو المضاف لله ، ومن ذلك ايضا (وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ) الحجر/ ٤ لأن هذا أخص من كتاب إهلاك الآجال ؛ لأنه كتاب إهلاك القرى .

ومن الجدير بالذكر ان الألف ثبتت في لفظ كتاب في قوله تعالى : (وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ) الكهف/ ٢٧ وحذفت من لفظ الكتاب في آية أخرى في قوله تعالى (ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ) العنكبوت/ ٤٥ مع ان المأمور به هو التلاوة في الآيتين ، وذلك لاضافة كتاب في الأولى الى لفظ (رَبِّكَ) دون

الثانية ، فالكتاب في الأولى أخص من الثانية .
وأحيانا نجد لفظ القرآن يقرن بلفظ الكتاب سابقا أو لاحقا كما في قوله تعالى : (تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ) النمل/١ وقوله تعالى : (تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ) **الحجر/١** ومن الملاحظ ان ألف كتاب ثبتت في الآية الأولى دون الثانية لتبعية لفظ (**كتاب**) للفظ (**القرآن**) بخلاف الثانية فرسمت الألف في القرآن دون الكتاب على ما هو الأصل ، ولسبق لفظ الكتاب .
وهذا بخلاف ما سبق في الآيتين الكريمتين (إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا) و(إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا) حيث حذفت ألف قرآن لمرادفته للفظ الكتاب في الاعتبار كما سبق . وأما (بِسْمِ ٱللَّهِ) فنجد أن فيها ثلاث ألفات ، اثنتان محذوفتان ، وواحدة ثابتة ، فقد حذفت الألف في بِسْمِ للدلالة على علوه في أول رتبة الأسماء وانفراده ، وأن جميع الأسماء راجعة اليه ، لاضافته الى لفظ الجلالة الذي هو جامع الأسماء كلها ، ولهذا لم يتسم به غير الله ، بخلاف غيره من أسمائه ، ولهذا ثبتت في (بِٱسْمِ رَبِّكَ) العلق/١ .
كما حذفت الألف قبل الهاء في لفظ الجلالة ، وثبتت في بدئه للدلالة على أنه الظاهر من جهة التعريف والبيان ، الباطن من جهة الادراك والعيان ، فهو الظاهر والباطن .
هذا وقد ذهب صاحب البرهان في علوم القرآن الى أن حذف الألف واثباتها من لفظ واحد وفي آية واحدة هي قوله تعالى : (وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَٰمُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ) المائدة/٥ حيث ثبتت في لفظ **(طعام)** الأولى وحذفت في الثانية ، لأن طعام اهل الكتاب سفلي بالنسبة لطعامنا ، وطعامنا علوي بالنسبة لطعامهم لعلو ملتنا على ملتهم .
واعتقد ان الأمر ليس كذلك : لأن اللفظتين في الآية الكريمة رسمتا بالألف ، لأن كلا من الطعامين حس ملموس ، فلا فرق بينهما من هذه الوجهة .
وكذلك ذهب صاحب البرهان الى ان حذف الألف من واحدة في قوله تعالى (فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ) واثباتها في نفس اللفظة في (وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً) الحاقة/١٣ ـ ١٤ لأن النفخة روحانية لا تعلم إلا إيمانا ، بخلاف دك الأرض والجبال دكة واحدة ؛ لأنها ثابتة جسمانية يتصور أمثالها من الهوى[1] واعتقد ايضا ان الأمر بخلاف ذلك ؛ لأن الألف حذفت من الآيتين معا ، ولعل ذلك راجع الى أن النفخ في الصور ودك الأرض والجبال لا فرق بينهما من حيث الحسية والمعنوية من هذه الجهة ، فلا نستطيع مشاهدة الثانية دون الأولى ؛ لأنه بمجرد النفخ في الصور نفخة أولى يصعق من في السموات ومن في الأرض ، كما قال تعالى : (وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ) الزمر/٦٨
فالنفخ في الصور ودك الارض والجبال يستويان بالنسبة لعدم إدراكنا .. والله أعلم بمراده وكذلك حذفت من الآيات (أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ)

(١) ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/٣٩٣/٣٩٤

النور/ ٣١ (يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ) الزخرف/ ٤٩ (أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ) الرحمن/ ٣١ « للاشارة الى معنى الانتهاء إلى غاية ليس وراءها في الفهم رتبة يمتد النداء إليها ، وتنبيه على الاقتصار والاقتصاد من حالهم ، والرجوع الى ما ينبغي »(١)

نماذج من حذف الواو

سقطت الواو من أواخر الأفعال الآتية تنبيها على سرعة وقوع الفعل ، وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود .
من ذلك (**سندع الزبانية**) العلق/ ٨ (وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ) الشورى/ ٢٤ (وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ) الاسراء/ ١١ (يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ) القمر/ ٦
وأما ثبوت الواو في (يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ) الرعد/ ٣٩ وحذفها في (وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ) الشورى/ ٢٤ فمراعاة لصورة العطف في الثانية ، وان لم تكن معطوفة حقيقة على الفعل « يختم » قبلها في (فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ) بدليل عطف الفعل المرفوع بعده عليه في (وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ) الشورى/ ٢٤ ..
وأما ثبوتها في (**يمحو الله ما يشاء ويثبت**) فلعدم تحقق وجود صورة عطف على مجزوم ، ولأن الاثبات هو الأصل في الوجود .

نماذج من حذف الياء

تحذف الياء أحيانا اكتفاء بالكسرة الدالة عليها ، والياء المحذوفة في الخط ضربان : ضرب تكون فيه محذوفة خطا لا تلاوة ، وضرب تحذف فيه خطا وتلاوة .
ومن الضرب الأول (فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ) هود/ ٤٦ لأن علم هذا المسؤول غيب ملكوتى بدليل (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ) بخلاف قوله (فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) الكهف/ ٧٠ لأن هذا سؤال عن حوادث الملك في مقام الشاهد كخرق السفينة وقتل الغلام ، وإقامة الجدار .
ومن ذلك أيضا (لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ) الاسراء/ ٦٢ حذفت الياء لأن التأخير معنوي غير محسوس ، لأنه تأخير المؤاخذة ، لا التأخير الجسمي المحسوس ، فهو بخلاف (لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ) المنافقون/ ١١ لأن هذا التأخير تأخير جسمي في الدنيا الظاهرة . وحذفت ياء المتكلم أيضا من (فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ) (رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ) الفجر/ ١٥ ، ١٦ للاشارة الى أن الكرم والاهانة من الله ليسا على الوجه الذي يراه الانسان ، وهو الوجه المعروف المحسوس ، لأن الله تعالى يبتلي الصالح والطالح ؛ لقيام حجته على خلقه . وقد تكون الياء المحذوفة غير ياء المتكلم كما في قوله تعالى (يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ) هود/ ١٠٥ للاشارة الى أن هذا الاتيان ليس على الوجه المحسوس

(١) المرجع السابق ١/ ٣٩٦ .

المعروف ، بل هو إتيان ملكوتي أخروي متصل بما وراءه من الغيب .
ومن الضرب الثاني وهو ما حذفت فيه الياء خطا وتلاوة (فَبَشِّرْ عِبَادِ) الزمر/١٧ (قُلْ يَا عِبَادِ) الزمر/١٠ لأن الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام في علمنا ، وغاب العباد جميعا عن شهود هذا الخطاب ، فهم لا يعلمونه إلا بوساطة الرسول ، أي أنهم علموا الخطاب من الرسول عليه الصلاة والسلام دون أن يشهدوه ، فكانوا جميعا غائبين عنه ، لذلك غاب الضمير وهو ياء المتكلم رمزا لذلك .

وقد تكون الياء المحذوفة خطا وتلاوة غير ياء المتكلم كما في قوله تعالى (وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا) النساء/١٤٦ للاشارة الى التدرج في معنى الكلمة من مبدئة الظاهر شيئا بعد شيء إلى ملكوتية الباطن ، الى ما لا يدرك منه إلا ايمانا وتسليما ، فالأجر العظيم المذكور في الآية قد ابتدأ للمؤمنين في الدنيا متصلا بالآخرة الى ما لا نهاية ، بدليل (مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ) الزخرف/ ٧١ .

ومن ذلك (وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا) الحج/ ٥٤ حيث حذفت الياء إشارة الى انه يهديهم في الدنيا بما نصب لهم من الدلائل والعبر إلى الصراط المستقيم ، ثم تتدرج هذه الهداية برفع الدرجات فيها . قال تعالى (وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) ق/ ٣٥ .

ومن ذلك ايضا (**حتى اذا أتوا على واد النمل**) النمل/١٨ حذفت الياء للاشارة إلى أنه موضع لابتداء سماع الخطاب من أخفض الخلق وهي النملة إلى أعلاهم وهو الهدهد والطير ، ومن ظاهر الناس وباطن الجن الى قول العفريت الى قول الذي عنده علم من الكتاب الى ما وراء ذلك من هداية الكتاب الى مقام الاسلام لله رب العالمين .

نماذج من حذف النون

ومما يلحق بهذا القسم حذف النون للتنبيه على صغر مبدأ الشيء وحقارته ، وان منه ينشأ ويزيد ، الى ما لا يحيط بعلمه غير الله ، من ذلك (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً) القيامة/ ٣٧ حذفت للدلالة على مهانة مبدأ الانسان ، وصغر قدره ، وترقيه في أطوار التكوين (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ) يس/ ٧٧ .

ومن ذلك (وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا) النساء/ ٤٠ (إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ) لقمان/ ١٦ (فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ) **غافر** / ٨٥ حيث انتفى عن إيمانهم مبدأ الانتفاع وأقله ، فانتفى أصله .

وهذا بخلاف (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا) النساء/ ٩٧ حيث ثبتت النون ؛ لأن سعة أرض الله أمر قد تم كونه ووجوده ، فليس فيه تدرج .

رسم الألف واوا في بعض المواضع

رأيت من المناسب ـ وأنا بصدد الحديث عن بعض دلالة الرسم في المصحف الشريف ـ أن أشير الى ان الألف رسمت واوا في أربعة أصول مطردة ، وفي اربعة أحرف متفرعة . فالأربعة الأصول هي (**الصلوٰة**) و(**الزكوٰة**) و(**الحيوٰة**) و(**الربوا**) .

والأربعة الأحرف هي في الأنعام والكهف (**الغدوٰة**) الأنعام/ ٥٢ والكهف ٢٨ والنور (**كمشكوٰة**) وفي **غافر** (النجوٰة) وفي النجم (ومنوٰة)

ويذكر صاحب البرهان تعليلا لهذا الرسم بأنه لتعظيم شأن هذه الأشياء ؛ فان الصلاة والزكاة عمود الاسلام ، والحياة قاعدة النفس ومفتاح البقاء ، وترك الربا قاعدة الأمان ، ومفتاح التقوى ، ولهذا قال : (اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰا) الى قوله : (فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) البقرة ٢٧٨ / ٢٧٩ ولهذا قوبل بينهما في قوله: (يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) البقرة/ ٢٧٦ واجتنابه أصل في التصرفات المالية .

وأما (**النجوٰة**) فلأنها قاعدة الطاعات ومفتاح السعادات ، قال تعالى : (وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ) **غافر** / ٤١ .

وأما الغداة فقاعدة الأزمان ، ومبدأ تصرف الانسان ، وأما المشكاة فقاعدة الهداية ، ومفتاح الولاية . قال تعالى (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ) النور/ ٣٥ .

وأما (**منوٰة**) فقاعدة الضلال ومفتاح الشرك والاضلال ....

وأما قوله تعالى (وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) الروم/ ٣٩

فلم ترسم فيه ألف الربا واوا ؛ لأنه ليس هو الربا العام الكلي ، ولذلك رسمت ألف (زكوٰة) واوا في نفس الآية لأن المراد بها الكلية في حكم الله تعالى ، ومن هذا المنطلق لم ترسم الألف واوا في (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ) الأنفال/ ٣٥ (إِنَّ صَلَاتِي) الأنعام/ ١٦٢ (حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) الأنعام/ ٢٩ لعدم إرادة الكلية ، وتخصص كل منها بالاضافة[1] .. والله أعلم بمراده .

وبعــــد

فهذا قل من كثر فيما يتعلق بأسرار الرسم في المصحف الشريف ، وقد حاولت إعطاء نماذج فقط ، ملخصا معظمها من كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي ، مناقشا إياه في بعض التعليلات ، وكان الهدف من وراء ذلك

إثارة الانتباه ، ولفت النظر الى هذه الناحية ذات الشأن الخطير في القرآن الكريم ، ولعلني بذلك أكون قد تقدمت خطوة على هذا الطريق الطويل الوعر ، أملا أن تتلوها خطوات على الدرب مني أو من غيري من المهتمين بالدراسات القرآنية ، والله وحده الموفق والهادي الى الصواب ، ونسأله سبحانه وتعالى ـ ألا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا .

---

(١) ينظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي ١ / ٤٠٩ ـ ٤١٠ .

تلوح أمام المسلم المثقف في عصرنا هذا مشاكل وعقبات تتحدى مسيرته في التمسك بحبل دينه المتين ، وتثير في نفسه أسئلة يود أن يجد لها حلا ، أو جوابا يركن اليه ويطمئن به .

منزلة السنة في حياة المسلم

للأستاذ الدكتور/

نور الدين عتر

ولعل أهم هذه الأسئلة السؤال : ما منزلة السنة في حياة المسلم ؟ وتبدو اهمية هذا السؤال من جهات عديدة أنوه هنا بجهة خطيرة منها ، هي توهم كثير من المسلمين ان الحياة الاسلامية تكمن في مجاراة تقاليد وعادات قديمة ، لا لشيء سوى ان المجتمع درج عليها ، فأصبحت عرفا متبعا !! وههنا الخطأ والخطر !!

ذلك ان مجاراة عرف أو تقاليد مجاراة عمياء دون فهم ووعي لحقيقتها ، هذه المجاراة تعني ان يصبح الانسان وكأنه فرد في قطيع ، لا يدري أين يتجه ، ولا يميز الخطأ من الصواب ، والحق من الباطل والخير من الشر ، وكم تسير في المجتمع من عادات فاسدة وتقاليد سيئة يجب الحذر منها ، ويتحتم تصحيح

مسارها بما يوافق الاسلام الحنيف .
حقا إن القرآن هو المصدر الأول للاسلام ، لكن ليس معنى هذا أن نقلل من أهمية الحديث النبوي ! بل إن معنى ذلك هو أن نبدأ بالقرآن ونجعل الحديث النبوي إمامنا في فهمه وتطبيقه ، فانه لا غنى بالمسلم أبدا عن الحديث النبوي للعمل بالقرآن ، حتى في أداء أركان الاسلام وفروضه وهذه واقعة هامة جدا أسوقها عبرة ودرسا في هذا الصدد :

أخرج الخطيب البغدادي بسنده أن عمران بن حصين رضي الله عنه كان جالسا ومعه أصحابه فقال رجل من القوم : لا تحدثونا الا بالقرآن . قال فقال له : « ادنه » . فدنا فقال : « أرأيت لو وكلت انت وأصحابك الى القرآن أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعا وصلاة العصر اربعا والمغرب ثلاثا تقرأ في اثنتين ؟! أرأيت لو وكلت انت وأصحابك الى القرآن أكنت تجد الطواف بالبيت سبعا والطواف بالصفا والمروة ؟! » .
ثم قال : « أي قوم ، خذوا عنا ، فانكم والله الا تفعلوا لتضلن » .
بل انه لا يمكن التحقق بروح الايمان والاسلام في عباداته دون السنة الشارحة له والمبينة لكيفية تطبيقه فهذه الصلاة أمر الله باقامتها في مواضع كثيرة جدا ، لكن كيفيتها الروحانية وصفة الخشوع التي أثنى بها القرآن (**قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون**) هذه لا تعرف الا من الحديث النبوي الذي يصف لنا خشوع النبي صلى الله عليه وسلم؛

هذا في أركان الدين وعمودها الصلاة ، فكيف بجوانب الزهد والأخلاق ؟ لقد قرر القرآن : « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو ... » فزهد في الدنيا ورغب في الآخرة فجاءت الأحاديث تبين التطبيق العملي في مثله الأعلى في النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عن عروة عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تقول : « والله يا ابن اختي ! ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال : ثلاثة اهلة في شهرين ، وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار . قال : قلت : يا خالة فما كان يعيشكم ؟! قالت : الأسودان : التمر والماء .. » .

وقد عرف الناس معنى كلمة رحمة ، وكرم ، وتواضع ، وغير ذلك من عناوين في فضائل الأخلاق أو في معاملة المجتمع لكن الصورة العملية التي تكون القدوة لهم ومقياس الكمال في أفعالهم انما تؤخذ من الحديث النبوي الذي يعطينا صورة مشرقة عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم : «كان خلقه القرآن » كما في مسلم .

وهكذا معاملته صلى الله عليه وسلم للضعفاء والأطفال والنساء والفقراء ، ولخدمه واهل بيته توضح تلك المعاني الفاضلة والقيم السامية ، كما في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : «خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين ـ وفي رواية احمد في السفر والحضر ـ فما قال لي : أف قط ، ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ؟ ولا لشيء تركته لم تركته ؟ » .

وفي المجتمع نجد السنة ترسخ أساس المجتمع على أساس التعاون والتحاب والشعور الواحد « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » متفق عليه .
وهكذا نجد الحديث النبوي الشريف مرآة للجو الديني الاسلامي التطبيقي الفعلي الذي لا يستغني المسلم عن النظر فيه أبدا ،

وان بقاء صورة العهد النبوي بجانب القرآن وبقاء حديث صاحب النبوة ومزية من مزايا الاسلام ،
التي لا تشاركه فيها ديانة من الديانات . فقد تكفل الله تعالى بحفظ الدين الاسلامي الى يوم القيامة ولا يمكن للدين أن يبقى اذا لم تبق صورة أجوائه وتطبيقاته محفوظة ، وقد تمت صيانة هذا الجو بفضل الحديث النبوي الشريف .

وقد جاءت الآيات القرآنية الكثيرة جدا صريحة قاطعة في وجوب العمل بالحديث النبوي ، كقوله تعالى : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا » وقوله عز وجل (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**) وغير ذلك من الآيات الكثيرة .
كذلك تواترت الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم في وجوب الأخذ بهديه في كل شيء من الأمور صغيرها وكبيرها على منشط النفس ورضاها أو على كراهيتها ومخالفة هواها :

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كما في أبي داود والترمذي وصححه : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .
وقال صلى الله عليه وسلم : « ان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدي محمد وشر الأمور محدثاتها » كما في صحيح مسلم .
وانما يهون من شأن الحديث أو يشكك فيه بعض الناس لأهواء خبيثة أو نزغات فاسدة تنزغ بهم عن الحق والصراط المستقيم ، وأهمها ما يلي :
١ ـ محاولة الكيد للاسلام واهله ، وصد الناس عن الاسلام ، كما هو دأب طائفة متحاملة من المستشرقين وبعض أتباعهم الفكريين الذين وظفوا أنفسهم لخدمة الفكر الأجنبي .

٢ ـ طائفة ملحقة بالسابقين من المنبهرين بكل ما جاء عن الأجانب فهم يقلدونهم تقليدا أعمى في بعض الانتقادات على الحديث النبوي دون أن يشعروا بما في تقليدهم من البهتان العظيم وضرر هذه الفئة كبير لأنهم لايظن بهم السوء ولا يفطن لهم الا العلماء النابهون الخبيرون بمثل هذه المواقف .
٣ ـ طائفة من أبناء الاسلام عبدت أنفسها للتقاليد الأجنبية ، ثم عز عليها التوفيق بين تلك التقاليد والقيم الأجنبية والسنة النبوية ، وفي هذا يقول المفكر المهتدي المسلم محمد أسد (وكان اسمه لبوبولدفايس) :

« وفي هذه الأيام التي زاد فيها نفوذ المدنية الغربية في البلاد الاسلامية نجد سببا جديدا يضاف الى الموقف المستغرب الذي يقفه من نسميهم (أي يسميهم الأجانب ؟!!) « متنورى المسلمين » من هذه القضية ذلك هو قولهم انه من المستحيل ان نعيش على سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن نتبع الطريقة الغربية في الحياة في آن واحد .

ثم ان الجيل المسلم الحاضر مستعد لأن يكبر كل شيء غربي وان يتعبد لكل مدنية أجنبية لأنها أجنبية ، ولأنها قوية وبراقة من الناحية المادية ؟!!

هذا التفرنج كان أقوى الأسباب التي جعلت أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وجميع نظام السنة معها لاتجد قبولا في يومنا هذا (أي عند هذه الفئة) .

ان السنة تعارض الآراء الأساسية التي تقوم عليها المدنية الغربية معارضة صريحة ، حتى ان أولئك الذين خلبتهم الثانية (أي المدنية الأجنبية) لا يجدون مخرجا من مأزقهم هذا الا برفض السنة ، على أنها غير واجبة الاتباع على المسلمين لأنها قائمة على أحاديث لا يوثق بها ـ أي بزعمهم الباطل ـ وبعد هذه المحاكمة الوجيزة (الجائرة العجيبة) يصبح تحريف تعاليم القرآن الكريم لكي تظهر موافقة لروح المدنية الغربية (أو الشرقية ايضا) أكثر سهولة» . انتهى .

لكن .. ولله الحمد على الرغم من ذلك كله فقد ظهرت ظواهر اجتماعية وفردية اسلامية عامة في كافة الأقطار الاسلامية تدين هذا التجني على الحديث النبوي وتكشف زيف أباطيله بل كان ذلك تنبيها للمسلمين الى ما كانوا غفلوا عنه من الاهتمام بالحديث النبوي حتى بات أمرا معتادا لنا أن نجد المسلم المثقف يتلقى البيان الشرعي ويسأل عن مستنداته من الكتاب والسنة ، فلم يزل شعار السنة مرفوعا ـ ولله الحمد ـ والدعوة اليها قائمة وقد عجنت بها طينة المجتمع الاسلامي وتغلغلت في احشائه وجرت منه مجرى الروح والدم ، حتى أصبح من المستحيل تجريده منها ولن يزال حديث النبي صلى الله عليه وسلم معتنى به دراسة وتفقها ، وتحقيقا ونشرا لمصادره ، وها هي ذي الكتب في الحديث وعلومه تأليفا من المعاصرين أو تحقيقا لكتب الأئمة السالفين برهان صدق ودليل حق على ما قلناه ، وانه لن تزيد الأيام اهل الايمان الصحيح الا ثباتا على التمسك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم حفظا له ونشرا ، وتعلما وتعليما ، وعملا وتطبيقا ،

وهؤلاء لهم البشرى بمضاعفة الأجر وعلو القدر

إن كثيرا من الدراسات والأفكار التي طرحت وتصدت لمشكلات ومشاغل الفكر العربي والاسلامي الراهنة ، وواقع الحضارة الغربية السائدة وأزماتها وخصائصها العامة ؛ إنما انطلقت من مواقف شخصية متباينة لأصحابها ، بعيدة عن الموضوعية المطلوبة في سلم التقييم والتقدير بعدا معتبرا ؛ إما من موقع رد الفعل المحكوم عادة بالدوافع المزاجية والذاتية ، أو من موقع الدفاع التبريري المحكوم بالعاطفة الحارة التي تقدم في واقع الأمر معالجات ذات وصف محدود أو تقدير خاطىء .

ولأن التفسير القاصر يؤدي إلى نتائج قاصرة فإن أمثال تلك المواقف فضلا عن كونها ملأت الأفهام واحتلت مساحات مهمة من وعينا أثقلتها بمواصفات سقيمة وأطاريح متناقضة ، لا تتماشى مع ملامح التوجه الاسلامي المنشود .

الإسلام

مفتاح الموقف

للأستاذ / محمد بدر الدين ابن حسن

ومن أجل تجاوز تلك المرحلة بمخلفاتها ورموزها ، لابد من دعوة لتأسيس حركة فكرية جديدة ذات خطاب وتوجه أصيلين يقومان على حوارية التصحيح والترشيد لمعظم قضايانا التي مسختها معاول الاستعمار والاستغراب ، فنبني جملة أفكارنا وأهدافنا من ينابيع ثقافتنا الاسلامية التي ترتكز على مصادر معلومة **هي القرآن والسنة وتراث الأمة** ، ثم يأتي دور الاستفادة من تجارب الأمم الأخرى على امتداد تاريخها القديم والحديث بما يتلاءم مع تلك المصادر .

فالقرآن الكريم يعتبر الينبوع الأول الذي غذى حياة الأمة ولا يزال بمعظم مقوماتها الحضارية ؛ فهو الذي حفظ أصول الثقافة العربية الاسلامية ولغتها وآدابها وتاريخها ،

وفي ظله نشأت علوم اللغة والفقه والطبيعة والفلك ، وهو يضم بين صفحاته ثروة زاخرة من النظم والأحكام والآداب ما يكفي لتنظيم أمة وتأسيس دولة قوامها العزة والعدل والتمكين .

وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم تعتبر المرجع الثاني الذي تقوم عليه تلك الأصول ، وهو أعظم مثال تستقي منه الأمة معاني الاخلاص والجهاد والقدوة الشاملة .

أما المرجع الثالث فهو تراث الأمة بوجه عام ويشمل الأدب والتاريخ وذخيرة العادات والتقاليد وأنماط حياتها ، ومظاهر الثقافة التي شكلت روحها وكيانها

إن الابتعاد عن هذه المرجعية جعلت معظم دول العالم العربي والاسلامي عرضة للعجز والتشتت ،

وقد ظلت منذ فجر استقلالها إلى اليوم تلهث وراء تجارب نقل التقنية الغربية

واللحاق بركب حضارتها دون جدوى بسبب غياب خطة دقيقة تراعي عقيدة الشعوب المسلمة ومصادرها الأولية ،

ولذلك فشلت كل تلك التجارب وسقطت مشروعات النهضة المرتبطة بها .

والسبب الآخر في هذا الفشل يرجع إلى إصرارنا على اعتبار التفوق الحضاري الغربي هو النمط الوحيد للتقدم ؛ متجاهلين خصائص العباد والبلاد ، مع أن مدنية الغرب وقيمها ومصطلحاتها ليست صالحة بالضرورة لتطبيقات مماثلة في مجتمع آخر مغاير من حيث الطبيعة والتكوين .

والخطيئة القاتلة التي وقعت فيها حركة (العلمنة) في المجتمع

الاسلامي أنها راحت تحت شعارات التقدم تلغي ميراث أمة لتكرس بديلا عنه اختيارات الغرب ومناهجه ،

ونتيجة لذلك التوجه نجد اليوم أن معظم قضايانا في كثير من شؤون العلم والاقتصاد والسياسة وكل ما يواجهنا

فيها من معضلات وأتعاب إنما هي نتيجة الظروف الخاصة التي أحاطت

بالحياة الغربية التي نقلنا أمراضها ولم نلتمس صوابا في غيرها فكانت المحصلة مزيدا من التبعية والتخلف .

ومن نتائج الابتعاد عن المصادر الاسلامية أن استحوذت الزعامة اللادينية على قوى التأثير والتوجيه ،

وعملت بكل عزم على تدمير أغلب الأسس والقيم الذاتية التي كانت تحيا في ظلها المجتمعات المسلمة ،

ومكّنت قنوات الاستعمار الخفية من مواصلة سيطرتها على أسس الاقتصاد والتعليم والفكر .

إن مظاهر التبعية **الاقتصادية** هي من أكثر العلامات ظهورا وانكشافا لفرط تمكنها في جسم الأمة ، ولكنها ليست إلا نتيجة محتومة لتفاعلات أخرى أشد خفاء وخطرا ؛

فنظام التعليم المدني مثلا بطرائقه ومضامينه الغربية قضى على أسلوب التعليم الاسلامي وسلبه معنى وجوده إذ قطع صلته بالاقتصاد والوظائف عامة فأصبح فرعا هامشيا في نظام المدارس الحديثة بعد أن كان الروح المحركة التي تدور حولها سائر المعارف والعلوم .

وقد عملت تلك المدارس على تهجين أجيال كاملة حرمت من تذوق ثمار ثقافتها الذاتية التي كانت دائما مرتبطة بقطبي المصحف والمسجد ودعائم العقيدة والحكمة ، وجرت لخدمة أهداف الثقافة الغازية ؛

وبحكم النشأة والتكوين حملت لواء الدعوة إلى فكر الغرب وآدابه عبر أجهزة التأثير المختلفة كالصحافة والأدب والمسرح وسائر وسائل الاتصال والإعلام .

وقد بلغت هذه الفئات المتفرنجة في التباري لإحلال قيم الغرب حدا مفزعا قطع كثيرا من روابط الأمة بمعظم معالم تاريخها وعاداتها في مختلف أوجه النشاط الحياتي في نظام الحكم والادارة والتوقيت والآداب والفنون .

وإذا سلمنا بأن نظام التعليم هو انعكاس لتصورات واضعيه ووجهة نظرهم في المعرفة والوجود ، ومظهر لأخلاقهم ونفسياتهم تسري في جميع ألوان العلوم والفلسفات أدركنا كيف تصبح التبعية شاملة لكل نواحي الحياة .

○ أي مستقبل نريد ؟ ○

إن ذلك الوصف الفكري والاجتماعي يحدد لنا طبيعة بعض المشكلات الأولية التي تعاني منها مجتمعاتنا الاسلامية ، والتي ترجع في كثير من جوانبها إلى غياب خطة واضحة المعالم ترسم طريقا محددا للنهضة وفق تعاليم الاسلام التي تمنحنا الضوابط والأسس اللازمة للتقدم الحقيقي .

وما لم يحدث ذلك بتكاتف جهود المفكرين والعلماء وأصحاب القرار فستظل الكتابات والأفكار في دائرة الفوضى ، والمشاريع والأعمال في دائرة التكديس ، وكما يقول الاستاذ ـ مالك ابن نبي ـ رحمه الله :«سيظل العالم الاسلامي بكامله يتعاطى هنا حبة ضد الجهل ويأخذ هناك قرصا ضد الاستعمار وفي مكان قصي يتناول عقارا ضد الفقر ولكن لن نلمح شبح البرء».

والسبب في هذا المنهج التكديسي أننا لم نحدد موقفنا من نتائج الحضارة الحديثة وفق ميزان الاسلام وهويتنا واختياراتنا ، لأن تقييم النتاج الحضاري الأوروبي المعاصر بوجه خاص ضرورة نقدية وثقافية تفرضها رؤيتنا الاسلامية والعربية ، وحاجة شعوبنا العاجلة إلى طريقة

جديدة وفعالة في الحياة ترتكز على الايمان والعلم والكرامة ، حتى لا تبقى لأمور في دوائر التعطيل والعجز .

إن مظاهر التسيب الشاملة يمكن بعد ذلك مقاومتها وفق برنامج أصيل يواجه المفاهيم الفكرية والاجتماعية الوافدة علينا والتي أصبحت بسبب غياب مثل ذلك البرنامج أصولا ثابتة لايتفطن إليها ، ومسلمات أساسية كرستها أمواج الإعلام الغازية التي ترعاها ذمم رخيصة لا تعبأ بمصالح الأمة وتوجهاتها .

إن آيات القرآن الكريم وجهت أنظارنا الى حقيقة الأعمال المطلوبة في هذا المجال : فكل الإنجازات والأفكار ينبغي أن ينظر إليها بعين رافضة وناقدة ما لم تهدف إلى ربط الأمة بدينها وتاريخها ولغتها لأن ما يبنى

على الفاسد لا يكون إلا فاسدا : (**إن الله لا يصلح عمل المفسدين**) يونس / ٨١ . وكذلك ما يصدر عن فاسد لا يكون إلا فاسدا : (**إن هؤلاء متبَّر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون**) الأعراف / ١٣٩ .

وعليه فإن القرآن قد أرشدنا إلى **ركنين** في التعامل مع أي إنتاج إنساني **هما** :

طهارة المنشأ وسلامة المقصد ، ولذلك فإن العمل بمقتضى القوانين

والأوضاع التي ركزها الاستعمار في بلادنا هو في واقع الأمر استمرار للاستعمار بأسلوب مقنّع وأدوات محلية ، وإن المروّجين لفكر الغرب وقيمه إنما يعملون في نهاية المطاف ضد مصالح شعوبهم التي تريد لنفسها العزة والتميز والاستقلال .

إن الزعم بأن الحضارة الغربية هي النتاج النهائي الذي وصلت إليه الحضارة الانسانية وبالتالي فهي نمط التقدم الوحيد ، وضرورة السير في منهاجها بدون أي ضابط أدى في نهاية الأمر إلى تجميع أكوام من منتجات تلك الحضارة لم تصنع شيئا سوى تقوية نزعة الاستهلاك ، ذلك لأن البناء الحضاري لا يتم بعمليات النقل والتجميع بل لابد أن يكون مرتبطا بقواعد الثقافة الأصلية لشعب من الشعوب .

ومن ناحية أخرى فإن ذلك الزعم يتجاهل طبيعة ذلك النتاج وأسس الإبادة والنهب التي أوصلته إلى مرحلته الراهنة ؛ حيث دمر الغرب ونهب عبر مراحل طويلة من تطوره كل ما وصلته يداه من تراث ورصيد الأمم والحضارات الأخرى .

يصف الدكتور ـ شاكر مصطفى ـ هذه المراحل بأنها ملحمة دامت **أربعة قرون** بدأت بالإبادة الكاملة لشعوب

الهنود الحمر في القارة الاميركية الجديدة حيث ذبح الغرب أربعين

مليون إنسان ، وفي سبيل استغلال هذه الأرض وقعت القارة الثانية إفريقيا في الكارثة حيث تسلطت الأساطيل الأوروبية على الشواطيء الافريقية وراحت تصطاد منها الزنوج

ليكونوا آلات الحرث والخدمات في أميركا .

ثم جاءت بعد ذلك مرحلة النهب العالمي التي ارتبطت ببسط النفوذ والهيمنة على معظم دول العالم وخاصة دول العالم الاسلامي حيث نهبت ثرواته ودمرت مقوماته الحضارية ، وأخيرا جاءت مرحلة تنمية التخلف ، وهي مرحلة الواقع الذي نعيشه اليوم والمقامة أساسا على التغريب **والاقتصاد الخادم وتكريس التجزئة** ، وتوجيه التربية وسائر القطاعات من أجل التخلف والاستهلاك .

إن أحد أهم ثوابت المنطق الغربي - والتي ينبغي على المسلمين إدراك أبعادها ومقتضياتها - أنه يقدم نفسه كمنطلق ومركز يجب أن يتم تنظيم المجتمعات البشرية على أساسه

دون التفات إلى خصائصها ، إذ المهم أن تذوب فيه أو تتمشى على الأقل مع أهدافه ومراميه ، فهو محور العالم الذي ينبغي أن تدور مجموعات البشر في فلكه قسرا ، وهو لذلك يقوم على الاستكبار على كل شيء : على الكون وعلى الطبيعة وعلى الانسان .

ونتيجة لهذا المنطق قطع الغرب روابطه بالخلق والخالق والفطرة والحكمة ، وكفر بما عداه ، فحطم الهنود الحمر والقبائل الافريقية ، وتحكم في اقتصاديات الدول وأقوات الشعوب لفرض هذه النزعة وهذا المنطق .

وبسبب طيشه قاد العالم إلى كارثة محققة يصفها الأديب الكولمبي - جابريال جارسيا ماركيز - الحائز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٣ **بقوله** : (إن الكرة الأرضية معرضة اليوم في أي لحظة إلى انفجار رهيب يدمر كل آثار الحياة فيها بسبب الوباء النووي الذي يمكن أن ينطلق من مخازن دول الغرب عن طريق الخطأ أو القصد ، ومن ناحية ثانية فإن كل فرد في العالم يجلس اليوم على برميل من المتفجرات يفوق زنة أربعة أطنان ،

ومن المؤكد أن قوة التدمير المعلقة على رؤوس العباد قادرة على تحطيم أربعة كواكب بالكامل زيادة على كل الكواكب الأخرى الدائرة حول الشمس) .

إن سلسلة الأخطار العظمى الناشئة عن احتكار الغرب للعلم والتقنية وتوجيهها لتدمير غيره وعبادة ذاته تهدد البشرية جمعاء بالدمار والانقراض ، هذه الأخطار تتكاثر اليوم على نحو تدريجي مما يوجب على العالم بأسره إدانة هذا التصرف وقرع أجراس الخطر ، والعزم على إزالة أسبابه قبل فوات الأوان .

وعلى سبيل المثال فإن تزايد الغاز الكربوني في الغلاف الجوي ، وتلوث النباتات والبحار ، وإنتاج النفايات النووية المشعة الناتجة عن التفاعلات

الكيميائية والذرية داخل الأفران النووية وغير ذلك من أشكال التدمير تشهد بأن المستقبل الذي تتطلع إليه شعوب الأرض حولته حضارة الغرب

إلى صدمة كبرى وخيبة عامة ، وأنها باتت تحصد ثمار ما زرعته بالأمس ، تصديقا لتقدير الله تعالى : (**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون**) الروم / ٤١ .

○ امتحان الزمان وسبيل النصر ○

إن امتحان الزمان لا يرحم ، ذلك أن مسيرة التاريخ ليست حيادية تجاه الأمم ، وقد تمضي القرون على أمتنا وهي في سبات عميق لا ترى شمس الحق خلف الغشاوة السميكة فوق عينيها ، ولكن سرعان ما تنقشع الغيوم ويشرق فجر العزة والتمكين إذا فهمت سنن التاريخ ورامت اليقظة والصلاح .

وإنا لنجد في القرآن الكريم إشارات بالغة تصرح بأن ثورة الباطل مهما حشدت لنفسها من قوى لابد أن تخضع في الأخير لصولة الحق وغلبته : (**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**) الأنبياء / ١٨ ، ذلك لأن قوانين الحياة خاضعة لمبدأ إلهي يقول : (**لا ينال عهدي الظالمين**) البقرة / ١٢٤ .

وإن الخليل عليه السلام لما سأل الله الأمن والاستقرار في قوله : (**رب اجعل هذا بلدا آمنا**) ، كان جواب الله تعالى : (**ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير**) البقرة / ١٢٦ وهذا يعني أن الرخاء الذي يعم المجتمعات سرعان ما يصيبه التفكك والزوال ، وكما ينطبق هذا على العمران ينطبق أيضا على الأفكار .

وأمام المسلمين اليوم مسيرة طويلة وشاقة لردم الهوة وتجاوز الخلل ، وليس لنا أعظم من سلاح الاسلام نرفعه للإنقاذ والمواجهة والبناء ، فهو كفيل ـ رغم مسالك التعطيل والتعتيم التي زرعها الاستعمار العالمي ـ بإحداث البناء والإصلاح المنشودين .

وإن الوقوف تحت راية القرآن والسنة ضمان من الله يمثل السند الأقوى لنسف كل العوائق المزعومة وكسب المعركة الحضارية : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**) النور / ٥٥ .

أزمة الموضوعية

للأستاذ / جمال سلطان

كثيرة هي الكلمات والمصطلحات ، التي فقدت مصداقيتها ، ودلالالتها الحقيقية تماما ، في واقعنا الفكري المعاصر ، على الرغم من شيوعها الوافر ، وشدة الإلحاح عليها في طروحاتنا الفكرية الجديدة ، مما يمثل - من وجهة نظرنا - انعكاسا مباشرا ، لأزمة اخلاقية عامة ، ألقت بظلالها السيئة ، على العديد من مناحي نشاطنا الانساني الحاضر .

ومن أبرز هذه الشعارات ، او الاصطلاحات ، التي تحتاج منا اليوم ، إلى إعادة النظر والتقويم والضبط ، لمكانتها في حياتنا الثقافية ، وموقفنا الحضاري عامة ، شعار « **الموضوعية** » .

ولنا ان نؤكد - بداية - أن الموضوعية ، وإن ألح الكثيرون على جانبها العلمي والمنهجي ، هي - في صلبها ومادتها - موقف أخلاقي ، يفرضه الضمير الحي ، والصدق الذاتي ، للباحث او المفكر ، قبل ان يضبطه قالب علمي محدد .

وذلك أن **الموضوعية** ، لا يمكن طرحها - مثلا - في مجال العمل الذهني الرياضي البحت ، إذ أن حاصل جمع رقم إلى آخر ، إنما يخضع لقوانين حتمية ثابتة ، ومنضبطة ذاتيا ، ولا تخضع هذه العملية لأي عامل خارج على مفرداتها ، ونفس الشيء يقال في مجال النشاط العلمي المادي التجريبي ، وإنما « **الموضوعية** » تطرح نفسها كضرورة منهجية ، وشرط ، في مجال دراساتنا الانسانية ، في التاريخ والآداب والفكر ، والموقف الحضاري ، حيث تتداخل الرؤى والحقائق ، وخلفيات المواقف ، والرصيد الثقافي والفكري والنفسي للباحث ، ونحو ذلك . ومن هنا يبرز العامل الأخلاقي ، اكثر صدقا ، وأوفر دقة ، من وصف « **العلمية** » في

هذا المجال ، وان كان لا يلغيها ، حيث تلعب « **الأمانة** » دورا حاسما في توجيه مسار البحث ، ونتائجه ، وبالتالي آثاره ، في ذهن القارىء والمتلقي ، والأمانة ـ هنا ـ فرع من أصل كبير ، الا وهو « **خلق الباحث** » و « **اخلاقية البحث** » .

ولا يخفي على الجاد الفهم ، ان الحديث عن الموضوعية ، من هذا المنطلق ، لا يمكن ان يكون من قبيل الترف الفكري ، او العتاب الحي ، وإنما هو الحديث ، عن حتمية حضارية راهنة ، وضرورة مبدئية ملحة ، ولا سيما في واقعنا المعاصر ، الذي يخطو حثيثا نحو النهضة الكبرى ، واثبات الوجود الحضاري الفاعل ، في هذا المعترك الكبير ، وليس من شك في أن التحدى الحقيقي ، والمشكلة الجوهرية في هذا الواقع ، هو ذلك الانسان العربي المضطرب ثقافيا وفكريا ، والذي اضطربت أمامه المواقف ، واهتزت الصور ، وتشابكت الرؤى ، واختلت المعايير ، ذلك الانسان الذي هو في مسيس الحاجة ، الى من يأخذ بيده ، في هذا الخضم البالغ التعقيد ، مجليا له الحقائق ، وضابطا له المواقف ، ومحددا له ارضه الصلبة ، التي يقف عليها في ثبات ، منطلقا الى آماله الحضارية المنشودة .

ويؤسفنا ان نقول ، إن « الموضوعية » تعيش في واقعنا المعاصر ، حال أزمة ، ازمة حقيقية ، تكاد تشمل كافة انتاجات العقل العربي ، سواء على صعيد الدراسة الادبية ، او البحث التاريخي ، او الطرح الفكري او الموقف الحضاري . ولعل فيما نعرضه الآن ، من نماذج حية لهذه الازمة ، ما يضع أيدينا على مبلغ تغلغلها في النواحي المتعددة من حياتنا الثقافية ، وايضا ، قدر ما تمثله من خطورة على الانسان العربي المسلم ، بما تفرضه من زيادة تعتيم للرؤية ، بدلا من إيضاحها ، وإضافة اضطراب للمواقف ، بدلا من ضبطها وإبرازها .

فعلى صعيد الدراسات الادبية ، تطالعنا دراسة « اكاديمية » عن قضية « الالتزام في الشعر العربي» ومعلوم ان تناول مثل هذا الموضوع ، في واقعنا الأدبي الحديث ، وهو الذي يمثل معظم مباحث الدراسة ، يرتبط ارتباطا وثيقا بالتيارات العقائدية ، والاتجاهات السياسية ، والتي تشكل الخلفية الموجهة لهذا « الالتزام الشعري »، وليس من ريب في ان رؤية هذه القضية « قضية الالتزام » ، وصورتها ، تختلف باختلاف التيار « الايديولوجي » والاتجاه السياسي ، الذي يطرح مثل هذه الرؤية ، وينظر لها ، ومن ثم ، فقد اتجه الباحث الى كافة التيارات « الايديولوجية » المعاصرة ، وغير المعاصرة ، ليعرض وجهات نظرها في هذه القضية ، وزاوية تصورها لها ، من أصحاب الفكر القومي العلماني ، الى أصحاب الفكر الشيوعي ، الى اصحاب العصبيات الاقليمية الانعزالية ، الى أصحاب الاتجاه التغريبي الصريح ،

الى الاقــلام المسيحيــة العــربيــة والمستعربة ، بنص كتاباتهم ، وبيان ائمتهم ، إلا طائفة واحدة ، كبر على الباحث ان يعرض رؤيتها ، من خلال رجــالاتها ، لهــذه القضيــة ، وهم أصحاب الفكرة العربية الاسلامية ، وعلى الرغم من عشرات البحوث ،

والــدراســات ، التي عــرض فيهــا الاسلاميون لهذه القضية ، وعــلى رأسها المرجع الرائد لهذه الأبحاث ، والمفجــر الأول لهـا ، أعنى كتــاب الدكتور محمد حسين « **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر** » بجزءيه الكبيرين ، وسعة اشتهاره في الاوساط العلمية والادبية العــربية ، الا ان قــائمــة مــراجــع البحث الكبــير ومصادره ، والتي شرقت وغربت ،

وحطبت الغث والسمــين ، من كل صوب ، قد خلت تماما من اي مصدر يمثــل وجهة النظــر الاســلاميــة ، وتصــورها ، لقضيــة « **الالتزام في الشعر العربي** » .

ترى .. هل يمكننا ان نصدق كل تلك المزاعم التي صدر بهــا الباحث دراسته ، متغنيا بالموضــوعية ، التى التزمها في عمله هذا ؟

وفي جانب آخر ، يلفت انتباه اي باحث في حركة الشعر الحديث ، بروز ظاهرة استيحاء التراث المسيحي ، في نتاجات شعراء هذه الحركة ، بشكل مكثف ، وغريب ، حتى أصبحت ـ لاول مرة في تاريخ الشعر العربي ـ الفاظ الصلب والصليب ، والمسيح ، والميلاد ، والقداس ، والعمــادة ...

الخ ، معالم رئيسة بارزة فيه ، وذلك ناتج مباشر ، لمحاولات التقليد الفجة ، والخاطئة ، لنماذج واتجاهات الشعر الاوروبي الحديث ، ولاسيما اشعار الانجليزيين « ت . س . إليوت » ، و « أديث سيتول » .

وهي ظاهرة خاطئة بكل المقاييس ، إذ أن هــذه الرمــوز والاصطــلاحــات والاحــداث ، ان صلحت لتحريــك مشــاعر الاوروبي ، ذي الــرصيــد الديني المسيحي العميق ، فإنها لا تصلح ـ البتة ـ لتحــريك مشــاعر العربي المسلم ، ذي الرصيد الديني الاسلامي المتجذر في حنايا نفسه ، والمخــالف تمامــا ، لهــذه الــرمــوز والإيحاءات فضلا عن دلالة هذه الظاهرة الصريحة ، كمعلم من معالم السقوط النفسي والحضاري ، أمام تيــارات الحضــارة الاوروبيــة الحديثة .

ولسنا عن هذا نتكلم ، وإنما نريد ان نعرض موقف ناقد كبير لم يستفزه هذا الطوفان من رموز واصطلاحات التراث المسيحي ، ولم يثر اي انتباه عنده ، وإنما الذي استفزه ، وأثار حنقه وحفيظته ، هو اتجاه نفر من كتابنا وأدبائنا للكتابة عن الاسلام وتراث الاسلام ، فيسأل فزعا « ما بال معظم كتابنا قد انتهوا بالكتابة عن محمد ؟ أهو إيمــان من يشعر باقترابه من اليوم الآخر ؟ ذلك ما نرجوه ، ولكن ثمة أمر لاشك فيه ، هو اننــا قــد وصلنــا الى درجــة التزمت ! » .

اي ان الكتابة عن التراث المسيحي ورموزه ، في بلاد العرب المسلمين ، وعبر اقلام العرب المسلمين ، تكون تجديدا ، و « حداثة » اما الكتابة عن الاسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم فتصبح « تزمتا » وتستحق التأفف ؟! وعلى نفس الصعيد ، صعيد الدراسة الادبية ، يطالعنا بحث عن « المنهج الواقعي » في نقد الأدب ، وصاحب هذا البحث يعرف ، ويعي تماما ، ان الواقع الذي يخاطبه ويتعامل معه هو « الواقع العربي الاسلامي »

وبالتالي ، فالبديهة توجب ان يكون الادب المستحق لوصف « ادب الواقع » في هذه الحال عندما نقيمه وفق منهج عقائدي ما ـ هو أدب الفكرة العربية الاسلامية ، إلا أن الباحث ، قد شاء أن يطلق هذا الوصف المحدد « الأدب الواقعي » ،

على « ادب الماركسية » ، ويقول « ونحن نختار ان تسمى الواقعية التي تنهج في الأدب نهج التفكير المادي الجدلي والمادي التاريخي (الماركسية) في البلدان غير الاشتراكية باسم « الواقعية الجديدة » .

ونحن نعجب ، اي منطق هذا ، وأي لغة تلك ، التي تبيح له مثل هذا الضبط غير المنطقي وغير الموضوعي والذي يخول له ـ ضرورة ـ ان يصف النتاج الادبي للفكر الشيوعي الإلحادي في بلاد المسلمين ، بأنه : « أدب الواقع » ، أي واقع هذا ؟! واي فوضى علمية ولغوية تلك ؟!

وتمتد هذه الازمة لتشمل الابحاث التاريخية ، او تلك التي تحمل رؤية معاصرة ، للتاريخ والتراث الاسلامي ، ويلفت انتباهنا في هذا المجال ، ذلك الاتجاه الملح على إبراز النماذج المنحرفة في هذا التراث ، ورموز الإلحاد والتطرف ، وتقديمهم للقارىء المعاصر ، على انهم معالم الاستنارة والثورية في التاريخ الاسلامي ، عامدين ـ كذلك ـ من خلال هذه الابحاث الى تشويه صورة رجالات الاسلام الأفذاذ ، وتاريخهم الناصع ، مما يكون من شأنه إحداث الاضطراب والريبة في نفوس أجيالنا الجديدة ، تجاه هؤلاء الأعلام .

ونحن ـ هنا ـ لسنا في مقام كشف خلفيات هذا الاتجاه « المنظم » وابعاده الخطيرة ، فلذلك مقام آخر يأتي بإذن الله ، وإنما نحن نعرض الآن ، لإهدار اصحاب هذه الابحاث لأبسط قيم البحث الموضوعي ، منبهين الى معالم « ازمة الموضوعية » من خلال ذلك .

فقد كتب أحدهم بحثا عن « ابن الريوندي » ، وهو واحد من اشهر الملاحدة الذين حكت عنهم كتب التراث ، حتى أن الباحث نفسه اضطر الى إثبات هذا الوصف في عنوان كتابه ، وسماه « تاريخ ابن الريوندي الملحد » ، ويعترف الباحث في مقدمته بأنه ـ على حد تعبيره ـ « قد وصلت كل اخباره في كتب خصومه من المؤلفين » وليدقق القارىء في لفظ « **كل اخباره** » ، ثم يقول : « فالمصادر تكاد تجمع على انه

نقد القرآن ، والانبياء ، وعرض بالأديان كافة » . ثم عرض الباحث في كتابه لجميع آراء اهل الاسلام ، والفرق المختلفة ، في « ابن الريوندي » ، من أول القرن الثالث الهجري ، وحتى القرن الثالث عشر ، وكلها ـ كما نقل هو ـ مجمعة على ضلاله وإلحاده .

ومن خلال كل هذه الحقائق ، والآراء ذاتها ، والمصادر ذاتها ، خرج الباحث بنتيجة بالغة الغرابة ، لا يكاد يحتملها عقل ولا منطق بحال ، اذ يقرر « كان ابن الريوندي استاذ القرن الثالث بلا منازع ، وابرز مفكريه المستنيرين ، واكثرهم شموخا في بناء العقلية العلمية، في تفسير الحياة والدين من وجهة نظر انسانية ... كان مستنيرا ، حاول ان يؤسس مدرسة عقلية جديدة ، لها اسلوبها الجديد ، فاتهم بالزندقة والكفر والإلحاد ، وكان لشدة موضوعيته !!! قد أثار حفيظة كل الأوساط في المجتمع الاسلامي ؟! فيا صاحب « الموضوعية » ، اذا كنت قد قررت أن « جميع الآراء » الواردة قضت بكفره ، وان « كل الاخبار » المذكورة عنه، من كتب خصومه ، وان « كافة الفرق » اتفقت على إلحاده ، فبأى منطق ، ومن أي مصدر ، استطعت ان تجعله أستاذ الأساتذة ، ورائد الاستنارة في العالم الاسلامي في القرن الثالث ، اللهم الا اذا كنت ترى ـ ومن غير التواء ـ أن ضلاله وإلحاده وطعنه في الدين ، هو ذاته عين الاستنارة والعقلانية، وايضا .. الموضوعية!!

وبنفس الاسلوب ، **جاء باحث آخر** ، يحدثنا عن « غيلان الدمشقي » المقتول في إنكاره القدر ، وهو يقرر في بداية بحثه ـ صراحة ـ ان « المعلومات التي بقيت لنا عن غيلان الدمشقي ، في المصادر الاصلية المعتمدة في تاريخنا ، وفي كتب الفرق والعقائد والطبقات ، لا تكاد تفي بكتابة ترجمة، مهما تكن موجزة عن حياة هذا الانسان » .

بيد ان الباحث، مع هذا الاعتراف الصريح ، قد أباح لنفسه وقلمه ، ان يصور هذا النموذج في ذهن القارىء المعاصر ، في عرض شبه اسطوري للثائر المستنير ، ويقول « غيلان الدمشقي إنسان ، اذا شئنا ان نلخص حياته ، والعطاء الذي قدمته نفسه في هذه الحياة ، استطعنا أن نقول إنه كان موقفا ثوريا من كل سلبيات الحياة في العصر الذي عاش فيه !! ونحن نتساءل ـ **اولا** ـ في حيرة : هل عز في تاريخ الاسلام الطويل ، والثابت المستفيض من مواقف رجالاته الأفذاذ ، ان نجد من يمثل الثورية الملتزمة ، والاستنارة الحقيقية ، بحيث يضطر الباحث الى الحديث عن رجل ، لا يملك عنه ـ

حسب اعترافه ـ من الاخبار والوثائق ، ما يمكنه من كتابة ترجمة « مهما كانت موجزة » ؟! ثم نسأل كذلك ، اذا كانت هذه الشخصية ـ كما قرر الباحث نفسه ـ مجهولة الجوانب وابعاد المواقف ، بحيث لا يمكنه كتابة ترجمة ولو موجزة عنه ،

فكيف يبيح لقلمه ان يصورها امام القارىء المعاصر ، في تلك الأوصاف والعبارات الشمولية والنهائية والحادة : « استطعنا ان نقول » ،

« نلخص حياته » ، « موقف ثوري » ، « كل سلبيات عصره » ؟! ، واخطر من هذا نسأل : كيف يبيح لنفسه ان يغمز في أمانة رجالات الاسلام الأفذاذ ، ممن شاع ذكرهم وفاض علمهم وطهرت سيرتهم ، في عامة كتب التاريخ الموثقة ، مثل « الاوزاعي » إمام أهل الشام ، العالم العلم ، والفقيه الحجة ، والمحدث الثبت ، كيف يغمز فيه الباحث ، وهو من هو شهرة واستفاضة، بناء على فتواه في رجل « لا يمكنه كتابة ترجمة مهما كانت موجزة عنه » ؟! .

أما على صعيد الموقف الحضاري ، فقد حدث منذ قريب ، ان دعت إحدى مؤسساتنا العلمية « الاكاديمية » المحايدة ، او المفروض انها محايدة ، الى ندوة هامة ، لمناقشة « ازمة التطور الحضاري في الوطن العربي » .

ومثل هذه القضية ـ كما هو واضح ـ من الاهمية والخطورة والشمول ، بحيث تحتاج الى جهود كافة المخلصين ، من أهل الفكر والنظر ، لكي تتكامل الرؤية ، ويستقيم العمل .

ولقد حدث ان وجهت « المؤسسة العلمية المحايدة » ، الدعوة الى عشرات الباحثين والمفكرين ، من جميع البلدان العربية ، وقد شملت الدعوة جميع التيارات الفكرية ، بما فيهم « الماركسيون الخلص » ، ودعاة « العرقية الفينيقية الانعزالية » ؟! ،

الا علماء الاسلام ودعاته ومفكريه ، في كافة البلدان العربية المسلمة ، فقد ارتأت « المؤسسة العلمية المحايدة »

حرمانهم من مناقشة ، « ازمة التطور الحضاري في الوطن العربي » ؟! اما يحق لنا ان نقول : إن المؤتمر الذي قام ليعالج « ازمة التطور الحضاري في الوطن العربي » ، قد جاء هوذاته ،

تجسيدا حيا لهذه الازمة ، من خلال أبرز معالمها ، وأقسى مظاهرها ، أزمة الموضوعية ؟!

وقفة تأمّل

فقهاؤنا.. وليلة النصف من شعبان

مع صدور الوعي الاسلامي . في شهر شعبان من كل عام يتجدد الحديث عن ليلة النصف من شعبان .. وعن صلاة خاصة بهذه الليلة .. وعن دعاء خاص بها ، وعن الاجتماع على أدائها في المساجد .. أو تأديتها في المنازل ، فرادى أو مجتمعين .. وأي ذلك جائز ؟ وأي ذلك غير جائز ؟ وهل كانت تحيا هذه الليله في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي عهد الصحابة رضوان الله عليهم ؟

ام هي عبادة مستحدثة في الدين ؟
وما يجوز لنا ان نفعله وما لا يجوز .؟
كل هذا يشغل بال المسلمين .. وتراهم منقسمين بين مؤيد ومعارض .. وآخر لا يصل بها الى اخر الشوط ولا يمنعها من بداية الأمر ..
والآن نريد أن نستطلع حقيقة الأمر في غير اطناب . وفي غير اختصار مخل .

فطرقنا أول ما طرقنا باب « الموسوعة الفقهية » التي تصدرها وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية الكويتية ففتح لنا الجزء الثاني منها صفحاته .. فاستوقفنا هذا العنوان .

الاجتماع لاحياء ليلة النصف من شعبان

ـ جمهور الفقهاء على كراهة الاجتماع لاحياء ليلة النصف من شعبان،نص على ذلك الحنفية والمالكية ، وصرحوا بأن الاجتماع عليها بدعة،وعلى الأئمة

المنع منه، وهو قول عطاء بن ابي رباح،وابن ابي مليكة،وذهب الأوزاعي الى كراهة الاجتماع لها في المساجد للصلاة لأن الاجتماع على احياء هذه الليلة لم ينقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من اصحابه . وذهب خالد بن معدان ولقمان بن عامر واسحاق بن راهويه الى استحباب احيائها في جماعة .

هذا هو كل ما جاء عنها في موسوعتنا الفقهية فودعناها شاكرين . وتوجهنا الى شيخنا صاحب كتاب « البحر الرائق شرح كنز الدقائق» فحدثنا الشيخ قائلا : وماروى من الصلوات في الأوقات الشريفة كليلة القدر ، وليلة النصف من شعبان وليلتي العيد وعرفة والجمعة وغيرها تصلى فرادى .

وفي الحاشية المسماة«منحة الخالق على البحر الرائق » قال الشيخ : قال الشيخ اسماعيل وقد ذكر الغزنوي صلاة الرغائب ثنتي عشرة ركعة بين العشاء ين بست تسليمات،وصلاة الاستفتاح عشرين ركعة في النصف من رجب،وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة بخمسين تسليمة،وينبغي حمله على الانفراد.ثم قال الحافظ الطبرى جرت العادة في كل قطر من اقطار المكلفين بتطابق الكافة على صلاة مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان بألف قل هو الله احد،وتروى في صحتها أثار واخبار ليس عليها الاعتماد ولا نقول انها موضوعة كما قال الحافظ ابن الجوزى فان الحكم بالوضع امره خطير وشأنه كبير مع انها اخبار ترغيب ، والعامل عليها بنيته يثاب ، وبصدق عزمه واخلاصه في ابتهاله يجاب ، والاولى تلقيها بالقبول من غير حكم بصحتها ولا حرج في العمل بها .

بهذا القدر اكتفينا من حديث شيخنا الذي لا يمل واستاذناه في الذهاب لاستطلاع رأي عالم جليل هو صاحب كتاب « مراقي الفلاح » فأذن لنا .. وبعد السلام على الشيخ اخذنا مجلسنا امامه .. وطالبنا بان يخرج لنا ما لديه من علم فأرشدنا الى صفحة ٢١٩ فقرأنا : وندب إحياء ليلة النصف من شعبان لأنها تكفر ذنوب السنة،وليلة الجمعة تكفر ذنوب الاسبوع ، وليلة القدر تكفر ذنوب العمر ، ولأنها يقدر فيها الأرزاق والآجال والاغناء والافقار والاعزاز والاذلال والاحياء والاماتة،وعدد الحاج،وفيها يسح الله تعالى الخير سحا،وخمس ليال لا يرد فيهن الدعاء ليلة الجمعة ، واول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلتا العيدين وقال صلى الله عليه وسلم «اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها

لغروب الشمس الى السماء فيقول الا مستغفر فاغفرله ، الا مسترزق فأرزقه حتى يطلع الفجر » .
وقال صلى الله عليه وسلم « من أحيا الليالي الخمس وجبت له الجنة ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر ، وليلة الفطر ، وليلة النصف من شعبان » .
وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ «من قام ليلة النصف من شعبان ، وليلتي العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » ومضى الشيخ يقول ومعنى القيام ان يكون مشتغلا معظم الليل بطاعة وقيل بساعة منه يقرأ او يسمع لقرآن او الحديث او يسبح او يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم .
وعن ابن عباس بصلاة العشاء جماعة ، والعزم على صلاة الصبح جماعة كما في إحياء ليلتي العيدين وقال صلى الله عليه وسلم : «من صلى العشاء في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما قام الليل كله » رواه مسلم .
ثم يواصل شيخنا حديثه قائلا : ويكره الاجتماع على إحياء ليلة من هذه الليالي المتقدم ذكرها في المساجد وغيرها لأنه لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه فأنكره أكثر العلماء من أهل الحجاز منهم عطاء وابن ابي مليكة وفقهاء اهل المدينة واصحاب مالك وغيرهم وقالوا ذلك كله بدعة ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه احياء ليلتي العيد جماعة واختلف علماء الشام في صفة احياء ليلة النصف من شعبان على قولين احدهما انه استحب احياءها بجماعة في المسجد طائفة من اعيان التابعين كخالد بن معدان ولقمان بن عامر ووافقهم اسحق بن راهويه (كما اشارت الموسوعة الفقهية) والقول الثاني انه يكره الاجتماع لها في المساجد للصلاة وهذا قول الاوزاعي امام اهل الشام وفقيههم وعالمهم .
هذا .. وقد شارك الشيخ في حديثه صاحب الحاشية عليهما رحمة الله وبعد الفراغ من الحديث قلنا نفع الله بكما وجزاكما عنا خير الجزاء .
ثم نقفز قفزة واسعة فنرى من علماء العصر الحديث ـ شيخ الأزهر الاسبق محمود شلتوت ـ من يقول ان الأحاديث الواردة في ليلة النصف من شعبان ضعيفة وباطلة وقيل انها موضوعة لا اصل لها وراويها وضاع ، وان الصلاة في ليلة النصف من شعبان بدعة منكرة ولم تكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في عهد اصحابه .
الى هذا القدر نتوقف فان الصداع قد اصابنا ورحم الله فقهاءنا ولنشرب معا قدحا من الشاي !

فهمى الامام

الوعد الحق

للدكتور . محمد اياد العكاري

بـوركت أرضـا للهـدى ومقامـا ولـك الكرامـة والفـداء دوامـا
أرض المحبـة والسمـاحـة والألى مهـد الرسـالـة نصـرة وسـلامـا
وختام مسرى احمد خير الـورى وبقـدسنـا أمّ الأمـين كـرامـا
فـالمسجد الأقصى ، وقبـة صخـرة والقبلـة الأولى لنـا ، فعـلامـا ؟
أو يرتع الخنزير في ذاك الحمى ! ويجـوس صهيون بهـا إجرامـا !
أيـدنس الأقصى شـراذم أمـة ! ويعيث بـالافساد مسـخ قزامى !
أيقتل الأهلين ! يسجن يصطـلي ! ويجـور يبطش ينشر الآثـامـا !
أيسـوم خسفا اهلنـا وبـلادنـا ! ويشـرد البـاقي بهـا ويتـامى !
مـاذا دهى ارضي ؟ وأي مصيبـة جسمت وحلت ؟ والدنا تتعامى !
أفنشجب الارهاب ! ننكر بطشه ! ونـدين عـدوانـا لـه ! فـإلاما ؟
و إلى متى هذا ولا من صحـوة ؟ شـرقـا وغـربـا نقتفي وظـلامـا !
أو مـا وعينـا أسطـرا ذهبيـة بـدمـاء أجـداد سمـوا أعـلامـا
بلـواء حطين بـه دحـروا العـدا وبعـين جـالـوت رووا أكـامـا
وبـرفـع رايـة ديننـا خفـاقـة أضحـوا كرامـا بالهـدى وعظامـا
هـذا ورب النـاس ديـدن عـزنـا ومنـار مجـد للعـلا .. فلـزامـا
نمضي بدين الله .. شمس كرامـة ولـواء حـق شعلـة وضـرامـا
ليضيء هـدى الله فـوق بسيطـة وتعـود رايـات الفـداء ختـامـا
فنحقق الـوعـد المبـين بقـدسنـا وجنـود صهيـون تحـول ركـامـا

الإسلام والتنمية دون علمانية

للاستاذ /
محمد احمد اسماعيل

يدور مفهوم العلمانية حول فكرة الفصل بين ما لله وما لقيصر،وجعل ما لقيصر يكتسب دلالة مختلفة ومستقلة عن تقييمه المثالي إزاء ما لله ،

فالعلمانية في الواقع يمكن النظر إليها على أنها كل شيء ذي أصل إنساني فقط وليس له أصل ديني ، وبمعنى أكثر وضوحا فإن العلمانية تستلزم بالضرورة قدرة الفرد والدولة على إقامة تمييز نفسي دقيق بين الدين والممارسة السياسية وأن يكونا قادرين ـ أى الفرد والدولة ـ على ان يقبلا بإرادتيهما الحرة مجالا عاما تسود فيه مبادىء ومفاهيم العقلانية والعلمانية ، ومجالا خاصا تسود فيه المبادىء الدينية ، أي أن يكونا قادرين باختصار على إعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله . .

ويعتبر مفهوم العلمانية ، بهذا المعنى ، مفهوما خاصا بالحضارة المسيحية الغربية ولا يمكن نقله للحضارة الاسلامية دون تغيير تام لروح الحضارة في شكلها الكلى ،

فالاسلام لا يعرف التمييز بين ما هو ديني وما هو علماني ، أو بين ما هو ديني وما هو دنيوي ، فكل شيء يعتبر دينياً لأنه لا يوجد هناك شيء يخرج عن نطاق قدرة الله .

وفي الواقع أن ما يهمنا بهذا الصدد هو تلك العلاقة التي يثيرها الفقه السياسي بين العلمانية والتحديث أو التنمية ، ورغم ان معظم المؤلفات التي تتعلق بالتنمية والتحديث تؤكد على ذلك الافتراض الذي يعتبر أساسيا بالنسبة لها والذي يدور حول ان العلمانية تعتبر

شرطا اساسيا للدولة الحديثة ، وأن الدولة الحديثة تكون بالضرورة دولة علمانية بشكل اساسي ، وهو الأمر الذي يضع العديد من علامات الاستفهام حول قدرة الدولة الاسلامية غير العلمانية على التنمية ،

رغم ذلك فإن هناك بعض الدراسات التي تثير شكوكا حول هذا التعميم وبصفة خاصة فيما يتعلق بالدين الاسلامي ، فإذا كنا غير مستعدين لأن نقصر مفهومنا عن الدولة الحديثة على نموذج ايديولوجي خاص فإننا يجب ان نقبل ان الدولة الحديثة لاتكون بالضرورة دولة علمانية فليست هناك علاقة ارتباط ضرورية بين العلمانية وتطور الدولة الحديثة .

أن السمة الجوهرية في المفاهيم المختلفة الخاصة بالتحديث تتمثل في وجود قدرة هائلة على الاضطلاع بالمهام الكبيرة والمعقدة على اساس منتظم ومتواصل وان مثل تلك الدولة يجب أن تكون لديها قدرات متطورة للغاية في مجالات الاتصال والاكراه والشرعية والتخطيط وتنفيذ السياسة ، وحين لا يتعارض دين معين مع تلك القدرات لا تكون هنك حاجة للحديث عن العلمانية ، ففيما يتعلق بالدين الاسلامي وعلى الرغم مما يشير إليه البعض بشىء من الانصاف ، أمثال «تيرانس كارول» ،

من ان هذا الدين يمثل عاملا ايجابيا بالنسبة لكل من القدرة الاتصالية والقدرة الاكراهية والقدرة على خلق الشرعية ، وأنه يمثل عاملا محايدا بالنسبة لتنفيذ السياسة ، بينما يمثل عاملا سلبيا بالنسبة للقدرة على التخطيط ، رغم ذلك وبرغم مايقدمه ذلك التحليل من جوانب إيجابية للاسلام ، فإن قدرا قليلا من المتابعة للمفاهيم الاسلامية يكشف عن عدم دقة ذلك التحليل .

ففيما يتعلق بالقدرة الاتصالية ، يقدم الاسلام من خلال شعائره ومفاهيمه شبكة فعالة للارسال والاستقبال بين الحاكم والمحكوم ، فيقول تعالى « **وشاورهم في الأمر** » سورة آل عمران آية ١٥٩ . ويقول جل شأنه « **وأمرهم شورى بينهم** » سورة الشورى آية ٣٨ . وفيما يختص بالاكراه فإنه من المفروض في الدولة الاسلامية ان تكون جميع القوانين إسلامية ، وأن مهمة الحاكم هي تنفيذ هذه القوانين ولو باستخدام القوة ،

فيقول تعالى « **إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتّلوا** .. » سورة المائدة آية/٣٣ . أما عن القدرة على التخطيط فإنه من المعروف أن الاسلام هو دين العقل ، حيث تؤكد مفاهيمه دائما على الترشيد وعلى تدبر المستقبل

فيقول تعالى « **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون** » سورة البقرة آية/٢٤٢ ويقول جل شأنه « **أفلم يدبروا القول** » سورة المؤمنون ، آية/٦٨ .

ويقول: **أفلا يتدبرون القرآن** » سورة النساء آية ٨٢ . وأخيرا وفيما يتعلق بالقدرة على التنفيذ ، وهو ما يرتبط

بوجود إدارة فعالة وأمينة فإن المفاهيم الاسلامية تؤكد دائما على العمل المتقن وعلى الأمانة وعلى طاعة أولى الأمر ، فيقول تعالى « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » سورة التوبة آية/ ١٠٥ .

ويقول سبحانه:
« **ياأيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** »
سورة النساء آية ٥٩ .

وإذا كان الأمر كذلك واذا كان الدين الاسلامي لا يشكل عائقا أمام التحديث والتنمية وإنما يشكل دافعا إليهما ، فلماذا إذن يوجد مثل هذا

الاتفاق الواسع الانتشار بأن العلمانية تعتبر شرطا أساسيا للتحديث والتنمية ؟ في الحقيقة إن

الاجابة على ذلك التساؤل تتضح في أكثر من سبب وتبرز من خلال التحليل المنطقي والخبرة التاريخية .

أولا : إن الأنماط المثالية غالبا ماتختلط بالواقع ، فالدين لا يلعب

دوره المقدر له في النسق التقليدي من النمط المثالي ، كما أنه لا يوجد أي مجتمع قائم يتسم بالعلمانية الكاملة

لدولة حديثة من النمط المثالي ، وفي ظل ذلك الإختلاط يكون من الصعوبة بمكان تقييم الدور الحقيقي للدين .

ثانيا : إن سمات خاصة لبعض الأديان قد يكون لها بالفعل تأثير سلبي على قدرات الدولة .

ثالثا : إن العامل الأساسي يتمثل في أن نماذج التحديث تعكس إيديولوجيات غربية وأن وضع الدين في كثير من المجتمعات قد يكون متعارضا مع تطوير صورة معينة لدولة حديثة تعبر عن إيديولوجية خاصة .

فكل إيديولوجية من الايديولوجيات الغربية الرئيسية تضع صورة فريدة لشكل الدولة الحديثة ، ويمثل الدين

في بعض الأحيان عقبة أمام عناصر التحديث ولكن تحديد العلاقة الدقيقة بين الدين والتحديث يعتمد على طبيعة

وجوهر الدين الذي يكون موضع البحث والتساؤل فمن الحقيقي بشكل عام أن النماذج الماركسية وبدرجة

أقل النماذج الليبرالية للدولة الحديثة قد تتطلب درجة كبيرة من العلمانية ولكن دول الديمقراطيات الاجتماعية او الدول المحافظة الحديثة يبدو أنها تتوافق والى حد كبير مع الأديان الرئيسية بالعالم الثالث .

رابعا : إن الخبرة التاريخية تؤكد حقيقة أن الاسلام وعلى خلاف أديان اخرى لا يشكل عائقا أمام التحديث

والتنمية في العالم العربي ، فعلى الرغم من أن مصر ، على سبيل المثال ، قد

سارت شوطا نحو التحديث فإنها لم ترفض السيطرة التنظيمية للشريعة

كما لم ترفض الوحدة السياسية الأساسية بين الدين والدولة ، وخلاصة الأمر وكما عبر عن ذلك

«دانييل كريسلياس» فإنه على الرغم من وجود كثير من الأشكال المؤسسية للدولة العلمانية الغربية في مصر ،

فإنها لا زالت دولة إسلامية قلبا وقالبا كما ان مجتمعها لازال مؤمنا بالمعتقدات والممارسات الدينية التقليدية ، وذلك على الرغم مما يزيد عن قرن من الزمان من التطور نحو التحديث .

فالاسلام يعتبر من أفضل الحضارات ملاءمة لمعالجة مسألة التنمية والتحديث ، فالمجتمع الاسلامي مكلف ايضا من الناحية المثالية بمهمة أخلاقية كما أنه ذو طبيعة كفاحية حيث يقول الله تبارك

وتعالى « **وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس** .» سورة البقرة آية / ١٤٣ . وهناك الكثير من الآيات التي تحض المسلمين على العمل الفعال لتحسين أوضاعهم ،

فيقول الله تبارك وتعالى « **إنا لا نضيع أجر من احسن عملا** » سورة الكهف آية / ٣٠ وتحثهم على التضحية والفداء والصبر ، فيقول الله سبحانه

وتعالى « **وجاهدوا في الله حق جهاده** » » سورة الحج آية / ٧٨ ويقول عز من قائل « **اصبروا وصابروا ورابطوا** » سورة آل

عمران آية ٢٠٠ . ويقول جل شأنه « **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » سورة الرعد آية / ١١ .

وهذه الآيات تبدد الأسطورة القائلة بأن عقيدة الجبر تمثل صفة للمجتمع الاسلامي ففيما يتعلق بالمسائل السياسية فإن هذه الآيات تعتبر واضحة الحث على بناء وتنمية المجتمع لتنفيذ المهمة التي أمر بها الله في الحياة الدنيا ، فالاسلام في جوهره دين عقلاني وإيجابي وينادي بالمساواة ولا يؤمن بالطقوس ، بل انه يمثل :

قوة دافعة للتنمية الاقتصادية .

وعلاوة على ذلك فإن الاسلام وعلى خلاف الديانات الكبرى الأخرى قد قدم لتابعيه وصفا مفصلا لنسق اقتصادي ، وهناك أدلة كافية على أن الاسلام لايقر فقط بإمكانية حدوث

التقدم الاقتصادي ولكنه يقر أيضا وبشكل واضح العديد من العوامل الأساسية والتي غالبا ما يشير إليها المعلقون الغربيون على أنها تمثل عوامل أساسية في التحولات الاقتصادية التاريخية كالملكية الخاصة والاعتراف بدافع الربح وتقليد العمل الشاق والربط ما بين النجاح الاقتصادي والمكافآت . .

الأوربيون والتراث العلمي العربي

للدكتور / أبو الفتح شرف الدين حجازي

○ **مقدمة** :

- يقصد بالتراث العلمي العربي هو كل ما يتصل بالعلوم الطبيعية الأساسية من معارف ومن **رياضيات ، وطبيعة وكيمياء وفلك ، وحيوان وجيولوجيا ، وتطبيقاتها كالطب والزراعة والهندسة والصيدلة والبيطرة وما إليها** .

أما المعارف في مجال الأدب والفلسفة والدين ، فهى تخرج عن نطاق هذا الموضوع ، ويعني بالعرب في هذا المقام أولئك الذين ضمتهم الأمة العربية والوطن العربي ، الذي امتد يوما فيما بين مشارف الصين شرقا ، ومشارف فرنسا من الغرب ويقصد بالعلماء العرب كل من نشأ منهم في هذه البلاد التي دانت بالاسلام وتكلم أهلها اللغة العربية وكتب والف هذه المعارف باللغة العربية .

والتراث العربي هو ما خلفته أجيال من العلماء العرب من الكتب والرسائل وغيرها ، وما يزال كثير منها تزدان به مكتبات العالم في المشرق وفي المغرب على حد سواء ، وما تحتويه هذه الكتب من أزاء ونظريات علمية ، ليس الى حصرها من سبيل ، وهي تشهد على أن العلماء العرب لم يكتفوا بنقل التراث العلمي الاغريقي الى العربية ، ولكنهم اضافوا وزادوا عليه فضلا عما تميزت به كتاباتهم من السهولة والوضوح والاحاطة والشمول الى جانب ابتكاراتهم العلمية

الاصلية التي لم ينقلوها عن غيرهم ولـلأسف فـإن كثيـرا من هـذه الابتكارات العربية قد نسبت الى غير العرب .

○ **تأثر الاغريق بحضارات الشرق القديم** :

لا يمكننا أن نغفل أمر المدنيات القديمة التي سبقت العصر الاغريقي ، وتقدمت عليه في التاريخ ، ولا يمكن أن تكون الحضارة اليونانية القديمة قد نشأت فجأة ، وبمعزل عن غيرها من حضارات بابل وآشور ، ومصر الفرعونية ، فقد كانت بين الاغريق ومصر القـديمـة صـلات وحـروب وتجارات ، وترك لنا المصريون من الآثار والبرديات ما يدل على تميزهم وتفوقهم في كثير من العلوم والفنون كالطب والهندسة والتحنيط والتعدين والفلك وغير ذلك .

كما ترك البـابليون من الآثـار والقوالب ما يدل على إلمامهم بكثير من المعـارف في الريـاضيـات والفلـك والمعادلات الجبرية والهندسية ، ولقد أنصف « هيرودوت » هذه الحضارات عنـدما قـال « إن معظم فلاسفـة الاغريق القدامي ، أمضوا جانبا من حياتهم في مصر وبلاد النهـرين » واعترف العلماء العـرب بأرسطـو ولقبوه بالمعلم الأول للانسانية ، عرفانا بفضله ، وتقديرا لنظرياته .

ولقـد فلسف الاغـريق الـعلم وصـاغوا لـه النظريـات والفروض العلمية ، وبقيت كتبهم ومؤلفاتهم محفوظة مقروءة حتى الان ، وإن ظلت اللغة اللاتينية هي لغة العلوم على مدى قرون وأجيال ، ويرى بعض مؤرخي العلوم أن عصر الاغريق كان نقطة البدء او مرحلة الانطلاق وما زالت اسمـاء (أبـو قـراط) وفيثـاغـورث وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو ومن اليهم من علماء الاغريق ترن في آذان الدهر ، تشيـد بفضلهم على العلم والحضارة الانسانية .

● **التحول الى الاسكندرية** ●

ـ في ٣٢٢ ق .م مـات الفيلسوف الاغريقي « أرسطو » وقبله بعام واحد توفي الاسكندر وتفرق خلفاؤه في ارجاء الامبـراطـوريـة ولعب الاضطهـاد السيـاسي دوره في تفـرق العلمـاء وهجرتهم ، حيث انتقل كثير منهم الى مدينة الاسكندرية وكانت مصر وقتئذ من نصيب البطالمة ، الذين كانـوا يحبون العلم ويرعون العلماء في جامعة الاسكندرية القديمة التي ازدهرت بعدد من العلماء منهم بطليموس ، وإقليـدس ؛ وأرشميـدس ، وجالينوس ؛ وغيرهم مما كان لهم في العلم شأن اي شأن ، ولقـد ردد العلماء العرب اسماءهم ؛ وحققوا كتبهم ونقدوها وشرحوها بعد أن تمت ترجمتها الى اللغة العربية .. واشتهر بطليموس بالفلك ووضع فيه كتابه المشهور « المجسطي » كما وضـع اقليدس كتابه المشهور في الهندسة والمعروف باسم « الأصول » وظلت مؤلفات جالينوس في الطب مرجعا للعلماء وكثيرا ما لقب النابغ منهم في الطب بانه « جالينوس »

● التوجه نحو الشرق ●

ـ ظلت مدينة الاسكندرية منارة للعلم عدة قرون ، وبقيت جامعتها ، ومكتبتها كعبة يحج اليها طلاب العلم من كل حدب وصوب ؛ الى ان لعب الاضطهاد دوره مرة اخرى وكان هذه المرة بين المسيحيين والوثنيين فهاجر العلماء من جديد ، ولكنهم اتجهوا هذه المرة نحو الشرق وكان قد ظهر الاسلام وسطعت شمسه ، وسيطرت الحضارة العلمية الاسلامية ، مع اتساع رقعة الامبراطورية العربية وكانت بغداد حاضرتها ومنها امتد نور العلم نحو الحواضر العربية الاخر في دمشق والقاهرة ، والقيروان وقرطبة .. وعن طريق الاندلس انتقل العلم الى اوروبا وأنشئت الجامعات والمعاهد العلمية في عصر النهضة الأوروبية .

● أعظم دورة في تاريخ العلم ●

ـ إنها أعظم دورة في تاريخ العلم ، على النحو الذي أسلفناه ، لعب فيها الاضطهاد السياسي والديني دوره الفذ ، وخسرت بعض الأوطان العلماء ولم يخسر العلم بل نما وترعرع وازدهر ، وسارت الانسانية في طريقها نحو الرقي والتقدم ، وكان الاسلام يحث بقوة على طلب العلم حتى ولو في ادنى الأرض بالصين ، ويوصى بامعان النظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض ، وخلق الانسان ، والامعان في معرفة الكون والكائنات ، وتتابعت الآيات والأحاديث الشريفة التي تعلى من شأن العلم والعلماء .

وما أن استقرت الدولة الاسلامية حتى أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم وانكبوا على ترجمة الكتب الاغريقية والسريانية والفارسية ، ونقلوا الذخائر العلمية الى اللغة العربية ، وأنشئت المدارس والمكتبات ودور العلم ، وبلغ عهد الترجمة أوجه في عهد المأمون ، لأنه كان نفسه عالما ، وتنافس العلماء والأمراء والحكام في تقدير العلم والعلماء والانفاق بشجاعة على دور العلم ومكتباته والاغداق علي العلماء ورعايتهم ، وكان الخلفاء يحضرون مجالس العلم والعلماء وتعقد المناظرات والندوات بين ايديهم وأوقفت الأوقاف السخية على دور العلم والمكتبات وكان بيت الحكمة في بغداد ، ودار الحكمة في القاهرة ، ودار العلم في الموصل ، وكذلك الجامع الأزهر بالقاهرة ، والجامع المنصور في بغداد ، والجامع الاموى بدمشق ، وجامع القيروان في تونس بمثابة جامعات يفد اليها طلاب العلم من كل الجهات ، وكان هؤلاء الدارسون يقومون برحلات علمية جبارة اقرب ما تكون إلى الأساطير ، وقطع بعضهم الآلاف من الأميال ، وليس له من وسيلة تحمله سوى قدميه ليلقى عالما او يحقق مسألة علمية او يطلع على كتاب ثم يعود الى موطنه محملا كالنحل بالعسل .

●

○ أثر العلوم العربية والاسلامية في عصر النهضة :

ـ إن أثر العلوم العربية

والاسلامية في عصر النهضة أوسع وأعمق من أن يتصور ، ويجب على العلماء والمنتمين إلى هذا التراث لغويا ودينيا تبيان هذه القضية باتساع وشمولية ، وهناك نقطة هامة ينبغي تأكيدها في هذا المضمار ، فالبحث الجاد في أعمال العلماء المسلمين والعرب ينبغي أن يتم قبل بحث قضية تأثيرها في عصر النهضة أي الموضوع الثاني يتوقف على الموضوع الأول ، وهذا أمر طبيعي ، فنحن لا نستطيع تتبع قضية التأثير والتأثر الا بعد البحوث الدقيقة لمؤلفات العلماء المسلمين واكتشافاتهم ، وذلك عن طريق مقارنة النتائج التي توصل إليها العلماء المسلمون بكتب العالم الغربي من القرن العاشر إلى القرن السادس عشر الميلادي .

○ جهود العلماء المسلمين والعرب :

ـ في هذا الجو العلمي المزدهر ، نشأ عدد من العلماء العرب ، شاركوا مشاركة فعالة في بناء النهضة العلمية ، وخطوا بالانسانية خطوات فسيحة في سبيل الرقى والتقدم ، يمكن لنا أن نعد منهم العشرات بل المئات الذين يمكن مقارنتهم مع علماء العصر الحاضر ، ومنهم من يوضع مع جاليليو ، وباكون ، ونيوتن ، وديكارت في كفة واحدة ومنهم من يرجح هؤلاء جميعا .

وقد قيل بحق إنه ـ لولا أعمال ابن الهيثم ، والبيروني ، وابن سينا ، والبستاني ، والخوارزمي ، والكندي ، والبوزجاني وغيرهم لاضطر علماء النهضة الأوروبية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية عدة قرون .

ويقول بعض المستشرقين « إننا لا نبالغ إذا قلنا إن أوروبا مدينة للعرب »

ولقد كانت الحضارة العلمية الاسلامية حلقة الاتصال بين الحضارة الاغريقية والحضارات الحديثة ، ولعلنا نذكر أن العرب قد نقلوا نظام الترقيم عن الهند ، لأنهم وجدوا أنه أيسر من نظام الجمل الذي كانوا يستعملونه ، وكان الخوارزمي هو أول من استعمل الأرقام الهندية وضمنها رقم الصفر وذلك في مؤلفاته ، وكتبه في الحساب حيث نقل كتابه الى اللغة اللاتينية وظل زمنا طويلا مرجعا وبقى معروفا عدة قرون باسم « الغورينمي » نسبة الى عالمنا الخوارزمي ، والخوارزمي أول من ألف في علم الجبر ، ومازال اللفظ الذي استعمله العرب للدلاله على هذا العلم مستعملا حتى الآن ، وهو شخص ذو حظ عظيم في البيئات اللاتينية حيث ترجموا معظم كتبه الى اللاتينية وسموا باسمه محرفا الجداول المأخوذة عن العرب جداول اللوغاريتمات . وحل العرب معادلات من الدرجة الثانية بل من قوى أعلى ، واستعملوا الرمز في المعادلات ، ووضعوا أسس الهندسة التحليلية ، وعرفوا المتواليات العددية والهندسية ، ويرجع الفضل في وضع علم حساب المثلثات بطريقة منتظمة

الى بعض العلماء العرب على رأسهم نصير الدين الطوسي الذي عرض كل دقائق هذا العلم ، وبفضلهم اعتبر هـذا العلم عربيـا ، كما اعتبـرت الهندسة إغريقية . أما الفلك فقد كان له مريدون كثيرون من العلماء العرب ، وضعوا أبراجا ، وعملوا أرصـادا وأقاموا المراصد ، وسجلوا رصدات على جانب كبير من الأهمية ، قاسوا محيط الأرض وقدروا ابعاد بعض النجوم والكواكب ، وقالوا باستدارة الأرض وحسبوا طول السنة الشمسية ، وحققوا مواقع كثيرة من النجوم ، ورصدوا الاعتدالين ، وكتبوا عن البقع الشمسية ، وعن الكسوف والخسوف ، وانتقـدوا كتـاب « المجسطي » ووضعوا أسماء كثيرة من الكواكب والكوكبات مازال كثير منها حتى الآن مستعملا في مجال الفلك ، مثل الدب الاكبـر، والدب الأصغـر ، والحوت والعقرب .. إلخ ..

ويقول « سادتون » « إن بحوث العرب الفلكية كانت مفيدة جدا إذ إنها هي التي مهدت الطريق للنهضة الأوروبية الفلكية الكبرى التي قادها جاليليو ، وكيلر، وكوبـرنيق » ولعلنا نذكر أن « لا لاند » قد عد الفلكي العربي البستاني من العشرين فلكيا المشهـورين في العالم ، كمـا عـد « كاردانو » الكندي من الاثنى عشر عبقريا الذين ظهروا في التـاريخ ، ويقول ، المستشرق « سخاو » عن البيروني بأنه أعظم عقلية ظهرت في التاريخ ، وعن ابن الهيثم يقـول « سادتون » بأنه أعظم عالم طبيعي مسلم في التاريخ وقد لقب الشيخ الرئيس بالمعلم الثالث بعد الفارابي وأرسطو .

وكذلك كـانت إضافـات العلماء العرب في الطب والتشريح والكيمياء ، والمعادن والنبات والحيوان من أمثال جـابـر بن حيـان ، وابن طفيـل ، والـزهـراوي والـرازي والجلدكي والخـازن وابن النفيس والقزويني وداود ، وابن البيطار ، والادريسى ، وابن حمزة وابن يونس ، والجاحظ ، وابن خلـدون ، وابن مسكويـه والديثورى وغيرهم ، وتعد مؤلفات العالم منهم بالمئات لا بالعشرات ، وظلت مؤلفـات بعضهم المـراجـع المعتمدة في أوروبا حتى القرن السابع عشر .

○ سبق العلماء العرب :

ـ لقد سبق العلماء العرب الى كثير من النظريات والآراء ، التي تنسب في الوقت الحاضر إلى علماء النهضة الأوروبية ، دون الاشارة إلى هؤلاء الرواد الذين تكلموا في انكسـار الضوء قبـل ديكارت ، وفي الدورة الدموية قبل هارفي .

وأعمال ابن الهيثم وابن مسكويه وابن النفيس والرازى ، وغيرهم كثير تشهد بالفضل لذويه .. وليس من الانصاف أن يؤخذ على بعض العلماء العرب أنهم اوردوا في كتبهم مالا يعجب بعض المحدثين مثل مسائل التنجيم او بعض الخرافات ، وهم ليسوا بدعاً بين العلماء والعباقرة على مر التاريخ .

وأيضـا كتب بطليمـوس أعظم

الفلكيين القدامي في التنجيم ، مما دعا « سارتون » الى القول في حسرة ان العبقري مهما بلغت عبقريته لا يستطيع أن ينفصل انفصالا تاما عن بيئته .

حقا قام العلماء العرب والمسلمون بواجبهم خير قيام فأدوا للنهضة العلمية أعظم خدمة عرفتها الانسانية في موكب الحضارة ، ورعوا أمانة العلم ، وحفظوا التراث العلمي وعملوا على إنمائه وزيادته وهم كما يقول « سيدرو » اساتذة أوروبا ..

○ اتجاه جديد في تقييم العلوم العربية والاسلامية :

ـ في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي بدا اتجاه جديد في النظر الى العلوم العربية والاسلامية ، فيه دفاع عنها وإظهار لأهميتها وتقدير لأثرها في نشأة العلوم الحديثة في العالم الغربي ، رائد هذا التيار هو المستشرق الألماني « ياكوب رايسكه » ومن أشهر المنصفين الأديب الالماني الشهير « يوهان فولفجانج جوته» الذي دافع عن العلوم الاسلامية دفاعا محمودا وقام الأوروبيون بتحقيق الكثير من الكتب العربية العلمية ونشرها ودراسة محتواها وبيان أهميتها في تاريخ العلوم وأثرها في العالم الغربي .

○ انتقال العلوم الى الغرب :

ـ بدأت العلوم المتطورة في إطار الحضارة الاسلامية الانتقال الى الاجانب في أواخر القرن الثالث الهجري ، فقد ترجمت الكتب في الكيمياء والطب وأحكام النجوم من اللغة العربية الى اللغة اليونانية في القسطنطينية حاضرة الدولة البيزنطية وكان الطريق الثاني لانتقال العلوم الاسلامية الى العالم المسيحي الغربي عبر الأندلس ، وهناك كان الاحتكاك مستمرا ، وهذا يعني أن أخذ الغرب المسيحي للمعرفة عن المسلمين لم يقتصر على الترجمة بل كان اتصالا بشريا قويا ومباشرا ، وكانت بواكير ترجمة الكتب كتابا في علم الفلك ـ وقد اضطر المترجمون إلى اقتراض الاصطلاحات العربية كما هي ، لأنهم لم يجدوا في كثير من الأحوال اصطلاحات لاتينية مقابلة لتلك الاصطلاحات ، وهناك ترجمات أخرى تتعلق بالأسطرلاب والهندسة العملية .

وهناك أبحاث علمية جرت في القرن العشرين تثبت أن الكتب اللاتينية هي مجرد نقول من الكتب العربية ، وأنها في واقع الأمر ليست لاتينية ولكنها مقتبسات باللغة اللاتينية ترجع الى الأصول العربية .

وفي القرن الخامس الهجري ، أي بعد مرور نصف قرن على الترجمات الأولى الفت بعض الكتب عن الأسطرلاب ، وفيها تقليد واضح للترجمات والمنتحلات السابقة ، وهكذا استمر أخذ العلوم العربية الاسلامية من أواسط القرن الرابع الهجري الى أواخر القرن الخامس ، وكانت مدينة طليطلة المركز الرئيسي للحركة العلمية في تلك الفترة .

أما في القرن السادس فقد امتدت عملية الأخذ الى مدن أخرى مثل باريس،وتور،وتولوز ، وفي هذا القرن ظهر بعض المترجمين الذين استطاعوا بتمكن واقتدار ترجمة كتب عربية ضخمة في علوم الفلك والرياضيات والفلسفة والموسيقى والكيمياء ، نقلت عن طريق أسبانيا ، وفيها نجد الترجمة من العربية الى اللاتينية ونجد فيها أيضا ترجمات عديدة من العربية الى العبرية .

ومن أمهر المترجمين الذين ظهروا في نهاية القرن السادس « كرهارد الكرموني » الذي ترجم أكثر من تسعين كتابا من العربية ، وصنف أول كتاب باللغة اللاتينية في علم الفلك وهو عبارة عن مقتبسات من كتاب الفرغاني والبتاني .

وتحولت مراكز الأخذ والتمثل للعلوم العربية في نهاية القرن السادس وأوائل السابع في اتجاه انجلترا وشمال إيطاليا ، وثمة تيار آخر من جنوب ايطاليا إلى شمالها،ولقد نقل قسطنطين محتويات أكثر من سبعين كتابا عربيا ، ونسب لنفسه عددا كبيرا من الكتب الطبية العربية المهمة من بينها كتاب « كامل الصناعة الطبية « لعلى بن موسى المجوسي وظل هذا الكتاب متداولا عند الاطباء اللاتين على انه من مؤلفات قسطنطين المسيحي نحو مائة سنة .

وفي القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادى ترجمت كتب أخرى على جانب كبير من الأهمية ، وكان المناخ العلمي مشجعا حيث ظهرت الجامعات الأوروبية وبدأ الكثيرون في تأليف الكتب في فروع العلوم ، ومن مقارنة هذه الكتب بالكتب العربية نجد أن مؤلفيها يفخرون - أحيانا - بكونهم مقلدين للعرب وتلاميذ لهم وليس في هذه الكتب جديد وهي أقل في المستوى عن مصادرها العربية ، وذلك من حيث درجة فهم الموضوع وطريقة العرض وترتيب الموضوع والايجاز والامانة .

استند « روبرت جروسيتسته » الى كتب الكندي وابن سينا وابن رشد ومؤلفين عرب آخرين ، أما باكون فهو تلميذ للعرب ، اشتهر باكتشافات مهمة ، أخذها كلها من العلماء العرب ، إن شهرته بوصفه أول عالم أفاد من التجربة لخدمة العلم ينبغي التحفظ عليها . فقد ثبت بالبحث منذ اوائل القرن العشرين أن العلماء العرب مثل البيروني وابن الهيثم كانوا سابقين زمنيا ، وأن باكون تلميذهم الذي ظل دون مستوى اساتذته العرب المسلمين .

وفي القرن الثالث عشر الميلادي زادت عملية انتحال الكتب العربية ونسبتها الى العلماء الاغريق ، وقام « ميخائيل سكوتس » بترجمة كتاب نور الدين البطروجي في الفلك وشروح ابن رشد على كتاب ما بعد الطبيعة وكتاب « السماء » لأرسطو طاليس واخذ أفكار البطروجي وابن رشد ، والف منها كتابا جديدا نسبه الى نيقولاوس الدمشقي » شارح كتاب ارسطو طاليس في القرن الأول قبل الميلاد ، وظل هذا الكتاب المتتحل متداولا بين العلماء على أنه كتاب

نيقولاوس الدمشقي » ولم يلتفت أحد إلى أن هذه الأفكار حديثة جدا ولا يمكن أن تكون معروفة في عهده.

وكان الحال كذلك بالنسبة لكتاب حنين بن اسحاق في العين ونسبته الى جالينوس اليوناني، واكتشفت الحقيقة في اوائل القرن العشرين، وشبيه بهذا نسبة كتاب اسحاق بن عمران في الماليخوليا » الى روفوس اليوناني، وكتاب الاحجار لابن سينا الى أرسطوطاليس، وغير هذا وذلك كثير.

وفي القرن الرابع عشر زاد عدد العلماء المشتغلين بالعلوم المترجمة عن العربية، واعتاد كثير منهم تأليف كتب مرجعية ضخمة، فيها تلخيص للكتب المترجمة من العربية، واعتاد هؤلاء الجامعون والملخصون حذف اسماء العلماء العرب، وذكروا بدلا منها اسماء علماء الاغريق المشار إليها في المصادر العربية واستمر هذا النمط سائدا في القرن الخامس عشر وصبحت الافادة المباشرة من الترجمات العربية ظاهرة مألوفة، أما ذكر المؤلفين العرب فقد أصبح شيئا نادرا.

ويرجع نسيان العلماء العرب منذ القرن الرابع عشر الى سببين اولهما: التيار المناهض للعربية ورائده هو « راعوندس لولوس » وقد وصل الينا له أكثر من ٢٠ كتابا اتضح أنها مؤلفات عربية **وثانيهما** الطموح والولع بالتفوق الحضاري، فكانت الاكتشافات المهمة للعلماء المسلمين تنسب الى يومنا هذا الى علماء أوروبيين.

○ **كلمة أخيرة**: كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها اينما حلت أقدامهم وتسربت عنهم الى أوروبا، فكانوا هم سببا في نهضتها وارتقائها، ولكن هذه الحقائق لم تتضح كاملة لمؤرخي العلوم، ولذا وجب على علماء المسلمين بيان هذه القضية، والعمل على نشر هذا التراث العلمي العظيم، محققا وملخصا، حتى يعلم شباب الأمة مكانة المسلمين في التاريخ .. والله ولي التوفيق.

أسباب
انطلاق الاسلام وانتشاره

كل شيء حسن في جوهره ، هو حسن في غايته ، يتقبله العقل بطبيعته وفطرته فالعقل ميزان الأمور ، ومعيار الحقائق .

والاسلام في جوهره دعوة الى الله العظيم ، والى العمل بشرعه القويم ، فهو هداية الى الرشاد ، ونشر للمحبة بين الناس ، ومساواة بين المراتب والطبقات ، واقامة للعدل والانصاف ، وصيانة للأمن والسلام .

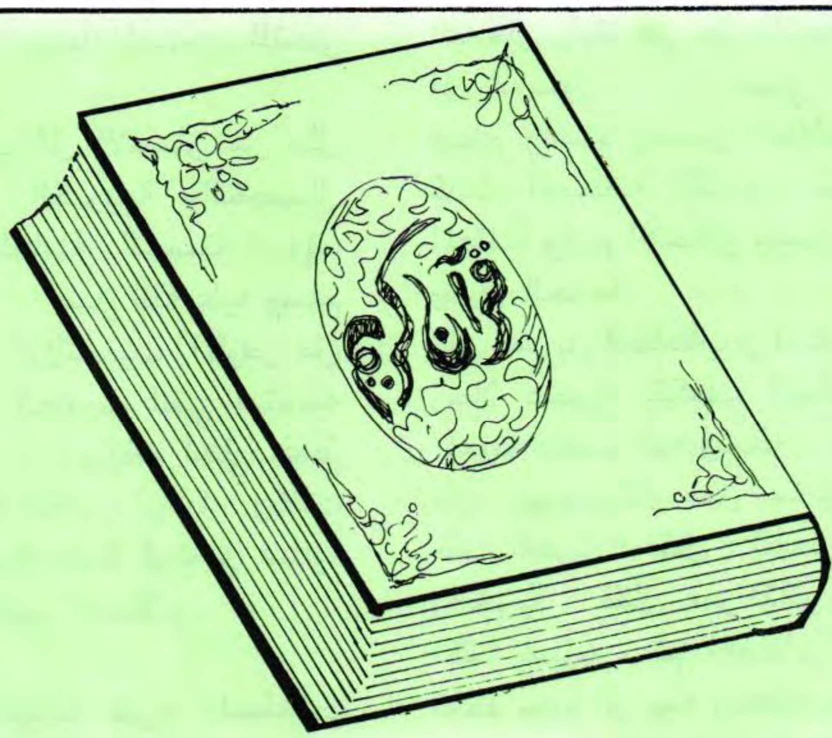
هذه الغايات الشريفة يتقلبها الناس باختيار وشغف دعا اليها الرسول الكريم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويؤيده في دعوته طهارة نشأته ، وصدق لهجته ، وشرف حسبه ، بالدليل المعقول ، والبرهان المقبول ، لا يثنيه عنها عرض المال ، ولا الرئاسة والجاه .

وكان ذلك من أقوى العوامل على تركيز الاسلام وقبوله عند ذوي العقول الراجحة .

وهناك امور هي من الأهمية بمكان كان يطمح اليها الرسول صلى الله عليه وسلم منذ نشأته مثل .

● نصرة المظلوم :

وهي من أكرم السجايا الانسانية



للشيخ / أحمد محيى الدين العجوز

التي نشأ الرسول على الشغف بها والاعتزاز بحضور مجلسها وهو ابن عشرين سنة في (حلف الفضول) الذي اجتمع فيه رؤساء مكة وتعاقدوا على انهم لا يجدون مظلوما من الناس في مكة الا اخذوا بناصره ورد مظلمته اليه وقال بعد ان شرفه الله بالرسالة (لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبدالله بن جدعان ما أحب اليّ به حمر النعم ولو دعيت به في الاسلام لأجبت) .

● ابن الأكرمين :

تتجلى عدالة الاسلام ونصرة المظلوم في واقعة ابن عمرو بن العاص الذي سبقه القبطي في مصر ، فضربه وقال : اتسبقني وانا ابن الأكرمين ، فشكاه الى عمر بن الخطاب فاستدعاه عمر بن الخطاب واباه ، وفي مجلس الحكم أعطى عمر السوط الى القبطي قائلا : قم واضرب ابن الاكرمين ، ثم قال واضرب اباه فقال : لا شأن لي به .. فرجع القبطي مغتبطا بعدالة الاسلام معتزا بنصرته على من ظلمه .

● حسن المعاملة :

إن حسن المعاملة مع عباد الله ، وإسداء الرحمة لهم ، وكمال الرفق بهم ، مع الإحسان اليهم ، وتفريج كربهم ، وحفظ حقوقهم . وانقاذهم من ظلم الظالمين وطغيان المعتدين ، ورعاية أمنهم وسلامتهم ، وعدم التعرض لخصائص عقيدتهم من جلائل الاخلاق ومكارمها التي حض

الاسلام عليها ودعا المسلمين للتحلي بها .
واي شيء أحب الى الانسان من مثل هذه الأخلاق الكريمة والخصال المستقيمة والمعاملة الحسنة ؟ وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم القسط الاوفى والنصيب الأوفر من هذه الاخلاق العظيمة التي امتدحه الله بها فقال : (**وإنك لعلى خلق عظيم**) سورة القلم . آية ٤ . وكانت اخلاقه العظيمة عاملا قويا في هداية الناس واعتناقهم الاسلام .

لما حاربت قبيلة طيء المسلمين وانخذلوا اخذوا منهم اسرى ، وكانت من الاسرى سفانة بنت حاتم الطائي وعندما مرّ الرسول الكريم بها قالت يامحمد مات الوالد وغاب الوافد فان رأيت ان تخلي عني ، كان أبي يفك العاني ويقرى الضيف ويطعم الطعام ، ولم يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم طيىء .

فقال الرسول الكريم لها : ياجارية هذه صفات المؤمن ، ثم قال لأصحابه : خلوا عنها فان أباها كان يحب مكارم الاخلاق ، فقالت:شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ، واصاب الله بمعروفك مواضعه ، ولا شمت الله بك عدوا لدودا ، ولا مبغضا حسودا . ثم امر لها بزاد ، ومنحها عطاء وقدم لها دابة وأرسل معها حارسا أمينا اوصلها الى مأمنها بحوران فقصت ما لاقته من الرسول من مكارم الاخلاق ، وقالت لاخيها عدي اذهب اليه فإن رأيته على حق فاتبعه ، فذهب الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه وهكذا كانت أصحابه الكرام ، من حسن المعاملة وكرم الاخلاق وجمال العشرة وتمام الخدمة .
كان عمر بن الخاطاب في دمشق وابصر رجلا عجوزا يتكفف الناس يبغي المعونة فتقدم اليه وسأله : ما دينك ؟ قال : يهودي قال عمر : ما احوجك الى طلب المعونة ؟ فقال : العجز والحاجة والجزية .. فقال عمر بتأثر وانفعال . اكلنا شبابه ، ثم اهملناه في كبره ، فأخذ بيده الى بيته واعطاه ما وجد ثم اسقط عنه الجزية ، وامر له بنفقة شهرية من بيت مال المسلمين تكفيه واهله .

● الجزية السنوية :

من سماحة الاسلام ورحمته بالناس أنه لايرهق أهل الأديان من اليهود والنصارى والمجوس بالضرائب الضخمة كما تفعله الدول الأجنبية في بلادهم بل يكتفي بضريبة بسيطة في السنة تسمى جزية وهي دينار واحد عن كل رجل مكلف مستطيع تؤخذ للحماية والرعاية ويعفى منها النساء والأطفال ـ والعجزة والفقراء . ورجال الكهنوت .
واذا عجز المسلمون عن حمايتهم ردوا الجزية اليهم كما فعل ابو عبيدة ابن الجراح مع اهالى حمص حينما ضغط الرومان على حمص لاحتلالها فأسف اهلها لزوال رعاية عادلة حماية آمنه ، اطمأنوا اليها تحت ظلال

الحكم الاسلامي الرحيم .

وقد كان الرومان يوجبون الضرائب الضخمة على جميع الناس يستوى في ذلك الرجال والنساء الكبير والصغير ، ومع ذلك يجندون الرجال للحروب ، ويعرضونهم للموت دون رحمة ، والبلاد التي يتغلبون عليها يعاملون اهلها اسوأ معاملة ، بينما المسلمون يسوونهم بأنفسهم في الحقوق الحيوية وحسن المعاملة ولا يجندون الرجال للحرب فالاسلام ارحم في الرعاية واعدل في القضاء واجمل في العشرة .

وهذا ما يرغب غير المسلمين في اعتناق الاسلام بفخر واعتزاز قال هنرى دوكستري . احد حكام الجزائر السابقين من قبل السلطات الفرنسية في **كتابه الاسلام . تأثيرات ومباحث** . كان من وراء محاسنة المسلمين للأمم المقهورة ان انتشر الاسلام بسرعة وعلا قدر رجاله الفاتحين لما سبقه من ظلم اباطرة الدولة الرومانية الشرقية التي ابغضها الناس وكرهوا الحياة في ظلها، واذا انتقلنا من الفتح الاول للاسلام الى استقراره رأيته أكثر محاسنة واكرم معاملة لمسيحيي الشرق كله فما عارض العرب شعائر الدين المسيحي بل بقيت رومية نفسها حرة في مراسلة الاساقفة في مختلف البلاد الاسلامية ولقد زادت محاسنة المسلمين للمسيحيين في بلاد الأندلس . حتى صاروا في حالة أهنأ من التي كانوا عليها ايام خضوعهم لحكم الجرمانيين الذين يقال لهم « الوزيجوا »

● لا يقاتل الا المعتدي

لقد تحقق للناس ان الاسلام دين السلام والآمان وان المسلمين يسالمون من سالمهم ولا يقاومون الا من اعتدى عليهم او تصدى لحربهم .

قال الله تعالى : (**وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**) سورة البقرة آية ١٩٠ .

وقد اطلق للناس حريتهم في الرغبة والاختيار ، فمن رغب في البقاء على دينه فلا يقاومه الاسلام في عقيدته ، ولا يقسو عليه المسلمون بحال في معاملته بل يراعون حقوقه الخاصة ، ويصونون حياته ومصالحه ، ويتركون له شؤونه النفسية فلا يرى ادنى مضايقة او اضطهاد .

بل امر الله بإجارة المستجير ولو كان مشركا .

قال تعالى : « **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه** » سورة التوبة آية / ٦

فالاسلام دين السماحة والخير العميم .

قال (السير توماس) إن بقاء الكنائس والمذاهب المسيحية معزولة في الشرق الاسلامي تلك القرون الطويلة هو البرهان القاطع على تسامح الدول الاسلامية تسامحا عاما .

● المحافظة على معابد اهل الأديان ●

ان من أجلى سماحة الاسلام انه

يحافظ على معابد اهل الاديان على اختلافها من صوامع النصارى وكنائسهم وبيع اليهود وصلواتهم كما يحافظ على مساجد المسلمين .

قال الله تعالى « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز** » سورة الحج آية ٤٠ .

فالاسلام يأمر بصيانتها وعدم التعرض لتهديمها ، او مسها بأذى ، لأنها كما قال الله تبارك وتعالى في هذه الآية يذكر فيها «**اسم الله كثيرا** »

لذلك يكون اهلها أحرارا في طقوس دينهم وصلبانهم واعيادهم ومظاهرهم الخاصة مع حفظ نفوسهم واعراضهم واموالهم واملاكهم كما صرح بذلك عمر بن الخطاب في معاهدته لأهل (ايلياء .. المقدس)

ومن اجلى مظاهر محافظته على ذلك انه حينما زار القدس ودخل كنيسة (القيامة) ادركته الصلاة فتوخى مكانا خارجها ليصلى فيه فقال له راهب الكنيسة صل هاهنا فقال عمر : لا - اني اخشى ان يتخذ المسلمون صلاتي فيها حجة فيجعلوها بعدي مسجدا لهم فخرج منها فصلى في مكان بعيد عنها حفاظا عليها لاهلها فاستعظم الراهب هذا المبدأ القويم وهذه الاخلاق العالية .

قال : « غوستاف لوبون » لم تكن القوة عاملا في نشر القرآن الكريم ، لأن المسلمين تركوا المغلوبين احرارا في اديانهم واذا كان بعض النصارى قد اسلموا واتخذوا العربية لغتهم فذلك لما كان يتصف به العرب الفاتحون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس بمثله عهد ، ولما كان عليه الاسلام من السهولة التي لم تعرفها الأمم الاخرى وقد عاملوا اهل سوريا ومصر واسبانيا .
بلطف عظيم ، تاركين لهم قوانينهم ، ونظمهم ومعتقداتهم .

● لا يقام الحد على اهل الكتاب فيما ابيح لهم . ●

ان من محاسنة الاسلام لأهل الكتاب انه لا يقيم الحد من الجزاء فيما أباح لهم دينهم من شرب الخمور ، وأكل لحم الخنزير وغير ذلك من امور اخرى بل يترك لهم التخيير في الحكم ، فإذا وقع احدهم بذنبه فلا يلزم بقضاء الاسلام بل يخير بين حكم الاسلام وحكم شريعته في كتابه

وقد عرضت قضية لبعض اليهود ، فتحاكموا بها عند النبي صلى الله عليه وسلم فاعطاهم الخيار في اخذ الحكم من الاسلام او الرجوع الى حكم التوراة - وهم الذين يتولون الأخذ منه بطريقتهم الخاصة ويعرض هو عنهم ، ويتركهم وشأنهم .

قال الله تبارك وتعالى « **فان جاءوك فاحكم بينهم او أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ❋ وكيف يحكمونك**

وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين » سورة المائدة آية ٤٢ـ٤٣ .

وهذا من اعظم محاسنة الاسلام وسماحته .

وقال العالم الالماني (لتيز) في كتابه (**ديانات العالم**) التساهل والمسامحة ، والتجامل الموجود في دين الاسلام لا يوجد مثيله في العالم المسيحي كافة ويكفي اثباتا لقولي هذا وجود الحرية المطلقة لجمعيات الامم غير المسلمة وعقائدها وعاداتها في بلاد المسلمين ، ولولا مسامحة الدين الاسلامي وإحسانه لما بقي لهم من باقية ، وهذه الحقائق يجب اتخاذها ودرسها لأنها خير مما نراه في الأحكام النصرانية .

وقال (اسحاق طيار) رئيس الكنيسة الانكليزية ببلاد الانكليز من خطاب القاه في مؤتمر الكنيسة : الاسلام ينشر لواء المدنية التي تعلم الانسان ما لم يعلم ، والتي تقول : بالاحتشام في الملبس وتأمر بالنظافة والاستقامة ، وعزة النفس . فمنافع الدين الاسلامي لا ريب فيها وفوائدها من اعظم اركان المدنية ومبادئها .

● حقيقة انتصار الاسلام :

كان انتصار الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي ايام الفتح الاسلامي الواسع في مختلف البلاد والأقطار انتصار عقيدة لا انتصار جنس على جنس ، ولا لغة على لغة ، فلم ينتصر العرب لانهم عرب ، بل لأنهم مسلمون ، فهموا الاسلام على حقيقته ، وطبقوه عمليا كما فهموه ، لم يقصروا في امر من اموره .

وقد تحلوا بآدابه ومزاياه ، وبمكارمه وفضائله ، ونفذوا نصائحه وتوجيهاته . وانطلقوا في آفاق الأرض لنشر هدايته ، وانقاذ الأمم المقهورة بظلم الظالمين ، واذلال الحاكمين وهان عليهم بذل المهج في سبيله ولم يعقهم عائق ، من تفوق اعدائهم بوفرة العَدَدْ والعُدد وكان هذا التفوق يضمحل أمام قوتهم المعنوية وصلابتهم الدينية يقتحمونهم في قلاعهم وحصونهم ببسالة معتمدين على وعد الله بقوله « **إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم** » سورة محمد آية ٧ فكانت انتصاراتهم تتوالى وفتوحاتهم تتسع وتمتد بسرعة عجيبة حتى نالوا الظفر التام على الدولتين العظميين فارس والروم ، وفتحوا بلادهما ، واقاموا فيها قسطاس العدل ، بعد الظلم والجور ، وارهاق الضعفاء منهم وابتزاز أموالهم وأملاكهم . وقد بسط المسلمون بينهم الرحمة والمساواة والاحسان واطلقوا لهم الحرية في العقيدة والملكية والتصرف ونشروا بينهم الفضائل والمكارم ، والأمن والسلام فنعم الناس بحياة هانئة وعيش رغد ذاقوا فيه حلاوة الطمأنينة والسعادة فاخذ يدخل في الاسلام خلق كثير جدا منهم .

ولم يتعرض المسلمون لطقوس النصارى . ولا لكنائسهم في ارض

الروم ولا لبيوت النار في ارض فارس ، فكانت هذه السماحة المطلقة اقوى سبب لمحبة المسلمين الفاتحين ، ومحبة دينهم القويم

وقال (تولستوي) إن محمدا من عظام الرجال المصلحين ويكفيه فخرا انه هدى أمة برمتها الى الحق ، وجعلها تجنح الى السكينة والسلام

● استمرار المعاملة الاسلامية الحسنة :

لقد استمرت المعاملة الاسلامية الحسنة في العصور المتعاقبة عبر مئات السنين رغم الحملات الصليبية القاسية دون ان يؤثر ذلك على رحمة المسلمين للناس ـ والاحسان اليهم والمعاملة اللينة ، الطيبة حتى تحقق لهم جوهر الاسلام الناصع ، وانسانية المسلمين وعدلهم الشامل .

فدخل الكثيرون من الصليبيين الاسلام عن رغبة صادقة واختيار مطلق فقد جاءت حشود كثيرة منهم من أمم الغرب ، كالمانيا ، وفرنسا ، وانكلترا . وهولندا وايطاليا وغيرهم للقضاء على المسلمين ـ وصدورهم تغلي ببغضهم ـ ـ وقد عارضهم جموع كثيرة من النصارى الذين مروا بهم ، ولم ينشطوا لدعوتهم واعترضوهم على هذا الغزو ، ومنهم من كان على غير مذهبهم في النصرانية ، فقاوموا المعترضين وذبحوا منهم جموعا كثيرة جدا وبعد ان خالطوا المسلمين وجدوا فيهم معاني الآداب وفضائل الأخلاق ، ومنتهى التواضع والتسامح ، فاقتبسوا من آدابهم واخلاقهم ، وتجلت لهم حقيقتهم على غير ما بلغهم عنهم فاعتنق الاسلام كثير منهم ، وممن اسلم في الحرب الصليبية الاولى (رينوه) أمير طوائف الجرمان واللمباريين واسلم في الحرب الصليبية الثانية طوائف كثيرة روى ذلك السير توماس عن راهب من رهبان (سنت دينس) في المعبد الخصوصي للملك (لويس السابع) قال الراهب . إن الصليبيين في طريقهم الى القدس عبر جبال الاناضول التقوا بجيش المسلمين الذي هزم الصليبيين شر هزيمة ، كما ذكر التاريخ،وكان ذلك في الممر الجبلي (فريجيا سنة ١١٤٨ ولم يصلوا الى مرسى (اضاليا) الا بشق الأنفس ومنها استطاع القادرون دفع مبالغ طائلة للتجار اليونانيين كي يعنوا بما سيتركون عندهم من الجرحى والمرضى والحجاج حتى يشفوا على ان يرافقهم حرس منهم ليلحقوا بمن سبقهم ، ثم رحلوا الى انطاكية بحرا ولكن التجار اليونانيين اهملوهم وتركوهم فريسة الضعف والعجز والمرض .

وبعد ان حمل الاتراك المسلمون على المعسكرات الصليبية ورأوا هؤلاء الضعفاء وما فيهم من بؤس ووهن رقت لهم قلوبهم وذابت نفوسهم رحمة لهم ، فواسوا المريض واحسنوا للفقير واطعموا المسكين بسخاء وكرم وبلغ من سخائهم ان عملوا على استرداد النقود الفرنسية التي أخذها التجار اليونانيون من الحجاج وردوها عليهم

ووزعوها على المحتاجين منهم .

(وتابع الراهب كلامه قائلا) .

وقد كان الفرق واضحا بين معاملة المسلمين ومعاملة اليونان الذين نهبوا اموالهم وضربوهم مما حمل الكثيرين منهم على اعتناق الاسلام من غير ان يكرهوا او يقهروا ، وفروا من إخوانهم الذين أساءوا اليهم ، فلحق ثلاثة الآف بالجيش الاسلامي بعد ان رجع عنهم ودخلوا في دينه .

لقد كانت الرحمة اشد من قسوة الخيانة ، واحسرتاه لقد ارتدوا عن المسيحية من غير ان يجبر واحد منهم على ترك دينه :(انتهي قول الراهب)

وقد كتب المؤرخون النصارى (فرنتر ـ وفتلى) و (بتريبوس) و (دهسون يمدحون الاسلام وعدالة المسلمين بإسهاب وقد لخصه (ارنولد) بما يلي :

قال : كانت اولى الخطوات التي اتخذها السلطان العثماني (محمد الثاني) بعد الاستيلاء على القسطنطينية ان طمأن النصارى بالتعهد بحماية الكنيسة الارثوذكسية ، ومنع منعا باتا اضطهاد النصارى وصدرت الارادة السنية بأن يكون للبطريك والاساقفة في النظام الحديث جميع الحقوق والامتيازات التي كانت لهم في النظام السابق للفتح واستلم البطريق (جناديوس) من يد السلطان محمد الادارة التي كانت شارة ولايته ، ومعها الف قطعة من الذهب وحصانا مطهما بعدة فاخرة ليركبه في المدينة .

ووهب السلطان لرئيس الكنيسة المسيحية الامتيازات التي كانت له في عهد الامبراطور المسيحي ، ومكنه من سلطة مدنية واسعة على الرعايا المسيحيين ، ويقضى بالغرامة والحبس والقتل ، وكانت حكومة السلطان تنفذ ما يقضي به مجلس البطريقية فكان للبطريق السلطة المطلقة في الشؤون الروحية ولم تتدخل قط في هذه الشئون السلطات المدنية الاسلامية كما كانت تفعل السلطات المسيحية قبل الفتح .

بمثل هذه الاخلاق الفاضلة ، وبمثل هذه المعاملة الحسنة كان ينتشر الاسلام ، ويكتسح البلاد ، ويحمل علماء الغرب وكتابهم على مدح الاسلام في سماحته ، وشكر المسلمين على تواضعهم وعدلهم في حكمهم ، واعمالهم الطيبة وخدمتهم الانسانية المثلى .

قضية الاستشراق

موقفنا منها وواجبنا تجاهها

للدكتور/ محمد محمد السقا عيد

إننا في هذه الأيام لايكاد يرى المرء في عالمنا الاسلامي المعاصر مجلة او صحيفة أو كتابا إلا وفيه إشارة أو ذكر شيء عن الاستشراق أو يمت إليه بصلة بعيدة او قريبة وهذا أمر ليس بمستغرب، ذلك ان الاستشراق في حقيقة الأمر كان ولايزال جزءا لايتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين العالم الاسلامي والعالم الغربي .

ويكفينا لكي نعلم خطورة الاستشراق أن الأوروبيين حتى اليوم يستقون معلوماتهم عن الاسلام من كتابات المختصين في هذا المجال من الأوروبيين وهم المستشرقون

والاستشراق قضية تتناقض حولها الآثار في عالمنا الاسلامي المعاصر ،

فهناك من يؤيده ويتحمس له إلى أقصى حد وهناك من يرفضه جملة وتفصيلا ويلعن كل من يشتغل به بوصفه عدوا لدودا للاسلام والمسلمين .

والواقع الذي لا يمكن انكاره هو أن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الاسلامي الحديث ايجابيا أو

سلبيا سواء اردنا أم لم نرد .

ولهذا لانستطيع تجاهله أو مجرد رفضه لأننا إن فعلنا ذلك لكنا كالنعامة التي تدفن رأسها في الرمال .

لهذا ليس هناك بديل من ان تطرح القضية على بساط البحث والدراسة واستخلاص النتائج والاقتراحات الجادة لبحث أبعاد الاستشراق وتأثيره بالنسبة للاسلام والمسلمين

* معنى الاستشراق *

يقصد بالاستشراق دراسة علم الشرق او علم العالم الشرقي .

أما كلمة (مستشرق) فتطلق على العالم الغربي الذي يهتم بدراسة الشرق في لغاته وآدابه وحضارته . وما يعنينا هنا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق من ناحية عناية الدراسات الغربية بالشرق الاسلامي في لغاته وآدابه وعقائده وتاريخه وتشريعاته .

* موقفنا تجاه المستشرقين من منظور قرآني حكيم *

بادىء ذى بدء يجب ألا ندخل على المستشرقين دخول المنكر المعاند الباحث عن المثالب وإنما ندخل عليهم دخول الباحث الذي يتوخى الوصول للحقيقة وهذا سيجعلنا نتعرف على ما للمستشرقين من إيجابيات تذكر لهم ، وما لهم من سلبيات تسجل عليهم . وهذا منهج حثنا الاسلام على اتباعه إحقاقا للحق ووضعا للأمور في نصابها قال تعالى :

« **ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** » سورة المائدة آية/ ٨ .

فكل من«الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به من أعمال وما تطرقوا إليه من أبحاث »

وهكذا لن نغمطهم حقهم في تقدير ما لهم من أعمال مفيدة ولا ضير على المرء إذا اعترف بما لخصمه من مزايا وإيجابيات إذ ان هذا ربما يكون حافزا لنا على النهوض والاستعداد من جديد وقبول التحدى الذي تفرضه علينا ظروف العصر .

وفي الوقت نفسه لن تغض الطرف عن سلبياتهم الكثيرة وما اقترفوه في حق الاسلام والمسلمين من تضليل وبهتان .

* جهود المستشرقين وأعمالهم *

تتمثل جهود المستشرقين على مدى التاريخ الطويل في أعمال مختلفة تشكل في مجموعها كلا واحدا ويمكن تلخيص هذه الأعمال في الآتي :ـ

- التدريس الجامعي : يكاد يكون هناك في كل جامعة أوروبية او أمريكية معهد خاص للدراسات الاسلامية والعربية .
- جمع المخطوطات وفهرستها .
- التحقيق والنشر : فقد قاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث وقابلوها بين النسخ المختلفة ولاحظوا الفروق وأثبتوها ورجحوا ما حسبوه

أصحها .

● الترجمة لمئات الكتب العربية والاسلامية الى اللغات الأوروبية .

● التأليف في شتى المجالات العربية والاسلامية فلهم مؤلفات بعضها ذات قيمة وفائدة للباحثين وبعضها يزخر بالطعن في الاسلام والأكاذيب ومن هذه الكتب القيمة كتاب (تاريخ الأدب العربي) وكذلك كان لهم باع طويل في مجال المعاجم والقواميس اللغوية .

وهكذا نرى ان للمستشرقين جهودا محمودة تجاه تراثنا ولغتنا العربية .

وقد يستبد العجب ببعضنا وتعتريه الدهشة لموضوع الاستشراق ويتساءل :

ما الذي يدعو الباحث الغربي الى بذل كل الجهد والمال في دراسة عالم غريب عنه .. يدرس لغاته التي تختلف تماما عن لغته ويحاول جاهداً فهم آدابها وعقائد أهلها وتاريخهم ؟

لقد كان بوسعه أن يوجه تلك الجهود لدراسة مجالات اوروبية اخرى يمكن أن يظهر فيها مواهبه الفكرية من ناحية ، ومن ناحية أخرى تكون أكثر فائدة له من الناحية العملية .

● إن الأمر ليس مصادفة عادية فاتجاه الأوروبيين لدراسة الشرق وإقامة مؤسسة ضخمة لذلك وهى مؤسسة الاستشراق لابد أن تكون وراءه أهداف معينة .

يقول (بارت) : « إننا في دراستنا لا نسعى الى نوايا جانبية غير صافية ، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة » هذه أقوال بعضهم ولكن ما هي اهدافهم الحقيقية ؟

* أهداف المستشرقين *

لعل أبرز هدف للاستشراق يتمثل في الهدف الديني الذي كان يسير منذ البداية في اتجاهات متوازية تعمل جنبا الى جنب وتتمثل هذه الأهداف فيما يلي :

● محاربة الاسلام والبحث عن نقاط ضعف مزعومة وإبرازها والزعم بأنه دين مأخوذ من النصرانية أو اليهودية والانتقاص من قيمه والحط من قدر نبيه .. الخ .

● حماية النصارى من خطره بحجب حقائقه عنهم وإطلاعهم على ما فيه من نقائص مزعومة أيضا وتحذيرهم من خطر الاستسلام لهذا الدين .

● التبشير وتدمير المسلمين .

وإذا كان الهدف الديني لم يعد ظاهرا الآن في كتابة بعض المستشرقين فليس معنى هذا أنه اختفى تماما ، إنه لايزال يعمل من وراء ستار بوعي وبغير وعي .

فمن الصعب على معظم المستشرقين النصارى ـ المنشغلين بدراسة الاسلام ـ وأكثرهم متدينون ـ ان ينسوا أنهم يدرسون دينا ينكر عقائد أساسية في النصرانية ويهاجمها ويفندها مثل عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء .

كما أنه من الصعب عليهم ايضا أن ينسوا أن الدين الاسلامي قد قضى على النصرانية في كثير من بلاد الشرق وحل محلها :

ولكن الهدف الديني ليس هو كل شيء فقد كانت هناك أهداف أخرى

للاستشراق تقترب أو تبتعد من الهدف الديني ومن هذه الاهداف ما يلي :

(١) **أهداف علمية** : وكان مقصد بعض من ظهروا في عصر التنوير في أوروبا فمنهم من قرأ الكتب الدينية وفحصها وأدرك أن رسالة الاسلام قريبة من الرسالات السماوية ومؤيدة لما جاء في كتبها من إيمان بالله ورسوله ودعوة إلى الحق والخير والصلاح ولكن هؤلاء كانوا قلة .

(٢) **أهداف تجارية** : وذلك لأن الغرب كانوا مهتمين بتوسيع تجارتهم والحصول من بلاد الشرق على المواد الأولية لصناعتهم ومن أجل هذا وجدوا ان الحاجة ماسة للسفر الى البلاد الاسلامية والتعرف عليها ودراسة جغرافيتها الطبيعية والزراعية والبشرية حتى يحسنوا التعامل مع تلك البلاد وتحقيق ما يصبون اليه من وراء ذلك من تحقيق فوائد كثيرة تعود على تجارتهم وصناعتهم بالخير العميم كان ذلك قبل القرنين التاسع عشر والعشرين قبل الاستعمار الغربي للعالم الاسلامي . ولكن هذه الطائفة كانت قليلة كسابقتها .

(٣) **أهداف سياسية** : وقد ظهرت تلك الأهداف السياسية واضحة جلية واتسع مداها باتساع رقعة الاستعمار الغربي للعالم الاسلامي في القرنين (١٩ و ٢٠) واضطرت الدول الاستعمارية ان تعلم موظفيها في المستعمرات لغات تلك البلاد وأن تدرس لهم آدابها ودينها كي يسوسوا هذه المستعمرات ويحكموها .

* موقفنا من المستشرقين عمليا *

إن الأمر ليس مجرد استحسان أو استهجان عابرين نفرح حين يمن علينا بعضهم بكلمات المدح ونفزع غاضبين حين يصب علينا بعضهم الآخر صواعق فكرية فنستعيذ بالله من شياطين الانس ونعتبر الموضوع منتهيا ثم نستأنف سيرنا العادي الرتيب وكأن شيئا لم يحدث . كلا إن الأمر اخطر من ذلك بكثير .

إذ لا بد من تغيير جذري في أسلوب حياتنا ولا بد من إعادة النظر في ثقافتنا وفي تفكيرنا .

* واجبنا تجاه قضية المصير *

لقد آن الأوان لنعمل كما يعمل المستشرقون بغض النظر عن عملهم ـ لأن القضية قضية مصير لنا ، إن علينا أن نتقدم بخطا عملية في سبيل مقاومة الاستشراق مستعينين بآراء أولي الخبرة في هذه الموضوعات .

وهأنذا أقدم مقترحات واحد من الخبراء في هذا المجال ، إنه الدكتور محمود حمدى زقزوق . عميد كلية اصول الدين بالأزهر الذي اهتم بموضوع الاستشراق وشارك في كثير من ندواته لعلاج هذه القضية وهذه بعض مقترحات سيادته وهي مقترحات وجيهة ناتجة عن دراسة واعية ختم بها كتابه الذي نشر ضمن سلسلة كتب الأمة (الكتاب الخامس) تحت عنوان (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري) وعلى قائمة هذه المقترحات :

* موسوعة للرد على المستشرقين *

حيث تكون هناك مواجهة فكرية جادة لمجابهة أية تيارات مناوئة للاسلام والمسلمين ولهذا فلا بد من دراسة الاستشراق دراسة عميقة ولا يكفى أن نقول إن ما يكتبونه كلام فارغ فهذا الكلام الفارغ مكتوب بشتى اللغات الحية ومنتشر انتشارا واسعا على مستوى عالمي كذلك فمواجهته لا بد أن تكون على المستوى العالمي وبالكلام (المليان) على حد تعبير الدكتور حسين مؤنس من مقال الحقه الدكتور محمد البهي في كتابه (الفكر الاسلامي الحديث) ص ٥٧٦ ـ ٥٧٧ .

* مؤسسة اسلامية علمية عالمية *

فكما يقول الدكتور زقزوق لقد آن الأوان ـ على مستوى العالم الاسلامي لاقامة مؤسسة اسلامية علمية لاتنتمي بالولاء الى قطر معين من الأقطار الاسلامية ولا لمذهب سياسي أو فكرى أو ديني معين بل يكون ولاؤها الأول والأخير لله وحده ولرسوله صلى الله عليه وسلم وتستطيع استقطاب الكفاءات العلمية في شتى أنحاء العالم وتقف على قدم المساواة مع الحركة الاستشراقية ويكون لها دوريات ومجلات علمية ذات مستوى رفيع تنشر بحوثها بلغات مختلفة وتعمل على استعادة اصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الأفكار فالأمر الذي يؤسف له حقا هو اننا على امتداد العالم الاسلامي بسكانه الذين تجاوزوا الالف مليون لانملك مؤسسة علمية دولية لها الامكانيات العلمية والمادية نفسها التي تملكها المؤسسة الاستشراقية ..
اليس هذا من الأمور التي تدعو الى الأسى والحسرة ؟

* دائرة معارف اسلامية جديدة *

فواجب المسلمين أن يقوموا بإصدار دائرة معارف اسلامية باللغة العربية واللغات الأوروبية الرئيسية تقف على الأقل في مستوى دائرة المعارف الاسلامية للمستشرقين تخطيطا وتنظيما وتتفوق عليها علميا وتنقل وجهة النظر الاسلامية في شتى فروع الدراسات الاسلامية والغربية الى المسلمين وغير المسلمين وكذلك تفند شبهات وأباطيل المستشرقين وتناقشها .

* جهاز عالمي للدعوة الاسلامية *

فقد أشار المفكر الفرنسي المسلم روجيه جارودى في محاضرته التي القاها في كل من جامعة الملك عبد العزيز بجدة وجامعة قطر بالدوحة تحت عنوان (الاسلام وأزمة الغرب) أشار الى الحاجة الملحة لنشر الاسلام والثقافة الاسلامية في الغرب فكان مما قال .
«إن عملنا يتعلق بشرح مفهوم الصهيونية وأهدافها وطرق عملها كذلك فإن هدفنا الأول والأخير هو ان نظهر للغربيين كيف أن الاسلام هو الوحيد القادر على فتح طريق امام

المستقبل خارج النمطين الامريكي الرأسمالي والاشتراكي السوفياتي اللذين آلى الى طريق مسدود ويقول ايضا 'نحن بصدد اصدار كتاب عنوانه في الاسلام كل الفنون تؤدي الى المسجد .. وكل المساجد تؤدي الى الصلاة . وعن طريق تنوع الثقافات والفنون التي استوعبها الاسلام نحاول إبراز معاني وحدة وشمولية الايمان .

● كذلك ما أحوجنا الى أن نقوم باعداد ترجمات شتى لمعاني القرآن الكريم وبعض الأحاديث الشريفة نسد بها الطريق أمام عشرات الترجمات المنتشرة الآن بشتى اللغات والتي قام بإعدادها المستشرقون والتي صدروها في الغالب بمقدمات مملوءة بالطعن في الاسلام .

● كذلك فقد آن الأوان لكي ننقي تراثنا العظيم ونغربله بعيدا عن الغيوم التي تحجب عنا إشراقة شمسه حتى يكون غذاء فكريا صالحا للمسلم يمده بأسباب القوة التي تعينه على النهوض مرة اخرى بعزم جديد وتصميم أكيد .

● كذلك فقد تحدث الدكتور زقزوق عن كثير من المقترحات الاخرى كاقتحامنا مجالات تدريس العلوم العربية والاسلامية في الغرب عن طريق الاتفاقات الثقافية مع البلدان الغربية وارسال اساتذة أكفاء من الأقطار الاسلامية الى معاقل الاستشراق للتدريس فيها حتى يتسنى لنا تصحيح التصورات الغربية عن الاسلام بالعمل الدؤوب لا بالشعارات الجوفاء على حد قوله .

● واقترح سيادته ايضا إقامة حوار بين المستشرقين المعتدلين وبين رجال الدين لأن هذا بلا شك له أثره في تصحيح الصورة الخاطئة عن الاسلام في العالم الغربي .

● إنشاء دار نشر اسلامية عالمية

ويختتم استاذنا الكبير الدكتور محمود زقزوق جملة اقتراحاته باقتراح إنشاء دار نشر اسلامية عالمية تقوم بنشر المطبوعات الاسلامية بشتى اللغات حتى لا تظل المطبوعات الاسلامية باللغات الأجنبية تحت رحمة الناشر في الغرب .

وأقرب الأمثلة على ذلك ما وجده المفكر المسلم (روجيه جارودي) من صعوبات في نشر كتاب يفضح فيه ادعاءات الصهيونية بعنوان (**ملف اسرائيل بين احلام وأكاذيب الصهيونية**)

فإسلامه وانضمامه للمسلمين غير وضع دور النشر في فرنسا تجاه مؤلفاته التي كانت قبل إسلامه تتلهف عليها لنشرها على أكبر قدر من الجمهور .

هذه كانت بعض مقترحات استاذنا الكبير أو معظمها .

ولايسعني اخيرا إلا أن أرفع صوتي الى صوته لمناداة المسلمين على الصعيد العالمي بأن يدرسوا القضية من جميع أبعادها ويتكاتفوا بإرادة حازمة في تنفيذ بعض الخطوات العملية تجاه قضية المصير .. قضية الاستشراق،عندئذ نعلنها مدوية على آذان العالم أن هلموا الى الاسلام .. هلموا الى الأمن والأمان .

مائدة القارئ

من الناس

قال الله سبحانه وتعالى : « **ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين** »

الآية ١١ من سورة الحج

دعاء

أخرج البخاري عن أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - أنه قال للنبي - صلى الله عليه وسلم - علّمني دعاء أدعو به في صلاتي قال « قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم » .

الأمل ... والأجل

قال حكيم : للحياة حدان

الاول : الأمل .

والثاني الأجل

فبالأول : بقاؤها

وبالثاني: فناؤها .

على كل مسلم صدقة

اخرج البخاري عن أبي موسى الاشعري قال : «قال النبي - صلى الله عليه وسلم - «على كل مسلم صدقة» قالوا : فإن لم يجد قال «فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق» .

قالوا : فإن لم يستطع او لم يفعل . قال :«فيعين ذا الحاجة الملهوف» .

قالوا : فإن لم يفعل قال «فليأمر بالخير أو قال بالمعروف» .

قال : فإن لم يفعل قال : «فليمسك عن الشر فإنه له صدقة» .

أما لك زاجر من عقلك ؟

خرج اعرابي بالليل فإذا بجارية جميلة فراودها فقالت اذا لم يكن لك واعظ من دينك . أما لك زاجر من عقلك ؟

فقال : والله ما يرانا الا الكواكب ؟

فقالت له : ياهذا وأين مكوكبها ؟

فخجل من كلامها وقال : إنما كنت مازحا

فقالت :

فـإيـاك إيـاك المـزاح فـإنـه يجرّى عليك الطفل والرجل النذلا

ويذهب ماء الوجه بعـد بهائـه ويورث بعد العـز صاحبـه ذلا

لغتنا

يسمى اللبن حين يحلب صريفا
فاذا سلبت رغوته فهو الصريح
فان لم يخالطه ماء فهو محض
فإذا خذى اللسان فهو قارص
فإذا خثر فهو رائب
فإذا اشتدت حموضته فهو خازر

عز العلماء

قال القاضي الجرجاني .

ولـم أقض حق الـعلـم إن كنـت كلمـا بـدا طمـع صيـرتـه لى سلمـا

ولم ابتـذل في خـدمـة العلـم مهجتـي لأخـدم مـن لاقيـت لكـن لأخـدمـا

أأشقـى بـه غـرسـا وأجنيـه ذلـة اذا فـاتبـاع الجهـل قـد كـان أسلمـا

حوار مع المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

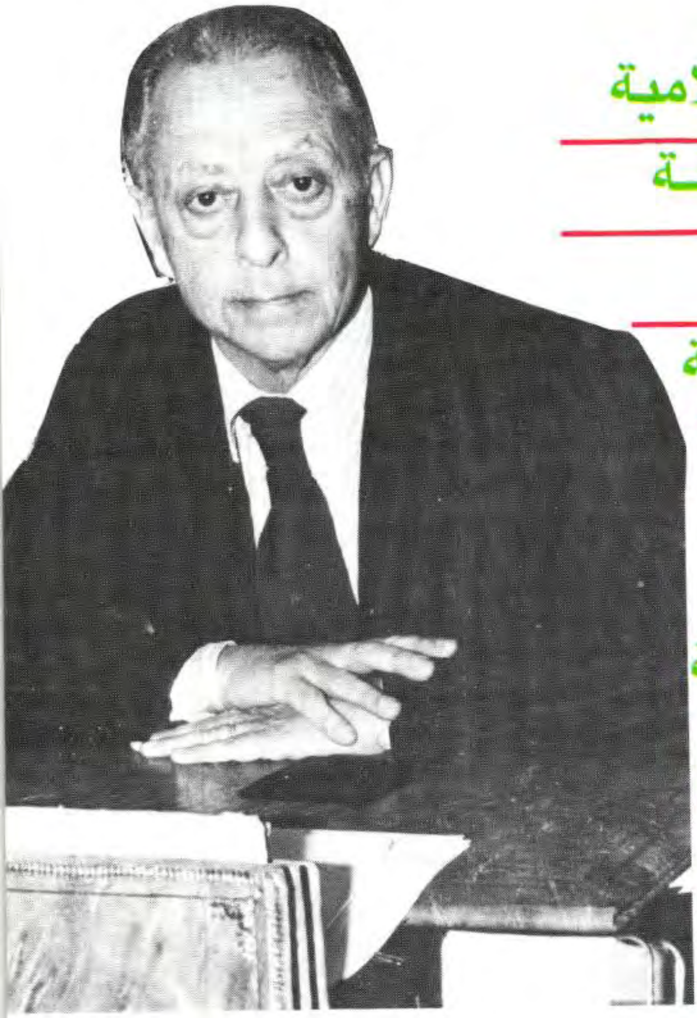
ايسيسكو

أجرى الحوار: محمد العباسي

عقد في القاهرة مؤخرًا اجتماع خبراء المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة « ايسيسكو » لمناقشة مشروعي البرنامجين الموحدين لتدريس الجغرافيا والتاريخ الاسلامي في دول المنظمة .

حضر الاجتماع ، والذي افتتحه وزير التعليم المصري د. فتحي سرور ، ٣٠ دولة اسلامية . كما حضر الجلسة الافتتاحية فضيلة الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر جاد الحق علي جاد الحق .

وكان لمجلة « الوعي الاسلامي » هذا اللقاء مع معالي الاستاذ عبدالهادي بوطالب ـ المدير العام للمنظمة حول اهداف المناهج الموحدة وأهميتها في التضامن الاسلامي ، ودور الايسيسكو في هذا المجال ، وكذلك في مواجهة التحديات التي تواجه العالم الاسلامي . وقد تحدث المدير العام للمنظمة عن الاسلام والحوار العالمي للحضارات ونشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الاسلام .



المدير العام للمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة « ايسيسكو » :

ـ توحيد مناهج دول المنظمة تهدف إلى إبراز هويتنا في مجلس الحوار العالمي

ـ قمنا بجعل الثقافة الاسلامية محور مناهج التعليم لخلق جيل متماسك الشخصية ، محدد الهوية

● استراتيجية تدريس العلوم● الانسانية بمفهوم اسلامي

ـ ما الهدف من مشروع توحيد منهجي التاريخ الاسلامي والجغرافيا ؟

○ **بوطالب** : بإلقاء نظرة فاحصة على المناهج المدرسية في البلاد الاسلامية نجد ان معظمها ما زال متأثرا بالمناهج التي ورثناها من المستعمر الاوروبي القديم ، تلك المناهج التي تغفل تاريخ الشعوب الاسلامية وتهمل جغرافيتها البشرية والطبيعية والاقتصادية إن لم تكن تطمسها عن عمد او تشوهها قصدا ، لتسلط الأضواء بطريقة ماكرة على تاريخ المستعمر القديم وجغرافيته ومدنيته ومنجزاته الحضارية . أضف إلى ذلك ، أن وسائل الاعلام الحديث في بلادنا ـ مقروءة كانت أو مسموعة أو مرئية ـ تقتصر على المصادر المحلية والغربية ، وهكذا يجهل أبناؤنا الكثير عن إخوانهم في البلاد الاسلامية الاخرى .

ولقد أدرك قادة الأمة الاسلامية ومفكروها المتطلعون إلى تضامن شعوبهم سياسيا وتعاونها اقتصاديا وتنميتها اجتماعيا وعلميا وتكنولوجيا ـ أن هذا لن يتحقق على الوجه المطلوب مالم يستند إلى أساس

ـ قررنا استبدال شعار نقل التكنولوجيا الى تنميتها والتعاون في تطويرها

صلب من الوحدة الفكرية المبنية على التربية والتعليم وما لم تقم على تنسيق شامل للسياسات التربوية والثقافية والعلمية ، لذلك قرروا إنشاء المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة « **ايسيسكو** » للقيام بهذا الدور .

وكانت المملكة العربية السعودية قد تقدمت بمشروع قرار يرمي إلى إعداد استراتيجية لتدريس العلوم الانسانية من منظور إسلامي . وذلك خلال المؤتمر الاسلامي الخامس عشر لوزراء الشئون الخارجية الذي عقد في صنعاء في ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م وهكذا طالب المؤتمر العام الثاني لوزراء التربية والتعليم في البلاد الاسلامية الذي اجتمع في إسلام أباد في شهر ذي الحجة ١٤٠٥هـ/ سبتمبر ١٩٨٥ من «**الايسيسكو**» بإدراج هذه المسألة في خطة عملها الثلاثية للسنوات ١٤٠٥هـ ـ ١٤٠٨هـ . وبالفعل بدأنا في خطة توحيد مناهج التربية الاسلامية والتاريخ الاسلامي وجغرافية العالم الاسلامي في مختلف مراحل التدريس . ولقد فرغت المنظمة قبل أشهر من وضع البرنامج الموحد لتدريس التربية الاسلامية وأقرته لجنة من الخبراء تمثل الدول الأعضاء وهو قيد الطبع الآن . ثم أعدت المنظمة مشروعي منهجين موحدين لتدريس التاريخ الاسلامي والجغرافيا وهذا ما يتم مناقشته في هذا المؤتمر لاقراره .

● تنمية شخصية التلميذ المسلم ●

وأهداف مشروع منهاجي التاريخ والجغرافيا . اولا بالنسبة للتاريخ يهدف المشروع إلى تقديم منهاج نموذجي يساعد على إدراج التاريخ الاسلامي ضمن مختلف المناهج الوطنية دون أن يشكل موضوعا منفصلا عن التاريخ العالمي ويكون ذلك في حالة وجود منهاج واحد فقط لتدريس التاريخ . وعندما يتوفر منهاج خاص بالتاريخ الاسلامي يمكن اعتبار المنهاج النموذجي المقترح تتميما أو بديلا إن كان يتناسب مع أهداف النظام التربوي وغاياته .

والغرض من هذا المنهاج لا ينحصر في تكوين المواطن الصالح فحسب ، بل يهدف إلى تنشئة الانسان المسلم الذي يعمل لما فيه خير الانسانية جمعاء ، **فالهدف الأول** هو المساهمة في تنمية شخصية التلاميذ المسلمين ، وإعطاؤهم صورة متكاملة عن أوجه الحضارة الاسلامية ، وذلك بتزويدهم بالقيم الخلقية في الاسلام ، والتطورات التي شهدتها الشعوب الاسلاميةوالتي نسجت روابط الوحدة

والأخوة بين هذه الشعوب امام المصير المشترك . وكذلك يرمي المنهج إلى حمل التلميذ المسلم على التشبع بالمعتقدات والمبادىء والقيم الاسلامية وتقدير التراث الاسلامي في مجالات العلوم والآداب والفلسفة والطب والفن والمعمار والافتخار بالقيم والتراث الاسلامي من دون تعصب وفي إطار الاحترام والتسامح نحو المجموعات الاخرى .

● ترسيخ الشعور بالانتماء للعالم الاسلامي ●

أما أهداف مشروع منهج الجغرافيا فهي المساهمة في تعريف التلميذ تعريفا أفضل بالعالم الاسلامي الذي ينتمي إليه . وضرورة هذه المعرفة تكمن في توفير الشروط اللازمة الثابتة لتوطيد أواصر التفاهم والتعاون والتضامن بين المسلمين . والاسهام في تلقين التلميذ معرفة متناسقة منسجمة ومركزة على العالم الاسلامي حتى يفيه التلميذ حقه من الاهتمام والتقدير . كما يهدف البرنامج إلى تعريف الطالب بالخصائص المشتركة للعالم الاسلامي بهدف ترسيخ الشعور لديه بالانتماء إلى مجموعة حضارية . وتعريف الطالب بمظاهر التنوع التي تطبع العالم الاسلامي تأكيدا لعوامل التكامل الموجودة بين البلاد أو المناطق الاسلامية .

وفي نهاية إجابتي على هذا السؤال أقول : إن فلسفة التربية الاسلامية تهدف إلى ان نكون أنفسنا وأن تكون لنا هوية خاصة بنا ليكون لنا مكان في مجلس الحوار العالمي ولن يكون هذا الا بالتكتل والتضامن الذي لن يحدث إلا ببناء الأجيال المسلمة بناء علميا وموضوعيا وفكريا وهذا ما نقوم به .

● صبغ التعليم بالاسلام ●

ـ ما هو دور « الايسيسكو » في نشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الاسلام ؟

○ **بوطالب** : بالنسبة لنشر الثقافة الاسلامية فقد اهتمت بها الايسيسكو منذ بدايات عملها لان ذلك يدخل في اطار الرسالة التي تضطلع بها الايسيسكو لاجل رفع راية القرآن والتقريب بين شعوب الضاد . وقد قمنا بعمل برنامج « **جعل الثقافة الاسلامية محور مناهج التعليم** » **وصبغ التعليم كله بالصبغة الاسلامية ، لخلق جيل متماسك الشخصية ، محدد الهوية ، واثق بنفسه ، مؤمن برسالته** .

وقد ساهمت الايسيسكو في الكثير من الندوات وعقد المؤتمرات في هذا المجال وعلى سبيل المثال في سنة ١٤٠٣هـ في شهر شوال اشتركت المنظمة في افتتاح الدورة العالمية الثامنة للسانيات في الرباط بالمغرب . واقامت دورة تدريبية لمدرسي الثقافة الاسلامية واللغة العربية في ٢٧ شوال ١٤٠٤هـ في فريتاون بسراليون .

وتضمنت خطة عمل **الايسيسكو** ١٩٨٣ ـ ١٩٨٥ برنامج تنظيم دورتين **تدريبيتين لمدرسي** الثقافة الاسلامية واللغة العربية إحداهما في إفريقيا والاخرى في اسيا .

وهذه الدورات التدريبية تهدف الى التعارف بين التربويين في الدول الأعضاء بالمنظمة وتبادل الرأي بينهم **وثاني هذه** الأهداف تدريب مدرسي الثقافة الاسلامية واللغة العربية على أحدث طرائق التدريس . **وثالث** الأهداف هو تقوية المدرسين من غير العرب في اللغة العربية .

كما شاركت **الايسيسكو** مع المركز الاسلامي والثقافي ببلجيكا ، في بروكسيل من ٤ الى ٦ شوال ١٤٠٥ هـ/ ٢٢ ـ ٢٤ يونيو ١٩٨٥ في ندوة نشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية .

كما تعكف **الايسيسكو** على تأليف عدد من الكتب المنهجية لتدريب المعلمين ومن هذه الكتب كتاب في « النصوص اللغوية » ، وآخر في طرائق تعليم العربية لغير الناطقين بها ، وثالث في طرائق تدريس التربية الاسلامية ، ورابع في التربية وعلم النفس التربوي كما ستعد **الايسيسكو** برنامجا لعقد دورات تدريبية في غينيا والنيجر وتشاد ومالي وبنجلاديش وباكستان . كما تقوم بتهيئة عدد من المتعلمين من أبناء زنجبار وتدريبهم على تعليم اللغة العربية والثقافة الاسلامية في بلدهم .

كما وضعت الايسيسكو برنامجا لمساعدة الدول الأعضاء في تشكيل لجان وطنية في وزارات التربية والتعليم فيها لتأليف كتب وطنية لتعليم اللغة العربية والتربية الاسلامية . وقامت الايسيسكو بتقديم العون لهذه اللجان وذلك بطبع الكتب كما أقامت الايسيسكو **الجامعة الاسلامية في النيجر** ، وتشارك في إقامة جامعة السودان المفتوحة وذلك لنشر الثقافة الاسلامية .

أما في مجال تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الاسلام فهذا العمل من صميم اهداف « **الايسيسكو** » ولذلك قمنا بتحديد وحصر الأخطاء الموجودة في المراجع التي ينقل منها المثقفون وذلك عملا بالقاعدة الفقهية المعروفة "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح" والمفسدة التي يجب ازالتها هي تصحيح الموجود من اخطاء في المراجع . ويدخل في هذه الأخطاء ما تنشره **اليونسكو** في موسوعتها عن الاسلام واتفقنا مع **اليونسكو** ان اكون مديرا لهذا الجزء لتقديم تصورات صحيحة ويشاركني في ذلك الدكتور عزالدين ابراهيم رئيس

ـ الايسيسكو ملزمة بالدفاع عن الكيان الحضاري للأمة الاسلامية

جامعة الامارات العربية السابق وقد باشرنا عملنا وأعددنا قائمة بالمتخصصين الذين سيقومون بتصحيح ما ينشر عن الاسلام . واتفقنا مع اليونسكو ان تعتمد على خبرة الايسيسكو عندما يتعلق الامر بالاسلام وعالمه ..

● التحديات التكنولوجية ●

ـ وماذا عن التحديات التي تواجه العالم الاسلامي في مجال تنمية العلوم والتكنولوجيا ؟

● أجاب المدير العام للمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافه « ايسيسكو » : هذا المجال لم ننسه بل توجد لجنة دائمة للعلوم والتكنولوجيا وقد ناقشنا هذا الامر من قبل وانتهينا إلى أن الاعداد للسياسة العلمية التكنولوجية عندنا يتم في معزل عن السياسة التعليمية والثقافية ، فنحن نستورد الاجهزة والمعدات دون إعداد الهياكل التقنية الماهرة اللازمة لاستخدام تلك الأجهزة وصيانتها ، ودون ان يدمج العلم دمجا عضويا في المجتمع ، دون أن يقدم لجماهير الشعب بلغتها الوطنية . كما أن السياسة العلمية تعتمد على النقل المباشر للتكنولوجية من الدول الصناعية إلى البلدان الاسلامية دون مراعاة للامكانات الذاتية للبلد المستقبل ، ومن غير تطويعها بما يناسب بيئة كل بلد وظروفه ، وتطويرها مع مرور الزمن بما يتلاءم ومعتقداته وقيمه ، إضافة إلى ان هذه السياسة اعتمدت على الغرب **كليا** لذلك قررنا في الايسيسكو **إنجاز** استقلالنا التكنولوجي وتوطيد عزتنا لنواصل تقديم رسالتنا الاسلامية الى العالم ولذلك قررنا استبدال شعار نقل التكنولوجية إلى « **تنمية التكنولوجيا والتعاون في تطويرها** » وهذا يتطلب اعتماد خطة مدروسة تنسق فيها السياسات التعليمية والثقافية والعلمية والتكنولوجية في إطار شامل للتنمية الاجتماعية الاقتصادية القائمة على الايمان والعلم ، تنسيقا يجعل منها وحدة متكاملة .

وتدلنا الدراسات الدقيقة على ان التنمية العلمية والتكنولوجية تتطلب التحاق ١٠٪ من السكان على الاقل بالتعليم الابتدائي وحصول ٤٠٪ من مجموع السكان على حد ادنى من التعليم الاساسي ووجود عدد كاف من العلميين والمهندسين لا تقل نسبتهم بين السكان عن ٢,٥٪ على الاقل . واذا نظرنا إلى الاحصاءات المتوفرة لدينا عن البلاد الاسلامية وجدنا ان معظم الدول الاسلامية لم تحقق بعد الحد الأدنى من التعليم الاساسي للنسبة المطلوبة من سكانه كما ان نسبة العلميين والمهندسين في معظم العالم الاسلامي لا تتجاوز ٠٢,٠٪ اي ان عدد العلماء والمهندسين في كل مليون لا يتجاوز المائتين في حين ان المعدل يصل في اليابان الى ٢٩٤٠ في كل مليون .

وهذا يعني ان نظمنا التعليمية لم تتمكن بعد من توفير المتطلبات

الاساسية لتنمية علمية تكنولوجية . فأول تحد هو إقامة نظام تعليمي جديد مرتبط بالحياة الجامعة المتطورة وبمتطلباتها الروحية والاقتصادية والاجتماعية .

وإيجاد مدرسة شاملة عامة تجعل المعرفة العلمية التقنية القائمة على الايمان اساسا للتعليم برمته حتى نتخلص من التبعية التكنولوجية كما أن على الدول الاسلامية رعاية البحث العلمي وتشجيعه ، فبينما تتطلب التنمية التكنولوجية إنفاق ١٪ من الدخل القومي على البحث العلمي ، نجد ان الدول الاسلامية لا تنفق عليها إلا نسبة ضئيلة لا تتجاوز ٠,٤٪ .
فهذا التحدي التكنولوجي لن نستطيع مواجهته الا بدعم كبير من الدول الاسلامية لاقامة السياسة التعليمية التي سبق ان تحدثت عنها .

ـ اين العالم الاسلامي في الحوار الحضاري العالمي ؟ ودور الايسيسكو في ذلك ؟

○ **اجاب** : لقد واجه العالم الاسلامي عبر تاريخه الكثير من الاحداث والمواقف الخطيرة وكانت ردود فعله متنوعة ومختلفة حسب الظروف والملابسات . وكان اهمها وأخطرها حدث إحراق المسجد الأقصى مما جعل العالم الاسلامي مضطرا الى جمع نفسه وتكتيل جهده وقد عقد اول مؤتمر اسلامي للقمة بالرباط ١٣٨٩ / ١٩٦٩ تمخض عنه إنشاء منظمة المؤتمر الاسلامي ، كتجسيد لارادة العالم الاسلامي في القيام بدوره كاملا على صعيد المجتمع الدولي كقوة متميزة فاعلة ، لنشر القيم الخيرة والمثل العليا الكفيلة بدرء الحروب والانتكاسات التي تهدد البشرية جمعاء ، وكوسيلة ، لتحقيق تأثير ولو نسبيا في الاحداث العالمية .

ولأن هذه المواجهة وذلك الحوار اقتضيا توفر اداة ناجحة لحفظ وبلورة المضمون الاسلامي في لغة العالم المسلم ، وهو الذي لا غنى عنه كطرف متميز في الحوار الحضاري العالمي ، ولان عملية ضم الوحدات تقتضي بناء الانسان المكون لها إذ لا تنمية سياسية بدون تنمية الانسان نفسه ، ولا تنمية اقتصادية للوحدات المطلوب جمعها بدون تنمية فكرية لفكر الانسان ووجدانه وضميره وقد « انشئت « الايسيسكو » التي تضم الآن ٣٦ دولة لذلك الهدف وكان ذلك تعبيرا عن الصحوة الاسلامية التي تميز بها واقع الاسلام في عصرنا الحاضر . هذا الواقع الذي اكده الاهتمام المتزايد للعالم الغربي بأحوال الأمة الاسلامية ورصده لحركاتها وإبدائه خوفه إزاء ما أخذ يتحول اليه كيانها من تكاتف ونمو وتجدد ، تشهد عليها جميعها تيارات الشباب المسلم الداعية الى العودة للمنبع ، وآلاف الكتب والمطبوعات التي يتزايد ظهورها في المكتبات بالعالم الاسلامي والغربي على السواء .

والدول الاسلامية ملتزمة بتنمية مجتمعاتها وتطوير مداركها وقدراتها

العلمية والفكرية بصفة عامة لادماجها في الحضارة الكونية او الحضارة المستقبلية التي هي حضارة الانسان ، دون ان تفقد شيئا من أصالتها أو تتلاشى ذاتيتها . والايسيسكو هي الملزمة بالدفاع عن الكيان الحضاري للأمة الاسلامية وشخصيتها المتميزة .

نبذة عن حياة معالى الاستاذ : عبدالهادي بوطالب



● ـ ولد عبدالهادي بوطالب عام ١٩٢٣ بمدينة فاس ، وحصل على اجازة الحقوق من جامعة القرويين عام ١٩٤٣ .

● شارك في مقاومة الاستعمار الفرنسي ، ووضع تحت الاقامة الجبرية في الدار البيضاء من ٥٣ حتى ١٩٥٤ وبعد ذلك ترأس الوفد الوطني المغربي بباريس للتعريف بقضيته وهي استقلال المغرب .

● عمل وزيرا للعمل في اول حكومة وطنية بعد استقلال المغرب عام ١٩٥٥ كما عمل وزيرا للتربية والشئون الخارجية والاعلام والصحراء ووزيرا منتدبا للوزير الاول .

● كما عين سفيرا للمغرب في الولايات المتحدة والمكسيك ودمشق .

● وعمل مستشارا للملك الحسن الثاني .

● كما تولى رئاسة البرلمان .

● ومنذ سنة ١٩٧٩ وهو يعمل استاذا بكلية الحقوق بالدار البيضاء .

● في عام ١٩٨٢ انتخب مديرا عاما للمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة .

● وهو عضو في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية والاكاديمية الملكية المغربية .

● وفي نوفمبر ١٩٨٣ انتخب نائبا لرئيس اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الاسلامي التي يرأسها سمو الامير فيصل بن فهد .

● وله عدة مؤلفات في الاداب والتاريخ والسياسة والقانون منها :

● وزير غرناطة (عن لسان الدين بن الخطيب)

● هذه سبيلي (مجموعة مقالات سياسية)

● بين القومية العربية والتضامن الاسلامي .

● من الثورة السياسية الى الثورة الاجتماعية .

● النظم السياسية العالمية المعاصرة .

● الصحوة الاسلامية .

أحذروا .. غزو جديد للنزلة الوافدة

للدكتور / نبيل سليم

« تايوان » .. اسم نعرفه جميعا .. هو لدولة صغيرة تصنع وتصدر العديد من المنتوجات وتغزو بها كل الأسواق .. لكن في الآونة الأخيرة بدأت علامات غزو جديد لنزلة وافدة قادمة من « تايوان » لتهاجم أميركا في بداية فصل الشتاء ، ومن المفروض طبقا للتجارب المريرة السابقة ـ أن تغزو فصائل هذه النزلة الوافدة « الانفلونزا الجديدة مختلف دول العالم .

ويحاول العلم منذ القدم الوثوب الى مصل واق من هذا المرض الصعب البسيط .. فمنذ القرن الأول بعد الميلاد اوصى الفيلسوف والمؤرخ الروماني « بليني » بتقبيل فم وشوارب الفار لعدة مرات في اليوم حتى يمكن الشفاء من أمراض البرد ، ورغم مرور تسعة عشر قرنا على هذه الوصفة الغريبة ، أو اللغز الصعب ، مازال العلم أو الطب عاجزا عن أن يتقدم كثيرا في مجال علاج امراض البرد خاصة النزلة الوافدة ، إذ ان جميع وسائل العلاج المتوفرة حاليا من أمصال وعقاقير لاتفعل اكثر من تخفيف العطس والسعال « والسيلان الأنفى ولفترة محدودة »

ورغم أن ديننا الاسلامي الحنيف يحتوى في أحد أركانه اسلوبا علاجيا هاما لهذه الانواع من الأمراض إلا أن قليلا من العلماء هو الذي أدرك هذه الحقيقة والحكمة الالهية العظيمة .. وقبل أن نخوض في الحديث عن هذه الحكمة الجليلة ، هيا بنا نتجول سريعا حول هذا المرض كي نتعرف على ذلك الغزو الجديد ثم نعود أدراجنا بمشيئة الله الى ما أوصانا به

ديننا الحنيف للوقاية والعلاج من « النزلة الوافدة »

نسمع دائما عن أنواع جديدة من النزلة الوافدة التي تغزو بلادنا .. فبالاضافة الى النزلة المحلية التي نعرفها من سنوات طويلة ، نجد النزلة الوافدة من آسيا والبرازيل والصين وامريكا وهونج كونج واخيرا .. تايوان .

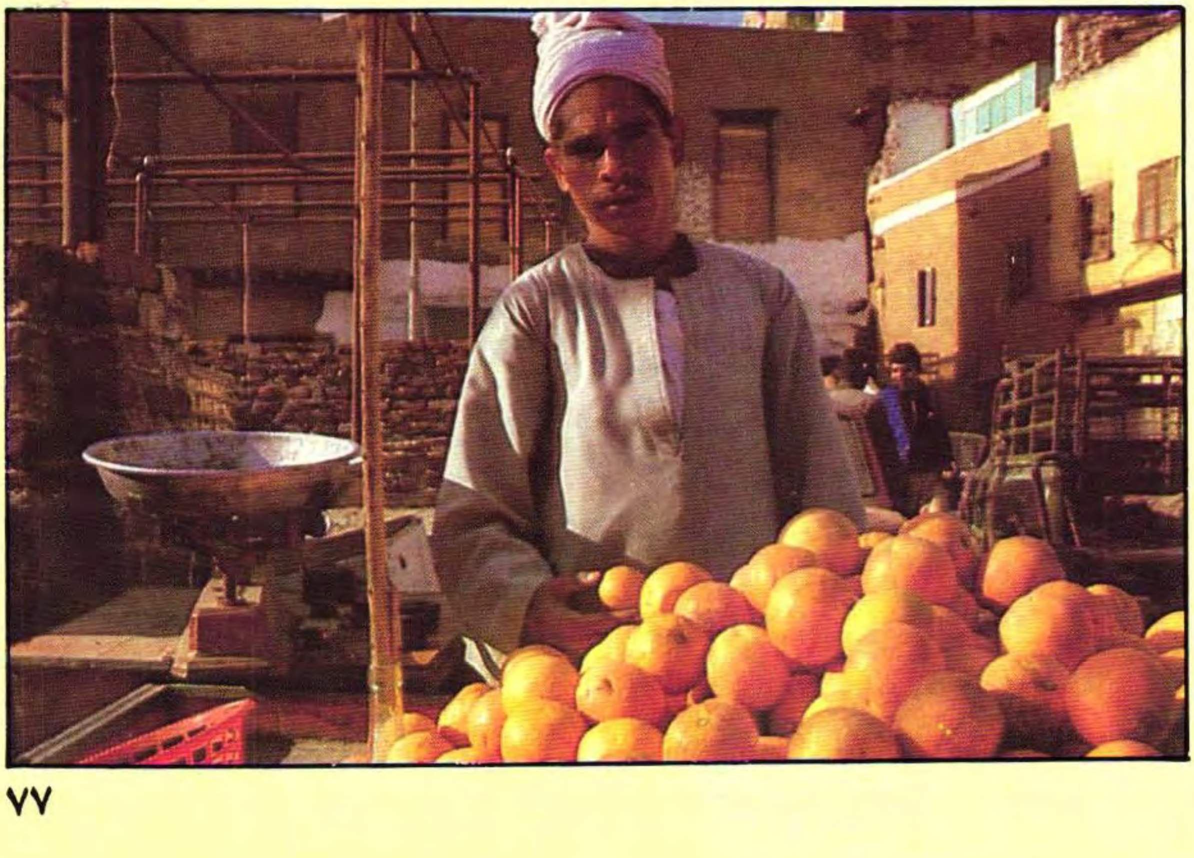
وقد بدت علامات الغزو « التايواني » الجديد باصابة (٤٤) من رجال السلاخ البحرى الأميركي بقاعدة (كي وست) بفلوريدا .. حيث بدأت هذه الأعراض لهذا المرض بعطس شديد ومستمر ، ثم ارتفاع في درجة الحرارة ، واحتقان في الزور وقشعريرة شديدة .. وكان أبرز علامات بداية الاصابة العطاس الشديد المستمر .

لكن ما هو العطاس ؟

لا شك أن كل انسان قد تنتابه بعض فترات يعطس فيها بشدة مرة أو أكثر سواء كان صغيرا أم كبيرا رجلا كان أم امرأة في أي مكان من العالم .

والعطس حركة وقائية طبيعية خلقها الله سبحانه وتعالى في الانسان والحيوان لحماية الأنف والجهاز التنفسي من دخول الأجسام الغريبة والأتربة والأشياء الضارة الى أنفه أو جهازه التنفسي .

فالأنف من الداخل حساس جدا ويشعر بكل حركة غير طبيعية تحدث به ، فلو دخله جسم غريب أو بعض الميكروبات ، أو الأتربة الدقيقة ، تهيج الأنف ويشعر الانسان بحرقان داخل انفه مما ينبه أعصاب الأنف فترسل إشارات الى المخ الذي يبعث بسرعة أوامره لجميع عضلات الجهاز التنفسي لتعمل في وقت واحد على طرد



هذا الدخيل الى أنف الانسان أو الحيوان ، فيكون العطس مرة أو مرات حتى يطرد ما بداخل الأنف . واحيانا لا يكون هناك دخيل منظور يتسرب الى داخل الأنف ، لكن وجود التهابات في الأنف من عدوى بميكروبات أو فيروسات او حتى زيادة حساسية الأنف من الرطوبة او الغازات أو الأبخرة كل ذلك لا يستريح له الأنف .. وفي بعض الحالات النادرة من الحساسية الشديدة في الأنف تجعل العطاس يستمر عدة ساعات أو بعض أيام حتى يتم علاج الأنف .

أما كيف يحدث العطاس ؟ فإنه يبدأ بعد أن يشعر الانسان بحرقان أو « لسعة خفيفة » داخل الأنف تتزايد باستمرار ثم يأخذ « نفسا »عميقا ثم يتوقف التنفس ثم يطفو اللون الأحمر على الوجه والعينين اللتين أحيانا تدمعان ، ثم يخرج الهواء دفعة واحدة بقوة من الأنف والفم ، طاردا معه كل ما بداخل الحنجرة والرئة والأنف حاملا معه بعض المخاط واللعاب ، ولذلك يجب ان يضع الانسان ـ عند عطاسه ـ منديلا أمام فمه وانفه فإذا لم يجد فليضع يده ، ويدر وجهه حتى لا ينتشر لعابه ومخاطه في وجه الآخرين . وليحتاط كذلك من نشر الميكروبات الخارجة من أنفه الى غيره من الناس .

والعطاس يحتاج لمجهود عضلي كبير واذا تكرر عدة مرات يشعر الانسان بإجهاد عضلي في كل أعضاء الجسم ولكنه بعد انتهاء العطاس يشعر بالاسترخاء والراحة ،

● أسباب العطاس ●

وأهم مرض يتسبب في حدوث العطاس بكثرة هو التهاب الأنف أو ما نسميه الزكام أو نوبات البرد أو النزلة الوافدة التي تسبب التهابا حادا في الأنف مع انسداد ورشح وصداع وعطاس متكرر ، وحدوث العطاس مع هذا المرض هو ايضا عمل وقائي علاجي ، لأنه يساعد على طرد المخاط والافرازات من الأنف وكذلك ننصح كل من يعطس ألا يغلق أنفه أو فمه بل يترك « العطسة »تخرج بطبيعتها دون أن يكتمها أو يمنعها حتى يندفع ضغط الهواء القوي الى الخارج ، ولا يحبس داخل الزور فيندفع خلال قناة استاكيوس الى الأذن الوسطى ويسبب التهابات شديدة في الأذن او الجيوب الأنفية .

وثاني الأسباب التي يكثر منها العطاس هو حساسية الأنف ،خصوصا في فترة الصباح فبمجرد أن يستيقظ الانسان من النوم ويفتح عينيه وينهض ليذهب الى الحمام وتحدث له نوبات من العطاس ، ويتكرر ذلك أثناء النهار ويعتقد المريض أن ذلك ناتج عن نوبة برد أو زكام أو نزلة وافدة ، ولكنه في حقيقة الأمر زيادة حساسية في الأنف ، ولقد رأينا بعض المرضى ينتابهم العطاس طوال اليوم مما يجهد الجسم ، وينتج عن ذلك آلام في كل العضلات وذلك نتيجة للحساسية المفرطة لشيء غريب تعرض له الانسان مثل حدوث زوبعة ترابية ، او رائحة



دهان-ما-أثناء تجديد المنزل ، أو أثناء رش المبيدات ، أو الأبخرة وما الى ذلك ، وطبعا بمجرد تغيير المكان تزول هذه الأعراض .

وعلى هذا يتضح أن العطاس ما هو إلا علامة لبعض الأمراض وحدوثه أو تكراره يدل على وجودها ، لهذا كان العطاس الذي يحدث من نوبات البرد أو النزلة الوافدة هو ظاهرة ترشد الطبيب الى حدوث الاصابة فعلا بالمرض ، ولذلك عندما انتاب رجال السلاح البحرى الاميركي العطس الشديد ، سارع الأطباء الى أخذ عينات من حلوق المرضى لتحليلها ، وبعد ذلك أعلنوا أن طلائع جيوش العدو الجديد قد وصلت فعلا الى البلاد وبدأت تنغص حياة ضحاياها دون شفقة أو رحمة وبدأت على الفور عمليات التطعيم ضد المرض بالنزلة الوافدة التايوانية في جميع أنحاء الولايات المتحدة .

ولا يدرى الخبراء حتى الآن الخسائر في الأرواح التي ستسببها نزلة تايوان ، وبوجه عام فإن النزلة الوافدة تقتل سنويا في أميركا وحدها ما بين (٢٠ ـ ٤٠) الفا من الأمريكيين . وهو رقم يزيد في الوقت الحاضر بنسبة كبيرة عن ضحايا مرض الأيدز او السيدا ، الذي أثار موجة حادة من الفزع والرعب في جميع انحاء العالم .

والاصابة تنتج بسبب هجمات (٢٠٠) نوع تقريبا من الفيروسات المختلفة وأيضا فإن ما يقرب من نصف حالات الاصابة تسببها مئات الفصائل المختلفة من الفيروسات

الافقية . فالفيروسات تغزو الخلايا التي تبطن جوانب فتحتي الأنف فتحدث الأعراض المعروفة .. . حيث يبدأ العطس الشديد ، ويسيل الأنف وترتفع درجة حرارة الجسم ، وتحتقن العينان وتدمعان ، ويكثر السعال ، ويخاف الناس الاختلاط ويؤثرون البقاء في بيوتهم .

وحتى الآن لايزال التطعيم هو السلاح الوحيد لمقاومة الفيروسات ، لكن التنوع الواسع لفيروسات النزلة الوافدة ونوبات البرد عموما يحد كثيرا من قدرة سلاح التطعيم ، وفي العام الماضي تمت دراسة التركيب الجزيئي للفيروس ، وكانت النتيجة مزعجة للغاية ، فقد ظهر ان الفيروس مجهز طبيعيا لمقاومة الأمصال ، ولذلك فإن العلماء يركزون جهودهم الآن للتوصل الى عقار قاتل للفيروسات .

ومن أهم المواقع الطبيعية التي تدور فيها رحى المعارك الضارية بين الفيروسات الغازية وجهاز المناعة في الجسم البشري هو الممر التنفسي العلوي ، لأن الأنف هو الممر الطبيعي الأول ، فكل يوم ينساب أكثر من (٢٥٠٠) جالون من الهواء خلال انف الشخص البالغ ، وتزيد هذه الكمية كثيرا لدى الذين يمارسون الألعاب الرياضية وبالطبع تندفع مع ذلك الهواء المار من الأنف جميع الفيروسات والبكتريا والجزيئات الأخرى الموجودة في جو المنطقة .

واقتضت ضرورات التطور تجهيز الممرات الهوائية بمجموعة من الوسائل الدفاعية القوية ، ففي البداية يصطاد المخاط جزيئات كثيرة وعلى بعد قليل في الداخل توجد أهداب خيطية تغطى أسطح الأنسجة اللحمية وتتماوج مثل الحشائش وتقوم بالتقاط الجزيئات التي تمر فوقها ، وكذلك فإن الأعضاء المخاطية الوردية المخملية التي تبطن الممرات الهوائية لها ، هي ايضا وسائلها الدفاعية ، فإن الأجسام المضادة المقاتلة تتربص على أسطحها الخارجية ، بينما الخلايا المفترسة تفتش المنطقة لتحاصر الغزاة وتقضى عليهم بأسلحتها الكيميائية .

لكن مع وجود جميع هذه الوسائل الدفاعية القوية ، فقد تتمكن



الفيروسات الغازية من اقتحامها ، كما يحدث في المعارك التي تدور بين الجيوش المتحاربة فتحدث الاصابات بالبرد أو النزلة الوافدة .

● مراوغات الفيروس ●

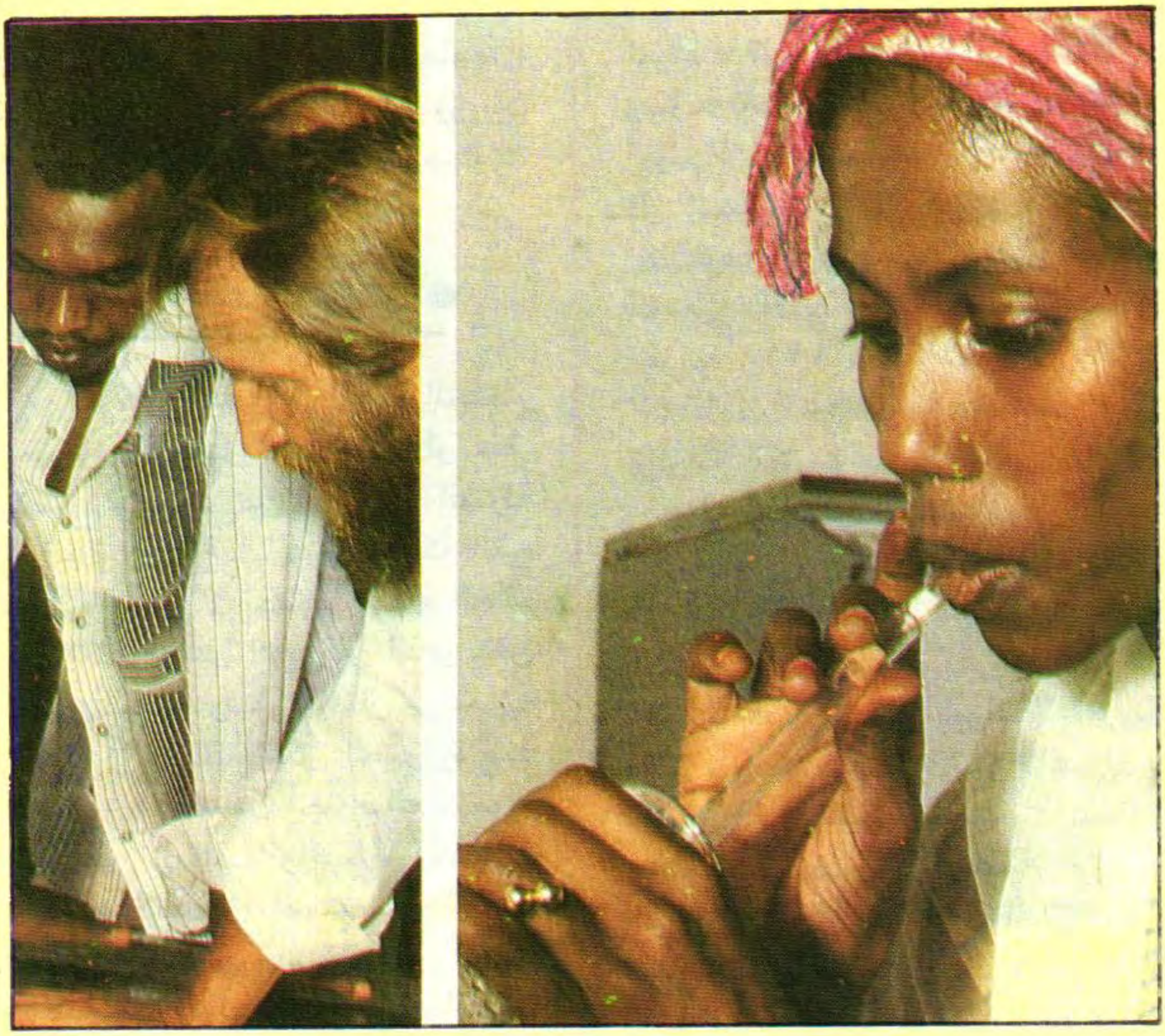
واذا كان العلماء في الوقت الحاضر يحاولون التوصل الى مصل أو عقار يقضي أو يحد من فيروس النزلة الوافدة المراوغ .. فإن المعركة التي تجري رحاها في جميع أنحاء العالم بين العلماء وهذا الفيروس الذي يتقن جميع اساليب وفنون القتال من تمويه وخداع ، أخذت شكل الضراوة منذ عام (١٩٥٧م) حين اجتاح العالم نوع أليم من النزلة الوافدة ، اشتهرت باسم « الانفلونزا الاسيوية » اطلقها فيروس شرس استخدم السفن والطائرات والبشر ، بل والطيور المهاجرة ليصل الى جميع سكان العالم تقريبا .

وبعد ما يقرب من ثلاثين عاما ، عاد الفيروس من جديد .. بعد أن أجرى تغييرا طفيفا في تكوينه الأنتيجينى ، ليخلق مشكلة صعبة في عدد من مراكز الأبحاث الطبية في العالم ، وخصوصا في الولايات المتحدة التي اعلن فريق من اطبائها عن وصول الفيروس اليها قادما من تايوان .

والفيروس القديم « المتجدد » ينتمى الى سلالة تحمل حرف « أ » .. وهي تختلف عن السلالة « ب » ، و« جـ » ، و« د » .. وجميعها تشترك في إطلاق أحد أنواع الأنفلونزا وإن اختلفت كل سلالة في مدى نشاطها ، وسرعة انتشارها وحدة اعراضها . المؤلم أن فيروس هذا العام ، ينتمي الى السلالة « أ » المشهورة بسرعة انتشارها .. والمسؤولة عن الطابع الوبائي الذي اجتاح العالم خلال اعوام ١٩١٨ ، ١٩٣٧ ، ١٩٤٣ ، ١٩٤٧ ، ١٩٥٧م .. فضلا عن زياراته الكثيرة بعد ذلك ,

وفي يونيو الماضي ، اكتشف الفيروس « أ » في تايوان .. ثم وصل الى الولايات المتحدة ، وعدد آخر من الدول بعد ذلك،وقد يكون هو الزائر المزعج الذي يطرق أبوابنا العربية الآن .. بما يحمله من أعراض مشهورة .. تشمل العطش المستمر والتهاب الحلق ، وارتفاع درجة الحرارة « والرعشة » الحادة . ومن الظواهر المثيرة للعجب ، أن هذه السلالة من الفيروسات ، تبدو وكأن لها مزاجا غير عادي .. فهي في وباء ١٩١٨ ـ ١٩١٩م تفضل الشباب اساسا ولا تهتم كثيرا بالعجائز والأطفال ، في حين أنها في أحيان أخرى قد تركز نشاطها على كبار السن والأطفال ,

فماذا يختفي وراء هذا الاختيار الذي أثار في الماضي الكثير من الحيرة والجدل ؟
يقول فريق من الخبراء إن فيروس هذا العام شديد التشابه والقرابة بفيروس الخمسينات ، لذلك فإنه سيركز نشاطه على الشباب أي من هم دون الخامسة والثلاثين من العمر .. لذا فمعظم الضحايا سيكونون من هذه



الشريحة من العمر ممن لم تتعرض أجهزة مناعتهم لغزو هذا الفيروس في الخمسينات ، وهنا يبرز سؤال يطرح نفسه :

إذا كان الفيروس يحدث بعض التغيرات في تكوينه ، فكيف يستطيع جهاز المناعة مواجهة هذا التغير ؟ يقول العلماء إن مواجهة جهاز المناعة لاحدى السلالات الرئيسية لفيروسات النزلة الوافدة وهي (أ ، ب ، جـ ، د) تكسبه قدرا من المناعة الجزئية ضد هذه السلالة ، بينما يعجز جهاز المناعة عند من لم يتعرض من قبل لهذه المشكلة عن مواجهة الغزو ، فيقع فريسة له ، وتبدو الأمور محاطة بقدر من الغموض ، عندما يصاب الشباب بالفيروس ولا يتأثر في معظم الأحيان المتقدمون في السن ، من آباء وأمهات هؤلاء الشباب .

ومن الطبيعي ان تنشط مراكز تحضير الأمصال الواقية من هذه السلالة للفيروس وان تكون الأسبقية لهذه الشريحة من العمر ، وخصوصا ممن يعانون من مشاكل صحية معقدة .. كما تقول مجلة « تايم » الاميركية .

ومرة ثانية يبرز سؤال هام : لماذا يعجز الخبراء أو العلماء عن تحضير مصل او لقاح ضد جميع أنواع النزلة

الوافدة ؟

والاجابة تنحصر في أن : هذه الامراض تسببها فيروسات شديدة الخطورة لكنها تتصف بالثبات في تكوينها .. إذ إنها لا تحدث تغييرا كبيرا في تكوينها لذلك يسهل إعداد لقاحات فعالة ضدها .. وعند وصولها الى الجسم يتحرك جهاز المناعة الذي يستعين بأسلحة مضادة لها تكون على أهبة الاستعداد مدى الحياة لمواجهة فيروسات هذه الامراض .

لكن فيروسات النزلة الوافدة ليست نوعا واحدا .. ولا هي ثابتة في تكوينها .. بل هي عشرات الأنواع وكثيرة التغيير مما يجعل من الصعب السيطرة عليها .

وكما يقول العالم الاميركي « فردريك ذوين » فإن هناك صعوبة في التنبؤ بنوع فيروس النزلة الوافدة .. والشيء الوحيد الذي نتوقعه عن ثقة ويقين ، ان النزلة الوافدة لا يمكن التنبؤ بها اي بما ستكون عليه صورتها في الأعوام القادمة ..

● العلاج المتين في اركان الدين ●

فإذا كان هذا هو آخر ما توصل إليه العلماء .. وهو أيضا طريق مسدود ، فإننا نهديهم العلاج الناجح الذي شملته أركان ديننا الأسلامي الحنيف ، فلقد اودع الله في أنف الانسان خطوطا دفاعية قوية وتحصينات ثمينة تقاوم الميكروب الغازي وتدفع أضراره .. فنجد عند مدخل الأنف شعرا كثيفا يعزل هذه الميكروبات من الهواء الداخل للتنفس ومادة دهنية يفرزها الجلد تقاوم تجمع هذه الميكروبات ومادة مخاطية لزجة تقتل العديد من الجراثيم ؛ ولكن كل هذه العوامل والدفاعات لا تستطيع ان تتعامل مع الملايين من البكتريا الضارة التي تظهر في الأنف يوميا ، وتتجدد وتتكاثر طول النهار ، ولذلك يكون الأنف في حاجة الى وسيلة صحية مناسبة لتنظيفه ، وتطهيره ودفع أضرار الجراثيم عنه

ويعرف الأطباء كثيرا من الوسائل الصحية والوقائية لتجنب تلوث الأنف بالميكروبات ، بعض هذه الوسائل ايجابية وتشمل الغسل المتكرر لها او تنظيفها بالمواد الطبية المطهرة ، أو بتناول المضادات الحيوية ، مع خطورتها على المدى البعيد وهناك وسائل اخرى سلبية المفعول مثل وضع قناع من القماش على الأنف لمنع خروج الميكروبات منه حتى لا تتلوث الجروح والعمليات او تنتقل العدوى الى الآخرين .

وباستعراض هذه الوسائل جميعها نجد ان غسيل الأنف المتكرر هو أبسطها وأسهلها ولا ضرر منه حتى لو استعمل طوال حياة الانسان ، ومن هذه الوسيلة خطر على بال مجموعة من أطباء كلية الأسكندرية استعراض فكرة الوضوء التي يقوم بها المسلمون قبل كل صلاة ، والتي تبدأ بغسل الأيدي ثم المضمضة ثم استنشاق الماء في الأنف واستنثاره ثلاث مرات والبحث عما وراءها من قيم علمية او فوائد صحية ، فكان أن بدؤوا دراسة بحثية عميقة استغرقت حوالى السنتين على



عدد كبير من المسلمين المنتظمين في الصلاة والذين يتوضئون خمس مرات يـوميا ، للكشف عن أهميـة هذه الفريضة الدينية .

بدأ البحث بالكشف الطبي الدقيق على الأنف عند مئات من المواطنين الأصحاء الذين لا يصلون ، وبالتالي لا يتوضؤون ، ثم أخذت منهم مسحة طبية من داخل الأنف لعمل مزرعة ميكروبية ، لفحص ما يظهر داخل الأنف من ميكروبات .

ثم أخذ عدد آخر مساو لهم من المنتظمـين في الـوضـوء والصـلاة وفحصت أنوفهم واخذ منها عينات طبيـة لعمـل المـزرعـة والفحص والتحليل ,

وتكرر هذا العمل يوميا ولشهور طويلة وعلى أعداد كبيرة من المواطنين من كلا الجنسين ومن جميع الأعمار ، وقاموا بتحليلها ودراستها فظهرت أمامهم حقائق غريبة مدهشة قاموا بتسجيلهـا بـالأرقـام والصـور والمستنـدات ونشرت في الاوسـاط العلمية داخل وخارج مصر وكان لها رد فعل علمي كبير .

لقد ظهر الأنف عند غالبية من لا يتوضؤون باهت اللـون ، دهني الملمس ، يعلو مدخله بعض الأتربة والقشور ، كما وجدت فتحتا الانف لزجتي السطح لونهما غامق يتساقط منهما الشعر وهذا الشعر السميك الذي يحمى تجويف الانف ظهـر متلاصقا متربا ، تعلوه بعض القشور الخفيفة أما عند المنتظمين في الوضوء فقد كانت هذه الصورة مختلفة تماما حيث ظهر سطح الأنف لامعا نظيف الملمس خاليا من القشور والأتربة وظهر شعره بارزا نظيفا أملس خاليا

من المتعلقات والافرازات .

أما الفحص الميكرسكوبي للمزرعة الميكروبية التي عملت لكل فرد ممن تم فحصهم فقد اظهرت نتائج غاية في الأهمية والغرابة ، إذ أعطت أنوف من لا يصلون مزارع ميكروبية ذات أنواع متعددة وبكميات كبيرة من الميكروبات الكروية العنقودية الشديدة العدوى ، والكروية السبحية السريعة الانتشار ، وعصيات الكلبسيلا والبروتياسي والدفترويد ، والاتشيريشيا ، والرئوية والنيسيريا من التي تسبب العديد من الأمراض ، وفيروسات النزلة الوافدة .

أما الذين يتوضؤون باستمرار ، فلقد ظهر أنف غالبيتهم نظيفا خاليا من الميكروبات ولذلك جاءت المزارع الميكروبية التي أجريت لهم خالية تماما من أي نوع من الميكروبات أما البعض الآخر فقد ظهر في مزارعه بعض الميكروبات البسيطة باعداد قليلة لكن عند تصحيح « طريقة الوضوء » لدى هؤلاء والتأكيد على دقة غسل الأنف واستنشاق الماء اختفت هذه الميكروبات من داخل أنوفهم وجاءت المزارع الميكروبية التي أجريت لهم بعد ذلك خالية من الميكروبات .

ومع موالاة الفحوص والدراسات أعطت التجارب حقائق علمية أخرى ، فلقد ثبت بالبحث أن جلد اليدين يحمل العديد من الميكروبات التي قد تنتقل الى الفم او الأنف عند غسلها ، ولذلك يجب غسل اليدين جيدا عند البدء في الوضوء ، وهذا يفسر لنا قول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الاناء حتى يغسلها ثلاثا » كما ظهر جليا من الفحوص ان غسل الانف بالاستنشاق عند الوضوء مرة واحدة ينظفها من أكثر من نصف ميكروباتها وبعد المرة الثانية تزداد نظافتها، أما بعد الثالثة فيصبح الأنف خاليا من الميكروبات ، ويأتي ذلك مؤكدا للحديث النبوى الشريف « استنثروا مرتين بالغتين او ثلاثا » رواه أبو داود وابن ماجة واحمد .

كما تبينت حقيقة جديدة عند تكرار فحص الأنف بعد الوضوء بساعة وساعتين وثلاث وأربع ، فلقد ظهر الأنف نظيفا طاهرا بعد الوضوء مباشرة ولكنه يأخذ في التلوث تدريجيا بسبب دخول هواء التنفس الحامل للميكروبات التي تترسب في الأنف ، فيتجمع شيئا فشيئا ، ويظهر ذلك في الفحوص التي تجرى كل ساعة وما ان تمر أربع أو خمس ساعات حتى يعود الأنف الى سابق حالته من التلوث ويستدعى ذلك إعادة غسله وتنظيفه ، وهذا يتفق مع مواعيد الوضوء الخمسة طوال ساعات النهار .

وبهذا البحث العلمي الدقيق ، أمكن تأكيد دور الأنف في ترشيح هواء التنفس وإثبات فائدة الوضوء في تنظيف الأنف وبالتالي حماية جسم الانسان من العديد من الميكروبات الضارة خاصة فيروسات النزلة الوافدة التي حار في مكافحتها العلماء ثم التأكيد على دور العلم في إثبات الحقائق الدينية التي شرعت من قبل الخالق جلا وعلا لما فيها من مصلحة الانسان وسلامته .

الفدائي العربي

للأستاذ / **يوسف زاهر**

حشد المـوت جُنْده في ركـابـه　　وبنى المـوت قبره في ثيـابـه
مستهاج الشعور يهفو الى المو　　ت كـأن المنون كـأس شـرابـه
وحـديـد الفـؤاد ينساق للهـو　　ل ، ويسعى إلى الردى غير آبـه
يستقل الحراب يردي بها الخصـ　　ـم ، ويـارُبّ حتفه في حـرابـه
وهو لا يرهب الهجـوم على الليـ　　ـث ، وإن كان رابضا وسط غابه
وسـواء لديـه إن جـادت الـدنـ　　ـيا بنعمى أم أسرفت في عقابه

***

أصبـح الكون عنـده يتسـاوى　　شهـد لـذاتـه وصـاب عـذابـه
أينمـا جـال طرفـه ينظـر الميـ　　ـدان غـولا مكشـرا عن نـابـه
يمطـر النـار جـوه وثـراه　　ينبت الـورس من دمـاء شبـابـه
مـا هزيم الـرعود أنكـر صـوتـا　　من أزيـز المنطاد فـوق سحـابـه
أو زئـير الأسـود أفـزع روعـا　　من دوي « الطوربيد » عند انصبابه
أو زفير البركان يحكي صدى النـ　　ـيران في سهله وشُمّ هضـابـه !!

***

فبـأي القـوى تمـاسـك حتـى　　غـالب الدهـر هازئـا بصعابـه ؟!
إنــه المـوطن الـذي ضمـه طفـ　　ـلا وغـذّاه من رحيق رضـابـه



انه الملعب الذي أطلق الآ ... مال نشوى تهيم بين رحابه
إنه المعهد الذي امتع العقـ ... ـل وصلى الذكاء في محرابه ..
إنه المنزل الذي أسكر الرو ... ح بخمر الهوى وبرد شرابه ..
إنه الأهل والمحارم والعر ... ض وصون المصون من أحسابه
كل هذا أو بعض هذا كفيل ... أن يثير الحماس في أعصابه !!

***

إنما الحرب جمرة في يد الجند ... ي ، يا للشجاع من فرط مابه ..
غير أن الذي يحارب للحق ... يطيق الكثير من أوصابه ..
كلما داعب السلام مناه ... جدد العزم في سبيل طلابه
وغريب ان يطلب السلم بالحرب ... وينسى الكثير من اسبابه ..
حكمة الله حيرت كل عقل ... واستوى الغرُّ عندها والنابه
يدفع الله خلقه بعضهم بعضا ... كما جاء في صريح كتابه ..
لا يغرنّك الذي جيش الجيـ ... ـش وجر الذيول من إعجابه ..
إن جيش النمرود وهو لهام ... بدد الله شمله بذبابه !!
فعليك السلام ما عشت كالتبر ... تصفيّ النيران ذوب لبابه
ولك الخلد إن قضيت شهيدا ... فخلود الشهيد خير ثوابه !!

المجمع الفقهي الاسلامي في دورته الرابعة

اعــداد : ف ٠ ع ٠ م

عقدت في جدة بالمملكة العربية السعودية مؤخرا الدورة الرابعة لمجلس مجمع الفقه الاسلامي ونيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز افتتح صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبدالمحسن نائب أمير منطقة مكة المكرمة دورة المجلس الرابعة .. ومما تجدر الاشارة اليه أن مجلس مجمع الفقه الاسلامي منبثق عن منظمة المؤتمر الاسلامي ، ومقر المجمع الفقهي في مدينة جدة .

وشهد الدورة كافة اعضاء مجمع الفقه الاسلامي من ممثلي الدول الاسلامية المنضوية تحت لواء منظمة المؤتمر الاسلامي ومن ممثلي الهيئات الشرعية العلمية الاسلامية ، بالاضافة الى ما يقارب الأربعين عالما من علماء الأمة الاسلامية ، وعدد من الشخصيات العلمية المرموقة .. منهم وزير الدولة وعضو مجلس الوزراء ورئيس ديوان المظالم الشيخ محمد بن جبير ، ومعالي وزير الأوقاف الكويتي الأستاذ / خالد احمد الجسار ،



ووزير الأوقاف والشؤون الاسلامية المصري الدكتور/ محمد علي محجوب ، ووزير الثقافة والشؤون الاسلامية الموريتاني الأستاذ/ محمد سالم بن عبدالودود ومفتي جمهورية مصر العربية/ محمد سيد طنطاوي ، ومفتي الجمهورية التونسية/ محمد مختار السلامي ؛ ، ورئيس البنك الاسلامي للتنمية الدكتور/ حمد محمد علي - والأمين العام لرابطة العالم الاسلامي الدكتور/ عبدالله نصيف ، ومستشار العاهل المغربي ومدير عام المنظمة الاسلامية للعلوم والتربية والثقافة الدكتور/ عبدالهادي بوطالب .

جدول الأعمال

وتوزعت اعمال مجلس المجمع الفقهي في دورته الرابعة كالآتي :
أولا : الجلسة الأولى . يوم السبت ١٨ من جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ - ٦ فبراير ١٩٨٨م .
وتضمنت تلاوة مباركة من القرآن الكريم .
وكلمة خادم الحرمين الشريفين .. والتي ألقاها صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبدالمحسن .. حيث نوه في كلمته بجهود مجمع الفقه الاسلامي في ابراز معالم الدين الاسلامي الحنيف ، والقاء الضوء على ما استجد في عالمنا المعاصر من قضايا ومشكلات .

ومع نص كلمته :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة

والسلام على أشرف المرسلين القائل : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .
أيها الاخوة الحضور السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
نيابة عن خادم الحرمين الشريفين يسرني أن ألتقي بكم في هذا الاجتماع المبارك للدورة الرابعة للمجمع الفقهي الاسلامي وهو الصرح الاسلامي الكبير الذي آلى على نفسه وبجهود اعضائه الكرام الأخذ في ابراز معالم الدين الاسلامي الحنيف . والقاء الضوء والنور على ما استجد في عالمنا المعاصر من قضايا ومشكلات .

ان عالم اليوم يواجه التقدم التكنولوجي الهائل .. والاختراعات العلمية المعقدة في شتى ألوان الحياة .. مما يتمخض عنه بعض القضايا التي لم تواجه أسلافنا .. اعلام الفقه الاسلامي مما يجعل حتما علينا فتح باب الاجتهاد الاسلامي .. والذي لم يقفل قط في تاريخنا المضيء وقد من الله علينا بعدد وفير من أولى الأحلام والنهي ومن هم في محل التقدير والاكبار في مجال الفتوى .. مما يسهل على أبناء المسلمين الاسترشاد بآرائهم في حل قضاياهم ومشكلاتهم التي يعاصرونها في حياتهم اليوميه .
أيها الاخوة ...
ان عالمنا الاسلامي يواجه كل يوم عددا ونوعا جديدا من التحديات الصليبية الحاقدة .. والشيوعية الملحدة .. والتي لا تألو جهدا « متحدة أو منفصلة » في المساس من كرامة الاسلام وسماحته .. وغزو أبنائه في عقيدتهم واخلاقهم .. وسلوكياتهم ... وتتحداهم في عقر دارهم .. مما يجعلهم ينطبق عليهم ما جاء في الاثر سيأتي زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر» .
وانني أهيب بأعضاء المجمع الموقرين وبكافة علماء العالم الاسلامي ألا يدخروا وسعا في سبيل تحقيق الأهداف الاسلامية والانسانية العامة للمجمع .. كما يسرني أن أؤكد ان حكومة خادم الحرمين الشريفين .. وكما هو معروف لدى الجميع .. تؤيد وتناصر دوما وتعمل على كل ما فيه رفعة الاسلام وعزة المسلمين .
كما أنني أشكر فضيلة الأمين العام للمجمع الدكتور الحبيب بلخوجة على حسن ادارته وكل من يوازره في ذلك .
وختاما أسأل الله الكريم للجميع دوام التوفيق والسداد .

كلمة ولي عهد الأردن

بعد ذلك تليت كلمة صاحب السمو الملكي الأمير الحسن بن طلال ولي العهد الأردني والتي حملها وكيل وزارة الأوقاف الدكتور/ عبدالسلام العبادي لأمين عام المجمع الدكتور محمد الحبيب بلخوجة .
وقد أعرب سموه عن سروره لمواصلة المجمع لمسيرته الخيرة بغية تحقيق الأهداف والغايات النبيلة التي أنشيء من أجلها .
وقال ان رسالة هذا المجمع هي موضع اهتمام ومحط أنظار أمتنا الاسلامية التي ترجو من علمائها وفقهائها

الأجلاء مساعدتها على جمع كلمتها في الرأي والفكر والصف .. خاصة في هذا الوقت الذي نجد أمتنا مستهدفة من الطامعين في خيراتها وموقعها ، والذين يخططون لبقائها في فرقة وعزلة . ويعملون ما أمكن لاضعاف ايمانها وتمسكها في عقيدتها . مستغلين نفوس الحاقدين والضعفاء والمندسين بين صفوفها .

وفي ختام كلمته قال سموه : نسأل العلي القدير وندعوه أن يسدد خطانا ويؤيد مسعانا جميعا لكل ما فيه خير الاسلام والمسلمين ، آملين أن يوافينا الأخ الدكتور العبادي بعد عودته ان شاء الله بكل ما توصلتم اليه من قرارات وتوصيات ، ونحن دائما على العهد لتسخير ما نملك من أجل خدمة أمتنا الاسلامية وقضاياها .

كلمة بير زادة

بعد ذلك ألقى مستشار الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي احمد صالح الطيب كلمة الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي السيد شريف الدين بيرزادة اعرب فيها عن ترحيبه بوفود الدول الاسلامية المشاركة في هذه الدورة .

وقال ان هذه المؤسسة الاسلامية المهمة التي انعقد مؤتمرها التأسيسي بمكة المكرمة في شهر شعبان من عام ١٤٠٣هـ برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية الذي تفضل يومذاك فألقى خطابا ضافيا ضمنه توجيهاته السديدة حول مهمة المجمع واعرب فيه عن الآمال الكبيرة التي تعقدها الأمة الاسلامية على المجمع أصبح اليوم ملتقى صفوة فقهاء هذه الأمة ومثابة لعلمائها ومفكريها وحكمائها .

ودعا المسلمين لتوحيد الصف وجمع الطاقات للثبات أمام كل خطر يهدد القيم الروحية وأمام كل من يحاول أن يطمس معالم الهوية والشخصية الاسلامية وأشار الى ان الميادين التي يعمل فيها المجمع ميادين رحبة واسعة رحابة هذه الشريعة السماوية الخالدة ، ذلك أن أهمية الفقه الاسلامي تتجسد في كونه يتناول بصورة مباشرة أو غير مباشرة حياة الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم . كما يتناول العلاقات بين المجتمعات المسلمة والمجتمعات الواقعة خارج دار الاسلام .

وأوضح ان الدورة العلمية الفقهية الرابعة للمجمع ستناقش طائفة من الموضوعات العامة ذات الصلة المباشرة بحياة المسلمين فى كل مكان ومنها وحدة الأمة الاسلامية ومنها كذلك الحفاظ على الصحة العامة ووقاية مجتمعاتنا المسلمة من المخدرات وحرمة جسم الانسان وموضوعات أخرى تتناول شؤونا مالية واقتصادية مختلفة .

وناشد المسلمين أن يسهموا في اعانة المجمع بكل صورة ممكنة كي يتمكن من الاضطلاع على خير وجه بالمهمة النبيلة التي أنيط بها وهي خدمة

الشريعة الاسلامية موضحا ان من ضمن الأعمال التي ينهمك المجمع في اصدارها موسوعة القواعد الفقهية والموسوعة الفقهية .

واعرب في ختام كلمته عن امتنانه وتقديره لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز لما أسبغه على المجمع وعلى منظمة المؤتمر الاسلامي من ضروب الرعاية والعناية ولتفضله حفظه الله بإنابة صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبدالمحسن بن عبدالعزيز عنه في افتتاح أعمال هذه الدورة ودعا الله أن يمد في عمر خادم الحرمين الشريفين ويعينه على العمل لما فيه خير المملكة وخير بلاد المسلمين .

كلمة رئيس المجمع

كما ألقى معالي الدكتور بكر بن عبدالله أبوزيد رئيس مجلس المجمع الفقهي كلمة نوه فيها بدور خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حفظه الله وجهوده الملموسة ودعمه المتواصل للعلم والعلماء .. وشكر صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبدالمحسن على حضوره وتشرفه برعاية الدورة نيابة عن خادم الحرمين الشريفين كما شكر الحضور من العلماء والوزراء على مشاركتهم في المجمع الفقهي .

ودعا الرئيس العام للمجمع الفقهي الى ضرورة التصدي لوباء المخدرات ومنع انتشاره في بلاد المسلمين وخاصة بين الشباب ...

كلمة معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بدولة الكويت :

كما ألقى وزير الأوقاف الكويتي خالد الجسار كلمة قال فيها :
هذه ساعة من الساعات الطيبة التي يحبها الله لأنها تجتمع فيها وجوه خيرة وأدمغة اتجهت الى الخير ليس لعقيدتها ودينها فحسب وانما للدنيا بأسرها كما كان رسونها صلى الله عليه وسلم . واذا كنا نسعد بحضورنا هذا الاجتماع للمجمع الفقهي الاسلامي الرابع فاننا نحس ونشعر بأن هناك أمورا جدت في العالم الاسلامي من المعاملات لا يعرف الناس حكمها وما موقف الاسلام منها فهناك سندات المقارضة وسندات الاستثمار وبيع الاسم التجاري والخلو وما الى ذلك وسيجد في المستقبل معاملات أشد تعقيدا من التي ذكرت ما حكمها ما موقف الاسلام منها .
وأشار الى أن هذا المجمع ثمرة من ثمرات مؤتمر القمة الاسلامي الثالث الذي انعقد بمكة المكرمة .
وقال ان دولة الكويت بصفتها تحتضن مؤتمر القمة الاسلامي الخامس ويرأسه صاحب السمو جابر الأحمد الصباح أمير البلاد فانني أبلغكم كما حملني لكم تحياته الطيبة وتمنياته الخالصة لهذا المؤتمر وحملني دعوة للاجتماع القادم وهو الخامس لكي يكون في الكويت فأهلا وسهلا بكم في بلدكم الكويت ..
كما أعرب عن شكره للمسؤولين في المملكة العربية السعودية التي

تحتضن هذا المؤتمر (مؤتمر الفقه الاسلامي الرابع) كما احتضنت من قبله مؤتمرات كثيرة . ودافعت عن الاسلام وحمى العقيدة من أن تدخلها الشوائب ـ

وخص بالشكر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز .

كلمة د . احمد محمد علي

كما ألقى الدكتور احمد محمد علي رئيس البنك الاسلامي للتنمية كلمة رحب فيها بسمو الأمير سعود والحضور وأعرب عن سروره للدور العظيم الذي يقوم به المجمع لخدمة قضايا الأمة الاسلامية وبيان حكم الاسلام في كثير من المشكلات والأمور التي جرت في عصرنا الحاضر .

وقال ان قيام مجمع الفقه الاسلامي حقق أملا عظيما للأمة الاسلامية مشيرا الى ان الأمة تتطلع الى ما يصدر عن المجمع من آراء وقرارات وفتاوى خصوصا في القضايا التي تشغل بال المسلمين في هذا العصر .

كما عبر عن شكر البنك الاسلامي للتنمية على الاستجابة الكريمة لطلب البنك النظر في جميع عملياته التي يقوم بها لخدمة التنمية الاقتصادية للدول الأعضاء وبيان الحكم الشرعي في كل منها وذلك لحرص البنك على ان تكون مسيرته في نطاق مهمته التي حددتها له اتفاقية تأسيسه وهي ان تكون مسيرته في نطاق مهمته التي حددتها له اتفاقية تأسيسه وهي أن تكون جميع عملياته واعماله متفقة واحكام الشريعة الاسلامية السمحة .

وأضاف يقول وانني اذ أعبر مرة أخرى عن شكر البنك وتقديره لمجلسكم الموقر على هذا العمل الجليل والجهد العلمي الذي سيساعد البنك على الالتزام بوضوح تام بأحكام الشريعة الغراء ليسرني أن أؤكد رغبة البنك في التعاون دوما مع المجمع الموقر . ولذا سيحرص على تقديم كل ما يجد أو يطرأ بالنسبة لعملياته أو اجراءاته الى مجلس المجمع الموقر لتكون مسيرته على بصيرة وهدى من الشرع الحنيف .

وان البنك ليسره ـ ايضا ـ أن يضع امكانات المعهد الاسلامي للبحوث والتدريب في خدمة اهداف المجمع الموقر ورهن اشارته فيما يتعلق بالبحوث والدراسات ذات الصلة بالاقتصاد الاسلامي والأعمال المالية والمصرفية بما يتفق ومبادىء الشريعة الغراء .

ويسعدني أن أشيد بالتعاون الكريم بين أمانة المجمع والبنك الاسلامي للتنمية . ومن ذلك مشاركة أمانة المجمع الموقر في حلقة عمل بمقر البنك بجدة في شعبان ١٤٠٧هـ وربط الحقوق والالتزامات بتغيير الأسعار من وجهة النظر الاسلامية .

كما تم التعاون بين أمانة المجمع والبنك في تنظيم ندوة عن «سندات المقارضة وسندات الاستثمار» .. في مطلع هذا العام ، كما ستنظم المؤسستان خلال هذا العام باذن الله حلقة عن أسواق المال الاسلامية .

وفي ختام كلمته قال د . احمد محمد علي :

يسعدني في هذه المناسبة الكريمة أن أتقدم بخالص الشكر لحكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز أعزه الله . على مساندتها لجميع مؤسسات العمل الاسلامي التي تخدم قضايا التضامن الاسلامي والأهداف المشتركة لأمة الاسلام . وعلى استضافتها للدورة الرابعة لمجلس مجمع الفقه الاسلامي ورعايتها له وأرحب كل الترحيب بالدعوة الكريمة التي وجهتها دولة الكويت لاستضافة الدورة المقبلة للمجمع .

ويسرني أن أعبر عن أجزل الشكر لمعالي الدكتور محمد الحبيب بن بلخوجة الأمين العام لمجمع الفقه الاسلامي على جهوده الموفقة وعلى تعاونه المتصل .

كلمة أمين عام المجمع

بعد ذلك ألقى معالي الدكتور محمد الحبيب بن بلخوجة الأمين العام لمجمع الفقه الاسلامي كلمة رحب فيها بسمو الأمير سعود بن عبدالمحسن والحضور وقال ان الأمة الاسلامية تعيش بين الدورة الأخيرة والدورة الحالية احداثا جساما تتطلب توافر الجهود المخلصة للدعاة والساسة والعلماء على مواجهتها تصحيحا للمسار وجمعا لكلمة الأمة الاسلامية ومعالجة لقضاياها المتنوعة .

وتطرق في كلمته الى الحرب المشتعلة بين الشقيقتين العراق وايران وما يجري في أفغانستان وانتفاضة الشعب الفلسطيني مشيرا الى ان هذه القضايا وغيرها تشغل بال المسلمين عامة والمسؤولين منهم خاصة وتدعو الى التفكر والتدبر وبذل الجهد من أجل اقامة العدل ونشر الأمن ونصرة المجاهدين أينما كانوا تحقيقا لوحدة الأمة الاسلامية وبناء عزتها وصيانة حقوقها والذود عنها .

ونوه ابن الخوجة بالدعم الكبير الذي يجده المجمع من حكومة المملكة العربية السعودية وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين الذي واكب تأسيس هذا المجمع ودعم مسيرته خدمة لأبناء الأمة الاسلامية .

كما نوه بالتعاون بالقائم بين المجمع والجامعات السعودية واهل الخير في هذه الديار الطاهرة .

كلمة الوفود المشاركة

بعد ذلك ألقى سفير جامبيا عمر جاه كلمة الوفود المشاركة رحب فيها بسمو الأمير والحضور وقال :

بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن اعضاء مجمع الفقه الاسلامي في دورته الرابعة ، يشرفني أن أحييكم جميعا وأتقدم بالشكر والتقدير لخادم الحرمين الشريفين الملك فعد بن عبدالعزيز آل سعود ولحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة ولشعبها الكريم المضياف باسمنا جميعا نشكر هذه المملكة ومليكها وشعبها على تحمل مسؤولية الأراضي المقدسة ورعايتها بتوفير الأمن والاستقرار فيها ، كما نشكر هذه المملكة وعلى رأسها خادم الحرمين الشريفين على استضافة مجمع الفقه الاسلامي ورعايته بدعم

مادي ومعنوي سخي ندعو المولى جلت قدرته ان يجازيهم عنا خيرا وان يديم علينا جميعا نعمة الأمن والاستقرار كما نتضرع اليه سبحانه وتعالى أن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه انه سميع قريب مجيب الدعوات .

ها نحن اليوم نجتمع وللمرة الرابعة في هذه البقعة الطاهرة المباركة وفي هذه الظروف الدقيقة التي تواجه فيها أمتنا الاسلامية سلسلة من التحديات في كل ميدان من ميادين الحياة . ولقد أصبحت هذه التحديات تهدد وجودنا كخير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

نجتمع اليوم ونحن نمثل نخبة من علماء الأمة ومفكريها لنتدارس قضايا العصر ومشاكلات الحياة في محاولة لايجاد حلول عملية لهذه المشكلات في ضوء الشريعة الاسلامية الغراء .

فسلاحنا الوحيد في هذه المعركة المصيرية هو ايماننا بالله سبحانه وتعالى وتمسكنا بكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه واتباع سنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى . وبهذا السلاح نستطيع ان ندخل معركة الاستنباط والاجتهاد الجماعي مطمئنين لقوله تعالى : **لو ردوه الى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)** راجين من المولى جل وعلا ان يلهمنا من لطائف حكمته وفيوضات أنواره ما ينير لنا الطريق الى الحق ويهدينا الى سواء السبيل : « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » صدق الله العظيم .

وغني عن البيان ايها الاخوة الأفاضل ان أنظار الأمة موجهة الينا وان آمالها في ايجاد حلول عملية لمشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية معلقة علينا لأننا لا نستطيع ان نخيب آمالهم فينا .. ينبغي ان نتسلح بسلاح الايمان ونتحلى بالصبر وسعة الصدر ونبذل الغالي والرخيص في سبيل الوصول الى الحق الذي يكفل لنا حياة شريفة وعزيزة .

انتفاع الإنسان بأعضاء جسم إنسان آخر

ثانيا : الجلسة الثانية

كانت الجلسة مغلقة وتمت فيها المصادقة على جدول اعمال الدورة ، وتعيين المقرر العام للدورة ، ومقرري الموضوعات .

ثالثا : الجلسة الثالثة

وقد عرض في هذه الجلسة الدكتور محمد علي البار ، وفضيلة الشيخ خليل محيي الدين الميس موضوع «انتفاع الانسان بأعضاء جسم انسان آخر حيا كان او ميتا .

رابعا : الجلسة الرابعة

وتمت مناقشة الموضوع من قبل الاعضاء وبعد المناقشة اتخذ مجلس مجمع الفقه الاسلامي قراره فيها كما يلي :

من حيث التعريف والتقسيم :

اولا : يقصد هنا بالعضو اي جزء من الانسان من أنسجة وخلايا ودماء ونحوها كقرنية العين . سواء أكان متصلا به ، أم منفصلا عنه .

ثانيا : الانتفاع الذي هو محل البحث ، هو استفادة دعت اليها ضرورة المستفيد لاستبقاء أصل الحياة ، أو المحافظة على وظيفة اساسية من وظائف الجسم كالبصر ونحوه . على ان يكون المستفيد متمتعا بحياة محترمة شرعا .

ثالثا : تنقسم صور الانتفاع هذه الى الاقسام التالية :

١ ـ نقل العضو من حي

٢ ـ نقل العضو من ميت

٣ ـ النقل من الاجنة

الصورة الاولى : وهي نقل العضو من حي ، تشمل الحالات التالية :

ا ـ نقل العضو من مكان من الجسد الى مكان آخر من الجسد نفسه ، كنقل الجلد والغضاريف والعظام والاوردة والدم ونحوها .

ب ـ نقل العضو من جسم انسان حي الى جسم انسان اخر وينقسم العضو في هذه الحالة الى ما تتوقف عليه الحياة وما لا تتوقف عليه .

اما ما تتوقف عليه الحياة فقد يكون فرديا وقد يكون غير فردي ، فالاول كالقلب والكبد ، والثاني كالكلية والرئتين .

واماما لاتتوقف عليه الحيا فمنه ما يقوم بوظيفة أساسية في الجسم ومنه ما لايقوم بها . ومنه ما يتجدد تلقائيا كالدم ومنه ما لايتجدد ومنه ماله تأثير على الانساب والموروثات والشخصية العامة ، كالخصية والمبيض وخلايا الجهاز العصبي ، ومنه ما لا تأثير له على شيء من ذلك .

الصورة الثانية : وهي نقل العضو من ميت :

ويلاحظ ان الموت يشمل حالتين :

الحالة الاولى : موت الدماغ بتعطل جميع وظائفه تعطلا نهائيا لا رجعة فيه طبيا .

الحالة الثانية : توقف القلب والتنفس توقفا تاما لا رجعة فيه طبيا .

ويراعي في كلتا الحالتين قرار المجمع في دورته الثالثة .

الصورة الثالثة : وهي النقل من الاجنة ، وتتم الاستفادة منها في ثلاث حالات

حالة الاجنة التي تسقط تلقائيا .

حالة الاجنة التي تسقط لعامل طبي او جنائي .

حالة «اللقائح المستنبتة خارج الرحم»

من حيث الاحكام الشرعية :

اولا : يجوز نقل العضو من مكان من جسم الانسان الى مكان اخر منه ذاته مع مراعاة التأكد من ان النفع المتوقع من هذه العملية ارجح من الضرر المرتب عليها وبشرط ان يكون ذلك لايجاد عضو مفقود او لاعادة شكله او وظيفته المعهودة له او لاصلاح عيب او ازالة دمامة تسبب للشخص اذى نفسيا أو عضويا .

ثانيا : يجوز نقل العضو من جسم انسان الى جسم انسان آخر ان كان هذا العضو يتجدد تلقائيا كالدم والجلد ويراعى في ذلك اشتراط كون البدل كامل الاهلية وتحقق الشروط الشرعية المعتبرة .

ثالثا : تجوز الاستفادة من جزء من العضو الذي استؤصل من الجسم لعلة مرضية لشخص اخر كأخذ قرنية العين لانسان ما عند استئصال العين

لعلة مرضية .
رابعا : يحرم نقل عضو من حي تتوقف عليه الحياة الى انسان آخر كالقلب
خامسا : يحرم نقل عضو من حي يعطل زواله وظيفة اساسية في حياته كنقل قرنية العينين كلتيهما وان لم تتوقف سلامة اصل الحياة عليها .
سادسا : يجوز نقل عضو من ميت الى حي تتوقف حياته على ذلك العضو او تتوقف سلامة وظيفة اساسية فيه على ذلك بشرط ان يأذن الميت او ورثته بعد موته او بشرط موافقة ولي المسلمين ان كان المتوفي مجهول الهوية او لا ورثة له .
سابعا : وينبغي ملاحظة ان الاتفاق على جواز نقل العضو في الحالات التي تم بالايتم ذلك بواسطة بيانها مشروط ذلك بواسطة بيع العضو اذ لايجوز اخضاع اعضاء الانسان للبيع بحال ما .
اما بذل المال من المستفيد ، ابتغاء الحصول على العضو المطلوب عند الضرورة أو مكافأة وتكريما ، فمحل اجتهاد ونظر .
ثامنا : كل ماعدا الحالات والصور المذكورة مما يدخل في أصل الموضوع ، فهو محل بحث ونظر ويجب طرحه للدراسة والبحث في دورة قادمة على ضوء المعطيات الطبية والاحكام الشرعية .

صرف الزكاة لصالح صندوق التضامن الإسلامي

خامسا : الجلسة الخامسة

وقد عرض فيها فضيلة الشيخ سيدي محمد يوسف جيري موضوع صرف الزكاة لصالح صندوق التضامن الاسلامي
ثم رفعت الجلسة بعد مناقشة الموضوع من قبل الاعضاء والعلماء وصدر عن المجلس بهذا الخصوص قوله :
اولا : لايجوز صرف أموال الزكاة لدعم وقفية صندوق التضامن الاسلامي لان في ذلك حبسا للزكاة عن مصارفها الشرعية المحددة في الكتاب الكريم .
ثانيا : لصندوق التضامن الاسلامي ان يكون وكيلا عن الاشخاص والهيئات في صرف الزكاة في وجوهها الشرعية بالشروط التالية :
ا ـ ان توافر شروط الوكالة الشرعية بالنسبة للموكل والوكيل
ب ـ ان يدخل الصندوق على نظامه الاساسي ، واهدافه ، التعديلات المناسبة التي تمكنه من القيام بهذا النوع من التصرفات .
جـ ـ ان يخصص صندوق التضامن حسابا خاصا بالاموال الواردة من الزكاة بحيث لاتختلط بالموارد الاخرى التي تنفق في غير مصارف الزكاة الشرعية كالمرافق العامة ونحوها .
د ـ لايحق للصندوق صرف شيء من هذه الاموال الواردة للزكاة في النفقات الادارية ومرتبات الموظفين وغيرها من النفقات التي لاتندرج تحت مصارف الزكاة الشرعية .
هـ ـ لدافع الزكاة ان يشترط على الصندوق دفع زكاته فيما يحدده من مصارف الزكاة الثمانية وعلى الصندوق ـ في هذه الحالة ـ ان يتقيد بذلك

و ـ يلتزم الصندوق بصرف هذه الاموال الى مستحقيها في أقرب وقت ممكن حتى يتيسر لمستحقيها الانتفاع بها ، وفي مدة اقصاها سنة .

زكاة الاسهم في الشركات

سادسا : وفي يوم الاحد ١٩ من جمادي الآخرة ـ ٧ من فبراير
عقدت الجلسة السادسة حيث عرض فضيلة الدكتور الصديق محمد الامين الضرير موضوع زكاة الاسهم في الشركات
سابعا : وفي الجلسه السابعة تمت مناقشة الموضوع وتوصل المجلس الى القرار التالي
اولا : تجب زكاة الاسهم على اصحابها وتخرجها ادارة الشركة نيابة عنهم اذا نص في نظامها الاساسي على ذلك او صدر به قرار من الجمعية العمومية او كان قانون الدولة يلزم الشركات باخراج الزكاة او حصل تفويض من صاحب الاسهم لاخراج ادارة الشركة زكاة اسهمه .
ثانيا : تخرج ادارة الشركة زكاة الاسهم كما يخرج الشخص الطبيعي زكاة امواله . بمعنى ان تعتبر جميع اموال المساهمين اموال شخص واحد وتفرض عليها الزكاة بهذا الاعتبار من حيث نوع المال الذي تجب فيه الزكاة ومن حيث النصاب ومن حيث المقدار الذي يؤخذ وغير ذلك مما يراعي في زكاة الشخص الطبيعي وذلك اخذا بمبدأ الخلطة عند من عممه من الفقهاء في جميع الاموال .
ويطرح نصيب الاسهم التي لاتجب فيها الزكاة ومنها اسهم الخزانة العامة ، واسهم الوقف الخيري ، واسهم الجهات الخيرية ، وكذلك اسهم غير المسلمين .
ثالثا : اذا لم تزك الشركة أموالها لأي سبب من الاسباب ، فالواجب على المساهمين زكاة أسهمهم ، فاذا استطاع المساهم أن يعرف من حسابات الشركة مايخص أسهمه من الزكاة لو زكت الشركة اموالها على النحو المشار اليه ، زكي اسهمه على هذا الاعتبار لانه الاصل في كيفية زكاة الاسهم .

وان لم يستطع المساهم معرفة ذلك :

فان كان ساهم في الشركة بقصد الاستفادة من ريع الاسهم السنوي وليس بقصد التجارة فانه يزكيها زكاة المستغلات ، وتمشيا مع ما قرره مجمع الفقه الاسلامي في دورته الثانية بالنسبة لزكاة العقارات والاراضي المأجورة غير الزراعية ، فأن صاحب هذه الاسهم لا زكاة عليه في أصل السهم ، وانما تجب الزكاة في الريع ، وهي ربع العشر بعد دوران الحول من يوم قبض الريع مع اعتبار توافر شروط الزكاة وانتفاء الموانع .
وان كان المساهم قد اقتنى الاسهم بقصد التجارة ، زكاها زكاة عروض التجارة ، فاذا جاء حول زكاته وهي في ملكه ، زكى قيمتها السوقية واذا لم يكن لها سوق ، زكى قيمتها بتقويم أهل الخبرة ، فيخرج ربع العشر ٢,٥٪ من تلك القيمة ومن الربح اذا كان للاسهم ربح .
رابعا : اذا باع المساهم اسهمه في

اثناء الحول ضم ثمنها الى ماله وزكاه معه عندما يجيء حول زكاته . أما المشتري فيزكي الاسهم التي اشتراها على النحو السابق .

انتزاع الملك للمصلحة العامة

ثامنا : الجلسة الثامنة

وفيها عرض فضيلة الدكتور يوسف محمود قاسم موضوع «انتزاع الملك للمصلحة العامة»

تاسعاوعاشرا : وفي الجلسة التاسعة والعاشرة واصل العلماء مناقشة الموضوع ثم صدر القرار في النقاط التالية :

اولا : يجب رعاية الملكية الفردية وصيانتها من أي اعتداء عليها ، ولا يجوز تضييق نطاقها أو الحد منها ، والمالك مسلط على ملكه وله في حدود المشروع التصرف فيه بجميع وجوهه وجميع الانتفاعات الشرعية .

ثانيا : لايجوز نزع ملكية العقار للمصلحة العامة الا بمراعاة الضوابط والشروط الشرعية التالية :

١ ـ ان يكون نزع العقار مقابل تعويض فوري عادل يقدره اهل الخبرة ولا يقل عن ثمن المثل

٢ ـ ان يكون نازعه ولي الأمر أو نائبه في ذلك المجال .

٣ ـ أن يكون النزع للمصلحة العامة التي تدعو اليها ضرورة عامة أو حاجة عامة تنزل منزلتها كالمساجد والطرق والجسور والقناطر .

٤ ـ أن الا يؤول العقار المنزوع من مالكه الى توظيفه في الاستثمار العام أو الخاص ، وألا يعجل نزع ملكيته قبل الأوان .

فان اختلفت هذه الشروط او بعضها كان نزع ملكية العقار من الظلم في الارض والغصوب التي نهى الله تعالى عنها ورسوله صلى الله عليه وسلم . على أنه اذا صرف النظر عن استخدام العقار المنزوعة ملكيته في المصلحة المشار اليها تكون أولوية استرداده لمالكه الاصلي ، او لورثته بثمن المثل .

الحادية عشرة :

وفي يوم الاثنين ٢٠ من جمادي الآخرة الموافق ٨ من فبراير عقدت الجلسة الحادية عشرة وفيها عرض فضيلة الدكتور عبدالستار ابوغدة موضوع «سندات المقارضة وسندات الاستثمار» وبعد مناقشة الموضوع قرر المجتمعون :

اولا : من حيث الصيغة المقبولة شرعا لصكوك المقارضة :

١ ـ سندات المقارضة هي أداة استثمارية تقوم على تجزئة رأس مال القراض (المضاربة) باصدار صكوك ملكية برأس مال المضاربة على اساس وحدات مستاوية القيمة ومسجلة بأسماء اصحابها باعتبارهم يملكون حصصا شائعة في رأس مال المضاربة وما يتحول اليه بنسبة ملكية كل منهم فيه . ويفضل تسمية هذه الاداة الاستثمارية «صكوك المقارضة»

٢ ـ الصورة المقبولة شرعا لنسدات المقارضة بوجه عام لابد أن تتوفر فيها العناصر التالية :

العنصر الاول :

ان يمثل الصك ملكية حصة شائعة في المشروع الذي اصدرت الصكوك لانشائه أو تمويله ، وتستمر هذه الملكية طيلة المشروع من بدايته الى نهايته .

وترتب عليها جميع الحقوق والتصرفات المقررة شرعا للمالك في ملكه من بيع وهبة ورهن وارث وغيرها مع ملاحظة ان الصكوك تمثل رأس مال المضاربة .

العنصر الثاني :

يقوم العقد في صكوك المقارضة على أساس أن شروط التعاقد تحددها نشرة الاصدار وان (الايجاب) يعبر عنه (الاكتتاب) في هذه الصكوك وأن (القبول) تعبر عنه موافقة الجهة المصدرة .

ولابد أن تشتمل نشرة الاصدار على جميع البيانات المطلوبة شرعا في عقد القراض (المضاربة) من حيث بيان معلومية رأس المال وتوزيع الربح مع بيان الشروط الخاصة بذلك الاصدار على ان تتفق جميع الشروط مع الأحكام الشرعية

العنصر الثالث :

ان تكون صكوك المقارضة قابلة للتداول بعد انتهاء الفترة المحددة للاكتتاب باعتبار ذلك مأذونا فيه من المضارب عند نشوئ السندات مع مراعاة الضوابط التالية :

ا ـ اذا كان مال القراض المتجمع بعد الاكتتاب وقبل المباشرة في العمل بالمال ما يزال نقودا فان تداول صكوك المقارضة يعتبر مبادلة نقد بنقد وتطبق عليه أحكام الصرف .

ب ـ اذا أصبح مال القراض ديونا تطبق على تداول صكوك المقارضة أحكام تداول التعامل بالديون .

جـ ـ اذا صار مال القراض موجودات مختلطة من النقود والديون والاعيان والمنافع فانه يجوز تداول صكوك المقارضة وفقا للسعر المتراضي عليه ، على أن يكون الغالب في هذه الحالة اعيانا ومنافع . أما اذا كان الغالب نقودا أو ديونا فتراعى في التداول الأحكام الشرعية التي ستبينها لائحة تفسيرية توضع وتعرض على المجمع في الدورة القادمة .

وفي جميع الأحوال يتعين تسجيل التداول أصوليا في سجلات الجهة المصدرة .

العنصر الرابع :

ان من يتلقى حصيلة الاكتتاب في الصكوك لاستثمارها واقامة المشروع بها هو المضارب اي عامل المضاربة ولا يملك من المشروع الا بمقدار ما قد يسهم به بشراء بعض الصكوك فهو رب مال بما أسهم به بالاضافة الى أن المضارب شريك في الربح بعد تحققه بنسبة الحصة المحددة له في نشرة الاصدار وتكون ملكيته في المشروع على هذا الاساس .

وان يد المضارب على حصيلة الاكتتاب في الصكوك وعلى موجودات المشروع هي يد أمانة لا يضمن الا بسبب من أسباب الضمان الشرعية .

٣ ـ مع مراعاة الضوابط السابقة في التداول:

يجوز تداول المقارضة في أسواق الاوراق المالية ان وجدت بالضوابط الشرعية وذلك وفقا لظروف العرض والطلب ويخضع لارادة العاقدين كما يجوز ان يتم التداول بقيام الجهة المصدرة في فترات دورية معينة باعلان او ايجاب يوجه الى الجمهور تلتزم بمقتضاه خلال مدة محددة بشراء هذه الصكوك من ربح مال المضاربة بسعر معين ويحسن أن تستعين في تحديد السعر بأهل الخبرة وفقا لظروف السوق والمركز المالي للمشروع . كما يجوز الاعلان عن الالتزام بالشراء من غير الجهة المصدرة من مالها الخاص على النحو المشار اليه .

٤ ـ لا يجوز ان تشتمل نشرة الاصدار او صكوك المقارضة على نص بضمان عامل المضاربة رأس المال أو ضمان ربح مقطوع او منسوب الى رأس المال ، فإن وقع النص على ذلك صراحة او ضمنا بطل شرط الضمان واستحق المضارب ربح مضاربة المثل .

٥ ـ لا يجوز أن تشتمل نشرة الإصدار ولا صك المقارضة الصادر بناء عليها على نص يلزم بالبيع ولو كان معلقا أو مضافا للمستقبل ، وانما يجوز ان يتضمن صك المقارضة وعدا بالبيع . وفي هذه الحالة لا يتم البيع الا بعقد بالقيمة المقدرة من الخبراء وبرضا الطرفين .

٦ ـ لا يجوز أن تتضمن نشرة الاصدار ولا الصكوك على أساسها نصا يؤدي الى احتمال قطع الشركة في الربح فإن وقع كان العقد باطلا .

ويترتب على ذلك :

أ ـ عدم جواز اشتراط مبلغ محدد لحملة الصكوك أو صاحب المشروع في نشرة الاصدار وصكوك المقارضة الصادرة بناء عليها .

ب ـ ان محل القسمة هو الربح بمعناه الشرعي ، وهو الزائد عن رأس المال وليس الايراد او الغلة ، ويعرف مقدار الربح ، اما بالتنضيض او بالتقويم للمشروع بالنقد ، وما زاد عن رأس المال عند التنضيض او التقويم فهو الربح الذي يوزع بين حملة الصكوك وعامل المضاربة ، وفقا لشروط العقد .

ج ـ ان يعد حساب أرباح وخسائر للمشروع وأن يكون معلنا وتحت تصرف حملة الصكوك .

٧ ـ يستحق الربح بالظهور ، ويملك بالتنضيض او التقويم ولا يلزم الا بالقسمة وبالنسبة للمشروع الذي يدر ايرادا او غلة فانه يجوز أن توزع غلته .. وما يوزع على طرفي العقد قبل التنضيض (التصفية) يعتبر مبالغ مدفوعة تحت الحساب .

٨ ـ ليس هناك ما يمنع شرعا من النص في نشرة الاصدار على اقتطاع نسبة معينة في نهاية كل دورة ، إما من حصة حملة الصكوك في الأرباح في حالة وجود تنضيض دوري ، وإما من حصصهم في الايراد أو الغلة الموزعة تحت الحساب ووضعها في احتياطي خاص لمواجهة مخاطر خسارة رأس المال .

٩ ـ ليس هناك ما يمنع شرعا من النص في نشرة الاصدار او صكوك المقارضة على وعد طرف ثالث منفصل في ضخيته وذمته المالية عن طرفي العقد بالتبرع بدون مقابل بمبلغ مخصص لجبر الخسران في مشروع معين ، على ان يكون التزاما مستقلا عن عقد المضاربة بمعنى ان قيامه بالوفاء بالتزامه ليس شرطا في نفاذ العقد وترتب احكامه عليه بين اطرافه ومن ثم فليس لحملة الصكوك او عامل المضاربة الدفع ببطلان المضاربة او الامتناع عن الوفاء بالتزاماتهم بها بسبب عدم قيام المتبرع بالوفاء بما تبرع به بحجة ان هذا الالتزام كان محل اعتبار في العقد .

ثانيا :

استعرض مجلس المجمع اربع صيغ اخرى اشتملت عليها توصيات الندوة التي أقامها المجمع ، وهي مقترحة للاستفادة منها في اطار تعمير الوقف واستثماره دون الاخلال بالشروط التي يحافظ فيها على تأبيد الوقف وهي : .

أ ـ اقامة شركة بين جهة الوقف بقيمة اعيانه وبين أرباب المال بما يوظفونه لتعمير الوقف .

ب ـ تقديم أعيان الوقف (كأصل ثابت) الى من يعمل فيها بتعميرها من ماله بنسبة من الريع .

ج ـ تعمير الوقف بعقد الاستصناع مع المصارف الاسلامية لقاء بدل من الريع .

د ـ ايجار الوقف بأجرة عينية هي البناء عليها وحده ، او مع اجرة يسيرة .

وقد اتفق رأي مجلس المجمع مع توصية الندوة بشأن هذه الصيغ من حيث حاجتها الى مزيد من البحث والنظر ، وعهد الى الأمانة العامة الاستكتاب فيها ، مع البحث عن صيغ شرعية أخرى للاستثمار ، وعقد ندوة لهذه الصيغ لعرض نتائجها على المجمع في دورته القادمة .

الثانية عشرة : ـ

وفي هذه الجلسة عرض فضيلة الدكتور/وهبه مصطفى الزحيلي موضوع « بدل الخلو وبيع الاسم التجاري والترخيص» .

وبعد المناقشة اتخذ المؤتمرون قرارهم فيما يلي :

اولا : **تنقسم صور** الاتفاق على بدل الخلو الى أربع صور هي :

١ ـ أن يكون الاتفاق بين مالك العقار وبين المستأجر عند بدء العقد .

٢ ـ ان يكون الاتفاق بين المستأجر وبين المالك وذلك في أثناء مدة عقد الاجازة او بعد انتهائها .

٣ ـ ان يكون الاتفاق بين المستأجر وبين مستأجر جديد . في اثناء مدة عقد الاجارة او بعد انتهائها .

٤ ـ أن يكون الاتفاق بين المستأجر الجديد وبين كل من المالك والمستأجر الاول قبل انتهاء المدة أو بعد انتهائها .

ثانيا : اذا اتفق المالك والمستأجر على أن يدفع المستأجر للمالك مبلغا مقطوعا زائدا عن الأجرة الدوية (وهو يسمى في بعض البلاد خلوا) فلا مانع شرعا من دفع هذا المبلغ المقطوع على أن يعد جزءا من أجرة المدة المتفق عليها ، وفي حالة الفسخ

تطبق على هذا المبلغ أحكام الاجرة .

ثالثا : اذا تم الاتفاق بين المالك وبين المستأجر اثناء مدة الاجارة على أن يدفع المالك الى المستأجر مبلغا مقابل تخليه عن حقه الثابت بالعقد في ملك منفعة بقية المدة ، فأن بدل الخلو هذا جائز شرعا ، لأنه تعويض عن تنازل المستأجر برضاه عن حقه في المنفعة التي باعها للمالك .

اما اذا انقضت مدة الاجارة ولم يتجدد العقد صراحة او ضمنا عن طريق التجديد التلقائي حسب الصيغة المفيدة له ، فلا يحل بدل الخلو ، لان المالك احق بملكه بعد انقضاء حق المستأر .

رابعا : اذا تم الاتفاق بين المستأجر الاول وبين المستأجر الجديد أثناء مدة الاجارة على التنازل عن بقية مدة العقد لقاء مبلغ زائد عن الاجرة الدورية ، فان بدل الخلو هذا جائز شرعا ، مع مراعاة مقتضي عقد الاجارة المبرم بين المالك والمستأجر الاول ، ومراعاة ما تقضي به القوانين النافذة الموافقة للاحكام الشرعية .

على أنه في الاجارات طويلة المدة خلافا لنص عقد الاجارة طبقا لما تسوغه بعض القوانين لا يجوز للمستأجر ايجارها لمستاجر آخر ، ولا أخذ بدل الخلو فيها الا بموافقة المالك .

أما اذا تم الاتفاق بين المستأجر الاول بين المستأجر الجديد بعد انقضاء المدة فلا يحل بدل الخلو ، لانقضاء حق المستأجر الاول في منفعة العين

خامسا : اذا تم الاتفاق بين المستأجر الاصلي والمالك قبل انقضاء المدة على أن يحل محله مستأجر جديد مقابل مبلغ يدفعه المستأجر الجديد الى المستأجر الاول وحده أو له وللمالك ، فان بدل الخلو هذا جائز شرعيا لان هذا التنازل هو تعويض للمستأجر الاول والمالك عن حقهما الثابت بموجب العقد والملك .

بيع الاسم التجاري والترخيص

قرر : تأجيل النظر في هذا الموضوع الى الدورة الخامسة للمجلس حتى تستوفي دراسته من كل جوانبه

الايجار المنتهى بالتمليك

الثالثة عشرة :

عرض فضيلة الدكتور/ حسن علي الشاذلي في هذه الجلسة موضوع « الايجار المنتهى بالتمليك » ثم نوقش الموضوع من قبل الأعضاء .

المرابحة للآمر بالشراء

الرابعة عشرة : ـ

وفي هذه الجلسة عرض فضيلة الدكتور/ ابراهيم فاضل الدبو ، موضوع « المرابحة للآمر بالشراء » .

الخامسة عشرة :

وفي هذه الجلسة تمت مناقشة موضوع « المرابحة للآمر بالشراء » .

اولا : تأجيل النظر في كل منها

ثانيا :تكليف الأمانة العامة استيفاء دراسة هذه الموضوعات واستحضار ما قدم من أبحاث في موضوع « التأجير المنتهي بالتمليك » وما صدر فيه من قرارات عن الندوة الفقهية الأولى لبيت التمويل الكويتي التي عقدت عام ١٤٠٧هـ (١٩٨٧م) وما

قدم من أبحاث في موضوع « المرابحة للآمر بالشراء » في ندوة استراتيجية الاستثمار في المصارف الاسلامية التي اقيمت في عمان عام ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م بالتعاون بين المعهد الاسلامي للبحوث والتدريب للبنك الاسلامي للتنمية ، والمجمع الملكي للحضارة الاسلامية .

تغير قيمة العملة

وفي الجلستين السادسة عشرة والسابعة عشرة .. اللتين عقدتا يوم الثلاثاء ٢١ من جمادي الآخرة ١٤٠٨هـ ـ الموافق ٩ من فبراير ... عرض فضيلة الدكتور/ محمد عبداللطيف الفرفور موضوع « تغير قيمة العملة » . وبعد المناقشة ... ارتأى المجلس بشأن هذه المواضيع الثلاثة : ـ

ثم صدر عن المجلس القرارات التالية :

أولا : بشأن البهائية

ان مجلس مجمع الفقه الاسلامي المنبثق عن منظمة المؤتمر الاسلامي في دورة انعقاد مؤتمره الرابع بجدة من ١٨ الى ٢٣ جمادي الآخرة ١٤٠٨هـ (الموافق من ٦ الى ١١ فبراير ١٩٨٨م) .

ـ انطلاقا من قرار مؤتمر القمة الاسلامي الخامس المنعقد بدولة الكويت من ٢٦ الى ٢٩ جمادي الأولى ١٤٠٧هـ (الموافق ٢٦ الى ٢٩ يناير ١٩٨٧م) . والقاضي باصدار مجمع الفقه الاسلامي رأيه في المذاهب الهدامة التي تتعارض مع تعاليم القرآن الكريم والسنة المطهرة ..

ـ واعتبارا لما تشكله البهائية من أخطار على الساحة الاسلامية وما تلقاه من دعم من قبل الجهات المعادية للاسلام .

ـ وبعد التدبر العميق في معتقدات هذه الفئة والتأكد من أن البهاء مؤسس هذه الفرقة يدعي الرسالة ويزعم ان مؤلفاته وحي منزل ، ويدعو الناس أجمعين الى الايمان برسالته ، وينكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم المرسلين ويقول ان الكتب المنزلة عليه ناسخة للقرآن الكريم ، كما يقول بتناسخ الارواح .

ـ وفي ضوء ما عمد إليه البهاء في كثير من فروع الفقه بالتغيير والاسقاط ، ومن ذلك تغييره لعدد الصلوات المكتوبة وأوقاتها اذ جعلها تسعا تؤدي على ثلاث مرات ، في البكور مرة ، وفي الآصال مرة ، وفي الزوال مرة ، وغيرالتيمم فجعله يتمثل في ان يقول البهائي « بسم الله الأطهر الاطهر » وجعل الصيام تسعة عشر يوما تنتهي في عيد النيروز في الواحد والعشرين من مارس في كل عام ، وحول القبلة الى بيت البهاء في عكا بفلسطين المحتلة ، وحرم الجهاد وأسقط الحدود ، وسوى بين الرجل والمرأة في الميراث وأحل الرباء .

وبعد الاطلاع على البحوث المقدمة في موضوع (مجالات الوحدة الاسلامية) المتضمنة التحذير من الحركات الهدامة التي تفرق الامة وتهز وحدتها وتجعلها شيعا وأحزابا وتؤدي الى الردة والبعد عن الاسلام .

يوصي :

بوجوب تصدى الهيئات الاسلامية

في كافة انحاء العالم بما لديها من امكانات لمخاطر هذه النزعة الملحدة التي تستهدف النيل من الاسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة .

ويقرر :

اعتبار ان ما دعاه البهاء من الرسالة ونزول الوحي عليه ونسخ الكتب التي أنزلت عليه للقرآن الكريم ، وادخاله تغييرات على فروع شرعية ثابتة بالتواتر ، هو انكار لما هو معلوم من الدين بالضرورة ، ومنكر ذلك كافر بالاسلام تنطبق عليه أحكام الكفار .

والله أعلم .

ثانيا : بشأن مشروع تيسير الفقه

قرر ما يلي :

اعتماد الخطة الواردة في تقرير اللجنة المشرفة على مشروع تيسير الفقه وفق التعديل المقترح منها ، وتكليف الامانة العامة للمجمع متابعة تنفيذه .

ثالثا : بشأن مشروع الموسوعة الفقهية

قرر ما يلي :

اعتماد الخطة التنفيذية الواردة في تقرير اللجنة المكلفة باعدادها وفق الاقتراحات المقترحة من اللجنة الفرعية ، وتكليف الامانة العامة للمجمع متابعة تنفيذه .

رابعا : بشأن مشروع موسوعة القواعد الفقهية

قرر مايلي :

اولا : اعتماد الصياغة النهائية لمشروع موسوعة القواعد الفقهية والمراحل المتفق على اقتراحها من لجنة المشروع .

ثانيا : تكليف الأمانة العامة للمجمع متابعة تنفيذ ما يترك لها واختيار ما تراه مناسبا من الرأيين المطروحين من لجنة المشروع بالنسبة للمرحلتين الأولى والخامسة من مراحل اعداده .

موضوعات صدرت بشأنها توصيات

أولا : موضوع « كيفية مكافحة المفاسد الأخلاقية »

وبخصوص هذا الموضوع أوصى المجلس بما يلي : ـ

أ ـ العمل على تصحيح وتقوية الوازع العقدي عبر القيام بتوعية شاملة باثار العقيدة الصحيحة في النفوس .

ب ـ السعي إلى تطهير الاعلام المقروء والمرئى والمسموع والاعلانات التجارية في عالمنا الاسلامي من كل ما يشكل معصية لله تعالى وتنقيته تماما من كل ما يثير الشهوة او يسبب الانحراف ويوقع في المفاسد الاخلاقية .

جـ ـ وضع الخطط العملية للمحافظة على الاصالة الاسلامية والتراث الاسلامي والقضاء على كل محاولات التغريب والتشبه واستلاب الشخصية الاسلامية والوقوف امام كل أشكال الغزو الفكري والثقافي الذي يتعارض مع المبادىء والاخلاق الاسلامية .

وأن توجد رقابة اسلامية صارمة على الأنشطة السياحية والابتعاث الى

الخارج حتى لا تتسبب في هدم أخلاق ومقومات الشريعة الاسلامية .

د ـ توجيه التعليم وجهة اسلامية وتدريس كل العلوم من منطلق اسلامي وجعل المواد الدينية مواد أساسية في كل المراحل والتخصصات مما يقوى العقيدة الاسلامية ويؤصل الاخلاق الاسلامية في النفوس . كما يجب ان تحرص الأمة على ان تكون رائدة في مجالات العلم المتعددة .

هـ ـ بناء الاسرة الاسلامية بناء صحيحا وتيسير الزواج والحث عليه وحث الاباء والامهات على تنشئة البنين والبنات تنشئة صحيحة حتى يكونوا جيلا قويا يعبد الله على حق ويتولى المهمة الدائمة لنشر الاسلام والدعوة إليه . وان تهيأ المرأة لتقوم بدورها أما وربة بيت حسب ما تقضي به الشريعة الاسلامية والقضاء على ظاهرة انتشار استخدام المربيات الاجنبيات خاصة غير المسلمات .

و ـ تهيئة جميع الوسائل التي تحقق تربية النشء تربية اسلامية بحيث يلتزم باركان الاسلام وسلوكياته ويدرك واجباته تجاه ربه وأمته ويتخلص من الخواء الروحي الذي يتسبب في تعاطي المخدرات والمسكرات والتفسخ الاخلاقي باشكاله المتعددة واشغال الشباب بمهمات الامور واعطائه المسئوليات كل حسب قدرته وكفاءته واشغال اوقات الفراغ لديهم بما هو مفيد وايجاد وسائل الترفيه والرياضات والمسابقات البريئة الطاهرة وان توجه وجهة اسلامية كاملة .

ثانيا : موضوع « مجالات الوحدة الاسلامية وسبل الاستفادة منها »

وبخصوص هذا الموضوع أوصى المجلس بما يلي : ـ

أ ـ الذود عن العقيدة الاسلامية ، وتمكينها بصورتها النقية من الشوائب ، والتحذير من كل ما يؤدى إلى هدمها أو التشكيك في أصولها ، ويقصم وحدة المسلمين ويجعلهم مختلفين متنابذين .

ب ـ بتأكيد عناية مجمع الفقه الاسلامي بالابحاث والدراسات الفقهية التي ترمى الى مجابهة التحديات الفكرية الناشئة عن مقتضيات المعاصرة واهتمام الفقه الاسلامي بمشكلات المجتمع واعتماده كعنصر اساسي في النهضة الفكرية للأمة وتوسيع دائرة اعتماده فيما تسنه الدول الاسلامية من تشاريع وقوانين في عامة شؤون المجتمع

جـ ـ وجوب التناسق الوثيق في ميدان التربية والتعليم مضمونا ومنهاجا على السبيل القويمة للحضارة الفكرية التي بناها الاسلام بغية تكوين أجيال من المسلمين متوحدين في المرجع التعبدي متقاربين في التوجه الفكري متشاركين في الاعتزاز بالانتساب الحضاري .

د ـ باعطاء درجة عالية من الاولوية للبحث العلمي في مختلف ميادين المعرفة من الناتج الاجمالي لتمويل البرامج البحثية وانشاء المخابر العلمية على اساس وثيق من التكامل والتعاون بين الجامعات الاسلامية .

هـ ـ أن يكون الاعلام في بلاد المسلمين بكل انواعه المسموعة

والمقروءة والمرئية اعلاما هادفا الى تحقيق العبودية لله في ارضه ، وبث الخير ونشر الفضيلة والتحرر من المبادىء الهدامة للفكر والخلق ، والملحدة في دين الله ، والمنحرفة عن الصراط المستقيم . ودعم جهود توحيده من خلال نشاط (اتحاد الاذاعات الاسلامية) .

و ـ اقامة اقتصاد اسلامي لا شرقي ولا غربي ، بل اقتصاد اسلامي خالص مع اقامة سوق اسلامية مشتركة ، يتعاون فيها المسلمون على الانتاج وتسويقه دون الحاجة الى غيرهم ، لان الاقتصاد ركن مهم من أركان قيام المجتمعات ، وتكامله سبيل للوحدة بين شعوب الامة الاسلامية .

ثالثا : اسلامية التعليم

وبهذا الصدد لخص المجلس

أ ـ جعل العقيدة الاسلامية قاعدة التصور الاسلامي الكبير الذي يعطي نظرة كلية شاملة للكون والانسان والحياة ، كما تعرف الانسان ، وعلاقته بالكون ، وعلاقة الانسان بخالقه ، وبمجتمعه .

ب ـ اتخاذ الاسلام محورا للعلوم الاجتماعية والانسانية والاقتصادية والسياسية وابراز نظرياته الانسانية وتعلقها بخالق الكون والانسان والحياة . بالتنسيق مع المنظمات الاسلامية العاملة في هذا المجال كالمنظمة الاسلامية للعلوم الطبية والمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم .

جـ ـ العمل على اظهار فساد ما يخالف العقيدة الاسلامية من علوم مادية وملحدة واخرى مضللة كالكهانة والسحر والتنجيم والتحذير من العلوم التي ذمها وحرمها الاسلام وكذلك العلوم التي تقوم على الفسق والفجور .

د ـ اعادة كتابة تاريخ العلوم والمعارف وبيان تطورها واسهامات المسلمين في كل منها وتنقيتها مما دس فيها من نظريات استشراقية وتغريبية تحرف المسار التاريخي الحق واعادة النظر في تصنيف العلوم ومناهج البحث وفق لنظرة الاسلامية بالتنسيق والتعاون في ذلك كله ومراكز البحث العلمي ومراكز الاقتصاد الاسلامي في شتى البلاد الاسلامية .

هـ ـ اعادة الوشائج بين العلوم التي تبحث في الكون والانسان والحياة وبين خالقها ، فان العالم الباحث في هذه المجالات يجب ان ينظر فيها على أنها تمثل الابداع الالهي ، والصنعة الربانية المحكمة .

ز ـ وضع الضوابط والقواعد المستخلصة من الدين الاسلامي او المتسقة مع أهدافه وغاياته لتكون مبادىء لجميع العلوم او لعلم واحد منها وابراز عيوب المناهج الغربية التي أقامت فصاما موهوما بين الدين والعلم ، أو بنت العلوم بناء خاطئا كعلم التاريخ والاقتصاد والاجتماع .

بهذا تكون « الوعي الاسلامي » قد عرضت سجلا كاملا بأعمال المجلس الفقهي في دورته الرابعة وإنها لترجو أن تترجم جهود العلماء والمخلصين إلى واقع ملموس في دنيا الناس ، فنعيش الاسلام سلوكا ومنهجا لا قولا فقط . وبالله التوفيق .

كتاب الشهر

المخدرات من القلق إلى الاستعباد

عرض وتحليل الاستاذ/ احمد محمود أبو زيد

مما لاشك فيه أن المخدرات أصبحت ظاهرة تجتاح العالم كله اليوم من أدناه الى أقصاه ، وبرغم الجهود التي تبذل على كل المستويات للحد من انتشارها والتخفيف من أخطارها وسمومها إلا أن انتشارها يزداد يوما بعد يوم متغلبا على كل الجهود .

ولعل ذلك ما دفع الدكتور/محمد محمود الهواري إلى الاقدام على هذه الدراسة التي يصحب القاريء خلالها في رحلة شيقة داخل عالم المخدرات بأنواعها وأشكالها وأضرارها .. وقد أجاد المؤلف اختيار العنوان لدراسته حين سماها « **المخدرات من القلق الى الاستعباد** » معبرا بصدق عن المراحل التي يمر بها المدمن في عالم المخدرات حيث يدفعه القلق الى الانزلاق في بحر هذا الوباء الذي ينتهي به الى الاستعباد والخضوع الكلي لهذا المخدر الذي يتحكم في عقله وجسده .

ومما يزيد من قيمة هذه الدراسة أن المؤلف اعتمد فيها على الأرقام والاحصاءات والدراسات والتجارب الميدانية التي تعبر بصدق عن أحوال المدمنين ونسب انتشار المخدرات وتغلغلها في كل دول العالم ، وما أشد حاجتنا اليوم الى مثل هذه الدراسات التي تعتمد على لغة الأرقام وهي من أصدق اللغات . وقد قسم المؤلف دراسته الى ثلاثة اقسام : القسم

الاول ويشمل دراسة تفصيلية لأهم انواع المخدرات كالأفيون والهيروين والحشيش والكوكائين والقات والمهلوسات والمهدئات والمنومات .. أما القسم الثاني فيتناول فيه المؤلف الادمان ، وأسبابه ، والمراحل التي يمر بها ، والتأثيرات المختلفة له على أعضاء البدن ، وفي القسم الثالث يتناول المؤلف المخدرات بين الفقه والقانون .

● الضروريات الخمس ●

وفي المدخل الى الدراسة يقول المؤلف : إن الشريعة الاسلامية أوجبت حماية الضروريات الخمس التي يقوم عليها بناء المجتمع الصالح وهي **النفس والعقل والدين والمال والعرض** ، وجاءت النصوص المحكمة تحرم كل ما يلحق الضرر بشيء من هذه الضروريات ، والعقل من اعظم النعم التي أفاء الله بها على بني البشر وجعله شرطا لتحمل التكاليف الشرعية بكل جوانبها ، ومما يدعو الى الأسى أن ترى الانسان يقوم بالاعتداء على هذه النعمة بفعله فيعمد الى إتلافها والاعتداء على غيرها من الضروريات اللازمة لبقائه ووجوده من جراء تعاطي المخدرات والمسكرات التي عمت بلواها أرجاء الأرض كافة .

وإدمان المخدرات يعتبر من أهم سمات المجتمعات الحرة ، أو بالأصح المجتمعات التي تحررت من كل قيد أخلاقي فانساقت كالثور الهائج وراء لذاتها وشهواتها ، ونظرة سريعة الى الجداول الاحصائية التي تنشرها المكاتب المتخصصة في العالم يتبين بشكل لا يقبل الجدل خطر هذه المأساة التي لم ينج منها عالمنا الاسلامي والعربي - مع الأسف الشديد - وبدأت آثارها تنعكس على تطور الجريمة وتفكك العائلة ، والانحطاط الخلقي ، والتخلف الصحي والعقلي والولادات المشوهة ، وما إلى ذلك من آثار بدأت تنكشف لنا يوما بعد يوم وما انتشار مرض العصر « الإيدز » إلا إحدى نتائج تعاطي هذه الموبقات .

● عالم المخدرات ●

وفي القسم الأول من الدراسة يعرض المؤلف للمخدرات التقليدية فيقسمها الى عشرة انواع :

١ - الأفيون :

وهو يستخرج من محافظ نبات الخشخاش المعروف .. وتعتبر الهند من اكبر دول العالم إنتاجا للأفيون الخام . ويتعاطى المدمن الأفيون عن طريق التدخين أو تناوله عن طريق الطعام والشراب ، أو تناول مشتقاته

إدمان المخدرات
من أهم سمات
المجتمعات التي تحررت
من القيم والاخلاق

وهي المورفين والكوديين والهيروين ، ومنهم من يتناول الأفيونات عن طريق الحقن الوريدي وتشير الاحصائيات والأرقام الى تزايد حالات الادمان على الافيونات في الدول الغربية كأمريكا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وكندا وإيطاليا .

٢ ـ القنب الهندي (الحشيش) :

وهو نبات نشأ في آسيا الوسطى ثم انتشر في البلاد الأخرى وهو يعطي المادة المسببة للادمان المسماة بالحشيش والذي يتم تناوله عن طريق التدخين ، أو عن طريق الشرب حيث يتم مزجه مع بعض المشروبات العطرية ، وكذلك عن طريق الأكل حيث يمزج ببعض المأكولات ومتعاطي الحشيش كما يقول المؤلف ـ يمكن ان يمر بالأطوار الفيزيولوجية الآتية : مرحلة النشوة ثم مرحلة الهيجان العاطفي وفقدان الاتزان ثم مرحلة النشوة العظمى ويطلق عليها مرحلة « الكيف » ثم مرحلة الانحطاط والنوم واليقظة .

وعن مدى سمية الحشيش يقول المؤلف : إن درجة سميته لم تتأكد حتى الآن ولكن آثاره الضارة على مستوى الفرد والمجتمع لا يمكن التغاضي عنها فزيادة المقادير المعطاة من الحشيش تؤدي الى القهر والاذعان والادمان والانحطاط للفرد في المجتمع بل يعتبر الحشيش هو الخطوة الأولى نحو تعاطي المخدرات الاخرى فقد اكدت الاحصاءات على مستوى الشباب أن غالبية من جربوا الحشيش انتهوا بالادمان على الهيروين وأمثاله . كما أشار كثير من العلماء الى أن المقادير المرتفعة من الحشيش تسبب الهلوسة وتؤدي عند الكثير الى الغثيان والاسهال والرجفة وطنين الأذن والخوف والقلق وبعض الاكتئابات المزعجة ، وتؤدي الى سوء الحالة الصحية وتنتهي بالمدمن الى التخريب البدني والعقلي والاجتماعي .

انتشار مرض العصر « الايدز » يعد إحدى نتائج تعاطي المخدرات

٣ ـ الكوكائين : وهو يستخرج من أوراق نبات الكوكا الذي ينمو في أميركا الجنوبية ، ويتمتع الكوكائين بسمية عالية فهو سام لجميع أنسجة البدن الحي ومدمن الكوكائين يصل الى مرحلة الانحطاط والانهيار في قليل من السنوات (٥ ـ ١٠ سنوات) ويتجلى ذلك في نحوله وفقدان شهيته للطعام والانحطاط العقلي وتحطم الشخصية .

ويقول المؤلف ان الكوكائين يعتبر في السنوات الأخيرة أحد مخدرات الموضة التي تنتشر بين الطبقات الراقية المترفة ويباع في اسواق التهريب على شكل كتل بيضاء أو مسحوق أبيض . ويجري تعاطيه بامتصاصه من خلال مخاطيات الفم أو الأنف ، وقد يستخدم حقنا في الوريد .

٤ ـ نبات :

يستخدم عن طريق مضغ أوراقه قبل ان تجف ، والادمان على هذا النبات ، كما يقول المؤلف ـ له عواقب مرضية كالاضطرابات الهضمية وفقدان الشهية والتهاب المعدة ، وهيجان البواسير ، والامساك الشديد واضطرابات القلب وارتفاع الضغط والاضطرابات النفسية والجنسية كما أن له عواقب اجتماعية حيث يوصل صاحبه الى الفقر وسوء التغذية .

٥ ـ المهلوسات او السموم النفسية : وهي عبارة عن مركبات طبيعية المنشأ تتمتع بخواص مهلوسة وهي تؤدي إلى اضطرابات عميقة في الوظائف النفسية المختلفة ، كما تؤدي الى اضطراب النشاط العقلي .

ومن أشهرها مركب الميسكالين الذي يؤدي الى تخريب الشخصية وتشويش الادراك ، وقد يؤدي الى حالات صرعية وقلق يدفع الشخص للتخلص منها بمحاولة الانتحار ، ويشير المؤلف الى أن الكثير من الأطباء النفسانيين يستخدمون العقاقير المهلوسة كدواء في معالجة بعض الاضطرابات العصبية عند المرضى النفسيين .

٦ ـ المنومات والمهدئات : وهي عقاقير لها اثر دوائي فعال إذا استعملت بقدر الحاجة وتحت رقابة دوائية صارمة ، إلا أن الأرق والقلق زاد من الافراط في تناول المنومات والمسكنات فنشأ عن ذلك أجيال من المدمنين فكثير ممن تناولها يدمن عليها بشكل مستمر وهذا يبين لنا مدى خطورة الموضوع .

ففي سويسرا دلت الاحصاءات على أن الصيدليات باعت في عام (١٩٨٥) أكثر من (٣٠٠) مليون حبة من المسكنات ؛ وأن استهلاك هذه الأدوية يبرز على مستوى الشباب المراهق أكثر منه في الكهول ، كما دلت الاحصاءات أيضا على أن اميركا استهلكت في عام (١٩٨٥) من الأدوية المنومة والمسكنة ما تزيد قيمته عن (٤٨٥ مليون دولار) .

٧ ـ الامفيتامينات : وهي عبارة عن مركبات تساعد على زيادة النشاط الفكري وارتفاع التنبه ، وهي تباع في التجارة الدوائية بشكل حبوب صغيرة ونظرا لسهولة تناولها ، وسهولة الحصول عليها نشأ الادمان عليها من جراء زيادة المقادير وتولد الحاجة في البدن إليها ، والادمان على هذه المركبات يؤدي بصاحبه الى أضرار كثيرة قد تنتهي بالموت .

٨ ـ التبغ : وهو كما يقول المؤلف منتشر اليوم في كل بقعة من بقاع الأرض ويلعب في المجتمعات لعبة الشيطان .. والتبغ هو النبات الذي تصنع منه السيجارة ويبلغ الانتاج

الحشيش
هو الخطوة الأولى
نحو تعاطي
المخدرات الأخرى

السنوى من أوراق التبغ ما يزيد عن (٤) ملايين طن وتدل الاحصاءات المعاصرة انه يصنع حوالي (٢٥٠٠ - ٣٠٠٠) مليار سيجارة سنويا في العالم آي ما يعادل (٦٠٠ - ٨٠٠) سيجارة لكل فرد من سكان الأرض .. وتعتبر أميركا في طليعة المنتجين والمستهلكين للسجاير .

ومما لا شك فيه أن التبغ كان المفتاح الأول للباب الذي يطل على باقي المخدرات فجميع الذين يدخنون الحشيش والماركوانا اليوم يستعملون لفافات التبغ .

ويحتوي التبغ على مادة فعالة هي النيكوتين وهي مادة سامة خطرة ولها آثار ضارة على كل أجزاء الجسم حيث يعتبر التدخين سببا رئيسيا لسرطان الرئة والسرطانات الأخرى كسرطان الفم وسرطان الحنجرة والمرىء والمثانة والمعدة والكلية ، كما أنه يسبب تصلب الشرايين والوفاة بالسكتة القلبية ويضعف من القدرة الجنسية .

وبالنسبة للمرأة فإن التدخين يعتبر من الأسباب الهامة لاضطرابات

اميركا استهلكت عام ١٩٨٥ من الأدوية المنومة والمسكنة ما تزيد قيمته عن ٤٨٥ مليون دولار

الطمث وزيادة نسبة الاجهاض وعسر الولادة وتشوه الجنين وربما وفاته قبل الولادة والادمان على السيجارة مختلف عن غيره من المخدرات ، فالتوقف عن التدخين لا يسبب الاعراض الملاحظة عند الحرمان من بقية المخدرات كالهيروين وليس الادمان هنا إلا نوعا من الاعتياد النفسي الذي ينتهي بالمعالجة الحكيمة والارادة الصارمة .

٩ - القهوة والشاي واشباههما :

وهي عبارة عن نباتات تحتوى على الكافيين ولا يعتبر تناول القهوة والشاي بمقادير معتدلة ضارا بالصحة بل قد يعتبر مفيدا في بعض الاحيان نظرا لما يحدثه من تنبه خفيف للدماغ أما الافراط في تناول هذه المشروبات فإنه لا يخلو من الضرر لانه يصبح من الادمان ويلحق بالقهوة والشاى كل من المتة والكاكاو لاحتوائهما على نسبة لا بأس بها من مركبات مماثلة للكافيين .

١٠ - متفرقات تولد الادمان : وهي عبارة عن مركبات اعدت للاغراض العلاجية الا انها استخدمت في غير الاغراض المعدة لها وتولد عن ذلك نوع من الادمان الخطير الذي قد ينتهي في بعض الحالات بالموت .

ومن هذه المركبات المشروبات الغولية او الكحولية ، وهي تحضر من تخمير جميع اشكال الحبوب والفواكه المعروفة ويؤدي الافراط في تناولها الى نوع من الادمان والاذعان الجسمي والنفسي .

● مراحل الادمان ●

● أما القسم الثاني من الكتاب فيتناول فيه المؤلف الادمان وأسبابه والمراحل التي يمر بها وتـأثيراتـه المختلفة على الجسم فيقـول : إن الادمان على المخدرات عم المعمورة من اقصاها الى أقصاها فهناك تزايد هائل عـلى استهلاك المخـدرات وانتشار التهـريب في كل بقعـة من بقـاع الأرض .. والانســان يلجـأ الى المخدرات هربا من هموم الحياة ومن القلق الناجم عن المعاناة اليومية وهربا من الفراغ العاطفي والفكري والعقلي والسياسي والاجتماعي الذي يعيشه .

ويتســاءل المؤلف عن الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي تدعو الشباب الى الادمان على هذه السموم الفتاكة ، ثم يجيب قائلا:إن الخبراء النفسيين يشيرون الى أن للادمان أسبابا متعددة منها ما يتعلق بالبيئة التي تحيط بالمرء كالبيت وما فيه من تفكك عائلي والمدرسة وما فيها من عدم مبالاة وانحراف عن القيم الأخلاقية ، والمجتمع وما فيه من شرور ومآس .. ويشير بعضهم الى الفشل الدراسي كسبب من أسباب الادمان .

ثم يتناول المؤلف مراحل الادمان المتمثلة في :

ـ **مرحلة الاعتياد** : وهي الحالة التي تنجم عن الاستهلاك المتكرر لبعض العقاقير المحرضة او المنبهة .

ـ **مرحلة التحمل** : وهي الحالة التي يعتاد فيها البدن على آثار العقار السيئة .

الاحصاءات المعاصرة تدل على أنه يصنع حوالي ٢٥٠٠ ـ ٣٠٠٠ مليار سيجارة سنويا في العالم اي ما يعادل ٦٠٠ ـ ٨٠٠ سيجارة لكل فرد على وجه الارض .

ـ **مرحلة الاستعباد** : وهي الحالة التي يخضع فيها المدمن كلياً لسلطة العقار من الناحية البدنية والنفسية والعصبية بحيث يصبح بالنسبة له حاجة مستمرة يؤدي فقدها الى نتائج وخيمة .

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن آفات المخدرات قائلا : إن البدن يصاب بآفات متعددة ومختلفة وقد لا يخلو عضو من ضرر عميق أو سطحى تبعا لنوع المخدر ومدة الادمان . وينهي المؤلف هذا القسم من كتابه ببعض الاحصاءات والنتائج التي توصلت اليها البحوث والاستقصاءات التي اجريت على الشباب المدمن بالدول الغربية والتي تضمنت أعمار هؤلاء الشبـاب وتوزيعهم حسب الجنس والحالة الاجتمـاعية ونـوع المخدر المستخـدم ومصادره ، ثم يعـرض المؤلف لبعض هذه النتائج قائلا : إن الحشيش والماركوانا هما المفضلان

عند الشباب وأن أخطر الأعمار التي تبتدى فيها عادة تعاطي المخدرات هي سن البلوغ وأن المدمنين ينتمون الى فئات مختلفة من الشعب ، وتشتد خطورة الادمان في الأفـراد الذين ينتمون الى عائلات مفككة اجتماعيا .

● المخدرات بين الفقه والقانون ●

● ويصل بنا المؤلف الى القسم الثالث والأخير من دراسته والذي خصصه للحـديث عن المخدرات بـين الفقه والقانون ، وقد بدأ بعرض أقوال الفقهاء في المخدرات قائلا : إن الفقهاء قد بحثوا في مشكلة المخدرات منذ أن انتبهوا الى انتشارها في المجتمعات التي عاصروها وانطلقت أحكامهم من قواعد أصـولية تختلف بـاختلاف فهمهم للعقاقير المخدرة ودقة تصنيفها بـين المسكـرات أو المخـدرات أو المفترات .

وخلص المؤلف الى أن المخدرات تشترك جميعها في أنها مفسدة للعقل ومخربة للبدن ومضيعة للمال والجهد والانتاج ومخربة للشخصية ومجلبة للضرر ولو أن سادتنا الفقهاء اطلعوا على آثارها المعاصرة بعد ان تنوعت اشكالها وما تفعله في الفرد والمجتمع لاجمعوا على تحريمها بـلا خلاف ولأجمعوا على إنزال أشد العقوبات بمرتكبيها ومروجيها وكل من يؤدي بأي سبب من الأسباب الى تسهيل تعاطيها .

● المخدر كدواء ●

ويتنـاول المـؤلف الاستـعمـال الدوائي للمخدرات قائلا : إن الفقهاء ميزوا بين التداوي بالخمر والتداوي بباقي المخدرات ، ولم يختلفوا على ان التداوي بالخمر حرام قطعا لأن حرمة الخمر قطعية ، وان حرمة المخدرات دون حرمة الخمر التي ثبتت بالنص ولهذا أجاز كبار الفقهاء كـالنووي شرب الدواء المزيل للعقل للحاجة ويرى المؤلف : أنه لا بد من التفريق بين المخدرات في هذا المجال فبعضها لا يصلح أن يكون دواء فضلا عن أن يدخل في تركيب الأدوية كالحشيش مثلا الذي ثبت عدم وجود أية فائدة طبية له . ويقترح المؤلف أن تطلب المجامع الفقهية المعتبرة الى لجنة من الاطباء الذين يوثق بدينهم وعلمهم تحـديد قـائمة بـالعقاقـير المخدرة والأدوية النفسية التي يجوز أن يلجأ اليها عند الحاجة وتحت الـرقابـة الطبية والصحية الشديدة ، وتصدر

المخدرات تشترك جميعها في أنها مفسدة للعقل ومخربة للبدن ومضيعة للمال والجهد

هذه المجامع الفقهية فتواها على ضوء الدراسات العلمية المؤكدة وتحديد البدائل إن وجدت .

● المخدرات والقانون ●

ويتحدث المؤلف عن المخدرات والقانون قائلا : إن تعاطي المخدرات والاتجار بها وتسهيل الحصول عليها في أغلب بلدان العالم يعتبر من الجرائم التي يعاقب عليها القانون ، وتختلف درجة العقوبة من بلد الى آخر فقد أجازت بعض البلاد العربية والاسلامية تطبيق عقوبة الاعدام للممولين والمهربين والمتاجرين بالمخدرات كما أجازت مصادرة أموالهم وممتلكاتهم أما في البلاد الغربية فلا يزال الاختلاف بينها في الحكم على أنواع المخدرات والاتجار بها فهناك دول تسمح باستعمال الحشيش كهولندا وايطاليا وأميركا . ودول أخرى وضعت عقوبة الحبس والغرامة لمن يتاجر في المخدرات .
وفيما يتعلق بالمدمنين فقد ذكرت بعض القوانين إنزال عقوبة الحبس من شهرين الى ستة أشهر والغرامة المالية لكل من يستعمل احد المخدرات بصورة غير شرعية ويتم اخضاعه للمعالجة والرقابة الصحية .

وفي الحالات التي يتقدم فيها الشخص من نفسه الى السلطات الصحية طالبا العلاج فإن على هذه السلطات ان تهيىء له ذلك وأن تكتم اسمه بناء على طلبه لعل هذا يفتح له باب التوبة ويهيىء له الظروف المناسبة لاعادته الى المجتمع بشكل طبيعي كما كان قبل الادمان .

ويصل بنا المؤلف الى نهاية دراسته قائلا : إنه ليس هناك من مهذب لطبائع الشعوب كالدين الذي يحمي الانسان ويحيطه بسياج من الوقاية يحميه من أن يقع في الخبائث بعد أن يغرس في نفسه قواعد الحلال والحرام ويعرفه على المباح والمحظور وبدون ذلك ستظل البشرية تتخبط من نظام الى آخر حتى تعود الى حظيرة الدين ..

وهنا تتجلي عظمة الاسلام الذي جعل من أهم الضروريات أن يحافظ الانسان على عقله ونفسه وماله ووقته والا يلقي بنفسه في التهلكة وحذره من أن يقرب الحرام او أن يقترب من دائرة المشتبهات حتى يستبرىء لدينه وعرضه .

أهل الكهف

مسرحية ذات فصل واحد

للأستاذ / هاشم محمد احمد

استيقظ الفتية وتباشير الفجر تنثر ضوءا خافتا داخل الكهف والسكون يلف الكون حولهم ، يرتدون ملابس سوداء بالية في حين يرتدي احدهم زيا عسكريا مرصعا بالذهب ، تنسدل شعورهم على ظهورهم ، ولحاهم السوداء كثة طويلة ، لايكادون يميزون قسمات وجوه بعضهم بعضا ، الا ان اجسامهم تتراءى لابصارهم .. الاول لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، والثاني تجاوزه بقليل ، بينما ناهز الثالث الاربعين .. وكلبهم مستغرق في نوم عميق ، باسط ذراعيه بالوصيد .

المشهد الأول

الاول : آه .. هذه اول مرة افترش فيها الارض ، إنني اشعر بآلام مبرحة في عظامي وكأن دواب صغيرة تنشر عظامي وتأكل نخاعها .

الثاني : صدقت فرغم اعتيادي افتراش الارض ، منذ أمد بعيد إلا انني لم أعان .آلاما مثل هذه من قبل .. لعلنا نمنا اكثر من يوم .

الاول : ربما . ولكن اغلب الظن ، ان المرء لاينام اكثر من يوم وليلة ، لعله تعب المسير . فلقد لقينا من سيرنا هذا نصبا لاطاقة لنا به .

(ينظر الى الثالث ، بغية جره للحديث ، ليدلي برأيه) .
الثالث : (وقد اخذ نفسا عميقا) الحمد لله الذي احيانا بعدما أماتنا ، وإليه النشور .. لاتكثرا القول بغير ذكر الله ، الله اعلم بما لبثنا !
الاول : مالي لا اراك تتأوه مثلنا ؟ ألا تحس بما نحس به ؟!
الثالث : بلى . ولكن من صفات المؤمن ، الصبر على البلاء ، والشكر على النعماء فلنصبر ولنحتسب . هلمَّ الى الصلاة ولا تجعلا للشيطان عليكما سبيلا . فما كان له على المؤمنين من سلطان .

ينهضون ويتطهرون .. ثم يجلس الشيخ على ركبتيه رافعا يديه الى السماء في خشوع وتضرع يصطفان خلفه ويصنعان صنيعه . يدعو بصوت خفيض تنساب فيه الكلمات انغاما ، يقشعر لها البدن ، ثم تأنس بها النفس ويرتاح لها السمع ، ويلين لها الفؤاد .

« اللهم ربنا ورب السموات وما اظلت ورب الارضين وما أقلّت ، ورب الشياطين وما اضلّت،ياذا العزة والجبروت ، لك الحمد كله ، ولك الملك كله ، بيدك الخير كله ، واليك يرجع الأمر كله ، علانيته وسره . احق من ذكر ، واحق من عُبدَ ، واوسع من اعطى ، واجود من سئل . لن تطاع الا بإذنك،ولن تعصى إلا بعلَمك ، تطاع فتشكر ، وتعصى فتغفر ، الحلال ما احللت والحرام ما حرمت ، والدين ما شرعت ، وانت الله العزيز الرحيم ، نحمدك ونستعينك ، ونستغفرك ونستهديك ، ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله ، اللهم إنا نسألك بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ان تصلح لنا ديننا الذي هو عصمة امرنا ، واصلح دنيانا التي فيها معاشنا ، واصلح آخرتنا التي اليها ميعادنا . نعوذ بجلال وجهك ان يحل علينا غضبك ، او ينزل بنا سخطك لبيك وسعديك والخير كله منك واليك تباركت ربنا وتعاليت ، لانحصى ثناء عليك ، انت كما أثنيت على نفسك»

تفيض أعينهم من الدمع ، وتئز صدورهم أزيز القدر على النار من شدة البكاء ثم ينصرفون من صلاتهم ، يمكث الثالث في مكانه بسكينة ووقار ، ينطلق الاول في خفة الى خارج الكهف ، يتبعه الثاني في تؤدة وتمهل ، يستيقظ الكلب .. ينهض متثاقلا ولكنه سرعان ما يستعيد قوته ونشاطه فينطلق الى الخارج في سرعة وسرور حتى اذا ادرك الاول طفق يجري هنا وهناك ويتهادى في خفة ذات اليمين وذات الشمال ، .. يخرج الثاني فيروقه المنظر فيقول في دهشة وتعجب :
ـ كم هو وفيٌّ لك إلا إنه ورث عنك العجلة والقلق
أجل ان العجلة والقلق خلقان ذميمان ، ولا ادري اي سبيل للخلاص منهما ،

فأنا لا اصبر على شيء ، وسرعان ما ينتابني الملل والسآمة ، فما احبه اليوم ابغضه غدا ، وما استأنس به الآن استوحشه بعد قليل ... دونما سبب او داع معقول .. (يعتريه الصمت والوجوم ، وتعلو سحنته سحابة من الكآبة .. يدفع الكلب بعيدا عنه في ضجر وتقزز واضطراب) :

(يعرف ذلك في وجهه) لعلك تكتم في نفسك شيئا يعذبك .. فلولا شكوت أليّ بثك .

ـ لا ادري ياأخي أي شيء ، فهناك الكثير ، لعله ..

ـ لعل ماذا ؟!

ـ لعله الندم .. طائر ضخم مخيف يخطفني ثم يرتفع حتى عنان السماء فيدعني فتهوي بي الريح في مكان سحيق ، وهكذا دواليك ـ أبد الآبدين ، ودهر الداهرين،ياله من عذاب عظيم .

ـ وعلام الندم يا أخي ؟ اربع على نفسك واعلم ان الله غفور رحيم .

ـ لايجيب،وتتداعى الى ذهنه صور ومشاعر شتى من ماضيه .

ـ لعلك لا تطمئن لي . وانت محق في ذلك .. سامحني ياأخي (يربت على كتفه توددا) فقد اقترفت نحوك ذنبا في نفسي ، وكدت اعترف لك بذلك ، ولكن الظروف لم تكن مواتية .. فهلا غفرت لي سوء ظني بك ؟

ـ ماذا ؟ (في دهشة وعجب) .

إنني الى عهد قريب ، كنت لا اطمئن اليك وكنت أتوجس منك خيفة في نفسي ، وكدت اذكر ذلك لشيخنا ولكني آثرت الروية والتبين .. (في ثورة وغضب) وما الذي حملك على ذلك ؟ او في شك انت من إيماني بالاله الواحد وحبي لكما ؟

كلا ورب هارون وموسى .

ـ ماذا إذن ؟

لاتغضب ياأخي ولاتدع الشيطان يأخذ بنفسك هذا المأخذ .

اسمع قولي ثم لك الحكم من بعد (يستطرد قائلا) هل تذكر حين دخلت علينا عند شيخنا ، ثم اعلنت إيمانك بين يديه وبايعته على صحبته ونصرة الله في الشدة والرخاء والمنشط والمكره .

ـ أجل .. أذكر ذلك .

عندئذ أرهبتني طلعتك البهية علينا في ثيابك الفاخرة المرصعة بالذهب وقامتك الطويلة ، وكبرياؤك الشامخة ، ونضارة وجهك التي تنم عن رغد العيش واستيطان النعيم ، وشعرك المسترسل المنسدل في نعومة على كتفيك ، ولحيتك المشذبة المهذبة .. عندئذ ياأخي وقع في نفسي أنك رجل من رجال

الطاغوت سلطه الله علينا ليأتي إليه برأسينا ، وظننت قولك خدعة من خدع الماكرين يستدرجون بها المؤمنين الى الفتنة والعذاب .

إذن فلأقصن عليك قصتي ـ اجل ـ صدقت في فراستك ـ فأبي هو رئيس الشرطة في قرية الرقيم ، وهو من المقربين الى الملك ممن يحفهم بكرمه ويخفض لهم جناحه،يؤدي له كل فروض الطاعة والولاء ، ويحيطه علما بكل صغيرة وكبيرة في البلاد ، وهو يحب ابي حبا جما ، ويسر اليه بأحاديثه الخاصة والعامة ، ويغدق عليه من سخي العطايا وثمين الهدايا ، وقد التحقت بالشرطة ، وتدربت على الفروسية ، وكان لي فيها باع طويل ومهارة فائقة .. فأسند لي أبي الشرطة السرية ، وكنت على رأس حملات واسعة شنت من أجل إلقاء القبض على المتمردين من علية القوم وكبار الساسة من الذين غضب عليهم الطاغوت وكان يخاف بوائقهم ولايأمن جانبهم ..

وحالفني التوفيق في ذلك الى حد جعل أبي فخورا بي وهو يقدمني الى الطاغوت على أني الفارس الشجاع والعبد المطيع الذي لايستنكف عن أداء اي امر يسند اليه مهما تكلف من متاعب ومشاق وأزهق من أنفس واوراح فداء له .. الأمر الذي جعله بعد ذلك يشرع في استدعائي وتكليفي بنفسه للقيام بمهمة القبض على أخطر رجل في البلاد يهدد أمنها واستقرارها ويقض مضجع الطاغوت وأعوانه ..

عندئذ رسمت الخطة واعددت العدة وجهزت جنودي ، وانطلقنا بقطع من الليل نجوب طرقات القرية ، حتى انتهينا الى اطرافها وعثرنا على الكوخ المنشود الذي يقطنه ضالتنا .. فضربنا حوله حصارا شديدا ، وتسللت وخمسة من اشجع رجالي حتى اتيت الباب ، فسمعت تراتيل وترانيم كأن رجلا مريضا راقدا في فراشه يتأوه ويبكي ، فدفعت الباب بقدمي في قوة شاهرا سيفي ، داعيا كل من بالكوخ الى الاستسلام او ضرب رقابهم ، وحينما جاس بصري خلال الكوخ لم يجد الا هذا الرجل .. شيخا كبيرا ، اشتعل رأسه شيبا واوهت الايام قواه ، جاثيا على ركبتيه ، رافعا يديه الى السماء يدعو ربه ان يقيه ويحفظه ويثبت قلبه على الدين ويجعل الفتنة عليه بردا وسلاما ..

عجبت لأمره يأخي فهو لم يبد خوفا او رهبة ونظر إليّ .. أمرته بالنهوض ـ هم ولكنه لم يستطع،عندئذ رق له قلبي واعنته ، قلت في نفسي .. أهذا الشيخ الضعيف الفقير هو أخطر رجل في البلاد .. ينهب مالها ويروع أمنها ؟! فأخذته واودعته السجن .. وأبلغت الطاغوت بذلك فشكر لي وقال : من شابه أباه فما ظلم .. واغدق عليّ من سخي العطايا وثمين الهدايا ، وفرح بي أبي فرحا شديدا وأخبر والدتي التي هنأتني بدورها ، ولكن شيئا ما ملك علي نفسي وجعلني مكتئبا حزينا ، وازداد حزني وأسفي حينما علمت بأمر

الطاغوت بسرعة البت في شأن هذا الشيخ والذي وصفه بأنه يعيث في الارض فسادا ويهدد أمن البلاد واستقرارها .

وكان يوم المحاكمة أشد يوم على نفسي عذابا وآلما وندما !!

القاضي : إن دعوتك الى عبادة الاله الواحد القهار وترك ما كان يعبد آباؤنا وكفرانك لما اسبغ علينا المليك من نعم ولما اغدق علينا من فضله وسخاء يديه ، وكفرانك بالأرض التي نشأت عليها تأكل خيرها وتنهل من عذب مائها ، ليعد من أبشع الجرائم وأنكرها ولا جزاء لها إلا عقوبة رادعة تجعلك نكالا وعظة لمن خلفك ، ولولا مراعاتنا لهرمك وشيخوختك ما جعلناك تمثل بين أيدينا للمحاكمة بعدما تبين من كبير جرمك وعظيم زللك ولكن عدالة الملك اقتضت محاكمتك جهارا نهارا على مرأى ومسمع من الناس في يوم مشهود ، ولسوف ننظر في تخفيف العقوبة على ان تطلب الصفح والعفو من جلالة الملك وتعترف وتقر بعظيم زللك وكبير جرمك وبأنك شيخ خرف اعتراه الجنون والهذيان .

الشيخ : مكبل في القيود والأغلال ، يقف عن يمينه وشماله حرس مدجج بالسلاح يتحول برأسه شاخصا الى الدهماء .. أيها الناس إن ربكم الله الذي هو الإله الواحد وكل أرض يعبد فيها الله وحده فهي أرضي ، وكل مليك يطيع الله ربي وربكم فله عليّ السمع والطاعة ، وإلا فانا عدوكم جميعا عداءكم لله .. انا عدو ..

تقرع الطبول ويساق الشيخ الى المنصة حيث ينشر مابين لحمه وعظمه بالمنشار ، وهو مايزال مؤمنا لايتزعزع وماردده ذلك عن دينه لحظة واحدة ! يعلو صياح الدهماء مؤيدة الحكم والعقوبة ويعلن الجمع عن وقوفه الى جنب المليك ضد اعدائه مهما كان الثمن وينصرفون وينفض الجمع .

المشهد الثاني

... عدت الى البيت وفي نفسي حزن شديد وندم عظيم لا مثيل لهما ، وعاهدت نفسي منذ ذلك الحين على أن أناصر من يقف خلف هذا الشيخ وشرعت أبحث عنهم ! حتى عثرت عليكما .. وكان من امري ما كان حتى هذه اللحظة ولكن عليك أن تؤمن يا أخي أنني احب الله حبا ملك عليّ قلبي وكياني والله على ماأقول شهيد ، واحب كل رجل آمن بالله .. (يخر باكيا ..) أربع على نفسك يا أخي ... اني مصدقك في كل ماقلت .

يخرج الشيخ الثالث فيقلّب وجهه في السماء ، والشمس قد أخذت تبسط رواءها الذهبي في الكون وتتحسس باناملها ذرى الجبال .. سبحان

الله ! (.. **هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين**) ١١ ـ لقمان

يقع بصره على هذا الفتى وهو يبكي بكاء شديدا .

ما خطبك ؟ ما يبكيك ؟ (ينحني ويميل عليه ويربت بيده على أعلى ظهره) مابك لا ترد؟ثم يخاطب الثاني وينصب قامته معتدلا .

ما خطبه ؟ لماذا يبكي ؟ فيم كنتما تتحدثان؟!

كان يقص عليّ محاكمة شيخنا الامام (رحمه الله) .

يرحم الله الامام .. فقد كان تقيا ورعا ، شديدا في الحق لايخاف في الله لومة لائم ، باع عاجلا بآجل ، ولم يشتر رضا الناس بسخط الله وصبر على بلاء عظيم .

اللهم لاتفتنابعده ، ولاتحرمنا أجره .. (تغرورق عيناه بالدمع .. ثم ينظر الى الفتى) ..

قم يا أخا الايمان واستغفر ربك واستعن على نفسك بكثرة السجود ولا تقنط من رحمة الله ، فإن الله يغفر الذنوب جميعا .

(ينهض الفتى) والله لاأبرح ، اقيم على الحزن والندم حتى يقضي الله في امري وأخشى ماأخشاه ان افتن فتنة قبل مماتي .. جزاء وفاقا .. وما احسبني اصبر صبره على الفتنة والبلاء !!

قلت لك استغفر الله ولاتكن قنوطا ، فإنه لايقنط من رحمة الله الا القوم الكافرون .

او يغفر الله لي بعد هذا ؟!

عجبا لك . سبحان الله .. إن الله ليضحك يوم القيامة من أمر رجلين يدخلان الجنة ، قتل احدهما الآخر ، فتاب الله على القاتل فآمن فقاتل في سبيل الله حتى نال الشهادة ..

طمأن الله قلبك ياشيخنا وزادك علما وتقى ..

تغمدنا الله برحمته .. إيه .. من منكما يستطيع التسلل الى قرية الرقيم ويأتينابشيء نطعمه دونما يشعر به احد من اهل الرقيم ، والا يقتلوننا او يعيدوننا في ملتهم ولن نفلح اذا ابدا !! انا لها ياشيخنا .

كلا بل أنا ..

يبتسم ضاحكا ، اذن فلنستهم ... يستهمون ثلاثا وفي كل مرة يأتي السهم من حظ الاول .. إذن فاذهب يا (تمليخا) وخذ حذرك وكن حريصا أشد الحرص .. ودع كلبك او خذه كما تشاء وإن وقع ما نكره فاثبت واصبر على

الفتنة . حفظك الله وسدد خطاك .
سأصطحب معي كلبي فإن اصابني مكروه ، فسوف يقفل عائداً إليكما منذرا ومعلما ...

ينطلق(تمليخا) في طريقه الى قرية الرقيم لا يلوي على شىء ولايكترث بالسهل والوعر والكلب في اثره .. حتى اذا دنا منها لايكاد يتعرف على شىء منها ، يعتريه الوجوم والدهشة فيتساءل في نفسه .. هل ضللت الطريق ؟! كلا .. انه نفس الطريق الذي تسللنا خلاله ليلا الى الكهف .. لعل .. ثم يصمت ..

وطفق يدنو منها ويقترب الا ان الدهشة والذهول لا يبرحان يقيمان في ذهنه ويرتسمان على ملامح وجهه حتى اذا اقترب من البوابة باغتته جنود في زي غريب ،مدججون بأسلحة غريبة عليه ، واوسعوه ضربا وركلا حتى انهار مغشيا عليه ، وجعل الكلب ينبح ، وخرج الشيخ والفتى وفطنا لما حدث وجعلا يبكيان ويسألان الله تثبيت صاحبهما وافراغ الصبر عليه في فتنته وبلائه ثم يدخل الشيخ الكهف يتبعه الفتى فيتمددان على فراشهما ويسمع الفتى الشيخ يقول :

اللهم هذه فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي بها من تشاء لك الآمر والخلق سبحانك وبحمدك .. ثم يضرب على آذانهما الى ان يقوم الناس لرب العالمين .. ويدخل الكلب يلف حولهما ثم يرقد موسدا رأسه ذراعيه الاماميتين يرقبهما ثم يغمض عينيه الى الابد ... تقع صخرة كبيرة لتسد باب الكهف ...

لا تظلموا أنفسكم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ في خطبته في حجة الوداع : أيها الناس ، اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن انفسكم ، اللهم هل بلغت ؟ قال الناس : اللهم نعم ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : اللهم أشهد » .

الفتاوى

حول الجائز وغير الجائز في الصلاة

أسئلة كثيرة ومتنوعة وردت الى المجلة منها هل البكاء يفسد الصلاة ؟ والمصلى إذا فتح الباب تبطل صلاته ام لا ؟ ولو أحس من يصلى بخطر يقطع الصلاة ام لا ؟

البكاء في الصلاة لا يبطلها إذا كان قاصرا على نزول الدمع او التأوه البسيط، أما الصراخ والكلام الذي ليس من مصلحة الصلاة ، فانه يبطلها ، قال تعالى « **واذا تتلى عليهم أيات الرحمن خروا سجدا وبكيا** » والاية عامة تشمل المصلى وغير المصلى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وفي صدره ازيز كأزيز المرجل من البكاء ـ يعني كان صدره صلى الله عليه وسلم يغلى من البكاء من خشية الله تعالى فيسمع له صوت كصوت القدر عند غليانه بالماء . وكان سيدنا ابو بكر رضى الله عنه اذا صلى لا يملك دمعه ، وإذا قرأ القرآن بكى .

وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم .

فالبكاء بهذه الصورة لا يبطل الصلاة عند جمهور الفقهاء .

أما اذا كان الباب في القبلة فيجوز للمصلى ان يفتحه ان كانت الخطوات اليه قليلة ، لما روته عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى في البيت والباب عليه مغلق ، قالت فجئت فاستفتحت فمشى ففتح لي ثم رجع الى مصلاه ، ووصفت أن الباب كان في القبلة ، أما اذا كان الباب في غير جهة القبلة او كان بعيدا فلا يجوز الانحراف عن القبلة ولا يجوز المشي في الصلاة ايضا ، واذا أحس من يصلى بخطر كصوت استغاثة او شم رائحة حريق او رائحة الغاز مثلا وجب قطع الصلاة لمنع الخطر قال تعالى (**ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة**) أما النداء العادي على المصلى ، او دق جرس الهاتف او غير ذلك من الامور المعتادة فلا يجوز معها قطع الصلاة حيث لاخطر من الاستمرار فيها .

وبكاء الطفل وامه في الصلاة لايجيز قطع الصلاة ولها ان تخفف الصلاة تخفيفا لا يخل بصحة الصلاة روى الجماعة عن انس رضى الله عنه عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال : إني لأدخل في الصلاة وانا اريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم بعد شدة من امه من بكائه » فلا ينبغي التمسك باتمام الصلاة عند الخطر كما لا يجوز قطع الصلاة لأمر معتاد .

« العدل المطلوب »

مهندس في الكويت له مشكلة زوجية يقول لي زوجتان احداهما معي هنا والثانية في بلدي وعزمت على النزول من الاجازة ولكن زوجتي تصر على النزول معي وعلى عدم السماح لي بالذهاب الى الزوجة الاخرى المقيمة هناك الا بعض ايام فما هو الواجب شرعا ؟

قرر الاسلام وجوب العدل بين الزوجات عند التعدد يعدل الرجل بين زوجاته في الاطعام والكسوة والسكنى والمبيت وسائر الحقوق المادية ، من غير تفرقة بين الغنية والفقيرة ولا بين الصغيرة والكبيرة ، ولا بين الجميلة ومن هي دونها في الجمال ، فان خاف الجور وعدم العدل بينهن حرم عليه التعدد ووجب ان يقتصر على واحدة ، قال تعالى « **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا** » يعني أقرب ألا تجوروا .
على الزوج إثم كبير اذا ظلم واحدة على حساب الاخرى ونقول للسائل إن كان لك ميل قلبي لاحداهما فهذا امر لا ارادة لك فيه لأن الحب ليس في يدك أما ما عدا ذلك فتكون ظالما وأثما لو فضلت احداهما على الأخرى وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » رواه ابو داود والترمذي والنسائي .

قال الفقهاء اذا سافر الزوج فله ان يصطحب من شاء من نسائه وان أجرى قرعة بينهن كان حسنا ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها » .

وعلى هذا اذا نزلت الاجازة فعوض التي في بلدك حرمانها منك اثناء سفرك .
لعل الزوجة التي تعيش معك تمتثل لاوامر الاسلام ولا تعينك على ظلم .
ضرتها عليها الطاعة والامتثال ما دام ذلك في حدود ما شرع الله .
وعليها ان تحب لغيرها ما تحب لنفسها وإن أصرت على رأيها فلا تطعها حيث لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

« مشكلة غلاء المهور

القارىء حسين محمود من البحرين ارسل الى المجلة شاكيا من مشكلة غلاء المهور وانه تقدم للزواج من فتاة اختارها شريكة حياته ولكن اهلها فرضوا لها مهرا خياليا حال دون اتمام الزواج ثم يقول كثير من الشباب غيرى في اغلب البلاد العربية يعاني من غلاء المهور ، فماذا افعل ؟

فعلا هذه المشكلة لها خطورتها في المجتمع وكانت شائعة في الجاهلية فلما جاء الاسلام حاربها قولا وفعلا أما قولا فعن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة » وقال : يمن المرأة خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها وشؤمها غلاء مهرها وعسر نكاحها وسوء خلقها » . أما عملا فالرسول صلى الله عليه وسلم ما تزوج ولا زوج بناته بأكثر من اربعمائة درهم وكان عمر رضى الله عنه ينهى عن المغالاة في المهور ، وعلى هذا درج السلف من عظماء الأمة مهما بلغوا من علم وأدب وكان المهر عندهم رمزا لقوامه الرجل على المرأة بعدا عن مظهر المفاخرة التي تندثر عندها مقاصد الزواج واذا كان هذا امرا مرغوبا في عصر الايمان والخلق الكريم ، فأولي أن يتجه الناس اليه في عصر كثر فيه الانحراف وخف وزن الأخلاق الأولياء مسؤولون عن عزوف الشباب عن الزواج وعن عنوسه الفتيات التي لا يرضاها الاسلام وعن فتح منافذ الفتنة بين الشباب إن هذا الجمود أدى الى كثرة الشكوى وقسوة المعاناة وقد اصبح الحلال اصعب منا لا من الحرام ، البنت التي كرمها الاسلام ليست سلعة تباع بثمن أكثر ومهرا زيد لا ينبغي لتمسك بجور التقاليد ولا يجوز اهمال أداب الاسلام وتعاليمه ، واذا كان الشاب المتقدم للزواج على جانب من الخلق وحظ من الدين فهو خير من الذهب وافضل من المال والاباء والاولياء إن ردوا مثل هذا الشاب او وضعوا في طريق مصاهرته العوائق عليهم مسؤولية واثم كبير لانهم بالتحكم الجاهلي ساعدوا على شيوع الفتنة ونشر الفساد وان كانوا لايقصدون ذلك جاء من الحديث الشريف « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » الحل بيد الأولياء إذا استجابوا كان خيرا لهم ولبناتهم ، وان ابوا فحسابهم عسير وعلى مثل السائل ان يطرق باب آباء استناروا بالاسلام وتخلصوا من مخلفات جاهلية ولعل القلوب تتفتح الى الدعوة المعاصرة في البلاد العربية وهي تحض الاولياء على عدم التغالى في المهور وتضع لها حدا لا تتجاوزنه في ذلك ولا شك خير يحس المجتمع المسلم بأثره الطيب المبارك .

من أخبار العالم الاسلامي

حرب الخليج العربي

هكذا يطلقون على الحرب الدائرة بين العراق وايران منذ سنوات .. « حرب الخليج » تلك الحرب المدمرة .. والتي لا معنى لها الا الخراب والدمار ، والـهـلاك ، والمـوت الجمـاعـي والعشوائي وإزهاق أرواح الأبرياء وترويع أمن الانسان المسلم في بيته ووطنه . دخلت تلك الحرب الملعونة مرحلة أخرى من مراحل الصراع أقسى ، وأنكى وأشد . فالصواريخ تهدم البنيان : البنيان الانساني ، والبنيان المادي ، وتدمر الحضارات في بغداد العرب والمسلمين وغيرها من البلاد الشاهـدة بمجد الاسـلام ، وعظمة الخلفاء وفي طهران وقم وغيرها من بلاد يعيش فيها إخوة في الدين . انه لشيء محزن ومؤسف بل يكاد يكون خروجا عن الدين وعن منطق العقل ، أن تظل الحرب قائمة وأن تشتـد ضراوة ، وأن تتحول قطرات الدماء الزكية الى انهار لا تجف . ووزر ذلك ينوء بحمله أكتاف البغاة .

الا ليت الصـواريخ والطـائـرات ، والزوارق الحربية تحولت الى العدو المجرم في أرض فلسطين ، لتكون دعما وسندا لأطفال ونساء وشيوخ وشباب وفتيات يقاتلون بالحجارة .

الانتفاضة الفلسطينية

هـل هي انتفاضـة .. أو ثورة شعبية ، يقودها الاخوة هناك ، بعد أن يئسوا من مساندة الاخوة في خارج وطنهم ولم يعودوا يطيقون الصبر على مذلة احتلال العدو لأراضيهم انهم يرددون « الله أكبر » يصرخون بها في وجه العدو المدجج بالسلاح والعتاد ، ويلقون في وجهه بالحجارة فبوركت حجارتهم ... وانه لمحزن حقا ان تكون أسلحتهم الحجـارة . وفينـا مـن يستطيـع أن يجعـل أسلحتهـم الصاروخ والمدفع والقنابـل وحول الانتفاضة كتبت «الديلي تلغراف» تقول ، كما نشرته جـريدة القبس الكويتية :

تحسب اسرائيل انها خاضت ستة حروب في تاريخهـا القصير وهـذه الحرب هي : حرب « الاستقلال » عام ١٩٤٨ ، وحـرب السـويس عـام ١٩٥٦ ، وحرب ١٩٦٧ ضد مصر وسـوريـا والأردن « وحـرب الاستنزاف » التي تلتها ، وحـرب



« يوم الغفران » عام ١٩٧٣ ، وحرب لبنان عام ١٩٨٢ . ويضيف بعض المؤرخين الاسرائيليين الى هذه الحروب الستة حربا سابعة هي : «الحرب ضد الارهاب » التي هي حرب مستوطنة كانت عملية الانقاذ التي تمت في عينتيبي اهم انتصار فيها .

واذا سلم العالم بتلك الحرب السابعة ووافق عليها فانه يتوجب على اسرائيل أن تعترف الآن بحرب ثامنة ، هي الحرب الداخلية ضد العرب في المناطق المحتلة والتي اندلعت لتوها فقط ولكنها تهدد بأن تبقى مستمرة مثل الحرب « ضد الارهاب » . كما أنها ايضا تختلف عن تلك الحرب ، في أنها تهدد باصابة اسرائيل بهزيمة خطيرة ، ليس بقوة الأسلحة في الميدان ولكن بافساد المبادىء التي قامت عليها « دولة اسرائيل » وافساد الادارة التي حمت اسرائيل وجودها منذ ٤٠ عاما .

فجيش « الدفاع » الاسرائيلي « زاهال » ينفذ أسلوب القتال الذي في حوزته والذي تعلمه فقط وهو يعاني الآن من مشاكل عميقة بسبب مضامين هذه الحرب الثامنة .

والسؤال الذي سيسأله المراقب الخارجي هو : لماذا لم يلجأ العرب في المناطق المحتلة في وقت مبكر الى تكتيكات المقاومة التي تلطخ وتشوه ليليا سمعة اسرائيل على شاشات التلفزيون في العالم ؟

لقد تعرض المليونا عربي في الضفة الغربية وقطاع غزة لوطأة الحكم العسكري الاسرائيلي طيلة عشرين سنة ، فطالبوا بحقوقهم وتغنوا بمآثر منظمة التحرير الفلسطينية ولكنهم لم

يفعلوا شيئا تقريبا حتى الآونة الأخيرة لجعل حياة محتليهم العسكريين غير مريحة .
وفجأة ، منذ ديسمبر ، بدا سكان القطاع والضفة الغربية وكأنهم قد التهموا تاريخ ايرلندا في لقمة واحدة فمثل كاثوليك ايرلندا الشمالية عام ١٩٦٩ ، اكتشفوا ان رمي الحجارة بعد الظهر يساوي دستة مناظرات ومحاولات في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وان اثارة اضطراب يحفز الاسرائيليين على اطلاق النار فيؤدي لشهادة شاب صغير ، له اهمية اخبارية أكثر من استقبال البابا لياسر عرفات .

القاهرة :

مؤتمر الدعوة الاسلامية

القاهرة ـ مكتب السياسة

اكد الرئيس المصري محمد حسني مبارك في كلمته التي وجهها الى اعضاء مؤتمر بحوث الدعوة الاسلامية الذي بدأ اعماله امس بالقاهرة بان الامة الاسلامية مطالبة بان تقف يدا واحدة في مواجهة الاخطار التي تهدد كيانها ووحدتها . وفي مقدمة هذه الاخطار الصراع الدامي بين دولتين اسلاميتين .. والذي يزعم المصرون على استمراره ان عدوانهم مد اسلامي .. وان عملهم الدموي جهاد من اجل الاسلام . هذا رغم ان الاسلام يحرم بكل وضوح وصراحة سفك المسلم لدم اخيه المسلم ويؤكد ان دمه وعرضه وماله حرام كحرمة بيت الله في ارض الله في يوم الحج الاكبر .
كما تحدث الرئيس ايضا عن الخلافات المذهبية التي تظهر المسلمين وكأنهم ينتمون الى ديانات مختلفة مما يتسبب في تفتت وحدتهم وتفريق شملهم .
وطالب الرئيس المؤتمرين بالاهتمام بجوهر الدعوة والبعد عن المظاهر وعدم اضاعة الوقت والجهد في جدل عقيم لا يعود بالنفع على عالمنا الاسلامي قائلا : ان هذا كان يحدث في الماضي وانه من اسباب تخلفنا .
وركز الرئيس مبارك في كلمته على معالجة السلبيات وبذل الجهد من اجل تحقيق النهضة المأمولة في شتى المجالات العلمية والاقتصادية والاجتماعية .
وتحدث الرئيس عن الجماعات المتطرفة واكد ان هذه الجماعات تخالف قيم وتعاليم الدين الاسلامي السمحة من الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي احسن .
واكد الرئيس مبارك ان الأمة

الاسلامية بدأت تأخذ طريقها الى النهوض والرقي بجهود علمائها وزعمائها وبتضحيات ابنائها وشهدائها .

واضاف الرئيس مبارك قائلا : ان الدعوة الاسلامية الرشيدة هي القادرة على حماية هذه المكاسب بل على صون الفكر الاسلامي والامن الاسلامي من كل ما يهدده من مخاطر وما يعترض طريق ازدهاره من عقبات ومؤامرات .

كما انها مطالبة بان ترشد الشباب الى طريق الاسلام الصحيح الداعي الى حب الوطن والعمل الجاد الخلاق من اجل ازدهار ورفاهية الامة الاسلامية .

هذا بالاضافة الى مهمتها الاولى في هذا العصر وهي تصحيح الفكر المتطرف وان توضح لاصحابه من خلال الحوار العلمي المخلص الشجاع ما في هذا الفكر من شوائب غريبة عن جوهر الاسلام وهي شوائب ربما تكون قد علقت بهذا الفكر نتيجة لعدم الفهم او الاحاطة بالعلم .

واوضح الرئيس مبارك ان الدعوة الاسلامية مطالبة بان توضح للحكام المسلمين الذين يحاربون اخوانهم في الدين ان هذا الذي يصنعون ليس من الاسلام . واكد ان الدولة الاسلامية لا ينبغي ان تهدد جيرانها باسم الاسلام ويجب كذلك تكوين رأي عام مسلم قوي يرفض ان يقتل المسلم اخوانه في جيش مسلم اخر .. او ان تهدد دولة مسلمة جارة لها مسلمها .

وفي ختام كلمته طالب الرئيس مبارك بان يهتم المؤتمر بتوضيح صورة الاسلام الصحيحة وتعاليمه السامية الرفيعة وحضارته الانسانية السامية من خلال منهاج علمي سليم خاصة بعد ان اساءت بعض العناصر المتطرفة الى صورة الاسلام امام العالم الخارجي .

وكان الرئيس مبارك قد القى كلمته امام وفود المؤتمر بقاعة الامام محمد عبده بجامعة الازهر وشهدها رئيسا مجلس الشعب والشورى ورئيس مجلس الوزراء ونواب رئيس الوزراء والوزراء ولفيف من اعضاء مجلس الشعب والشورى ووزراء اوقاف الدول الاسلامية .

وفي تصريح خاص لـ « السياسة » قال فضيلة الامام الاكبر الشيخ جادالحق علي جاد الحق ان المؤتمر يلقي اقبالا وترحيبا من مختلف الهيئات والمنظمات الاسلامية في العالم ويحضره ممثلون عن رابطة العالم الاسلامي والمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم ومجمع الفقه الاسلامي واتحاد البنوك الاسلامية بالاضافة الى رؤساء الجامعات الاسلامية والمسؤولين عن المراكز الاسلامية في اميركا واوروبا والاتحاد السوفياتي .

وحول القضايا التي يناقشها المؤتمر قال فضيلة الامام الاكبر : يناقش المؤتمر عددا من القضايا الاسلامية المعاصرة وفي مقدمتها التنسيق بين الهيئات التي تعمل في مجال الدعوة الاسلامية والتيارات الفكرية التي تستهدف تضليل الشباب المسلم .. القضية الثالثة هي قدسية الحرمين

الشريفين والمسجد الاقصى .. واخيرا دراسة وضع الاقليات المسلمة في العالم ومسؤولية المسلمين تجاهها .

واكد فضيلة الامام الاكبر ان هذه القضايا تمثل قاسما مشتركا بين الدول والمنظمات المشاركة في المؤتمر . بالاضافة الى القضايا الاخرى التي حفل بها العالم الاسلامي في السنوات الاخيرة مثل قضية الحرب العراقية الايرانية والاحتلال السوفياتي لافغانستان . وغير هذا من القضايا التي قد يثيرها المؤتمرون مما يخص بعض الشعوب او الطوائف الاسلامية .

واضاف فضيلة الامام الاكبر قائلا : وكما ترى فجميع الموضوعات المطروحة هامة . وان كنا سنولي موضوع التنسيق بين الهيئات والجمعيات الاسلامية الاهتمام الاكبر لتستطيع هذه الهيئات ان تقوم بواجبها على الوجه الاكمل الذي يخدم الاسلام والدعوة الاسلامية .. خاصة وان الوقت قد حان للوصول الى كلمة اخيرة في بعض المسائل التي طال فيها البحث وتحتاج الى اجتهاد .. خاصة تلك المسائل التي لم ترد بها نصوص .. ومنها المعاملات الاقتصادية والمعاملات التي لم يسبق لها صور في الماضي ، ولاشك ان ادارات الفتوى ومجامع البحوث في الدول الاسلامية ينبغي ان تأخذ الامر بجدية وان يكون هناك لقاء دائم بينها لتتلاقى الافكار وهذا هو الطريق الذي ينبغي ان يسلكه علماء المسلمين ، وهو من الامور التي ستخضع للنقاش في مؤتمرنا لنصل الى الاستقرار في كافة الامور والقضايا الاسلامية .

واضاف فضيلة الامام الاكبر قائلا : ان الشباب مستهدف في هذا العصر ويجب ان ننتبه لمواجهة هذه الاخطار . ثم اننا اذا نظرنا الى الأمة العربية نجدها قلب الاسلام والمسلمين ومن هنا كان الحرص على ان تظل الامة العربية واللسان العربي في موضعه موضع القلب . وهذا امر جاد وحيوي ، ويحتاج الى تنسيق ، ولا اقول وحدة او اتحاد فهذا امر سابق لاوانه ، حتى يمكن حماية الشعوب العربية والاسلامية من الافكار الموفدة ، والتي قد توجه بصيغة اسلامية لا يدركها الا رجال الدعوة ولو فعلنا هذا لنشأت اجيالنا المقبلة على هدى الاسلام وعلى تعاليمه وبذلك يمكن ان نقيها شر التيارات الوافدة .

وحول توصيات المؤتمر وكيفية تنفيذها قال الامام الاكبر : لا ينكر احد ان هناك بعض القصور في متابعة تنفيذ قرارات المؤتمرات التي تكاثرت في العالم الاسلامي الا اننا بدأنا نراجع توصيات المؤتمرات التي عقدها الازهر الشريف خلال السنوات الماضية وسنعمل باذن اله على متابعة تنفيذ هذه التوصيات . وكما ترى فمؤتمرنا هذا ينعقد تنفيذا لتوصيتين من توصيات المؤتمر الرابع للسيرة النبوية .

لذلك اطالب الجهات والهيئات التي تدعو لاقامة المؤتمرات الاسلامية ان تتولى متابعة تنفيذ توصياتها .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .
★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .
★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .
★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .
★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .
★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .
★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .
★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .
★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .
★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .
O الكويت O : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

قالت عائشة رضي الله عنها :

ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان

وما رأيته في شهر أكثر صياماً منه في شعبان

محمد مؤذن ١٤٠٨هـ

(رواه البخاري ومسلم)

طبع في مطابع دار السياسة - الكويت

محتويات العدد

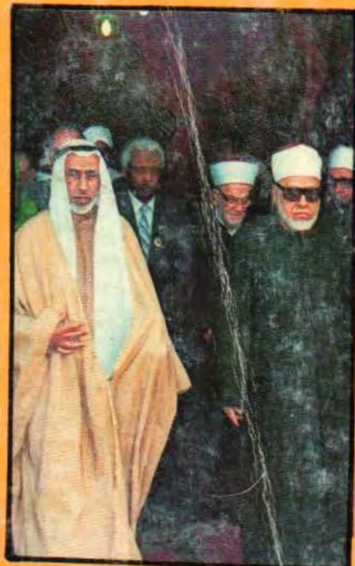
هديتك مع العدد
مجلة براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٨٥ ـ رمضان ١٤٠٨ هـ/ إبريل ـ مايو ١٩٨٨م





في رحاب الأزهر،

شئون الدعوة

الإسلامية

استطلاع المجلة ص ٧٢



الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٨٥ ـ رمضان ١٤٠٨ هـ/ إبريل ـ مايو ١٩٨٨م

تصدرها

وزارة الاوقـاف والشئـون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المـزيد من الـوعي ،

وايقـاظ الـروح ،

بعيدا عن الخـلافـات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة

دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

الثمن

البلد	الثمن	البلد	الثمن
الكويت	٢٠٠ فلسا	تونس	٢٥٠ مليم
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما	الاردن	٢٠٠ فلس
السودان	١٥٠ مليما	اليمن الشمالي	ريالان
السعودية	ريالان	قطر	٣ ريالات
دولة الامارات العربية	٣ دراهم	سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
البحرين	٢٠٠ فلس	المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكرى الإسراء والمعراج والانتفاضة المباركة

ألقى وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية الأستاذ/ محمد ناصر الحمضان كلمة الوزارة في حفلها الذي أقامته في مسجد الدولة الكبير بمناسبة ذكرى الاسراء والمعراج على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وقد ابتدأ الحفل بتلاوة القرآن الكريم .. فكلمة سعادة الوكيل، ثم تتابع الخطباء فألقوا كلمات تتناسب وجلال الذكرى، واستعرضوا ما يعانيه الأقصى السليب من العدو الاستيطاني، وما يبذله اهل البيت المقدس من الجهاد بالنفس والمال وأسلحتهم «الحجارة» في الوقت الذي تنهال فيه الصواريخ في حرب الخليج الدائرة بين العراق وايران منذ ثماني سنوات لتحصد المئات من أرواح المسلمين، وتهلك الحرث والنسل وتخرب الديار، فهلا تحولت هذه الأسلحة الى صدور عدو يكسر أيدي أطفال فلسطين الذين يلقون عليه حجارتهم؟! نرجو ونأمل وندعو الله ..

ومع نص كلمة سعادة الوكيل:



الأصالة الاسلامية للبقاع المقدسة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

أما بعد ،

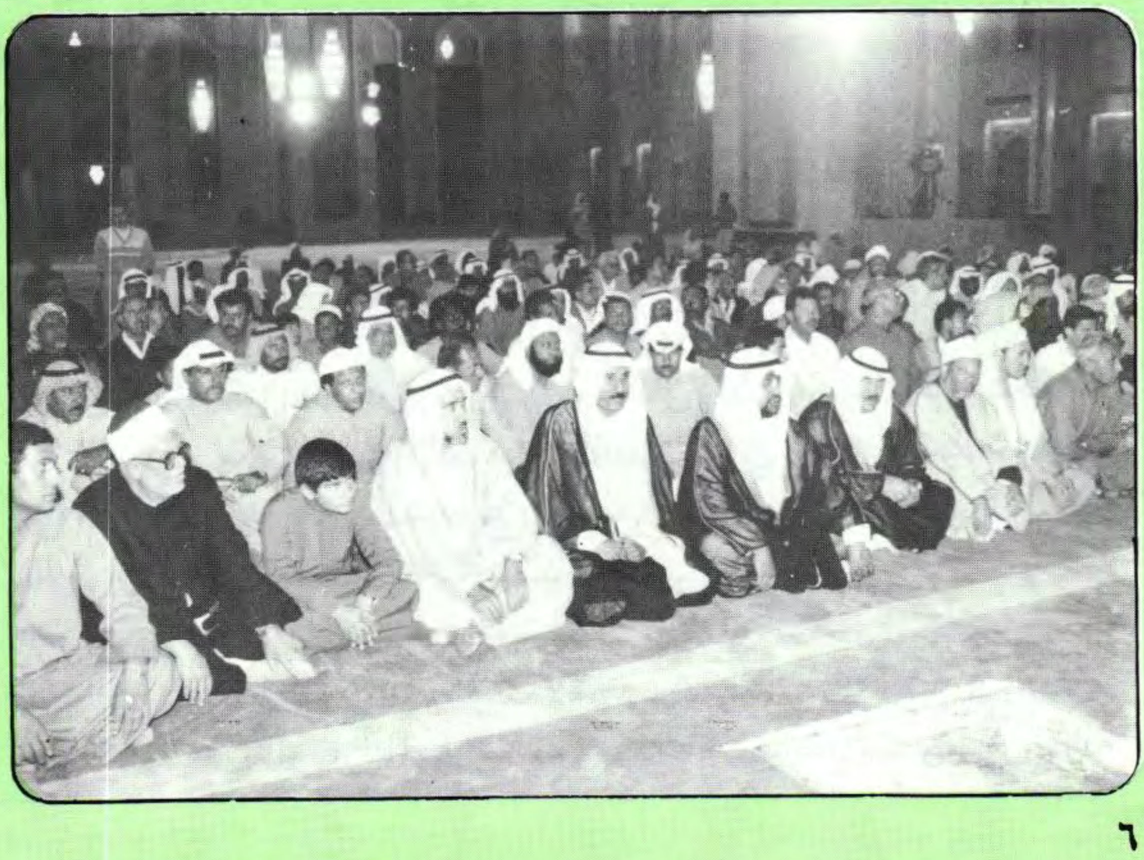
فإن ذكرى الاسراء والمعراج بالاضافة الى أنها تشكل منعطفا متميزا في مسيرة الدعوة وسيرة الداعية عليه أفضل الصلاة والسلام فانها ذات مغزى خالد عميق في تأكيد الأصالة الاسلامية للبقاع المقدسة بعد أن شرفها الله بالمسجد الأقصى الذي بورك هو وما حوله وفضلها بمسرى الرسول صلى الله عليه وسلم ، مصداق ذلك قول الله عز وجل : (**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير**) فكان هذا قطعا لدابر المؤامرات على الحقوق التاريخية للعرب والمسلمين على فلسطين السليبة والقدس المغصوبة والتي شهدت في العصر الحاضر أسوأ النكبات . وقد تعرض المسجد الأقصى لاحتلال كاد يبلغ في احدى المرات قرنا من الزمان الى أن قيض الله له من ينصره ، ولسان حاله

كما قال الشاعر :

المسجـد الأقصى يئـن مقيـدا
مسرى الـرسـول يهيب بـالأجنـاد
لبـوا نـدائي ، فـاليهـود بسـاحتي
فـعلـوا صنـوف الظلـم والافسـاد
كـي يشـهـد التـاريـخ أنـا أمـة
تحمـي الحمى بـعقيـدة وجـهـاد

طال بهم الانتظار فجاهدوا بالحجارة

وها هو المسجد الأقصى يشهد انتفاضة أهله تأكيدا للحق الاسلامي في تلك البلاد العربية الاسلامية ، وها هي تتأجج ثورتهم الذاتية التي يشارك فيها الشباب والكهول والنساء والأطفال بما استطاعوا من قوة ، يرجمون بالحجارة عدوا غاشما مدججا بالسلاح مجردا من معاني الانسانية ، بعد أن طال بهم الانتظار ، وصبروا وصابروا للحفاظ على هويتهم ومقوماتهم ، وان علينا أن



نقدر هذه الانتفاضة حق قدرها ، وأن نمدها بأسباب النجاح لتحقيق أهدافها ، بالدعم المادي والمعنوي ، وبكل ما يتطلبه واجب النصرة لمن استنصرونا في الدين (**وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر**) ، (**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**) .

حماية المقدسات الاسلامية واجب كل مسلم

ان حماية المقدسات الاسلامية وا جب موجه الى كل مسلم يؤمن بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، ويأخذ من منهج القرآن والسنة دليلا ويسير على نهج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم والسلف الصالح غفر الله لهم ولجميع اخواننا الذين سبقونا بالايمان . وما أشنع الاعتداءات الآثمة التي تتعرض لها مقدساتنا الاسلامية في هذه الأيام بالكيد لها أو المساس بحرمتها من اعداء الاسلام والمسلمين .

وليس منا ببعيد ما يتعرض له المسجد الأقصى الذي نحتفل اليوم بذكرى الاسراء اليه ، وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين وأحد المساجد الثلاثة الفاضلة التي قال فيها الرسول الكريم صاحب هذه الذكرى : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا» .

ان تحرير المسجد الأقصى والديار المقدسة التي منيت بالاحتلال الصهيوني أمانة في أعناق المسلمين ، وان بسالة اهلها

الأوفياء رغم ظروفهم العصيبة وامكاناتهم البسيطة لجديرة بأن تدفعنا لبذل كل ما في الوسع لازالة معاناتهم ، وانهاء الاحتلال الغاشم .

حرب طال أمدها .. أما آن لها أن تضع أوزارها ؟

واذا كانت هذه المأساة قد شدت أنظار العالم من جهة فان هناك في الجهة المقابلة الحرب الضروس التي طال أمدها بين الجارتين المسلمتين وجلبت الدمار للأنفس والأموال والطاقات وجعلت بأس المسلمين بينهم،وعسى ان يكون بعد هذا الليل فجر مشرق بجهود قادة الأمة الاسلامية وتحرك صاحب السمو أمير البلاد رئيس المؤتمر الاسلامي وعسى أن يستجيب من لم يجنحوا للسلم حتى الآن .





المنطلق كامن في وحدتنا الداخلية

ولئن كان هذا بعض ما تجيش به هذه الذكرى من معان ، تجديدا لدور حادثة الاسراء والمعراج في جمع الكلمة على منهج الاسلام ، وتطهير الأمة مما يشوب وحدة صفها ، فان الاعتصام بحبل الله جميعا لا يقتصر على الجبهة الخارجية ، بل ان منطلقه هو تحقيق الوحدة في صفوفنا الداخلية ، والألفة بين قلوبنا ، والتعاون على البر والتقوى في مسيرة البناء ، للحفاظ على أصالتنا ، ومواكبة عصرنا في أساليب النهضة ، ووسائل الدعوة ، وبذلك نعي أسرار ما حفلت به السيرة النبوية وما رمزت اليه حادثة الاسراء في إحقاق الحق ، وتعزيز معطيات العلم وبذلك نكون (**خير أمة أخرجت للناس**) .

ولا يفوتني في هذه المناسبة أن أرفع الى صاحب السمو أمير البلاد والى ولي عهده الأمين أطيب التحيات والدعوات بأن يجري الله على أيديهما الخير لهذا البلد ، وأن يكلل المساعي المبذولة منهما لخير الاسلام والمسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

القرآن الكريم

القرآن الكريم هداية العالم إلى الله عز وجل ، ودستور الحياة الذي يضع القواعد العامة للحضارة السامية التي يريدها

الاسلام الحنيف ، ويحمل الى البشر روحا ربانية عظيمة تبغى صبغ الحياة بصبغة إيمانيـة تتحقق بها مصـالح الأفـراد

والجماعات وينتقل بالناس الى الحياة الأبدية آمنين سعداء وفرحين مطمئنين .

والقرآن الكريم منهج مستقيم ، وقدوة حسنة ، وهو مفتاح السعادة للخلق في الدنيا والاخرة ، وقد جعله الله تعالى أمانا

للبشرية ، وشاطىء نجاة للعالم . من اتبعه سلم وفاز ، ومن جعله وراء ظهره ضل وغوى . قال الله تعالى « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » المائدة آية ١٥و١٦ .

تأثيره في الخصوم وفضله على أتباعه

للاستاذ /
محمد الدسوقي محمد

وهو مرجع البشر في عقائدهم ، ومبادئهم ، وغايـاتهم . وهو الحكم الفصل بين الناس فيما يختلفون فيه من أمـور تتعلق بمنـاحي الحيـاة المختلفة . قال تعالى « **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا ممـا قضيت ويسلموا تسليمـا** » سورة النساء آية ٦٥ .

كما أنه العاصم من التردي في الرذائل ، والسير وراء الفتن والتخبط في اعتناق الآراء المضللة والمذاهب الخربة ، وهو سياج عظيم يحمى من التيارات الالحادية والأفكار الهدامة .

وإذا كانت الكتب السابقة عليه قد نالت منها ايدي الآثمين بالتبديـل والتحريف وهذا ثابت بقول الله عز وجل « **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحـرفون الكلم عن مواضعه** » سورة المائدة آية ١٣ . وقوله عز وجل « **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا** » سورة البقرة آية ٧٩ ـ. فقد شاءت إرادة الرحمن الرحيم ان تكون للقرآن الكريم صفة الدوام والخلود ، لذا تولى الله عز وجل حفظه من التحريف والتبديل والتغيير ولم يسند تلك المهمة العظمى لأحد من البشر .

قال تبارك وتعالى « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » سورة الحجر آية / ٩ .

● البشرى الطيبة ●

لقد تميز القرآن الكريم بالدعوة المتأنية ، فكان نزوله مفرقا ليجيب على مايطرح من أسئلة كانت تعن في حينها لأصحابها ، وليرد كيد الأعداء ، ويكشف مآربهم الوضيعة ، ويوجه المؤمنين الى المزيد من الاستمساك بالدين الحنيف الذي هدوا اليه .

وقد فاقت هداية القرآن الكريم كل هداية ، وكيف لا يبلغ هذه المرتبة العظمى وهو كلام رب العالمين الذي جعله دليل الاصلاح . ومصباح الارشاد وسبيل الحكمة ، وآية الله الناطقة .

ففي مجال العقيدة دعا إلى توحيد الله تعالى ، ووضح عظمته وقدرته ، ودعا الى نبذ عبادة الاصنام والأنداد ، وفي مجال العبادة شرع العبادات ليربط المؤمن بربه فيما يؤديه من شهادتين وصلاة وصيام وزكاة وحج .

وفي مجال التشريع شرع للناس ما يلزمهم ، وما يحتاجون اليه في سلوكهم ، وحرم عليهم ما يضرهم ويقوض اركان مجتمعاتهم ، وبين للناس الطريقة المثلى في علاقات بعضهم ببعض أفرادا وأزواجا وحكومات وشعوبا ودولا وأجناسا .

وبالاضافة الى ان القرآن الكريم هداية للبشرية ومنجاة لها من التيه والضلال والعبث ، فإنه بشرى طيبة لمن يحسن التمسك بقواعده ويتحلى بقيمه ويخضع حياته في صغيرها وكبيرها لمبادئه وأصوله قال تعالى

« **إن هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا** » سورة الاسراء آية ٩ .

وقد عنى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بتوكيد هذا الدور العظيم للقرآن الكريم بقوله عليه الصلاة والسلام (إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم . إن هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين ، والشفاء النافع . عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن اتبعه . لايزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ..) رواه الدارمى في مسنده .

والقرآن الكريم نعمة تعطى للناس ، وتقرب إليهم ، وتيسر لهم ظروف ومناسبات الحياة مع رياضة خاصة أو عبادة خاصة ، والناس يستبينون منه الهدى ، والبينات من الهدى في تفسير الحياة وتدبيرها . والقرآن الكريم في ذلك فرقان واضح يفرق بين الحق والباطل ، ويتميز به تاريخ الانسانية في عصره عن عصر قبله ، وهذا معنى الفرق والتميز في كلمة الفرقان الذي فيه آيات بينات .

ولسوف يبقى القرآن الكريم محفوظا في الصدور وفي السطور ما بقى الزمن وما بقيت الدنيا ، ذلك لأنه كلمة الله تعالى الباقية الى أن تقوم الساعة ، ويقوم الناس لرب العالمين .

والقرآن الكريم معجزة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المقروءة والباقية والتي حوت اسباب السعادة والنجاة لا للانس وحدهم وإنما للجن

أيضا .. قال تعالى « **قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا** » سورة الجن آية ١و٢ .

و لاعجاز القرآن الكريم وجوه شتى ، فهو معجز في لفظه ومعناه وشرائعه وعلومه واخباره قال تبارك وتعالى « **ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلا** » سورة الكهف آية/ ٥٤ .

● شهادة الخصوم ●

وقد أثر القرآن الكريم ـ بما فيه من إعجاز ـ في أعدائه قديما وحديثا ، واستطاع ان ينتزع من أفواه البعض ـ برغم التعنت والمكابرة والعناد ـ كلمة حق في صالحه تدل على أن هؤلاء القوم إنما أدركوا حقيقة الاسلام ونبل غايته لكنهم أبوا الا العيش في الضلال مؤثرين نفوذهم الدنيوى الزائل على آخرتهم .

روى ابن اسحاق عن محمد بن مسلم بن شهاب عن الزهرى أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو ابن وهب الثقفى حليف بنى زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته ، فأخذ كل واحد منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى اذا جمعتهم الطريق تلاوموا فقال بعضهم لبعض لاتعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ، ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا وجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قاله اول مرة ثم انصرفوا حتى إذا كانت الثالثة اخذ كل رجل مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا وجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لانعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا .. »

وهكذا كان القوم تتأثر بالقرآن الكريم قلوبهم فيصدونها ، وتجاذبهم إليه نفوسهم فيمانعونها .

ولم يقف أمر تأثير القرآن الكريم في قلوب خصومه عند كفار قريش بل تعداه الى التأثير في علماء الغرب المحدثين . والمنصفون من هؤلاء العلماء يشهدون بعظمة القرآن الكريم .

يقول المستشرق « كار لايل » وهو من أساتذة جامعة كمبردج « إن علوية القرآن الكريم حق وحقيقة ، فهو حافل بالعدل والاخلاص ، والدعوة الى الحق »

ويقول المؤرخ الانجليزي « إدوار جيبوته » « إن موحدا ذا رأس مفكرة لن يتردد في الاعتراف بوجهات نظر الاسلام فقد يكون الاسلام دينا أعلى من تطورنا الفكري اليوم »

ويؤكد « ستنفاس » أن « القرآن الكريم واحد من أهم الكتب التي انتقلت الى الناس ليستفيدوا منها ،

فهو سجل جامع لأسس الأخلاق والعقائد الكفيلة للناس بالتوفيق والهداية في حياتهم » .

ويجزم الفيلسوف الفرنسي « الكس لوازون » في كتابه « حياة محمد » بأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد «خلف للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجل الأخلاق » ثم يؤكد أنه « ليس من بين المسائل العلمية التي كشفت حديثا أو المخترعات مسألة تتعارض مع الأسس الاسلامية ،

فالانسجام تام بين تعاليم القرآن الكريم والقوانين الطبيعية في حين نبذل الكثير من الجهد للتأليف بين النصرانية وبين القوانين الطبيعية »

ومع بزوغ كل فجر جديد يشرح الله سبحانه وتعالى بالقرآن الكريم صدورا كثيرة للاسلام الحنيف ويكون أول قولهم بعد إسلامهم الاشادة بعظمة الاسلام وعظمة القرآن الكريم وبأنه بحق الهداية التي لم يسبق إليها ، ولم يلحق بها .

● فضل القرآن الكريم على أصحابه ●

إن المسلمين مطالبون بتلاوة القرآن الكريم ، وتفهم معانيه ، وإعمال حواسهم في إدراك ما جاء به من اسس قويمة بغية العيش في حياة آمنة مطمئنة ، والفوز برضوان الله تعالى في الاخرة ، قال تبارك وتعالى « **فاقرأوا ما تيسر من القرآن** » سورة المزمل آية/ ٢٠ .

والذي لا شك فيه أن للقرآن الكريم فضلا عظيما على أصحابه ، وأول ما يمن الله تعالى به على صاحب القرآن السكينة . قال صلى الله عليه وسلم .

« ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة . وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم .

والسكينة مملكة من ممالك الله العليا يختص بها من يشاء من عباده ، فإذا حلت بالقلوب أكسبتها طمأنينة واستقرارا ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في مواقف حاسمة تكاد تنخلع معها القلوب لشدة ما فيها من الهول والفزع .

ورد ذكر السكينة عندما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار ثور مع أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وكان الموقف شديدا ومفزعا .. « **فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها** » سورة التوبة . آية/ ٤٠ .

كما ورد ذكر السكينة في غزوة حنين ، وقد احتدم الخطب ، وساد الفزع ، واضطربت الصفوف ، واحكمت الشدة حلقاتها ، والنبي الكريم صلى الله عليه وسلم ينادي في ثبات وعزيمة « أنا النبي لا كذب . أنا ابن عبد المطلب » .. قال تعالى « **ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين** » سورة التوبة آية/ ٢٦

إن نعمة السكينة تنزل مع الرحمة والملائكة على الذين يجلسون يقرأون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إنهم ينالون شرفا كبيرا وقدرا رفيعا إذ إن الله جل جلاله يذكرهم فيمن عنده من الملأ الأعلى .

والقرآن الكريم يدفع بأصحابه على طريق الصلاح والخير ، ويزيد من ميزان حسناتهم يقول صلى الله عليه وسلم « من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا اقول « **الم** » حرفا ، ولكن الف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الترمذي .

ولايتوقف نفع القرآن الكريم لأصحابه عند هذا الحد بل يتخطاه ليكون شفيعا لهم يوم القيامة،يشهد لهم بالقيام على تلاوته وتدارسه ، كما يقف ـ بأمر الله تعالى ـ مدافعا عن صاحبه .. يقول صلى الله عليه وسلم « اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه » رواه مسلم .

ولو لم يكن للقرآن الكريم فضل على أصحابه غير هذا لكفاه،لكن الله تبارك وتعالى تفضل على المسلمين فجعل لقارىء القرآن الكريم منزلة في الجنة يستحقها بتلاوته لكتاب رب العالمين ، وعلى قدر التلاوة تكون المنزلة قال صلى الله عليه وسلم « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند اخر آية تقرؤها » رواه ابو داود والترمذي .

والمسلم الواعي اليقظ لا يعرض القرآن الكريم للنسيان، ويكون ذلك بدوام تعهد التلاوة ، يقول صلى الله عليه وسلم « إنما مثل صاحب القرآن كمثل الابل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وان اطلقها ذهبت » متفق عليه .

● من آداب التلاوة ●

إن رب العزة سبحانه وتعالى وصف القرآن الكريم بأنه « حبل الله » قال تعالى « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » سورة آل عمران آية/ ١٠٣ ، ووصفه بأنه أحسن الحديث « فقال تعالى : « **الله نزل أحسن الحديث كتابا** » سورة الزمر آية/ ٢٣ ، وأكد أنه شفاء ورحمة قال عز وجل « **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة** » سورة الاسراء آية/ ٨٢ وأسماه الله « النور » لما فيه من الهداية للأبصار والبصائر « **واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون** » سورة الاعراف آية/ ١٥٧ وهو « كلام الله » تبارك وتعالى « **وإن احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه** » سورة التوبة آية/ ٦ .

وقد أوجب رب العزة والجلال سبحانه وتعالى الاجلال والاحترام للقرآن الكريم فحكم بألا يمسه الا المطهرون قال تبارك وتعالى « **إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لايمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين** » سورة الواقعة آية/ ٧٧ـ٨٠ .

ولقد أدرك علماء المسلمين اهمية أن يتوافر في المسلم عدد من السمات

عند حمله القرآن الكريم أو تلاوته . وقد وصلت هذه السمات الى خمس وسبعين سمة عند البعض نرى لزاما أن نشير الى بعضها فيما يلي :

● ينبغي لقارىء القرآن - والمقرىء له - أن يقصد بذلك وجه الله تعالى .
● على القارئ أن يصون يديه - في حالة قراءة القرآن الكريم - من العبث وعينيه من تفريق نظرهما من غير حاجة وأن يصلى ركعتين في موضع جلوسه ثم يجلس للقراءة .

● ألا يمس القرآن الكريم الا طاهرا .
● أن يلبس كما يلبس للدخول على الأمير ، لأنه مناج ربه ويفضل استقباله القبلة .
● ينبغي ان يكون مجلسه واسعا ليتمكن جلساؤه فيه .
● ألا يقطع القراءة ساعة فساعة بكلام البشر من غير ضرورة ، وأن يقرأ على تؤدة ، وان يرتل مستعملا ذهنه في فهم الآيات .
● ألا يقرأ في الاسواق - ومواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء .
● ينبغي ألا يقرأ القارىء بتلحين الغناء كلحون اهل الفسق ، ولا بترجيع النصارى ، ولا نوح الرهبانية ، وألايجهر بعض على بعض بالقراءة فيفسد عليه .

● العودة للكتاب والسنة ●

جدير بالمسلمين أن يجتهدوا في الاستفادةمن كتاب الله عز وجل وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم لبلوغ الغاية العظمى في الفوز بسعادة الدنيا ورضوان الله تعالى في الآخرة .
إن الحاجة ملحة للعودة الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم للخروج من مشكلات الحياة المعاصرة التي تعقدت ، واشتد سعيرها ، فبات الفرد فيها لا يأمن على نفسه من يومه او غده ، قال تعالى : «**ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**» سورة الانعام آية/ ١٥٣ .

وكم تعالت الأصوات - ولا تزال - مطالبة بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في كل شؤون الدنيا أملا في الفوز بسعادة الدارين . والذى يقره الجميع ، ولا ينكره الا جاحد او مكابر،أن الاسلام بمبادئه العامة وأصوله الثابته صالح للأخذ به في كل زمان ومكان،غير أن فئة ضالة من أعداء الاسلام - وبمساعدة قلة مستهترة من أبناء المسلمين ،

تبذل كل غال ورخيص ليظل المسلمون ممزقين في طول الأرض وعرضها والحيلولة دون عودتهم لدينهم الحنيف .

ما أحوج المسلمين الى اليقظة في مواجهة مكر الأعداء وخبثهم ، وما أحوج المسلمين الى العودة الى القرآن الكريم والسنة منهاجا يحمى الحاكم والمحكوم ، ويحقق للأمة سيادتها وعزتها وقوتها .. هل نحن فاعلون ؟

قرأت لك **الأخذ بالرخصة**

١٨٢ - (...) وحدثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرُّومِيُّ . حَدَّثَنَا النَّضْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ . حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ (وَهُوَ ابْنُ عَمَّارٍ) حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ قَالَ : انْطَلَقْتُ أَنَا وَعَبْدُ اللهِ بْنُ يَزِيدَ حَتَّىٰ نَأْتِيَ أَبَا سَلَمَةَ . فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِ رَسُولًا . فَخَرَجَ عَلَيْنَا . وَإِذَا عِنْدَ بَابِ دَارِهِ مَسْجِدٌ . قَالَ : فَكُنَّا فِي الْمَسْجِدِ حَتَّىٰ خَرَجَ إِلَيْنَا . فَقَالَ: إِنْ تَشَاءُوا، أَنْ تَدْخُلُوا ، وَإِنْ تَشَاءُوا، أَنْ تَقْعُدُوا هَهُنَا . قَالَ فَقُلْنَا : لَا . بَلْ نَقْعُدُ هَهُنَا . فَحَدِّثْنَا . قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُاللهِ ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما . قَالَ : كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ . قَالَ : فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، وَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ فَأَتَيْتُهُ . فَقَالَ لِي « أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ ؟ » فَقُلْتُ : بَلَىٰ . يَا نَبِيَّ اللهِ ! وَلَمْ أُرِدْ بِذَٰلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ . قَالَ « فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ[1] مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ » قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ ! إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَٰلِكَ. قَالَ « فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا . وَلِزَوْرِكَ[2] عَلَيْكَ حَقًّا . وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا » قَالَ « فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللهِ (ﷺ) فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ » . قَالَ قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ! وَمَا صَوْمُ دَاوُدَ ؟ قَالَ « كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا » قَالَ « وَاقْرَإِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ[3] » قَالَ قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ! إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَٰلِكَ . قَالَ « فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ » قَالَ قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ! إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَٰلِكَ . قَالَ « فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ » قَالَ قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللهِ ! إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَٰلِكَ . قَالَ « فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ ، وَلَا تَزِدْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ . فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا . وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا . وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا » .

قَالَ : فَشَدَّدْتُ . فَشُدِّدَ عَلَيَّ .

قَالَ : وَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ « إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمْرٌ » .

قَالَ : فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ . فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ[1] .

صحيح مسلم

---

(١) (فإن بحسبك أن تصوم) الباء فيه زائدة . ومعناه أن صوم الثلاثة الأيام من كل شهر كافيك .

(٢) (ولزورك) قال في النهاية : هو في الأصل مصدر وضع موضع الاسم . كصوم ونوم بمعنى صائم ونائم . وقد يكون الزور جمعا لزائر ، كركب في جمع راكب . أي لضيفك ولأصحابك الزائرين حق عليك . وأنت تعجز ، بسبب توالي الصيام والقيام، عن القيام بحسن معاشرتهم .

(٣) (واقرأ القرآن في كل شهر) أي اختمه .

(١) (وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله) معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظفه على نفسه عند رسول الله ﷺ . فشق عليه فعله ، ولا يمكنه تركه .

قال زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنهم : « كنا نعلِّم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السور من القرآن » وقال اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنهم « كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول « يابني إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها »

احمد زيني دحلان { السيرة النبوية ص ٣٦٠)



غزوة فتح مكّة

للواء / محمد جمال الدين محفوظ

● في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة ، وقعت غزوة فتح مكة ، وهي غزوة تتميز بطابع خاص في سجل التاريخ العسكرى الاسلامي ، فهي مثال كامل لأرقى مراتب الفكر العسكري والسياسي معـا ، وأنبل الطرق للتوفيق بين الغاية والوسيلة ، وظهرت فيها سماحة الاسلام بأجلى معـانيهـا ، واكتملت فيهـا أركـان « النظـريـة الاسـلاميـة في إدارة الصراعات »

● لقد كانت النتيجة المباشرة لفتح مكة انتشار الاسلام في شبه الجزيرة العربية :

١ ـ فقريش ، الخصم الرئيسي ، أقبلت على الاسلام بعد أن ظلت

عشرين عاما تصد عن سبيل الله بكل أساليب الضغط والايذاء والقتال .

٢ ـ والقبائل العربية التى كانت تخشى بطش قريش أقبلت على النبي الكريم

صلى الله عليه وسلم تقدم الطاعة بين يديه وتعلن الاسلام .

٣ ـ والمستضعفون الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله

، عادوا الى بلادهم تحت أعلام الاسلام والسلام .

٤ ـ وأتم الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم في أول يوم لفتح مكة مادعا

اليه منذ عشرين عاما ، وماحاربته قريش أشد الحرب فيه ،

أتم تحطيم الاصنام ، والقضاء على الوثنية في البيت الحرام .

٥ ـ وتحقق للدولة الاسلامية الناشئة ركن الأمن والاستقرار لكى تؤدي

رسالتها السامية لخير البشرية جمعاء .

● وقد حفلت هذه الغزوة الكبرى بدروس نافعة في إدارة الصراعات

ينبغي ان تتدبرها أمتنا العربية والاسلامية وهي تواجه من التحديات أخطر ما يمكن أن تواجهه أمة .

الدرس الأول :
● على المسلمين ان يتملكوا المبادأة

● إن المبادأة أو المبادرة تعنى باختصار « حرية العمل » والذى يملك المبادأة يحرم خصمه من حرية

العمل ، ويجعل أعماله محصورة في نطاق « رد الفعل » وإحراز المبادأة من أهم عوامل النجاح والنصر في السياسة والحرب على حد سواء يقول الجنرال (اندريه بوفر) : « يعتبر الحصول على حرية العمل الدليل الساطع على النجاح ، والصراع من أجل حرية العمل هو في الواقع روح الاستراتيجية (أندريه بوفر : مدخل الى الاستراتيجية » .

● ولقد نقضت قريش العهد الذي اقرت بنوده في الحديبية في السنة السادسة من الهجرة وذلك عمل ينطوى ـ ولا شك ـ على « نوايا عدوانية» تتجاوز إطار عملية ثأر محدودة بين بنى بكر حلفاء قريش

وبنى خزاعة حلفاء المسلمين ، ولا بد أن يفطن القائد المحنك الى ما في ذلك من خطر على الاسلام والمسلمين ، فلا يقف مكتوف الأيدي أمام نوايا العدوان الذي تأمل به قريش تحقيق هدفها الاستراتيجي الكبير وهو القضاء على الدين الجديد بالهجوم على قاعدته بالمدينة .

● من أجل ذلك قرر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن يأخذ بزمام

المبادرة فيسير إلى قريش في عقر دارها قال ابن اسحق : « فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة ، وكان في عقده وعهده ،

خرج عمرو بن سالم الخزاعي ، ثم أحد بني كعب ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة » . واخبر عمرو ابن سالم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بما حدث فقال صلى الله عليه وسلم .. « نصرت ياعمرو بن سالم.. وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز وأمر أهله ان يجهزوه»

الدرس الثاني
تحقيق المفاجأة وخداع العدو

● إن المفهوم العلمي للمفاجأة أو المباغتة هو « إحداث موقف لا يكون العدو مستعدا له » وهناك مستويان للمفاجأة ، فهي تكون « مفاجأة تكتيكية » اذا وقعت في نطاق محدود او محلي وتم فيها إخفاء قوة الهجوم ومكانه ووقته واتجاهه عن المدافعين فإذا تمكن المهاجم من إخفاء « نية الهجوم » نفسه تصبح المفاجأة « مفاجأة استراتيجية » وهذا المستوى من المفاجأة ليس أمرا يسيرا وخاصة في العصر الحاضر الذي تقدمت فيه وسائل الحصول على المعلومات والتجسس تقدما مذهلا ، لذلك فهو يتطلب تخطيطا غاية في المهارة والحذق والسرية والخداع وليس من شك في أن تحقيق المفاجأة له آثاره النفسية التي تفعل فعلها في نفوس وعقول من يتعرضون لها وفي كفاءتهم وإرادتهم القتالية بالتالي .

● وأهم هذه الآثار أن العدو « يفقد » مزية المبادأة وحرية العمل ، فتنحصر أعماله وحركاته في نطاق رد الفعل في مواجهة الطرف الآخر الذي يحاربه من(موقع قوة)بتملكه للمبادأة وحرية العمل .

● وقد اتخذ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لفتح مكة من تدابير التخطيط والتنفيذ ما يمكن معه أن نقول إنه أحرز « المفاجأة الاستراتيجية » على أعدائه ، وقد كان من آثار ذلك زعزعة إرادة قريش على المقاومة والقتال .

١ ـ فقد حرص عليه الصلاة والسلام على كتمان قراره بالخروج لفتح مكة حتى عن أقرب المقربين إليه ، فلم يبح به لأبي بكر أقرب اصحابه إلى نفسه ، ولا لعائشة بنت أبي بكر أحب نسائه إليه ، وبقيت « نواياه » سرا مكتوما حتى تمت جميع الاستعدادات للحركة .

٢ ـ وحرص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على الحيلولة دون تسرب المعلومات عن حركته الى قريش ، فبعث العيون والأرصاد والمفارز (الدوريات) داخل المدينة وخارجها

لهذا الغرض ، كما بعث علي بن أبي طالب والزبير بين العوام ، فأدركا المرأة التي كانت تحمل الرسالة التي أراد حاطب بن ابي بلتعة إرسالها إلى قريش تحمل خبر خروج المسلمين ، وأخذاها منها .

٣ ـ وبقى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يقظا كل اليقظة حتى وصل ضواحى مكة ونجح بترتيباته في حرمان قريش من معرفة تدابير المسلمين حتى لقد تعذر عليها معرفة هوية الجيش الكبير الذي عسكر على أربعة فراسخ من مكة فقد أوقد عشرة الاف مسلم نيرانهم ، ورأت قريش تلك النيران تملأ الأفق البعيد ،

فأسرع أبو سفيان بن حرب ، وبديل ابن ورقاء ، وحكيم بن حزام بالخروج باتجاه النيران حتى يعرفوا مصدرها وأهداف اصحابها ونواياهم ، فلما اقتربوا من موضع عسكر المسلمين قال ابو سفيان لصاحبه بديل « مارأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا » فرد عليه بديل « هذه والله خزاعة حمشتها الحرب » لكن أبا سفيان لم يقتنع بهذا الجواب فقال « خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها »

● وقد استخدم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم اسلوب الخداع لاخفاء النوايا الحقيقية لحركته ، وذلك بإرسال سرية أبي قتادة الانصارى الى « بطن إضم » وهي تبعد حوالي ستين كيلومترا عن المدينة وقد قال كعب بن مالك يصف عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بإجراء العمليات الخداعية « ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها » رواه البخاري. ولا غرابة في ذلك فهو عليه الصلاة والسلام القائل « الحرب خدعة » (رواه مسلم)

الدرس الثالث : عزل العدو دوليا

● ومن أهم وسائل إدارة الصراعات أن نفرض العزلة الدولية على عدونا حتى يتلفت حوله فلا يجد حليفا او نصيرا وهذا هو الوضع الذي فرضه المسلمون على قريش فقد جردها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الحلفاء والمناصرين نتيجة للسياسة الحكيمة التي اتبعها بعد الهجرة ، والتي قامت على عقد الاتفاقات والمعاهدات مع مختلف القبائل العربية لكفالة حرية الدعوة وحسن الجوار والمعاملة ، فكانت النتيجة المباشرة لتلك المعاهدات حرمان قريش من قوى كان يمكنها أن تتحالف معها او تشد أزرها .

● أضف الى ذلك أن انتشار الاسلام بين قسم كبير من القبائل ومن ضمنها قريش ، ينطوى على « تحييد » للقسم الآخر الذي بقى على الشرك وخاصة بالنسبة للمعتدلين الذين يرون أن لاجدوى من القتال ويعتبرون الحرب كارثة تحيق بهم .

الدرس الرابع :
تجريد العدو من إرادة القتال ●

● إن الحرب في حقيقتها « صراع بين إرادتين » إرادتنا وإرادة عدونا ، والطرف الذي يفقد الارادة القتالية سوف يكون هو الخاسر المهزوم .

● ولقد كان من الأمور البارزة في غزوة فتح مكة حرص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على تجريد قريش من إرادة المقاومة والقتال بعدة وسائل :

(١) غزو قلب وعقل ونفس زعيم قريش

ومن الأساليب التي اتخذها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لذلك إقناع ابي سفيان عن طريق « إظهار القوة وتجسيدها » بأنه لاجدوى من المقاومة وقتال المسلمين ، فقد أوصى عليه الصلاة والسلام عمه

العباس حين جاء بأبي سفيان الى معسكر المسلمين خارج مكة باحتجازه في مدخل الجبل الى مكة حتى يمر به جيش المسلمين فيحدث قومه عما رآه عن بيِّنة ويقين ، فيقضي على أي أمل لديهم في المقاومة ، فقد قال عليه الصلاة والسلام . « ياعباس ،

احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها » قال العباس : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي ، حيث أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه ،

ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال ياعباس من هذه فأقول سليم فيقول مالي ولسليم ، ثم تمر القبيلة فيقول ياعباس من هؤلاء فأقول مزينة فيقول مالي ولمزينة ، حتى نفدت القبائل ما تمر به قبيلة الا يسألني عنها فإذا أخبرته بهم قال مالي ولبنى فلان حتى مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء(لكثرة الحديد وظهوره فيها) المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم لا يرى منهم الا الحدق (العيون) من الحديد ،

فقال سبحان الله ياعباس من هؤلاء ؟ قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار قال مالأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما قلت يا أبا سفيان : إنها النبوة ، قال : فنعم إذن ؟ قلت : النجاء (السرعة) الى قومك .

ومما يدل على حرص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على إيقاع أكبر قدر من التخويف والضغط

النفسي على ابي سفيان اختياره لمضيق الوادي بالذات لوقوف أبي سفيان ، فمرور الجيش في مضيق يختلف عن مروره في الأرض المكشوفة ، فالمضيق يجعل أبا سفيان

يرى قوة الجيش بصورة مجسمة اما الأرض المكشوفة فسوف ينتشر فيها الجيش ويتفرق فلا يقع التأثير المطلوب،وقد أسرع أبو سفيان الى قومه فقال « يامعشر قريش ، هذا

محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به وذلك اوضح دليل على تجريده من إرادة المقاومة والقتال .

(٢) تجريد قريش نفسها من إرادة القتال :

وفضلا عما يحدثه قول ابي سفيان لقومه السابق ذكره من دفع قريش الى الاستسلام فقد كان تنظيم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لجيش المسلمين على نحو يضعف الدافع لدى المشركين الى القتال ويجعلهم يترددون في المقاومة فقد كان الجيش لا يتألف من المهاجرين والأنصار فحسب بل من مسلمي أكثر القبائل العربية المعروفة يومذاك : الف رجل من بني سليم ، والف رجل وثلاثة رجال من مزينة ، واربعمائة من بني غفار ، واربعمائة من بني جهينة ؛ واربعمائة من أسلم ، وعدد من تميم وأسد وقيس وغيرها من القبائل العربية الأخرى .

هذا التنظيم ، أصاب المشركين بالتردد في الاقدام على القتال ، لأن كل قبيلة لها في جيش المسلمين عدد كبير ، بل إن كثيرا من القبائل تعتبر نجاح هذا الجيش نجاحا لها على الرغم من اختلاف العقيدتين ، والأكثر من ذلك فإن انتصار هذا الجيش لايعتبر فخرا لقبيلة دون أخرى كما ان فشل أية قبيلة في التغلب عليه ، لايعتبر عارا عليها لأن هذا الجيش لم يكن لقبيلة دون أخرى بل لم يكن للعرب دون غيرهم بل كان للاسلام ولمعتنقي هذا الدين من العرب وغير العرب ..

ثم جاءت الضربة النفسية» القاضية على إرادة القتال حين اعطى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « الأمان » لقريش مقابل الاستسلام ، فقد نصح العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بأن يلجأ الى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حتى ينظر في أمره قبل أن يدخل الجيش مكة صباح غد فيحيق به وبقومه العقاب ، فقال العباس للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر ، فاجعل شيئا(وكان ابو سفيان قد أسلم ليحقن دمه قبل لقائه بالرسول صلى اللهعليه وسلم)قال عليه الصلاة والسلام « نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » ، فكان ذلك من أقوى أسباب استسلام قريش ، فإنه لما قال ابو سفيان لقومه « يامعشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار ابي سفيان فهو آمن » قالت قريش : قاتلك الله ، وما تغنى عنا دارك ؟ قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد .

الدرس الخامس :
الاسلام دين سلام ودين قوة

● كان قرار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن يتم فتح مكة بلا « قتال » فعهد الى أمرائه الا يقاتلوا الا من قاتلهم

وكان عليه الصلاة والسلام حريصا على ذلك كل الحرص وهو ماينطق به أسلوبه في إدارة المعركة والسيطرة المحكمة على كل مرحلة من مراحلها ،

ولقد بلغ من حرصه صلى الله عليه وسلم على تجنب القتال أنه بلغه ان سعد بن عبادة الذي كان يقود رتلا من الأرتال الأربعة التي يتألف منها جيش المسلمين قال : « اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة » فأخذ الراية منه ودفعها إلى ابنه قيس بن سعد حتى يحول دون اندفاع سعد لاثارة الحرب .

● ومن هذا الحرص على حقن الدماء أنه صلى الله عليه وسلم لم يكتف بالتخطيط والقرار بأن يكون الفتح بغير قتال لأنه يكون بذلك « عملا من جانب واحد » لا بد أن يقابله عمل من الجانب الآخر ينسجم معه ويحقق هدفه هو « عدم المقاومة » أى أنه لا بد من اتخاذ التدابير التي « تمنع »

العدو من المقاومة والقتال وهذا هو بالضبط ما فعله الرسول الكريم القائد صلى الله عليه وسلم بحرصه على المفاجأة والخداع وتجريد قريش من إرادة القتال على نحو ما قدمنا ..

وهكذا كان جمعه عليه الصلاة والسلام بين الأمرين (تجنب القتال من جانبه ومنع قريش من المقاومة والقتال) آية من آيات حسن القيادة وإدارة الصراع على اعلى مستوى وتأكيدا لمقاصد الاسلام النبيلة .

● على ان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم يكتف بهذه التدابير ، بل أعد عدته للقتال » إذ استدعى الأمر على أتم ما يكون الاعداد :

١ ـ فقد حشد لفتح مكة عشرة الاف مقاتل وهو أكبر حشد منذ بدأ الصراع .

٢ ـ ووضع خطته لدخول مكة بحيث يؤمن تطويقها من جهاتها الأربع :

ـ من الشمال : رتل الزبير بن العوام .
ـ من الجنوب : رتل خالد بن الوليد .
ـ من الغرب : رتل سعد بن ابي عبادة (قوات الانصار) ـ من الشمال الغربي من اتجاه جبل هند رتل أبي عبيدة بن الجراح (قوات المهاجرين)

٣ ـ وهذه الخطة المحكمة أدت الى تحقيق هدفين في غاية الاهمية من وجهة نظر الفن الحربي :

● ضمان القضاء على أية مقاومة في أية جهة من مكة « في الحال » نظرا لوجود المسلمين في كل جهة من جهاتها .

● تشتيت قوات قريش إذا قررت المقاومة الى اقسام لمواجهة كل رتل من أرتال المسلمين على انفراد الأمر الذي يحرمها من تركيز قواتها وحشدها في

جبهة واحدة ويجعلها ضعيفة في كل مكان .

الدرس السادس :
في الاسلام « لاويل للمغلوب »

● واذا كان من شأن المنتصر أن يستبد ويملي شروطه بدافع الغيظ والتشفي والانتقام والغرور بالقوة فإن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ـ

رغم ما فعلت قريش ضد الاسلام والمسلمين لم يفعل شيئا من ذلك ، بل كان كل همه وكل قصده أن يؤلف قلوب المشركين ، ويجعلها تقبل على الاسلام الذي هو دين السلام .

● لقد استسلمت قريش التي يعرف عليه الصلاة والسلام فيها من ائتمروا به ليقتلوه ومن عذبوه واصحابه من قبل ، ومن قاتلوه في بدر وفي احد ،

ومن حاصروه في الخندق ، ومن ألبوا عليه العرب جميعا ، ومن لو استطاعوا قتله وتمزيقه إربا إربا لما توانوا في ذلك لحظة .. لقد اصبحت قريش في قبضته عليه الصلاة والسلام وتحت قدميه ، أمره نافذ في رقابهم ،

وحياتهم جميعا معلقة بين شفتيه ، وفي سلطانه هذه الألوف المدججة بالسلاح تستطيع أن تبيد مكة وأهلها في رجع البصر .

● لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالرجل ولا بالقائد الذي يعرف العداوة او يريد أن تقوم بين الناس، وليس هو بالجبار ولا بالمتكبر أو بالذى يرفع شعار « ويل للمغلوب » لقد مكنه الله من عدوه ، فماذا فعل ؟

لقد نهض عليه الصلاة والسلام والمهاجرون والانصار بين يديه وخلفه وحوله ، حتى دخل المسجد الحرام ،

فطاف بالبيت العتيق وطهره من الأصنام والصور ، ثم وقف على باب الكعبة وقريش تنتظر ماذا يصنع وقال « يامعشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم ؟».. قالوا خيرا ، أخ كريم ، وابن أخ كريم .. قال :«فإني اقول كما قال يوسف لاخوته ، **لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء** »

● وكانت اعظم الآثار الاستراتيجية لسماحة الاسلام التي تجلت بأجلى معانيها أن قريشا لم تقبل على الاسلام فحسب ، بل حملت رايات الجهاد في سبيل الله ، وتحولت اتجاهاتها من أشد الناس عداوة للاسلام ، الى أحرص الناس على رفع راية الجهاد في سبيله وتلك صورة رفيعة انفرد بها الاسلام .

● بل كان من عرب شبه الجزيرة قادة عسكريون أفذاذ قدّر لهم ان يكونوا من أعظم القادة العسكريين في التاريخ

ولقد ابدى المشير (مونتجمرى) ـ وهو يسجل تاريخ الحروب ـ دهشته من تحول أتجاهات البلاد المفتوحة من العداء للاسلام الى اعتناقه بل والجهاد في سبيله فقال « من العجيب أن القوة الرئيسية للجيوش الاسلامية

في فتح اسبانيا (الاندلس) بين عامي ٧١٠ ـ ٧١٣ كانت مشكلة من الليبيين والتونسيين » (فيكونت مونتجمرى : الحرب عبر التاريخ جـ ٢ ص ١٨٨).

الدرس السابع :
السلام لا يعني الاسترخاء في الاعداد وبناء القوة »

● كان جيش الاسلام في غزوة فتح مكة عشرة آلاف مقاتل ولكن بعد الفتح واستسلام العدو الرئيسي للاسلام (قريش) ارتفعت قوة الجيش حتى بلغت ثلاثين الف مقاتل في غزوة تبوك عام ٩ هـ ومعنى ذلك انها خلال عام واحد وصلت الى ثلاثة أمثالها يوم الفتح .

● هذه الحقيقة التاريخية تستحق أن نتدبرها ونستخلص الدرس منها وهو درس ينطوى على المبادىء التالية :

١ ـ إن اعداد القوة التي ترهب العدو واجب مستمر في السلم والحرب على حد سواء .

٢ ـ إن فترات الهدنة او السلام لاتعنى الاسترخاء في الاعداد وبناء القوة .

٣ ـ ان الاسلام دين سلام ورحمة ، لكنه في الوقت نفسه ـ دين قوة ، فهو دين عملي ، يأخذ الحياة من واقعها ، وينظر الى الناس من خلال فطرتهم التي فطروا عليها ، فقد راعى طبائع الخلائق ، وميلها الى المشاحنات فأمر أهله بإعداد القوة لا ليعتدوا بها على الآخرين بل ليدافعوا بها عن أنفسهم ويرغموا اعداءهم ان يلزموا حدودهم .

٤ ـ واخيرا فإن السلام الذي يدعو إليه الاسلام هو :
السلام الذي تحميه القوة » لأن القوة هي أكبر ضمان لتحقيق ذلك السلام والمحافظة عليه .

طهرة للصائم

يقول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : « فرض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو ، والرفث ، وطعمة للمساكين » .

مراحل نمو الفقه الاسلامي

للاستاذ / عماد محمد اسماعيل

الشريعة الاسلامية كفيلة بتحقيق مصالح الناس في كل زمان ومكان من حيث أنها خاتمة الشرائع ومصدرها الوحي الإلهي .

وأن الفقه الاسلامي بمرونته وحيويته قادر على حل المشكلات مهما تجددت الحوادث وتشعبت مذاهب الحياة .

لأجل هذا وذاك رأينا أن نبادر بمعرفة الفقه الاسلامي من حيث نشأته وتطوراته على مر العصور التي مر بها وقبل أن نتكلم عن تطورات ومراحل نمو الفقه الاسلامي يجب أن نبادر بمعرفة معنى الفقه لغة واصطلاحا .

معنى الفقه في اللغة :

الفقه هو الفهم مطلقا يشهد لهذا قوله تعالى : (**لهم قلوب لا يفقهون بها**) (سورة الأعراف الآية/١٧٩) .

معنى الفقه عند الفقهاء :

هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسبة من الأدلة التفصيلية والمراد بالاحكام الشرعية العملية كل ما يتعلق بأعمال العباد وتصرفاتهم من وجوب صلاة وصوم وحج وبيع وشراء وما إلى ذلك .

وأما المقصود من الأدلة التفصيلية ما ورد في الكتاب والسنة من الآيات والأحاديث المتعلقة بالاحكام العملية وما يلحق بهذين من اجماع وقياس وعرف واستحسان .

ويمكن تقسيم الفقه الاسلامي إلى ستة اقسام هي :

القسم الأول : ما يقصد به التقرب الى الله وتزكية النفس وتطهيرها من مساوىء الاخلاق وإصلاح حال المجتمع كالصلاة والزكاة والحج وهي ما تعرف بالعبادات .
القسم الثاني : ما يتعلق بالأموال والتصرفات المالية من بيوع وإجارة ورهن وديون وربا وهي ما تعرف بالمعاملات .
القسم الثالث : وهو ما يتعلق بتصرفات الانسان الشخصية من نكاح وطلاق ورجعة ونفقة وعدة ونسب وحضانة وهو ما يعرف بالأحوال الشخصية .
القسم الرابع : ما كان متعلقا بالجرائم وما يترتب عليها من عقوبات وجزاءات وهو ما يسمى بالحدود والتعزيرات والعقوبات .
القسم الخامس : وهو ما كان متعلقا بالقضاء والدعاوي وأدلة الإثبات وما إلى ذلك ويسمى بالمرافعات .
القسم السادس : وهو ما يتعلق بالحروب والمعاهدات والصلح وعلاقة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم وهو ما يعرف بالجهاد والسير .

ولقد مر الفقه الاسلامي بأدوار يمكن اجمالها في خمسة أدوار لأن الفقه الاسلامي في هذا الشأن مثله مثل أي كائن حي تعتريه عوامل النمو والارتقاء والضعف والقوة وأدوار نمو الفقه الاسلامي **هي** :

الدور الأول : دور النشأة :

ويتناول هذا الدور التشريع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ويبدأ منذ أن بدأ نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم وينتهي بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ولقد انقسم التشريع في هذه الفترة الى **قسمين** :

القسم الأول : التشريع المكي :

وهو ما كان قبل الهجرة ولقد كانت العقيدة هي الاساس الذي بني عليه كل ما عداه فكان عليه اصلاح العقيدة فدعا الناس الى التوحيد وإفراد الله بالعبادة دون سواه والى الايمان بالرسل والملائكة والبعث والحساب في اليوم الآخر والتخلق بمحاسن الاخلاق كالصدق والوفاء والعدل والتدبر في آيات الكون ولم يتعرض التشريع في هذه الفترة لشىء من التشريعات العملية .

القسم الثاني : التشريع المدني :

وهو ما كان بعد الهجرة فبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة

إلى المدينة وبدء تكوين الدولة الاسلامية ، اتجه التشريع الى تنظيم الدولة الاسلامية داخليا فوضع قواعد القضاء والحكم فأمرهم الله أن يحكموا بالعدل وألا يأكلوا أموال الناس بالباطل ونهاهم عن شهادة الزور،ثم وضع قواعد الحرب والجهاد وما يكون عليه الامر في تقسيم الغنائم ومعاملة الأسرى،ووضع نظام الأسرة من ناحية تنظيم الزواج والطلاق والنفقه والعدة،ثم وضع نظام المواريث وهذا النظام يعد أرقى نظام للمواريث في العالم ثم شرع جميع المعاملات التي يحتاج اليها الانسان واهتم التشريع في هذه الفترة بالنظام العقابي مع وضع عقوبات مقدرة لذلك .

ولقد كانت مصادر التشريع في هذا الدور **الوحي** المنزل من الله سبحانه وتعالى على رسوله الكريم ممثلا في القرآن الكريم ثم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان اجتهاد الرسول فيما ليس فيه نص من الوحي .

ولقد امتاز التشريع الاسلامي في هذا الدور بأربع مميزات هي :

أولا : أن التشريع قد اكتمل من حيث النصوص والقواعد والأصول .

ثانيا : أن سلطة التشريع كانت في يد الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : أن الفقه الاسلامي كان واقعيا لا نظريا .

رابعا : أن الفقه الاسلامي نشأ متتابعا حسب الوقائع والنوازل .

الدور الثاني : دور الصحابة والتابعين :

ويبدأ هذا الدور بتولي أبي بكر الصديق خلافة المسلمين وذلك بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وحتى نهاية دولة بني أمية .

فبعد وفاة الرسول امتد سلطان الاسلام على معظم البلاد الفارسية حتى وصلوا الى نهر جيحون « أموداريا » ومن الجهة الشمالية على سوريا وبلاد أرمينيا ومن الغرب على مصر وأسست في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه المدن الاسلامية الكبرى وهي الفسطاط والبصرة والكوفة فواجه المسلمون بهذه الفتوحات مسائل في كل شأن من شئون الحياة تحتاج الى تشريع لم يكونوا يحتاجون اليه في جزيرة العرب ، لذا كانت الحاجة ماسة الى تطور الفقه الاسلامي ، وأخذ يخطو خطواته الأولى نحو تطوره .

ولقد انتقل سلطان الفتوى والفقه والقضاء الى الخلفاء الراشدين فكان اذا عرضت عليهم حادثة بحثوا عن الحكم في كتاب الله ، فإن وجدوه أمضوه وإن لم يجدوه بحثوا عنه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسألون الناس هل فيهم من يحفظ في هذا الأمر حديثا أو قضاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن وجدوه أمضوه وإلا اجتهدوا في تعرف حكمه .

لذا فقد تعددت مصادر الفقه

الاسلامي في هذا الدور وفي عصر الخلفاء الراشدين لتشمل الكتاب والسنة والاجماع والرأى .

وكان إجماع المجتهدين في هذا العصر أمرا ميسورا لأن جميع المجتهدين وبخاصة الصحابة كانوا في المدينة وسيدنا عمر رضى الله عنه لا يسمح لأحد منهم بمغادرة المدينة الى الأمصار الاخرى ، وكذلك كان الرأى أوسع مدلولا فكان يشمل القياس والاستحسان وسد الذرائع ، وكان الرأى في هذا العصر تقوم عليه اكثر المسائل الفقهية .

ولقد أشتهر كثير من الصحابة بالعمل بالرأى كأبي بكر وعمر وابن مسعود وزيد بن ثابت وكان ابرزهم في هذا عمر بن الخطاب الذي لم يتمسك بحرفية النص بل كان يفهم سره وروحه .

وبانقضاء فترة الخلفاء الراشدين انقسم العالم الاسلامي الى فرق يذيق بعضها بأس بعض وفي هذه الفترة ظهرت بعض التغيرات السياسية وغير السياسية ونتج عن ذلك أن تأثرت الحياة التشريعية للمسلمين وتأثر تبعا لذلك سير الفقه الاسلامي وهذه هي الأسباب التي أثرت في الحياة التشريعية :

أولا : انقسام المسلمين بسبب اختلافهم حول الخلافة .

ثانيا : الانصراف الى السياسة والأبتعاد عن سيرة السلف الصالح .

ثالثا : تفرق علماء المسلمين في الامصار .

رابعا : شيوع رواية الحديث لما دعت الحاجة إلى ذلك وتبع ذلك ظهور الوضاعين للحديث .

خامسا : إنقسام الجمهور المعتدل الى فريقين فريق يرى الوقوف عند النصوص وهم أهل الحجاز وفريق آخر يرى استعمال الرأى وهم أهل العراق .

الدور الثالث : دور النضج والكمال والتدوين :

يبدأ بقيام الدولة العباسية وسقوط دولة بني أمية عام ١٣٢ هجرية وينتهي في منتصف القرن الرابع الهجري بسبب ضعف الدولة العباسية ولم يبق من سلطان الخلافة الا مجرد التسمية فقط وقد شهد التشريع في هذا الدور نموا كبيرا ويرجع ذلك إلى العوامل **الآتية** :

أولا : عناية الخلفاء العباسيين بالفقه والفقهاء .

ثانيا : حرية الرأى فيما عدا الامور السياسية .

ثالثا : كثرة الجدل العلمي والنقاش الفقهي .

رابعا : كثرة الوقائع .

خامسا : ظهور الموالي في المجال العلمي .

سادسا : تأثر العقول بالثقافات المختلفة .

سابعا : تدوين العلوم وانتشار الترجمة .

ولقد اتسعت مصادر التشريع الاسلامي في هذا العصر وكانت كما يلي :

القرآن ـ السنة ـ القياس ـ الاستحسان ـ الاستصحاب ـ المصالح المرسلة ـ سد الذرائع ـ عمل أهل المدينة ـ العرف ـ شرع من قبلنا شرع لنا ، قول الصحابي .

وبناء الاحكام على هذه المصادر ليست محل اتفاق فقد اتفقت كلمتهم على قبول بعضها ورد البعض الآخر فكان اتفاقهم على أن القرآن هو مصدر الفقه الاسلامي وكذلك السنة غير أن بعضهم توسع في استعمال السنة فلم يضع عليها قيودا والبعض اشترط شروطا لقبولها وكذلك اتفق على ان الاجماع والقياس من المصادر التي يجب بناء الاحكام عليها أما بالنسبة لبقية المصادر فنرى بعض الفقهاء قد أخذ بجميعها ومنهم من قبل البعض ورد البعض الآخر ولقد امتاز الفقه الاسلامي في هذا الدور بسمات وخصائص انفرد بها وهي :

أولا : بلوغ الفقه الاسلامي حد النضج والكمال، وشمل كل الحياة العامة .

ثانيا : ظهور الأعلام من الفقهاء الذين أقر لهم الجمهور بالزعامة والصدارة .

ثالثا : ظهور المذاهب الفقهية المتعددة فقد ظهر فيه من مذاهب أهل السنة ثلاثة عشر مذهبا لم يبق منها مشهورا حتى الآن سوى أربعة . مذهب أبى حنيفة - ومالك - والشافعي - وأحمد بن حنبل .

رابعا : اشتد الخلاف حول مصادر الفقه الاسلامي .

خامسا : أصبح للحكومات اتجاهات مذهبية في القضاء في هذا العصر .

سادسا : بنيت الاحكام في هذا الدور على العرف .

سابعا : دونت فيه العلوم المختلفة وعلى رأسها الفقه والسنة وكذلك علم أصول الفقه .

ثامنا : اتسعت هوة الخلاف بين الفقهاء فكثرت المسائل الفقهية .

تاسعا : ظهور المصطلحات الفقهية كاسماء الركن والشرط والصحيح والباطل وغيرها والتي لم تكن موجودة من قبل .

الدور الرابع : دور التقليد :

يبدأ هذا الدور من منتصف القرن الرابع الهجري وينتهي في منتصف القرن السادس أي ينتهي بسقوط بغداد في يد هولاكو زعيم التتار .

في هذه المرحلة انقسمت الدولة الاسلامية إلى عدة دويلات يقوم على كل دويلة وال يسمى بأمير المؤمنين **وهكذا انقطعت أوصال الدولة الاسلامية إلى دويلات .** فحلت بالعالم الاسلامي الكارثة الكبرى إذ زحف هولاكو أمير التتار إلى العراق واستولى على دار الخلافة وقتل الملايين من المسلمين وصار التشريع الوضعي في بغداد من أفكار التتار ونتج عن ذلك انحطاط الحركة العلمية والفكرية .

فظاهرة الاضطراب السياسي وانشغال الولاة بالسياسة والحرب وضعف الاقطار الاسلامية تسبب عنه ضعف روح الاستقلال التشريعي بسبب كل هذا سرت روح التقليد في نفس الفقهاء وماتت فيهم ملكة

التجديد والابتكار ، وحصروا أنفسهم في دوائر تلك المذاهب لا يتعدونها والتزم كل واحد مذهبا لا يتجاوزه .

من هذا نجد أن أسباب التقليد هي :

أولا : تدوين المذاهب
ثانيا : التعصب المذهبي
ثالثا : ولاية القضاء .
رابعا : غلق باب الاجتهاد

أولا : تدوين المذاهب :

الفقه دون في الدور السابق فأصبح الرجوع إلى مسائله في متناول الناس وصار من اليسير معرفة الأحكام بسرعة فالذي دفع الناس إلى الاجتهاد هو التعرف على الأحكام فلما دون المجتهدون السابقون الأحكام وجد الناس أنهم في غنى عن الاجتهاد .

ثانيا : التعصب المذهبي :

انشغل علماء هـذا الدور بنشر المذاهب ودعوة الناس اليها والتعصب لها إلى حد انه لا يستطيع الواحد منهم مخالفة إمامه ومثل هذا التفكير حال بينهم وبين الاجتهاد لأنه يؤمن بفكرة معينة يدور في نطاقها .

ثالثا : ولاية القضاء :

لما تغيرت الحالة الاجتماعية مع مسيرة الزمن فضل الخلفاء أن يكون قضاتهم من الذين يتبعون مذاهب معينة يختارها الخلفاء فكان هذا سببا في اتباع القضاة للمذاهب التي يرغبها الولاة .

رابعا : غلق باب الاجتهاد :

في هذا الدور أجبر العلماء أن يصدروا فتوى باغلاق باب الاجتهاد منعا للأدعياء الذين تطاولوا على الفتوى وهم ليسوا أهلا لها .

الدور الخامس : دور الجمود والتأخر :

يبدأ هذا الدور من منتصف القرن السادس وحتى أواخر القرن الثالث عشر ولم يصب الفقه الاسلامي بالجمود والتأخر مرة واحدة بل أصابه ذلك شيئا فشيئا وقد تطور الأمر من اجتهاد مطلق إلى اجتهاد في الفتاوى إلى لا شيء .

ومن هنا يمكن تقسيم الفقهاء الى طبقات الا أن هذه الطبقات تختلف من مذهب الى آخر ، فطبقات المالكية غيرها عند الشافعية وقد وجدنا أن ابن عابدين الحنفي ينقل لنا تقسيم علماء الحنفية الى سبع طبقات هي :

الاولى : طبقة المجتهدين اجتهادا مطلقا .
الثانية : طبقة المجتهدين اجتهادا في المذهب .
الثالثة : طبقة المجتهدين في المسائل

التي لم يرد فيها حكم عن صاحب المذهب .

الرابعة : طبقة أصحاب التخريج من المقلدين .

الخامسة : طبقة أصحاب الترجيح من المقلدين .

السادسة : طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين الأقوى والقوي والضعيف .

السابعة : طبقة المقلدين الذين لا يستطيعون شيئا مما سبق فهؤلاء ينقلون الأقوال فقط .

بعد دراسة مراحل نمو الفقه الاسلامي يجدر بنا الاشارة الى الدعوة إلى إصلاح الفقه الاسلامي ، فقد بدأت طلائع الدعوة إلى اصلاح الفقه الاسلامي في بلاد متفرقة في سائر الأمصار الاسلامية ، وقد ظهر عالمان جليلان هما شيخ الاسلام ابو العباس تقي الدين بن تيمية وتلميذه ابو عبدالله شمس الدين بن قيم الجوزية وقد دعيا الى ترك التقليد واطلاق حرية الاجتهاد لمن توجد عنده القدرة على الاجتهاد والعودة الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ظهر بعدهم في الجزيرة العربية ابو عبدالله محمد بن عبدالوهاب التميمي النجدي ونادى هو الآخر بالاجتهاد ونبذ التقليد .

وإصلاح الفقه الاسلامي لا يتم الا بالعودة الى مصادر الفقه الاولى وهي الكتاب والسنة وأخذ الاحكام الشرعية من منابعها الاصلية بالاضافة الى جعل القرآن فوق الدستور لأن القرآن بما يحتويه من أحكام يغني الناس والعباد عن أي قانون وضعي لأن معجزة القرآن ليست بلاغية فقط فمعجزة القرآن شيء آخر فهو دستور (أي قانون) ينظم حياة الناس أفرادا وأسرا ومجتمعات ودولا .

عجلة محمودة

قيل في العجلة الندامة ، وفي التأني السلامة ، والعجلة من الشيطان إلا في خمسة أحوال فإنها محمودة :

١ ـ تزويج البنت .
٢ ـ إطعام الضيف إذا حل .
٣ ـ التوبة من الذنب .
٤ ـ قضاء الدين .
٥ ـ تجهيز الميت .

هلال

على الأفق البعيد سنى يرف وأنسام على الدنيا تهف

شعاع من هدى رمضان آت وبشرى يوم مقدمه تزف

فكم باتت نفوس ظامئات لنبع فيك هام .. لا يجف

وكم بتنا ، وفي الأعماق شوق وبين ضلوعنا حب يشف

قضينا اشهر الحول ارتقابا ونورك في حنايا القلب طيف

فاشرق ياهلال الصوم .. إنا لكم بتنا شهور العام نهفو

* * *

تطيب بك الحياة على مداها وكم تحلو بك الدنيا .. وتصفو

فأبواب من الجنات فاحت رياحينا .. لها عبق وعرف

وباغى الخير يقبل في سرور وباغي الشر في حزن يكف

وهديك يملأ الدنيا أمانا فلا زور ولا رجس وزيف

الصّوم

للدكتور / عبد المنعم عبد الله حسن

إذا ما الصوم أشرق في نفوس أراهـا عن خطـايـاهـا تعـفّ
وتسمو بالهدى فوق الدنايا فـلا جـور يـدنسـهـا وحيف

* * *

هـلال الصوم يـاشهر التـآخى فكـل الصـائمـين أخٌ وإلـف
يعم الخـير فيك عـلى البـرايا فيكـرم سـائـل ويعـز ضيف
وينتشر التـراحـم والتصـافي وبـين العـالمـين يسود عطف
وإن فطَّرت من صام احتسابا فـإن ثـوابـك المبـرور ضعف

* * *

هلال الصوم .. كم لهجت قلوب وكـم رفعـت الى العليـا أكـف
تنـاجي بالتسـابيـح .. ابتهـالا وترجو الله .. كي يرضى ويعفو
ويجعـل رايـة الاسـلام تعلـو وإنـا أمـة الاسـلام صـف

رؤية الأبرار

محمد مؤذن

للأستاذ / احمد العناني

في المجلد الرابع من القسم الاول من تاريخ الطبري (طبعة هولنده ١٩٦٤) يرد النص التالي :

« لما وصلت أسلاب القادسية الى عمر (رضي الله عنه) بيت عليها عبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن ارقم يحرسان السلب في صحن المسجد فلما اصبح جاء في الناس فكشف جلابيبه .. فلما نظر عمر الى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى ، فقال له عبدالرحمن : « ما يبكيك يا أمير المؤمنين فإن هذا والله لموطن شكر ، فقال عمر والله ما ذاك يبكيني ، وتالله ما اعطى الله هذا قوما الا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا الا ألقي بأسهم بينهم » .

ومن قبل يرد في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما مؤداه أن لكل امة آفة وآفة امة محمد عليه الصلاة والسلام المال فمن انفق المال غير هياب او متردد كان عليه ان يجد مصدراً للمال قابلا للتجدد والإافإنه في نهاية المطاف يجد نفسه في مكان واحد مع الجانحين والخائنين والسارقين .

لقد طالما امتدح العرب والمسلمون

من بعد ظهور الاسلام إلى اليوم بذل المال في شؤون الكرم والضيافة والاعلان عن شرف الحسب ، وهم في ذلك ابتداء يمثلون جانبا من اسمى جوانب الفروسية كانوا فيه اساتذة للعديد من الشعوب ، وربما كانت التقاليد التي خلفها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وابناء اسماعيل من بعده في مكة هي اساس هذا الحرص الشديد على حب الضيافة .

لكن المعادلة الحياتية الدائمة تجعل المال في جانب والبذل في الجانب الآخر ، وهناك حقا تفاعل ادبي كبير في معادلة الكسب والانفاق فانك لاتستطيع ان تطلق يدك في الانفاق دون ان تكون يدك الأخرى ماضية في الكسب والا تحوَّل الامر الى كارثة .

وتروي الروايات عن ابراهيم عليه السلام ما يعزز وصف القرآن الحكيم لكرمه عليه السلام وطيب نفسه ، فقد كان لذلك النبي الكريم مال من الأنعام بمختلف انواعها ، ومن هنا كان بسهولة يعوج قليلا الى مكان قريب فاذا هو يعود بعجل حنيذ يقربه الى من حسبهم اضيافا من البشر .

وشاءت ارادة الله سبحانه وتعالى ان يكفي محمدا صلى الله عليه وسلم اوصاب الفاقة فقدر له زواجه من الزوجة المثلى ذات المال والحسب الرفيع خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، وبتلك الكيفية صار لمحمد عليه الصلاة والسلام ما تهيأ للرسل من قبله الا وهو الموقف الحميد يقول فيه للمعاندين من كفرة قريش (**قل لا اسألكم عليه أجرا**) .. الشورى - ٢٣ .

ولقد انفق عليه الصلاة والسلام كل ما كانت تصل اليه يداه في وجوه البر وكان بخاصة في رمضان اجود من الريح المرسلة ..

لكن الاسلام أدخل ضابطا دقيقا لامور البر لأن الاسلام دين الوسطية المثلى ، فهو يحث على الخير حثا متواصلا ويدعو للبر المفضي الى الجنة لكنه في الوقت نفسه يعني :

اولا : يشترط ان يجيء المال من حِلٍّ ، وحتى يتحقق ذلك فلا بد من التعب في الكسب ، والعمل في الاسلام اول مورد لمشروعية المال والتملك وهو رافدها الاكبر وحين يجيء الكسب بالتعب فإن التوسط في إنفاقه يكون واردا على الدوام .

ثانيا : يرتب على المال حساب دقيق في يوم الحساب وعلى كل نفس ان تثبت راسخة في ذلك الموقف الحسير الى أن تسأل عن كل كسب كيف كسبته وكل إنفاق فيم أنفقته وبهذا تصبح مسؤولية المال ووظيفته والنظرة اليه امورا تختلف جدا عن شبه المشاعية في النظرة الصحراوية للمال ..

ثالثا : يحمل الاسلام على التبذير على قدر ما يتهم البخل فالتبذير يضع المبذر في اخوة مع الشيطان بينما

البخل والكنز يعتبران من ضوامن النار والبوار والحقيقة ان كلتا الحالتين ضارة بالاقتصاد العام مقللة للانتاج معطلة للتداول مؤثرة في سوء توزيع الثروة .

هناك إذاً فارق كبير بين وجهة النظر البدوية الصحراوية للمال ، ووجهة النظر الاسلامية المنضبطة بالرغم من كل التشابه المبدئي في الحث على الكرم وفروسية الانفاق .

لكن هذا الشبه على خطورته لايحجب الفروق الاساسية فبينما يجد الجاهليون في المال وسيلة فعالة في التباهي والتفاخر ، والتنافس على التبذير والتكاثر فإن محمدا صلى الله عليه وسلم يرى انه لو اعطي ذهبا في حجم «أحد» فانه ينفقه في سبيل الله ..

واذا سألك سائل عن الوف المساجد ، والوف الرباطات والتكايا والزوايا من انشأها ومن أين جاء الرفد الوافر لبنائها او سألك سائل عن طلبة العلم تعج بهم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكة المكرمة وعواصم الاسلام في الشام كما في صنعاء ، وفي القاهرة كما في القيروان وفي القدس كما في بغداد وفي مرو بخراسان كما في سمرقند بافغانستان .

او سألك سائل عن أمة كثرت مرافقها ونالت اعظم الخدمة مدارسها ومعاهدها ومساجدها ، او سألك عن اهل الفقر كيف لا يصرخ بؤس لهم في وجوه ولا في ملابس ، ولا يبدو عليهم أثر من جوع او غل او حقد .

او سألك سائل عن النفير الى الجهاد كيف يتجمع له الناس في وقت لا يكاد يحسب وعند كل منهم سلاح ودابة تحمله ومؤونة تكفيه .

وعن ... وعن بغير نهاية فذلك كله بفضل الفهم الصحيح للمسلمين ، ولا سيما أغنيائهم الهادين المهديين الشاكرين انعم الله ، المرتجفين من هول الحساب امام الله رب العالمين .

ان مال المسلمين في نهاية المطاف يسارع الى الخروج من الخزائن المغلقة بمقدار ما يبطىء عند اليهود وعند كل الذين مسخت حياتهم فاصبحت الوسائل عندهم اهدافا والاهداف وسائل .. ومشوا مكبين على وجوههم فانقلبت النعمة عندهم نقمة ..

لقد كان مجمد صلى الله عليه وسلم أجود من الريح السائرة وكان في تحذيره رجالا من الأبرار ممن يبتلون بنعمة الغنى ان ينفقوا هكذا وهكذا ، جزافا في كل اتجاه عسى الله برحمته ان يخفف عنهم الحساب ، ويجزيهم احسن الجزاء فإن حيازة المال كما فهمها عن محمد صلى الله عليه وسلم رجال كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي لهي اشد خطرا من حيازة البارود يوشك ان يتفجر والثعابين توشك ان تتحرك حماتها المسمومة للسع القاتل ..

ألا قد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن آفة أمة محمد عليه الصلاة والسلام **هي المال**..

وصدقت دموع الفاروق اذ يبكي خشية من تدفق المال على المسلمين تدفقا يوشك ان يورثهم التباغض والفساد واذا ما دخل التباغض والحسد من باب سقط سر المسلمين وقوتهم من الباب الآخر ..

أما بعد ، فإن أمة الاسلام تواجه اليوم موقفا كثير الشبه بالموقف الذي واجهه رجال كقطز وبيبرس والعز بن عبدالسلام وابن دقيق العيد .

يوم اراد الامراء فرض دينار على كل بيت مسلم ضريبة دفاع وتجهيز للجيش للخروج لقتال التتار والصليبيين في ديار الشام ..

فإذا العلماء يرفضون ذلك إلا أن تصهر الجواهر والتحف ويجمع الزبرجد والياقوت والمجمد من الذهب على الابواب والادراج والتحف .. فلما أمر قطز بذلك وانصاع لرأي العلماء تجمع ما يكفي للجيش وما كفى للنصر أيضا .

نحن في محاضن الاسلام الاولى نواجه خطرا من ذلك الطراز لا مداواة له إلا بتضحيات على ذلك المستوى .

وكذلك فإن عمر أيضا رفض ذات يوم ان تقوم حقيقة الرجال عنده الا بعد معرفة مواقفهم من الدرهم والدينار فمن كان يتعبد المال فقد أقام على نفسه البرهان بخفة الميزان عند تقييم الرجال ، إن بذل المال هو البرهان على حقيقة الايمان،والحق جل جلاله يعرف التصاق الانسان بماله ولكنه يعلمنا في غير موطن واحد من كتابه العظيم ان حب الله سبحانه وتعالى يجب ان يعلو على كل حب لكي يقوم البرهان على التوحيد .

وكل من يخاف الله ينهي النفس عن الهوى ، وهل هناك هوى للدنيا متمثلا عيانا اكبر من هوى المال وتجميعه .

ولا بد لنا ان نستضيء في موقفنا الخطير في العالم الاسلامي كله بهذه الآية الصادقة بنور الحق من سورة التوبة حيث الحق جل جلاله يقول :

(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) التوبة ـ ٢٤ وعلى كل فرد مسلم ان يتبصر،وكل امرىء بما كسب رهين،واللهم ارزقنا رؤية الابرار العمرية لحال المال ومآل المال .

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الصوم وتربية الارادة

للأستاذ/عبد الحسيب الخناني

لا تجد أمة من الأمم ولا شعبا من الشعوب في العالم حتى الشعوب القوية الا وتعرض لهزة أضعفته أو زلة قدم أرجعته قليلا الى الوراء ، أو جعلته يمضي على منهج «محلك سر» ، ومن الأمم من استفادت بهزتها أو زلتها وراجعت حسابها وصححت مسارها ، وانطلقت الى الأمام ، ومن الشعوب من استولى عليه اليأس والاحباط وزاد ضعفا على ضعف ، فأصبح أسيرا لشعوب أخرى تشكله كيف تشاء هي وليس كما يريد هو .

والارادة ايضا تتعرض لبعض الاختبارات والمواقف المصيرية التي يعرف منها نقاط ضعف تلك الارادة ونقطة انصهارها ، أو نقاط القوة والاباء اللذين يهزمان كل المغريات ...

ونقطة انصهار الارادة تتفاوت من انسان الى آخر حسب المبادىء والمناهج التي تربى عليها منذ صغره ، وعلى سبيل المثال قد تجد شخصا ضعيف الارادة أمام المغريات المادية فهو بحكم ماديته « **عبد الدينار** .. **عبد الدرهم** » في حين تجد آخر قد يعيش في فقر مدقع ويحتاج الى لقمة

العيش يقيم بها صلبه ، ولكن كرامته وإباءه وعزة نفسه تنسيه جوعه وحرمانه وتدرب إرادته على التحمل ونسيان الجوع والحرمان ، وهذا الصنف ممن قال الله تعالى عنهم : (**لا يسألون الناس إلحافا**) البقرة/ ٢٧٣ .

ورمضان .. هذا الشهر الفضيل ... وهذا بيت القصيد ، فرصة ذهبية لنا نحن ـ المسلمين ـ من خلاله .. لا نقول إننا نختبر ضعيف الارادة من قويها .. ميت العزيمة ممن يملك زمامها في قبضته ، ولكننا نريد أن نعلم أنفسنا وأهلنا وأبناءنا كيف نقوي إرادتنا كما نقوى أجسامنا ، كيف نربي عزيمتنا كما نهتم كثيرا بتربية العضلات والانشغال بألعاب القوى .. نريد أن نجعل من ساحة رمضان الايمانية .. ساحة نتدرب فيها على أن نحمل قضايانا على أكتافنا ونتكاتف ونتآزر من أجل ديننا .. كما نحن مهرة في حمل الأثقال المادية والتفكير في الموارد والأرزاق وغيرها من الأشياء التي تكفل الله بها منذ الأزل ...

○ التصميم على المبدأ ○

ان القوة في ميدان التدريب على تربية الارادة وتنميتها تكمن في أنك مقتنع تمام الاقتناع بما تفعل ، واضع في اعتبارك المنهج الذي تسير عليه محدد للهدف ، حتى ولو تركك الناس .. فلا تهن ولا تتراجع ولا تتخاذل ولا تكون إمعة بلا شخصية أو رأي أو مبدأ تقول أنا مع الناس ان أحسن الناس أحسنت وإن أساءوا أسأت ، ولكن على الانسان أن يكون ثابت القدم راسخ العقيدة ، ماضيا الى الهدف الأسمى مصمما على بلوغه مهما كانت التضحيات .. ويحضرني في ذلك تلك الكلمة التي تصور قوة الارادة في أقصى أقصى درجاتها حين يجد الانسان نفسه محاطا بالأعداء ومعهم من القوة المادية ما معهم ، ولهم من الأعوان ما يناصرهم بالاضافة الى الحرب النفسية التي يشنونها عليه بهدف زعزعة ارادته واضعافها ، وتنحيته عن مبادئه ، وتعجيزه عن تأدية رسالته ، وهو من ناحية أخرى معه من يناصره معنويا ولكن لا يملك قوة على ردع الأعداء أو حمايته منهم .. فهو بذلك في مفترق الطرق .. وأي تصرف منه أو كلمة ستعطى بصمة واضحة تبين اتجاهه .. إما بصمة شرف تبقى في سجل التاريخ يتوارثه الاجيال واما وصمة عار ـ والعياذ بالله ـ تبين ضعف الارادة وانهيار الايمان ..
هذه الكلمة العظيمة هي في الحقيقة بضع كلمات ولكنها مع بساطة أعدادها ، شديدة الوقع على النفس توضح عمق الارادة التي تهتز لها الجبال وتكتب ارادة أمة وليس ارادة فرد واحد ، انها كلمة المصطفى صلى الله عليه وسلم التي قالها لعمه ، وقد جاءه يعرض عليه ما يدبره له المشركون من محاولة قتله ... قال النبي صلى الله عليه وسلم بالحرف الواحد والعزم الواحد والارادة القوية التي لا تلين : « والله يا عم .. لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في

يساري على أن أترك هذا الأمر (وهو أمر الدعوة الى دين الله) ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»

انه صلى الله عليه وسلم يعطينا القدوة والمثل في أن الحق لا يقبل المفاوضة أو المساومة اما ان نجاهد في سبيل نصرته ، أو نموت ، فلا معنى لبقائنا بلا ارادة نرى حقنا يسلب ويضيع ، ونحن نلهو ونرعى كالسائمة لا قضية لنا .. ولا هدف .. ولا اتجاه ... الا أن نأكل ونشرب ونكتسي مما يبعث فينا حب زخارف الحياة الدنيا من رغد العيش وراحة البال فولد لدينا الأنانية المقيتة التي تجعلنا نهدم في صروحنا ونحن متبلدو المشاعر ولم نعد في علاقاتنا الاجتماعية كالبنيان يشد بعضه بعضا .

○ جهاد النفس ○

تربية الارادة تنبثق وتتولد من فضيلة الانتصار على النفس .. والانتصار على النفس وملذاتها وشهواتها أول طريق للانتصار على الأمم ، والصوم هو نقطة الانطلاق للمسلم لكي يحقق كل ذلك .. لأنه اذا انتصر على نفسه وكبح جماحها فقد ملك كل شيء والا فلماذا سمى ترويض النفس ومقاومة شهواتها وملذاتها وعصيان أوامرها بالجهاد الأكبر ؟

إن رمضان شهر الجهاد .. جهاد النفس وتهذيبها بعدم تلبية أوامرها ورغباتها كالطفل المدلل كلما بكى أسكته أبوه ، وكلما رغب أو طلب حاجة سارع بتلبيتها ، فلا بد أن يكون الانسان حازما مع نفسه يمنعها عن شهوة الطعام والشراب ويكبح جماحها عندما يحين موعد الامساك ، ولا يتركها تغط في نوم عميق طوال ساعات النهار مما يفقدها فائدة الصوم ، ان من مقاصدالصوم أن

نستشعر إحساس الجوعى والفقراء والظمأى الى الخير ، فنسارع اليهم ونمد يد العون لانقاذهم ونعصي أنفسنا التي تأمرنا بالبخل والشح وعدم الانفاق .

○ أمانة يجب صيانتها ○

ان الذي يشعر المسلم الصائم بالسمو الأخلاقي الذي يحسه بينه وبين نفسه أن يرقى الى مرتبة آمنه الله على الحفاظ عليها،فكان أمينا على شيء يعتبر سرا بينه وبين خالقه لا يحاسبه على كشفه أو خيانته الا هو سبحانه وتعالى ، وهذه السرية التي تحيط بالصوم اختبار قوي لقدرة المسلم على التحكم في نفسه ، فلا يأكل ولا يشرب حتى ولو كان في مكان لا يراه فيه أحد من الناس ، فالله سبحانه وتعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف بعباده الخبير بما يصنعون يطلع عليه وهو القائل في حديث قدسي « **كل عمل ابن آدم له الا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به** » رواه البخاري .. فالجزاء اذن متوقف على أمانة الصائم في السر الذي استأمنه الله عليه حتى يميز بين المنافق الذي يفطر سرا وينتحل صفة الصائم من الصائم الحقيقي الذي كبح شهواته

وتحكم في غرائزه ، وتحمل الجوع والعطش لخوفه من الله عز وجل ، وليس ليقال عنه إنه صائم .

○ فرصة للمدخنين ○

ولعل الصوم فرصة ذهبية للمدخنين لكي يتخلصوا من هذا الوباء ويتحرروا من استعباد هذه العادة السيئة .. فما دام الانسان قد استطاع ان يمسك نفسه عن تلبية ضرورة حياته وهي الطعام والشراب لفترة زمنية محددة ، فليس أيسر عليه من أن يقلع عن هذه العادة الذميمة التي لا تعود عليه الا بالضرر المحقق . وبعض من ضعفت ارادتهم ولم يستفيدوا من صومهم يأتي بالتبغ الى المائدة حتى يسرع في اشعال سيجارة عقب الفطور مباشرة وربما جعل فطوره سيجارة بدلا من تمرة ، أو شربة ماء ، كأنه يكاد ان يقول إنه كان مقيدا بالأغلال طوال النهار ، ولم ينظر الى أن الصوم في حقيقة الأمر انما هو تحرر من رق النفس الأمارة بالسوء .

○ بلوغ الهدف ○

ولكي يكتمل الهدف من الصوم والذي يتمثل في تربية الارادة لدى الانسان فعلى المسلم أن يمسك لسانه عن الخوض في اعراض الناس كما أمسك عن المفطرات الحسية ، فلا غيبة ولا نميمة ولا سباب ولا فسوق ولا قتال ، ولا شهادة بالباطل لنصرة ظالم على مظلوم أو لتصفية حسابات شخصية على حساب الآخرين .. لأن كل هذه الأمور من عوارض فشل الصائم في الاختبار النهائي ، ولذلك يحذرنا الرسول عليه الصلاة والسلام منها في قوله : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» رواه الجماعة الا مسلما وفي قوله «رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر » رواه النسائي وابن ماجة والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ، وفي قوله «اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل اني صائم» جزء من حديث رواه احمد ومسلم والنسائي

* ان في الصوم ارتفاعا في درجة الصبر عند الانسان وتربيته على البذل والتضحية بشهوات النفس في سبيل الغاية وللصوم أكبر الأثر في تهيئة نفوس المسلمين للجهاد في سبيل الله وكثيرا ما خاض المسلمون معاركهم في رمضان وكان النصر حليفهم مما يدل على ان الانتصار على النفس هو أول خطوة للانتصار على أعداء الله وان تربية الارادة على التحكم في غرائزنا تنمي ارادتنا على الاصرار في الوصول الى الهدف ولعل رمضان فرصة لتحقيق ذلك إن شاءالله

والله يهدينا الى سواء السبيل .

الصيام وجهاد النفس

للأستاذة / تماضر تهامى محمود

أن الاسلام شريعة خالدة ، صالحة لكل زمان ومكان ، وجميع ما جاء به الاسلام من أحكام وآداب يهذب الانسان ، ويسمو به الى آفاق عليا من التطهر ، والصفاء الروحي ، فيصبح أهلا لخلافة الله سبحانه وتعالى على الأرض ، يدافع عن الحق ، وينتصر للخير ، ويعمل على صالح الجماعة ، ويقضي على الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون .

ولقد أعطى الاسلام الانسانية عنايته ورعايته ، ومنح الانسان كرامته ، وصان له عزته وحريته ، وكرمه وفضله بين المخلوقات بالعقل الذي يخاطبه ويتعامل معه ، ومتعه بمباهج الحياة ، ولم يحرم عليه زينة الله سبحانه وتعالى التي أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق ، ليتمتع بوجود انساني كريم ، لا يصادم غرائزه وطبائعه ، ولكن يحددها بقيود من الدين ، فما من فضيلة الا وهو يطبع عليها صبغة الله عز وجل ، ومن أحسن من الله جل شأنه صبغة .

والصيام في جوهره ، استعلاء على جميع ضرورات الجسد ، من طعام وشراب وما اليهما ، وهذا الاستعلاء تدريب عملي وتربوي ونفسي ، لاعداد

المسلم للحياة الكريمة العزيزة التي خلق لها ، وأمر بالحفاظ عليها . والدفاع دونها .

ان المسلم عندما يمسك عن كل ما يفسد صيامه ، يستشعر رقابة الله عز وجل عليه ، ويفطم نفسه عن عاداتها المألوفة فترة من الزمان ، في أيام معدودات ، تكون لها بمثابة التدريب العملي على تغليب الجانب الروحي في الانسان ، فلا تتحكم فيه النزوات والشهوات ، ولا يخدعه حطام هذه الحياة الدنيا الفانية ، فيحيا عزيزا أبيا ، لايرضى بالدنية في دينه ، ويقدم نفسه وماله فداء لعقيدته ، وحريته وكرامته .

● الصيام يثمر التقوى في النفوس :

لقد فرض المولى سبحانه وتعالى الصيام على المؤمنين به في كل دين ، يقول الله عز وجل في كتابه الكريم « **يأ يها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**» سورة البقرة آية ١٨٣ ـ فالصيام المثالي في جو هذه الآية الكريمة مرتبط بالتقوى ، فهي هدفه وثمرته .

ان التقوى هي جماع كل فضيلة وغاية كل عبادة ، ونتيجة كل عمل باخلاص ، فلا عجب أن كان الصيام طريقا لها ، ففيه أسرار عميقة لا يدركها إلا العلماء المخلصون ، ففي الصيام اصلاح متعدد النواحي ، فهو علاج للصائم من امراض عضوية لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ، ووقاية من أمراض نفسية واجتماعية كثيرا ما يتعرض لها الفرد والمجتمع ، فالصيام سر أعجز الطب ، ومبدأ اجتماعي أدهش المصلحين ، ولذا قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصوم جنة » أي وقاية .

والتقوى هي المطمح الأسمى للنفوس المؤمنة المخلصة ، لأنها التزام بفعل المأمورات ، وترك المنهيات .

وهي اساس الخشية من الله سبحانه وتعالى ، وفي ظلها تستقيم الحياة ، ويعتدل ميزانها .

وهي المحيط الواسع الذي تصب فيه كل الأخلاق الفاضلة .

أما الصيام الظاهرى الذي يكتفي به بعض الناس ، حين يمتنعون عن الطعام والشراب فهو صيام سلبي ، لا يهذب نفسا ، ولا يقوم سلوكا .

إن الصيام يحتاج لكي يثمر التقوى في النفوس ، والخشية في القلوب ، والورع في الأقوال والأفعال يحتاج الى جهاد كبير ، جهاد يفوق الجهاد بالنفس والروح ، لأن من ينتصر على ضرورات الجسد ، ويستعلى عليها ، سيمر بلا شك بمرحلة صراع مرير ضد الشهوات والرغبات ، وضد النفس الأمارة بالسوء ، فاذا ما انتصر في هذا الصراع كان جديرا بعد ذلك بالفوز والنصر في ميدان الجهاد بالنفس .

ويدل على ذلك ماقيل في الجيش الاسلامي عندما رجع من احدى الغزوات : رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر .

ويقصد بالجهاد الاصغر جهاد العدو ،وبالجهاد الاكبر جهاد النفس ولا يكون جهاد النفس في عبادة اقوى منه في الصيام .

وإذا كان الانسان لا يقدم على الجود بالنفس والروح في ميدان الحرب بحصوله على الاستشهاد الا بسبب عقيدته الراسخة ، وايمانه القوى ، فإن الصيام كما فرضه الاسلام يربي في المسلم العقيدة القوية الثابتة ، التي ترى في الشهادة سعادة ومغنماً ، تهفو إليه ، وتسعى جاهدة لبلوغه ، فاحساس الصائم بمراقبة الله سبحانه وتعالى له والايمان بأنه مطلع عليه ، يخلق لدى المسلم ملكة المراقبة لله عز وجل ، والحياء منه أن يراه حيث نهاه .
والمسلم إذا عاش حياته لا يخشى إلا الله سبحانه وتعالى ، فانه يصل الى مرحلة العبودية الحقة ، فهو لهذا يستعذب الموت في سبيل الله عز وجل ، ولا يشغله في الحياة عرض زائل ، أو متاع فان ، وينتصر في معركته مع نفسه .

● الصيام فريضة جهاد شاق :

ان العبادات التي كلف بها الله سبحانه وتعالى المسلمين ، هي مظهر للمعارك النفسية الدائرة في داخلهم ، واسلحة تساعد العقل على انتصاره في معاركه ضد الشهوات والرغبات ، وهي تكاليف لم تقصد لذاتها ، بل لها غاياتها ومرماها ، فعلاوة على انها تربط بين العبد وخالقه عز وجل ، تعده إعدادا شاملا وقويا ليكون انسانا كاملا في حياته العامة والخاصة التي يحياها .

والصيام فريضة جهاد شاق ، ولم يفرض إلا للسمو بالانسان ، واعداده ليكون صالحا للجهاد في مختلف مجالات الحياة ، وليس القصد منه على وجه الاطلاق تعذيب الانسان بالجوع والعطش ، لأن الله سبحانه وتعالى أرحم بعباده من أن يفرض عليهم ما فيه مشقة لهم أو تعذيب ، ولكنه جل شأنه يفرض ما يفرض لمصلحة الانسان ، وسعادته في الحياة الدنيا والآخرة .
ولقد وردت الآثار والأخبار التي توضح حقيقة الصيام ، وأنه ليس مجرد الامتناع عن الطعام والشراب وما اليهما ، وأن الغاية الأولى منه والأسمى هي الانتصار في معركة الشهوات والرغبات ، ليظل العنصر الروحي في الانسان له القيادة والسيادة فالصائم الذي لا يلتزم بخلق الصيام محروم من خير كثير ، لأنه اخذ الصيام من ناحية تعبه ومشقته ، وترك هدفه وغايته وثمرته .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه » رواه الجماعة الا مسلما .

وهذه الآثار والأخبار تؤكد ان الصيام ما هو الا عبارة عن فترة تربية وتدريب ، يتزود منها المسلم بما يبتعد به عن كل طريق الا طريق الحق والخير ، ويجعل صيامه كله ايمانا واحتسابا ، مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه احمد واصحاب السنن .

ومعني كلمة « ايمانا » أن يكون المسلم مؤمنا مصدقا بوعد الله سبحانه وتعالى للصائمين والقائمين بالأجر العظيم ، ومعنى كلمة «احتسابا » أن المسلم لا يستطيل أيام الشهر ولا يستثقل صيامه .

وهذا التجرد والاحتساب في الصيام يؤدي الى خضوع الجوارح لعزيمة القلب ، وسيطرة الارادة ، وهذا حق لا جدال فيه ، لأن الصيام يستهدف تحقيق القدرة الذاتية للانسان ، بتقوية الارادة وتحريرها من الخضوع لسيطرة الهوى ، وحفظ القلب من بواعث الشر ، ونوازغ الشيطان ، ووقاية العزيمة من الضعف فلا يذل الانسان لمتعه الحسية ، أو يفتن بمغريات مادية ، وبذلك يتحرر القلب في سيره الى الخالق سبحانه وتعالي من العلائق ، ويخلص من العوائق ، وينجو من البوائق ، ويعود نفسه بتكرار عادة الصيام .

ويقول علماء الأخلاق : انه لكي تكون الافعال علامة صحيحة على خلق صاحبها لا بد وأن يجتمع فيها عنصران .

العنصر الأول :

أن الأفعال تتكرر على نسق واحد ، وترتيب محدد ، حتى تكون عادة مستقرة ، وحتى تدل على قوة راسخة ، ونزعة ثابتة الى هذه الأفعال ، فان الذي يدل على خلق الانسان هو جميع تصرفاته في كافة الأوقات ، والأحوال المختلفة ، وليس في النادر منها ، إذ إن ذلك لايقاس عليه .

العنصر الثاني :

أن تقوم العلامات على أن هذه الأفعال صادرة بطريقة انبعاثية عن النفس ، وليست أثرا ناتجا عن سبب خارجي من الخوف والرجاء ، او الحياء ، أو الرياء ، او نحو ذلك ، الأمر الذي يجعل صدور هذه الأفعال تكلفا وتصنعا على خلاف سجية صاحبها ويجعلنا نحكم بأن خلقه الحقيقي على النقيض مما يدل عليه ظاهر هذه الأفعال ,

ان الصيام مدرسة للتربية الروحية ، والخدمة الانسانية ومعهد للتدريب على اخلاق المقاومة ، والصبر والبذل والكفاح ، كما انه مفتاح الحرية والاصلاح ، والتعمير لمجتمع افضل ينشده الاسلام ، الذي يعرف سبيله في بناء الأمم الحضارية .

والصيام يعود الجماعة الاسلامية على التعاطف والتراحم فيما بينها ، فهو مظهر من مظاهر الترابط والوحدة كما قال الله عز وجل في محكم آياته « **وإن هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** » سورة المؤمنون . آية ٥٢ .

والصيام فرصة سنوية لمحاسبة النفس على تقصيرها في فعل الطاعات ، وعلى اندماجها في فعل المعاصي ، وهي فرصة قصيرة الأمد ، ولكنها بعيدة الأثر في جعل النفس تلجأ الى ربها عز وجل وتعود الى ساحة الرحمة والغفران .

وهو يهدف الى الوصول بالانسان الى أقصى مراتب النضج النفسي والاجتماعي ، وجوهر هذا النضج هو القدرة على معرفة حاجات الآخرين واهمية تحقيقها ، وبذلك يدرك الانسان ان سعادته مرتبطة بسعادة غيره من الناس .

والانسان الناضج نفسيا هو الذي يحس باحساس الآخرين ، فلا يكون انانيا ، ولا يحب أن يستأثر على الناس او يتسلط عليهم ، بل يشعر ويحس بأنه عضو في الجماعة الانسانية التي يعيش فيها وينتمي اليها ، والنضج النفسي والاجتماعي هما اللذان يساعدان الفرد على زيادة التكيف لمطالب الحياة ومواقفها المختلفة .

● جزاء الصائمين

ان النفوس البشرية تتلهف بطبيعتها على معرفة ثمرة عملها وفعلها ، والوقوف على نتيجة كفاحها وجهدها ، وقد اوضح رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاء ما اعده الله عز وجل للصائمين ، فقال من لا ينطق عن الهوى « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ».

وقال صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها ابواب السماء ، ويقول الرب : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين » الترمذي وابن ماجة واحمد .

وقال في حديث ثالث : « ان في الجنة بابا يقال له « الريان .. يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه احد غيرهم ، يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون لا يدخل منه احد غيرهم ، فاذا دخلوا أغلق ، فلم يدخل منه احد » رواه البخاري ومسلم .

كما ان من بين العديد من النعم التي أنعم بها الله عز وجل على الصائم انه وعده بلقائه ، ولقاء الله عز وجل والتمتع بالنظر الى وجهه الكريم ، انما هو غاية اهل الجنة ، ومنتهى املهم ، وأعظم نعيم يتنعمون به ، واحلى متعة يحسون بها فقد روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله « للصائم فرحتان . فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه » رواه مسلم .

ان الصيام عبادة تلتقى في هدفها مع اهداف القرآن الكريم ، في تربية العقول والأرواح ، وتنظيم الحياة ، ويوحد بين المسلمين في اوقات الفراغ والعمل ، وأوقات الطعام والشراب ، ويفرغ عليهم جميعا صبغة الانابة والرجوع الى الله عز وجل ، ويرطب السنتهم بالتسبيح والتقديس ، ويعفها عن الايذاء والتجريح ، ويسد عليهم منافذ الشر والتفكير فيه ، ويملأ قلوبهم بمحبة الخير والبر لعبادة الله عز وجل ، ويغرس في نفوسهم صفة الصبر ، الذي هو عدة الحياة ، وهكذا يريد الله عز وجل أن يكون الانسان .

أما آن لنا أن نقتدى بسلفنا الصالح ، وندرك تمام الادراك رسالة الصيام في الاعداد للجهاد النفسي لأنه الجهاد الأكبر ، حتى نخوض غمرات الحياة ، وفي صدورنا قلوب لا تجزع ، ونفوس لا تهلع ، لنعيد لتاريخنا امجاده الباهرة ، ومعاركه الظافرة ، ولتظل على الدوام كلمة المولي سبحانه وتعالى هي العليا ، وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

اننا محتاجون الى فهم واع لحكمة الصيام والعبادات كلها ، والي تربية نفسية لتطبيق هذه التشريعات حتى تؤتي ثمرتها المرجوة في تهذيب الأخلاق ، ورقى المجتمع . .

نسأل الله العلى القدير أن يعيد هذا الشهر الكريم وقد اتحدت كلمة المسلمين وصفت نفوسهم ، ورقت قلوبهم انه سميع قريب ، مجيب الدعوات .

ليس هناك بعد الايمان والعافية او الصحة نعمة أجل ولا أفضل ولا أعز ولا أكمل من العقل الانساني أثر الصنع الرباني ، فبالعقل والتفكير عرف الانسان ربه وخالقه وخالق السموات والأرض قبل الرسالات الالهية ، وبالعقل والوعي والمقارنة أدرك الانسان صدق الأنبياء والمرسلين الذين اعتمدوا في إثبات نبوتهم على المعجزات الخارقة للعادة ، وبالعقل وحده كرم الله الانسان حين قال سبحانه وتعالى : « ولقد كرمنا بنى آدم . » سورة الاسراء آية ٧٠ .. أي بالعقل

بالعقل والعلم نتاج الفكر تتقدم الأمم والجماعات والأفراد ، وترتقى مدارج العز والرقي والكمال ، وبالعقل نوازن بدقة بين الاشياء ، وندرك ظاهرة التوازن المودع في الكون سمائه ونجومه وارضه ونحكم على الآخرين ، كما يحكم القاضي بأناة وحصافة وذكاء وإمعان فكر على المتخاصمين لديه ، لإحقاق الحق ، وإقامة العدل ، وفصل الخصائم والمنازعات .

وبالفكر الهادىء والقلب الواعي نميز بين ما صح من الدين وصلح ، وبين ما تبدل وتغير وشوه وفسد ، مهتدين بمبدأ وحدة الدين في أصوله الكبرى ، وكلياته العظمى ، وغاياته السامية فإن الفكر السليم او العقل الناضج يلتقى دائما وتماما مع الدين السماوي الحق ، ولا يعارض الدين العقل السليم بحال، كما لا يصادم العقل المتفتح غير المتأثر بالأهواء والتقليد والوراثة دينا صح ووحيا أنزل .

لهذا كله كان القرآن العظيم والسنة النبوية الصحيحة الشريفة مع العقل لا يفترقان ولا يتعارضان ، فالقرآن الكريم غذى الملكات العقلية بالعلوم والمعارف النافعة ، ودفع الهمم والحركات الفكرية الى الانتاج والعطاء والعمل وجعل كل إنسان مسؤولا مسؤولية تامة عن تعطيله طاقات الفكر الموهوبة ، وإبداع العقل ، ودعا كل إنسان للافادة من خزائن الأرض

فكر المسلم وتوجيه الطاقة البشرية

محمد مؤذن

للأستاذ الدكتور / وهبة الزحيلي

ومنافع الكون التي خلقها الله تعالى ، وأوجدها لخير البشرية ، ليختص الناس بالانتفاع بها ، ويعود عليهم خيرها : « **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم** » سورة البقرة آية ٢٩ .

فمن آي القرآن التي تحض على استخدام دائم للفكر قوله تعالى « **قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون** » سورة يونس آية ١٠١ وقوله سبحانه وتعالى : « **أو لم يتفكروا في أنفسهم** » سورة الروم آية ٨ . وقد ختمت عشرات الآيات بقوله تعالى « **إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » الرعد آية ٣ . وتلك دعوة صريحة إلى استعمال الفكر في كل شيء لأن الفكر الهادىء المستقيم لا يرشد الا الى خير ، فهو نعمة من الله ، والله يهدي دائما للحق ، والى صراط مستقيم .

فالمسلم في تفكر دائم وجهاد دائم ، ولكن بطمأنينة وثقة وأمل ، لابقلق وضجر واضطراب ، والفكر يلازم المسلم في كل حركاته وسكناته ، سواء في تأملاته ومناجاته ربه في صلواته وتلاوة آيات الله ، وتسبيحاته وأذكاره لرب الكون ، أو في ليله ونهاره ، أو عمله ونشاطه ، أو هدوئه وراحته ، وتراه لا يفتأ يهدأ فترة إلا ويفكر في

نشاط اخر يرضى الله ، ويعود عليه وعلى أمته بالخير والتقدم ، لأن الله يكره العبد البطال .

وفكر المسلم لا يستعمله الا في خير وعمار وحق ونفع عام أو خاص ، ولا يوجهه اصلا إلى شر وضلال ودمار وخراب ، لأنه من آثار الرحمن ،

والرحمن رحيم بكل مخلوقات السماء والأرض . وإذا ما شذ فكر المسلم أحيانا في غمرة من الجهل والطيش سرعان ما يستفيق ويعود إن عاجلا أو آجلا الى رشده ، قال تعالى : « **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** » سورة الأعراف آية ٢٠١ .

والمسلم في مجال إعمال الفكر وتحديد غاياته حريص على نفع نفسه وغيره ، لأنه يحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه ، فلا يقصر تفكيره على قضاياه الخاصة وإنما ينظر ويتدبر فيما يحقق النفع لأمته والبشرية جمعاء دون أن يفتر أو يمل أو يكل .

وما أجمل تشبيه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم للمؤمن بأنه تارة كالنخلة لا يسقط ورقها (مثل المؤمن مثل النخلة ، ما أخذت منها من شيء نفعك » رواه الطبراني عن ابن عمر ، وهو حديث حسن .

وتارة اخرى كالسنبلة « مثل المؤمن مثل السنبلة تستقيم مرة وتخر مرة ومثل الكافر مثل الأرزة لا تزال مستقيمة حتى تخر ولا تشعر » رواه احمد .

وفكر المسلم لا يقتصر على منحى دون آخر ، وإنما هو شامل متفتح بعيد الغور والأفق ، واسع الرحب والعمق ، فهو كما يفكر في شؤون الدنيا ومصالح الأمة والحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، يفكر في شؤون الآخرة ، والمصير الحتمي المنتظر ، والحساب والخلود الدائم ، إما في نار جهنم ، وإما في جنان الخلد ، ولا شر بعد شر النار ، ولا خير بعد خير الجنة ، فينفر مما يؤدي الى الأولى ، ويقبل على ما يوصل إلى الثانية .

وفكر المسلم ذاتي مستقل غير تابع ولا مقلد وإنما هو مبدع وأصيل ومبتكر ، كما هو شأن شريعته ودينه وشخصيته لا تبعية فيها ولا تقليد ، وقد تضافرت الآيات التي تندد بمواقف المقلدين والأتباع للآباء والأجداد دون صواب فقال تعالى « **بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أو لوجئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون** » سورة الزخرف : آية ٢٢ ـ ٢٤ » والأمة هنا : الطريقة والدين .

وقال تبارك وتعالى أيضا حاكيا فعل الأتباع غير العقلاء « **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون * ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا**

يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون » سورة البقرة آية ١٧٠ و ١٧١ .

ونعى القرآن الكريم على أولئك الذين يعطلون استخدام الحواس والعقل وموهبة الفكر ، لتظل شجرة الانتاج مثمرة دائما ، يانعة الثمار ، وذات خير وعطاء مستمر ، في ظلها وخضرتها ونفعها ، فاستحقوا بهذا التعطيل الزج في نار جهنم يصلونها سعيرا ملتهبا ، فقال تعالى « **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** » سورة الأعراف آية ١٧٩ .

ومن هنا كان المسلم مسؤولا عن المدارك والمعارف التي لم يثبت دليل على صحتها ، وحتى لا يكون عرضة للسخرية والاستهزاء ، وحتى لا يتأثر بالأوهام والخرافات والشائعات التي لا ترتكز على منطق صحيح ، وما أشد تأثير مثل هذه الخرافات مع الأسف في أذهان العامة الذين لا يخضعون في نقاشهم لميزان العقل السليم والفكر السوى والعلم المتيقن ، فقال تبارك وتعالى ناهيا رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم « **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا** » سورة الاسراء آية ٣٦ .

ومما تجب الاشارة اليه في مجال إعمال الفكر أن العوام اساءوا فهم عقيدة القضاء والقدر في الاسلام وكأنهم يريدون بعباراتهم المرسلة غير المتأنية تعطيل نعمة الفكر التي أنعم الله بها عليهم ، فيزجون بأنفسهم في مواطن الهلكة والسوء ، أو الشبهة والشك أو في تيار المخاطر والمخاوف ، ظانين دون اتخاذ الوسائل أن ما قدر كائن ومن دون حذر ولا روية ولا اختيار إنساني مع أن الله سبحانه وتعالى في قرآنه نبههم بقوله تبارك وتعالى « **وخذوا حذركم** » سورة النساء آية ١٠٢ ـ « **ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين** » سورة البقرة آية ١٩٥ .

والعكس من تصور العوام هو الصحيح فإن عقيدة القدر في الاسلام تنسجم مع التفكير وضرورة إعمال الرأي لأن كل شيء مغيب عن الانسان ، وليس في هذه العقيدة أي مظهر من مظاهر التواكل والتخلف والسلبية ، وتعطيل الطاقات البشرية ، وإنما تعنى عقيدتنا التفويض الى الله عز وجل فيما لا قدرة للبشر عليه ، وتعتمد على الايجابية والاقدام والجرأة والحزم .

صحيح أن ما قدر كائن ، حتى لا يجزع الانسان على ما أخطأه أو فاته أو أصابه أو لم يتحقق له ولكي لا يعزف عن القيام بواجبه في الحياة ، والانسان يجهل المقدر ، لذا كان عليه الرضا بما حدث ، إذ لا يستطيع تغييره ومحو آثاره ، وعليه أن يفكر في المستقبل ، وما عليه إلا أن يتخطى آثار الماضي بما له وما عليه وينتقل إلى العيش في متطلبات الحاضر ،

ومقتضيات المستقبل فيفكر في طريق الخروج من المآزق ، ويستعمل الحكمة في التصرفات والمسالك ، ويكون فكره جادا حازما صارما حتى يندفع نحو تحقيق غاياته في حدود قدراته دون تجاوز او اعتداء على حقوق الاخرين .

وعليه أن يتقن كل عمل قام به ، ويخطط تخطيطا سليما لانجاح مسعاه ورفع مستوى كفاءته وعمله لأنه لا بد من اتخاذ الأسباب والوسائل في كل شيء ، ثم يتكل على الله سبحانه ويفوض اليه الأمر في النهاية ، لأن الله هو الذي يحقق له الهدف ، ويوفقه الى الخير ، وحسن الظن بالله وحسن الاعتماد والتوكل عليه من الايمان قال تعالى « **ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا** » الطلاق آية ٣ . فليس معنى التوكل هو التواكل ، وإنما معناه تفويض الأمر لصاحب القدرة الحقيقية الفعالة المؤثرة في إنفاذ ألأشياء وهو الله جل جلاله وذلك بعد اتخاذ كل الوسائل والمساعي الطيبة الممكنة من إعمال فكر ، واتقاد ذهن وقريحة ، وشحذ إرادة وعزيمة والتزام روية وحلم وعقل ، ومشورة ناصح أمين ، ثم إعداد خطة سليمة ، وتوجيه الارادة والعمل نحو أهداف بناءة تقوم على الخير والهدى والرشاد ، على نحو ما علمنا القرآن إياه .

ويظهر أنه لا بد في كل شيء للمسلم من قدح زناد الفكر ، ومجاهدة النفس ، وإضناء الأعضاء العاملة فكل ذلك مما يثاب الانسان عليه ويكافأ قال تبارك وتعالى « **وجاهدوا في الله حق جهاده هو أجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج** » سورة الحج آية ٧٨ . وقال الله سبحانه « **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** » سورة العنكبوت آية ٦٩ .

وحينما أعمل المسلمون عقولهم وأفكارهم ونشطوا في شغل أوقاتهم ، وهيأت لهم دولتهم مناخ العمل ، كانت دنياهم عامرة بالخير ، مترعة بالعطاء ، حافلة بالتقدم والازدهار ، وأصبحت علومهم وثقافاتهم ومعارفهم نتاج أفكارهم منارا يهتدى بها ، وأساسا في بناء النهضة والمدنية الحديثة عليها ولا يستطيع أحد أن ينكر فضلهم في ميدان العلم والمعرفة وتقدم قواعد العلوم النظرية والتطبيقية .

ومما ينبغي الانتباه له أنه لا قيد على الفكر في الاسلام إلا بأنه يكون ضمن أصول الشرع ، وفي غير مجال الغيب ، حتى لا يكون الفكر مجرد هوى وشهوة أو نزوة طائشة ، أو تلاعبا في القيم والأصول والمعايير السليمة ، وهذا القيد هو الضابط والمعيار الذي فرضه الشرع عند تقدير المصالح والمفاسد ، فليس كل مايراه الانسان مصلحة او مفسدة هو في الواقع كذلك ، وإنما لا بد من ميزان يحتكم إليه في تقدير ما هو مصلحة في الواقع أو مفسدة عملية لذا قال تعالى مبيناً خطر اتباع الهوى : « **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم**

بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون »
المؤمنون آية ٧١

وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالتزام هذا القيد فيما يجتهد فيه من القضايا والمشكلات الطارئة والحلول المعروضة ، فقال سبحانه وتعالى « **قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين** » سورة الانعام آية ٥٦ . وقال عز وجل « **قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي** » سورة يونس آية ١٥ « **إن أتبع إلا ما يوحى الى وما أنا إلا نذير مبين** » سورة الاحقاف آية ٩ .

والتزام حدود الشرع ومعاييره في توجيه الفكر والطاقة البشرية ووضع الضوابط الموضوعية السليمة له ، مؤد لا شك الى الحق ، إذ لا تصادم كما تبين آنفا بين الشرع والعقل الصحيح .

لأن الفكر مهما أوتى صاحبه من عبقرية ، يظل قاصرا محدودا ضيقا ومعرضا للأخطاء ، فإذا ما اهتدى صاحب الفكر بهداية الله ، كان رأيه أقرب إلى الصواب وأبعد عن الخطأ والضلال

وقد حذر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة من اتباع الهوى واعجاب المرء بنفسه مثل مارواه الترمذى « إذا رأيت شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، ودنيا مؤثرة فعليك بخاصة نفسك ودع عنك العوام » وسبيل النجاة من هذا المأزق تشاور المفكرين واستشارة الأمناء والمخلصين والاتعاظ والاعتبار بتجارب السابقين والافادة من خبراتهم ، فالفكر أمانة والعقل أمانة والسلطة امانة ، ولا عاصم من الزيغ والهوى الا بالتزام أصول الشرع والعقل الرشيد .

وإذا ما اسىء استخدام الفكر ، كان الوبال على صاحبه وكذلك اذا أحسن استخدامه كان الخير والفضل لصاحبه ، ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله ، ومن سن سنة حسنة ، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ، ووزر من عمل بها من بعده الى يوم القيامة .

ومصدر كل سنة كما هو معروف هو الفكر ، ما عدا سنة النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة بالوحي « **وما ينطق عن الهوى * إن هو الا وحي يوحى** » سورة النجم آية ٣و٤ »

والفكر أداة التخطيط الذي يعقبه التنفيذ أو الأمر بالشىء والاقدام عليه وما لم يقترن الفعل بالفكر او القول ظل معدوم الأثر . وإذا صح الفكر استقام العمل وتحققت الغايات ، والفكر معقد النية ، وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى

التثبت في الرواية والكتابات المعاصرة

للأستاذ /

محمد نجيب لطفى

بادىء ذي بدء نقول : إن الناظر إلى الكتابات المعاصرة من خلال ما يكتب في الدوريات أو المؤلفات المستقلة يستوقفه ثمة أمر خطير جدا ، وهو عدم التثبت فيما يروى من أحاديث منسوبة إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أحيانا ، وثمة أمر خطير آخر وهو أن ينسب الى الشيخين البخارى ومسلم أو إلى أحدهما ما لم يخرجاه في صحيحيهما .

ولا شك أن لذلك أسبابا نذكر منها ما يلي :

١ - عدم الاهتمام بدراسة علم الحديث الشريف دراية ورواية مما يؤدى بدوره الى عدم المنهجية في التعامل مع الأحاديث النبوية الشريفة ، والتعامل معها بصورة ارتجالية عشوائية بعيدة كل البعد عن الصواب .

٢ - الرغبة الجارفة في سرعة إتمام الأعمال من مقالات أو كتب مما يجعل الكاتب لا يهتم بالتخريج والتحقيق لما يورد من أحاديث نبوية شريفة متوهما أن ذلك سيعوق الأعمال ويؤخرها ، ولكن ذلك وللأسف الشديد يكون على حساب السنة النبوية المطهرة

٣ ـ الاعتماد على الذاكرة أو على السماع في أحايين كثيرة دون التنبه إلى أن الذاكرة كثيرا ما تخون ، وأن السماع لا يجدى في هذا الصدد والمقصود بالسماع فيما سبق هو السماع مما يدور على الألسنة أو من غير المتخصصين ، فهذا بخلاف السماع من أهل العلم من المحدثين

٤ ـ عدم استحضار العقاب الذي وضعه الشارع الحكيم لمن كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمدا .

هذا إلى جانب عوامل أخرى لم نذكرها فيما سبق .

وإلى إخواننا من الكتاب وغيرهم من الوعاظ والمحاضرين والخطباء هذه المسائل عسانا جميعا أن نكون من المهتدين ، وأن نكون من المتثبتين حين الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أولا : مغبة الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم .

لما كان للسنة النبوية المطهرة مكانتها العظيمة السامقة في الاسلام ، لذا فقد ورد الوعيد الشديد لمن تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما يترتب على ذلك من خطورة تلحق بالدين كله ، ومن النصوص النبوية المطهرة التي وردت في هذا الصدد نذكر ما يلي .

١ ـ حديث علي قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم .

« لا تكذبوا على فإنه من كذب علي فليلج النار »

متفق عليه « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان » حـ١ صـ ١

٢ ـ حديث أنس قال إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثا كثيرا أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قال « من تعمد على كذبا فليتبوأ مقعده من النار » متفق عليه المصدر السابق حـ١ صـ١ .

٣ ـ حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال .

« ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »

متفق عليه المصدر السابق حـ١ صـ١

٤ ـ حديث المغيرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

« إن كذبا على ليس ككذب على أحد ، من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »

متفق عليه المصدرالسابق حـ ١ صـ ١

هذا الى جانب نصوص أخرى نكتفي بما ذكرناه منها على سبيل المثال لا الحصر حتى يكون الكتاب والوعاظ والمحاضرون والخطباء على بينة من أمرهم ومن دينهم .

ثانيا : كيفية تخريج وتحقيق الأحاديث :

مما ينبغي الاشارة إليه أنه يجب على الكاتب الاسلامي أن يكون عالما بالحديث النبوى الشريف رواية ودراية أو على الأقل عالما بمراجع وأمهات كتب الحديث على أن تكون هذه المراجع والأمهات بين يديه أو

يستطيع الحصول عليها عند الكتابة ولا سيما حينما يتعرض للأحاديث النبوية الشريفة ، ومما يقع فيه بعض الكتاب أنهم يكتفون بذكر الحديث دون عزوه إلى مخرجه من المحدثين ، ومنهم من يكتفي بعزوه الى مخرجه دون تحقيق ، فقد يكون الحديث معزوا إلى بعض الكتب التي تجمع بين الصحيح والضعيف والموضوع فلا يكتفي في هذه الحال بمجرد عزوه وتخريجه بل لا بد من تحقيق القول فيه .

ومنهم من يقوم بنسبة تخريج الحديث الى الشيخين أو أحدهما وهذا من أخطر ما يمكن لأن الجمهرة من القراء سيحكمون على صحة الحديث وهذا مكمن الخطورة بصدد هذا الصنف من الكتاب .

وعموما فكل ما يقع فيه الكتاب من كل ذلك سواء ذكر الحديث دون عزو إلى مخرجه أو خرَّج دون تحقيق علمي أو نسب الى الشيخين أو الى أحدهما ، من الأمور الجسام التي لا ينبغي أن تقع من كتاب يثق فيهم القراء ، ويثقون أيضا في الدوريات التي يكتبون فيها .

بل يجب على الكاتب حتي يصل الى بر الأمان ان يعزو الحديث الى مخرجه مع التأكد من صحة ذلك ثم يقوم بالتحقيق العلمى الجاد ويستفرغ فيه كل جهده ، فإذا كان الحديث عند الشيخين أو أحدهما اكتفى بالتخريج دون التحقيق ، أما اذا كان عند غيرهما فلا بد من تأكد الحكم بالصحة ولا سيما عند من اشتهر بالتساهل في الحكم بصحة ما لم يصح كالحاكم وغيره .

ولكن هذا كله في حاجة الى بذل الجهد والعمر في دراسة علم الحديث دراية ورواية ، دراسة جادة وهي دراسة لايستغنى عنها كل مسلم فضلا عمن يكتب في الاسلام حتى لا يقع في مغبة الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثالثا : أن يسند الى الشيخين ما لم يخرجاه :

من أعجب وأغرب الظواهر التي نجمت عن عدم الدقة وعدم التثبت في الرواية أن ينسب إلى الشيخين أو الى أحدهما ما لم يخرجاه وقد أشرنا في النقطة السابقة الى أن القارىء المسلم يقطع بصحة ما تقع عليه عينه ويراه معزوا إلى الشيخين أو الى أحدهما حتى وإن كان ذلك مخالفا لما عليه واقع الأمر .

وهناك من يقول ما الضرر الذي يحدث من جراء نسبة حديث صحيح لم يخرجه الشيخان أو أحدهما لهما أو لأحدهما ؟!

وجوابا على ذلك نقول :

إن الأحاديث الصحيحة تتفاوت في درجة صحتها وكما هو معلوم بداهة أن الأحاديث تترتب عليها أحكام شرعية .

ولذا نجد أن الأصوليين يهتمون إلى حد كبير بمعرفة التفاوت في درجة صحة الأحاديث عند التعارض بين الأدلة في نظر المجتهدين لوجوب

الترجيح حينما يتحتم .
ولذا فقد قسم العلماء الحديث من حيث تفاوت درجات الصحة إلى سبعة أقسام مرتبة على الوجه التالي .
١ ـ أصح الأحاديث ما اتفق عليه الشيخان البخارى ومسلم .

٢ ـ ثم ما انفرد بروايته البخارى دون مسلم .

٣ ـ ثم ما انفرد بروايته مسلم دون البخارى

٤ ـ ثم ما كان على شرط الشيخين البخارى ومسلم ولم يخرجاه .

٥ ـ ثم ما كان على شرط البخارى دون مسلم ولم يخرجه .

٦ ـ ثم ما كان على شرط مسلم دون البخارى ولم يخرجه .

٧ ـ ثم ما لم يكن على شرط الشيخين البخارى ومسلم ولم يخرجاه .

ومن ثم يتبين الخطأ الكبير الذي يقع فيه بعض الكتاب حيث ينسبون أحاديث لم يخرجها الشيخان أو أحدهما اليهما .
حتى وإن صحت هذه الاحاديث فهي في المرتبة السابعة من حيث التفاوت والتباين في درجات الصحة ، ويكون لذلك خطره عند التعارض والترجيح كما أسلفنا . فلربما قدم حديث على غيره يتعارض معه لاعتقاد المرجح انه من رواية الشيخين أو أحدهما وقد يكون الحديث الآخر أقوى منه وأحق منه بالترجيح .

وقس على ذلك الكثير مما يمكن أن يحدث .

رابعا كتب الموضوعات واقتناؤها .

إنه لما ييسر معرفة الأحاديث الموضوعة واجتنابها واجتناب كتابتها فضلا عن العمل بها بالنسبة للكتاب وغيرهم من المحاضرين والوعاظ والخطباء اقتناء الكتب التي الفها العلماء خصيصا لغرض معرفة الأحاديث الموضوعة وتجنب مغبة الكذب على المعصوم صلى الله عليه وسلم .

وما أيسر ذلك على الكاتب الاسلامي خصوصا بعد انتشار دور النشر والتصوير بهذه الصورة المنقطعة النظير ، فليس لكاتب حجة بعد أن علم ذلك وكان في إمكانه أن يتجنب الوقوع في الزلل ثم لم يأخذ بأسباب العصمة .
ولقد اهتم علماء الحديث بهذا الأمر اهتماما كبيرا قديما وحديثا وتركوا لنا تراثا عظيما يتمثل في هذا الكم الهائل من كتب الموضوعات نذكر منها ما يلي .

١ ـ «الموضوعات من الأحاديث المرفوعات » ويقال له « كتاب الأباطيل » للحافظ أبي عبد الله الحسين بن إبراهيم الجوزقي المتوفي سنة ٥٤٣ هـ

٢ ـ « الموضوعات الكبرى » لأبي الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى المتوفي سنة ٥٩٧ هـ لكنه متساهل في الحكم ، فقد أورد فيه الضعيف والحسن بل حتى الصحيح ومن ذلك حديث في صحيح مسلم ، ولكن العلماء تعقبوه واستدركوا عليه اخطاءه تلك .

٣ ـ « موضوعات الصغاني » لأبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن القرشي الصغاني المتوفي سنة ٦٥٠هـ .

٤ ـ «سفر السعادة».. للفيروز آبادى صاحب القاموس المحيط المتوفي سنة ٨٢٦ هـ

٥ ـ « اللآلىء المصنوعة » للامام السيوطى وله أيضا « ذيل اللآلىء » و« النكت البديعيات على الموضوعات » والسيوطى متوفي سنة ٩١١ هـ

٦ ـ « تنزيه الشريعة المرفوعة » للامام على بن عراق الكتاني المتوفي سنة ٩٦٣ هـ

٧ ـ « تذكرة الموضوعات » لمحمد بن طاهر الفتنى الهندى المتوفي سنة ٩٨٦ هـ

٨ ـ « الاسرار المرفوعة » ـ المسمى « الموضوعات الكبرى » للامام على القارى المتوفي سنة ١٠١٤ هـ

٩ ـ « الموضوعات الصغرى » المسمى « المصنوع في معرفة الحديث الموضوع » وهو لعلى القاري أيضا .

١٠ « الفوائد المجموعة » للامام الشوكاني .

١١ ـ « الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة » لأبي الحسنات محمد عبد الحى اللكنوى الهندى المتوفي سنة ١٣٠٤ هـ .

١٢ ـ « اللؤلؤ المرصوع فيما قيل لا أصل له أو بأصله موضوع » لأبي المحاسن محمد بن خليل القاوقجى الشامى المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ

١٣ « تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين »
لأبي عبد الله محمد بن بشير ظافر المالكي المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ

١٤ ـ « الدرر المصنوعات في الأحاديث الموضوعات» لابن العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي .

١٥ ـ « سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيىء في الامة » للشيخ محمد ناصر الدين الالباني .

وختاما .
فإنا يحدونا الأمل أن يستجيب اخواننا الكتاب وكذا الخطباء والوعاظ والمحاضرون لما يمليه عليهم دينهم من تحرى الدقة عند الكتابة بصدد حديث رسولنا صلى الله عليه وسلم .

« والله يقول الحق وهو يهدى السبيل »

رمضان

ثورة على الذات

للاستاذ/ حيدر قُفّهْ

الرضوخ لنمط من الحياة يبعث السآمة والملل ، ويدفع الى الاكتئاب ، الذي يجرف الانسان نحو الضيق والنفور .

وكثيرا ما يألف الانسان عادات معينة ، تُحكمت فيه ، وصبغت حياته بطابعها ، وأسرته بسلطانها وهيمنتها ، ورغم علمه بأن حياته في ظل هذه العادات ليست بالحياة التي ترضيه ، وعنده رغبة داخلية في تغيير هذه الحياة ، وتبديل وقعها الرتيب إلا أنه يعجز عن ذلك بفعل الضغوط الرهيبة التي تفرضها العادات عليه .

والله تبارك وتعالى - الذي خلق الانسان لعبادته (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**)- يكره أن يتعبد عبده لغيره ، ولو كان هذا الغير عادات ألفها ورضخ لها ، ولهذا لا بد لهذا العبد من إرادة تخرجه دوما ، من عبودية الأشياء كلها إلى عبادة الواحد الأحد ، ولا بد لهذا العبد من فترة زمنية يراجع فيها نفسه ، حتى يقوي الدافع عنده للتغيير ، لفترة يرى فيها حلاوة الانتصار على النفس ، الانتصار على عبودية الأشياء ، والخلوص لعبادة الله وحده .

ولكن التخلص من العادات وضغطها يحتاج إلى فترة زمنية محددة ، اجتهد

علماء النفس وعلماء الاجتماع في تحديدها ، حتى قالوا : يكفي الانسان لكي يتخلص من عادة (ما) مضى واحد وعشرين يوما على النمط الجديد في حياته ، حتى يترك قديمه ليحل محله الجديد .

فكان رمضان ، شهرا كاملا بدلا من واحد وعشرين يوما تتغير فيه العادات لتذهب العادات القديمة ، وتحل العادات الجديدة ، بل وتثبت وترسخ بفعل الإصرار والدوام الزمني .

فيأتي رمضان ، وإذا هو ثورة شاملة على الذات ، يثور فيها المسلم على نفسه ، على ما تعود من عادات لا يرضى عنها ، ولا تتفق مع الشخصية الاسلاميه المتميزة ، التي أحبها الله ، وأحبها رسوله صلى الله عليه وسلم ، ورسم خطوطها هذا الدين الحنيف .

فيأتي رمضان لتنصهر هذه الشخصية ، خلال أيامه ولياليه ، في ثورة عارمة على الذات ، لتتشكل بعد ذلك الشخصية المسلمة السوية ، التي تخرجت من مدرسة رمضان ، والتي يريدها الله لعبده .

ثورة رمضان على الذات متعددة الجوانب ، كثيرة الخير والفائدة ، فما الجوانب التي يعمل رمضان على تغييرها في حياة الانسان ؟

★ رمضان ثورة على العادات ★

كثيرا ما يحتج المستعبدون لشهواتهم وعاداتهم ، بتحكم هذه العادة أو تلك ، وصعوبة التغلب عليها ، فهل توجد عادة تحكمت في الانسان أي انسان أكبر وأقسى من عادة الطعام وعادة المنام ؟!

تعود الانسان أن يأكل ثلاث وجبات من الطعام في أوقات محددة ، وتهيأ جسده لهذه الأوقات ، ورضخ لهذه العادة . وتعود أن ينام في ساعة معينة ويستيقظ في ساعة معينة ، فإذا حان وقت نومه تثاقلت عيناه وغلبه النعاس ولو كان في أهم الأعمال ، وإن لم يتمكن من النوم تباطأت حركته وظهر عليه الفتور والاعياء .

ورغم ذلك جاء رمضان ثورة على الاستعباد لهاتين العادتين ، فان كان طعام الإفطار صباحا ، فليصبح الإفطار مساء ، وإن كان الغداء وجبة رئيسية ، فلتلغ من برنامجك اليومي تماما ، وإذا كان السحر وقت النوم ، فهو الآن وقت الأكل .. ثورة وتحدي ، تتغير بها مواعيد الطعام ، ومسميات الوجبات ، ساعات النوم والاستيقاظ .

★ ثورة على الشبع ★

وإذا كان علماء الصحة والأغذية والتغذية ، يجمعون على أن الإكثار من الطعام سبب رئيسي للأمراض . وأن الاسلام من قبل قد حض على الإقلال من الطعام ، ونعى الله ـ تعالى ـ على المكثرين بقوله : **(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم)**

محمد / ١٢

وقوله : **(يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا**

تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) الاعراف / ٣١ ونبه النبي صلى الله عليه وسلم لخطورة الاكثار من الطعام : « ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن ، بحسب ابن آدم أكيلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » رواه الترمذي وحسنه وابن ماجة وابن حبان في صحيحه . إلا أن كثيرا من الناس خالفوا هذه الحقائق ، وخرجوا على هذه التعليمات ، فأصابهم المرض ، فهرعوا إلى توصيات وبرامج المتخصصين في إنقاص الوزن «الريجيم » فضاقت بهم وضاقوا بها .

فكان رمضان ، ثورة على الشبع ، بشكل جماعي وفردي ، فجعل الوجبات من ثلاث في اليوم (نهاره وليله) إلى وجبتين : الافطار والسحور . وحض رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون السحور خفيفا « نعم سحور المؤمن التمر » رواه ابو داود وابن حبان في صحيحه . والافطار أيضا خفيفا : « قال أنس (رضي الله عنه) : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي على رطبات ، فإن لم تكن رطبات فتمرات ، فإن لم تكن تمرات حسا حسوات من ماء »
رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن .

★ ثورة على البخل ★

ورغم معرفة الناس بسوء البخل ، وكراهية الناس للبخيل ، إلا أنه طبع غلب على بعض النفوس حتى عرفت به ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه النفوس باللين فقال : « طعام الواحد يكفي الاثنين ، وطعام الاثنين يكفي الأربعة ، وطعام الأربعة يكفي الثمانية » رواه مسلم . وعن عبد الله بن عمرو أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الاسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » متفق عليه .

ويأتي رمضان ، لنجد المثل الأعلى لدى النبي صلى الله عليه وسلم ، إمام المؤمنين ، وسيد المرسلين ، وقدوة المسلمين ، حيث يصفه ابن عباس (رضي الله عنهما) فيقول : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة » متفق عليه . وتأتي دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لأتباعه وأمته بتعلم الكرم وتعود الكرم ونبذ البخل « يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك .... من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، قالوا : يا رسول الله : ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على

تمرة ، أو على شربة ماء أو مذقة لبن » من حديث رواه ابن خزيمة في صحيحه وتكثر الولائم في رمضان ، ويتبارى المسلمون في الكرم ، وتعمر البيوت ، ويرى البخيل ذلك بعينيه ، فيخرج عن صمته وتبلده ، ويشارك قومه وأهله ، حتى لا يشذ عن الجماعة ، وحتى يحظى بهذا الثواب الذي يتنافس المسلمون عليه .

★ ثورة على الكسل في قراءة القرآن ★

والقرآن دستور هذه الأمة ، فيه الخير لهم ، وعليهم قراءته وتدبره والسير على نهجه ، وتطبيقه بإحلال حلاله ، وتحريم حرامه ، وأضعف الايمان - إذا ضعفت هممهم - أن يقرأوا شيئا منه كل يوم : **(فاقرأوا ما تيسر من القرآن)** المزمل/ ٢٠ وأي قدر منه فيه خير كثير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين » رواه الحاكم و قال صحيح على شرط مسلم وقال أيضا : « من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول آلم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » رواه الترمذي .

ولكن الناس تغافلوا عن هذا الخير ، وشغلوا عنه بالدنيا وزخرفها حتى هجروه قراءة بعد ما هجروه تطبيقا : **(وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا)** الفرقان /٣٠ .

فإذا جاء رمضان ، وهو شهر القرآن : **(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)** البقرة/ ١٨٥ انقلبت حال الناس ، فإذا المساجد قد امتلأت بالمصلين ، وإذا الناس قد أقبلوا على المصاحف ، وانكبوا عليها يلتهمون آيات القرآن ، لكل واحد منهم مصحفه ، يتبارون في ختمته ، ويتنافسون على الازدياد من عدد الختمات .

ثاروا على كسلهم السابق ، وثاروا على ما ألفوا من الكسل ، وثاروا على نمط حياتهم الذي غلب عليه هجر القرآن ، لم لا ؟ وهم يسمعون ويقرأون حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ، ويقول القرآن : منعته النوم بالليل فشفعني فيه . قال : فيشفعان » رواه احمد والطبراني في الكبير .

★ وثورة على كسلهم في قيام الليل ★

وقيام الليل مدرسة هذه الأمة ، التي تخرج منها الأبطال والعلماء والدعاة ، ويحن إليها الأبرار والصالحون والعباد : **(تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) السجدة / ١٦ (كانوا**

قليلا من الليل ما يهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون) الذاريات /١٧ و ١٨ .

ولكن الناس ألفوا النوم وركنوا الى الراحة ، فتركوا القيام ، ورضوا من حياتهم بالكسل ، واكتفوا بالفرائض ، فجاء رمضان ثورة على الكسل ، يعيدهم إلى النهج السليم والطريق المستقيم ، فيقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي .

فكانت صلاة التراويح ، وامتلأت المساجد بالعباد وارتفعت الأصوات بالقرآن ، وأحيوا الليل في طاعة الله . فما ينتهي رمضان ، إلا والمسلمون قد تعودوا القيام وألفوا قراءة القرآن .

★ ثورة على التنعم بلذائذ الدنيا ★

والدنيا تغري الانسان وتفتنه ، وتدفعه دفعا إلى التمتع بالنعيم ، والهروب من التكاليف ، والنفس ميالة للذائذ ، نافرة من الفروض والواجبات ، وأمتع متع الحياة الجنس ، فإن كان حلالا فأنعم وأكرم ، ولكن لا يستغرقه ولا يسيطر عليه حتى يؤثر على مجرى حياته ، ويطغى على المهمة الأساسية للإنسان ، وهي عبادة الله .
فكان رمضان ثورة على هذه اللذة ، حتى يخرج الانسان من الاستعباد لها ، وتسليم قياده لجنونها وسيطرتها ، فحرم الله عليه الجماع في نهار رمضان : (**أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن**) البقرة/١٨٧ وإذا كان قد أحله بالليل فمعنى هذا :

أنه حرام بالنهار ، وإذا كان الانقطاع عن الجماع فترة محدودة بالنهار ، والتي قد لا تؤثر في بعض الناس ، فلا بد من أن ينتدبهم إلى فترة أطول ، يحسون خلالها بالانقطاع التام عن النساء ، والإفلات من سيطرة هذه الشهوة ، فسن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعتكاف في رمضان ، واعتكف هو إماما وقدوة لهم ، وفي الاعتكاف يحرم الجماع فتطول بهم فترة البعد عن النساء : (**ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون**)البقرة/ ١٨٧ .

وهكذا يثور المسلم في رمضان على ذاته في أكثر من مجال من مجالات حياته ، فيصيب هذه المجالات التغيير والتبديل ، وتستمر الثورة شهرا كاملا ، وهذه المدة كفيلة بترسيخ هذه الأمور ، في حس المسلم وطبعه وعادته ، بل هي عادة اكتسبت وطردت عادة سابقة لتحل محلها . ولقد أعذر الله الى الناس ، فإن عادوا الى سابق عهدهم قبل رمضان ، وإلى سابق كسلهم وغفلتهم ، فاللوم عليهم ، وأنفسهم كانوا يظلمون : (**من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد**) فصلت/ ٤٦ .

مائـدة القارئ

الى التوبة ... ففضل الله عظيم

قال سبحانه : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون . واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغـتة وأنتم لا تشعرون » .

الآيات ٥٣ ـ ٥٥ من سورة الزمر

رجال
رباهم
محمد
صلى الله
عليه
وسلم

خطب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال :
أيها الناس من أراد أن يسأل عن القرآن الكريم فليأت أبي بن كعب .
ومن أراد أن يسأل عن الفرائض ، فليأت زيد ابن ثابت .
ومن أراد أن يسأل عن الفقه ، فليأت معاذ بن جبل .
ومن أراد ان يسأل عن المال فليأتني ، فان الله جعلني خازنا وقاسما .
اني بادىء بأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعطيهن ، .
ثم المهاجرين الأولين الذين أخرجوا من ديارهم

فعل الخيرات وتلاوة القرآن

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما ، سهل الله له به طريقا الى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » .

أخرجه مسلم

وأموالهم أنا وأصحابي .
ثم بالانصار الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم ،
ثم من أسرع الى الهجرة أسرع اليه العطاء ، ومن أبطأ عن الهجرة ، أبطأ عنه العطاء ، فلا يلومن رجل الا مناخ راحلته .

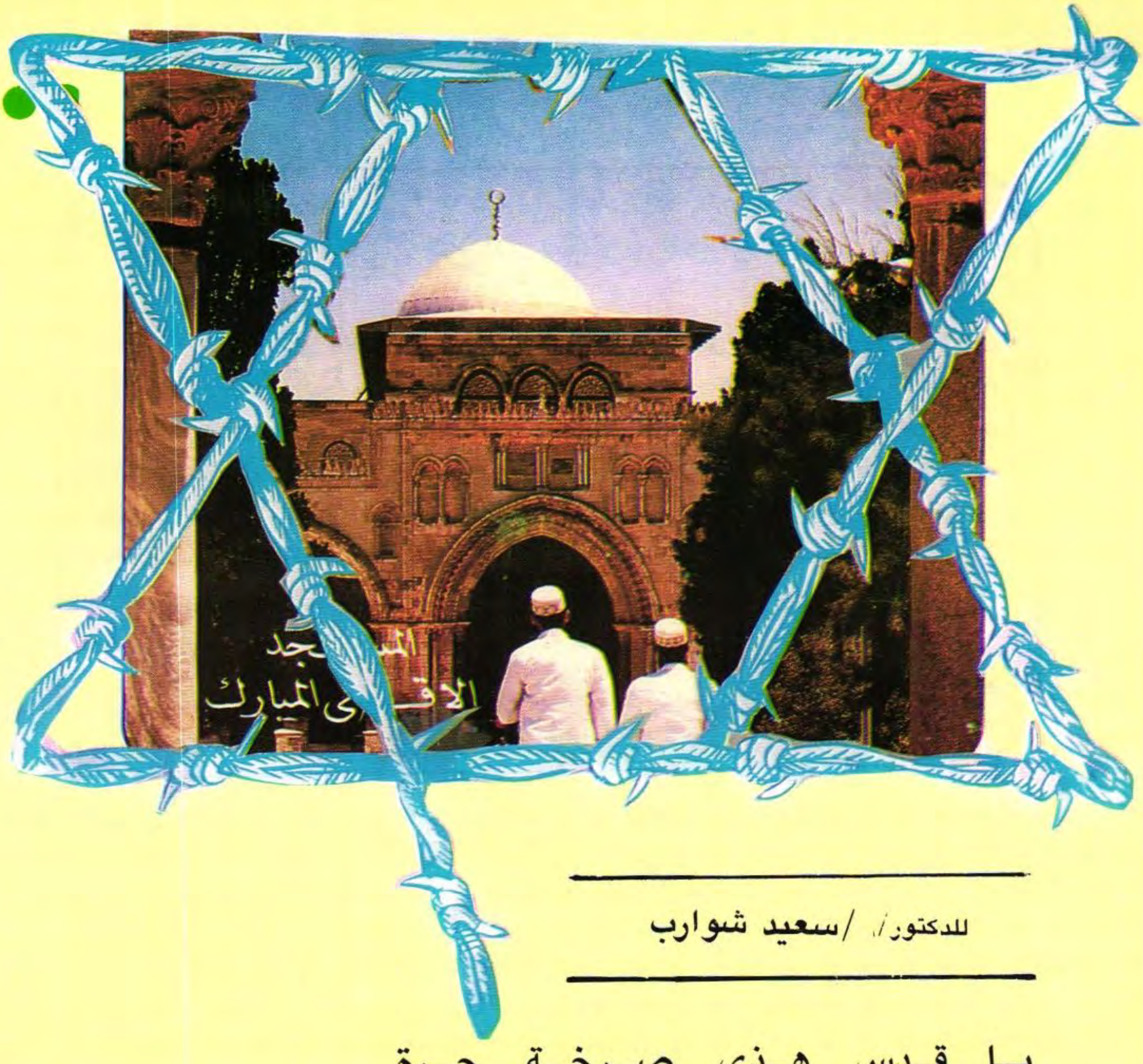
اني قد بقيت فيكم بعد صاحبي ، فابتليت بكم ، وابتليتم بي

واني لن يحضرني من أموركم شيء فأكله الى غير اهل الجزاء والأمانة ،

فلئن أحسنوا لأحسنن اليهم ، ولئن أساءوا لأنكلن بهم» .

اغتنم الفرصة

أخرج البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .



للدكتور/ سعيد شوارب

يا قدس هذي صرخة حرة
تبقى - وقد ماد العدا - راعدة
كم يوجع الميلاد لكنه
اروع ما مرت به والدة !
ما اطيب الاطفال قد اوقدوا
للحق نارا ، قد بدت خامدة !
وروعوا الغاصب في سربه
وأخرجوا أضغانه الحاقدة

القدس المجاهدة

كريمة أحجارهم ؛ ايقظت
دنيا ، أضلتها يد قاصدة

فاهتزت الأرض وأربت على
حلمي ، في غضبتها الواعدة

وهللت من ركنها « مريم » :
يا رب عيسى !! دكة واحدة

كم صحت : واقدساه !! لكنني
سمعت آهات الندا عائدة

يعصرها البوح ويغتالها النوح
بقفر مهمه ، شاردة !!

تباركت أحجاركم صبيتي !!
شدوا ، تقدوا الاضلع الراقدة

ارموا ، فسجيل اللظى رميكم
وامضوا ، فهذي الوثبة الرائدة

صبـوا عليـهـا مـن دمـاكـم ، دمـا
يبكـي لـه المحـراب ، والسـاجـدة

رواجـم الاحجـار في حلقـهـم
مـرحى ، لهذي الـرجمـة الخـالـدة !

مـن صخـرة المـعـراج حصبـاؤهـا
أو طـور مـوسى ، حيـث أهـوى يـده

تقـذف بـالـرعـب صيـاصيـهـم
وتنفـخ الـرجفـة في الأفئـدة !!

ابنـوا مـن الاحجـار اسطـورة
واشـرعـوا اضـلاعكـم ، اعمـدة !

كـم شـادت الاحجـار مـن خـالـد
اهـرام مصر ، لـم تـزل شـاهـدة

والقمـوا كـل الـذيـن ادعـوا
وجـاهـدوا بـالكلمـة الفـاسـدة

ضلـوا فقلـوا ، واضلـوا فـذلـوا ،
وأذلـوا الصيحـة الـراشـدة !

يـا طفلـة تبكـي ، فتبكـي الـدنـا
مـن اجلـهـا ، لكنـهـا صـامـدة !

ويـا غـريقـا جـاءنـا منجـدا !!
ويـا جـريحـا ، جـرحنـا ضمـده !

بـريئـة كفـاك ، لكنـهـا
قـد اطلقـت عمـلاقـة مـاردة

هـزي الطـواغيـت وخـلي الألي
ينتظـرون الجمـع ، والمـائـدة !

سيـدتـي الطفلـة ، لا فـائـدة
في جمـعـهـم ، واللـه لا فـائـدة

صـارخـة انـت بـوادي الألي
جـاءوا قضـايـاهـم ، بـلا قـاعـدة

قـولي لـهـم : مـن كـان منكـم بـلا
خطيئـة ، فليـرم لي واحـدة

نقضـت احجـاري وداري واشجـاري
والقيـت بـهـا ، عـامـدة !!

أبنـي بـهـا سـدا بـوجـه الألي
يبـغـون مـن مسجـدكـم أسـوده

يـا أيـهـا السـادة ، أني هنـا
صـارخـة ، مفـردة !! مفـردة

ألقـي بشـعـري ، وبصـدري عـلى
اعـراضكـم ، ثـائـرة ، مجـهـدة

مـن كـان منكـم يـعـربـي الـدمـا
يـا سـادتـي ، فليـرم لي واحـدة !!

في رحاب الأزهر

اعداد/ فهمي الامام

قال تعالى :

« ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين »

الآية ٣٣ من سورة فصلت

المؤتمر الحادي عشر لمجمع البحوث الاسلامية من ١٥ الى ٢٠ من رجب ١٤٠٨هـ

الموافق ٤ إلى ٩ من مارس ١٩٨٨م

عالمنا الاسلامي ، وما أدراك ما عالمنا الاسلامي .

تتعدد فيه الفتن ، وتتصارع ،

مشكلة هنا ، ومشكلة هناك .

ما يكاد يوجه المخلصون طاقاتهم نحو مشكلة حتى تظهر اخرى أشد وأقسى .

قضية فلسطين قضية متوارثة .

الحرب اللبنانية ، تدور في دائرة مفرغة ، كيف بدأت ؟ وكيف تنتهي ؟ لا أحد يعلم .

والحرب العراقية الايرانية ... لمصلحة من ؟ وما الحل ؟ لا أحد يعلم .

والجهاد الاسلامي في أفغانستان متى يتحقق له وعد الله ؟ ... الله أعلم .

وجنوب السودان يئن ، وما يزال ، والعلاج ، ما العلاج ؟

والمقدسات الاسلامية وانتهاك حرماتها ... مأساة

شئون الدعوة الإسلامية



ما بعدها مأساة .

وأخرى ، وأخرى ، نمسك عن ذكرها ... فهي - أخي - لا تخفي عليك .

إنها فتن كقطع الليل المظلم ، لا مخرج منها إلا بالتمسك بكتاب الله ، وسنة رسوله ؟

وواجب العلماء هو الدعوة إلى الله ، وإصلاح ما يمكن إصلاحه ، ومن هنا جاءت دعوة الأزهر إلى عقد مؤتمره لبحث شئون الدعوة لمواجهة بعض قضايا المسلمين

وانعقد المؤتمر موزعا على عدة جلسات ...
بعد صلاة الجمعة في الجامع الازهر الشريف ١٥ من رجب سنة ١٤٠٨هـ .

، حيث أم
المصلين فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الازهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق . بعد ان اعتلى المنبر ، ووقف خطيبا في جموع المصلين ... وكانت الخطبة تحت عنوان (**خطة الاخاء الاسلامي**) .

وبعد حمدالله ، والثناء على رسوله ... تلا قوله تعالى : ـ
(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) .

○ أسباب ضعف المسلمين وتفرقهم ○

ثم أرجع فضيلته ما عليه المسلمون من تفرق وضعف إلى أسباب أوجزها في : ـ
- حب السلطة والتنازع عليها .
- تسلط العصبية النسبية والعرقية .
- العصبية المذهبية في الأصول والفروع .
- الفتوى والقول في دين الله بغير علم .
- دسائس اعداء الأمة الاسلامية وكيدهم للمسلمين ، وسرعة تأثيرها في عصر سهلت فيه وسائل المواصلات والاتصالات .

★ العودة إلى الطريق المستقيم ★

ومضى الامام الأكبر يقـول في خطبته داعيـا إلى الأخوة الاسلامية :

إذا كان من العزائم المؤدية إلى الطريق المستقيم **الأخوة في الاسلام** ، كان حتما على المسلمين أن يعودوا إلى هذه الأخوة فينموا علائقها ويقووا أواصرها حتى يتم الله نعمته عليهم ، ويرفع عنهم إصرهم والأغلال التي أحاطت بهم .

إن الأخوة في الاسلام تفوق كل الأحلاف والمعاهدات ، بل وتتفوق على أخوة الدم ، ومن ثم قال الله عن المؤمنين : [**إنما المؤمنون إخوة**] حيث إن الرابطة التي تجمع بينهم حب الله ورسوله .

○ للأخوة الاسلامية غايات ومقاصد ○

واستعرض الامام الأكبر في خطبته غايات ومقاصد الأخوة الاسلامية وأجملها في : **الحب في الله والبغض في الله** والايثار ، والتراحم بين المسلمين ، والتناصح في الله والتناصر بين المسلمين .

ثم أتى شيخ الجامع الازهر إلى ذكر التكافل كمقصد من مقاصد الأخوة بين المؤمنين . وهذا المقصد انما يبرز بصورة جلية عند الحاجة كوقوع الكوارث والأزمات وعندها يعرف المجتمع المتماسك من غيره ، وأيهما أهدى سبيلا .

وتكافل المسلمين في الملمات أمر حث عليه الاسلام حتى يعيش أفراد الأمة في أمان واطمئنان ، ومن هنا وجب على المسلمين النظر .

مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا هذا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وأن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا .



خطبة الجمعة في الجامع الأزهر .

جلسة الافتتاح

وفي يوم السبت ١٦ من رجب ١٤٠٨ هـ ٥ من مارس ١٩٨٨ م
أبتدأت جلسات المؤتمر بجلسة الافتتاح في الساعة العاشرة صباحا
بقاعة الامام محمد عبده بجامعة الأزهر ..
وبعد الافتتاح بالقرآن الكريم القى رئيس جامعة الأزهر كلمته التي
رحب فيها بالحضور .. وكان مما قال :
انها لمناسبة طيبة أن نلتقى بزعماء المسلمين في أرجاء الدنيا
لنتدارس خططنا .. ونتبين أهدافنا .. ونرسم على الطريق السليم
خطواتنا .. في نطاق مؤتمرنا عن الدعوة .. الذي أمل ان ينبض
بأحاسيس رجل الشارع .. ويعبر عن مشاعر المسلمين وطموحاتهم ..
وما يضعونه من آمال كبار فيكم .. بعد أن تاهت بهم الطرق .. وحارت
بهم الأفكار .. و شخصت منهم الابصار .. فصاروا يتساءلون :
أين نحن من الدنيا والدين : لم نل هذه ولم نبلغ ذاك .. واخشى ان
يطول بهم الموقف فيأخذهم الطوفان ..
وان كنت أتكلم .. فانما أعبر عن تجربتي مع الشباب وتساؤلاته
بحكم موقعى منهم والتي اضع خلاصتها بين أيديكم .. لتسدوا ثغرات

كان للكويت حضورها المتميز ، ممثلا في معالي وزير الاوقاف والشئون الاسلامية الاستاذ/ خالد الجسار ، والسيد وكيل الوزارة الاستاذ/ محمد ناصر الحمضان





شيخ الازهر مع اعضاء بعض الوفود .

تكاثرت فـ صارت فراغا يعيشه المجتمع المسلم بصفة عامة والشباب المسلم بصفة خاصة ..

ونحن نرى أنه لا بد من الأخذ بمنهج الله ، واتباع سنة رسوله ، وتمثل الاسلام في رجال يكونون القدوة للشباب المتطلع الى غد يعز فيه الاسلام وأهله فهل علماؤنا في رحاب ازهرنا الشريف يقومون بهذا ؟

معجزة الاسلام حية تتجدد

ثم انتقلت الكلمة الى الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية الدكتور عبد الفتاح عبدالله بركة فأشار في كلمته الى قضية افغانستان فقال :

ينعقد مؤتمركم هذا العام وما يزال اخوتنا من أهل الايمان في بلاد الأفغان الحبيبة يجاهدون من أجل استنقاذ شخصيتهم الدينية ، واستبقاء هويتهم الاسلامية والمحافظة على الأرض والعرض ، وسلامة الأمة والوطن ، في مواجهة دولة من اعتى الدول قوة وشكيمة وأكثرها عنفا وصرامة ، وقد اثبتوا بجهادهم وبطولاتهم ان معجزة الاسلام حية تتجدد ، وجذوته متوهجة لا تخمد ، كما أثبتوا ان معارك الشرف والفداء لا بد ان تنتهي بإحدى الحسنيين بغير ثالثة ، وقد فاز الشهداء بواحدة ، واشرف الباقون ان يفوزوا بالأخرى .

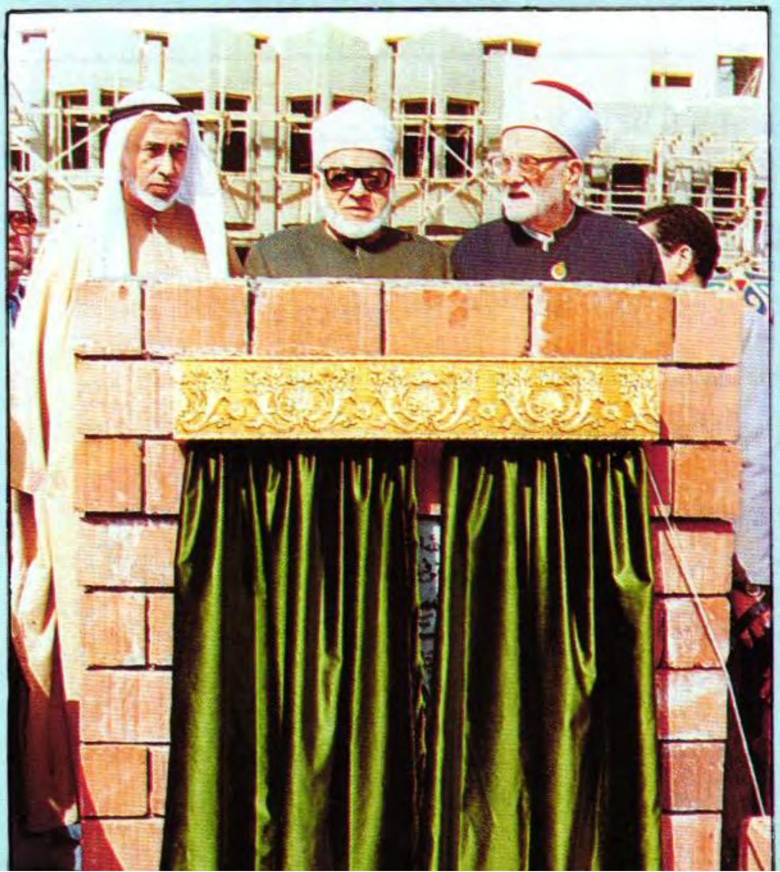


رئيس وفد بروناي مع شيخ الجامع الأزهر .

جهاد مقدس هنا وحرب مجنونة هناك

وعن فلسطين .. وحرب الخليج .. قال :

وما يزال اخوتنا من اهل الايمان على أرض فلسطين العزيزة يثبتون للعالم اجمع بكفاحهم وثباتهم ، وصبرهم وصمودهم في مواجهة اقسى الغاصبين قلوبا ، وأكثرهم وحشية وهمجية أن قضية فلسطين حية لا تموت وأن شعب فلسطين لا ينسى مع تعاقب الأجيال دينه وأرضه ، وانه



وضع حجر الأساس للمبنى الجديد لمعهد البعوث الاسلامية .

مصمم مهما يطل الزمن على استرداد ارضه ووطنه حرا كريما وما يزال اخرون يعملون ويجاهدون ، ويقدمون الفداء والتضحيات الكريمة الغالية في بلدان كثيرة اخرى على امتداد الرقعة الاسلامية واذا كنا ننظر بعين الاعتزاز والفخر الى تلك المعارك الشريفة فاننا ننظر بعين

الأسف والأسى الى تلك المعركة الحمقاء التي تدور رحاها ويشتعل او'رها بين شعبين جارين هما العراق وايران المعركة التي تدمى قلوب المسلمين ، وتجرح صدور المؤمنين بغير مشكلة اساسية او قضية حقيقية ، ونرجو ونلحف في الرجاء ان تنتهى هذه المأساة اليوم قبل الغد وكفانا ما نجده من الاعداء الذين يتربصون بنا الدوائر وتثلج صدورهم هذه الصغائر .

الأزهر .. ودوره الرائد

وعن الأزهر قال الأمين العام لمجمع البحوث .. إن الأزهر يرحب بكم ويمهدلكم أسباب التواصل والتعارف والمحبة والتآلف والتعاون والتكاتف .

يقول الأزهر في مجال التعليم بأيفاد البعوث من الأساتذة الذين يقومون بالتدريس والوعظ ، ونشر الثقافة الاسلامية واللغة العربية لغة القرآن الكريم ، ولقد بلغت اعداد بعثاته في هذا السبيل أكثر مما تحتمل موارده وأعباء موازنته المالية ، كما يستقبل في كل عام اعدادا من الطلبة الوافدين الذين يقصدونه طلبا للعلم واستزادة منه ليعودوا الى قومهم ائمة هداة ، اتباعا لقول الله « **وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون** » **التوبه** آية ١٢٢ .

وفي مجال التأليف والنشر : بإصدار مجلة الازهر شهريا وهى تعالج موضوعات شتى بأسلوب رصين ، ومناهج علمية ، ويصدر سلسلة من الكتب الشهرية ، يعالج كل منها قضية تمس حياة المسلمين ومشاكل المجتمعات الاسلامية ، وتناقش مختلف القضايا وانواع التيارات الفكرية والعقائدية التي تموج بها الساحة المحلية والعالمية وقد صدر من هذه السلسلة حتى الان نحو مائة وعشرين عددا .

ثم تحدث عن اللجان العلمية التي أوكل اليها بحث ما يتعلق بشؤون الاسلام والدعوة اليه وانجازاتها في هذا الميدان .

تقنين الشريعة الاسلامية

تألفت لجنة من رجال الفقة الاسلامي ، والقانون الوضعي ـ كما أشار فيه كلمته الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية ـ لتضطلع بوضع الدراسات ومشروعات القوانين التي تيسر على المسؤولين في البلاد الاسلامية الأخذ بأحكام الشريعة الاسلامية في قوانين بلادها ، وقد استجاب مجمع البحوث الاسلامية بالازهر الشريف وتم تكوين لجان لتقنين الشريعة على المذاهب الأربعة تمهيدا لوضع تقنين موحد بعد ذلك ، يجمع ويرجح ، ويأخذ بما فيه الأيسر والأنفع للعصر والبيئة وقد تم هذا التقنين بالنسبة للمذهب المالكي وبالنسبة للمذهب الحنبلي ، وسيتم قريبا بالنسبة للمذهب الحنفي ، والمذهب الشافعي .

دور العلماء والقادة

وعلى العلماء والقادة ا لا يكتفوا برصد الواقع وظواهره ، وانما عليهم ان يستبقوا الزمن ، وأن يتوقعوا بعين البصيرة مستجدات المستقبل ، مهتدين في ذلك بسنة الله في تطور المجتمعات ، ليعدوا لكل شيء عدته ، ويأخذوا له اهميته تبصيرا لأمتهم ، ونصيحة لضميرهم ، وتربية لأجيالهم ، وامتدادا لجذور ماضيهم في آفاق حاضرهم ومستقبلهم .

ثم أشار الأمين العام في نهاية كلمته الى قرارات وتوصيات اتخذها المجلس في دوراته السابقة ولم تجد طريقها الى التنفيذ ، وحيث المجتمعين على العمل لدى حكوماتهم ودولهم على تنفيذها ، ودعم الأزهر ـ أزهر المسلمين جميعا في رسالته ومده بكل مساعدة ممكنة حتى تؤدى دوره على الوجه الأكمل .

كلمة شيخ الأزهر

أشار شيخ الازهر في كلمته إلى أن الدعوة إلى الاسلام لم تعد محصورة في مجرد خطبة ، أو درس يذاع ، أو كتب تنشر . وإنما قد تطورت وسائلها ومسائلها ، وازدحمت الساحة الاسلامية بالأدعياء إلى جانب الدعاة .

ثم إن الدعوة إلى هذا المؤتمر جاءت رغبة في التشاور والنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

وركز على دور الجامعات الاسلامية في العالم الاسلامي في إصلاح مسار التعليم وتصحيحه بعد ان فرض المستعمر على بلادنا نظما في التعليم لا تتلاءم مع شريعتنا وقيمنا الاسلامية .

وقال فضيلة الامام الأكبر : إن من واجبات العاملين في مجال الدعوة الاسلامية صيانة الحقائق والمفاهيم الاسلامية من التحريف . وعدم إخضاعها لمصطلحات غربية لا تتفق مع روح الاسلام .

ثم قال : ان أمام المؤتمر موضوعات رئيسية مجملها : ـ

أ ـ التنسيق بين نشاط الهيئات التي تقوم بالدعوة الاسلامية .

ب ـ التنسيق بين نشاط الهيئات التي تتولى أعمال الاغاثة والتكامل بين نشاطى الدعوة والاغاثة .

جـ ـ قدسية الحرمين الشريفين والمسجد الاقصى .

د ـ الاقليات الاسلامية ومسئولية المسلمين تجاهها .

هـ ـ القضايا المعاصرة للأمة الاسلامية .

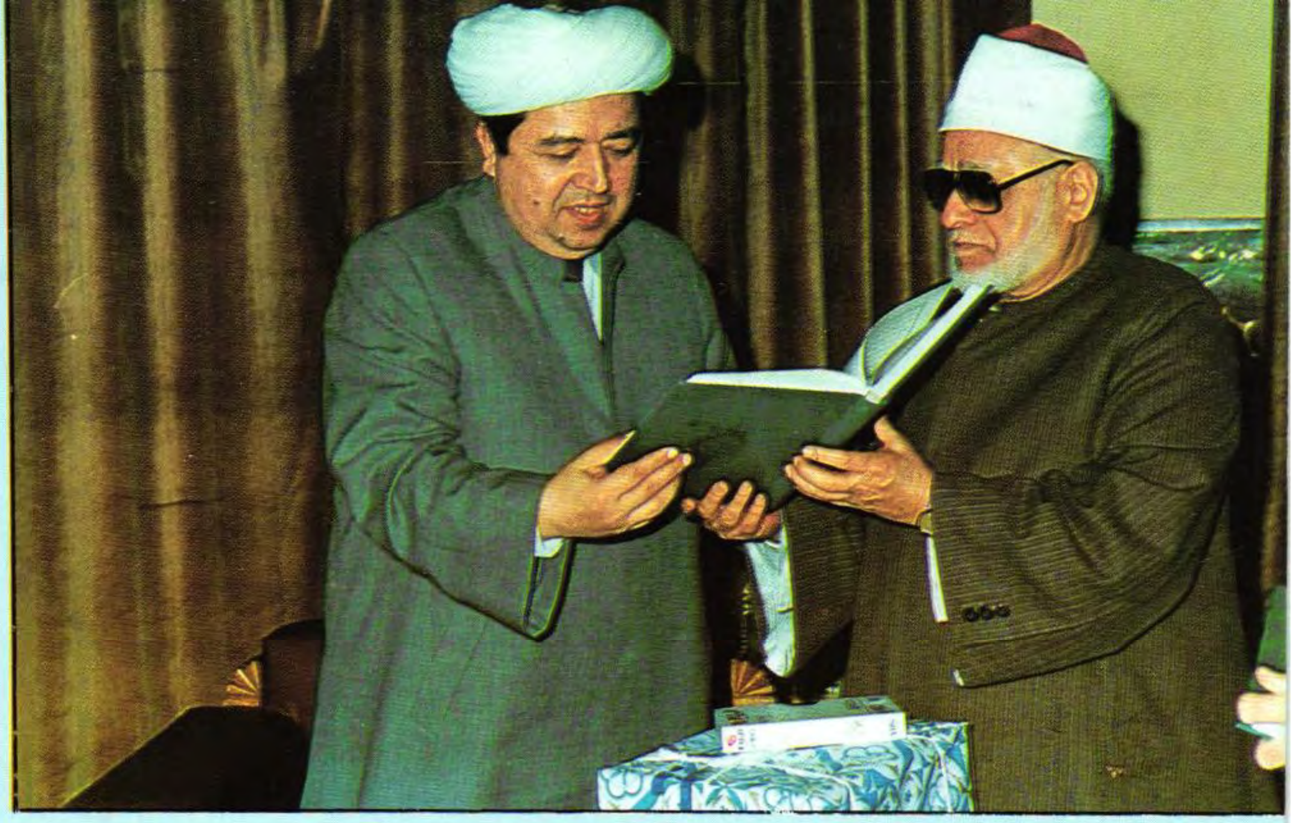
ان دراسة هذه الموضوعات والحوار في شأنها ، ينبغي ان يجري في نطاق موضوعي ، ينتهى الى مقررات وتوصيات ، تقود الى خير الاسلام والمسلمين .

وهذا هو المأمول من هذه النخبة المخلصة لدينها وأمتها الاسلامية .

كلمة الوفود

مثل الوفود سيادة المشير/ عبدالرحمن سوار الذهب . فألقى كلمة الوفود في جلسة الافتتاح . فكان مما قال : ـ

اسمحوا لي أن أشكر جمهورية مصر العربية : رئيسا وحكومة ، وشعبا على الجهود الأصيلة والمشرفة التي يقوم بها هذا البلد السمح المعطاء نحو الاسلام وأمة الاسلام . وأن أعبر عما يكنه ممثلو العالم الاسلامي في هذا المؤتمر من تقدير واكبار للأزهر الشريف ، ولرجاله



شيخ الأزهر ومفتي وسط آسيا .

الأفاضل الأجلاء . فالأزهر الشريف قام ولا يزال يقوم ، وسيظل يقوم باذن الله بدور رائد وعظيم ومضىء في خدمة الدعوة الاسلامية .
واذ اعتبر هذه الانابة عن الوفود تشريفا لي ولمنظمة الدعوة الاسلامية التي أمثلها ، وللسودان عامة . فاني اسأل الله تعالى ان يعينني على حسن التعبير عما يجيش في نفوس المشاركين من تطلعات وآمال .

دعوة هادية

ثم قال : -
والعالم الاسلامي اليوم في أشد الحاجة إلى دعوة هادية تصلح شئونه بالكلم الطيب ، والأسلوب الرفيق ، والقدوة الصالحة ، والبرامج الاصلاحية الشاملة .
كما أن العالم كله في أمس الحاجة إلى الدعوة الاسلامية التي لن يرى النور ، ولن يستقيم أمره العقدي والفكري والخلقي والاجتماعي الا بها : « ألر ، كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » .

● وعن الصعوبات التي تواجه العالم الاسلامي قال المشير : -
في مقدمة هذه الصعوبات واقع المسلمين أنفسهم . فالدعوة لا تقوى ولا تنهض إلا في أمة قوية ناهضة متحدة كما تمنى لوط عليه السلام : « قال لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد » أو كما وقع

لشعيب عليه السلام من قومه : « قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول ، وإنا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز » .
ان البطء في خطى الدعوة ، صورة من البطء في تقدم العالم الاسلامي .

ومما يؤسف له ان الأمة الاسلامية التي قعدت بها سلبيات عصور الانحطاط ، وقيدت حركتها تركة استعمارية مثقلة لم تستطع حتى الآن أن تقوم بالوثبة المطلوبة في هذا الاتجاه .

وكان من أخطر ما أضر بالأمة الاسلامية ككل ، وعوق قافلة الدعوة الاسلامية بشكل خاص هو : استدامة التخلف ، أو استطابته أو التكيف معه ، وبث الفرقة ، واحداث التمزيق ، واثارة القلاقل والفتن ، وهز المسلمات والثوابت ، وتفجير البيت الاسلامي في الداخل بقنابل المشكلات والأزمات .

ولعلنا نستطيع ان نشير إلى بعض التحديات الصعبة التي تواجه الدعوة اليوم :

لا يشك عاقل أن المشكلات الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية والتعليمية والثقافية التي يعاني منها العالم الاسلامي هي بمثابة تحد حقيقي لانطلاقة الدعوة الاسلامية . ومن هنا فان مساهمة الدعاة في التغلب على هذه المشكلات جزء من مسئوليتهم في تعبيد الطريق لتقدم الاسلام .

ولا يشك عاقل أن الاغراق في الخلافات الفرعية الجدلية بين الدعاة أنفسهم كانت سببا في تعثر الدعوة ، وأن الحل الأمثل للخروج من هذا المأزق هو الاعتصام بأصول منهج أهل السنة والجماعة والتلقي عن الأئمة الموثوقين جميعا ، وتوفير الطاقة المبذولة في الخلاف الجدلي للجهاد الايجابي في سبيل الدعوة .

ومن الأمور المجمع عليها : ان الدعوة بالقدوة الحسنة أعمق أثرا من الدعوة القولية ، وهذا تحد كبير ايضا . ولذا ينبغي ان يكون المسلمون صورة حية مشرقة لدينهم ، يدعون إلى الاسلام بسلوكهم العملي على كل مستوى .

ثم مضى يقول :

ان الدعوة صدق وعدل ... ومن الصدق والعدل ان نقول : ان الحرب الظالمة بين المسلمين انحراف عن طريق الاسلام وتعويق للدعوة الاسلامية وكذلك اثارة الفتنة في الحرم الشريف ... فإذا كذ ندعو إلى الاسلام فليس من تقوى الدعاة ، ولا من القدوة الحسنة ، سفك الدم

الحرام ، ولا انتهاك حرمات الله وشعائره ، ولا اثارة الفزع في البلد الآمن ، ولا سائر ما نشاهده في مسرح العلاقات الاسلامية من جنوح .

الأقليات الاسلامية : وعن وضع الأقليات الاسلامية قال : سوار الذهب ..

من بين تحديات الدعوة أوضاع الأقليات الاسلامية في العالم والمجتمعات المسلمة في ثغور الأمة وحواشيها في أفريقيا وآسيا ، واحقاق حق هؤلاء في ان يجدوا نصيبهم من الدعوة الاسلامية : تثقيفا وتوعية ، ودفاعا عن وجودهم الفكري والحضاري ، وتبصيرا لهم بطرق التعامل الحصيف والنافع مع واقعهم ومحيطهم وجوارهم.

فالأقليات الاسلامية توجد في محيطات غير اسلامية والمجتمعات المسلمة في الثغور تستشعر العزلة وتجاور الفتنة . وهذه وتلك تتعرض لضغوط ثقيلة نفسية ، وفكرية ، واجتماعية ، واقتصادية .

ولتدافع غير متكافىء مع المؤثرات المحيدة والمجاورة . ويتحتم ان يكون الجهد المبذول لنصرة اولئك المسلمين مناسبا لما يتعرضون له من ضغوط ، فيدفع الضغط النفسي والفكري بتقويه ربط الأقليات ومجتمعات الثغور بالأمة الاسلامية . ويدفع الضغط الاجتماعي والاقتصادي بتنظيم برامج عملية تتوخى اسعاف هؤلاء المسلمين ، وترقيتهم اجتماعيا واقتصاديا ، وتقوية رصيدهم الديني علما وعملا حتى يفيضوا بهدى الاسلام على الذين يلونهم من غير المسلمين .

ثم دعا إلى قيام مؤسسات اسلامية دعوية تنبث في قارات العالم تدعو الى الله على بصيرة بظروف البيئة التي تخاطبها وبهدى الدين المناسب لها ، مستعينة بجميع الوسائل والأساليب العصرية في خطاب الناس وهدايتهم من كلمة مقنعة وقدوة حسنة مؤثرة وخدمة إنسانية تؤلف القلوب .

كلمة رئيس جمهورية مصر العربية

الرئيس مبارك يقول : الدعوة في الاسلام واجبة على كل قادر عليها .

الاسلام يدعو إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف والبعد عن تفريق الجماعة .

وبعد أن رحب بالحضور قال الرئيس مبارك :

إذا كانت الدعوة واجبة في كل وقت فهي في وقتنا هذا أشد وجوبا ومسئولية الجميع هنا عنها تأتي في صدر اولويات الواجبات

ويستوى في تحمل هذه المسئولية العلماء والمؤسسات والرؤساء والحكومات نظرا لما يمر به العالم الاسلامي اليوم من معاناة وما يحيط به من تهديدات وما يعترض طريق نهوضه من معوقات وعقبات . ان الاسلام بعقيدته الحقة وشريعته السمحة وفضائله العالية وقيمه السامية قد استطاع ان يقيم للمسلمين دولة عظمى . وان يحقق لهم وللانسانية معهم حضارة كبرى اشاد بها الاعداء قبل الاصدقاء واعترف بدورها في تطوير البشرية وتنويرها المنصفون من غير المسلمين ، قبل ان يفخر بها ابناؤها من المسلمين ... ثم تآمرت عوامل شريرة عديدة على تمزيق هذه الدولة العظمى وعلى ايقاف مد تلك الحضارة الكبرى وعلى تعويق مسيرة المسلمين بل على دفع حركتهم إلى التخلف واثقالها بما يحقق الجمود ولست هنا في مجال تفصيل القول في تلك العوامل الشريرة التي تآمرت والتي كان لها بكل اسف ما أرادت ودبرت وانما حسبي هنا ان اقول ان قرونا مرت على المجتمع الاسلامي بعد نجاح التآمر عليه كان فيها هذا المجتمع في منطقة الظل من العالم وهو في الوقت نفسه هدف للطامعين ونهب للمغامرين ثم قسمة بين المستعمرين ، وبعد ذلك اراد الله لهذه الأمة التي تصون كلمته وتحمل رسالته ان تخرج من جديد من الظلمات إلى النور وهيأ لها من رجالها المخلصين ومن قادتها الراشدين من يقود حركتها إلى حيث افاق



الحرية فاستردت استقلالها واستعادت كرامتها وألقت عن كاهلها نير الاستعمار واغلال القهر وخطت خطوات واثقة في سبيل التقدم لاستعادة مكانتها الجديرة بها كخير امة اخرجت للناس .

الاسلام يحرم بكل صراحة سفك المسلم لدم اخيه

ولكن معوقات من نوع اخر القيت في الطريق من جديد وكأنما أرادت قوى شريرة اخرى لأمتنا الا تنهض والا تسترد مكانتها تحت الشمس ، وقد تنوعت تلك المعوقات وتعددت مجالاتها واختلفت الوانها لكنها قد اتفقت جميعا في مؤامرة التعويق والتفريق والتمزيق .

ومن مظاهر هذه المعوقات المفرقة الممزقة ذلك الصراع الدامي بين دولتين اسلاميتين .

ومن مظاهر تلك المعوقات التي رزىء بها المسلمون ايضا ، تلك الخلافات المذهبية المفرقة الممزقة ايضا والتي تظهر المسلمين في بعض الاحيان وكأنهم ينتمون إلى ديانات شتى لا إلى دين واحد مع أن من البديهيات في الفكر الاسلامي انه دين يدعو اول ما يدعو إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف والبعد عن كل ما يفرق الجماعة ويشتت الامة ، وما أروع قول ربنا في كتابه العزيز « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا** » وما أجل قوله سبحانه وتعالى : « **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم** » .

ومن مظاهر تلك المعوقات التي اصابت المجتمع الاسلامي ايضا اهتمام البعض بالشكل واهمال الجوهر ، والتشبث بالمظهر وترك المخبر ومن هنا يضيع هذا البعض جهده ويبدد طاقته في جدل عقيم ونشاط سقيم لا ينهض قاعدا أو يقدم متخلفا أو يحقق نفعا . والعجيب ان كل ذلك يحدث وعالمنا الاسلامي في معظم بقاعه يعاني من سلبيات هي اولى ببذل الجهد لتلافيها ، وعلاج امراضها ، وحسبنا ان نعرف ان مجتمعنا يقع وبكل اسف الى الآن في منطقة التخلف أو ما يسمى تأدبا بالعالم النامي .

تصحيح الفكر المتطرف من خلال الحوار العلمي

والدعوة مطالبة بان تبصر المسلمين بأمور دينهم وتعاليم ربهم حتى يعبدوه على هدى وبصيرة وحتى تثمر تلك العبادة ثمارها المرجوة

في إعلاء النفس وصقل الروح وإيقاظ الضمير وتهذيب الخلق ليتحقق بكل ذلك وجود الفرد الصالح في المجتمع الصالح في الأمة الصالحة .

والدعوة مطالبة بأن تصحح الفكر المتطرف وان توضح لأصحابه من خلال الحوار العلمي المخلص الشجاع ما في هذا الفكر من شوائب غريبة عن جوهر الاسلام وهي شوائب ربما تكون قد علقت بهذا الفكر نتيجة لعدم التدقيق في الفهم أو لعدم الاحاطة بالعلم او لتلقف فكر غريب قد يكون صادرا عن ظروف سياسية او اجتماعية خاصة بل قد يكون مصدره من بلاد اخرى قد اقتضت ظروفها ان يقول بعض علمائها ما يقاومون به استعمارا غاشما أو حاكما اجنبيا مستبدا ظالما فأخذ هذا الفكر وأريد تطبيقه على مجتمع اسلامي ليس فيه استعمار غاشم ولا حاكم اجنبي ظالم والدعوة مطالبة ايضا بان توضح للحكام المسلمين الذين يحاربون اخوانهم في الدين ان هذا الذي يصنعون ليس من الاسلام في شيء ابدا فالاسلام سلام ومحبة .

تحديد المستويات والأهداف ضرورة للدعوة الصحيحة

تحتاج الدعوة الاسلامية في هذه الفترة من تاريخنا إلى منهج تحدد فيه المستويات والوسائل والاهداف ، كما تحدد الاسس الصحيحة للدعوة ، وما يجب ان تقوم عليه وما يجب ان تقوم به ، من اعداد صحيح لمن يتولون امرها ويوصلون رسالتها ويتخصصون فيها ، فليس كل انسان يصلح داعية بالمعنى الدقيق لتلك الكلمة ، وذلك لأن التدين وان كان من الامور العامة فالدعوة اليه من الامور العلمية الخاصة ، بل ليس كل عالم بصالح ان يكون داعية ناجحا ، فالدعوة على وجهها الصحيح علم وفن وموهبة وخبرة . واعداد وصقل ، ووسائل وأدوات .

ومن هنا أرى أن مؤتمركم هذا له رسالته الكبرى في هذه الفترة من حياة امتنا وأنا واثق من أنكم أهل لتحمل هذه الرسالة وأدائها بما جمعكم من هدف كريم وبما حملتم من علم عظيم وبما عمر قلوبكم من ايمان بدينكم وامتكم وبما تأخذون به انفسكم من تفان في سبيل اداء رسالتكم والله يوفقكم ويحقق الرجاء فيكم فهو الموفق والهادى الى سواء السبيل وفقنا الله جميعا وإياكم والسلام عليكم ورحمة الله .

الجلسة الثانية

عقدت هذه الجلسة في مساء السبت ١٦ من رجب ١٤٠٨ بقاعة مركز الشيخ صالح عبدالله كامل للأبحاث والدراسة التجارية .

وكان موضوع الحوار « الدعوة الاسلامية » ... ولما كان المؤتمر ممثلا للعالم الاسلامي حيث حضره علماء ومسئولون يمثلون ٨٨ دولة إسلامية ، فقد استمع الحاضرون لآيات من كتاب الله رتلها طالب أندونيسي ..

ثم تحدث شيخ الأزهر فاقترح تخصيص جلستين لدراسة موضوع التنسيق بين الجهات القائمة على الدعوة والجهات القائمة على الاغاثة .

وجلسة ثالثة تخصص لدراسة موضوع قدسية الحرمين الشريفين والمسجد الاقصى .

وجلسة رابعة لمناقشة ودراسة اوضاع الأقليات الاسلامية .

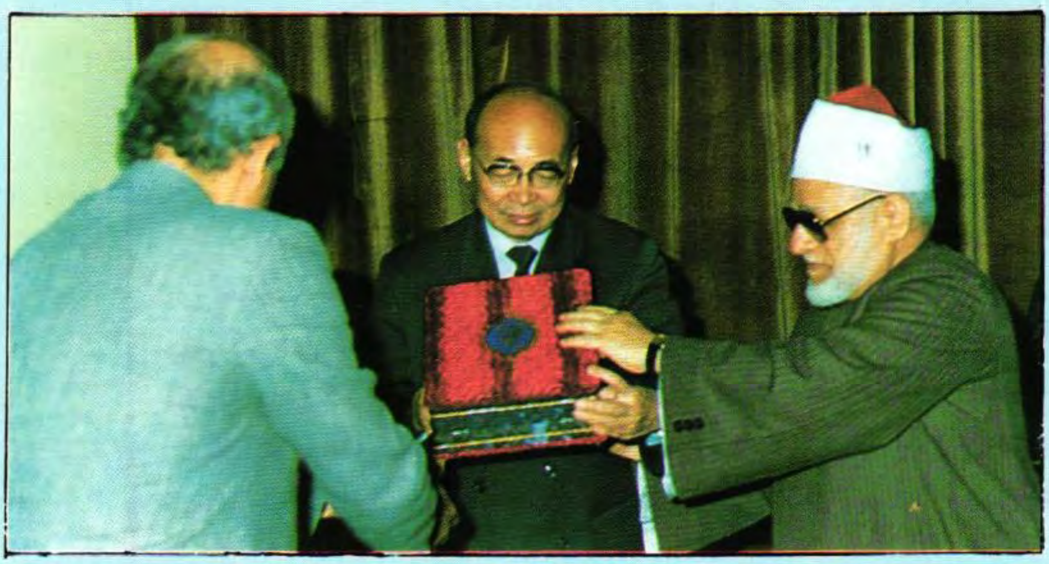
واخرى للقضايا المعاصرة ..

وتمت الموافقة على ذلك .

ثم تحدث الدكتور عبدالله عبدالمحسن التركي ـ ممثلا المملكة العربية السعودية ـ تحدث عند الدعوة وموضوعها ومنهجها وآفاقها .

فعن المنهج قال : إن الاقدام على الدعوة بلا منهج علمي هاد ضرب من الاجتراء على الدين .

وعن آفاق الدعوة الاسلامية قال إن آفاقها كثيرة ، واختار منها أفق تصحيح المفاهيم الخاطئة السائدة بين المسلمين ، وأفق الاعتصام بالدعوة من الغزو الفكري .



رئيس وفد الصين بالمؤتمر

ثم تحدث عن دعوة غير المسلمين إلى الاسلام ، وأشار إلى الامكانات المتاحة في عصرنا الحاضر ، وإلى العقبات التي تعترض طريق الدعوة فأشار إلى شبهات المستشرقين . والحملات الاعلامية المعادية ، وقيام الفرق المنحرفة الضالة التي تحمل شعار الاسلام نفاقا وهي تسيء الى الاسلام والمسلمين . وضرب مثلا بالبهائية والقاديانية .

وارتأى الدكتور التركي العلاج في : ـ

أ ـ وحدة الدعاة .

ب ـ التنسيق الحقيقي والجاد والمنظم بينهم في مجال البناء الذاتي ، ومجال المكافحة النشطة للأخطار المحدقة بالعالم الاسلامي .

جـ ـ التعاون وفق صيغة عاقلة وواضحة وواقعية بين الدعاة ، وانظمة الحكم من أجل توفير جو أفضل للدعوة من جهة ، وللاستقرار السياسي من جهة اخرى .

بلجراد

ثم جاءنا صوت المسلمين في بلجراد بيوغوسلافيا على لسان مفتى بلجراد الشيخ/ حمدي يوسف فتحدث عن إخوة في الاسلام لنا هناك يقدر عددهم بخمسة ملايين مسلم ، وقال الشيخ : إن الدعوة إلى الاسلام جهاد في سبيل الله : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة »

وقال المفتى : ـ رغم تعدد الأديان في يوغوسلافيا إلا أن الاسلام هناك بخير .

وأخبرنا أن عدد المساجد ثلاثة آلاف مسجد يقوم الأئمة فيها بتعليم أبناء المسلمين القرآن والعلم ، إلى جانب المعاهد التي تخرج ائمة ، ثم قال : ان بعض الدول الاسلامية ساعدت في بناء صرح إسلامي كبير يوجد به مسجد وكلية إسلامية ، وطالب مساعدة الأزهر الشريف في ذلك .

منظمة المؤتمر الاسلامي

عبر عنها مستشار الأمين العام/ احمد صالح الطيب ... وبعد أن أشار إلى الدور الرائد للأزهر الشريف ، وما قام به من أجل رفعة الاسلام وخير المسلمين ، قال : إن الدعوة واجب على كل مسلم ومسلمة وأنها استمرار لدعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم .

وربط بين النكسات التي يتعرض لها المسلمون في بعض دول افريقيا وآسيا ، وما يعانونه من أوضاع اقتصادية واجتماعية سيئة ، واقترح إنشاء لجنة تنسيق عليا تتألف من ممثلين لمختلف المؤسسات

الاسلامية العاملة في ميدان الدعوة .

وأشار إلى دور المرأة المسلمة في ميدان الدعوة . وطالب بالتركيز عليه ، وتنميته .

اوغندا :

وتتسع الدائرة الاسلامية لينبعث الصوت من اوغندا ، يقول/ جمعة عبدالنور :

إن المشكلة الرئيسية التي تواجه الدعوة والدعاة هي الحرب بين المسلمين ، وهي تمثل عوائق في طريق الدعوة .

تشاد :

أما الاخوة في تشاد ممثلهم/ محمود آجي ـ مدير الاوقاف . حيث نادى بوحدة كلمة المسلمين ، والبعد عن الحروب ، وكل ما يفرق الصف الاسلامي .

وانطلق الصوت من تونس ـ الشيخ عبدالرحمن خليف ـ ومن إفريقيا الوسطى ـ الحاج داود ـ ومن العراق ـ الدكتور عبدالله فاضل ـ وتداخلت الأصوات . مع الصوت الآتي من روسيا ـ الشيخ شمس الدين ـ المفتى ـ والصوت الآتي من اليونان ـ الشيخ رشدي ابراهيم ـ المفتى .

وكأن كل واحد من المتحدثين يمثل مؤذنا يعتلى مئذنته ، وبمجرد ان ارتفع صوت المؤذن من فوق مئذنة الجامع الأزهر ، أخذ الجميع يردد وراءه ، والكون كله يسبح ، ويقول : « الله أكبر الله أكبر » ... و « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد وأن محمدا رسول الله ، ثم « حي الفلاح » حي على الفلاح .

ولا فلاح لنا إلا في رحاب ديننا العظيم ، وعندما نكون الجسد الواحد ، إذا اشتكى بعضه اشتكى كله .

الجلسة الثالثة

وفي نفس القاعة عقدت الجلسة الثالثة صباح الاحد ١٧ من رجب ١٤٠٨هـ .

المركز الاسلامي الافريقي :

وفي هذه الجلسة تحدث رئيس المركز الاسلامي الافريقي في

السودان الدكتور/ ابراهيم محمد عباءة حيث قال : إن المركز مؤسسة اسلامية تأسست منذ ثلاثة عشر عاما ، وهدفه نشر الاسلام والثقافة الاسلامية بين مسلمي افريقيا . وإعداد الدعاة ، والقادة ، والمعلمين .

وقد ساعد في تأسيس المركز : الكويت، ومصر ، وقطر ، والامارات ، والمغرب .

وهذا المركز يخرج الداعى المؤهل علميا ونظريا ومتعلما لحرفة يتكسب منها .

ودعا رئيس المركز إلى ازالة الحواجز بين العلماء والشباب . وان نعمل على نشر الاسلام وسط الشباب خاليا من أية شوائب أو انحرافات .

تركيا :

الدكتور/ على أوزاك له رأي في موضوع تنسيق الدعوة... يتلخص في تحديد الموضوع ، ومعرفة طبيعة الشخص الذي يدعي إلى الاسلام ، وظروفه النفسية ، والاجتماعية والاقتصادية .

ثم قال : يجب على الداعية ان يهتم بأمور الناس الدنيوية اهتمامه بأمورهم الأخروية .

وعن الاغاثة قال : إن المهم هو تمكين كل مسلم من عمل لكي يكسب منه حاجاته اليومية .



معالي وزير الاوقاف الكويتي الأستاذ/ خالد الجسار وبعض الاعضاء .

ماليزيا :

تعانى ماليزيا من النزعات المذهبية ، والخرافات الهدامة . هكذا قال وزير الدولة الدكتور/ محمد يوسف ، وقال : إن عدد المسلمين في ماليزيا ٥ ـ ٧ ملايين مسلم ، يمثلون نصف عدد السكان .
وركز على ضرورة الارتقاء بالمستوى العلمي للدعاة واختيار من تتوافر فيه الأهلية لهذا العمل العظيم .

بنجلادش :

عدد سكانها ١١٠ ملايين نسمة أكثر من ٩٠٪ منهم مسلمون .
ومثل صوتهم السيد/ احمد عبدالرحمن وزير الأوقاف . الذي دعا إلى المصالحة بين المسلمين واستنكار ما قام به البعض من الاعتداء على حرمات الاسلام .

اقتراحات

اقترح الدكتور عبدالعزيز كامل في كلمته التي ألقاها في الجلسة : ـ

● التنسيق بين الأجهزة القائمة بالدعوة على أساس من التوزيع الداخلي على مستوى القارات ثم يختار من كل إقليم أنسب الهيئات .
● التقريب بين الفرق الاسلامية .
● انشاء مجلة باسم الاسلام يكتب فيها المسلمون جميعا على اختلاف مذاهبهم .
● انشاء بنك معلومات في الأزهر للدعوة الاسلامية .

غزة :

بلد الأبطال ، والجهاد ، بلد الاطفال والنساء والشيوخ والشباب الذين يشوهون وجه الصهيوني القبيح بحجارتهم المباركة ـ من هذا البلد . فلسطين ـ جاء صوت الشيخ محمود عواد شيخ معهد غزة الازهري متسائلا :

لماذا لا يكون التعليم إسلاميا من الروضة إلى الجامعة ؟
لماذا لا تقام معاهد علمية على مستوى عال لاعداد الدعاة ؟
لماذا لا يعمل العرب والمسلمون على انشاء جيش قوي متين يدافع عن البلاد الاسلامية ؟

لماذا لا يقوم العرب والمسلمون بتطبيق الأحكام الشرعية ؟
وبقيت الاستفهامات بلا إجابات . فهل من إجابة ؟ سؤال آخر نطرحه على من يهمه الأمر .

واقتراحات اخرى

الشيخ ابراهيم الدسوقي اقترح في كلمته : ـ

- إنشاء صندوق للتضامن ، ويدعم الدعم الكامل الذي يؤهله للقيام بمهمته .
- إنشاء مجلس مكتب فنى لتلقى التقارير التي ترد إليه من جميع بلاد العالم الاسلامية .
- تنقية المراجع الاسلامية من كل دخيل .
- دعم الاعلام الاسلامي بما يصحح المفاهيم الاسلامية ، وحماية المسلمين من أن يجرفهم التيار الغربي .
- التوسع في المنح الدراسية .

النيجر :

مثلها الدكتور/ محمود الخياط ، مدير الجامعة الاسلامية هناك . وقد كانت له مقترحاته للنهوض بأعباء الدعوة .

نيجيريا :

وانضم اليه الاستاذ/ آدم عبدالله الألوري من نيجريا فاقترح على الأزهر أن يعين سفيرا روحيا متجولا يتجول في أنحاء العالم الاسلامي .

موريتانيا :

أما الشيخ محمد سالم محمد علي ـ وزير الثقافة . فطالب بإعداد الدعاة بحيث تكون لهم ملكة يجيبون بها على الاسئلة التي تطرح عليهم ، واستغلال طاقة المرأة في الدعوة الاسلامية .
وإنشاء جهاز إسلامي يتولى إغاثة الدول الاسلامية من مديونياتها .

غانا :

طالب القاضى يعقوب محمد بمساعدة اسلامية من الأزهر ومن الدول الاسلامية لبلاده وذلك بتوفير المنح الدراسية لأبناء غانا ليتعلموا الاسلام في الازهر .

الجلسة الرابعة

عقدت هذه الجلسة مساء الأحد ١٧ من رجب ١٤٠٨هـ .

المسجد الاقصى

وفي مستهل هذه الجلسة تحدث الدكتور/ عبدالعزيز الخياط ، عن المسجد الأقصى ... فقال : - إن المسجد الاقصى مستهدف من العدو للقضاء عليه ، لأنه رمز الجهاد والقضية التي يتحرك المسلمون من أجلها ، حيث يزعم اليهود أنه هيكلهم وهو كذب وافتراء . فالتسميات كلها تسميات اسلامية ، والمسجد الاقصى تم بناؤه بأيد اسلامية في عهد سليمان بن عبدالملك ، ثم إن اليهود في حفرياتهم حول المسجد الاقصى لم يجدوا أي اثر عبراني يخصهم من قريب أو بعيد .

ثم قال : والمسلمون الآن يدافعون عنه ، وهو رمز الانتفاضة ، وهي من الجيل الثالث الذي رفض الذل ، وكلما فسد جيل ظهر في الأمة جيل أفضل ... « **نحن خلقناهم وشددنا اسرهم** » .

وقال سبحانه : « **يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه** »

الكويت ودورها المشرف

ثم قال الوزير الأردني : إن شباب الانتفاضة يستعمل الحجارة والعصي ، ولا يستعمل السلاح برغم ان ذلك في استطاعته ، وهذا الشباب المجاهد رفض أخذ راتب أو نقود من أموال الزكاة .

غير ان الكويت أرسلت إليهم دقيقا فأخذوه ووزعوه على الحارات المحاصرة .

الدعم ... لا الخطب

ثم قال الوزير الخياط : إن ما نسمعه من خطب لا يفيد الآن . لكن الدعم هو الأهم .

تدويل الأماكن المقدسة فكرة خبيثة

قال الدكتور/ عبدالله مبروك النجار في كلمته : ان فكرة تدويل الحرمين الشريفين فكرة خبيثة ، وباطلة شرعا .

الطفل .. والعوام

المغرب :
وزير الأوقاف المغربي الدكتور عبدالكبير العلوي ... ركز في كلمته على الاهتمام بالطفل والشباب الذي تعلم تعليما غربيا ، وطالب برسم منهج لدعوتهم ودعوة العوام .

الحرب العراقية ... الايرانية

ثم فرضت الحرب العراقية الايرانية نفسها على المتحدثين في هذه الجلسة ، وكل منهم أدلى بدلوه ، وأمل الجميع إيقاف هذه الحرب المجنونة ، والقضاء على الفتنة ، وتخليص الأمة المسلمة من أخطار لا يعلم مداها إلا الله.

الجلسة الخامسة

عقدت هذه الجلسة صباح الاثنين ١٨ من رجب ١٤٠٨ هـ .
وكان الموضوع المطروح للنقاش في هذه الجلسة هو « الأقليات الاسلامية وموقف البلاد الاسلامية منها »

الأقليات الاسلامية في جمهورية النمسا الاتحادية

وقد ابتدأت الجلسة بحديث للأستاذ / أنس الشقفة رئيس الجماعة الدينية في فيينا بالنمسا . حيث أجمل مشكلات الاقليات الاسلامية هناك في النقاط التالية .

١ ـ إن وجود الأقليات الاسلامية في اوروبا الغربية حديث عهد ولا يبعد عن الخمسينيات في هذا القرن .
٢ ـ حداثة عهد المسلمين بالهجرة الى تلكم البلاد تجعلهم يتفادون التصادم مع مجتمعاتهم مما أدى الى قلة تجربتهم وخبرتهم التنظيمية في إدارة شؤونهم ، فان خبرتهم هذه قاصرة عن الوفاء باحتياجاتهم الضرورية .
٣ ـ وكذلك تلكم الحداثة أدت الى نقص كبير في المؤسسات والمنشآت اللازمة للوفاء بمتطلبات حياة اسلامية نظيفة تطبق احكام الشريعة الغراء وشعائرها التعبدية الأساسية ، وذلك مثل المسجد ،

والمدرسة ، والمقابر ، وغيرها .
٤ ـ تنوع الجنسيات واختلاف اللغات يشكل عائقا في تكوين مجتمع اسلامي موحد .
٥ ـ الولاءات السياسية في بعض الأحيان والتي اتي بها المهاجرون من مواطنهم تقف حجر عثرة امام الجهود الرامية الى توحيد الأقليات .
٦ ـ عدم تعود المسلمين على تحمل تبعات الشؤون الاسلامية الخاصة بهم .
٧ ـ المناخ السائد في اوروبا يتيح للمسلمين ممارسة شعائرهم الدينية الا أن المغريات المادية كثيرة .
٨ ـ إغراءات الزواج من الكتابيات تعمى ابصار الكثيرين عن نتائج هذه الزيجات .
٩ ـ لا توجد ضغوط حكومية على المسلمين لتغيير دينهم في بلاد اوروبا الغربية الا فيما ندر .
١٠ ـ وجود المساجد وحده لا يكفي عن قيام مؤسسات اجتماعية تصل بين افراد المجتمع المسلم وتوجه عناية خاصة الى الأطفال واليافعين الذين يتعرضون أكثر من غيرهم للاغراءات .
١١ ـ الحالة النفسية التي تسيطر على تفكير المغتربين المسلمين تحجب الرؤية الصحيحة لحقائق الأمور عنهم فلا ارتباط بينهم ولا عمل ولا مبادرة ، لأنهم يمنون انفسهم بالعودة الى اوطانهم يوما ما .
١٢ ـ الخوف من اتهامهم بانضمام الى حزب معين جعلهم يدفعون عن انفسهم هذه الشبهة بكل الوسائل مما دفعهم الى الابتعاد والانعزال .
وطالب سيادته المؤتمر ان يصدر توصية يناشد فيها كافة الدول والأحزاب والجماعات الدينية ذات الطموح السياسي ان تجنب الأقليات الاسلامية في المهاجر امر الخلافات التي تنشب بينها ، وهم أشد مايكونون حاجة للاتحاد .

ثم ختم حديثه بقوله : نحن بحاجة ماسة الى دعم اخوتنا القادرين وبخاصة في مجال الدعوة واعداد المؤهلين وحبذا لو تعاونت جهات الخير وعلى رأسها الأزهر الشريف ورابطة العالم الاسلامي ، ومنظمة المؤتمر الاسلامي في إنشاء معهد ديني ثانوي لتخريج أئمة المساجد والمعلمين والدعاة لتغطية احتياجات المسلمين في النمسا واسبانيا وسويسرا ، وعددهم جاوز المليونين على ان يكون مقره فيينا .
« والوعي الاسلامي » تهيب بالقادرين في الأمة الاسلامية ان يعملوا على تحقيق هذه الرغبة خدمة لدينهم . بل ان واحدا من اثرياء المسلمين يمكن ان ينشىء المعهد المطلوب بمفرده .

خطر .. فهل نواجهه ؟

لفت المشير عبد الرحمن سوار الذهب نظر المؤتمرين الى خطر يتهدد المسلمين في افريقيا وهذا الخطر يتمثل في نقطتين .

١ ـ تعلمون ان افريقيا كانت مسلمة ، وأن الاستعمار عمل على تقليص الاسلام بالتبشير وكانت النتيجة أن أصبح القائمون على الامر فيها من المسيحيين حتى في البلاد التي يبلغ عدد المسلمين فيها أكثر من ٩٠٪ .

٢ ـ هناك صراع محتدم في افريقيا بين التبشير والاسلام ، فالمبشرون يقولون .

لن يأتي عام ٢٠٠٠ الاوتكون الغلبة للمسيحيين في افريقيا ، فالمسلمون معرضون الان للتنصير نظرا للمبالغ الكبيرة التي تنفق سنويا على عمليات التنصير وقد وصلوا رقما خطيرا اذا ما اطلعتم على ما تم تنصيره حتى الان .

وقال المشير / سوار الذهب :

نحن في افريقيا ندرك ان هناك عملا كبيرا ينتظرنا وهذا العمل لابد ان يكون مدعوما بالمال ليس بالضرورة ان يكون من الدول القادرة بل على المسلمين في كافة الدول ان يدفعوا اشتراكات ولو قليلة جنيه واحد مثلا في الشهر من كل مسلم في العالم لجمعنا حوالى مليار جنيه ووجدنا المال الذي نحتاجه في عملية الدعوة لكى نحمى هذه الأقليات الاسلامية التي تتعرض للتنصير الذي يجرى في افريقيا .

الكويت .. وواجب الدول الاسلامية تجاه الاقليات

قال الدكتور خالد المذكور محددا واجب الدول الاسلامية تجاه الاقليات المسلمة . فقسم الاقليات الى قسمين هما :

١ ـ مواطنون مسلمون تحت سيطرة حكومات غير اسلامية وفي شعب غالبيته غير مسلمين .

٢ ـ من هاجر أو أقام إقامة دائمة من المسلمين في بلاد غير مسلمين وجذورهم من بلاد اسلامية .

مشكلات .. وحلول

وحدد الدكتور خالد المذكور مشكلات الفئة الأولى في

أولا : جهل كثير منهم باصول الاسلام وما علم من الدين بالضرورة وبالتالي فكثير منهم لا يقيم الشعائر الدينية .

ثانيا : ما يلاقونه من مضايقة معيشية وفكرية .

ثالثا : ما يلاقونه كذلك من مخطط التنصير والتذويب في محيط غير الاسلام وغير ذلك من العراقيل والمعوقات .
ثم اقترح الحل الاتي .
١ . أن يتبنى الأزهر والمؤسسات الأسلامية دعوة أفراد منهم لتفهم اوضاعهم وتذليل العقبات التي تواجههم سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم فكرية ؟
٢ . إعطاء المنح التعليمية في المعاهد والجامعات الاسلامية النظرية والعملية ليعدوا اعدادا فكريا وتخصصيا لما ينفعهم في بلادهم .
٣ ـ إتاحة فرص العمل لهم في البلاد الاسلامية حتى ينالوا فرصتهم في كسب ما يؤدى الى تحسين مستواهم المعيشى .
٤ ـ ان تقوم الهيئات الدبلوماسية الاسلامية في هذه الدول بتفقد احوالهم للربط بينهم وبين اخوانهم المسلمين في البلاد الاسلامية .

اخوتنا في البرازيل

يعيشون فراغا دينيا رهيبا ـ كما عبر الدكتور / حلمى نصر من البرازيل وقال ان الأفراد يعيشون في قلق دائم بالنسبة لأولادهم الذين نشؤوا في بيئة بعيدة كل البعد عن تعاليم الاسلام السمحة . ودعا الى انقاذ أولاد المسلمين من براثن الالحاد وعوامل الضياع .
ثم تحدث عن خطة لحماية هذه الأقلية تركزت في نقاط .
الاحصاء ـ المدارس المناسبة ـ الدعاة ـ وسائل الاعلام ـ الكتب ووسائل التعليم الحديثة ـ النواحي الاقتصادية ـ توثيق الصلة بالعالم الاسلامي .

وعن الأمل في المستقبل يرى
عقد المؤتمرات الخاصة بالأقليات ـ ترجمة القرآن الكريم ـ عقد معاهدات ثقافية بين حكومات الوطن الأم والوطن الثاني .

الأقلية المسلمة في « بوروندى »

تحدث عنهم الشيخ خميس رجب فقال مخطىء من يظن أن الحرب بين الاسلام وأعدائه قد توقفت ثم حدد الاخطار التي يواجهونها هناك فقال .

١ ـ أنشأ المبشرون جمعيات ونوادى ثقافية واجتماعية تعنى بوضع خطط ابعاد المسلمين عن عقيدتهم الاسلامية ان لم يمكن تنصيرهم .

٢ ـ المدارس وهى تلعب دورا كبيرا في تحقيق الهدف التبشيري النصرانى عن طريق تلقى ابناء المسلمين معلومات خاطئة عن الاسلام وتظهره بصورة الرجعية والتخلف .

* ثم تساءل ما موقف المسلمين من هذه المخاطر ؟

وقال ان المسلمين يقفون من هذه المخاطر موقفا سلبيا بعيدين عن المواجهة ولا أظننى مبالغا اذا ذكرت ان المسلمين في « بوروندى » لا يمتلكون سوى مدرسة واحدة فاين تصحح مفاهيم المسلمين وأين يتلقى المسلمون التعاليم الاسلامية .

أساليب يهودية خبيثة

كان مما قاله الدكتور عثمان من نيجيريا عن الجامعات الاسلامية في « نيويورك » وما تواجهه من صعوبات ان منظمة المساعدات اليهودية تقوم بتقديم منح دراسية لبعض الطلاب المسلمين الذين قطعت عنهم منحهم الدراسية شريطة ان يتنازلوا عن دينهم ويرتدوا وكذلك تقوم المنظمات اليهودية والكنائس المسيحية بتحريف كتاب الله (القرآن) وتقديمه للطلاب في المعاهد والمدارس وكذلك احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يتعرضون لها اما بالتحريف أو التضعيف وإما بالتكذيب .

وهكذا كانت الجلسة حتى نهايتها دراسة لأوضاع اخوة في الاسلام يتعرضون للافتتان في دينهم .

ولكن يأبي الله الا أن يتم نوره . وما على القادرين منا الا اخلاص العمل لله سبحانه .

الجلسة السادسة

في مساء الاثنين ١٨ من رجب عقدت الجلسة السادسة . وفي هذه الجلسة تحدث الأستاذ/ عبدالله احمد من موريشيوس ، وبعد ان استعرض كفاح الشعب المسلم في بلاده ضد الاستعمار الفرنسي ، ودور الأزهر الشريف في النهوض بأعباء الدعوة الاسلامية في بلاده . تقدم باقتراحين هما :

اولا : انشاء جهاز أعلى للدعوة ، يكون مقره بالأزهر ، ويكون خاصا بالدعوة في الأقليات الاسلامية .

ثانيا : تقديم المساعدات من البلاد الاسلامية الغنية للأقليات الاسلامية ، وكذلك العمل على إنشاء بنوك اسلامية في الأقليات للقضاء على مخاطر الربا .

وفي هذه الجلسة ايضا فرضت الحرب العراقية الايرانية نفسها على كل المتحدثين ، إضافة إلى المشكلات التي تعاني منها الأقليات في « تايلاند » ، و « بلجيكا » ، و « كندا » واقترح ممثل « كندا » تعيين ملحق ديني في السفارات الاسلامية بالخارج ، وعدم تقديم أية مشروبات محرمة في حفلات السفارات الاسلامية بالخارج ، أما مندوب الجزائر فقد نبه إلى قضية التبشير ، ودعا إلى مواجهة مخاطره .

وطالب مندوب « الامارات » السيد / أبو زيد السيد بعدم كتابة الآيات القرآنية على الحلي التي تلبسها النساء ، واستثمار أموال المسلمين في بلاد الاسلام ، وانتهت الجلسة .

التوصيات والقرارات

وقد انتهى المؤتمر إلى عدة توصيات وقرارات نذكر منها .

١ ـ إنشاء « مجلس إسلامي عالمي للدعوة والاغاثة »

يتولى الأزهر بالتعاون مع رابطة العالم الاسلامي ، والهيئة الخيرية الاسلامية العالمية بالكويت الدعوة لاجتماع تأسيسي لصياغة النظام الاساسي واللوائح التنظيمية لهذا المجلس وفروعه في أقرب وقت ممكن .

٢ ـ حدد المؤتمر معوقات الدعوة في

أ ـ القصور في تطبيق الشريعة .

ب ـ تصدير الشعارات الزائفة ، وإثارة الفتن باسم المذهبية بين شعوب الأمة .

جـ ـ ظهور الفئات والفرق الضالة والهدامة .

د ـ الغزو الفكري المعادي للاسلام .

هـ ـ سوء الفهم لأحكام الاسلام من بعض المنتسبين اليه ، وتصدى غير المؤهلين للدعوة الاسلامية والفتوى في دين الله بغير علم .

٣ ـ ولمواجهة هذه المعوقات وغيرها أكد المؤتمر على ضرورة تطبيق شرع الله في كل أمور المسلمين . وعلى اعتبار ان البهائية والقاديانية والأحمدية فرق مناهضة للاسلام ، وكل من يعتنق فكر هذه الفرق يعتبر غير مسلم . وحث المؤتمر الشعوب والحكومات على العناية بمناهج التربية والتعليم وفق أسس ايمانية شاملة ، وخطط عملية مدروسة .

ودعا المؤتمر إلى التسامح والتيسير على الناس في أمور دينهم ومعاشهم بما لا يخرج عن حدود الشرع .

٤ ـ ينصح المؤتمر الحكومات الاسلامية بالعمل على تمكين العلماء من أداء واجباتهم نحو الدعوة الاسلامية .

٥ ـ وعن الحرمين الشريفين ، قرر المؤتمر انه لا يجوز لأحد ان يحدث او يتعاون في إحداث فتنة فيهما لأن حرمهما آمن ، ولا ينبغي ان ينتهك حرمتهما مسلم .

٦ ـ وعن المسجد الاقصى وأهله ، حيا المؤتمر الانتفاضة ، وطالب دول العالم بالعمل على وقف العدوان على الشعب الفلسطيني ، كما طالب المسلمين في كل مكان بالوقوف إلى جانب اخوانهم هناك ، ومدهم بكل عون ممكن .

٧ ـ وبالنسبة للأقليات المسلمة ، وبعد ان استعرض المؤتمر اوضاعها المختلفة ، ارتأى معالجتها من ناحيتين ؛

الاولى : تأكيد العقيدة الاسلامية باعتبارها الركيزة الاولى للحياة الاسلامية ورباط الفرد بخالقه وتأكيد الاخاء باعتباره الرباط بين الفرد ومجتمعه الاسلامي (**إنما المؤمنون اخوة**) .

الثانية : دراسة كل جالية على حدة حسب خصائصها الحضارية ورسم طريق نموها وفي هذين الشقين يأتي التعاون بين مراكز الدعوة الاسلامية .

وفي شئون الدعوة الاسلامية بين الأقليات : يوصى المؤتمر بما يلي :

(١) إنشاء مركز لشئون الأقليات ، ويمكن لهذا المركز أن يقبل التبرعات المنتظمة والهبات وان يوزعها في إطار التنسيق بينه وبين المراكز الاخرى .

(ب) إنشاء بنك معلومات عن الأقليات ، تتجمع لديه المعلومات عن كل جالية ، وان يكون مزودا بالوسائل الحديثة لجمع المعلومات واختزانها وتصنيفها واسترجاعها .

(جـ) إصدار نشرة دورية ، تكون وسيلة منتظمة لتبادل المعلومات .

(د) إعداد مراكز متخصصة لاعداد الدعاة للمهجر في أقطاره المختلفة ، وتكون أولوية الدراسة لأهل الأقطار المحتاجة إلى هذا النوع من الدعم .

(هـ) وضع أطلس للأقليات الاسلامية يرصد القائم من أنشطتها وبخطط لمستقبلها ويكون وسيلة للتعاون بين الخبرات والكفاءات الاسلامية العالية من ناحية وبين مناطق الحاجة إليها من ناحية اخرى .

وبعد هذا الذي عرضنا عليك ، وغيره ارتأينا عدم نشره ، ندعو الله ان يحقق الآمال بغد يعز فيه الاسلام وأهله ، **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** .

في رحاب الصيام

للأستاذ / عبد الرحمن قره حمود

في جلسة ضمتني وبعض الزملاء قبيل شهر رمضان قال أحدهم جاء رمضان الله يعيننا عليه قالها بشكل يدل على التبرم والضيق الذي يعتري البخيل الشحيح اذا قدم عليه ضيف ثقيل تمنعه الظروف من عدم استضافته او اقفال الباب في وجهه .

قلت : ومالك تقولها هكذا ؛ وكأن مصيبة ستدهمك او بلية ستحل بدارك ؟

قال : كيف لا وسأظل شهرًا كاملا مقيد الحرية بل محروما من الطعام والشراب والنساء طيلة النهار ؟

قلت :أنت مسلم [illegible] هذا ؟! فماذا لو لم تكن مسلما ؟!

قال آخر : لو لم يكن مسلما ما اضطر الى الصيام .

قلت : وتظن أن المسلمين فقط هم الذين يصومون ؟

قال : طبعا لأن صيام رمضان فرض على المسلمين .

قلت : صحيح إن رمضان فريضة إسلامية ولكن الصيام ليس مقصورا على المسلمين .

قال : وهل يصوم غير المسلمين ؟!
قلت : نعم ، فلقد عرف الصوم منذ القديم كرياضة روحية وبدنية أو عبادة يجنح إليها أولئك الذين يترفعون عن أوحال المادة ويتسامون عن الانغماس فيها ، ويرون في الصوم تزكية للنفس وتنشيطا للذهن ، وإحياء للضمير .
قال : لأول مرة اسمع بهذا .
آخر : ربما فعل ذلك أفراد معدودون وهذا شيء نادر
قلت : بل فعله كثيرون،فعلته أمم عريقة .
قال : مثل من ؟
قلت : المصريون القدماء ، واليونانيون،والصينيون، والرومان، واليهود والنصارى .. وغيرهم .
قال المصريون القدماء ؟!
قلت : نعم كانوا يصومون في أعيادهم وكان رجال الدين والكهنة يصومون من أسبوع الى ستة اسابيع في العام .
قال آخر : واليونانيون ؟
قلت : كانوا يفرضون الصوم وبخاصة على النساء ومن آدابه عندهم أن تجلس النساء الصائمات على الأرض في حالة اكتئاب وحزن كما كانت بعض قبائلهم تصوم أياما متوالية قبل الشروع في حرب .
قال : والصينيون ؟
قلت : كانوا يصومون بعض الأيام العادية ويوجبون الصوم على أنفسهم أيام الفتن .. وبعض الطوائف في التيبت يمتنعون عن الطعام أربعا وعشرين ساعة متواصلة لا يذوقون فيها شيئا حتى ريقهم لا يتبلعونه .
وكان الرومان يصومون وخاصة اذا دهمهم عدو كانوا يصومون طلبا للنصر .
قال : إذا كان كل هؤلاء يصومون فاليهود والنصارى من باب أولى .
قلت : نعم فموسى عليه السلام صام أربعين يوما واليهود يصومون عند الحزن والحداد ، وعند التعرض لخطر أو وباء ، وعندما يريد أحد كهنتهم ان يتلقى الالهام،وكذلك كلما اعتقدوا أن الله ساخط عليهم،كما أنهم يصومون اسبوعا في ذكرى حرب اورشليم، ويصومون يوم عاشوراء ويوم الكفارة .
وكان داود عليه السلام يصوم يوما ويفطر يوما وهو افضل الصيام كما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعند النصارى أشهر صوم هو الصوم الكبير الذي يكون قبل عيد الفصح
وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى: « **يا أيها الذين**

آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »
البقرة ١٨٣

وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم يصوم قبل أن يفرض الصيام ، كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء .

أحدهم : إذا كانت الاديان تفرض الصيام كنوع من العبادة فما بال الصائمين ممن لا يدينون بدين سماوي ؟

آخر : لا بد أن لهم أسبابهم .

قلت : بل حكمتهم فقد ادركوا بعقولهم فوائد الصيام ولمسوا بأنفسهم مضار إطلاق العنان للشهوات ابتغاء ملذات آنية يعقبها حرمان دائم .

قال : قبل أن تحدثنا عن فوائد الصيام هلا دللتنا على مضار الملذات ؟

قلت : من باب الاختصار ومراعاة للوقت إنما أذكر أمثلة .

قال: لا بأس .

قلت : يقول لقمان الحكيم واعظا ابنه يابني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة، احدهم : وهل اذا فرغت المعدة استيقظت الفكرة ، ونطقت الحكمة ، وقامت الاعضاء بالعبادة .

قلت : يارعاك الله ، تعلم أن عدم الامتلاء لا يعني الفراغ وانما يعني الاعتدال في الطعام والشراب وعدم الإكثار منهما ولذلك قال بعض العارفين من أكل كثيرا نام كثيرا، ومن نام كثيرا فاته خير كثير .

وقال بعضهم : اتأكلون الأرطال وتشربون الاسطال وتنامون الليل ولو طال وتزعمون انكم ابطال ؟!

وملاك ذلك كله ماجاء في لاثر : « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » .

وايضًا : نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا اكلنا لا نشبع وفوق ذلك كله قوله عز وجل « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** » سورة الاعراف آية ٣١

قال : ماذا قصدت بقولك ملذات آنية يعقبها حرمان دائم ؟

قلت : عندما يصاب المرء بالضرر من جراء الاسراف في الملذات قد يصل به الأمر الى أن يمنع عنها علاجا بأمر الطبيب، كما أن الاسراف في بعضها (كالجنس) يضعفه فلا يستطيعه مع رغبته فيه، وإن اقل ما في الأمر أن يحرم المرء من الطعم الآخر واللذة الخاصة التي تكون للطعام والشراب وغيرها من الشهوات بعد الامتناع عنها بعض الوقت تلك اللذة وذلك الطعم الذي لا يعرفه إلا الصائمون

قال : لكن الجوع والعطش وحرمان الجسم مما يشتهيه يؤدى الى الضعف وقلة الانتاج ومن ثم يلحق الضرر باقتصاد البلاد .

قلت : لا يقول هذا من كان عنده بعد نظر لأن ما تسميه حرمانا خطأ هو راحة

تحتاجها أجهزة الجسم لتستمر في مسيرتها وعطائها،والراحة يعقبها نشاط يزيد في الانتاج فيزدهر الاقتصاد،هذا بالاضافة الى ما يحققه الصيام من وفر في الطعام والشراب وأهم من ذلك كله ماذكره لقمان من يقظة الفكرة والنطق بالحكمة وقيام الاعضاء بالعبادة وما يقوله الامام الغزالي: الصيام زكاة النفس ورياضة الجسم وداع للبر فهو للانسان وقاية وللجماعة صيانة. في جوع الجسم صفاء القلب وايقاد القريحة وانفاذ البصيرة لأن الشبع يورث البلادة ويعمى القلب ويبلد الذهن .. احيوا قلوبكم بقلة الضحك وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصف وترق؟.

ـ جزاك الله خيرا فما كنا نعلم عن الصوم الا الحرمان .

قلت : ان ما ذكرت لكم من فوائد الصيام إنما هو غيض من فيض

قالوا : وهل هناك شيء آخر ؟

قلت : بل أشياء كثيرة .

قالوا : زدنا منها فتح الله عليك .

قلت : الصوم يعلم الصبر ، والصبر ضروري جدا للانسان لأن الحياة ابتلاء , ولا ينفع مع الابتلاء الا الصبر ،«فمن صبر ظفر ومن لج كفر».

والصوم وجاء لمن لم يستطع الباءة ، والصوم جنة ، وصوموا تصحوا .

في الصوم نظام يحدد أوقات الطعام و الشراب .. وفي الصوم وحدة يلتقي فيها المسلمون على نظام واحد .

في الصوم إحساس بالفقراء والمحرومين ، ومشاركة لهم في معاناتهم تجعلنا نشكر المنعم ونهتم بالمحروم .

والصائمون يدخلون الجنة من باب خاص اسمه لريان والصيام يشفع للعبد يوم القيامة .. ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه كما أن دعوة الصائم لا ترد .

هذا وإن الصوم هو الشيء الوحيد من عمل ابن آدم الذي اختص الله به نفسه،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل"كل عمل ابن آدم له إلا الصومُ فانه لي ، وأنا أجزي به»رواه البخاري،فإذا كان عز وجل يجزينا عما هو لنا الجزاء الأوفى ، فكيف يكون جزاؤه عما هو له ؟! لا شك انه خير الجزاء،إنه ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. نسأله تعالى ألا يحرمنا من ذلك .

الطِّفْلُ ... هُوَ الأُستاذُ الآنَ!

للأستاذ / أحمد محمد الصديق

أكبرُ منْ كلماتي
أعظمُ منْ كلِّ الأُشعارْ
هذا الصوتُ الآتي
يتنزّى كالإِعْصارْ ..

هوذا فارِسُنا الموعودْ
منْ بينِ فجاجِ اليَأْسِ ..
ومِنْ ظُلُماتِ التّيهِ يَعودْ ..
كالفَجْرِ السّاطِعِ ..
كالإِلْهامِ ..
كلَوْنِ البُشْرى .. قَدْ أَقْبَلْ

عملاقاً .. يتخطّى الآفاقَ ..
يُشرّعُ أبوابَ المُستقبَلْ ..
فإذا بشموسٍ تتوهّجْ ..
ومواقِدِ ثلجٍ ورمادٍ .. عادتْ ثانيةً تتأجّجْ ..
وتدبُّ النشوةُ في أوصالِ الأملِ الموءودْ
والشَّعْبُ يُرحِّبُ بالمَوْلودْ ..

يا هذا الغضبُ الهادِئْ ..
يا هذا الوجهُ الشّامخُ .. والصَّدرُ الحاسِرْ ..
يا هذا الحجرُ الأسطوريُّ الثّائرْ
أقسمتُ بأنّكَ أجدى من كلِّ سلاحِ الخِذْلانْ
أصدقُ من كلِّ وعودِ البُهتانْ ..

أسمى من كلِّ الأوسمةِ الجوْفاءْ
أبلغُ من كلِّ بياناتِ الشّجبِ الحمقاءْ ..
وشعاراتِ الزّيفِ الخَرقاءْ ..

....

يتهاوى تجّارُ الأعْراضِ .. وتجّارُ الحَرْبْ

المَوْقِفُ صَعْبْ ..
الخُوذَةُ طارَتْ ..
والجُنْدِيُّ تجمَّدَ خَلْفَ جِدارِ الرُّعْبْ ..

الطفلُ يحطِّمُ رأسَ الشّيْطانْ
الطفلُ يُضيءُ ضميرَ الإنْسانْ
الطفلُ يعانقهُ جرْحَ الأَوْطانْ
الطفلُ هوالأُسْتاذُ الآنْ !..

الأرضُ لهيبٌ وَزَلازِلْ ..
ومخاضُ الصَّحْوَةِ كالبُرْكانِ الهائِلْ

تتردَّدُ صيحاتُ الأَقْصى : وا إسْلاماه !..
وا مِعْتَصِماه !..
وتضيعُ الصَّيْحةُ عَبْرَ مَتاه ..

ويقولُ صَداها : واأَسَفاه !..
أَرِجالٌ تمّتَ .. أَمْ أَشْباه ؟!

لا يَعْني شَيْئاً أَنْ يَتَلَوَّثَ بيتُ المَقْدِسِ بالأَرْجاسْ !!
لا يَعْني شيئاً أَنَّ مقدَّساتِ الإسْلامِ تُداسْ !!



وَيُذبَحُ شَعْبٌ مَقْهورٌ ..
بينما يَتَفَرَّجُ كلُّ النّاسْ ..

...

يا هذا الوَهَنُ الفاجِعْ !..
يا هذا الكَذِبُ الفاضِحُ .. والجُبْنُ الهالِعْ ..
أُدرِكْ نفسَكَ قبلَ فواتِ الفَوْتْ
وتعلَّمْ شَيْئًا مِنْ لُغَةِ الحَجَرِ الصّائِلْ ..
فالطِّفْلُ الباسِلْ ..
في وَجْهِ المُحْتَلِّ الغاشِمِ .. لا يَخْشَى المَوْتْ ..

...

يا صَخْرَةَ بَيْتِ المَقْدِسِ.. يا قَلْباً يَنْبِضُ بالإيمانْ..
تلتفُّ عليكِ صُدورُ الشُّجْعانْ..

بالحُبِّ.. بعَهْدِ اللهِ.. بكلِّ البَذْلِ.. بنورِ القُرْآنْ..
دِرْعاً يحميكِ يدَ العُدْوانْ..
تَسْتَنْزِلُ صيحاتُ التَّكبيرِ ملائكةَ الرَّحْمنْ..
تَخْضَرُّ شِفاهُ الجُرْحِ النّازِفِ كالبُسْتانْ..
ومنارُ العِزَّةِ للأَبْرارْ
يَتَلأْلأُ فيهِ سنا الإقدامْ.. وتلمعُ آياتُ الإصْرارْ..
والنهرُ الدافقُ يَزْخَرُ بالأَسْرارْ..
الليلُ جدارْ..
الليلُ تَداعى.. لنْ يَصْمُدَ في وَجْهِ التَّيّارْ..
ورموزُ الباطِلِ.. توشِكُ أنْ تَنْهارْ!..
...

رَبّاهُ.. سألتُكَ.. أنتَ العَوْنُ وأنْتَ المَلْجأُ للأَبْرارْ..
ها نحنُ نعودُ إلى النَّبعِ الصّافي ها نحنُ نعودْ..
في وَجْهِ الشَّمْسِ مآذِنُنا.. والسّاحةُ راياتٌ وحُشودْ..

قَدْ تابَ الآبِقُ بَعْدَ متاهاتٍ وشُرودْ
والصوتُ القادمُ في السّاحاتِ زَئيرُ أُسودْ
يَتَعالى «خَيْبَرُ .. خَيْبَرُ .. يا يَهودْ ..
جيشُ محمدْ .. سَوْفَ يعودْ»

لَحْنُ ساحِرْ ..
يَتَلألأُ ضياءَ إيمانيٍّ باهِرْ ..
يَتَحدّى منتفضاً كُلَّ الظّلْمِ .. وكُلَّ الأَشْواكْ ..
ربّاهُ .. سأَلْتُكَ ..
أَنْتَ القاهِرُ ..
أَنْتَ القادِرُ .. لا ربَّ سِواكْ ..

لا تَتْرُكْ هذا الشّعْبَ وَحيداً ..
يتساقطُ رَوْضُ براعِمِهِ في الرّيحِ شهيداً وشَهيداً ..
ويصارعُ منفرِداً في الساحةِ كلَّ طواغيتِ الإشْراكْ ..
لتكُنْ يا ربُّ مشيئَتُكَ العُلْيا ..
فالأَمْرُ إليكْ ..
وليسَ لنا يا ربُّ سواكْ !..

رسالة الصيام

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه »

رواه البخاري ومسلم والنسائي

صيام رمضان

تعريف الصوم :

الصوم هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع نية الصوم، في نهار لا يحرم صومه .

حكمه :

وحكمه أنه فرض عين على كل مكلف .

دليل وجوبه :

ودليل وجوبه من القرآن الكريم قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات**) البقرة/ ١٨٣ ، ١٨٤ .

وقوله تعالى : (**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه**) . البقرة/ ١٨٥ .

ومن السنة : قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (**بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان**) .

(رواه البخاري ومسلم)

شروط وجوب الصوم :

ويشترط لوجوبه : الاسلام ، والبلوغ ، والعقل ، والصحة ، والاقامة ـ وألا تكون المرأة حائضا ، ولا نفساء ، ولا حاملا ، ولا مرضعة ، والقدرة على الصوم

أركان الصوم

للصيام ركنان :

الاول ـ النية . فلا يصح الصوم إلا بالنية لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » . ومحلها القلب . وهي واجبة لكل يوم عند جمهور الفقهاء . وعند المالكية تكفي النية الواحدة في اول كل صوم يجب تتابعه كصوم رمضان وصوم الكفارة ، فينوي في أول ليلة من رمضان صيام الشهر

كله .. ويقوم مقام النية الاستعداد للصيام مثل القيام للسحور وتحري وقت الفجر للامتناع عن الاكل وغير ذلك . ولا يضر الاكل أو الشرب أو اتيان الزوجة بعد النية ما دام ذلك قبل طلوع الفجر .

الثاني ـ الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقوله تعالى : (**وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام إلى الليل**) البقرة ١٨٧ والمراد بالخيط الابيض والخيط الاسود بياض النهار وسواد الليل .. ولو طلع الفجر وفي فمه طعام فَلَفَظَهُ صح صومه أما إذا ابتلعه بعد ذلك فانه يفطر .

الاعذار المبيحة للفطر

من يباح لهم الفطر ويجب عليهم القضاء :

يباح الفطر للمريض الذي يرجى برؤه ، والمسافر ، ويجب عليهما القضاء لقوله تعالى : (**ومن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أُخر**)

والمرض المبيح للفطر هو المرض الشديد الذي يزيد بالصوم أو يؤخر الصوم شفاءه والسفر المبيح للفطر هو السفر الذي تقصر الصلاة بسببه ، وقد قدره أهل العلم بما لا يقل عن واحد وثمانين كيلو مترا .. ويكره للمريض أن يصوم لما قد يلحقه بذلك من ضرر ، أما المسافر فله أن يصوم وله أن يفطر لما رواه مسلم : قال حمزة الاسلمي « يا رسول الله ، أجد من قوة على الصوم في السفر فهل عليّ جناح فقال : هي رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » . وإذا نوى المسافر الصيام بالليل وشرع فيه جاز له الفطر أثناء النهار اما إذا نوى الصيام وهو مقيم ثم سافر في أثناء النهار فجمهور العلماء على عدم جواز الفطر له .. وأجازه بعض العلماء .

من يباح لهم الفطر ويجب عليهم الفدية :

يباح الفطر للشيخ الكبير والمرأة العجوز والمريض الذي لا يرجى برؤه ، وأصحاب الأعمال الشاقة الذين لا يجدون متسعا من الرزق غير ما يزاولونه من أعمال .. إذا كان الصيام يشق عليهم مشقة شديدة في جميع فصول السنة وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكينا وجبتين من أوسط ما يأكلون عادة ولا قضاء عليهم .

روى البخاري عن عطاء « أنه سمع ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ (**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين**) قال ابن عباس ليست بمنسوخة ، هي للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا » .

والمريض الذي لا يرجى برؤه ويجهده الصوم والعمال الذين يضطلعون بمشاق الأعمال مثل الشيخ الكبير ولا فرق .

حكم الحامل والمرضع :

يرى الأحناف ان الحامل والمرضع سواء خافتا على نفسيهما أو على ولدهما فعليهما القضاء ويرى ابن عباس وابن عمر ان عليهما الفدية إطعام مسكين عن كل يوم ويرى أحمد والشافعي : أنهما إن خافتا على أنفسهما فقط أو على أنفسهما وعلى ولدهما فعليهما القضاء . وإن خافتا على الولد فقط فعليهما القضاء والفدية .

المسافرون بالطائرة :

يشاهد المسافرون بالطائرة ، وبخاصة إذا كانت فوق السحاب ، أنهم إذا نظروا إلى الأرض قبيل المغرب لم يروها لأن قرص الشمس غاب عنها بسبب تقوس سطح الكرة الأرضية ، في حين أن نورها يظل ظاهرا على السحاب فترة ، ثم يختفي ، وهم في الوقت نفسه يشاهدون قرص الشمس واضحا وهو يميل إلى الغروب حتى يختفي تماما . ومع الترخيص للمسافر سفرا طويلا بالفطر بشروطه المعروفة ، قد يختار بعض الناس أن يصوموا ، بل قد يلزمهم أحيانا ، وعلى هذا

فمتى يفطر ركاب الطائرة ؟

لا يجوز أبدا أن يفطروا إذا مروا على أرض غاب عنها نور الشمس ، ما داموا هم يرونها ، فان الليل إذا كان قد دخل على سكان الأرض في منطقة فإنه لم يدخل على ركاب الطائرة بعد ، وعلى هذا لا يجوز لهم الافطار إلا بعد غياب قرص الشمس تماما . قال تعالى «**ثم أتموا الصيام إلى الليل**» وليل الركاب لا يدخل إلا بتواري قرص الشمس عنهم في المغيب .

مبطلات الصيام

مبطلات الصيام قسمان :

- ما يبطله ويوجب القضاء فقط .
- ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة .

ما يبطله ويوجب القضاء فقط

١ ، ٢ ـ الاكل والشرب عمداً

عند بعض الفقهاء فإن أكل أو شرب ناسياً أو مكرهاً فلا قضاء عليه ولا

كفارة .

٣ - القيء عمداً فان غلبه القيء فلا يبطل صومه .

٤ ، ٥ - الحيض والنفاس ولو في اللحظة الاخيرة قبل غروب الشمس ، ويجب على الحائض والنفساء قضاء ما فاتهما .. أما الاستحاضة وهي نزول الدم في غير أوقات الحيض فلا تمنع الصوم ولا الصلاة .

٦ - إنزال المنى إذا تعمده الصائم بسبب من الأسباب التي تؤدي اليه كالاستمناء وتقبيل الزوجة ، والنظر المتكرر لمن عرف أنه ينزل به على ما رآه بعض الأئمة . أما نزول المنى باحتلام فلا يبطل الصيام ولا يبطله المذى ولا الودي .

٧ - الردة عن الاسلام ومنها سبّ الدين واحتقار مقدساته وجحد ما علم منه بالضرورة كوجوب الصلاة .

٨ - الجنون والسكر المتسبب فيه والإغماء .

٩ - من نقض نية الصيام قاصدا الفطر بطل صومه وإن لم يتناول مفطرا

١٠ - إذا تناول الصائم مفطرا أو فعل ما يفطر ظانا غروب الشمس او عدم طلوع الفجر فظهر خلاف ذلك فعليه القضاء عند الائمة الأربعة .

وعند بعض الفقهاء صومه صحيح ولا قضاء عليه لقوله تعالى (**ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم**)

١١ - الدخان بجميع أنواعه والنشوق الذي يؤخذ عن طريق الأنف

ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة

أجمع الأئمة على أن الجماع يوجب القضاء والكفارة ، بشرط ان يكون الصائم عامدا مختارا عالما بالتحريم ، وبشرط أن يكون الجماع هو السبب الوحيد فى بطلان الصوم • وان لا يكون الصائم مخطئا ، فلو جامع ظانا بقاء الليل أو دخول المغرب ثم تبين أنه جامع نهارا فلا كفارة عليه ، وعليه القضاء فقط • غير ان الامام أحمد يرى أن الجماع موجب للقضاء والكفارة مطلقا سواء أكان الصائم عامدا أم ناسيا ، عالما أم جاهلا ، مختارا أم مكرها أم مخطئا •

كما يرى الامام مالك القضاء والكفارة أيضا فى الفطر المتعمد وكذلك الامام أبو حنيفة اذا كان الفطر لغير عذر شرعي بغذاء يميل اليه الطبع وتنقضى به حاجة البطن ، بخلاف ما اذا كان فطره لعذر أو بشىء ليس فيه غذاء ولا تنقضى به شهوة البطن كالدواء مثلا فان فيه القضاء فقط •

والأمام أبو حنيفة فى هذا يفرق بين من يفطر بشيء يشتهيه عادة وبين من فطر بشيء لا يشتهيه ، فيوجب الكفارة فى الاول لأن فيه تلبية للشهوة التي يجب أن يكبحها بصيامه ولا يضعف أمامها •

كيفية الكفارة :

والكفارة التي تحدثنا عنها هي :

١ ــ عتق رقبة •

٢ ــ صيام شهرين متتابعين •

٣ ــ اطعام ستين مسكينا •

وهي واجبة على هذا الترتيب • فمن لم يجد عتق رقبة فعليه صيام شهرين متتابعين ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين وجبتان كاملتان من أوسط ما يأكل عادة أو قيمتهما •

ويرى بعض الفقهاء انه مخيّر بين هذه الثلاثة فأيها فعل أجزأته وإفساد كل يوم بالجماع له كفارته الخاصة ويرى الأحناف أن كفارة واحدة تكفي عن إفساد جملة أيام .

ويجب أن لا يكون فى المساكين من تلزمه نفقته كالوالدين والابناء والزوجة •

أما أقاربه الذين لا تلزمه نفقتهم فلا مانع من اعطائهم ، بل انهم مقدمون على غيرهم برا بالرحم •

كيفية القضاء :

كيفية القضاء : أن يصوم بدل الأيام التي أفطرها في زمن يباح فيه الصوم ، ويجوز له أن يصوم أيام القضاء متتابعة أو متفرقة .
ويسن له التعجيل بالقضاء ، وتجب عليه المبادرة إذا بقى على رمضان التالي بقدر ما يكفي القضاء ، فإذا أخره عن رمضان وجب عليه مع القضاء فدية عن كل

يوم اخره . وذلك إن كان التأخير بغير عذر ، فإن كان بعذر فلا فدية عليه مع القضاء ، ورأى أبوحنيفة عدم وجوب الفدية للتأخير مطلقا ، سواء أكان بعذر أم بغير عذر .

ومن مات وعليه صيام صام عنه وليه لصحة الحديث بذلك ، وقال الأحناف والمالكية : لا يصوم عنه وليه بل يطعم عن كل يوم مدا .

امور لا تفطر

وهي نوعان : مكروهة وغير مكروهة .

فالمكروهة منها

١ ـ مضغ الطعام أو ذوقه ثم مجُّه ، إلا لحاجة كالطاهي فلا يكره .

٢ ـ مضغ العلك « اللبان » الذي لا يتحلل منه شيء ، فان تحلل منه شيء وبلعه بطل صومه .

٣ ـ تمتع النفس بالمتع المباحة من المبصرات والمسموعات والمشمومات ، كتقبيل الزوجة ، ومعانقتها بشرط أمن العاقبة ، وإلا كان ذلك حراما . أما التمتع بالمحرّم كالنظر إلى الأجنبية أو سماع المحرّم أو قوله فهو حرام على الصائم وغيره ، وتشتد حرمته على الصائم ، لأن الصوم يقوم على كفّ النفس عن شهواتها .

٤ ـ الاكتحال والتقطير في العين لغير ضرورة ، والشافعية والأحناف لا يقولون بالكراهة ، ومالك يقول بالحرمة إن تحقق وصول الطعم إلى الحلق ، وإن شك كره . وعند أحمد يكره ، وإن وجد الطعم في الحلق بطل الصوم .

٥ ـ دهن الشعر على رأي الجمهور ، والمالكية يقولون : لو وصل الأثر إلى الحلق بطل الصوم .

٦ ـ الحجامة والفصد للعلاج ، وقال أحمد بالحرمة وبفطر الحاجم والمحجوم .

وغير المكروهة منها

١ ـ وصول شيء إلى الجوف بنسيان أو إكراه ، أو بسبب يعذر به شرعا ، وذلك عند غير المالكية ، أما هم فيبطلون الصوم بالنسيان والإكراه ، ويوجبون القضاء دون الكفارة .

٢ ـ الابتراد بالماء صيفا ، بغسل أو مضمضة بلا مبالغة ، أما المبالغة في المضمضة والاستنشاق فمكروهة .

٣ ـ ابتلاع الريق ما لم يجاوز الشفة ، فان جاوزها ثم ابتلعه أفطر .

٤ ـ وصول بقايا الطعام التي بين اسنانه بجريان الريق إذا كان عاجزا عن مجه .

٥ ـ وصول غبار الطريق إلى الجوف لمشقة الاحتراز عنه ، وكذلك غبار الدقيق

للطحان ومن يعالجه ، فإن تعمد الابتلاع أفطر .

الصوم مع ترك الصلاة :

من صام وترك الصلاة فقد ترك الأهم في أركان الاسلام فان لم يكن مؤمنا بما ترك كان خارجا عن الاسلام ولا ينفعه صوم ولا زكاة ، وإن كان مؤمنا بما ترك كان فاسقا عن أمر ربه وصحّ صومه كما تصحّ العبادات الأخرى . وإن كان صومه مع ترك الصلاة دليلاً بينا على أنه لم يصم امتثالا لأمر ربه ، وإلا لما ترك الواجب الأول .

صوم المريض بالسُكَّر

إذا أصيب الانسان بمرض السكر ، فعليه أن يعرض نفسه على طبيب مسلم حاذق موثوق به في دينه ، لفحصه والوقوف على درجة مرضه بواسطة تحليل البول أو الدم أو هما معا وبيان أثر الصوم في حالته ، فإذا طلب منه الإفطار كان عليه أن يفطر حتى لا يلقي بنفسه في التهلكة ، وإذا أخبره بأن الصوم لا يضره وجب عليه أن يصوم .

صيام الصغار

الصبي وإن كان الصوم غير واجب عليه إلا أنه ينبغي لولي أمره أن يأمره به ليعتاده من الصغر ، ما دام مستطيعا له ، قادرا على تحمله ، فقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدربون أولادهم الصغار على الصوم ويرغبونهم فيه بأنواع من اللعب يتلهون بها عن الجوع تقول الربيع بنت معوذ ـ فيما رواه البخاري ومسلم : « كنا نصوّم صبياننا الصغار ، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن ـ الصوف ـ فاذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناه إياها، حتى يكون عند الإفطار » .

الصوم في البلاد القطبية وغير المعتدلة عموما :

ذكر الفقهاء مسألة تقدير وقت الصيام في البلاد القطبية حيث يستمر الليل نصف سنة في القطب الشمالي بينما تكون هذه المدة الطويلة نهارا في القطب الجنوبي وفي البلاد غير المعتدلة حيث يطول فيها الليل ويقصر النهار أو بالعكس .
فقال البعض تقدر أوقات الصلاة والصوم على أقرب البلاد المعتدلة اليهم .
وقال البعض الآخر تقدر على البلاد المعتدلة التي نزل فيها التشريع كمكة والمدينة .
وكل من الرأيين جائز فإنه اجتهادي لا نَصّ فيه .

من آداب الصوم

○ إذا رأيت هلال رمضان أو هلال غيره فقل كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربي وربك الله ، هلال رشد وخير » (رواه الترمذي وقال حديث حَسَن) .

○ استقبل رمضان بنية أن تصوم لله إيمانا واحتسابا ، وافتح في أول ساعة منه ، صفحة جديدة في سجل أعمالك ومعك العزم الأكيد على التزود فيه بصالح الأعمال ، فمن أدركه رمضان فلم يغفر له ، فقد خاب وخسر ! يقول صلى الله عليه وسلم : « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ، صفدت الشياطين ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر » (رواه النسائي والترمذي بنحو هذا اللفظ والحاكم وقال : صحيح على شرطهما) .

○ ليكن منهجك في الصوم ، التخلي عن الرذائل ، والتحلي بالحلم والوقار والسكينة ، واجتناب الرفث وهو الفحش من القول ، والعبارات البذيئة النابية ، وترك الصخب ، وهو الصياح ورفع الصوت ، فذلك علامة السفه والطيش ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من صام رمضان ، وعرف حدوده ، وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ ، كفر ما قبله » (رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي بسند جيد) .

○ إذا صدرت من غيرك إساءة لك ، فقابل السيئة بالحسنة ، وادفع بالتي هي احسن ، وذكّر نفسك بأدب الاسلام ، والتزم خُلُقَ الصائم ، وردد ما أمرك الرسول الكريم به في هذا الموقف « فإن شاتمه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم .. إني صائم » (من حديث رواه أحمد ومسلم والنسائي) .

○ أقبل على تلاوة القرآن في رمضان ، في ليله ونهاره ، في الصلاة وخارج الصلاة ، فهو شهر القرآن .. ففي الحديث المتفق عليه .. « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله وسلم حين يلقاه جبريل ، أجود بالخير من الريح المرسلة » .. والصيام والقرآن يشفعان للمؤمن يوم القيامة ، يقول الصيام « أي ربّ منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه ـ فيشفعان » (رواه احمد بسند صحيح) .

○ **لا تجعل** شهر الصوم شهر فتور وكسل ، فمن الإساءة لفريضة الصوم أن تكون مدعاة للتراخي عن العمل ، وضعف الإنتاج ، فهو شهر جَلَدٍ وصبرٍ ، يتسلح فيه المؤمن بقوة الإرادة ، ومضاء العزيمة ، فينشط إلى العمل ، وينطلق في ميادين

الكفاح ، يملؤها بالجد المثمر ، والسعي البناء .. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما وقد حضر رمضان : « أتاكم رمضان شهر بركة ، يغشاكم الله فيه ، فينزل الرحمة ، ويحط الخطايا ، ويستجيب فيه الدعاء ، ينظر الله تعالى إلى تنافسكم فيه ، ويباهي بكم ملائكته ، فأروا الله من أنفسكم خيرا ، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل » (رواه الطبراني ورواته ثقات) .

○ قدم لغيرك ما استطعت من الخير في رمضان ، فإن الثواب يضاعف فيه ، وإسداء المعروف ، وإطعام الجائع في هذا الشهر الكريم ، يقع في ميزان الله أعظم موقع ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان ، يقول صلى الله عليه وسلم في حديثه عن مزايا هذا الشهر الكريم : « هو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه ، من فَطَّرَ فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، قالوا يا رسول الله ، ليس كلنا يجد ما يفطّر الصائم ، فقال صلى الله عليه وسلم : يعطي الله هذا الثواب لمن فطّر صائما على تمرة ، أو شربة ماء ، أو مذقة لبن (أي حسوة أو جرعة من اللبن) » (رواه البيهقي وابن خزيمة في صحيحه ثم قال : صح الخبر) .

○ حتى يكون صومك صحيحا يؤتي ثمرته ، ويظهر أثره في سلوكك وأخلاقك ، تجنب قول الزور : من الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، والمراء ، وشهادة الزور ، والسخرية بالناس ، وتتبع عوراتهم ، والأيمان الفاجرة التي تدع الديار بلاقع ! وتجنب أيضا عمل الزور : وهو يشمل المعاصي البدنية جميعها ، وبذلك تكون جوارح الصائم كلها في مأمن من الرذائل التي تضر بالفرد ، وتدمر المجتمع ! وما أبلغ قول المعصوم صلى الله عليه وسلم وهو يضع دستوراً للصائم في كلمات تنأى به عن مواقع السوء ومزالق الهوى : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » (رواه البخاري) .

○ تناول افطارك عقب غروب الشمس مباشرة وقبل صلاة المغرب ، على تمرات وترا ، فان لم يتيسر لك ذلك ، فعلى الماء ، فإن الماء طهور ، وذلك لتكسر حدة الجوع ، وتطفىء حرارة العطش ، فإن لبدنك عليك حقا ، وحتى تقبل على صلاة المغرب غير معجل ، هذه سنة نبيك عليه أفضل الصلاة والسلام ، فعن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزال الناس بخير ، ما عجلوا الفطر » (رواه البخاري ومسلم) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عزّ وجلّ : « أحب عبادي إليّ أعجلهم فطرا » (رواه الترمذي وقال : حديث حسن) .

○ عند الافطار ، توجه الى الله بالدعاء لنفسك وللمسلمين ، فهي في هذه اللحظة دعوة مقبولة إن شاء الله ، يقول صلى الله عليه وسلم : « إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد » (رواه ابن ماجه) .

وثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « ذهب الظمأ ، وابتلت العروق ، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى » .
وروى مرسلا أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم إني اسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، أن تغفر لي » .
○ تناول سحورك قريبا من الفجر ، ففي ذلك عون على النشاط في النهار ، وتحمل مشاق الصوم ، والوقت المناسب للسحور، قبل الفجر بنصف ساعة ، وبذلك يجتمع لك فضلان : تحقيق السنّة بتأخير السحور ، وإدراك صلاة الصبح جماعة في وقتها .. عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسحروا فإن في السحور بركة » (متفق عليه) . وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا إلى الصلاة ، قيل كم كان بينهما ؟ قال : خمسون آية » (متفق عليه) .
○ تجنب الافراط في الأكل والشرب ، فإن من حكم الصوم ، التخفيف على المعدة ، وتنقية البدن من رواسب الطعام المتراكمة في داخله طول العام ، وإن عدداً كبيراً من الأمراض الشديدة . والعلل المنهكة ، ينشأ من اكتظاظ المعدة بما لا تطيق هضمه ، وقد جاء في الحديث : « ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه » (رواه الترمذي) وقد أمرنا الله تبارك وتعالى بترك الإسراف في الأكل والشرب ، في رمضان وغيره فقال عزّ مِنْ قائل : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** » (٣١ : الأعراف) .
« **ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين** » .

صلاة التراويح

صلاة التراويح في كل ليلة من رمضان سنة مؤكدة ، وتسن فيها الجماعة ، ووقتها بعد صلاة العشاء .

دليل سنيتها

فعل الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل ليالي رمضان وهي ثلاث متفرقة : ليلة الثالث والعشرين ، والخامس والعشرين ، والسابع والعشرين وصلى في المسجد وصلى الناس بصلاته فيها وكان يصلي بهم ركعات ، ويكملون باقيها في بيوتهم فكان يسمع لهم أزيز كأزيز النحل .
وقد ظل الصحابة يصلونها متفرقين ، حتى رأى عمر رضي الله عنه في خلافته أن يجمعهم على صلاتها بالمسجد وراء إمام فكانت صلاة التراويح جماعة

مما استحسنه عمر رضي الله عنه ووافقه عليه الصحابة وسار عليه المسلمون من بعده . وروى الإمام مالك في الموطأ عن يزيد بن رومان قال : « كان الناس في زمن عمر رضي الله عنه يقومون في رمضان بثلاث وعشرين ركعة » ـ أي بزيادة الوتر ثلاث ركعات على التراويح ، وقد جمع عمر الناس على هذا العدد في المسجد ، ووافقه الصحابة على ذلك ، ولم يوجد لهم مخالف ممن بعدهم ، وقد ذكر أصحاب هذا الرأي أن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان قد صلى بالناس في المسجد في الليالي التي خرج اليهم فيها ،ثماني ركعات إلا أنهم كانوا يكملون العشرين في بيوتهم ، وصلاة التراويح سنة بلا خلاف ، والجماعة فيها فضلها ثابت لا ينكر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد رغب في مطلق قيام الليل في رمضان فقد روى الجماعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله وسلم يرغب في قيام الليل ، من غير أن يأمر فيه بعزيمة فيقول : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

ويسن القنوت في الوتر في النصف الثاني من شهر رمضان عند الإمام الشافعي .

ومن الأفضل أن ينتهي من قراءة القرآن في التراويح بانتهاء شهر رمضان متى تيسر له ذلك ، وإلا فليصل بما تيسر له .

وروح الصلاة الخشوع ، فليحرص عليه قبل أن يحرص على زيادة الركعات ، وعلى قراءة القرآن كله أو بعضه فيها أو يحرص على العشرين ركعة أو الثماني . وَرُبَّ ركعات قليلة ، تؤدى في صلاة خاشعة ، وقراءة فيها تدبر ، خير من ركعات كثيرة قصيرة لا خشوع فيها ..!

العمرة في رمضان

للعمرة في رمضان ثواب كبير يساوي ثواب حجة .

روى البخاري (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة من الانصار سماها .. ما منعك أن تحجي معنا ؟ قالت كان لنا ناضح فركبه أبو فلان وابنه ـ لزوجها وابنها ـ وترك ناضحاً ننضح عليه ، قال : فاذا كان رمضان اعتمري . فإن عمرة في رمضان حجة أو نحواً مما قال (وفي رواية مسلم) قال : فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي) .

ولكن يجب أن يعلم أن العمرة في رمضان ، وإن كان لها مثل ثواب الحج ، إلا أنها لا تسقط فريضة الحج عمن عليه هذه الفريضة

روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمرات ، كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجته

عمرة من الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة ، وعمرة مع العام المقبل في

ذي القعدة ، وعمرة من جعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة ، وعمرته مع حجته .

وإنما اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة ، لفضيلة هذا الشهر ، ولمخالفة الجاهلية في ذلك ، فإنهم كانوا يرونه من أفجر الفجور ، ففعله صلى الله عليه وسلم مرات في هذا الشهر ، ليكون أبلغ في بيان جوازه فيه ، وأبلغ في إبطال ما كانت الجاهلية عليه .

وقد وقع خلاف حول ما إذا كان الأفضل العمرة في رمضان ، أو في شهر الحج ، فقيل ان العمرة في رمضان لغير النبي أفضل ، وأما في حقه فما صنعه أفضل ، وذلك لأنه فعله للرد على أهل الجاهلية الذين كانوا يمنعون الاعتمار في أشهر الحج ، وهذا هو رأي الجمهور .

الاعتكاف

الاعتكاف رياضة روحية وتزكية نفسية وتطهير للقلب والعقل من غلبة أغراض الدنيا على نفس المؤمن .. وتكون في المسجد تفرغا لله سبحانه وتعالى ولعبادته .. يلجأ إليها الذين يزدادون شوقا إلى رضى الله ، ولهفة إلى عفوه ومغفرته وحبّه ..

ورياضة الاعتكاف رياضة قديمة ، كان يؤديها أصحاب النفوس الشفافة .

روى البخاري أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله (إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام فقال له صلى الله عليه وسلم .. أوْفِ بنذرك) . وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده . « رواه البخاري ومسلم » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما روى البخاري ـ يعتكف في كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه ، اعتكف عشرين يوما .

ومعنى الاعتكاف : الإقامة الكاملة في المسجد ، وعدم الخروج منه مدة معينة ، على نية التقرب لله عز وجل ، وهو سنة حين يتطوع به المسلم من تلقاء نفسه ، وتتأكد سنيته في العشر الأخير من رمضان ، فإذا نذره المسلم ، كان واجبا عليه أن يؤديه .

وليس للاعتكاف وقت محدد ، فمتى مكث الانسان في المسجد مدة بنية الاعتكاف ، كان معتكفا ، فاذا خرج ، فله أن يجدد النية ، ويجوز ذلك . أما الاعتكاف المنذور ، فيجب عليه أن يؤديه على الوجه الذي نذره به .

أركانه :

١ ـ المكث في المسجد .

٢ ـ النية .

شروطه :

الاسلام والتمييز والعقل والطهارة من كل ما يوجب الغسل وكونه في مسجد ، ولا يشترط صوم المعتكف ، وإن كان صومه أفضل ، وللمرأة أن تعتكف بإذن زوجها ، فإن منعها فعليها أن تمتنع .

ومن نوى اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ، فعليه أن يدخل معتكفه قبل غروب الشمس ، ويخرج بعد غروب شمس آخر يوم من الشهر ، واستحسن البعض المبيت ليلة الفطر بالمسجد ، والغدو إلى صلاة العيد .

ومن نذر اعتكاف يوم أو أيام دخل معتكفه قبل أن يتبين له طلوع الفجر ويخرج بعد غروب جميع قرص الشمس ، أما إذا نذر اعتكاف ليلة أو ليال ، فإنه يدخل معتكفه قبل مغيب جميع قرص الشمس ، ويخرج بعد أن يتبين له طلوع الفجر .

ويستحب للمعتكف ذكر الله وتسبيحه وتكبيره ، والاستغفار ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وتلاوة القرآن ، ومذاكرة العلم ، ويستحب له أن يتخذ خباء في صحن المسجد ، اقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام .

ويكره له : إشغال نفسه بما لا يعنيه ، من قول أو عمل ، ويكره الصمت عن الكلام ظنا أن الصمت يقرِّب من الله .

ويباح له : الخروج لقضاء الحاجة ، وللإتيان بالمأكول والمشروب ، إذا لم يكن له من يأتيه به ، وللمعتكف أن يمشط شعره ، ويحلق راسه ، ويقلم اظافره ، وينظف بدنه ، ويلبس أحسن الثياب ، ويتطيب بالطيب .

ويبطل الاعتكاف : الخروج عمدا لغير حاجة ، والردة عن الاسلام ، وذهاب العقل بجنون أو سكر ، والحيض أو النفاس أو الجماع أو الانزال . وإذا بطل الاعتكاف استحب للمعتكف قضاؤه وقيل يجب عليه ذلك .

ومن نذر الاعتكاف في مسجد معين لا يلزمه المسجد الذي حدده إلا إذا نذره في المسجد الحرام أو مسجد الرسول أو المسجد الاقصى وإن نذر الاعتكاف في المسجد الحرام لزمه ، وإن نذره في المسجد النبوي جاز أن يعتكف في المسجد الحرام لأنه أفضل منه وإن نذره في المسجد الأقصى فله الاعتكاف في أي المساجد الثلاثة أحب .

ليلة القدر

القَدْرُ هو الشرف العظيم ، ولقد عَظَّمَ الله من شأن هذه الليلة لنزول القرآن فيها قال الله تعالى : (**إنا انزلناه في ليلة القدر . وما ادراك ما ليلة القدر . ليلة القدر خير من الف شهر . تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل امر سلام هي حتى مطلع الفجر**) .

وقال صلى الله عليه وسلم (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان) رواه

أحمد والبخاري وأبو داود .

والمشهور أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وهو رأي لفريق كبير من الصحابة ، وإحياؤها سنة لقول عائشة رضي الله عنها كان رسول الله يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول : « تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان » . رواه البخاري ، والمراد بالمجاورة ، الاعتكاف ، والدعاء فيها من هدى الرسول الكريم ، روى أحمد وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال قولي : « اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » .

وحكمة إحيائها بالعبادة ، تذكر نعمة الله علينا بإنزال القرآن فيها هدى للناس إلى ما فيه خيرهم في دنياهم وأخرتهم وقد احتفل الله بها وكرّمها ، فمن واجبنا أن نعرف قدرها ، ونحرص على إحيائها ، والتقرب إلى الله فيها .

صدقة الفطر

هي ما يخرجه المسلم من ماله للمحتاجين طهرة لنفسه ، وجبرا لما يكون قد حدث في صيامه من خلل مثل لغو القول وفحشه .

يقول ابن عباس رضي الله عنه : « **فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين** » (رواه أبو داود) .

حكمة مشروعيتها

ومن هذا يتبين أن الحكمة في فرضها سد حاجة المعوزين والتوسعة عليهم ، وإدخال الفرحة في قلوبهم حتى لا يشعروا بمرارة الحاجة والفقر ، في وقت يوسع فيه المسلمون على عيالهم في المطعم والملبس ابتهاجا بالعيد ، وفي هذا من معنى التكافل والتراحم بين المسلمين ما فيه ، كما أن في إخراجها تقرّبا إلى الله ، وتطهيرا للصائم من السيئات التي يكون قد ارتكبها أثناء صومه ، لأن للحسنات آثارها الطيبة في محو السيئات .

ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « **وأتبع السيئة الحسنة تَمْحُها** » رواه أحمد والترمذي .

شروط وجوبها

وشروط وجوبها : الحرية والاسلام ووجود ما يفيض عن حاجته وحاجة من

تلزمه نفقته ليلة العيد ويومه ، وإدراك جزء من رمضان وجزء من شوال ، فلا يجب على العبد إخراجها لأنه لا مال له ، ولكن يخرجها عنه سيده ، ولا على الفقير الذي لا يجد ليلة العيد ويومه فائضا عن حاجة أولاده ، كما لا يجب على من مات قبل غروب الشمس آخر يوم من رمضان ، ولا على من ولد بعد غروبه .

دليل الوجوب

ودليل وجوبها ما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « **فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر من رمضان صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين** » ـ متفق عليه .

مقدارها :

يجب على كل فرد صاع من غالب ما يأكله أهل البلد إلا أن يخرج الأحسن ، فيكون أفضل ويقدر الصاع بنحو خمسة أرطال ونصف من القمح أو الشعير أو الأرز أو الدقيق ويجوز إخراج القيمة نقدا ، حسب السعر الحالي والأسعار تختلف من بلد لآخر .

وقت إخراجها

يجوز إخراجها من أول رمضان ، ويكره تأخيرها عن صلاة العيد إلا لضرورة ، كعدم وجود فقير في البلدة حال إخراجها .

ومن المستحسن استعجال خروجها ، حتى يستعين الفقير بها على ما يحتاجه في رمضان ، وإعداد ما يلزمه هو وأولاده في أيام العيد ، ليتحقق معنى الزكاة والغرض منها في أيام العيد : فإن الفقير قد يحتاج إلى ثياب له ولأولاده فلا بد من إعطائه فرصة يتمكن فيها من إعداد الثياب والحاجيات الأخرى اللازمة له ولأولاده .

ولا يجوز نقلها من بلدة إلى أخرى . أو من منطقة إلى أخرى ، إلا إذا كان هناك ما يبرر ذلك ، كما لو اكتفى أهل البلد أو المنطقة أو لم يكن فيها محتاجون ، أو كان له قريب فقير في بلدة أخرى قريبة من المكان الذي يقيم فيه يريد أن يعطيه جزءا منها وعند الأحناف لا يكره نقلها الى أي بلد فيه قرابة محتاجون أو من هم أحوج من أهل البلد أو كان نقلها أصلح للمسلمين أو إلى طالب علم ونحوه .

والأفضل توزيعها على عدد من المحتاجين حتى يعم النفع بها ، وله أن يزيد فقيرا عن آخر في الاعطاء نظرا للحاجة أو لقربه منه .

عمن يخرجها ..؟

يخرجها الشخص عن نفسه وعن كل من تلزمه نفقتهم من الزوجة والأقارب

وهم : الوالدان الفقيران والأولاد الذكور الذين لا مال لهم حتى يشتغلوا بمعاشهم وكذلك الإناث إلى أن يدخل بهن الزوج والمماليك والخدم الذين التزم المخدوم بنفقتهم ومعاشهم .

لمن تصرف ؟

تصرف لمن يوجد من الفقراء المحتاجين الذين لا يكفي دخلهم لسد حاجاتهم ومنهم المسافرون المغتربون الذين لا مال لهم بأيديهم ينفقون منه على شؤونهم وإن كان لهم مال في بلدهم . وكذلك الدور المشرفة على الفقراء والداخلون في الاسلام المحتاجون للمعونة والذين لا يجدون ما ينفقون حتى تتيسر لهم سبل العيش .

صلاة العيد

دليل شرعيتها :

لم يغفل الاسلام ناحية الأعياد لدى أتباعه ، لأنها ظاهرة اجتماعية ضرورية لكل أمة ، حتى يكون لها في أيامها أعياد تفرح فيها ، وتستجم من عناء العمل ، وأعياد كل أمة ترتبط إما بدينها أو بحوادث هامة ، لها أثرها الطيب في تغيير مجرى حياتها ، لذلك كانت الأعياد في كل أمة مظهرا من مظاهر شخصيتها .

ولأجل هذا لم يرض الرسول صلى الله عليه وسلم أن يترك المسلمين يحتفلون بأيام كانوا يحتفلون بها قبل الاسلام ، بل جعل لهم عيدين مرتبطين بعبادتين من أهم العبادات في الاسلام وهما : عيد الفطر ، بعد أن ينتهي المسلمون من عبادة الصوم ، ويفرحوا بفطرهم ، وعبادتهم لله ، وعيد الأضحى ، بعد أن يؤدي الحجاج أهم ركن في عبادة الحج ـ وهو الوقوف بعرفة ـ ويفرحوا ويفرح أهلوهم بما أدوا من عبادة في أطهر بقعة وأقدسها .

قال أنس رضي الله عنه : قدم رسول الله صلى الله وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « ماهذان اليومان » قالوا : كنا نلعب فيهما في الجاهلية ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر » رواه أبو داود .

التكبير :

يندب إحياء ليلتي العيدين بالذكر ، والتكبير ، والدعاء ، والاستغفار ، والعطاء للبائسين .

ووقت التكبير لم تتفق المذاهب على تحديده ، ولذا نختار لك منها أن يبدأ التكبير في عيد الفطر من رؤية الهلال حتى يغدو الناس إلى المصلى ، وحتى يصعد الإمام

على المنبر لقوله تعالى : (**ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون**) .

أما في عيد الأضحى فمن صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام منى لقوله تعالى (**واذكروا الله في أيام معدودات**) قال ابن عباس : « هي ايام التشريق وهي اليوم الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر من ذي الحجة » .

ويستحب التكبير في كل وقت من هذه الأيام سواء قبل الصلاة أو بعدها أو في الطريق أو في المجالس .

وصيغة التكبير كما وردت عن عمر وابن مسعود : (الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر الله أكبر ، ولله الحمد) .

وزاد بعض المذاهب (الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا إلى آخر الصيغة المشهورة) . على أن يكون معلوما أن ذلك كله أمر مندوب فلا يجوز أن يحتدم الخلاف حوله بين المسلمين .

حكمها :

عند أكثر المذاهب سنة عين مؤكدة على كل من تجب عليه صلاة الجمعة وأداؤها مع الجماعة سنة عند الشافعي فله أن يصليها منفردا وقال الآخرون : الجماعة شرط بلا آذان ولا إقامة .

وقتها :

من ارتفاع الشمس ولو قدر ثلاثة أمتار إلى الزوال والأفضل التعجيل بها والمسارعة إلى أدائها وتحديد وقتها رغبة في اجتماع المسلمين حتى يؤدوها في جماعة ثم ينصرفوا إلى ما يريدون في هذا اليوم العظيم من زيارات تؤكد محبتهم وتقوي روابطهم .

كيفيتها :

وصلاة العيد ركعتان كغيرهما من النوافل غير انه في الركعة الأولى وبعد تكبيرة الإحرام ، ودعاء الاستفتاح ، وقبل التعوذ والقراءة يكبر سبع تكبيرات (الله اكبر) يفصل بين كل تكبيرتين بقدر آية صغيرة وبعد أن ينتهي من التكبير يتعوذ ويقرأ الفاتحة والسورة . اما في الركعة الثانية فإنه بعد تكبيرة القيام ، يكبر خمس تكبيرات ثم يأخذ في القراءة .

ويندب ان يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة (سورة الأعلى) وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة (سورة الغاشية) وإن كان له أن يقرأ بما شاء ، وإذا أدرك الامام في بعض التكبيرات تابعه في التكبير ولا يعيد ما فاته منها ، ولو نسى المصلي التكبير ، ودخل في القراءة مباشرة بعد تكبيرة الإحرام أو القيام فلا يعود للتكبير وصلاته صحيحة .

اين تؤدى صلاة العيد ؟

يستحسن اداؤها في الصحراء في غير مكة وخاصة إذا كانت قريبة من العمران ، بخلاف الشافعية فإنهم قالوا إن أداءها بالمسجد أفضل لشرفه ، إلا لعذر ، كضيقه ، فيكره الزحام فيه وتسن حينئذ في الصحراء .

ويندب أن يخرج المصلي إلى مصلى العيد ماشيا إن أمكن وأن يجهر بالتكبير ويستمر في التكبير حتى يدخل الإمام في الصلاة .

والأجدر أن يذهب إلى المصلى من طريق ويعود من طريق آخر ، ومن السنة أن يأكل قبل خروجه الى مصلاه في عيد الفطر ، تحقيقا لمعنى الفطر ، أما في عيد الاضحى فيندب تأخير الأكل .

لا صلاة قبلها ولا بعدها

لم يثبت أن لصلاة العيد سنة قبلها ولا بعدها : قال ابن عباس : « خرج رسول الله صلى الله وسلم يوم عيد فصلى ركعتين ، لم يصل قبلهما ولا بعدهما » (رواه الجماعة) .

الخطبة :

وبعد أن ينتهي الامام من صلاة العيد ، يصعد المنبر ، ويخطب خطبتين خفيفتين ، يرشد الناس فيهما إلى ما ينبغي عليهم فعله يوم العيد ، من البشاشة والصفاء والحب والولاء والتغاضي عن الهفوات السابقة بين المسلم وأخيه وهما كخطبتي الجمعة ، غير أن خطبتي الجمعة شرعتا قبل الصلاة ، وأما خطبتا العيد فإنهما بعد الصلاة .

كما أن خطبتي الجمعة ، تفتتحان بالحمد لله ، وأما خطبتا العيد ، فإنهما تفتتحان بالتكبير ، وتفتتح الأولى منهما بالتكبير تسعا وأما الثانية فتفتتح بالتكبير سبعا ، وتختم بقول الله تبارك وتعالى .

(**سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين**) (الصافات ١٨٠ ـ ١٨٢) .

اجتماع العيد والجمعة :

إذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد ، وجب عند الأئمة الثلاثة اداء كل صلاة منهما في وقتها المشروع ، فتصلي صلاة العيد في وقتها ، وتصلي الجمعة في وقتها . ويرى الامام أحمد أنه إذا اجتمع الجمعة والعيد في يوم واحد سقطت الجمعة عمن صلى العيد . ويصلي الظهر بدلها .

ومن السنة اظهار السرور وتبادل الدعاء بالخير في أيام العيد ، ويدعو الاسلام إلى التواصل والتراحم ، والتوسعة على الفقراء في هذه الأيام الطيبة .. فعن جبير بن نفير قال : « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : تقبل الله منا ومنك » قال الحافظ : إسناده حسن .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـ ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

O الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ

أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ

(البقرة - آية ١٨٦)

طبع في مطابع دار السياسة - الكويت

هديتك مع العدد
مجلة براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٨٦ ـ شوال ١٤٠٨هـ ـ يونيو ١٩٨٨م



ندوة الفقه الإسلامي

استطلاع العدد ص ٦٨

محتويات العدد

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٨٦ ـ شوال ١٤٠٨هـ ـ يونيو ١٩٨٨م

تصدرها

وزارة الاوقـاف والشئـون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المـزيد من الـوعي ،

وايقـاظ الـروح ،

بعيدا عن الخـلافـات

المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة

دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

• الثمن •

البلد	الثمن
الكويت	٢٠٠ فلسا
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما
السودان	١٥٠ مليما
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	٣ دراهم
البحرين	٢٠٠ فلس
تونس	٢٥٠ مليم
الاردن	٢٠٠ فلس
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	٣ ريالات
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم

ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

ليس الإيمان بالتمني

في جو روحي تزود المسلمون بطاقات إيمانية ، طول شهر رمضان المبارك ، الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وبهذا الزاد المبارك تتوثق الصلة بالله ، والانسان إذا قويت صلته بربه ، تميزت أعماله بالصدق والاخلاص وشرف السلوك ، لأن إيمانه برقابة الله عليه يعينه على ضبط حركة نفسه وجوارحه في ضوء مثل الاسلام وقيمه الفاضلة ، ومعلوم أنه بدون هذه القيم لا تقوم شريعة ، ولا يستقيم قانون ولا تنتظم شئون الحياة .

ومما لاشك فيه أن من صدق في صومه وذاق حلاوة الطاعة في رمضان ، يرفض في إباء الفسوق بعد إيمان ، ومن عاش ايامه في معية الله سيجد نفسه غنيا عن رقابة البشر ، يسقط من نفسه اسلوب التحايل، والخيانة والخداع ، ولا يجد عناء في مقاومة المغريات مهما كانت سهلة المنال ، بل يظل هذا العطاء الايماني متجددا موصولا مدى الحياة ، لايرتبط بشهر محدد او مناسبة معينة .

أما من صام ولم يدخل الايمان قلبه ، فهو من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ،ذلك لأنه اختار حياة السفه والضياع ونقض عهد الله من بعد ميثاقه ، وقد شبه القرآن الكريم ناقض العهد بالمرأة التي كلما أحكمت غزلها عادت تنقضه من جديد فلا يتم لها غزل بل تظل في سفه وضياع .

وفي ذلك يقول الله تعالى : « **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا**... » النحل / ٩٢ فليس الاسلام مجرد انتساب للعقيدة أو التسمي بأسماء إسلامية ، وليس الاسلام تسبيحا ومسبحة ، وليس رياء بصدقة أو صوم أو صلاة ، وليس الايمان بالتمنى أو التحلي حيث ورد في الأثر : « ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل » إنه ولا شك قوة فاعلة ذات تأثير في سلوك المؤمن ومنهج حياته ،فلا وزن لايمان بغير عمل ، لأن المعرفة المجردة عن معنى الانقياد لاقيمة لها ، والعلم الذي لا يظهر أثره في السلوك والأخلاق لايعتد به ، فما نفع إبليس علمه بوحدانية الله ،ومعرفته بالبعث والحساب والجزاء ،حين تمرد على أمر ربه ، وأعلن عصيانه عن السجود لآدم وقال في كبرياء أنا خير منه !وكانت معرفته المجردة عن معنى الخضوع المطلق لله موجبة للطرد من رحمته ، وفي ذلك أكثر من درس وأبلغ عبرة لطائفة من الناس يتمادون في غيهم ويحسبون أنهم بمنجاة من عذاب الله

اعتمادا على انتسابهم للاسلام وعلى دعوى التدين ولوكان صوريا ، جمع مجلس جماعة من اليهود والنصارى والمسلمين وزعمت كل طائفة انهم أولى الناس بدخول الجنة ، فنزلت آية عادلة مبيّنة تخاطب المسلمين في صراحة ووضوح : « **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجزبه ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا**) النساء/ ١٢٣ و ١٢٤ .

كذلك العمل بدون إيمان مصيره الضياع والبوار ، قال تعالى : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) الفرقان/ ٢٣

ومهما اختلف العلماء حول مفهوم الايمان وصلة العمل به فإنهم متفقون على أن العمل جزء لا يتجزأ من الايمان الكامل .

ولقد ذكر القرآن الكريم الايمان مقرونا بالعمل في أكثر من سبعين آية من آياته ،وسنة الله لا تسمح للقادر على العمل ثم هو يؤثر الفراغ والكسل ، ان يبلغ مراده او يحقق غايته ،وما كانت الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة إلا للمؤمنين الذين شرفوا الحياة بالعمل الطيب النافع

قال تعالى : (**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**) النحل/ ٩٧ بالايمان والعلم امتدت حضارة الاسلام إلى أقصى الشرق والغرب في فترة وجيزة من حساب الزمن ، وأطل التاريخ على دولته القوية الفتية وهي تأخذ بأسباب العزة ، وهي بالسمع والطاعة تلبي أمر ربها في قوله سبحانه : (**فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**) الجمعة/ ١٠ -

هذا المنهج حبب إليهم الايمان والعمل بعد أن رأوا قائدهم صلى الله عليه وسلم يلتزم به قولا وعملا ، في السلم والحرب ، من أجل بناء أمة استطاعت أن تحمي نفسها وتصون كرامتها وتدافع عن كيانها دون ان تكون عالة على غيرها من الأمم ، ويشهد التاريخ اذ حمل السلاح ونظّم الصفوف وتقدم الجيش ، ويوم حفر الخندق نزل يضرب الصخر ، بمعوله ويحمل التراب على كتفه ، ولم يهدأ حتى رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وعلى هذا الدرب سار خلفاؤه من بعده ولم تحجزهم الخلافة عن التجارة ومواصلة العمل والسعي في مصلحة الأمة .

وكان عمر رضي الله عنه في خلافته يطارد الكسالي والمتعطلين ، ويقول : إن الله يكره الرجل الفارغ من العمل لا هو في عمل الدنيا ولا هو في عمل الآخرة ، ولما تخلت الأمة عن ميراثها العزيز سواء كان بإرادتها أم أريد لها ذلك ـ طويت رايات مجدها ، ورضيت بالدون من الحياة وهانت على أنفسها وعلى الناس ، وصدق القائل:

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت ايلام

ومما يعصر القلوب بالأسى والألم ، ان عالمنا الاسلامي المعاصر رضي بوصمة تسميته بالعالم الثالث ، في الوقت الذي يملك فيه كل أسباب القوة من امكانات مادية وأعداد بشرية ، وثروات من نعم الله ظاهرة وباطنة ، عدا المواقع الجغرافية التي يحسب لها العالم الف حساب ، بالاضافة إلى مالدينا من مواهب دونها مواهب أرقى الأمم ! ولكن بكل أسف ثرواتنا الضخمة نشقى بالحرمان منها ويسعد غيرنا باستغلالها ، وقوانا البشرية ركنت إلى الفراغ والضياع ولم تجد مجالها في العمل الجاد ، أرضنا خصبة ولكنها معطلة ، ومياهنا عذبة ولكنها مُهدرة ، وأصبحنا نلبس ما ينسجه غيرنا ، ونأكل ما ينتجه عدونا ، ونركب ما يصنعه ونزهو بما

يخترعه ، مما جعلنا ندور في فلكه ، ونشقى بالتبعية له ، رضينا ذلك أم كرهنا ! ولا منقذ من ذلك كله ، إلا الايمان الغائب من حياتنا وحركة وجودنا .

بعودة الايمان تبدأ حركة النشاط وتدور عجلة التعمير ، ويحسّ المسلم الحرّ بوجوده ويحقق رسالته في الحياة ، مادام دينه الاسلام دين التقدم والحضارة ، والحركة والحياة العريضة ،

لايرضى لأتباعه العجز والمهانة والحياة الذليلة ، من منهجه أن يعيش المسلم عضوا عاملا في بناء الأمة ، ودما جديدا يجري في جسمها ، فهو إذا زرع أنتج وإذا صنع أجاد ، وإذا عمل أتقن ،

وإذا تاجر صدق ، وإذا نادى المؤذن أجاب داعى الله ، وإذا ناداه الوطن تدافع ركضا إلى الله ، يحيا حياة العزة والكرامة ، لا يعتمد على حسب اونسب ، ولا يركن إلى ثراء موروث ، ولكنه يسأل نفسه في كل أمسية ماذا قدّم لدينه ، وماذا صنع لأمته ومجتمعه ، فما أسعد المجتمع بأبنائه الأقوياء إيمانا وعملا ، وما أشقاه بالضعفاء الفارغين ، على الأمة أولا وأخيرا أن تعرف طريقها إلى الله ، تعرفه الشعوب لتعيش بعز الانتصار بعد ذلّ الانكسار ، وتعرفه قادة الشعوب إن رفضوا قانون الأرض وطبقوا قانون السماء :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » التوبة/ ١٠٥ .

رئيس التحرير

حسن منّاع

إنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا !

محنة قاسية عاشتها الكويت طيلة ستة عشر يوما .
كشفت عن أصالة الشعب ووقوفه صفا واحدا خلف قيادته السياسية .
وبالتلاحم الرائع بين القيادة والشعب فوتت الكويت على الأشرار أهدافهم الخبيثة .
فقد أرادوا تمزيق الثوب الكويتي .
أرادوا تمزيق الشعب الكويتي إلى طوائف متصارعة .
أرادوها لبنان أخرى في كويت العرب والمسلمين .
فضربوا في خسة في غير الميدان الذي ينبغي فيه الضرب .
اعتدوا على الطائرة الكويتية فاغتصبوها وعلى الركاب الآمنين فروعوهم وأرهبوهم . قتلوا اثنين من ركابها ، فإلى رحمة الله انتقلا ، وبأجلهما رحلا . ودماؤهما شاهدة على القتلة . ليكون مصيرهم ما حكاه القرآن الكريم : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » . وأطلقوا سراح من أطلقوا .. ليوحوا بالوقيعة بين الناس . وأبقوا رهائن يساومون عليهم ، من أجل الوصول إلى فوضى يريدونها .. وهنا في الكويت كان الاصرار على المبدأ ، وهناك في الجزائر كانت معاناة الرهائن .

● وبعد أن اشتدت الأزمة آذن الله بالفرج ، وكان مع العسر يسرا . فعاد الرهائن إلى الوطن ، فكانت الفرحة ، وباء الارهابيون بالخزي والعار .

● ولا بد من حسم الشر ، ولا بد أن تتكاتف الأمم والشعوب والحكومات من أجل القضاء على الارهاب ، وتوفير الأمن للناس جميعا . تلك النعمة التي أمتن الله بها على عباده .. حيث قال : « فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

المحرر

دين الإنسانية

من خلال الأمة العربية

للدكتور : محمد محمد الشرقاوي

منذ بدء الخليقة .. وإلى حين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم اصطفى الله تعالى من كل أمة محددة بقوميتها الخاصة رسولا من أنفسهم وبلسانهم ، يعلم الله فيه أهليته للرسالة ، وطاقته الشخصية والايمانية للقيام بأعبائها وأداء مهماتها

وقد فضله الله بخطابه وفطره على معرفته ، وجعل منه ومن غيره من الأنبياء والمرسلين وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم ويحرضونهم على الهداية ويأخذون بحجزاتهم عن النار ويدلونهم على طريق النجاة

ويظهر على أيديهم من الخوارق واخبار الغيوب مالا سبيل الى معرفته بالعقل ولا بالحدس ولا بالكسب والاجتهاد لأنه فوق ذلك كله لا سبيل الى إدراك أنه من الله إلا بواسطة رسله الذين ينقلون عن ربهم مايوحى به اليهم بكل الصدق والأمانة

ومع وحدة الأساس الايماني الذي التفت حوله كل الرسالات فقد تنوعت الشرائع وتعددت على حسب اختلاف العصور والدهور وحاجات الأمم والشعوب ثم أراد الله تعالى ان يختم هذه الرسالات جميعا بما يجمع شتاتها ويتخير أبقاها وأخلدها وينسخ مادون ذلك فكانت رسالة الاسلام المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم

عامة شاملة لكل من بلغته دعوتها كما قال تعالى : **وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ)** الأنعام/ ١٩ والمعنى كما في تفسير الجلالين أي لأخوفكم يا أهل مكة به واخوف كل من بلغه القرآن من الإنس والجن والعرب والعجم الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير (من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدًا صلى الله عليه وسلم) .

فلو كان بعد محمد صلى الله عليه وسلم رسالات أخرى ورسل تترى لكان محمد صلى الله عليه وسلم خاصا بقومه كما كان من قبله من اخوانه المرسلين خاصا بقومه ولانعقدت رسالة العموم والشمول لآخرهم زمانا ، وأبقاهم شريعة ..

ولكن محمدًا صلى الله عليه وسلم ثبتت له رسالة الختام لكل الأنبياء والمرسلين كما ثبتت لشريعته أحقية الهيمنة على شرائعهم .. بحيث تستبقى منها ماتستبقيه ، وتنسخ منها ماتنسخه .. بأمر الله تعالى ، ووحيه إليه وفي سورة الأحزاب/ ٤٠ «**ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**» : قرأها حفص بفتح التاء وقرأها غيره من السبعة بكسر التاء ، وهو نص قاطع في اتمام الرسالات كلها بمحمد صلى الله عليه وسلم ويستدل على ذلك بأدلة منها :

١ ـ في الصحيح أن هرقل عظيم الروم حين جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام أحضر من وجده ببلده من قريش وفيهم أبوسفيان .. فسألهم : بم يأمركم ؟ .. فقال أبوسفيان بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف .. الى آخر ماسأل فقال هرقل : إن يكن ماتقول حقا فهو نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين .. وهرقل لم يكن من العرب وقد دعاه الرسول صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ودعا نظراءه من حكام الفرس والقبط وبالتالي من وراءهم قياسا عليهم .. لأن دعوة كل فرد فرد من افراد الانسانية غير ممكنة ولكن دعوة رؤسائهم وحكامهم دعوة لهم من حيث أنهم يمثلونهم ويقومون بمصالحهم

وكان مدخل هذه الأمم والشعوب الى الاسلام .. هو دعوة زعمائهم ومدخل زعمائهم اليه هو تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم وهو النبي العربي لهم عن طريق إخوانه الذين هم اقرب اليه من غيره وهم أمة العرب التي آمنت به وصدقت برسالته

فالعرب والعروبة هنا ليست هي المقصد الأول والأخير بدعوة الاسلام .. وإنما هي الجسر الذي تعبر عليه الدعوة الى كافة الأمم ماحضر منها وماغاب وماظهر منها وماسوف يظهر .. فكل الناس في دعوة الاسلام سواء لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى ، والجنة لمن أطاع الله ولو كان حبشيا ، والنار لمن عصاه ولو كان قرشيا .

وأفضلية الصحابة من العرب عن من سواهم من حيث انهم الدعاة الأوائل إلى الاسلام الذين عايشوه ورأوا الرسول صلى الله عليه وسلم

رأى العين ، وتابعوا الرسالة في إبان نـزولها وتتبعـوا مـواطن العقيـدة والتشريع عن رؤية وشهادة .. وفي المثل العربي : (فما راء كمن سمعا)

وكما قال الشاعر الحكيم
ولكن للعيان لطيف معنى
لذا طلب المعانية الكليم

وهو يشير الى مطلب موسى عليه السلام لرؤية ربه جل وعلا حين قال كما حكى القرآن الكريم «**رب أرني أنظر إليك قال لن تراني**» الأعراف / ١٤٣

ففضـل العـرب ليس لـذاتهم ولا لعنصرهم وإنما لصحبتهم لصاحب الرسالة وتحملهم لها عنه بمنتهى الحذق والدقة والأمانة ، وإيمانهم بها عن قناعة ومشاهدة .. ثم احتمالهم الحروب والمشاق لإبـلاغها الى من وراءهم من الشعـوب كما أمـرهم رسولهم صلى الله عليه وسلم في قوله (بلغوا عني ولو آية ومن كذب عَلَيّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) رواه البخاري والترمذي .. وكان لابد من البـداءة بـإصـلاح أداة البـلاغ ، وإعدادها إعدادا جذريا لمسئوليات البلاغ .

وذلك
كما تعمل دور التربية وكليات التعليم في الجامعات على إعداد الوسيط بينها وبين الجماهير وتهيئته بكل صالح ومفيد في مجال رسـالته .. وحتى يؤديها في كمال لا يشوبه نقص ووعي لايكتنفه جهل وإيمان لا يعتوره شك .

وفي ضوء هذا نفسر قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن مسعود رضي الله عنه وأخرجه البخاري :

(خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء أقوام تسبق شهـادة أحـدهم يمينـه ، ويمينـه شهادته) متفق عليه وقرنه هم أهل عصره المتعايشون معه .. مأخوذ من الاقتران في الأمر الذي يجمعهم ، والمراد الصحابة .

والمشهورأن القرن مائة سنة والذين يلونهم هم التابعون والذين يلونهم أتباع التابعـين قال ابن الجـوزي والمراد بمن بعدهم : الذين لايتورعون ويستهينون بأمر الشهادة واليمين .

٢ـ قال تعالى :«**وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا**» النساء ٧٩ أي أرسلناك للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم .. أنت رسول العرب والعجم كقوله : (**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا**) سبأ / ٢٨ .. (**قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض**) الأعراف / ١٥٨

وشهادة الله على ذلك كافية في هذا المقام فلست بحاجة إلى المزيد من ذلك

فما ينبغي لأحد كائنا من كان أن يخرج عن طاعتك واتباعك .. لأنك لا

تأمر إلا بما أمر الله به ، ولا تنهى إلا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في

امتثال ما أمر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله ولما أكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله «ومن أطاعني فقد اطاع الله) متفق عليه ..

أول المنافقون هذا الكلام على وفق ما يمليه عليهم هواهم الطائش وقلبهم

المريض فقالوا : ألا تسمعون الى مايقول هذا الرجل ؟ .. لقد قارف

الشرك من حيث إنه ينهى عنه .. مايريد هذا الرجل إلا أن نتخذه رَبّاً

كما اتخذت النصارى عيسى ، واليهود عزيرا .. فنزل قوله تعالى : **(من يطع**

الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا) النساء / ٨٠ .

٣ ـ قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران / ١٠٤ والخطاب

هنا وإن كان لأمة العرب لكنه عام في كل من توفرت فيه هذه الخيرية التي أشير إليها في آية أخرى **(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)** آل عمران / ١١٠

لأن الحكم إذا تعلق بمشتق يؤذن بعلية مامنه الاشتقاق كما يقول علماء الأصول .. فالعرب هنا الذين صاحبوا

الرسول العربي ومارسوا اللسان العربي الذي نزل به القرآن الكريم هم

داخلون في الخطاب أولا وبالذات ثم يدخل غيرهم من سائر شعوب الأرض من خلالهم وتبعا لهم .

مقاومة الشر

قال شوقي ـ أمير الشعراء ـ مخاطبا الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في قصيدته « نهج البردة » :

قالوا : غزوت ، ورسل الله ما بعثوا
لقتل نفس ، ولا جاءوا لسفك دم
جهل"، وتضليل أحلام ، وسفسطة
فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم
لما أتى لك عفوا كل" ذى حسب
تكفل السيف بالجهال والعمم
والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعا ، وإن تلقه بالشر ينحسم

مقومات الحركة الإسلامية من منظور قرآني

للدكتور / عبد الفتاح محمد سلامه

عبر الأزمان الماضية ، وبين ثنايا الاحقاب المنصرمة : تفجرت فوق كوكبنا الارضي حركات كثيرة ، اختلفت كل منها عن الأخرى في ايجابياتها وسلبياتها ، ولم يكن لواحدة منها رصيد يكفي لإثراء الانسانية ، واشباع تطلعاتها ، وارضاء اشواقها .. منهجا وسلوكا وفكرا وعملا .. وظل الحال على هذا الى ان دار الفلك دورته ، وهيأ للنضج والرقي مسيرته .. فظهرت الى الوجود أعظم وأمجد حركة حضارية عرفها التاريخ البشري كله .. بقيادة رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

« **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا** .. » الفتح/ ٢٨ .

أجل !! لقد كانت هذه الانطلاقة الرائدة والقفزة المجيدة التي تغير بها مجرى التاريخ .. فلقد تحولت الحياة بعدها الى محراب للعمل والعبادة والنشاط والسعي الدءوب .. حيث قام أصحابها بحق الخلافة خير قيام ، فأصلحوها بعدما عم الفساد وطم ، وشمل القاصي والداني ، ونفضوا عن الانسان أوضار قرون خلت ، وأعادوا اليه اعتباره الآدمي .. ومن ثم فقد غدا الانسان في ظلال الاسلام كائنا حضاريا له مكان مرموق وأصبح أهلا لأن يتلقى مع أفراد جنسه هذا الأمر الكريم من الله رب العالمين .

« **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** .. » التوبة/ ١٠٥ .

« **هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه** .. » .. الملك/ ١٥ .

إن الحركة الاسلامية ـ في مسارها الرشيد ـ ما عرفت تحيزا او تسلطا ، ولا عنجهية ولا جبروتا .. وعندما كان أتباعها ينساحون في الأرض لم يحملوا معهم خرابا أو دمارا ـ كما يروج لذلك المستشرقون ودعاة التشرذم من المتطفلين على موائدهم ـ بل ما حدث على أيديهم كان خلاف ذلك تماما .. فإن العلم أبى إلا ان يسير في ركابهم .. والمعرفة القت عصا تسيارها اليهم ، وتقوى الله كانت دستورا حركيا يضبط اقوالهم وافعالهم .. فإن القرآن الكريم الذي نزل على نبيهم فيه نصوص قاطعة تلزمهم بهذه القيم النبيلة ، والتمكين لها في جنبات الأرض ، حتى تسير الحياة رخاء ، ويعيش الناس في مدد متواصل من النور والعرفان .

« **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** . » المجادلة/ ١١

« **إنما يخشى الله من عباده العلماء** .. » فاطر/ ٢٨ .

« **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون** .. » التوبة/ ١٢٢ .

« **يايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة** .. » النساء/ ١

« **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا** .. » الأحزاب/ ٧٠

إن الحركة الاسلامية ـ في مواكبها الظافرة ـ جانبت الظلم والظالمين ، وحاربت الاستبداد والمستبدين ، ونابذت الطغيان والمتجبرين ، ولاذت بالحق تعتصم به ، وبالعدالة تذود عنها ، وبالقوة تحتمي بها ، وبالفضيلة تدعم وجودها ، والأخوة تمكن لها ، غير ناكثة للعهد ، ولا مخلفة للوعد ، ولا حائدة عن منهج الرشد .

« **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون** .. » هود/ ١١٣ .

« **إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا** .. » الكهف / ٢٩ .

وجاء في الحديث القدسى :

« يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا .. » رواه مسلم .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ـ

« الظلم ظلمات يوم القيامة .. » .. رواه الترمذي .

ومن هنا كان أتباع الحركة الاسلامية يملكون أرصدة ضخمة من الشجاعة والقدرة على المواجهة : اعني مواجهة الجبروت الغاشم ، وقوته الباطشة ، غير هيابين ولا وجلين ، فقد سمعوا من نبيهم الجليل :

« افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان

جائر .. » .. ابو داود .
« سيد الشهداء حمزة ورجل قام الى سلطان فأمره ونهاه فقتله .. » .. ابن ماجه

انهم قوم يتفاعلون مع الحياة ، وينهضون بها ، ويمسكون بزمامها ، ويجعلون لها معنى نبيلا ، ويضعون لها غاية راشدة ، تسمو بها ، وتتألق من ثناياها ، فيصبح السعي فيها وظيفة عبادية ، تنشد رضوان الله ، وتتحصن بهديه وتقاه :

« **إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين** .. » الانعام/ ١٦٢ ,

« **وأن إلى ربك المنتهى** .. » .. النجم/ ٤٢ .

« **قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون إن وليِّيَ الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين** .. » الاعراف/ ١٩٥ ـ ١٩٦ .

○ أتباع محمد كانوا خير أجيال الأرض نزوعا الى المجد واضطلاعا بالأمانة :

إن الله جلت قدرته : عندما اراد بالانسانية خيرا ، أوفد اليها هذا الجمع الكريم من تلامذة محمد بن عبدالله .. حيث تربوا على الطهر والفضيلة ، وتنشأوا على الشجاعة والمروءة . وارتضعوا من أفاويق العزة ما جعلهم ليوثا في جلالتهم ، وملائكة في سمتهم وبهائهم ، وتفتقت عقولهم عن حكمة عالية ، وتجارب حية زاخرة ، أمدت الأمم ، وأثرت الشعوب ، فكانت خير زاد ، واسمى ثروة تتلمذت عليها الانسانية ، واغترفت من فيضها على امتداد القرون والاعصار .

« **يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين. قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** » .
يونس/ ٥٧ ، ٥٨

ان التمكين في الأرض لا يتحقق بفعل الصدفة العمياء ، لأن قانون الصدفة هو منطق العاجزين والبلهاء ، كما انه لا يدرك بالأماني الرطاب والاحلام العذاب .. انما التمكين في الأرض وليد الصبر والجلد ، وأثر لمصارعة الأهواء ، واقتحام الخطوب ظفرا بالأمجاد وتحقيقا للمعالي .

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرادها الأجسام

وصدق من قال .
بصرت بالراحة الكبرى فلم أرها
تنال الا على جسر من التعب

وعندما اعطى الله التمكين في الأرض لاصحاب محمد ، وهيأ لهم اسبابه ، وسخر لهم نوامیسه فقد كان يعلم انهم اهل لهذا التمكين :
مضاء عزيمة ، وقوة ارادة ، وسمو نفس .. فليس الأمر محاباة أو مجاملة .

« **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون * ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين** » الانبياء/ ١٠٥ ـ ١٠٦ .

« **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** .. » .. الحج/ ٤١

○ هيبة الامة منوطة بمدى تقديرها للمسؤولية :

وعندما يلقي الله مقاليد الأمور إلى أمة ، ويجعلها في مركز القيادة ، والزعامة ،ويهيىء لها منزلة محترمة بين العالمين .. فلابد من دفع ضريبة ازاء هذه النعمة الكبرى ، لا مندوحة من أخذ العهد والميثاق عليها ،

ان تقوم بما عهد به اليها خير قيام ، وان تؤديه على الوجه الأكمل ، فتنهض بحمل المسؤولية في تفان ومثابرة ، وبر ومرحمة ، لتسود شريعة الله ، وتعلو كلمته .. إنها إن لم تفعل ذلك .. فقد خانت الأمانة ، واصبحت غير جديرة بتكريم الله جل وعز وليس هناك من حرج في سلب السلطان عنها ، ونزع السيادة من بين يديها ، حيث اصبحت غير مؤهلة لها ، ولا مأمونة عليها !!

« **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** .. » الرعد/ ١١

والمثل على ذلك بنو اسرائيل : فعندما خاسوا بالعهد وغدروا في الوعد ، ونقضوا في الذمة ـ وقد كانوا ذوي سطوة وقوة .. لدرجة ان القرآن حكى عنهم فقال :

« **ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين** .. » .. الجاثية/ ١٦ .

عندما قلب هؤلاء ، ظهر المحن لشريعة السماء فأبطرتهم النعمة ، وجحدوها وعبثوا بها ، وتسلطت عليهم النعرة الحمقاء ، وسرت في كيانهم أكذوبة التفوق العنصري ، وغلبتهم النزعة المادية الشرسة ، فأزهقوا الارواح ، وسفكوا الدماء .. حينئذ ،، وبعد ان بلغ السيل الزبى ، وجاوز الظالمون المدى ، وخان بنو اسرائيل الأمانة ، وناءوا بحملها ، كان لابد للأقدار ان تقف منهم موقفا حاسما ، فاستأصلت شأفتهم ، ونكست اعلامهم ، وأذاقتهم الذلة والهوان والتشريد ، على أيدي عبادلله أولى بأس شديد .

« **وقضينا الى بنى اسرائيل في الكتاب لتفسدنَّ في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا * فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا** .. » الإسراء/ ٤ ـ ٥ .

ان صمام الأمن في المجتمعات وبواعث القرار فيها تزيد وتربو : عندما تكون الصلة بالله متينة ، والطاعة لله مبذولة .. فإن الصلة بالله ، والطاعة له ، والرغبة فيما عنده : تحجز الانسان عن السقوط ، وتباعد بينه وبين الغرور ..

وضل قوم حسبوا ان الدنيا تواتيهم وهم بعيدون عن الله ، معرضون عن شرعه وهداه

« **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد** .. » آل عمران/ ١٩٦ ـ ١٩٧ .

الإسلام في علاجه الجذري

للأستاذ / عبد الغني احمد ناجي

طبيبان يتناوبان مريضاً بالعلاج ، يأتي الثاني إثر فشل الأول الذي يكمن إخفاقه في علاجه السطحي ، في حين ينجح الأخير لعمق علاجه ، واستبطانه أصل الداء ، ومكامن العلة ، وينفض الناس عن الأول مع نعته بالجهل أو التقصير ، ويقبلون على الثاني مغدقين عليه نعوت المدح والثناء ، هذه ظاهرة اجتماعية تتكرر في واقع الناس إن ألجأتهم الظروف إلى الطب والعلاج من العلل والأوصاب .

وإذا كانت مشاكل المجتمع وأمراضه تحتاج إلى العلاج أيضا فإن أمثل طريقة لعلاجها هي طريقة الطبيب الثاني الذي يتعمق حتى يصل الى الجذور ، ليستأصل الداء من أساسه ، فيريح ، ويرتاح ، وهذا أمر لا إخال اثنين يماريان في صحته وجدواه .

ولقد جاء الاسلام فوجد المجتمع الانساني يموج بتيارات من الفساد كادت أن تطوح به في مهاوي الهلاك والدمار ، أو تتنزل به عن مستوى الانسانية السامية الى أرجاس الحيوانية الهابطة ، وإذا كان المجتمع يتوقع الإصلاح والعلاج من المصلحين والمفكرين فإنه يكون أشد توقعا لهما من رسالات السماء ، ولقد اسعف الاسلام بهديه وتعاليمه ـ المجتمع البشري المصاب ، وقد بلغ في علاجه قمة الحصافة والبصر ، ليقيم مجتمعا سليما او بالأحرى ليقيم مجتمعا مثاليا ، طالما تخيله الفلاسفة والمفكرون ولم يلمسوه في واقعهم ، ولكن الاسلام أوجده على مسرح الحياة ، وليس هذا كلام مسلم متعصب ، إذ لدينا الأدلة والبراهين ، والتاريخ أصدق شاهد على صدق ما نقول او ننحو إليه .

فلقد نظر الاسلام فوجد المجتمع أساسه الأسرة ، والأسرة تعتمد على الفرد في تكوينها ، فعمد الى إصلاح الفرد ليسلم ما يبني منه أو عليه ، ولكنه حينما أراد أن يصلح الفرد لم يقف عند مراحل عمره التي بدأ فيها الفساد ، وإنما ذهب بعيدا إلى الوراء .. لا الى طفولة الفرد فحسب ،

بل إلى ما هو أبعد من الطفولة ، وهنا نتوقعه راجعا إلى الوالدين ، ولكنه يوغل حتى يصل إلى طفولة الأم إذ ينبغي أن يطهر المنبع حتى يعذب السائل ويساغ ، ولم يقتصر العلاج على التعمق الى هذا الحد وإنما صاحبه الأسلوب التربوي الحاني ، والطريقة النفسية الجاذبة ،

اقرأ معى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من عال ثلاث بنات فأدبهن وأحسن إليهن ، ورحمهن فله الجنة » رواه احمد باسناد
لقد حسب كثير من المسلمين أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ـ يرغب في تربية البنات ورعايتهن لضعفهن ، وحاجتهن الى الشفقة والعطف ، وبخاصة والمجتمع آنذاك كان حديث عهد بوأدهن ، وذهب بعض الشرّاح إلى أن الترغيب في تربيتهن ترغيب في حفظ الجنس البشري فالبنت ستصير زوجة ثم أما وبدونها ينعدم ذلك الجنس الآدمى ولكنني أرى ـ وربما أكون على صواب ـ ان الحديث النبوى الهادف السابق لم يرغب في العطف على البنات والإحسان اليهن لضعفهن فحسب ، أو حفظا للجنس البشري بحيث يكون بقاؤه وحفظه على أي وضع صالحا كان أو فاسدا ، وإنما يرغب في العطف عليهن عطفا مصحوبا بحسن التربية وجمال الأدب حتى يضمن ايجاد طفلة ، ففتاة ، فزوجة فأم صالحة ، ثم إيجاد أسرة فمجتمع سليم

أرأيت إلى هذا التوجيه السماوي السديد ؟! يأمر الاسلام المسلم بحسن تربية ابنته ، لأنها ستعد في المستقبل للمجتمع أجيال الغد ، وهم منها بمثابة الماء من الإناء ، يأخذون سمتها ، ويسيرون في دربها ، ويكونون صورة لها ، ثم يرصد على ذلك أجزل الجزاء ، وهو البعد عن النار ، وهذا فوز ما بعده فوز :

يقول الله تبارك وتعالى : « **فمن زُحْزِحَ عن النار وأدخل الجنة فقد فازَ** » سورة آل عمران آية / ١٨٥

ولأن الاسلام حريص كل الحرص على أن تسير البشرية جمعاء في دروب الصلاح تحقيقا للسعادة الأبدية ـ نجده يخشى ألا يتحقق الهدف الاصلاحي من التوجيه السامي الذي أرشد إليه الحديث الشريف ، إذ قد ينصاع المسلمون لهذا التوجيه النبوي ، ويعمل كل على حسن تربية بناته ولكنه قد يفجأ بانصراف الناس عن الزواج منهن إما لفقره ، أو لدمامتهن ،

وهنا نجد الاسلام يأمر في أسلوب يوحى بالخوف والخشية من أن يتحطم ما بناه ، فقد بنى الفتاة ،

وهيأها للأمومة الصالحة ـ يأمر بأن يضـرب المسلم صفحا عن الفقـر والقبح ، وتخلّف النسب ثم ينظر الى الدين والخلق ، وحسن السلوك ـ عند الرغبة في الزواج وكأني بالاسلام ـ وهو ينهج هذا النهج الفذ ـ والداً ممسكا بولده الغض سائرا به في الطريق السوي ، وكلما انجذب الابن نحو بريق يهوى به إلى الهلاك نأى به الوالد في حنان أبوي ، وعطف ندي ،

وأقامه على الجادة السـوية بغيـة الوصول الى هدف لا يعرف أبعاد جدواه سوى الوالد الرحيم ، وكذلك النهج الاسلامي القويم .

وإذا انتقلنا من دائرة الفرد الضيقة الى دائرة الأسرة الرحبة . وجدنا الاسلام الرحيم يسلك النهج نفسه :

نهج التعمق ، ليقي ، فالوقاية خير من العـلاج ، وهي المقـدمـة في سلم الإصلاح أويعالج علاجا جذريا ، لأنه ـ إن تُراعَ الوقاية ـ أنجع السبل فيمسك الإسلام بالمسلم ، وهو مقدم على الزواج ، ومن هذا المنطلق يصب في وجدانه وشعوره هذه الوصايـا

والتوجيهات .. «اظفر بذات الـدين تربت يداك »متفق عليه « تزوجـوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم » ابو

داود والنسائي . ثم ينفره من أن يقيم حياة زوجية مع شريكة خبيثة مخافة

ان يكون البيت خبيثا « **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات** »

فلا يليق بالمسلم الطاهر الطيب إلا الانجذاب الى عنصر طيب نظيف فهذا من أخص صفات المسلم « **والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات** » سورة النور آية ٢٦ هذا وغيره لتكون القاعدة التي سيسمق فوقها بنـاء الأسرة قاعدة نظيفة كالأرض الخصبة التي تنبت الخير ، وكالشجرة المباركة التي تؤتي الشهى من الثمر ، ثم تتأكد العلاقة الزوجية على هذا الاساس الأمين فتتوالى التوجيهات والوصايا لكل فرد في الأسرة بغية دوام العلاقة الأسرية محفوفه بالحب الوريف ،

والألفة الفيحاء ، فلافتة الى الزواج عليها تلك الوصايا « لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقا ، رضي منها آخر » رواه مسلم عن معاوية ابن حيدة رضي الله تعالى عنه قال قلت

يارسول الله ، ما حق زوجة أحدنا عليه ؟« قال : أن تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت» » رواه ابـو داود قـال تعـالى :

« **وعاشروهن بالمعروف** » سورة النساء / ١٩ وقال تعالى : «**ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن** » سورة الطلاق آية / ٦ وقال (صلى الله عليه وسلم « استوصوا بالنساء خيرا .. »

متفق عليه « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » رواه الترمذي وأخـرى الى الزوجـة تنـادي بهـا الارشادات « **لو كنت آمرا احدا ان يسجد لأحد لأمرت المرأة ان تسجد**

لزوجها » رواه الترمذي . « لا يحل لامرأة ان تصوم وزوجها شاهد الا بإذنه ولا تأذن في بيته الا بإذنه » رواه البخاري »

وثالثة الى الأبناء تلزم القيام بهذا التوجيه : « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا** » آية / ٣٦ سورة النساء « **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا** » سورة الإسراء آية / ٢٣ . ٢٤

عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما أن أباه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « إني نحلت هذا غلاما كان لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ فقال لا قال اتقوا الله واعدلوا في أولادكم ، فرجع أبي فرد تلك الصدقة » متفق عليه

وإذا كان الأطباء الماهرون ينصحون بعد ان عيل صبرهم في العلاج ـ بالبتر ، حفاظا على السليم من الأعضاء ، فإن الاسلام في حصافته الإصلاحية يبيح ذلك البتر ، درءاً لخطر أفدح ، وإتاحة لفرصة أنسب في جو آخر وحياة أخرى ، فتأتي إباحة الطلاق ، وهو أبغض الحلال الى الله سبحانه وتعالى .

وهكذا نجد الاسلام الحنيف الحصيف يعطينا لبنة حية متينة،هي الفرد المسلم المستقيم ، ولنا أن نسميه الانسان المثالي ؛ أو المواطن الصالح ، فهو اللبنة الصالحة ، وإن تعددت الأسماء والنعوت ، ثم يعطينا من هذه اللبنات جدارا قويا هو الأسرة بما يشيع في جنباتها من ودٍّ داعم للأواصر وتقدير مؤلف للقلوب

ثم ينتقل بنا إلى الدائرة الأرحب ، والأخصب ، وهى دائرة المجتمع المنشود ، فنجد أنفسنا مستطيعين بناءه بسهولة فمعنا الجدر السليمة المتينة ، وهي الأسرة الصالحة ،

ولكنه لا يتركنا أثناء البناء دون توجيه سديد ، وإرشاد حكيم ، إذ قد يحدث من الاحتكاك تصادم مقوض ، أو ارتطام هادم ، فالمعاملات ينشأ عنها بداهة نزاع وشقاق ، وهما يسلمان الى تطاير الحب من القلوب ، وإذابة الألفة من النفوس ، ومن ثم نجد الاسلام ينظر الى كل المنافذ التي يطل منها هذا النزاع ، ويوصدها إيصاداً لا تجد معه تلك النوافذ مجالا لانفتاح مهما هبت الأعاصير وأشتدت العواصف

وإذا كان مجال التعامل الذي يتوقع أن تنفتح منه منافذ الخلاف هو مجال الاحتكاك المالي فإن الاسلام يسرع اليه ، ليحكم رتاج النزاع فيه بوصاياه المتتابعة فإقراض المضطر أمر محبب الى الله تعالى « **واقرضوا الله قرضا حسنا** » سورة المزمل آية ٢٠ والربا الذي يمحق المروءة ، ويتنافي مع الشهامة الانسانية ـ

جريمة كبرى ، وإثم عظيم « **يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله** » سورة البقرة آية / ٢٧٨ - ١٨٩ « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله ، وكاتبه ، وشاهديه ، وقال هم سواء » والغش الذي ينكت في القلوب نكتا سوداء من الحقد والكراهية يخرج المسلم من زمرة المسلمين « من غشنا فليس منا » والكزازة والشح مزريان بالمسلم الأريحى الكريم « **ومن يُوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون** » سورة الحشر آية / ٩ «من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له » رواه مسلم .

والديون ينبغي ان توثق بالكتابة والشهود مهما كانت صغيرة ، سداً

لمنافذ الخلاف والشقاق « **يأ ايها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل** » سورة البقرة آية / ٢٨٢ والوفاء بالعهود الذي يغرس

التواد والتآلف . مأمور به « **وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا** » سورة الإسراء / ٣٤ والغيظ الذي يحرق القلب بسبب ضياع حق لكتمان شهادة - ينطفىء لظاه بهذا التوجيه .

« **ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم** » سورة البقرة آية / ٢٨٣ والرغبة في الانتقام التي توري نار العداوة والبغضاء مقضي عليها بهذا الإرشاد « **والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين** » سورة آل عمران / ١٣٤ « حتى التحية عند اللقاء التي تزكي الحب وتنميه هي من أهداف الاسلام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف »

بعد هذا نجد البيت سليما رائعا والبناء سامقا مهيبا . نجد المجتمع المثالي الفريد الذي يشعر فيه الناس بالراحة النفسية التي تؤهلهم للفراغ لعبادة الخالق العظيم سبحانه وتعالى :

« **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** » سورة الذاريات آية / ٥٦

خطر الهزيمة في عالم الأفكار

للاستاذ / محمد الصالح عزيز

كان ظهور الاسلام مصدر رعب وفزع لأعداء الانسانية في كل زمان ومكان ، لأنه حرب على الباطل والبغي والفساد بما فيه من حق واضح ومن منهج قويم ومن نظام سليم ، لذلك لم يتوقف العداء له منذ أيامه الأولى وتنوعت وسائل هذا العداء وأدواته في محاولات متكررة لطمس منارة الحق ولرد المسلمين الصادقين عن دينهم ، وسيستمر هذا العداء للاسلام الى أن يرث الله الأرض ومن عليها « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » (البقرة / آية ٢١٧).

ولعل الميدان الفكري والثقافي كان المجال الرحب الذي وجد فيه الأعداء ضالتهم لضرب عقيدة المسلمين في الصميم ليردوهم ـ من أقصى حالات اليقظة ـ الى مواقع الدفاع ، ويمسكون هم بزمام المبادرة يوجهون المعركة الوجهة التي يريدونها ويتحكمون بصناعة الاهتمامات علينا لإبقائنا حالتنا لا نستطيع تجاوزها وبدأت حصوننا الفكرية، التي ظلت لزمن طويل تتحطم عليها محاولات الأعداء لاختراقها، تنهار الواحدة تلو الأخرى في زمن توفر فيه لدى المسلمين القابلية للتخلف والانحطاط، ونجح الأعداء الذين لم ييأسوا في التفتيش عن المواقع الضعيفة للتسلل منها ، فأحدثوا شروخا كبيرة في فكرنا الاسلامي وقلاعه الحصينة ، وفي فرض حرب حضارية قوامها الاستنزاف المستمر للطاقات الفكرية والاستهلاك الدائم للنشاطات الذهنية لمجموع الأمة.

ومع وقع الضربات والاحساس بخطر الذوبان وضياع الذات ، أفاق المسلمون لينفضوا عنهم غبار الغفلة وينتزعوا الاعتراف بهم وبوجودهم الثقافي وهويتهم المتميزة .. وقد كان من الممكن ان تؤتي هده الاستفاقة ثمارها لو أنها تمت في الظروف الطبيعية، لكن ما تم كان غير ذلك، فقد كان للغزو العسكري الذي اجتاح البلاد الاسلامية وللقوة المادية التي أحرزها الغرب ، التأثير الكبير في تحديد حجم هذه الاستفاقة ورسم الطريق التي يجب أن تسير فيها فلا تتعداها وكان لهما ايضا (الغزو العسكري . والقوة المادية) الأثر الكبير في إحباط الشعور بالتفوق الذي كان يملأ قلوب المسلمين فوقفوا مبهورين ، متراجعين الى مواقع الدفاع لحماية ما تبقى من مكتسباتهم الحضارية متناسين ان الفكر الدفاعي هو نوع من أنواع الهزيمة ، لا يقدر على أن يبلغ بالأمة مرحلة الرشد ومرحلة التحكم في طاقاتها لبناء خطة المستقبل .. وكثرت التآليف في هذا الباب حتى ملأت رفوف المكتبة الاسلامية ، لكنها لم تزد على أن عمقت فينا الاحساس بالألم والاحساس بالعجز عن مواجهة هذه الهجمة الغربية الشرسة على ثقافتنا وعلى عقيدتنا وفكرنا .. ذلك أن ما كتب الى الآن - سوى بعض الاستثناءات التي لا تكاد تذكر ـ لم يكن سوى ردود أفعال لا تستطيع الصمود أمام ضراوة المعركة التي يقودها أعداؤنا بذكاء وقد أدركوا ان الهجوم خير وسيلة للدفاع ، فراحوا يرموننا في كل مرة بجملة من المشاكل حتى اذا أوشكنا على التفرغ من جلها قذفونا بغيرها لنصرف الجهود الى معالجتها والتفرغ لها وكلما حاولنا الانتصار في موقع فتحوا علينا معركة في موقع آخر ليصرفونا اليه .. وتلك

حال الذي اختار الموقع الدفاعي ساحة لعملياته،وقد تجلت نتيجة هذا التراجع الى الموقع الدفاعي في مظاهر خطيرة لعل من أهمها :

١ ـ تجزئة الاسلام :

عمد الخصوم الى تسديد سهامهم الى الاسلام جزءاجزءا«فيأخذون هذا الجزء منفردا أو وحده ، ثم يعمدون الى نقده وتجريحه ، خصوصا حين يحاكمونه على أساس منظور آخر يقوم على منطق غير منطق الاسلام أو حين يتم تصور فعل ذلك الجزء ضمن كل آخر غير الكل الاسلامي ، وبهذا يستطيع أصحاب المستوى الأول أن يسجلوا نصرا سهلا ، ويضعوا المدافع عن الاسلام في مواقع ضعيفة وهو يدافع عن ذلك الجزء خصوصا حين يجر الى مناقشته كجزء قائم بذاته معزولا عن كله الاسلامي » ومن المؤسف أن رجال الاسلام وقعوا في الفخ الذي نصب لهم وانبروا يجزئون الاسلام كما أراد لهم الخصوم غير مدركين « أن كل جزء من هذه الأجزاء اذا نوقش على حدة خارج الاطار الاسلامي الكلي يفقد كثيرا من معناه ولا يصبح جزءا منطقيا أو صحيحا » متناسين « أن كل جزء من هذه الصورة للحياة الاسلامية مرتبط بسائر أجزائها ولا يستطيع ان يعمل عملا أو يأتي بشيء من النفع الا معها ، ولا يصح ان نحاول في محاسنه ومنافعه رأسا الا اذا وجدناه يعمل في تناسب النظام الاسلامي الشامل » ، فظهرت بذلك كتب تحاول الدفاع عن موقف الشريعة من تعدد الزوجات كموضوع قائم بذاته دون وضعه ضمن الاطار الاسلامي ككل، فجاءت الصورة بشعة ظالمة للشريعة السمحة في حين أراد أصحابها غير ذلك،وظهرت كتب تحاول الدفاع عن موقف الاسلام من حق الملكية الفردية هكذا منزوعا من الكل الاسلامي فكان ما بين أيدينا رأسمالية لا اسلاما ، وهكذا في جوانب أخرى من الشريعة السمحة اجتهد الأعداء في تجزئتها وطرحها كمواضيع قائمة بذاتها يستدرجون المسلمين الى مناقشتها دون وضعها ضمن الاطار الاسلامي العام .

٢ ـ اعتماد منهج الأعداء لفهم الاسلام والدفاع عنه :

إن من أخطر أنواع التخلف أن يفقد المرء هويته ويفقد ثقته في مكتسباته الفكرية والثقافية والحضارية ككل ، فيعمد شأن المغلوب في كل عصر الى تقليد الغالب ورؤية الأشياء والأحداث بمنظاره ـ أي الغالب ـ وقد نجح الاستعمار الغربي بوسائله التربوية المتعددة في ترسيخ هذه الظاهرة ، وخرج عليها أجيالا تدافع عن الاسلام ، ولا تدري أنها تحمل في ذاتها قابلية التخلف وقابلية الاستعمار الدائم .. فحين انبرى المفكرون الاسلاميون ـ باستثناء بعضهم ـ للدفاع عن الاسلام ضد هجمات الخصوم تبنوا منهجهم لرؤية الأشياء وتحليلها والرد عليها وما دروا أن المنهج هو وليد الفلسفة والعقيدة

ووليد مجتمعه وحضارته التي نشأ فيها ، غير مدركين أننا لا نستطيع أن نفهم الحضارة الاسلامية ونرد عنها هجمات الأعداء ونحن نسحب عليها النمط الغربي في التفكير أو المنهج الغربي للنقد .. فكان نتيجة لذلك أن حرفت مفاهيم كثيرة في الدين خدمت الأعداء بدون ارادة منا ..

واذا بالجهاد الذي يعد ضرورة للدعوة التي تعلن تحرير الانسان إعلانا جادا ووسيلة الى الاطاحة بالطواغيت أينما كانوا ، والدفاع عن المستضعفين لاقامة دولة الحق والعدل والحرية ، يتحول ـ الجهاد ـ عند بعض مفكرينا الاسلاميين « وهم مهزومون روحيا وعقليا تحت ضغط الواقع البائس لذراري المسلمين الذين لم يبق لهم من الاسلام الا العنوان » الى مجرد حرب دفاعية عن رقعة محدودة من الأرض يسمونها « الوطن » وهم « يحسبون أنهم يسدون الى الاسلام جميلا بتخليه عن منهجه ، وهو إزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعا ، وتعبيد الناس لله وحده وإخراجهم من العبودية للعباد الى العبودية لرب العباد لا بقهرهم على اعتناق عقيدته ولكن بالتخلية بينهم وبين هذه العقيدة بعد تحطيم السياسة الحاكمة أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة تعتنقها أو لاتعتنقها بكامل حريتها » متناسين أن قيام دولة الحق والعدل وانتزاع السلطان من أيدي الطواغيت ورده الى الله وحده وسيادة الشريعة الالهية وحدها والغاء القوانين البشرية كل ذلك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان بل لا بد مع البيان من قوة السيف واذا بالمساواة بين الرجل والمرأة التي جعلها الله أساس استخلافهما في الأرض تتحول عند بعض مفكرينا الاسلاميين الى « ضرورة القضاء على التصورات الانفعالية للمجتمع بجواز الاختلاط الدائم وملاصقة الرجال بدعوى المشاركة في بناء المجتمع وغير ذلك من فتاوي التميع والانحلال » .. وهكذا الأمر مع كثير من الأمور التي انحرفت مفاهيمها على أيدي المهزومين أمام ضغط الواقع وأمام ضغط التبعية الغربية وهم يعتمدون منهج الأعداء في فهم الاسلام للدفاع عنه كما يزعمون .

٣ - توحيد الكلمة لمواجهة مخططات الأعداء:لئن اختلف علماؤنا الاماجد والاختلاف في الرأي حق مشروع اراده الله للانسان حتى يمكنه من أن يقوم بمهمة الاستخلاف على الوجه الأكمل ـ فإن اختلافهم كان ايجابيا الى أبعد الحدود، ذلك أنهم لم يختلفوا إلا في مهمات القضايا التي تحدد مصير الأمة ومستقبلها ولم يمنعهم اختلافهم من التصدي لمحاولات الأعداء الذين حاولوا اختراق الحصون الفكرية للأمة .. ولم يكن هذا التصدي بالتراجع الى مواقع الدفاع ولكنه برد الصاع صاعين وبإحداث شروخ عظيمة في البنية الفكرية للأعداء استوجب إصلاحها قرونا طويلة » لكننا حين تراجعنا الى

موقع الدفاع حولنا سهامنا الى أجسامنا لنزيد في اهترائها وجندنا أقلامنا للكشف عن عوراتنا وللبحث عن عيوب بعضنا لا لاصلاحها بل للتشهير بها، بينما وقف الأعداء يؤججون نار هذه الاختلافات ليحولوها الى خلافات لن تنتهي حتى تأتي على ما تبقى من مقومات بقائنا، وتحول الحوار الذي جعل ليكون عونا على حل المعضلات الحضارية الى نوع من السباب والشتائم والى نوع من الحوار بين الصم ، ضاعت معه أبسط الآداب الاسلامية، وتحولت الجهود التي كان الأولى أن تبذل في البناء لتضيع في محاولات الاصلاح بين زعماء الفرق الاسلامية المتعددة .

هذه بعض نتائج التراجع الى المواقع الدفاعية، ليس من سبيل الى تجاوزها الا باتخاذ جملة من الأسباب نذكر منها :

١ ـ أن نثق في أنفسنا الثقة الكاملة فنعلم ان ما عندنا هو الحق وان ما عند أعدائنا هو الباطل بشهادة الحق تبارك وتعالى : (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) البقرة/ ١٤٣ ولا تخيفنا التهم التي يروجها الأعداء ضدنا وضد اسلامنا فنقابلها بنفس الروح التي تقبلتها بها القلة المؤمنة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تواجه مكر اليهود الذين جمعوا كل قواهم للدس على الاسلام وتشويهه بدعاياتهم الكاذبة وتشكيك المسلمين في دينهم، فأثاروا مرة قضية التوجه الى بيت المقدس في الصلاة وهي قبلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى واتخذوها ذريعة للاستكبار عند الدخول في الاسلام واطلقوا ألسنتهم بالقول بأن اتجاه محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه الى بيت المقدس قبلتهم في الصلاة دليل على أن دينهم هو الدين وقبلتهم هي القبلة، وانهم هم الأصل فأولى بمحمد ومن معه أن يفيئوا الى دينهم فعظم الأمر على المسلمين من العرب حتى اذا نزلت الآيات تدعوهم ـ المسلمين ـ الى التوجه الى بيت الله الحرام انطلقت أبواق اليهود ثانية تلقي في صفوف المسلمين أنواعا أخرى من بذور الشك والقلق في قيادتهم وفي أساس عقيدتهم، وزاد الأمر على المسلمين مشقة فنزل الوحي في اللحظة المناسبة ليرد على هؤلاء «السفهاء » ويلقن الرسول صلى الله عليه وسلم ما يواجههم به في عزة :

«**قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** » البقرة/ ١٤٢ ـ ١٤٣ الى قوله تعالى : (**وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون**) البقرة/ ١٤٤ .

وأثاروا مرة أخرى حادثة قتال وقعت في الشهر الحرام قامت بها خطأ سرية عبدالله بن جحش واغتنمها اليهود فرصة ليشهروا بالمسلمين ويؤججوا

بينهم نار الفتنة مظهرين محمدا وأصحابه بمظهر المعتدي الذي يدوس مقدسات العرب وينكر حتى مقدساته هو عند بروز المصلحة ووقع المسلمون في حرج كبير حتى نزلت الآيات الحاسمة تؤكد أن فتنة المسلمين عن دينهم وإخراجهم من ديارهم أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام (**يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير . وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)** البقرة/ ٢١٧ فاستبشر المسلمون خيرا

... ولم تعد مثل هذه الاشاعات والأضاليل تعمل عملها فيهم وقد رباهم القرآن الكريم على عدم الاستسلام للاشاعة الأولى وعلمهم المبادرة بالهجوم وفتح الثغرات في صفوف الأعداء وسار العلماء الأفاضل بهذه الروح واثقين من أنفسهم ، منطلقين من أرضية عقائدية تقوم على اعتبار الاسلام الحقيقة المطلقة الوحيدة المنزلة من عند الله والتي حافظت على نقاوتها من كل شوائب الحقيقة فعقدوا المجالس وناظروا اليهود والنصارى وغيرهم لا ليدفعوا الشبهة عن الاسلام ولكن ليكشفوا لهم ما في دياناتهم من زيف واختلاق وتناقض،وليدعوهم من ثم الى الحقيقة الخالصة « الاسلام » دين كل الأنبياء .. ونحن اليوم في أشد الحاجة الى أن نستعيد هذه الروح لنزيل عن أعيننا ضباب الانبهار بمنجزات الغرب ونضعها في إطارها الصحيح عندما نزنها بمقياس الاسلام القويم، عندها وعندها فقط سيتضح لنا أن الحضارة الأوروبية كانت وبالا على الانسانية بما سببته من دمار وتخريب للنفس البشرية،وأن ما يسمى نهضة وتنويرا في أوروبا لا يعدو أن يكون ردة وانحطاطه ولا يعدو أن يكون عصر الظلمات والاستبداد والطاغوت وعصر ارتكاب كل أشكال الموبقات لا على مستوى بعض هذه البلدان أو تلك،وانما على مستوى قارات بأكملها ومستوى شعوب بأسرهاء وعصر تكريس ،لاستعمار العالم واستعباده والقضاء على المقومات الاستقلالية والانسانية لدى غالبية الشعوب، وعندها فقط يمكننا أن ندعو الناس الى الدخول في السلم كافة .

٢ ـ أن نجعل بين شبابنا وبين الثقافة الغربية سدودا فلا يدرسون المناهج والفلسفات الغربية من مصادرها،بل من خلال الرؤية النقدية الاسلامية ذلك أن امكانية النقد لا تتم من طرف كل الناس وانما من طرف الراسخين في العلوم الشرعية وفي العلوم الحديثة. هؤلاء يمكنهم أن يصارعوا الغرب ومناهجه وعلومه وهم آمنون من أن يستقطبوا أو أن ينصهروا في بوتقته لأنهم يتعاملون معه من موقع المدرك للصعوبات التي يعيشها هذا الغرب والصعوبات التي قاد اليها البشرية، ويتعاملون معه من موقع المعتز بمنهاجه الاسلامي وفلسفته وقيمه ..

ولعل ذلك لن يتم لشبابنا ما لم يتجذر في دينه وفي حضارته وفي علومه الشرعية .

٣ ـ لا بد من التأكيد على أننا لا نستطيع ان نفعل شيئا ولا أن نواجه أعداءنا ونحن أشلاء تحكمنا روح الفردية التي تعزز دورها في نفوس المسلمين « وأن الشمول والجماعة هما طريق الانتصار والتقدم ، والجزئية والتفتت هما درب الهزيمة،وهذا قانون عام لأن أي معركة تصاب بالتدهور والانحطاط الأيديولوجي بمجرد ما تحتل فيها وحدات كفاح جزئية مكان وحدة الكفاح الشاملة،وبمجرد ما يحدث هذا الانحطاط أو الهبوط في المستوى الروحي فان القوى المكافحة تتبدد » فنحن مدعوون حتى نعود الى موقع الهجوم الى أن نسعى الى الوحدة ونعمل على تأليف القلوب لأن في الوحدة قوة تساعد على ممارسة الدور الاسلامي من أجل الخير العام الشامل، ولأن الوحدة هي أساس الشعور بالقوة وبالتفوق وهي أساس الثقة بالنفس : (**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**) الأنفال/٤٦ اذا تحقق لنا ذلك أمكننا أن نقضي على مرض الأحادية في تفكيرنا وعلى خطر التجزئة الذي أصاب رؤيتنا في تحليل الأحداث وأمكننا أن نسد أضخم ثغرة استطاع التخلف ان ينفذ منها الى وطننا ويظلل على كل جوانب حياتنا وأمكننا أن نعيد لمبدأ الشمولية قيمته باعتباره أهم عامل من عوامل البناء الحضاري .

وهكذا إذا اعتبرنا أن الأفكار السامية تكون مقومات لمجتمع سام ، فإن هزيمتنا الحضارية مردها « الى عدم إعطاء الأفكار دورها ، الأفكار النابعة من الاسلام التي من المفترض ان تأخذ دورها كقوة سياسية تنظم وتوجه قوى التاريخ كلها وتعصمها بذلك من محاولات الاحباط مهما كان نوعها ،وأن انتصارنا على أعدائنا مرهون بتحقيق الانتصار في الصراع الفكري أولا ، بحيث اذا تم ذلك يكون الأمر الطبيعي ان ينتج الانتصار السياسي والاقتصادي في كل المجالات. فلنحذر من الهزيمة في عالم الأفكار .

الوراثة

للدكتور / محمد محمود متولي

الأصول الصالحة يتفرع منها فـروع تشبهها ، ذلـك أن العـرق دساس ، والولد سر أبيه ، وقد روى العلماء أن أم الامام البخارى كانت أما صالحة ورث عنها الكثير ، وكذلك كانت أم الامام الزمخشرى المفسر الجليل ، وأم الامام الشافعي وأم الامام أبي حنيفة ، وأم ابراهيم بن أدهم التي تمنعت عن نكاح أبناء الملوك ثم تزوجت أدهم والد الرجل الصالح ابراهيم بن أدهم لما رأت فيه من ورع وترفع عن أكل ما لا يعرف مصدره ، ومن أروع الأمثلة في وراثة الشمائل والمناقب ما قيل عما ورثه عمر ابن عبد العزيز عن جدته لأمه وجده لأمه ، وقد روى المؤرخون أن « أمه هي ليلى أم عاصم بنت عاصم بن عمر ابن الخطاب ، فعمر بن عبد العزيز اذاً هو سليل الفاروق عمر بن الخطاب من جهة أمه ، وقد ورث عنه كثيرا من شمائله الشماء ، ومناقبه الغراء من إيثـار للحق ، ومناصـرة للعـدل ، وغيرهما من الصفـات الكريمـة ..

وجدة عمر بن عبد العزيز لأمه هي ابنة بائعة اللبن ، التي ذكروا عنها : ان عمر بن الخطاب خرج ذات ليلة يعس بالمدينة ، حتى أعيا واتكأ على جانب جدار ، فإذا امرأة تقول لابنتها ، يابنتاه قومي الى ذلك اللبن ، فامذقيه بالماء ، فقالت لها : يا أماه أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم ؟ فقالت : وما كانت عزمته يابنية ؟ قالت إنه أمر مناديا فنادى ألا يشاب اللبن بالماء .

فقالت لها يابنتاه ، قد مذق الناس فامذقي ، وانك بموضع لا يراك عمر ولا منادي عمر وما يدريه ؟ فقالت الصبية : ان كان عمر لا يعلم فإله عمر يعلم ، والله ما كنت لأطيعه في الملا وأعصيه في الخلا ، وعمر يسمع كل ذلك وكان معه رجل يسمى اسلم .

فقال : يا أسلم علِّم الباب ، واعرف الموضع ، ومضى في عسسه ، فلما اصبح قال : يا أسلم امض الى ذلك

الموضع ، فانظر أمرهما ، فنظر فإذا الجارية أيمّ ، وإذا تلك أمها ، وليس لهما رجل وهما من بنى هلال ، فأخبر عمر بخبرهما فدعا ابنه عاصما ، فزوجه الجارية ، فولدت له أم عاصم ، فتزوجها عبد العزيز بن مروان ، فأتت بعمر بن عبد العزيز .

وأفضل ما يورثه الوالد لولده خلق حسن ، وذلك أمر يعـرفه العلمـاء والمربون في الشرق والغرب وقد شغلت تنشئة الصغار في اوساط حسنة بال علماء الاجتماع والنفس والتربية لأن استقامة الوالدين أكبر وازع للطفل على الأخذ منهما بنصيب،يقول كريسى موريسون :

« إن الوالدين قد يمنحان طفلهما معبدا طبيعيا ، ليعيش فيه ، أو قد يهبانه مباءة لا تصلح مكانا لنفس خالدة ، ان الأبوة والأمومة اعظم تبعة تقع على عاتق الانسان » .

والحقيقة أن خصائص النـاس النفسيـة والخلقيـة كخصـائصهم الجسمية لها ما يحكمها من قوانين وهي منظمة لأنها جزء من مشيئة الله تعالى الذي قضى بأن يكون البيت الطيب ذا ثمر طيب في اغلب الأحيان وقد كان صلى الله عليه وسلم يفتخر بأنه ابن العواتك من قريش ، والعواتك جمع عاتكـة وهى المرأة الشـريفة العفيفة ، ونسبه خير أنساب الأرض قاطبة ، ولهذا جاء أشرف أهل الأرض أجمعين .

وللوراثة في المجال العلمي قواعـد وقوانين حاكمة حسبما قسم الله للولد من ميراث الآباء والأجـداد رجالا ونساء على السواء دون محاباة .. ذلك أن الوراثة هي التي تصوغ الواحد منا في تكوينه وبنيانه ، بل ربما خلقه ومزاجه ايضا .

ومن أشهر الكاتبين في هذا المجال « مندل » ذلك الراهب الذي امضى عشر سنوات من عمره يجرى تجارب في حديقة ديره ليعرف شيئا عن طريق انتقال الصفات الموروثة في مجـال النبات خاصة عن طريق المشاهدة والاحصاء ، والتهجين واستخلاص النتـائج وتحليلهـا ريـاضيـا حتى اكتشف قوانين الوراثة .

وفي السنـة المشّرفـة أحـاديث صحيحة تؤكد ان الولد يشبه من وجوه كثيرة أصوله منها ماروى الترمذى وابن حبان من حديث انس لم يكن احد اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي .

وقد ورد ما يؤكد بصورة اصرح ان الأصول القريبة او البعيدة تشبهها فروعها .

« روى ابو هريرة رضى الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « يارسول الله ولد لي غلام اسود فقال « هل لك من إبل ؟ » قال نعم قال « ما ألوانها » قال حمر . قال هل فيها من اورق ؟ قال نعم قال فأنى ذلك ؟ قال : لعله نزعه عرق .

قال « فلعل ابنك هذا نزعه » متفق عليه» وقد فهم الرسول من الرجل تعريضه بنفي نسب ابنه فأفهمه

حقيقة عظيمة وهي ان الفرع يشبه اصله ولو مضت اجيال بينهما .

وروى ابن عباس رضى الله عنهما انه ذكر التلاعن عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال عاصم بن عدي في ذلك قولا ثم انصرف فأتاه رجل من قومه يشكو اليه ، انه قد وجد مع امرأته رجلا ، فقال عاصم ما ابتليت بهذا إلا لقولي ، فذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بالذى وجد عليه امرأته ، وكان ذلك الرجل مصفرا قليل اللحم ، سبط الشعر وكان الذي ادعى عليه انه وجد عند أهله خدلا ، آدم ، كثير اللحم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم بين » فجاءت شبيها بالرجل الذي ذكر زوجها أنه وجده فلاعن النبي صلى الله عليه وسلم بينهما .

قال رجل لابن عباس ، في المجلس : هي التي قال النبي صلى الله عليه وسلم لو رجمت احدا بغير بينة رجمت هذه ؟ فقال « لا،تلك امرأة كانت تظهر في الاسلام السوء » . متفق عليه .

وقد وردت أحاديث مصرح فيها بأثر الوراثة والبيئة منها حديث عائشة رضى الله عنها قالت « اختصم سعد بن ابي وقاص وعبد بن زمعة في غلام فقال سعد هذا يارسول الله ابن اخى عتبة ابن أبي وقاص عهد الى أنه ابنه انظر الى شبهه .

وقال عبد بن زمعة : هذا أخي يارسول الله ، ولد على فراش أبي من وليدته .

« فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شبهه فرأى شبها بينا بعتبة ، فقال هو لك ياعبد ، الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، واحتجبى منه ياسودة بنت زمعة ، فلم تره سودة قط » . متفق عليه

وقد علق الامام ابن القيم على هذا الحديث بقوله « فهذا الحديث اصل في ثبوت النسب بالفراش وفي أن الأمة تكون فراشا بالوطء وفي أن الشبه إذا عارض الفراش قدم عليه الفراش وفي أن احكام النسب تتبعض وفي ان القافة حق وأنها من الشرع .

زواج الأقارب

من المطالب التي تتعلق بالمحافظة على النسل التزاوج بين الغرباء والتباعد عن زواج الأقربين خاصة ذوي القرابة القريبة ، وكلما ازدادت القربى ازدادت فرصة ضعف النسل ولذا رأينا كثيرا من علماء الاسلام يحذرون من نكاح القرابة القريبة . وقد قال الامام الغزالي فيما ينبغي مراعاته في الزوجة .

ألا تكون من القرابة القريبة فإن ذلك يقلل الشهوة لأنها إنما تنبعث بقوة الأحساس بالنظر واللمس ، وإنما يقوى الاحساس بالأمر الغريب الجديد ، فأما المعهود الذي دام النظر اليه مدة فانه يضعف الحس عن تمام ادراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة .

واذا قيل « ان زواج الغريبة يمنع الأمراض الوراثية ويؤدي الى اكتساب صفات جديدة تؤدي الى تحسين

النسل وفق قانون « مندل » القائل إن المولود يرث من ابويه الصفات الظاهرة كاللون والطول وقوة الجسم والذكاء والرحمة .. الخ .

قلت وهو الاعتبار الثاني اذا فرض ان القرابات كانت سليمة الأجسام والعقول والأخلاق فهل يعدل عنها الى الغريبات ، ونحن رأينا خلال المشاهدة في البلاد التي لا يتجاوز فيها الشاب في النكاح ابنة العم وابنة الخال ان الأمر ليس على اطلاقه . وأنه اذا كانت صحة الأقرباء قوية وعقولهم ذكية فإن الأقرباء ينتجون نسلا قويا ذكيا ونجد ميل الرجل للمرأة وميل المرأة اليه لا يفتر الا في المتؤاخين المتربين في بيت واحد من أبناء العمومة .

ومن الممكن تلافي هذا بما هو متجه اليه الآن من النزعة الاستقلالية لدى ابناء الأب الواحد الذين اصبحوا يستنكفون ان يعيشوا معا في بيت واحد ومن الممكن ان يكون النصح

بالأغراب في الزواج حين يكون مرض معين يرجح مجيء النسل مريضا ، او يزهد الرجل في اشتهاء المرأة وقد كان العرب يتجاوزون بنت العم مخافة ضعف السليل وفي ذلك يقول القائل :

تجاوزت بنت العم وهى حبيبة
مخافة ان يضوى على سليلى

ومن المعلوم ان الآفات الخطيرة قليلة ومحدودة الانتشار ولا تشتد ضراوة إلا في القبائل المعزولة المغلقة والمنطوية على نفسها ، فأما الشعوب المتحضرة المنفتحة فإنها تأخذ من غيرها صفات وتعطيه صفات .

يقول احد العلماء المعنيين بدراسة الوراثة :

« لا يفتأ العلماء يحذرون من زواج ابناء وبنات الأعمام والأخوال .. وليس زواج الاقارب على اطلاقه محظورا وانما يكون هذا عند التأكد من وجود صفات وراثية غير مرغوب فيها بينهم اذ ان زواج الأقارب يعمل على ظهورها ، حتى وان كانت منتحية ولكن زواج الاقارب الأدنين قد يكون على العكس من ذلك حافظا لبعض الصفات الممتازة اومبرزا ومقويا لها .

ولانتقال الصفات عن طريق الوراثة نسب محددة فإذا وجدت صفة منتحية في شخص ما بأسرة معينة ، فإن احتمال وجودها بابن عمه هو ١:٨ ، وتكون موجودة بابن عمه من

الدرجة الثانية ـ الأبوان ابنا عم بنسبة ١:٣٢ وبابن عمه من الدرجة الثالثة . الجدان ابنا عم بنسبة ١:١٢٨ وهذه النسبة تزيد اذا كان المرض نادرا .

وقد ورد تعبير الصفة المنتحية او الموروث المنتحي ومعناه كما ورد في قوانين (مندل) ان أحد العاملين يحجب العامل الآخر ، اذا اجتمع معه ، ويبطل عمله ، وسمى مندل اقوى الاثنين العامل السائد ، والعامل الذي بطل عمله وحجب عاملا منتحيا .

افعل الخير وجاهد!

للاستاذ / أحمد حسن القضاة

يا أيها الداعي إلى درب الفضيلة في النوائب !
واظب على صنع الجميل وإن تجشّمت المتاعب
وتحلَّ بالصبر الطويل ولا تكن لليأس صاحب !
فالصبر في نصح الصديق فضيلة ، أحلى المناقب !
والصبر ذلٌّ إن صبرت على العدوِّ ولم تحارب
ومصيبة - لا تنتهي أخطارها - ضمن المصائب
لا ترج من بشر ثوابا ، إن من يرجو لخائب !
فالله في يده الخلائق قد يكافئ أو يعاقب

***

وإذا رأيت الشر يسري مثلما سُمُّ العقارب
ورأيت من خطل الأمور صلاح قومك والأقارب
لا يقعدن بك الفساد وتلق أسلحة (المحارب) !
فالناس قد فطروا الهدى لولا شياطين تحارب
والناس يصلحهم زعيم يحتوي جل المطالب
والناس ينقذهم (طبيب) عارف بالداء صائب

***

فلم التقاعس والهوان ينوشنا من كل جانب ؟
ولم التردد والعدو شروره تعلو السحائب ؟
باتت جحافله توعد بالقنابل والقواضب
إن التقدم للجهاد ينيلنا أسمى المراتب !

خصائص الفقه الإسلامي

للدكتور/ محمد الدسوقي

إذا كان لبعض الأمم تراث فكري وحضاري تعتز به وتفخر فإن الأمة الاسلامية خليقة بأن تعتز كل الاعتزاز بتراثها الفقهي المجيد ، الذي يعد بحق ثروة علمية فريدة في تاريخ البشرية ، فقد تميز هذا التراث بالانسانية والموضوعية ، والاستيعاب والمرونة ، والنظريات القانونية الدقيقة ، ومراعاة المصلحة العامة والخاصة في عدل وانصاف .

وللفقه الاسلامي فضلا عما أومأت إليه آنفا عدة خصائص تحدده وتميزه عن غيره من العلوم الاسلامية ، وإن كانت هناك بعض السمات والدعائم التي تعد قاسما مشتركا بين كل هذه العلوم ، كما أن هذه الخصائص تميز ذلك الفقه عن سواه من ضروب القوانين والتشريعات الوضعية .

على ان خصائص الفقه الاسلامي ترجع كلها إلى خصيصة واحدة ، وهي المصدر الإلهي ، فالفقه بهذا المصدر توافرت له كل الخصائص التي أفاض العلماء في الحديث عنها قديما وحديثا .

إن قيام الفقه الاسلامي على الوحي الإلهي قرآنا أو سنة وما استمد منهما من قواعد وطرق

للاجتهاد جعل الامتثال والخضوع لأحكامه رغبة واختبارا لا قهرا واجبارا كما هو الشأن في القوانين الوضعية .

إن اجتهادات الفقهاء وإن كانت فهما للنصوص المقدسة وما إليها تحكمها ضوابط خاصة مستمدة من قواعد الشريعة ومبادئها ، ومن ثم تصبح الأحكام الفقهية لدي المسلم جزءا من الشريعة ، كما يصبح تطبيق هذه الأحكام تطبيقا للشريعة ذاتها .

فأول خصائص الفقه الاسلامي إذن قيامه على المصدر الإلهي ، وما يترتب على هذا من احترام لأحكامه ، وحرص على الالتزام بها بنفس راضية مطمئنة ، تؤمن بأن في هذه الأحكام سعادتها في الدنيا والآخرة ، ولا جدال في أن الفقه بهذا المصدر لا يلتقي مع ما عرفته البشرية في الماضي والحاضر من تشريعات وقوانين ، وتظل له صبغته الدينية التي ينفرد بها ، وذلك للتفاوت الجذري بينه وبينها في الاساس والغايات ، وليست الدراسات المقارنة المعاصرة بين الفقه والقانون إلا رد فعل لسطوة فرض القوانين الوضعية في المجتمع الاسلامي في ظل الاحتلال أولا ، ثم على أيدي من رباهم الاحتلال على ثقافته ثانيا ، وحال بينهم وبين ان يعرفوا شيئا ذا بال عن دينهم وشريعته ، بحيث اصبحوا أكثر تحمسا ودفاعا عن ثقافة المحتل من المحتل نفسه ، حتى نصل عن طريق تلك الدراسات إلى ما يطمع فيه كل مسلم ، وهو أن يحكم هذا المجتمع بالتشريع الذي جاء صالحا للتطبيق الدائم إلى أن يرث الله الارض ومن عليها .

وأما **الخصيصة الثانية** فهي التمهيد لأحكام الفقه بما يهيىء النفوس للاعتصام بها ، فكل الفقهاء في اجتهاداتهم لا يصدرون إلا عن كتاب الله وسنة رسوله نصا وروحا ، وهذا الوحي الإلهي الذي هو عماد البحث الفقهي قرر التشريعات بعد ان مهد لها بما يحبب فيها ، ويحض على ادائها في صدق وإخلاص وإحسان .

وهذا التمهيد كان يأخذ احيانا مظهر التدرج في التشريع ، أو يأخذ مظهر الجمع بين الترغيب والترهيب ، أو بيان أن للحكم جزاء في الدنيا والآخرة فالخمر مثلا كانت العرب في الجاهلية تدمن تعاطيها ، فقد تغلغلت في النفوس واستولى حبها على القلوب ، ولذا لم يكن يسيرا عليهم ان يتخلوا عن شربها مرة واحدة ، ومن ثم سلك القرآن في تحريم الخمر منهج التدرج الذي انتقل بهم من مرحلة إلى مرحلة حتى تطلعوا للحكم الحاسم الذي ينقذهم من شرب الخمر وبلائها ، فقد بين القرآن أولا أن من ثمرات النخيل والأعناب منه ما يتخذ سكرا ، ومنه ما يتخذ رزقا حسنا ، وفي هذا تلميح إلى أن الخمر وهي السكر ليست رزقا حسنا وليست امرا طيبا ولا محمودا .

ثم كانت المرحلة **الثانية** إجابة عن سؤال وجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخمر وغيرها من المنكرات التي كانت فاشية في العرب « **يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس**

وإثمهما أكبر من نفعهما » (البقرة/ ٢١٩) فالخمر إثمها أكبر من نفعها ، وكل ما كان شره أكبر من خيره فهو ممنوع ، ومع هذا لم تصرح الآية بتحريم الخمر ، واكتفت بذلك البيان عنها ، وفي هذا تمهيد للمرحلة **الثالثة** التي دعت إلى تحريم جزئي للخمر ، وهو عدم قرب الصلاة في حالة سكر « **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** » (النساء/ ٤٣)

ولاشك ان المسلم الذي تمنعه الخمر من أداء الصلاة ، وهي عمود الدين يضيق نفسيا بذلك ، ويترك شرب الخمر طول النهار وأول الليل ، ولا يتمكن من شربها إن أراد إلا قبل النوم ، وكان هذا التحريم الجزئي تمهيدا للحكم الحاسم الذي قضى بتحريم الخمر ، فهي داء خبيث يفسد العقل ، ويمزق روابط الإخاء ، ويحول دون تقوى الله وطاعته « **يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون** »(المائدة/ ٩٠ و ٩١) .

وانتهى المسلمون ، واستجابوا فرحين لحكم الله ، وأراق كل منهم ما لديه من خمر في الشوارع .

وإذا كان التدرج مظهرا من مظاهر التمهيد لبعض الأحكام فإن الجمع بين الترغيب والترهيب مظهر آخر كذلك ، قال الإمام الشاطبي : إذا ورد في القرآن الترغيب قارنه الترهيب في لواحقه وسوابقه أو قرائنه وبالعكس ، وكذلك الترجية مع التخويف ، وما يرجع إلى هذا المعنى مثله ، ومنه ذكر أهل الجنة يقارنه ذكر أهل النار وبالعكس ، لأن في ذكر اهل الجنة بأعمالهم ترجية ، وفي ذكر أهل النار بأعمالهم تخويفا ، فهو راجع إلى الترجية أو التخويف ، (الموافقات جـ ٣ ص ٣٥٨) .

إن كل تشريع لا يحقق الغاية منه إلا بالعمل به ، وكان التدرج في بعض الأحكام وسيلة إعداد نفسية للتطبيق الصادق والامتثال الكامل ، كما أن الجمع بين الترغيب والترهيب يشير إلى أثر الأحكام في حياة الانسان في العاجلة والآجلة ، فيحرص أبلغ الحرص على العمل بما كتب عليه ، وبهذا يظل الوازع الديني حيا قويا في النفس ، فلا تجنح للهوى ، ولا تتأثر بما يزين به شياطين الإنس والجن .

وإذا كان التدرج من سمات عصر البعثة فإنه يرشد الفقيه إلى أن يكون في اجتهاده وثيق الصلة بمشكلات عصره الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والنفسية ، حتى يعبر في اجتهاد عن الواقع المعاش ، ويقدم العلاج الذي يلائم الزمان والمكان ، ويكفل سيادة التشريع في دنيا الناس ، قال الشاطبي : إن المجتهد الذي وفق إلى معرفة النفوس ومراميها وقوة تحملها للتكاليف وصبرها على حمل أعبائها أو ضعفها ، يعرف كيف يحمل على كل نفس من أحكام النصوص ما يليق بها بناء على ان ذلك هو المقصود الشرعي في تلقى

التكليف . (الموافقات ج ٤ ص ٥١) .

والأحكام الفقهية تترسم خطى الوحي الإلهي في تقرير الأحكام تمهد لها بما يدعو إلى الأخذ بها ، وتقدمها في صيغة تخاطب العقل والقلب ، والفكر والوجدان ، ومن ثم تطاع هذه الأحكام بوازع الضمير قبل وازع السلطان .

وتأتي **الخصيصة الثالثة** فرعا عن الأولى والثانية ، لأن تفرد أحكام الفقه بمصدرها الإلهي ، وبما مهد لها من أسباب الأخذ بها ، وعدم التفريط فيها يقضى بأن آثار هذه الأحكام من ثواب وعقاب لا تقتصر على الحياة الدنيا ، وإنما تتجاوز هذا إلى الحياة الآخرة ، فالمسلم يوقن بأن كل ما جاء به الدين من فرائض وأحكام يراد بها تأكيد معنى عبوديته لخالقه ، واستقرار الحياة بين الناس ، وان العمل بهذه الفرائض والأحكام سبيل الحياة الطيبة في الدنيا ، والنعيم المقيم في دار البقاء ، وأنه إذا لم ينل حظه في الدنيا من جزاء فإنه في الآخرة لن يظلم مثقال ذرة ، ولا يتوافر هذا للتشريعات الوضعية ، فهي تقصر الجزاء على الدنيا ، لأن المشرِّع الوضعي لا يملك من أمر الآخرة شيئا ، ولذا لا يرى الانسان بأسا في ان يتحايل للهروب من تبعة مخالفة هذه التشريعات ، على حين يختلف الامر بالنسبة لأحكام الفقه ، لأن الهروب من مسئولية التفريط فيها في الدنيا لن يحول دون العقاب عليها في الآخرة ، بل قد يضاعفه ، وهذا ما يفسر لنا اعتراف المسلم بما اقترف من سيئات ، على الرغم من ان الدلائل المادية لا تدينه ، لأنه يدرك ان هناك كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وأن عقاب الدنيا أهون من عقاب الآخرة .

ومما يتصل بهذا ان القضاء إذا حكم بحكم ، وفقا لبينات ظاهرة ، فإن هذا لا يعني ان ما حكم به حلال لمن ادعاه إذا كان في الواقع ليس حقاً له ، فالحكم القضائي لا يحل الحرام ولا يحرّم الحلال ، ومن ثم لا ينبغي لمن حكم له بما ادعاه ، وهو ليس حقا له أن يأخذه ، لأنه لا يحل له فهو حرام في اصله ، وقد أثر في ذلك عن أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **إنما أنا بشر ، وإنكم تختصمون إلى ، ولعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار** » اخرجه البخاري .

والخصيصة الرابعة للفقه الاسلامي ان النزعة السائدة فيه هي النزعة الجماعية ، ويقصد بها معنى أوسع يتناول الناحية المالية وغيرها ، حتى ليعم الحقوق والواجبات جميعا . (انظر المدخل لدراسة الفقه الاسلامي للدكتور محمد يوسف موسى ص ٧٧) .

إن من المتفق عليه بين العلماء ان الأحكام الشرعية سواء أكان مصدرها النص أم الاجتهاد لا يراد

بها إلا تحقيق مصالح الخلق في المعاش والمعاد ، كما يقول ابن القيم في أعلام الموقعين ، ويقول أيضا : « إذا تأملت شرائع دين الله التي وضعها بين عباده وجدتها لا تخرج عن تعطيل المفاسد الخالصة والراجحة بحسب الامكان ، وإن تزاحمت عطل أعظمها فسادا بتحمل أدناها ، وعلى هذا وضع أحكم الحاكمين شرائع دينه دالة عليه ، شاهدة له بكمال علمه وحكمته ، ولطفه بعباده وإحسانه إليهم ، وهذه الجملة لا يستريب فيها من له ذوق من الشريعة ، وارتضاع من ثديها ، وورود من صفو حوضها » (مفتاح دار السعادة ص ٣٥٠) .

كما أنه من المتفق عليه أنه إذا تعارضت المصلحة العامة مع المصلحة الخاصة قدمت الأولى على الثانية ، فنفع الجماعة مقدم على نفع الفرد عند التعارض ، ولهذا شرعت العقوبات والحدود ، وإن آلمت بعض الناس ليأمن سائرهم على أنفسهم وأعراضهم .

وطوعا لهذا إذا تعارضت المصلحة العامة مع المصلحة الخاصة روعيت مصلحة الجماعة ، وقدمت على المصلحة الفردية ، تحقيقا لبعض القواعد التي تنص على تحمل أخف الضررين ، أو تحمل الضرر الخاص لرفع الضرر العام ،وذلك مثل بيع المواد التموينية جبرا عن مالكها إذا احتكرها ، ولم يمكن الناس منها ، وتسعير السلع إذا تجاوز التجار الحد المعقول في الربح أو تحديد ايجار المساكن إذا غلا ملاكها في قيمة إيجارها ، ونحو ذلك .

إن الفرد في التشريع الاسلامي يتمتع بحقوقه التي خوله الله إياها كما يشاء ما دام يرعى حق ربه فيها ، ومن مراعاة هذا الحق المحافظة على المصلحة العامة ، وألا ينجم عن هذا التمتع ضرر للغير يكون أكبر من ضرر الحد من حرية الفرد في تصرفه فيما يملك ، والصور الفقهية التي توضح ذلك كثيرة ، ذكرت طرفا منها آنفا ، ومنها أن كل مصادر الطاقة والمناجم على اختلاف أنواعها ، وكذلك كل المرافق العامة لا تملك ملكية فردية ، لان في تملكها الفردي ضررا على الناس ولا ضرر ولا ضرار في الاسلام .

ومن الصور الفقهية التي تقيد التمتع بالحق بعدم الإضرار بالغير ان من حق الزوج على زوجته طاعته ، لتكون سكنا له ، بيد أن هذا الحق مقيد بألا يكون في استعماله ضرر للزوجة ، وإلا منع منه ، أو حد القاضى من استعماله، حتى ليكون للزوجة في بعض حالات الضرر طلب التفريق من زوجها .

وإذا كان من حق المالك أن يتصرف في ملكه كما يشاء ، ومن ذلك حق البيع لمن يريد ، كما أن للمشترى الحق في شراء ما شاء إذا رضي مالكه ببيعه له ـ فقد أوجب الفقه الاسلامي حق الشفعة للشريك أو الجار ، فيكون له تملك ما اشتراه الأجنبي جبرا عنه ، وعن المالك الذي باعه له

فالحقوق لم يشرعها الله لضرر الغير بلا ضرورة أو سبب .

وجملة القول أن الفقه الاسلامي وهو يكشف عن أحكام الله في أفعال وأقوال الناس كان معبرا أصدق تعبير عن الغاية من التشريع الإلهى ، وهي تحقيق مصلحة الفرد والجماعة معا ، وتقديم حق الجماعة على حق الفرد عند التعارض ، ومن ثم اتسم بنزعته الجماعية التي تؤكد وحدة الأمة ، وأنها كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

والفقه الاسلامي إلى هذا ليس تراثا يعكس ثقافة عصور خلت ، ولكنه فكر حي يحمل في أطوائه أسباب نموه وتطويره ومواكبته للحياة في شتى مجالاتها وتياراتها ، صحيح ان الفقيه المجتهد لاينعزل عن عصره وظروف بيئته ، وأن آراءه عرضة للخطأ ، ولا تتصف بالثبات ، ولكن هذا شيء وصلاحية الفكر الفقهي للتطوير والنمو والتجديد شيء آخر ، وذلك لأن مصادر هذا الفكر تدعو إلى الاجتهاد وتحذر من الجمود والتقليد ، فنصوص الكتاب والسنة تأمر بالنظر ، وتحض على التفكير ، وتبين ان الذين لا يفكرون ولا يعقلون كالأنعام أو أضل سبيلا ، وانه لا يستوى في ميزان الإيمان الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، ثم إن مصادر استنباط الأحكام فيما لا نص فيه تفتح أمام الفقهاء باب الاجتهاد والبحث على مصراعيه مما يدل على ان الفقه حركة عقلية نامية تقود المجتمع الاسلامي وتطبع حياته بطابع الشريعة الغراء .

وفضلا عن هذا اشتمل التراث الفقهي والأصولي على نصوص كثيرة تنادي بالاجتهاد ، وتحارب التقليد ، منها ما جاء في الفروق للقرافى ، وهو يتحدث عن العرف وتغيره قال : (فمهما تجدد العرف اعتبره ، ومهما سقط أسقطه ، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك ، بل إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك ، واسأله عن عرف بلده وأجره عليه ، وأفته به دون عرف بلدك والمقرر في كتبك فهذا هو الحق الواضح ، والجمود على المنقولات أبدا ضلال في الدين ، وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين » (الفروق حـ ٣ ص ٣٧) .

ولهذا كانت **الخصيصة الخامسة** للفقه الاسلامي انه لا يعرف الجمود على الموروث ، وإنما يعرف النماء والتجدد والتطوير باستمرار حسب الزمان والمكان ، وما يتجدد من الأحوال والعادات والأعراف .

وهذه الخصائص الخمس **وهي** :

المصدر الإلهى ، والتمهيد للأحكام ، والجزاء في الدنيا والآخرة ، والنزعة الجماعية والحيوية والصلاحية للتجديد والتطوير يمكن ان تعطى النتائج **التالية** :

أولا : للأحكام الفقهية سلطان نفسي على المسلم ، بسبب مصدره الإلهى ، يحمله على الالتزام بهذه الأحكام بوازع داخلي ورغبة ذاتية وهذا

ما لا تعرفه القوانين الوضعية .

ثانيا: يندر ان يحاول مسلم الهرب من مسئولية الأحكام الفقهية ، لأنه يؤمن بأنه محاسب عليها في الدنيا والآخرة .

ثالثا : تقل في ظل الأحكام الفقهية الخصومات القضائية ، فكل مسلم يحاول ان يقف عند ماله من حق ، بل هو بحكم قيم الاسلام التي تحض على الدفع بالتي هي أحسن يعفو ويصفح إن ظلمه غيره .

رابعا : النزعة الجماعية للفقه تعبير عن وحدة الأمة ، والأنانية والفردية ليست خصالا إسلامية .

خامسا : ليس الفقه الاسلامي تراثا انتهى دوره ، ولكنه فكر حيّ يحمل في أطوائه أسباب نموه وتطويره ، ومواكبته لتيار الحياة .

سادسا : وما دام الفقه على هذا النحو من النمو والصلاحية للتطوير فإنه لا ينبغي لنا أن نجمد على القديم وحده دون مسايرة الزمن الذي يتطور دائما ما دمنا لا نخرج عن مقاصد الشرع وأصوله الصحيحة .

وفضلا عن هذه النتائج تؤكد تلك الخصائص التي أوجزت القول فيها أن الفقه الاسلامي أصيل في مصدره ، وأصيل في منهج تدوينه وأصيل في مصطلحاته ونظرياته ، وأن الاستشراق فيما صدر عنه حول تأثر هذا الفقه بالقانون الروماني او التلمود اليهودي لا يعرف الموضوعية اذ الأمانة العلمية ، أنه يفترض ما يشاء ، ويحاول في تعسف ومغالطة ان يثبت أن ما افترضه حقيقة علمية لامراء فيها .

إن الهدف العام للدراسات الاستشراقية قديما وحديثا هو مقاومة المد الاسلامي ، بالافتراء والتشويه والتبشير ، وكذلك زعزعة ثقة المسلمين بأنفسهم عن طريق نفي الأصالة الاسلامية في مختلف المجالات ، ومازالت هذه الدراسات حتى الآن تسعى نحو ذلك الهدف ، وإن حاول المستشرقون أن يغيروا من طرائقهم القديمة في الهجوم السافر ، وهذا أمر يقتضي منا تعاونا وتخطيطا علميا مدروسا لدرء هذا العدوان الفكري المستمر ، والذي يتجاوز في خطره وضرره العدوان العسكري .

الأمن الغذائي في ضوء توجيهات الإسلام

للاستاذ /
مجدى عبد الفتاح سليمان

الغذاء يمد الجسم بالطاقة اللازمة للدفء والجهد ، وبمستلزمات النمو والاصلاح والترميم ويحافظ على الوظائف الفسيولوجية للاعضاء دون أن يحدث بها تغييرا نوعيا أو كميا ، ولقد خلق الله سبحانه وتعالى الانسان وركبه على صورة لا تصلح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء ، وهداه إلى التماسه بفطرته وبما ركبه فيه من القدرة على تحصيله .

وتؤكد الدراسات المعاصرة أن طفلا يموت كل ثانيتين في العالم نتيجة لنقص مزمن في التغذية ، وحوالى ١٥ مليون طفل يموتون سنويا بسبب الجوع ، وان أكثر من ٨٠٠ مليون فرد يعانون من الجوع في العالم من بينهم ٥٠ مليونا يلقون حتفهم سنويا ، وأن عدد الجياع وسيئي التغذية يتزايد في العالم بصورة مستمرة .

* أسباب أزمة الغذاء :

من المشاهد أن أزمة الغذاء لا ترجع الى الطبيعة والعجز في الموارد ، فالموارد وفيرة - بمعنى أن الموارد المتاحة لإشباع الحاجات الانسانية من الغذاء هي دائما تفيض عن هذه الحاجات وإنما المشكلة الحقيقية تكمن في الانسان نفسه وسوء تنظيمه الاقتصادي وعدم استغلاله جميع النعم التي تفضل الله بها عليه استغلالا تاما وفي كفره بالنعمة الإلهية ، وهذا ما قرره الاسلام في الآيات القرآنية الآتية .

« **الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار * وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار** » سورة ابراهيم آية (٣٢-٣٤)

فالآيات الكريمة تقرر بوضوح ان الله تعالى قد حشد للانسان في هذا الكون الفسيح كل مصالحه ومنافعه ، ووفر له الموارد الكافية لإمداده بما يحفظ عليه حياته ويؤمن له حاجاته ، لكن الانسان هو الذي ضيع على نفسه هذه الفرصة التي منحها الله له ، بظلمه وكفرانه ، فظلم الانسان في حياته العملية وكفرانه بالنعمة الإلهية هما السببان الأساسيان لازمة الغذاء في الوقت الحاضر ، وقد أكدت دراسات حديثة تحت عنوان « **خرافة الندرة** » هذا المعنى عندما قررت أن سبب الازمة يرجع الى سوء استخدام موارد الغذاء .

المقصود بالأمن الغذائي :

* **الامن في اللغة** ضد الخوف والأصل أن يستعمل في سكون القلب . وقد ورد لفظ الأمن في أكثر من موقع في القرآن الكريم ، ففي سورة قريش يقول تعالى : « **فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** » ٣ و ٤ ويفسرها ابن كثير بقوله «.. أى فليوحدوه بالعبادة ، كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما ، فهو رب البيت ، وهو الذي يطعمهم من جوع وتفضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لاشريك له».

* ويعرف الأمن الغذائي من الوجهة الاقتصادية بأنه قدرة المجتمع على توفير احتياجات التغذية الأساسية لأفراده ، وضمان حد أدنى من تلك الاحتياجات بصفة مستمرة أي إن الدولة تضمن للفرد تلبية طلباته المتواضعة من الغذاء او طلباته الطموحة من سلع غذائية عالية القيمة ، وأن تقوم بسد أي فجوة غذائية قائمة أو محتملة وذلك بتوفير الموارد النقدية

اللازمة لجلب السلع الغذائية سواء بكمية مصادر الانتاج في الداخل او باستيرادها من الخارج .

كيفية الخروج من أزمة الغذاء .

أ) اتباع المنهج الإلهي :

ربما يظن البعض أن الخروج من الازمة يتمثل أساسا في الاعتماد على النظم الاقتصادية المعاصرة (إما رأسمالية وإما اشتراكية وإما خليط من هذه النظم) ، والأمر الذي لا شك فيه أن الاسلام هو السبيل الوحيد لانقاذ البشرية من أزماتها ، وهو وحده كفيل بأن يحقق للانسان ما ينشده من كمال ورفعة وتقدم وازدهار وارتقاء ، يقول الحق تبارك وتعالى: « **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** » سورة المائدة آية ١٥و١٦ . ويمكن للأمة الاسلامية أن تحقق الأمن الغذائي وذلك بالرجوع الى الله واتباع المنهج الإلهي . يقول الله في سورة الاعراف الآية/٩٦ « **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون** » يقول الامام الرازى في تفسيرها » أي لو آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر (**واتقوا**) ما نهى الله عنه وحرمه ، لفتح الله عليهم بركات السماء بالمطر ، وبركات الارض بالنبات والثمار او كثرة المواشى والأنعام ، وحصول الأمن والسلامة وذلك لأن السماوات تجرى مجرى الأب والأرض تجرى مجرى الأم ومنهما يحصل جميع المنافع والخيرات بخلق الله تعالى وتدبيره ، وقوله (**ولكن كذبوا**) يعنى الرسل (**فأخذناهم**) بالجدوبة والقحط (**بما كانوا يكسبون**) من الكفر والمعصية .

ويقول تعالى « **ألم يروا كم أهلنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين** » آية ٦ سورة الانعام .

ويقول الإمام الرازى في تفسيرها واعلم أن المقصود من هذه الاوصاف انهم وجدوا من منافع الدنيا أكثر مما وجـده أهل مكة ، ثم بيّن تعالى انهم مع مزيد العز في الدنيا بهذه الوجوه ومع كثرة العدد والبسطة في المال والجسم جرى عليهم عند الكفر ماسمعتم وهذا المعنى يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة .

ويقول تعالى « **ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون** » . سورة المائدة آية / ٦٦ . يقول العلامة ابن كثير في تفسير هذه الآية . لو أنهم عملوا بما في الكتب التي بأيديهم عن الأنبياء على ما هي عليه من غير تحريف ولا تبديل ولا تغيير لقادهم ذلك الى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث الله به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، فإن كتبهم ناطقة بتصديقه والأمر باتباعه حتما لامحالة « **لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم** » يعنى كثرة الرزق النازل عليهم من السماء والنابت لهم من الارض .

ولقد أراد الله تعالى أن ينبئنا بما سيكون عليه حال القرى التي تكفر بما انعم الله عليها ، ويتظالم أهلها ولا يتراحمون ولا يتكافلون . فيقول تعالى في سورة النحل آية ١١٢ . « **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** » هذا مثل أريد به أهل مكة ، فإنها كانت مطمئنة آمنة وكان يأتيها رزقها رغدا هنيئا وسهلا فجحدت آلاء الله عليها ، وأعظمها بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فألبسها الله ثياب الجوع وأذاقها الخوف .

ب) الايمان بأن نعم الله علينا كثيرة :

لقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم الموارد التي خلقها للانسان وأنعم بها عليه ليستغلها فتكون أوفر غلة وأكثر فائدة ، تساعده في التغلب على الأزمات التي تواجهه في مأكله أو ملبسه ، وهذه الموارد أمكن جمعها من القرآن الكريم وفقا لما يلى :

* أراضي المراعى الزراعية والأشجار ، فيقول الله تبارك وتعالى « **هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرو** » سورة النحل آية ١٠ و ١١ .

ويقول الله تعالى « **وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون** » سورة الانعام آية / ٩٩ .

* **الحيوان** ، بما يؤدي من منافع من حمل الأثقال ، وجر الآلات والركوب ، وما يؤخذ منه من جلد ولحم وصوف وغيره ، فيقول تبارك وتعالى « **أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون** » سورة يس : آية ٧١و٧٢ .

وقال تعالى « **وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس** » سورة النحل آية ٧ ، وقال تعالى « **وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين** » سورة النحل آية / ٨٠

* **المعادن** وهي تشكل العمود الفقرى للحضارة التي يحياها الإنسان ، فحياة الإنسان لاتخلو في يوم من أيامها من استخدام مباشر أو غير مباشر للمعادن ، فيقول الله تعالى « **وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)**» سورة الحديد آية / ٢٥ .

ويقول تعالى « **الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود** » سورة فاطر آية / ٢٧ .

المعادن السائلة في جوف الارض ، وتيارات الريح ، والقوى الخفية والطاقات المنبعثة من الشمس وغيرها وذلك في قوله تعالى « **ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه** » سورة سبأ آية / ١٢ وقوله تبارك وتعالى « **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار** » سورة ابراهيم آية / ٣٣

* **موارد الماء من عيون و آبار** وأنهار وبحار ، وما فيها من ثروات وما لها من منافع ، وتيارات ، ومساقط وشلالات . فيقول الله تعالى « **وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار** » سورة ابراهيم آية / ٣٢ .

ويقول تعالى « **وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)** سورة النحل آية / ١٤ ويقول جل شأنه « **ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض** » سورة الزمر آية/٢١

ويقول جل ثناؤه « **وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره** » سورة يس . آية ٣٤و٣٥ .

جـ) وجوب تنوع وإتقان الأنتاج :

أوجب الاسلام تنويع الإنتاج بحيث يشمل كافة الحاجات البشرية ورفع شأن مختلف انواع النشاط الاقتصادي سواء كان زراعيا أم تجاريا أم صناعيا .

* **ففي الحث على الزراعة** ، قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه طير أوإنسان او بهيمة إلا كان له به صدقة » انظر صحيح البخارى ، باب فضل الزرع والغرس وقد نبه الاسلام الى التوسع الأفقي عن طريق زيادة رقعة الأرض الزراعية فدعا الملاك الى استصلاح ما تحت أيديهم من أرض موات فقال صلى الله عليه وسلم « من كانت له أرض فليزرعها او ليمنحها أخاه فإن أبي فليمسك أرضه » صحيح البخاري.وعن السيدة عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال«من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق» صحيح البخاري .

ومن كتاب صحيح البخاري في باب المزارعة بالشطر قال قيس بن مسلم عن أبي جعفر قال:ما بالمدينة أهل بيت هجرة ، إلا يزرعون على الثلث والربع وزارع علي وسعد بن مالك وعبد الله بن مسعود وعمر بن عبد العزيز . صحيح البخاري .

* **وفي الحث على التجارة** أيضا يقول الحق تعالى « **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم** » سورة البقرة آية / ١٩٨ وايضا قوله تعالى في سورة الجمعة الآية / ١٠ « **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله** ».وقوله تعالى « **وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله**) سورة المزمل آية / ٢٠.ويفسر المفسرون وعلى رأسهم ابن عباس الابتغاء من فضل الله في هذه الآيات بالتجارة .

* قال صلى الله عليه وسلم « التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » الترمذي .

* **وفي الحث على الصناعة** ، قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده،وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري .

وكان الأنبياء يحترفون بعض المهن ، فسيدنا نوح عليه السلام كان نجارا ، وإدريس عليه السلام كان خياطا ، وإبراهيم عليه السلام كان بزازا ، وداود علمه الله تعالى صنعة الدروع وزكريا كان نجارا .

* **وعن عمر** قال:إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول : له حرفة ؟ فإن قالوا لا ـ سقط من عيني ـ كنز العمال ـ

* **وأوجب الاسلام** إتقان العمل أو الانتاج واعتبر ذلك أمانة ومسؤولية فالله تعالى يقول (**ولتسألن عما كنتم تعملون**) سورة النحل آية/ ٩٣ .. ويقول تعالى (**واحسنوا إن الله يحب المحسنين**)
سورة البقرة آية / ١٩٥ .

من هنا فإن الأمة الإسلامية لو اتخذت توجيهات الاسلام اساسا تبنى عليه خططها في مختلف انواع النشاط الاقتصادي والسلوك الاجتماعي والسياسي ، فلا ريب أن هذه الأمة ستحقق مرة اخرى مجتمع « **أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** » اعني مجتمع (**الكفاية**) و (**الأمن**) كما حققه اسلافنا الأولون « **الذين استجابوا لله والرسول** » متعاونين على البر والتقوى دون « **الإثم والعدوان** » فرضي الله عنهم « **وألف بين قلوبهم** » فأصبحوا « **بنعمته إخوانا** » « **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ».

وبذلك أبرزوا للمجتمع الإنساني نموذجا حيا يفسر في الواقع التطبيقي قوله تعالى « **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** »

فهل يعيد التاريخ نفسه ؟

ليس هذا ببعيد ولا عسير ، بل ولا كثير ، إذا صدقت العزائم وتضافرت الهمم وبخاصة أن مواده وأسبابه وعوامل نجاحه متوافرة في أمتنا الأسلامية والحمد لله .

لا تشاؤم

يحكى أن المنصور بن أبي عامر الأندلسي كان إذا أراد الغزو عقد لواءه بجامع قرطبة ، فحدث - مرة - أن رفع حامل - اللواء - فصادف ثريا من ثريات الجامع ، فكسرت ونزل زيتها على اللواء ، فتطير الحاضرون ، وتغير وجه المنصور ، فقال رجل من الحضور : أبشر أيها الأمير بغزو هين ، وغنيمة سارة ، فقد بلغت أعلامك الثريا ، وسقاها الله من شجرة مباركة زيتونة .

فاستراح الحضور ، واستبشر المنصور خيرا ، وكانت غزوة من أبرك الغزوات .

عبد الله بن عباس والعلم

للأستاذ / مصطفى عبد الشافي

أحد أعلام علماء الصحابة رضي الله عنهم ومن حفظة الاسلام وأمنته ونقلته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

توفي الرسول والاسلام لم يتجاوز بعد حدود الجزيرة العربية وكان على الصحابة واجب حمله وإيصاله الى جميع شعوب الأرض وقد قاموا بهذا الواجب الكبير فأدوا الأمانة وبلغوا الرسالة . وتعد حياة ابن عباس أصدق صورة لهذا الجهد الكبير الذي بذله الصحابة في هذا السبيل .

ذكره الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) من أعلام الخطابة الدينية وقد اهتم الجاحظ بعبدالله بن عباس رضي الله عنه فهو عنده من « خطباء السلف الذين لا يضاهون ولا يجارون » . وهو من الفقهاء العالمين بالعربية الذين أسهموا في تحديد مفهوم البيان وقد اهتدى في ذلك بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واشترط للوصف بالبيان توفير الضمير الديني في صاحبه فقد وجدنا من أخباره ما قال الجاحظ : « ولما مدح عتيبة بن مرداس عبدالله بن عباس قال : لا أعطي من يعصي الرحمن ويطيع الشيطان ويقول البهتان » .

وابن عباس عند الجاحظ من أوثق أهل الحديث ومن العالمين بأسرار العربية القائمين على رعايتها . وقد كان ابن عباس والياً على البصرة من سنة ٣٦ الى ٤٠هـ .

اسمه ونسبه

هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب بن

هاشم بن عبد مناف القرشي ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يلتقي بنسبه مع النبي في جده عبد المطلب . فهو فرع من الشجرة الطيبة التي هي نخبة بني هاشم وسلالة قريش . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله اصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة . واصطفى من بني كنانة قريشا . واصطفى من قريش بني هاشم . واصطفاني من بني هاشم » ـ. وينتهي نسبه من جهة أمه (لبابة بنت الحارث الهلالية) الى بني هلال بن عامر بن صعصعة وهم فرع من هوازن إحدى القبائل العربية المضرية الكبرى .

والده العباس بن عبد المطلب عم النبي (صلى الله عليه وسلم) .

وأخواله الأنصار ولهذا كان الأنصار يرون العباس ابن أختهم وأم العباس (نتيلة بنت خباب) من الخزرج ، أول امرأة عربية كست الكعبة المشرفة بالحرير والديباج وسبب ذلك ان ولدها العباس ضاع وهو صغير فنذرت إن وجدته أن تكسو البيت . وكان للعباس في الجاهلية عمارة المسجد الحرام وسقاية الحجيج وهما من مفاخر قريش الكبرى ... وقد ازدادت مكانة العباس في الاسلام لمكانته عند الرسول اذ كان صلى الله عليه وسلم يحبه ويحترمه وينزله من نفسه منزلة الوالد قال صلى الله عليه وسلم : « هذا بقية آبائي » ومن مناقب العباس ثقة النبي به قبل إسلامه حتى أشهده معه بيعة العقبة . كما كان شجاعا مقداما ثبت بجوار النبي في حنين . وتبرع في عهد عمر بداره ليوسع بها المسجد ... ومن وصاياه لولده عبدالله عندما رأى عمر بن الخطاب يقربه ويحضّره مجالسه ما حدّث به عبدالله فقال : قال لي أبي ان عمر يدنيك ويجلسك مع أكابر الصحابة فاحفظ عني ثلاثا : « لا تفشين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا ، ولا يجربن عليك كذبا » .

وأمه (لبابة بنت الحارث) تعد من السابقين الأولين الى الاسلام حتى قالوا إنها أول امرأة أسلمت بعد السيدة خديجة رضي الله عنها .

وخالته السيدة (ميمونة بنت الحارث) أم المؤمنين كثيرا ما كان ابن عباس يأتي اليها وينام في حجرتها فيرى من قرب أحوال النبي صلى الله عليه وسلم في الليل وعبادته وأذكاره وقد أوصت قبل وفاتها بحجرتها لابن عباس فاتخذها بعد وفاتها كمدرسة لنشر العلم بين الناس .

ولادة ابن عباس

ولد ابن عباس في فترة من أصعب الفترات التي مرت على المسلمين بسبب اجتماع مشركي قريش واتفاقهم على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب اذ تعاهدوا على ذلك وكتبوا عهدهم في صحيفة علقوها في جوف الكعبة .. ولما ولد ابن عباس في السنة الأخيرة من سنوات المقاطعة تفاءلوا بولادته . يقول ابن عباس : « ولدت قبل الهجرة بثلاث سنوات . وتوفي

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاث عشرة سنة) .
وقد أخرج الترمذي عن ابن عباس أنه رأى جبريل عليه السلام مرتين ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم مرتين .

قال ابن عباس : (ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (اللهم علّمه الكتاب) وفي رواية (اللهم علّمه الحكمة) .
ونال ابن عباس في إحدى لياليه التي أمضاها في حجرة خالته السيدة (ميمونة) الدعوة الثانية من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال الرسول : «اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل» .
يقول ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت (ميمونة) فوضعت له وضوءا من الليل . فقالت (ميمونة) : يا رسول الله وضع لك هذا عبدالله بن عباس .. فقال الرسول : «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل » .. وقد حزن ابن عباس على وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا .

في عهد أبي بكر

أبعدت ابن عباس حداثة سنه عن المشاركة في الأحداث الكبرى التي حدثت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف في هذه الفترة الى طلب العلم وتحصيل ما فاته من السنة النبوية بسبب تأخر هجرته الى المدينة المنورة .
وأخذ يسأل أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم عن أحاديثه وقد ثبت ابن عباس على طريق تحصيل العلم وصبر على معاناته وشدائده .

في عهد عمر

فطن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مواهب ابن عباس الفكرية وتوسم في وجهه ملامح العبقرية فقدمه على أقرانه من الشباب وأذن له أن يجلس في مجلسه مع كبار الصحابة من شيوخ بدر . ورآه قد تخطى بذكائه وفطنته حدود عمره حتى لقبه بفتى الكهول ... فكان اذا أقبل ابن عباس على مجلس عمر قال : « جاء فتى الكهول وذو اللسان السؤول والقلب العقول . » . وفي عهد عمر أصبح ابن عباس من أهل الشورى والفتوى واستمر على ذلك الى يوم مات عمر .

في عهد عثمان بن عفان

برزت مكانة ابن عباس العلمية في عهد عثمان كثيرا والتفت الناس اليه والى أمثاله من أبناء الصحابة بعد موت الكثير من كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأصبح من القلة الذين صارت الفتوى اليهم كابن عمر وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة . واعتمد عثمان على ابن عباس فأدخله في الشورى مع بقية أهل بدر . واستعمله عثمان رضي الله عنه أميرا على الحج في بعض المواسم وفي العام الذي قتل فيه عثمان كان ابن عباس أمير الحج .
فقد جاء في تاريخ الطبري ان عثمان أشرف على الناس أثناء الحصار

فقال : يا عبدالله بن عباس . فدعى له فقال : « اذهب فأنت على الموسم » .. وكان ممن لزم الباب . فقال : والله يا أمير المؤمنين لجهاد هؤلاء أحب إليّ من الحــج ... فأقسم عليــه لينطلقن . فانطلق ابن عباس على الموسم في تلك السنة . وأقام رضي الله عنه للناس مناسك الحج ... ثم عاد الى المدينة وقد قتل عثمان .

في عهد علي

كان ابن عباس يحترم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويحبه فهو من كبار شيوخه وغرف من بحار علومه .. وابن عمه .. فوقف ابن عباس بجانبه منذ ألقيت على كاهله أعباء الخلافة في ظروف قاسية فنصح له وقاتل تحت رايته وبعد استشهاد علي ظل ابن عباس على وفائه له يدفع عنه افتراءات المفترين حتى آخر حياته .. وقد ولي ابن عباس على البصرة وسار في ولايته سيرة حسنة وبذل جهده في جمع شمل اهلها وأخذ ينشر فيهم من علومه حتى اصبح فيهم عدد كبير من تلاميذه وكثيرا ما نقرأ هذه العبارة في مسند احمد : (سمعت ابن عباس وهــو يخطب على منبر البصرة) .

عبدالله بن عباس والعلم

جمعت شخصية ابن عباس كثيرا من المناقب والفضائل واعظمها فضيلة العلم الذي اشتهر به حتى لقب بألقاب علميــة مثل : (حبــر الأمة ـ حبــر العرب ـ ترجمان القرآن ـ البحر) وقد أطلق عليه هذه الألقاب العلمية كبار الصحابة ، فالصحابي «عبدالله ابن مسعود» وصفه بترجمان القرآن .

وأبي بن كعب وصفه بحبر الأمة . وقال عبدالله بن عمر : «أعلمنا ابن عباس » . وقال مجاهد : « كان ابن عباس يسمى البحر من كثرة علمه » . ولعل كل ذلك راجع الى :

١ ـ مواهبه الفكرية :

حبا الله ابن عباس مواهب فكرية وعقلية عظيمة تجلت بقوة ذاكرته ودقة فهمه وبعد نظره وسرعة بديهته وهذه المواهب هي الأساس للنبوغ العلمي والابداع الفكري والله يهب ما يشاء لمن يشاء . وقد شهد شيوخ ابن عباس له بسرعة الحفظ ودقة الفهم .. وقد ظهرت بوادر حسن الفهم لدى ابن عباس منذ الصغر وبارك الله فيها ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم أخرج الإمام أحمد عن ابن عباس قال : « أتيت رسول الله من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فجرني حتى جعلني حذاءه فلما أقبل صلى الله عليه وسلم على صلاته خنست «تراجعت» فصلى رسول الله فلما انصرف من صلاته قال : « ما شأنك أجعلك في حذائي فتخنس ؟ » فقلت : يا رسول الله أو ينبغي لأحد أن يصلي في حذائك وانت رسول الله الذي أعطاك الله عز وجل ... قال : فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علما وفهما » .
وامتاز ابن عباس بحب للعلم عظيم وشغف بالمعرفة فلا يترك مسألة تخطر

في ذهنه المتوقد الا ويسأل عنها لهذا لما سئـل : أنى أصبت هـذا العلم ؟ أجاب : بلسان سؤول وقلب عقول .

والعلم عند ابن عباس أفضل من الجهاد . ويقول أيضا : فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد .

٢ ـ فصاحة لسـانه وحسن بيانه :

منح الله ابن عباس بلاغة وفصاحة وحسن بيان حتى كان يستأثر بقلوب سامعيه فيبهرهم بفصاحة لسانـه وحسن بيانه ولا شك أن تبحر ابن عبـاس في علـوم القـرآن والسنـة واطلاعاته على أدب العرب شعرا ونثرا جعله في هذه الدرجة العـالية من الفصاحة وحسن البيان فقد كـان يحفظ من الشعر الكثير ... وغير خفي اهتمام ابن عباس بشعر العرب إذ كان يعتمد عليه كثيرا لفهم ألفاظ القرآن الكريم . ولهذا كان يوصي تلاميذه أن يهتمـوا بالشعـر العربي ويقـول : (الشعر ديوان العرب ، وهو أول علم العرب فعليكم بشعر الجاهلية شعر اهل الحجاز) .

شيوخ ابن عباس

هيأ الله لابن عباس علماء نجباء من أصحاب رسو[illegible] الله [illegible] الله [illegible] [illegible] كأبي بكر و[illegible]ر بن [illegible] و[illegible] بن عفان وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة الذين نهل عنهم

وكان ابن عباس يحترم شيوخه . قال ابن حجر العسقلاني : المعروف عن ابن عباس التأدب مع من يأخذ عنه .

تلاميذ ابن عباس

حشدت مكانة ابن عباس العلمية حوله عددا كبيرا من طلاب العلم .. قال ابن كثير : أخذ عنه خلق من الصحابة وأمم من التابعين ومن الصحابة الذين رووا عنه عبدالله بن عمـر ، ومن التابعين عطاء بن أبي رباح وطاووس ومجاهد وغيرهم .

هذا وقد تنوعت علوم ابن عباس فشملت علوم القرآن والسنة وفتاوى الصحابة والمغـازي والسير وأيـام العرب وأشعارهم ... كما اشتهر ابن عباس بتبحره في علوم القرآن أكثر من بقية العلوم فأصبح مرجع الناس في تفسير القرآن .. وقد اعتمد في تفسير القرآن على ذخيرته العلمية الكبيرة من السنة وعلى معرفته بأسباب النزول ومعرفته الواسعة بـاللغة العـربية وآداب العرب .

وأسلوبه في التفسير : تفسير القرآن بالقرآن ، تفسـير القرآن بـالسنة المأثورة عن رسول الله لأنها تشرح القـرآن وتبـين معـانيـه ... قـال تعالى : **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للنـاس مـا نُـزّلَ إليهم ولعلهم يتفكرون)** النحل / ٤٤ .. وكثيرا مايفسر لكلمة يستشهد لها ببيت من شعر العرب ...

كتاب الشهر

أهداف التغريب في العالم الإسلامي

للاستاذ / أنور الجندي

عرض : عبد الرحمن احمد البجاوى

أصدرت الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الاسلامية بالأزهر الشريف بمصر في سلسلة (**قضايا اسلامية معاصرة**) هذا الكتاب الذى يتناول

قضية من أخطر القضايا التي يتعرض لها مجتمعنا الاسلامي وهي قضية التغريب التي يجند لها أعداء

الاسلام كل إمكانياتهم من وسائل الإعلام المسموعة والمرئية ومعاهد العلم والجامعات التي يؤمها آلاف الطلبة في كل صقع من أصقاع العالم الاسلامي .

١ ـ مؤلف الكتاب :

هو الاستاذ الباحث الاسلامي المعروف صاحب الباع الطويل في الدراسات الاسلامية التي تعالج قضية التغريب وغيرها من القضايا التي تتصل بشخصية المسلم ،

وعقيدته ، ولغته ، وثقافته ، او تتصل بالأداب العربية والتراث والفكر العربي ، وهو غني عن التعريف نظرا لما يسهم به على مدار أكثر من أربعين عاما في مجالات التأليف والنشر والمؤتمرات الاسلامية ، وقد أصدر

مجموعة من المؤلفات التي عالجت موضوعات الأدب العربي ، أدب المرأة ، اللغة العربية ، سموم المستشرقين ، الفكر العربي المعاصر ، مؤلفات في الميزان ، موسوعة عن مقدمات العلوم والمناهج وتناول شخصيات مثل أحمد زكي شيخ العروبة ، وزكي مبارك ، والزهاوي .
ولا يخلو بحث من بحوثه من بيان اهداف المستعمرين ومن شايعهم من تلاميذهم الذين تربوا في أحضانهم .
كما أصدر مؤخرا هذا الكتاب الذي تناول **اهداف التغريب** في العالم الاسلامي ليكون تبصرة لشبابنا ولأبنائنا الذين يغترفون من ينابيع المعرفة ، وينهلون من أدب الشرق والغرب ، وربما يخدعون بنظريات هؤلاء الذين يشوهون حضارتنا ،

ويحاولون النيل من صاحب الشريعة ، ومن كتاب الله ومن السنة الغراء ، فيدسون سمومهم في زخرف نظرياتهم طمعا في زعزعة الناشئة وصرفهم عن عقيدتهم ، وأنى لهم ما يرون مادام فينا كتاب الله يدعونا الى صراط مستقيم « **صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور** » آية ٥٣ سورة الشورى

٢ ـ معنى التغريب :

قدم الباحث لكتابه بمدخل ، بيّن فيه مفهوم التغريب وهو مصطلح استعمله المستشرقون الغربيون للتعبير عن خطة المستعمرين الذين يحاولون « حمل العالم الاسلامي على الانصهار في مفاهيم الغرب وحضارته » والعمل على إخراج المسلمين من هويتهم الاسلامية وصهرهم في بوتقة الغرب والتعلق بأذياله . ولا يغرب عن البال ما حاق بتركيا بعد سقوط الخلافة على يد الذئب الأغبر أتاتورك (١٨٨١ : ١٩٣٤ م) وانفصال تركيا عن تاريخها ولغتها وثقافتها أكثر من نصف قرن ، ومحاولة المؤسسات التي تدور في فلك الغرب تطبيق التجربة نفسها على بلدان إسلامية اخرى .
ولكننا نجد الآن خطى هذه المنظمات باءت بالبوار ، بل إن تركيا تستعيد وجهها المشرق كأروع ما تكون ، بعد ان اكتشفت زيف دعاوى العلمانيين ومن سار على منوالهم .

٣ ـ ابواب الكتاب :

يقع الكتاب في ٢٤٠ صفحة من القطع المتوسط ، قدَّم له الباحث بمدخل وقسّم كتابه الى **أربعة ابواب** :
الباب الاول : مؤامرة التغريب وأبعادها وقد اشتمل على :
أهداف التغريب ، الغزو الثقافي ، سلاح التغريب وأداته ، الاستشراق والتبشير .
الباب الثاني : تزييف مفهوم الاسلام الأصيل ، وقد اندرج تحته ثلاثة فصول أيضا تناولت محاولة تحطيم الوحدة الاسلامية ومحاولات إفساد المصادر والمراجع .
الباب الثالث : وهو صلب الكتاب وقد حوى عشرة فصول تكاد تغطي نصف الكتاب ، ولكن من حيث المحتوى تعرض لقسوة المعاول التى تضرب

جدار الاسلام ، ولكنها تتكسر على صفاحه وما أشبه هذا بقول القائل :

كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وسوف نتعرض تفصيلا لبعض ما أورده الباحث في هذا المجال .

أما الباب الرابع والأخير : فقد جاء موضوعه مواجهة أخطار التغريب ونظرياته المسمومة ، وكيف نتحرر من مسلماته الباطلة التي طرحها دعاة التغريب على أنها نظريات حولها أتباعهم إلى مسلمات خدعت الناس بزيف بريقها وبراعة لفظها ونشرها في صحف شهيرة ومؤلفات لامعة ذات أغلفة مصقولة ؟ وقد أحصى الأستاذ أنور الجندي اثنين وعشرين **خطأ لهؤلاء** المتغربين منها ، خطأ الفصل بين الاسلام والعروبة مع أنهما مترابطان برباط ابدي ، والفصل بين الماضي والحاضر مع أن الماضي رحم للحاضر والمستقبل ، ومنها التفرقة بين العلم والأخلاق مع أن الفكر الاسلامي لا يفرق بينهما ، وقد ادرك هذه الخصيصة الاسلامية (جوستاف لوبون) فقال: « **إن الفكر الاسلامي علّم الانسانية كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين** » . وهناك أخطاء أخرى تتصل بحرية الفكر المزعومة ، أو إعلاء دعوات أمثال (غاندي) و(تولستوي) وهي دعوات طابعها الضعف والاستسلام وهي مخالفة لدعوة الاسلام الى الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ويعد هذا الفصل خاتمة للكتاب لخص فيه الباحث أهم نقاط بحثه ، ولكنه لم يذكر لنا المراجع في نهاية بحثه ، مع أنه - أمدَّ الله في عمره - مرجع حي متجدد لكل الدارسين في الحقل الجامعي ، وباحث دءوب بين اضابير الكتب ، ومحقق لكثير من النصوص التي تخدم قضايا الاسلام والعروبة وتكشف نوايا المستغربين وأذنابهم ،

٤ - سلاح التغريب :

يعد الغزو الفكري أو الثقافي سلاحا فعالا يستخدمه دعاة التغريب منذ القرن التاسع عشر حتى الآن ضد الفكر الاسلامي . وقد تصدى لمحاولات أعداء الاسلام النيل من مقدساته أمثال (جمال الدين الافغاني) ١٨٣٩ : ١٨٩٧ م والشيخ (محمد عبده) ١٨٤٩ : ١٩٠٥م و(محمد فريد وجدي) في مصر ، وفي سوريا الشيخ مصطفى الغلاييني الذي كشف النقاب عن مؤلف باسم (السفور والحجاب) اصدره سنة (١٩٢٨) م مجموعة من المبشرين والمستشرقين قد تخفوا تحت اسم نظيرة زين الدين ، حتى يلقى الكتاب رواجا في أذهان المسلمين ، وقد خدع بهذا الكتاب - للأسف - الكاتب عباس محمود العقاد ، والشيخ علي عبد الرازق مع مهاجمة الأول لهذا الكتاب .

(انظر ص ١٩٢ أضواء على الأدب المعاصر . للمؤلف نفسه) .

وقد أوضح الأستاذ أنور الجندي أن الغزو الثقافي ارتكز على ميادين ثلاثة : التعليم ، والثقافة ، والصحافة ، وكيف أحيا المبشرون حركات الزنادقة ، والراوندية ، والباطنية ،

والقرامطة حتى اصبح لها دارسون في معاهدنا .

وهكذا اصبح الغزو الثقافي « قذيفة مسمومة مسددة الى قلب الفكر الاسلامي لتحقيق هدف واحد هو التغريب ، تغريب المجتمع والأسرة والمرأة والاقتصاد والتربية والمناهج وصهرها في بوتقة الحضارة العالمية المنهارة » .

٥ ـ أبرز أدوات التغريب :

أبرز الباحث المؤلف دور الاستشراق والتبشير في تخريب الفكر الاسلامي وإثارة الشبهات حول القيم الاصيلة لمجتمعنا وإخراج المسلمين من عقيدتهم وتحطيم معنوياتهم ، وقطع كل صلة بين ماضيهم ـ تراثهم ـ وبين حاضرهم ، وإنكار اللغة والتاريخ حتى لا تكون هناك مقومات تجمع الأمة على كلمة سواء ، كما لخص المؤلف ما سبق أن قدّمه تفصيلا في كتابه (سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الاسلامية) وأظهر دور المتغربين في إبراز كل الماجنين والخارجين على وحدة الأمة ووحدة الصف وزرع الشك في نفوس الشبيبة أملا في تحطيم الوحدة الاسلامية ورابطتها ، كما أحيا هؤلاء الموتورون نزغات اخرى كالفرعونية في مصر والبابلية الآشورية في العراق ، والفينيقية في الشام حتى لاتقوم للمسلمين قائمة مع ان إلهنا واحد وكتابنا واحد وقبلتنا واحدة ونحن كما قال الحق : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** » آية ١١٠ سورة آل عمران .

٦ ـ إفساد المراجع والمصادر :

تناول الباحث الاسلامي في مؤلفه محاولات أعداء الاسلام إفساد المراجع والمصادر التي يتلقفها الباحثون والدارسون مثل دائرة المعارف (الاسلامية) التي تخرجها دار الشعب بالقاهرة في مجلدات يشرف على ترجمتها نخبة من أعلامنا المفكرين ، ولكنهم قليلا ما يعلقون على موادها التي تتصل بحضارة الاسلام ونظمه وعقيدة أبنائه ، كما تناول (قاموس المنجد) الذي ألفه لويس معلوف اليسوعى سنة (١٩٠٨م) وأدخل مصطلحات كنسية ولاهوتية الى اللغة العربية ، كما انتقد سكوته عن بعض الحقائق ، كادعاء مسيلمة النبوة ، وإشادته بأبي الأتراك ، وقوله خطأ عن رسول الله « انتصر على المكيين في بدر ، لكنهم غلبوه في أحد ، وعاد فحاربهم في حنين ودخل مكة ظافرا !! » وهكذا تُقدم الأفكار عبر موسوعة مشبوهة دون تمحيص .
كما انتقد الباحث الموقّر ما يعرف باسم الموسوعة العربية الميسرة ، والتي تعتمد على الاسرائيليات والروايات التي لاتؤكدها الكتب العلمية . وقد احصى الاستاذ انور الجندي ص ٧٩ مجموعة من المؤلفات التي ينبغي ان نتعامل معها بكل الحيطة والحذر لإثارتها شبهات تسيء إلينا ـ معشر المسلمين ـ حول مفهوم الوحي والنبوة والقرآن الكريم كتاب

الله الذي « **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » آية ٤٢ سورة فصلت .
أما المصادر العربية التي تروج لها حركة التغريب فمنها كتاب الأغاني والف ليلة ـ وقد نقدهما الباحث في كتابه (مؤلفات في الميزان) ص ١٠٠- وكتاب الامامة والسياسة المجهول النسب ورسائل إخوان الصفا وغيرها ص ٨٠

٧ ـ المؤامرة على لغة القرآن الكريم :

عقد المؤلف فصلا عن المؤامرة التي يحوك خيوطها دعاة التغريب ويصوّبون على حد تعبيره مدفعيتهم الثقيلة الى اللغة العربية الفصحى بهدف إصابة القرآن الكريم أساسا ص ١٦٤ .
وقد اتخذت هذه المؤامرة أشكالا مختلفة ، **فمرة** يزعم أعداء العربية في مصر أن قوة الاختراع لا توجد لدى المصريين لا رتباطهم بالفصحى ، ومن هنا ينادون بالعامية لغة الشعب !! ، **وثانية** يدعون الى الكتابة بحروف لاتينية وقد كان رئيس المجمع اللغوي في القاهرة صاحب هذه القنبلة التي أخمد لهيبها علماء نذروا انفسهم لله والوطن وقضوا نحبهم بين قاعات الأزهر الميمون .
وثالثة يدعون الى اللغة الوسطى ـ لغة الصحف **ورابعة** يدعون الى تبديل الخط العربي وقواعد النحو تحت مسميات براقة كالاصلاح والتهذيب وغيرها « وهي اسماء لبقة مرنة تخفي وراءها هدفا خطيرا هو التحلل من القوانين والأصول التي صانت اللغة خلال خمسة عشر قرنا .. وضمنت لنا القدرة على مطالعة آثار المسلمين والعرب منذ نزول القرآن الكريم وقبله » ص ١٦٥ .
كما نبه المؤلف الأذهان الى المحاولة الجديدة لتقويض العربية وتطبيق علم اللغات الأوروبية المشتقة من اللاتينية وقد نادى بعضهم بكتابة آيات من القرآن الكريم كتابة صوتيةPhoretics على أساس لاتيني وهذا يؤدي الى تشعيب وتفريق لأمة القرآن الكريم ـ **منار الاسلام عدد ذي القعدة سنة ١٤٠٧هـ** كما عالج المؤلف ما يثار من صعوبة العربية وبيّن أن هذا راجع الى المنهج الذي يفصل كل فرع على حدة ، مثل القواعد ، والإملاء والخط ، والتعبير ، والنصوص الأدبية .
ولا تزال محاولات إحلال العامية ماثلة في الحقل الاعلامي الذي تسيطر عليه في بعض دول الاسلام فئة ذات ميول معروفة .

٨ ـ أخطار التغريب وكيف نواجهها ؟

يرى الباحث الجليل ان هناك أخطارا **ثلاثة** يجب ان يتحرر منها الفكر الاسلامي وهي ، قانون نابليون ، منهج دنلوب ، نظرية الداروينية .

أ ـ أما قانون نابليون فقد فرض على المسلمين بديلا لشريعتهم الغراء « فأقام نظاما ربويا في مجال الاقتصاد ، وقوانين تفسح الطريق امام تحلل الأسرة واضطرابها ، وشيوع الرذيلة فيها ، لأنها لا تحكم

ضبط العلاقات بين الرجل والمرأة » ص ٢٠٢ . كما يرى أن مواجهة مثل هذا القانون في المجتمع الاسلامي بأن « يطبق منهج الاسلام الأصيل في العلاقات الاجتماعية والمعاملات التجارية » ص ٢٠٤ .

ب ـ وأما منهج دنلوب فقد انتقده احمد شوقي عندما قال في التعليم :

كانت لنا قدم اليه خفيفة
ورمت بدنلوب فكان الفيلا !!
حتى رأينا مصر تخطو أصبعا
في العلم إن مشت الممالك ميلا !!

(انظر ج ١ الشوقيات العلم والتعليم) .

وكان دنلوب مستشار التعليم في مطلع هذا القرن في مصر عندما كانت تحت سيطرة الاحتلال وعميده كرومر ، وقد رمى هذا النظام التعليمي الى تخريج

موظفين لا مفكرين ـ وهو ما نعاني منه الآن . وتعليم أجيال تعادي الأديان جميعها ، وقد فتح هذا النظام الباب على مصراعيه أمام الماركسية وسموم الفكر التلمودي في مفاهيم : فرويد ، ودوركايم ، وسارتر .

وظلت موجة التغريب بعد رحيل دنلوب لها آثارها السيئة في شعور بعض المسلمين بالنقص أمام الغريب المحتل

وإعلاء شأن الأجنبي مع أن الاسلام يدعونا إلى التحرر من تبعية الغير والخضوع لله وحده « **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** » آية ٨ سورة المنافقون .

ح ـ واخيرا نظرية الداروينية .
وقد رأى الأستاذ أنور الجندي أن هذه النظرية من أخطر النظريات التي واجهت الفكر الاسلامي في القرن العشرين وهي تخالف وتعارض نظرية الخلق التي جاء بها كتاب الله تعالى ،

وقد عملت القوى التغريبية على بث هذه النظرية تأكيدا لمبدأ البقاء للأقوى ورغبة في أن تظل السيطرة الاستعمارية ناشرة ظلالها على الشعوب الاسلامية .

ومع أن هذه النظرية قد ثبت فشلها بالدليل العلمي وجاءت قوانين (مندل) في الوراثة تؤكد زيف دارون ، وفنّدها علماء الاسلام أمثال

الافغاني وفريد وجدي والمودودي وخان والندوي الا أن هذه النظرية الخاطئة تدّرس لتلاميذنا وفي جامعاتنا ، فمتى تتطهر مناهجنا من مثل هذا الهراء؟!

وهكذا عشنا مع هذا المؤلف الذي القى الضوء على كثير من القضايا

التي تأثرت بالتغريب ومؤامراته ضد الاسلام وكتاب الله الخالد ، فهل نحن سائرون الى طريق الحق ؟ حيث دعانا

اليه المولى جل وعلا قائلا « **وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** » آية ١٥٣ سورة الانعام .

والله من وراء القصد إنه سميع مجيب .

مصادر التشريع

وفى كتاب عمر بن الخطاب إلى شريح : « إذا وجدت شيئا فى كتاب الله فاقض به ، ولا تلتفت إلى غيره ، وإن أتاك شىء ليس فى كتاب الله ، فاقض بما سن رسول الله ﷺ ، فإن أتاك ما ليس فى كتاب الله ولم يسن رسول الله ﷺ فاقض بما أجمع عليه الناس ، وإن أتاك ما ليس فى كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ ولم يتكلم فيه أحد قبلك ، فإن شئت أن تجتهد رأيك فتقدم ، وإن شئت أن تتأخر فتأخر ، وما أرى التأخر إلا خيراً لك » .

وكانت طريقة أبى بكر وعمر على هذا المنوال . قال أبو عبيد فى كتاب القضاء :

« كان أبى بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظر فى كتاب الله تعالى ، فإن وجد فيه ما يقضى به قضى به ، وإن لم يجد فى كتاب الله نظر فى سنة رسول الله ﷺ ، فإن وجد فيها ما يقضى به قضى به ، فإن أعياه ذلك سأل الناس : هل علمتم أنّ رسول الله ﷺ قضى فيه بقضاء ؟ فربما قام إليه القوم فيقولون : قضى فيه بكذا أو بكذا ، فإن لم يجد سنة سنها النبي ﷺ جمع رؤساء الناس فاستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على شىء قضى به ، وكان عمر يفعل ذلك ، فإذا أعياه أن يجد ذلك فى الكتاب والسنة سأل : هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء ، فإن كان لأبى بكر قضاء قضى به ، وإلا جمع علماء الناس واستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على شىء قضى به » .

وبذلك كانت مصادر الفقه فى هذا العصر أربعة : الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والقياس .

من كتاب التشريع والفقه في الإسلام

قصة قصيرة

أزمة ضمير

للأستاذ / أحمد محمود مبارك

ما أن جلس على المائدة في حديقة النادي الكبير هو وعروسه الشابة حتى التف حولهما جمع من الرجال والنساء يعبرون لهما عن تهانيهم بالـزواج السعيد .. رمق البعض من خلال نظارته السميكة « لا يعرف أغلب هؤلاء . ما هذا الفضول ؟ وما تلك النظـرات الغريبـة التي يراهـا في العيون ؟ نظرات لم يرتح إليها .. لمح فيها بريق خبث ودهشة . أيستكثرون عليه زوجته الشابة الجميلة ؟ » شعر بضيق واختناق ولم يتنفس بعمق إلا حـين انفض المهنئون عـائدين الى موائدهم ، وجد نفسه في مـواجهة عروسه الجميلة .. اتسعت ابتسامتها وهي تقول :

ليتنا أمضينا في أوروبا شهرا آخر ..

هناك لم يكن أحد يعرفنا .. كنت أحسّ وأنا معك في أي مكان مزدحم أن أحدا لا يشاركنا جلستنا أما الآن فإنهم ينظرون الى الدكتور النابغة بإعجاب . قال منفعلا برغم ابتسامته :

ـ لا تذكريني . لم أعد دكتورا ولا نابغة .. هجرت الطب وكده وإرهاقه منذ عرفتكِ .. كفى ما ضاع .. أريد أن أعيش .. أنتِ سعـادتي وفجـري الجديد .

ـ ومضت عيناها بالبهجة واسترسل .
ـ لكن تذكرى أنك أبديت الرغبة في العودة
اتسعت ابتسامتها وهي تقول :
ـ لأنك أنفقت هناك مالاً كثيرا . أكثر من اللازم .. كنت كريما معي ياحبيبي لدرجة لا تتصور .
همس منتشيا :
ـ لا شيء يغلو عليك،لحظة سعادة معك بكنوز الدنيا .
اقترب بصدره من المائدة ووضع ماصة العصير بين شفتيه ببهجة طفولية .

وفجأة سمع هرجا وحركات مضطربة .. اقترب منه بعض الرجال والنساء في هلع واستغاثة . صاحوا معا .
ـ أغثنا يادكتور مراد ... المهندس كمال الدين فاجأته أزمة سقط وهو يتناول العشاء مع أولاده وزوجته .
نظر إليهم بغيظ « زوجته محققة ، الناس لا يتركونه وشأنه .. لقد قرر وانتهى » قال بصوت حاد :
ـ وما شأني . وهل هذا وقت ..
اقتربوا منه أكثر وازداد قلقهم .
ـ نرجوك يادكتور انه في النادي قرب مدخل الحديقة . أزمة قلبية كثيرا ما تفاجئه .
ـ صرخ فيهم :
ـ أرجوكم . لقد جئت كي استجم واستريح .. لست على استعداد لأي عمل . ثم انني ... قررت ... ظروفي لا تسمح .. البلد ملء بالأطباء ..
التف بعضهم حول زوجته يرجونها ..
نظرت إليهم وإليه ولم تنبس بكلمة ..

ارتفع صراخه :
ـ ما هذا!. ما هذه الفوضى والهمجية . لماذا لا تحترمون حريتنا وظروفنا وتتركوننا وشأننا ؟
تعالت همهمات البعض سمع من خلال اللغط كلمات جارحة قام منتفضا وجذب يد زوجته وغادرا المكان وهو يغمغم .. لا حقته بعض الشتائم ... توقف ، رمقهم بغيظ جذبته زوجته ومضيا الى حيث سيارته الفارهة

★ ★ ★

أخذ يزفر وهو يقود السيارة بعصبية .. قالت له زوجته وهي تربت على كتفه
ـ اهدأ يامراد .. لا تجعل شيئا يعكر دمك .
أجابها وانفاسه مازالت مضطربة .
ـ الناس لا يدعونني وشأني .. أخذوا عمري ويريدون أن يعتصروا ما تبقى مني . أجل إنهم فضوليون وأنانيون لا يهتمون براحة الآخرين
ازدادت سرعة السيارة ورجعت به الذاكرة الى أحداث الشهور القريبة الماضية .
كان قد قرران يستريح. كفى هذا العمر الطويل الذي بذله في هذه المهنة الشاقة. بالفعل حققت له الثراء والشهرة ، لكنها سلبته ما هو أغلى من أي ثراء أو شهرة . سلبته العمر والشباب إذن فليستمتع بما تبقى له من عمر ولينفق ما شاء من ماله الذي لم يترك عمله الشاق وقتًا لديه كي يستمتع به . لم يعد يخشى الفقر حتى لو عاش ضعف سنواته التي عاشها وبلا أي دخل جديد،كان صديقه محقا

حين قال له :
ـ إلامَ يادكتور مراد تظل هكذا مضيعا عمرك بين الجامعة والعيادة والمؤتمرات الطبية والعمليات والبحوث والمراجع .. لقد تجاوزت الخمسين ، حرام عليك ان تضيع عمرك هكذا في كَدّ وإرهاق وبلا زواج هل ينقصك مال او شهرة ؟ أنا لا أقصد من قولي غير أن تنظر لنفسك وتحقق شيئا من التوازن بين عملك وحياتك .
من سوف يحمل اسمك الكبير بعد عمر طويل ؟ من سوف يفخر بأنه ابن الدكتور مراد جراح القلب الشهير .. حينذاك حَدّثَ نفسه قائلا بادىء الأمر :
« أدري دافعك لما تقول إني أكشف أغوارك جيدا إنه الحقد الذي تضمره لي والمنافسة التي لا تقدر عليها ، انت تريد ان تزيحني عن طريقك لتبقى وحدك جراح القلب الشهير الكبير ويطمس اسمي وينسى مع الأيام والإهمال »
واكتفى بأن تفحصه بشعاع ثاقب وابتسامة ساخرة ..
وحين زار هذا الزميل بعد أيام قليلة لمّا عَلِمَ بمرضه المفاجىء وجده محاطا وهو طريح الفراش بأبنائه وزوجته . كانوا حوله يغمرونه برعايتهم وحنانهم وخوفهم الحريص فترتسم على شفتيه ابتسامة مضيئة برغم وجهه الشاحب حينذاك أدرك أن ثمة أُمورا هامة في حياته تنقصه ولم يكن يلتفت إليها .. كان يوما مطيرا شديد البرودة عاد الى منزله فأحسّ للمرة الأولى بخوائه ووحشته وبأن الآثاث الفاخر والفراش الوثير والتحف النادرة والهواء الساخن الذي ينبعث من مكيف الهواء المستورد . كل هذه الاشياء لا تبعث بهجة ولا دفئا حقيقيا لقلبه التعس المرتعد .. طال عليه الليل في ذلك اليوم .. عقارب ساعة الحائط كأنها تجمدت .. ما بين دقيقة واخرى عمر من الملل والضجر والصقيع والأرق والتوتر .. قام الى مكتبته الطبية التي امتدت لتشمل أغلب اركان الشقة الرحبة شعر نحوها ببغض شديد « سلبت منه عمرا عزيزا .. لا . لن يحقق التوازن . أي توازن هذا ؟ لقدأمضى أكثر من عشرين عاما يعمل ما يقرب من عشرين ساعة في اليوم الجامعة والعيادة والمؤتمرات والعمليات والندوات . حتى سفرياته كانت كلها لأجل العمل .. سحقا لهذا الغباء .. لم يعش شبابه كما عاشه الآخرون .
ما ذا جنى ؟ إن تلاميذه عاشوا وأحبوا وتزوجوا وأنجبوا وتمتعوا بحياتهم وبرغم ذلك نجح أغلبهم في عمله بل إن بعضهم ينافسه الآن .. ما قيمة المال والعمر يضيع في صحراء باردة مقفرة ؟ لا بد من الاستقالة من عمله الجامعي . حتى العيادة لا بد أن يؤجرها لمن يريد أن يكد ويشقى وحسبه مامضى. لابد أن يعيش ويستمتع ويتزوج ويمضى عمره الباقي في استجمام واستمتاع متنقلا بين البلاد».
ـ قطعت عليه زوجته استرجاعه وهي تقول بدهشة :
ـ الى أين يامراد ؟ لقد أُوشكنا أن نخرج من المدينة كنت أُحسب أنك

ستعود بي الى المنزل .
أجابها وهو يستطلع الطريق حوله
هه .. آه .. أجل إننا تركنا المدينة بالفعل هذا افضل.اريد أن نبتعد عن أي زحام .. الليل ما يزال طويلا لنمض سهرتنا في أحد الكازينوهات بالطريق الصحراوى .
ما رأيك ؟ إن النوم يأخذك مني ياعروستي الجميلة .
ضحكت منتشية وهي تدير مفتاح « ريكوردر » السيارة ، انبعثت منه موسيقى حالمة تمايلت برأسها على ايقاعاتها تمايل معها وهو يقهقه .

★ ★ ★

أحس وهو يحاول النهوض من الفراش بثقل في حركته جلس على الفراش متمددا .
نظر في ساعة كبيرة بجواره الوقت ظهرا . نادى على زوجته .. اقبلت نحوه رشيقة مرحة .. لا حظت شحوب وجهه واحمرار عينيه قالت :
لقد أرهقك يامراد سهر الأيام الماضية لم أشأ أن أوقظك .. تركتك لتستريح إنك لم تنم ليلة أمس لاحظت ذلك .
قال ملولا :
ـ لا.لا شيء.طوال عمرى أسهر وأكد .. أنها مكالمته التليفونية أمس .
ذلك الحاقد طوال عمره يكرهني .حتى بعد ان تركت له المجال .. وحققت له مراده لقد نقلوا المريض الى عيادته بعد أن غادرنا النادي وعالجه وأخذ أتعابه فلم يفعل ما فعل ؟ انها فرصة ان اصبح له مريض ثري كالمهندس كمال الدين تنتابه الأزمة كل فترة ..

قالت :
ـ لا يعنيك لا تعكر دمك . لقد تركت لهم المجال .. ليمرحـوا فيه كيف شاءوا ..
نهض متثاقلا . قالت لحظات وأعد لك الطعام .. نظر اليها وهي تتحرك برشاقة وهمس « حقا لا يجب ان أعكر دمي يكفيني ما أنا فيه من نعيم »
قالت له ـ وهما يأكلان ـ سأخرج انا لشراء الملابس التي حدثتك عنها "موديلات" جديدة للربيع . وفي الليل لست أدرى إن كنت سأحضر حفل عيد ميلاد سهير اولا . ؟؟
الأمر يتوقف على رغبتك اذ لابد من أن تكون معي ..
قال بعد صمت .
ـ ضروري . أن نحضر .. لكن هل تـريدين الـذهاب لشـراء الأشياء وحدك ؟
ـ أجل يامراد أريد ان تستريح إنك لم تنم بالأمس .. ثم إنني سأشترى هدية لسهير واتنقل بين أكثر من محل .. الأفضل ان تستريح الى أن أعود حتى نسهر سهرة ممتعة .

★ ★ ★

في عيادة أحد الأطباء الشبان دار حديث بين اثنين من الأطباء :
ـ ما رأيك يادكتور حسن فيما فعله استاذك منذ ايام ؟ أما علمت ؟
قال الآخر بنبرة حزينة :
ـ حزنت ولكني لم اتعجب مما حدث .
لقد تغير الدكتور مراد منذ شهور طويلة ثمة تصرفات ووقائع غريبة

صدرت منه تجعلني ارى فيما حدث نتيجة طبيعية لها ..
رمقه الآخر بوجه مستفسر وتوقفت الكلمات في شفتيه وبعد فترة صمت قال الدكتور حسن لزميله :
ـ الطب رسالة إنسانية . وتضحية قبل ان يكون علما ومهنة . لكن للأسف هناك من لا يدركون ذلك .
وافقه الآخر بإيماءة من وجهه .. فاسترسل .
ـ آه ذكرتني يادكتور سعيد .. كيف حال المهندس كمال الدين الآن ..؟؟
ـ الحمد لله إنه على مايرام لقد بذل الدكتور مروان جهدا كبيرا من أجله .. كنت معه في المستشفى في ذلك الوقت .. وزرناه في منزله أمس الأول الحمد لله حالته تحسنت كثيرا .
وحينما اراد ان يقوم مستأذنا في الانصراف
أمسك به الآخر ليجلسه قائلا :
ـ لا . إنك لا تعطلني في شيء أنت تعرف أنني أحضر الى العيادة قبل موعد العمل بساعة لأرتّبَ أموري لم يزل امامنا ما يقرب من نصف ساعة وانت مازلت على موعد عملك بالمستشفى ساعة .. دقائق .. اجلس دقائق اني اريدك في ..
قطع كلماته جرس الهاتف .. تغير لون وجهه رويدا وهو يستمع الى المكالمة وانقلبت سحنته .
صاح بصوت مضطرب :
ـ كيف عرفت ؟ من الجريدة.متى ؟ الآن لا حول ولا قوة إلا بالله .
قام منتفضا رمقه الآخر مذهولا ، اقترب منه وأمسك بيده قائلا :
ـ ماذا بك ياحسن ؟ ماذا حدث .

عاد الآخر الى مكتبه . ضغط على زر الجرس اقبل عامل العيادة ، بادره بصوت مرتجف ..
ـ أرجو ان تحضر لي جريدة المساء الآن .
قال العامل وهو ينظر حوله مستطلعا
ـ معي .. لديّ نسخة يادكتور .. حالا قام زميله حائرا . أمسك به مرة أُخرى
ـ ماذا يادكتور حسن ؟ أقلقتني . ماذا حدث
دخل العامل بنسخة من الجريدة جذبها الدكتور حسن أمسك بها مرتجفا وقعت عيناه على عمود جانبي اسفل الصفحة الاولى مَرّ على عناوينه بسرعة رمق الصورة المجاورة للكلمات تحرك زميله نحوه بلهفة وهلع.نظر الى حيث ينظر بعد أن أمسك بطرف الجريدة صاح .
ـ يا إلهي،لا حول ولا قوة إلا بالله سبحان من له الدوام

★ ★ ★

كان الخبر عن وفاة الدكتور مراد جراح القلب الشهير بأزمة قلبية فجر أمس وذكر الخبر بعض التفاصيل وهي انه كان مع زوجته في سهرة بمنزل صديقة لها ثم استأذن بعد منتصف الليل للخروج الى حديقة المنزل بمفرده لاستنشاق الهواء.وبعد ما يقرب من ساعة تذكر الموجودون انه لم يعد،فبحثوا عنه ووجدوه ملقى على الأرض .. وحين نقل الى المستشفى كان قد فارق الحياة .. وفي المستشفى قرر الأطباء أُن الأزمة استمرت معه ما يقرب من ساعة دون أن ينقذه احد ..

مائدة القارئ

من دعاء ابراهيم

قال تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : « **رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين . واجعل لي لسان صدق في الآخرين . واجعلني من ورثة جنة نعيم . واغفر لأبي إنه كان من الضالين . ولا تخزني يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم** » الآيات ٨٣ ـ ٨٩ من سورة الشعراء .

الناس ثلاثة

قال حكيم :
الإخوان ثلاث طبقات :
طبقة كالغذاء ، لا يستغنى عنه .
وطبقة كالدواء ، يحتاج إليه أحيانا .
وطبقة كالداء ، لا يحتاج إليه أبدا .

نصيحة

قال أبو الأسود الدؤلى لابنه :
يا بني ، إن كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك .
ولا بكلام من هو دونك فيزدروك .

الصبر .. والشكر

من أقوال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ المأثورة :
لو أن الصبر والشكر بعيران . ما باليت أيهما ركبت .

الإكثار من الصدقة يوم العيد

جاء في صحيح مسلم : « إن النبي صلى الله عليه وسلم قام يوم الفطر ، فصلى . فبدأ بالصلاة قبل الخطبة . ثم خطب الناس . فلما فرغ نبي الله صلى الله عليه وسلم نزل . وأتى النساء . فذكرهن . وهو يتوكأ على يد بلال . وبلال باسط ثوبه . يلقين النساء صدقة .

قلت لعطاء : زكاة يوم الفطر ؟ قال : لا . ولكن صدقة يتصدقن بها حينئذ . تلقى المرأة فتخها . ويلقين ويلقين .

قلت لعطاء : أحقا على الإمام الآن أن يأتى النساء حين يفرغ فيذكرهن ؟ قال : إي . لعمري ! إن ذلك لحق عليهم . وما لهم لا يفعلون ذلك ؟

مع الصبر الفرج

إن الأمـور إذا سـدت مطـالبـهـا
فـالصبـر يفتـق منهـا كـل مـا ارتتجـا
لا تيـأسـنّ وإن طـالـت مطـالبـة
إذا استـعنـت بصبـر أن تـرى فـرجـا
أخلق بـذي الصبـر أن يحظى بحـاجتـه
ومـدمـن القـرع لـلأبـواب أن يلجـأ

الشيخ احرص على الحياة

سأل احدهم : ما بال المشايخ أحرص على الدنيا من الشباب ؟
قالوا : لأنهم ذاقوا من طعم الدنيا مالم يذقه الشباب .

رسالة عمان من فهمي الإمام

تعيش « عمان » نهضة شاملة في كل مجالات الحياة ... نهضة عمرانية تمثلت في المباني الحديثة .. والطرق الواسعة الجميلة ، والتنظيم الرائع للمرور . وايصال الكهرباء والماء لكل بيت .

ونهضة ثقافية .. تمثلت في احياء التراث الاسلامي ، وطبع ونشر الكتاب في شتى صنوف المعرفة . وفتح المكتبات العامة أمام من يريد أن يعيش في النور .. نور العقل والايمان ونهضة أخرجت عمان من غفوتها لتستعيد سيرتها الأولى ، فهي صاحبة أمجاد تاريخية ، وصاحبة رسالة في نشر الدين الاسلامي والدفاع عن بيضة الاسلام .

هكذا رأينا عمان اليوم .. يقوم المسجد بدوره خير قيام ، وتقوم المدرسة بدورها أيضا في تعليم الناشئة ، وبناء جيل جديد مسلح بالعلم والايمان .. ويقوم الرجال المخلصون بالعمل من أجل النهوض بواقع المسلمين وانتشالهم من





التخلف ، والاعتماد على الأجنبي ، فعم نشاط الرجال مجال الزراعة ، ومجال الصناعة والتجارة . واستغلال ثروات البحر .
ووسط هذا الزخم من النضال لصالح الاسلام والمسلمين ، عقدت «ندوة الفقه الاسلامي» في جامعة قابوس بعاصمة «سلطنة عمان» مسقط . وفي تجمع ضم ممثلين لأكثر من ٢٥ دولة إسلامية ، بالاضافة الى هيئات ومؤسسات إسلامية في بلاد غير اسلامية .
فما الهدف من هذه الندوة ؟ ... وماذا ننتظر من قادة الفكر الاسلامي .. وبخاصة الفقهاء منهم .. ؟
وما المهمة الملقاة على عاتقهم ؟ ولماذا دعت سلطنة عمان الى هذا اللقاء تحت شعار « ندوة الفقه الاسلامي » وما الموضوعات والقضايا التي تم طرحها ومناقشتها ؟
هذا ما سوف تجيب عليه وقائع الجلسات التي سنعرضها عليك أيها القارىء العزيز ...
عقدت الندوة في قاعة تتسع لأكثر من ألف شخص .. في جامعة قابوس .. أحدث جامعة في منطقة الخليج العربي صممت على أحدث طراز ، وعلى مساحة واسعة ، شغل فيها المسجد مكانا متميزا .
وامتدت جلسات الندوة حتى شملت الفترة الواقعة بين ٢٢ و٢٦ من شعبان ١٤٠٨هـ ـ الموافقة ٩ ـ ١٣ من ابريل ١٩٨٨م .

ندوة الفقه الإسلامي

جامعة السلطان قابوس

مسقط

٢٢-٢٦ شعبان / ٩-١٢ ابريل



ممثل جلالة السلطان في افتتاح الندوة

جلسة الافتتاح

وفي صباح السبت ٢٢ من شعبان ١٤٠٨هـ . افتتحت الندوة في جلستها الأولى بآيات من الذكر الحكيم ثم ألقيت الكلمات . حيث شمل الندوة برعايته جلالة السلطان قابوس بن سعيد ، وأناب عنه سمو السيد / ثويني بن شهاب الممثل الخاص لجلالته في افتتاح الندوة . فألقى كلمته .. التي بدأها بحمد الله ، والصلاة والسلام على رسوله ، ثم رحب بالحضور من العلماء والفقهاء .

ثم قال : ان اجتماع العلماء هو المجال الرحب للوصول الى الآراء الموضوعية القائمة على أساس من البحث والتقصي والنظر على ضوء العلم والمعرفة .

تعاليم هي الحل الناجح لما نعانيه من مشكلات وتحديات

ومضى يقول مخاطبا المشاركين :

ان ندوتكم هذه عمل مبارك لأنها ستسهم في اثراء التفكير وتوحيد اتجاهات المشاعر في عالمكم الاسلامي ، كما أنها ستوطد آمال المسلمين جميعا في وحدة الأمة الاسلامية في فكرها واتجاهاتها ومنهجها وفي شتى أساليب العمل والسلوك لتكون خير أمة أخرجت للناس . ولتكون كما وصفها رب العزة « إن هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون » . ان تعاليم الاسلام ومبادئه هي الحل الناجع لكل ما يستجد في حياتنا من مشكلات وما يعترض سبيلنا من صعوبات والفيصل القاطع لكل الشبهات وصدق الله حيث يقول (**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين.يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم** .

وعن دور العلماء قال ممثل جلالة السلطان :

أنتم تعلمون ـ ولا شك ـ ان الاسلام يواجه تحديات قوية وصارخة في مجتمعنا اليوم ، تحديات تريد أن تنال منه وتقضي على كتابه لولا وعد من الله جل شأنه حيث قال (**انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون**) بيد ان تحقيق وعد الله تعالى مرهون بالايمان بما جاء في الكتاب والمحافظة عليه واقامة قواعده ، وهنا يبرز دور العلماء ، وهو دور خطير ولا شك حيث ينتظر المسلمون منهم أن يكشفوا حقائق الاسلام التي تؤكد وحدة المسلمين وجمع شملهم ـ ان هذه التحديات ليست تحديات من الخارج فحسب وانما هي تحديات من الداخل كذلك .. تحديات الانحراف في الفهم أو الانحراف في السلوك .. ولكي نواجه هذه التحديات ونكون خير أمة أخرجت للناس يجب أن تزول أسباب الفرقة والخلاف ونجتمع الى كتاب ربنا

وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم نستلهم منها أمور ديننا ودنيانا .

لتكن الندوة رحلة خير

وفي ختام كلمته :
قال سموه مخاطبا العلماء : سيروا على بركة الله ولتكن هذه الندوة المباركة رحلة خير في سبيل جمع كلمة المسلمين على الخير والعمل من أجل وحدة الشمل وتطبيق مبادىء الاسلام .
وأخيرا : أرجو الله تعالى ان يجعل عملنا خيرا من قولنا وأن يجعل غدنا خيرا من يومنا (**ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا**) .

ممثل الوفود

وقد مثل الوفود المشاركة في الندوة فضيلة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ، فألقى كلمة الوفود .. قال فيها :

ان هذا الحفل الكريم الذي يلتقي اليوم حول الفقه الاسلامي على أرض سلطنة عمان ذات التاريخ المجيد في نشر وحماية الاسلام والمسلمين في هذه المنطقة المهمة من العالم .. جدير بأن يحظى بالأهمية البالغة والعناية الفائقة التي تتفق مع أهمية موضوع هذه الندوة .. وينبغي أن يتدارس بعناية مسار هذا الفقه منذ أن تأصل وأرسيت قواعده في صدور الطبقة الأولى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم استنباطا من القرآن العظيم وسنة الرسول الكريم حيث واجهوا كل جديد من الواقعات بحكم شرعي مستنبط من هذين المصدرين وما تفرع عليهما من أدلة .

وقال فضيلته : ان الشريعة هي الطريق المستقيم واستدل بقول سبحانه : (**ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**) .
والشريعة تحوي أقساما ثلاثة هي :
أ ـ الأحكام الاعتقادية التي تتعلق بما يجب الايمان به .
ب ـ الأحكام التهذيبيه : وهي التي تتعلق ببيان الفضائل التي يجب أن يتحلى بها المؤمن .
جـ ـ الأحكام العملية : وهي التي تتعلق بأعمال العباد وهذه الأخيرة هي موضوع علم الفقه .

نشأة الفقه الاسلامي

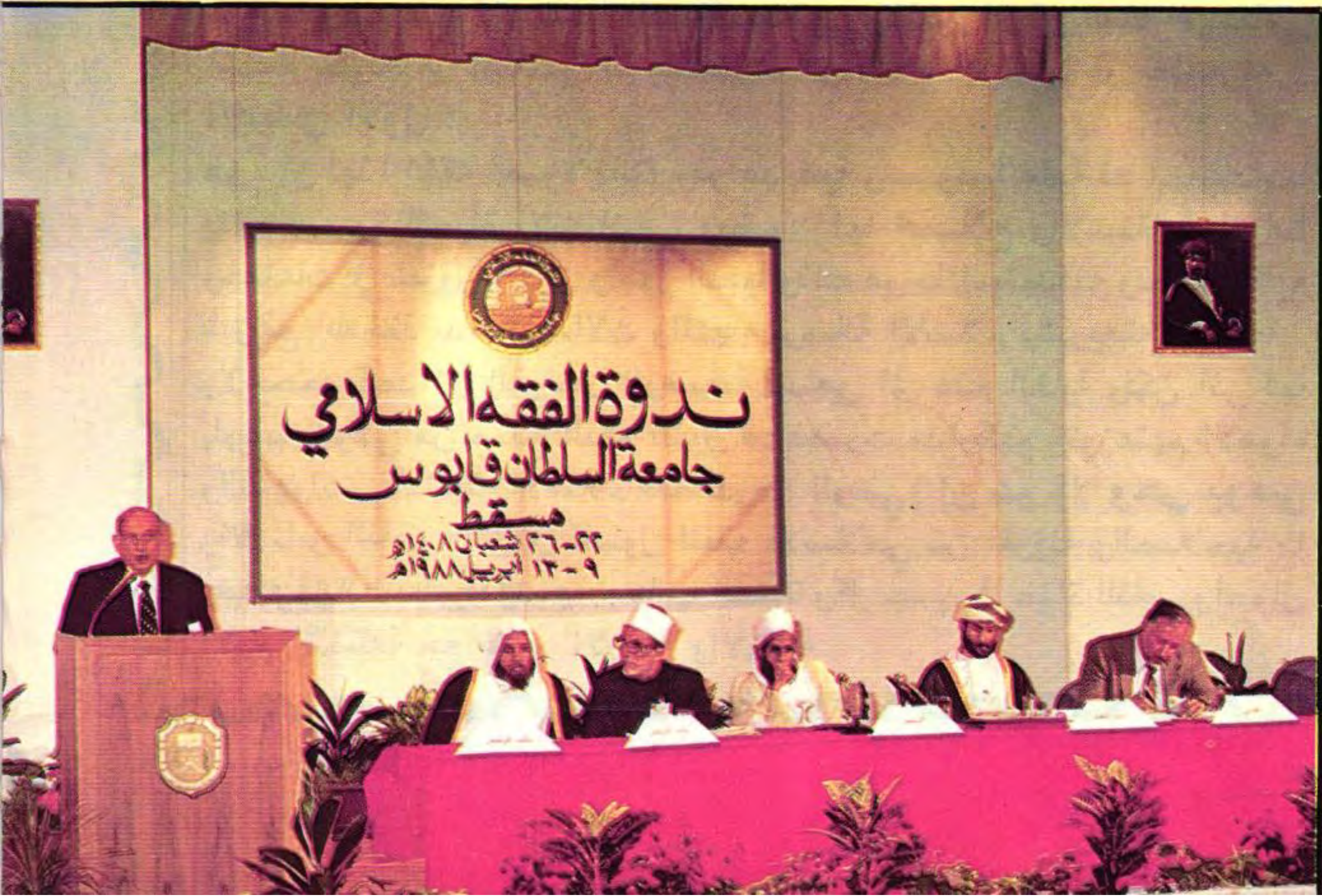
وكأي كائن حي نشأ الفقه الاسلامي وليدا ثم مر بكل مراحل التطور حتى وصل الى غايته من النضج والكمال .

يقول شيخ الأزهر

ويظهر من تتبع خطوات هذا الفقه أنه تأسس على قواعده الكلية وأصوله العامة بوحي من الله سبحانه الى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم . تلك القواعد والأصول قد احتواها القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التشريعية قولا وعملا وتقريرا .

ثم جاء دور البناء على تلك الأصول والأسس ثم دور النضج واستكمال مقوماته والارتفاع به على يد طائفة من الأئمة المجتهدين المخلصين الذين كان لهم من صدق العزيمة وقوة الايمان ونفاذ البصيرة وحرية الفكر المستنير ما مكن لهم من الوصول بالفقه الاسلامي الى غايته .

وذلك بحسن الفهم ، وقوة الادراك لأسرار النصوص الشرعية في الكتاب والسنة وتعرف مراميها ، والقدرة على مواجهة الأحداث والواقعات التي لم تكن فيمن كان قبلهم فاستبانوا حكمها وأنزلوه عليها وصاغوا للناس تشريعا وفقها سائغا لم يرق الى مرتبته نظام قانوني من شرق أو من غرب حتى الآن ..



ثم جرت على هذه الثروة الفقهية أو مسيرة الفقه ما يجري على كل موجود في هذه الحياة من تعثر الخطى والتخلف عن مسايرة ركب الحياة المتجدد . حتى آل الأمر الى جمود على التقليد وتوقفت حركة الفقه وقصرت عن مواجهة كل جديد من الواقعات التي تتوالى بطروء الحوادث والعقود وأدى هذا الجمود الى اطلاق كلمة النصوص الشرعية على أقوال الفقهاء فارتفعت هذه الى مكانة لم يضعها فيها قائلوها .

الدعوة الى الاصلاح

وحصر الامام الأكبر اهداف الاصلاح الفقهي في أمور ثلاثة :

أ - الاقلاع عن التقليد المطلق وعن الوقوف عندما دونه فقه المذاهب القائمة .. والسير بحركة الفقه استمدادا من مصادره الأولى : الكتاب والسنة وما قام عليهما ومعهما من أدلة ارتضتها الامة ..

ب - استحداث كتب في الفقه تحوي الأحكام وأدلتها الصحيحة وعرضها للدراسة والتعليم ، والإعراض عن الكتب المعقدة والمختصرة المخلة . التي قامت على العصبية المذهبية دون تمحيص للأدلة .

جـ - الاستفادة في هذه الدراسة من الفقه الاسلامي بكافة مذاهبه ، دون التقيد بمذهب معين في التقنين والقضاء باعتبار ان تلك المذاهب المدونة جميعها ترجع الى أصل واحد وتصدر عن معين صاف هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما تفرع عنهما من أدلة .

ثم استعرض محاولات تقنين الفقه الاسلامي وخلص الى أن الفقه الاسلامي استمد خلوده من أساسين لم يحظ بهما أي فقه سابق عليه أو معاصر له :

الأساس الأول :

هو : ان لهذا الفقه أصولا ثابتة وقواعد كلية ونصوصا عامة قد أحاطت بما ينظم مسيرة الحياة الانسانية ، ويضمن لها الصلاح والاستقامة أفرادا وجماعات في شؤون الدين وأمور الدنيا وذلك هو ما استهدفته وقصدت اليه شرائع الله منذ بدء الرسالات وانتهاء برسالة الاسلام وشريعته الخاتمة .

ولا يجحد أحد ان القوانين الوضعية تسعى الى هذه الغاية ولكن أنى لها بلوغها ؟ وهي من صنع البشر الذين قد قصرت مداركهم وتوزعتهم الأهواء والشهوات أما فقه الاسلام فمصدره : الوحي **(إن هو إلا وحي يوحى)** .

والأساس الثاني : ان في أصول الفقه الاسلامي من المرونة والصلاحية ما يجعله قابلا للتطور ومواجهة مطالب الحياة وكل جديد في حياة الناس وأحوال الأمم المختلفة مع تغاير الأزمنة والأمكنة .

مسيرة الفقه

ولكي تستمرمسيرة الفقه متجددة ملاحقة لحركة الحياة لا بد من الاجتهاد وعرض ما يستجد من أحداث ومعاملات وعقود على القواعد والأصول المستمدة من الكتاب والسنة دون التعصب لمذهب معين بل ينبغي الترجيح بين الأدلة والأخذ بالأقوى والأصح دليلا :

واقترح شيخ الأزهر أن يتدارس المؤتمر الوسائل التي توصل الى هذا الهدف وعرض بعض المقترحات وهي :

أ ـ أن تبادر كليات الشريعة وأقسام الدراسات الاسلامية في الجامعات في البلاد الاسلامية الى وضع خطة دراسة لاستقصاء المسائل المختلف عليها في فقه المذاهب الثمانية المدون فقهها . ودراسة الأدلة التي ركن اليها فقهاء كل مذهب وصولا الى ترجيح ما يؤيده الدليل أو الأدلة الصحيحة والقوية .

ب ـ ان ينهج المفتون ذات المنهج فيختارون للفتوى القول الذي يسانده الدليل دون التزام بمذهب معين .

جـ ـ ان يتجه رجال القانون وواضعوه الى استمداد كل القوانين من فقه المذاهب الاسلامية من غير تتبع للرخص أو الأقوال التي يعوزها الدليل الصحيح طلبا لأن تكون القوانين التي تنظم أمور المسلمين ويتحاكمون اليها مستمدة من نصوص الشريعة الاسلامية .

د ـ أن تعقد المؤتمرات والندوات في أوقات متقاربة بين المتخصصين من علماء المسلمين ورجال القانون لاستعراض ما تم من دراسات للمسائل الخلافية والانتهاء الى ترجيح ما تؤكد الدراسة سلامته ، وجريانه في نطاق الأصول الشرعية الاسلامية .

هـ ـ الاستفادة في هذا المجال بكتب الخلافات والفقه المقارن والتي تعرضت لبسط الأدلة لما عرض من خلافات ولما اختير من أقوال .

و ـ تبادل كتب الفقه للمذاهب المختلفة ونشر كتب الاستدلال .

ز ـ تبادل كتب السنة النبوية والعمل على المقارنة بين محتوياتها بمعرفة علماء الحديث وعلماء الفقه المجيدين واستخلاص الأحاديث التي توافقت المجموعات الحديثية للمذاهب المختلفة على صحتها ونشرها لا سيما أحاديث الأحكام .

ز ـ تبادل ونشر كتب التفسير المذهبية استظهارا لوجهة النظر في الاستدلال المذهبي بآيات الأحكام في القرآن الكريم تمهيدا لاستظهار أصوب هذه الاستدلالات بالمعايير العلمية المتداولة في علم أصول الفقه وقواعده المتفق عليها .

تلك بعض المقترحات التي أرى ان النظر فيها ميسر وانها قد توصل المسلمين الى وحدة العمل بفهم قويم لأصول الاسلام .. «ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » .

لقاء الفقهاء يمثل الوحدة الاسلامية

ثم تناول الكلمة سماحة مفتى عام السلطنة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ، فرحب بالحضور ، وأشاد بدور العلم والعلماء .

ثم قال : إن العلوم تتفاوت بقدر عطائها وآثارها في سلوك الفرد والمجتمع وبقدر حاجة الانسان إليها .

وعن أهمية علم الفقه قال سعادته : ـ إن الفقه في الدين ضرورة ملحة بالنسبة إلى أي انسان كما انه يجب ايضا ان ترجع الأمور كلها إلى موازين الله سبحانه وتعالى التي انزلها على عبده ورسوله محمد عليه افضل الصلاة والسلام فان الله وحده هو العالم بطبيعة البشر وفطرهم وبطبيعة الكون من حولهم ، وقد استخلف الله الانسان في هذا الكون ويعلم سبحانه مداخل الانسان ومخارجه **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** فالخير كل الخير فيما أمر الله سبحانه وتعالى به والشر كل الشر فيما نهى الله تعالى عنه فيجب ان تقام العلاقات الانسانية على اختلافها في ظل شريعة الله سبحانه وتعالى ولا يمكن ان يتوصل الى ذلك الا بعد التفقه في دين الله فمن المعلوم ان حياة الانسان هي حياة متطورة فان عجلة التطور تمشي إلى الامام ولا تقف وقد شهد هذا العصر الحديث تطورا هائلا في مختلف مجالات الحياة الانسانية وفي هذا التطور تحدث قضايا وتستجد مشكلات ولابد من ان تستخرج احكامها وتنتزع حدودها من مصادر الاسلام،مصادر الفقه في الدين من كتاب الله ومن سنة الرسول عليه افضل الصلاة والسلام .

ولاجل ذلك كان احتضان المؤسسات العلمية لمثل هذه الندوات والمؤتمرات التي تصب فيها عصارة الافكار من العلماء المتفقهين في دين الله سبحانه العارفين بأحكامه تبارك وتعالى،الدارسين لكتابه ولسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ولإجماع السلف الصالح أمرًا لابد منه واحتضان هذه الندوات والمؤتمرات يعود بالخير العظيم على الأمة الاسلامية لانه يفصلها ما

تأتي وما تذر في حياتها المتطورة التي تستجد فيها المشكلات المتنوعة وتحدث فيها القضايا المختلفة .

وقال سماحته : لا ريب ان لقاء فقهاء دين الله سبحانه وتعالى من مختلف بقاع الارض في بلد ما من بلاد الاسلام يمثل الوحدة الاسلامية التي فرضها الله سبحانه وتعالى على عباده المؤمنين والتي قرنها بعبادته وتقواه حيث قال عز من قائل (**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**) وقال « **وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون** » فهذا الاجتماع يجسد لنا ذلك الرباط الوثيق الذي يربط ما بين الامة الاسلامية لانه اجتماع لقادة الامة الاسلامية في افكارها وفي سلوكها فنسأل الله سبحانه وتعالى ان يجدي هذا الاجتماع جدوى عظيمة ونسأله عز وجل ان يكون عطاؤه عطاء مدرارا ونسأله سبحانه وتعالى ان نحل مشكلات متنوعة من خلال الحياة الانسانية المعاصرة بسبب ما يستجد فيها من تطورات الصناعة وغيرها في هذا اللقاء وان يتم فيه اثبات أن الفقه الاسلامي صالح لكل زمان وكل مكان وانه عطاء لا ينقطع ونور لا يبور ومعين لا ينضب .

جلسة إجراءات

وبعد انتهاء حفل الافتتاح عقدت جلسة اجراءات تم فيها اختيار سماحة الشيخ احمد بن حمد الخليلي مفتى عام السلطنة رئيسا . والدكتور بكر بن عبدالله أبو زيد رئيس المجمع الفقهي الاسلامي بالسعودية والدكتور/ رءوف شلبي وكيل الازهر نائبين للرئيس ، والدكتور/ ابراهيم زيد الكيلاني من الأردن مقررا .

جلسة العمل الأولى

وفي هذه الجلسة طرح فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر بحثا بعنوان « مرونة الفقه الاسلامي » قام بتقديم موجز له الدكتور/ رءوف شلبي ... ومجمل البحث ان الشريعة الاسلامية فيها نصوص ثابتة غير قابلة للتغيير .. وأخرى مرتبطة بمصالح الناس ، وهذه قابلة للتطور ، واستعرض البحث

صورا من الأحكام المتغيرة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد الصحابة رضوان الله عليهم ، ثم دارت مناقشات واسعة حول البحث عقب عليها **شيخ الأزهر** بقوله : -

ليس الحديث أو الكتابة في مرونة الفقه الاسلامي ، حديث استقراء لكل شيء ، انما هو كما يقولون علامات على الطريق انها امور قد تشد انتباهنا إلى ان نفكر وان نأخذ الامور بأيدينا والا نتوانى ونقف عندما درسنا من فقه لا نتجاوزه ، اما تقديم بعض الاحكام على بعض فأصل ذلك على ماهو مذكور في علم اصول الفقه وفي القواعد العامة في الفقه ما تجيزه ومالا تجيزه ، اما حديث الشورى وكونها ملزمة او غير ملزمة فتلك إشارة إلى ما تحدث عنه الفقهاء وليس رأيا توليته او تحدثت عنه ، فإني لم اعرض اطلاقا لرأي خاص إنما أطرح امورا ينبغي ان تبحث وتدرس في هذه الندوة المتخصصة . وصورة الحكم في القرآن فوق كل الصور التي في حياتنا أو ابتكرها غيرنا ، ولا ينبغي ان نقيس .

اما موضوع الاجتهاد فان ذلك كما تعلمون باب واسع حيث تطور الفكر الاسلامي منذ ان كان وهو سلسلة متلاحقة ينبغي الا نقرأ منها فصلا دون باقي الفصول حتى نتزود ونستفيد من التاريخ .

أما ان الشريعة بهذه القوة وبهذه العدالة وهناك شعوب وأمم كثيرة بين المسلمين لا تطبقها تطبيقا كاملا فأود ان أقول : ان العالم الاسلامي اشبه بالمريض الذي طال مرضه وقد استعمرت البلاد الاسلامية فترة طويلة وعلى اختلاف الشعوب تمزق نسيجها او تعطلت بعض اجزائه .

واذا ذهبنا لعلاج مريض ولم يستجب لدواء نقدمه له هل نتركه للموت ام نعيد الفحص ونحدد دواء جديدًا ؟ ... ان الهدم سهل ولكن البناء صعب ، ارجو الا نتعجل وان نحكم على شعوبنا بأنها غير اهل للالتزام بالاسلام بل لا نحكم على اولياء امورنا بهذا لاننا يجب ان ندخل في اعتبارنا ما تعرضت له هذه الشعوب وما رسخ فيها وما هناك من عوائق ينبغي ان نعمل على تغذيتها بالاسلام،نعود الى التشريع الاسلامي وكيف كان وكيف تم ولماذا تقلص دوره عن المسلمين ؟ ... نعود إلى هذا ولا نتعجل حتى تكون خطواتنا غير مرتعشة .

واضاف:ان المسلمين غير منصرفين عن احكام الاسلام وشعوبنا بخير والحمدلله ، مظاهرنا فيها الكثير من البعد عن الاسلام ولكن ارجع هذا الى ما اصاب هذه الشعوب ، من فترات استعمارية طالت في بعض الشعوب الى اكثر من مائة سنة .

اما تعبير تطور الشريعة او تطويرها فهو لا يفيد العلمانيين كما أشار الشيخ عبدالرحمن محمد بكر وليس مجاراة لهم انما هو تحدث معهم باللغة

التي يدركونها .

وقال : ان البحث ليس استقراء ولا احصاء لعوامل الثبات وعوامل مرونة الفقه الاسلامي ولكنه علامات على الطريق ومهمة الندوة المباركة ان يقول العلماء كلمتهم .

وطالب الشيخ وهبة الزحيلي من وفد سوريا فضيلة الامام بالرد على مقولة ان المذاهب الاسلامية سبب الخلاف والفرقة بين المسلمين ، فرد فضيلته انه مع الشيخ الزحيلي في ان المذاهب لم تكن ابدا على مر العصور وحتى الآن سببا للفرقة وقال ان المذاهب نشأت على اصول سليمة وصحيحة من الفقه ... واضاف انا احيل اخوتي العلماء الى قواعد اصول الفقه فسيجدون فيها الحرية الكاملة في الفهم الصحيح وسيجدون القواعد الاصيلة التي تهدي ولا تضل وانما الانحراف في الفهم او الضلال يأتي من عوامل اخرى وليس من المذاهب ولست مع الذين يتنادون باهمال هذه الثروة الفقهية او تجاهلها ، انما علينا ان ننميها وان تكون نورا نهتدي به .

جلسة العمل الثانية

في مساء اليوم نفسه عقدت جلسة العمل الثانية التي يحرض فيها الدكتور/ بكر بن عبدالله أبو زيد وكيل وزارة العدل ، ورئيس مجمع الفقه الاسلامي بالسعودية . بحثه الذي قدمه إلى الندوة تحت عنوان : « الاجتهاد ومجالاته »

مجالات الاجتهاد

وفي بحثه القيم وبعد ان استعرض أقوال اهل العلم في هذا الميدان قال : إن الأحكام تدور في قالبين : ـ

الأول : ما كان من كتاب او سنة او اجماع قطعي الثبوت والدلالة او معلوما من الدين بالضرورة كمسائل الاعتقاد واركان الاسلام والحدود ، والفضائل ، والمقدرات كالمواريث ، والكفارات ... ونحو ذلك ، فهذه لا مسرح للاجتهاد فيها بإجماع ، وطالما انها ليست محلا للاجتهاد فلا يقال فيها : كل مجتهد مصيب ، بل المجتهد فيها مقطوع بخطئه وإثمه بل وكفره في مواضع .



الثاني : ما سوى ذلك وهو ما كان بنص قطعي الثبوت ظني الدلالة أو عكسه او طرفاه ظنينا اولا نص فيه مطلقا من الواقعات والمسائل والاقضيات المستجدة فهذه محل الاجتهاد في أطره الشرعية ، وعلى هذا معظم احكام

الشريعة فهذا محل الاجتهاد ومجاله ، وقد يكون الحكم هنا من الوضوح والبيان ما يلتحق بالقسم الاول وقد تتزاحم الدلائل فيكون التفهم والتفقه والتفتيش عن وجوه الترجيح لاحد القولين او الاقوال على غيره وهنا يصح ان

يقال في حق من له بذل الوسع (كل مجتهد عند نفسه مصيب) فهذا لا يلحقه اثم وان اخطأ فالمصيب مأجور والمخطىء معذور اذ الحق في واحد من القولين او الاقوال كما ان القبلة في جهة واحدة من الجهات .

وهناك قالب ثالث : هو مجال نظر الفقيه وذلك في فهم النص ومدى انطباقه على الواقعة ومن جهة ما يرد عليه من اطلاق او تقييد او ربطه بعلة وتحرير قيامها او زوالها ، وهل النص مما سار فيه النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى

العادة او الجبلة اولا او ان النص مما قام الدليل على اختصاص النبي صلى الله عليه وسلم به اولا الى غير ذلك من وجوه التفقه في الأدلة . وما ترمى اليه مقاصد الشرع من حفظ المصالح ودرء المفاسد في مصادره الاصلية وقواعده ومصادره التبعية : كالاستحسان او الاستصلاح ، والعرف والمصالح المرسلة ، وسد الذرائع ، ونحوها من مسالك التفقه المقدرة بميزان الشرع الصحيح لا بالهوى والتشهي .

الجلسة الثالثة

عقدت هذه الجلسة في صباح الاحد ٢٣ من شعبان١٤٠٨هـ . حيث قدم الدكتور/ وهبه الزحيلي استاذ الشريعة الاسلامية ، وعميد كلية الشريعة بالامارات بالنيابة بحثه « **المصالح المرسلة عند الفقهاء** » وفي هذا البحث قسم الباحث الوصف المناسب للحكم من حيث اعتبار الشارع له إلى ثلاثة أقسام .

أ ـ مناسب معتبر وقد شهد الشارع باعتباره ، مثل جميع الأحكام الشرعية الموضوعة للمحافظة على مقاصد الشرع الكلية : وهي : حفظ الدين ، والنفس ، والعقل ، والنسب ، والمال .

ب ـ مناسب ملغي وهو ما شهد الشارع بإلغائه . كإيجاب صوم شهرين في كفارة الجماع في نهار رمضان عن الغني . فإنه وإن كان أبلغ في الزجر والردع من العتق ، لكن الشارع ألغاه بإيجابه الاعتاق أولا .

جـ ـ المناسب المرسل: وهو الوصف الذي لم يعلم من الشرع إلغاؤه او اعتباره ، لا بنص ولا بإجماع ، وهذا ما سماه المالكية « بالمصالح المرسلة » . وقد اختلف في جواز التعليل به .

ثم حدد البحث أنواع المصالح المرسلة ، وشروط العمل بها ، ومدى حجيتها ، ورأي الطوفي في إلغاء النص بالمصلحة ، حيث قال عنه : إنه رأي واه زائف . لايعتد به .

وقد استعرض بالبحث بإسهاب آراء العلماء . ومن أخذ منهم بالمصلحة المرسلة ، ومن لم يأخذ ، ودليل كل ، وضرب أمثلة للعمل بها في كثير من المذاهب الفقهية .

ثم قال الدكتور الزحيلي : إن العلماء يتفاوتون في مقدار الأخذ بها ، فأكثرهم اخذا بها « الامام مالك » ويليه « الامام احمد » ثم يليه « الحنفية » ، ثم « الشافعي » .

ثم قال : ومع هذا فإننا نؤيد « الغزالى وابن دقيق العيد » في ضرورة الاحياط في الأخذ بهذا المبدأ ، لان الاسترسال فيه حرج ، ويحتاج إلى دقة في الفهم ، وعمق في الاستنباط .

الفقيه المعاصر

وتحديد مافيه المصلحة أو المفسدة

وكان ممن عقبوا على البحث الدكتور/ طاهر بن جابر العلواني مدير معهد الفقه الاسلامي بأميركا .. حيث قال :

القضية الاساسية في رأي أن تحديد ماهو مصلحة وما هو مفسدة في اي جانب من جوانب الحياة يحتاج الى كثير من الجهود من اهل الخبرة في ذلك الجانب .

واضاف قائلا : فتحديد ماهو مصلحة اليوم وماهو مفسدة امر لا يقع في اطار خبرة الفقيه المعاصر فالفقيه المعاصر - في رأيه - لم يعد الاعداد الكافي ليكون خبيرا في كل شيء ، فيفتي بما هو طبي وبما هو هندسي وبما هو سواه . لكنه اعد ليكون انسانا قانونيا يستطيع ان يعطي المسألة المعروضة عليه تكييفها القانوني الفقهي .

الامثلة المعاصرة

ثم تحدث فضيلة الشيخ الدكتور ابراهيم زيد الكيلاني المقرر العام وطرح ملاحظة حول استكمال البحث بضرب بعض الامثلة المعاصرة على تطبيق



المصالح المرسلة في واقعنا الاقتصادي والقانوني مثل حوادث السير على الطرق ، عقود التأمين ، الشركات المساهمة .. التي تبرز حياة الفقه الاسلامي وقدرته على مواكبة العصر وقد أخذت بعض القوانين التي استمدت من الفقه الاسلامي بهذا المبدأ وطبقته ، حتى نعيش واقعنا ايضا ونبين قدرة الشريعة على مواكبة العصر..

لا خروج على إطار الندوة

وحاول البعض الخروج بالندوة عن إطارها الفقهي إلى أغراض أخرى . فواجه الموقف سماحة مفتى السلطنة بابتسامته التي لم تفارق شفتيه طوال جلسات الندوة ، ثم قال : ـ إنني ألفت نظر المشاركين في الندوة إلى انها ندوة فقهية خاصة بالفقه فلا نخرج أبدا عن اطار الفقه إلى أية قضية اخرى ، علينا ان نلتزم من ناحية النظام ، ثم اننا نحرص على ما يجمع الشمل ويمحص الكلمة ويرأب الصدع ولا نريد ان نخرج الى متاهات تؤدي بنا إلى شيء من التنازع او الاختلاف .



التتبع والاستقراء أمر سهل

وقال الدكتور الزحيلي في رده على الدكتور جابر : انه يريد استقراء وتتبعا كل ماهو مصلحة في العالم المعاصر ، وهذا لا يخرج عما ذكرته في البحث عن مقاصد الشريعة ومصادرها . وهي التي تحدد ضابط المصلحة المعتبرة ، اما التتبع والاستقراء فأمر سهل .

الاعتزاز بالقديم

وفي رده على الدكتور الكيلاني قال : لاشك ان تذييل البحث بأمثلة معاصرة أفضل ، ولكني ركزت كل اهتمامي على القديم حيث أني أعتز بالقديم .

مدرسة جابر بن زيد

وفي نفس الجلسة عرض الدكتور/ يحيى محمد بكوش بحثه تحت عنوان « مدرسة جابر بن زيد وأثرها في الفقه الاسلامي » .

وقد اشتمل البحث على مقدمة في الأوضاع الاجتماعية والسياسية في عمان ، والأوضاع الاجتماعية والسياسية في العراق .

والفصل الأول : تكلم عن نشأة المدارس الفقهية الأولى .

(١) نشأة مدرسة الحديث .

(٢) نشأة مدرسة الرأي .

والفصل الثاني : خصص للحديث عن مدرسة جابر بن زيد ومميـزاتها وخصائصها ، وتأثيرها ثم الخاتمة :

الجلسة الرابعة

وفيها قدم الشيخ محمد بن بابة بحثه بعنوان : « الاجتهاد في الاسلام ـ مجالاته وحدوده » وكان مما قال : ـ نضع بين يدي بحثنا أصولا شرعية اسلامية عامة لا نرى مسلما يحيد عنها ، أجملها في النقاط التالية :

أولا ـ عموم الرسالة المحمدية .

ثانيا ـ مبنى الشريعة كلها على جلب النفع للانسان في دنياه واخراه ، ودفع الشرور والمفاسد .

ثالثا ـ علم الانسان محدود بالقياس الى علم خالقه سبحانه الذي أحاط بكل شيء .
رابعا ـ الدين المقبول عند الله هو الاسلام
خامسا ـ النصوص الشرعية نصوص محدودة متناهية .
سادسا ـ متطلبات الحياة ومستجدات الأمور غير متناهية .
سابعا ـ لم يقدر الله لأي مخلوق مهما عظم شأنه الخلود ، ومن ثم فلابد لكل جيل ولكل زمان من هداه مرشدين .
ثامنا ـ خلق الله الناس مختلفين في مداركهم ومواهبهم ، فما من عالم الا ويؤخذ من علمه ويترك ، ما عدا المعصوم صلى الله عليه وسلم .
تاسعا ـ كرم الله الأمة الاسلامية في مجموعها ، وكرم علماءها إذا بذلوا الجهد في معرفة حكم الله ، فإن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطأوا فلهم أجر .
عاشرا ـ تستجد أمور جزئية فرعية عملية تحتاج إلى إعمال الفكر لاستنباط حكم يتفق مع روح الاسلام وقواعده الكلية ، وهذه محل الاجتهاد .

ثم مضى الباحث في تقديمه لبحثه حتى قال : إن للاجتهاد شروطا ومؤهلات أجملها الله عز وجل في قوله : « والراسخون في العلم » .
وقال الباحث : ان هذه الأصول لا خلاف عليها ، ثم تكلم عن ظهور الاجتهاد في التشريع منذ العصر النبوي وبعده اتسع نطاق الاجتهاد وانتشر ، ثم بين مجالات الاجتهاد واختلاف الفقهاء في ذلك ، والحدود التي يجب الوقوف عندها ، ومضى البحث الى غايته .. وأننا في أمس الحاجة إلى الاجتهاد لمواجهة القضايا المعاصرة في ضوء القواعد الاسلامية .





إن الدين عند الله الاسلام

وفي نفس الجلسة قدم **الدكتور/ رؤوف شلبي** وكيل الازهر بحثه بعنوان : « إن الدين عند الله الاسلام » . وقد قدم فضيلته دراسة في مفهوم وحدة الدين والذي اشتمل على مفهوم الدين لغويا وارتباطه بالمفهوم الشرعي وظاهرة التدني ومظاهرها والتفسير القرآني لظاهرة التدين واضطراب الفكر الاوروبي في قضايا الدين وتفند مزاعمهم وآراءهم .

واشار فضيلته الى مصدر الدين الاسلامي وهو الله سبحانه وتعالى كما أشار الى عناصر الدين الاسلامي وهي الوحي ، والكتاب والموحى اليه وهو الرسول .

بعد ذلك تم فتح باب المناقشة حيث تحدث عدد من اصحاب الفضيلة العلماء .

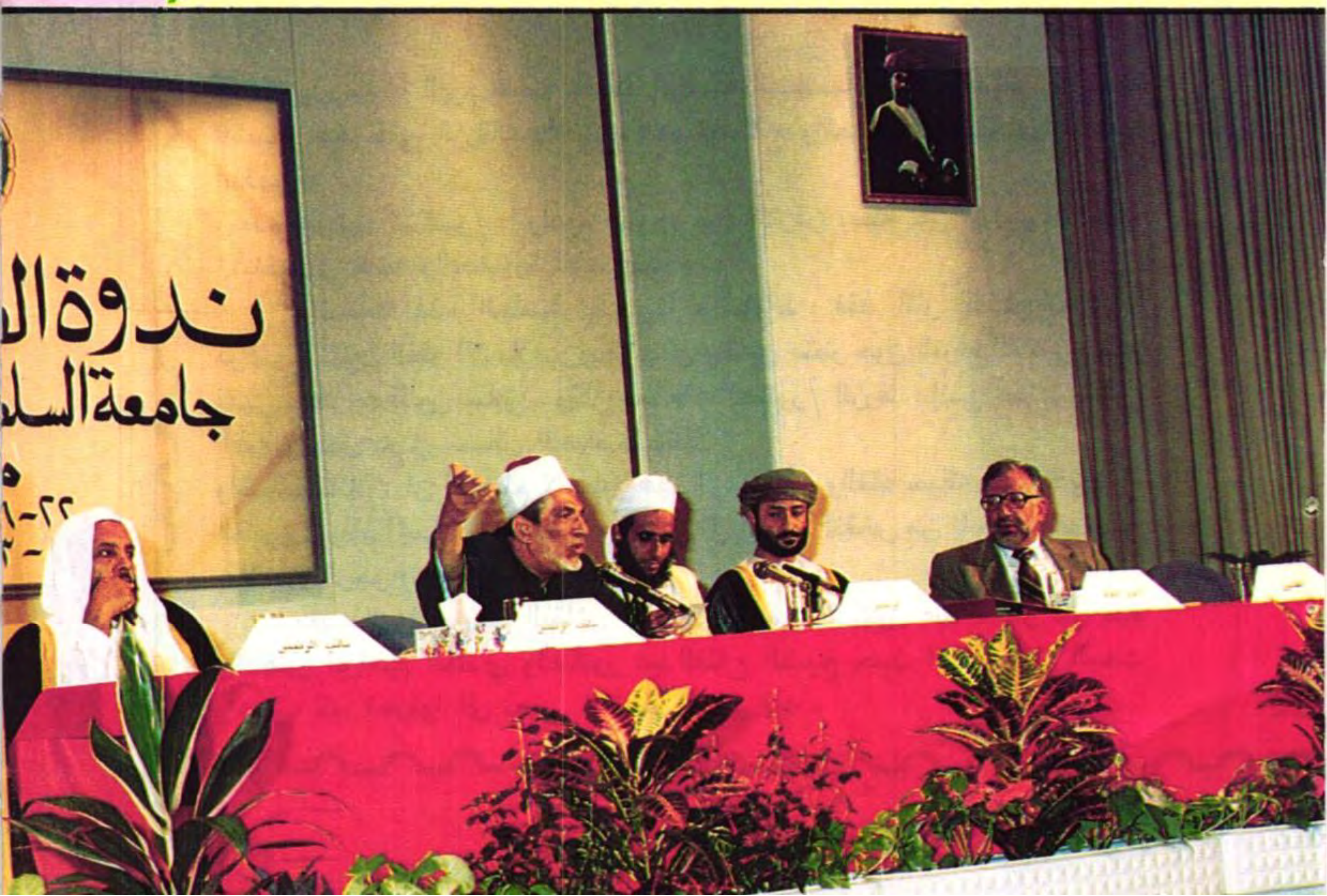
الجلسة الخامسة

وتمضى الندوة الفقهية في جلساتها حتى نأتى إلى الجلسة الخامسة والتي انعقدت يوم الاثنين صباحا ، وتم فيها عرض بحثين الأول كان عن « دور المدرسة الاباضية في الفقه والحضارة الاسلامية » . عرضه فضيلة الشيخ فرحات علي الجعبري .

والثاني دار حول « مشكلات الزواج في العصر الحديث وعلاجها في الفقه الاسلامي » عرضه الشيخ الدكتور/ ابراهيم بن احمد الكندي .

هذا « وقد دارت مناقشات مستفيضة بعد عرض كل من البحثين من السادة العلماء المشاركين في الندوة ، كما قدمت بعض الاقتراحات التي كان منها اقتراح الدكتور/ عوض خليفات وزير الشباب الاردني بعقد ندوة سنوية تتبناها جامعة السلطان قابوس بحيث تختص في موضوع محدد يستكتب فيه علماء متخصصون او تختص بمرحلة زمنية معينة ، والاهم من ذلك ان تختص بمشكلة من المشاكل التي يواجهها المسلمون في عصرنا وتحتاج إلى حلول اسلامية لها خاصة وان المجتمعات الاسلامية تعاني كثيرا من المشاكل . وبصفته وزيرا للشباب فان الشباب يعانون كثيرا جدا ويبحثون عن حلول اسلامية ولكنهم احيانا لا يجدون الحل الأمثل والأفضل .

وقال المقرر العام للندوة الدكتور/ ابراهيم زيد الكيلاني : ـ اننا بحق في حاجة الى مثل هذه البحوث التي تسير بنا قدما الى ان يعرف بعضنا بعضا والى ان يتحد المسلمون تحت راية الاسلام العظيم وان تكون المذاهب الاسلامية كلها تكمل



بعضها بعضا ويخدم بعضها بعضا ، وحتى تتحقق هذه الغاية فلابد ان تكون هناك نقاط واصول نلتقي عليها ، وقد وجدت ذلك في اصول المذهب الاباضي منها ان تفسيره للقرآن الكريم يعتمد الاصول المعتمدة عند المفسرين واستدلالهم بالادلة يرجع الى علم الاصول الفقهي الذي يعتبره ايضا علماء السنة ، والاعظم من ذلك ان رواد الحديث عند اهل السنة معتبرون عند الاباضية .

ومن المعقبين على مبحث « مشكلات الزواج » الدكتور/ محمد سيف احمد من جامعة الازهر فأشار الى : ـ ضرورة طرح قضية الزواج للمغتربين حيث أصبحت مشكلة كبيرة تؤرق عددا كبيرا من المغتربين .

وأشار فضيلة الدكتور الى عدد من النقاط التي لم يوضح الدكتور ابراهيم أدلة بها وهي قصة عمر بن الخطاب في تحديد المهور كما طالب بحذف الصفحة ٣٠ من البحث لانها تحتوي على الفاظ تشنع على المغالين في المهور .

أما الاستاذ/ محمد سليم من الهند فقد أشار الى المشكلات التي يتعرض لها المسلمون في الهند وخاصة فيما يتعلق بالطلاق والزواج حسب ما ينص عليه القانون الهندي وطالب الندوة بان ترفع توصية الى القيادة في الهند لحذف هذا القانون عن المسلمين بالهند .

الجلسة السادسة

وفي مساء اليوم نفسه عقدت الجلسة السادسة ، وفيها عرض الأستاذ الشيخ/ مصطفى الزرقا بحثه في « الاستصلاح والمصالح المرسلة في المذاهب الفقهية »

وبعده عرض الدكتور/ ابراهيم بدوي من الازهر بحثه عن « دور المدرسة الأباضية في الفقه والحضارة الاسلامية » .

واتسمت هذه الجلسة بالحيوية والنشاط ، فقد أثار الدكتور/ الزرقا موضوع تقنين الفقه الاسلامي ودار جدل ونقاش مثمر حول التزام القاضي بحكم فقهي صدر به قانون سابق . وكان مما قاله الدكتور/ الزرقا : إنني أطالب بتقنين الفقه والعمل به في مسائل الحياة المختلفة .

واضاف قائلا : ان كل علم لا يطبق فهو الى زوال ، والفقه حياته تطبيقه وعلماء القانون في بلاد المسلمين اصبحوا يرجعون الى احكام النقض من المحاكم الفرنسية بدلا من الرجوع الى الاحكام الفقهية .

بعد ذلك فتح باب النقاش فتحدث كل من الدكتور عبدالستار ابو غدة والدكتور ابراهيم الكندي والدكتور عبدالفتاح الشيخ حيث اشاروا الى البحث واهميته كما تطرقوا الى بعض النقاط والامور فيه .

بعد ذلك قام الدكتور مصطفى الزرقاء بعرض ما طلبه اصحاب الفضيلة العلماء من امور حول البحث ومن اهمها تقنين الفقه والرأي والاستحسان .

ثم تحدث سماحة الشيخ احمد الخليلي مفتي عام السلطنة واشار الى اهمية البحث والاراء التي اثيرت واهمية التقريب بين الاراء حول البحث ثم رفعت الجلسة .

قضية الالهام

ومن القضايا الساخنة التي دار حولها النقاش بشيء من الصراحة والحدة الالهام وهل هو مصدر من مصادر التشريع . فقد أشار الدكتور وهبه الزحيلي إلى أهمية الوحدة الاسلامية والبعد عن العصبية واستفسر حول موضوع الالهام وهل هو احد ادلة المذهب وذلك لان الالهام من المبادىء التي تنافي النصوص القطعية في الشريعة الاسلامية .

كما تحدث الدكتور فرحات الجعبري حول البحث واشار الى بعض النقاط التي احتواها وخاصة حول بعض الاصول والاسس .

وقال : ان الفقه الاباضي لا يعتمد على الالهام وانما على الاسس التي جاء بها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

كما شارك في النقاش الشيخ مبارك الراشدي حيث اشار الى بعض الامور التي تناولها الباحث والدكتور مصطفى الشكعة حيث طالب المؤتمر بأن يأخذ موقفا ومنهجا للمرحلة المقبلة .

بعد ذلك اعطيت الكلمة لصاحب البحث حيث قام بتوضيح ما عناه من بعض الامور التي جاءت في بحثه ثم رفعت الجلسة بعد كلمة قصيرة توضيحية لسماحة الشيخ احمد الخليلي مفتي عام السلطنة رئيس الندوة .

الجلسة السابعة

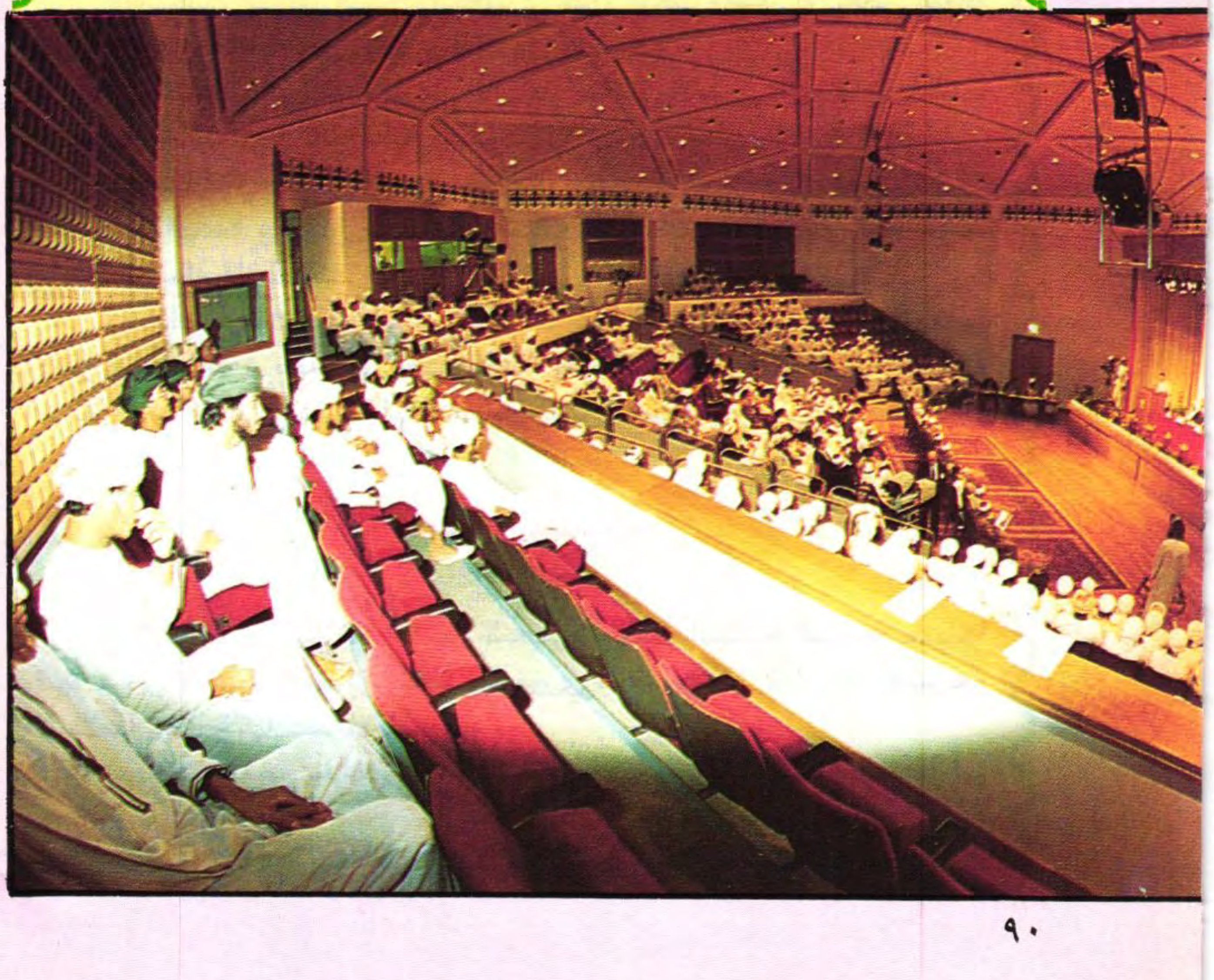
ونأتي الى يوم الثلاثاء ٢٥ من شعبان .. حيث الجلسة السابعة صباحا وفيها عرض الشيخ ناصر بن محمد المرموري بحثه بعنوان « أصول الشريعة الاسلامية وتطبيقاتها عند الاباضية » .

ثم عرض الشيخ سالم بن محمد المغتسى بحثه بعنوان « السبل القويمة الى وحدة الأمة » .

الجلسة الثامنة

قدم فيها الدكتور/ ابراهيم زيد الكيلاني بحثه عن « القيم التربوية الايمانية وأسس بناء الشخصية الاسلامية » مظلة واسعة لتوحيد المسلمين .

وكان خاتمة البحوث بحثا بعنوان : « نشأة التدوين للفقه واستمراره عبر القرون للشيخ مبارك بن عبدالله الراشدي ، وقد أشاد العلماء بالندوة ، وأثنوا على المشرقين عليها ، وأشادوا بالابحاث التي قدمت ، وناقشوا ما يحتاج الى مناقشة وطالبوا بتصحيح المسار في ضوء الأصول الاسلامية من الكتاب والسنة ، واعتبار المذاهب الفقهية فروعا في مدرسة الاسلام الشاملة.



الجلسة الختامية

وفي مساء الاربعاء ٢٦ من شعبان ١٤٠٨هـ عقدت الجلسة الختامية حيث صدرت التوصيات التي يمكن إجمال أهمها في النقاط التالية : ـ

أهداف الندوة

دعت سلطنة عمان الى عقد ندوة للفقه الاسلامي تهدف الى : ـ
(١) اللقاء بين علماء المسلمين وما ينجزه هذا اللقاء من تعارف وبحث مثمر .
(٢) الوقوف على الجوانب العديدة للفقه الاسلامي ومحاولة اثراء المسائل المستجدة بالعديد من وجهات النظر .
(٣) الاسهام في الجهود المحققة لوحدة الامة الاسلامية .
(٤) التلاقي على الاسلام مظلة واقية تحمى سائر الاجتهادات .
(٥) رأب الصدع ومحاولة القضاء على ما يدعو الى الفرقة .
(٦) دراسة احكام الاسلام واجتهادات علماء المسلمين .

التوصيات

(١) التحذير من الدعوات المرفوعة تحت شعار وحدة الاديان الابراهيمية ، ووضع الخطط المحكمة لاتخاذها فرصة لدعوة اصحاب الأديان الاخرى الى الاسلام ، وبيان ما وقع في تلك الاديان من التحريف وما طرأ عليها من النسخ بظهور الاسلام .
(٢) تدريس مادة الثقافة الاسلامية واعتبارها مادة إجبارية في جميع الكليات والجامعات على اختلاف تخصصاتها .

(٣) مراعاة التنوع المناسب لكل تخصص في هذه المادة بتضمنها الجوانب الفقهية التي يحتاج اليها الطبيب والمهندس وكل ذي تخصص في فنه .
(٤) تدريس التاريخ الاسلامي على منهج يولد في نفوس ابنائنا الاعتزاز بأمتهم وتاريخهم وحضارتهم ، والاقتداء برجاله الذين صنعوا فتوحاته وامجاده العلمية والحضارية .
٥ (أ) نظرا لما للغة العربية الفصحى من دور في فهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاتصال بكنوز الاسلام الحضارية في العلوم المختلفة فان الندوة توصى بان تعطى لغة القرآن الكريم (اللغة العربية) المكانة اللائقة بها في جميع مراحل التعليم الالزامية ، والثانوية ، والجامعية ، وفي تدريس جميع العلوم بها .

(ب) كما تهيب الندوة بالمؤسسات الاعلامية لكي تنال اللغة العربية الفصحى مزيدا من الاهتمام والعناية في كل ما يبث ، في الاذاعة والتلفاز وما ينشر في الصحف والمجلات .
(جـ) وتهيب الندوة بكليات الشريعة ، المسؤولة عن اعداد الفقيه والمفسر والمحدث ، القادر على فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاتصال بكنوز الفقه والتفسير والحديث ، ان تستكمل خططها الدراسية باعطاء طلابها حظا وافرا من علوم اللغة العربية لتدارك الخلل الخطير الذي نلمسه ونراه في بعض هذه الكليات .

كما أوصت اللجنة بـ :

(٦) (أ) ان تبادر كليات الشريعة وأقسام الدراسات الاسلامية في الجامعات في البلاد الاسلامية الى وضع خطة دراسية لاستقصاء المسائل المختلف عليها في فقه المذاهب الثمانية المدون فقهها ، ودراسة الأدلة التي ركن اليها فقهاء كل مذهب ، وصولاً الى ترجيح ما يؤيد الدليل أو الأدلة الصحيحة والقوية .

(ب) أن ينهج المفتون ذات المنهج فيختاروا للفتوى القول الذي يسانده الدليل دون التزام بمذهب معين .

(٧) نظرا الى ما يحتاج العالم الاسلامي من تفسخ اخلاقي نتيجة لتأثره بالحضارة المادية العاتية فان الندوة توصي بتأكيد المعنى الشمولي للفقه الاسلامي بعدم قصره على تنظيم الاحكام العملية الصرفة ، وذلك بالعناية بالاحكام الخلقية السلوكية بما يحقق لها التنظير الاسلامي والارتباط بالاصول الشرعية مع الاستفادة من الكتب المخصصة للآداب الشرعية والابواب الجامعة التي تختم بها كتب الفقه .

(٨) بما أن حياة الدين في العمل به ، فان الندوة تؤكد على :

(أ) ان الفقه الاسلامي الغني بأصوله ومصادره ومذاهبه المتكاملة والذي طبق في البلاد الاسلامية قرونا طويلة منذ ظهور الاسلام لجدير بأن يوضع موضع التطبيق العملي الشامل في جميع شئون الحياة امتثالا لامر الله تعالى وابتغاء رضوانه ، واستجابة لرغبة المسلمين وتوفيرا للعدالة .

(ب) ان البلاد الاسلامية وقد نالت استقلالها السياسي مدعوة لتستكمل مقومات استقلالها التام ثقافيا واقتصاديا وقانونيا ، وذلك باستمداد تشريعاتها ، وقوانينها المدنية والجزائية والتجارية وغيرها من الفقه الاسلامي .

(٩) نظرا لما يطرأ من مستجدات كثيرة تحتاج إلى ايجاد حلول اسلامية فان الندوة ترى ضرورة :

أ ـ تيسير السبل فكرا وتطبيقا لمزاولة الاجتهاد بالحدود الممكنة وفي المجالات التي تدعو اليها حاجة المجتمعات الاسلامية ، سواء بالنهوض بهذه الفريضة الكفائية على مستوى الافراد المؤهلين المؤتمنين على دين الله الملتزمين بضوابط الاجتهاد وشروطه ، او بالوصول اليه عن طريق الاجتهاد الجماعي (المجامع الفقهية) او الاجتهاد الجزئي (اجتهاد المسألة) .



ب ـ الاستفادة العملية من دليل (المصلحة المرسلة) مع مراعاة ضوابطها وشروط اعتبارها ، وذلك للوصول الى معرفة الحكم الشرعي لما استجد من التصرفات والاوضاع المعاصرة . وفي ذلك برهان عملي على خصوبة الشريعة الاسلامية وثرائها ، وسدها حاجات الناس في كل زمان ومكان ، وتحقيق لدور هذا الاصل الشرعي في المحافظة على مقاصد الشريعة واعتبارها فيما لم يرد بشأنه دليل معين .

(١٠) نظرا لتطور مناهج الدراسات الحديثة في عرض المعارف عرضا دقيقا فان الندوة تؤكد على :
أ ـ احياء كنوز الفقه الاسلامي في مذاهبها جميعها ـ واهل كل مذهب مسؤولون عن اخراج تراثهم الفقهي ومخطوطاته ليخدموه بالتحقيق والفهرسة التحليلية والاخراج الفني مما ييسر الانتفاع بهذه الكنوز الفقهية ويمكن رجال القانون والقضاء والفتيا والباحثين من الرجوع الى هذه الكنوز والاستفادة منها في دراستهم وابحاثهم واعمالهم .
(١١) توصى اللجنة الجامعات والكليات والمعاهد الشرعية بالاستفادة من تكنولوجيا العصر الحديث في حفظ المعلومات وتيسير الانتفاع بها للعلماء والباحثين .
(١٢) ان الندوة وهي تنعقد تحت شعار قوله تعالى : « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » لتدعو الى : ـ

أ ـ العمل على استمرار اللقاء بين فقهاء المذاهب الاسلامية والالتقاء على الهدف الاساسي من الفقه المبين في قوله تعالى : « ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم » بعيدا عن التنافس المذهبي والدعوة العصبية مع تضافر الجهود لمقاومة تيار التحلل من الشريعة الاسلامية او عزلها عن الحياة أو معاداتها جهلا بها أو تبعية لغيرها .

ب ـ ارساء روح التآخي بين منتسبي المذاهب الاسلامية لتحقيق الهدف الايجابي من نشأتها وهو ايجاد الطرق العملية المسلوكة لتنظيم حياة المسلمين طبقا لشرع الله ، وبناء أوضاعهم وجميع تصرفاتهم على منهج النبوة والصحابة والتابعين لهم باحسان .

جـ ـ أكد العلماء المشاركون في الندوة على ان القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدر الأول للتشريع وان ليس للمسلمين غيرهما في تاريخهم ، وعليه فان عليهم جميعا ان يواجهوا مستقبل المسلمين على أساس من دعم الأصول المشتركة وعلى مرونة وتسامح في شتى الفروع ووجهات النظر الفقهية ، معتبرين ما وقع في القرن الأول الهجري حدثا تاريخيا فحسب ولا يسمح بامتداده الى حاضر المسلمين ومستقبلهم بل تجمد تجميدا كليا من الناحية العملية .. مع التأكيد على احترام مقام صحابة رسول الله جميعا (صلى الله عليه وسلم) . ورضى عنهم باعتبارهم صفوة الأمة وهم الرعيل الأول الذين اختارهم الله لصحبة رسوله الكريم فأصبحوا أولى الناس بالاتباع ولما لهم في نفوس المسلمين من منزلة لا يبلغها احد من الناس بعد الانبياء والرسل ، وهذا هو المعتمد عند الاباضية والذين يدينون به لرب العالمين .
(١٣) نظرا لما تحققه هذه الندوة المباركة من تواصل علمي سليم بين علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم **فإننا نوصي :**
(أ) بأن تكون هذه الندوة دورية لتيسر مواصلة العمل واستكماله .
(ب) بأن تركز الدورات التالية على موضوعات متخصصة تعالج قضايا المسلمين المستجدة ، ويستفاد بها من اجتهادات علماء المذاهب ، وتستكمل ما بدأته الندوة الأولى من تعريف المذاهب بعضها ببعض .

بيت الزكاة

فكرة رائدة تلك التي قام بها أصحابها ، فأنشئوا « بيت الزكاة » في دولة الكويت ، وأقرت الفكرة دولتنا الفتية ، وأنفقت عليها بسخاء .

ذاك لأن فريضة الزكاة ركن أساسي من أركان الاسلام ، بل من أجلها حارب أبوبكر الصديق رضي الله عنه مانعيها، واعتبروا مرتدين عن الدين الاسلامي ، وقال قولته الخالدة : « والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لقاتلتهم عليه » . ودار حوار بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حول مشروعية قتال مانعي الزكاة فكان رأي عمر : ان من قال لا إله إلا الله عصم دمه ، فلا يجوز قتله .

وكان رأي الصديق : أن من قال لا إله إلا الله عصم نفسه إلا بحقها ، ومن مستلزمات لا إله إلا الله ، أن يؤدي الانسان عبادات الاسلام ، ومنها الزكاة . فمن منعها حاربناه ، حتى يؤديها ، أو يقتل .

وامتد الحوار بين الخليفة الصديق وعمر الفاروق حتى شرح الله صدر عمر للرأي الذي مال إليه أبوبكر ، فأدرك أنه الحق .

الزكاة إذن ركن أساسي ... كثيرا ما جاءت في القرآن الكريم مقرونة بالصلاة كقوله سبحانه « وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » . بل في أموال



○ سعادة وزير الاوقاف ومدير بيت الزكاة يتجولان في السوق الخيري الاول لبيت الزكاة/ ابريل ١٩٨٧ .

حوار أعده وأجراه : فهمي الإمام ـ خالد بوقماز

الأغنياء واجب فوق الزكاة يسد به حاجة الفقراء « والذين في أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم » .

وفي السنّة أحاديث كثيرة ترغّب في الإنفاق ، وتبشر بثوابه العظيم من الله سبحانه . كما في القرآن الكريم ولكن الشح من طبيعة النفوس ، والرغبة في اكتناز المال مهلكة ، وقليلون جدا هم الذين يعرفون حق الله في أموالهم .

ولما كان الحال كذلك كان لابد من التفكير في هيئة تقوم على شئون الزكاة ، وتحيي في النفس جوانب الخير ، وتوجه الانفاق إلى مستحقيه ... فكان إنشاء « بيت الزكاة »

وحول البيت ومشروعاته ودوره دار حديثنا مع مدير عام بيت الزكاة السيد/ عبد القادر العجيل

وأخذ الحديث صورة سؤال وجواب ... يطيب لنا أن ننقله إلى قرائنا الكرام

□ من مشروعات بيت الزكاة « ولائم الإفطار » التي تقام في المساجد خلال شهر رمضان المبارك لإطعام المحتاجين .. فهل هذه الولائم تعد من أموال الزكاة الواجبة أو من الصدقات أو التبرعات الطوعية ؟ وإذا كانت من أموال الزكاة فما الحكم إذا طعم من الولائم غير ذوي الحاجات ؟

* يصرف البيت على ولائم الإفطار من أموال الصدقات والتبرعات الطوعية خاصة من الأموال التي يشترطها المحسنون للمشروع نفسه ولا يصرف عليها من أموال الزكاة شيء .

فمثلا بلغ مجموع ما تم صرفه على ولائم الافطار في رمضان ١٤٠٧ عام ١٩٨٧م مبلغ -/٨٧٢٣٨ دينارا .

□ اهتم بيت الزكاة بسد حاجة اليتيم وطالب العلم وغير ذلك من وجوه البر ، ولكن أليس من البر بل يأتي في مقدمة أعمال البر ، ان ننقذ مريضا من مرضه وان نخفف من آلام انسان لا تتوفر له القدرة المالية على العلاج فنحن نعلم مثلا ان مئات مرضى الكلى أو من يعانون من مرض الفشل الكلوي يموتون وهم ينتظرون دورهم أمام وحدة غسيل الدم .... أليس من الخير أن يرصد بيت الزكاة جزءا كبيرا من أمواله لإنشاء وحدات غسيل الكلى لإنقاذ حياة المرضى وغير ذلك مما يخفف آلام الانسان .؟

* يتشعب اهتمام بيت الزكاة بوجوه الخير والبر المختلفة ولا يألو البيت جهدا في رعاية المرضى والعجزة بشكل عام . وهو يقدم الدعم لصندوق إعانة المرضى وينسق معه في الأمور المتعلقة بالأمور الصحية باعتباره جهة متخصصة في هذا المجال .

ولأن البيت يقوم برعاية آلاف الأُسر المحتاجة ، ويرعى آلاف الايتام وله دوره المشهود في تخفيف آلام المجاعة عن مسلمي العالم وفي دعم المسلمين المتضررين من الكوارث والحروب وفي بناء المساجد والملاجىء والمدارس والمستشفيات . وحفر الآبار في اماكن تجمع المسلمين . لذلك كله فإن إنفاق مبالغ كبيرة في مشروع وحدات غسيل الكلى يحتاج إلى الاهتمام الرسمي من جهة الاختصاص « وزارة الصحة العامة » .



○ صناديق الجمعيات التعاونية لتيسير سبل اخراج الزكاة والانفاق على المواطنين .

□ تصدر نشرات وكتيبات عن بيت الزكاة ... وهذه تتكلف اموالا ... فهل يتم اعدادها والانفاق عليها من اموال الزكاة ... وإذا كان ... فهل هناك مسوغ شرعي ؟

* يتم الانفاق على اصدار النشرات والكتيبات المتعلقة ببيت الزكاة من الميزانية العامة للبيت وليس من اموال الزكاة .

وعلى انه ينفق من اموال الزكاة على مثل هذه النشرات والكتيبات فليس هناك من مانع شرعي لذلك حيث افتت الهيئة الشرعية لبيت الزكاة بجواز الصرف من اموال الزكاة في إعداد وتنفيذ التوعية الاعلامية حول فريضة الزكاة والتي تهدف إلى ارشاد المواطنين وتوعيتهم وحثهم لإدراك عظم هذا الركن وتعميق هذه الشريعة في نفوسهم وإشعارهم باهميتها واحقية صرفها في مصارفها المحددة في الشرع ، وتشجيعهم على دفعها إلى الجهات المختصة بذلك .

واشارت الهيئة الشرعية للبيت إلى ان الافضل في الانفاق من اموال الزكاة في هذا المجال والاقتصار على القدر الضروري ، مع تفضيل الانفاق من المخصصات الحكومية التي يصرف منها على الرواتب ونحوها او من المعونة او الخيرات ، وذلك لتوفير وارد الزكاة لأمور اشد حاجة .

□ هناك محاضرات يقيمها بيت الزكاة يدعو إليها المحاضرين . ويشهدها الراغبون في الثقافة الاسلامية وتجري بعد المحاضرة مسابقة بين الحضور توزع بعدها الجوائز ... والإعداد والجوائز يتم الإنفاق عليها من بيت الزكاة ... فهل يأتي ذلك على حساب الزكاة الشرعية ! ام ان هناك مصادراخرى يتم الانفاق منها على مثل هذا النشاط ؟؟

* ينفق على هذه المحاضرات وجوائزها من الميزانية العامة للبيت اي من المخصصات الحكومية ، ولا ينفق عليها من اموال الزكاة .

□ هل لنا ان نعرف بصورة تفصيلية طبيعة عمل بيت الزكاة وأنشطته من أجل حث القادرين من المسلمين على اعطاء زكاة أموالهم ليتولى البيت إنفاقها في الوجوه الشرعية !

* يقوم بيت الزكاة بجهود إعلامية مكثفة ومتنوعة لحث القادرين على أداء زكاة اموالهم . ويستخدم في ذلك العديد من الوسائل الإعلامية كالنشرات والكتيبات والجرائد والمجلات والاذاعة والتليفزيون واشرطة الكاسيت والفيديو واللواصق ومعلقات السيارات والبوسترات واللوحات الاعلامية والمحاضرات والمواسم الثقافية والمسابقات والاسواق الخيرية والمشاركة في المعارض وكل ما من شأنه ان يزيد من فرص احتكاك بيت الزكاة بالجمهور الكريم ، ويساهم بتعريفهم بفريضة الزكاة واهمية أدائها ، وحثهم على بذل الخيرات والانفاق في سبيل الله .

كما ييسر البيت على اهل الخير والمحسنين سبل إنفاق اموالهم في الوجوه المختلفة حيث أقام البيت العديد من المشاريع والصناديق المختلفة التي يمكن للمتبرع ان يساهم في العمل الخيري البناء من خلالها مثل كافل اليتيم وصندوق طالب العلم وماء السبيل وولائم الافطار ومشروع نشر القرآن الكريم والصدقة الجارية والوصايا والمشاريع الخارجية كالمساجد والمستشفيات والمدارس والملاجىء وحفر الآبار وغيرها .

ويلمس البيت تجاوبا متزايدا من قطاعات المجتمع وأهل الخير ، وتجد مشاريعه وانشطته بفضل الله كل تشجيع ودعم .

□ ومن واقع الاحصائيات نريد ان نعرف كيفية توزيع اموال الزكاة ... ومصارفها !!



○ الوحدة المتنقلة لبيت الزكاة . حضور دائم في مناطق الكويت المختلفة

* توزع أموال الزكاة وفق ما جاء في مصارفها في القرآن الكريم « **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم** » (سورة التوبة : ٤٠)

وتقدم مساعدات شهرية من الزكاة للحالات التي تكون حاجتها دائمة للمساعدة مثل الفقراء والمساكين حيث بلغ مجموع ما انفق عليها منذ مطلع عام ١٩٨٧ وحتى نهاية نوفمبر ١٩٨٧ حوالي (٦٧٦)الف دينار . كما تقدم مساعدات مقطوعة من الزكاة للحالات التي تكون حاجتها مؤقتة للمساعدة مثل الغارمين والمؤلفة قلوبهم وفي سبيل الله وابن السبيل ، ومجموع ما انفق عليها منذ مطلع عام ١٩٨٧ وحتى نهاية نوفمبر ١٩٨٧محوالي(٥٥٢)الف دينار ، هذا بالاضافة الى توزيع زكاة الفطر على المستحقين والتي بلغت مجموع مبالغها لعام ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م حوالي(٣٦)الف دينار .

□ ان خير العمل ادومه وان قل ، وان الصدقة الجارية ابعد اثرا وأعظم نفعا ، من لقمة تسد جوع الجائع او كسوة يرتديها المحتاج ، من هذا المنطلق نود ان تحدثنا عن مشاريع قام بها البيت ليستمر عطاؤها لأجيال لا لأفراد ثم ينتهي مفعولها .

* يحرص بيت الزكاة على الموازنة بين توفير الحاجات الطارئة والملحة للمحتاجين وبين اقامة مشاريع تعطي ثمارها في المستقبل بطريقة دائمة ان شاء الله .

وقد اقام البيت مشروع صندوق الصدقة الجارية والوصايا ، وهو يخدم توجه البيت إلى إقامة مشاريع تدر مداخيل ثابتة وربحا مضمونا ـ بإذن الله ـ وتوفر للمتبرع فرصة لكسب الأجر الدائم والحسنات .

ويملك البيت الآن بعض العقارات السكنية بعضها تبرع بها المحسنون كصدقة جارية وان هذه العقارات تدر مداخيل ثابتة يستمر عطاؤها مستقبلا إن شاء الله .

□ هل رواتب الموظفين والعاملين في بيت الزكاة تدفع لهم مما يحصله البيت من المزكين ! وكم عدد الموظفين والعاملين في البيت ! وهل يمكن تقليصهم ام انكم في حاجة الى زيادة عددهم !

* بيت الزكاة هيئة حكومية مستقلة يحصل موظفوها على رواتبهم من المخصصات الحكومية وليس من اموال الزكاة .

ورغم ان الشرع يجيز للموظفين في بيت الزكاة اخذ رواتبهم من اموال الزكاة من بند « العاملين عليها » الا انه لا يصرف على هذا البند شيء لأن الحكومة تكفلت برواتب الموظفين .

ويبلغ عدد موظفي بيت الزكاة حوالي (١٧٠)موظفا .

والحقيقة انه لا يمكن تقليص عددهم فهناك حاجة أكيدة لزيادة عددهم لمواجهة توسع البيت وازدياد انشطته ومشاريعه ، وستكون الحاجة اكبر في حال إقرار مشروع فرض الزكاة على الشركات والمؤسسات مما يستدعي وجود كفاءات جديدة تستطيع استيعاب موارد البيت وإنفاقها في مصارفها المختلفة .

□ هل للبيت سلطة على بعض المشروعات والشركات التي تعلن عن ميزانياتها آخر كل عام ليأخذ منها الزكاة الواجبة شرعا ، او يتأكد من انها اخرجت الزكاة في وجوهها الشرعية فعلا ... وإلى أي مدى تصل صلاحية البيت في هذا الميدان ؟؟

* ليس للبيت حتى الآن سلطة على هذه الشركات في هذا الجانب ، وهناك مشروع معروض على الحكومة بشأن فرض اداء الزكاة على الشركات بحيث يتولى بيت الزكاة جمعها وصرفها في وجوهها الشرعية ، والبيت على اتم الاستعداد للقيام بدوره هذا وكل ما من شأنه خدمة هذا الركن العظيم وحسن تطبيقه في حياتنا .

□ من أنشطة بيت الزكاة إعداد قوافل للحج ... يختار لها عدد من غير القادرين ... فعلى أي اساس شرعي تعد هذه القوافل ! بمعنى اوضح : هل يجوز شرعا إعطاء انسان من اموال الزكاة حتى يحج ... مع أن الحج لا يجب الا على المستطيع ؟؟

* قام البيت بإنشاء مشروع ضيوف الرحمن بهدف تمكين فقراء المسلمين من تأدية هذا الركن العظيم ، ويصرف على هذا المشروع من أموال الصدقات والتبرعات لا من اموال الزكاة .

وقد وافقت الهيئة الشرعية لبيت الزكاة على جواز ذلك حيث ذكرت في اجابة لها حول هذا الموضوع :

(ان هذا المشروع على ما ورد في السؤال هو جائز شرعا ولا اشكال فيه وهو من باب التعاون على البر والتقوى فإن الحج من افضل الاعمال والانفاق فيه من افضل وجوه الانفاق ، ولا منافاة بين هذا المشروع وبين قوله تعالى « **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** » لأن الآية واردة في من يفرض عليه الحج ، أما من لم يكن واجدا للزاد والراحلة فلا يجب عليه الحج ولكن اعانته عليه من أعظم ابواب الخير حتى ان بعض العلماء أجاز ان يعطى الحاج من سهم سبيل الله من مصارف الزكاة وقالوا الحج « من سبيل الله » وان كانت الهيئة اخذت برأي جمهور العلماء من انه لا يجوز صرف شيء من سهم سبيل الله من الزكاة في الحج .



○ مشروع الاضاحي داخل الكويت .

فينبغي ان يلتزم البيت بأن يخبر المتبرعين انه يجب ان يكون الصرف في هذا المشروع تبرعا من أموال الصدقات وليس من أموال الزكاة .

هذا ... وإن بيت الزكاة قد خطا خطوات واسعة في ميدان الخير بفضل الله وتوفيقه فلقد شهد عام « ١٩٨٧م» تقدما ملحوظا في حجم أنشطتنا ومشاريعنا داخل الكويت وخارجها .

أما في الداخل فيمكن ايجاز النشاط فيما يلي : -

نوع المساعدة	عدد الأسر	المبلغ د.ك
المساعدات الشهرية	٨٣٤	٦٨١٥٨١
المساعدات المقطوعة	٤٩٦٢	١٢٦١١٠٨
القرض الحسن	١٤٥	١٨٢١٣٨
الاجمالي	٥٩٤١	٢١٢٤٨٢٧

وقد استفاد من صندوق الطلبة ١٦٢ حالة .
كما استفاد من الأسر المتعففة(٧١)اسرة .

وقد تم مؤخرا انشاء صندوق اسر المسجونين بالتعاون مع وزارة الداخلية وذلك في اطار سعي بيت الزكاة الحثيث لتوفير الرعاية الاجتماعية لكافة قطاعات المجتمع .



○ أيتام يشرف عليهم مشروع (كافل اليتيم) .

وقامت إدارة التوزيع المحلي بنشاط ملحوظ حيث تم متابعة تطبيق اللائحة التنظيمية للجان الزكاة بالاضافة الى تنفيذ كثير من المشاريع الموسمية كما يلاحظ في الجدول التالي :

اسم المشروع	عدد المستفيدين	المبلغ	ملاحظات
كسوة اليتيم	٢٥٨٤	٢٥٨٤٠ د.ك	
ولائم الافطار	٣٥٦٠	٩٦٥٤٨ د.ك	عدد المساجد المقام عليها المشروع ٤٥ مسجدا وتم تقديم ١٠٢٣٠٠ وجبة طوال شهر رمضان المبارك .
زكاة الفطر	٢١٥٣١	٣٦٩٠٠ د.ك	تم توزيعها على شكل مواد غذائية حسب الفتوى الشرعية
الاضاحي داخل الكويت	١١٦٩٠		تم تجميع ٥٣٥ أضحية
ماء السبيل داخل الكويت		١٧٧٧,٥٧٥ د.ك	تم انشاء (٤) ماءسبيل
ضيوف الرحمن	٥٤	٨٣٨٠ د.ك	



○ جانب من ولائم الافطار التي يشرف عليها بيت الزكاة في شهر رمضان من كل عام .

وأما في الخارج : -

فقد قامت ادارة التوزيع الخارجي بنشاط طيب في هذا المجال كما نرى الجدول التالي :

البند	العدد	المبلغ	ملاحظات
الجمعيات والهيئات الاسلامية	دعم (٢٢٦)	٣٦٥٠٠٠ د.ك	
المشاريع	اقامة (٢٢٩) مشروعا		تم انجاز ٧٠ مشروعا والباقي تحت التنفيذ .
الاغاثة		٣٣٢٥٠٠ د.ك	
نشر القرآن الكريم	توزيع (٦٥٠٠٠) نسخة		تم توزيعها لـ ٤ دول
الاضاحي	ذبح (٧٣٦٣) اضحية	١٩١٨٢٥ د.ك	شمل مشروع الاضاحي ٨ بلاد مختلفة

اما بخصوص ادارة المؤسسات الخيرية فمن المشروعات الرائدة والتي كان لها أبلغ التأثير في عالمنا العربي والاسلامي فهو مشروع كافل اليتيم والجدول التالي يبين مجمل انجازاته :

المشروع	عدد الايتام المكفولين	عدد الكافلين
مشروع كافل اليتيم	١٣١٧٤	٩٩٧٨

ولا تزال انطلاقة بيت الزكاة المباركة تثمر مشاريع جديدة كل يوم وتعيد البسمة لكل ضعيف ومحتاج ، وتغرس الأمل في نفوس الجميع في بناء مجتمع التكافل والتراحم .

والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

رسالة الزكاة

قال تعالى :
« وأقيمُوا الصلاةَ و آتوا الزكَاةَ وأطيعُوا الرَّسُولَ لعَلَّكُمْ تُرْحَمون » .

روى الطبراني في الاوسط والصغير عن علي كرم الله وجهه ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« إن الله فرض على اغنياء المسلمين في اموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا او عروا الا بما يصنع اغنياؤهم . الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ، ويعذبهم عذابا اليما » .

أحكام الزكاة

تعريف الزكاة

الزكاة اسم لما يخرجه الانسان من حق الله تعالى الى المستحقين . وسميت زكاة لما يكون فيها من تزكية النفس وتطهير المال ونمائه .

حكمها

فرض . وهي ركن من أركان الاسلام الخمسة ، وقرنت بالصلاة في اثنتين وثمانين آية . ودليل فرضيتها الكتاب ، والسنة ، واجماع الأمة ، وكانت فريضة الزكاة في أول الاسلام بمكة مطلقة لم يحدد فيها المال الذي تجب فيه ، ولا مقدار ما يؤخذ منه ، وانما ترك ذلك لاحساس المسلم وكرمه وسخاوة نفسه ، وفي السنة الثانية من الهجرة على المشهور فرض مقدارها من كل نوع من أنواع المال وبينت بيانا مفصلا .

دليلها

دليلها من الكتاب قول الله تعالى : (**واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**) .. النور/٥٦ .

ومن السنة المطهرة قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (**بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان**) .

حكم مانعها

الزكاة من الفرائض التي أجمعت عليها الأمة ، فلو أنكر وجوبها مسلم خرج عن الاسلام ، الا اذا كان حديث عهد بالدين ، فإنه يعلم ويعذر لجهله .

اما من امتنع عن أدائها مع اعتقاده وجوبها ، فإنه يأثم ولا يخرج عن الاسلام، وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهرا ويعزره ، ولو امتنع جماعة من المسلمين عن أدائها مع اعتقادهم وجوبها ، وكانت لهم قوة ومنعة ، فانهم يقاتلون عليها حتى يعطوها .

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني**

دماءهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله ».

على من تجب الزكاة : ؟
تجب الزكاة على المسلم الحر المالك للنصاب من أي نوع من انواع المال الذي تجب فيه الزكاة

الاموال التي تجب فيها الزكاة :
أوجب الاسلام الزكاة في الذهب ، والفضة ، والزروع ، والثمار ، وعروض التجارة ، والسوائم والمعدن ، والركاز .

زكاة الذهب والفضة

عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **(إذا كانت لك مائتا درهم وحال عليها الحول ففيها خمسة دراهم . وليس عليك شيء ـ يعني في الذهب ـ حتى يكون لك عشرون دينارا . فاذا كانت لك عشرون دينارا وحال عليها الحول ففيها نصف دينار . والدينار وزنه مثقال)** رواه ابو داود .

بهذا الحديث تحدد المقدار الذي تجب فيه الزكاة وهو ما يسمى (نصابا) كما تحددت نسبة الزكاة وهي في الذهب والفضة ربع العشر .

والمثقال في عهد النبوة وعهد الخلافة الراشدة لم يتغير وزنه وهو يساوي $\frac{1}{4}$ ٤ غرام . فالنصاب في الذهب على هذا يساوي ٨٥ غراما من الذهب الخالص وليس المثقال النبوى الذي يحسب به نصاب الذهب مساويا للمثاقيل المستعملة الآن كالمثقال العجمي وهو (٤,٨) غراما والمثقال العراقي (٥) غرامات .... وهذا ما افاد به بعض تجار الذهب بالكويت

وامادرهم الفضة فوزنه ٢,٩٧٥ غراما فنصاب الفضة على هذا ٥٩٥ غراما .

فاذا كنت تملك ذهبا او فضة على شكل سبائك او عملة تتعامل بها ، فان بلغ وزن الذهب عشرين مثقالا « نبويا ـ (٨٥ غراما)» وبلغت الفضة مائتي درهم « ٥٩٥ غراما » فقد وجبت فيها الزكاة (ربع العشر) وما زاد على هذا المقدار فبحسابه فتخرج عن كل زائد ربع عشره .

.. وإن كان ابو حنيفة لا يرى في الزائد زكاة حتى يبلغ خمس النصاب ، فيكون فيه ربع العشر .. فمن يملك مائتي درهم فضة فزكاته خمسة دراهم .

وتحسب قيمة الزكاة بالعملة الجارية ويوزعها فاذا كانت زكاته مثلا خمسة دراهم فضة اخرج قيمة هذه الدراهم بالعملة السائدة في بلده وحسب السعر

الجاري وكذلك الامر في الذهب .. ولا مانع من اخراج زكاة الذهب ذهبا ، وزكاة الفضة فضة

زكاة العملات الجارية

زكاة العملة المعدنية

التعامل الجاري الآن لا يتم غالبا بالعملة الذهبية أو الفضية وكل دولة من الدول لها عملتها ونقودها السائدة وهي قد تكون من نحاس او نيكل أو ألمنيوم .

وقيمة هذه العملات كلها مرتبطة بالعملة الورقية السائدة ومن الممكن تحويلها إليها . لهذا كله نرى أن فيها زكاة مع العملات الورقية فيزكيها إذا بلغ ما عنده منها قيمة النصاب فيخرج عنها ربع العشر .

زكاة العملة الورقية

إذا بلغ ما يملكه المسلم منها ما قيمته عشرون مثقالا من الدهب ففيها الزكاة وتحسب زكاة العملة الورقية على اساس نصاب الذهب .

حيث انه اعلى قيمة من نصاب الفضة في عصرنا الحاضر .

ويجب ان نلاحظ بعناية ان قيمة الذهب والفضة تختلف من زمن الى زمن ومن بلد إلى بلد كما هو معروف .

وعلى هذا يجب ان يراعى كل انسان القيمة السائدة للذهب في بلده وقت اخراج الزكاة ، وهذا يؤدي بالتالي الى ان مقدار النصاب من العملة الورقية الذي تجب عليه الزكاة قد يختلف في الكويت مثلا عنه في السعودية .. في مصر .. في العراق .. الخ وذلك حسب سعر الذهب فيها .

كما ان نصاب الزكاة قد يختلف ايضا من سنة الى سنة في البلد نفسه وذلك حسب اختلاف سعر الذهب . وهذا ما يجب ان يتنبه إليه الناس جيدا ولا سيما المفتون من العلماء ولا يعتمدون على ارقام المبالغ التي دونت في الكتب من قبل لأنها حسبت على اساس سعر الذهب والفضة في زمنهم والأسعار متغيرة كما نعرف ومادام وزن النصاب ثابتا حسب النص فانه من الممكن حساب قيمته كل سنة حسب الأسعار يوم وجوب إخراج الزكاة .

كيف تحسب زكاة العملة ؟

اعرف كم يساوي العشرون مثقالا من الذهب بالعملة الجارية فاذا وجدت ان عندك قيمة العشرين مثقالا من العملة الورقية او من العملة المعدنية كالنحاس والنيكل فانك تكون حينئذ قد ملكت النصاب وعليك ان تعرف اليوم الذي بدأ فيه ملكك لنصاب كامل ليكون بدء سنة الزكاة .

ونصاب الذهب كما قلنا هو ٨٥ غراما من الذهب الخالص ، ونصاب الفضة هو ٥٩٥ ، غراما من الفضة الخالصة ... وعلى هذا فلو كان عندك ٢٥٠ دينارا كويتيا فقط وحال عليها الحول وكان سعر الذهب يوم وجوب اخراج الزكاة هو ٣,٢٥٠ دينارا للغرام فانه لا زكاة عليك لان قيمة النصاب هي :
٨٥ × ٣,٢٥٠ = ٢٧٦,٢٥٠ دينارا .

فيكون ما عندك اقل من نصاب .
وعندنا سؤال يقوم في الأذهان ...
وهو : لنفرض ان النصاب توفر في وقت من الأوقات كان بدء سنة الزكاة ولكن هذا المبلغ نقص اثناء السنة ثم زاد حتى بلغ نصابا او اكثر عند تمام السنة ، فما الحكم في هذه الحالة ؟ الامام ابو حنيفة يرى انه لا يضر النقصان عن النصاب اثناء السنة إذ أن العبرة عنده بوجوده في أولها وعند نهايتها وعلى ذلك يرى وجوب الزكاة في هذه الحالة .
أما غيره فيرى أنه لا بد من وجود النصاب طوال السنة بحيث لو نقص في يوم من ايامها انقطعت السنة فاذا زاد حتى بلغ النصاب في يوم من الأيام بدأ حساب سنة جديدة من وقت بلوغه النصاب .

زكاة الحلى

اعتاد الناس أن يتخذوا من الذهب والفضة حليا للزينة كما اعتاد بعضهم أن يستعمل بعض الأدوات المتخذة منهما كالملاعق ، والشوك ، والأطباق والتحف وما إلى ذلك ... فهل تكون عليها زكاة .. ؟
قال جمهور الائمة إن كان المصنوع من الذهب أو الفضة حليا مباحة فلا زكاة فيه .
وقال الامام أبو حنيفة بل تجب في الحلى المباحة زكاة .

ومن المعلوم ان المرأة هي التي يباح لها فقط التحلي بالذهب والفضة ولا يباح للرجل التحلي بالذهب مطلقا ، ولا بالفضة إلا بقدر خاتم صغير منها ، اما استعمال الأواني والتحف من الفضة او الذهب فحرام على الرجل والمرأة معا بالاجماع وعلى هذا تجب الزكاة على ما يتخذه الرجل من زينة ذهبية او فضية وعلى كل الاواني المصنوعة منهما المملوكة للرجل او المرأة وتحسب على اساس نصاب الذهب أو الفضة كما قدمنا . والذين قالوا بعدم وجوب الزكاة في حلى المرأة قالوا اذا اتخذت المرأة حليها مادة ادخار حتى لتجدها احيانا زائدة عن حد الزينة لمثلها يقولون بوجوب الزكاة عليها لأنها خرجت عن الغرض المقصود منها وهي الزينة الى الادخار ...

الحلى من الجواهر

وقد اعتاد البعض التحلي بخواتم او بعقود من الماس او اللؤلؤ او غيرها من الأحجار الكريمة الغالية الثمن حتى ليصل ثمن الخاتم الى عدة آلاف كما يصل ثمن العقد إلى عشرات الألوف فهل في هذه الحلى زكاة ؟

والجواب أن هذه الحلى لم يرد النص بتحريمها ، ومن ثم فهي مباحة كما لم يرد نص بالزكاة عليها ، ومن ثم لم يقل احد من الفقهاء ان عليها زكاة حتى الذين قالوا إن في حلى الذهب والفضة المباحة زكاة كالامام أبي حنيفة .

ومع ذلك فانها لو اتخذت بقصد الادخار لأجل الاستثمار ببيعها في المستقبل فانه يكون لها شأن آخر إذ في هذه الحالة عليها زكاة على حسب قيمتها في اخر كل عام .

زكاة الدين

للائمة والفقهاء المجتهدين اراء وتفصيلات كثيرة حول زكاة الدين مذكورة في كتب الفقه ... ومن خلال هذه الآراء والتفصيلات يمكن ان نختار لك هذا الموجز .

فالدين الذي لك على آخر او آخرين إما أن يكون :

١ ـ دينا حيا « أو قويا » وهو ما كان المدين معترفا به مستعدا لسداده في وقته او عند طلبه .

٢ ـ أو دينا على معسر لا يرجى منه السداد أو على مماطل او جاحد له غير معترف به وليس لك به بينة .

● والقسم الأول وهو الدين الحي يرى جمهور الأئمة ان على الدائن زكاته بالشروط السابقة في زكاة المال الا أنه لا يجب عليه اخراج زكاته الا بعد قبضه ويزكى عن المدة الماضية كلها سنة او اكثر .

اما اذا كان الدين من النوع الثاني وهو ما يكون على معسر أو مماطل او جاحد فأكثر الأئمة على انه لا زكاة فيه ، وإن كان الامام مالك يرى أنه إذا قبضه فانه يزكي عنه لعام واحد فقط ولو مكث عند المدين أعواما .

ومن عليه دين ؟

ومن كان عليه دين يستغرق كل ماله أو بعضه فهل عليه زكاة ؟ قال الشافعية .... نعم عليه زكاة فيما تحت يده من مال لو بلغ نصابا .

وقال الحنفية .... لا زكاة عليه فيما تحت يده من مال مقابل للدين الا زكاة الزروع والثمار فانها تجب .

وقال المالكية والحنابلة ... لا زكاة عليه فيما تحت يده من مال الا زكاة الزروع والثمار والماشية فانها تجب .

ونحن نميل الى الأخذ برأي الذين يقولون لا زكاة عليه في المقدار الذي يساوي الدين الذي عليه فان طابت نفسه فليفعل ما هو أنفع للفقراء بأن يزكي جميع ما تحت يده من مال ، ولو كان يقابل دينا عليه ، مادام يتصرف بالمال ولا يعاجله الدائن بالمطالبة .

زكاة عروض التجارة

اذا كان الانسان يتاجر في أي سلعة من السلع وجب عليه أن يخرج الزكاة اذا بلغت قيمة السلعة الجارية نصابا عند تمام الحول .

والدليل على ذلك ما رواه أبو داود والبيهقي عن سمرة بن جندب قال : اما بعد فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نخرج الصدقة (الزكاة) مما نعده للبيع .

وما رواه ابو عمرو بن حماس عن أبيه قال : كنت ابيع الأدم (الجلد) والجعاب (جمع جعبة وهي التي تحمل فيها السهام) فمر بي عمر بن الخطاب فقال : أد صدقة مالك . فقلت يا أمير المؤمنين انما هو الأدم قال : قومه ثم اخرج صدقته .

فكل سلعة يتاجر فيها الانسان سواء اكانت أصلا من الاصناف التي تزكي كالحبوب والماشية أم لم تكن كالأقمشة والأشياء المصنوعة والأرض ، والعقارات والاسهم وغيرها تجب الزكاة فيها بالشروط الآتية : ـ

١ ـ ان تكون عنده نية التجارة فيها .

٢ ـ ان تبلغ قيمة السلعة او السلع التي يملكها ويتاجر فيها نصابا عند تمام السنة .

والنصاب المعتبر هنا هو النصاب المذكور في زكاة الذهب والفضة ، فيأتي المالك اخر العام ويجري جردا عاما لممتلكاته التي يتاجر فيها ، ويحسب قيمتها وقت الجرد ، ولا يدخل في ذلك قيمة الاثاث والأجهزة الموجودة في المحل اللازمة للتجارة ، فان بلغت قيمتها حسب سعر السوق نصابا أو زادت زكاها باخراج ربع عشرها وإلا فلا زكاة وكل تاجر في بلده يخرج زكاته على أساس قيمة النصاب المالي فيها كما قلنا في زكاة العملة الورقية . ولا يضر نقصان قيمة البضاعة عن النصاب اثناء الحول إذ العبرة بالقيمة عند تمامه . وتقويم السلع التجارية يكون على أساس قيمتها بالعملة الجارية في بلده .

وإذا كانت له عدة محال تجارية فانها تضم بعضها إلى بعض وتحسب قيمة ما في هذه المحال ويخرج عنها الزكاة وهي ربع العشر وإذا ملك ارضا أو عقارا أو مثل ذلك بغير نية التجارة فلا زكاة في هذه الحال ، فاذا نوى التجارة بدأت سنة الزكاة

من حين نيته التجارة فيها ...

ويلاحظ أن الربح يضم إلى رأس المال عند الجرد السنوي الختامي وتؤدي الزكاة عن الجميع فلو بدأت التجارة مثلا بثلاثمائة دينار وفي اخر العام بلغت خمسمائة دينار فالزكاة واجبة على الخمسمائة دينار .

ومعلوم أن التاجر عندما يعمل حسابه الختامي في آخر العام يحسب ما له من الديون الحية على الآخرين ويسقط من ذلك ما عليه للآخرين ـ ان شاء ـ أو يجعله مما تشمله الزكاة .

ويعرف بعد ذلك قيمة ما يمتلكه ويضم اليه ماله المدخر ان كان وعلى هذا تكون الزكاة . اللهم إلا اذا كان له دين على تاجر مفلس او عميل لا ينتظر منه السداد فلا يحسب فيما تجب فيه الزكاة .

زكاة التأمين النقدي

التأمين النقدي الذي يدفعه المستأجر للمالك مال مملوك للمستأجر مود ع عند المالك ضمانا لسداد الاجرة في مواعيدها فتجب زكاته على مالكه (المستأجر) لا على المؤجر اذا توفرت شروط الوجوب .

زكاة العقار

العقار الذي يتجر فيه صاحبه بالبيع والشراء حكمه حكم السلع التجارية ويزكي زكاة عروض التجارة والعقار الذي يسكنه صاحبه ، او يكون مقرا لعمله كمحل للتجارة ومكان للصناعة لا زكاة فيه ، والعقار الذي يستغله مالكه بالايجار لا زكاة في عينه ، ولكن غلته تخضع للزكاة بشروطها اذا توفرت من النصاب الزائد عن حاجته والحول .

زكاة الأسهم

يرى بعض الفقهاء المعاصرين ان الاسهم التي تتخذ للتجارة تجري فيها زكاة عروض التجارة ومقدارها ربع العشر في قيمتها بعد حولان الحول كما تقدم .

اما الأسهم التي لا يقصد صاحبها التجارة وانما قصد ارباحها كالشركات الزراعية والصناعية فتجب الزكاة في غلاتها بعد حسم كل النفقات والقدر الواجب اخراجه هو عشر الصافي من الغلة ويرى بعض العلماء ان تزكي الاسهم بحسب موجودات الشركة المتداولة بعد طرح ما عليها من الديون ، فيزكي الصافي بنسبة

ربع العشر بقطع النظر عما تحققه الشركة من ارباح .

زكاة الزروع والثمار

وردت أيات من القرآن الكريم تأمر المؤمنين بالانفاق مما اخرجته الأرض ، ومنها اخذ الفقهاء وجوب اخراج زكاة الزروع . والثمار ، وان اختلفت وجهة نظرهم في الأصناف التي تؤخذ عليها زكاة والأصناف التي لا تؤخذ عليها ، يقول الله تعالى في سورة الأنعام آية (١٤١) : **(وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وأتوا حقه يوم حصاده)** .

ويقول تعالى : (يا ايها الذين أمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) (٢٦٧ سورة البقرة) .

ويقول عليه الصلاة والسلام ... (فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وفيما سقي بالنضح نصف العشر) رواه الجماعة الا مسلما .

والعثري بفتح العين والثاء وكسر الراء الذي يشرب بجذوره لأنه عثر على الماء في باطن التربة فلم يعد في حاجة الى سقي .

اما النضح فهي آلة السقي كالساقية والماكينة ونحوهما .

الاصناف التي تزكى منها

والذي يتتبع أراء الأئمة حول الأصناف التي تجب فيها الزكاة يجدهم مختلفين في وجهات نظرهم حولها .

فيرى الأحناف أن الزكاة واجبة في كل ما يستنبته الانسان من الأرض ، لا فرق بين حبوب وخضر وثمار وفواكه ، فكل ما يزرعه الانسان عليه زكاة ، مع استثناء نحو الحطب والقصب الفارسي والأشجار غير المثمرة وهي واجبة عندهم في القليل والكثير .

اما جمهور الأئمة فيرون أن الزكاة واجبة في ثمار النخل والكرم وفي كل ما يزرع للقوت بشرط ان يكون صالحا للادخار كالقمح ، والشعير ، والارز ، والذرة ، واللوبيا ، والحمص ، والعدس ونحو ذلك ، ويزيد الامام أحمد على هذا أنه لا يشترط ان يكون ما يدخر صالحا للأكل فيوجب الزكاة على ما يدخر ولو كان غير صالح للأكل كحب الفجل والفواكه والقطن والكتان وما شابه ذلك .

وتجب الزكاة في الثمار عند نضجها واستطابة أكلها كما تجب في الزروع بعد قوتها واشتدادها وتصفيتها ، فاذا قطعت قبل نضجها أو بدو صلاحها واشتدادها فلا زكاة عليها .

نصاب الزكاة فيها

وقد سبق ان عرفت ان الامام أبا حنيفة يوجب الزكاة في القليل والكثير ولا يشترط بلوغها نصابا .

اما الآخرون فانهم يشترطون مع ما تقدم ان تبلغ الثمار او الزروع النصاب ، وهوخمسة أوسق حسب نص الحديث السابق ، وذلك بعد تصفية نحو الازر من قشره ومن الطين والتراب وبعد جفاف الثمر .

والوسق قدره الرسول صلى الله عليه وسلم بستين صاعا بصاع المدينة في عهده صلى الله عليه وسلم فيكون النصاب ثلاثمائة صاع ، **والصاع قدح وثلث** .

ولا شك أن المكاييل تغيرت الآن عما كانت عليها في عهد الرسول وقد قدر بعض العلماء النصاب حسب المكاييل الحاضرة بأربعة **أرادب وكيلتين** .. والأردب اثنتا عشرة كيلة ..

وعلى هذا فمن يعرفون عندهم الآن مقدار الصاع المدني فأمامهم مقدار النصاب بالصيعان ومن لا يعرفونه فأمامهم قدر النصاب حسب الكيل المعمول به في مصر الآن ..

وقد قدر بعض العلماء النصاب بالوزن فقالوا أنه يبلغ بالرطل البغدادي قديما (وهو نحو ١٢٩ درهما) ١٦٠٠ رطل بغدادي وبالرطل المعمول به الآن ١٤٢٩ رطلا ..

ولكن لو لجأنا إلى الوزن فسنجد أن الحبوب بعضها ثقيل كالأرز مثلا وبعضها خفيف كالشعير **والذي اعتبره العلماء منها هو البر الرزين** .

وقد جاء في دائرة المعارف الاسلامية المجلد ١٤ ص ١٠٥ ان مد النبي صلي الله عليه وسلم يساوى ٠,٧٥ لترا على وجه التقريب والصاع أربعة امداد فيكون الصاع على هذا ثلاثة التار كيلا تقريبا واللتر معروف لدى المواطنين في معظم الدول الاسلامية .

المقدار الواجب إخراجه

نَصُّ الحديث الوارد الذي ذكرناه من قبل بين لنا هذا ، ففي كل زرع يسقى بماء المطر أو بماء الأنهار دون تكلفة من الزارع فزكاته العشر ، أما اذا سقي بالساقية أو الماكينة أو الشادوف أو نحو ذلك مما يتكلفه الزارع في سقيه ، فزكاته نصف العشر .

وإذا سقي نصف المدة بهذا ونصفها الآخر بذاك فزكاته ثلاثة أرباع العشر والمرجع في هذا ضمير الزارع ووازعه الديني

زكاة الأنعام

الأصناف التي تجب فيها الزكاة هي : الابل ، والبقر ، والجاموس ، والغنم والماعز ولا يزكي عنها إلا بشروط أربعة :

١ ـ أن تكون سائمة أي ترعى الكلأ المباح أكثر السنة وهذا الشرط عند الجمهور ، أما المالكية فانهم لا يشترطون السوم في وجوب زكاة النعم ، بل تجب سواء أكانت معلوفة أم سائمة .

٢ ـ أن تتخذ الماشية للدر والنسل والتسمين لا للعمل .. وهذا أيضا على رأي الجمهور بخلاف المالكية فانهم لا يشترطون هذا الشرط بل يرون أن الزكاة واجبة في النعم سواء أكانت عاملة أم غير عاملة .

٣ ـ أن تبلغ نصابا معينا كما سنوضحه فيما بعد .

٤ ـ أن يحول عليها الحول الا ما تولد منها أثناء العام ، فانه لا يشترط لوجوب الزكاة فيه مرور عام جديد ولكن يزكي مع الكبار عند تمام عامها . واليك بعد هذا نصاب كل نوع والمقدار الواجب فيه :

زكاة البقر

نصاب البقر والجاموس ثلاثون منها فليس في أقل من ذلك زكاة والقدر الواجب فيها كما يلي :

من ٣٠ الى ٣٩	تبيع أو تبيعة وهو ماله سنة .
ـ من ٤٠ الى ٥٩	مسنة وهي مالها سنتان .
ـمن ٦٠ الى ٦٩	تبيعان .
ـ من ٧٠ الى ٧٩	مسنة وتبيع
ـ من ٨٠ الى ٨٩	مسنتان
ـ من ٩٠ الى ٩٩	ثلاثة أتباع
ـ من ١٠٠ الى ١٠٩	مسنة وتبيعان
ـ من ١١٠ الى ١١٩	مسنتان وتبيع

وهكذا فيما زاد على ذلك ففي كل ثلاثين منه تبيع ، وفي كل أربعين مسنة . ولا شيء في الوقص ، وهو ما بين الفريضتين .

زكاة الابل

نصاب الابل خمس منها فليس في أقل من خمس زكاة والقدر الواجب فيها كما يلي :

ـ من ٥ الى ٩	شاة
ـ من ١٠ الى ١٤	شاتان
ـ من ١٥ الى ١٩	ثلاث شياه
ـ من ٢٠ الى ٢٤	اربع شياه
ـ من ٢٥ الى ٣٥	بنت مخاض (وهو التي دخلت في سنتها الثانية)
ـ من ٣٦ الى ٤٥	بنت لبون (وهي التي دخلت في سنتها الثالثة)
ـ من ٤٦ الى ٦٠	حقة (وهي التي دخلت في سنتها الرابعة)
ـ من ٦١ الى ٧٥	جذعة (وهي التي دخلت في سنتها الخامسة)
ـ من ٧٦ الى ٩٠	بنتا لبون
ـ من ٩١ الى ١٢٠	حقتان

فاذا زادت ، ففي كل اربعين بنت لبون ، وفي كل خمسين حقة .

زكاة الغنم

القدر الواجب فيها كما يلي :

ـ من ٤٠ الى ١٢٠	شاة لها سنة
ـ من ١٢١ الى ٢٠٠	شاتان
ـ من ٢٠١ الى ٣٩٩	ثلاث شياه
ـ من ٤٠٠ الى ٤٩٩	اربع شياه
ـ من ٥٠٠ الى ٥٩٩	خمس شياه

وهكذا ففي كل مائةٍ شاةٌ .

هذا ويجوز إخراج الذكور في الزكاة اتفاقا إذا كان نصاب الغنم كله ذكورا فان كان إناثا فقط أو اناثا وذكورا ، جاز إخراج الذكور عند الأحناف وتعينت الأنثى عند غيرهم .

المعدن والركاز

مما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى أودع أرضه الكثير من خيراته وادخرها لبني آدم ومكنهم من نيلها بجهد قليل .. ونعم الله تقابل بالشكر عليها والانفاق منها في سبيله سبحانه ..

ولذلك أوجب الله تعالى على من استخرجها حقا ليعم الانتفاع بتلك الثروات

العظيمة ويعود نفعها على مستخرجها وعلى الجماعة الاسلامية .
وكذلك ما قد يجده الانسان في الأرض من الكنوز التي لا يعرف لها مالك أثبت الشرع فيها حقا .
قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض**) وهذا يشمل ما تنبته الأرض من الزروع والثمار وما استخرج من الأرض مما أودعه الله فيها من المعادن والكنوز .
والمعادن : لغة المواضع التي تستخرج منها جواهر الأرض ، وقيل المعادن تلك المواد نفسها ، كالذهب والفضة والنحاس ، والنفط ، والكبريت .
وتطلق في عصرنا الحاضر على مواد معينة منها الذهب والفضة والنحاس وليس منها النفط والكبريت ونحوها .
والكنز : المثبت في باطن الأرض من الأموال بفعل الانسان .
والركاز : يشمل النوعين : المعادن والكنوز
فالركاز ما يوجد في باطن الأرض مما أودعه فيها الخالق أو المخلوق .

القدر الواجب في الركاز

كل ما استخرج من باطن الأرض وجب فيه الخمس (٢٠٪) . لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (في الركاز الخمس) .
ثم إن ما يؤخذ مما يستخرج من المعادن فهو زكاة ، وأما ما يؤخذ من الكنوز فقد قيل هو فيء فيصرف في المصالح العامة ، وقيل هو زكاة فيصرف في مصارف الزكاة .

مصارف الزكاة

حدد الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة فقال سبحانه :
« إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .
فمصارفها اذن كما يتبين من الآية الكريمة ثمانية :

(١ و ٢) الفقراء والمساكين :

هم المحتاجون الذين لا يجدون كفايتهم ويقابلهم الأغنياء وهم المكفيون ما يحتاجون اليه ، والقدرالذي يصير الانسان به غنيا هو قدر النصاب الزائد عن الحاجات الأصلية له ولأولاده ومن تلزمه نفقتهم من مأكل ، ومشرب ، وملبس ، ومسكن ، ومركب ، وآلة حرفة ، ونحو ذلك فكل من عدم هذا القدر فهو فقير يستحق

الزكاة والفرق بين الفقراء والمساكين من حيث الحاجة والفاقة .
فالمساكين هم الذين لا يملكون شيئا ولا يكتسبون شيئا ، والفقراء هم الذين يملكون او يكسبون اقل مما يقوم بكفايتهم وقيل عكس ذلك .

٣ ـ العاملون عليها

وهم الذين يوليهم الامام أو نائبه العمل على جمع الزكاة من الأغنياء ، ويدخل فيهم الحفظة لها والرعاة لانعامها والكتبة لديوانها ، ويجب أن يكونوا من المسلمين والا يكونوا ممن تحرم عليهم الصدقة ويجوز أن يكونوا من الأغنياء .

٤ ـ المؤلفة قلوبهم

وهم الجماعة الذين يراد تأليف قلوبهم وجمعها على الاسلام او تثبيتها عليه لضعف إسلامهم أو كف شرهم عن المسلمين أو جلب نفعهم في الدفاع عنهم .

٥ ـ في الرقاب

ويشمل المكاتبين ، فيعان المكاتبون بمال الزكاة لفك رقابهم من الرق ويشتري به العبيد ويعتقون .

٦ ـ الغارمون

وهم الذين تحملوا الديون ، وتعذر عليهم اداؤها كمن التزم في ذمته دينا ليدفعه في اصلاح ذات البين أو ضمن دينا فلزمه أو استدان لحاجته إلى الاستدانة ، فهؤلاء يأخذون من الزكاة ما يفي بديونهم ، ومن استدان لاصلاح ذات البين يأخذ من الزكاة ولو كان غنيا .

٧ ـ في سبيل الله

سبيل الله الطريق الموصل إلى مرضاته . وجمهور العلماء على أن المراد به هنا الغزو ، وأن سهم سبيل الله يعطي للمتطوعين من الغزاة الذين ليس لهم مرتب من الدولة فهؤلاء لهم سهم من الزكاة فيعطونه ولو كانوا من الأغنياء .
وسبيل الله يشمل الاستعداد للحرب بشراء الأسلحة وأغذية الجند وأدوات النقل وتجهيز الغزاة ، ويشمل إعداد الدعاة إلى الاسلام في بلاد الكفر وتجهيزهم بوسائل النقل ووسائل الاعلام وغير ذلك .
ويمكن أن يقام بها مستشفيات أو مدارس في بلاد الكفر بغرض خدمة الدعوة إلى الاسلام .
ولكن لا يصح أن يبني بها في ديار الاسلام مستشفيات أو مدارس يستفيد منها الأغنياء أما إن كانت للفقراء خاصة فلا بأس ، وكذلك لا تبنى بها المساجد أو تشق بها الطرق .
لأن سبيل الله هو الجهاد فلا يقاس عليه ما ليس بمعناه ، ولكن يقاس عليه ما هو بمعناه ، وهو ابلاغ الدعوة إلى الكفار بأي وسيلة مناسبة .

٨ ـ ابن السبيل

وهو المسافر الذي نفد ماله وأصبح في حاجة إلى مال ينفق منه حتى يصل إليه ماله أو يصل هو إلى بلده .

توزيع الزكاة

اختلف الفقهاء في توزيع الزكاة على الاصناف الثمانية السابقة فالجمهور على انه لا يجب توزيعها على الأصناف كلها وأنه يجوز توزيعها على جنس واحد ، وللمزكي أن يعطي بعض الجنس دون بعضه إذ المقصود من الزكاة هو سد الحاجة وهذا يقتضي تقديم أهل الحاجة على غيرهم .

من تحرم عليهم الزكاة

الأصناف الآتية لا تستحق الزكاة ولا تحل لهم ولا يجزي صرفها اليهم :
١ ـ الكفرة والملاحدة .
٢ ـ آل البيت من بني هاشم وبني المطلب .
٣ ـ الآباء والابناء ويشمل الأجداد والأمهات والجدات وأبناء الأبناء والبنات .
٤ ـ الزوجة لأن نفقتها واجبة على الزوج .

هل يجوز إخراج الزكاة قبل موعدها ؟

لا تجب زكاة المال ، وعروض التجارة ، والماشية ، إلا إذا مضت سنة على ملك النصاب فيها ، وأما الثمار والزروع ، فتجب الزكاة في كل منها عند نضجها وحصادها ، سواء أتم ذلك في شهور ؟ أم في سنة أم أكثر وقد سبق الكلام عن ذلك .

والأنواع التي لا بد في وجوب الزكاة فيها من تمام الحول .

● هل يجوز لمالك النصاب أن يخرج زكاته الواجبة فيها قبل تمام السنة ؟
فمثلا لو كان آخر شهر ذي الحجة هو تمام السنة على مالك المدخر فهل يجوز لك ن تخرج زكاة هذا المال قبل آخر ذي الحجة ؟

قال الشافعي ، وأبو حنيفة ، وأحمد وبعض التابعين يجوز التعجيل بها قبل مجيء وقتها .

وذهب مالك ، وسفيان الثوري إلى عدم الجواز .

ولكل من الفريقين أدلته التي بني عليها رأيه وهي مذكورة في الكتب المطولة .

ويهمنا أن نضع امامك الرأيين وانت بالخيار في الأخذ بأحدهما والأولى ألا تخرجها قبل موعدها الا لمصلحة مهمة تستدعي ذلك كأن يوجد محتاجون يصعب عليهم انتظار حلول موعد الزكاة .

هل يجوز إعطاء غير المسلم شيئا من الزكاة ؟

اجمع الأئمة على عدم جواز صرف شيء من الزكاة الواجبة ـ غير زكاة الفطر ـ

إلى غير المسلم ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم صرح بقصرها على فقراء المسلمين ، وذلك في حديثه لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن وقال له : (فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) رواه البخاري .

أما زكاة الفطر فقد أجاز أبو حنيفة وحده صرف شيء منها لغير المسلم بينما منع الباقون من الأئمة ذلك ، وأما صدقة التطوع وهي غير الواجبة فجمهور الأئمة يجيز توزيع بعضها على المحتاج غير المسلم ممن بيننا وبينهم صلة وعهد ، باعتبار أن برهم والاحسان اليهم لم يمنعنا الاسلام منه علما بأن دفعها للمسلم أفضل وأكثر ثوابا والأمر في ذلك يرجع إليك وإلى تقديرك للظروف حولك ..

وأهم شيء يجدر بك أن تراعيه هو حاجة أقاربك وجيرانك وأهل بلدك ومن لهم بك صلة ومن هم أشد حاجة من غيرهم .. وكلما كان من تعطيه الزكاة أصلح دينا أو أشد فقرا أو أقرب إليك فهو أفضل .

نقل الزكاة من بلد إلى آخر

قال الأئمة جميعا إن الأصل في زكاة البلد أن تصرف لسد حاجة فقرائها أولا ثم فقراء البلاد المجاورة لهم .

ومنع جمهور الفقهاء نقلها إلى بلاد بعيدة عنك قدروا مسافة بعدها بنحو ثمانين كيلو مترا ' وهي ما يسمونها مسافة القصر أي التي يُقْصِرُ المسافر فيها الصلاة الرباعية ما دام في بلدك محتاجون إليها .

ولكن أجاز أبو حنيفة نقلها إلى أكثر من ذلك ما دام يوجد لك أقارب محتاجون في البلد البعيد أقرب من الموجودين لديك . أو مسلمون أشد حاجة ممن هم قريبون منك أو طالب علم أو مجاهد ونحو ذلك فانهم يُقَدَّمون على غيرهم فتصرف الزكاة لهم كلها أو أغلبها ، والأغلب أفضل حيث يتاح لك أن تصل معهم بعض من حولك في بلدك ممن ينتظرون منك العطاء .

وعلى هذا الرأي يجوز للمسلمين في أي مكان أن يصرفوا زكاتهم كلها أو بعضها للمرابطين على خط النار والمتضررين من آثار العدوان المحتاجين وإلى النازحين واللاجئين لتحسين أحوالهم وتوفير المأوى والطعام والكساء لهم وكذلك لأقاربهم المقيمين في بلاد بعيدة .

هل تجب في مال الصبي زكاة ؟

قال الأئمة ما عدا أبا حنيفة تجب الزكاة في مال الصبي وعلى وليه إخراجها منه ..

وقال أبو حنيفة : لا زكاة في مال الصبي ، ولا يجب على الولي شيء لأن الزكاة عبادة محضة كالصلاة وهي ليست واجبة على الصبي .

والاولى الأخذ بالرأي الأول .. إذ الزكاة (**حق معلوم . للسائل والمحروم**) (المعارج ٢٤ و ٢٥) وهذا الحق ثابت في المال .. ومن ثم يجب على من يتولى تدبير أمور الصبي بالنفقة وتنمية المال وتسديد ما عليه من ديون أن يتولى إخراج الزكاة كذلك .

والأمر في المجنون والسفيه والمحجور عليه كالأمر في الصبي ..

من مات وعليه زكاة

من مات وعليه زكاة وجبت في ماله وتقدم على الورثة ، والوصية . لقوله تعالى في المواريث (**من بعد وصية يوصى بها أو دين**) (النساء آية ١٢) والزكاة دين قائم لله تعالى .

وهذا رأي من عدا الحنفية . أما عند الحنفية فلا يجب إخراجها إلا إن أوصى بها المالك فتكون وصية وتخرج من الثلث .

التهرب من الزكاة

وبعض من لا دين عندهم يحاولون أن يفلتوا من الزكاة ويلجئون إلى حيل شتى ، ويظنون أنهم يتعاملون مع أفراد لا مع الله الذي يعلم ما في الصدور فيتهربون من إخراج الزكاة ، ولكن إذا تهربوا في الدنيا وضنوا بحق الله ، فأين يهربون من الله في الآخرة يوم لا ملجأ منه إلا إليه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم ..؟

هذا هو الضابط وهو الفرق بين ما يفرضه الله على عباده وما يفرضه العباد على العباد خارجا عن شرع الله .

الدعاء للمزكي

يستحب الدعاء للمزكي عند أخذ الزكاة منه لقوله تعالى : (**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم**) (التوبة ١٠٣) ..

وعن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أتى بصدقة قال : (اللهم صَلِّ عليهم) وإن أبا أوفى أتاه بصدقة فقال (اللهم صَلِّ على آل أبي أوفى) رواه أحمد .

وروى النسائي عن وائل بن حجر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجل بعث بناقة حسنة في الزكاة ، (اللهم بارك فيه وفي إبله) .

قال الامام الشافعي السنة للامام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق ويقول : أجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت . وكذلك يسن للمستحق أن يدعو لمن يعطيه الزكاة ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، ومن صنع معك معروفا فكافئه عليه فان لم تقدر فادع له .

من اخبار العالم الاسلامي

مؤتمر القمة الاسلامي المصغر

افتتح سمو امير البلاد الشيخ جابر الاحمد الصباح في قصر المؤتمرات اجتماع هيئة مكتب مؤتمر القمة الاسلامي الخامس ورؤساء اللجان الدائمة .

وبعد تلاوة القرآن الكريم وقف الجميع دقيقة واحدة حدادا على ارواح شهدائنا في فلسطين وباكستان وسائر الدول الاسلامية .

امير البلاد الكلمة الت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .
والصلاة والسلام على رسوله الصادق الامين . .
وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه الى يوم الدين .
اخواني .
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وباسم الكويت احييكم .

الكويت التي تسعد بكم بعد عام من لقائكم فوق أرضها في مؤتمر القمة الاسلامي الخامس وتحمل لكم أجمل الذكريات وتعيش معكم الاخاء والسلام والتعاون على النهوض بحاضر العالم الاسلامي ومستقبله واشكركم على كريم استجابتكم لدعوتنا مع ما تحملون من عظيم المسؤوليات والله وحده هو القادر على مثوبتكم وادعوه سبحانه ان يبارك لكم في اوقاتكم واعمالكم وان يجزيكم عن الاسلام والسلام خير الجزاء .

اخواني

وددت بهذا اللقاء لهيئة مكتب منظمة المؤتمر الاسلامي ورؤساء اللجان الدائمة فيها خلال فترة الرئاسة ان اطرح سابقة تستهدف توثيق الروابط وتكثيف التشاور في القضايا الاسلامية في شمولها وتنشيط وتنسيق اعمال اللجان والاجهزة المتخصصة في القرارات التي اتخذها مؤتمر القمة الاسلامي الخامس .

فلقاؤنا بهذا اطلالة مشتركة على جهود سبقت وتطلع الى جهود مقبلة .

وأضاف سموه :

اخواني ...

مهما تكن دواعي لقائنا في هذه المرحلة من المسيرة فان السطر الاول

في اللقاء تكتبه ايد عزيزة علينا جميعا هي ايدي ابطال الحجارة في فلسطين المجاهدة .

انهم جيل جديد وبعث جديد انشقت عنه الارض الطيبة يحمل ايمانه في قلبه وتخطيطه في عقله واحجار وطنه بين يديه ان قضية فلسطين مسؤولية متجددة وهى كائن حي يعيش برئتين .. المقاومة الداخلية والتأييد الخارجي .

وان المقاومة الداخلية تؤدي واجبها كأنبل ما يكون الاداء ويبقى التأييد الخارجي ميزانا لصدق النوايا والتوجهات والاعمال لا الاقوال .

ان هذه الانتفاضة هي صوت الحق الذي شق جدار الصمت الذي يحاول الكيان الاسرائيلي فرضه على القضية . وعلينا ان نرعاها فلا تعصف بها رياح السياسة ولا تضيع في دروب التآمر الظاهر والخفي ولا يطول بها الصراع في معركة غير متكافئة تزداد فيها شراسة العدو وطغيانه يوما بعد يوم .

ان الانتفاضة هي التجسيد الصريح لاصرار الشعب الفلسطيني على استعادة حقوه غير القابلة للتصرف بما فيها حقه في تقرير المصير واقامة دولته المستقلة فوق ارضه بقيادة ممثلة الشرعى والوحيد .. منظمة التحرير الفلسطينية .

والان ، وقد تفجر بركان الغضب في الارض المباركة بعد ان تقطعت حبال الصبر وتكشف سراب الوعود اصبحت فلسطين مقياسا دقيقا لمدى



استجابة الدول الكبرى لحقوق الانسان .

اخواني ،

في الوقت الذي شدت فيه الانتفاضة الفلسطينية بنبلها وبطولتها انظار العالم ازداد سعير الحرب بين العراق وايران فاذا نحن امام تصعيد في جبهة كم رجونا ، وما زلنا نرجو ان تهدأ وان يجلس ابناء الاسلام الى مائدة الصلح والمفاوضات وان تتحرر الاذهان من مناهج العدوان الفكري والسياسي والعسكري وتلتقي على التعاون وحسن الجوار .

وان تجارب التاريخ في عالمنا العربي والاسلامي وما انتهت اليه الامم المتحدة وما اقره مجلس الامن وما تنادت به لجان الصلح والوساطة بين الجارتين تلتقي جميعا على كلمة جاءت في كتاب الله ، وهو لنا شريعة الحياة هي قوله تعالى « والصلح خير »

ان الصلح هو النداء الذي التقت عليه الارض والسماء فعسى ان

تستجيب الجارة المسلمة ايران لهذا النداء .

ومع إن ايران لم توافق على استقبال وفد يتكون من معالى الاخ الامين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي واحد المسؤولين الكويتيين تنفيذا لتكليف من مؤتمر القمة الخامس الا ان املنا في المستقبل أكبر من اسفنا على الماضي ورغبتنا في الصلح والاخاء هي المحرك الاكبر لجهود المنظمة .

اخواني ،

ان لافغانستان علينا حقا واجب الاداء في صراعها الطويل من أجل تحرير الارادة الافغانية من اي تأثير خارجي .

واننا اذ نرحب بما اعلنه الاتحاد السوفياتي من رغبته في الانسحاب من افغانستان نرى في هذا عونا على ان يقوم فيها نظام حكم نابع من ارادتها الشعبية ليحمل مسؤولية التعمير والبناء .

ان مراحل التعمير ترتبط بالتخصص وتوفير الكفاءات القادرة على القيام باعبائه المتشعبة والمتكاملة . وفي هذا يبدو جانب من مسؤولية منظمة المؤتمر الاسلامي حين يرغب الاخوة الافغانيون في ذلك . ان المنظمة صورة الاخاء المتعاون ومن اجله قامت ولتحقيقه تعمل وعلى هداه تسير وهى عقل الامة الاسلامية وقلبها وضميرها المستجيب لحاجاتها ، ما استطاع الى ذلك سبيلا .

اخواني كنا وما زلنا على الايمان العميق بمكانة البيت الحرام وقداسته التي جاء بها القرآن، وأكدتها السنة النبوية واجمع عليها المسلمون عبر القرون .

وينبغي علينا جميعا ان نتعاون على حفظ حرمة البيت وتأمين زوار البيت ضيوف الرحمن .

ان الشقيقة السعودية لها الولاية الشرعية على الاماكن المقدسة وهي تقوم بهذا الجهد المبرور في خدمة الحجيج مبتغية وجه الله تعالى واننا لنهيب بالمسلمين جميعا ان يتعاونوا على ان يظل لموسم الحج امنه وهدوؤه ومهابته ووقاره ولا يرتفع فيه الا ما شرع الله من ذكر واداء مناسك وتعظيم لشعائر الله مصداقا لقوله تعالى : « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب »

اخواني ،

اتحدث اليكم وعيوننا على اقليم الساحل في غرب افريقية . ذلك الاقليم الذي اشتدت فيه المجاعة منذ سنوات وزحفت عليه الصحراء ومات فيه ملايين الضحايا .

وتقتضي السنوات المقبلة مزيدا من التعاون العلمي بين اقطار منظمة المؤتمر الاسلامي واجهزتها ومراكز البحث العالمية في مجال الارصاد الجوية ، وتوفير موارد المياه وتنظيم الزراعة والاستعداد المبكر لدورات الجفاف المحتملة واخطارها حتى تتيسر سرعة العون والانقاذ .

وهناك ايضا في جنوب افريقيا وناميبيا مجاعة من نوع آخر انها

مجاعة الفقر والاستعباد الذي تمارسه السياسة العنصرية ضد الاخوة الافريقيين اصحاب الحق الاول في ارضهم التي تعتبر من أغنى الاقطار في ثرواتها والتي لا تزال حكومة بريتوريا تفرض طغيانها عليهم فيها وتصم آذانها عن الاستماع الى صوت الحق والعدل وهي في هذا لا تختلف عن السياسة الاسرائيلية الباطشة ضد اخواننا المجاهدين في فلسطين .

واننا لنؤيدهم في كفاحهم المشروع حتى يستعيدوا حقوقهم الشرعية فوق ارضهم .

اخواني ،

هذه خطوط عامة في العمل الاسلامي ومسؤوليات امسه وغده ، نستهدف بها متعاونين ان نزيد ملامح الشخصية الاسلامية وضوحا وان يشرق بها وجه الاسلام في العالم المعاصر والعقود المقبلة .

وان خير تفسير للاسلام هو صورة المسلمين فلنحاول ان تكون هذه الصورة معبرة بصدق عما يريده الاسلام منا .

ان في الصورة المعاصرة خدوشا وجروحا وهدما وتخريبا بأيدينا وايدي اعدائنا .

وانني حين اتحدث اليكم الآن اعلم كم تألمون معي ومع الكويت ويألم كل ضمير حي لما يعانيه الابرياء المختطفون في الطائرة الكويتية الذين فرض عليه البعض ارهابا دمويا ومارسوا فيهم الترويع والقتل دون ذنب او جريرة .

نسأل الله الرحمة لمن قضى نحبه . والنجاة لاخوانهم انه سميع مجيب .

وانه لمن المحزن ان اخبركم ان انفجار مروعا وقع صباح اليوم في مدينة كراتشي حيث ذهب ضحيته أكثر من مائة شخص خلاف العديد من الجرحى ومن اجل ذلك سوف يعود الاخ الرئيس ضياء الحق الى بلاده الليلة ولا يستطيع ان يكمل معنا بقية الاجتماعات .

وانني باسمكم وباسم الكويت وشعبها اقدم لفخامته ولشعب الباكستان المسلم الشقيق احر تعازينا ومواساتنا ونسأل الله سبحانه وتعالى ان يتغمد الضحايا الابرياء بواسع رحمته وان يكتب الشفاء للجرحى والمصابين .

واعلم انكم تذكرون معي اننا كلما اردنا ان نجمع المسلمين في مؤتمر سبقته وصحبته حوادث مدبرة من التفجير والترويع هي تشويه لصورة الاسلام وتعطيل لجهود المسلمين وصرف للانظار عن القضايا الكبرى التي من اجلها تعقد المؤتمرات .

اخواني ،

اكرر لكم شكري وأسأل الله تعالى لنا ولأوطاننا السلامة والتوفيق انه الهادي الى سواء السبيل وهو نعم المولى ونعم النصير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

البيان الختامي للقمة

أدان المؤتمر الاسلامي المصغر حادث الاختطاف الاجرامي الذي تعرضت له طائرة الركاب الكويتية ،

وحيا الاجتماع الانتفاضة الوطنية البطولية للشعب العربي الفلسطيني .

وأكد الاجتماع من جديد أن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني وهي التي لها الحق الكامل في تمثيله والمشاركة بالنيابة عنه بشكل مستقل وعلى قدم المساواة في جميع المؤتمرات والانشطة المتعلقة بقضية فلسطين .

ودعا المؤتمر في هذا الصدد الى عقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الاوسط تحت رعاية الامم المتحدة من أجل تحقيق حل سلمي وشامل وعادل .

وأثناء استعراض الموقف في افغانستان أشاد الاجتماع بالكفاح البطولي الذي يخوضه شعب أفغانستان من أجل تحرير وطنه وحتى تستعيد افغانستان وضعها الاسلامي المستقل وغير المنحاز ، واعرب الاجتماع عن امله في سرعة التوصل الى حل سياسي يمكن اللاجئين الافغان من العودة الى ديارهم بكل امان وشرف وحتى يتسنى للشعب الافغاني ممارسة حقه في اختيار نظامه الاقتصادي والسياسي بمنأى عن اي تدخل اجنبي . وقد أكد الاجتماع ضرورة اعادة الهيكلة الاقتصادية في افغانستان بعد انسحاب القوات الاجنبية منها وذلك بمساعدة الدول الاسلامية والمؤسسات المالية الاسلامية مثل البنك الاسلامي للتنمية .

كما اعرب الاجتماع عن قلقه العميق لاستمرار الحرب الايرانية العراقية واعرب ايضا عن تأييده لقرار مجلس الامن الدولي ٥٩٨ الصادر في ٢٠ يوليو ١٩٨٧ بشأن الحرب الايرانية العراقية ومساندته لجهود الأمين العام للامم المتحدة من أجل تنفيذ هذا القرار تنفيذا كاملا وأكد الاجتماع من جديد ضرورة القيام فورا بوقف جميع العمليات العسكرية وانسحاب القوات الى الحدود المعترف بها دوليا وتبادل اسرى الحرب اضافة الى العناصر الاخرى التي تضمنها القرار رقم ٥٩٨ وحل جميع المشاكل العالقة بين البلدين الجارين المسلمين بالوسائل السلمية .

وأدان الاجتماع نظام بريتوريا لانتهاجه سياسات التمييز العنصرى المقيتة ولاحتلاله غير الشرعي لناميبيا وكذلك لسياسة زعزعة الاستقرار لبلدان المواجهة التي ينتهجها . وأكد من جديد شرعية كفاح شعب جنوب

افريقيا وناميبيا من أجل تحقيق حكم الاغلبية والاستقلال .

واستعرض الاجتماع الاحداث المحزنة والخطيرة التي تسبب فيها عدد كبير من الحجاج الايرانيين في المدينة المقدسة مكة المكرمة اثناء موسم الحج في عام ١٤٠٧ هـ واعرب الاجتماع عن اسفه ازاء هذه الاحداث واكد تفهمه العميق وتأييده للاجراءات التي اتخذتها السعودية للحفاظ على حرمة الاماكن المقدسة وحماية الحجاج .

ودعا الامين العام الى القيام في اسرع وقت ممكن بتعيين فريق مكون من خمس شخصيات بارزة لدراسة موضوع الاجراءات الهادفة لبناء الثقة وتعزيز الامن وفقا لما قرره المؤتمر الاسلامي السابع عشر لوزراء الخارجية

وفي القضايا الاقتصادية اعرب الاجتماع عن تقديره لمدى التقدم الذي تحقق في تعزيز التعاون الاقتصادي والتجاري بين البلدان الاسلامية ، وأشاد بالجهود التي بذلتها اللجنة الدائمة للتعاون الاقتصادي والتجارى التي يرأسها فخامة الرئيس كنعان ايفرين رئيس الجمهورية التركية .

واعرب الاجتماع عن ارتياحه للتقدم الذي تحقق في مجال التعاون العلمي والتكنولوجي فيما بين البلدان الاسلامية تحت رعاية اللجنة الدائمة للتعاون العلمي والتكنولوجي ، التي يرأسها فخامة الرئيس محمد ضياء الحق ، رئيس جمهورية باكستان الاسلامية .

وقد ابدى الاجتماع ارتياحه لتقرير اللجنة الدائمة للاعلام والشؤون الثقافية التي يرأسها فخامة الرئيس عبدو ضيوف ، رئيس جمهورية السنغال والتقدم الذي تحقق في هذه المجالات تحت رعاية اللجنة . وقد سجل الاجتماع ايضا ، ضرورة اتخاذ ترتيبات عملية من أجل وضع مشروع الاستراتيجية الثقافية والاجتماعية المقترحة من قبل رئيس اللجنة خلال مؤتمر القمة الاسلامي الخامس . ورحب بعرض المملكة العربية السعودية استضافة الاجتماع الاول لوزراء الاعلام للدول الاعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي في شهر صفر ١٤٠٨ هـ

واعرب الرئيس كنعان ايفرين ، رئيس الجمهورية التركية باسم جميع الوفود عن الامتنان لسمو الامير عن مبادرته الصائبة التوقيت لعقد اجتماع مكتب مؤتمر القمة الاسلامي الخامس ورؤساء اللجان الدائمة بهدف متابعة وتقييم القرارات التي تم اعتمادها في القمة الاسلامية الخامسة .

وقد عبر عن تقديره لسمو الامير ، ولحكومة وشعب الكويت لكرم ضيافتهم وللترتيبات الممتازة التي تم اعدادها لهذا الاجتماع .

كرامة الكويت ليست سلعة في سوق السياسة

اكد صاحب السمو امير البلاد ، في كلمة الى الشعب اثـر انتهاء محنة الطائرة الكويتية ((الجابرية)) ان ((ابناء الديرة)) من بادية وحاضرة اكدوا ان كرامة الكويت ليست سلعة فـي سوق السياسة وان مبادىء الكويت ليست اوراقا على موائد المفاوضات .

واضاف ان البعض حاول اختراق الوحدة الوطنية ، وما زالوا يحاولون ، ولكن بعون الله تعالـى وبتماسك ووعي من ابناء الكويت خرجت وحدتنا الوطنية من كل هذه المحاولات وهى اصلب عودا واعمق بصيرة .

وفيما يلي نص كلمة سموه :

((بسم الله الرحمن الرحيم)) الحمد لله القائل (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) .

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

اخواني : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تعودت ان اتحدث اليكم في رمضان شهر الخير والقرآن . وايام رمضان كلها خير . فاليكم جميعا تهنئتي داعيا الله أن يعيده علينا وعلى اخوتنا في العروبة والاسلام وكل محب للسلام بمزيد من الامان والسلام وندعوه وهو سبحانه العلي القدير ان يفتح القلوب للتعاون وحقن الدماء وصيانة الارواح والاموال وان نتبادل التحيات لا القذائف والتهاني لا التهديدات . ويسالونك متى هو .. قل عسى أن يكون قريبا .

اخواني .. لقد عاشت الطائرة المختطفة ستة عشر يوما كانت فيها ارض صراع بين ابرياء لا يملكون ما يدفعون به عن انفسهم وبين اشباح ابت أن تظهر في النور .. ومن الظلام جاءت والى الظلام عادت .

وبايمان عميق ودعنا شهداءنا الابرار الذين لحقوا باخوة لهم سبقوا الى جوار ربهم من اجل الدفاع عن وطنهم وكرامته ومبادئه .

والى الله تعالى نتوجه شاكرين على عودة ابنائنا وملاحي الطـائرة

سالمين بعد المحنـــة .

وباكف الضراعة ندعوه سبحانه ان يحفظ لشعبنا وحدته وتماسكـــه في الشدائد وصعوده باحزانه الى آفاق مبادئه .

اخوانـــي

ان اكثر من تجربة مرت بها الكويت واستهدفت ابتزازها وتهديدها واغتيال ابنائها فوق ارضها وفي خارجها ومحاولة تفجير منشآتها في تآمر مدبر بليل او عدوان سافر بالنهار وكان منا الثبات على ما نؤمن انه الحق والعدل .

ان منهجنا ان ندين العدوان وان ندفع عن ارضنا وابنائنا وان نقيم ميزان العدل في وطننـــا .

ان العدل في الكويت هو محراب القضاء ونحن لا نملك تغيير المحراب .

اخوانـــي

لقد حاول البعـــض اختراق الوحدة الوطنية ولا زالوا يحاولون ولكن بعون من الله تعالى وبتماسك ووعي من ابناء الكويت خرجـــت وحدتنـــا الوطنية من كل هذه المحاولات وهي اصلب عودا واعمق بصيرة . واعلن ابناء الكويت ان الكويت هي الام والاب والارض والعرض . انها الماضـــي والحاضر والمستقبل . ارض عاشت على الايمان بالله تعالى والتماسك بين ابنائها في السراء والضراء . هـــذا ميثاقهم الذي عاهدوا الله عليه ذاكرين ما جاء في كتاب الله « يد الله فـــوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما » .

اخوانـــي ..

لقد رايت توحد الكويت في هذه المحنة مرتين الاولى وهى تشيع الشهيدين الى مثواهما بالحزن النبيل والثانية وهي تستقبل العائدين بالفرح العزيز .

ورايت في عين الكويت اللقاء بين دمعة الحزن ودمعة الفرح .

ورايتكم يا ابناء الديرة من بادية وحاضرة كبارا في حزنكم وكبارا في فرحتكم كبارا في تماسككم كبارا في ثقتكم بانفسكم واعتزازكم بكرامتكم واكدتم ان كرامة الكويت ليست سلعة في سوق السياسة وان مبادىء الكويت ليست اوراقا على موائد المفاوضات .

ان شمس كرامتكم لا تغيب ولن تغيب باذن الله تعالى .

وان كرامتكم موقف . وقد اخترناه معا وصبرنا عليه معا وكانت العاقبـــة للصابرين

اخوانـــي ..

مع احساسنا بالفرح بعد الشدة والنصر بعد الصبر تتطلع عيوننا الـــى الاخوة المجاهدين في فلسطين . ولهم منا خالص التاييد في نضالهم المشروع . وخالص العزاء لكم ايها الابطال في شهدائكـــم وعزاء واحتسابا في الاخ ــ ابو جهاد ــ خليل الوزير الذي عاش لوطنه واستشهد لوطنه .

وعزاء لنا جميعا نحن ابناء العروبة والاسلام وقد حاول من حاول ان يصرف الانظار عن القضية المصيرية . فكانت مؤامرة اختطاف الطائرة وفي غمرة

الاشتغال بها امعن الكيان الاسرائيلي في تصعيد العـــدوان والقتل وتدمير المساكن حتى بلغ ذروته بمؤامرة اغتيال ابو جهاد .

هذا وقد رسم اختطاف الطائرة بكل مآسيه صورة مشوهة عن الاسلام هو منها بريء . وكم من الاثام ترتكب باسم الاسلام .

اخوانـــي ..
انني باسم الكويت اقدم خالص شكري لفخامة الاخ الرئيس الشاذلي بنجديد رئيس الجمهورية الجزائرية الشقيقة والى حكومته والى الشعب الجزائري الشقيق على قبول نزول الطائرة فوق ارضها وتحرير ملاحيها وركابها فلهم منا جميعا الشكر والعرفان .

كما اشكر منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة في رئيسها الاخ ياسر عرفـــات على مساهمته الكبيرة في هذا الشأن .
ولقد وجدت الكويت التعاطف الصادق والتعاون من الاخوة رؤساء دول مجلس التعاون الخليجي والمجتمع العربي والاسلامي والدولي ومن الرأي العام المحلي والخارجي .
فالى الاخوة الرؤساء والى حكوماتهم وشعوبهم ابعث باسم الكويت وباسمي بخالص التحية والشكر والتقدير .

كما اشكر كل الاخوة والاخوات الذين عبروا عن شعورهم في الكويت بمختلف الوسائل .. سائلين الله تعالى أن يجنبهم جميعا كل مكروه وان يجعل مـــن تعاونهم على اشاعة السلام والعمل له نورا للابصار والبصائر حتى تتقدم مواكب الخير وتتراجع مواكب البغي والعدوان ..
والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ..
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـ ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

○ الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

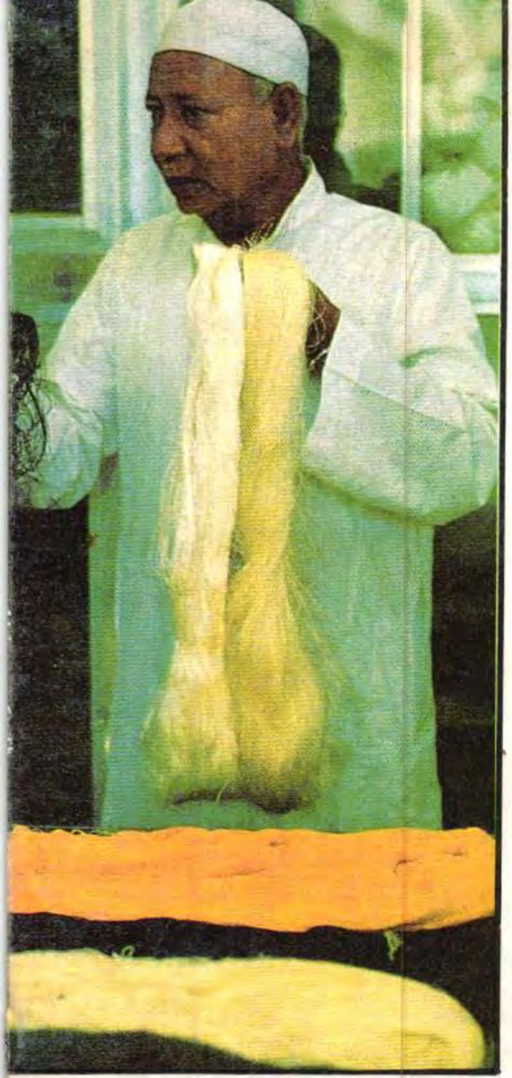
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

من صام رمضان
ثم أتبعه ستاً من شوال
كان كصيام الدهر

(رواه مسلم)

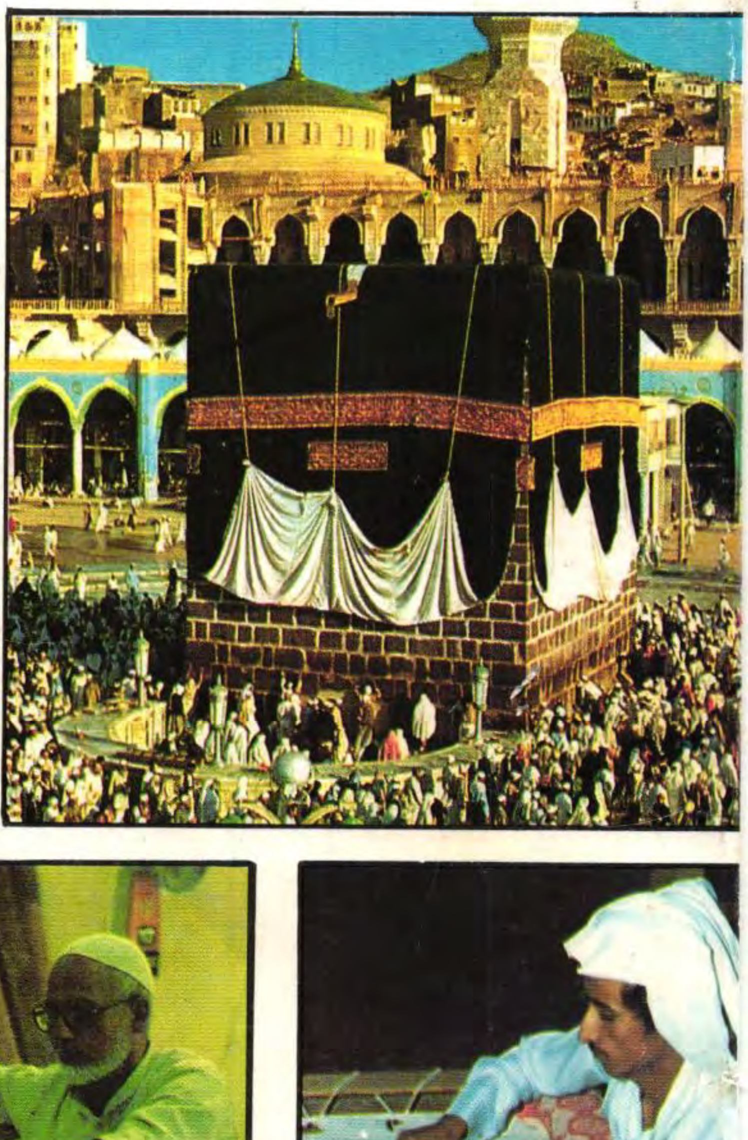
محمد موزن ١٤٠٨

طبع في مطابع دار السياسة ـ الكويت



الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢٨٧ ـ ذو القعدة ١٤٠٨ هـ/ يوليو (تموز) ١٩٨٨م



كسوة الكعبة

ص ٧٦

في هذا العدد:





هديتك مع العدد

محتويات العدد

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٨٧ ـ ذو القعدة ١٤٠٨ هـ/ يوليو (تموز) ١٩٨٨م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة

دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

• الثمن •

البلد	الثمن
الكويت	٢٠٠ فلسا
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما
السودان	١٥٠ مليما
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	٣ دراهم
البحرين	٢٠٠ فلس
تونس	٢٥٠ مليم
الاردن	٢٠٠ فلس
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	٣ ريالات
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

رب اجعل هذا البلد آمنا

كم في مناسك الحج من وقفات ، تسكب فيها العبرات ، وتثار ذكريات خلدها التاريخ وباركها الاسلام ، في موسم الحج تشد الرحال إلى حرم الله الآمن ، إلى مهبط الوحي ومنزل القرآن ؛ إلى أول بيت وضع للناس ، هناك لا ينقطع الهدير بالضراعة والدعاء ساعة من ليل أو نهار بدءا بالإحرام وانتهاء بطواف الوداع ، وبالإحرام يحس المحرم بالفرحة الغامرة وهو يجد نفسه في عداد المجيبين لدعوة ابراهيم عليه السلام ، وبملابس الإحرام يدخل عالماً جديدا كما يدخل الحياة كل مولود ؛ بهذا اللباس يترك صنعة الدنيا وزينة الحياة ، وبه يستشعر معنى المساواة ، ويتجدد إيمانه بأن الناس سواسية أمام رب الملك والنعمة ، لا تفاضل بينهم بلون أو حسب أو مال ،ما دام ميزان التفاضل هو التقوى ـ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ـ ثم تأتى التلبية تستجيب بها أمة الدعوة للنداء الإبراهيمي الذي انطلق في جوف الزمن وسيبقى حتى يرث الله الارض ومن عليها ، بهذا النشيد الإلهي ، يعبر المسلمون عن

وضعهم أمام جلال الله وعظمته وسلطانه ، ويؤكدون إخلاص عبوديتهم له سبحانه ، إذعانا بأنه رب الملك والنعمة ، وإيمانا بأنه واحد لا شريك له ، وأنه رب العزة التي لا تذل وربّ القوة التي لا تقهر، ورب النعمةالتي لا تحصى، وبهذه الاستجابة يسير المؤمن على منهج ربه ، لا يتوجه **إلا له** ولا يخاف الا منه ، بها يتحرر من سلطان المادة ، فلا يذل لمخلوق وإن مَلَكَ خزائن الارض ، بل يعيش عزيز النفس مرفوع الرأس عالي الهمة ، لا يرهب ذا حسب أو جاه ، ولا ينافق غنيا لغناه ، في جو التلبية يتضح الطريق السوي إلى الايمان القوي والتوحيد الصافي ، وهناك وقفة أُخرى لها في النفوس أبلغ الدلالات وأُطيب الذكريات ، وذلك عند دخول مكة المكرمة ، حرم الله الآمن ، يستحضر المسلمون بكل إكبار عظمة هذا البلد الأمين ، وقد ولد بها خاتم الأنبياء ، وعلى قمة جبالها اتصلت الارض بالسماء ، يوم قال جبريل الأمين لحبيب الله ومصطفاه ، «اقرأ باسم ربك الذي خلق»..

وفي هذه الرحاب المباركة ولدت أعظم رسالة تشرّف بها الوجود ، وأمام بيت الله العتيق ، يذكر المسلمون أنه أول بيت وضع للناس ، أقام قواعده إبراهيم وعاونه اسماعيل عليهما السلام وصدق الله العظيم « **وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** » البقرة/ ١٢٧ . وقد برهن كثير من العلماء على أن العهد بمكة وحرمة بيتها العتيق أمر سابق على مجيء ابراهيم بولده اسماعيل وزوجه هاجر وإسكانهما عند بيت الله المحرّم ، وذلك يستفاد من دعائه « **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم** .. » ابراهيم/٣٧ هذه البقعة المباركة جعلها الله منذ القدم حرما آمنا وبيتا خالصا مطهرا للطائفين والعاكفين والركع السجود ، فيه يطمئن الخائف ، وعنده يصان الدم المهدر ، ورعى الناس للبيت حرمته في الجاهلية والاسلام ، وعلى مدى التاريخ الطويل تولى الله حراسته وحماه من كيد المعتدين ، وبذلك استقر في ضمير الناس ان للبيت رَبّاً يحميه ،

صرح بذلك عبدالمطلب لقائد الجيوش الغازية التي زحفت على البيت بِرَجْلِها وأفيالها بقيادة أبرهة الحبشي الذي أعلن بكل استخفاف ، أنه يريد الكعبة ، محور حياة قريش ومركز حجيج العرب، وأنه سيهدمها **بأفياله** وجنـوده حتى يسوي الارض بأنقاضها ليصرف الحجيج عن الكعبة إلى كنيسة هائلة بناها لهم في اليمن ، وهنا جعل الله كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ، كما تحدثت بذلك سورة الفيل ، وبقي البيت ثابت الأركان **عظيم** الشأن ، تهفو إليه النفوس ، وتتوجه القلوب ، وتشد إليه الرحال من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم وليطوفوا بالبيت العتيق ، في جو من الطمأنينة والسكينة والأمان ، وقد آمنوا وأيقنوا أن خط الطغيان خاسر ، وأنه على الباغي تدور الدوائر ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، وكانت العرب تعتبر هزيمة الجيش المغرور تاريخا يؤرخون به فيقولون : قبل عام الفيل أو بعده بكذا ـ نعم بقيت الكعبـة قبلة للنـاس يحسون بجمـال الصفاء في **رحابها** ، ويستشعرون قدسية الدوران حولها ، يتجهون إليها في كل صلاة أينما كانوا وحيثما حلوا أو ارتحلوا ، نعم بقي البيت وسيبقى بإذن الله تعالى معمورا بالصلاة والدعاء والطواف ، محفوظا بحفظ الله وعنايته ، خالصا لعبادة الناس لله جيلا بعد جيل ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، يأمن فيه الانسان وغير الانسان فلا يهاج طيره ، ولا يستحل صيده ، ولا يقطع شجره ، وصدق الله العظيم « **ومن دخله كان آمنا** » آل عمران/ ٩٧ . هذا ولم يغب عن بال رسول صلى الله عليه وسلم مفهوم الأمن عند بيت الله المحرّم ، لذا حرص ألا تراق قطرة دم يوم فتح مكة ، ولذا تعمد مباغتة قريش بجيش لا قبل لهم به ليفوت عليهم فرصة اللقاء في حرب دامية ، ودخل الجيش الفاتح من كل أطراف مكة من غير صراع ودون سفك دماء ، **عدا** مناوشات لا تذكر ، بل عدد منافذ **الأمن** وروافده بقوله : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو

آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ولما قال سعد بن عبادة زعيم الأوس . اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشا ، وبلغت هذه الكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة ، اليوم يوم أعز الله فيه قريشا ـ وأمر ان ينزع اللواء من يد سعد ويدفع إلى ابنه مخافة صولة سعد في الناس .

وفي يوم الفتح المبين ، أطاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأصنام المنصوبة حول الكعبة وهو يملأ سمع الدنيا بقوله : لا إله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، ثم أصدر عفوا اطمأن به **الخائفون** بقوله : لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء ، مما جعل **فضالة** يقول لإمرأة تورط معها في الجاهلية وهي تدعوه للحديث معها جعل يقول :

قالت هلمّ إلى الحديث فقلت لا
يأبى عليك الله والاسلام
لوما رأيت محمدا وقبيله
بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا
والشرك **يغشى** وجهه الإظلام

لعل الحجاج والمعتمرين وكل المسلمين في أطراف الارض يلتزمون بالأمن الذي قرره القرآن ويسيرون على منهج رسول الله منهج التآخي والحب في ظل الأمن والأمان ، ومن استباح العبث في حرم الله ، استحق الوعيد القرآني « **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** » الحج/ ٢٥ . وإلى لقاء مع مناسك الحج في العدد القادم إن شاء الله .

رئيس التحرير
حسن منّاع

خالد الجسّار:

١٦ رسالة من سلسلة التراث الإسلامي ومعونات مالية

تحدث معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الاستاذ / خالد الجسار في مقابلة أجرتها معه وكالة الانباء الكويتية « كونا » خلال شهر رمضان ١٤٠٨ هـ .. عن قضايا الساعة . وعن أنشطة الوزارة خلال الشهر المبارك .

فكان مما قال : إن العالم

العربي والاسلامي يحس بآلام مريرة وبارهاصات شديدة لما يلاقيه اخواننا الفلسطينيون في الاراضي المحتلة من ظلم عدو غاصب لا يرحم ولا تعرف الرحمة الى قلبه سبيلا .

واكد الوزير الجسار على اهمية الانتفاضة في الاراضي المحتلة التي بدأت منذ الثامن من ديسمبر الماضي لمواجهة هؤلاء المغتصبين باضعف الاسلحة « الحجارة » مقدمين المئات من الشهداء والجرحي في سبيل الله .

واهاب الوزير الجسار بالعالم العربي والاسلامي مجددا ان يمدوا يد العون ليكونوا سندا لاخوانهم الفلسطينيين هناك لدفع ما وقع عليهم من ظلم وعدوان سائلا الله ان يأخذ بايديهم وينصرهم من عنده ليرفع عنهم هذا البلاء مشيرا الى قرب حلول هذا اليوم المشهود .

واشاد بانتصار العراق في تحرير شبه جزيرة الفاو وطرد المعتدين منها داعيا الله القادر على كل شيء ان ينهي هذه الحرب التي طال امدها بين البلدين المسلمين الشقيقة العراق والجارة المسلمة ايران .

واضاف الوزير الجسار ان من بركات هذا الشهر الفضيل ما تفضل به الله من كرمه وجوده بانقاذ ركاب الطائرة الكويتية الجابرية وعودتهم الى ارض الوطن سالمين داعيا الله الذي اختار شهيدين بجواره ان يسكنهم فردوسه الاعلى وان ينزل على اهلهم وذويهم الرحمة والسكينة .



الانتفاضة الفلسطينية ومئات الجرحى والشهداء!

واشار الى ان العشر الاواخر من رمضان هي ايام مباركة حيث بدأ فيها نزول القرآن الكريم معربا عن امله ان يجتهد العبد فيها اسوة بالرسول الكريم لانه لا يدري انه سيدرك شهر رمضان المقبل او تدركه المنية سائلا الله ان يجعل هذا الشهر مباركا علينا وعلى المسلمين عامة وان يعيد علينا اوضاع المسلمين وهي افضل مما هي عليه الان .

واستكمل الوزير الجسار حديثه موضحا ان شهر الصوم يتميز عن باقي اشهر العام فالوزارة لها انشطة متعددة في داخل الكويت وخارجها كاستقدام عدد من خيرة العلماء والفقهاء لالقاء المحاضرات الدينية في المساجد وعبر الوسائل الاعلامية الاخرى كالتلفزيون والاذاعة .

أكثر من ٢٠٠ داعية الى الدول الاسلامية

بيت الزكاة وكفالة ١٣ الفا و ٥٦٠ يتيما

واشار الى أن الوزارة ترسل دعاة ووعاظا الى عدد من الدول الاسلامية والعربية لارشاد المسلمين هناك مؤكدا أهمية دور وجهود هؤلاء الدعاة الذين يبلغ عددهم ٢٠٠ داعية عدا دعاة لجنة مسلمي آفريقيا .

واضاف ان الوزارة طبعت ونشرت ١٦ رسالة اسلامية من سلسلة التراث الاسلامي تشتمل على العديد من الموضوعات الدينية والفقهية فضلا عن تقديم معونات مالية تقدم على مدار العام لجهات اسلامية متعددة في جميع أنحاء العالم الاسلامي موضحا أن الوزارة تدرس الطلبات المقدمة التي تصل الى ستة طلبات لتلبيتها حسب استطاعتها ومقدرتها مطبقين قول الرسول الكريم ـ المسلم اخو المسلم .

الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية

واشاد الوزير الجسار بدور الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية التي تعمل لتحسس مشاكل العالم الاسلامي لحلها مستقبلا .

كما اشاد ايضا بدور بيت الزكاة الذي يقوم بكفالة ١٣ الفا و ٥٦٠ يتيما في جميع أنحاء العالم الاسلامي بصورة كاملة مع مراقبة أوضاعهم من خلال تقارير دورية ترد الى بيت الزكاة عن كل يتيم .

ونوه الى ان بيت الزكاة الكويتي اصبح مثلا يحتذى به في القارة الاسيوية والافريقية على حد سواء بسبب خدماته الجليلة لخدمة قضايانا الاسلامية والانسانية مما جعل بعض الدول الاسلامية التي تعتزم أقامة بيوت زكاة فيها ان تطلب من بيت الزكاة الكويتي اللوائح والانظمة التي يتبعها لتحقيق رسالته لتطبيقها هناك .

واعرب الوزير الجسار في ختام حديثه ان الكويت لا تدخر وسعا لكل ما هو فيه خير للعالم العربي والاسلامي وقضايانا المصيرية حسب توجيهات وارشادات صاحب السمو الامير وولي عهده .

قرأت لك

شريعتنا ورعاية المصالح

يقول الشيخ محمد الخضر حسين في رده على سؤال حول صلاحية الشريعة الاسلامية لكل زمان ومكان :

معروف في علم القضاء أن القوانين إنما تقوم على رعاية المصالح ، ومصالح العصور تختلف اختلافاً كثيراً ، وعلى هذا الأصل تقوم الشريعة الاسلامية، وبهذا يمكنها أن تساير كل عصر ، وتحفظ مصالح كل جيل ، ذلك أن الاسلام دلّ على بعض الأحكام في أصول كلية ليستنبط منها المجتهدون أحكام الوقائع على حسب مقتضيات أحوال الأزمنة والمواطن .

وقد أجمع علماء الاسلام على أن أحكام الشريعة قائمة على رعاية مصالح العباد ، وأنه يرجع في تعرف المصالح إلى أنظار المجتهدين ، ومن هنا قرروا أن أصول الشريعة ترجع إلى أربع قواعد : « الضرر يزال » و « المشقة تجلب التيسير » و « العادة محكمة » و « الأعمال بمقاصدها » .

وترجع إلى هذه القواعد العليا قواعد تجعل أحكام القضاة المجتهدين أحفظ للمصالح ، وأشد مطابقة لمقتضيات العصر ، ومن هذه القواعد قاعدة رعايةالمصالح المرسلة ، والمصلحة المرسلة : مصلحة يدركها العقل في حادثة ولم يقم عليها دليل خاص من الكتاب والسنّة . ومنها قاعدة مراعاة العرف ، وقاعدة سد الذرائع ، وهي المنع من أشياء شأنها أن تؤدي إلى أمور تشتمل على فساد ، ويدلكم على أن الشريعة الاسلامية قائمة على رعاية المصالح أن المجتهدين من أئمتها قد يحملون بعض النصوص المطلقة على أحوال خاصة إذا اقتضت قاعدة رعاية المصالح المرسلة فهم النص على أن المراد العمل به في هذه الأحوال الخاصة .

وصفوة هذه الكلمة الموجزة أن التشريع الاسلامي يوافق حال كل عصر ، ولو نظر إليه غير المسلمين بالعين التي ينظرون بها إلى القوانين الوضعية وقارنوا بينه وبين تلك القوانين مقارنة رائدها البحث عن الحقيقة ، لرأوه رأي العين كيف يأخذ بالعدل من أطرافه ، ويعطي كل ذي حق حقه .

من كتاب شريعتنا الاسلامية

الاعتقاد بأن القرآن الكريم اعجز الجيل الذي نزل فيه ، والاجيال اللاحقة ، وانه سيظل كذلك ، معجزا لاجيال الناس ، حتى ينتهي التكليف بقيام الساعة ، هذا الاعتقاد واحد من عقائد المسلمين ، كالاعتقاد بالبعث والحساب والجنة والنار ، ولم يجر فيه خلاف واحد ، لأنه صريح لفظ القرآن الكريم . قال تعالى : « **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة** »
البقرة آية ٢٣ ، ٢٤
وهذا قاطع في أن الناس لن يفعلوا أي لن يستطيعوا ان يأتوا بسورة من مثله .

البلاغة الغائبة

ا . د . محمد محمد ابو موسى

وقد اجتهد علماؤنا ، في بيان الشيء الذي به صار هذا الكلام العربي مغايرا لكلام البشر ومعجزا لهم مع ان ألفاظه هي ألفاظهم ، وتراكيبه هي تراكيبهم .

وذهبوا في ذلك مذاهب . ليس القصد من هذا المقال ان يدل عليها ، وإنما القصد ان يدل على واحد منها ، كأنه غائب عن أقلام الباحثين ، فلم تتناوله كما تناولت غيره ، ولم تحلله كما حللت سواه ، مع انه من ادق ما قيل في هذا الباب ، وألطفه ، واحكمه ، وأفضله ، ثم هو حين يتسع يفتح بابا من العلم النافع في دراسة اللغة والبيان والشعر فضلاً عن الإعجاز ولعل صعوبته ودقة تحليله كانت من أهم اسباب غيبته وعدم تداوله واشتهاره .

ويقتضي البيان الواضح لما يراد بيانه ان نقول إن المدقق في كلام علماء القرن الثالث ، ـ وهم الذين

وسعوا الكلام في الإعجاز ، وصار من بعدهم عيالاً عليهم - اقول ان المدقق في كلامهم حول الاعجاز البلاغي للقرآن يجد كلامهم بدأ متجها وجهتين في بحث هذه البلاغة المعجزة .

● وجهة تبحث عناصر البلاغة المشتركة بين القرآن ، وكلام الناس من شعر وخطب ووصايا وغير ذلك ثم تبين ان هذه العناصر في القرآن بلغت من الدقة ، والسمو ، والغزارة ، والإصابة ، مبلغا يفوت الكلام كله ، ويقطع الاطماع ، ويقهر القوى ،

ويقضي بالعجز الشامل المطبق الذي تستوي فيه الأقدام ، فإذا كانت بلاغة الشعر والادب تدور حول التشبيهات ، والمجازات ،

والامثال ، والكنايات ، وفنون النظم ، فإن هذه الفنون نفسها هي التي بنى عليها القرآن ، لأنها اصول بلاغة اللسان ، ولكنها في القرآن شيء ، وفي الشعر والادب شيء آخر ، فإذا جمعت ما دبجته ألسنة الشعراء من فاخر التشبيه ، وراقك ذلك وَحَسُنَ عندك ، وكثر بين يديك ،

ثم وضعت بإزائه واحدا من تشبيهات القرآن ، رأيت البلاغة العالية في الأدب والشعر قد انطفأ

ضياؤها ، وذهب بهاؤها وكان شرط بقائها الا توضع بإزاء القرآن وهذا هو الشائع الذي عليه الدرس عند العلماء وهو جيدبالغ .

● والوجهة الثانية :تبحث وجوه البلاغة التي توجد في القرآن ولا توجد في كلام الناس ، وهي البلاغة

التي يصح ان نسميها البلاغة القرآنية ، وتكون التسمية حقيقية لا تجوز فيها ، وهي ما أردناه بالبلاغة الغائبة لأنها في كلام

العلماء عزيزة نادرة ولا تستطيع ان تجمع من تراث علمائنا في بابها صفحات قليلة صريحة تكشف

وجهها ، وانما تجده في كلامهم كالخبيء الذي يشار اليه فيبحث عنه على حد تعبير الشيخ عبدالقاهر .

ويبدو ان طريقهم في استخراج البلاغة الخاصة بالقرآن والتي لاتوجد في كلام البشر . كان تحليل الكلام الصادر عن الانسان ،

واستخراج الاصول العامة التي تراها في كل مايصدر **عن الانسان** من قول بليغ أو غير بليغ . وتراها لاتتخلف عن كلام الناس كأنها جزء من ماهيته . اعني حقيقته :

وقد عالجوا الكلام لذلك علاجا طويلا ، فطنا ، يقظا ، متنبها ،

حتى أصابوا هذه الأصول ، وهي - فيما أراه وراء كلامهم - يجمعها

أصل عام هو كينونة الانسان في كل مايصدر عنه من قول ، سواء كان شعرا ، ام نثرا ، ام كلاما يتناقله مع من حوله في شؤون حياته .

الانسان هناك وراء كل مايدور به لسانه ، انت واجده لامحالة إذا بحثت عنه ، ثم هو هنا بمعناه العام المطلق الذي يندرج تحته أفراده من زيد وعمرو . وإنما يتميز أدب الأديب ، وشعر الشاعر بمقدار مايستطيع تجديده من هذه الخصائص الانسانية العامة ،

وبمقدار مايستطيعه من تضييق هذه الدائرة ، حتى يكون أدبه دالاً على خصائصه هو ، وأحواله هو ،

وطبعه هو ، وإنما تكون منزلته بمقدار مايصيب في هذا الباب ،

فهناك من تراه غائما في أدبه ، تائها فيه تلوح لك منه شيات مبهمة ،

وصفات غامضة ، هو إنسان يصدق عليه أن يكون زيدا وعمرا

وبكرا وخالدا ، لأنه لم يسطع بعد أن يحدد له سمتا خاصا به ،

ونهجا دالا عليه ، وإنما لايزال ينهض بغير جناحه ، ويستقي من غير سحائبه .

وهناك من استقام له نهجه الخاص به ، ومذهبه الذي يسلكه ،

لأنه كابد في ذلك حتى صار أصلاً بنفسه ، وهو الذي تراه في كل بيت

يقوله ، وفي كل سطر يكتبه ، لأنه يحرص على ان يخاطبك بعقله هو ،

وبلسانه هو ، فإذا قارب مذهبه مذهب غيره للأسباب التي تتقارب

بها المشارب والمنازع وهي كثيرة ، رأيته عند التدقيق ومعاودة النظر ـ

يتميز بتوقيعات نفسه ، وأحوال طبعه ، حتى لتسمع رنته الخاصة ، وتذوق طعمه الخاص .

اقرأ شعر الأعشى وسوف ترى الأعشى بشخصه يتسكع في اوديته .

واقرأ شعر زهير وسوف تراه في شعره متدثرا بحكمته ، واقرأ شعر النابغة وسوف تراه في شعره وعلى عاتقه هموم بني ذبيان .

كل واحد من هؤلاء له خواطره وله اهتماماته ، وله لواعجه ، وشئونه وشجونه ، وسبكه وتوقيعه ،

وضرْبُه وهو كائن بشخصه في كل ذلك ، وهذا ظاهر ومن الواجب ان يكون ظاهرا جدا .

فإذا تركنا ذلك وقرأنا البقرة وآل عمران او ماشئت من المصحف فإننا لن نجد في آيه ولا في لفظه هذا الانسان الذي كنا نجده هناك ، وأحسب أن هذا هو الذي أدركه الجيل الأول ، لما كان يسمع الآية والآيتين فيبسط يده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مبايعا ،

وكان قبيل ذلك يكاد يتميز من الغيظ ، وإنما حدث في هذه الدقائق

القصيرة شيء اقتلع كل ما في نفسه حتى كأنه كفأها كما يكفأ الاناء ، ولابد أن يكون ذلك ثمرة إحساس

فاجأ النفس وهيمن عليها وقهرها ، وليس إلا أنه تعوّد أن يرى ملامح الانسان في كل ما تسمعه أذنه من كلام الناس ، فلما سمع هذا القرآن لم يجد فيه ما اعتاده . وانما وجد الله فاستيقن .

اقرأ اول سورة طه التي هدمت جاهلية عمر رضي الله عنه ، فسوف

تجد فيها «**تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى**» طه/٤ وتجد فيها «**الرحمن على العرش استوى**» طه/٥ وتجد فيها «**له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وماتحت الثرى** » طه/٦ وهذا هو الله رب العالمين .

واقرأ مثلا أبياتا لزهير بن أبي سلمى الذي كان يحبه عمر ويصفه بأنه أشعر شعراء غطفان سوف تجد رجلا حائراً أمام «دِمْنَةٍ» أمّ أوْفَى يتأمل فيها بعد عشرين حجة ولأيا يعرفها بعد توهم ، وأظن انه قد بانت القضية وبقي ان أدلك على موضع استخراج هذا الكلام من تراث علمائنا ، وأول مايلفتك الى هذه البلاغة الغائبة . هو أن

الخطابي يكرر كلمة «البلاغة الخاصة بالقرآن» واذا قلبت كلام العلماء فلن تجد فيه صفحة صريحة تصف لك هذه البلاغة ،

وانما تجد محاولة غامضة في كلام الخطابي ، ثم تجد محـ[illegible] اوضح قليلا في كلام الباقلاني ، [illegible]أحسب

أنه أفاد من إشارات الخطابى ، ولذلك عولت عليه هنا مع أن الخطابي هو الأصل الأول والملهم بالفكرة .

لاتجد في كلام الباقاني ولا في كلام الخطابي كلاما صريحا في المسألة كالذي قلته وهو تحديد الأصول العامة لبلاغة كلام الناس ، وأن هذا هو ما ينعكس على الكلام لا محالة من أحوال نفس قائله ، وخصائص طبعه وملامح شخصه وغير ذلك . ثم بيان خلو القرآن من هذا .

وإنما تجد الباقلاني يدلك دلالة ظاهرة على أن ناقد الشعر لا يلتبس عليه شعر أبي نواس بشعر مسلم ولا شعر البحتري بشعر أبي تمام وما هو من هذا الباب لأن كل شاعر يسكن في شعره .

ثم يحدثك عن وجوه الإعجاز ، ويذكر لك منها كلاما تفهم منه أن هناك مظاهر ضعف عامة في الشعر تجري في شعر الفحول كما تجري في شعر غيرهم ، وأن هذا بالطبع هو ضعف الانسان . ثم أن القرآن يخلو من هذا خلوا كاملا وهذا يعني أنه لم يصدر عن هذه النفس التي يعتريها الفتور ضربة لازب وسأكتفي هنا بإشارات سريعة حتى لا يطول منا الكلام .

ذكر الباقلاني أن كل شاعر من البشر له باب يبرع فيه ، فإذا ما تجاوزه الى غيره ضعف شعره وَلانَ ، وانحلت عقدته ، ولذلك قالوا إن امرأالقيس أشعر الناس إذا ركب ، وان زهيرا أشعر الناس إذا

رغب ، والنابغة أشعر الناس إذا وهب ، والأعشى أشعر الناس إذا طرب ، فجعلوا لكل واحد من هؤلاء ميدانا يبرع فيه ، ولو أنك نزعت لسان امرىء القيس من بين فكيه ، أو يقول كما قال النابغة يعتذر للنعمان .

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني
وتلك التي أهتم منها وأنصب

لما قال هذا وانما يحسن أن يقول :

ولكنما أسعى لمجد مؤثل
وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وهكذا ، ثم ان هؤلاء الأربعة هم شيوخ الشعراء ، وهم القدوة ، وهذا يعني أن قصور القدرات البيانية عن الإجادة في كل ميدان وصف لازم لا ينفك ولا تستثنى منه شاعراً من البشر .

وهذه الحالة التي تحددها النفس الإنسانية بطاقاتها المحدودة لا تجدها في المصحف ، وإنما تجد أبوابا من المعاني المتنوعة ثم تجد درجة البيان والرقي البلاغي تجري في هذه الأبواب على ضرب واحد فالكلام الواصف آيات الله في الكون ، والحاكي قصص الأنبياء ، والواصف أحوال الآخرة ، والوعد والوعيد ، والشرائع ، كل ذلك يجري الكلام فيه على قدم واحدة في عروق البلاغة لا يختلف ولا يتلون . وهذا قاطع في ان هذا الكلام ليس مخرجه الانسان ، وليس معدنه وهذا جيد ويقتضينا درسا متسعا نضع فيه اليد على مواطن القوة في شعر كل شاعر ومواطن الضعف ايضا وندرس ذلك ونبينه بيان من يحدد الشيء ويصفه .

وذكر الباقلاني ايضا من وجوه الإعجاز ان تفوق الشاعر والأديب انما يكون بمقدار ما يرد في كلامه من الفقر العالية والكلمات التي هي كعروق الذهب على حد وصف البحترى فقد تقرأ القصيدة ولا تخرج منها الا بالقليل الذي تراه كقول زهير « وحططت عن ظهر الصبا رحلي » وقوله «ولا محالة ان يشتاق من عشقا » وقوله : « وهل ينبت الخطي الا وشيجُه » وقوله « وكل فحل له نجل » وقوله « وحيثما يك امر صالح فكن » الى آخرما يشبه هذا . ثم ان تكاثر هذه الغرر او قلتها وتناثرها هو الذي نحدد في ضوئه طبقة الشاعر ، وليس هناك شعر بني كله من هذه الكلمات المختارة النادرة ، وذلك لأن هذا يناقض فطرة الانسان التي يعتريها الفتور والاختلال ، تراه يتفوق ويحلق ويسمو الى عوالى الذرى ويقتنص كلماته من هناك ، ثم ما يلبث ان تهوى به اجنحته الى الأودية فتنال منها كلاما آخر ، وهكذا ...

○ بلاغة القران ○

● القرآن كله بني من هذه الكلمات التي ليست من عوالي الذرى فحسب وانما هي مما هو فوق

الفوق ، يروعنا قول زهير (وهل ينبت الخطي الاوشيجُه) فإذا ما قرأنا قوله تعالى « ذرية بعضها من بعض » آل عمران/ ٣٤ انطفأ اشعاع كلام زهير ، ويروعنا قول ذي الرمة « وتساق الثريا في ملاءته الفجر » فإذا فرأنا قوله تعالى « والصبح اذا تنفس » التكوير آية ١٨ . رأينا ملاءة فجر ذي الرمة خرقة بالية . وهكذا ثم ان غرر

الشعراء التي تصير رمادا بإزاء ما في المصحف قليلة كما قلنا ، وهي التي تحسب للشاعر وتوضع في ميزانه وتعد له ، والقرآن كله مبني من هذا الذي فوق المختار ويمضي كله على نسق واحد ، اقرأ ما شئت وسوف تجد كل جملة في المصحف صالحة لأن تكون وحدها قلادة

الجيد وقاعدة التجويد كما يقول علماؤنا تأمل :

« **اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر . وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر** » القمر آيات/١ ، ٢ ، ٣ .

ترى كل واحد من هذه الجمل شيئا برأسه ، خذها من آخرها وقل : » وكل أمر مستقر » ستجد كلمة تامة ورائعة ونبيلة ثم قل . واتبعوا أهواءهم وهكذا .

والباقلانى حين اعتبر هذا وجها من وجوه الإعجاز إنما كان يعني استحالة صدور كلام لا يعتريه اختلال من نفس يعتريها اختلال وتتوارد عليها الأحوال ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله .

العياذة .. واللياذ

العياذة تكون لدفع الشر ، مثل قولنا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

أي أستجير بجناب الله سبحانه من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني ودنياي ، أو يصدني عن فعل ما أمرت به .

أما اللياذ فيكون لطلب الخير ـ كما قال المتنبي :

يا من ألوذ به فيما أؤمله
ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره
ولا يهيضون عظما أنت جابره

لا أمية
مع

صرح احد المسؤولين في احد مواقع جهاز محو الأمية قائلا :. إن كل المحاولات التي بذلت في سبيل محو الأمية قد فشلت في تحقيق أهدافها ولابد من بداية صحيحة على الطريق وإلا أهدرنا الجهود والطاقات والوقت في حلقة مفرغة من المحاولات الفاشلة .

.. والواقع الذي نعيشه يطرح تساؤلا خطيرا .

لماذا الأمية عندنا في تصاعد مستمر رغم وجود التعليم النظامي وانتشاره ؟!

.. ثم لماذا الأمية في تصاعد مستمر برغم إنشاء المراكز الخاصة بمحو الأمية للكبار فضلا عن أن النتائج ضعيفة بجانب النفقات المادية الباهظة المخصصة لهذا المشروع ؟!

هل في تراثنا الاسلامي علاج ؟

الحقيقة الغائبة عن الأذهان هي أننا لم نحاول البحث عن حلول لهذه المشكلة المستعصية في فكرنا الاسلامي ولم نبحث عنها في تاريخنا أو نكلف أنفسنا عناء البحث عن الحلول في المنهج التربوي الاسلامي الزاخر بها .

والسبب في ذلك كله هو أن الخبراء اجانب كما ان المؤسسات الدولية في هذا المجال بعيدة كل البعد عن الاسلام وحتى لو عرفت الحقيقة فلا يسمح لها ضميرها الصليبي أن تقدم للمسلمين الارشادات التي تساهم في صلاحهم وتقدمهم وحل مشاكلهم كما أن خبراءنا أنفسهم يجهلون حقائق دينهم فانبهروا بما هو موجود في الغرب ولا غرابة في ذلك «فمن جهل شيئا عاداه» كما يقول المثل العربي .

وهذا ما يفسر لنا محتوى الدراسات المختلفة التي يقدمها الخبراء وتنشر على صفحات الصحف

تربية إسلامية

للاستاذ / محمد كامل عبد الصمد

ومعظمها لا تشير لامن قريب ولا من بعيد الى وجهة النظر الاسلامية في هذه المشكلة كما نجد الواحد منهم يذيل موضوعه بهوامش عديدة تشير الى مراجع غربية بينما المراجع الاسلامية ليست في الحسبان !!

وهذا يجرنا بالتالي الى سؤال آخر هو :

ماذا في منهجنا الاسلامي من حلول لمحو الأمية ؟

أذا تأملنا حقيقة دعوة الاسلام وبالتالي حال المسلمين الذين يقومون بأداء شعائرهم الدينية نجد أن الأمية لم تعرف اليهم طريقا .. فليس من المعقول ولا من المنطق ان تكون أمة « اقرأ » يجتاح صفوفها الأمية .. فأمة اول مانزل اليها من القرآن هي كلمة « اقرأ » لا تكون أمية ولا سيما وقد نزلت « اقرأ » بصيغة الأمر .. والقراءة لا تتأتى الا بعد تعليم الوسيلة المؤدية لها وهى الكتابة ثم القراءة التي أمر الله تعالى بها أمة اقرأ .. وهى عامة يدخل فيها جميع ماكتب من علوم ومعارف ثم إن آية اقرأ تعتبر اعلانا صريحا توجب على الفرد المسلم ان يقوم بحرب شعواء لاهوادة فيها ضد الجهل والأمية ، وأن يستغل في ذلك جميع الوسائل الممكنة والمتاحة للقضاء على هذه الآفة التي قضت على شعوب كثيرة بادت ولازالت تفتك بالبشرية وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقود بنفسه الحملات ضد الأمية والجهل .

أول حملة ترفع ضد الأمية في التاريخ .

إن أول من قاد هذه الحملة وخطط لها بصورة جماعية هو الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أمر أسرى بدر

بتعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة مقابل إطلاق سراحهم وحدد لكل واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين يرفع عنهم الأمية ..
ثم قام الرسول صلى الله عليه وسلم بحملات جماعية للكبار في دار" ابن الأرقم » عندما كان يجتمع بأصحابه مبينا لهم الطريق السوي التي اختارها لعباد الله الصالحين .
ثم أسست المساجد التي استغلها المسلمون على مر التاريخ للتعليم والتثقيف في أمور الدين والدنيا ثم الحقت بالمساجد الكتاتيب القرآنية التي تعلم الصبيان منذ نعومة أظافرهم القراءة والكتابة حتى لايقعوا فريسة الأمية .

أن أمة يقول لها رسولها صلى الله عليه وسلم « طلب العلم فريضة على كل مسلم» رواه ابن ماجة، كيف تكون جاهلة بالقراءة والكتابة ؟!

ومن هنا برزت اهمية الكتاتيب الاسلامية التي تستقبل الصبيان وهم صغار تعلمهم القرآن مبتدئة بالكتابة ثم بحفظ القرآن الكريم ابتداء من السور القصار .

وهذا ما يفسر لنا اهتمام المسلمين بهذه المؤسسة الأهلية وانتشارها في كل مكان حل به المسلمون أثناء فتوحاتهم حيث كانت بعثة العلماء والمربين والفقهاء دوما ملازمة للجيش الاسلامي عندما يذهب للفتح وكانت خيمتهم تنصب الى جانب خيمة الجيش قبل ان يستقروا .

إن أعظم ما في الكتاتيب انها لاتتقيد بعمر زمني معين يدخل فيه التلميذ ويتخرج منها .. إنها أعظم مؤسسة تعليمية لا تضاهيها مؤسسة في القضاء على الأمية .

وها هو استاذ الدراسات العليا في كلية التربية بجامعة بنسلفانيا الدكتور دانيال راجز يوصي في عدة بحوث وتجارب قام بها بالرجوع الى الكتاتيب القرآنية في القضاء على الأمية ، ويعدد مزاياها المختلفة في هذا المجال اذ يقول :

« إن المدرسة القرآنية تتضمن عددا من المزايا العامة لتعليم القرآن كالحفظ الشفوي للقرآن ، والتأكيد على النطق اللفظي العربي الصحيح والتدريب على الخط العربي ».

ويقول عنها ايضا .

« المعلم الحديث لم يستطع ان يتبوأ المركز الاجتماعي الذي تبوأه شيخ الكتاب أو المعلم الاسلامي في السابق »

ويقدم «الدكتور دانيال» نصائح للمسؤولين عن محو الأمية في العالم الثالث بضرورة الرجوع الى الكتاتيب الاسلامية .

ويدهش المؤرخ الجزائرى توفيق المدني عندما يجد سكان منطقة صحراوية في الجنوب الجزائري يتكلمون اللغة العربية الفصحى دالسليمة فيقول .

« مرد ذلك الى انتشار الكتاتيب القرآنية في المنطقة »

● وزارة التربية الوطنية بالمغرب تحاول العودة الى الكتاتيب .

طالعتنا مجلة المسلمون بالخبر الآتي .

« قررت وزارة التربية الوطنية بالمغرب وضع برنامج جديد لربط الكتاتيب المنتشرة بالقرى والمدن بالتربية الاسلامية بحيث تؤدي هدفها في حفظ القرآن والتعريف بحضارة الاسلام !

ويضيف الخبر ما صرح به المسؤول الأول بالوزارة :

إن برنامجه يرتكز ارتكازا قويا على التربية الاسلامية وهو في ذاته لا يعتبر كاملا اذا لم تكن هناك أطر قادرة على تنفيذه .. وهو يعلم ان المدربين الموجودين الآن محتاجون إلى إعادة التكوين ومحتاجون الى استيعاب هذا البرنامج قبل أن يبدأ في تطبيقه ، لذلك عملت الوزارة على تكوين خلية تربوية الغرض من تكوينها ان تترجم هذه البرامج الى منهجية والى طريقة تربوية من كتاب يساعد المدربين على إيصال المعلومات التي تحتويها رؤوس وموضوعات البرامج الى الأطفال .

ثم يستطرد الخبر في ايضاحه .

«من المعلوم أن الأطفال في هذه المرحلة يحتاجون الى مساعدتهم على تنمية أجسامهم ويحتاجون كذلك الى التنمية العقلية وذلك بتقديم معلومات ووسائل تساعدهم على هذا النمو ، ولن يكون هذا النمو كافيا إلا إذا كان في جسم صحيح ».

ونتساءل هنا .. لماذا لا تتأسى وزارات التعليم في البلاد العربية والاسلامية بماتسلكه وزارة التربية بالمغرب ؟!

تساؤل نطرحه أمام نفوس صادقة واعية من مسؤولى وزارات التعليم قبل أن يسألوا أمام رب العالمين يوم حسابه .

● نتيجة هامة ينبغي أن تعيها قطاعات محو الأمية :

لا أمية مع تربية اسلامية .. فكيف بربكم أمة فرض على أفرادها تعلم العلم أن تكون أمية .. وإذا رجعنا الى تاريخ الأمة الاسلامية وحتى في عصور تخلفها وجمودها نجد الحرص الشديد على ضرورة تعلم القراءة والكتابة بدافع المزيد من التعلم لآيات الله واحكامه .. ولكن يبدو أننا قد نسينا شيئا مهما يجرى في عروق كل مسلم ومسلمة .. نسينا او تناسينا التربية الاسلامية وما يدعو اليه الاسلام .. نسينا أو تناسينا الدوافع الحقيقية التي غرسها الاسلام في النفوس من الحرص على التعلم والاستزادة منه .

● اقتراح عملي

لماذا لا نفرض على كل طالب في المرحلة الثانوية بنوعيها العام والفني ان يمحو أمية عشرة من المواطنين كضريبة يدفعها لقاء ما وفرته الدولة له من فرص التعليم والثقافة .. أو أن يمنح درجات استثنائية تضاف الى مجموعه الكلي .. أو أن تقام مسابقة في هذا المجال يمنح المساهمون فيها شهادات تقدير أو ما شابه ذلك .

ثم ماذا لا تعلم المدارس والمعاهد في الفترة الص.فيه في مجال محو الأمية بصورة رسمية وليس تطوعا فحسب ـ في مجال محو الامية بشقيها امية القراءة والكتابة .. وامية الثقافة العامة .. وتمنح حوافز مجزية للمتلقى

والملقي أي للامي والمعلم ..
وهذا الأمر لا تستطيعه وزارة التعليم وحدها بدون ان تساندها أجهزة الحكومة بجعل قضية محو الأمية . قضية قومية حتمية فرضية وليست اختيارية تطوعية كما هو حادث الان .

وليس من قبيل المبالغة ان نقول إن الأمية بشقيها الثقافية والعامة تمثل مشكلة من أخطر مشكلات التنمية .. ومن ثم فمن المحتم علينا ان نعاملها معاملة الوباء وذلك من خلال وضع خطة شاملة ومتعددة المراحل .

إنه من الغريب ان عدد الاميين يزداد بدلا من ان ينخفض كما تشير احدى الدراسات الصادرة عن اليونسكو عام ١٩٨١ .

والبعض يرجع ذلك خطأ الى تزايد عدد المواليد .. وهذا قياس غير صحيح فالأمية تولد مع الانسان لا لتبقى وانما هى عرض وقشرة خارجية يمكن للطفل ان يتخلى عنها في سنوات معدودات اذا وجد العناية .

وينبغي الا نغفل عن أهم أسباب توسع رقعة الأمية في المجتمعات العربية والاسلامية وهى ظاهرة تسرب التلاميذ من مدارسهم دون تحقيق الهدف المنشود في تعليمهم التعليم الكافي .. وهذا يجرنا الى قضية أخرى ..

● قضية التسرب المدرسي

ونتساءل هنا .. من المسؤول عن تسرب بعض التلاميذ حين يتركون الدراسة والمدرسة ليرتدوا اميين الى غير رجعة ؟!

سؤال نطرحه ونحن نرى ثروة بشرية تترك ركب التعليم بعد ان تتعثر فيه أو ترى أن العائد من التعليم أصبح لا يعتد به .. وتشير النتائج التي قامت بها الدراسات مؤخرا الى نتائج مذهلة إذ ان ما لايقل عن ٣٠٪ من التلاميذ يتسربون من مدارسهم دون تحقيق الهدف المنشود . وبهذا يضيع اهم استثمار الا وهو الاستثمار **البشرى .**

كما اشارت النتائج إلى ان المتسربات من التلميذات اكثر عددا من التلاميذ بسبب زواجهن او غيره .. وان معظم الفتيات اللاتي يتركن الدراسة يرتددن الى اميات بعد ان يقبعْن بين جدران المنزل .. ولذا نرى **ضرورة الاهتمام بالتعليم الابتدائي كأفضل اسلوب لمحو الأمية . ومحو امية الصغار أولى من محو أمية الكبار .**

ثم نرى ان **الأمية وتفشيها** ترجع **قبل وبعد كل شيء الى البعد عن النهج الاسلامي والتربية الاسلامية ... ..**

تاريخنا أمام تحديات الغزو الفكري

للأستاذ / ابراهيم النعمة

تعرض تاريخنا الاسلامي لهجوم عنيف على مستويات كثيرة . فصوّر بعض المستشرقين تاريخنا على انه معارك وحروب ودماء ليس إلا ، وأبعدوا في الوقت نفسه الروح الاسلامية - روح الهداية - التي كانت تريد أن تخلص الناس من حياة البؤس والشقاء ، وتنقلهم إلى حياة السعادة والرفاه !

ومن ناحية أخرى ، فقد كتب تاريخنا الاسلامي بأسلوب يجعل الطالب يحفظ نتفا من تاريخنا : كسيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لكن ذلك الاسلوب الذي كتبت به السيرة وغيرها لا يعني بتحليل الأحداث التاريخية ، وتبيان أهمية العقيدة الاسلامية التي كانت تدفع المسلم وتحضه على الإقدام لا الاحجام !

ولم يترك أعداء الاسلام من وسيلة إلا اتبعوها لتشويه تاريخنا ابتداء من حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة ، فقد شككوا في دعوته ، وفي الوحي والقرآن ، وطعنوا في خلفاء المسلمين ، وقادتهم يقول البروفيسور (مونتغمري واط) في كتابه (محمد في مكة) - باللغة الانكليزية - ما مؤداه :

« إن محمدا - صلى الله عليه وسلم - كان يذهب إلى غار حراء لا ليتحنث (يتعبد) ، كما هو معروف ، لكن للاصطياف !!! معللا ذلك بأن اغنياء مكة كانوا يذهبون إلى الطائف هربا من

حرها . أما هو ، فلم يكن في وسعه مجاراتهم لفقره ، ولذلك كان يذهب إلى غار حراء ليصطاف .

وقد عمل الغربيون على إخضاع تاريخنا الاسلامي للمناهج التي يدرسون في ضوئها التاريخ الغربي من غير ان ينظروا إلى الفروق الكبيرة بين التاريخين من حيث الظروف والطبيعة والمقومات ، ففسروا تاريخنا تفسيرا ماديا ، وتاريخنا الاسلامي النابع من عقيدتنا لا يفسر تفسيرا ماديا ، لأنه تعامل مع الانسان ، وللانسان مشاعره وأحاسيسه ، وفي حياته ماهو مادي وماهو معنوي ، فلايمكن ان نحصره في هذه الدائرة الضيقة !

كذلك الأمر في سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد ظهرت بعض الكتابات التي تفسر سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تفسيرا ماديا كذلك ، وبرزت هذه الكتابات الى الوجود قبل أكثر من خمسين سنة ، وغرضها ان تجعل من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلا عبقريا كسائر العباقرة ، او تجعله بطل أمة ، هادفة إلى تجريده - صلوات الله وسلامه عليه - من صفة النبوة . وكانت اولى هذه المحاولات هي تجريد رسول الله من المعجزات !

واصحاب تلك المقالات والكتب لا يسلمون بوجود معجزات لرسول الله التي هي امور خارقة للعادة ، مقرونة بالتحدي ، سالمة عن المعارضة ، إذ إنهم يظنون ان ذلك مناف للعلم ! والمعجزة لاتتنافى مع العلم ولا تصطدم به ، لكن أجهزة العقل قاصرة عن إدراك حقيقة أسباب المعجزة !

ان تفسير الغربيين للتاريخ تفسيرا ماديا ينطبق على ما فعلوه - هم - حيث فرضوا عقائدهم ومبادئهم بالقوة ، وقاسوا تاريخنا الاسلامي على ما فعلوه هم . يقول الاستاذ (تريتون) في كتابه (الاسلام عقيدة وعبادة) .

« إذا صح في العقول ان التفسير المادي يمكن ان يكون صالحا في تعليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى ، وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها ، فإن هذا التفسير المادي يفشل فشلا ذريعا حين يرغب في ان يعلل وحدة العرب وغلبتهم على غيرهم ، وقيام حضارتهم واتساع رقعتهم وثبات إقدامهم .

فلم يبق امام المؤرخين إلا ان ينظروا في العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفريدة ، فيرى انها تقع في هذا الشيء الجديد : **« الا وهو الإسلام »**

وتعرض تاريخنا لهجوم عنيف حين عملت الصهيونية في تفسيرها له على ان توجد انفصاما بين الاسلام وحنيفية سيدنا ابراهيم لتقطع المسلمين عن ماضيهم ، وتبرز مقولاتهم التي سفهها القرآن الكريم حيث زعموا انهم شعب الله المختار . واستهدفت من كتاباتها بهذا الامر - ايضا - الحيلولة دون قيام وحدة فكرية بين المسلمين !

كما ان تاريخنا تعرض لهجمة اخرى : وذلك بتجديد الكتابة عن الحركات الباطنية : كالقرامطة والاسماعيلية ، ووصفها بحركات

تحرير ورفع مظالم ! وقد أوصى مؤتمر (بلتيمور) الذي عقد تحت إشراف الصهيونية في امريكا بـذلك عـام ١٩٤٢م .

وتعرض تاريخنا على ايدي بعض المؤرخين الغربيين لتفسيره تفسيرا عنصريا : كما فعل (فان فلوتن) و (ولها وزن) في كتابيهما : (السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات) و (الدولة العربية وسقوطها) !

ومما وقع فيه الغربيون من أخطاء وحاولوا إشاعتها ونشرها في العالم الاسلامي خاصة ، عدم تفرقتهم بين الاسلام وتاريخه . ولا ريب ان هناك فارقا بين مبادىء الاسلام وتاريخ الاسلام ، ذلك ان مبادىء الاسلام ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ، لكن تاريخ الاسلام لم يسر في كل العصور على شكل واحد ، فـإن حكامـه كانـوا متفاوتين قوة وضعفا ، وقربا وبعدا من تطبيق شريعة الاسلام : فمنهم من أصاب ، ومنهم من أخطأ ، وهذه الاخطاء التي وقع فيها بعض الحكام لا يتحملها الاسلام ، بل يتحملها من صدر منه الخطأ .

وقد وقع كثير من المستشرقين في هذا الخلط ، إذ لم يفرقوا بين مبادىء الاسـلام وتاريخـه ، ومن هؤلاء : (مرجليوث) و (مـاكدونـالد) و (موير) !

إن التاريخ الاسلامي ليس بتاريخ فكر وأوضاع اجتماعية وسيـاسية فقط ، ولكنه قبل ذلك تاريخ عقيدة نظمـت شؤون النـاس الـدينيـة والـدنيويـة ، وهذه العقيـدة تتميز بخصائص تفقدها العقائد الأخرى .

ومن هذا يتضح جليا الخطأ الكبير الذي يقع فيه الغربيون حين يتحدثون عن تاريخنا الذي فصلوه عن عقيدة الاسلام . وإذا وجد منهم من يولي العقيدة بعض الاهتمام ، فإنه ينظر إلى العقيدة الاسلامية كنظرته إلى عقيدة اوروبا ومفاهيمها وايحاءاتها !

وقـد وقف أعداء الاسـلام من التاريخ الاسلامي هذا الموقف من تحريف الكلم عن مواضعه والتشويه والتشكيك ، لأن دراسة تاريخنا على حقيقته بنصاعته ونضارتـه يجعل المسلم يعتز بتاريخه ويعجب به ، وتدفعه هذه الدراسة إلى ان يقتدي المسلم بآبائه واجداده ، وان يكون ذا عقلية راجحة ، ونفسية اسلامية تعتز بدينها لا ترضى به بديلا ، وان يتمسك المسلم بحقيقة العقيدة التي تمسكوا بها فبنوا حضارة عملاقة ومدنيـة فاضلة أدهشت الدنيا بنبلها وروعتها وبهائها ، وعنـد ذاك يقيم المسلم وجوده ، ويسعى لرفع كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في الدنيا كلها ، وهل يخشى الغرب من شيء خشيتـه من إقامـة حكم اللـه في الارض ؟! كذلك رأينا من المستعمرين الحاقدين من يضع خطة يحاول فيها الانحراف في دراسة تاريخنا ، إذ ان دراسة تاريخنا بصورته الصحيحة تجعل المسلم يربط بين الدين والدنيا ، لذلك عمل أعداء الاسلام على ربط المسلم بمعتقـدات غير اسـلامية ، وإذاعة ان الغرب لم يتقدم إلا بعد أن حصل الفصل بين الدين والدولة !!

وإذا كانت للغرب ظروفه الخاصة التي أدت إلى هـذا الفصل فـإن

الاسلام لا يعرف هذا الفصل النكد فقرآننا الكريم يدعو الناس إلى الايمان بجميع أحكامه الدينية والدنيوية ، ويعتبر الايمان ببعض القرآن والكفر ببعضه الآخر كفرا ، وان القرآن الذي أنزله الله ، أنزله ليحكم به الناس ، لا ليتبركوا به أو يتغنوا فحسب !

« **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك** » المائدة/ ٤٩

والاسـلام ينظم شؤون الفـرد والأسرة والدولة ، بل ينظم شؤون المجتمعات كلها .

على ان الدولة في نظر الاسلام جزء من الاسلام نفسه ، إذ لا يقوم الدين إلا لها . ولقد قامت قيامة الكنيسة حين تفتحت عقلية بعض الاوروبيين ، فقاموا باكتشافات علمية ، تـاركين تقليد آبائهم وأجدادهم جانبا ، لكن هذه الاكتشافات كانت وبالا عليهم ، إذ كلفتهم أنفسهم وحياتهم ، فقد كفرتهم الكنيسة ، واستحلت دماءهم وأموالهم ، وانشأت محاكم التفتيش « ويقدر عدد من عاقبتهم هذه المحاكم بثلاثمائة الف ، أحرق منهم إثنان وثلاثون ألفا أحياء كان منهم العالم الطبيعي المعروف برونو ، نقمت منه الكنيسة آراء من أشدها قوله بتعدد العـوالم ، وحكمت عليـه بـالقتـل واقترحت ألا تراق قطرة من دمه ، وكان ذلك يعني ان يحرق حيا وكذلك كان .

وهكذا عوقب العالم الطبيعي غليلو (Galilio) بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الارض حول الشمس .

فإذا كانت الكنيسة الاوروبية قد اضطهدت العلماء ، فقتلت بعضهم وعذبت آخرين ، وألقت غيرهم في غياهب السجون ، فإن الاسلام شجع العلم والعلماء ، بل جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم . يقول العلامة (مسمر) .

« إن الغربي لا يصير عالما إلا إذا ترك دينه ، بخلاف المسلم فإنه لا يترك دينه إلا إذا صار جاهلا » .

وهكذا ، فإن التاريخ الاسلامي لايعرف الفصل بين الدين والدولة . والذي تبنى هذه الدعوة في بـلاد المسلمين هو حزب الاتحاد والترقي ، ولا يخفي على المتأمل ان بعض قيادات هذا الحزب كانت يهودية !

ولقد وقع بعض المسلمين في الوهم حين ظن ان هذه الكلمة تعني العلم ليس الا ، لكن هذه الكلمة ما كانت تعني ذلـك ، بـل كـانـت تعنـي (اللادينية) وقد رفع هذا الشعار كي تتم زحـزحة المسلمـين عن دينهم بهدوء ، من غير ان تصطدم بمشاعر الناس وأحاسيسهم !

على ان الاستعمار الاوروبي وغيره سلـك أساليب كثيـرة في محاربـة الاسلام ، ومن ذلك ما كان يلاقيه التعليم (الـلاديني) من تشجيـع كبير ، وإغداق المرتبات الكبيرة على المتخرج من مدارسه ، في الوقت الذي كان التعليم الديني قد ضيق عليه الخنـاق ، فيتخـرج الطـالب من

مدارسه ، ولا يكاد يجد من المرتب مايسد به رمقه !

وفوق ذلك ، فقد كان مدرس الشريعة وطالبها محل سخرية وتهكم ، والنتيجة الطبيعية ان ينفر الطلاب من الدروس والعلوم الاسلامية، ويتجهوا إلى مدارس لا تعنى بأمر الاسلام ، ومن ثم يبدأ البعد عن الاسلام . يقول « هاملتون جب » في كتابه (وجهة الاسلام) .

« لقد استطاع نشاطنا التعليمي والثقافي عن طريق المدارس العصرية والصحافة ان يترك في المسلمين ـ ولو من غير وعي منهم ـ أثرا يجعلهم في مظهرهم العام لا دينيين إلى حد بعيد » .

وزاد الطين بلة حين صارت البعوث من أبناء المسلمين تتوالى على دول الغرب للدراسة في معاهدها وكلياتها . ولا ريب ان الطالب في هذه الكليات يزداد جهالة إلى جهالته في إسلامه ، ويتعلق بمثل وأخلاق وطباع الدولة التي يدرس فيها ، وهي مثل وأخلاق وطباع غير إسلامية . وهكذا حتى يصير المسلم داعيا إلى الغرب ، متحمسا لمثله وعاداته أكثر من تحمسه لأخلاق أمته . يقول (مورو بيرجر) .

« أما الآن ، فقد قبلت التأثيرات الغربية في الشرق الأدنى إلى درجة تجعل من الصعب التحقق من أن امرأً ما قد ذهب أو لم يذهب إلى اوروبا مثلا ، فقد أصبح العرب متغربين بدون ان يتكلفوا عبء الذهاب إلى اوروبا » .

وإذا كان الغرب قد نجح هذا النجاح في غزوه الفكري ، فقد أخفق في مجالات كثيرة ، حين تكونت ردود الفعل عند الشعوب الاسلامية ، حيث كان من نتيجة ذلك الغزو ان انبرى عدد ليس بالقليل في العالم الاسلامي يدعون الى التمسك بالاسلام : بعقائده وتشريعاته ومثله ونبذ ما عداه نبذ النواة . وظهرت حركات اسلامية كثيرة تدعو إلى الأخذ بالاسلام وجعله نظام حياتها ، يطبقه الفرد والأسرة والمجتمع والدولة . ولقد أصيب (العلمانيون) بخيبة أمل مريرة حين رأوا ردود الفعل . فقد قال عصمت انونو وهو في مرض موته .

« إنني لا أكاد أصدق ما أرى ! لقد بذلنا كل ما نستطيع لانتزاع الاسلام من نفوس الاتراك وغرس مبادىء الحضارة الغربية مكانه، فإذا بنا نفاجأ بما لم نكن نتوقعه ، فقد غرسنا العلمانية ، فأثمرت الاسلام !!

تخريب الانتماء إلى متى ؟

للاستاذ /

عباس عباس سيد أحمد

ظاهرة جديدة تذكرنا بأيام كانت بلادنا مزرعة يضع يدهم عليها الأوربيون والأجانب المحميون بهم من كل لون وجنس .

هذه الظاهرة هي شيوع الأسماء الأوروبية التي تحملها واجهات المتاجر ، والمكاتب التي تعمل في مجال الخدمات على اختلافها .
والظاهرة المذكورة لها نظائر كثيرة ، وما كل منها إلا تعبير عن مفهوم ذي شقين : كل ما هو عربي رديء ، أو « موضة قديمة » ، وكل ما هو أوروبي متفوق من كل الوجوه .

ولا تستوقفنا الظاهرة المذكورة أكثر من غيرها من تعبيرات هذا المفهوم الا لأنها تتصل باللغة القومية ، وفيما عدا هذا فإنها ككل التعبيرات الأخرى لا ينبغي أن ينفرد أحدها بدهشتنا أمامه ، أو أسانا لحدوثه ، فالأحق بذلك هو المفهوم الذي تنبثق منه هذه التعبيرات جميعها ، والذي مغزاه أن انتماءنا مصاب بالخلل .

إلامَ ترجع المسؤولية عن وجود هذا المفهوم الذي بات أدنى الى المسلمات ؟
بمعنى آخر : إلامَ ترجع المسؤولية عن إصابة انتمائنا بالخلل ؟

في تصورى ترجع الى الثقافة .. الثقافة المعـ[illegible]ـلة في حياة المجتمع ، والتي يتعرض الناس لتأثيرها كل يوم ، [illegible] كل [illegible] .
لكننا إذا شرعنا في التحدث عن الثقافة كسبب في خلل الانتماء فإنه يصعب أن نتجنب الحديث عنها هي كنتيجة لخلل انتماء معلن ومسبوق بالاصرار ، وربما كان ذلك هو مشروع السطور القادمة ، أما نقطة البدء فهي هذا التساؤل :

ألا ينبغي أن تعبر كل أمة بثقافتها عن هويتها هي ؟ ونزعم أن الجواب بالايجاب مما يجعلنا نتساءل مرة أخرى : هل نعبر بالثقافة عن هويتنا نحن ؟ والجواب : كنا كذلك فيما مضى إذ كان كل جيل يعتبر نفسه حلقة وسيطة بين جيل الماضي وجيل المستقبل فيأخذ نفسه باستيعاب المعارف التي خلف فيها سلفه ، وقد يدخل عليها من التعديلات ما يراه ، أو يمحص منها بالاختبار ماكان ينقصه التمحيص ، لا يشغله ذلك عن أن يضيف اليها جديدا مما يبتدعه أو إبداعا يقتبسه من الثقافات الأخرى بلا تفريق بينها ، وهكذا كانت تتواصل الأجيال .

إلى أن جاء العصر الحديث ، وتضافرت ارادات متعددة على الحيدة عن هذا النهج بآخر كان أساسه الأنبهار بما احرزته أوروبا من تقدم في شتى مجالات الحياة واعتقادا بأننا نحن العرب لا يمكننا أن نخرج من دائرة التخلف التي كان سببها فترات حكم كان فيها الحكام غير معنيين الا بفرديتهم على حساب شعوبنا ما لم نأخذ عن أوروبا الناهضة تجارب نهوضها .

إنها إذا مواكبة الحضارة الأوروبية التي لم ينقطع التنادي إليها حتى الآن .

هنالك استعير التعليم الأوروبي ليعمل وعلى نفس النظام منفردا عن التعليم الذي كان يعمل وهو التعليم العربي الاسلامي ، واتبعت التربية الجديدة المعتمدة على تصورات التربية الأوروبية بدلا من التربية الاسلامية ، وعلى الطريقة نفسها جرى اختيار القوانين ، ووضعت المرأة العربية دون سابقة على طريق المرأة الأوروبية بدعوى تحريرها الى غير ذلك وهو كثير .
إذا ألقينا الآن نظرة على حصيد هذه المواكبة فماذا نجد ؟

● في مجال العلوم التجريبية والتطبيقية أو مجال التكنولوجيا » ما وصلنا إلى نقله أقل من الحد الأدنى اللازم ، ولا نريد أن نقول إننا مازلنا على الهامش ، وإن لم يكن في مثل هذا القول مبالغة .

● في مجال الثقافة تجاوزنا المستحب اذ ارتبطت الثقافة (العربية) بالثقافة الأوروبية في تبعية ذات بعدين : أحدهما يتصل بهيكلها ، فإنه ما من شيء تشتمل عليه يمت إلى الفن أو الأدب أو غيرهما إلا هو نظير مقلد لأصل في الثقافة الأوروبية ، ليس فقط وإنما يتبع قواعده الأوروبية نفسها تلك التي

تتعلق بالشكل والمضمون ، وطريقة المعالجة ، ويدور معه حيثما دار يزيد ما يزيد ، وينقص ما ينقص ، وينسخ ما ينسخ الخ

ألا يسمح لنا هذا أن نقول : إننا لا نعبر بالثقافة الحالية ـ التي لا تختلف عن الثقافة الأوروبية إلا باللغة في جانب منها وبالسمات البيئية التي تفرض نفسها على الموضوع المعالج أحيانا ـ عن أنفسنا ولكن عن الأوروبيين ، بمعنى أن هذه الثقافة ثقافتهم ولكن بأداء عربي .

على أن التبعية الثقافية هذه ليست وجهة نظر لنا ، نقول هذا لئلا يظن أننا نتعمد جرح مشاعر الثقافيين (العصريين) إذ الواقع أنهم الذين يقررون هذه التبعية ، بل إنهم ليريدون أن تضم عليها الأجيال الجديدة جوانحها كأنها مما تقضي به سنن الحياة ، ففي المدرسة يلقن الطلاب الآن خلال دروس اللغة العربية أن الشعر العربي أخذ يتغير بداية من العصر الحديث متأثرا بالتغيرات التي تناوبت الآداب الأوروبية وقد بدأ بسامي البارودي كلاسيكيا لأن الكلاسيكية كانت مذهب الآداب الأوروبية ولما تلتها الرومانسية تحول الى الرومانسية ثم الى الواقعية تبعا لصيرورة الآداب الأوروبية واقعية .

ماذا ترتب على أن تكون الثقافة عندنا صورة مقلدة للثقافة الأوروبية بدلا من أن تكون نبات أرضها ؟

ـ انعدام الصلة بين عدد من الفنون وبين السواد الأعظم من الناس لأن هذه الفنون لم تتوخ ان تخاطبهم ، ولم تمنعها غضاضة من أن تتعالى عليهم ، وبقيت مكتفية بعدد قليل من الذين لهم اطلاع في الثقافات العالمية .

ـ تطامن الأدب فقل نتاجه ، وضاقت مساحة انتشاره لفقده الألفة التي تصله بالمواطن العربي القادر على القراءة .

ـ عزل الشعر نفسه عن مجال التأثير عزلا تاما بعد أن تحول الى ما يشبه همهمات المختلطين .

ما الذي يملأ الفراغ الآن وينفذ تأثيره الى الناس على اختلاف مستوياتهم المعرفية ؟ الصحيفة اليومية « المذياع » « التلفاز » « السينما » والمسرح الخ .

فماذا تقدم للناس كل هذه القنوات الثقافية ؟ إن هذا السؤال ينقلنا الى البعد الآخر من بعدي التبعية الثقافية بدعوى المواكبة ، في حين لا ننكر أنها تقدم قدرا مفيدا له أثره في التنوير إذ نجد أن هذا القدر لا يقترب مما تقدمه تقصد به الى الالهاء أو ما يميع الأخلاق ويميت النخوة ، أو يلتف التفافا ناعما عا التقاليد العربية والقيم الاسلامية واستبدال تقاليد وقيم أوروبية بها

فما أكثر أن ندرك ونحن نتابع ما يقدمه « التلفاز » من مسلسلات تمثيليه وأفلام تبين مدى الالحاح على ان تستقل ارادة الفتاة العربية ، بحيث يكون لها اختيار متحرر من ضغوط اسرتها لا سيما فيما يتصل بزواجها فما

المحتوى التمثيلي المفضل والذى يمر من خلاله توجيهها ؟ فتاة تحب شابا بعد عدد من اللقاءات به دون علم اسرتها ، وبعد أن تتفق معه على الزواج تفاجىء أهلها بأنه سيحضر لخطبتها ، وبأنها مقتنعة بالزواج به وهذا يكفي لاجابته الى طلبه ، وفي العادة يثور اهلها لتصرفها الذي لا يقره العرف ، وعند ذلك تهرب الفتاة الى الشاب ليتما الزواج منفردين .

أما علامة نضج الشاب وبلوغه الرجوله فهي أن يقف أمام والده يصرخ في وجهه ملوحا بيده في عصبية شديدة ويقول له « لم أعد صغيرا ولن تفرض على شيئا بعد اليوم »

كما اننا ندرك مدى الالحاح على أن يأخذ المجتمع بالأعراف الأوروبية من كثرة عرض هذه الصورة والتزامها في كل مرة تتعرض فيها حكاية التمثيل لحفل يقيمه عربي في بيته داعيا إليه اصدقاءه وزوجاتهم وهو يلقاهم مرحبا يشاركه بنوه وبناته الذين في سن الشباب ، وعندما يجتمع الشمل ينقلب البيت (العربي) الى منتدى للفجور المتألق ، فتلقى الخمر فرصة فسيحة للعب بالعقول ، وإلى هذا وأمثاله من السلوك الغريب على الطبيعة العربية يتم توجيه الناس بدعوى مسايرة الحياة العصرية .

ولقد تابعت لعدة شهور صفحة مخصصة لتثقيف المرأة تقدمها إحدى الصحف اليومية مرة كل أسبوع ، فلم أجدها تخلت مرة عن أن تشغل كل مساحتها بعدد من الصور الاستفزازية للنساء الأوروبيات تجاوز في إحدى المرات العشرين صورة وذلك بقصد ان تحتذي القارئه ما يحلو لها من هذه الصور في زيها او طريقة تصفيف شعرها أو تزييف رموشها ، أو غير ذلك وهو كثير ، وكأن الصفحة تعد للباريسيات لا للعربيات المسلمات .

تلك مجرد أمثلة لتوجهات الثقافة وتوجيهها ، ولن نستطيع ولو حرصنا ـ أن نستقصي كل ما تدفع به الثقافة الحالية الفرد العربي الى الأخذ بمظاهر الحياة الأوروبية مغرية إياه برموزها ـ وهي في الغالب رموز مادية ـ معمقة في وجدانه أن حسبانه متحضرا متوقف على عنايته بهذه الرموز ، وأن منزلته بين الطبقة الوجيهة في المجتمع يحددها نصيبه من امتلاكها .

لا عجب أن قطاعات كثيرة في المجتمع العربي انسلخت من جلودها العربية أو تكاد وانقطعت الصلة بينها وبين اصولها وأصالتها ، ولم يبق لها مما تمت به إلى مواطنها الا سحنة متميزة ، وبيانات في بطاقة تحقيق الشخصية ولغة الحديث .

ولا عجب أن الصراع المحتدم الآن ، والذي يرجع إليه فقدان الثقة بين الناس بعضهم وبعض ، بل خراب الذمم ، وكثرة الجريمة ، وغير ذلك مما لم يكن للمجتمع العربي به عهد صراع على مظاهر الحياة الأوروبية التي حاصرت الثقافة بها قلوب وعقول الناس .

ومن المؤسف أن العلاقة بالدين ـ نتيجة لهذا الصراع ـ آلت إلى مجرد الأداء الظاهري للشعائر ، وتناسى الناس ـ إلا من رحم ربك ـ استلهامه في سلوكاتهم وفيما ينخرطون فيه من مناشط الحياة .

وبقيت كلمة ولعلها ليست أقل أهمية مما فات .

إذا كان محزنا أن الثقافة أوروبية المنتمى أوروبية التوجهات فإن الأحزن منه أن بعض المشتغلين بها ينصبون من انفسهم غزاة ثقافيين بدل الغزاة الأوروبيين ، ويضطلعون بدور حقدة المستشرقين في تقويض الثقة بمصادر الحضارة الاسلامية ، وفي التعفية على أعز ما نعتز به من المواريث فمنذ زمان دعا أحدهم الى اطراح اللغة العربية واستبدال لغة أوروبية بها ، وهو يصفها اي اللغة العربية ـ بأنها اللغة الخرساء ، وحجر العثرة في طريق التحول الى المجتمع الديمقراطى . وأنها اللغة المفضية الى الجريمة وإلى التصورات الجنسية الدنيئة والى الجنون ذلك مع اقتراحه ان يكون غطاء الرأس للمواطن العربي هو « البرنيطة » الأوروبية بدل العمامة أو الطربوش ، بينما يذهب آخر الى أن ذكر القرآن الكريم لابراهيم وإسماعيل عليهما السلام لايكفي لاثبات وجودهما .

كان ذلك منذ زمان كما ذكرت فهل توقفت السهام ؟ كلا .. إنها متواصلة وكلما توقف رام قام مقامه رام جديد وأحدث الحلقات في مسلسل هدم مقدساتنا كان رأيا نشره في الصحف منذ وقت قريب واحد من كبار الثقافيين مؤداه أن رسالة الاسلام التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم خاصة بالعرب لا يكلفها غيرهم من الناس ، ومن قبل هذا الرأى كانت الدعوة الى علمانية المجتمع اي تحجيم دور الدين ، وإبطال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الى جانب هذا الفريق الذي يلجأ الى الطرق الصاخبة في تخريبه بقصد بلبلة أكبر عدد من الناس ، فريق آخر يخرب في صمت متحصنا بمعاهدنا العلمية التي يعمل بها ، وهو يزيف باسم حقائق العلوم .. علوم النفس او علوم الاجتماع أو غيرها مما يتعرض له كثرة ليست لهم الا خلفية في المعارف الاسلامية ضعيفة من أبنائنا الطلاب .

هذا كتاب لواحد من هذا الفريق (على سبيل المثال) موضوعه الطفولة والمراهقة يتحدث فيه عن التنشئة الصحيحة للأطفال حديثا مطولا يتلخص في اننا لكى ننشىء الأطفال تنشئة خالية من العقد النفسية علينا ان نزيح من طريق تربيتهم المعميات التي تعارف المجتمع على عدم الاقتراب منها بوصفها من العيب ، وقد اتى بمثال لهذه الازاحة المقترحة يستحى المرء أن يحكيه عنه ، وأبسط ما يوصف به انه مناف لما طبعت عليه مشاعر الانسان نحو أبيه وأمه ، وهي المشاعر التي توخت المحافظة عليها الآية الكريمة :

« **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم** » سورة النور آية / ٥٨ .

أما هذا فكتاب آخر في علم الاجتماع وهو يقول تحت عنوان جانبي هو « صعوبة استبدال بعض العادات والنظم بغيرها » « وفي الاسلام كذلك نجد في شعائر الحج كثيرا من الشعائر التي كانت متبعة في الجاهلية كتقبيل الحجر الأسود ورمي الجمرات الخ . وقد احتفظ الاسلام بها لصعوبة استبدالها بغيرها ولارتباط هذه العادات ببعض العواطف النفسية .

أى كأن الاسلام الذي اقتلع بقوة إقناعه تأليه الأصنام من نفوس العرب عجز عن أن يقنعهم بترك الشعائر التي كانوا يتقربون إليها بها ، فلم يسعه إلا أن يتملقهم فيضمها إلى شعائره ، ثم .. لكأن المسلمين لم يكن دخولهم في الاسلام ولا بقاؤهم فيه عن اقتناع حقيقي به لأن قلوبهم ظلت برغم ذلك أسيرة لتدين الجاهلية .

ويقول الكتاب ايضا « وقد كانت الأديان والعقائد نفسها عرضة للمقاومة الشديدة وتعرض الأنبياء والرسل لأنواع مختلفة من الاضطهاد والعسف ، ويكفي أن نذكر ما تعرض له المسيح من اليهود وكيف أنهم صلبوه في النهاية » .

وهكذا نجد ان الكتاب ـ ومؤلفه مسلم ـ يعدل الى عقيدة الأوروبيين عن عقيدة الاسلام فيما يختص بصلب المسيح عليه السلام مع استبعاد جهله بالآية الكريمة .

« **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** » سورة النساء آية / ١٥٧ .

هذا فإذا لاحظنا أن المؤلف لم يكن مضطرا أصلا الى الزج بالاسلام فيما خاض فيه تبين لنا كيف أن مخالفة الثوابت الاسلامية على هذا النحو أمر مقصود .

على أن هذا وأمثاله يتذرعون لما يصدرون عنه بأن كل إنسان له رأيه ، وهو حر فيما يرى ، وهذا حق .. حق يوجبه العقل فضلا عن أنه يقره القانون ، أما الاسلام فإن موقفه من كفالة الحريات على اختلافها لايدانيه موقف ، لكن هل لأحد كائنا من كان أن يرى في القرآن الكريم مخالفا صريح نصوصه وواضح معانيه ؟

ثم .. إن لكل إنسان أن يرى ما يشاء لنفسه ، وله أن يبنى على مايراه مواقفه فيختار اليمين أو الشمال ، وهو وحده يحمل مسؤوليته ، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لكن أله أن يزلزل في مقال أو في كتاب عقائد الناس ، أو يلبس عليهم دينهم ؟

أليس إن فعل ذلك يكون قد تجاوز معنى الحرية الى معنى أخر هو السعي في الأرض بفتنة وفساد كبير ؟ أليس ذلك ما تقوله مقاييس الواقع المطبق في كل مكان ؟ فإن أي شخص لا سلطان لأحد عليه أن يرى رأيا مخالفا للخط السياسي لحكومته « مثلا » وهو لا يزال بخير ما بقى رأيه حبيس ما بينه وبين نفسه ، أما حين يعلن ذلك في منشور يقوم بتوزيعه على الناس من منطلق أنه يمارس حرية الرأى ، فلن ينفعه هذا التبرير . إن المشكلة أن الاسلام وهو يرفض نظام رجال الدين « الاكليروس » استخدم ديمقراطيته هذه الصالحون والقاسطون ، ومن عجب أن من يشككون في الاسلام يحتجون لجرأتهم عليه ، وغمزهم فيه بأنه أي الاسـلام اعطاهم حق البحث والاستنتاج أي أنهم يستعينون بالاسلام لتبرير الاضرار بالاسلام .

وفي الحياة توجد تخصصات ؛ ولكل فن من فنون الأعمال مجيدون يستشارون في دقائقه ، ورابطة تغار عليه من الأدعياء كما جرت العادة بألا يقحم إنسان نفسه مهما كان حظه من الذكاء على غير تخصصه الا في علوم الدين فإن ادعاء معرفتها والجرأة على الدين عن طريق التنطع فيها مما صار ميـدانا يتسـابق فيه هـواة الظهور والمتـاجرون بـالقيم والمتـدينـون « بالأيدولوجيات » وغيرهم ، وإن غيرهم لكثير .

وبرغم أن لدينا علماء في الاسلام وهم الأحق بالبحث فيه والحديث عنه نجد أنهم مبتلون بهذه الكتلة من المغرضين ، فكلما تصدى أحدهم لرأى معوج أو دعوة جانحة سرعان ما يلجئون الى التهييج ضده متصايحين :

حسبك .. لقد انقضى عهد الارهاب الفكري ، كأن كل عالم من علماء الاسلام يستخدم ضدهم سلاح الارهاب الفكري الا أن يوافقهم على أن الاسلام ليس الا مسارعا في هواهم ، وهو يبارك لهم كل ضلال ، ويجعل لهم حلالا ما هو غير حلال ، وما أسهل ان تجد الواحد منهم يرد إذا قيل له اتق الله بالشتم البذيء والتسفيه الوقح خارجا على منطق العقل ومرعى الأخلاق .

إننا نتساءل : أليس متناقضا أن نخوض الحرب غيرة على حدود الأرض بينما نفرط في حدود هويتنا ، ونصطنع رموزا كالراية نحوطها بأسمى مشاعر الاعتزاز ونستهين بكل رموزنا المعنوية .. والى متى ؟!

من آفات الكلام

للأستاذ /محمد محمود متولي

ضبط الألسنة أمر حض عليه الشارع الحكيم ، لأن الألسنة السائبة بلا كوابح تكبحها تودي بأصحابها إلى الهلاك ، ولذا فليس على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان،ومن كثر كلامه كثر خطؤه ، وخير الكلام ما قل ودل ، وإذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب ، والاسلام يكره أن يكون الكلام بلا روية ، ودون تفكير سابق فيما يراد قوله ، وأكثر الناس يتكلم عفو الخاطر ، فإذا دققت معه فيما فاه به ، اعتذر عما قاله ، أو اتهمك بأنك متشدد في التدقيق على الكلام العادي ، وتلك خصلة ذميمة فإن الدين والعقل يحضان على قلة الكلام ودوام التفكر وقد قال الحسن البصري : « لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام تفكر فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكت ، وقلب الجاهل من وراء لسانه ، فإذا همَّ بالكلام تكلم به له أو عليه » .

والعاقل هو من يطيل الاستماع ويقلل من الكلام ، وليت المسلمين يتواصون بترك الثرثرة وضبط الألسنة وقد قيل : كان أعرابي

يجالس الشعبي ، فيطيل الصمت ، فسئل عن طول صمته ، فقال : « أسمع فأعلم وأسكت فأسلم، فمن الذي علمه وهو غير عالم ؟ إنها الفطرة النقية حين تستجيب بسليقتها لنداء فاطرها ، وكل كلام ابن آدم محسوب له او عليه » ولهذا قيل : مقتل الرجل بين لحييه وفكيه .

وآفات الكلام قسمان : قسم لا دخل للانسان فيه مثل : الفأفأة ، والتأتأة ، واللثاغة وبعضها يمكن التغلب عليه بضبط النطق أو رياضة اللسان حتى يرتاض على إخراج الحرف سليما وبعضها لا يمكن التغلب عليه ، وهذا القسم لا يحاسب الانسان عليه في الآخرة لأنه داخل في تحميل الانسان ما لا طاقة له بتحمله ، ولكن المسئولية عليه تدخل في نطاق الحكم الفقهي له وقد قيل فيه : « ومن شروط الامامة صحة لسانه ـ أي الامام ـ بحيث ينطق الحروف صحيحة ، فإن كان يبدل الراء غينا ، أو السين ثاء ، أو الزاي ذالا ، فلا تصح إمامته إلا لمثله ، ويجب عليه الاجتهاد في تقويم لسانه ، أو القراءة من المواضع التي يستقيم فيها لسانه بالقرآن ، فإن قصر مع قدرته بطلت إمامته لمثله ، بل بطلت صلاته ، وإن عجز عن تقويم لسانه صحت صلاته ، وإمامته لمثله .

اما التمتام وهو : الذي يكرر التاء في كلامه ، والفأفاء وهو : الذي يكرر الفاء فإمامتهما صحيحة لغير من يماثلهما مع الكراهة .

ويرى الأحناف أنهما مثل الألثغ في عدم صحة إمامتهما إلا لمثلهما .

وأما الأرت وهو : من يأتي بالادغام في غير موضعه ، كأن يقول : «المتقيم» بدل «المستقيم» فيجب عليه الاجتهاد في إصلاح لسانه ، فإن قصر مع القدرة بطلت صلاته وإمامته ، وإن عجز صحت صلاته وإمامته لمثله .

ويرى المالكية : أن الألثغ والتمتام والفأفاء والأرت ونحوهم إمامتهم وصلاتهم صحيحة ولو كان المقتدى بهم سليما ، ولو وجدوا من يعلمهم ولا يجب على احد منهم الاجتهاد في إصلاح لسانه على الراجح ـ الفقه على المذاهب الاربعة حـ١ ٣٠٧ ؛ ٣٠٨ طبع الاوقاف المصرية ـ ويميل القلب إلى أنه متى وجد سليم اللسان فهو أولى من سقيمه ولكن هذه الآفات مما لا يؤاخذ عليه الانسان لأنها عيوب خلقية كمن ولد أعمى أو قصيرا أو افطس الأنف ... الخ وهذا مما لا دخل للانسان فيه .

فأما ما للانسان فيه دخل من آفات الكلام فمنه :

١ ـ ما يتعلق بعمل اللسان من تفاصح في الكلام وتشدق به وتزييف لوضيع الاغراض والأهداف بإلباسه من الألفاظ ما لا يستحقه وقد ذم الرسول صلى الله عليه وسلم اصنافا شبيهة بالتفاصح من تفيهق وثرثرة وتكلف ، ونحن نلمس ذلك في كثير من المتكلفين حيث يتعمد تزويق اللفظ وتنميقه دون ان يكون وراءه اخلاص القلب لله ولا

الرغبة في نصرة دين او مبدأ ، إنما وراءه المباهاة ومسابقة الأقران ... الخ ، ومن التكلف ادعاء علم مالا يعلمه وقد قيل : من علم فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم، والتقعر في الكلام هو ملء الشدقين به وتكلف السجع والفصاحة مما جرت به عادة المتفاصحين من متصنعى الخطابة وكل ذلك مذموم .

ففي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : نهينا عن التكلف .

وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن أبغضكم إليَّ ، وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون » اخرجه أحمد والترمذي والثرثار هو الكثير الكلام تكلفا ، والمتشدق هو المتكلم بملء شدقيه تفاصحا وتعاظما واستعلاء على غيره ، وهو بمعنى المتفيهق ، كما يشبه هذه العيوب ما يسمى بالتنطع وهو التعمق والاستقصاء .

وقد روى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم كما تتخلل البقرة الكلأ بلسانها » رواه احمد . والتخلل يلاحظ كثيرا على المتكلفين الذين لا يتركون انفسهم على سجيتها فيأتي كلامهم مملولا وتفاصحهم مرذولا ، وقد لا يسعفهم التصنع فيظهر ما خبءه من عيٍّ وعجز وحينئذ يبوءون ببغض الناس لهم وعيبهم طريقهم ، وتلك آفة يمليها الشيطان لبعض الناس فيسيئون حيث يظنون انهم يحسنون .

وقد قال عمر رضي الله عنه : « شقاشق الكلام من شقاشق الشيطان » والعرب إنما يحبون الفصاحة غير المتكلفة ولذا يقول الجاحظ في البيان والتبيين : « وهم ـ اي العرب ـ انما يحبون الطلاقة والبيان ... ويكرهون السلاطة والهذر والتكلف والاسهاب والاكثار ، لما فيها من التزيد والمباهاة واتباع الهوى .. » وهم يذمون الخطيب المتكبر المدعي لمعرفة كل شيء .

٢ ـ ومنه فضول الكلام ، وهو بلاء يصل الانسان إليه عندما لا يكون حاذقا بمعرفة العلاقة بين الكلمات ومعانيها ، او مريضا بالرغبة الملحة في الكلام وهو ما يطلق عليه على سبيل التشبيه « سلس الكلام » تشبيها له بسلس البول ، وفضول الكلام كما يعرفها الامام الغزالي في الاحياء هي :

الزيادة فيه على ما تدعو الضرورة إليه ، فإن تأدى المقصود بكلمة فلا يؤديه في كلمتين ، لان الثانية فضول ،

وقد قال تعالى « **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** » ق : ١٨

كما وردت الاشارة في القرآن الى الاغراض التي يجوز القول فيها فقال تعالى : « **لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس** » النساء : ١١٤

ونحن نلمح فضول الكلام في مدح المداحين حيث نرى التزيد واضحا

والمبالغة ظاهرة ، كما نشاهد ذلك في إجابات بعض المتحدثين على اسئلة

السائلين ، فنقرأ او نسمع ما يحتاج في الجواب الى نعم فقط أو لا فقط وقد نسجت حوله ذيول وحشو كثير وقد يكون لا جواب فيه وقد قال

ابراهيم النخعي : « إنما يهلك الناس في فضول الكلام وفضول المال » .

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : « انذركم فضول كلامكم ، حسب امرىء من الكلام ما بلغ به حاجته » .

وقال الحسن البصري : « يا ابن ادم بسطت لك صحيفة ، ووكل بها ملكان كريمان يكتبان اعمالك ، فاعمل ماشئت واكثر او أقل » .

٣ ـ ومنه تدخل الانسان فيما لا يعنيه وهي آفة وإن كان اللسان يترجم

عنها ، إلا أنها تدل على الرغبة في التدخل في أحوال الخلق ، ودس الأنف

في غير ما تدس فيه والانشغال بمالو أراح الانسان نفسه من التدخل فيه

لأراح واستراح ، وهو مرض يصاب به كثير من أصحاب البطالة ممن

لايوجد مايشغلهم ويستهلك وقتهم وجهدهم ، كما يصيب كثيرين من الفاقدين لتقوى الله تعالى ، الذين لايفكرون في سوء المنقلب الذي ينقلبون إليه لأن التدخل في غير ما يعني صاحبه يعرضه للعذاب وان قتل

شهيدا في سبيل الله .

فعن انس رضي الله تعالى عنه قال :

استشهد رجل منا يوم أحد ، فمحست أمه التراب عن وجهه ، وقالت : هنيئا لك يا بني الجنة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مايدريك » ؟

« لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ، ويمنع ما يضره » رواه ابن ابي الدنيا وابو يعلى واحمد والطبراني بمعناه ورجال احمد ثقات .

والانسان المسلم يفترض ان يشغله اسلامه عما لا يعنيه ، وقد روي ابو هريرة رضي الله عنه ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » رواه الترمذي وقال : حديث غريب ورواه ابن ماجه .

والانسان الحاذق هو الذي يدرك ، أن تحميل نفسه بما لا يجب عليها تحمله ، من عيب ما لا يعاب من صفات وتصرفات الناس ، هو مما يؤرق ليلها، ويشغل نهارها ، بما لافائدة تعود عليها منه ، وهو مستغن عنه ، لانه مما يضيع الوقت ، ولا يسلم الانسان فيه من زلات اللسان ، فيستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير ، وصرف الوقت في العبادة والتأمل وطلب العلم والعناية بالاولاد والأهل افضل من العناية بغير مايعنى .

وقد حدد الامام الغزالي مالا يعني بقوله : « وجد الكلام فيما لا يعنيك ان تتكلم بكلام ، لو سكت عنه لم تأثم ،

ولم تستضربه ، في حال ولا مال وذلك مثلما يتحدث الانسان عن مشاهداته في أسفاره ، والوقائع التي حدثت فيها ، وما يستحسنه من الأطعمة والثياب ... فهذه امور لو سكت عنها لكان افضل ، لما يجره الحديث من زيادة أو فخر ومباهاة او كذب ، وقد يكون الدافع إليه الحرص على معرفة ما لا حاجة به إليه ، او المباسطة بكلام على سبيل التودد ، او تزجية وقت الفراغ بما لا فائدة فيه من حكايات ، وقد كره الاسلام قيل وقال وجعل زعموا بئس المطية لأنه لا يرجي من وراء زعموا فائدة».

وقد نهي القرآن الكريم عن السؤال عما لا يحتاج المرء الى معرفته فقال تعالى « **يا أيها الذين آمنوا لاتسألوا عن اشياء إن تُبْدَلكم تسؤكم** » المائدة : ١٠١ يقول الامام ابن كثير معلقا على هذه الآية « هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين ، ونهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها ، لانها إن أظهرت لهم تلك الأمور ، ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها .

وما لا يعني يشمل ما السكوت عنه افضل من التحدث به من أحوال النفس والناس وما لاتدعو الحاجة إليه من أمور تتعلق بالذات الالهية او القدر او الرزق أو الروح وهناك اشياء كثيرة يسلم الانسان بها ولا يتعرف على كنهها لاستحالة إدراكه لها ويجمع الـهـ عما سبقت الاشارة إليه قوله صلى الله عليه وسلم :

« إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدودا فلا تعتدوها ، وحرم اشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن اشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » رواه الدار قطنى والبزار والحاكم والترمذي وابن ماجه .

والاسلام يرمي من وراء تحريم تلك الأمور السابقة توفير الأوقات والجهود والعقول لعمل عمل من ورائه فائدة للفرد والمجتمع ، وإن يترك الانسان نفسه على سجيتها لأن التكلف كذب على النفس وعلى الناس

وقال ابن مسعود : (ان هذه القلوب أوعية ، فاشغلوها بالقرآن ، ولا تشغلوها بغيره) والمسلم الملتزم يجعل صمته فكرا وحديثه ذكرا ونظره عبرة ، وحين تفلس النفس من معالى الأمور تنشغل بسفاسفها ، وكم من كلمة ذهبت بصاحبها الى الجنة وأخرى هوت بصاحبها إلى النار ، والسعيد من ضبط لسانه .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ، ما يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات في الجنة ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لايلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم » رواه مالك والبخاري

بين سرقتين

للاستاذ / جمال سلطان

يمثل التراث الاسلامي ، على صعيد المقارنات التراثية الانسانية ، التحدى الحقيقي ، وربما الوحيد ، الذي واجهته - ولما تزل - الحضارة الأوروبية الحديثة ، وتراثها الانساني الذي تعتز به .

فلقد كانت كافة التراثات الانسانية الأخرى ، والتي تعاطت معها أوروبا في الحديث ، مزيجا من فنون وتعبيرات نفسية عفوية تجاه مظاهر الطبيعة ، وتحدياتها ، تراكمت عبر القرون ، في ذاكرة مجتمعاتها ، لتشكل نوعا من « الفلكلور » الشعبي ، أو العرف القبلي ، ومن ثم ؛ فقد كانت لا تشكل تحديا حقيقيا للخصوصية الحضارية الأوروبية ، التي جهدت طوال القرنين الماضيين ، في نشر معطيات خصوصياتها التراثية والحضارية ، على الواقع الانساني كله ، بدءا من الديانة والعقيدة ، وانتهاء بنمطية الحياة الخاصة على مستوى الانموذج الفردي للانسان ، مرورا بانموذجها الاجتماعي ، على مستوى النظم والتشريعات والسياسات والمواضعات القيمية ونحو ذلك .

ولقد تمت عمليات « السيطرة » الحضارية ، والتذويب الثقافي ، بفعل مجهودات منسقة ، بين جماعات التبشير ، وحركات الاستشراق ، وقوى الاستعمار السياسي والعسكري ، ثم انتقلت هذه العملية اليوم ، إلى مؤسسات رسمية ضخمة ، أكثر دقة وتخصصا ،

وأوسع حيوية وانتشارا ، وأخفى مسلكا وطريقة .

أما التراث الاسلامي ، فإنه يتميز بخصوصيات ذاتية في تكوينه ، تجعله مباينا لهذه التراثات الانسانية جميعا ، بما فيها التراث الانساني الاوروبي ، فهو تراث ، تتصل منابعه الأولى بوحي إلهي ، متكفل الحفظ ، ومضمون الحياة ، ومن ثم ، فقد جاءت كافة النتاجات الانسانية في هذا التراث ، تحمل نبضا من هذه الحياة ، ومن تلك « الخصوصية » الربانية ، حتى تلك النتاجات التي تنحرف ، او تناقض أصل الفكرة ، الاسلامية ، فهي ـ أيضا ـ دائرة في فلك الاسلام الروحي والثقافي ، وهي على الرغم من مخالفتها للأصل ، إلا أنها مستقطبة ـ لا إراديا ـ إلى نفس الاشكاليات الانسانية التراثية ، التي تمثل في النهاية والإجمال ، خصوصية إسلامية .

وهذه الروافد الربانية في التراث الاسلامي ، تجعله تراثا غير قابل للموات التاريخي ، تحت أي ظرف كان .

ثم إن التراث الاسلامي ـ من جانب آخر ـ يمثل منظومة حضارية انسانية متكاملة ، وفلكا ثقافيا وفكريا مستقلا ، فهو ليس مجرد توافقات نفسية وروحية وعقلية ، مثلت ردات فعل تجاه مظاهر الطبيعة ، ثم تراكمت فصار منها « تراث » ، وإنما هو ميراث « منظومة حضارية » ، صدرت عن إرادة انسانية واعية ، ورؤية انسانية شمولية ذات أصول ربانية ، ومنهجية متكاملة ، مضبوطة وراشدة ، وهذه الخصوصية ، جعلته تراثا غير قابل للذوبان في أي منظومة حضارية أخرى ، أو فلك ثقافي آخر .

كما ان التراث الاسلامي ـ من جانب ثالث ـ تراث يمثل وجودا حضاريا انسانيا تاريخيا كبيرا ،

هيمن على مسارات الحركة الانسانية المدنية والمعرفية والثقافية ، لقرون متطاولة ، قبل ان يدخل مرحلة الجمود الأخيرة ، فهو ـ إذا ـ تراث انساني نشأ معظمه ، في ظل مناخ نفسي استعلائي قوى ، يدرك انه « محور » في التاريخ الانساني ، ان لم يكن هو « المحور » ، وأنه « رائد » في المسيرة الانسانية ، إن لم يكن هو « الرائد » ، وهذه « الروح » التي ولد في ظلالها النفسية ذلك التراث ، جعلته نمطا من العطاء الانساني ، غير قابل للتهميش ، وغير مستعد ـ بطبيعته ـ لأن يكون « تذييلات » على « متون حضارية أخرى » مهما كانت ،

وبكلمة ؛ فقد جعلته هذه « الروح » غير قابل للدخول في مسالك « التبعية » الحضارية ، لأي نتاج حضاري انساني آخر .

هذه حقائق ثابتة عن التراث الاسلامي ، يدركها ـ تمام الإدراك ـ العقل الأوروبي الحديث والمعاصر ـ ويدرك معها الفرق المميز لهذا التراث ، عن أي تراث إنساني آخر ، حتى أثر عن الحكيم الانجليزي « صمويل جونسون » ، قوله « إن تراث الاسلام والمسيحية ، على

الصعيد الانساني ، هما الجديران بالعناية ، وما دونهما فهو بربرية » !
وهذه الحقائق - ايضا - هي التي وجهت « المجابهات » التاريخية بين التراثين الاسلامي والأوروبي ، إلى طرائق خاصة ، في التعاطي أو السيطرة أو الغزو أو الاستلاب ، وهي - كذلك - التي طبعت « التقابل » بين التراثين ، بمسحة واضحة من الحذر والعصبية ، حتى لو جاء هذا « التقابل » تحت شعار « الحوار الحضاري » الذي حاوله بعضهم مؤخرا .

● **السرقة التراثية الكبرى** : بدأت محاولات السيطرة الأوروبية الحديثة ، على التراث الاسلامي ، وفق تخطيط هادف ، منذ نهايات القرن الثامن عشر ، عندما انتشرت مجموعات من الباحثين والمتخصصين « المستشرقين » الأوروبيين ، في ربوع العالم الاسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، ينقبون عن مخطوطات التراث الاسلامي ، على مختلف مجالاتها ومصادرها ، لعل أضخمها ، تلك المجموعة الكبيرة ، والبالغة الدقة في التنوع والتخصص ، التي حرص القائد الفرنسي « نابليون بونابرت » على استقدامها معه إلى « مصر » ، تحت ستار « تنوير المجتمع المصري » فاستولت على كميات كبيرة من ذخائر التراث ، منها ما استفاد منه « نابليون » نفسه ، في نظامه القضائي التشريعي كما يأتي بيانه .
ومن الهند ، والجمهوريات الاسلامية في جنوب الاتحاد السوفياتي ، وايران ، والعراق ، ودمشق ، والقدس ، وعسقلان ، واليمن ، والقاهرة ، والقيروان ، وقسنطينة ، وفاس ، وغيرها من مدائن الاسلام ، تسربت مخطوطات التراث - في غفلة من الأمة - إلى باريس ، ولندن ، وبال ، وبرلين ، ولاهاي ، وغيرها من المراكز العلمية الأوروبية ، التي كانت تمثل قواعد النشاط الاستشراقي في ذلك الحين ، لينتقل معها - تلك المخطوطات - العقل التاريخي للأمة ، والجزء الأكبر من ذاكرتها التراثية المدونة .

● **أهداف السرقة** : هدفت هذه السرقة الكبرى ، إلى تحقيق أمرين أساسيين ، كانت تحتاجهما أوروبا في اللحظة التي برز فيها ذلك النشاط العلمي غير الأخلاقي ، الأمر **الأول** : هو إثراء النشاط الفكري والعلمي والأدبي ، في أوروبا عصر الأنوار ، التي تحللت من الهيمنة الكنسية مستشرفة آفاقا حضارية بعيدة ، فكان هذا « السطو » الذي قام به المستشرقون على تراث الاسلام ، ونقول « السطو » ، لأن عملية النقل قد تمت بطريق غير مشروع أصلا ، ثم إنها حدثت دون إثبات لحق أصحابه أو إثبات لجميلهم الانساني ، بل إن عملية النقل قد تمت دون الاشارة إلى « مجرد » وجود أصحاب هذا التراث في تاريخ الانسانية ، والشواهد على ذلك مستفيضة ، وقد باتت مشتهرة اليوم ، حتى عند الباحث الاوروبي المعاصر .
إن رجالات التاريخ ، يدركون تماما ، ان العلماء المسلمين ، هم

مؤسسو « **المنهج العلمي** » في البحث التاريخي ، ولم تعرف امة من الأمم ، هذه الدقة العالية ، والحساسية النقدية الهائلة ، من جمع المادة التاريخية « الحية » وضبطها وترشيحها واستخلاص المناهج العلمية من خلال التجريب والملاحظة والقياس والمقارنة ، مثلما قام به العلماء المسلمون ، والمتأمل في المنهجية الأوروبية التاريخية ، لا يخطىء عقله وبصيرته ، ذلك الاتفاق بين المنهجين ـ في مجال المادة الحية ـ بحيث يكون من المحال ـ في طبائع الأمور ـ ان نفترض عدم تأثر اللاحق منهما بالسابق ، ورغم ذلك ؛ لا نكاد نجد في إشارة « عابرة » لدي باحثي أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وعمر من القرن العشرين ، اي ذكر لشيء اسمه « مساهمة اسلامية » في مجال علم التاريخ ، ومناهجه النظرية والتجريبية .

ومما تكشف اليوم ـ ايضا ـ ان القانون المدني الفرنسي ، الذي وضعه « نابليون » ، قد نقلت « أصوله » ، والكثير المستفيض من مواده القانونية ، عن الشرح الكبير للشيخ « الدردير » المصري على « مختصر خليل » في الفقه المالكي ، ومما تكشف ايضا ، ان قاعدة « المنع من التعسف في استعمال الحق » ، والتي أثار بها الفقهاء الألمان إعجاب العالم وأحرزوا بها سبقا فقهيا ، هي قاعدة اسلامية اصيلة ، وكشفت ابحاث عديدة « أصول » الألمان فيها ، والتي نقلوها عن الفقه الاسلامي .

ويطول المقام إذا حاولنا الاستقصاء في هذا المجال ، كما في مجالات علوم الطب والفلك والرياضيات والكيمياء وغيرها ، هذا فضلا عن التعتيم الواسع ، الذي فرضه الباحثون الأوروبيون ، على السبق التراثي الاسلامي في مجال الدراسات الانسانية ، مما قدموه هم على انهم أصحابه والسابقون اليه ، مثل « علم الاجتماع » بل وصل الأمر الى حد الابداعات الأدبية الفكرية ، مثل « الكوميديا الإلهية » « لدانتى » ، والتي ثبت ـ فيما بعد ! ـ تأثره فيها ـ إن لم نقل نقله ـ « رسالة الغفران » لأبي العلاء المعري ، والترجمة التي نقلت بها قصة الإسراء والمعراج الى أوروبا في قرونها الوسطى .

أما الأمر **الثاني** ، الذي هدفت إليه تلكم السرقة الكبرى ، ولعله الأخطر والأهم ، فهو السيطرة على اتجاهات الفكر الاسلامي الحديث ، وتوجيه طلائع النهضة نحو مجالات فكرية محددة ، وأصول تراثية معينة ، تخدم في مجملها المذهبية الأوروبية الحديثة ، حيث تشكل هذه الأجزاء التراثية « المنتقاة » توطئة نفسية وتراثية ، لنفاذ المذهبية الأوروبية ، في ذهن المثقف الاسلامي الحديث ، ولا سيما مجموعات الدارسين ، الذين استجلبوهم من مختلف الأقطار الاسلامية ، للدراسة في مراكزهم العلمية ، وقد ظهرت نتائج هذا « التوجيه » الخفي ، في صورة انفجارية ، من خلال بعض الدراسات والأبحاث التي أثارت اللغط والذهول

في وقت مبكر من هذا القرن ، مثل كتاب « على عبدالرازق » الشهير « الاسلام وأصول الحكم » وكتاب الدكتور « طه حسين » : « في الشعر الجاهلي » .

إن الأمر - باختصار - هو أن المستشرقين ، قد نجحوا في إعادة ترتيب العقل الاسلامي الحديث ، وفق منهجية فكرية وإنسانية جديدة ، من خلال إبراز أجزاء تراثية « منتقاة بدقة » ، ساعدهم على ذلك ، أنهم كانوا يملكون الذاكرة التاريخية للأمة على الحقيقة ، من خلال سيطرتهم على القسم الاكبر من تراث الاسلام الذي نقلوه في غفلة من الأمة .

وحرى بنا ان نشير - في هذا المقام - أن هذا الهدف الاستشراقي البالغ الخطورة ، مازال تصورنا عنه - في غالبه - مجرد ترتيبات منطقية لمسار الأحداث ، ينقصها التتبع والاستقصاء الدؤوب ، للكشف عن أبعادها الكاملة ، وجمع أطراف الصورة التاريخية الهامة .

يبقى ان نؤكد ، على ان ما يسمى « بعصر النهضة » لا يمثل امتدادا طبيعيا ولا نزيها ، للتراث الاسلامي ، وأن المحاولات التي تمت فيه للتوفيق او « التلفيق » بين التراث وبين المعطيات الحضارية الأوروبية ، هي محاولات منحرفة ، نشأت في ظل توجيه « استشراقي » ماكر ، نحو « انتقاءات » تراثية معينة ، وإن النهضة الحقيقية ، لن تكون إلا إذا أعدنا النظر في « الترتيب » العقلي والمنهجي ، الذي صاغه « المستشرقون » في الأمة ، من خلال رموز وطلائع ما يسمى « بالنهضة الحديثة » ، ومما يبشر بالخير ، ان إرهاصات عديدة ، تؤكد ان هذه العملية الكبرى ، قد بدأت فعلا .

● **سرقة جديدة** : وقد برز مؤخرا منحى جديد ، يحمل في مساره طريقا جديدة ، لسرقة تراثنا الاسلامي ، بعد ان انتهى دور « السرقة الكبرى » الأولى ، وظيفيا ، وانتهى دورها موضوعيا كذلك ، بفعل تطورات تقنية هائلة ، جعلت من العسير عزل العالم الاسلامي عن ذاكرته التراثية ، ونشطت حركات واسعة ، بجهود مشكورة ، لنقل هذا التراث بشتى الطرق ، ليصبح اليوم - من جديد - في متناول ابناء الأمة ، والشباب منهم بوجه خاص ، حيث بدأ التفاتة قوية وواضحة نحو التراث، اي نحو ذاكرته التاريخية .

والسرقة الجديدة ، تقوم على اساس الإبقاء « الشكلى » للتراث ، كمواقف واحداث وشخصيات وكتابات ، مع تفريغها من مضمونها الأصلى والحقيقي ، والذي يمثل « جوهر » التراث ، وروحه ، وفائدته كذلك .

وهذه السرقة الجديدة ، تهدف إلى أمرين ، أو توصل إليهما بالضرورة ، الأول : هو التمهيد لعملية « الاسقاط » ، الفكري والمذهبي الأجنبي في التراث ، بمعنى استبدال المضمون التراثي الأصيل ، بمضامين

اخرى ، غريبة على التراث ، وإن كانت مغلفة بالإطار الشكلي للتراث ، بما يفيد استمرارية « الترتيب العقلي والمنهجي » ، الذي نجحت الحركة الاستشراقية في صوغه ، من خلال رموز النهضة الحديثة ، حيث نصبح حاملين لمضمون غربي بغلاف اسلامي .

الأمر الثاني ، الذي تهدف إليه هذه السرقة ، أو توصل إليه بالضرورة ، هو تشويش رؤية الجيل الاسلامي الجديد في تراثه ، وحقائقه الموضوعية ، بما يفوت عليه الفرصة من الإفادة من « ذاكرته التاريخية »

التي تحصل عليها متأخرا وبالتالي تتعمق حالة « الانقطاع » ، في مسار الأمة التاريخي ، وهو الامر الذي يسهل عملية الاستقطاب أو الذوبان ـ مستقبليا ـ في منظومات حضارية وهويات إنسانية أخرى ، مناقضة لهويتنا ، روحا وموضوعا .

ونستطيع ان نرصد ظواهر تلك السرقة الجديدة ، من خلال الكتابات المتوالية ، التي برزت مؤخرا ، تتحدث حول : « الصراع الطبقي في الاسلام » ، « اليمين واليسار في الاسلام » و « الاشتراكية في الاسلام » ، « التراث والثورة » « الاسلام كفكرة قومية » ، « والعروبة في الاسلام » ، و « علمانية الاسلام » ، بل « علمانية القرآن ؟! » ، وغير ذلك ، وايضا ، الأبحاث التي تؤرخ لحادثات التاريخ الاسلامي ، مثل تلك التي تتحدث عن « الحروب الصليبية » بوصفها « حربا طبقية » ؟! ، أو « حربا قومية عربية » ضد « الاستعمار » الأوروبي ، بل إن ثمة « مؤتمرا » عقد مؤخرا في ذكرى موقعة « حطين » ، خرج أصحابه على الناس بنتيجة ، مفادها ان « الموقعة » لم تكن جهادا إسلاميا ضد الغزو الصليبي ، وإنما كانت « نضالا » قوميا عربيا » ضد « الامبريالية » الأوروبية !

ومن الواضح ان السرقة الجديدة ، امتداد متطور ، للسرقة الأولى ، ومكمل لها وفق منهجية منسقة للأدوار ، ولكنها تتميز بآلية جديدة في العمل ، لعل أخطر ما في هذه الآلية الجديدة ، انها تقوم باستعمال باحثين ومفكرين وأكاديميين ، ينتمون إلى عالمنا الاسلامي ، ويحملون أسماء عربية وإسلامية ، أي أنهم « من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » .

وليس من شك في ان هذه الملاحظة ، تتطلب من أهل الاسلام « آلية » جديدة ، في التصدى لمحاولات « السطو » المستمرة والملحة ، على تراث الاسلام .

وظيفة المال في الإسلام

للدكتور/ حسن أحمد عبد السلام

يؤكد المنهج الاسلامي على أن المال يجب أن يكون وسيلة في أيدي البشر ، يحققون به حياة كريمة ، في ظلها يتعاون الناس على البر والخير ، ويعمرون أرض الله بمنهج الله .

ولن يؤدي المال هذه الوظيفة إلا إذا راعى المسلم منهج الاسلام في المال فالتزم الحلال في تحصيله ، والخير والنفع ورضا الله في إنفاقه ، فلا يظلم ولا يغش ولا يسرق ولا يستغل ولا يحتكر ولا يرابي .

ويوجه الاسلام الناس إلى تحريك المال وعدم إمساكه أو كنزه ، فلن يحقق المال وظيفته إلا بالتداول والانفاق .

وينص التشريع الاسلامي على أن إنفاق المال في وجوه الخير واجب وأن إمساكه وكنزه حرام ، ويذهب التصور الاسلامي في ذلك إلى مدى بعيد ، يقتلع من نفوس الناس جذور البخل ويحببها في الانفاق .

ويشير الاسلام الى أن المال ينمو بالانفاق ، وينقص بالامساك والكنز : وقد يبدو ذلك عجيبا لكنه الحق الذي لامراء فيه .

وليس كل انفاق محببا في الاسلام ، فالانفاق غير الرشيد ، الذي لا يجلب لصاحبه ولا لمجتمعه نفعا في حدود مرضاة الله حرام ، إذ هو تبذير وإسراف وسفه ، والله سبحانه يقول في القرآن الكريم :

« وآت ذا القربي حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن

المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » سورة الاسراء آية ٢٦ـ٢٧ .

فالنص صريح في الدعوة إلى إنفاق المال في وجوه الخير ، ؛ وإعانة المحتاجين ، وصريح كذلك في النهي عن الاسراف والتبذير وإنفاق المال في غير وجوهه المشروعة .

والانفاق في الوجوه المشروعة يزيد المال وينميه ، إذ يبارك الله فيه ولقد سمى الاسلام إنفاق جزء من المال في وجوه الخير وعلى الفقراء والمساكين (زكاة) والكلمة تعني في مدلولها اللغوى .. النماء والزيادة والطهر فالمال المزكى مال مطهر مبارك ، وغير المزكى ، خبيث غير طيب . ولأن وظيفة المال في إرضاء الله وإسعاد الناس لا تتحقق إلا بالانفاق الرشيد جعل الاسلام الزكاة ركنا من أركان الدين ، واجبا على الأغنياء ، حقا للفقراء .

يقول الله عز وجل :

« **وفي أموالهم حق للسائل والمحروم** » الآية/ ١٩ سورة الذاريات

وهذا الحق واجب على وجه الالزام ، فإن لم يؤده الأغنياء كان على ولاة الأمر أخذه منهم بالقوة ، لأنه حق الله في ماله يؤخذ من الموسرين ، ويرد على الفقراء ، لينال كل حظه من فضل الله ، ورضي الله عن أبي بكر الصديق ، فقد قاتل المانعين للزكاة وأجبرهم على أداء حق الفقراء .

وإلى جانب الزكاة المفروضة هناك نفقات حث الاسلام عليها ورغب فيها كالصدقة والصلة ، وكل إنفاق زائد على الزكاة الواجبة في وجوه الخير .

يقول الله سبحانه وتعالى :

« **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** » سورة البقرة آية ١٧٧

فوجوه الانفاق متعددة وأنواع البر كثيرة ، والمسلم لا يبخل بما له ، بل ينفقه ابتغاء مرضاة الله ، وإسهاما في تحقيق حياة كريمة للناس ، فتلك هي وظيفة المال في الاسلام .

وأحيانا يكون الانفاق الزائد على قدر الزكاة واجبا مثل الزكاة ، وذلك في حالات المجاعة والضوائق والكوارث التي قد تحل بمجتمع المسلمين ، ويرجع تقدير مثل هذه الحالات الى ولاة الامور في دولة المسلمين .

وفي جعل الاسلام الزكاة حقا للفقراء ملحظ اجتماعي غاية في الاهمية فإن الفقير إذا استشعر أنه يأخذ حقه وهو يتلقى الزكاة ، رفع عنه الحرج ولم يستشعر الذلة ، ولا يحق للغني أن يمنّ على الفقير أو يتعالى عليه لأنه يعطيه الزكاة . فهو في ذلك لا يؤدى إلا واجبه ، ولم يأخذ الفقير غير حقه .

ولايخفى أن الزكاة ترضي الفقراء وتطيب نفوسهم وتطفىء عندهم جذوة الحقد على الأغنياء وتباعد بينهم وبين التمرد وعدم الرضا بقضاء الله ، فهي تطهير لمال الأغنياء وتطهير لنفوس الفقراء ، وهي حماية للمجتمع من الحقد والكراهية والتفسخ ، وصدق الله العظيم إذ يقول عز وجل .

« **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** » سورة التوبة آية/١٠٣ والأحاديث النبوية الشريفة التي تشير إلى أن الزكاة فريضة لازمة كثيرة منها ما يرويه ابن عباس رضى الله عنهما . أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن « إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .. فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب » رواه الخمسة .

والاسلام يحذر من الامساك والكنز ويتوعد المانعين للزكاة بالبوار والخسران في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة .

فعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا » متفق عليه .

فالبركة والزيادة والنماء للمنفق ، والتلف والبوار للممسك وعن ابي هريرة رضى الله عنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ـ حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة وإما إلى النار . قيل : يارسول الله فالابل . قال : ولا صاحب إبل لا يؤدى منها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مرَّ عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل : يارسول الله فالبقر والغنم قال : ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدى منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقرلا يفقد منها شيئا ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما الى الجنة وإما الى النار ..) متفق عليه

وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال .

(من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه ثم يقول أنا مالك انا كنزك ثم تلا : ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ..) رواه الخمسة إلا أبا داود .

والحديث يصور المال غير المزكى ثعبانا ضخما يطوق صاحبه يوم القيامة ، ويتهكم به ويسخر منه ، ويعذبه ويؤلمه .

ويقول الله سبحانه وتعالى مبينا عذاب الكانزين الممسكين الذين لا ينفقون المال في أوجه الخير ، ويعطلونه عن أداء وظيفته التي من أجلها خلقه الله :

« **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** »

التوبة آية/ ٣٤ـ٣٥ وليس الانفاق المأمور به مقصورا على إخراج الزكاة ، بل يمتد إلى تحريك المال وانفاقه لتنميته والصرف منه على وجوه الخير وما ينفع الناس ، وعدم حبسه وكنزه فإن المسلم مأمور بألا يكنز ماله ولا يمسكه عن التداول . لأنه لو فعل ذلك وأخرج زكاته فإن الزكاة تفنيه ولا يريد الاسلام ذلك فلو أن واحدا يملك ألف جنيه مثلا . وأمسكها ولم يخرجها للتداول ، ثم أخرج زكاتها ٢,٥٪ فان المبلغ لن يبقى منه شيء بعد فترة معينة،وقل ذلك في كل أنواع المال ، فان حبس المال ينقصه ، لذلك أمر الاسلام وصي اليتيم بأن ينمي له ماله يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة » الموطأ .

يجب على المسلم أن يخرج ماله للتداول فينتفع وينفع الناس به ، ويؤدى زكاته ، وبعض الناس يدفعه شحه إلى كنز المال وحبسه ، ومنعه من التداول وذلك سلوك غير إسلامى لأنه يحبس الخير عن نفسه وعن المجتمع ، بل يجلب الضرر على نفسه وعلى مجتمعه ويعرض نفسه لعقاب الله .

لهذا ذم الاسلام الشح ونهى عنه ، ودعا المسلم إلى أن يكون هو سيد المال لا أن يكون المال سيده ، فاستعباد المال للناس يجعلهم يضنون به حتى على أنفسهم وذلك يسبب الكساد الاقتصادى ، ولو فعل الناس جميعاً ذلك لانعدمت حركة البيع والشراء ، وبارت السلع وتعطل الانتاج وحدثت الأزمات وقل العمران ، وكل ذلك تدمير لا يقره الاسلام ولا يرضاه ، لهذا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعاسة والانتكاس على من يستعبده المال فلا يتقى الله فيه :

« تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصة ،تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش » رواه البخارى وابن ماجة .

وليس الغني وحده هو المأمور بالانفاق وسماحة النفس ونبذ الشح بل الفقير كذلك مأمور بالنفقة ما استطاع . يقول الله عز وجل :
« **لينفق ذو سعة من سعته ومن قُدِر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا** » سورة الطلاق آية/ ٧ .

وروى عدى بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
«اتقوا النار ولو بشق تمرة » متفق عليه .
إن إمساك المال وكنزه إذن شر ينهى الاسلام عنه،ويدعو الاسلام المسلم الى أن يحرر نفسه من عبودية المال ، فينفقه في وجوه الخير ، ويتداوله بما ينفع الناس ، ويؤدى زكاته ، فلا يغلبه شحه وبخله فيقع فيما حرّم الله . ولقد بشر الله سبحانه المنفقين بالخير والتيسير عليهم في الدنيا والآخرة ، وتوعد البخلاء الكانزين بالتعسير والعذاب يقول عز وجل :
« **فأما من أعطى واتقى • وصدق بالحسنى • فسنيسره لليسرى • وأما من بخل واستغنى •وكذب بالحسنى • فسنيسره للعسرى • وما يغني عنه ماله إذا تردى** » سورة الليل من آية/ ٥ ـ ١١ .
وأخبر الله سبحانه وتعالى أن المفلحين هم الذين تغلبوا على الشح وأنفقوا المال في وجوه الخير ، وأخرجوه للتداول ، ولم يحبسوه .
« **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** » سورة الحشر آية/ ٩ .
ولخطورة داء الشح وأثره في تدمير الاقتصاد ، وخراب العمران نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه مجتمع المؤمنين فقال .
« إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » رواه مسلم
والاسلام في دعوته إلى الانفاق وتحذيره من البخل ، لا يقصد الانفاق الاستهلاكي فحسب وإنما يقصد الانفاق المربح المنتج ليكون المال أداة تنمية وتقدم للمسلمين لاأداة رفاه و ـذخ وفساد ، فالاسلام يدعو إلى التدبير وينهى عن الاسراف ويدعو إلى العمل وينهى عن التكاسل ويدعو إلى استغلال المال الاستغلال الصحيح الذي يحقق رضا الله عن المسلم وخير الفرد والجماعة .
فإذا كان لدى المسلم مال منتج (رأس مال) فإن الاسلام يوجهه الى عدم تحويل هذا المال الانتاجي إلى مال استهلاكي ، فإن فعل خالف توجيهات الاسلام ولن يبارك الله تعالى في تصرفه هذا .
يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لا يبارك في ثمن أرض أو دار الا أن يجعل في أرض أو دار » وفي رواية (من باع دارا او عقارا فلم يجعل ثمنه في مثله كان قمينا ألا يبارك فيه) رواه احمد وابن ماجه .

وإذا كان الانفاق الاستهلاكي المسرف منهيا عنه في الاسلام لضرره فإن كنز المال ومنعه منهي عنه لضرره كذلك .

وكما أن الشح والحرص الأعمى على المال يدفعان الى الامساك فإنهما يدفعان كذلك الى التعامل بالربا ، فالبخيل يريد لماله أن يزيد ولو عن طريق الربا ، فيستغل حاجة الناس ، ويقرضهم بزيادة حرصا على المال وحبا فيه، والاسلام ينهى عن ذلك السلوك الآثم لما فيه من استعباد المال لصاحبه ، واستغلال حاجة الناس وأكل أموالهم بالباطل .

الاسلام يدعو الى التكامل والتعاون والتراحم ، والطهر والعفاف والقناعة والعمل والانتاج والتنمية ، والانفاق في وجوه الخير ، وتسخير المال لخير الناس وإسعادهم وينهى عن الغش والتدليس والاستغلال وجميع المنكرات ويدخل في المنكرات كل ما نهى الله ورسوله عنه من العقود المحرمة مثل عقود الربا والميسر ، ومثل بيع الغرر .. وربا النسيئة وربا الفضل .. وسائر انواع التدليس .

وأثر الربا محق البركة من المال ، وغضب الله وكراهية الناس وصدق الله العظيم إذ يقول : « **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرّم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ● يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم** » سورة البقرة آية/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦

يقول الشيخ سيد قطب ـ رحمه الله . (الصدقة عطاء وسماحة ، وطهارة وزكاة ، وتعاون وتكافل ، والربا شح ، وقذارة ودنس ، وأثرة وفردية ، والصدقة نزول عن المال بلاعوض ولا رد،والربا استرداد للدين ومعه زيادة حرام مقتطعة من جهد المدين أو من لحمه .

من جهده إن كان قد عمل بالمال الذي استدانه فربح نتيجة لعمله هو وكده . ومن لحمه إن كان لم يربح أو خسر ، أو كان قد أخذ المال للنفقة منه على نفسه وأهله ولم يسترbحه شيئا .

ومن ثم فهو ـ الربا ـ الوجه الآخر المقابل للصدقة الوجه الكالح الطالح،إلا أن منهج الاسلام في المال هو منهج الاسلام في الحياة قوامه الحق والخير والعدل وطريقه العمل المخلص الشريف ، وهدفه خير البشر وغايته رضا الله رب العالمين ومصدر منهاج الاسلام في المال والحياة هو كتاب الله وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وآراء الفقهاء المجتهدين المستنبطة من الكتاب والسنة والله ولي التوفيق .



مِن خلال مشاعر الحج

للدكتور/ محمود محمد عمارة

تقديم :

يقول الشاعر العربي :
متى يبلغ البنيان يوما تمامه
اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

انها قصة الصراع بين القيم المادية . والقيم الروحية :

الاتجاه المادي في الحياة يستهدف اغراق الانسان في متع حسية تنسيه دوره الرئيسي في الحياة . بمقدار ماينمي فيه مشاعر الأنانية فلايهتم إلا بذاته . وبعدها فليكن الطوفان .

وتلك نقطة الاختلاف بين القديم والجديد :
بين القيم التي تخاطب العقل .. وتلك التي تتملق العاطفة .
بين « مقرر » مفروض عليك استيعابه واستذكاره .. لتمتحن فيه .. وبين الصور الملونة .. المتجددة .. والتي توافيك ساعة فراغك ولن تكون مادة تمتحن فيها ! ..
بين علوم قيمة .. تنتزعك من مخدعك . لتذهب إليها على جسر من التعب . ثم لتسهم بها في ترقية أمتك .

الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام المادي



وبين صور تطرق عليك بابك . بل وتدخل عليك مخدعك . وبلا استئذان .

إنها قصة المربي : الذي يغرس في قلبك أصول الأخلاق . ورجل الدنيا الذي يتهدد هذه الاصول . حين يلهي تلك القلوب عن ذكر الله تعالى بما يبدده من طاقة معدة أساسا للنهوض بالانسان في معركة لاينتصر فيها إلا الأقوياء !

الحج قبل الاسلام وبعده :

وفي قصة الحج على مدار الزمان نموذج لهذا الصراع الذي انتهى أخيرا لصالح الانسان في ظل الاسلام . ولكن .. كيف ؟

لقد كانت للعرب تجاوزات وصور سموها حجا .. وليست من الحج في شيء :

١ ـ كانوا يجتمعون في موسم الحج في مظاهرات إعلامية يتسابق فيها الشعراء . يفاخر كل شاعر أو خطيب بأمجاد قبيلته . وكان الشاعر أو الخطيب يمثل صحيفة بمنطق العصر ـ تدافع عن الحزب بالحق وبالباطل .

٢ ـ وكان شيوخ القبائل يتنافسون في ذبح النوق .. وايهم يذبح اكثر تسير بذكره الركبان .. إلى جانب أنهم كانوا إذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربى إلى الله تعالى . وعلى دقات الطبول .. والغناء والرقص .. كانوا يسهرون الليل في مجالس خالية من ذكر الله .

٣ ـ كان الرجال والنساء يطوفون بالبيت عرايا بلاحياء .. وربما فلسفوا ذلك التصرف الآثم قائلين :
هكذا ولدتنا امهاتنا .. وسوف نذهب إلى الله كذلك ..
٤ ـ وحتى اذا ذكروا الله تعالى ذكروه مع شريكه ـ تعالى الله عما يقولون ـ كانوا يقولون (لبيك اللهم لبيك) لاشريك لك الا شريكا هو لك . تملكه وماملك .
٥ ـ استهتروا بالأشهر الحرم فكان النسيء زيادة في الكفر .

موقف قريش :

٦ ـ وكانت لقريش مواقف خاصة في موسم الحج . تتسم بالتعصب وضيق الأفق . إلى الحد الذي يشكل عدوانا على شعائر الله تعالى في الحج (فقد وقفت مع حلفائها موقفا خاصا في المزدلفة لايجاوزونها الى عرفات .. وكانت لهم من ناحية أخرى مظاهر إعلامية يتحدثون فيها عن الآباء والأجداد وما كانوا يتقلبون فيه من النعيم .

روى ابن عباس : أن العرب كانوا عند الفراغ من حجتهم بعد أيام التشريق يقفون بين مسجد منى والجبل . ويذكر كل واحد منهم فضل آبائه وأجداده . وربما قال أحدهم : اللهم ان ابي كان عظيم القبة . عظيم الجفنة . كثير المال . فأعطني مثلما اعطيته . فلايذكر غير أبيه .

واذا مادعا احدهم قال :
اللهم اجعله عام غيث . وعام خصب . وعام ولاد حسن . لايذكر من امر الاخرة شيئا . وكان المشرك يدعو فيقول .. أسقنا المطر .. وأعطنا عدوك الظفر .

ملامح الاعلام المادي :

واذا رحنا نتأمل هذه المظاهر الخداعة . بدت لنا ملامح الاعلام الذي يجعل المادة غاية ووسيلة .. مستدبرا قيم الايمان العاصم من الزلل ومن هذه الملامح .
١ ـ الاعتزاز بالقديم .. لمجرد أنه قديم .
٢ ـ التعصب للجنس .. أو الوطن .
٣ ـ تحكم القوى العابثة في مصائر الناس .
٤ ـ التطلع الى مزيد من المتعة الحسية .
٥ ـ الغفلة عن ذكر الله تعالى . وقيم الايمان .
٦ ـ محاولة كل فريق أو تجمع اثبات وجوده . ولو على حساب الاخرين بل انه أولى بالحياة من الاخرين ..
٧ ـ وفي غمرة هذا التنافس يزداد التمزق .. ومن خلال هذه المفاخرة الطائشة ومن ورائها دوافعها الحادة .. يزداد الانسان طلبا لمتع الحياة .. وكلما زادته فنونا زادته فتونا .

خطورة الاعلام المادي

من أهداف الاعلام المادي محاولة اختراق الأسوار والتأثير في قلوب المجتمع الاسلامي .. التي يمكن أن تستجيب له على الأقل في فترة من زمان .

فقد ذكر البيضاوي أن المشركين لما لطخوا الكعبة بدماء الذبائح هم المسلمون بتقليدهم فنزل قوله تعالى :

(لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)

وفي موسم الحج مر « أبي بكر » رضى الله عنه على جماعة من حلفاء قريش فقالوا له : إلى أين وهذا مقام أبائك وأجدادك .. فلا تذهب . فلم يلتفت اليهم ومضى بأمر الله تعالى إلى عرفات . ووقف بها . وأمر سائر الناس بالوقوف بها دون المزدلفة التي جعلتها قريش موقفا لها تعسفا وجهلا .

ولئن استمسك أبو بكر بالحق فإن إخوة له في الاسلام وقعوا في الشرك المنصوب . بعد أن أكرمهم الله تعالى بالاسلام .

تكاثر « بنو حارثة » و« بنو الحارث » ـ من الانصار ـ فقالت احداهما : فيكم مثل فلان .. أبن فلان ؟

وقال الآخرون مثل ذلك . تفاخرا بالأحياء .

ثم قالوا : انطلقوا بنا الى القبور . فجعلت إحدى الطائفتين تقول : فيكم مثل فلان ..

يشيرون إلى القبور .

وفعل الآخرون مثل ذلك .

فأنزل الله تعالى :

(الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) .

وقد تكرر الموقف فيما يشبه ما تفعله أجهزة اعلام مغرضة تردد مثل ما قال الأولون افتخارا وبطرا .

فكل دولة ـ لا سيما الدول الكبرى ـ تسلط أجهزتها في حملات إعلامية ضارية تحاول بها تخدير أمم الاسلام بما تشيعه عن قوتها . ومخترعاتها . وأبطالها .

تماما كما قال أباؤهم الاولون في معرض التكاثر :

نحن أكثر سيدا . وأعز عزيزا . وأعظم نفرا . وأكثر قائدا .

القرآن في مواجهة الاعلام المزيف

ونطالع خصائص التوجيه القرآني وهو يفند هذا الاعلام المزيف .

والقرآن بصفة عامة يوجه الأنظار الى أن موسم الحج فرصة ذهبية . يتزود فيها المسلم بالقيم الاصيلة التي لا رقي للأمم الا بها . ولا كرامة للانسان الا في ظلها . ولقد شهد الأعداء فعلا بأهمية هذا التجمع المبارك .

وظهر ذلك جليا في العام الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث كان عيدا للامة ينبغي أن تذكر فيه نعمة إكمال الدين وإتمام النعمة .
جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال :
ياأمير المؤمنين . انكم تقرأون آية في كتابكم . لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا .
قال : وأي آية هي ؟
قال : قوله تعالى :
(اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) المائدة/ ٣١
فقال عمر : والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عشية عرفة . في يوم جمعة .

خصائص الاعلام الاسلامي

وقد نزلت الآيات الكريمة مفندة مواقف القوم . مصححة مفهوم الحج .. كاشفة في نفس الوقت زيف ما يصنع المبطلون :
ففيما يتعلق بالتفاخر بالذبح :
فقد شددت الآيات الكريمة الحملة على ما كانوا يذبحونه او ينفقونه تفاخرا .. وذلك قوله سبحانه :
(والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين) الحج/ ٣٦و ٣٧
فالابل من شعائر دينه سبحانه وتعالى التي جعل لكم فيها منافع دينية ومنافع دنيوية . ولا قيمة لذبحها إلا اذا ذكرتم الله عنده فقلتم :
(الله اكبر . لا اله الا الله . والله إكبر . اللهم منك واليك . فاذكروا الله تعالى عند ذبحها وهن صافات قد صففن أيديهن وارجلهن)
فاذا سقطت على الأرض مذبوحة فكلوا منها وأطعموا القانع الراضى بما يأخذ دون مسأله وكذلك المعتر الذي يعترض ويسأل فاشكروا نعمة تسخيرها من قبله

تعالى . نعمة التمكن منها والانتفاع بها ذاكرين حقيقة مهمة وهي :

إن رضاء الله تعالى لا ينصب على مجرد اللحوم والدماء . ولكن الذي يرضيه سبحانه هو الدوافع الشريفة التي تسوق الى العمل الطيب . وهكذا تستل الآيات

من قلوبهم دوافع الترف والاستعلاء . لتغرس مكانها ملكة التقوى الموجهة الى التي هي أقوم .

أما عن التفاخر بالآباء . والتعنت في ممارسة الشعائر . فتقرأ قوله تعالى :

(ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم . فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم أباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنه وقنا عذاب النار.أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب) البقرة/ ١٩٩و ٢٠٢

تأمرهم الآيات الكريمة بالافاضة من عرفات كما يفيض بقية الناس الذين هم واقفون بعرفات . ثم ترشدهم الى الاستغفار :

(واستغفروا الله) ..

إنهم عندئذ في مساقط الرحمة ومن الحكمة أن يتعرضوا لها . إن الاستغفار عملية تخلية من آصار الماضي . تجيء بعدها التحلية بالطاعة على أساسها المتين . وحتى اذا لم تكن للانسان خطايا فان العمر طويل .. والواجبات كثيرة . فالاستغفار ضرورى ليواكب هذا القصور المحتمل فيمحوه .

لا بأس أن يذكر الانسان أباه .. وجده .. ولكن الحقيقة التي تفرض نفسها هي ما أجمل الدين السمح .. في الرجل السمح . وما أجمل الجنس الكريم .. في الرجل الكريم . فأكرم من ليس من جنسك .. يكرم جنسك عليه .

والقرآن الكريم لا ينتزع القوم أنتزاعا من هذه المظاهرة التي كانوا يقيمونها في موسم الحج .. بيد أنه تلطف بهم .. فعالجهم بالحكمة .. وصولا بهم الى أفق الاسلام الأعلى .. وذلك قوله عز وجل : « فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم أو أشد ذكرا » .

ان الاستغراق في الماضي .. ومحاولة البحث عن مثل ما ذاقه الآباء من صور النعيم .. وقوف بالنفس عند حظوظها المادية .. يقدر ما هو تجاهل لنصيبها من غذاء الروح .

واذا سوغ المنطق لهم ذكر ابائهم لأنهم سبب وجودهم .. فان هذا الوجود نفسه من عند الله تعالى ابتداء .. وإن ما تقلبوا فيه من النعيم هو منحة منه سبحانه .. واذن .. فهو أولى بالذكر منهم ..

والقرآن الكريم لا يقطع تواصل الأجيال هنا .. فان حسن الصلة من أعظم وصاياه . لكنه يثير فيهم الحماس .. ليسيروا في الاتجاه الصحيح .. قبل ان يكونوا صورة مكرورة لحياة أبائهم بلا جديد يضيفونه الى المجتمع زكاة يؤدونها .. والموقف السليم : أن تمتد بالولد آماله ليكون لأبيه عمرا ثانيا .. وأن تستيقظ في نفسه أشواقه الرامية الى استحضار عظمة الخالق سبحانه . ولا يتم ذلك الا بذكر الله تعالى .

و المسلم إزاء هذا الدرس القرآني لم يخلق ليبدد طاقاته في متاع موصول يجدد به الماضي .. بل أن له رسالة تفرض عليه أن يرتفع إلى مستواها فيكسر من شهوة الطعام في نفسه .. ويقاوم كل رغبة تهبط به إلى أسْفل .. ليبقى في العمر متسع لعمل صالح يخلد به .

والقرآن الكريم هنا يثير في النفوس الاحساس العميق بأحقيته تعالى بالذكر .. وحده .. وان لم تمنع الآية الولد من ذكر أبيه : « كذكركم آباءكم .. أو أشد ذكرا » وتلك هي النتيجة المؤكدة من الناحية العملية :

١ ـ إن مفاخر الأباء قليلة .. وقصيرة العمر .. أما كمالات الله تعالى فلا تتناهي .. فلابد من ذكر يكافيء كمالها ..

٢ ـ إن غضبك لله إذا عصى يجب أن يكون أشد من غضبك لأبيك إذا شتم .

٣ ـ هل يرضى أحدكم ان ينسب أبوه الى نقص ؟ فكيف بالخالق سبحانه ؟

وإذن فهو احق بالذكر منهم قطعا ، وكما يقول المفسرون ان ذكر الاباء مؤد بك الى خطر يتهدد وجودك حتى في حالة صدقك .. يقول الرازى : (ان ذكر مفاخر الآباء إن كان كذبا فذلك يوجب الدناءة في الدنيا . والعقوبة في الآخرة . وإن كان صدقا فذلك يوجب العجب . والكبر وكثرة الغرور . وكل ذلك من أمهات المهلكات . فثبت أن أشتغالكم بذكر الله أولى من اشتغالكم بمفاخر آبائكم .

وكلام الامام الرازى هنا مشمول بالحقيقة القرآنية التي ترجع إلى ذكر الله كل نهضة مادية وأدبية .. وأن الأمة الذاكرة الشاكرة تضع بالذكر أقدامها على طريق الصعود .. في الوقت الذي تنحدر فيه الأمة الغافلة الى أسفل سافلين جزاء وفاقا : يقول سبحانه (**ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى**) طه/١٢٤ .

ومهمة الشيطان الكبرى إلهاء الانسان عن ذكر الله .. ولا يتيسر له ذلك الا أذا أعطاه الانسان زمامه : (**ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين**) الزخرف/٣٧ .

من أجل ذلك يهيب الله تعالى بالذين آمنوا ليتنبهوا فلا يقعوا في الشرك المنصوب : (**ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق**) الحديد/١٦ .

وحرى بالايمان أن ينجو بهم من كيد الشيطان الذي استحوذ على آخرين حرموا ذلك الايمان : (**استخوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله**) المجادلة/١٩ .

إن اتجاه الاعلام الدولي اليوم إلى غاية من السراب .. لا يجد الانسان عنده شيئا .. ولكنه يواجه بالعقاب ثم العذاب .. لقد أقام وجوده على التفاخر . وتزيين الرذيلة .. والتكاثر بالقومية .. والأمجاد التي لا تصبر على النقد الصحيح . وتلك سمة بارزة يتفرد بها الاعلام حين ينفصل عن القاعدة الايمانية ، هذه القاعدة التي يعمق القرآن أصولها ويثبت في النفوس جذورها حتى لا تزل قدم بعد ثبوتها .. وذلك عن طريق :

أ ـ العبادة التي تكسر النفس .. وتزيل ظلمتها ـ كما يقول العلماء ـ وهذا هو الاستغفار .

ب ـ وبعد العبادة يأتي الذكر .. تنويرا للقلوب .. الذي تتجلى فيه انوار الحق .

جـ ـ ويأتي بعد ذلك الدعاء .. ليظل القلب مشدودا إلى خالقه فلا يوكل إلى نفسه طرفه عين .

الدعاء

ذكرت الآيه الكريمة من الداعين صنفين اثنين : « **فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الاخره من خلاق . ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار** .. البقرة ٢٠٠ / ٢٠١

طلاب الدنيا

إنهم لا يطلبون شيئا محددا .. وإنما يتمنون كل شيء .. المهم أن يؤتى .. وبلا حساب للعواقب .. كما يفيد حذف المفعول .. مع أن طاقة الانسان محدودة .. وعمره قصير . لا يمكنان من تحقيق الامال .. كما وليس لهم رصيد من العمل يرشحهم لهذا الدعاء !

إن طلب المتعة هكذا دليل على شره يتطلع إلى كل مرغوب .. ومن أي سبيل .. ولو كان معصية الله تعالى .. وبأي ثمن .. ولو كان هو كرامة الانسان !
وهو المعنى المراد من حرف الجر « في »

أي : في الدنيا .. مستغرقين فيها .. ومن ثم فلا يسمعون . ولا يبصرون .
وفقدوا بذلك وجودهم الاجتماعي .. حين طلبوا كل شيء متجاهلين إخوانهم من حولهم .. والذين يريدون مثلهم الحياة .. ولن تتيسر لهم الحياة والمترفون هكذا يفتحون أفواههم في محاولة لالتهام أرزاق الآخرين !!
ولكن العقلاء من المؤمنين لهم موقف آخر :

إنهم مثلهم يطلبون الدنيا .. ولكنهم يطلبون أحسن ما فيها .. وإذا كان الأولون قد ذهبوا بطيباتهم في الدنيا فلم يبق لهم في الآخرة نصيب ..
فإن المؤمنين دونهم : (لهم نصيب مما كسبوا) نصيب لا يأتيهم جزافا .. وأنما هو ناشيء من كسبهم .. وهم واضعو أساسه با لعمل .. فجزاؤهم من جنس عملهم .
إنهم يقدمون على ربهم بالباقيات الصالحات .. والتي تمنحهم الخلود في الجنة ..
لقد تركوا وراءهم تلك القباب .. وجفانا كالجواب .. وبقيت النوايا الطيبة مترجمة إلى أعمال صالحة . هى اليوم ظلهم الظليل .. وعمرهم الطويل .

وبهذا المنهج الرباني الحكيم أمكن ـ على ما يقول الرازي : « تحويل القوم عما إعتادوة بعد الحج من ذكر التفاخر بأحوال الآباء . لأنه لو لم ينه عن ذلك بإنزال هذه الآية لم يكونوا ليعدلوا عن هذه الطريقة الذميمة » .

فاذا ضمت الآيات الكريمات الى أمثالها في كتاب الله تحققت الغاية المنشودة من وراء ذلك كله وهى :

قهر النفس ، ومحو آثار النفس والطبيعة . ثم هذا العزم ليس مقصودا بالذات ، وإنما المقصود منه أن تزول النقوش الباطلة عن لوح الروح . حتى يتجلى فيه نور الله .

وبعد : فإن الاعلام الدولي اليوم إنما هو صورة مكبرة للاعلام في بواكير الحياة الأولى .. في أهدافه .. ووسائله وحبائلة !

ولهذا السبب نفسه تدور المعركة ـ كما أشرنا في المقدمة ـ بين رجال التربية البناة .. وبين الذين يعاكسون اتجاههم الراشد ..

والأمة الاسلامية مطالبة بوعي هذه الدروس القرآنية وفاء لدينها .. وانتصارا على عدوها ولتكن معركة مباركة يقف فيها الاعلام الاسلامي على أصوله التربوية المستمدة من كتاب الله تعالى :

١ ـ استغفار .. نتخلص به من خطايانا تخلصا نطهر به نفوسنا .
٢ ـ ذكر الله تعالى .. تصطبغ به برامجنا وأعمالنا الفنية والعملية .. حتى لا نضل .. فنزل ..
٣ ـ دعاء متجدد لا يسمح لمشاعر الغرور أن تشوش علينا .. ليبقى الحول والطول والقوة .. لله جميعا .

ليشهدوا منافع لهم

للاستاذ / احمد محمود أبوزيد

● العبادات في الاسلام ليست مجرد مظاهر وشعائر يؤديها المسلم لمجرد أنها مفروضة عليه من ربه سبحانه لا لشيء إلا الاذعان والخضوع والامتثال لأوامره وإظهار العبودية له ، ولكن العبادات وهي جانب هام من جوانب الاسلام تحمل في حقيقتها معاني كثيرة ، وأخلاقيات حسنة ، وفوائد اجتماعية كريمة ومتعددة ، تعود على المسلم وعلى المجتمع بالخير الكثير ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتجمع بين المسلمين وتقوي الروابط الاجتماعية بينهم ، وتساعد في تعارفهم وتآلفهم . والزكاة عطاء وبذل وتكافل اجتماعي وتقوية للصلة بين الأغنياء والفقراء ، وحماية للمجتمع من روح الكراهية والبغضاء والحقد وكل ضروب الشر ، وهي حل لمشكلة الفقر التي تعد من أعتى المشكلات .

● والصوم ليس مجرد الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ولكنه يربي في المسلم فضيلة التقوى والصبر وقوة الارادة والعزيمة ، ويعوده على مجاهدة النفس والشهوات ، والتحلي بمكارم الأخلاق ، كما يربي فيه صفة المراقبة والانضباط الذاتي وهي من أهم الفضائل الاجتماعية وأجلّها .

وإذا ما نظرنا إلى الحج ـ وهو موضوع حديثنا ـ نجده عبادة لها تميزها الخاص عن بقية العبادات ، فهو يؤدى في العمر مرة واحدة ولمن استطاع إليه سبيلا في حين أن العبادات الأخرى متكررة في حياة الانسان فمنها مايؤدى كل يوم كالصلاة ، ومنها مايؤدى كل عام كالصيام والزكاة ،

ومن هنا يأتي التميز لفريضة الحج ، وتأتي الفوائد والآثار والمنافع المترتبة عليها لتتناسب مع هذا التميز ، فقد أشار الحق سبحانه وتعالى إلى منافع الحج في قوله تعالى : **(وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام)** الحج /٢٧ ، ٢٨ .

ثم تجد سورة من القرآن الكريم تحمل اسم هذه الفريضة وهي سورة الحج وهذه خصوصية أخرى تنفرد بها عن بقية الفرائض ، ولعل هذا التميز يعود إلى أن الحج يعد من أصعب الفرائض وأشقها ، فإذا كانت الصلاة والصيام يؤديان بالنفس ، والزكاة تؤدى بالمال فإن الحج يؤدى بالنفس والمال ، هذا إلى جانب ترك الأهل ومشقة السفر طال أم قصر ، ولعل ذلك ماجعل الحق سبحانه يقصر هذه الفريضة على المستطيع فقط في

قوله تعالى : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)** آل عمران / ٩٧ واخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن عمر انه قال : « بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا » متفق عليه .

● رحلة إيمانية ●

والحج ليس مجرد رحلة عفوية يبدد فيها المسلم وقته وجهده وماله ولكنه رحلة روحية إيمانية تتجلى فيها الفوائد والمنافع الخلقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . فبجانب المنافع الأخروية التي تعود على المسلم

من هذه الرحلة حيث يعد الحج المبرور مغفرة لذنوبه فقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .

فإن في الحج منافع دنيوية كثيرة ، فنجده يقوي روح المساواة التامة بين الناس حيث يتجرد الجميع من ملابس الزينة ، ويرتدون ثيابا واحدة لايعرف بينهم الغني من الفقير ، ولا الوزير من الغفير ، ولا الرئيس من

المرؤوس ولا السيد من المسود ولا العربي من الأعجمي فالكل سواسية أمام الحق سبحانه يؤدون شعائر واحدة ، ويلبون كلهم بدعاء واحد قائلين : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك لبيك » .

وروح المساواة هذه هي التي حرص الاسلام منذ اللحظة الأولى على بثها بين الناس فلا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى ، والكل تجمع بينهم روابط الاخوة الاسلامية وتختفي بينهم عوامل الدم والعرق والنسب ودعوات العصبية والقبلية (**ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير** » الحجرات / ١٣ . وهذه المساواة ليست شعارا فارغ المضمون ولكنها مساواة عملية فقد آخى الاسلام بين عمر بن الخطاب وبين بلال الحبشي ، وصنع من العبيد والموالي قادة سادوا العالم وقادوا الحروب والغزوات أمثال زيد بن حارثة وصهيب الرومي وسلمان الفارسي .

وبجانب هذه المساواة المتجلية في الحج فإن فيه منافع اقتصادية متعددة حيث يعد مجالا واسعا للتجارة والبيع والشراء وتبادل المنافع بين المسلمين ولاشك ان تجمع الحجيج وتعاملهم مع بعضهم البعض يساعد في التعارف والتآلف بينهم على اختلاف أجناسهم وألوانهم .

● المنافع السياسية ●

وبجانب كل هذا فإن في الحج منافع سياسية تعود آثارها على الأمة الاسلامية جمعاء حيث يعتبر الحج مؤتمرا سياسيا كبيرا يعبر عن وحدة المسلمين وتماسكهم فإذا كانت الصهيونية العالمية قد تعاونت مع الاستعمار في القضاء على الخلافة الاسلامية التي كانت رمزا لوحدة المسلمين واجتماع شملهم وكلمتهم ، حتى تفرقت الأمة وتمزقت إلى دويلات وشيع وأحزاب متصارعة لاتجتمع كلمتهم ولاتتوحد صفوفهم ، فإن في الحج عوضا لهم ولو بالقدر اليسير حيث يجمع بين الشعوب الاسلامية من كل بقاع المعمورة في مكان وزمان واحد وبدعوة من الله سبحانه .

وجدير بهذا التجمع الايماني أن يؤلف بين قلوب قادة الدول الاسلامية وساستها التي عجزت المحافل الرسمية أن تجمع بينهم في لقاء أو اجتماع ، وفي هذا التجمع الكبير يتم استعراض قضايا المسلمين ومشكلاتهم ومناقشتها وتبادل الآراء والمشاورات حولها للوصول إلى الحلول الجذرية لها ، كما يتم فيه عقد الاتفاقيات والمعاهدات وإذابة الخلافات والصراعات بين الشعوب الاسلامية . وفي هذا الصدد يقول الداعية الاسلامي الشيخ محمد الغزالي : إن يوم عرفة يوم من مفاخر الاسلام لأن المسلمين يحتشدون فيه هناك،مايعرف بعضهم بعضا ، فالمسلم الذي يعيش على شاطىء الأطلسي في الرباط أو في داكار أو في لاجوس في نيجيريا يلتقي بالمسلم القادم من أندونسيا أو الفلبين . ولذلك كان هذا اللقاء الجامع فرصة لتوجيه المسلمين إلى ماينفعهم

● حجة الوداع ●

ففي حجة الوداع كان النبي صلى الله عليه وسلم يشعر أن هذه الحجة آخر لقاء بينه وبين الناس لذلك كان يقول « أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا » .

« تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي » « أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت » رواه ابن هشام في السيرة .

ولقد كانت حجة الوداع هذه مليئة بما يمكن أن يسمى بالتقرير الحقيقي لحقوق الانسان ، وحريات الشعوب ، وعالمية البشر ، والقواعد الانسانية النبيلة وحسن العلاقة بين الرجل والمرأة وأمور أخرى كثيرة . وفي حجة أبى بكر التي حجها بالناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم تقرر فيها إلغاء المعاهدات غير المتكافئة بين المسلمين وغيرهم ، وتقرر إلى جانب هذا تنظيف المجتمع الداخلي للأمة الاسلامية من المشركين ومنع طواف العرايا بالبيت العتيق ، وانطلق المنادون وسط مضارب الخيام ومجامع الحجيج وملتقيات الناس يقولون « ألا لايحج بعد العام مشرك ولايطوف بالبيت عريان » اخرجه البخاري

فقد كان الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم يستغلون موسم الحج استغلالا سياسيا عظيم الشأن حتى أن عمر بن الخطاب كان يستقدم عماله وولاته في موسم الحج ويحاسبهم على أعمالهم ويشاورهم فيما يحتاجون اليه من أمور وذلك على ملأ من جماهير المسلمين .

فما أحوج الأمة الاسلامية اليوم إلى استثمار موسم الحج واغتنام فرصته في عقد المؤتمرات واللقاءات التي تناقش قضايا المسلمين وتعمل على توحيد كلمتهم ولمّ شملهم وتنظيم صفوفهم وتحقيق التعاون والتكامل بينهم .

● مكر الاعداء ●

ولقد أدرك أعداء الاسلام منزلة الحج ودوره في تجميع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم فوجدنا بعضهم يتعرض لهذه الفريضة في كتاباته مقرنا حديثه عنها بحديثه عن الخلافة التي قتلت شر قتلة على يد مصطفى كمال اتاتورك عام (١٩٢٤)م وبإيعاز من الاستعمار فيقول « لو ثروب ستودارد في كتابه » حاضر العالم الاسلامي :«لقد غلب على رأي الكثيرين من رجال الغرب أن الخلافة لا الحج العامل الأكبر والأشد الذي بسببه يتشارك

المسلمون ميولا وعواطف تشاركا مؤديا إلى الاعتزاز بالوحدة وازدياد منعتها وامتدادها وانتشارها . ولكن الأمر على الضد من ذلك فإن محمدا (في زعمه وليس الله) قد فرض الحج على من استطاعه فرضا مقدسا لذلك مازالت مكة المكرمة حتى اليوم مجتمعا يجتمع فيه كل عام أكثر من مليون حاج وافدين من كل رقعة من رقاع العالم الاسلامي ، وهناك أمام الكعبة المقدسة في مكة المكرمة يتعارف المسلمون على اختلاف الألسنة والأجناس ويتبادلون العواطف الدينية ويتباحثون في الشؤون الاسلامية .

إن الأغراض الاسلامية التي ينالها المسلمون على يد الحج معلومة لاتحتاج إلى كبير ايضاح بل يكفي أن نقول : إن الحج هو المؤتمر الاسلامي السنوي العام الذي فيه يتباحث نواب المسلمين الطارئين من أقطار المعمورة في مصالح الاسلام وفيه يقوم هؤلاء بوضع الخطط ورسم الطرائق للدفاع عن بيضة الاسلام والذب عن حياض المسلمين ونشر الدعـوة في سبيل الرسالة » .

فأعداء الاسلام لاينامون ولايغفلون عنا لحظة واحدة بل يتربصون بنا الدوائر لإبعادنا عن الاسلام وتفريق كلمتنا وضرب وحدتنا وتشتيت شملنا . ولاحياة للمسلمين ولاعزة لهم إلا باليقظة الواعية لما يدور حولهم ، وبالمحاولة الصادقة في العودة الى الاسلام عقيدة وشريعة حتى يتحقق فيهم وعد الله سبحانه بالاستخلاف والتمكن في الأرض :

« **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لايشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** » النور / ٥٥ .

وحتى تعود هذه الأمة كما كانت من قبل امة واحدة متماسكة قوية متقدمة تعلو فوق الأمم وتتفوق عليها بما لديها من هداية ونور • فما

أشد حاجتها إلى استغلال موسم الحج في معالجة المشكلات ومناقشة قضاياها الحيوية كقضية فلسطين والحرب العراقية الايرانية ، والخلافات والصراعات بين الأنظمة العربية والاسلامية . فاذا ماتحقق لقادة الأمة ذلك وخرجوا من حجتهم بحلول بناءة لهذه القضايا فقد بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة وكشفوا الغمة التي طال زمانها على هذه الأمة حتى ضعفت وتأخرت وتداعت عليها الأمم واحتلت أرضها ونهبت خيراتها ، وأما إذا كانت الأخرى فما في أيدينا إلا أن ندعو الله سبحانه أن ينصر هذه الأمة ، ويوفق حكامها وأبناءها إلى مافيه خيرها وعزها وتقدمها .. وهو نعم المولى ونعم النصير .

مائدة القارئ

بيت الله الآمن

قال تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ».

الآيتان ٩٦ و ٩٧ من سورة آل عمران

المرء مع من أحب

روي أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم : متى الساعة يا رسول الله ؟! قال : (ما أعددت لها ؟) . قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله . قال : (أنت مع من أحببت) .

دعاء للحاج

قال الشافعي : ـ وأحب كلما حاذى الحجر الأسود ـ أن يكبر ، وأن يقول في رمله : « اللهم اجعله حجا مبرورا ، وذنبا مغفورا ، وسعيا مشكورا » .

ويقول في الطواف عند كل شوط : « رب اغفر وارحم ، واعف عما تعلم ، وأنت الأعز الأكرم اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه كان يقول بين الركنين : « اللهم قنعني بما رقتني ، وبارك لي فيه ، واخلف علي كل غائبة بخير »

تحية لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)

فإذا فرغ من الصلاة ـ أي تحية المسجد ـ اتجه إلى القبر الشريف ، مستقبلا له ومستدبرا القبلة ، فيسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا :

السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا نبي الله ، السلام عليك يا خيرة خلق الله من خلقه ، السلام عليك يا خير خلق الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا سيد المرسلين ، السلام عليك يا رسول رب العالمين ، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين .

أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه .

وأشهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت في الله حق جهاده .

بين يدي الدعاء

حتى يكون دعاؤنا أقرب إلى الاجابة ، ينبغي أن نقدم بين يديه الطاعة لله سبحانه وعبادته ، ثم ذكر الله تعالى وتسبيحه ، ثم يأتي الدعاء في المرتبة الثالثة

إن ابراهيم عليه السلام عندما أراد أن يدعو ربه قدم الذكر فقال : « الذي خلقني فهو يهدين » . ثم قال : « رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين » .

الصاحب في الغربة

تعلموا العلم فان تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة ، وبذله لاهله قربة . والعلم منار سبيل أهل الجنة ، والانيس في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء .

(معاذ بن جبل)

تصحيح آية

في مائدة العدد الماضي .. ورد خطأ غير مقصود في قوله تعالى : « واجعلني من ورثة جنة النعيم » حيث كتبت « جنة نعيم » . فلزم التنويه .

موكب النور

امام الروضة الشريفة بالمدينة المنورة

للاستاذ / محمود محمد بكر هلال

الحمد لله نلت اليوم غاياتي
وجئت روضة طه للتحيات

وحول بيت رسول الله قد غرقت
مواكب النور في نور النبوات

من كل فج أتى الزوار يدفعهم
حب المشفع مبعوث السموات

من مصر من تركيا والصين من عدن
ومن بخاري ومن أقصى المسافات

ومن نيجيريا وليبيا الكل في شغف
يطير بالقلب في أفق الضراعات

ومن جميع بقاع الأرض قد وفدوا
كالمد يزحف في موج المحيطات !!

هــذا يصــلي وذا يــدعــو وذا ثمــل
بــالحــب ينــهــل منــه فيض كــاســات

والكــل يســعــى ليحظــى عنــد روضتــه
بنفحــة مــن شــذا طــه بــروضــات

وحول منبــره والــروضــة ازدهــرت
مــواكــب شــاقــهــا المختــار بــالــذات

راحــت تصــلي لــعــل اللــه يمنحــهــا
مــاتبتــغــي مــن رضــاه بــين جنــات

ثــم انثنــت نحــو قبــر المصطفــى وغــدت
عــلى الحبيــب تصــلي في تجــلات



صلى لا له عليه كلما طلعت
شمس الغداة وغابت بالعشيات

فإنه سر هذا الكون أرسله
رب البرايا بقرآن وآيات

فأنقذ الخلق من جهل ومن ظلم
وحرر الناس في الماضي وفي الآتي

والآن تدرس أوروبا شريعته
وتنتقي من سناها ضوء مشكاة

يضيء ما أظلمت في كل ناحية
وتستقي منه أحكاما مضيئات !!

لعل فيها خلاصا من متاعبها
ومن أذاها ومن زيف وإعنات

فإنما دين طه للورى أمل
ومنقذ الكون من كل الضلالات

وسل رعاة البوادي كم اقام لهم
ملكا وشيد من أرقى الحضارات !!

وعلموا الناس حب الدين وانطلقوا
كالنور في الأرض يهدي كالمنارات !!

ودانت الفرس والأروام وانتهجت
سبيلهم فتسامت في المقامات !!

وشرعة الله مازالت منائرها
تهدي الحيارى وفيها خير منجاة

فسارعوا نحو هذا النبع وانتهلوا
فإن فيه شفاء الروح والذات

وفيه ري لمن تاهوا ومن ظمئوا
وفيه نهج لمن ضلوا المحجات !!

وذاك كالشمس في قلب النهار وهل
تحتاج شمس الضحى يوما لإثبات ؟

لاغرو فالدين مذ كان الوجود هدى
للناس وهو غياث في الملمات

ينظم العيش في كل الحياة على
اسمى القواعد من عدل ومرضاة

وليس فيه اعتساف أو مجاوزة
لأى حد سما من غير اعنات

قد جاء طه به للناس مرحمة
يهدي النفوس وتسمو بالجبلات

صلى لا له على طه وعترته
اهل التقى والهدى اهل الكرامات

وصحبه ومن استنوا بسنته
ما شع نجم « مضيء » في السموات

مكانة الحرمين الشريفين

أ . د . احمد عمر هاشم

للمسجد الحرام مكانته العظيمة في الاسلام فهو اول بيت وضع للناس وهو مقر الأمن (**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا**)
آل عمران ٩٦ و ٩٧

ويشير القرآن الكريم الى مكانة البيت الحرام في قول الله تعالى : (**جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم**) . (سورة المائدة : ٩٧)
فقد جعل الله تعالى البيت قياما للناس يقوم به أمر دينهم بالحج إليه وأمر دنياهم حيث أظله بالأمن فكان من دخله آمنا .. كما جعل سبحانه الأشهر الحرم قياما لهم بأمنهم القتال فيها .. واستجاب ربّ العزة سبحانه دعوة إبراهيم عليه السلام بالأمن والرخاء :
(**وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود * وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير**)
.سورة البقرة ١٢٥ و ١٢٦ .



لقد جعل الله البيت مثابة للناس يثوبون اليه ويرجعون اليه من كل جانب كما جعله مأمنا من الظلم ومن الإغارات التي تقع في أي مكان سواه .
لقد كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يزعجه ذلك ولا يهيجه . فضلا عن أن يقتله ـ وما ذلك إلا لحرمة البيت .
ولمكة المكرمة من الحرمة والعظمة مايجعل المؤمنين آمنين على عقيدتهم من الفتنة وآمنين على دمائهم أن تسفك ، آمنين على أموالهم أن تنهب وآمنين على أعراضهم أن تنتهك .
إنها حرم الله الآمن ومن أجل ذلك لا يحل حمل السلاح فيها عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (لا يحل لأحدكم ان يحمل بمكة السلاح) رواه مسلم .
ولكن ليس معنى هذا ان يترك البغاة دون عقوبة تردعهم او أن يفر اليها جان بدم أو ظالم أو قاتل أو معتد على الحرمات وعلى الأمن ثم يلجأ الى الحرم .. لا ، فإن الحرم لا يعيد عاصيا ولا فارا بدم . عن ابي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث الى مكة ائذن لي أيها الامير أحدثك قولا قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال .
(ان مكة حرّمها الله ولم يحرّمها الناس فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب) .
فقيل لأبي شريح ما قال لك عمرو قال : (أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح إن الحرم لا يعيد عاصيا ولا فارا بدم ولا فارا بخربة) رواه مسلم .
والخربة : تطلق على كل خيانة وفي صحيح البخاري انها البلية وقال الخليل .. هي الفساد في الدين وقيل هي العيب . وقال الترمذي ومعنى قوله

: (ولا فارا بخربة) يعني الجناية ، يقول : من جنى جناية او أصاب دما

ثم لجأ الى الحرم فإنه يقام عليه الحد . ولقد تبرأ رسول الله صلى الله

عليه وسلم من كل باغ يحمل السلاح على المسلمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حمل علينا السلاح فليس منا) (رواه البخاري) .

هذا وقد وجه الاسلام أتباعه إلى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعة أولي الامر . وامر حين تهب رياح الفتنة ان يلزم المسلمون الجماعة والإمام والا يتفرقوا بل عليهم ان يعتصموا بحبل الله جميعا .

(وقال حذيفة بن اليمان): كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة ان يدركني . فقلت يارسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر :

قال نعم : قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير : قال : نعم وفيه دخن (وهو الحقد وقيل : فساد القلب) .

قلت : وما دخنه . قال :(قوم يهدون بغير هدیي تعرف منهم وتنكر).

قلت :(فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها).

قلت : يارسول الله صفهم لنا قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا . قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت :

فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام : قال : (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك). (رواه البخاري) .

واذا كان لزوم جماعة المسلمين وإمامهم بهذه المثابة وهو أمر عام في جميع بلاد الاسلام . فما بالنا به في أشرف وأقدس بقعة على ظهر الأرض .. ما بالنا به في مهبط الوحي ومنطلق الرسالة ومنزل الملائكة وقبلة المسلمين إن لمكة المكرمة مكانتها التى لا تعادلها مكانة .

قال صلوات الله وسلامه عليه (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت رواه احمد وابن ماجه والترمذي وصححه .

وللمدينة المنورة على صاحبها افضل الصلاة والسلام وللحرم النبوي الشريف من المكانة والحرمة ما يشير اليه رسولنا صلوات الله وسلامه عليه حين دعا لأهلها وبين حرمتها وأن من أحدث فيها فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وعن أنس : ان النبي صلى الله عليه وسلم اشرف على المدينة فقال : (اللهم بارك لهم في مدهم وصاعهم) متفق عليه .

وللبخاري عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المدينة حرم من كذا الى كذا . لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) ولمسلم : عن عاصم الأحول قال :

سألت انساً : أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؟ قال : نعم هي حرام ولا يختلى خلاها فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين) وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن إبراهيم حرّم مكة واني حرّمت المدينة مابين لابتيها لا يقطع عضاهها ، ولا يصاد صيدها) رواه مسلم .

نعم إن من أحدث في الحرم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وان جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا هو ما حدده القرآن الكريم من العقوبة الرادعة لهم جزاء ماارتكبوه ، وعن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر فلما نزعه جاء رجل فقال : يارسول الله ابن خطل متعلق بأستار الكعبة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اقتلوه) رواه الأئمة الستة . قال مالك : قال ابن شهاب ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم محرما . ولمسلم : من حديث جابر (وعليه عمامة سوداء بغير إحرام) قال العلماء : انما قتله لأنه كان قد ارتد عن الاسلام وقتل مسلما كان يخدمه وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسبه وكانت له قينتان تغنيان بهجاء المسلمين وقال ابن عبد البر : فهذا القتل قود من دم مسلم ، وكذا قال الخطابي : لم ينفذ له رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمان وقتله بحق ما جناه في الاسلام .

وقال النووي : فإن قيل : ففي الحديث الآخر : (من دخل المسجد فهو آمن فكيف قتله وهو متعلق بالأستار .

فالجواب : أنه لم يدخل في الأمان بل استثناه هو وابن أبي السرح والقينتين وأمر بقتله وان وجد معلقا بأستار الكعبة .

فإن الله تعالى يقول في شأن المسجد الحرام (**ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم**) .

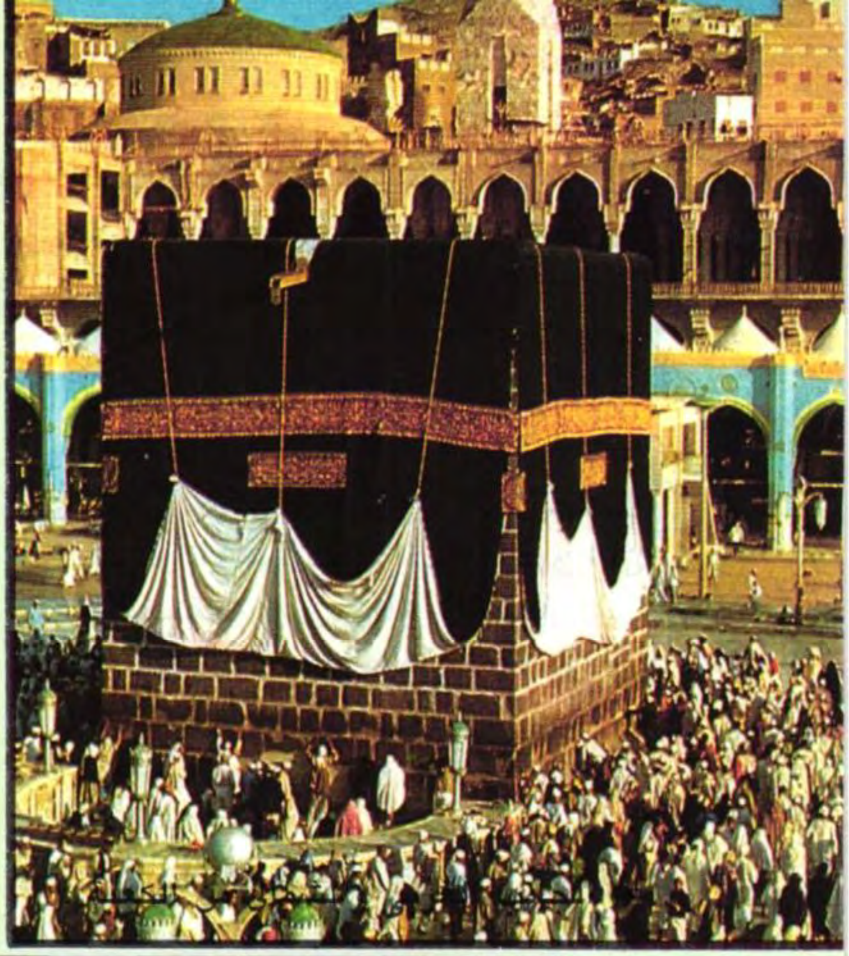
ونلاحظ انه لم يعين مفعول الفعل (يرد) ليعم وليتناول كل مخالف والمعنى ـ والله اعلم ومن يرد أي ذنب أو مخالفة للاسلام بسبب الظلم كالإشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب أليم . وقال العوفي عن ابن عباس (بظلم) هو أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من إساءة أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم . كما وضحت الآية أن من خصوصية الحرم أن يعاقب من يريد فيه الشر إذا كان عازما عليه وإن لم يوقعه ، فما بالنا بمن يوقعه .. ؟

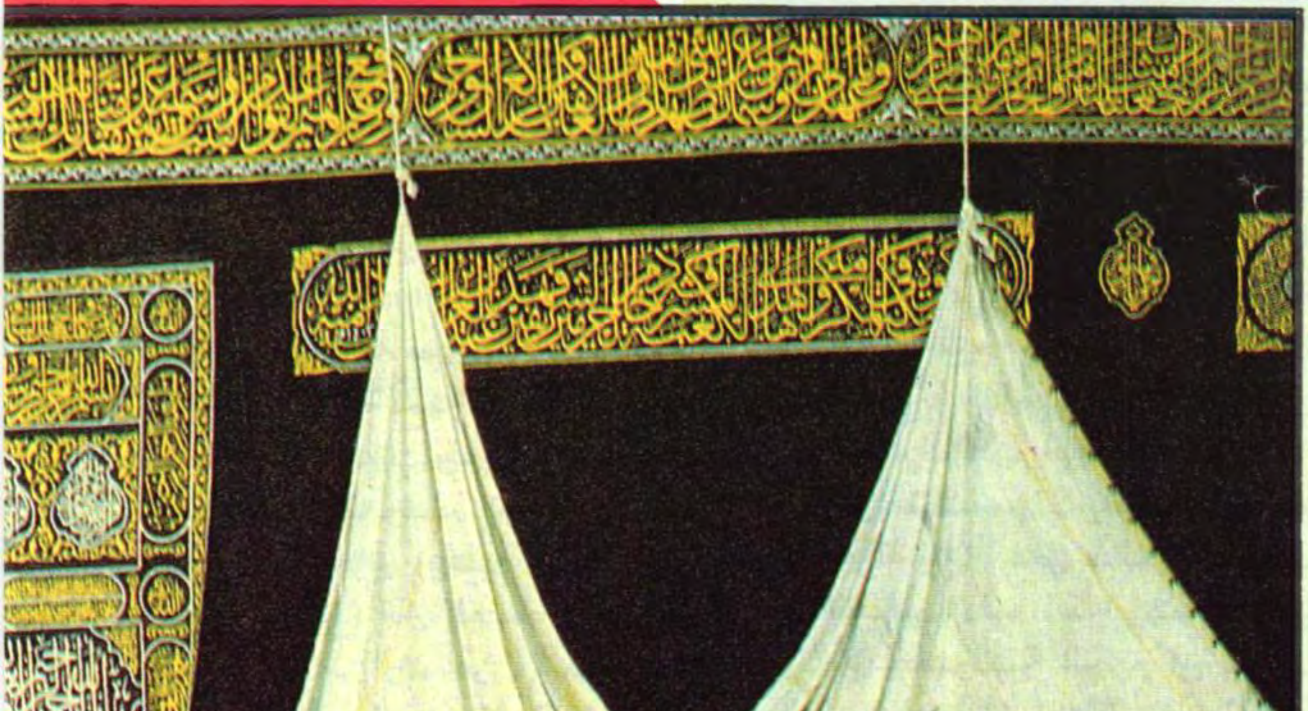
للاستاذ

عبد الستار فيض

التصوير :

عظمت شيخ





● حزام الكعبة وستارة بابها ولوحة تاريخ صنع الكسوة

كسوة الكعبة



● مراحل اعداد خيوط التطريز .





● الفنيون يجلسون على المنسج لتطريز ستارة باب الكعبة .

تعد كسوة الكعبة المشرفة من أهم مظاهر الاهتمام والتشريف والتبجيل للبيت الحرام ، ويرتبط تاريخ كسوة الكعبة بتاريخ الكعبة نفسها ، إذ يرى بعض العلماء أن إسماعيل عليه السلام قد كسا الكعبة ، كما ذكر بعضهم ايضا ان عدنان الجد الأعلى للرسول صلى الله عليه وسلم هو اول من كساها . ولكن الثابت

تاريخيا ان ابا كرب اسعد الحميرى ملك حمير وهو من قوم تبع اول من كساها وذلك قبل الهجرة بقرنين من الزمان . وقد كساها (الخصف) وهى ثياب سميكة ، ومازال يكسوها ويتدرج فى كسوتها من حسن إلى أحسن فكساها (المعافير) وهى ثياب

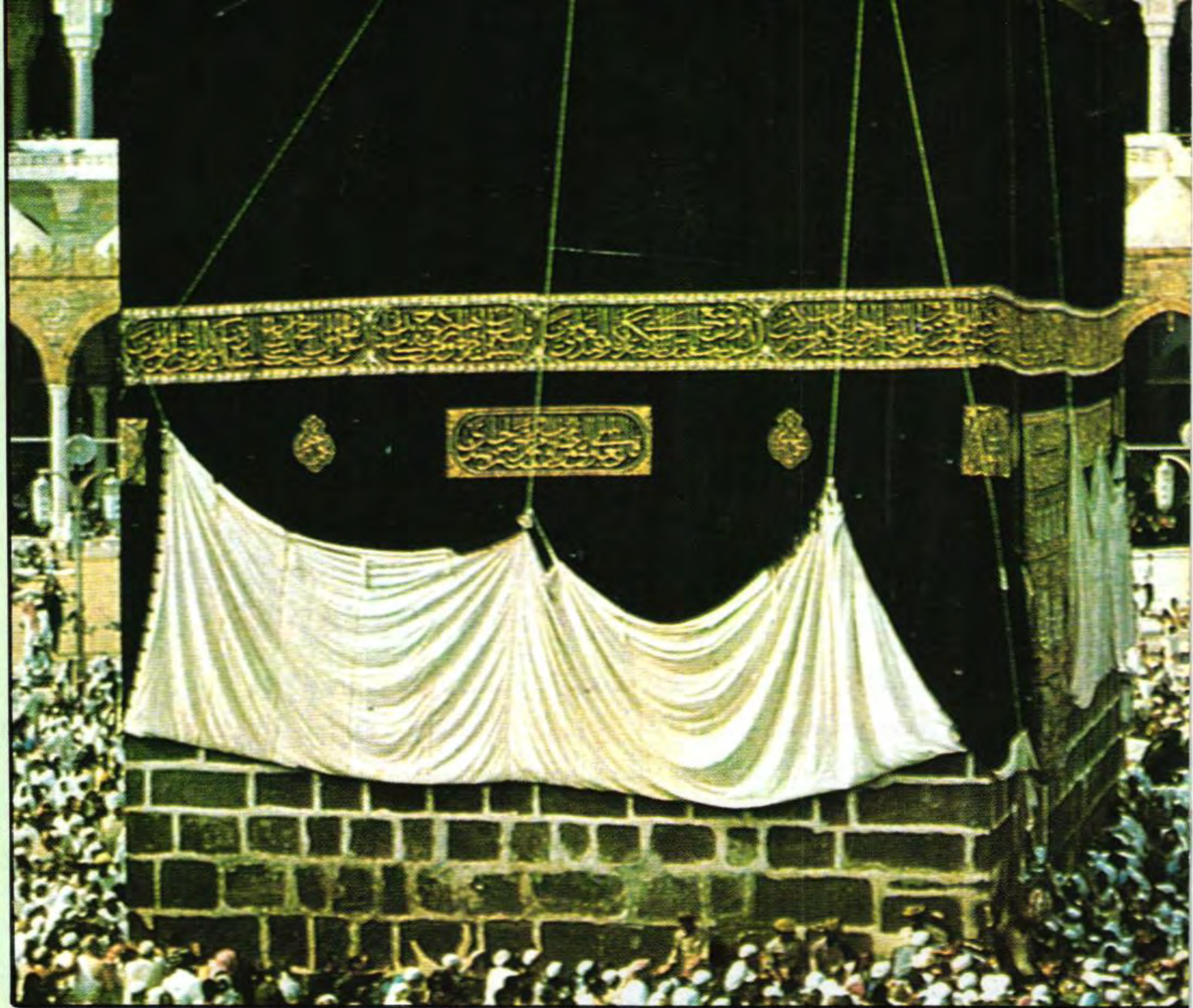
يمنية ، كما كساها كذلك (الملاء) وهى ثياب لينة رقيقة ، كما عمل لها بابا ومفتاحا ... ثم تبعه خلفاؤه من بعده فكانوا يكسونها (الوصايل) وهى اثواب حمر مخططة ، و (العصب) وهى اثواب يمنية يعصب غزلها اى يجمع ويشد المصبوغ منه مع غير المصبوغ فيأتى موشى ، و (المسوح) وهى أثواب من الشعر ، و (الأنطاع) وهى أثواب من الجلد .

ثم اخذ الناس بعد ذلك يقدمون إليها الهدايا من الكساوى المختلفة مثل (مطارف الخز) الخضر والصفر وهى أثواب من صوف أو شعر بعرض ذراع ، و (شقاق الشعر) وهى أثواب رقيقة طويلة ، و (كرار الخز) وهى أثواب حريرية ، و (النمار العراقية) وهى أثواب كانت تصنع للوسائد ، و (الحبرات اليمنية) وهى الأثواب المخططة ، و (الأنماط) وهى البسط السميكة وغير ذلك من شتى أنواع الثياب ، وكلما جاءت كسوة طرحت على سابقتها ، واذا بلى منها ثوب وضع عليه ثوب آخر ، إلى ان جاء عهد قصى بن كلاب ففرض على القبائل رفادة لكسوتها سنويا واستمر ذلك فى بنيه .

ومازالت قريش تكسو الكعبة حتى كان زمن أبى ربيعة المخزومى وكان ثريا فقال لقريش : أنا أكسو الكعبة وحدى سنة وجميع قريش سنة ، فوافقت قريش على ذلك ، وظل يفعل حتى



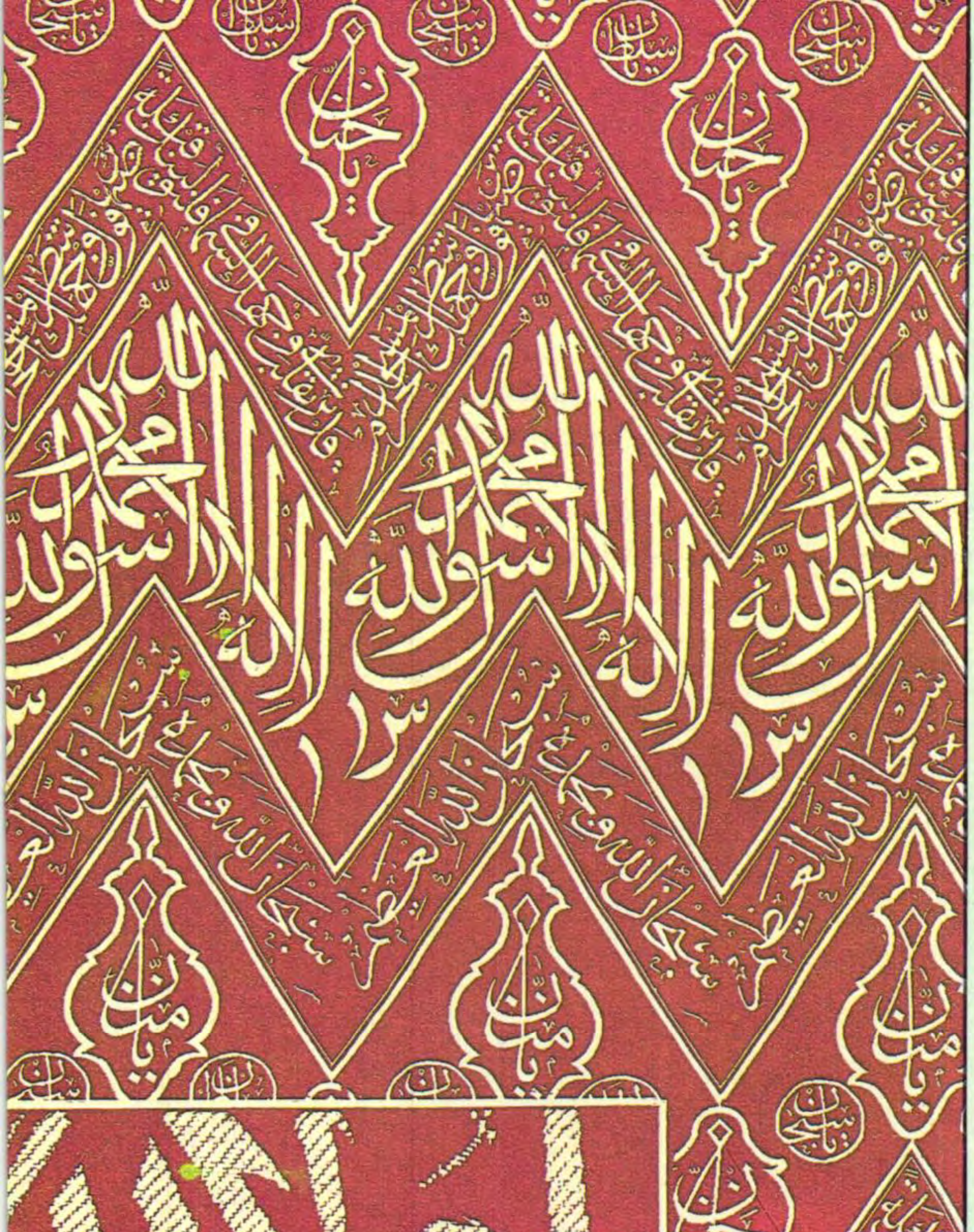
● تطريز سورة الاخلاص بخيوط الذهب والفضة .



● الجانب الشرقى والجنوبى من الكعبة .

مات وسمته قريش (العدل) لأنه عدل بفعله قريشا كلها . وجاء فى كتب الأولين ان أول امرأة كست الكعبة فى الجاهلية هى نبيلة بنت حباب أم العباس بن عبد المطلب ، كستها الحرير والديباج ، وسبب ذلك أنها ضلت ابنها (ضرارا) أخا العباس ، ونذرت إن وجدته لتكسون الكعبة ، فأتاها به رجل من خزام فوفت بما نذرت .

أما كسوتها فى صدر الاسلام فقد كان من الطبيعى ألا يشارك الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون فى كساء الكعبة قبل الفتح ، ذلك أن المشركين من قريش لم يتيحوا لهم هذا الامر الى ان تم فتح مكة ، فأبقي عليه الصلاة والسلام على كسوة الكعبة ولم يستبدلها حتى احترقت على يد امرأة كانت تريد تبخيرها ، فكساها الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه



● الكسوة الداخلية للكعبة المشرفة .



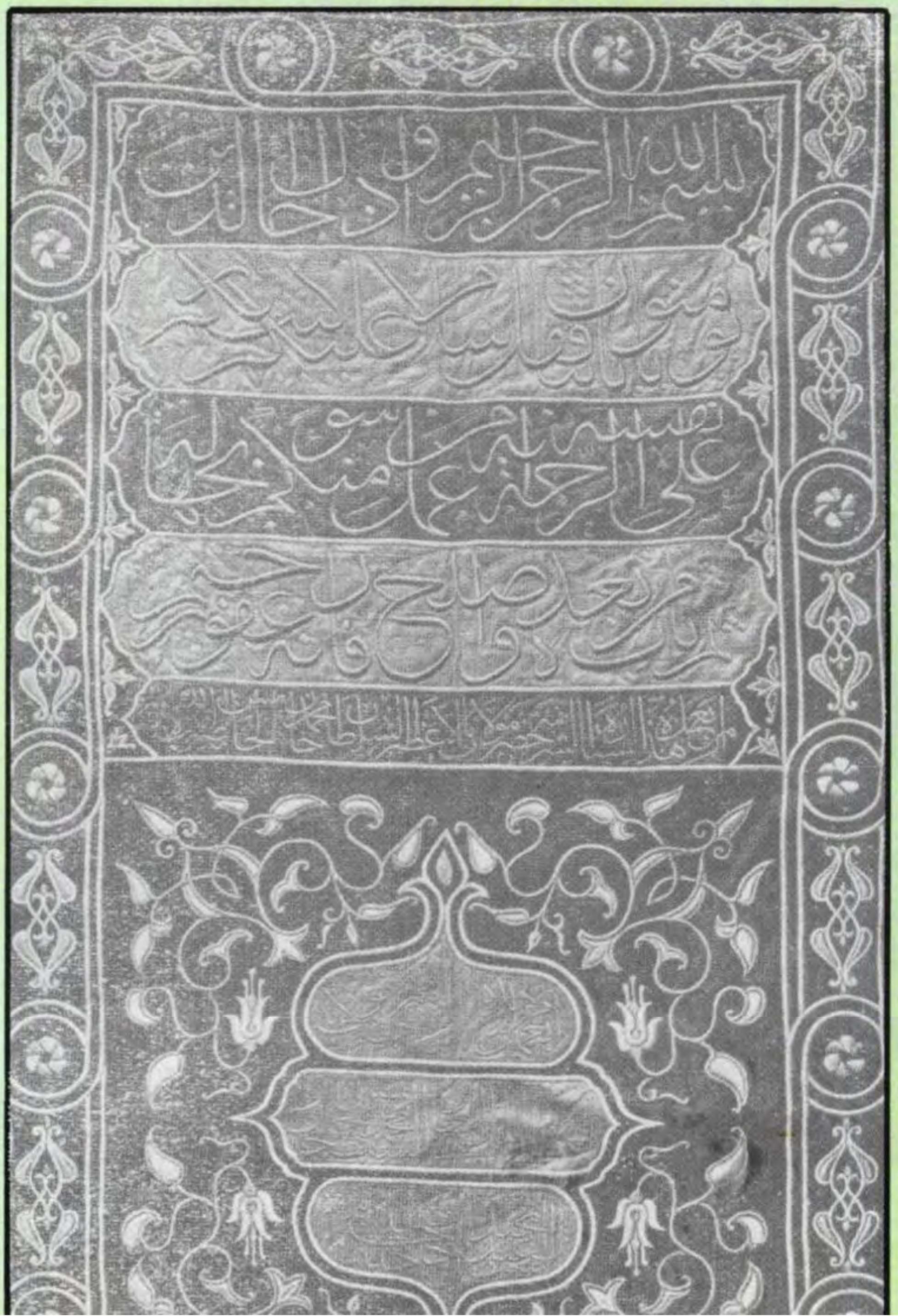


● شكلان من أشكال القناديل المطرزة على يمين وشمال الآيات القرآنية

بالثياب اليمنية . وكساها بعدهما عمر وعثمان رضي الله عنهما (القباطى المصرية) وهى أثواب رقيقة بيضاء كانت تصنع فى مصر .

ولما كان عهد معاوية جعل لها كسوتين ، الديباج يوم عاشوراء ، والقباطى فى التاسع والعشرين من رمضان ، واستمر الحال كذلك فى عهد يزيد وابن الزبير وعبدالملك بن مروان .

وفى سنة مائة وستين من الهجرة حج المهدى العباسى فذكر له السدنة أن كساوى الكعبة كثرت . وأن البناء ضعيف ويخشى عليه من ثقلها فأمر بان تجرد منها ، وألا يسدل عليها الاكسوة واحدة ، وظلت الحال كذلك إلى الآن .



● ستارة باب التوبة الداخلية .



● لف الخيوط على البكر استعدادا للتطريز اليدوى .

أما الخليفة المأمون فقد كان يكسو الكعبة المشرفة ثلاث مرات فى السنة ، فيكسوها القباطى فى أول رجب ، والديباج الأبيض الذى استحدثه فى السابع والعشرين من رمضان ، والديباج الأحمر فى يوم التروية .

ثم كساها الناصر العباسى ثوبا أخضر ثم ثوبا أسود ومنذ ذلك التاريخ احتفظ باللون الأسود للكسوة .

وقد بالغ الخلفاء العباسيون فى العناية بكسوة الكعبة المشرفة علما بأن هذه العناية لم تفقد عند من سبقهم ، ولكن تطور فن النسيج والحياكة والصبغ والتلوين والتطريز والطلاء بماء الذهب والفضة جعل العباسيين يصلون الى ما لم يصل اليه من سبقهم فى الاتقان .



● نماذج من آيات حزام الكعبة المشرفة .

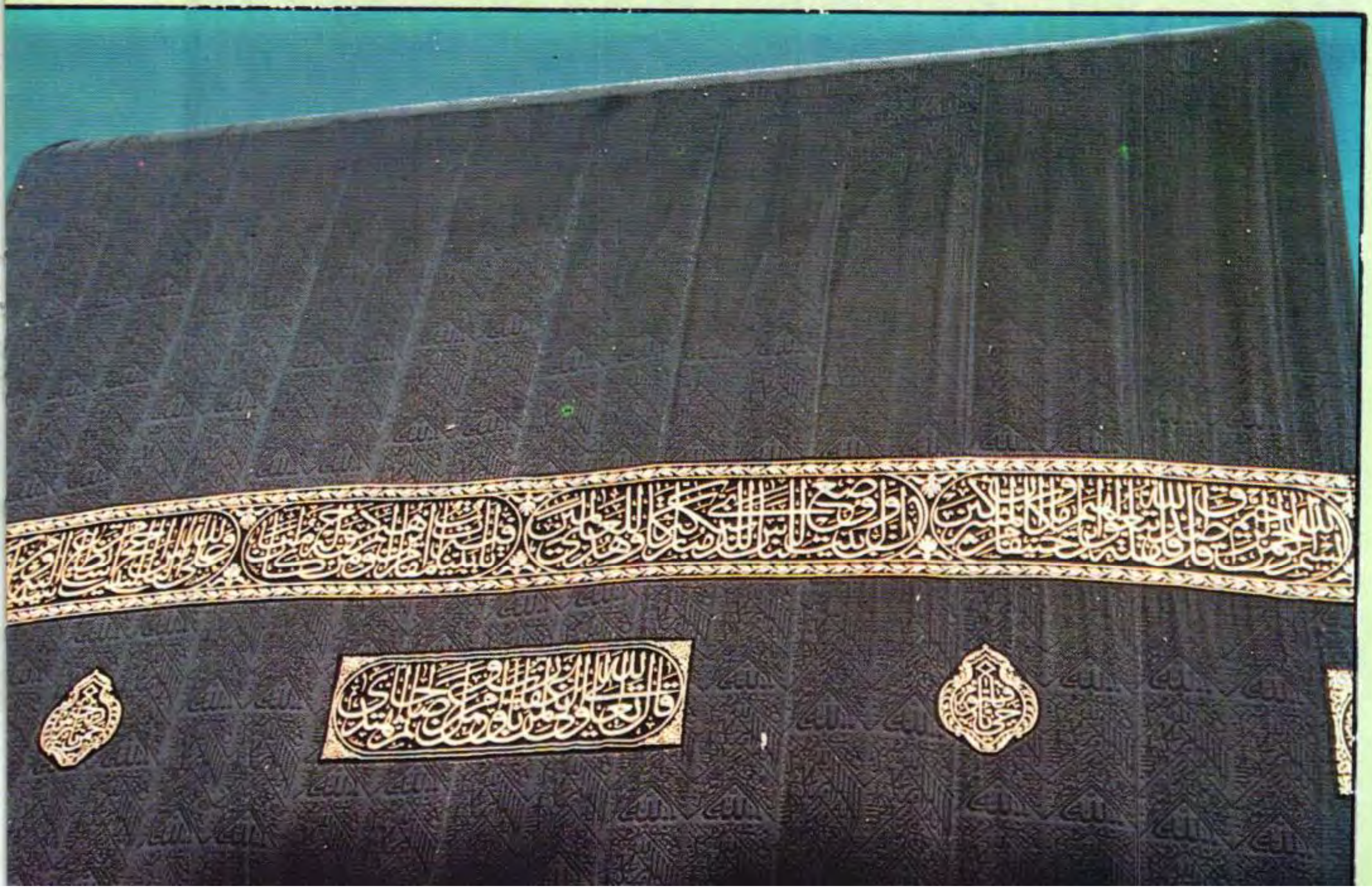
ومازال العباسيون يهتمون بأمر الكعبة حتى إذا ضعف أمرهم آل أمر الكسوة إلى ملوك مصر تارة وإلى ملوك اليمن تارة أخرى .

وأول حاكم سعى إلى كسوة الكعبة المشرفة بعد انقضاء دولة العباسيين هو الملك الظاهر بيبرس ، ثم كساها بعده الملك المظفر ملك اليمن عام ٦٥٩ هـ واستمر يكسوها بالتعاقب مع ملوك مصر ، إلى أن استقرت فى سلاطين مصر .

وفى عام ٧٥١ هـ أوقف الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ملك مصر وقفا خاصا لكسوة الكعبة الخارجية السوداء مرة كل سنة ، وكسوة داخلية حمراء وكسوة خضراء للحجرة النبوية الشريفة مرة كل خمس سنوات .

ولما تولى محمد على باشا حكم مصر حل ذلك الوقف فى اوائل القرن الثالث عشر الهجرى ، وأصبحت الكسوة الخارجية تصنع على نفقة الحكومة المصرية ، واختصت تركيا ومن يتولى السلطنة من آل عثمان بكسوة الكعبة الداخلية ، وكسوة الحجرة النبوية الشريفة .

● كسوة الكعبة المشرفة ويرى واضحا تداخل النسيج بطريقة (الجاكار) ليشكل كلمة « لا اله الا الله . محمد رسول الله » .









● الآيات الثلاث الموضوعة تحت حزام الكعبة

ومنذ ذلك الوقت صارت الكسوة المباركة ترسل من مصر سنويا وهى ثماني ستائر من الحرير الأسود المكتوب بالنسيج فى كل مكان فيه « لا إله الا الله ، محمد رسول الله وطول كل ستارة نحو خمسة عشر مترا ومتوسط عرضها خمسة أمتار ، وكل ستارتين تعلقان على جهة من جهات الكعبة الأربع . فتربطان من أعلاها فى حلقات من الحديد مثبتة فى سقف الكعبة ، ثم تربطان ببعضهما بوساطة عرى وأزرار ، وتثبتان من أسفل فى حلقات الشاذوران وهكذا كلما وضعت ستارة تربط فى التى بجوارها

بوساطة هذه الازرار ، حتى إذا انتهت كلها صارت كالقميص المربع ، ثم يوضع على محيط البيت المعظم فوق هذه الستائر فيما دون ثلثها الاعلى حزام مركب من اربع قطع مكتوب عليها بالخط العربى الجميل آيات قرأنية كتبها مع غيرها من أعمال الكسوة الشريفة فى زمن خديوى مصر إسماعيل الخطاط عبدالله بك زهدى ، وهى آيات نتعلق بالبيت العتيق وبفريضة الحج ، ويضاف إلى هذه الآيات لوحة تبين تاريخ صنع الكسوة ، واسم من أمر بصنعها .

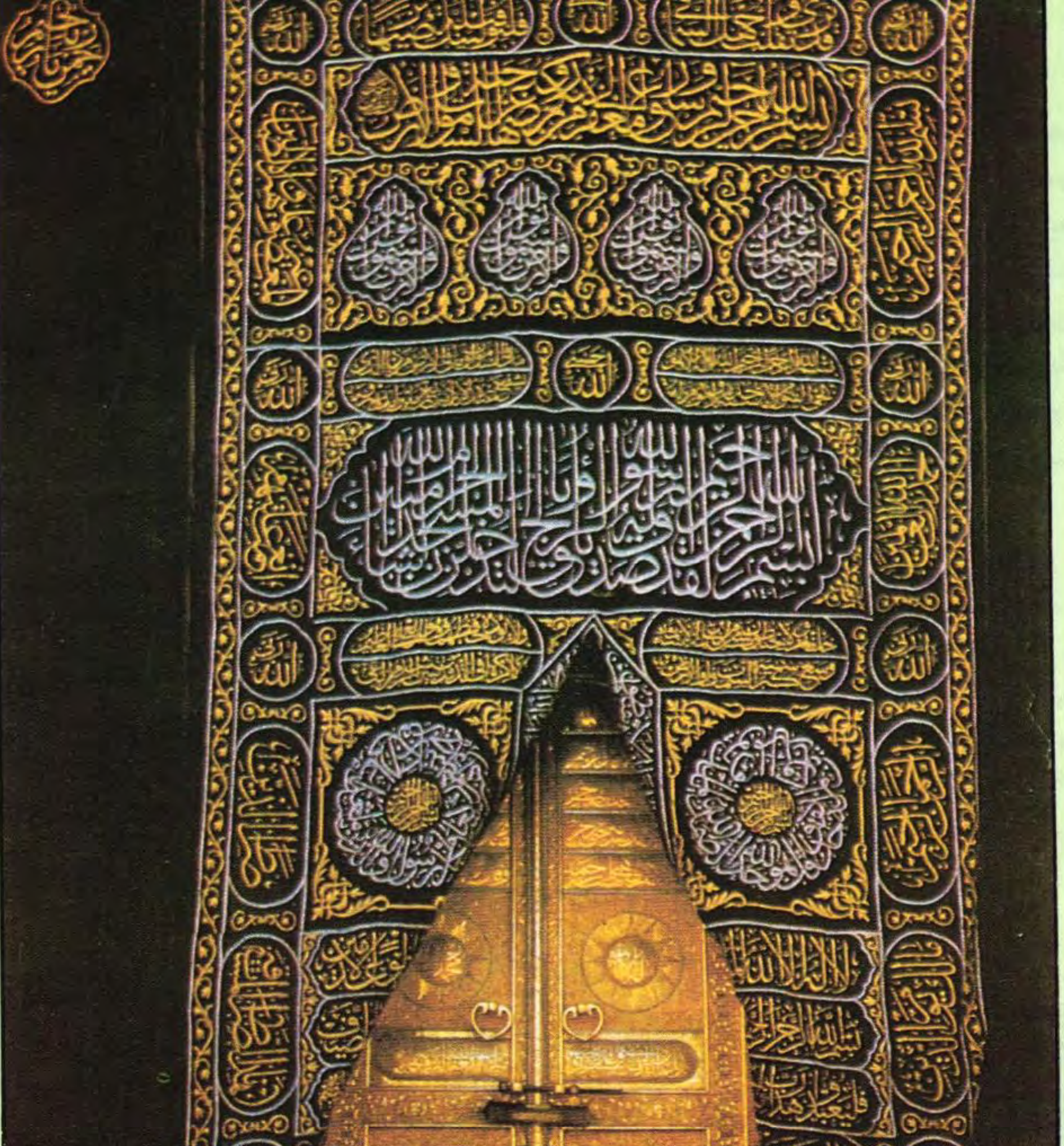
وهذه الكسوة كانت تصنع فى بدء أمرها بمدينة « تنيس » المصرية شمال دمياط . وكان لهذه المدينة شهرة عظيمة فى صناعة المنسوجات الثمينة ثم أقيمت لها دار فسيحة بمدينة القاهرة فى منطقة تسمى بالخرنفش . وبجانب صناعة الكسوة الشريفة كانت تصنع فى هذه الدار ستارة باب الكعبة الخارجية ، وستارة باب التوبة الداخلية . وكيس مفتاح بيت الله الحرام ، وكسوة مقام إبراهيم الخليل عليه السلام ، وستارة باب منبر الحرم الشريف .







● لوحات تاريخ صنع الكسوة المشرفة فى عهود مختلفة .



● ستارة باب الكعبة المشرفة .

وعند إتمام عمل الكسوة يقام لها احتفال كبير فى منتصف شهر ذى القعدة ، يحضره خديوى مصر أو نائبه فيسيرون فى موكب عظيم من ميدان القلعة إلى مسجد الامام الحسين ، ومن هناك تطوى فى صناديق وترسل مع ركب المحمل إلى مكة المكرمة ، حيث تسلم الكسوة للشيبى القائم بسدانة الكعبة وتبقى فى منزله إلى صباح يوم النحر فيؤتى بها على أعناق الرجال وتعلق على الكعبة بعد إنزال الكسوة القديمة .

وأول من ابتدع فكرة عرض الكسوة على هودج عرف بالمحمل هى الملكة شجرة الدر عام ٦٤٥ هـ زوجة السلطان الصالح نجم

الدين أيوب وحذت بعض الأقطار العربية حذوها ، وأصبح بذلك سنة متبعة سنوية حتى منتصف القرن العشرين .

وحينما قامت الحرب العالمية الأولى واستولى الانجليز على مصر خشيت تركيا أن يمنع الانجليز المصريين من إرسال الكسوة فصنعت كسوة وأرسلتها إلى الحجاز ، إلا أن الانجليزلم يعترضوا على إرسال مصر للكسوة فى موعدها ، فاحتفظ الشريف حسين بالكسوة التى أرسلتها تركيا إلى عام ١٣٤١ هـ . ففى تلك السنة منع الشريف حسين دخول البعثة المصرية ورجعت كسوة الحكومة المصرية . وكسا الشريف حسين الكعبة المشرفة هذا العام بالكسوة التركية التى كانت محفوظة لديه .

وفى عام ١٣٤٢ هـ أرسلت مصر كسوتها كالمعتاد ولم يعترض عليها أحد وفى عام ١٣٤٣ هـ سيطر الملك عبدالعزيز آل سعود على مكة ولم تستطع مصر إرسال الكسوة بسبب حالة الاضطراب والحرب فكسيت الكعبة بكسوة عراقية .

وفى عام ١٣٤٤ هـ عادت مصر لكسوة الكعبة إلا أنه فى عام ١٣٤٥ هـ اختلفت حكومة مصر مع الحكومة السعودية وامتنعت عن إرسال الكسوة فتكفلت الحكومة السعودية بها .

وفى محرم عام ١٤٤٦ هـ أنشأت الحكومة السعودية مصنعا للكسوة الشريفة فى مكة المكرمة وأحضرت له الفنيين والعمال الذين يجيدون التطريز والحياكة ، ونجح المشروع وأصبحت الكعبة تكسى من مصنع ام القرى لمدة عشر سنوات حتى عام ١٣٥٦ هـ ثم سويت الخلافات بين مصر والسعودية وعادت مصر الى كسوة الكعبة سنويا من جديد .

وفى عام ١٣٨٢ هـ وفى عهد الملك سعود توترت العلاقات بين مصر والسعودية مرة ثانية ورفضت الحكومة السعودية قبول الكسوة المصرية وعادت الباخرة المصرية التى تحمل الكسوة الى مصر ، وكانت هذه آخر كسوة صنعتها مصر للكعبة المشرفة .

وفى عام ١٣٨٢ هـ صدر أمر ملكى سعودى بتجديد مصنع الكسوة الذى أنشىء عام ١٣٤٦ هـ فى عهد الملك عبدالعزيز واستمر هذا المصنع فى إنتاج ثوب الكعبة المشرفة حتى عام ١٣٩٧ هـ حيث تم افتتاح المبنى الجديد فى ام الجود وزود بماكينات تحضير النسيج الآلية مع الابقاء على أسلوب الانتاج



● حرف الواو كما يبدو مكبرا ومطرزا .

اليدوى لما له من قيمة فنية عالية . ومازال المصنع يواكب عجلة التطور ، وإحياء التراث العريق فى آن واحد لينتج كسوة البيت فى أبهى صورها .

وصف الكسوة الحالية :

تنسج الكسوة الحالية من الحرير الطبيعى الخالص المصبوغ باللون الأسود ، وقد نقش عليه بطريقة (الجاكار) عبارات « لااله إلا الله ، محمد رسول الله ، الله جل جلاله ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » فى تشكيلات هندسية بديعة . ويبلغ ارتفاع الثوب (١٤) مترا يوجد فى الثلث الأعلى من هذا الارتفاع حزام الكسوة بعرض ٩٥ سم مكتوب عليه آيات قرآنية

بالخط الثلث المركب ، وهذه الآيات محاطة بإطار من الزخارف الاسلامية ، ويطرز الحزام بتطريز بارز مغطى بسلك فضى مطلى بالذهب ، ويحيط الحزام بالكسوة كلها ، ويبلغ طوله (٤٧) مترا ويتألف من (١٦) قطعة بداخلها الآيات التالية : من الجهة الشرقية التى فيها باب الكعبة .

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم . وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى .

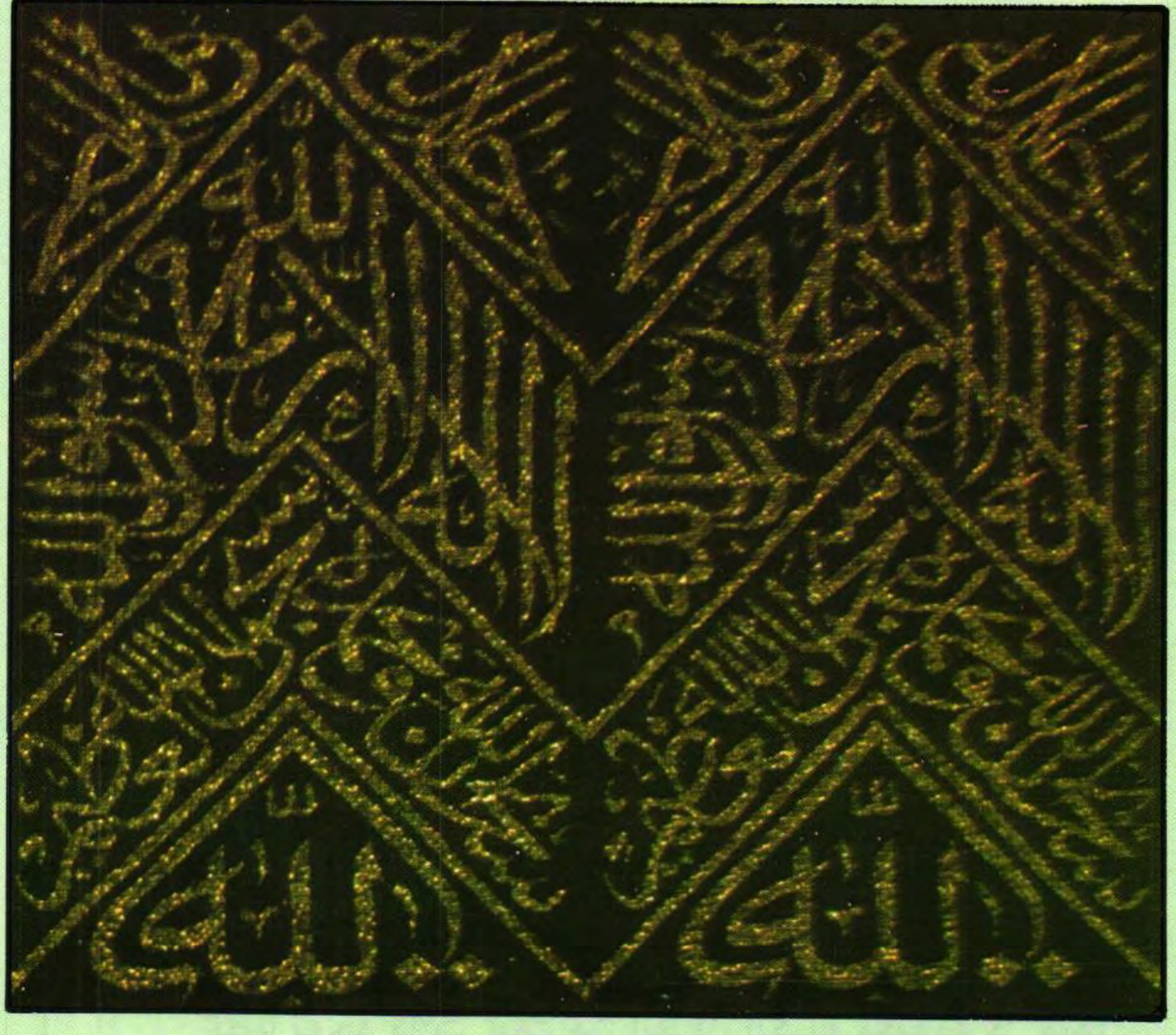
٢ ـ وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود .

٣ ـ واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .

٤ ـ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

وعلى الجهة الجنوبية التى فيها الحجر الاسود :

٥ ـ بسم الله الرحمن الرحيم . قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين .



● نسيج (الجاكار) المنسوجة منه ستارة الكعبة وتبدو الكتابات المنسوجة فيه واضحة

٦ ـ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين .

٧ ـ فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا .

٨ ـ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين .

وعلى الجهة الغربية :

٩ ـ بسم الله الرحمن الرحيم . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله .

١٠ ـ فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام .

١١ ـ فكلوا منها واطعموا البائس الفقير .

١٢ ـ ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق .

وعلى الجهة الشمالية التى بها الميزاب .

١٣ ـ « بسم الله الرحمن الرحيم . الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج

١٤ ـ وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولى الألباب .

١٥ ـ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفصتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام .

١٦ ـ واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين . ثم افيضوا من حيث أفاض الناس .

كما يوجد تحت الحزام على الأركان الأربعة سورة الاخلاص مكتوبة داخل دائرة محاطة بشكل مربع من

الزخارف الاسلامية . وعلى نفس الارتفاع وتحت الحزام أيضا توجد ثلاث آيات من القرآن الكريم مكتوبة كل منها داخل إطار منفصل وهى : على الجهة الجنوبية :



● سورة الاخلاص المطرزة على كل ركن من اركان الكعبة المشرفة .

قال تعالى : « واذا سألك عبادى عنى فإنى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان » .

وعلى الجهة الغربية :
قال تعالى : « وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » .

وعلى الجهة الشمالية :
قال تعالى : « ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما » .

وعلى يمين كل آية من هذه الآيات يوجد شكل قنديل كتب

فيه (يا حى يا قيوم) وعلى يسارها قنديل مشابه كتب فيه (يا رحمن يا رحيم) .

أما ستارة باب الكعبة . ويطلق عليها اسم البرقع فمصنوعة من نفس القماش الحرير الأسود ويبلغ ارتفاعها سبعة أمتار ونصف المتر وعرضها أربعة أمتار ومنقوش عليها الآيات القرآنية التالية :

السطر الأول : « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها » .

السطر الثاني : « « بسم الله الرحمن الرحيم . وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » .

السطر الثالث : أربع دوائر داخل كل دائرة « الله نورالسموات والأرض » .

ثم كتب بعد ذلك «بسم الله الرحمن الرحيم . لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين» وتحيط بهذه الآية من أعلى ومن أسفل آية الكرسى ثم يلى ذلك من أسفل دائرتان داخل كل دائرة سورة الاخلاص وبين الدائرتين كتب :

« ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا » .

وتحت هذه الآيات ثلاثة أسطر هى :

لا إله إلا الله الملك الحق المبين - محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين«بسم الله الرحمن الرحيم . لإيلاف قريش إيلافهم • رحلة الشتاء والصيف • فليعبدوا رب هذا البيت • الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف»

ويحيط بهذه الآيات إطار كتبت فيه فاتحة الكتاب وبين كل آية وأخرى منها دائرة داخلها (الله ربى) وفى منتصف الاطار من أعلى ومن أسفل دائرتان داخل كل منهما كلمة (الله حسبى) وجميع هذه الآيات داخل زخارف إسلامية غاية فى الدقة والجمال

وعلى يمين ستارة باب الكعبة توجد لوحة أسفل الحزام ومطرزة بنفس تطريز الحزام سجل فيها تاريخ صنع الكسوة واسم من أهداها .

التطـــريز :

بعد أن تتم صناعة النسيج تبدأ أهم مرحلة فى عملية صناعة الكسوة وهى مرحلة التطريز التى تتم أولا بوضع خيوط قطنية بكثافات مختلفة فوق الخطوط والزخارف المطبوعة على الأقمشة المشدودة على المنسج بحيث تشكل بروزا يرتفع عن مستوى سطح القماش ، ثم يطرز فوقها بخيوط متراصة من القطن الأصفر فى اتجاهات متقابلة ، وبدقة بالغة ليتكون الهيكل الأساسى البارز للتصميم ، ثم يغطى هذا التطريز بأسلاك من الفضة المطلية بالذهب فيتكون فى النهاية تطريز بارز مذهب يصل ارتفاعه فوق مستوى سطح القماش الى (٢ سم) الأمر الذى يستحيل تنفيذه بأية آلة ميكانيكية ، وتعمل الأيدى دون ملل او تعب فى تنفيذ تحفة فنية رائعة تتجلى فيها روعة الاتقان ودقة التنفيذ .

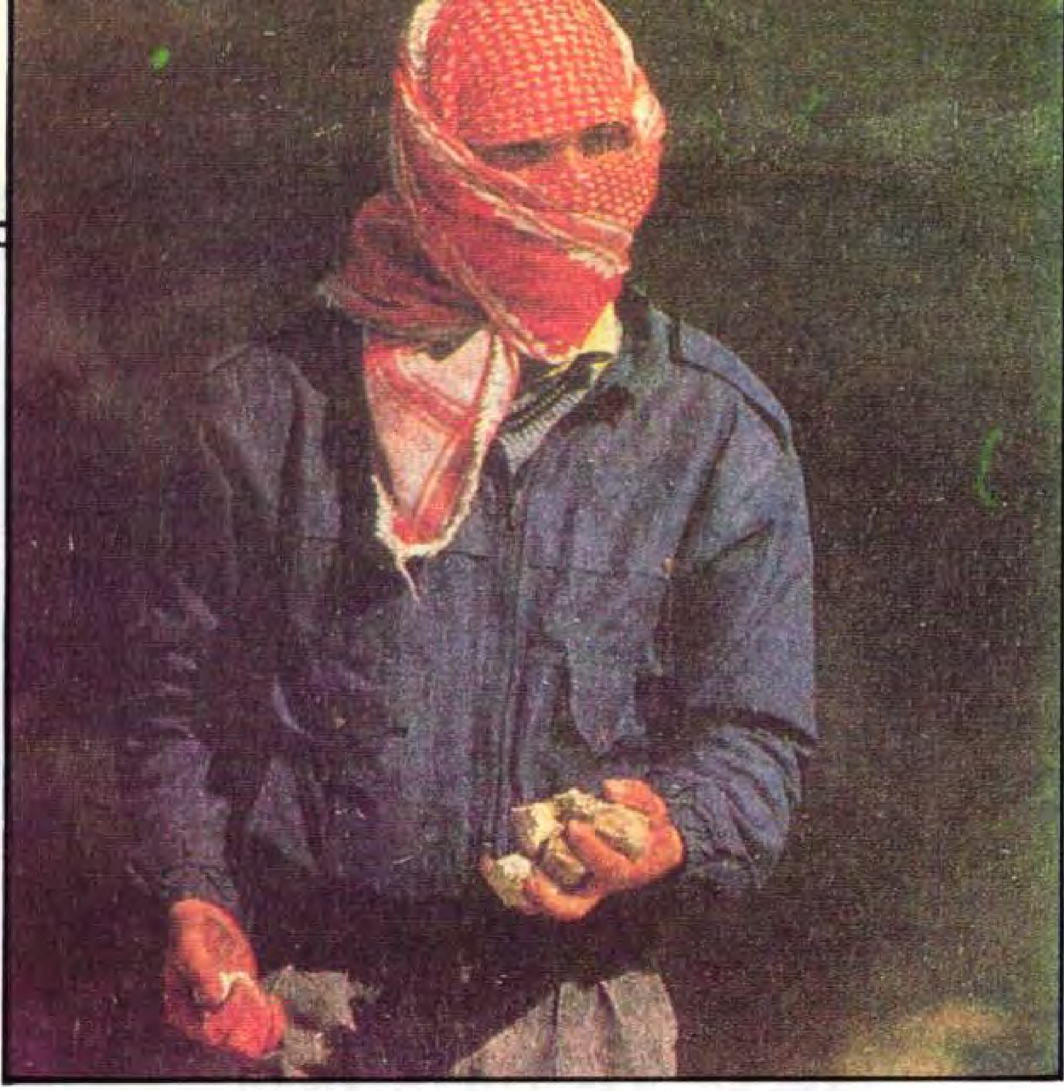
ويتم أخيرا تقسيم أقمشة الكسوة إلى مجموعات بحيث تشكل كل مجموعة جانبا من جوانب الكعبة مع المحافظة على التصميم الموجود عليها . كما يثبت على كل جانب الآيات المطرزة على الارتفاعات المحددة لها ، ثم يبطن كل جانب بأقشمة القلاع القوية فتزيد من متانتها وقوة تحملها . وهذا ينطبق ايضا على ستارة باب الكعبة ، حيث يتم تجميع خمس قطع مطرزة تشكل التصميم الموضوع بعضها إلى جانب بعض فى اتجاه رأسى وتبطن أيضا بالقماش السميك .

وبهذا تصبح الكسوة جاهزة لوضعها على الكعبة المشرفة فى التاسع من شهر ذى الحجة من كل عام وهو يوم وقوف الحجاج بعرفات ، حتى إذا أفاضوا وطافوا طواف الافاضة حول البيت ظهرت الكعبة فى حلتها الجديدة اللائقة بقداستها ومكانتها فى نفوس المسلمين .

ثورتنا تمضي للنصر!

شعر محمود عبد الغفار دياب

باسم الله نحيي الثورة
ثورتنا تمضى للنصر
اشتدى ازمة تنفرجى
حققنا معجزة العصر
خرج المارد من قمقمه
يتحدى أوباش الدهر
ارضى بركان فوار
زلزال فجره القهر
هذا البعث الحق لشعبي
إما النصر، وإما القبر
من أبصر من قبل صبيا
يتحدى جيشا بالصخر
هذا الطفل فلسطيني
يذكره التاريخ بفخر



اعـزل الا مـن جـرأتـه
دومـا منقضـا كـالصقـر
يـرمـي حجـرا مـن سجيـل
او مقـلاعـا يـودى الـعمـر
كـرار كـالاسـد الضـارى
لا يخشى مـوتـا او ضر
هـل ابصـرتـم جنـد يـهـوذا
شتتـهـم حجـر كـالبـعـر
سلمـت كفـك يـا ابـن بـلادي
اقتلـهـم ولتغـلي المـهـر
علـم كـل شـعـوب الـدنيـا
كيـف يكـون كفـاح الحـر
واصبـر ان الصبـح قـريـب
أت .. أت .. ولنـا النصر
مـوعـدنـا بـالقـدس بـلادى
وفـداهـا ارخصنـا الـعمـر

ابن مسعود والمدرسة الكوفية

للدكتور/ عبدالجواد الخطيب

كانت الكوفة من أكثر الأمصار الاسلامية استقبالا للوافـدين من هذيل ، وربما كانت من أشدها تأثرا بهم ، فقد كان رأس الوافدين اليها من هؤلاء الهذليين عبدالله بن مسعود الذي ولاه عمر بيت المال فيها ، فنزل بها ، وابتنى فيها دارا الى جانب المسجد .

وقد كان لابن مسعود منزلة علمية رفيعة ، فأقبل عليه الكوفيون يأخذون عنه العلم ، وكأنما قد زادهم تحفيا به ، وإقبالا عليه ما رأوه من تقدير الخلافة له ، واعظامها لشأنه ، فقد كتب اليهم أمير المؤمنين عمر :«إني بعثت اليكم بعبدالله بن مسعود معلما ووزيرا ، وآثرتكم به على نفسي فخذوا عنه » .

وكان ابن مسعود فقيها محدثا ، ومن الأعلام المشهورين في علوم القرآن وقراءاته ، وقد أقبل عليه الكوفيون ،

وتتلمذوا عليه ، في هذا الفرع من الدراسات القرآنية ، وكان كثير منهم يفضل قراءته على غيرها ، بل كانوا يتعصبون لها تعصبا شديدا ، وتخرج منهم على يده ، ويد تلاميذه كثير من مشاهير علماء القراءات في الكوفة من أمثال زر بن حبيش تلميذ ابن مسعود نفسه ، وأبي بكر بن عياش ، وعاصم ابن أبي النجود أحد القراء السبعة ، وشيخ الإقراء بالكوفة في عهده .

ومنهم سليمان بن مهران الأعمش ويحيى بن وثاب ، واستاذه مسروق ، وطلحة بن مصرف وغيرهم كثير .

وكذلك الربيع بن خيثم التابعي الكوفي أخذ القراءة عن ابن مسعود . وأبو عمرو الشيباني عالم النحو واللغة والقراءات بالكوفة ، والذي كان يقرىء الناس بمسجدها له ايضا رواية عن ابن مسعود . ثم إن حمزة وهو أحد القراء السبعة تنتهي قراءته الى ابن مسعود .

والمفضل الضبي العالم النحوي اللغوي الراوية كان من القراء الذين أخذوا عن عاصم ، وعن الأعمش وكلاهما - كما سبق - تنتهي قراءته الى ابن مسعود .

وهكذا نجد ان تلاميذ عبدالله بن مسعود من قراء الكوفة أكثر من أن نحصيهم عَدّاً ، ومن هؤلاء بعض الهذليين أنفسهم مثل أبي عبيدة معن ابن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود الذي روى القراءة عن الأعمش ، ومحمد بن أبي عبيدة ، هذا وقد روى القراءة عن حمزة .

ولقد نرى مصداق ذلك واضحا فيما رواه علماء القراءات عن ابن مسعود وتلاميذه من قراءة فكلما وجدنا قراءة لعبدالله في موطن من مواطن القرآن الكريم تحمل اتجاها لغويا خاصا في أصوات اللين ، أو الهمز والتسهيل ، أو الادغام والاظهار ، أو التفخيم والامالة ، أو التجريد والزيادة ، أو اللزوم والتعدية .. أو غير ذلك من الظواهر اللغوية - وجدنا ذلك واضحا عند قراء الكوفة من تلاميذ مدرسته .. ومن أمثلة ذلك انه حين تتجه قراءة ابن مسعود الى إحلال الضم محل الفتح في بعض الألفاظ كقراءته الآية الكريمة « **إن يمسسكم قرح** » آل عمران/ ١٤٠ بضم القاف بدلا من فتحها نجد هذه قراءة أصحابه من الكوفيين . كما نجد قراءة أغلب هؤلاء الكوفيين «**في عمد ممددة** » الهمزة/ ٩ بضم العين والميم لا بفتحهما ، وكذلك نجد قراءتهم : « **الا من اغترف غرفة بيده** » البقرة/ ٢٤٩ بضم الغين في «**غرفة**» بدلا من الفتح فيها . ومن مظاهر قراءة الضم هذه ما روي عن ابن مسعود وطلحة والأعمش من قراءة قوله تعالى : (**عاليهم ثياب سندس**) الانسان/ ٢١ بالياء مضمومة .

وقراءة حمزة والكسائي : « **ما أخلفنا موعدك بملكنا** » طه/ ٨٧ بضم الميم ، وهما من أساطين قراء الكوفة . وكذلك قراءة كثير من الكوفيين كأبي عبدالرحمن السلمي ، ويحيى بن وثاب ، والأعمش ، والكسائي ، وطلحة بن مصرف : (**مالها من فواق**) ص/ ١٥ بضم الفاء بدلا من فتحها .

وجميع هؤلاء - كما أشرنا - من تلاميذ ابن مسعود بالكوفة .

واذا وجدنا إيثار الكسر على الضم عند ابن مسعود في بعض الكلم كما في قوله تعالى : (**فصرهن اليك**) البقرة/ ٢٦٠ بكسر الصاد لا بضمها - ألفينا هذه القراءة شائعة في تلاميذه من الكوفيين .. كما نجد قراءته ، وقراءة يحيى بن وثاب ، والأعمش ، وحمزة ، والكسائي : (**خروا سجدا وبكيا**) مريم/ ٥٨ بكسر الباء .

وقرأ أصحاب ابن مسعود جميعهم ، وكثير ممن أخذوا القراءة عنهم كطلحة ابن وثاب ، والأعمش : (**واتخذ قوم موسى من حليهم**) الأعراف/١٤٨ بكسر الحاء .

واذا ألفينا عند ابن مسعود اتجاها الى كسر أول المضارع في بعض آيات الكتاب الكريم مثل قوله تعالى : (**لتركبن طبقا عن طبق**) الانشقاق/١٩ بكسر التاء - وجدنا هذه القراءة عند الأعمش في (**ولا تعثوا في الأرض مفسدين**) البقرة/٦٠ بكسر التاء أيضا . وعند يحيى بن وثاب في « **ألم أعهد اليكم** » يس/٦٠ بكسر الهمزة من « **أعهد** » و « **إياك نعبد** » الفاتحة/٥ بكسر النون في «**نعبد**» .

وقراءته مع ابن مسعود «تيمنه » آل عمران/ ٧٥ بدلا من « تأمنه » و« **تيلمون** » بدلا من « **تألمون** » النساء/١٠٤ .

وقراءته مع زر بن حبيش والأعمش وكثير غيرهم «**نستعين** » الفاتحة/٥ بكسر النون .

واذا قرأ ابن مسعود «**رشدا**» بفتحتين متتاليتين في قوله تعالى : (**فإن آنستم منهم رشدا**) النساء/٦ .

نجد حمزة والكسائي - وهما من أبرز الأمثلة لمدرسة ابن مسعود يقرآن هذه القراءة نفسها في قوله تعالى : (**وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا**) الأعراف/١٤٦ .

هذا ونجد الإمالة حينما انتشرت بين قراء الكوفة لا يرجع انتشارها - في أغلب الظن - الى قبائل تميم وأسد المنبثين في البيئة الكوفية كما يقول بعض علماء اللغة من المحدثين ، بل تؤول الى ابن مسعود ، وتلاميذه من القراء ، فالقراءة مردها الى التلقي والتلقين فهي - في الحق - **سنة متبعة** .

ويؤيد ذلك ما يروي من أن عاصم بن أبي النجود ، وهو من الرعيل الأول من قراء الكوفة كانت تشتهر الامالة عنه في رواية أبي بكر ابن عياش وتقل في رواية حفص إذ إن عاصما ينبئنا أن القراءة التي أقرأها حفصا هي قراءته علي أبي عبدالرحمن السلمي عن علي ، وأن القراءة التي أقرأها ابا بكر ابن عياش هي القراءة التي قرأها على زر بن حبيش عن ابن مسعود .

ومن هنا ندرك ان إلامالة عند ابن عياش واستاذه عاصم راجعة في أصلها الى ابن مسعود .

هذا ، ومن أهم من اشتهروا بالإمالة من الكوفيين حمزة والكسائي والى ابن مسعود تنتهي قراءتهما . ثم إن الكسائي من تلاميذ حمزة ، وحمزة عرض على الأعمش والأعمش يجود حرف ابن مسعود واليه تنتهي قراءته .

أما بشأن وجود الهمز في بعض الألفاظ غير المهموزة ، فإن البيضاوي يذكر في تفسيره ان الكوفيين - غير حفص - قرأوا قوله تعالى : (**وأنى لهم التناوش**) سبأ/٥٢ بالهمز على قلب الواو «التناؤش» . وينسب ابن الجزري ذلك الى حمزة والكسائي وشعبة . وهذه قراءة أغلب الكوفيين عن ابن مسعود . أما حفص فقد تلقى قراءة عاصم التي تنتهي الى علي بن أبي طالب كما سبق أن ذكرنا .

وقد نجد عكس هذا ، فبينما نجد قراءة الجمهور : « **وما ألتناهم** » الطور/ ٢١ من « أُلات » ، فإن قراءة ابن مسعود « لتناهم » من « لات » وهذه قراءة طلحة والأعمش من تلاميذه الكوفيين .

وحين يقرأ جمهور القراء « **لسان الذي يلحدون إليه أعجمي** » النحل/ ١٠٣ من « ألحد » نجد قراءة ابن مسعود « يَلحدون »وهذه هي نفسها قراءة يحيى بن وثاب ، والأعمش ، وطلحة ابن مصرف ، وآخرين من تلاميذ ابن مسعود بالكوفة .

***

وإذا كان المشهور في صيغة المطاوع (انفعل) ان تجيء على البناء للفاعل . مألوف اللغة ، فإنا - مع هذا - نجد « انخسف » مبنيا للمفعول في حرف ابن مسعود ، فالآية الكريمة : « **لولا أن مَنّ الله علينا لخسف بنا** » القصص/ ٨٢ نجدها عنده « **لانْخُسِف بنا** » على البناء للمفعول في الفعل المطاوع لا في الفعل الثلاثي المجرد كما هو الشأن في قراءة جمهور القراء .
وقراءة ابن مسعود هذه نجدها عند طلحة والأعمش من تلاميذه الكوفيين .

***

هذه إشارات سريعة إلى قراءة ابن مسعود وتلاميذه بالكوفة ، وفي ضوئها يتضح ما كان لمدرسة الكوفة في القراءات من سمات خاصة لا يكاد يشاركها فيها أحد من غير الكوفيين إذا ما استثنينا الحسن البصري الذي نجد عنده بعض هذه السمات ، ولكنا لا نستشعر شيئا من الغرابة في ذلك إذ نجد الحسن يقول عن نفسه - فيما ينقله إلينا الزبيدي - إنه قضى شطرا من عمره في هذيل ، وهذيل هذه قبيلة ابن مسعود كما هو معلوم.

وقد كان لهذه السمات التي تتسم بها مدرسة القراءات بالكوفة أثرها في الاتجاهات النحوية للمذهب الكوفي ، وقد ساعد على هذا أن كثيرا من هؤلاء القراء كانوا من علماء اللغة والنحو بالكوفة كالمفضل الضبي ، وأبى عمرو الشيباني ، وقد سبقت إليهما الاشارة . وكذلك الفراء النحوي الكوفي المعروف كان هو ايضا قارئا روى القراءة عن أبي بكر بن عياش ، وعلي بن حمزة الكسائي .

ومحمد بن الحسن بن يونس أبو العباس الهذلي المعدود في نحاة الكوفة كان هو الآخر من القراء ، وكان هنالك غير هؤلاء عدد غير قليل من النحاة القراء ، بل إن رأس مدرسة الكوفة النحوية وهو الكسائي كان - كما عرفنا - من القراء السبعة المعروفين

لهذا كله كانت القراءات بعامة ، وقراءة ابن مسعود بخاصة ذات أثر عميق في مدرسة الكوفة النحوية ، وفي المنهج الذي انتهجه هؤلاء النحاة الكوفيون الذين اخذوا يعتدون بالقراءات ويعتبرونها مصدرا هاما من مصادر النحو الكوفي .

وقد طبعهم هذا الاتجاه بطابع الاعتماد على الاستدلال بالنصوص القرآنية والشعرية أكثر من اللجوء إلى القياس والتعليل العقلي ، وأنا لا أريد بهذا ان أباعد بين المذهب الكوفي وبين الأقيسة والعلل التي اتسم بها النحو العربي في أغلب مدارسه ، وعند الكثرة الكاثرة من علمائه ، بل إني أقصد إلى القول بأن نحاة الكوفة كانوا يفزعون إلى النصوص يستوحونها أدلتهم ، وإلى جانبها القياس والتعليل العقلي في شيء من القصد ، وقلما وجدناهم يوغلون في ذلك إلا في الخلاف النظري الذي كان بطبيعته لا تسعفهم فيه النصوص ، ولهذا اشتهر مذهبهم بالاعتماد على الشواهد مهما بلغت من القلة والندرة بل نجدهم يعتمدون على الشاهد الواحد أحيانا ، ويأبهون له في تقرير وجهة نظرهم إذا لم يجدوا من الشواهد الأخرى ما يسانده .

والبصريون ـ على عكس هذا ـ وإن كانوا يعنون بالنصوص ، فإنهم لا يعتمدون إلا على النصوص التي بلغت من التساند والتضافر والكثرة حدا يمكن معه الاعتماد عليها في تقرير قواعد النحو ومسائله . أما الشاهد الواحد ، والشواهد القليلة أو النادرة فإنهم يتجهون إلى توهينها ، والقول بشذوذها أو بأنها ضرورة شعرية إذا لم تكن موضع تأويل يردها إلى غيرها من النصوص .

ولم يكتف البصريون بتأويل بعض هذه النصوص الشعرية أو توهينها ، بل جاوزوا ذلك إلى مناقشة القراءات التي كان يعتمد عليها الكوفيون في استدلالهم ، فنراهم يتجهون إلى تأويلها ، أو يقولون بتطرق الوهن إليها ، وكثيرا ما تنقل المراجع إلينا أنهم كانوا أحيانا يستهجنون قراءة هؤلاء الكوفيين انفسهم إذا لم تواكب قواعدهم وأقيستهم ، فهذا عيسى بن عمر ـ أحد مشاهير علماء اللغة والنحو بالبصرة ـ يعترض على القارىء الكوفي طلحة بن مصرف في قراءة قرأها ، فيوجه إليه سهام النقد ماثلة في هذا الاستفهام الانكاري « **أتلحن** ؟ » فيرد عليه طلحة في كثير من الثقة والاعتزاز « نعم كما لحن اصحابي » .

وهكذا كان صنيع البصريين يقابل من جانب الكوفيين باعتزازهم وتمسكهم بالادلة النقلية ، ولا سيما تلك الأدلة القرآنية ، حتى إنهم ليذهبون إلى القول أحيانا بأن إجماع القراء على اتجاه لغوي في قراءتهم يعد دليلا على عدم جواز غيره .

ويتضح كل من هذين الاتجاهين في مسائل كثيرة من مسائل النحو ، ومن أمثلتها مسألة الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، فإن الكوفيين يذهبون إلى جواز ذلك في حال السعة والاختيار ، ويحتجون لصحة رأيهم بقراءة ابن عامر القارىء الشامي ، وأحد القراء السبعة المعروفين « **وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركائهم** » الانعام/ ١٣٧ بنصب « **اولادهم** » وجر « **شركائهم** » ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بمعمول المضاف .

ولكن البصريين يذهبون ـ في غير حق ـ إلى توهين هذه القراءة ، والقول بوهم قارئها ، مع تواترها وموافقتها للرسم في مصاحف أهل الشام ، ويقولون بأن الرسم في مصاحف أهل الحجاز والعراق (**شركاؤهم**) يدل على صحة ما ذهبوا إليه .

ومن الأمثلة الاخرى للتأثر بالقراءات في النحو الكوفي تأثرا كبيرا قراءة ابن مسعود للآية الكريمة : « **وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لاتعبدون إلا الله** » البقرة/ ٨٣ فإنه يقرؤها « **لا تعبدوا إلا الله** » ويستدل الكوفيون بهذا على جواز إعمال « **أن** » في الفعل وهي محذوفة . وليست غايتنا ان نؤكد صحة ما ذهبوا إليه ، فقد تكون « **لا** » هنا ناهية لا نافية ، ويكون المقام مقام جزم لا نصب ، ولكن المهم عندنا هو بيان منهج هذه المدرسة في الاستدلال .

ومن ذلك ايضا احتجاج هؤلاء النحاة من الكوفيين لجواز العطف على الضمير المجرور في حال السعة والاختيار دون إعادة الجار بقراءة جماعة من القراء منهم ابن مسعود ، وقتادة ، وحمزة ، ويحيى بن وثاب ، وطلحة بن مصرف ، والأعمش « **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام** » النساء/١ بالجر لا بالنصب عطفا على الضمير المجرور .

ومن هذا ما ذهب إليه الكوفيون من أن الاسم الموصول « **أي** » إذا حذف العائد من صلته يكون معربا نحو « **لأكرمنَّ ايهم أفضل** » بالنصب ، وهم يستدلون بورود ذلك على لسان العرب إلى جانب الكتاب الكريم في قوله تعالى : « **ثم لننزعن من كل شيعة أيهَّم أشد على الرحمن عتيا** » مريم/٦٩ وهي قراءة جماعة من القراء منهم معاذ الهراء العالم النحوي وهو من الطبقة الأولى من نحاة الكوفة .

وكذلك يذهب هؤلاء الكوفيون إلى أنه إذا وجد بعد الفعل المبنى لما لم يسم فاعله مفعول به ، ومصدر ، أو ظرف ، أو جار ومجرور لا يتعين إقامة المفعول به مقام الفاعل كما يقول البصريون ، بل يجوز إقامة غيره وهو موجود ، ويستدلون لذلك بقراءة ابي جعفر (من القراء العشرة) : « **ليجزي قوما بما كانوا يكسبون** »الجاثية/ ١٤ ببناء الفعل « **يجزي** » للمفعول .

ويذهبون ايضا إلى جواز وقوع الفعل الماضي حالا ولو لم يكن مسبوقا بالحرف قد ـ خلافا للبصريين ـ ومن أدلتهم على ذلك قوله تعالى : « **أو جاءوكم حصرت صدورهم** » النساء/ ٩٠ فحصرت فعل ماض ، وهو في موضع الحال ، وتقديره « **خصرةً صدورهم** » ، وهي قراءة الحسن البصري ، ويعقوب الحضرمي ، والمفضل الضبي عن عاصم .

ومن وجوه اعتمادهم ـ إلى جانب ما سبق ـ على القراءات والقراء في الاستدلال ما ذهبوا إليه من أن النصب واجب في الصفة إذا كرر الظرف التام وهو خبر المبتدأ مثل « في الدار محمد قائما فيها » فقد احتجوا

لذلك بقوله تعالى : « **وأما الـذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها** » هود/١٠٨ فقوله تعالى « **خالدين** » منصوب على الحال ، ولا يجوز غيره . ومثله قوله سبحانه : « **فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها** » الحشر/١٧ .

ووجه الاستدلال عندهم في هاتين الآيتين الكريمتين ان القراء أجمعوا فيهما على النصب دون الرفع الذي لم ترد به قراءة واحدة في كل ما روى من قراءات .

ومما يدخل في إطار هذا المنهج أنهم أجروا « **ثم** » مجرى الفاء والواو في جواز نصب المضارع المقرون بها بعد فعل الشرط مستدلين بقراءة الحسن : « **ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت** .. » النساء/ ١٠٠ بنصب (يدركه) .

ومن مظاهر مدهبهم هذا في اعتمادهم على النصوص ، ولا سيما النصوص القرآنية في الاستشهاد ـ مضافا إلى المظاهر السابقة ـ أن الواو قد تستعمل عندهم ناصبة للمضارع في جواب النفي أو الطلب مثل : « .. **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** » ال عمران/ ١٤٢ « **يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين** » الانعام/ ٢٧ كما تكون الواو عندهم « واو الصرف » ومعناها ان الفعل كان يقتضى إعرابا معينا ، فتصرفه هذه الواو عن هذا الاعراب إلى النصب ، وذلك نحو « **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** » البقرة/ ٣٠ في قراءة النصب .

ومن الأمثلة الاخرى لهذا التأثر اننا حين نجد قراءة ابن مسعود ، وطلحة ، والأعمش ، وابن وثاب ، وكثير غيرهم : « **وأما الذين سعدوا ففي الجنة** » هود/١٠٨ بالبناء للمفعول ، وذلك من الفعل « **سعد** » (بفتح العين لا بكسرها » ثلاثيا متعديا ـ نرى تبعا لهذا أن تعدية هذا الفعل « سعده » في اللغة إلى جانب « أسعده » لم تكن أمرا خافيا على بيئة النحو واللغة بالكوفة ، فهي ـ كما قلنا ـ من أشد البيئات اللغوية اعتمادا على القراءات بعامة وتأسيا بقراءة ابن مسعود بخاصة . وها هو ذا الفراء الكوفي يحكي ان هذيلا (قبيلة ابن مسعود) تقول « سعده الله » بمعنى أسعده . ثم إن الكسائي ، وهو أحد القراء السبعة ، ورأس مدرسة الكوفة النحوية كان يقرأ هذه القراءة ، وكان علي بن سليمان الأخفش الأصغر يتعجب ـ في غير حق ـ من قراءة الكسائي مع علمه بالعربية ، وينكر أبو حيان على الأخفش هذا التعجب الذي ليس له ما يبرره ما دامت هذه القراءة مردها إلى ابن مسعود ، وتلاميذه الكوفيين .

وهكذا نجد أثر ابن مسعود في مدرسة الكوفة واضحا لا يحتاج إلى بيان .

محور الدين

والمحاور الأخرى

للأستاذ / محمد عبدالرحمن صان الدين

كل كائن في الوجود ـ ظاهر أو خفي ، محسوس أو غير محسوس ، كبر أو صغر ـ يتحرك ويدور حول محور ثابت راسخ ـ بالنسبة له ـ ينجذب اليه ، ويحكم بقوانينه ، فلا ينفك عنه ولا ينفصل ، ومنه يكتسب بعض صفاته وخصائصه ، وبه تتشكل وتستقر طبيعته بل ويستمد حياته وبقاءه ، عاملا فعالا كيفما كان العمل والفعل ، فإذا انفك وانفصل عن محوره ـ بأي سبب ـ اختل توازنه ، واضطربت حركته ، وانطلق هائما كالمجنون بلا عقل يهديه ، أو زمام يكبح جماحه ، ويرده عن مواطن الخطر والهلاك فيصطدم بغيره من كائنات ، فيحطم ويتحطم . هذا واقع الطبيعة ومنطقها بما فيها الانسان بكل مميزاته ومواهبه ، فكل أمة (جماعة) من الناس تدور في فلك قطب أو محور ارتضته واقتنعت به ـ حسب عقلها وميولها ـ بصرف النظر عن صحته وفساده ، وحكمته وخطله ، ونفعه أو ضرره ، فهي تتكيف بمناخه ، وتتحرك بموحياته ، وتفكر به وله .

وأثبت المحاور الانسانية وارسخها ، وأقواها جذبا وأعمقها جذورا وأدقها تنظيما وتنسيقا هو محور الدين اما ما ابتدعه ويبتدعه العقل البشري ـ مهما بلغ من الفطنة والنضج والاحكام ـ من نظم وعقائد ومذاهب ، فإنه لا يسمى دينا وإنما هو نحل ودعاوى فيها ما في الانسان من قصور ونقص ، فلا تستطيع ان تغوص الى أعماق الانسان ، وتلمس طبيعة تكوينه من كل جوانبها ، فتشرع له ما يفي بحاجته ، ويضبط في الحياة حركته ، ألا ترى ـ ايها القارىء الكريم ـ أن كل النظم

والقوانين التي تمخض عنها العقل في مختلف العصور والأزمان عجزت عن أن تمنح السعادة للانسان ، وعن ان ترتقي به في فكره ووجدانه وسلوكه الى المستوى اللائق به كأكرم وأعظم مخلوق في الوجود ، وإن بلغ شأوا بعيدا في اكتشاف أسرار الطبيعة ، واستخدام طاقاتها في أغراضه استخدام رشد أو سفه .

أقول : كل محور غير محور الدين هراء ، وافتراء على الحقيقة ، وانطلاق في مجاهل التيه والشقاء مهما تزينت وبدت مغرية جذابة .

وحينما يتمرد الانسان على الدين ، ويبتعد عن محوره ، لخلل يعترى ميزان عقله ونزوة تعصف بوجدانه ، فإنه ينجذب الى محاور السراب البراقة الخادعة - يحسبها ماء فيه ريه ، حتى اذا جاءها لم يجدها شيئا ، بل يجد عندها الشقاء المقيم وعذاب الجحيم ، فيفر منها - إن استطاع - عائدا الى محور الدين الذي تمرد عليه بعد أن يكون قد أفنى شبابه ، وبدد طاقاته ، وأصبح حطاما يجرع كئوس الحسرة والندم .

وكم من أجيال في الغابر والحاضر تهاوت على تلك النحل الشاردة الجانحة المتصادمة كالفراش الأحمق فاحترقت ، ولم يبق منها ولا من النحل إلا الرماد الذي تذروه الرياح ، فتقذى به العيون ، وتختنق الأنفاس .

ان المحاور العقلانية ماهي إلا نتاج لأوهام الغرور والنزغ الشيطاني في الانسان المريض بالعقد والاختلال ، ولا يدور في فلكها إلا ضائع مخبول أو سقيم متبول ، وأية أفكار وأية فلسفة يمكن ان تحقق للبشرية جمعاء - على اختلاف طبائعها - مطالبها الحقيقية التي تقتضيها طبيعتها وفطرتها ومصلحتها العاجلة والآجلة . أهي الماركسية المادية العرجاء أم الوجودية الفوضوية الهستيرية أم القاديانية البهائية صنيعتا الاستعمار والصهيونية أم الماسونية اليهودية وفروعها وغيرها مما يطفو على السطح حينا ، ويختفي تحته حينا ، وهل هي المجوسية او البوذية او الهندوكية أو ... أو ... إنها كلها نتاج عقول ناقصة ، والناتج عن الناقص ناقص ان لم يكن فاسدا أصلا وفرعا ، وظاهرا وباطنا ، وهل يصلح العقل المجرد ان يكون مرشدا الى عقيدة صحيحة ، او مصدرا لنظام شامل ، وقانون عام يسوس البشرية ، ويقودها الى شاطىء السلامة والأمان ؟ وهو الذي استساغ العبادة والسجود للكواكب والبحار والأنهار ، والحيوان والأشجار ، والبشر والحجر والريح والنار ، وما زال في القرن العشرين من يمارس طقوس تلك العقائد

أي عقل ذلك الذي يتشدق به فريق من المفتونين ؟ أهو الذي يستخدم معطيات العلم لقتل الحياة فوق الارض ، ويضع القوانين التي تبيح الشذوذ الجنسي الذي يأباه حتى الحيوان الأعجم ، والذي جلب للانسانية الداء العضال وأبشع الأهوال . أم هو الذي يستحل دماء الشعوب ويحتكر مواردها ونعمة العيش فيها فتموت جوعا وعريا ومرضا ، ليعيش قلة في بذخ جنوني

واذا اجتمعت همزتان في الكلمة كما في الكلمات المبدوءة بالهمز حينما تجتمع في حال الاستفهام همزة الاستفهام وهمزة الكلمة مثل : أأنذرتهم ، أأعجمي في حال فتح الهمزة الثانية ، أإننا في حال كسرها ، أؤنبئكم في حال ضمها . أو كانت الهمزتان من صلب الكلمة وبنيتها مثل أئمة ، أؤم ـ اذا اجتمعت همزتان هكذا فانا نجد تحقيقهما معا سائدا بين قراء الكوفة ، ومن أهمهم حمزة ، والكسائي وأبوبكر وجميعهم تنتهي قراءتهم ـ كما عرفنا ـ الى ابن مسعود .

ومن حيث الاظهار والادغام اذا وجدنا قراءة ابن مسعود تميل الى الادغام في بعض حروف القرآن الكريم كما في قوله تعالى : (**قالوا سحران تظاهرا**) القصص/٤٨ حيث قرأها «**قالوا ساحران اظاهرا**» وجدنا هذه القراءة نفسها قراءة طلحة بن مصرف والأعمش ، فقد ذكر ابن خالويه أنها كذلك في حرف ابن مسعود ، وبه أخذ طلحة والأعمش ، لأنهما كانا يتبعان قراءته .

وكذلك الشأن في الآية الكريمة (**ولا تقربوهن حتى يطهرن**) البقرة/٢٢٢ فقد قرأها حمزة والكسائي «يطّهرن» ، وهكذا قرأها عاصم في رواية أبي بكر بن عياش ، وجميعهم من تلاميذ ابن مسعود . هذا الى ما سبقت الاشارة اليه من أن قراءة أبي بكر بن عياش عن عاصم هي دائما قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود .

ومن مظاهر هذا التأثر والمشاركة في قراءة ابن مسعود وتلاميذه هؤلاء وجود صيغة «افتعل» في أفعال اشتهرت فيها صيغة أخرى كوجود «انتجي» في قراءتهم مكان تناجي ، فقد قرأ جمهور القراء : (**يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان**) المجادلة/٩ وقرأ عبدالله : « **إذا انتجيتم فلا تنتجوا** » ، ولهذا حين قرأ جمهور القراء ايضا : (**ويتناجون بالإثم والعدوان**) المجادلة/٨ نجد قراءة حمزة ، وطلحة ويحيى بن وثاب ، والأعمش : « **وينتجون بالإثم والعدوان**» .

ومما يؤكد ان هذه لغة ابن مسعود الى جانب قراءته وقراءة تلاميذه ـ قول الله تعالى : « **ما يكون من نجوى ثلاثة** ...) المجادلة/٦ اذ يضيف اليها ابن مسعود للتفسير قوله : اذا انتجوا » وهي هكذا في مصحفه .

وإذا كان ابن مسعود يقرأ قوله تعالى : « **تذروه الرياح** » الكهف/٤٥ « **تذريه** » من « **أذرى** » لا من الثلاثي « **ذرى** » ، ويقرأ قوله سبحانه « **ليميز الله الخبيث من الطيب** » الانفال/ ٣٧ « **ليُميز** » من « **أماز** » لا من الثلاثي « ماز » ـ ألفينا أثر ذلك عند طلحة ابن مصرف ، والأعمش ، والكسائى ، وكثير من الكوفيين الآخرين .

وكذلك الحال في قوله تعالى « **وانظر إلى العظام كيف ننشزها** » البقرة/ ٢٥٩ إذ نجد قراءة الكوفيين « **ننشرها** » من الانشار أي الاحياء ، وهذا وغيره سير « منهم في الاتجاه الذي أشرنا اليه » .

وعربدة سفهاء ؟!

هل هذا هو الذي يسلم له قياد العباد .

بدلا من شرائع الدين وقوانين رب العالمين !

لقد جرّب الانسان في تاريخه المديد ـ الدساتير والنظم والعقائد العقلانية فلم تحقق له أدنى حظ من الطمأنينة والسكينة والاستقرار والاستمرار ، ذلك لأنها من صنعه هو، خاضعة للهوى والتغيير والتبديل ، والمحو والاثبات كلما تراءى له ذلك وكلما ظهر فسادها وخللها عند التطبيق العملي ،

ان العقلانيين ـ لو سلمت عقيدتهم ، وحسنت نياتهم ـ يحمّلون العقل فوق ما يحتمل ، ويخرجون به عن فلكه وحيزه ، فيضرب في متاهات ، ويضل في غياهب ، والا فلم اختلفت المعايير ، وتفاوتت الموازين ، وتصادمت الافكار ؟

أما قوانين الدين ومبادئه ، فإنها ربانية صادرة من حكيم خبير عالم بالأسرار الكامنة في أغوار الانسان المجهولة والتي لا يعلمها إلا هو ، ومن ثم تكتسب جلالها وقدسيتها وحصانتها ، فلا يجرؤ على المساس بها إلا كل مارق أو مخبول ، وبذلك تتمتع بصفة الاستقرار والدوام اللازمين لارساء قواعد الوعي والسلوك في المجتمع والثقة والاطمئنان على الحاضر والمستقبل دون تهديد بالتغيير والتبديل من النقيض الى النقيض كما يحدث دائما في قوانين الانسان .

ان الدين ضروري للانسان وسلامته ، فهو الذي يقيم في داخله ، وطيَّ ذاته وازعا يقظا ، قوي السلطان ، نافذ الأحكام ، يعصمه من الخطأ والشطط ، فالمتدين ليس في حاجة إلى زاجر أو رقيب من خارج ذاته ـ في الأعم الأغلب ـ يلزمه طريق الجادة إن ارتكس شعوره ، أو جنح به فكره في لحظة من لحظات الضعف البشري ، فسرعان ما ينتبه ، ويصحو ، من قبل أن يقع في المحظور « **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** » آية/٢٠١ من سورة الأعراف .

وفي شرع الدين وقوانينه المقدسة ، الزواجر والحدود الرادعة الكفيلة بإيقاف الجانح عند حده ، ورد الشارد الى سربه وحظيرته ، والمرء إزاء أحكامه يقف خاضعا مستسلما عن رضا وقناعة ، ولو كانت تلك الأحكام صارمة مدمية ، لأنه يؤمن بأنها تطهير له وتكفير ، وتزكية تنجيه من عذاب الله يوم يأتيه عاجلا أو آجلا ، وبذلك يسلم المجتمع ويأمن في غدوه ورواحه ، وتزدهر الحياة .

ان الأمة التي تتحلل من قيود الدين ، وتنفصل عن محوره ، وتنأى عنه ـ عن قصد أو جهل يشقى فيها الحاكم قبل المحكوم ، حيث يعصف

الشك والريب بالنفوس ، ويرحل الاطمئنان ويتفشى الشر والعدوان ،

ونظرة عابرة او فاحصة في داخل الأمم التي تفخر بأنها انفصلت عن الدين او فصلت الدين عن الدولة ، وأنها تحكم بدساتير وقوانين من وضع الانسان تجد ان الأمن فيها ضائع ، والاستقرار مفقود ، والروابط منحلة ، وما حوادث (شيكاغو) وغيرها ـ في أقوى الأمم وأرقاها ـ بخافية أو مجهولة .

ليت الأجيال الحاضرة والقادمة تقرأ التاريخ والسير بإمعان ، وتتأمل في وقائع الحاضر لتأخذ منها العبر والعظات النافعة التي تنير أمامها طريق الحياة السليمة السعيدة ورحم الله عهود الاسلام التي كان يحكمها الوازع الديني ، فمن ذا الذي لم يقرأ او يسمع قصة المرأة الغامدية في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام : لقد ارتكبت ـ في ساعة من ساعات الضعف البشري ـ جريمة الزنا ـ دون ان يراها او يعلم بها احد ـ فلما استردت يقينها ، وصحا الوازع في نفسها ذهبت الى الرسول صلى الله عليه وسلم وأقرت واعترفت بجرمها طائعة مختارة ، وفي إصرار وتأكيد مع علمها بأن عقابها الرجم حتى الموت ـ فقد كانت محصنة ، إنها أرادت ان تكفر عن جريمتها فلم تجد إلا نفسها تجود بها عن طيب خاطر ، لتذهب إلى ربها نقية طاهرة طارحة الدنيا بما ومن فيها وراء ظهرها ، إنه الوازع والوجدان الدينيان .

ذلك هو الدين وأثره في الانسان ، والاسلام الحنيف قد عنى أشد العناية بالوازع الديني ، لاهميته وخطره ، وتعهده بالغذاء والري ليبقى حيا ناضرا مترعرعا في كيان المسلم ، ووضع لذلك أحكم المبادىء ، ومختلف الأساليب وقواعد التربية

وحينما فطن الملاحدة من كل دين ونحلة ، وأدرك أهل الزيغ والموتورون والطامعون في الشرق والغرب ، وأصحاب الفلسفات العقلية الشاردة ، ومن نهج نهجهم من المتفلسفين والمقلدين ، حينما أدرك هؤلاء ما في الدين من قوة وتأثير في معتنقيه ، شنوا عليه حربا شعواء لاهوادة فيها ، ولا لين ، وكانت الحملة الضاغنة ، والهجمة الضارية على الدين الاسلامي، الدين الوحيد الذي لا يزال على أصالته كما نزل وسيبقى ـ إن شاء الله كذلك ، ولانه أقوى الأديان سلطانا ، وأكثرها جذبا وتأثيرا في النفوس والعقول ، وأشملها وأوفاها لحاجات الانسان في كل العصور ، ذلك لأن قطب محوره ثابت راسخ مصون وينبوعه الذي يستمد منه حيويته ونضارته متدفق موصول لا يجف ولا يغيض ، انه قرآن كريم في كتاب مكنون « **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** » آية ٤٢ من سورة فصلت ، « **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** » آية/ ٩ من سورة الحجر .

ومن العجيب أن الالحاد أيا كان نوعه وموقعه ولونه ، ومهما كان

متضاربا متناقضا فإنه يتلاقى ويتألف ، لتحقيق هدف واحد ألا وهو تحطيم الاسلام والقضاء عليه بكل وسيلة شيطانية أو وحشية في السر والعلن ، وبأساليب في غاية المكر والدهاء والخديعة : منها الشعارات البراقة ، والمال، والفاتنات من النساء ، والمناصب ، والحاجة الملحة إلى الطعام والدواء ، والثقافة ـ المسموحة ، وغير ذلك مما يؤلف طعما يبدو حلوا شهيا لتتهاوى عليه ـ في شباك الرق والعبودية ـ القطعان الجائعة المريضة أو البلهاء الجاهلة ، ولا تستفيق الا وهي مكبلة مشلولة الارادة ، ولن يشفع لها عنده فيما بعد انها خلعت ثيابها لتلبس ثيابه ، وانفصلت عن محورها الى محوره ، بل هو الشقاء الأبدي ، والذل المقيم .

ولما كان الاسلام هو حصن الأمان ، ودرع الوقاية لمن هم في كنفه يستظلون بمظلته ويعتصمون به ، ولما كان الطود الأشم الذي تتحطم عليه الأمواج ، وترتد عنه الأنواء كانت السهام موجهة إليه في غيظ وحقد ، وبلا كلل أو ملل ، ولكنه بقدرة الله سيظل ثابتا راسخا لا تنال منه الرياح العاتية الا بقدر ما تنال من الجبل من حبات الرمال الرخوة المنفكة عنه ، وما تلك الرمال المنجرفة الا جهلة المسلمين ، وضعاف اليقين ومن لا خير فيهم ولا غنى بهم ، والاسلام ينفي خبثه . حفظ الله الاسلام ، ووقى المسلمين سوء المنقلب .

تقدم

قيل ان المهدي لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية وهو صبي ، وخلفه اربعمائة من العلماء والفضلاء واياس يقدمهم .

فقال المهدي : اما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث .

ثم التفت اليه وقال : كم سنك يا فتى ؟

فقال سني ـ اطال الله بقاء الامير ـ سن اسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ جيشا فيهم ابو بكر وعمر .

فقال له : تقدم بارك الله فيك .

كتاب الشهر

المنقذ من الضلال

لحجة الاسلام
الامام الغزالي

للاستاذ/ الاحمدي عبدالقصود

ألّف الغزالي « منقذه » وقد أربت سنه على الخمسين ، وقبل انطفاء نور حياته بقليل . وفي ذلك الكتاب سجل الغزالي اعترافاته التحليلية وروى قصة حياته الفكرية والروحية ، وسترى الظروف التي دفعته الى ذلك كما رواها بنفسه ، وسيكون ذلك درسا أبلغ به من درس !

* لماذا ألف الغزالي منقذه ؟ *

« أما بعد ، فقد سألتني أيها الأخ في الدين ... »

تلك هي العبارة التي ابتدأ بها الغزالي اعترافاته في كتابه الخالد « المنقذ من الضلال » .. فماذا سأله أخوه في الدين ؟

« ان يبث اليه غاية العلوم واسرارها .. وغائلة المذاهب واغوارها » « واحكى لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق ، مع تباين المسالك والطرق » . « وما استجرأت عليه من الارتفاع عن حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار » « وما استفدته أولا من علم الكلام » ... « وما احتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الامام » .. « وما ازدريته ثالثا من طرق التفلسف » .. « وما ارتضيته اخيرا من طرق التصوف » ..

« وما انحل لي في تضاعيف تفتيشي عن اقاويل الخلق من لباب الحق » .. وما صرفني عن نشر العلم ببغداد مع

كثرة الطالبة » .. « وما دعاني الى معاودتي بنيسابور بعد طول هذه المدة » .. بذلك يتضح لنا لماذا الف الغزالي كتابه « المنقذ » ردا على ما سأله إياه اخوه في الدين ، فجاء المنقذ تبيانا وتفصيلا لكل ما أوردناه بنصه .
فالغزالي يحدثنا بأن اخاه في الدين يسأله عن أشياء ، فيبتدر لاجابته لأنه عرف فيه صدق الرغبة « فابتدرت لاجابتك الى مطالبك ، بعد الوقوف على صدق رغبتك » .

ولكن ثم من يشك في ذلك السبب الذي أبداه الغزالي . فالدكتور عبدالدايم أبو العطا البقري يقف هنا وقفة المتشكك ، ولايطمئن لماقاله حجة الاسلام عن نفسه ! فيقول في كتابه « اعترافات الغزالي » ما نصه :

« وسواء أسأله حقيقة أخ له في الدين حكاية ماقاساه في استخلاص الحق ... أم افترض هو أن هناك سائلا قد سأل هذا السؤال ، فهذا فضلا عن أنه عرض للفكرة التي يحتويها الكتاب مرتبة كترتيب الكتاب نفسه ، فهو على كل حال يدل على أن تطوره الفكري وسيره العلمي ، فيه بعض الغموض الذي يحتاج الى شيء من التصويب والايضاح .. والواقع أن هذه الحادثة ، حادثة رجوعه الى التدريس بنيسابور ـ وهي آخر الحوادث التي سجلها في المنقذ ـ كانت هي السبب المباشر لكتابة المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال » .

ولست أدري كيف جعل الاستاذ البقري حادثة رجوع الغزالي للتدريس بنيسابور هي علة تأليف المنقذ ؟! فهو لم يكتف بأن يجعل ذلك الاخ في الدين محض افتراض أتى به الغزالي ، بل أبى إلا أن يجعل الغزالي مغرضا في تأريخ نفسه ـ أي غير مخلص ـ ! وهذا شطط كبير وتجن على ذلك العالم الفذ ، حجة الاسلام . فهو ليس في حاجة الى ذلك الافتراض ليؤرخ نفسه ، فتراه يقول : « بعد الوقوف على صدق رغبتك » ولايكون هو صادقا مع نفسه فيما يحدث به ، وكان مستطيعا الوصول الى غرضه دون ذلك الافتراض الوهمي الذي لايكسبه شيئا ، بل يجعله غير صادق مع نفسه في استهلاك اعترافاته !

اما عن قول الدكتور البقري بأن السؤال الذي يجيب عنه الغزالي عبارة عن « عرض للفكرة التي يحتويها الكتاب مرتبة كترتيب الكتاب نفسه » أى أن ذلك مما يقوي الظن بأن هذا السائل وهمي ، فالعكس هو الصحيح ، إذ إن الغزالي لم يؤلف كتابه ثم جعل هذا السؤال الوهمي ثبوتيا وعرضا لفكر الكتاب ـ وما كان أغناه عن ذلك التحايل بأن يلجأ الى الفهرست لو أراد ـ بل رتب كتابه وقسمه هذا التقسيم وفقا للسؤال الذي سأله إياه أخوه في الدين .

فالكتاب إنما سار على نقط السؤال حتى استوفاها . لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، وليس السؤال هو الذي أحصى ما في الكتاب وجاء كما

يقول الاستاذ عرضا للفكرة التي يحتويها الكتاب مرتبة كترتيب الكتاب نفسه !

اما عن جعل رجوع الغزالي للتدريس بنيسابور، هو وحده السبب الرئيسي لتأليف المنقذ، فهو قول لا دليل عليه. تأبى هذا الرأي سيرة الامام الفذ، وتأباه أيضا حوادث المنقذ ذاتها.

إذاً كان الغزالي « مخلصاً » حين ألف منقذه، و« صادقا » حين حدثنا بالسبب.

* الغزالي يطلب العلم اليقيني *

« وقلت مستعينا بالله ومتوكلا عليه، ومستوفقا منه وملتجئا اليه .. »

بذلك الاستفتاح القوي الصادق، يبدأ الغزالي درسه « ... اعلموا أحسن الله تعالى إرشادكم، وألان للحق قيادكم ... الخ ».

هنا يلقى الغزالي نظرته الفاحصة على هذا الكون العجيب الحافل ويرى الناس مختلفين أديانا ومللا حتى الامة الواحدة، ذهبت فيها الفرق مذاهب.

تباينت الطرق، والبحر عميق « غرق فيه الاكثرون، وما نجا منه الا الأقلون » وقد زعم كل فريق أنه على شيء«وكل حزب بما لديهم فرحون »

لقد تنبأ سيد المرسلين لأمته بهذا الاختلاف يوما. « ستفترق امتي ثلاثا وسبعين فرقة، الناجية ملتها واحدة ».

عرف الغزالي هذا وسلم بأنه قد « كان ماوعد ان يكون ». فهل يرضى لنفسه احدى الفرق الثلاث والسبعين، علها تكون الناجية، وما يدريه إن اختار ؟ هو لم يتخذ عند الله عهدا، وهو لا يقول على الله ما لايعلم.

إنه منذ عنفوان شبابه، منذ راهق البلوغ، ولما تبلغ العشرين سنه حتى اصبح وقد اوفى على الخمسين ـ وهي سنه إذ كتب منقذه تقريبا ـ يلتمس الحقيقة، آنسا في نفسه رشدا، فهو يقتحم « لجة هذا البحر العميق » ويخوض « غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور » ولكن الطريق غير معبد، فيه ظلام، وفيه مشكلات. ولكن من راض نفسه على طلب الحقيقة، فليس له الى النكوص من سبيل. فهو يتوغل في كل مظلمة، ويقتحم كل ورطة، غير هياب ولا وجل.

إنه علم من نوع آخر إذاً، ذلك الذي راح يطلبه الغزالي، فهو يطلب العلم اليقيني.

ـ وما العلم اليقيني ؟

ـ « هو الذي تنكشف فيه العلوم انكشافا، لا يبقى معه ريب، ولا يقاربه إمكان الغلط والوهم، ولايتسع

القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغي ان يكون مقارنا لليقين مقارنة . ذلك هو العلم اليقيني كما عرفه الغزالي واراده ، فراح ينشده .

اما كل ما لايعلمه الغزالي على ذلك الوجه ، ولايتيقنه هذا النوع من التيقن « فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا امان معه ، فليس بعلم يقيني » .

العلم اليقيني وكيف هدى الله الغزالي طريقه ؟!

وقف الغزالي حائرا ، يقلب أنظاره في سماء المعرفة ، وكواكب العلوم تترى أمامه ما يكاد يبزغ كوكب منها ، حتى يأفل . ان مراده العلم اليقيني ، وذاك ما بزغ بعد كوكبه .. وهناك بعيدا رأى كوكبا بازغا ظنه أربه .

على كوكبه هذا هاديه العلم اليقيني ! .. فالغزالي لايجد ما يصح ان يكون هاديه للعلم اليقيني ، الا الحسيات والضروريات .

« فقلت الآن بعد حصول اليأس : لامطمع في اقتباس المشكلات إلا من الجليات وهي الحسيات والضروريات » .

وشكك الغزالي نفسه في المحسوسات ، وطال به التشكك واخيرا يصل الى قرار : « لم تسمح نفسي بتسليم الامان في المحسوسات ايضا » .

ولذاك عنده سبب . أن حاسة البصر هي اقوى ما في المحسوسات فإذا اطمأن الغزالي اليها ، فربما استطاع ان يركن بعض الشيء الى ما تقوله هذه المحسوسات ، بادئا بأقوى ما فيها ـ حاسة البصر ـ ثم يتمشى بعد ذلك مع باقيها .

وأخذ الغزالي يزداد شكا وحيرة . فقد شك في المحسوسات ، وشككته تلك في المعقولات .. بعد ذلك بدأ الغزالي بعلم الكلام ، وثنى بطريق الفلسفة وثلث بتعليمات الباطنية ، وختم بطريق الصوفية .

* ماذكره الغزالي في علم الكلام مقصوده وحاصله *

« ثم إني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته » .

طالع الغزالي كتب المتقدمين المحققين في ذلك العلم ، ولم يكتف بذلك بل صنف فيه ما اراد . وكان حكمه فيه .. « فصادفته علما وافيا بمقصوده ، غير واف بمقصودي »

فما هو مقصود علم الكلام ، وما هو مقصود الغزالي ؟ ولم اختلف المقصدان ؟

مقصود علم الكلام هو حفظ عقائد اهل السنة على اهلها ، وذب تشويش اهل البدعة عنها . فاذا عرفنا بهذا مقصود علم الكلام تساءلنا كيف يختلف مقصود الغزالي عنه ؟ ولكنا نسارع بالقول :

إن الغزالي لايختلف مقصوده عن مقصود علم الكلام ، بل هو غير كاف به ، إذ يريد الغزالي طريقة لنفسه غير ما ارادها المتكلمون . لأن الغزالي رأى أن أكثر خوضهم إنما كان في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذاتهم بلوازم مسلماتهم « وهذا قليل النفع في حق من لايسلم سوى الضروريات شيئا اصلا » .

وعلى ذلك ينصرف الغزالي عن علم الكلام ، ويقول « لم يكن الكلام في حقي كافيا ، ولا لدائي الذي كنت اشكوه شافيا » ... وهكذا نفض الغزالي يديه من علم الكلام ، ليجرب الفلسفة وحظه معها .

* الغزالي والفلسفة *

« ثم اني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة »

والغزالي كما رسم لنفسه الطريق ، لن يحكم بفساد علم او صلاحه حتى يساوي أعلم العلماء في أصله ، ثم يزيد عليه .. وقضى الغزالي ما يقرب من عامين مواظبا على التفكر في ذلك العلم بعد ان فهمه ثم قسم الغزالي الفلاسفة ، ووسم كافتهم بالكفر .. والفلاسفة عنده اقسام ثلاثة .

الصنف الاول : الدهريون وهي تلك الطائفة التي جحدت الله منكرة وجوده فليس للعالم عندها من صانع مدبر . وهم يزعمون أن العالم وجد بنفسه ، لا صنعه الله الذي اتقن كل شيء ، خلقه ثم هدى . فالحيوان لم يزل من نطفة ، والنطفة من حيوان ، كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا . وهؤلاء هم الزنادقة « ما قدروا الله حق قدره »

الصنف الثاني : الطبيعيون ، وهم أولئك الذين طال بحثهم في الطبيعة ، وقد رأوا الله في آياته ، فهم يعترفون بوجوده ، ولكن هؤلاء لكثرة بحثهم في الطبيعة ، ظهر عندهم -لاعتدال المزاج- تأثير عظيم في قوى الحيوان ، فظنوا أن القوة العاقلة في الانسان تابعة لمزاجه أيضا ، وأنها تبطل ببطلان مزاجه فينعدم . ثم اذا انعدم فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا ، فذهبوا الى ان النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة ، وانكروا الجنة والنار ، والقيامة والحساب ، وهؤلاء أيضا زنادقة ، لأن أصل الايمان هو الايمان بالله وبالرسول واليوم الآخر ، وهؤلاء جحدوا باليوم الآخر وإن آمنوا بالله تعالى وبصفاته .

الصنف الثالث : الالهيون ، ويضرب الغزالي لهم مثلا بسقراط ، استاذ افلاطون ، ويؤكد عن افلاطون انه استاذ ارسطاطاليس ،

وارسطاطاليس هو الذي رتب لهم علم المنطق ، وهذب العلوم وانضج لهم ما كان فجا من علومهم وهم بجملتهم ردوا على المصنفين الأولين من

الدهرية ، والطبيعية واوردوا في الكشف عن فضائحهم ما اغنوا به عيرهم ، ثم رد أرسطاطاليس على افلاطون وسقراط ومن كان قبلهم من الالهيين ردا لم يقصر فيه ، حتى تبرأ عن جميعهم إلا أنه استبقى أيضا من

رذائل كفرهم بقايا لم يوفق للنزوع منها ، فوجب تكفيره وتكفير متبعيه من متفلسفة الاسلاميين ، كابن سينا والفارابي وأمثالهم . هكذا نرى الغزالي يقسم الفلاسفة ذلك التقسيم الثلاثي رغم كثرة فرقهم ، واختلاف مذاهبهم ـ على حد قوله ـ فالقسم الاول والثاني عنده من الغاوين ، بين كافر ومبتدع ، أما القسم الثالث منهم ـ الالهيون ـ فقد قسم فلسفة ارسطاليس الى ثلاثة اقسام ، أخذ بواحد منها فقط « لا يجب إنكاره اصلا » . ثم قسم علوم الفلاسفة الى ستة اقسام : رياضية ، ومنطقية ، وطبيعية ، وإلهية ، وسياسية ، وخلقية .وبين لنا الغزالي مهمة كل علم من ناحية الغرض الذي يطلبه .

* ما ذكره الغزالي في مذهب التعليم وعائلته *

فرغ حجة الاسلام الامام الغزالي من الفلسفة ، ثم انتقل الى التعليمية .. فمن هم التعليمية ؟ وما مبادئهم التعليمية؟، هي تلك الفئة الضالة المضلة التي عم شرها البلاد ،

وتسربت تعاليمها الى كثير من النفوس الضعيفة التي يسهل خداعها بالتعاليم البراقة ، حيث يختفي وراء ذلك البريق الزائف ، الزيغ بكل معناه ـ ومما زاد في خطر هؤلاء انهم يدعون الاسلام في الظاهر ، أما ما خفي ـ وما خفي عظيم ـ فذلك هو الداء الدفين ، الذي لا يطلع عليه الا من آخذ العهد عليهم ، فلا يطلعونه على شيء إلا بعد ان يأخذ على نفسه القسم ، الا يبوح بشيء من ذلك السر الذي سيفضي به اليه . وهنا يجد التعليمي نفسه بعد اخذ القسم عليه ، واطلاعه على سرهم بين نارين : إما مصدقا لتعاليمهم فيضل كما ضلوا ، واما مستنكرا ما يسمعه منهم ، من مخالفة الشرع وأحكامه .

لقد كون الغزالي في هذا المذهب وأهله رأيا خلص له بعد الدراسة . « والحاصل أنه لا حاصل عند هؤلاء ولا طائل لكلامهم » . وإن الغزالي ليرجع ما انتهت اليه هذه البدعة ، وبلوغها هذه الدرجة من الانتشار ، مع ضعفها الى « سوء نصرة الصديق الجاهل » .

تلك هي المرحلة الثالثة التي قطعها الغزالي في شوطه صوب العلم اليقينى.. وتبقى المرحلة الرابعة والأخيرة ، طريق الصوفية .

* الغزالي وطريق الصوفية *

ثم إني لما فرغت من هذه العلوم ، اقبلت بهمتي على طريق الصوفية » لقد مر الغزالي بوادي الفلاسفة ، وعلم الكلام ، ومذهب اهل التعليم ، فلم يسكن الى واد منها ، يجد فيه شفاء لما في نفسه ، من رغبة جامحة تدفعه الى طلب الحقيقة .

فأقبل الغزالي بهمته على حد تعبيره ـ على طريق الصوفية . وهنا يعلن ان طريقة هؤلاء إنما تتم بعلم وعمل .

وعلى ذلك وقف الغزالي ينظر ، أمامه طريقان متشعبان : علم وعمل ،

فبأيهما يبدأ ؟ «وكان العلم أيسر عليّ من العمل ، فابتدأت بتحصيل علمهم » .

فطالع كتبهم . قرأ « قوت القلوب لأبي طالب المكي ، وما ألفه الحارث المحاسبي ، وما أثر عن الجنيد والشبلي وأبي يزيد البسطامي من متفرقات ، وغير ذلك كثير ووعي كلام مشايخهم حتى وصل الى الدرجة التي يعلنها في منقذه من أنه أصبح مطلعا على كنه مقاصدهم العلمية » .

ويقول كذلك « وحصلت ما يمكن ان يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع » لقد ظهر له أن« أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق ، والحال ، وتبدل الصفات » وخلص الغزالي أن الصوفية إنما هم ارباب أحوال لا اصحاب اقوال . وقد حصل من طريقتهم كل ما يمكن تحصيله بطريق العلم ، وبقي « ما لا سبيل اليه بالسماع والتعلم ، بل بالذوق والسلوك » . وهنا يقرر الغزالي أنه قد حصل معه من العلوم التي مارسها وما سلكه من مسالك في التفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية ماذا «ايمان يقيني بالله تعالى ، وبالنبوة ، وباليوم الآخر » .

وغادر الغزالي بغداد وخرج مهاجرا في سبيل الله ، بعد أن فرق ما كان معه من مال دون أن يدخر شيئا سوى ما ذكره « قدر الكفاف وقوت الأطفال » ثم ادخل الله الغزالي الشام مدخل صدق فأقام بها زهاء سنتين في العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس ، وبتهذيب الأخلاق ، وتصفية القلب لذكر الله تعالى ، كما حصله من علم الصوفية . إن ما قدمناه ليس الا قراءة الجزء ألاول من الكتاب الضخم المنقذ من الضلال البالغ عدده اربعة أجزاء للعلامة حجة الاسلام الامام الغزالي رحمه الله . واسأل الله ان يجعلنا ممن آثره واجتباه ، وارشده الى الحق وهداه .

الى المسرفين

سمع عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : أن أحد أولاده اتخذ خاتما واشترى له فصّاً بألف درهم ، فكتب إليه يؤنبه ويؤدبه : بلغني أنك اشتريت فصّا بألف درهم فبعه ، وأشبع به ألف جائع ، واتخذ خاتما من حديد ، واكتب عليه : (رحم الله امرأً عرف قدر نفسه) .

قصة العدد

مالك الحزين

للاستاذ / أسامة سعد عبدالله

قابع وحده تحت هجير الشمس ، حيث أشعتها تحرق جسده ، وتزيده تفحما ، المكان أرض فسيحه ، صحراوية الملامح ، ترتدى ثوب الجدب .. يتحسس جسده الصغير كأنه يتأكد من أنه لازال على قيد الحياة ، بالأمس القريب كانت هذه الأرض الجرداء ، ساحلية ، خصبة ، تمتلىء بمختلف ثمار الفواكه والخضروات ، لكن المناخ شق عصا الطاعة ، فأغلقت السماء صنابيرها وامتنع المطر عن الهطول وشيئا فشيئا أجدبت البحيرة العظيمة التي كانت تخترق هذا الساحل لتخرج منها قنوات كثيرة ، متفرعة هنا وهناك ، لتروى كل الأراضي الزراعية ، فجفت الزروع وتشققت الأرض ونفقت الماشية .

تقلصت أحشاء الصبى .. أحس بألم شديد .

لم يعد لدينا خبز .

لم يعد لدينا أى شيء .

تكرر ت العبارتان في كل منزل ، ثم في كل متجر ، حتى أصبحت على كل الألسنة وعندها أيقن الجميع أنهم على حافة الموت جوعا .

على بعد خطوات من الصبى ، يقف مالك الحزين على قدم واحدة ، ساهما بعينيه نحو الأرض ، مطرقا برأسه ، كأ نه يحمل حزنا دفينا ، رفع رأسه للحظة يتأمل أنف الصبى الكبير ، الأفطس ، وعينيه الواسعتين المعروقتين بالدماء ، ثم أطرق ثانية .

في ركن قصى يجلس رجل عجوز على تل صغير ، نحيف الساقين والذراعين



فمه منزوع الأسنان والضروس ، عيناه غائرتان كأنهما تودان أن تختفيا داخل الكرة الرأسية لتمتنع عن مشاهدة ما حولها ، ينتقل بعينيه بين

مالك الحزين والصبى الأسود ويبتسم .. ينظر اليه الجميع هنا على أنه قد فقد عقله .. كثيرون من قبله فقدوا عقولهم في هذا المكان .. رعشة يده توشى بقلق مكتوم .

ينظر الصبى إلى طفل رضيع يبكي ويصرخ .. بجانب أمه .. امرأة هزيلة شاحبة ، لا تجد له طعاما سوى ثدييها الضامرين ، تمنحه إياهما ، وما أن يمسك أحدهما بشفتيه حتى يتركه ويعاود الصراخ والبكاء ، فهما كهذه الأرض لا حياة فيهما .

المكان ملىء بآلاف الجياع لجأوا الى حدود الدول المجاورة التي لم تكتو بعد بالجفاف .. سكنوا الخيام ، والأكواخ ، على أمل أن تكون خيامهم منفى مؤقتا ، بعدها تأتي السيول ، والأمطار الغزيرة فتمحي هذه الذكريات السوداء ، وتكسح الفيضانات شبح الجوع والموت .

لكن الأمال ترحل بعيدا بعيدا ، فالجفاف شد حزامه حول كل الدول المجاورة رويدا رويدا ، وانقطع عنهم ما كانت تجود به عليهم ، وما عاد شىء يلوح للقلب والعقل سوى تذكر الموت .

ينظر الصغير في صمت أبله الى الوجوه المحتضرة من حوله داخل

الخيام والوجوه الشاردة في الطرقات تنطق بالمرض والهزال ، فالفقر المدقع جعلهم يـدورون في هـوة سحيقـة جبارة .. جعلهم اصدقـاء حميمين للمرض ، وأقعدهم المرض عن العمل فـازدادوا فقرا ، ثم اشتـد عليهم المرض والهزال لأنهم معدمون .

وفي هذه الهوة السحيقة سقطت أمه منذ عامين حيث أصابتها الملاريا ظلت تهذى وتتصبب عرقا وترتعش ، ولم تفلح معها أية وسيلة من وسائل العلاج البدائية ، وكان موت الأم شوكة دامية للأب ظلت تسرى في عروقه مسرى الدم تدمي أحشاءه ، وتفتت فؤاده ، حتى أجهزت عليه ، وبقى الطفل يواجه لطمات القـدر القوية المبكرة .

يجلس الصغير شادر الذهن .. تعب من النظـر الى الضلوع البـارزة ، والعروق المتوترة ، انصرف بعينيه الى مالك الحزين ، يتحدث معه حديثا صامتا .

... ...

... ...

... ...

في هذه اللحظة دوى هتاف كبير من أعماق إحدى الخيام .

أرغفة ساخنة .. رائحة شواء .. لحم مشوى .. هناك .

قبل أن يكمل اشارته كانت عشرات السيقان الهزيلة تعدو الى حيث أشار الشيخ العجوز مازال يبتسم .. عادوا جميعا كالكـلاب الضالـة ، أعينهم تمتلىء بالقنوط .. لم يكن صاحب الهتاف أول ضحايا التخيلات التي جرها الجوع وشبح الموت عليهم ، فمن قبل كان هناك من يهذى بأنه وجد رجالا عمالقة ينهشون لحم رجل ، وحيوانات ضخمة تنقض على الأطفال وتلتـهمهـا ، وآخـرون صـرخـوا واستغـاثوا من زلازل تهـز أرجاء المكـان ، وأطلقـوا سيقـانـهم في الصحراء بعيدا ليصبحوا بمنأى عن هـذه الزلازل فـابتلعتهم الصحراء الجائعة ، وآخرون أصروا على أن هذا المنخفض أصبح نافورة تضخ بالمياه ، وراحوا يخلعون ملابسهم ليستمتعوا بالمياه ، ويملؤون أكفهم بـالمياه من أرضها فابتلعوا الرمال .

العجـوز يصر على ابتسـامته ، ويمعن في تأمل الكون المحيط ، كأنه يجد راحته من عناء الحياة في تأمل ملامح الموت المرتسمة على الوجوه من حوله .

فجأة ارتفع في الفضاء أزيز طائرة تشق طريقها نحو الأرض في إصرار .. هبط منهـا رجـال بيض ، لحـاهم حمـراء .. هبطت طائـرة أخرى .. انفرج بابها عن راهبات يرتدين ثياب الرهبنة البيضاء .. جاءت البعثتان تحملان الطعام والشراب والدواء ، وهنـاك في بلادهـا البعيدة مئـات الجمعيات الآخرى تتاجر أيضا في الخير ، رافعة شعارات « الأخوة في الإنسـانيـة » ، « الحـرب ضـد الجوع » .

يتصـاعـد صـوت غليظ .. الطعام .

حشد هائل يضم رجالا ونساء وصبية يتدافعون في شوق جنوني ..

انقسم الحشد على نفسه .. البعض اتجه إلى أصحاب اللحاه الحمراء ، والبعض سار إلى الراهبات .. ارتفع صوت راهبة تطلب من الجميع أن يقفوا صفا واحدا ملتزمين النظام .. يبتسم الرجل العجوز ثم يضحك بشدة .. طلب أصحاب اللحاه الحمراء نفس المطلب .. يضحك العجوز ضحكا صارما .. بقى جالسا في مكانه كأنه لا يريد الطعام .. لمحته احدى الراهبات .. عرفته على الفور .. كان من المجاهدين الثوار .. وقفت أمام التل الذي يجلس عليه .. نظر اليها العجوز .. تذكرها على الفور .. كانت من رعايا الاحتلال .. في الماضي كانت تمتلك مكتبة صغيرة تبيع فيها الأدوات المكتبية .. ذهبت مع الاحتلال ، لكنها عادت مرة أخرى لتتاجر في الفقر والمرض والجوع والجهل .

بادرته قائلة .

ــ كان لك جسد مهل !!

ــ الأطفال عندنا الآن يموتونبعد ولادتهممباشرة .

ــ لم لا تذهب لاستلام طعامك ؟؟

ــ أرسلوا لنا من قبل أرزا مخصصا للخنازير .

ــ عيناك غائرتان .. أين سوادهما العميق ؟؟!!

ــ تكلفة صاروخ من بلادكم تكفي لاطعام مليون من أطفالنا .

ــ سينفذ الطعام .

ــ اضطروا إلى أكل القطط والكلاب .

ــ معى ثياب جديدة لك .

ــ الأطفال والنساء يرتاعون لمنظر الجرذان .

وقف الصبى أمام الراهبات ، يمسك في يده قدراً من الفخار ، وضعن فيه آخر نصيب من الطعام .. سار به الصبى لخطوات ، ثم سقط منه القدر ، وسال الطعام على الأرض .. انكفأ لينقذ الأمر ، لكن طعامه كان قد اختلط بالثرى في اصرار .. نظر الى العجوز .. وجده مازال يبتسم .. نظر الى بقية الأطفال وهم يلتهمون الصحاف .. ألسنتهم تلوك الطعام في نهم .. آثار الطعام على جانبي الشفاه دون خجل .. تكشف بوقاحة احتدام الجوع داخلهم .. سار بخطوات صامتة .. نظر الى مالك الحزين .. نظر الى مالك الحزين .. وجده مازال يدلى برأسه ، مغمضا عينيه ، ويستسلم لصمت حزين .

على هامش

ثورة المساجد

محمد مؤذن

تابع المشاهد أبو إسلام أحمد عبد الله

الخروج من القمقم

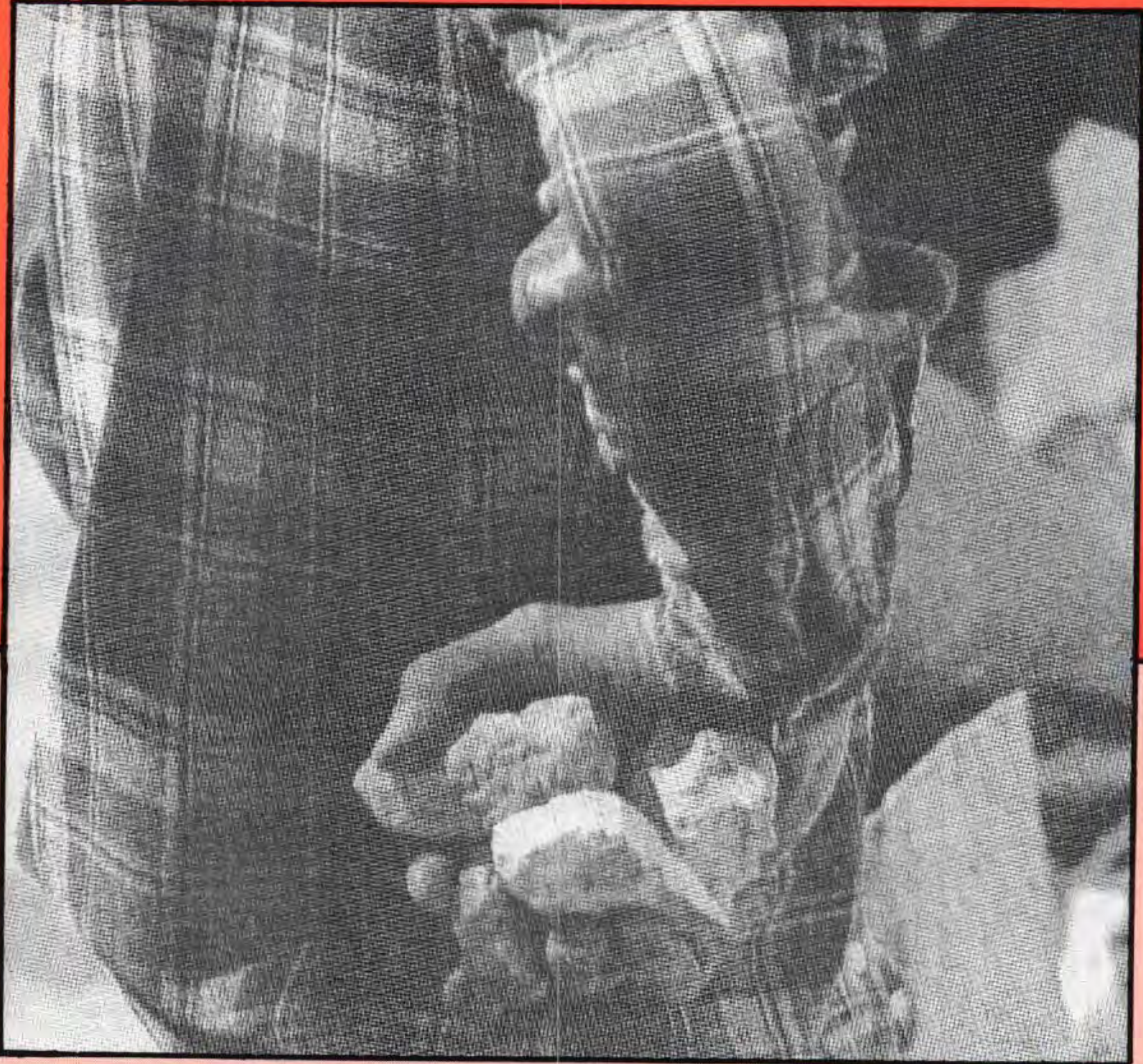
سيناريو غير مرتب من قلب الأرض المحتلة

تبارت وكالات الأنباء في رصد جسارة شباب ثورة المساجد مسلطة الضوء على معالم الصمود والتحدي لمختلف أساليب العنف والارهاب الصهيوني العنصري في الأرض المحتلة ..

لكن جانبا آخر لم يتحدث عنه الاعلام وسط زحام الأحداث وحصر عدد القتلى ورصيد الحجارة لدى المجاهدين من أجل الدين والأرض ..

كيف يتحدون السلطات ؟ .. كيف يتنقلون من مكان الى مكان ؟ .. كيف سلبت منهم الأرض ؟ .. كيف يعاقبون؟ كيف يعالجون ؟ ..

عشرات الأسئلة عن جرائم باتت من مسلمات فرض الأمر الواقع ، فجرتها ثورة المساجد .. لكن أحدا لم يتنبه اليها ، فأجابت عنها مجموعة من المشاهد المنسية غير المرتبة في أردأ عمل درامي قامت به الصليبية العنصرية في الأرض المقدسة



مداخلة .. بإيقاع سريع

الشهيد عبد السلام « أفتيجة » يسقط أمام أهله في مخيم البريج .. وفي دير البلح تسكن سبع رصاصات متتالية بطن الشاب فايز يوسف أبو قطيفان (١٤ عاما) .. بمدافع الماء والقنابل المسيلة للدموع وتحت ستار من الطائرات المروحية اقتحم اكثر من مائتي صهيوني مستشفى الشفاء بغـزة فخطفـوا الجـرحى وجثث الشهداء ونهبوا ما وصل إلى أيديهم من أجهزة وأدوات ..

في رفح وقف جنود صهيون بالمدافع أمام الجامعة الاسلامية لمنع جنازة الشهيد جمال أبو سهدانه من دخولها حيث تحركت أعنف مظاهرة شهدتها رفح منذ الاحتلال ..

في رام الله والخليل ونابلس تحركت مظاهرات شبابية ونسائية ترفع أعلام فلسطين وتشعل النار في أعلام العدو فتنطلق عليهم الرصاصـات تسقط الأجساد وتتلقف الأيادي اليقظـة أعلام فلسطين حتى لا تسقط مع الشهداء ..

حجارة كأنها من سجيل تتهاوى على جنود العدو من كل صوب وحدب فتفعل فيهم فعل السحر ..

في حي الشجاعين سقط الشهيد

«ميسرة البطيخي » برصاصة غادرة فكتبوا بدمه الساخن على الحوائط القديمة الباردة : « بالروح بالدم .. نفديك يا فلسطين » ..

إعصار بشري يتحرك من جوف الأقصى ليفك حصارا عسكريا من حوله على بوابات « العامود » و «الساهرة » متجهين نحو ساحة المسجد المبارك حيث كان في انتظارهم طلبة الكلية الرشيدية والكلية الابراهيمية وطالبات المدرسة المأمونية ، هاتفين : «يايهود يايهود .. جيش محمد سوف يعود .. »

المشهد الاول

في عام ١٩٤٨ أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة اعلانين أولهما يؤكد على أن أساس الحرية والعدل والسلام في العالم هو الاعتراف بالكرامة الانسانية المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية والثابتة ..

طلب الراهب (دانيال) مرددا في ساحة المحكمة : « ان شرط ابطال حق الراهب دانيال لقبوله ديانة أخرى في أن يعتبر يهوديا هو شرط غير دستوري يتنافى مع روح قانون العودة الصهيوني نفسه .. اننا نعرف من هو غير اليهودي .. لكننا لا نعرف من هو اليهودي ؟ » ..

صهاينة .. مع وقف التنفيذ

« بنيامين شاليت » .. ولد في فلسطين .. من أبوين من غلاة اليهود الصهاينة المعروفين .. ولأسباب اجتماعية سوية وغير سوية لم يهتم بنيامين بالدين .. فشب متحررا من طقوس اليهودية ثم سافر الى أنجلترا لاكمال دراسته حيث حصل على الدكتوراه في علم النفس ووظائف الأعضاء ..

وفي انجلترا أعجبته الفتاة النصرانية الشقراء « آن » .. وقضى معها أوقاتا طويلة انتهت بالزواج ، ثم عاد بها الى فلسطين ثانية حيث أدى الخدمة العسكرية في السلاح الجوي الصهيوني بالارض المحتلة .. وقامت «آن » الصليبية بدراسة العبرية وحصلت على درجة علمية عالية من معهد في حيفا يدعى « التكنيون » .. ثم حصلت على الجنسية الاسرائيلية مع احتفاظها بديانتها النصرانية ، رغم أن والديها المتحررين من أسرة اسكتلندية كانا أيضا من غلاة المتحمسين للصهيونية ..

وأنجبت « آن » ولدها الأول ثم الثاني فذهب بنيامين شاليت لتسجيلهما بسجل المواليد حسب البيانات التالية :

الجنسية : يهودي ـ الدين : لا شيء فنظر إليه الموظف المختص في غضب رافضا اعتبار الطفل المولود لأم نصرانية يهوديا وان كانت هذه الأم تحمل الجنسية اليهودية ..

سارع بنيامين رافعا أمره للقضاء .. وأمام المحكمة العليا أبدى إصراره على ارتباط الجنسية بالروابط الاجتماعية معترضا على ارتباطها بالتفسير الديني لأن هذا ظلم لأبنائه وما يأتي من أجيال متسائلا :

« ان القضية ليست قضية تسجيل أبنائي .. إنما هي : من نحن ؟؟ »

وبعد مداولة بين أعضاء هيئة المحكمة أعلنوا أن محكمتهم غير صالحة لنظر الدعوى .. ولخطورة الدعوى ، تم تشكيل هيئة جديدة من تسعة قضاة .. وبعد أربعة عشر شهرا من البحث والدراسة والمداولات ، أصدرت الهيئة حكمها بأغلبية خمسة أعضاء ضد أربعة ، بقيد أبناء بنيامين شاليت يهودا ..

وقالت الهيئة في حيثيات حكمها : «يجب ألا يكون المرء يهودي المذهب أو المعتقد لكي يجرى الاعتراف به كمواطن يهودي من حاملي جنسية الدولة ، .. وان مسألة من هو اليهودي بالنسبة لقانون سجلات المواليد لا علاقة لها بالشرع التلمودي ، بل تقع كلية تحت طائلة القانون العلماني الوضعي .. »

ولم تقبل الأقلية في هيئة المحكمة ماصدر عن الأغلبية حيث انتهوا الى ضرورة نقض الحكم على أنه يستحيل وجود شيء اسمه يهودي على أساس الانتماء القومي وآخر على أساس الانتماء الديني .. وما لم يكن هذا الشخص في الوقت نفسه ـ يهوديا حسب مبادىء الشرع التلمودي فالجمع بين الشرطين المتلازمين هو ضرورة لا بد منها لكي يكون المرء يهوديا في اسرائيل ..

وانفجرت أزمة عنيفة داخل كيان القطط في الأرض المحتله ، ووقف أحد القضاة معترضا بقوله :

إنه وفقا لتصور الشرع التلمودي فإن قائدا بمنظمة فتح في القدس ينبغي اعتباره يهوديا لو أن أمه يهودية ، في حين أن أولاد ضابط يهودي حارب دفاعا عن اسرائيل ، يعتبرون غير يهود لو أنهم من أم غير يهودية .. والتفكير في مثل هذا الأمر يكفي لجعل المرء يرتعد فزعا ورعبا ..

واحتد الصراع حول صهيونية أبناء بنيامين من عدمها .. وهدد أحد زعماء الحكومة المحتلة بانسحابه إذا لم يصدر تشريع لالغاء حكم المحكمة العليا ..

وعلى الصعيد الدولي احتجت أوساط يهود الشتات المنتمين الى الطائفة الأرثوذكسية المتعصبة .. وأصدر حاخام إيطاليا الأكبر بيانا أعلن فيه أن قرار المحكمة العليا يضر بمركز الحكومة الصهيونية في فلسطين المحتلة ويلحق الأذى بمكانتها .. اذ أن هذا الحكم سوف يشجع على الزواج المختلط ، ويؤدي الى القضاء على النقاء العرقي (المزعوم) للأسرة اليهودية (المشتتة) كما يؤدي الى تصدع صفوف الشعب اليهودي وانعدام التوحد الوجداني بين الشعب اليهودي والحكومة الصهيونية في فلسطين المحتلة ..

وفي جلسة عاصفة للحكومة ، صدرت القرارات التالية :

١ ـ تسجيل أبناء بنيامين شاليت يهودا ..

٢ ـ لا يسري هذا الحكم الا على هذه الحالة ولا يسري على حالات الزواج المختلط . (التي بلغ عددها حوالي (١٢) ألف حالة صهيونية تبحث عن هوية لها في سجلات الشعوب والأمم)

الفتاوى

« البسملة وسورة براءة »

اكثر من سؤال ورد إلى المجلة حول ترك البسملة في سورة براءة ؟

***

والجواب يتلخص في ان العلماء اتفقوا على أن وضع البسملة في أول كل سورة كان بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرج الحاكم عن ابن عباس انه قال :

كان النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا جاءه جبريل فقرأ ، بسم الله الرحمن الرحيم علم انها سورة .

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود انه قال:كنا لانعلم فصلا بين سورتين حتى تنزل بسم الله الرحمن الرحيم .

وقد ورد في عدم ذكرها اول سورة براءة أسباب كثيرة ، أصحها أن عادة العرب قديما كانوا إذا أرادوا نقض عهد بينهم وبين قوم اخرين ، كتبوا لهم كتابا ، ولم يكتبوا فيه البسملة ، فلما نزلت براءة ، وهي تنص على نقض العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين من جانب ، والمشركين من جانب آخر ، بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا عليا رضي الله عنه ، فقرأها عليهم في موسم الحج من غير ذكر البسملة جريا على عادتهم في نقض العهد .

جواب آخر . روى ابن عباس رضي الله عنهما قال : سألت عليا رضي الله عنه ، لم لم تكتب البسملة في اول سورة براءة ؟ فقال : لأن البسملة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ليس فيها أمان . ومن هنا يتضح سر ترك البسملة في هذه السورة .

« الكفارة المطلوبة »

قارىء طلب نشر الاجابة في المجلة من غير ان يذكر اسمه أو عنوانه قال :

وجبت على الكفارة من أجل محظور ارتكبته عمدا في شهر رمضان ولكني بعد رمضان اصابني مرض ماذا أفعل ؟

**

من المعلوم ان الكفارة شرعت لتكفير الذنب وتطهير المخالف الذي انتهك عامدا حرمة شهر رمضان ، فمن جامع في نهار رمضان عامدا ، أو أكل أو شرب عامدا ، عند كثير من الفقهاء ، وجبت عليه الكفارة بعتق رقبة والعتق لاوجود له الآن ، فتكون الكفارة صيام شهرين متتابعين ، فمن لم يستطع الصيام ، وجب عليه ان يطعم ستين مسكينا ، ويرى جمهور الفقهاء أنه لايصح الانتقال من حالة إلى أخرى ، إلا إذا عجز عنها ، بمعنى لايطعم المكفر إلا إذا عجز عن الصوم ، وإن كان مذهب مالك ورواية عن احمد ، انه مخير بين الصوم والاطعام .

فعلى رأي جمهور الفقهاء يكون البدء بالصيام مدة شهرين متتابعين ، ومن مرض مرضا يرجى الشفاء منه يؤجل الكفارة حتى يبرأ ويقدر على الصوم ، وأما من مرض بمرض لاشفاء منه ، يعتبر عاجزا عن الصيام ، وتنتقل الكفارة إلى الاطعام ، لما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يارسول الله ، قال : وما أهلكك ؟ قال : وقعت على اهلي في رمضان ، فقال : هل تجد ماتعتق رقبة ؟ قال : لا ، قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ، قال : فهل تجد ماتطعم ستين مسكينا ؟ قال : لا ، قال : ثم جلس ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ـ بعرق ـ والعرق مكيال يسع ١٥ صاعا ويقال له « القفة أو المكتل » فيه تمر فقال : تصدق بهذا ، قال الرجل على افقر منا ؟ فما بين لابتيها ـ يعني أطراف المدينة ـ أهل بيت احوج اليه منا ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال : اذهب فأطعمه اهلك : رواه الجماعة .

ومن هنا أخذ اكثر الفقهاء الحكم بوجوب الترتيب في الكفارة .

حول الحج عن الغير

القارىء محمد جمعة من دمياط بمصر يسأل قائلا : مات أبي قبل أن يحج حجة الفريضة مع قدرته على الحج فهل احج عنه ؟

***

جمهور الفقهاء يرى أن من مات وعليه حجة الاسلام ، وجب على وليه ان يحج عنه أو يجهز من يحج عنه من ماله ، سواء أوصى الميت بالحج أم لم يوص ، لأنه يعتبر دينا يجب على ولي الميت سداده ، فمن المعلوم انه إذا مات الميت يبدأ بتجهيزه وبقضاء ديونه وتنفيذ وصاياه قبل توزيع التركة ، وعلى هذا تجب المبادرة بسداد سائر الحقوق ومنها الديون التي عليه للغير ، والديون المستحقة لله تعالى ، مثل الكفارة والزكاة والنذر ، ويلاحظ أن الحج حق لله يجب الوفاء به ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ، ان امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت إن أمي نذرت أن تحج ولم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : نعم حجي عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء» . رواه البخاري القول بوجوب الحج عن الميت هو ماعليه اكثر الفقهاء ، سواء أوصى الميت أم لا ، وقال الامام مالك يجب الحج عن الميت إن كان قد اوصى بذلك أما إذا لم يوص بالحج فلايجب الحج عنه لأن الحج عنده عبادة بدنية لاتقبل النيابة ، وإذا أوصى يكون الحج من ثلث التركة ، هذا ويلاحظ ان من يحج عن الغير يكون قد حج عن نفسه سابقا كما يلاحظ ان الميت اذا لم يترك مالا ، لايجب الحج عنه لأنه مات والحج غير واجب عليه لعدم استطاعته .

توجيهات للحاج

اذا عزم المسلم على السفر للحج او العمرة وجب عليه ان يفعل ما يأتي :

١ ـ يحث اهله واخوانه وعشيرته على التمسك بتعاليم الاسلام والتزام العمل بكتاب الله وسنة رسوله .

٢ ـ يكتب ما له من الديون وما عليه منها ، حرصا على ضمان حقه وحق الاخرين .

٣ ـ يدون وصيته ، ويستحب ان يوصي بجزء من ماله للفقراء والمساكين .

٤ ـ يبادر الى التوبة ، ويسارع الى رد مظالم الناس ، ويندم على ما بدر منه من تقصير في حق الله سبحانه وتعالى ، لقوله صلى الله عليه وسلم (من كانت له مظلمة لاخيه من عرضه او شيء فليتحلله منه اليوم قبل الا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ... (رواه البخاري) . وفعل ذلك عند ارادة الحج الزم حتى يتخلص من آثامه ويكون حجه مبرورا ..

٥ ـ يختار طيب ماله ليستعين به على مطالب الحج ونفقاته لان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا . روى الطبراني عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اذا خرج الرجل حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور ، واذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لا لبيك ولا سعديك زادك حرام . ونفقتك حرام . وحجك غير مبرور) .

٦ ـ يقصد بحجه وعمرته وجه الله تعالى لان الله عز وجل لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم . وحسب المؤمن من الحج شعوره انه في ضيافة ربه . يعيش في رحابه . ويلوذ بجنابه ، ويقف في جمع حاشد من المسلمين في جو كله تجرد وايمان وصفاء واخاء ومحبة وسلام ، والله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم : : (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) (الاسراء/١٨ ، ١٩) .

وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : (قال الله تعالى : انا اغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم

فاذا ركب الحاج دابته او سيارته أو باخرته أو طائرته ندب ان يسمى الله تعالى ويحمده ثم يكبر ثلاثا ويقول : (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ، اللهم اني اسألك في سفري هذا البر والتقوى . ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده . اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل ، اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الاهل والمال والولد).

وعليه ان يصون لسانه وعينه وجميع جوارحه عن كل ما يغضب الله تبارك وتعالى لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه). متفق عليه .

اركان الحج :

اركان الحج اربعة : الاحرام ، والوقوف بعرفة . وطواف الافاضة ، والسعي بين الصفا والمروة ـ وزاد الشافعية الحلق أو التقصير ولو بإزالة ثلاث شعرات من الرأس ، وترتيب معظم الاركان الخمسة بأن يقدم الاحرام على الجميع ، والوقوف على طواف الافاضة والحلق ، والطواف على السعي ان لم يفعل السعي عقب طواف القدوم .

أما الحنفية فللحج عندهم ركنان فقط : الوقوف بعرفة ومعظم طواف الافاضة (اربعة اشواط) . وكلهم متفقون على ان ترك ركن من اركان الحج يبطل الحج .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـ ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

O الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا

فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ

محمد ولدان

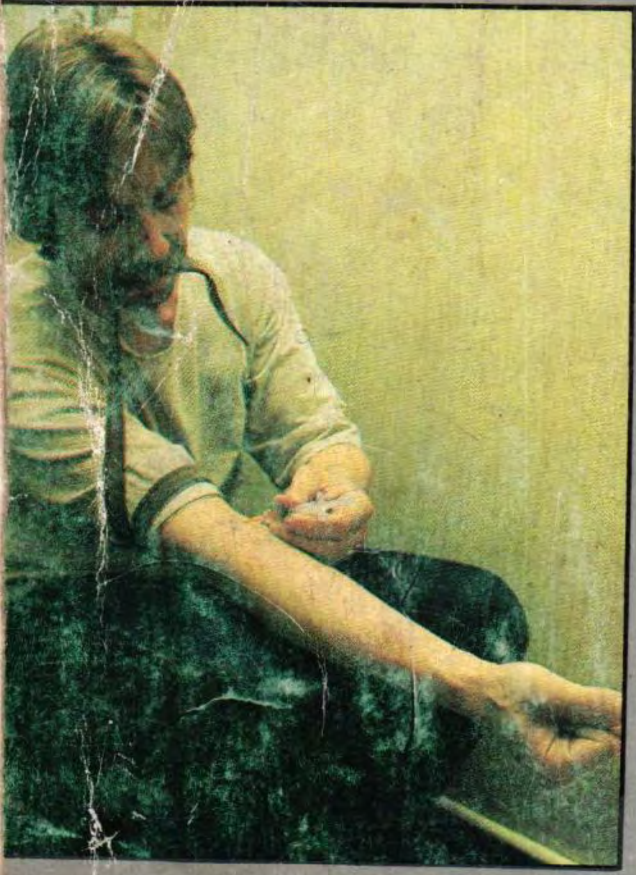
طبع في مطابع دار السياسة - الكويت

الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٨٨ ـ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ ـ اغسطس (أب) ١٩٨٨ م

هديتك مع العدد
ملصق براعم الانتفاضة



دار الفتوى والمسلمون في لبنان ص٦



المخدرات هذا السم القاتل ص٨٦

رماة الحجر (قصيدة) ص٨٢



محتويات العدد

الوعي الاسلامي

AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٨٨ ـ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ ـ اغسطس (آب) ١٩٨٨ م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة

دولة الكويت

الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

• الثمن •

البلد	الثمن	البلد	الثمن
الكويت	٢٠٠ فلسا	تونس	٢٥٠ مليم
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما	الاردن	٢٠٠ فلس
السودان	١٥٠ مليما	اليمن الشمالي	ريالان
السعودية	ريالان	قطر	٣ ريالات
دولة الامارات العربية	٣ دراهم	سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
البحرين	٢٠٠ فلس	المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا

بسم الله الرحمن الرحيم

ليشهدوا منافع لهم

كل مناسك الحج أداؤها يعتمد على الايمان القوى والتسليم النقي ، من شوائب الشك أو التردد ، ومن فضل الله ان جعل الحج عبادة تمحص الايمان وتعمق مفهومه ، ليسارع العبد مستجيبا لأمر ربه ، إيمانا وتصديقا بأن لله شعائر يتعبد بها الناس سواء أدركوا سرها أم لم يدركوها ، وبكل الرضا والاقتناع يسابقون إلى تعظيمها ، كما طلب الله تعالى ذلك في قوله « **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** » الحج/ (٣٢) .

وبقدر الامتثال للأمر يكون الأجر والمغفرة ، فترى الحاج يقيم ويرحل ، ويخيم ويقلع ، من غير ارادة ودون اختيارمادام طوع إشارة المعبود ورهن أمره ، فهو يلتزم بعدد محدد لا يتجاوزه ولا ينقص منه حال طوافه او سعيه ، وهو ينزل بمنى ثم يؤمر بالانتقال إلى عرفة ، وبعد الوقوف يؤمر بالافاضة فلا يتأخر للراحة ، ولا يسمح له بصلاة المغرب في عرفه ، ولا يصليها إلا في المزدلفة جمعا مع العشاء ، إلى غير ذلك من أوامر يؤديها طوعا وولاء ، ومحظورات لا يقربها خوفا وامتثالا ، وفي هذا يقول الامام الغزالي في كتابه احياء علوم الدين :"واجبات الشرع ثلاثة

أقسام ، قسم هو تعبدى محض ، لا مدخل للحظوظ والأغراض فيه ، فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل فيظهر العبد رقة وعبودية بفعل ما لا يعقل له معنى .. » ولعل الرسول صلى الله عليه وسلم قد أحس ببعض الخواطر تحوم حول المناسك في الحج ، وببعض علامات الاستفهام من بعض العقول التي تبحث عن الحكمة في التعبد بها ، فوجه الانظار إلى جانب التسليم المطلق بقوله :"لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا » إذ الشأن في العبادة ان تقوم على التسليم وتؤدي بايمان واذعان ، هذا المبدأ عبر عنه عمر رضي الله تعالى عنه ، وهو يقبل الحجر الأسود مؤكدا في صراحة ، أنه ليست للنفوس حاجة في تقبيل ما لا يضر ولا ينفع ، ولكنه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم القائل :«خذوا عني مناسككم » فهو القدوة ، وهو الذي نزل فيه قول الله تعالى « **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** » آل عمران/ ٣١ .

هذا ، وإن كان في بعض التشريعات جوانب خفى وجه الحكمة فيها ، فالاسلام يبيح للعقول ان تبحث عن الحكم والأسرار ، ما دام الله سبحانه قد أذن لها بالنظر والتفكر والتدبر ، في حدود ربط المخلوق بالخالق ، وتنمية الصلة به واخلاص العبادة له ، ومن هنا تداول الباحثون الرأي حول المنافع المشاهدة في الحج ، في جو الآية الكريمة « **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق.ليشهدوا منافع لهم** .. » الحج/ الاية ٢٧ ، ٢٨ .
وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن المنافع كلمة شاملة لكل منفعة دينية أو دنيوية ، وأن من المنافع المشاهدة ، منفعة أهل الديار المقدسة ، بخير يغدقه الله عليهم في موسم الحج استجابة من الله لنبيه ابراهيم عليه السلام « **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** » ابراهيم/ ٣٧ .

ومنها منفعة ضيوف الرحمن ، وهم يتلقون في ارض النور دروس التعاطف والتراحم ، والاحساس بقيمة المساواة ، وقد تجردوا من زينة الدنيا وصنعة الحياة ، يعرفهم ذلك بحقائق نفوسهم فيتصاغر فيهم الغرور ، ويخزى فيهم صوت الاستعلاء والتكاثر والمباهاة ، فلا تفاوت في اللباس ، ولا قيمة للرتب والألقاب ، بل الكل محتاج لعفو الله ورضاه ، ومن المنافع ، استدامة ذكريات اسلامية خلدها الاسلام وستبقى ماثلة في نظر الأمة وضميرها إلى يوم الدين ،

فمن خلال الطواف نتعلم قواعد النظام ومنهج الوحدة، فالطائفون يبدأون الأشواط من الحجر الأسود ثم ينطلقون في اتجاه واحد ، في صورة تشهد للاسلام بأنه دين النظام ودين الحياة ، كما انهم في طوافهم يذكرون طواف نبيهم وطواف ابيهم ابراهيم من قبل ، وان الطواف ماهو الا دوران القلوب حول قدسية الله رب الملك والنعمة ، ومن خلال السعي بين الصفا والمروة يستحضرون مواجهة هاجر للبلاء بالامل والرجاء ، يوم هرولت باحثة عن الماء، ترد به غلة طفلها الذي يهدده العطش بفراق الحياة ، واصلت السعي والانحدار بين الصفا والمروة ، فلم تجد الا سرابا يحسبه الظمآن ماء ، ومع حيرتها ولهفتها اسلمت نفسها وولدها لله الرحمن الرحيم ، وهنا اسعفهما الله بما رطب كبدهما ، وفجر ماء زمزم نبعا طاهرا ، ميمونا مباركا ، ورد الروح إلى الطفل وأمه التي آمنت بفرج الله ، يمثل هذا الموقف الحجاج والمعتمرون في سعيهم بين الصفا والمروة ، مؤمنين بان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسرا ، وبوعد الله تعالى في قوله « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا.ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا** » الطلاق /٢و٣ . كم في مناسك الحج من صور ايمانية تحقق معنى العبودية والاخلاص لله مالك الملك وواهب الوجود ، ففي الاحرام صورة التجرد من شهوات النفس ومضلات الهوى ، وفي الرمي صورة صادقة لمقت

عوامل الشر ووساوس الشيطان ، وفي الذبح اثارة لذكرى الفداء والتضحية ، وفيه فرحة ببشرى نجاة اسماعيل التي كانت مصدر الرحمة للعالم كله ، حيث جاء من نسله محمد عليهما الصلاة والسلام وصدق الله العظيم « **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** » الانبياء/ ١٠٧ اما يوم عرفة فهو يوم نور ورحمة ، يوم عطاء ومغفرة ، يوم فيه يباهي الله بالحجاج ملائكة السماء ، في عرفات أجمل مشهد من مشاهد الضراعة والخشية والفرار إلى الله ، يتجسد في الموقف الايمان بصورة يعز مثالها في اي مكان من الارض ، يذكر فيه المسلمون من كل جنس وفي كل عصر ، موقف القائد الاعظم وهو يخطب في الناس ، وكأن الله قد كشف له أستار الغيب ليريه ما يصيب امته من بلاء الفرقة والصراع الدامي ، فيؤكد في خطبته الجامعة تحريم القتل وسفك الدماء ، حتى لا يرجع المسلمون بعده كفارا يضرب بعضهم رقاب بعض ويقول :"ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » لعل شعوب المسلمين وحكامهم ينصتون إلى النداء المحمدي من جديد ، ويستجيبون له في صدق ، إخمادا لنار الفتن المثارة ، وإعادة للسلام من جديد ، في جو الحب والإخاء والأمن والصفاء ، على المسلمين في موكب النور على متن عرفات ، ان يتدارسوا قضية السلام الملحة في وحدة تقهر الطامعين وترد كيد المعتدين ، اما ماهو كائن من عزلة في الخيام من غير تعارف ودون تشاور في امر دينهم ودنياهم ، فهذا امر تضيع به المعاني المستوحاة من الحج ، وتفوت به فرص غالية من مشاهدة المنافع التي أشار اليها القرآن الكريم ، والله المستعان .

رئيس التحرير

حسن منّاع

من الإعجاز العلمي في القرآن

يخرج الحي من الميت

للأستاذ / أمين محمد عثمان

كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيا أميا لا يعرف القراءة والكتابة ، وقد بعث الى قوم أميين نشأ في (مكة) حيث لم تكن هناك علوم ولا مدارس ولاجامعات ، تقرأ فيها العلوم الكونية والطبيعية ، كالذي حدث في (طيبة) عاصمة قدماء المصريين ، وفي (أثينا) عاصمة الاغريق .. يقول الله تعالى في الآية (٢) من سورة الجمعة :

(هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) .

وجاء في الصحيحين في حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

« إنا أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا وهكذا ، يعني مرة تسعا وعشرين ، ومرة ثلاثين» .

ومع ذلك فإن الحقائق العلمية التي أشار اليها القرآن الكريم ، لم تكن معلومة ، في القرن (السابع) الميلادي ، حيث بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكتشف العلم أسرارها ، الا منذ عهد قريب .

ومن المعجزات العلمية التي أشار اليها القرآن الكريم ، هذه الآية الكريمة :

(يُخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) الآية/ ١٩ من سورة الروم .

لقد اشتملت هذه الآية الكريمة على حقيقتين علميتين ، يخر لهما العلماء سجدا لله وهم داخرون ...

الحقيقة الأولى
إخراج الحي من الميت واخراج الميت من الحي

ولقد ظلت حقيقة (اخراج الحي من الميت) خافية على أذهان كثير من العلماء والباحثين يؤولها العلماء والمفسرون على حسب علمهم ومداركهم في الزمن الماضي .
ولم تكن قد وصلت الى أيديهم أجهزة ولا (مجاهر) تفحص الأشياء وتكشف أسرار الذرة أو الخلية ، ولم تكن لديهم (مخابر) يقومون بتجاربهم عليها ويستخلصون النتائج بل كانوا يخضعون نظرياتهم للحواس وكثيرا ما أخطأت الحواس .

(١) يرى «الجاحظ » صاحب كتاب (الحيوان) المشهور ، وهو من علماء القرن الثاني الهجري ان المنزل نظيف ، وهو خال من الحشرات :،

وان الفرش والوسائد يعلوها بعض التراب ، ثم نشاهد بعد مدة قصيرة (براغيث) قد نمت وأخذت تقفز هنا وهناك وحشرات قد ظهرت وأخذت تتجول في شقوق البيت وجدرانه ، فمن أين جاءت البراغيث ، وكيف ظهرت هذه الحشرات ؟

ويهديه تفكيره وهو العالم الألمعي الى أن يعلن في كتابه المذكور (الحيوان) فكرته عن المخلوقات :

وتتلخص هذه الفكرة ، في أن الكائنات الدقيقة ، والحشرات الموجودة قد تولدت بذاتها ، أو على الأقل خلقت من التراب وهو جماد لاروح فيه ولاحس .. واستمع الى (الجاحظ) يؤكد هذا الرأي في الجزء الثالث من كتاب (الحيوان) : «وقد أنكر أناس من العوام ، وأشباه العوام ، أن يكون شيء من الخلق ، كان من غير ذكر وأنثى ، وهذا جهل بشأن العالم ؛ وبأقسام الحيوان ، وهم يظنون أن من الدين الاقرار بهذا ، وليس الأمر كما قالوا .. ثم يقول (الجاحظ) :

وقد علمنا أن الانسان يأكل الطعام ، ويشرب الشراب ، وليس فيه حية ولا دودة ، فيخلق منها في جوفه أنواع الحيات ، وأشكال من الديدان من غير ذكر ولا أنثى ، ونحن قد نجد الجيف يخلق منها الديدان ، وكذلك العذرة ... وقد نجد وسط الوادي
وعلى ظهر المسجد الجامع ، في غب المطر ، من الضفادع مالايحصى عدده ، وليس ذلك كان عن ذكر وأنثى ، ولكن الله خلقها في تلك الساعة من طباع تلك التربة .

ويقول (الجاحظ) في موضع آخر : « وكذلك القول في القمل الذي يخلق من عرق الانسان ، ومن رائحته ورشح جلده ، وبخار بدنه .. ... قالوا إن الذباب يتخلق من تلك العفونات والأبخرة والأنفاس :، فإذا ذهبت فنيت مع ذهابها ، ويزعمون انهم يعرفون ذلك بكثرتها في الجنائب وقلتها في الشمائل ، قالوا : ربما سددنا فم

الآنية التي فيها الشراب بالصمامة فاذا نزعناها وجدنا هناك ذبابا صغارا » .
وهذا مدى تفسير (الجاحظ) وقدامى المفسرين للآية الكريمة : **(يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)** وطبيعي أن تكون هذه النظرية خاطئة ...

البيضة والفرخ

(٢) ويرى بعضهم أن البيضة ـ وهي (جماد) في رأي العين ـ تترك مدة الحضانة تحت الطائر ، ثم يخرج منها كائن حي هو (الكتكوت) أو (الفرخ) فيعلنون في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة . ان الله خلق الفرخ وهو كائن حي .. من البيضة وهي جماد لا حس فيه ولا روح .. وتلك ايضا نظرية خاطئة .
(٣) ويرى بعضهم ان وعاء الجبن ، يغلق غلقا محكما ، يغلف سداده بالطين أو العجين ومايكاد يفتح بعد مدة حتى يروعهم ما في الجبن من (دود) فمن أين أتى هذا الدود ؟ واخيرا يعلنون أن هذا الدود قد تولد من الجبن نفسه وهذا عين الخطأ .. فلو أن أحدهم قد راقب وعاء الجبن جيدا لرأى ذبابة تحط عليه خلسة ، وتترك بيضها في الجبن ثم تغادره على حذر وتخوف من الرقباء ...

نقد ما ارتآه الجاحظ

أما ما ذهب اليه (الجاحظ) من أن الانسان يأكل الطعام ، ويشرب الشراب وليس فيه حية ولا دودة فيخلق منها في جوفه أنواع الثعابين والديدان من غير ذكر ولا أنثى .. فقد أبطل هذا المذهب .. ما أثبته الطب الحديث من أن هذه الثعابين وتلك الديدان .. انما تخلقت في جسم الانسان نتيجة بويضات (ميكرسكوبية) قد علقت في الطعام أو الشراب من ماء ملوث .. ولا سيما الخضروات والفاكهة التي لا تغسل جيدا قبل أكلها .. وينتج عن ذلك أمراض خطيرة تنهك جسم الانسان وتمتص دمه امتصاصا .. وتكون مصدرا خطيرا لنقل العدوى ولهذا نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الراكد .. ففي حديث رواه (البخاري ومسلم) عن أبي هريرة .. انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه » .
ومن التعاليم الاسلامية التي لها علاقة بصحة الانسان .. تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير .. قال الله تعالى في الآية ١٧٣ من سورة البقرة :
(إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله) .
ان جثة الحيوان الميت مستودع لمختلف جراثيم التعفن التي توجد طبيعية في أمعاء الحيوان وتغزو جميع أجزاء الجسم بمجرد الوفاة عن طريق الأوعية الدموية واللمفاوية ، وبعض هذه الجراثيم تكون أثناء تكاثرها مواد ضارة كما تحدث مواد أخرى سامة نتيجة التحلل يظل مفعولها حتى بعد عملية الغلي ...

لحم الخنزير

ومن أخطر ما يحمله لحم الخنزير الى الانسان مرض (التينيا سوليم) وتسمى (دودة لحم الخنزير) وتصل الى الانسان من طريق أكل لحم الخنزير .. وهي من أشد الديدان فتكا بمن يصاب بها .. وتقرر كتب الطب : ان الاصابة بهذه الدودة تكاد تكون عامة في جهات خاصة من (فرنسا وايطاليا) ولكنها نادرة الوجود في البلاد الاسلامية ، لأن الاسلام يحرم أكل لحم الخنزير .. بينما أوروبا والبلاد الغربية تستبيحه ...

والمصاب بهذه الدودة يبلغ أشد حالات الضعف والهزال ، وتسبب له مع ذلك الأمراض المعدية ، وسوء الهضم ، والآلام المبرحة .. وتسبب للكبار ضعف الأعصاب، والكآبة النفسية كما تسبب للأطفال التشنجات العصبية وحول العين وغير ذلك من الأعراض الأخرى !

أليس الله رحيما حكيما لطيفا بعباده حينما يقول في الآية (١٤٥) من سورة (الأنعام) : **(قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم)** .

جنين داخل البيضة

أما بيضة الدجاجة والطائر فانها لاتترك سدى بعد عملية التلقيح ، بل ان بداخلها جنينا حيا وضع الله له غذاءه في البيضة ، وهذا الغذاء مقدر بمقدار قوته ونموه-حتى اذا ما نفد الغذاء كان الفرخ قادرا على نقر القشرة وكسرها لم يعتمد في الغذاء على نفسه أو على أبويه ...

ونستطيع أن نقول ذلك في جنين (حبة القمح) وسائر الحبوب ، وقد وجد بالتجربة ، ان الأجنة في هذه الحبوب تستطيع أن تحتفظ بخواص نموها الى مدة طويلة قد تستمر اعواما وأزمانا .. وقد استطاع بعض العلماء ان يزرع بعض حبوب القمح التي وجدت في مقابر (قدماء المصريين) وأدهشه ان يجد هذه الحبوب قد نمت وأينعت واستوت ثمارها على سوقها ، وآتت أكلها بإذن ربها .

يقول الدكتور «محمد فياض» في كتابه (غرائز الحيوانات) :

« المعروف ان بيض (الجراد) لايفقس الا مع وجود الرطوبة التي لاتتوافر في أرض الصحراء ـ وهو عادة يضع فيها بيضه ـ ولكنه اذا ترك في الجفاف شهورا وسنين لم يتأثر اذ تظل الحياة كامنة فيه ، حتى تسوق المقادير قليلا من المطر ... وعند ذلك ينضج ويفقس ، وتمتلىء الصحراء بجيوش من الحشرات الفتاكة .. فتضيق بهم ذرعا ، وترسلهم الى العالم المتمدين .

وقد أجريت بعض التجارب على بيض الجراد ، فحفظ في صناديق معدنية جافة أربع سنوات ، ثم عرض للرطوبة ، ففقس وخرجت منه الحشرات ، وتدل التجارب على ان

البيض يبقى عشرات السنين في الجفاف دون أن تنعدم فيه الحياة » .

التأويل العلمي للآية

فما تأويل الآية اذن (**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**) ؟
ان هذه الآية تشير الى حقيقة علمية من أهم حقائق علم (الفسيولوجيا)(في العصر الحديث .. يقول الدكتور (محمد وصفي) :
« انها عملية تعرف بعملية (الميتابوليزم) وهي تصور عمليتي (البناء والهدم) في جميع الكائنات الحية ، التي تعيش على اليابسة أو الماء ، ويشمل ذلك الانسان والحيوان والسمك والنبات ...
ان جميع الكائنات الحية تحصل على غذائها من مواد ميتة تسري في أجسامها وبعد أن تهضم ينتهي بها المطاف الى سائر خلايا الجسم حيث تحيا وتصبح جزءا من أنسجة هذا الجسم الحي ومنها ينمو الكائن الحي ، ويتغير حجمه ويصل بعد ذلك الى نهايته المقدرة ، وأحسب ان هذا أقرب الى تفسير قوله تعالى : (**يخرج الحي من الميت**) -
وطبيعي بعد ذلك ان بعض خلايا الجسم تستهلك بصورة مستمرة وتعوض بالمواد الغذائية التي تحل محلها وتعمل على تكوين خلايا جديدة وهذه العملية يطلق عليها (عملية البناء) .
أما ما يتخلف عن موت الجسم فهو ما تصوره الآية الكريمة (**ويخرج الميت من الحي**) انها خلايا متخلفة لاضرورة لها فيتخلص منها الجسم وتسمى بذلك (عملية الهدم) .. ان أهم ما يجري في هذه العملية هو احتراق داخلي .. اذ تأخذ الخلية الحيوانية مثلا (الاوكسجين) وترد غاز (الكربون) والفضلات الميتة الناتجة عن هذه العملية تخرج من الجسم لأن معظم (غاز الكربون) يخرج مع التنفس ومعظم فضلات (النيتروجين) تخرج مع البول وكذلك يخرج غيرها اثناء التعرق» .

وجسم الانسان البالغ به ما يقرب من (٦٠) بليون خلية - هكذا قدر العلماء - وهم قد قدروا كذلك أنه يموت من جسم الانسان كل ثانية (٥٠) مليون خلية ، بينما يولد مكانها في الثانية (٥٠) مليون خلية ... وأعجب من هذا كله ان كل جرثومة أو خلية تحمل خصائص الجنس ، وطبائع النوع ، وأساليب الوراثة ، وخلق الادراك ، والحواس الظاهرة والباطنة ، كلا فيما خصص له والى ذلك تشير الآية الكريمة :
(**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين**) الآيات/ ١٢ - ١٤ من سورة المؤمنون .
ان العلم قد عرف الطريقة التي تجعل أنف الانسان مثلا يختلف عن خرطوم الفيل ، ففي جسم كل كائن حي نوعان من مواد التوريث ، ينطلق أحدهما في

عملية بناء وانتاج ، حتى اذا وصل شكل الجسم الى حالة معينة ، تدخلت مواد توريث النوع الثاني ؛ وأوقفت نشاط النوع الأول وقد أطلق على مواد توريث النوع الأول (مواد التوريث البانية) وأطلق على مواد توريث النوع الثاني (مواد التوريث المنظمة) .. فسبحان الخلاق العظيم **الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا .. واعطى كل شيء خلقه ثم هدى** .

احياء الأرض بعد موتها

أما الحقيقة الثانية التي اشتملت عليها الآية الثانية فهي (احياء الأرض بعد موتها) .

ان مثل ما يحدث في الخلايا الحيوانية ، يحدث كذلك في خلايا النبات ، اذ تتحول عناصر التربة بعد ما تتصل بداخل البذرة ، الى خلايا وأنسجة حية ، ويصور ذلك تصويرا بارعا قوله تعالى :

(وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) الآية/٥ الحج .

وقوله تعالى : **(ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير)** الآية/ ٣٩ من سورة فصلت .

ويرى الدكتور « محمد وصفي) في بحثه عن (القرآن والعلوم الحديثة) ان لفظ اهتزت يعني (دبت فيها الحياة)

وهو ما يحدث من تحول عناصر التربة بعد ما تصل إلى داخل البذرة ـ ثم تتحول إلى خلايا وأنسجة واعضاء حية .. وقد أخذ هذا المعنى من قصة

(عصا موسى) وهي جماد ميت ، قد تحولت الى (حية) حقيقية ذات خلايا وانسجة واعضاء حية .. وقد عبر القرآن عن هذا الاحياء بلفظ (الاهتزاز) قال الله تعالى في الآية (٩ ـ ١٠) من سورة النمل :

(يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لاتخف إني لا يخاف لدي المرسلون) .

بلاشير وجماليات الأسلوب القرآني

للأستاذ / د . عماد الدين خليل

[١]

اذا كان (موريس بوكاي) ،: العالم ، الطبيب الفرنسي ، قد تحدث في كتابه المعروف (دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) عن معجزة القرآن العلمية ، فان (ريجيس بلاشير) ، الباحث الناقد الفرنسي ، يحدثنا في كتابيه (القرآن) و(تاريخ الأدب العربي) عن الوجه الأدبي لهذه المعجزة التي أدهشت العقول وحيرت الألباب .

و(بلاشير) هو الآخر يتعامل مع القرآن من خارج دائرة الاسلام وبالتالي فإنه ، بمنهجه الاستقرائي و« بالجهد التجريدي » الذي بذله ؛ كما يقول هو نفسه ، لغرض الوصول الى إفراد الظاهرة الأدبية في الآيات المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم ، يتوصل الى نتائج ذات قيمة بالغة في مجال الدراسات الأدبية للقرآن الكريم .

بعد إشارة سريعة الى توثيق النص القرآني يقول فيها ان الفضل في انجاز هذه المهمة يعود الى « الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لإسهامه قبل سنة ٦٥٥م في ابعاد المخاطر الناشئة عن وجود نسخ عديدة من القرآن ، واليه وحده يدين المسلمون بفضل تثبيت نص كتابهم المنزل على مدى الأجيال القادمة » .

بعدها ينطلق (بلاشير) باتجاهين لمتابعة الظاهرة القرآنية في جانبها الأدبي : الأسلوب والتأثير .

ولكن من هو (بلاشير) هذا ؟

ولد الرجل بالقرب من باريس ، وتلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء بالمغرب ، وتخرج بالعربية من كلية الآداب بالجزائر (١٩٢٢) وعين استاذا لها في معهد مولاي يوسف بالرباط (١٩٢٤ ـ ١٩٣٥) واستدعته مدرسة اللغات الشرقية بباريس استاذا لكرسي الأدب العربي (١٩٣٥ ـ ١٩٥١) كما عمل استاذا محاضرا في السوربون ونال الدكتوراه عام ١٩٣٦ .

كتب العديد من الدراسات عن تاريخ الأدب العربي في أشهر المجلات الاستشراقية ، وترجم القرآن الكريم في ثلاثة أجزاء .. أما أشهر كتبه فهي (تاريخ الأدب العربي) و(القرآن) اللذان اعتمدناهما هنا .

[٢]

يقف (بلاشير) طويلا عند الأسلوب القرآني ، ومنذ الضربة الأولى يسقط ترهات الخصوم وأضاليلهم ، تلك التي سعت لأن تجد أي تشابه أو امتداد بين أداء القرآن وتنبؤات الكهان . كما أن هذا الأداء الذي هو نسيج وحده يخلف وراءه بعيدا سائر معطيات الأدب البشري ، بل ان أشد الترجمات دقة والماما يمكن أن تؤدي غرضها المطلوب بنجاح تام مع كل أثر إلا مع كتاب الله « لا جرم في أنه اذا كان ثمة شيء تعجز الترجمة عن أدائه فإنما هو الايقاع الكلامي في الآيات المنزلة في ذلك العهد .. ان خصوم محمد قد أخطأوا عندما لم يشاؤوا أن يروا في هذا الا أغاني سحرية وتعويذية وبالرغم من أننا على علم ، استقرائيا فقط ، بتنبؤات الكهان ، فمن الجائز لنا الاعتقاد مع ذلك بخطل هذا الحكم وتهافته ، فان للآيات التي أعاد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ذكرها في هذه السور ، اندفاعا وألقا وجلالة تخلف وراءها بعيدا أقوال فصحاء البشر كما يمكن استحضارها من خلال النصوص الموضوعة التي وصلتنا » .

الاندفاع .. الألق .. الجلالة .. تلك هي باختصار بعض مفاتيح الأداء القرآني الذي لا يملك من يتعامل معه بحس أدبي مرهف دقيق محيط ، سوى الانبهار ، ازاء هذا التدفق كالشلال ، كموج عنيف متلاحق ، يشع سنا وألقا ، ويفرض على المتلقي حضوره المترع بالجلالة والمهابة كصوت قادم من أبعاد الكون القصية ، لم يألفه انسان يعيش على هذه الأرض المنزوية ولن يألفه !

ليست موسيقى الكلمات وحدها ، انما هناك قيم فنية أخرى ، ففي أية مقارنة مدققة بين الآيات « نجد أنه من الخطأ أن ننسب القيمة الأدبية لمثل هذه الآيات الى موسيقى الكلمات وحدها . إن مزية هذه القطع مردها ايضا الى الفن المكون من البساطة التي أشربتها ، والكلمات الموضوعة في أمكنتها ، والى الحركة التي تركز الشخصيات . ان هذه الظاهرة واضحة في سورة يوسف . واذا ما قورن القصص القرآني ببعض الفصول المشابهة في

سفر التكوين Gemese المثقلة باللغو والاستطرادات ، ظهر أن القصص القرآني أعلى مرتبة بما لا يقاس ، فهو يتدرج برشاقة دون اشارات زائدة ، تسيطر عليه فكرة مواسية ألا وهي ان العادل ينتصر بايمانه ووفائه . وليس فن الحكاية في سور أخرى هو الذي يحملنا على التقدير ، بل المميزات الخطابية والأسلوبية . ففي سورة الأعراف يعجب المرء عندما يقرأ من الآية/٥٧ الى الآية ٩١ عن الأنبياء نوح وهود وصالح ولوط وشعيب من توازن القصص الخمس والتأثير المزدوج من تكرار اللازمة» .

فبالاضافة الى الموسيقا اذن هناك (٢) البساطة المؤثرة (٣) وضع الكلمات في أماكنها (٤) رسم الشخصيات بدقة بالغة (٥) التركيز والاقتصاد ، (٦) المميزات الخطابية والأسلوبية .

واذن فان القرآن الكريم لا يخلف وراءه بعيدا ـ فحسب سائر المعطيات الأدبية الوضعية ولكن ـ ايضا ـ نصوص الكتب الدينية المحرفة بما لا يقاس .

[٣]

يمضي (بلاشير) في تحليله فيلاحظ (في سورة يونس : ١٠ ـ ٣١ ـ ٣٧) « بالاضافة إلى تنوع التركيب ، حيث يتناوب الاستفهام والتأكيد الحاسم ، اندفاع الفكر الذي يدافع الخصم ويرهقه دون أن يتيح له وقتا للاجابة واستعادة الروع ، فإن ثمة بلاغة عفوية نستشفها حتى من خلال الآيات المترجمة » .

واذا كان لا بد من التعداد الذي قد يعرقل التعامل الجمالي مع النص فاننا سنضيف هنا تأشيرات أخرى للرجل على أسلوب القرآن .. فهناك ـ سابعا ـ تنوع التركيب ، وهناك ـ ثامنا ـ هذا الاندفاع في الخطاب الجدلي الذي يحصر المدافع في الزاوية الضيقة دون أن يتيح له أي حيز للحركة لكي ما يلبث أن يفحمه . وهناك ـ تاسعا ـ تلك البلاغة العفوية التي تفرض نفسها حتى عندما يترجم القرآن الى لغات أخرى !

وثمة ما يلحظه (بلاشير) ، كذلك ، مما يعد بحد ذاته تأكيدا مدهشا لمعجزة القرآن الأدبية « ان علم البيان الأرسطو طاليس الذي تأصل في العراق في ذلك الوقت (القرون الهجرية الأولى) يصدق في مجال تطبيقه على الأدب العربي كل ما يتيح القرآن وضعه على صعيد التجريد . والمسألة سهلة في الواقع : إذ ما دام القرآن كلام الله ، وما دام يكون كمالا للغة الانسانية لا مثيل له ، فلا شيء أسهل من أن نكتشف فيه المبادىء نفسها التي كان ارسطو قد نجح في وضعها بالاعتماد على قوة العقل وحده . نجد الشواهد على هذا ، الجهود البارة والثاقبة في الموضوعات الأدبية الغنية التي نمت في العراق ابتداء من القرن العاشر الميلادي ، الرابع الهجري ...) .

فحتى لو قام البلاغيون المسلمون بجهود مستميتة لتحقيق التطابق التام بين المعطيات القرآنية ومباديء علم البيان الارسطوطاليسي على فرض التسليم بمحاولة كهذه ، فانه لمن المستحيل ـ يقينا ـ على النبي الأمي صلى الله عليه وسلم أن يقدم نصا بهذا الامتداد والغنى ، لا يتضمن أيما ارتطام مع المباديء التي اكتشفها ارسطو ؛، قبل قرون متطاولة ، معتمدا على قوة العقل وحده .

و (بلاشير) نفسه اذ يسلم بمعجزة القرآن الأدبية يشير الى أن الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم « لم يرتفع في أحاديثه الدنيوية الى مستوى الجلال القرآني .. » .

فما الذي يعنيه هذا ؟!

يجيب (بلاشير) في مكان آخر « ان القرآن ليس معجزة في محتواه وتعليمه فقط ، انه ايضا ويمكنه أن يكون قبل أي شيء آخر تحفة أدبية رائعة تسمو على جميع ما أقرته الانسانية وبجلته من التحف .. ان الخليفة المقبل عمر بن الخطاب ، المعارض الفذ في البداية للدين الجديد ، قد غدا من أشد المتحمسين لنصرة الدين عقب سماعه لمقطع من القرآن ، وسنورد الحديث فيما بعد عن مقدار الافتتان الشفهي بالنص القرآني بعد أن رتله المؤمنون » .

وهذا الانفعال الجمالي الذي «نشأ عن النثر القرآني » لم يقتصر على المؤمنين وحدهم بل تجاوزهم الى الأعداء فما تحكيه الروايات عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، تحكي مثله عن حشود من الخصوم بهرتهم الكلمة القرآنية فدفعتهم الى تعزيز مقاومتهم غير المجدية ، أو الى « الانتماء لدين » هذا كتابه ! « ان القيمة الأدبية للرسالة التي تبلغها العرب عن محمد صلى الله عليه وسلم ، قد تجلت حالا من غير أن يخالطها أي شيء دنيوي ، كأجمل أثر أدبي كان يمكن تصوره .. ولا يجب أن يغرب عن بالنا هذا الحدث الذي يتصل بما توحيه الشريعة الجديدة من الاجلال ، عندما نحكم ميزة القرآن الجمالية ، ثم ان لهذه الميزة تأثيرا حتى على السامع الذي لا ينطق بالضاد .. » ..

وهذا ينقلنا بالضرورة الى تأثير (الأدبيات) القرآنية والنتائج التي نجمت عنها .

[٤]

فها نحن نلاحظ مع (بلاشير) ان هذا التأثير لم يقتصر على طائفة المؤمنين أنفسهم ، بل تجاوزه الى الخصوم كما انه لم يقتصر على قراء العربية وحدهم وانما تعداهم الى أولئك الذين لا ينطقون بالضاد .

لقد سحرهم الأداء القرآني، بهر عقولهم وقلوبهم كما لم يبهرها شيء ، وقاد أكثر المستمعين في نهاية الأمر الى الانتماء لدين هذا كتابه وتلك معجزته . وقد يتضمن هذا التأثير صيغة مركبة . فهنالك الدهشة والاعجاب لأداء متميز فريد ، وهنالك ـ ايضا ـ اليقين العقلي والوجداني الذي يتمخض عن هذه الدهشة وذلك الاعجاب ، والذي يؤكد للمستمع أو القارىء بأن كتابا كهذا ليس كالكتب،وان مصدره لا يمكن أن يرجع لانسان مهما كان المستوى الذي يتربع عليه الانسان .

لعل هذا هو التأثير الأهم والأكثر اتساعا لمعجزة القرآن الأدبية : أن تبهر الناس وتقودهم الى الاسلام ، وهو بالتأكيد النقطة ، أو البؤرة المركزية التي استهدفتها جماليات القرآن . و(بلاشير) اذ يتحدث عن انتصار الاسلام يؤكد وجود أسباب عديدة متداخلة «وفي طليعتها القرآن الذي كان سببا أساسيا . وكلما تتابعت الحوادث صار هذا السبب حاسما .. ففي الوسط الذي تمت فيه التجربة انتقل العامل الديني بفضل اجتهاد بعض معتنقي الاسلام وحماستهم الى مكان الصدارة ، فالمرء ينتصر على خصومه لأنه أقوى منهم ، وهو أقوى منهم لأنه يطيع الله ورسوله ، ويؤمن بكلامه المنزل ، وهكذا فان مفهوم اعجاز القرآن ينبثق من بين هذا المجموع » .

[٥]

وهو يتحدث في مكان آخر عن التأثير نفسه ، عن كون المعجزة الأسلوبية التي تحدّت الخصوم أربع مرات وخرجت منتصرة كانت واحدة من العوامل الأساسية في الانتماء للاسلام وفي انتصاراته التي حققها في كافة الجبهات « ان الوحي الذي بلّغه محمد يردد أربع مرات تحديه للكافرين في قدرتهم على أن يأتوا بشيء من مثله (يجعل الانسان) يحس بالرسالة القرآنية . اذن انها تكون بالتحديد ، من وجهة ما ، معجزة تجددت طوال دعوة محمد صلى الله عليه وسلم » .

بل ان الطبيعة المركبة لتأثير الأداء القرآني تمتد الى اتجاه ثالث والذي يمكن أن يعبر عنه استنتاج (بلاشير) من « أن أول ما يسترعي الانتباه في العالم الاسلامي هو ما للقرآن من التأثير العميق على الفرد سواء أكان ذلك الفرد رجلا أو امرأة .. » .

فليس يكفي أن يحدث القرآن التأثير في نفوس الخصوم دهشة واعجابا ، ثم إيمانا وانتماء وإنما أن يتواصل هذا التأثير بالنسبة للمنتمين أنفسهم عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل .. ان تظل ناره مشتعلة في الوجدان وأن تبقى كهرباؤه تهز الأعصاب،توقظ الأفئدة ، تزيح الصدأ ، تكسر الأقفال ، وتضع الانسان المؤمن وجها لوجه أمام هذا الاعجاز الباهر المتجدد الذي

يحمي توتره الايماني ويجعله في حالة اهتزاز دائم وخفقان متواصل لا يهدأ أو يفتر حتى تمسه شرارة الجمال القرآني فتلهبه وتضيئه من جديد .

ومع ذلك فان هذا الهدف المركزي لأدبيات القرآن والكسب الكبير الذي تمخض عنه ليس وحده في الساحة .. انما هناك تأثيرات أخرى ذات طابع علمي قد يمتد نشاطه ويتشعب حتى يأخذ صيغة تحفيز واستجابة ذات بعد حضاري «ان الواقعة القرآنية ـ يقول بلاشير ـ مع كونها باعثا قويا على ازدهار الدراسات النحوية والمعجمية قد اتضح أثرها في مجال آخر كأثر أكثر فعالية ايضا . ولا نبالغ اذا قلنا بأن علم البيان العربي كان منطلقه من القرآن ، ومن الأبحاث التي أثارها الاعجاز ، هذا الاعجاز الذي يجب على كل مؤمن ان يكشفه بنفسه » .

وكان من الطبيعي كما يستنتج (بلاشير) « «أن يقتنع مؤسسو علم البيان العربي منذ القرن (التاسع الميلادي ، الرابع الهجري) بأن القرآن يحتوي على جميع المواد الضرورية لاخراج علم يكون له مركز مرموق في الثقافة الاسلامية على مدى جميع العصور وحتى عصرنا هذا » .

هذا التدفق المعرفي الذي بعثه القرآن في مجال الدراسات اللغوية والأدبية ، فأنشأ فروعا جديدة وصقل وهذب أخرى ، وأغنى في الحالتين بمعطياته التي كانت تزداد كثافة بمرور الوقت واحدا من أهم أقسام الدراسات الانسانية التي كان لها ـ بدورها ـ تأثير بالغ خارج الدائرة الاسلامية وباتجاه بلاد وثقافات أخرى .. هكذا و« في جميع المجالات التي أطللنا عليها من علم قواعد اللغة والمعجمية وعلم البيان أثارت الواقعة القرآنية وغذت نشاطات علمية هي أقرب الى حالة حضارية منها الى المتطلبات التي فرضها اخراج الشريعة الاسلامية .. » .

ليس هذا فحسب فان (بلاشير) يذكر بأن « هناك مجالات أخرى تدخل فيها (الواقعة القرآنية) كعامل أساسي » كما أنه يذكر بأن فاعلية التأثير لا تقتصر على كون القرآن ينبه فقط ، انما هي بتعبير (بلاشير) ذي المغزى العميق «فاعلية عنصر مبدع تتوطد قوته بنوعيته الذاتية » تلك النوعية التي حبكها قول الله المعجز ، وصاغت آياتها العذبة وسورها الباهرة قدرته المبدعة الخلاقة التي لا يقفها شيء ولا تحدها ضفاف **(ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ..**) لقمان/٢٧ وصدق الله العظيم .



للاستاذ / عبدالعزيز بغداد

ان عالما تستفحل فيه أسباب القوة البانية المدمرة : المستمدة من العلم ، ويشتد التطلع في كل شعب من شعوبه الى حسن الحال ، وتتوافر فيه الوسائل التي تكفل تحقيق مبدعات الحضارة وتعميمها .

إن عالما **كهذا** ، لهو في أشد الحاجة الى التحلي بعدة فضائل تكون أقدر على تحصين هذه الحضارة وألصق بإنسانية الانسان وسعادته .

ومن أجل هذه الصفات وأكرمها في دنيا البشر صفة الرحمة التي هي كمال في الطبيعة يجعل المرء يرق لآلام الخلق ويحول بينه وبين تبلد الحس الذي يهوى بالانسان إلى منزلة الحيوان ويسلبه أفضل ما فيه وهو العاطفة النابضة بالحب والرأفة . والرحمة في أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة المولى تباركت أسماؤه ، فإن رحمته شملت الوجود وعمت الملكوت ، فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شيء ، أشرق معه شعاع للرحمة الغامرة . ولذلك كان من صلاة الملائكة له قوله عز من قائل :

« **ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم** » سورة غافر/٧ ، وكثير من أسماء الله

الحسنى ينبع من معاني الرحمة والكرم والفضل والعفو ، وقد جاء في الحديث القدسي :

« ان رحمتي سبقت غضبي »

صحيح الامام مسلم عن ابي هريرة

أي ان تجاوزه عن خطايا البشر يسبق أقتصاصه منهم وسخطه عليهم . فما يرى في الارض من تواد وبشاشة وتعاطف وبر ما هو إلا أثر من رحمة الله التي أودع جزءا منها في قلوب الخلائق،فأرق الناس أفئدة أوفرهم نصيبا من هذه الرحمة وأرهفهم إحساسا بحياة الضعفاء ، وأكثرهم تجاوبا مع صرخات المستضعفين ونداءات الملهوفين .

أما غلاظ الأكباد من الجبارين والمتكبرين ، فهم في الدرك الأسفل من النار مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام :

« إن أبعد الناس من الله تعالى القلب القاسي » رواه الترمذي

وحينما أراد الله تعالى أن ينقذ هذا العالم من عنجهيته ويملؤه رحمة وصفاء وخيرا امتن عليه برجل يمسح آلامه ويخفف أحزانه ويستميت في هدايته ويقاتل دونه قتال الأم عن صغارها ويخضد شوكة القوي حتى يرده إنسانا سليم الفطرة لايغوى ولا يطغى ، أرسل سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام وسكب في قلبه من العلم والحلم وفي خلقه من الإيناس والبر ، وفي طبعه من السهولة والرفق ما جعله أزكى عباد الله رحمة وأوسعهم عاطفة وأرحبهم صدرا . مصداقا لقوله جل جلاله : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** »

سورة آل عمران/ ١٥٩

ومن النتائج الخالدة التي جاء هذا النص القرآني الكريم ليقررها أن ما حققه الرسول عليه السلام من أفضال في هذا العالم ما كانت لتتحقق لو لم يكن رحيما بأمته لينا معهم فلو كان فظا غليظ القلب ما تألفت حوله المشاعر ولا اتحدت ومن ثم فإن الناس في كل زمان ومكان في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم ، وإلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء .

وستظل صفة الرحمة التي أودعها الله تعالى في قلب رسوله الكريم درسا رائعا يعلم البشرية كيف تتعايش ، كما علم جيل الصحابة الكرام الذين غرفوا من حياض النبوة تربية مصفاة فتخرجوا من مدرستها رحماء ممثلين لمعنى الرحمة في أزهى صورها وأشرف مضامينها .

قال الله تعالى :

« **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** » .

سورة الفتح/ ٢٩

وقد نتساءل عن معنى ذكر الشدة في سياق الرحمة ؟

والحق أن الاسلام يوصي بالرحمة العامة لا يستثنى منها إنسانا ولا دابة

ولا طيرا لكن هناك من الناس من يكون مصدر خطر على غيره ومثار رعب ، فيكون من رعاية الصالح العام أن يحبس شره ويحاصر ضرره ، وقد تكون الشدة معه رحمة به وتقويما لعوجه على حد قول الشاعر العربي :

فقسا ليزدجروا ومن يك راحما
فليقس أحيانا على من يرحم

ولقد تجلت هذه الصفات في تلاميذ محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام ، فكانوا أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوتهم وذووقرابتهم فنسوا هذه الوشائج جميعا وكانوا رحماء بينهم وهم فقط إخوة دين وهذا هو معنى الشدة لله والرحمة لله ، لقد تغلغلت العقيدة في نفوسهم وتمكن الايمان من قلوبهم ، وهذه هي الحمية للعقيدة والسماحة للعقيدة ، وهذا هو السلوك على أساس العقيدة وحدها يشتدون على أعدائهم فيها كما يلينون لاخوتهم فيها .

ونقرأ في سورة المائدة قوله تعالى :
« **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** » المائدة/ ٥٤ .

فالذلة هنا هي صفة مأخوذة من السهولة والطواعية واليسر واللين ، بمعنى أن المؤمن ذلول للمؤمن غير عصي عليه ولا صعب ، سمح ودود ، وهذه هي الذلة للمؤمنين إنها تحطيم للحواجز بين المؤمنين ، خلط النفس بالنفس في الأهداف والمشاعر والأحاسيس وهذا هو حال المؤمنين وقد اجتمعوا في الله إخوانا يحبهم ويحبونه .

وحينما نتفحص معنى أعزة على الكافرين فإننا نجد أنها عزة للعقيدة وإعلاء لراية الاسلام التي يستظلون بظلها من أجل مواجهة الكافرين ، وهذه العزة تتحقق بموجب الثقة في مصداقية الدين الذي اعتنقوه وأنه هو الخير وهو الصواب .

وإننا لنأسف غاية الأسف لغياب هذا المعنى المشرق الذي حجبته الخلافات بين المسلمين فطمست هذه الإشراقة التربوية التي بثها ـ على مر الأجيال ـ مثل هذه النصوص الغراء ليحل محلها الصراع المرير يستفزه المسلمون ضد المسلمين حتى أنه لم يسبق في تاريخ الاسلام بأكمله أن قتل مثل هذه الكثرة التي قتلت في هذه الفترة الحالية القصيرة وإن مما يمض أن المسلمين يقتل بعضهم بعضا .

ان مما آلت إليه الحال بين المسلمين في العقود الأخيرة يفت في العضد ويضع القلق محل الطمأنينة والشك محل الوثوق ، ويؤكد مرة أخرى أنه آن الأوان أن يعيد المسلمون النظر في مناهجهم التربوية ويعيدوا قراءة تراثهم النابض بالحياة الملىء بالروائع الانسانية الخالدة القادرة على تجديد الآفاق التربوية .

ذلك أن التربية عمل يدل على الايمان بالمستقبل ، وفي إدراك هذه الحقيقة معقد الرجاء فالمسلمون ـ برغم مايمزقهم اليوم من أسباب الضغينة والخلاف ـ هم على موعد مع

هذا الرجاء فمن الذي يستطيع أن ينكر أن في طبيعة التوجيه الاسلامي ذخيرة من الخير قوية مليئة علما وآدابا وحلولا صادقة ؟ ولابد أن يجيء ذلك اليوم الذي تعلق فيه النفوس بذلك العلم الذي ابتدعته عقول الأجداد وترتفع حكمته الى المستوى الانساني الزاهر .

ذلك أننا نرى بعثا إسلاميا من الخليج إلى المحيط ، وهذه فرصة يجب أن نهتبلها ونحن في هذا المخاض ، وأن في قلب البلاد العربية والاسلامية ألوفا من الشباب يستطيعون أن يحققوا ضخام الأحلام وعظام الآمال تسمو بها الأمة إلى تلك الأمجاد التي أشرقت بشائرها على الدنيا من أرجاء البلاد الاسلامية ، وأن ذلك ـ سيحقق ـ اذا رشد ـ هذا البعث الاسلامي المعبر عنه بالصحوة الاسلامية ويستطيع أن يعمق الايمان الصادق في نفوس الملايين بقدرتها على أن تفعل وتصل .

ولقد استطاعت الإشراقة التربوية التي بثها القرآن الكريم وسيرة الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام . أن تحقق معنى التلاحم والتراحم بين الإخوة المسلمين ـ فكانوا بفضل ذلك ـ بنيانا مرصوصايحسون إحساسا واحدا وتقودهم آمال واحدة فاستطاعوا أن يشقوا ضباب المعرفة في فجر حضارتهم ويطلقوا الفكر من تمائمه ، ويحفظوا ـ بما فطروا عليه من الشوق الى المعرفة والصبر على مكاره البحث ـ جملة من تراث الفكر الانساني ويضيفوا إليه ويبدعوا فيه .

وما كان للمسلمين أن يحققوا كل تلك الآثار لو لم يكونوا اخوة يعنون للمعرفة والقدوة الحسنة والفهم والفضيلة والخير .

ولعل الايمان بذلك هو الذي يجب أن ينبعث مرة أخرى في ظروف المسلمين الحالية :

يجب أن يؤمنوا ثانية أنهم « رحماء بينهم » أو يجب أن يكون الأمر كذلك وما أجدر هذه الصفة أن تكون الآن حجر الزاوية فتشيع في مناهج كل مؤسسة وكل معهد من معاهد هذه الأمة وفي كل وسيلة من وسائل التربية فيها من صحافة مسموعة أو مرئية أو مقروءة حتى نستلهم تراث الأمة الاسلامي في هذا المجال ليكون لنا حافزا من أجل الثقة والاقدام .

أن مَدَّ آمال المسلمين في الظفر بحياة أنضل ، مد لا تحده حدود ، ولن يتحقق ذلك إلا بجد لا ينحرف ولا ينثني وهذا يقتضي من أسنى العقول وأذكاها ـ وما أكثرها في ربوع البلاد الاسلامية ـ أن تبذل أقصى ما تملك من العزيمة والفكر وحسن النية في انصرافها دون تحفظ أو تلكؤ لإبداع خطط مستمدة من روح التربية الاسلامية يستطيع المسلمون ـ في ظلها أن يسعوا إلى حلول واقعية تسمو فوق الخلافات وتحطم كل الحواجز

وبـذلك يتحقق معنى التـراحم في صـورته الكبـرى . وبهذا المفهـوم يستطيع المسلمون أن يحافظوا على المعنى الجوهري المضمن في كلمتي : رحمة ورحماء ، وان هذا ليدعو جميع الأطراف أن تسعى بحرية ومسؤولية إلى استكشـاف أبعـاد التـوجيـه الاسلامي الرائع الذي يستطيع أن يحل الأزمة الخانقة ويساهم في تبديد الغيوم الداكنة .

ولعل دور العلماء في هذا المجال دور أساسي من شأنه أن يميط اللثام عن حقائق دينية توجيهية لا يفتأ الخصوم يحجبونها بألف ستار وستار ليظل القتال قائما والتنابذ موجودا ، إن دور العلماء ـ اليوم ـ إذا انصرفوا إلى هذه المهمة بكل إخلاص وتفـان ، سيكون وسيلة تنشىء الشباب على الأخذ بالأفضل من الرأي ، والأنفع من العمـل والأنبـل من الـولاء ، وسيبصرهم بالاسلام الحقيقي الذي تشتد إليه حاجة هذا العصر كي تنكشف الغمة وينزاح من طـريق المسلمين ذلك الشبح المخيف المتمثل في الخلافات التي لا مبرر لها مع وجود هذا التراث الغني بناصع التوجيه وجميل الارشاد .

نعم إن دورهم اليوم كبير جدا ، فالأمة العربية والاسلامية تقف اليوم على حد فاصل من الزمن يتحداها فيه ماضيها المجيد الملىء بالمفاخر.

فـإن لم تجعـل من الاتحـاد والتـواصـل والتحـاب ومن العلم والبحث وملاحقة الركب ، إن لم تجعل من ذلك بعض عدتها ، فأغلب الظن أنهـا ستبقى متخلفة عن الـركب مستضعفة عند العدو والصديق .

وإن أكبر انتصار سيحققه العرب والمسلمون اليوم هو أن يستجيبوا لشفافية هذا النص القرآني الكريم : « **أشداء على الكفار رحماء بينهم** » ويصونوه ويطبقوه تطبيقا يستهوى النفوس والعقول ويدني المسافة بين المسلمين وبين غدهم المشرق لتحقيق أعمق ما في التراث وأبعد ما في الأمل .

أول بيت

قال تعالى : إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا »
قـال الاصمـعـي : وسميت « بكـة » لأن النـاس يبـكّ بعضهم بعضا فيها اي يدفع .

قرأت لك

البلد الحرام

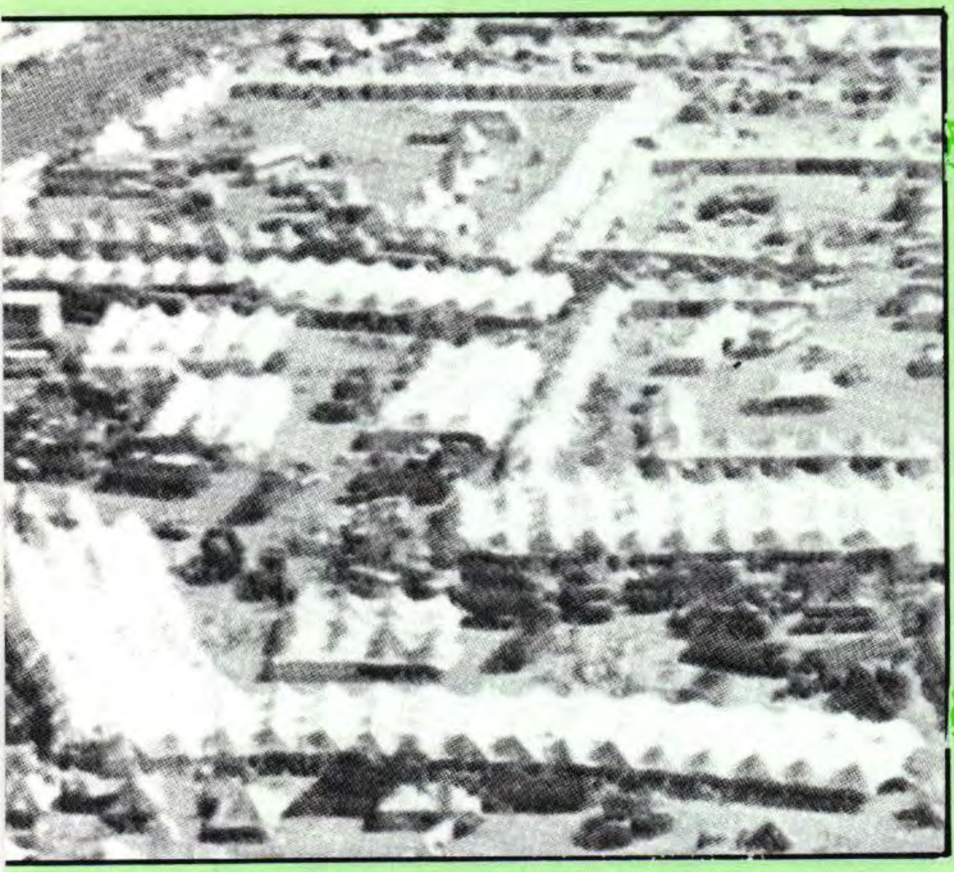
— حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال النبي ﷺ ، يوم افتتح مكة : « لَا هِجْرَةَ وَلَٰكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا ، فَإِنَّ هٰذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللّٰهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللّٰهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللّٰهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ ، وَلَا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا ، وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهَا » .

قَالَ الْعَبَّاسُ : يَا رَسُولَ اللّٰهِ ! إِلَّا الْإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ . قَالَ : قَالَ : « إِلَّا الْإِذْخِرَ » .

أخرجه البخاري في : ٢٨ ـ كتاب جزاء الصيد : ١٠ ـ باب لا يحل القتال بمكة .

لا هجرة واجبة من مكة إلى المدينة بعد الفتح لأنها صارت دار إسلام .

ولكن جهاد ونية : أى جهاد فى الكفار ونية صالحة فى الخير تحصلون بهما الفضائل التى فى معنى الهجرة التى كانت مفروضة ؛ وقال الطيبى فى شرح المشكاة قوله ولكن جهاد ونية عطف على محل مدخول لا ، والمعنى أن الهجرة من الأوطان إما هجرة إلى المدينة للفرار من الكفار ونصرة الرسول ﷺ ، وإما إلى الجهاد فى سبيل الله ، وإما إلى غير ذلك من تحصيل الفضائل كطلب العلم ؛ فانقطعت الأولى وبقيت الأخريان فاغتنموها ولا تقاعدوا عنهما . وإذ استنفرتم فانفروا : أى إذا دعاكم الإمام إلى الخروج إلى الغزو فاخرجوا إليه . حرم الله : بحذف الهاء ، والأصل حرمه . بحرمة الله : أى بسبب حرمة الله . لم يحل لى : أى القتال فيه ؛ ولا دلالة فيه على أنه عليه الصلاة والسلام قاتل فيه وأخذه عنوة ، فإن حل الشىء لا يستلزم وقوعه ؛ قال الماوردى فيما نقله عنه النووى فى شرح مسلم : من خصائص الحرم أن لا يحارب أهله ، فإن بغوا على أهل العدل فقد قال بعض الفقهاء يحرم قتالهم بل يضيق عليهم حتى يرجعوا إلى الطاعة ويدخلوا فى أحكام أهل العدل وقال الجمهور يقاتلون على بغيهم إذا لم يمكن ردهم عن البغى إلا بالقتال لأن قتال البغاة من حقوق الله تعالى التى لا يجوز إضاعتها فحفظها فى الحرم أولى من إضاعتها ؛ قال النووى وهذا الأخير هو الصواب. لا يعضد : لا يقطع. شوكه : أى ولا شجره بطريق الأولى ، نعم لا بأس بقطع المؤذى من الشوك كالعوسج ، قياسا على الحيوان المؤذى. ولا ينفر صيده : تصريح بتحريم التنفير وهو الإزعاج وتنحيته من موضعه . ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها : معنى الحديث لا تحل لقطتها لمن يريد أن يعرفها سنة ثم يتملكها كما فى باقى البلاد بل لا تحل إلا لمن يعرفها أبدا ولا يتملكها . ولا يختلى خلاها : أى ولا يقطع نباتها الرطب . الإذخر : نبت معروف طيب الرائحة ، وهو حلفاء مكة . لقينهم : أى لحدادهم ، أو القين كل صاحب صنعة يعالجها بنفسه ، ومعناه يحتاج إليه القين فى وقود النار . ولبيوتهم : فى سقوفها ، يجعل فوق الخشب ، أو للوقود كالحلفاء ؛ وقوله إلا الإذخر : استثناء بعض من كل لدخول الإذخر فى عموم مايختلى .



من حديث الحج
في القرآن الكريم :

وردت في سورة البقرة ـ أطول سور القرآن الكريم ـ آية من آيات الحج والعمرة ، عدها ابن العربي فى احكام القرآن عضلة من العضل ، وإن ذهب القرطبى إلى غير ذلك وقال عنها بأنه لا اشكال فيها ، وأنه سيبينها غاية البيان ، هذه الآية هى قول الله تبارك وتعالى : « **وأتموا الحج والعمرة لله فإن احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضاً او به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب** » (البقرة/ ١٩٦) .

والذى لا خلاف عليه ان الآية نزلت فى الحديبية سنة ست حين صد المشركون المسلمين ، وحالوا بينهم وبين زيارة البيت الحرام ، ولكن العلماء بعد هذا اختلفوا اختلافا كثيرا حول كل ما تحدثت عنه هذه الآية من مسائل ، وهو لا يكاد يخرج عما يلي :

أولا : الأمر بإتمام الحج والعمرة .
ثانيا : الاحصار والهدي .
ثالثا : ارتكاب بعض المحظورات لضرورة في فترة الاحرام .
رابعا : التمتع وآثاره .



الإحصار والهدي

للدكتور / محمد الدسوقي

أما الأمر بإتمام الحج والعمرة فقد اختلف فى دلالته على وجوبهما ، كما اختلف فى المقصود به ، فقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن الأمر فى الآية مطلق لا يقيد الاتمام بالدخول فى الحج والعمرة ، ومن ثم يدل على وجوبهما ، على حين رأى البعض الآخر ، أن ذلك الأمر غير مطلق ، وأنه مشروط بالدخول فى الحج والعمرة ، ويكون معناه أن من شرع فيهما فعليه أن يتمهما ، فلا يدل إذن على الوجوب .

ويذكر الرازى فى تفسيره أن أهل التفسير يرون أن هذه الآية هي أول آية نزلت في الحج ، ولذلك كان حملها على ايجاب الحج أولى من حملها على وجوب الاتمام بشرط الشروع فيه ، وهذا يعنى أن العمرة كالحج في الوجوب ، ولكن الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير يذهب إلى أن المقصود بهذه الآية هو العمرة ، وإنما ذكر الحج على وجه الادماج ؛ تبشيرا بأن المسلمين سيتمكنون من الحج فيما بعد ، وهذا من معجزات القرآن ..

وإذا كان معنى إتمام الشيء إكماله والاتيان على بقايا ما بقي منه حتى يستوعب جميعه ، فإن الراجح أن الأمر بالاتمام لا يدل على وجوب الحج والعمرة ، وإنما يدل على وجوب إتمام هاتين العبادتين لمن أحرم بهما ، جاء في روح المعاني للألوسى جـ ٢ صـ ٧٨ : فلا دلالة في الآية على أكثر من وجوب الاتمام بعد الشروع فيهما ، وليس في الآية أكثر من بيان وجوب إتمام أفعالهما عند التصدى لأدائهما ، وإرشاد الناس الى ما عسى يعتريهم من

العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه ، من غير تعرض لحالهما من الوجوب وعدمه ، ووجوب الحج مستفاد من قوله تعالى : « **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا** » (آل عمران/٩٧) ، ومن ادعى من المخالفين أن آية البقرة دليل له ، فقد ركب شططا وقال غلطا .

وما قاله الألوسى سبقه إليه الزمخشري وابن العربي وابن كثير والقرطبي وغيرهم .

ومادام الأمر بالاتمام لا يعد دليلا صريحا في وجوب الحج والعمرة وأن الراجح أن دلالته تنصرف إلى إلزام الاتمام لا إلزام الابتداء ، ومادامت آية آل عمران هي التي بينت فرضية الحج ، فإن الراجح أن العمرة ليست واجبة وإنما هي تطوع أو سنة ، وقد أورد الشوكاني في مستهل الجزء الخامس من نيل الأوطار عدة أحاديث في الحج والعمرة وفضلهما ، وتعرض وهو يشرح هذه الأحاديث لآراء الفقهاء من حيث وجوب العمرة وعدم وجوبها ، وانتهى بعد سرده لأهم تلك الآراء ومناقشة أدلتها إلى قوله : والحق عدم وجوب العمرة ؛ لأن البراءة الأصلية لا ينتقل عنها إلا بدليل يثبت به التكليف ، ولا دليل يصلح لذلك ، لاسيما مع اعتضادها بالأحاديث القاضية بعدم الوجوب ، ويؤيد ذلك اقتصاره صلى الله عليه وسلم على الحج في حديث بني الاسلام على خمس ، واقتصار الله جل جلاله على الحج في قوله تعالى : « **ولله على الناس حج البيت** » ثم قال : وأما قوله تعالى : « **وأتموا الحج والعمرة لله** » فلفظ التمام مشعر بأنه إنما يجب بعد الاحرام لا قبله .

وكما اختلف الفقهاء في دلالة الأمر على وجوب الحج والعمرة ، اختلفوا في مفهوم الاتمام أو المقصود به ، وقد ذكر ابن العربي سبعة اقوال في ذلك هي : الاحرام بالحج والعمرة من الديار ، أو إتمامهما الى البيت ، أو بحدودهما وسننهما أو عدم الجمع بينهما ، أو ألا يحرم بالعمرة في أشهر الحج ، أو إتمامهما بعد الدخول فيهما ، أو الا يتجر معهما ، وعقب على هذا بقوله : وكل هذه الأقوال محتمل في معنى الآية إلا أن بعضها مختلف فيه .

وقال صاحب الكشاف في معنى وأتموا : أى ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله ، وقيل : الافراد ، وقيل : أن تكون النفقة حلالا ، وقيل : أن تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشىء من التجارة والأغراض الدنيوية ..

وآراء الفقهاء وان تفاوتت بعض التفاوت في معنى الاتمام تكاد تجمع على أن المراد به هو الاتيان بالحج والعمرة تامين ، ظاهرا بأداء المناسك على وجهها ، وباطنا بالاخلاص لله تعالى وحده دون قصد الكسب او التجارة او الرياء او السمعة فيهما ، فقد أمر الله بأن يكون الاتمام له ، فإذا لم يتوجه الحاج والمعتمر بالشعائر والمناسك خالصة لربه فإنها لا تقبل منه وترد عليه ؛ لأن الله طيب ولا يقبل من الأعمال إلا ما كان طيبا .

وبعد الأمر بإتمام الحج والعمرة جاء حكم ما يمنع من ذلك الاتمام ، أو ماعساه يحول دونه « **فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى** » .

وللعلماء في تحليل كلمة « أحصرتم » من الناحية اللغوية عدة أقوال ترتب عليها اختلافهم في معنى الاحصار الذي يجوز معه تقديم ما استيسر من الهدى ، والاحلال من الاحرام ، فلدى بعضهم أن الفعل من مادة « حصر » إذا كان ثلاثيا فهو خاص بمنع العدو ، يقال : حصره يحصره ، إذا ضيق عليه وأحاط به ، ومنعه عن مراده .

وإذا كان الفعل من هذه المادة مهموزا « أحصر » فإن من العلماء من جعله خاصا بالمنع بالمرض ، ومنهم ، وهو قول ينسب للشافعي أنه مختص بالمنع الحاصل من جهة العدو ، ولكن أكثر أهل اللغة يردون هذا القول على الشافعي مع أنه إمام في العربية ، كما هو إمام في الفقة والأصول ، وهناك من يرى أن أحصر يفيد الحبس والمنع مطلقا ، ويقال : أحصره احصارا ! إذا منعه .

ويذهب بعض أئمة اللغة ـ وهو الصحيح ـ إلى أن حصر وأحصر بمعنى المنع في كل شى ، وأن الهمزة في أحصر لم تكسبه تعدية ، فهو في دلالته مرادف لحصر ، ونظيرهما صده ، وأصده .

قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة في مادة « حصر » : الحاء والصاد والرّاء أصل واحد ، وهو الجمع والحبس والمنع ، ثم قال : والكلام في حصر واحصر مشتبه عندى غاية الاشتباه ؛ لأن ناسا يجمعون بينهما ، وآخرون يفرقون ، وليس فرق من فرق بين ذلك ، ولا جمع من جمع ناقضا القياس الذي ذكرناه ، بل الأمر كله دال على الحبس .

والذي حمل بعض العلماء على قصر دلالة كل من حصر وأحصر على معنى خاص هو كثرة استعمال الفعل المجرد في المنع من العدو ، والمهموز في المنع من غير العدو ، بيد أن كثرة الاستعمال أو شيوعه لا تدل على خصوصية في الدلالة ، فضلا عن أنه قد يشيع استعمال اللفظ الموضوع للمعنى العام في بعض أفراده ، وهذا لا يعنى أنه مقصور على هذا البعض من حيث الدلالة ، وبذلك يكون كل ما يحبس المحرم عن إتمام الحج والعمرة احصارا ، وليس نزول الآية بسبب ما كان من منع قريش للمسلمين عام الحديبية مسوغا لقصر معنى الاحصار على منع العدو ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

فمن أحصر عن الحج والعمرة بكل ما يحبس المحرم عن الاتمام ، فلا يحل من احرامه حتى يقدم ما تيسر من الهدي ، والهدي يطلق على ما يهدى إلى الحرم من الأنعام خاصة ـ وهي الابل والبقر والغنم ـ تقربا إلى الله عز وجل ، فهو بمنزلة الهدية يهديها الانسان إلى غيره تقربا إليه ..

وقد أومأت الآية الى الهدي ثلاث مرات : الأولى في حالة الإحصار ، والثانية في حالة الاعتداء على الاحرام بفعل محظور من محظوراته ، والثالثة في حالة التمتع بالتحلل من العمرة إلى الحج ..

وبالاضافة إلى ما ورد في آية البقرة عن الهدي تحدثت عنه بعض الآيات في سورة المائدة والحج ، كما تحدثت عنه بعض الاحاديث النبوية ، وما جاء في الكتاب والسنة عن الهدي يبين أنه شعيرة من الشعائر التي يجب المحافظة عليها « **يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد** » (المائدة/٢) ، ويشير إلى سوق الهدي وتقليده وإشعاره « **جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد** » (المائدة/٩٧) كذلك يتناول طلب الهدي على وجه التعيين أو على وجه التخيير ، وأين ومتى يذبح ، ومتى يجوز الأكل والتزود منه ومتى لا يجوز ؟ والهدي قد يكون واجبا أو مستحبا ، فهو مستحب للحاج المفرد ، والمعتمر المفرد ، ويجب على القارن والمتمتع ، وعلى من ترك واجبا من واجبات الحج كالاحرام من الميقات ، ورمي الجمار ، كما يجب على من ارتكب محظورا من محظورات الاحرام كالتطيب والحلق ، وعلى من جنى على الحرم بالتعرض لصيده ، أو قطع شجره .

وقد اتفق العلماء على أن الأفضل في الهدي الابل ثم البقر ، ثم الغنم ، وأن أقل ما يجزىء عن الواحد شاة ، أو سبع بدنة أو بقرة ، وأنه ينبغي أن يراعى في الهدي أن يكون انفع للفقراء ، فتتوافر فيه السلامة من العيوب التي تؤثر في استسمانه ، أو كماله .

وقد حمل الجمهور حديث آية البقرة عن هدي الاحصار على الوجوب ، وذهب الامام مالك إلى أنه لا يجب على المحصر هدي ؛ لأن ما ساقه النبي صلى الله عليه وسلم في عام الحديبية كان متنفلا به ، ولأنه لم يكن مع كل الذين احصروا في هذا العام هدي ، وقد رد الامام الشوكاني ما ذهب إليه الامام مالك ، وانتصر للجمهور ، وعد ما ذهب إليه هذا الامام من الغرائب التي يتعجب من وقوع مثلها من أكابر العلماء . (نيل الأوطار جـ ٥ صـ ١٧٥) .

ولعل الراجح أن المحصر إذا تيسر له الهدي فعليه أن يذبح بقدر يسارته على حد تعبير ابن كثير ، شاة ، أو بقرة أو بدنة ، فإذا لم يتيسر له ذلك فلا يجب عليه شيء ، ولعل المقصود من الذبح عند الاستطاعة تحصيل بعض مصالح الحج بقدر الامكان ؛ لأنه إذا فات المحصر المناسك ، فلا يجدر به أن يفوته تعظيم شعائر الله ، ونفع فقراء الحرم بتقديم الهدي « **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب . لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق** » (الحج ٣٢/٣٣) .

وليس لهدي الاحصار بدل يحل محله عند العجز عنه ، ولم يخير المحصر بين هذا الهدي وغيره من طعام أو صيام أو نسك ، فهو هدي معين متى تيسر ، ولكن هدي الاعتداء على الاحرام أو على الحرم جاء الأمر به على سبيل التخيير بينه وبين غيره ، ولهدي التمتع بدل عند العجز عنه .

وللعلماء آراء متعددة في المحل الذي يذبح فيه المحصر هديه ، وهل يجوز له التحلل قبل الذبح ، وهل يجب عليه قضاء ما احصر عنه ؟

والذي يمكن استخلاصه من تلك الآراء ؛ وفقا لقواعد التشريع العامة التي تراعى التيسير ، وتمنع الحرج ، ومن ثم لا يكلف شرعا إلا بفعل ممكن مقدور للمكلف ـ أن المحصر أيا كان سبب احصاره يذبح هديه في المكان الذي احصر فيه ، إذا لم يستطع أن يبعث به إلى الحرم ، وذلك أن الأصل في الهدي أن يبلغ الكعبة ؛ لقوله تعالى : « **هديا بالغ الكعبة** » (المائدة/ ٩٥) . وحال الاحصار حال ضرورة ، فجاز أن يذبح هدي الاحصار في موضع الحصر ، ودون انتظار ليوم النحر ، إذا يئس المحصر من الوصول الى البيت ، والنهي في قوله تعالى : « **ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله** » هو نهي عن الاحلال قبل بلوغ الهدي المكان الذي يذبح فيه ، وهو بالنسبة للمحصر موضع الحصر ، وبالنسبة لغيره الحرم ، وقد خص النهي عن الحلق دون غيره من محظورات الاحرام كالطيب ، تمهيدا لقوله تعالى : «**فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه**» .... ولهذا قصر بعض المفسرين الآيات التي تبين ان محل الهدي الحرم على الآمن الذي يجد الوصول إلى البيت ، أما المحصر فلا يكلف بها ؛ بدليل نحر النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه هديهم بالحديبية ، وليست من الحرم .

والآية صريحة في أن الحلق لا يكون إلا بعد بلوغ الهدي محله ، سواء فسر المحل بالذبح أو مكانه وزمانه ، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المحصر لا يكلف بهذا ، وإنما يكلف الآمن ، فيجوز أن يتحلل المحصر قبل ذبح هديه ، بيد أن الآية خطاب لجميع الأمة ، ولا ينبغي أن تقصر على حالة دون حالة مادام لايترتب على ذلك مشقة بالغة ، أو حرج يوقع في عنت ، فلا يتحلل المحرم مطلقا إلا بعد بلوغ الهدي محله إن تيسر له .

ولا يجب على المحصر قضاء ما أحصر عنه على الرأي الراجح ؛ لاقتصار الآية على الهدي ؛ ولأن عمرة القضاء سميت بذلك للمقاضاة التى وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش ؛ لا أن هذه العمرة كانت قضاء واجبا عما احصر المسلمون عنه ، ولأن الحاج أو المعتمر الذي سعى إلى البيت الحرام لأداء النسك ، وتكلف ما تكلف من الجهد والمال ، ثم حيل بينه وبين اتمام ما سعى اليه ، لأمر لا قبل له به ، ولا اختيار له فيه ، كيف يجب عليه ان يقضى ما احصر عنه ، وهو ليس مسئولا عن احصاره ، وقد لا يستطيع بعد ذلك ان يتخذ إلى ربه سبيلا ؛ لضعف صحته أو فقره وفاقته ،

وطوعا لهذا يكون المحصر في حكم من أدى المناسك ويسقط عنه ما فرض عليه ، فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

وإذا كان هدي الاحصار يذبح في المحل الذي احصر فيه المحرم مادام قد عجز عن أن يصل الى الحرم فإن ما عدا هذا الهدي لا يذبح إلا في الحرم ، وليس بلازم ان يذبح في منى فكل فجاج مكة وطرقها منحر كما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا ينبغي الالتزام بالواقع العملي المعاصر الذي خصص أماكن للذبح والسلخ ، من أجل المحافظة على النظافة والصحة العامة وتنظيما أمثل للانتفاع بلحوم الهدي التي كانت تذهب طعمة للثرى .

ويبدأ وقت الذبح بيوم النحر ، ويمتد إلى آخر أيام التشريق ؛ وذلك في غير هدي الكفارات والنذر ؛ لأنه لا يتقيد بوقت ، كما أن هدي التمتع يجوز أن يقدم ذبحه على الوقوف بعرفة بعد الاحرام بالحج أو قبله بعد التحلل من العمرة ، وإن كان من العلماء من ذهب إلى عدم جواز ذبح هذا الهدي قبل يوم النحر .

ويجوز الأكل باتفاق من هدي التطوع ، كما يجوز **التزود** والاهداء منه ، ما لم تكن هناك ضرورة تفرض عدم التزود ، وقد اختلف في مقدار ما يؤكل من هذا الهدي ، وما يهدى منه وما يتصدق به ، ولكن المسلم الذي له في رسوله الكريم أسوة حسنة يسارع إلى البذل والانفاق في إيثار ، ويجود بخير ما لديه دون أذى ، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نحر مائة من الابل في حجته ، وأمر علياً كرم الله وجهه أن يتصدق بلحومها وجلودها وجلالها ، وهو كساء تلبسه الدابة لتصان به ، كما أمره أن يأخذ من كل بدنة بضعة أى قطعة من اللحم لاعداد الطعام الذي أكل منه الرسول صلى الله عليه وسلم (زاد المعاد جـ ١ صـ ٣٠٢) .

ولم يتفق الفقهاء فيما سوى هدى التطوع من حيث جواز الأكل منه ، فمنهم من يرى عدم جواز الأكل من الهدي الواجب كله ، ومنهم من يقصر عدم جواز الأكل على فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر ، دون غيره من الهدي الواجب ، ومنهم من يذهب الى جواز الأكل من هدي المتعة وهدي القران . ولكن الأمر بالأكل من الهدي في القرآن جاء مطلقاً لم يخصص نوعا منه: « **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأُطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون** » (الحج/٣٦) .

ويقول الشوكاني تعقيبا على ما أورده من أحاديث في باب الأكل من دم التمتع والقرآن والتطوع : والظاهر أن يجوز الأكل من الهدى من غير فرق بين ما كان منه تطوعا وما كان فرضا لعموم قوله تعالى : « فكلوا منها » ولم يفصل ، والتمسك بالقياس على الزكاة في عدم جواز الأكل من الهدي الواجب لا ينتهض لتخصيص هذا العموم ؛ لان شرع الزكاة لمواساة الفقراءفصرفها

إلى المالك اخراج لها عن موضعها ، وليس شرع الدماء كذلك ، لأنها إما لجبر نقص ؛ أو لمجرد التبرع فلا قياس مع الفارق فلا تخصيص » (نيل الأوطار جـ ٥ صـ ١٩٢) .

وإذا كانت ظروف عصرنا لا تتيح سوق الهدي من خارج الحرم وتقليده واشعاره فإن شراء الهدي من داخل الحرم يعد سوقا له ، أما الاشعار وهو أن يشق أحد جنبي سنام البدنة أو البقرة إن كان لها سنام حتى يسيل دمها ، ويجعل ذلك علامة لكونها هديا فلا يتعرض لها ، وكذلك التقليد وهو أن يجعل في عنق الهدى قطعة جلد ونحوها ليعرف بها أنه هدي ـ فقد استحبه عامة العلماء ، وعللوا له بأن فيه تعظيما لشعائر الله وإعلام الناس بأنها قرابين تساق إلى البيت الحرام لتذبح تقربا إلى الله .

وهذا التعليل للاشعار والتقليد فقد معناه في العصر الحاضر ، ومادام الحكم يدور مع علته وجودا وعدما فإن الاشعار وكذلك التقليد ليس لهما ما يسوغ الآن الالتزام بهما ، فضلا عن أن بعض الفقهاء كرهوا الاشعار ومنهم الامام الأعظم أبو حنيفة .

ومع الجهد الطيب الذي يبذل للانتفاع بلحوم الهدي ، ونقلها الى مناطق الحاجة اليها مازالت مشكلة الهدي في حاجة الى نظرة فقهية جديدة ، نظرة فقهية تجمع بين أمرين : مراعاة الحكمة من إراقة الدماء ، وحماية أموال المسلمين من أن تذهب سدى ، وهم في عصر يقتضي منهم أن يحافظوا على كل أسباب القوة التي أمروا بإعدادها ؛ ليرهبوا أعداء الله ، واعداء الحياة ، فقد تداعت عليهم القوى المضادة من كل جانب ، ولا سبيل لهزيمتها والحيلولة بينها وبين ما تبيته لهم إلا بالقوة بمفهومها الاسلامي الشامل .

وتشير الآية بعد حديثها عن الاحصار والهدي إلى ما قد يعرض للمحرم من ارتكاب بعض المحظورات في فترة الاحرام « **فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** » .

لقد فرض الله الحج على المستطيع مرة واحدة في العمر ، وحظر على المحرم أن يحدث في الحرم ما يعكر صفوه وأمنه من قول أو فعل « **فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج** » (البقرة/١٩٧) وشمل هذا الحظر الانسان والحيوان والنبات « **وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرما** » (المائدة/ ٩٦) كما حظر على المحرم من ناحية ثانية لبس المخيط من الثياب ، وتقليم الأظافر وإزالة الشعر بالحك أو القص أو النتف ، وكل هذه المحظورات لم يقصد بها سوى أن تكون فترة الحج فترة تجرد كامل لله ، وفترة سلام واطمئنان يستمد منها المسلمون في كل عام معاني الحب والتآلف والتعاون على الخير في السراء والضراء .

والله الرحيم بعباده بين في هذه الآية أن المحرم إذا تعرض في فترة الاحرام لمرض في جسمه أو رأسه فارتكب بعض ما منع منه من حلق شعره أو نتفه أو تغطية رأسه أو لبس الثياب المخيطة فعليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك ، والرأي المعول عليه في الصوم أنه ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين أو ذبح هدي ، فقد روى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن كعب بن عجرة حدثه قال : وقف عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ورأسى يتهافت قملا ، فقال : يؤذيك هوامك ، قلت : نعم ، قال : فاحلق رأسك ، أو احلق ، قال : في نزلت هذه الآية : «**فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه**» إلى آخرها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صم ثلاثة أيام أو تصدق بفِرق (مكيال معروف بالمدينة وهو ستة عشر رطلا) بين ستة أو انسك بما تيسر ، رواه البخاري .

فالمحرم الذي ارتكب بعض محظورات الاحرام مخير بين الصيام والاطعام وذبح النسك ؛ شاة أو نحوها ؛ أخذا بما نصت عليه الآية الكريمة .

وكما طلب الهدي بفعل محظور من محظورات الاحرام ، أو في حالة الاعتداء على الاحرام على وجه التخيير بينه وبين غيره من الصيام والاطعام طلب على هذا الوجه أيضا في حالة الاعتداء على الحرم بقتل صيده أو قطع شجره « **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما** » (المائدة/ ٩٥) .

وتناول الجزء الأخير من الآية التمتع وآثاره « **فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام** » .

ويلاحظ أن الحديث عن التمتع سبق بالاشارة الى الأمن ، فلا خوف أيا كان مصدره ، مما يدل على أن التمتع لا سبيل إليه في حالة احصار أو خوف .

وللتمتع لدى الفقهاء عدة صور المجمع عليه منها ـ وهو المراد بهذا الجزء من الآية ـ أن يحرم الانسان من غير مكة بعمرة في اشهر الحج ـ وهي شوال وذو القعدة والعشرة الاولى من ذي الحجة ـ حتى إذا أداها أقام غير محرم بمكة إلى أن ينشىء الحج منها في عامه ذلك قبل رجوعه إلى بلده ، أو قبل خروجه إلى ميقات اهل ناحيته ، فإذا فعل ذلك كان متمتعا ؛ لأنه تحلل من احرامه بالعمرة ، وتمتع في اشهر الحج بما كان محظورا عليه وهو محرم .

فهذه الصورة المجمع عليها للتمتع ينبغي أن يتوافر لها ثمانية شروط هي : الجمع بين الحج والعمرة في سفر واحد وفي عام واحد ، وفي أشهر الحج ، مع تقديم العمرة على الحج ، وأن يكون احرام الحج بعد الفراغ من العمرة ، وأن تكون العمرة والحج من شخص واحد ، وأن يكون من غير أهل مكة (وانظر تفسير القرطبي جـ ٢ صـ ٣٩١) .

فمن تمتع على هذا الوجه يجب عليه ما أوجب الله على المتمتع ذبح ما استيسر من الهدي ، شاة او نحوها يوم النحر أو قبله في رأي بعض الفقهاء ، فمن لم يجد الهدي لعدمه أو عدم المال صام ثلاثة أيام بمكة في اشهر الحج ، إما بين الاحرام بالعمرة والحج ، أى في أيام التمتع ، وإما في ايام الاحرام بالحج ، ولكن ليس له صيام يوم النحر بالاجماع ، واختلف في صيام أيام التشريق ، وهذا كله على من لم يكن من أهل مكة ، فمن كان من أهلها فلا شيء عليه إذا تمتع ، وذهب بعض الفقهاء إلى أن من كان من أهل مكة فلا متعة له ..

ويفهم من الآية أن هناك حجا واعتمارا على غير هذا الوجه ـ وجه التمتع ـ وقد ذكر العلماء أن الحج والعمرة على ثلاثة ضروب هي : التمتع والافراد والقران ، وقد اختلف في أفضلها ، لتعارض الأحاديث في ذلك ، وقد أومأت آنفا إلى التمتع ، أما القران فهو أن يحرم بالحج والعمرة معا ، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج أو العكس ، والافراد هو الاحرام بالحج وحده ، ثم يعتمر بعد أدائه .

والآية في ختامها تدعو إلى تقوى الله بامتثال أوامره ، ومراعاة حرماته ، وتذكر العباد بأن الله شديد العقاب لمن يخالفون عن أمره ويفرطون في جنبه ، علهم بذلك يعتصمون بحبل الله ، ويستمسكون بما يكفل لهم سعادة الدارين « **واتقوا الله اعلموا ان الله شديد العقاب** » .

وبعد فهذه آية من آيات الحج والعمرة في كتاب الله عرضت لها في ايجاز واجمال ، سائلا الله تبارك وتعالى أن يرعى حجاج بيته وزواره ، وأن يكون لقاؤهم السنوى في رحاب البيت الحرام تدعيما لوحدتهم وتراحمهم وتناصرهم ، حتى يكونوا بحق أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

الاعجاز القرآني.. في آية الحج

للدكتور/ محمد احمد العزب

١

من جوانب الاعجاز القرآني تألق هذا الاعجاز حتى في الآية الواحدة فضلا عن السياق بتمامه ، وهو جانب لم يظفر من جهود العلماء بما هو جدير به من التضوىء والتحديد ، إذ انحصرت جهودهم أو كادت في تأمل السياق القرآني ، لأنه بالطبع أدل على حقائق الاعجاز ، وأقدر على تجسيد جواهره .

والمتأمل لآية الحج : **(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقونِ يأولي الألباب)** البقرة/ ١٩٧ .. يلاحظ ان هذه الآية القرآنية اختصرت ملامح عبادة كاملة من العبادات الأساس في الاسلام ، وأنها تفيض ببلاغة الاعجاز الالهي حتى انها لتفجر في الحس المتلقي اشمل من معاني الحج ، وأرحب من طاقة التعبير .. وسنرى :

(الحج اشهر معلومات) : جملة تختصر حكمة التشريع في كل العبادات الاسلامية من حيث ارتباط هذه العبادات جميعها بالأطر الزمانية والمكانية ارتباطا جذريا حميما .

فالصوم له علاقة جذرية بالاطار الزماني الذي يتحدد في شهر معين من السنة ، وبالاطار المكاني الذي يتحدد في الحل وليس في السفر .

والصلاة : لها علاقة جذرية بالاطار الزماني ، فلكل فرض وقته الخاص بحيث لا نستطيع مثلا ان نصلي الصبح بعد العصر ولا العشاء قبل المغرب .. وبالاطار المكاني ، الذي هو

ـ بالدرجة الاولى ـ المساجد . ثم بأماكن تتسم بطابع الطهر والنقاء .

والزكاة : لها علاقة جذرية بالاطار الـزماني وهـو الحوْلِ او حصـاد الزرع ..

وبالاطار المكاني . وهو هنا المحل او من يمكن اخراج الزكاة له دون غيره فلا تجزىء زكاة المزكي مثلا اذا اخرجها لمن تلزمه نفقتهم .

اما الحج : فيوشك أن يكون ألصق هذه العبادات بالتحدد في إطـاريْ الزمان والمكان ، فالزمان هو أشـهر الحج . والمكان هو المشاعر المقدسة ، وهل يجزىء حج لا يلتزم التـزاما لا ينفك بهذين الاطارين ؟

ولعلنا ـ في إطار اعجاز هذا النص ـ لانخطىء الحكمة في هذا التماس مع الاطر الزمانية والمكانية في كل او معظم فرائض الاسلام لانهـا تومىء الى ادارة التنظيم وجمـاعية الحـركـة واستهـداف ربط الارض بالسمـاء واحياء مغارس الحس التاريخي ، ورفع العنت عن التاعبين ، والعطاء لوجه الاخوة الاسلامية لالوجه الاخوة النوعية .

٢

واذا كـانت كـل فـريضـة من الفرائض الاسلامية تحكم بقوانينها الخاصة ، فتبطل الصلاة ـ مثلا ـ بالكلام أو الحركة الخارجة ، ويبطل الصوم بممارسـات شهوتي البطن والفرج وتبطل الزكاة والصدقات بالمن والاذى ؛ فان الحج من خلال اعجاز السياق في هذه الآية ـ يبطل بهذه المفارقات : الرفث والفسوق والجدال اللدود : (**فمن فرض فيهن الحج فلا رفـث ولا فسـوق ولاجـدال في الحج**) .

ولعلنا ـ في ظلال هذا الفهم ـ نفضي من تأمل هذه الدوائر الثلاث الى حتمية تعانقها وافضاء بعضها الى بعض :

فالرفث ممارسة ذاتية تتم في اطار رجل واحد وامرأة واحدة ، أبقا معا عن امر الله ... والفسوق ممارسة جماعية تتم في إطار العلائق المدمرة بين الفرد والهيئة الاجتماعية التي ينتمي اليها .. والجدال ممـارسة تبريرية او تضليلية تتوفر على محاولة تفويت ما تم من رفث او فسـوق والتمهيد لمزيد من الفسوق والرفث ، ليس من خلال اي منطق عقلاني او عقيدي ، وانما من خلال (جدال) عبثي غير ملتزم يبرر الخطل ويضلل عن الجريمة ويحدث في الجماعـة الاسلامية ارتباكا سلوكيا وقيميا ليس له حدود .

ولعل مطلع الجملة القرآنية يشير اشارة حاسمة الى أن قضية التزام المحرم بأخلاق الاحرام قضية طوعية في اساسها : (**فمن فرض فيهن الحج**) اي على نفسه ، اي احرم به فصيره بهذا الفعل الطوعي فرضا حتى ولو كان نفلا ، ولكنها ـ متى تم ذلك ـ توجب على المحرم ان يلتزم التزاما صارما بأخلاقيات الاحرام : فلا رفث ولا فسوق ، ولا جدال في الحج .. كما يؤكد الاشعاع الاعجازي في هذه الكلمات .

٣

(**وما تفعلوا من خـير يعلمه الله**) : يقول العلماء : ان (من) هنا

لتنصيص العموم فكل خير وكل فضيلة وكل طاعة وكل عبادة داخلة في اطار هذا المفهوم .. واذن فالخير على ضوء هذه الوضعية اللغوية يصبح شاملا لمنادح الفعل الفاضل في كل اتجاه :

يشمل السلوك النظيف الذي يمارسه الحاج فيكون به تجسدا عمليا لقيم الاسلام وتعاليمه الفاضلة كما يكون به كذلك قدوة لجماهير الامة المسلمة مع ملاحظة ان ممارسة السلوك النظيف ربما تبدأ من منطلق تقليدي يتشبه الانسان فيه بالاخرين ولكنها تفضى الى قانون حياة وشريعة حركة يومية ودائمة على السواء .. ويشمل التضامن السخي الذي يحتضن في افيائه الاغيار ، فينشر جوا من الرخاء والنعمة في هذا المناخ الكادح بالسعي الى الله الناصب في رحلة الذهاب والاياب الى المناسك ومن المناسك جميعا ... وربما بدأ التضامن ارهاصاً هنا في رحلة الحج ولكنه لا يلبث ان يستحيل تضامنا مصيريا يرتبط بحركة الوجود المسلم في كل الآناء ..

ويشمل العلم الراشد الموجه الذي يبصر جماهير المسلمين ـ في هذا المؤتمر العالمي ـ بواقع تاريخهم المثخن وحقائق ماضيهم الاعز ، وآمال مستقبلهم الذي ينبغي ان يكون بحجم الماضي وضاءة وامتلاء ، وليس العلم المستهدف هنا مجرد الحركة التوجيهية الترشيدية فحسب ولكنه الحركة الباحثة في طاقات المادة وتفجير الذرة وامتلاك عصر الصناعات كذلك لان العلم في الاسلام هو هذا العلم الشامل الرحيب علي انه ينبغي ان نلاحظ ، ونحن نتأمل جوانب الاعجاز في اية الحج هذه ان الوان الخير هنا كلها عبادات : فالسلوك الفاضل ليس تعليما فقط ولكن كذلك عبادة .. والتضامن السخي ليس عطاء ومؤازرة فقط ولكنه كذلك عبادة .. والعلم الراشد الموجه ليس اضاءة وعملا على تحديث واقع المنظومة الاجتماعية المسلمة فقط ولكنه كذلك عبادة .. لان من مسلمات المنطق الاسلامي انه من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص ذلك من أجورهم شيئا .. وهذا هو (الخير) المقصود في سياق قوله تعالى **(وما تفعلوا من خير يعلمه الله)** .. على ان علم الله هنا يخطو بالقضية الخيرية خطوة اخرى لانه علم يحقق في الفاعل الخير معنى المراقبة ونبالة القصد فقد نفعل الخير لكي يقال : اخيار .. وقد نلتزم سلوكا نظيفا لنحصل به مكانة اجتماعية سامقة في الناس ، وقد نتضامن لنشكل من اطراف التضامن محورا من محاور القوة الذاتية ، وقد نبذل العلم لنؤكد اتجاها خاصا او لنمرر بعض التجاريب المعينة .. واذن فالخير قد يفعل ولكن من منطق اناني او من منطق عدواني مادام هذا الخير غير محروس بقيم إلهية معينة .. اما ان يكون (الخير) هنا محوطا بهذا الاطار المضيء : (يعلمه الله) فان القضية كلها تصبح ناطقة بمزيد من بركة القصد وايمانية القرار .

ولا ينبغي ان يفوتنا تأمل وضعية قرآنية معجزة في هذا المجال ، وهي ان

(الخير) في هذه الجملة القرآنية : (**وما تفعلوا من خير يعلمه الله**) محوط ليس باطار واحد ، وانما باطارين : الاطار الاول قول الله تعالى : (**وما تفعلوا**) والاطار الثاني قوله : (**يعلمه الله**) .. في الاطار الاول يتبدى الخير مفعولا وليس مجرد مقول : (**وما تفعلوا**) .. وفي الاطار الثاني يتبدى الخير مراقبا بعلم الله وليس سائبا في هوى الفعل البشري : (**يعلمه الله**) .. ومتى تم للمسلم ـ في فريضة من الفرائض ـ تحصيل خير مشروط بالفاعلية من جهة وبالمراقبة الالهية من جهة اخرى كان ذلك حصادا لموسم رائع الثمار .

٤

(**وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا ولى الالباب**) .. هنا مناط اعجاز اخر فالتقوى تنصرف الى معنى اتقاء غضب الله واجتناب المواجهة العاصية معه .. لان المواجهة تصبح معادلة مهزوزة بلا حدود اذا ارادها الانسان المتفلت على ان تكون مواجهة مع الله فالانسان المحكوم بمحدوديته المحاصر بعرضيته لا يمكن ان يشكل أية مواجهة متكافئة مع الله لانه اصغر قامة من ان يطول الافق ولأن قصاراه ان يتقي هذه المواجهة لأنه مدمر فيها بلاحدود .. فاذا جاء الخطاب من الله القوي القادر الى البشر العاجزين : (**واتقون يا أولي الألباب**) كان ذلك إيماء رائعا الى حجم الحدب الالهي ونوعية ما يشمل به الانسان من عطف كبير .

وقد تنصرف التقوى الى الاخلاص المجرد في طاعة الله وعبادته وهي هنا عمل في اتجاه احياء المناطق الايمانية والاعتقادية داخل النفس لان القلب التقي هو مناط التفتح على حقائق الاعجاز في خلق كل جامد وكل متحرك فهو يسبح الله في الزهرة الطالعة ، والسماء الدامعة ، والصخرة الصماء ، والموجة العذراء ، والوجه الجميل والإطراقة الذاكرة ، والجذع المنحني ، والبراءة الملهمة .

وفي : (**يا أولي الألباب**) دعوة الى تحريك العقل في اتجاه فهم المعادلة . معادلة الخالقية والمخلوقية ودعوة اخرى الي تحريك هذا الفهم في اتجاه التحقق الفعلي الذي ينأى بالانسان عن مصادمة الخالق لان الصدام محسوم حتى قبل ان يبدأ ولان امتلاك العقل يؤكد صيرورة العبد الى عبوديته ، وصيرورة هذه العبودية الى معبودها وبذلك تتحقق ا لتقوى ويملك العقلاء عافية البصر الرشيد في قضية الفهم عن الله .

هذه بعض جوانب الاعجاز في آية قرآنية واحدة . رسمت لوحة ناطقة لعبادة الحج بمقدماتها وشروطها وطبيعة ما ينبغي ان تكون عليه .. ثم الهمت عديدا هائلا من اسرار العبادات كلها في الاسلام .. ثم حركت النص في اتجاه الواقع المسلم فأضاء منه هذه الزوايا المتعددة ..

ومن هنا تلوح حاجتنا الى دراسة (**نصية**) لقضايا الاعجاز في القرآن الكريم ، ولا نكتفي بسرد تاريخ هذا الاعجاز وحده فان في مناجم النص القرآني آلافا من الكنوز تهيب بطاقاتنا ان تتحرك في اتجاهها بلا ملال !!

الحج

والدور الإعلامي المطلوب

محمد وذن

للاستاذ / عبدالحسيب الخناني

الحج .. مؤتمر سنوي عالمي جعله الله سبحانه وتعالى الركن الخامس من أركان الدين الحنيف ، وفرضه على القادرين من عباده المسلمين يأتون الى بيته العتيق من جميع بقاع الارض وفجاجها ليستغفروا ربهم ، ويطهروا انفسهم مما علق بها من ذنوب ويراجعوا حساباتهم ويصححوا مسيرتهم ويوثقوا علاقاتهم بربهم وببعضهم البعض ..

والحج .. من وجهة نظر إعلامية مسلمة ـ هو استجابة ورجع صدى



A l'heure de la prière, l'énorme foule des fidèles mal contenue entre les immeubles de la Ville Sainte s'immobilise. Un immense silence se fait avant l'agenouillement de tous.

للرسالة التي أمر الله سيدنا إبراهيم أن يذيعها في الناس وهي الأذان فيهم بالحج ، فقام إبراهيم الخليل بتبليغ الرسالة الاعلامية الالهية التي انطلقت من مركز الدائرة الارضية بجوار الكعبة المشرفة ، والتي تمثل ـ بتعبير الاعلام الحديث ـ المركز الرئيسي للارسال الاذاعي الذي حمل صوت ابراهيم الخليل ـ وهو وسيلته الاعلامية ـ إلى جمهور الناس .

وكان تأثير هذه الرسالة الصوتية أن لباها الناس واستجابوا للأذان إلى قيام الساعة ، وأتوا إلى بيت الله الحرام رجالا وركبانا من كل فجاج عميقة بعيدة ، ومن شتى الأرجاء ، كأنهم يعودون إلى تذكر البيت الذي هو أول بيت وضع للناس ، ولكن شغلتهم عنه زخارف الحياة الدنيا وأمتعتها مع ان الله تعالى يذكرهم به صباح مساء في كتابه المجيد حين يقول جل وعلا : (**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين**) . آل عمران / ٩٦ـ٩٧ .

الأذان بالحج عملية اتصالية متكاملة

وإذا كانت العملية الاتصالية في المفهوم الاعلامي المعاصر تتكون من عدة عناصر لاغنى عنها لأية عملية اتصالية يراد لها ان تتم بنجاح ، وهذه العناصر تشمل : المرسل وهو القائم بالاتصال ، والمستقبل وهو جمهور المتلقين والرسالة : وهي المضمون الذي يراد توصيله للناس في قالب رمزي هو لغة التفاهم بالاضافة إلى الوسيلة الاعلامية التي يستخدمها المرسل لبلوغ هدفه ، وكذلك رد الفعل أو رجع الصدى . وهو قياس لتأثير المرسل في المستقبل والاستجابة له ..

فان هذه العناصر قد تحققت من خلال سيدنا ابراهيم عليه السلام قبل ان يعرفها رجال الاعلام المعاصرون الذين بلوروا هذه العناصر ، وذلك في قول الله تعالى لنبيه ابى الانبياء عليهم جميعا الصلاة والسلام : (**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق • ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير**) الحج / ٢٧و٢٨ .

ففي الآيتين الكريمتين نعرف المرسل : العنصر الأول في العملية الاتصالية وهو سيدنا إبراهيم الذي خاطبه الله بقوله « وأذن » والمستقبل هو « الناس » والرسالة هي « الحج » وبدهى ان تكون الوسيلة التي يستخدمها هي صوته الذي سيؤذن به في الناس ، وتكون استجابة الناس لنداء ابراهيم محددة في قوله تعالى : (يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) والهدف الذي رمت إليه رسالة ابراهيم عليه السلام ، لم

يكن مقصورا على مجرد الدعوة إلى الحج فقط ولكن لارشاد الناس إلى مافي تلبية نداء ربهم من الخير العميم لهم في دينهم ودنياهم واخراهم وتوجيههم إلى الطريق المستقيم الذي يربطهم بالله .. وليس كما هو الحال في وسائل الاعلام الحديثة من غربية أو عربية تلك التي تسعى إلى ملء الفراغ الزمني ببرامج اللهو والترفيه والفن والرياضة والثقافة التي اختلط عربيها بغربيها المستورد ، وقليل من البرامج الدينية الموضوعة في قالب تقليدي جامد بهدف تنفير الناس من برامج الدين ومن ثم توجيههم إلى المنوعات الفنية والمسلسلات الدرامية .

ضرورة ترسيخ الدين والذود عن حماه

إن الهدف الاسمى الذي ينبغي أن تسعى لتحقيقه جميع وسائل الاعلام الاذاعية والمرئية والمطبوعة . لابد ان ينصب على ترسيخ الدين وغرس مقوماته في نفوس ابناء الامة العربية الاسلامية وربط حياتهم به في شتى المجالات التربوية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية قبل هذا كله بحيث يجد الفرد الذي يتعرض لمشكلة ويفكر في حل لها ان الدين يضع الحلول السليمة له قبل أن يلجأ إلى حلول غير إسلامية ،

على إعلام الدول الاسلامية أن يجعل من نفسه حصنا حصينا ضد المؤامرات الغربية التي تستهدف الغزو الفكري للديار الاسلامية ، ويذود عن حمى الاسلام كل منهج منحرف لايستقيم مع عقيدة الأمة أو يستهدف تدمير شبابها وأجيالها المقبلة .

ولن يتأتى ذلك إلا إذا كان رجال الاعلام في بلداننا في مستوى المسؤولية الاسلامية التي تمكنهم من حمل رسالة الاسلام عن رضا وقناعة .. فوسائل الاعلام هي مرآة الأمة ، وإذا كانت هذه المرآة مشوهة أو مشروخة الزجاج ، فلن ترى الأمة صورتها النقية الواضحة ، إذ كيف يتأتى أن يطلب من المجتمع أن يقوم بدوره في عملية البناء والتنمية وبذل الجهد والعرق ووسائل الاعلام تذيع الأغاني الخليعة والمسلسلات المائعة ، التي تحبب له حياة الدعة والكسل ، وتستغل الوقت لاضاعة جهد الناس في مشاهدة او استماع الحفلات الغنائية أو المباريات الرياضية .

هذا بعكس المناسبات التي تهتم بالجوانب الدينية كموسم الحج مثلا فإنها تتناول المناسبة بشيء من الاختصار ولاتستغل مثل هذا الموسم المبارك لتبين للناس فضيلة هذه العبادة ، والخير الكامن في هذا الركن المقدس من أركان الاسلام ، ولاتبين الدور المطلوب من مجتمع المسلمين إزاء معايشة أيام الحج تجاه الله وتجاه بعضهم وتجاه قضاياهم التي أنت وتكاد تحتضر في دهاليز السياسة القومية والدولية .

التماسك والترابط اهم منافع الحج

إن خليل الله إبراهيم عليه السلام

قد أدى دوره المطلوب في الدعوة إلى الحج والتمهيد للاجتماع سنويا في هذا المؤتمر الاسلامي الكبير الذي تدل جميع مؤشراته من قديم الزمان على ضرورة الاتحاد والتماسك والترابط وعبادة الله وتلك كلها منافع يشهدها حجاج البيت الحرام ..

ثم جاء خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم ليكمل الدور في إرساء القواعد الأساسية التي تقوم عليها البناء المسلم في البيت والقرية والمدينة والدولة والأمة الاسلامية جمعاء، ويوضح أساسيات التعامل بينهم من حقوق وواجبات، ولم يدع صغيرة أو كبيرة تتعلق بمسيرة الحياة الاسلامية إلا بينها وأظهرها في حجته الأخيرة المشهورة بـ « حجة الوداع » .

فلو أن إعلامنا الحديث استغل خطبته الكريمة الشهيرة في تبصير الناس بمالهم وما عليهم - وشرح هذه الخطبة حسب العناصر الواردة فيها والتي تحث جميعها على بناء الانسان المسلم والأمة الاسلامية طيلة فترة الحج - لكان لهذه الخطوة ثمار طيبة ونتائج ايجابية في تغيير الواقع الذي يعانيه المجتمع المسلم المعاصر .

ومادور إعلامنا في هذا الموسم المبارك ؟

إذن .. مادور أجهزة الاعلام في بلدان المسلمين في سبيل انجاح موسم الحج على المستوى الفردي والجماعي ؟ وكيف يؤدي رسالته في تلك الايام المباركة ؟

في تصوري للاجابة على ذلك السؤال عدة خطوات يجب ان تضطلع بها أجهزة الاعلام قبل بداية الحج كمرحلة تمهيدية تثقيفية لمن يرغبون اداء الفريضة وغيرهم أيضا وبث الوعي الديني في نفوسهم .. ولابد من التغطية الاعلامية الكافية لموسم الحج حسب الخطوات التالية :

١ - المرحلة التمهيدية : وهي مرحلة على درجة عالية من الأهمية إذا أخذنا في الاعتبار أن مجموعة الحجاج من كل بلد من البلدان الاسلامية متفاوتة في المستوى الثقافي الديني ، ومعظمهم على مستوى ثقافي متوسط من ناحية الالمام الكافي الواعي بمناسك وشعائر الحج ، ومن هنا ، يجب أن تبث الأجهزة الاعلامية برامج ارشادية لتعريف الحاج بما سيقوم به من البداية وحتى النهاية .. ومايتخلل ذلك من الادخار للفريضة من الكسب الحلال حتى يكون حجه مبرورا لامأزورا ، واستسماح الناس وانهاء مظالمهم ، والاجراءات الرسمية المتعلقة بالسفر إلى الأراضي المقدسة ثم الاحرام والتلبية وتأدية المناسك يومابيوم حتى العودة مرة أخرى إلى بلده وهو تائب من ذنوبه خارج من خطاياه كيوم ولدته امه ..

وليت اعلامنا المرئي في تلك المرحلة التمهيدية يرطب قلوب المسلمين جميعا بإذاعة فيلم تسجيلي من الأراضي المقدسة يشرح شعائر الحج ومناسكه ويقدمها خطوة خطوة ليروي قلوب المؤمنين ويقيد اغراءات الشياطين التي تتخلل الافلام الخليعة التي تبثها

معظم الاذاعات المرئية في أيام عيد الأضحى المبارك .

٢ ـ مرحلة تأدية الشعائر والمناسك ..

وهذه مرحلة يتم التركيز فيها على إعلام الأراضي المقدسة والبعثات الاعلامية المتواجدة في مكة المكرمة والممثلة للبلدان الاسلامية ، فيتم نقل الصور الحية للمناسك منذ الاحرام وتتحمل مسؤولية تعريف الحجيج بمسائل الحج حتى يكونوا على بينة من أمرهم ، من حيث الافراد بالحج أو القران أو التمتع والطواف والوقوف بعرفة والمبيت بالمزدلفة ومنى ورمي الجمرات وغيرها .. ومساندة العلماء في توجيه الحجيج وإرشادهم إلى الخطوات الصحيحة لتأدية المناسك ..

وليت الأمر يسمح بأن يكون هناك مؤتمر لمناقشة قضايا المسلمين البارزة على الساحة والبحث عن علاج لها ، وتلك منفعة من المنافع التي يجب أن يشهدها الحجيج والتي تعود بالخير على أمة الاسلام وهي من صميم قوله تعالى : (**ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات**) الحج /٢٨ .. كيف لا ، وهذه المناقشة في الحرم الآمن لقضايا الاسلام والمسلمين ـ بعيدا عن المهاترات السياسية ـ تؤدي إلى الوحدة الاسلامية وهي طريق النفع العميم لكل المسلمين لاسيما إذا عمتهم من مكة المكرمة منطلق الاسلام ومهد البعثة المحمدية التي جاءت رحمة للناس وهداية للعالمين .

٣ ـ مرحلة ختام موسم الحج ..

ويتلخص دور الاعلام فيها على طرح انجازات موسم الحج باعتبار أن هذه الانجازات هي الطريق إلى مجتمع اسلامي نقي نفسه من شوائب الماضي وادرانه ، من خلال الجموع العائدة إلى بلدانها تنشر قيم الخير والفضيلة وتتعامل مع المجتمع بأسلوب جديد نابع من عند بيت الله الحرام يعيد للمسلمين صورة الاسلام الاولى وتذكرهم بحياة السلف الصالح الذي ضحى بكل مايملك في سبيل دينه ..

ويعرض الاعلام ماتمت مناقشته من قضايا التوجه الاسلامي والحلول التي توصل اليها المجتمعون عند البيت الحرام

وقد يوجد من يقول : كيف يتأتى لنا مناقشة قضايا المسلمين وطرح مشاكلهم في موسم الحج الذي يذهب اليه المسلم لتأدية فريضة العمر ؟ وجواب قصير أرد به هذا القول بالعودة مرة اخرى الى « حجة الوداع » وخطبة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها والذي بين للناس جميعهم كل مايتعلق بحياتهم ، من الخصوصيات والعموميات ..

إن قضايا المسلمين في العصر الراهن كثيرة ومتشعبة ومتفرعة ومناقشتها في موسم الحج تعني صدق عودتنا لله سبحانه وتعالى ، واخلاص نيتنا في التمسك بكتابه الكريم وسنة نبيه العظيم .

فهل نجدد مسيرة اجهزتنا الاعلامية ونسخرها في موسم الحج تسخيرا يرضي ربنا وينفع ديننا ويصد عنا حملات الاعداء والخصوم؟ ●

الأمة الإسلامية أمام التحدي التكنولوجي

للأستاذ / محمد بن علي بن جبرة

إن بشاعة المؤامرة الاستعمارية الحديثة تعبر عن نفسها بأساليب مبتكرة ، من وقت لآخر ، وأضحت كلمة التكنولوجيا كلمة سر الخطر المعاصر ، فهي الآن عنوان التحديات الدولية الكبرى ، بحيث بات أي بلد ، وخصوصا العالم الاسلامي ، مطالبا بالدخول في التحدي المذكور والانتساب إلى عالم العلم والتكنولوجيا حماية لنفسه .

إن فجوة التخلف بيننا وبين العالم الصناعي في قضايا العلم والتكنولوجيا فجوة هائلة .. تزداد اتساعا يوما بعد يوم ... الأمر الذي بات معه بعض الناس في عالمنا الاسلامي يعتقد بأنه من المستحيل على الأمة الاسلامية اللحاق بالركب العلمي والتقني الذي وصلت إليه أوروبا واميركا واليابان ، بمعنى ان المسلمين سيبقون في هذه القضية يعيشون على العطاء الغربي .

ولاشك ان فقدان المسلمين للقوة التكنولوجية يعرضهم لأخطار النفوذ الغربي المتزايد ، ويمنح الدول الغنية أكثر من فرصة لاستبعاد النهضة الحقيقية في العالم الاسلامي .

فما هي التكنولوجيا ؟ وكيف يمكن للعالم الاسلامي ان يمتلكها بشكل حاسم وبناء ، وجبر هذه الفجوة بينه وبين العالم المصنع ؟

○ مفهوم التكنولوجيا ○

إن كلمة تكنولوجيا إغريقية الأصل، وكانت تعنى في عصور الحضارة اليونانية والرومانية القديمة كل الفنون المتعلقة بالمهارة والبراعة والحذق .

وتعرف التكنولوجيا على انها التطبيق العملي للمعرفة للوصول إلى أهداف عملية معينة ، أو لحل بعض مشاكل الانسان قصد بسط سلطته على البيئة المحيطة به ، لتطويع ما فيها من مواد وطاقة لخدمته وإشباع احتياجاته المتمثلة في الغذاء والكساء والتنقل ومجموع السبل التي توفر له حياة رغدة متحضرة آمنة . والمعرفة المراد تطبيقها يمكن ان تكون مبادىء مجردة وقوانين علمية او خبرات اكتسبت بالملاحظة والتجربة ، وتخضع للتحقيق والبرهان .

وليس من السهل الفصل والتمييز بين العلم والتكنولوجيا ، فكثير من العلوم الاساسية تؤدي الى تطبيقات عملية بغض النظر عن المقاصد الأصلية لمكتشفيها ، كما أن التطبيق نفسه قد يظهر للعيان بعض المبادىء العلمية الجديدة ، أو يقدم البرهان لبعضها الآخر . وهذا يوضح الارتباط الوثيق بين العلم والتكنولوجيا .

ويجب ألا نقصر معنى التكنولوجيا على الصناعة والوسائل الآلية ، ولا أن نعتبرها قوة غريبة خارجة عن الانسان ، فهي جزء من طبيعته يتجلى في الجانب العملي سواء أكان ذلك آلة أم منشطا فكريا يحقق هدفا علميا ، ولذلك يمكن ان يدخل تحت مظلة التكنولوجيا مثقب آلي أو عقار طبي أو أسلوب تطبيقي لمحو الأمية أو نوع جديد من المبيدات الحشرية .

وتعريف التكنولوجيا بهذا الشكل يجعل مفهومنا لها يتخطى الكثير من التعاريف السطحية لها ، وينقلها إلى أهم الوظائف التي يمكن أن تؤديها وهي التمكن من التطبيق العملي للعلوم والاختراع والابتكار والابداع .. وبالتالي فإن تاريخ نشوء الحضارات وتطورها يرتبط إلى حد بعيد بتاريخ نشوء التكنولوجيا وتطورها .

والتكنولوجيا إذا لم تفهم بهذا المعنى الحضاري الشامل فإن اكتسابها لايعني امتلاك القدرة الذاتية للعمل والاختراع ، بل ينحصر في مجرد الخبرة لإدارة وتشغيل المشاريع والمعدات التكنولوجية التي تنتجها أمم أخرى .

○ البعد الحضاري للتكنولوجيا ○

لقد أضحى جليا أن التكنولوجيا ذات أهمية حيوية في الحرب والسلم ، وأن الاعتبارات التقنية تسيطر على البناء الاقتصادي لجميع الشعوب ، وأن مدى هذه السيطرة يزداد مع كل تقدم يتم إحرازه في ميدان التكنولوجيا .

وقد شهد العالم خلال العقود القليلة المنصرمة قفزات جبارة في شتى مجالات التكنولوجيا غيرت وجه المدنية ومكنت الانسان من موارد جديدة غير موارد الارض . إن وسائل الانتاج والمنتجات ذاتها هي اليوم ابتكارات من صنع الانسان ، فنظم الاتصالات الحديثة والحاسبات الالكترونية ، والانسان الآلي ، والنقل الجوي ، والاستخبارات العلمية ... تحدث ثورات جديدة داخل البلدان كافة . ولهذه التغييرات المستحدثة تأثيرات لا تحصى على الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية لجميع الأمم ، وسوف تواجه البلدان غير المستعدة أو غير القادرة على اكتساب التكنولوجيا عواقب وخيمة تزداد حدتها يوما بعد يوم .

إن هذه القفزات العلمية والتكنولوجية غير مقطوعة عن السياق السياسي والاقتصادي لمصالح الدول الصناعية وعلاقاتها الدولية ، وهي كذلك غير معزولة عن الأشكال المتجددة للصراعات الحضارية ، وما تتطلبه من توظيفات علمية وتكنولوجية متنامية .

لقد ألحقت هذه التطورات تغييرا واضحا في واقع العيش ، وكادت تفرض على المجتمع مناهج وقيما جديدة . وتدخلت ـ هذه التطورات ـ في تحديد نوعية الصراعات السياسية والعسكرية وأدواتها ، وكذلك في إعادة النظر بالمفاهيم والأفكار الكثيرة التي هي ثمرة مراحل معينة تختلف كثيرا عن المراحل الجديدة ... أي إن التسارع في حركة العلم والتكنولوجيا يفرض إعادة نظر شاملة في الرؤيا الحضارية والتخطيط وتحديد أساليب العمل من أجل التنمية المتكاملة.

وفي صلب التحديات التكنولوجية يجب ان تتلمس البلدان الاسلامية مخرجا لها ، فهذه هي إمكانيتها الوحيدة للبقاء في الأسرة الدولية المتطورة ، فالتطور التكنولوجي يشكل تحديثا وتطويرا للتنمية ، إضافة إلى قدرته على سد بعض الثغرات الاقتصادية والتعويض عنها ، فالشعوب الاسلامية تعاني من ضعف الانتاج الزراعي نظرا لأهمية المناطق الجافة ، أما المناطق الصالحة للزراعة فإن نصفها فقط يستغل ، وتبعا لذلك يقع استيراد المواد الغذائية ، وبالتالي تبعية قرارها السياسي والثقافي وتفاقم مديونيتها ، في حين أن سبل تحقيق اكتفائها الذاتي تستدعي تنسيقا فعليا لتوظيف القدرات التكنولوجية المتاحة ... وهي سبل متوفرة في شكل كم مهمل ينتظر التشغيل ... فالبيئة الزراعية للبلدان العربية والاسلامية ليست مناسبة للتقدم التكنولوجي فقط ، بل هي تفرض بذل مجهودات مضاعفة من أجل إرساء قواعد علمية وتقنية ثابتة تفي بحاجيات الفلاحة لتلافي العجز الكمي الفادح في المواد الغذائية .

فالمشكلة في جوهرها حضارية بالدرجة الأولى ، ولهذا فإن المطلوب هو إعادة تشكيل العقل المسلم حتى يحسن فهم أسباب التخلف ويتجنب بالتالي الوقوع في الحلول الاسقاطية المنقوصة ، وسوء الظن بالامكانات الذاتية

الابداعية الكامنة في البلاد الاسلامية والمهملة .

○ بناء الانسان المسلم سبيل التقدم التكنولوجي ○

طالما أن قضية التقدم التكنولوجي قضية حضارية ، فلا ريب ان الانسان يلعب دور المحرك لعجلة التقدم الحضاري إذا كان صادقا في نظرته التغييرية رافضا للوصاية والاستعباد ، ودور المحبط لأية عملية تقدم إذا كان يعيش وفي نفسه عقدة نقص تجاه الاجنبي .

فمشكلة التقدم التكنولوجي يبدأ حلها السليم عندما تكون الخطوة الأولى هي إعادة الثقة بالنفس للانسان ، خاصة من يكون في موقع السلطة والقيادة ، فضمانة استمرار التقدم الحضاري هو الانسان بما يقدم من جهد وعمل .

إن بناء المصانع المتعددة ، واستصلاح المساحات الواسعة من الارض ، واستيراد أحدث آلات الغرب ومنتجاته ، عملية ممكنة ولا تعترضها مصاعب وعقبات إذا ما توفرت الأموال ، ولكن الأمر الأكثر صعوبة هو بناء الانسان بناء متجددا مؤسسا على قواعد التوازن الروحي والمادي والتوازن بين أداء الواجب والمطالبة بالحق ، وإعادة تشكيل عقله والربط مع ميزاته الاسلامية لايجاد نمط للنهضة أصيل ومنسجم مع الروح الذاتية لأمة المسلمين .

ويكبر دور الانسان في عملية التقدم التكنولوجي كلما ازداد التحدي وكثرت العقبات ، و « يحسن بمن يهتم بهذه القضية ان ينظر فيها النظرة الشاملة ، حتى ترتبط المشكلة الاقتصادية بجذورها الاجتماعية الثقافية البعيدة ، على الاقل في أذهان أصحاب الاختصاص ، كي تشمل نظرتهم في التصنيع ، الذي لابد منه ، فكرة واضحة عن القيم الانسانية الضرورية لنجاح المشروع . فإذا فكرنا على سبيل المثال فيما يسمى تغطية المشروع ندرك مباشرة على طريق الأرقام ان القيمة الأولى في نجاح أي مشروع اقتصادي هي الانسان . ويمكن القول بقدر ما استفدنا من تجارب العالم الثالث في العقود الأخيرة ، أن إهمال أو تجاهل قضية الانسان هي من الأمور التي أفقدت هذه التجارب الشرط الأساسي لنجاحها .. » (مالك بن نبي ـ المسلم في عالم الاقتصاد ـ ص ٥٨) .

والعالم الاسلامي يملك من الطاقات وكنوز الارض والتراث الثقافي والعلمي ، ويستمد من الايمان طاقات هائلة ، كفيلة بأن تحقق ما يشبه المعجزات في مجال التقدم التكنولوجي ، هذا إذا أحسن بشكل أساسي تشكيل ذات الانسان المسلم من جديد بتربية جديدة متجددة في الأسرة والمسجد والمدرسة والجامعة والمجتمع .

إن التخبط في التطوير التكنولوجي في العالم الاسلامي مرده إلى التخبط في العالم الداخلي للانسان الذي تحول إلى فوضى اجتماعية ، وانفصام لعرى الوحدة ، وارتجال في تحديد الخطط والأهداف والاختيارات ، وقد أثبت

التاريخ المعاصر أن بناء تكنولوجيا متطورة يجب ان يسبقه بناء انسان متطور رافض للتواكل والاستعباد ، وهذا لا يكون إلا بالتربية الفنية العلمية ذات التواصل الحضاري .

○ البحث العلمي ودوره في التقدم التكنولوجي ○

إنه من خلال الأبحاث العلمية قد تم الاستفادة من العلوم المختلفة كالرياضيات والفيزياء والكيمياء وفروعها المتعددة ، ومع التعمق في الأبحاث ازدادت امكانيات استخدام التكنولوجيا الحديثة ، فارتفع المستوى التقني للانتاج وتطورت فعاليته مع تطبيقات الأبحاث الجارية للأشكال الحديثة للتنظيم الاجتماعي ، ومع تعميق الاتجاه نحو التخصص والتكامل والتعاون بين المشروعات والمنشآت والفروع المختلفة الاقتصادية وقد دلت التجارب المتعددة للدول الصناعية على أن الابحاث العلمية ذات الطابع التطبيقي باستطاعتها تعويض التكاليف المعروفة لتحقيقها بمكاسب تبلغ اضعافا مضاعفة ، وهذا ما شجع الدول على زيادة حصة هذه الأبحاث بالنسبة للناتج القومي ، غير ان البلدان العربية والاسلامية وهي تجابه التحدي التكنولوجي المعاصر ، وقعت في أخطاء منهجية عندما فتحت مراكز البحوث والمعلومات ، وهي مجملة في صنفين :

● الأول : اعتماد شكل من النظرات الاكاديمية في البحث ، استهوى بعض شرائح المجتمع دون اللجوء إلى الحاجات الحقيقية للعملية الاجتماعية الاقتصادية الخصوصية ، أي إنه يستعير منطلقات وأدوات اكاديمية غربية فينظر الى خصوصيات العالم الاسلامي بعين غربية وبعقل متغرب .

● الثاني : ظهور ما يسمى بالبحوث التجميعية التكديسية التي تكتفي بالنقل والترتيب والتبويب والعناية بالشكل الخارجي للبحث .

فيضيع البحث بين اكاديمية مترفعة على تفاصيل واقع البلاد الاسلامية ومستلزماته الفعلية ، وبين انتقائيات تلفيقية تكديسية لا أثر فيها لايحاءات الخصوصية الاسلامية ولا للاجتهاد والابداع والومضة الايمانية دعامة المجتمع المسلم .

إن رصد ميزانيات محترمة لمراكز البحوث والمعلومات في البلدان الاسلامية الطموحة ، يجب ألا يتحول إلى أموال ضائعة وأوقات مهدورة ، في حين تشتد الحاجة للثروة والوقت لخدمة الشعوب التي تخوض صراعات حضارية يحاول العالم المصنع ان يصورها بأنها صراعات لا مخرج منها ولا أمل فيها بدون سيادته .

إن البحوث يجب ان تخضع إلى التنظير الفكري العلمي الاستدلالي الذي يجمع بين البرهان والواقعية والقيمة التطبيقية ، والذي يتحلى بامتيازات الذكاء والتفاعل مع الشعوب في واقع المسيرة التحديثية . يضاف إلى ذلك

إنجاز الحلقات المتلازمة في تطوير البيئة الثقافية الاسلامية عمليا ، وذلك بتوفير مصادر المعرفة وبخاصة الكتاب الاسلامي العلمي .

○ الاسلام في مواجهة التحدي التكنولوجي ○

لقد جرت في العالم الاسلامي محاولات استنهاض وتقدم تكنولوجي بأفكار مستوردة من الشرق والغرب ، ولكن ذلك لم يجد نفعا ، لان هذه الافكار لم تقو على شد الانسان العربي المسلم للعمل من خلالها ، لأنها لاتعبر عن تطلعاته ولا تراعي قيمه ، هذا إن لم تكن في الغالب حلا لمشكلة الغرب وليس لمشكلاته . فالحل هو من خلال الروح الاسلامية العلمية الجادة، روح تعمير الارض وخلافة الله فيها ، والعدالة بين الجميع ، وتوفير الحياة الكريمة للجميع وذلك يقتضى فتح باب الاجتهاد الفقهي والعلمي لوضع المناهج والخطوات والترتيبات المراعية للقدرات المتوفرة وللقيم الاسلامية السائدة . وإذا ما تهيأ الجو الثقافي العلمي والاجتهادي ، فسيبرز في المجتمع حشد منظم من الطاقات البشرية تدفعه الروح الايمانية فتجعل كل الأفراد في حركة مستمرة ، كل في مجاله يستنفد كل طاقته في مسيرة البناء التكنولوجي الصحيح .

إن المسلمين حينما تربوا على الاسلام أدركوا ان قضية الاهتمام بالناحية التطبيقية للعلوم ـ التكنولوجيا ـ هي قضية تعبدية بالدرجة الأولى ، وليست مجرد الحصول على شيء من القوة أو الغلبة والتسلط في هذه الدنيا... فحين يتعرف المسلم على بديع صنع الله تبارك وتعالى في هذا الكون فهو يتعرف على خالقه . وقد اشتمل القرآن الكريم على أكثر من (٧٥٠) آية تحض الانسان على النظر في الكون ، ولم يجد المسلمون في تعاليم دينهم وأصوله ما يمكن ان يقف حائلا دون نشاطهم العلمي والتقني ، بل وجدوا في القرآن الكريم وفي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يدفعهم إلى ذلك دفعا ، وما أروع حديثه صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العالم رضا بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الانبياء ، إن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » (رواه ابو داود والترمذي) .

« لم ينبه الاسلام عقول المسلمين وقلوبهم الى شيء بعد التوحيد مثلما نبههم إلى سنة التطور ، ولعل الدرس العظيم الذي ينبغي أن نتدبره في هذا المجال ، هو أن المسلمين الأوائل وهم رجال بادية لا يعرفون من فنون الحرب إلا الحرب البرية ، اقتحموا مجال الحرب البحرية وهو مجال جديد عليهم تماما ، وأدخلوا السلاح البحري في استراتيجيتهم العسكرية لأول مرة ، ثم خاضوا ـ بعد وقت قصير جدا ـ المعركة البحرية في مواجهة أقوى أساطيل زمانهم .. فهزموه !! »

لواء أ . ح : محمد
جمال الدين محفوظ

أول أسطول بحري في تاريخ المسلمين

● لم يكن العرب قبل الاسلام يعرفون ركوب البحر إلا ما كان من سفائن ممالك حمير وسبأ في أيام التبابعة لأنهم كانوا أهل تجارة في البر والبحر، أما عرب الحجاز فكانوا يخافون ركوب البحر ، وليس ذلك بمستغرب من قوم قضوا حياتهم في صحراء قفراء ، لا سبيل لها إلى البحر ، ولا مصلحة لهم عنده ، اذ كانوا يستغنون عن البحر بطريق البر في التجارة والانتقال بين شبه الجزيرة والشام ومصر ، يقول ابن خلدون : « والسبب في ذلك أن العرب لبداوتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وركوبه (يعني البحر) والروم والافرنجة لممارستهم أحواله ، ومرباهم في التقلب على أعواده ، مرنوا عليه وأحكموا الدراية بثقافته » .

● وقد كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه متخوفا من البحر ، وكان يحرص على ألا يفصل بينه وبين المسلمين ماء ، وهذه الرهبة من البحر هى التي جعلت الفتوحات الاسلامية خلال السنوات العشرين الأولى في العراق والشام ومصر تنحصر في ميادين البـــر دون البحر .

بناء الأسطول ضرورة أستراتيجية

● لكن المسلمين سرعان ما أدركوا من تطور أحداث الفتح والدروس المستفادة منها أن بناء أسطول اسلامي ضرورة استراتيجية حيوية لأمن المسلمين :

(١) فخلال سنوات الفتح بين عامي ١٣ الى ٣٠ من الهجرة (٦٣٤ ـ ٦٥٠ م) لم يجد المسلمون عدوا لهم في معاركهم أقسى من البحر وما يأتي منه من أخطار ، فبينما كانت مدن الشام الداخلية تتساقط دون عناء كبير ، كانت موانىء الساحل تصمد طويلا وتتحمل الحصار بسبب إمدادها المستمر عن طريق البحر ، ومن ذلك على سبيل المثال أن قيسارية لم تسقط الابعد حصار سبع سنوات من جمادي الأولي سنة ١٣ الى شوال سنة ١٩ من الهجرة .

(٢) وبينما كانت مدن الداخل تخضع للمسلمين بعد فتحها وتسلم اليهم مقاليد ولائها ، كانت مدن الساحل دائمة الفتن والثورات والاضطرابات بسبب تحريض الروم (بيزنطـة) ووجود اتصال بحري بينها وبين تلك المدن ، حتى تمكنت مدن كثيرة منها أن تنشق بمعونة الأسطول البيزنطي عن الحكم الاسلامي .

(٣) وكان الأسطول البيزنطي ـ عندما يدرك استحالة المقاومة والصمود أمام الحصار الاسلامي على الموانى في الشام ومصر ـ يتولى إجلاء الجنود والمدنيين منها لحمايتهم من ملاحقة المسلمين ، فكان المسلمون حين يدخلونها يجدونها خالية تماما من السكان .

(٤) ثم إن شواطىء الدولة الاسلامية امتدت من طرسوس شمالا إلى برقة جنوبا (أكثر من ١٥٠٠ ميل) وهذه الشواطىء الطويلة تواجه تهديدا خطيرا من البيزنطيين وأساطيلهم ، فكان لابد من حمايتها والدفاع عنها ضد الغزو البحري ...

من أجل هذه الأسباب كان انشاء الأسطول البحري الاسلامي « ضرورة استراتيجية » .

كيف أنشيء الأسطول الاسلامي ؟

● لقد تمكن المسلمون في البداية من إنشاء « نواة » للأسطول مما غنموه من السفن البيزنطية خلال فتوح الشام ومصر ، يقول ارشيبالد لويس : « كما أن العرب بفضل استيلائهم على دور الصناعة البيزنطية في الأسكندرية وسوريه سليمة ، استطاعوا أن يكونوا لديهم سفنا حربية إما جاهزة أو من السهل بناؤها ، وكانت تحت أيديهم ـ فضلا عن ذلك ـ السفن التجارية التي يملكها السوريون والمصريون وهى مما يمكن استخدامه في أغراض الحرب مع ما يكفيها من ملاحي تلك الثغور الخبيرين بشئون الملاحة » .

● وبدأ المسلمون في صناعة السفن في دور الصناعة في الشام ومصر ، يقول فيليب حتى : « وكان (يقصد معاوية بن أبي سفيان) قد ظفر في عكا بأحواض بيزنطية لبناء السفن وافية التجهيز ، فعمد الى تشغيلها بحيث غدت الأولى من نوعها بعد دار الصناعة في الأسكندرية ، وكانت أحراج لبنان آنئذ غضة ، فكانت تمد هذه الصناعة بالخشب اللازم ، وقد نقل الأمويون هذه الأحواض الى مدينة صور » .

● ولما كان للشام ومصر تاريخ عريق في ميدان البحر سواء في التجارة أو الحرب ، فقد كان طبيعيا أن يفيد المسلمون من الخبرات البحرية في هذه البلاد ، وكان ذلك من أكبر العوامل التي ساعدت على بناء الأسطول الاسلامي ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « فلما استقر الملك للعرب ، وشمخ سلطانهم ، وصارت أمم البحر خولا لهم (أي تابعين لهم) وتحت أيديهم ، وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته ، واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمما ، وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته ، استحدثوا بصراء بها (أي خبراء) فشرهوا الى الجهاد فيه (اي البحر) وأنشأوا السفن فيه والشواني (السفن الحربية الكبيرة) وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها (أي وأركبوا فيها) العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر ، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقية والمغرب والأندلس » .

غرس « الوعي البحري » في نفوس المسلمين

● وخلال خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ معاوية بن أبي سفيان والي الشام في تقوية حصون الساحل الشامي ومدنه ، وإنشاء الرباطات البحرية فيها وتدعيمها ، ثم جعلها قواعد هجوم وإغارة ، بعد أن كانت أماكن حصينة للدفاع والاحتماء . فلما تولى عثمان بن عفان رضي الله عنه الخلافة ، بدأ معاوية في سياسته البحرية في البحر المتوسط ، فشجع الناس

على سكنى السواحل لتنمية ملكة حب البحر وركوبه لديهم ، ومما ساعده على ذلك أن الخليفة وافق على منح كل من يقيم في السواحل قطعة أرض ليستغلها ويظفر بخيرها ، فعمرت السواحل بذلك ، ولم يعد المسلمون يخشون خطر البيزنطيين أو عدوانهم وهذا بفضل وجود الجيوش والحاميات بصفة دائمة في هذه المدن أو الموانىء الساحلية للدفاع عنها إلى جانب قوات الهجوم والاغارة ، وكان كل من يتخلف عن غزو العدو تؤخذ منه أرضه وتعطى لغيره ممن يقيم في السواحل .

أعمال الأسطول الاسلامي الناشىء

● وقد بدأ الأسطول الاسلامي في سرعة مذهلة ممارسة العمليات البحرية التي اتخذت صورتين :
الأولى : عمليات الأغارة البحرية وغزو الجزر التابعة للبيزنطيين والتي تشكل تهديدا مباشرا للشام ومصر مثل قبرص وكريت وصقلية ومالطة وسردينيا وأرواد وقد بدأت هذه العمليات في عام ٢٨ للهجرة بغزو قبرص .
والثانية : خوض المعركة الحربية في البحر ضد الأسطول البيزنطي مثل معركة ذات الصواري عام ٣٤ للهجرة والتي سنتناولها بايجاز نظرا لما كان لها من آثار استراتيجية على توازن القوى البحرية في البحر الأبيض المتوسط .

ذات الصواري

● لقد كان من الطبيعي ألا تقف بيزنطة مكتوفة الأيدي أمام القوة البحرية الاسلامية التي قامت في البحر الأبيض المتوسط ، وأصبح تحت يدها أغلى ما كانت تملك من دور للصناعة وقواعد بحرية في عكا والاسكندرية ، مما يشكل تهديدا خطيرا لسيادتها البحرية التي امتدت زمنا بلا منافس .

● من أجل ذلك نجد من بين الأسباب التي ذكرها المؤرخون لتلك المعركة ، إجهاض قوة البحرية الاسلامية النامية ، وحرمان المسلمين من الحصول على الأخشاب اللازمة لصناعة السفن والتي تتوفر في ساحل الأناضول ، ويؤيد ذلك أن المعركة دارت قريبا من هذا الساحل :

(١) يقول أرشبالد لويس بعد ان تحدث عن غزو الأسطول الاسلامي لقبرص الذى بدأ عام ٢٨ هـ : « ويظهر أن الغارات التى انتهت باحتلال الجزيرة أثارت حماس الدولة البيزنطية نحو البحر ، ودفعتها للقيام بعمليات

بحرية جديدة ، وكانت هذه العمليات قد توقفت منذ فشلها فى معركة الاسكندرية عام ٦٤٥ م (٢٥ هـ) وفى عام ٦٥٥ أعد قنسطانز الثاني خليفة هرقل اسطولا كبيرا تراوح عدده من ٧٠٠ الى ١٠٠٠ سفينة شراعية ، والتقى هذا الاسطول في السنة ذاتها بأسطول صغير مشترك بين العرب والمصريين مكون من ٢٠٠ سفينة أقلعت من شواطىء سوريا قرب موضع يقال له فونيكس Phoenicus بآسيا الصغرى وتعرف هذه الواقعة بواقعة ذات الصواري .

(٢) كما يقول أيضا : « ومما يلفت النظر أن المكان الذى دارت فيه المعركة وهو ساحل الأناضول يزدحم بغابات السرو الكثيفة وهو الشجر المستخدم فى صواري السفن ، ولعل البيزنطيين قرروا القيام بتلك المعركة ليحولوا بين الخشب اللازم لصناعة السفن هناك وبين وقوعه فى قبضة العرب ، واذا صح هذا الزعم فإنه يقوم دليلا على أهمية الخشب فى الصراع البحرى بين العرب وبيزنطة » .

ولعل ذلك هو السبب في اطلاق اسم ذات الصواري على تلك الموقعة نسبة الى المنطقة التى دارت قريبا منها والتي يتوفر فيها الشجر المستخدم فى صواري السفن وهذا ما نميل اليه ، كما انه مما يدل على أن ذات الصواري اسم للمكان قول الطبري في وصفه للمعركة : « فركب (يقصد قائد الأسطول عبدالله بن سعد بن أبى سرح) فى مركب وحده ما معه إلا القبط حتى بلغوا ذات الصواري فلقوا جموع الروم فى خمسمائة مركب أو ستمائة » وقوله أيضا : « وأقام عبدالله بذات الصواري أياما بعد هزيمة القوم (يقصد البيزنطيين) » .

ملخص أحداث المعركة :

● التقى الأسطول الاسلامى بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي سرح والي مصر وكان يتألف من ٢٠٠ سفينة بالأسطول البيزنطي بقيادة الامبراطور قسطنطين الثانى خارج ساحل ايكيا (أوليسيا) فى آسيا الصغرى .

● بدأ القتال بالتراشق بالسهام عندما أصبحت المسافة بين الأسطولين تسمح بذلك .

● وبعد أن نفدت السهام جرى التراشق بالحجارة بعد أن أصبحت المسافة بينهما قصيرة ، ومن أجل ذلك كانوا « يجعلون في اعلى الصواري صناديق مفتوحة من أعلاها يسمونها التوابيت يصعد إليها الرجال قبل استقبال العدو فيقيمون فيها للكشف ومعهم حجارة صغيرة فى مخلاة معلقة بجانب الصندوق يرمون العدو بالأحجار وهم مستورون بالصناديق » .

● وبعد أن نفدت الحجارة ربط المسلمون سفنهم بسفن البيزنطيين وبدأ القتال المتلاحم بالسيوف والخناجر فوق سفن الطرفين .

● انتهت المعركة بعد قتال شديد بانتصار المسلمين باذن الله .

● وقد روى المؤرخ البيزنطى تيوفانس كيف كانت هزيمة الأسطول البيزنطي وفداحة خسائره وكيف فر الامبراطور ناجيا بنفسه فقال : « ضم صفوف الروم (أى قسطنطين) الى المعركة وأخذ يتحرش بالعدو فنشبت المعركة بين الطرفين وهزم الروم واصطبغ البحر بدمائهم فغير الامبراطور ملابسه مع أحد الجنود وقفز أحد الجنود على مركبه واختطفه وذهب به هنا وهناك ونجا بمعجزة » .

الدرس العظيم :

● ولابد أن نستخلص من هذه الحقائق التاريخية ما ينبغي أن يتدبره المسلمون من درس وعبرة ، ويسترشدوا به فى سعيهم نحو النهضة الحضارية المنشودة ، فلقد أدرك المسلمون بعد عصر النبوة أن افتقارهم الى القوة البحرية يضعف سلطانهم على السواحل الاسلامية أمام قوة بيزنطة البحرية ، ويعيق حركتهم لنشر الدعوة ، لكنه كانت أمامهم لتصحيح هذا الوضع تحديات جسام :ـ

(١) فهم رجال بادية لا يعرفون ركوب البحر فضلا عن القتال فيه .

(٢) وعدوهم الرئيسى « قوة عالمية كبرى » لديها قوة بحرية مهيبة مكنتها من السيادة فى البحر الأبيض المتوسط الذى كان يسمى « بالبحيرة الرومانية » أو « البحر الرومي » كما يقول ابن خلدون .

(٣) وعنصر الزمن « ليس فى صالحهم » ، فهم « في حالة حرب » مع هذا العدو ، يفتحون من الأراضي التي تحت يده أغلاها وأغناها ، فهو لابد وأن يسعى بكل ما أوتى من قوة نحو استرداد تلك الأراضي من ناحية ، ومنعهم من بناء قوتهم البحرية من ناحية اخرى .

● فالأمر الذي يستحق التأمل هنا هو أن المسلمين لم يقفوا أمام هذه التحديات مكتوفي الأيدى ، بل « اقتحموا بكل شجاعة » مجال الحرب البحرية وبناء الأساطيل مدفوعين بأقوى الدوافع النفسية والمعنوية ، فلقد رأوا ـ دون انتظار لنص موجه ـ أن كتابهم لا يعلو في عالم يجهلون فيه شئونه البحرية ، فعبدوا الله بالسيطرة على الأمواج ، وقد أدركوا بكل الوعي والفهم مغزى الأمر بإعداد القوة والمرابطة **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)** الأنفال/ ٦٠ . وعملوا بمقتضاه ، وهو ألا يدع المسلمون الفرصة لعدوهم لكي يتفوق عليهم في القوة ، وإلا أصبحت قوتهم « مفرغة من قوة الردع » التي توقع الرهبة في قلوب أعدائهم ، فيتعرضون للهلاك .

كما أدركوا أيضا أن مقتضى هذا الأمر أن يتطوروا في بناء قوتهم وفي تركيبها وأساليب استخدامها وفي أسلحتها لكي تناسب روح العصر الذي تعيش فيه ، والظروف والأحوال الاستراتيجية التي تحيط بها .

● ولم يجد المسلمون حرجا في أن يستعينوا بغيرهم في حاجاتهم البحرية ، لكنهم لم يقفوا عند حدود « النقل » ، بل تجاوزوها حتى كانت لهم بعد فترة قصيرة من الزمن ، خبراتهم الخاصة في كل مجالات الحرب البحرية ، وذلك مطلب حيوي لكل أمة تقتضي ظروفها الاستراتيجية أن تأخذ عن غيرها من الأمم شيئا من المعارف والخبرات التي تنقصها بشرط ألا يكون ثمن ذلك هو « التبعية » لهذا الغير ، تلك التبعية التي تحرمها من بناء قوتها الذاتية بأسرارها الخاصة التي ترهب الأعداء .

وقد سجل التاريخ للمسلمين أنهم توسعوا في بناء الأساطيل الاسلامية حتى صار لهم ثلاثة أساطيل ، أحدها في مصر والثاني في سورية والثالث في شمال أفريقية بالاضافة إلى قوة بحرية محدودة تعمل في البحر الاحمر لحراسته .

● ولقد سجل التاريخ للأسطول الاسلامي انجازات رائعة تستحق الذكر والفخر وكانت « باكورة » هذه الانجازات-وهي معركة ذات الصواري-ذات نتائج استراتيجية بعيدة المدى فقد غيرت مجرى تاريخ البحر الأبيض المتوسط ، فاذا كانت موقعة « اكتيوم » سنة ٣١ قبل الميلاد جعلت من البحر المتوسط « بحيرة رومانية » فإن ذات الصوارى أنهت عصر السيادة البيزنطية فيه ، وبرز المسلمون قوة مؤثرة ذات ثقل عسكري وسياسي واقتصادي في عالم هذا البحر .

● ويصور ابن خلدون كيف سيطر المسلمون على البحر المتوسط فيقول بعد أن تحدث عن بناء دور الصناعة لصناعة السفن والتوسع في تشكيل الأساطيل الاسلامية في افريقية والأندلس وعن نشاط البحرية الاسلامية في غزو جزر هذا البحر : « والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر وسارت أساطيلهم فيه جائية وذاهبة والعساكر الاسلامية تجيز البحر (اى تسير فيه وتقطعه) في الأساطيل من صقلية إلى البر الكبير المقابل لها من العُدْوة الشمالية فتوقع بملوك الافرنج وتثخن في ممالكهم كما وقع في أيام بني الحسين ملوك صقلية القايمين فيها بدعوة العبيديين ، وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية لا يعدونها (أى لا يتجاوزونها) وأساطيل المسلمين قد ضريت عليهم ضراء الأسد على فريسته وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا واختلفت في طرقه سلما وحربا ، فلم تظهر للنصرانية فيه ألواح (أى سفن) » .

اليهود وطبيعتهم العدوانية

للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

كان الاسرائيليون ـ او اليهود كما غلب على تسميتهم صدر تاريخهم ـ الشعب الذي اختاره الله لهداية الخلائق وظلت رسالات الوحى الأعلى حكرا في جنسهم دهرا طويلا الا أن هذا الشعب مل تكاليف الايمان واستثقل التزامات الصلاح والعدالة بل بلغ الفجور به مبلغ التعدى على رسل الله واستباحة دمائهم وامتدت يده الأثيمة الى التوراة كتابهم المقدس فحرفها ووضح من إصراره على عوجه واستغراق الفساد لجمهرته انه ليس بأهل لتلقى رسالات السماء وإبلاغها للناس فغضب الله عليه وصرف الوحى عنه واصطفى العرب ليقودوا الانسانية جمعاء بكلمات الوحي .

ومع ذلك فمازال اليهود مصرين على دعواهم بأنهم الأمة التي يجب أن تقود العالم وتسود الأرض،وقد استبدت هذه الدعوى بنفر منهم واختلطت بمشاعر مضطرمة من التعصب والحقد ومن ثم تألفت الحركة الصهيونية العالمية مستهدفة اغتصاب الأرض المقدسة في فلسطين ليتمكن الصهاينة من داخلها ان يفرضوا انفسهم على العالم وهذا ما حدث فعلا في بداية هذا القرن الميلادى فإبان ضعف الامة العربية وبالمكر والخديعة من جانب حكومات الغرب الصليبية أعانوا اليهود على أن يقيموا لهم دولة عنصرية عدوانية داخل الوطن العربي على ارض فلسطين دأبت على التعدى على ما جاورها من الدول العربية ذلك أنهم يبغضون العرب أشد البغض ويجحدون رسالة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم أشد الجحد فضلا عن انهم ناشرو الفتن والقلاقل والحروب والدسائس في ربوع هذا العالم .

مأساة الفلسطينيين في أراضيهم المحتلة من قبل الاسرائيليين في زماننا المعاصر :

نشرت صحيفة ذي إند بندت البريطانية صورا من المأساة التي يعيشها الفلسطينيون تحت الاحتلال الاسرائيلي مما أدى الى انتفاضتهم الأخيرة ضد الحكم الاسرائيلي فتقول :

إن قطاع غزة الذى لا يتجاوز ٢٨ ميلا في الطول وخمسة أميال في العرض يعيش فيه (٦٤٥) ألف فلسطيني بينهم (٤٤٦) الف لاجىء يعيشون في ثمانية معسكرات للاجئين هى التي وصف أحدها ديفيد ميللور وزير الدولة للشؤون الخارجية البريطانية بقوله (إن الحياة فيه وصمة في حق جميع القيم الانسانية) وقد صادرت حكومة اسرائيل ثلث مساحة القطاع وأقامت فيه ١٨ مستوطنة يسكنها (٢٥٠٠) اسرائيلي يحصلون وحدهم على ثلث موارد المياه في القطاع تاركين الثلثين للفلسطينيين الذين يبلغ عددهم عشرات اضعاف عدد المستوطنين اليهود وبالاضافة الى ذلك لا تسمح سلطات الاحتلال للسكان الفلسطينيين بحفر آبار جديدة لمياه الرى في الوقت الذي سيصل عددهم في نهاية القرن الميلادى الحالي الى (مليون) شخص لا يعرف احدمن أين سيأكلون وكيف سيعيشون في ظل هذه الظروف القاسية .

وعن الوضع في الضفة الغربية الفلسطينية وغزة تقول تلك الصحيفة البريطانية إن اسرائيل ضمت اليها رسميا المدن الثلاث الكبرى وهى القدس ونابلس والخليل وصادرت لأغراض الاستيطان اليهودى حوالى ٥٢٪ من اراضي الضفة الغربية لحساب الاسرائيليين ويبلغ عدد سكان الضفة مليون شخص يعيش بينهم (٧٠) الف مستوطن يهودي في (١١٨) مستوطنة وهى المتمتعة بمعظم موارد مياه الرى وسائر التسهيلات ، كما أن الجيش الاسرائيلي أقام ١١ قاعدة عسكرية قام منها الجنود الاسرائيليون باقتحام منازل الفلسطينيين في الليل ، واعتدوا بالضرب المبرح على الصبية ، وعلى اي شخص يقف في سبيلهم ، حتى ولو كان امراة أو شيخا مسنا ، ثم يتبعون ذلك العدوان بتدمير أثاث المنازل وتحطيم نوافذها واطلاق النار على خزانات المياه لتفريغها بهدف إماتة السكان عطشا .

وفي يوم ذكرى الشهداء الموافق ١٥ يناير الماضي اقتحمت قوات الاحتلال الاسرائيلي المسجد الاقصى وأطلقت على المصلين قنابل الغاز المسيل للدموع واشتبكت مع المصلين في معارك دامية لدى خروجهم من المسجد المذكور وغيره من مساجد القدس قتلت فيها واصابت برصاصها واسلحتها الكثيرين من المسلمين فضلا عن اعتقالها للمئات منهم وضربهم بالهراوات الكهربائية حتى فقدان الوعي فتحطمت عظام بعضهم وحدثت كسور في ايدي وأرجل البعض الآخر ، ولم يكتفوا بذلك بل بقسوة شديدة قاموا

بضرب الحوامل من النساء على بطونهن مما أدى الى اسقاط ما فيها من حمل . وبدلا من أن تنظر الحكومة الاسرائيلية بعين العقل فتترك الاراضي في الضفة الغربية وقطاع غزة لسكانها العرب تقوم بالمزيد من اعمال القمع مما أدى الى توالى المصادمات الدامية بين القوات الاسرائيلية والمواطنين العرب وسقوط المزيد من القتلى منهم وتشريد الكثيرين بسبب نسف منازلهم وهدم دورهم،ووصلت القسوة باليهود المعتدين الى ان قاموا بدفن عدد من شباب الفلسطينيين وهم أحياء بالاضافة الى المذابح الجماعية التي يرتكبونها قبل الفلسطينيين العزل من السلاح .

تفسير روح العدوان في النفسية اليهودية :

يرد بعض الباحثين تسلط روح العدوان عند اليهود الى خلودها في التكوين السيكولوجي التاريخي والعقائدي للشخصية اليهودية تجاه العرب عامة والفلسطينيين بصفة خاصة فهي خاصية سلوكية تعبر عن سمة من سمات الطابع القومي عند اليهود يغذيها التراث الديني .

١ ـ فنصوص كتابهم المقدس تطبع العقيدة اليهودية برباط وثيق بين (حرب اسرائيل) و (رب اسرائيل) حتى لتصف هذا الرب بالقسوة والتوحش الذي لا يعرف الرحمة بالانسان او الحيوان،حيث يصبح هذا الرب (رب الجنود) الذي يمهد لبنى اسرائيل السبيل لتحقيق مآربهم في العدوان والاحتلال وطرد الشعوب من أوطانها كما في العهد القديم من الكتاب المقدس عندهم (الرب يطرد من أمامك شعوبا أكبر وأعظم منك) . و (الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك ويدفع ملوكهم الى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء) . و (الرب إلهك هو العابر امامك نارا آكلة هو يبيدهم ويذلهم أمامك فتطردهم وتهلكهم سريعا كما كلمك الرب) .

٢ ـ وثمت صورة اخرى لأخلاقيات اليهود اشد قسوة من سابقتها هي تلك الوصية التي تقول (وحين تقرب مدينة لكى تحاربها استدعها للصلح فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها للتسخير ويستعبد لك وان لم تسالمك وعملت معك حربا فحاصرها واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاها الرب إلهك هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هذه الأمم هنا ، وأما مدن هذه الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما) .

٣ ـ ويزعمون أن الرب أوصى موسى قائلا (فتطردون كل سكان الارض من اماكن وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كل اصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم) .

كتاب التلمود ووصاياه في العدوان أيضا :

كتابهم المقدس الثاني المسمى بالتلمود يطفح بوصاياه اليهم في العدوان على أنفس البشر عموما مثل قوله (اقتل الصالح من غير اليهود ومحرم على اليهودي ان ينجى احدا من باقي الامم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها) ومثل قوله (قتل غير اليهودى من الافعال التي يكافىء عليها الله). واذا لم يتمكن اليهودي من قتلهم فواجب عليه ان يتسبب في هلاكهم في اي وقت وبأية طريقة ممكنة وتطبيقا لهذه الوصية :

١ ـ إنه في سنة ٢١٤ بعد المسيح قتل اليهود مائتي الف مسيحي في روما وكل نصارى جزيرة قبرص .

٢ ـ إنه في زمن البابا (كليمان) قتل اليهود في روما وخارجها جملة من النصارى كرمال البحر .

٣ ـ وبناء على رغبة اليهود قتل الامبراطور (ديوكابيين) جملة من المسيحيين ومن ضمنهم عدد من الباباوات وقبل ذلك قام الامبراطور (مارك اوريل) بقتل جميع النصارى بناء على ايعاز من اليهود .

٤ ـ وفي سنة (٧٠)م ، ثار اليهود على النصارى في فلسطين فذبحوا منهم خلقا كثيرا وفي سنة ١٣٤ م ذبحوا وشنقوا عشرات الآلاف وكذا في سنة ١٣٥ م قتل اليهود بقيادة (باركوخيا) عشرات الآلاف من النصارى .

٥ ـ وفي عهد الحاخام (أكيبا) سنة ١١٥م ذبحوا في ليبيا من النصارى ٢٠٠ ألف نسمة .

٦ ـ وفي سنة ١٥٥م قتل الامبراطور الرومانى جميع النصارى في روما بناء على دسائس الحاخام يهوذا .

٧ ـ ان الحروب الدينية الطاحنة التي دارت بين الكاثوليك والبروتستانت في أوروبا وراح ضحيتها مئات الملايين من البشر كان من ورائها اليهود الذين اندسوا بين الفريقين يحرضون كلا منهما على الآخر .

عدوان اليهود على الأديان وطهارة النفوس والتخريب لأي مكان عدا ما يتعلق بهم :

جاء في الوصية الجامعة كما وردت في كتبهم الدينية :

١ ـ اهدم كل قائم ، لوث كل طاهر ، احرق كل اخضر كي تنفع يهوديا بفلس .

٢ ـ اقتلوا جميع من في المدن من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف .

٣ ـ اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود .

٤ ـ العن رؤساء الأديان سوى اليهود (ثلاث مرات في كل يوم) .

عدوان اليهود على أموال الناس :

ومن الوصايا المقدسة عند اليهود في كتاب التلمود المذكور :
١ ـ (مسموح غش الأممي وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش) وقد نعى ذلك عليهم القرآن الكريم في قول الله تعالى:(**ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون**) آل عمران/ ٧٥ .
وكلمة أممي تعني عند الاسرائيليين غير اليهودي .

٢ ـ إن الرابي صموئيل أحد حاخاماتهم المهمين كان رأيه ان سرقة غير اليهودي مباحة وقد اشترى هو نفسه من أجنبي آنية من الذهب كان يظنها الأجنبي نحاسا ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط وهو ثمن بخس وسرق درهما ايضا من البائع .
٣ ـ ومن الوصايا أيضا قولهم (لا يجوز ليهودي أن يرد المال لصاحبه) اذ جاء في التلمود على زعمهم قوله « إن الله لا يغفر ذنبا ليهودي يرد للأممي ماله المفقود) .

هل هذه الوصايا في العدوان حقيقة وحي من الله تعالى ؟ :

ان الوصايا اليهودية السابقة بعيدة كل البعد ان تكون وحيا من الله الى موسى عليه السلام أو الى أحد من الأنبياء بعده فهي في شكلها العام لا تتلاءم مع سمو الوحي كما لا يليق أن تنسب الى الذات الالهية المقدسة ما ينعتون له من صفات يفترونها على الله في نصوصهم كقولهم (شديد القسوة ، مولع بالتدمير كلف بالتخريب ، متعطش للدماء إذ يأمرهم بقتل غير اليهود وتقديمهم قرابين له) ولم تقتصر هذه القسوة على الانسان والحيوان بل تجاوزتهما الى النبات والجماد فهم يزعمون أن الله أوصاهم بقطع الأشجار المثمرة وتخريب المزارع والحدائق وطمس الآبار . وقد كشف القرآن الكريم أمر هذه المفتريات وفضح أساليبهم في تحريفهم لأوامر الله لهم في التوراة .

كيف يتحدث القرآن الكريم عن اليهود في آياته :

من العجيب بل من الملفت للنظر ان القرآن الكريم في حديثه عن اليهود يربط ربطا محكما بين طباع واخلاق المعاصرين منهم للنبي محمد صلىٰ الله عليه وسلم وطباع واخلاق آبائهم الأولين الذين عاصروا موسى والمسيح عيسى ابن مريم وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام وذلك ليبين ان ما عليه الأبناء من فسوق وعصيان ونقض لمواثيق الايمان ومحاربة لدعوة الحق والاسلام وتحريف للكتاب انما هو ميراث من الخلق السيء توارثه الخلف عن السلف

وقد تسلسل في ذراريهم حتى يومنا هذا قال الله تعالى : **(وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون)** البقرة/ ٨٣ وقال جل وعلا: **(يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون)** البقرة ٤٠ ـ ٤١ .

وعن تحريفهم لنصوص التوراة قال الله تعالى : **(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون)** البقرة/ ٧٩ .

وقد نعى عليهم القرآن جرائمهم في القتل والتخريب والتدمير والافساد في الأرض وذلك في قوله جل وعلا **(من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا)** المائدة/ ٣٢ .

وبعد :

فإن تاريخ اليهود على مر الزمان غاص بوحشيتهم في القتل والعدوان وسفك دماء البشر وقد نال الكثير من ذلك أنبياؤهم .

١ ـ فقد قتلوا النبي (أشعيا بن آموص) الذي عاش في منتصف القرن الثامن قبل المسيح ـ

٢ ـ وقتلوا النبي (أرميا) رميا بالحجارة لأنه أكثر من توبيخهم على منكرات اعمالهم وكان ذلك في أواسط القرن السابع قبل الميلاد .

٣ ـ وقتلوا النبي زكريا لأنه حاول الدفاع عن ولده النبي يحيى والذي لم ينج هو الآخر من عدوانهم .

٤ ـ وتواطأوا على قتل المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام لكن الله تعالى نجاه منهم .

٥ ـ وحاولوا قتل النبي محمد صلى الله عليه وسلم فعصمه الله منهم وحفظه من شرورهم .

٦ ـ ولم يقفوا عند هذا الحد بل تمادوا في غيهم حتى قتلوا المصلحين من الناس وان لم يكونوا من الأنبياء فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا أو من أمر بالمعروف ونهي عن

المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم**) آل عمران/٢١ ثم قال قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلا فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار من ذلك اليوم) رواه ابن أبي حاتم ـ نقلا من تفسير ابن كثير ج ١ .

٧ ـ حتى المبعوث الدولي الذي أوفده السكرتير العام للأمم المتحدة في الفترة الأخيرة لتقصي الأوضاع والحقائق في الأراضي المحتلة بأرض فلسطين لم ينج من رصاص اليهود الا بمعجزة فقد كان الرجل يتحرى الموقف في مخيم من مخيمات الفلسطينيين واذا بالقوات اليهودية لا تعبأ بتجمعهم وشرعت تطلق النار عليه ولو لم يبادر المبعوث الدولي بالجري تفاديا للرصاص لربما لقي مصرعه دون أن تشفع له حصانته الدولية أو مهمته السلمية وهذا يعيد الى الأذهان قصة مصرع الكونت برنادوت على يد عصابة شتيرن الارهابية الصهيونية سنة ١٩٤٨م فقد كان الرجل وسيطا للأمم المتحدة في النزاع العربي الاسرائيلي ووضع تقريرا يحد من مساحة اسرائيل المقترحة بعض الشيء خارج اطار مساحتها التي كانت مقدرة فلقي حتفه بفعل العصابات اليهودية المتعصبة .

وقتلهم للأنبياء بغير حق وقتلهم المصلحين من الناس أو تآمرهم على قتلهم يشير الى انطماس بصيرتهم وعتوهم في الشر فصاروا أعداء للحق لا يألفونه ولا يرتاحون اليه في أي زمان ومكان وصدق الله فيما وصفهم به في قرآنه

الكريم بقوله تعالى : (**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون**) البقرة/ ٧٤ .

مائدة القارئ

ان الله عليم بذات الصدور

يقول تعالى في سورة آل عمران :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾

اشد الاعمال

قال علي كرم الله وجهه : أشد الأعمال ثلاثة :
ذكر الله على كل حال، ومواساة الإخوان بالمال وإنصاف الناس من نفسك .

ضالة المؤمن

خطب الحجاج يوما فقال : ان الله امرنا بطلب الآخرة ، وكفانا مؤونة الدنيا .
فليتنا كفينا مؤونة الآخرة ، وامرنا بطلب الدنيا .
فسمعها الحسن البصري .
فقال : هذه ضالة المؤمن .

دعاء

يستحب للمسافر أن يقول ـ اذا خرج من بيته ـ :
« بسم الله ، توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، اللهم إني أعوذ بك أن أَضِل أو أُضَل ، أو أَزِل أو أُزَل أو أَظلِم أو أُظلَم أو أَجهَل أو يُجهَل عليّ » .

حرمة مكة والمدينة

عن عبدالله بن زيد رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها وحرمتُ المدينة كما حرم ابراهيم مكة ودعوتُ لها ، في مُدِّها وصاعها ، مثل ما دعا ابراهيم عليه السلام لمكة » . اخرجه البخاري

لا تنسنا من دعائك

قال عمر رضي الله عنه : استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة ، فأذن لي ، وقال : « لا تنسنا يا أخي من دعائك » ، فقال : « كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا » .

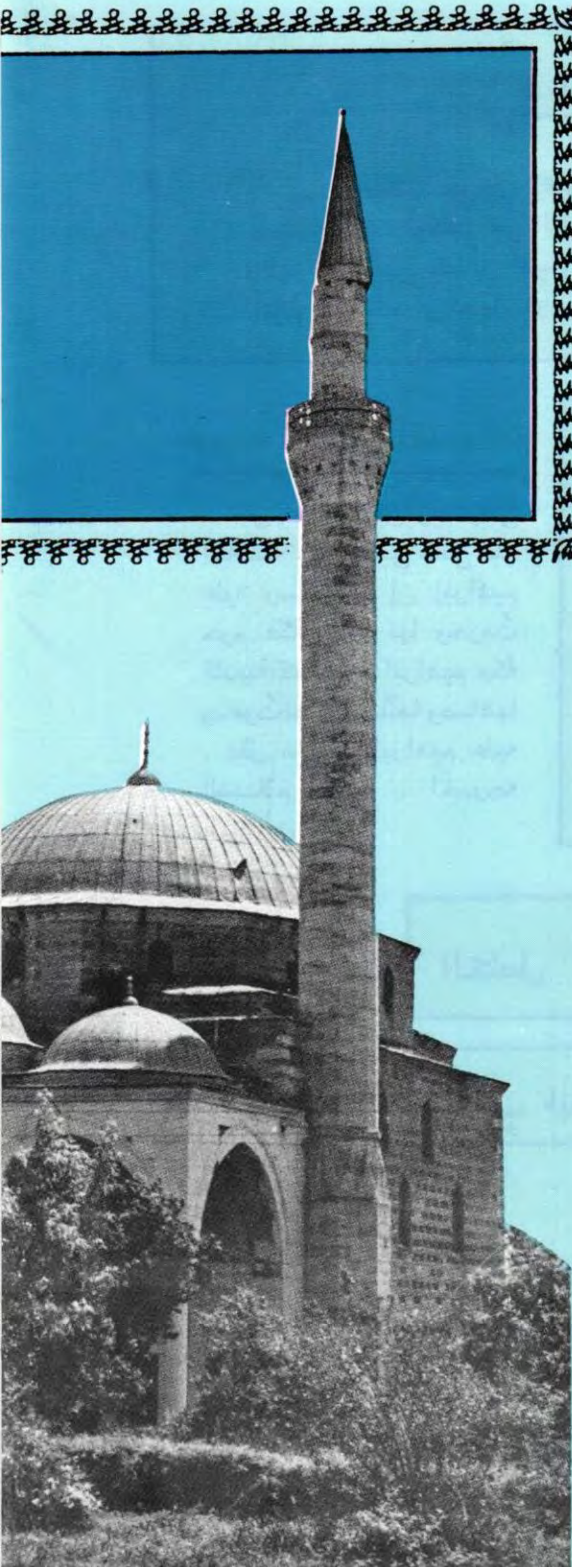
الكامل

قال حكيم : الكامل من عدت هفواته

حب الصالحين

قال الشاعر :

يارب كن لي وليا بالحفظ حتى أُطيعك
فإن ذممت صنيعي فقد حمدت صنيعك
أو كنت أعصيك إني أحب فيك مطيعك



الإسلام في العالم

في الفترة من القرن الرابع عشر وحتى القرن السادس عشر استولى الأتراك العثمانيون على الجزء الأكبر من شبه جزيرة البلقان ، وعلى جزء كبير من وادي نهر الدانوب . وظل الأتراك العثمانيون يحكمون هذه المنطقة ما يربو على الخمسة قرون ، الأمر الذي أحدث بها تغيرات عميقة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية .

وقد اعتنق الاسلام في ظل الأتراك العثمانيين عدد كبير من أفراد الشعوب اليوغسلافية من سكان البوسنة والهرسك ومقدونية وصربيا وكرواتيا والجبل الأسود وكوسوفو وغيرها من المناطق ، بل ويمكن القول أن العثمانيين نجحوا في استثمار نشاط جزء كبير من اليوغسلاف في إقامة الامبراطورية العثمانية وفي نشر عناصر الحضارة الاسلامية .

وبهذه الطريقة أصبح اليوغسلاف لا يقاومون التأثيرات الشرقية الآتية لهم عن طريق العثمانيين وسهل تقبلهم لها .

المساجد في يوغسلافيا

للدكتور/
جمال الدين
سيد محمد

وترك الأتراك العثمانيون في الأراضي اليوغسلافية العديد من التأثيرات الاسلامية ، وعمقوا جذورها بين سكان هذه المناطق لدرجة أن كثيرا من هذه التأثيرات والعناصر ما زال موجودا حتى بعد انحسار وزوال السيطرة العثمانية ، بل هي



موجودة حتى يومنا هذا . والأدلة على ذلك متعددة ومتواجدة في كل مكان من

يوغسلافيا . ونظرة واحدة الى المدن والقرى التي كان يكثر فيها المسلمون خلال الحكم العثماني في الأراضي اليوغسلافية كفيلة بأن تبين لنا تعدد جوانب وعمق التأثيرات الاسلامية .

ونظرا لما للمسجد من اهمية كبيرة ودور متعدد الجوانب في المجتمع الاسلامي فقد شيد الأتراك العثمانيون عددا كبيرا من المساجد في الأراضي اليوغسلافية . وكان عدد المساجد الضخمة في كل مدينة اسلامية يمثل أحد المؤشرات الرئيسة لضخامة المدينة ولأهميتها . ولم يتمكن أحد حتى الآن من تحديد عدد هذه المساجد نظرا لانهيار بعضها وتدمير بعضها في الحروب المختلفة التي تعرضت لها الأراضى اليوغسلافية . ويقدر عدد المساجد الموجودة حاليا في يوغسلافيا كلها بحوالي ٢١٩٠ مسجدا ، ولكن لا يمكن قبول هذا الرقم الا مع التحفظ الشديد .

ومن الملاحظ انه تم في الآونة الأخيرة تشييد عدد لا بأس به من المساجد الجديدة ، وكان آخرها المسجد الذي تم إنشاؤه في زغرب وافتتح رسميا في سبتمبر سنة ١٩٨٧م والذي أثار العديد من المناقشات والمجادلات غير العادية في يوغسلافيا وتم كذلك إجراء تجديدات شاملة لعدد كبير من المساجد الأخرى . وهذا يرجع ، في المقام الأول ، إلى ارتفاع مستوى معيشة المسلمين اليوغسلاف وإلى رغبتهم في ان تكون لديهم مساجد جيدة حديثة مجهزة افضل تجهيز ، هذا علاوة على التبرعات التي يرسلها المسلمون العاملون خارج الأراضي اليوغسلافية . ومن الجميل أن القرى والمدن تتنافس بين بعضها في تشييد المساجد الحديثة وتجديد وصيانة القديم منها .

وهذه الرغبة العارمة من جانب المسلمين اليوغسلاف لاقامة العديد من المساجد الجديدة دعت رئاسة الجماعة الاسلامية في يوغسلافيا إلى وضع مجموعة من القواعد والضوابط التي لابد من الالتزام بها عند اتخاذ القرارات الخاصة ببناء الجديد من المساجد . فإذا تقدمت مجموعة من المسلمين بمبادرة لتشييد مسجد في احد الأماكن فلابد ان يوافق على هذه المبادرة المجلس المحلي للجماعة الاسلامية ، وإذا حصلت المبادرة على موافقته يتم عرضها ومناقشتها في لجنة رئاسة الجماعة الاسلامية بالجمهورية . وبعد الحصول على تصريح بالبناء من جهات الاختصاص تصدر اللجنة قرارها النهائي وفقا للوائح المنظمة لهذه الأمور .

وإمام المسجد شخصية على قدر كبير من الأهمية بين المسلمين اليوغسلاف ، فهو يتولى مهمة تعليم مبادىء الدين الاسلامي وتعاليمه ومبادىء اللغة العربية للنشء ، وذلك إلى جانب إمامة الصلاة وإلقاء دروس الوعظ وخطبة يوم الجمعة والمحاضرات والدروس الدينية للكبار . وهو يعقد كذلك بعض حلقات



الدروس والندوات الدينية في المساء . ويقوم ايضا بإلقاء دروس الوعظ ، وعقد الندوات في منازل المسلمين ، وإنشاد قصائد المدح النبوي في المناسبات المختلفة ، هذا علاوة على قيامه بعقد قران الراغبين في الزواج على الطريقة الاسلامية .

ومن أقدم المساجد في سكوبلى بمقدونية مسجد هيوميتشار ، وهو من أوقاف السلطان مراد الثاني (١٤٢١ - ١٤٥١)م وبجانب المسجد يوجد برج تعلوه ساعة ، وهو يعطي مظهرا مهيبا لهذا الجزء من المدينة . وهذا البرج من أقدم الأبراج التي تم تشييدها في العهد العثماني في مقدونية . وكان هذا المسجد من أجمل المساجد في منطقة البلقان ، ولكن بعد حريق عام (١٥٣٧) م تغير شكله الأصلى ، كما اصيب بأضرار اخرى في حريق عام (١٦٨٩م) حينما أشعل



القائد النمساوي بيكولوميني النار في مدينة سكوبلي .

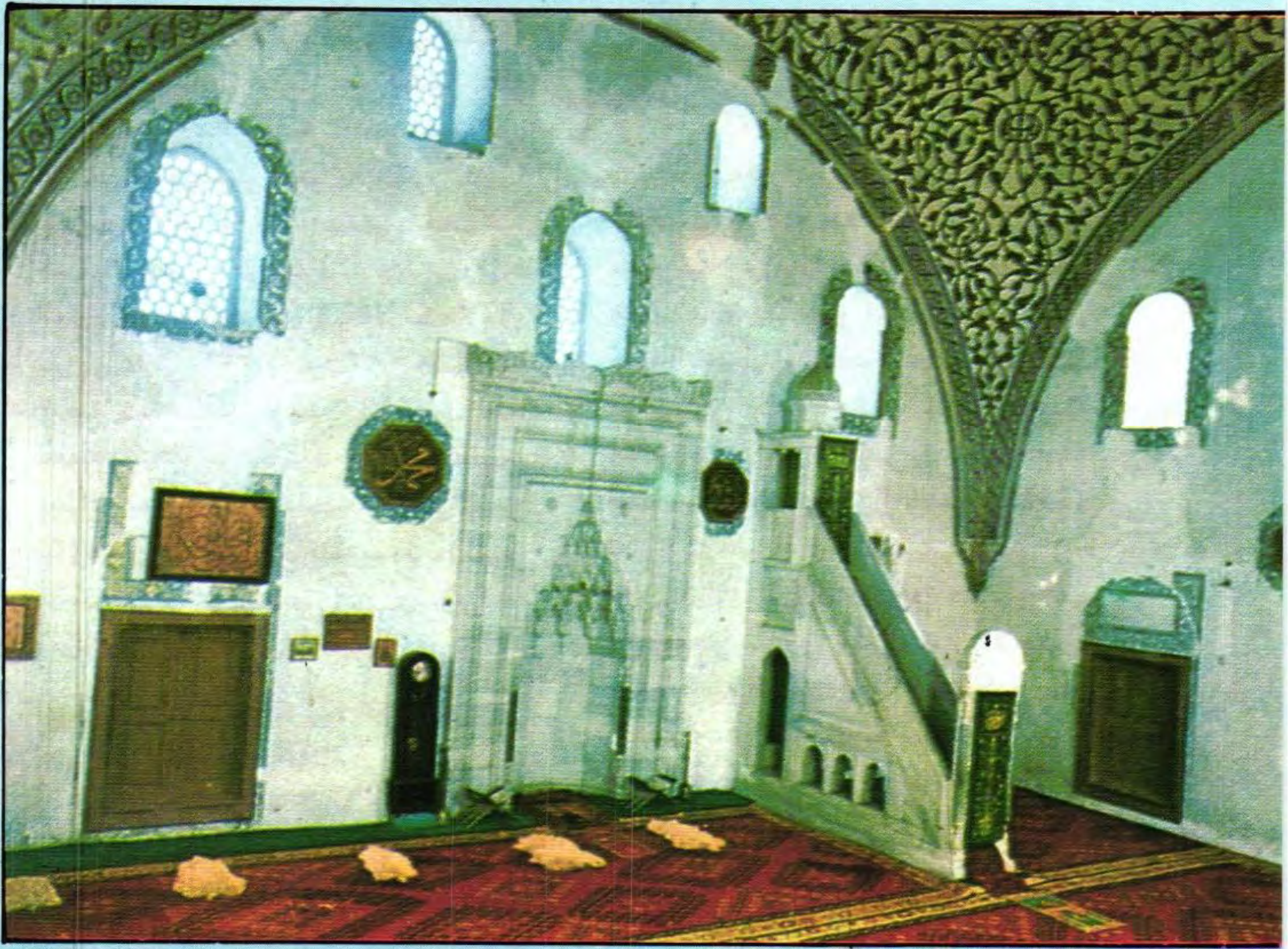
ثم جرت به تجديدات في عام (١٧١٢) م بحيث حصل المسجد على شكله الحالي . ولكن من الواضح انه يلزم الكثير من الجهود والمال من أجل ترميم وتجديد المسجد والبرج وتجميل المنطقة المحيطة بهما .

ومسجد غازي عيسى مشيد في نفس الفترة ، وقبابه المزدوجة تذكرنا بالمسجد الموجود في بروسة .

ومن أجمل المساجد الحالية ، والسابقة ايضا ، مسجد مصطفى باشا المشيد في عام (١٤٩٢)م بسكوبلي . وهو مشيد من الأحجار وقوالب الطوب ، الأمر الذي يعطيه منظرا غاية في الجمال والروعة . وترتفع مئذنته الهيفاء الى حوالي (٤٧) مترا مما يجذب النظر اليها .

وللمسجد قبة ضخمة ورواق مفتوح ومكان للوضوء .

وبمدينة أوهريد توجد تكية محمد حياتي التي أسسها محمد حياتي بابا الذي يرجع اصله الى منطقة خراسان وكان يعيش في القرن السادس عشر . وقد أتى إلى هذه المناطق بناء على توصية من شيخه الذي كان يعيش في سيريز باليونان . وقد قدم حياتي بابا اولا الى مدينة كيتشيفو حيث أقام أول تكية ونصب عليها شيخا ، الشيخ



أحمد أفندى ، وبعد ذلك اتجه إلى أوهريد حيث أقام تكية أخرى .

وتاريخ إنشاء هذه التكية طريف للغاية . ففي أحد الأيام نادى محمد حياتي على بعض العمال الأجراء الذين كانوا يتجمعون في وسط السوق في انتظار من يستدعيهم للعمل . وحينما سألوه عن العمل الذي سيقومون به عنده . أجابهم بقوله : سنتعلم لا إله إلا الله . فذهب العمال معه وتعلموا منه الذكر . وبعد ذلك دفع لهم محمد حياتي بابا أجرا مجزيا ودعاهم للحضور عنده في الغد لكي يقوموا بنفس العمل .

وهكذا كان العمال يترددون عليه لفترة طويلة من الوقت وكان يدفع لهم يوميا أجورهم . ثم رفض أحد العمال ان يقبل الأجر قائلا : سأعمل اليوم مجانا . وبعد فترة من الوقت قال بعض العمال إنهم سيقومون بالذكر دون الحصول على أجر ، وهكذا بدأت حلقات الذكر اليومية في التكية وغرس محمد حياتي شجرة في وسط مدينة اوهريد مازالت موجودة حتى يومنا هذا وتعتبر من آثار المدينة . وشكل هذه الشجرة غريب فجزعها عريض لدرجة ان خمسة أشخاص لا يمكنهم ان يحيطوا به .

ولاشك ان الجامع المزركش بمدينة تيتوفو سيبهرك بزخارفه الفنية على واجهتـه وبـألـوانـه المتعـددة من الداخل . ويسمى هذا الجامع ايضا بجامع آلاجا ، كما يسمى بجـامع الباشا نسبة إلى عبدالرحمن باشا الذي جدده تجديدا شاملا كاملا في حوالي عامي ١٨٣٣ ـ ١٨٣٤م . وكان يوجد في مكانه جامع آخـر تحطم تحطيما كاملا . وقام فاعل الخـير عبدالرحمن باشا بتجـديده وشيـد منبره من المرمر وامر بتلوينه وتصميم الرسومات على جـدرانه وتـزيينها بالزخارف والنقوش العربية .

ولابد من التنويه إلى أنهم يفرقون في يوغسلافيا بين الجامع والمسجد ، فالمسجد في نظرهم مساحته صغيرة ولا يوجد به منبر وليست له مئذنة .

وعلى مدخل الجامع المزركش توجد لوحة مرمرية ومنقوشة عليها أبيات شعرية باللغة التركية . وهي منقوشة على ثماني وأربعين مساحة مربعة، والابيات مكتوبة على اربع وأربعين مساحة بينمـا النقوش والـزخارف تشغل الأربع مسـاحات البـاقية . ويقال إن الابيات الشعرية من تأليف درويش محمد مرادي .

وتوجد بالمدينة ايضا تكية سرسم على بابا او تكية عراباتي بابا .

وهي تتألف من مجموعة غير مألوفة من المباني بما في ذلك مسجد متواضع ودار كبيرة للضيافة مكونة من طابقين ومكان للتعبد وجناح من طـابق واحـد خاص باستقبـال الضيـوف ، بالاضافة الى نافـورة وعدة مبـان ملحقة ، وكلها محاطة بأسوار عالية بها أبراج وبوابات .

وتكية عراباتي بابـا من أجمل النماذج الباقية للعمارة الاسلامية في مقدونية . ويتجلى ذلك في كل مبنى من هذه المجموعة من المباني ابتداء من باب الدخول الضخم الحصين وانتهاء بـالمبـاني المبعثـرة داخـل الفنـاء الفسيح . وكل المباني مشيدة وفقا لتصميم جيـد ، والنظام الـداخلي يناسب تماما احتياجات الانسان . والزخارف الرائعة تقوم على اسلوب الباروك الشرقي ولكن مع الاحتفاظ بالعناصر الشـرقية المشهـورة لفن العمارة ، وكلها منفذة على الخشب أو بوساطة خليط من المواد .

والحقيقة ان كل مبنى من هذه المباني يمثل بذاته تجربة فنية وذلك بفضل البنائين المهرة الذين تم استدعاؤهم خصيصا لذلـك من تركيـا وأدرنة والقسطنطينية وغيرها من المدن . وقد تم في الوقت الحالي تحويل تكيـة عراباتي بابا لكي تكون فندقا ومطعما ومتحفا يجذب العديد من السائحين الاجانب .

ومن تلك المساجد الجديدة ذلك المسجد الذي أقيم في ديبار والذي بلغت مساحته ٢٨ × ١٦ مترا ، ويبلغ عدد المصلين به وقت صلاة الجمعة حوالي اربعمائة شخص ، ومع ذلك يظل بالجامع متسع لما يزيد على مائة شخص أخرين . وللمسجد قبة تستند على اربعة اعمـدة ، ويوجـد أمام الجامع فناء ممتد به صنابير المياه للوضوء ، وهي مياه آتية من نبع

موجود في فناء المسجد . ومئـذنته بشكلها وأبعادها تنسجم انسجاما كاملا مع شكل المسجد وهندسته . وبه حوالي ٤٥ نافذة تسمح بدخول القدر الكافي من الضوء الى ساحة الجامع . وجدرانه بيضاء ومرصعة بأسماء الله الحسنى وكذلك أسماء جميع الرسل المذكورين في القرآن . والمحراب والمنبر مزينان برسومات لباقات من الورود أو بورود بارزة .

والحقيقة ان النقوش الموجودة بهذا المسجد كثيرة للغاية ومن المؤكد انه قد تم إنفاق كثير من الأموال عليها ، كما انها قد تلفت أنظار المصلين وتشتت انتباهم أثناء الصلاة .

والمسجد مزين بعديد من الثريات الثمينة وساعات الحائط وكلها هدايا مقدمة من اتباع الجماعة الاسلامية . وارضيـة المسجـد مغطـاة كلهـا بالموكيت . وقد بدأ تشييد المسجد الجديد في عام ١٩٧٤ . وكان يوجد في نفس هذا المكان جامع دمر بسبب الزلزال الذي وقع في عام ١٩٦٧م .

وفي عام ١٩٨٣م تم افتتاح مسجد جديد في قرية ديبريشا علـى بعد كيلومترين من مدينة جوستيفار . ولم يكن الجـامع القـديم كافيـا لسد احتيـاجات المصلـين ولذا نشـأت الحاجة الى بناء مسجد آخر في وسط هذه القرية التي يتزايد فيها عدد المسلمين . وقد استغرق بناء هذا المسجد ما يقرب من السنتين وساهم في إنشائه كل المسلمين

وتبلغ مساحة المسجد ١٧ × ١٩ مترا ويصل ارتفاع المئذنة الى حوالي ٣٥ مترا ولها شرفتان،ومكان الوضوء به ما يقرب من ١٢ صنبورا ، والمسجد من الداخل مزين بالثريات . وعند افتتـاح المسجد ردد الحـاضـرون التكبيرات وازدحم المسجد من داخله وخارجه بالمسلمين الذين جاءوا لكي يستمعوا لتلاوة القرآن الكريم التي كان يقوم بها حفظة القرآن الشباب من مـدن سكـوبـلى وجـوستيفـار وتيتوفو ، ولكي يستمعوا الى الدرس وإلى كلمات التهنئة .

وقد لاحظت في الآونة الآخيـرة اهتماما غير عادي من وسائل الاعلام في الدول العربية والاسلامية بالمسائل المتعلقـة بـالاسـلام والمسلمـين في يوغسلافيـا والحقيقة ان بعض الصحف والمجـلات تكتب كتابـات موضوعية علمية واقعية عن الاسلام في يوغسلافيـا وعن الظروف التي يعيش فيها المسلمون اليـوغسلاف بحلوها ومرها .

وهنـاك بعض الصحف تكتب ـ لاسباب كثيرة ـ امورا لا أساس لها من الصحة ولا تقوم على أسانيد واقعية . وهذه الكتابات تهدف في أساسها إلى تشويه صورة الاسلام في يوغسلافيا ونشاط الجماعة الاسلامية

و يمكنني ان أقول بأن الاسلام بخير في الوقت الحالي في يوغسلافيا وأن المسلمين اليـوغسلاف من أكثـر الجماعـات تنظيما وانتظامـا . ويحق لنا نحن المسلمين العرب ان نفتخر بوجود مثل هؤلا ء المسلمين في يوغسلافيا .

دار الفتوى

والمسلمون في لبنان

حوار اجراه : الأستاذ/خالد بو قماز

زار الكويت في الفترة الاخيرة وفد لبناني يمثل دار الفتوى برئاسة مفتي لبنان فضيلة الشيخ/حسن خالد وقد تشرف الوفد بمقابلة ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ/سعد العبدالله الصباح . كما قابل الوفد وزراء الأوقاف والصحة والاعلام ، وقد قام الوفد بجولة في أرجاء وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، ويطيب لمجلة الوعي الاسلامي أن تقدم لقرائها الأعزاء ذلك الحوار الذي أجرته مع سماحة مفتي لبنان الشيخ/حسن خالد والذي تناول احوال المسلمين وما يعانونه ومجهودات دار الفتوى في خدمة الاسلام والمسلمين في لبنان .

□ كيف تنظم الامور الشرعية للمسلمين في لبنان ، وما هي الجهات القائمة على هذا التنظيم ؟

● المسلمون السنة كبقية سائر الطوائف مستقلون بامورهم الدينية ، ولهم في ذلك سلطة اصدار التشريعات والقوانين والانظمة المتعلقة بكل قضاياهم الدينية . ويتولى ذلك المجلس الشرعي الاسلامي الاعلى الذي يرأسه مفتي الجمهورية



اللبنانية . ويتألف هذا المجلس من حوالي اربعين عضوا يمثلون كافة المناطق الاسلامية ، ومن بينهم اعضاء دائمون هم رئيس الوزراء وجميع رؤساء الوزراء السابقين ، ومن بينهم عدد يعينهم مفتي الجمهورية من اصحاب الاختصاصات العليا ، والباقون يتم انتخابهم كل اربع سنوات من قبل النواب المسلمين والقضاة والعلماء ورؤساء النقابات وعدد من الجمعيات الاسلامية ومفتي الجمهورية هو الرئيس الدائم لهذا المجلس وفي الوقت نفسه هو رئيس مجلس القضاء الشرعي الاعلى الذي يشرف على المحاكم الشرعية السنية ، كما ان المفتي يشرف على جميع الادارات الوقفية في لبنان ، وبالتالي يرأس عمادة كلية الدعوة الاسلامية وصندوق الزكاة .

وهو بصفته الرسمية يعتبر الرئيس الديني للمسلمين وممثلهم بهذه الصفة لدى السلطات الرسمية ويرعى كافة شئونهم ومؤسساتهم الصحية والتربوية والاجتماعية .

□ ومن يشرف على التعليم الديني في المدارس ؟

● ان الادارات الوقفية تختار مدرسي الدين الذين يتولون تدريس الثقافة الاسلامية في جميع المدارس الرسمية . وتنتدبهم للقيام بهذه المهمة وتتولى اعطاءهم المرتبات . وهذا عبء مالي كبير نتحمله بالاضافة الى الاعباء المالية الاخرى . وكان من المفترض ان تتولى الدولة امر الانفاق على التعليم الديني لانها هي المسؤولة عن المدارس وعن الانفاق عليها . لكن الدولة في لبنان تركت هذا الامر للمؤسسات الدينية .



□ وماذا بالنسبة للعناية بتعليم القرآن الكريم ؟

● اننا مع توجيه مدرسي الدين في المدارس للاهتمام بتعليم قراءة القرآن الكريم وتجويده ، فاننا منذ سنوات نولي اهتماما خاصا بفتح دورات قرآنية في جميع المناطق اللبنانية طوال اشهر الصيف لجميع تلامذة المدارس بحيث لم يعد في لبنان اية قرية الا وتقيم دورة قرآنية والجدير بالتقدير ان الاقبال على هذه الدورات اصبح كبيرا جدا وما تكاد ايام الصيف تنتهي حتى تقام احتفالات في جميع المدارس والمساجد والمراكز الاسلامية لتسليم شهادات للطلاب وتوزيع جوائز على المتفوقين مما يشجع الكثيرين على المشاركة في هذه الدورات .

س : كم عدد العلماء والعاملين في الوظائف الدينية في لبنان ؟

جـ - يبلغ عدد هؤلاء الالف ، من علماء ودعاة وقائمين بالشعائر الدينية وموظفين في المساجد .

□ من اين يتقاضون مرتباتهم ؟

● لبنان بلد متعدد الطوائف ولذلك فان الشؤون الدينية متروكة للطوائف التي تنظمها وتقوم بالانفاق عليها . فليس في لبنان وزارة للشوؤن الدينية أو للاوقاف ، ولا تقدم الدولة مساعدات مالية من اجل الشؤون الدينية . وليس للمسلمين مصدر لتغطية الاعباء المالية الا واردات العقارات الموقوفة على المساجد . هذه العقارات الموقوفة منذ مئات السنين والتي لا تغطي عائداتها الا جزءا يسيرا من ميزانيات الادارات الوقفية . وقد اصبحت هذه العائدات قليلة جدا لاسباب عدة ، منها ضالة القيمة التأجيرية للعقارات القديمة وتناقص غلتها ، ومنها زيادة اعباء الادارات الوقفية بسبب ازدياد عدد المساجد بشكل كبير دون ان يوقف عليها شيء ، واتساع دائرة التعليم الديني في المدارس وضرورة زيادة المرتبات دوريا ، ثم كانت الكارثة الضخمة بتدمير الكثير من العقارات الوقفية بسبب الحرب اللبنانية ، ومن ذلك عقارات اوقاف بيروت

التي تهدمت جميعها ، ثم كانت الكارثة الاشد في انهيار النقد اللبناني وعجز الدوائر الوقفية عن دفع مرتبات تتناسب مع التضخم المالي وحاجات الموظفين ولقد اصبحت الاجهزة الدينية تبعا لذلك مضطرة لتأمين مصادر تمويل من الدول والمؤسسات الاسلامية .

ومن اجل ذلك ناشدنا ومازلنا نناشد اخواننا في البلاد العربية الاسلامية الاهتمام بهذا الموضوع واعطاءه حقه من الدعم والرعاية .

□ ما هي المعاهد الدينية التي تشرفون عليها ؟

ـ هناك عدد من المعاهد داخلة كليا في نطاق اشرافنا العملي ومسؤوليتنا الكاملة .

في مقدمتها كلية الدعوة الاسلامية التي مضى على انشائها عدة سنوات وقد تمكنا بفضل الله من انشائها في سنوات الحرب بعد ان وعد البعض بدعمها ثم تراجع عن ذلك بحجة ان الايام لا تساعد على انشاء كليات ومعاهد والافضل الانتظار لما بعد الحرب . ورأينا ان من مصلحة المسلمين مواجهة التحديات التي تتهدد عقيدتهم وثقافتهم فأ نشأنا الكلية وقد بدأت بتخريج افواج من العلماء والدعاة .

وهناك عدد من المعاهد الثانوية . هي ازهر لبنان والقسم الشرعي بمدينة طرابلس وهو عبارة عن معهدين دينيين واحد للذكور واخر للاناث ، ثم هناك ازهر البقاع الذي افتتح مؤخرا .

ان كل الظروف المأساوية التي تحيط بلبنان ، وكل التيارات المعادية للاسلام لم تتمكن من اضعاف المسلمين ولا التأثير في سلامة معتقدهم وأصالة ثقافتهم ، بل على العكس من ذلك تماما ، فان كل ذلك قد حفزهم للمزيد من الوعي الاسلامي والتمسك باهداب الدين والاقبال على المساجد .

□ ما هي المنطلقات التي يجب على المسلمين التمسك بها واعطاؤها الاولوية للقيام بنهضة جديدة واعية ؟

● ماذا نعني بمفهوم النهضة ؟ هذا ما يجب تحديده اولا حتى لا يشتبه القول وحتى لا يضيع الوعي .

فمن اخطر المشكلات المعاصرة ، التباس المفهومات وتداخلها ، وضياع الرؤية ، وفقدان الرؤية .

فقد يرى البعض بحق ، ان هناك تخلفا في واقع المسلمين . ويسمع عن التخلف الذي يسود في كثير من ارجاء العالم . ثم ينظر الى العالم الغربي والقوي نظرة انبهار وتقدير ، ويقع في خلده لكثرة ما يسمع عن تقدم هذا العالم ، أن ميزان التقدم هو في تقليد هذا العالم وسلوك مسالكه والسير وراءه واعتماد مناهجه وأن معيار التخلف هو في مخالفة قيمه ومناهجه وثقافته واهدافه .

وتلك هي مأساة ما يسمى بالعالم الثالث الذي فقد اصالته وغايته واخذ يلهث وراء الاخرين مأخوذا بالمظهر المادي والقشرة



الحضارية .

فلا يجوز للعالم الاسلامي ان يقع في مغالطات تبدأ من عدم تحديد المفهوم وتحديد المنهج والغاية .

ونهضتنا الاسلامية يجب ان تقوم على الوعي الاسلامي . هذا الوعي الذي لا يتوقف عند الجزئيات بل يجمع فيما بينها ويعطيها حجمها الذي لا يطغى على سواها ، ويرتقى الى الكليات والاهداف في تحقيق مفهوم الاسلام في مجال العبادة والتسامي ، وفي نطاق الحياة والحركة الانسانية .

ان نهضة العالم الاسلامي على اساس الوعي الكامل بحقائق الاسلام هي النهضة المرتجاة لواقع المسلمين الذين طال عليهم الامد وتخلوا عن دورهم الانقاذي لانفسهم وللناس .

ان الاعلام الكبير عن رسالة الاسلام أنه يحمل الرحمة للعالمين . هذه الرحمة هي التي تخلص الناس من شقائهم ومعاناتهم ، وتحررهم من اوهامهم وانحرافاتهم ، وتعد لهم كل اسباب السكينة في النفس والاستقرار في المجتمع ، وتعد البشر للفوز بالنعيم الابدي في رضوان الله .

ان للنهضة الاسلامية معالم كبرى يجب ان تتضح في افكار المسلمين وتصوراتهم ومشاعرهم لتأخذ طريقها الى صحوة اسلامية رشيدة .

س ـ ما هي جهودكم لتحقيق الوفاق في لبنان ؟

ج ـ ان الازمة اللبنانية قديمة العهد . وهي تتخذ صورا متعددة وفق الظروف السياسية وغيرها ، وتتأثر تأثرا مباشرا بالوضع في المنطقة وبالمداخلات الدولية التي توظف الاوضاع اللبنانية لتحقيق مصالحها المختلفة سواء في لبنان او ما جاوره من بلدان عربية .

والمسلمون في لبنان يتحملون اعباء جسيمة من اجل دفع كثير من المشكلات عن امتهم ، يصبرون ويضحون للحفاظ على وجودهم الاسلامي . ان كثيرا من الدول الاجنبية مازالت تتوارث الافكار والمخططات منذ الحروب الصليبية وتتخذ من لبنان رأس





جسر ثقافي وسياسي للتسلل اليه والى المنطقة .

وتتلاقي هذه المصالح مع اهواء فريق من الطائفيين الذين يعيشون بتصورات غريبة عن المنطقة ويتعسفون في اقناع انفسهم واقناع ابناء طوائفهم بغربة لبنان عن الامة العربية .. وقد زادت المشكلة تعقيدا باستغلال اسرائيل للمطامع الدولية والانحرافات الطائفية فحاولت انشاء تحالف مع الانعزال الطائفي للعمل على تشكيل دويلة طائفية في لبنان ودويلات طائفية في الدول العربية .. فتحركت الازمة واخذت طابعها العسكري التدميري ، واستطاعت اسرائيل وادواتها ان تربط الحل في لبنان بالحل لسائر قضايا المنطقة المعقدة وفي مقدمتها القضية الفلسطينية .

وللمسلمين قضية في لبنان . هذه القضية تتلخص في **امرين** : **اولهما** : فيما يسمى عروبة لبنان ، اي في انهاء التزييف الذي يحدده الطائفيون والمغرضون لهوية لبنان وكيانه الاجتماعي . **وثانيهما** : تحقيق الاصلاح في لبنان اي في انهاء حالة التمييز الطائفي والتسلط الفئوي ، واعطاء كل ذي حق حقه . فالمسلمون وهم الاكثرية في لبنان لا يطالبون باكثر من تحقيق العدالة كاملة ، وتعديل الدستور ، ورعاية مصلحة الشعب . ان الشكوى من الفساد السياسي طويلة . والشكوى من التمييز الطائفي مريرة . وتكفي الاشارة الى حرمان المسلمين من كثير من حقوقهم ، ولهم مطالب وحقوق تندرج كلها تحت عنوان الاصلاح والعدالة .

ولقد دعونا لحل كل الخلافات واعتماد كل الاصلاحات باسلوب الحوار والتفاهم والاقتناع .

ورفضنا حمل السلاح لان السلاح لا يحمل في وجه المواطن ولأنه لا يحل قضية ، بل يزيد البلاد خرابا ، ويفتح الابواب لعدونا التاريخي .

ومازلنا ندعو لتحكيم العقل ، ويقظة الضمير ، مع الاصرار على الموقف وعدم التفريط باي حق .

ولبنان اليوم امام اشهر حاسمة ندعو الله ان تكون خاتمة المآسي والازمات وفاتحة السلام والاستقرار .



للاستاذ /

كمال عبدالكريم الوحيدي

أطفالنا الصغار ،
بل أحبابنا الكبار ،
أنتم جنود الاله ، أنتم حماة الذمار ،
أنتم في فم الدنيا هديل ونشيد وفخار ،
وفلسطين بكم قد ...

رماة بحجر!



تثنت دلالا بوجه أغر
يحاكى سناها ضياء القمر
وماست ببشر تشق الدجى
وتنشر للناس أحلى خبر
تزف البشائر مسرورة
تقول : (صلاح) جديد ظهر
وإن كان عمرو قديما أتى
فعمري الجديد تبدى وكر
ومن مسجدي العمري الكبير
نداء تعالى وليث زأر

★★★

ومن شم حيفا ومن صخرة
جهاد تسامى لدفع الضرر
جهاد به هب طفل صغير
يلاقي اليهود بضرب الحجر
بمقلاعه يرجم المعتدي
ويصفع وجه الخنا والخور
صخور جبالي سلاح الحبيب
وزيتي ضياء له من خطر
كساني البسيل أجل الثياب
ومن برتقالي يفوح الزهر

★★★

دماه أزالت صدى مهجتي
وأحيت عهودا بداها عمر
فمنه يفوح نسيم الوفا
وود نقي لرب البشر

وما نام في ذلة خانعا
ولا عق حقا جليا أغر
به قد ذكرت رجالا أباة
يذيقون طعم الردى من غدر

إلى الخصم لا ينحني ذلة
ولم يخش طفلي رعاة البقر

★★★

رأى طفلنا وجه قرد أثيم
بمسرى النبي الكريم الأبر
فهب إليه بعزم أكيد
يصب الحجارة مثل المطر

ويدمي جبين اليهود الكريه
ويكشف بالفعل زيف البطر
فلسطينه أمه إنني
به بت أرنو ليوم الظفر

ففي عينه لاح فجر سعيد
وصبح الأماني - وربي - سفر
وحيا إلهي حماة الذمار
أسود العرين رماة الحجر

المخدرات..





هذا السّم القاتل!

للأستاذ
عبد الرحمن الغلاييني



مشكلة المخدرات باتت من أخطر المشكلات التي تشغل بال المسؤولين في جميع دول العالم ، وجميع المنظمات العالمية وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة ، وأصبح معروفا أن المخدرات تضر بالمجتمع صحيا واقتصاديا ومعنويا ..

فمن الناحية الصحية فإن المواد المخدرة تؤثر تأثيرا سيئا على صحة الانسان وتذهب بعقله .

أما تأثيرها الاقتصادي فيرتبط ارتباطا وثيقا بأثرها على الصحة ،

فاعتلال الجسم يؤدي إلى ضعف الانتاج وانخفاض مستوى المعيشة .

وتؤدي هذه النتيجة الى ضرر آخر للمخدرات وهو الضرر الاجتماعي ..

فمما لا شك فيه أن الأسرة إذا هبط فيها مستوى الدخل وانصرف رب الأسرة عن رعاية أسرته فإن ذلك يؤدي الى انحلال الروابط الأسرية وضياع المثل الأخلاقية ، ويشب أفراد هذه الأسرة وقد فقدوا الرغبة في التكيف مع المجتمع .

ولا ينحصر أثر هذا الانحلال في محيط أسرة المدمن وحده ، بل يتعداه إلى سائر افراد المجتمع ، فمتى

ضعفت الرقابة على أفراد الأسرة انزلقوا في مهاوي الجريمة وأصابوا

بضررها الأسر الآمنة ، وقد يكون هذا تفسيرا كافيا لتأثير المخدرات وضررها على الأمن العام .

ما هي المخدرات ؟

هي كل ما يذهب بالعقل ، ويضر بالصحة ، ويسبب عادة الادمان .

فمتى توافرت هذه الصفات الثلاث في أية مادة اعتبرت مخدرا ، ودخلت بذلك في نطاق الرقابة التي تفرضها القوانين المحلية للدول المختلفة وطبقت عليها أحكام الرقابة الدولية التي تنص عليها المعاهدات والاتفاقات التي تعنى بتنظيم شؤون الرقابة على المواد المخدرة .

انواع المخدرات :

الاتفاقية التي تم التوقيع عليها بمدينة نيويورك عام ١٩٦١ حوت أكثر من تسعين مادة مخدرة ، ولكن يمكن إرجاع كل هذه المواد إلى أنواع ثلاثة :

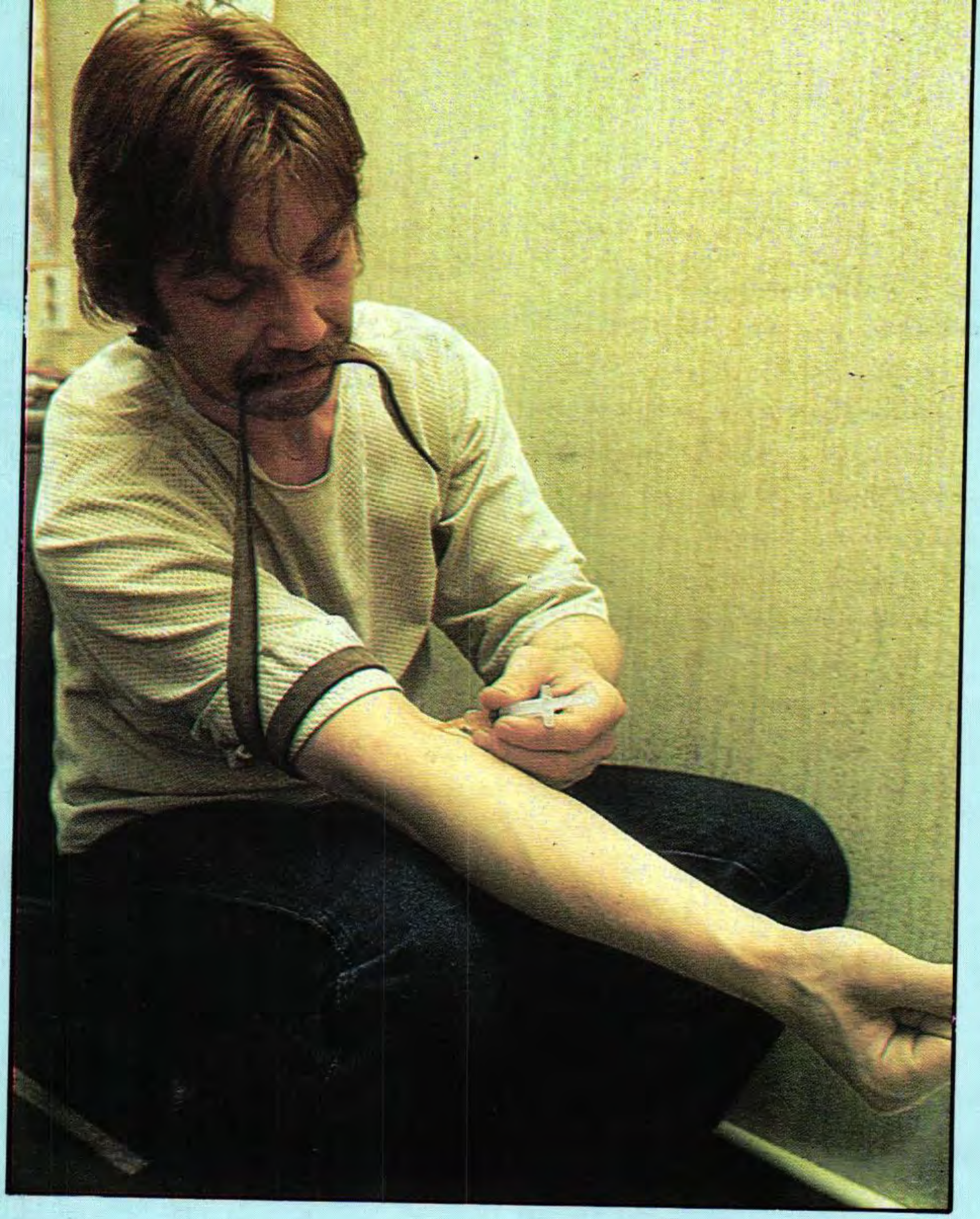
النوع الأول : المخدرات الطبيعية :

وتضم مجموعة هذا النوع جميع النباتات التي يتميز كل أو بعض أعضائها بخاصية التخدير وهي :

١ ـ نبات القنب وهو ثلاث فصائل : القنب الهندي والقنب الشامي وقنب البهانج .

٢ ـ نبات الخشخاش .
٣ ـ نبات الكوكا .
٤ ـ نبات القات .

ويدخل في مجموعة المخدرات الطبيعية ايضا جميع المواد المخدرة التي تستخلص من تلك النباتات دون أن يتناولها تغيير جوهري سواء بالتحويل أو التكرير أو التصنيع .



وهذه المواد هي :

١ ـ الحشيش بمسمياته المختلفة .. ومن أكثر هذه المسميات شيوعا في العالم : (الماريجوانا) بأميركا . (الكاراسى والجانجا) بالهند ، (والكيف) ببلاد شمال إفريقيا وبعض مدن الشرق الأوسط .

٢ ـ الأفيون الخام : وهو العصارة اللزجة التي تنبق من رؤوس شجيرات الخشخاش بعد جرحها .

٣ ـ الكوكايين الخام : أي جميع المتحصلات المستخرجة من أوراق الكوكا والتي يمكن استعمالها بطريق مباشر أو غير مباشر في تحضير الكوكايين .

النوع الثاني : المخدرات الصناعية .

والصناعة في قطاع المخدرات كما عرفتها المعاهدة الوحيدة للمخدرات

سنة ١٩٦١ هي : جميع العمليات ـ باستثناء عملية الانتاج ـ التي يمكن بواسطتها الحصول على المواد المخدرة وتشمل عملية التكرير والتي تحول المخدرات الطبيعية إلى مخدرات صناعية .

والمخدرات الصناعية بذلك تضم مجموعة العقاقير المخدرة التي تصنع من المواد المخدرة الطبيعية بطرق التحويل والتكرير . ومن أكثر هذه المواد شيوعا في مجال الاستعمال غير المشروع : الأفيون الطبى ، المورفين ، الهيرويين ، الكوكايين .

النوع الثالث : المخدرات التخليقية .

وهي مجموعة العقاقير التي لا تدخل المخدرات الطبيعية أو الصناعية في تركيبها ومع ذلك تتميز بخاصية التخدير ويترتب على إساءة استعمالها نفس الأضرار التي تحدثها المواد المخدرة الطبيعية والصناعية ، وقد راجت هذه العقاقير لما لها من تأثير على الحالة النفسية نتيجة تركيبها الكيميائى فهي إما مهدئات ومنومات ، أو منبهات ومنشطات ... وهذه العقاقير وإن اختلفت عن المخدرات في طبيعتها إلا أن تكرار استعمالها يولد عادة الادمان عليها .

ما هي أسباب انتشار المخدرات ؟

يتساءل المرء : هل المخدر لازم للانسان في حياته للترفية عن نفسه كما هو لازم له في علاجه من آلامه وأوجاعه ؟ أليس من حق الانسان أن يهرب ولو لحظات من حساب عقله وضميره وأن ينعم بفترة من الراحة من عناء الفكر وشقاء العمل ؟

إن لكل شعب طريقته في الحياة ، ولكل مجتمع تقاليده وعاداته ، وهي أن الانسان لابد وأن يخرج فترة من واقع حياته ليستريح فيها من عناء التفكير أو ليهرب مؤقتا من حالة يأس تلم به أو فترة تعاسة تمر به . وإذا سلمنا جدلا بهذه الحقيقة ، فمن واجب المجتمع أن يرعاها وأن يوفر لأفراده الوسيلة التي يرفهون بها عن أنفسهم ، أما إن أغمضت الجماعة عينيها ، وتغاضت عن تحقيق هذه الرغبة فقد يختار البعض لأنفسهم أسوأ أنواع المرفهات وأفحشها ضررا ، ويهربون من الواقع وراء ستار كثيف من الدخان الأزرق ، أو في غيبوبة لا يكادون يفيقون منها حتى يعودوا اليها غير عابئين بالمصير المظلم الذي ينتظرهم .

وفي كثير من البحوث التي أجريت عن أسباب انتشار المخدرات في المجتمعات المختلفة نراها تدور حول الاسئلة الآتية :ـ

لماذا تسعى بعض المجتمعات إلى المخدرات بينما تنبذها مجتمعات اخرى ؟!

لماذا يسعى بعض الأفراد إلى المخدرات بينما ينبذها أخرون ؟

هل للأحوال الاقتصادية في البلد علاقة بتعاطى المخدرات فيها ؟

هل لمشكلة المخدرات صلة بالشعور بالعدالة وتكافؤ الفرص ؟

ما صلة التعاطي بالسلوك الاجتماعي ؟

إلى غير ذلك من الأسئلة التي مازالت تبحث عن حلول من خلال البحوث العلمية التي تجرى لهذا الغرض .

وكثير من البحوث انتهت إلى أن الميول الجنسية هي سبب انتشار المخدرات وبحوث انتهت إلى أن المخدرات تنتشر في المجتمعات التى لا توفر العمل لكل عامل ولا تمنح الضمان والطمأنينة لكل مواطن ولا تعترف بالعدالة الاجتماعية والمساواة والفرص المتكافئة ، وأن هذه الأوضاع تحبس الطاقات وتحدد الآمال وتخلق ملايين الضحايا من المطرودين والساقطين والعاطلين ، وهذا الأمر يسهل وقوعهم فريسة للمخدرات حيث يجدون فيها متنفسا لما ينطوون عليه من اخفاق ، وتعبيرا عما يعتمل في نفوسهم من آلام ، وعزاء بالخيال عما فقدوه في الحقيقة والواقع .

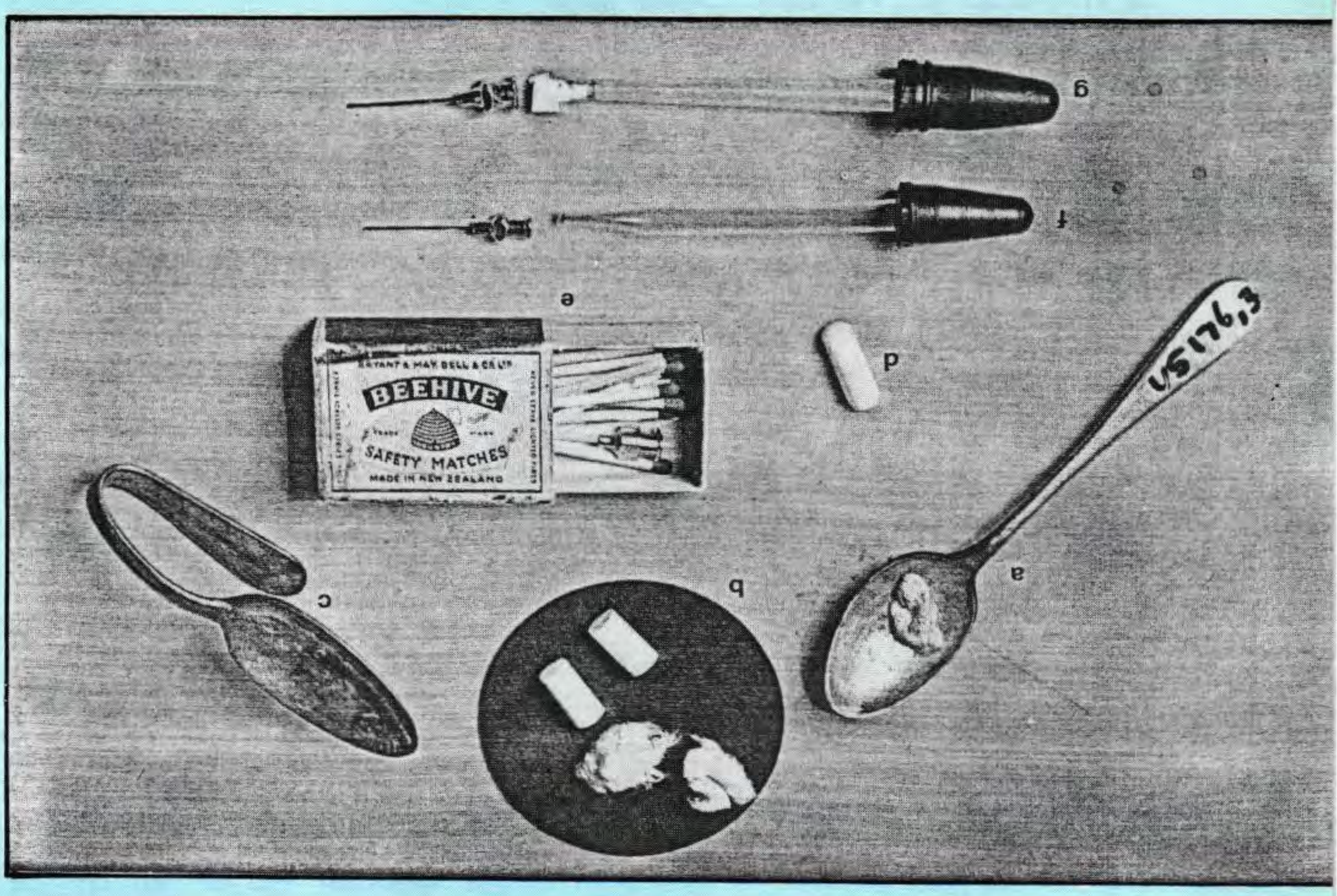
الا اننا لو أمعنا النظر في هذه الاوضاع لوجدناها عامة في جميع المجتمعات . فالميل إلى الجنس **غريزة انسانية** في جميع الشعوب ، ولا يوجد بلد يخلو من البطالة .. وتقارير اللجان الدولية للمخدرات تقطع بان المخدرات منتشرة في كثير من الدول دون تفرقة بين البلاد التي يرتفع فيها مستوى المعيشة والبلاد التي تعاني التخلف والفقر .. وإنما الفرق يظهر في نوع المخدر الذي تفضله الشعوب .

ويبدو أن الشعوب المتخلفة تميل إلى استعمال المخدرات الطبيعية بينما تنتشر المخدرات الصناعية والتخليقية في المجتمعات المتقدمة .

وليس هذا يعني أن المخدرات منتشرة في كل بقعة من العالم ، فبعض البلاد تكاد لا تعرف تعاطي المخدرات رغم توافرها في أراضيها مما يدل على أن العوامل الرئيسية للمشكلة ذات طبيعة اجتماعية تختلف من جماعة الى جماعة .

وليس معنى ذلك انكار أثر العوامل الشخصية في الاقبال على تعاطى المخدرات ولكن المقصود أن العوامل الاجتماعية تفوق في فاعليتها أثر العوامل الشخصية في تكوين المشكلة .

والأرجح أن العامل الأساسي في انتشار المخدرات في أية جماعة إنما يعزى إلى النظم والقيم الاجتماعية السائدة فيها . فالانسان يميل بطبعه الى الشعور بالسعادة ، والشعور بالسعادة الحقيقية مسألة نسبية لا تقاس بالغنى أو العمل أو الصحة . فالواقع والتجربة يؤكدان أن فئات المدمنين لا تخلو من الاغنياء وأصحاب الأعمال ، وان عزت السعادة على الانسان في دنيا الحقيقة سعى اليها في دنيا الخيال ، وان قامت في المجتمع بعض النظم أو القيم الاجتماعية التي تحرم بعض وسائل الترفيه لجأت الجماعة إلى الوسائل الترفيهية الأخرى التي لا تتعارض مع تلك القيم وإن تعارضت مع القانون .



لذلك فإن واجبات المجتمع لا تقتصر على توفير عمل شريف مثمر ومستوى من العيش رغد مرتفع لأفراده ، بل من واجبه أيضا أن ييسر لهم وسائل الترفيه ذات العواقب المأمونة ويشجعهم على استخدامها ،

وبذا يسد الطريق أمام المغريات التي تدفعه أو تشجعه على تعاطى نوع أو آخر من المواد المخدرة .

وهناك واجبات أخرى يمكن حصرها فيما يلي :

١ ـ القضاء على إنتاج وتهريب المواد المخدرة والاتجار فيها قضاء تاما ، وهذه وظيفة السلطات التنفيذية المختلفة .

٢ ـ تحذير المواطنين وأفراد المجتمع من الاقتراب منها عن طريق بحث الأسباب التي تبعدهم عن التكيف مع المجتمع والعمل على إزالتها حتى تقلل من فرص لجوئهم إلى التخدير كوسيلة من وسائل هروبهم من واقع حياتهم .

٣ ـ تنمية الوعي الثقافي لدى المواطنين لتبصيرهم بمضار المخدرات .

٤ ـ استخدام أحدث الطرق الطبية في علاج المدمنين .

المخدرات من الناحية الدولية :

لم تكن مشكلة المخدرات حتى أوائل القرن العشرين تشغل بال العالم ، فقد كان الاعتقاد السائد أن

إساءة استعمال المواد المخدرة راجع إلى العادات المتأصلة في سكان اقطار معينة ، وأن شعوب الأقطار الأخرى محصنة ضد هذا الداء ، ومن ثم اعتبرت مشكلة المخدرات مشكلة داخلية يمكن حلها في النطاق المحلي وبوسائله .. إلا أن الأيام أثبتت فساد هذا الاعتقاد ، فإن الحروب ، واختلاط الشعوب

وتعقد أسباب الحياة خصوصا في الدول المتقدمة ، كان من أثرها أن انتقلت عدوى تعاطي المخدرات إلى الكثير من البلاد ، وما لبث داء الادمان عليها أن انتشر حتى عم معظم دول العالم .

وهكذا تغيرت النظرة نحو مشكلة المخدرات ، فبعد أن كانت مشكلة محلية لا تهم إلا أقطارا معينة أصبحت مشكلة ذات أهمية عالمية . وما كان في الأصل خطرا مقصورا على بعض الأجناس من البشر اعتبر تهديدا متزايدا وخطرا داهما يهدد الصحة العالمية ، لذا اتجه التفكير إلى ضرورة القيام بعمل دولي مشترك تسهم فيه جميع دول العالم لوقف انتشار هذا الداء ومحاولة القضاء عليه لانقاذ البشرية من ويلاته .

وكانت أولى الخطوات التي خطتها الدول في ميدان العمل الجماعي لمكافحة المخدرات ذلك المؤتمر الذي دعت إليه حكومة الولايات المتحدة الأميركية سنة ١٩٠٩عندما بدأ انتشار المخدرات على أراضيها ، وبناء على هذه الدعوة اجتمع في شنغهاي مندوبون عن ثلاث عشرة دولة في هيئة مؤتمر انتهى بأن تعهدت الدول الأعضاء باتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف انتشار الأفيون في ممتلكاتها بمنطقة الشرق الأقصى وخاصة الصين .

وأعقب هذا المؤتمر مؤتمرات عديدة لبحث مشكلة المخدرات وعقدت بين الدول معاهدات واتفاقات متعددة لتنظيم شؤون الرقابة على انتاج وتجارة المواد المخدرة .

أسلوب البحث العلمي لمعالجة مشكلة الادمان :

بدأت الأمم المتحدة تهتم بالبحث العلمي في علاجها لمشكلة المخدرات بالقرارات التي اتخذها المجلس الاقتصادي والاجتماعي في شأن وضع برنامج خاص لتنمية طرق تحديد المصدر الجغرافي للأفيون بوسائل كيماوية لالقاء المزيد من الضوء على المسالك التي يتبعها الاتجار غير المشروع ، ودعا المجلس الاقتصادي حكومات الدول الى تشجيع علمائها على الاسهام في هذا البحث .

كما طلب منها أن ترسل للأمانة العامة (مركز توزيع الأفيون) عينات الأفيون التي تنتج بأراضيها وما يضبط منه في الاتجار غير المشروع .

وقد وصل البحث العلمي في موضوع تحديد المصدر الجغرافي للأفيون إلى الحد الذي يمكن معه القول بأنه قد امكنه التوصل إلى طريقة مؤكدة لاثبات مصدر الأفيون من طريق ما يجري عليه من تحاليل .

وتجرى منظمة الزراعة والأغذية التابعة للأمم المتحدة بحوثا وتجارب متعددة لمحاولة ايجاد نوع من نبات القنب خال من الراتنج الضار (الحشيش) أو الاستعاضة عن هذا النبات بأنواع أخرى تصلح للأغراض الصناعية لانتاج الألياف دون أن تحتوي على الراتنج المخدر .

علاج الادمان :

يرى بعض خبراء المخدرات أن جميع المواد المخدرة دون استثناء تؤدي إلى الادمان بل هم يرون أن إحداث هذا الداء يعتبر شرطا أساسيا لاعتبار المادة التي تسببه مخدرا . وإنه إذا لم يترتب على تكرار تعاطيها الادمان عليها فلا تعامل معاملة المواد المخدرة حتى ولو توافر فيها الاضرار بالصحة والذهاب بالعقل .

ويرى البعض الآخر أن المخدرات لا تسبب بالضرورة داء الادمان ، بل قد تحدث حالة أقل خطورة وهي التعود على تعاطيها .

ويميزون بين الادمان والتعود بأن الادمان يتميز بالخصائص التالية :

١ ـ الرغبة أو الحاجة الغلابة لاستمرار تعاطي المخدر .

٢ ـ الاتجاه إلى تزايد الجرعات .

٣ ـ التعويل النفسي والجسماني عادة على تأثير العقار .

أما علاج الادمان فيميل الاتجاه الحديث في معظم دول العالم إلى اعتبار مدمن المخدرات مريضا في حاجة إلى العلاج الطبي بدلا من اعتباره مجرما يستحق العقاب وقد انتهى الأمر في كثير من الدول إلى تعديل تشريعاتها بحيث تقضى بإرسال مدمني المخدرات إلى المصحات لعلاجهم .

وترى بعض الدول أن الحل الوحيد الممكن هو إيداعهم اجباريا في مؤسسات مغلقة متخصصة في هذا النوع من العلاج ، ويرى آخرون انه لا يتحتم اتباع العلاج في المؤسسات في كل الحالات . وأن يكون هناك مجال للعلاج في البيت أو في عيادة الطبيب أو العيادات الخارجية بالمستشفيات وذلك للحالات التي يتم اختيارها بعناية .

والمتخصصون في علاج مدمني المخدرات الذين يوصون في ايداعهم في مؤسسات متخصصة يرون أن تطول فترة علاجهم لمدة سنتين أو ثلاث لمنع الانتكاس .

هذه دراسة سريعة عن المخدرات لابد قبل ختامها من القول بأن هذا الخطر الداهم على مجتمعاتنا العربية ثبت أن وراء ترويجه وتهريبه إلى هذه المنطقة عصابات خطيرة لتهدم معنويات أمتنا وتقف حجر عثرة في سبيل تقدمنا ودعم مركزنا الاقتصادي العالمي ..

ولكن مما يخفف من غلواء هذا الخطر عمليات المكافحة الدولية والاقليمية والمحلية المنتظمة التي تتولاها منظمة الشرطة الجنائية الدولية (الأنتربول) والمنظمة العربية للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة .

مسئولية الأحداث

للدكتور / حسن عبدالغني أبو غدة

تعريف الأحداث :

الأحداث .. جمع حدث ، وهو الفتى والغلام . ويقصد به في الفقه الاسلامي المراهق اذا كان دون سن البلوغ ، ذكرا كان أو أنثى . ويعرف البلوغ بعلامات منها : الاحتلام ، ونبات شعر الابط والعانة ، والحيض والحمل وبلوغ خمس عشرة سنة ، وغير ذلك مما يرجع اليه في مواضعه من كتب الفقه .

مؤاخذة الأحداث وحكمتها :

لا شك ان الحدث ليس اهلا للعقوبة أصلا في الشريعة الاسلامية ، وذلك لأنه غير مكلف دينيا . ويؤيد هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو داود : « رفع القلم عن ثلاثة .. وعن الصبي حتى يحتلم » .

لكن الصغر لا يمنع المؤاخذة والتأديب ، حملا للحدث على مكارم الأخلاق ، وتعويدا له على تحمل المسؤولية ، وتدريبا له على حفظ الحقوق والقيام بأدائها . وهذا ما قررته الشريعة الاسلامية قبل أن يقرره رجال القانون في المؤتمرات الدولية المعاصرة وغيرها ، فقد ذهبوا الى أن أحكام الحبس وغيرها الصادرة على الأحداث لا ينبغي أن تأخذ الصفة العقابية بل الصفة التأديبية .

تأديب الأحداث بالتوبيخ والضرب ونحوه :

الأصل في معاملة الحدث اللين والرحمة ، فلا ينبغي للمربي الناجح أن يلجأ الى العقوبة والشدة الا عند الضرورة ، واذا استعملها كان عليه أن

يتدرج فيها من الأخف الى الأشد . وان أول درجات تأديب الأحداث تنبيههم على أخطائهم بالاشارة ، ثم بالتوبيخ ثم بالهجر والتعنيف ، ثم بتقليل مخصصاتهم المالية ، ثم التهديد بالضرب ، ثم مباشرة الضرب أو الحبس في البيت والمنع من الخروج الى اللعب مع الأصدقاء .. وقد ذكر الفقهاء : ان من كان دون عشر سنين يزجر عن المفاسد والمنكرات والقبائح بالكلام والتنويه والارشاد فاذا تمت له عشر سنين أدب وضرب . ويستند هذا الى ما أخرجه أبو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم أبناء عشر .. » .. وروى ابن السني عن عبدالله بن بسر المازني قال : «بعثتني أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطف من عنب ، فأكلت منه قبل أن أبلغه اياه ، فلما جئت أخذ بأذني وقال : يا غدر » .

هذا ، وقد ضرب عمر رضي الله عنه صبيا تأديبا له . وسئل أصبغ من كبار فقهاء المالكية : أيؤدب الصبيان في تعديهم وشتمهم وقذفهم وجراحاتهم العمد وقتلهم ؟ قال : نعم يؤدبون اذا عقلوا أو راهقوا . وذكر ابن مفلح من الحنابلة : أنه اذا زنى ابن عشر أو بنت تسع عزّرا . وهكذا يتضح أن تأديب الأحداث بالوعيد والتهديد والتعنيف والضرب ونحوه أمر مشروع .. على أنه لا بد من القول بأن للضرب مواصفات شرعية ينبغي مراعاتها من مثل كون أداة الضرب غير جارحة ولا حادة ، كما أنه ينبغي تفريق الضرب على أماكن الجسم التي لا تتضرر به كالقدمين والفخذين والالية والظهر واليدين ، ويجب اجتناب ضرب الرأس والوجه والعنق والصدر والبطن وما تحتها ، لما في ذلك من المخاطر المتلفة القاتلة أحيانا .. وليتجنب الضارب الغضب وقت الضرب ، كما يتجنب الاكثار من عدد الضربات لأنها تفقد قيمتها في المستقبل .

تأديب الأحداث بالحبس :

مع اتفاق الفقهاء على مشروعية تأديب الأحداث بفرك الأذن والتهديد والتعنيف والضرب ونحوه ، فانهم مختلفون في جواز تأديبهم بالحبس بل انهم يفرقون أيضا بين حبسهم بالحقوق المالية (المدنية) وبين حبسهم بالحقوق الجنائية (الجزائية) واليك بيان ذلك :

أولا : حبس الأحداث في القضايا المدنية

مذهب المالكية والشافعية وأحد قولي الحنفية : أن الحدث غير البالغ اذا مارس التجارة أو استهلك مال غيره ، فلا يحبس بالديون المترتبة عليه في معاملاته ؛ وذلك لأنه غير مكلف وليس محلا للعقوبة الشديدة ومنها الحبس ،

لكن هذا لا يمنع من تأديبه بغير الحبس كما تقدم .. واتجه السرخسي من كبار فقهاء الحنفية : الى أن الذي يحبس بديون الحدث هو وليه لأنه قصر في حفظ ولده ورعايته وتوجيهه ، ولأنه هو المخاطب بأداء المال عنه شرعا .

والقول الآخر للحنفية : أن الحدث غير البالغ يحبس بالدين ونحوه من الحقوق المالية ، تأديبا لا عقوبة ، لأنه مؤاخذ بحقوق العباد فيتحقق منه الظلم لهم ، ولئلا يعود الى مثل الفعل ؛ ويتعدى على أموال الناس وممتلكاتهم وحقوقهم . لكن بعض هؤلاء علقوا حبسه على وجود أب أو وصي له ليضجر أو يعيّر من حبس ابنه فيسارع الى قضاء الدين عنه .

ثانيا : حبس الأحداث في القضايا الجزائية :

نص بعض الفقهاء على أن الحدث غير البالغ لا يحبس بارتكابه الجرائم والقبائح ونحوها . لكن هذا لا يمنع من تأديبه بغير الحبس ، كما تقدم بيانه .

وعمم جماعة فقالوا : ان الصغر لا يمنع من التأديب ، فيجري بين الصبيان والأحداث ويعزرون ويؤدبون ولا اثم عليهم فيما أصابوا . ويفهم من كلامهم هذا : أنهم يحبسون ايضا ؛ لأن التعزير والتأديب يشمل الحبس كما هو معروف عند الفقهاء .

وقال آخرون من الفقهاء بجواز حبس الحدث الفاجر على وجه التأديب لا العقوبة ! وبخاصة اذا كان الحبس أصلح له من ارساله ، وكان فيه تأديبه واستصلاحه وتقويمه .

ومن الجرائم التي نصوا على حبس الأحداث فيها : الردة والبغي . فاذا ارتد الصبي المراهق اعتبرت ردته وحبس حتى يتوب ، وهذا قول أبي حنيفة ومحمد . وكذا صبيان البغاة المقاتلون يحبسون حتى تنقضي الحرب ويتفرق جمعهم .

وانني أرى حبس الأحداث حين تعيّنه ، سواء كانت الدعاوى مدنية أو جزائية ، لأن الأوضاع الاجتماعية والأسرية المعاصرة تعجز ـ في كثير من الأحيان ـ عن رعاية الحدث واستصلاحه ، ولا شك ان الحكم بحبس الحدث يرجحه تقدير القاضي ودراسته لظروف الحدث النفسية والتربوية والاجتماعية .. وقد أخذ كثير من الدول والقوانين بمبدأ حبس الأحداث في القضايا الجزائية ، اذا بلغوا سنا محددة واقتضت ظروفهم ذلك .

مكان تنفيذ حبس الأحداث :

ان سماح الشريعة بحبس الأحداث يستلزم وجود أماكن لتنفيذ ذلك ، وباستقراء النصوص الخاصة بهذا الأمر وجد أنها لا تعدو بيوت الآباء أو سجونا خاصة بالأحداث .

أولا : حبس الأحداث في بيوت آبائهم :

ذكر الفقهاء ان المرتدة الصغيرة ونحوها تحبس عند وليها حتى تتوب .
وقالوا في الحدث عامة : اذا خشي عليه ما يفسده ، توجب حبسه عند أبيه لا في السجن

وروي عن سحنون قاضي القيروان المالكي : انه أخذ غلمانا مردا بطالين يفسدون بالدراهم ، فوضع في أرجلهم القيد ثم حبسهم عند آبائهم مقيدين .

وهذا الأسلوب من الحبس يشبه نظام الاقامة الجبرية ويقصد به منع الحدث من التردد على أماكن الفساد والجريمة والاختلاط بالمفسدين بالاضافة الى حمايته من الانحراف ، وذلك بفرض الرعاية المباشرة عليه من وليه والزامه بها ، وتشديد الرقابة عليه ، ليهتم بسلوكه وينظر الى نفسه ضمن بيئة اجتماعية صالحة .

ويبدو أن الفقهاء المسلمين يفضلون حبس الحدث عند وليه على حبسه في أماكن اخرى أو عند الدولة ، لاحتمال تعرضه للاستغلال والعدوان والاهمال ، وتلك مصاعب لا طاقة للحدث على تحملها ، وقد تؤثّر في تكوين شخصيته فتصيبها بالاضطرابات والسلبية ، فضلا عن ان الحدث أكثر استعدادا للتأثر وقبول الاصلاح خارج السجن .

وقد أجاز كثير من القوانين للقاضي ان يحكم بتسليم الحدث إلى والديه أو شخص موثوق فيه ، وأن يحكم بوضع الطفل تحت نظام الحرية المحروسة ، وتلك مبادىء انسانية كريمة سبق الفقهاء إلى تقريرها منذ زمن طويل .

ثانيا : **اتخاذ سجن خاص للأحداث** : تقدم أن الردع والعقوبة من الغايات الشرعية المقصودة من حبس الكبار ، وان التأديب المحض هو الغاية الشرعية من حبس الأحداث ، وهذا المبدأ يدعونا إلى القول بأن الشريعة ترى عزل من يراد تأديبه عمن يراد تعزيره ومعاقبته .

وبالرغم من عدم وقوفي على نص يدل على اتخاذ الحكومات الاسلامية مكانا خاصا لحبس الاحداث ، فإن في كلام الفقهاء ما يشعر بوجود ذلك ، فقد ذكروا : انه إذا خشي على الحدث ما يفسده لم يحبس في السجن ، وإنما عند ابيه . ويبدو أنهم قصدوا بذلك حمايته من الأضرار الجسمية والنفسية وغيرها . ويؤيد هذا ما روي من : انه كان من غير المسموح به عند المسلمين حبس الصغار مع الكبار ، منعا لما قد يتعرض له الصغار من فساد .

على أن إفراد الأحداث بحبس مستقل عن حبس الكبار توجبه الأمور التالية :

١ ـ إن أغلب المحبوسين الكبار إنما حبسوا لجرائمهم وفساد اخلاقهم ، فهم مظنة بقاء الفساد حتى يتوبوا وتحسن اخلاقهم وسلوكهم .
٢ ـ إن دخول الحبس بجريمة ونحوها يسقط العدالة والثقة بالمحبوس في كثير من الأحوال ، لأن المحبوس واقع غالبا فيما نهى عنه الشارع كما يقول الفقهاء .
٣ ـ إذا ثبت ما سبق من مظنة الفساد وسقوط العدالة في السجناء الكبار البالغين ، فينبغي العلم بأن الشريعة الاسلامية نصت على حرمة خلوة الرجل الفاسد والنسوة غير الثقات بالأمرد . وكذا حرمة النظر إلى الأمرد عموما عند خوف الفتنة ووجود مظانها . ولاشك أن الفتنة متوقعة الحدوث من السجناء الفاسدين ؛ لذا ينبغي العمل بالمبدأ المتفق عليه ألا وهو سد الذرائع .

كلمة أخيرة : هذا ؛ وفي الوقت الذي سبق المسلمون غيرهم بإرساء مبدأ محاسبة الأحداث وتأديبهم بالأساليب الانسانية الهادفة ، وعزلهم في الحبس عن أصحاب الجرائم والفساد ، وعملوا لذلك بطرق تناسب تعاليم دينهم وأوضاعهم الاجتماعية « ظلت سجون الغرب حتى وقت قريب لا تهتم بأمور الأحداث ولا تخصص لهم أماكن للحبس » . ولا تراعي الفصل بين المحبوسين بحسب أعمارهم ، إلى أن بدأ مفهوم العقوبة والحبس يتخذ شكلا محددا في أواخر القرن الثامن عشر .
فقامت الحكومات بإفراد مراكز خاصة للأحداث أشبه بالمدارس الاصلاحية الداخلية ، ويشرف عليها فنيون من ذوي الاختصاصات التربوية والدينية والثقافية والصحية والمهنية . وأسمتها المؤسسات الاصلاحية تمييزا لها عن المؤسسات العقابية الخاصة بالكبار .

أما تحديد سن الحدث فيختلف من دولة إلى اخرى ، وفي الكويت تفرد الحكومة مكانا خاصا لمن لم يتموا سن ١٤ عاما وتسمية (دار الرعاية الاجتماعية) تمييزا لها عن « دار التقويم الاجتماعي » التي خصصت لمن هم بين سن ١٤ ـ ١٨ عاما .

وقد ألحقت الداران بوزارة الشئون الاجتماعية والعمل ، بخلاف سجن الكبار التابع لوزارة الداخلية .

هذا ، وإن الشريعة الاسلامية لا تمنع الأخذ بنحو هذه الاجراءات ، إذا كان فيها تحقيق الغاية المنشودة من حبس الأحداث وتأديبهم ، مع مراعاة ان الشريعة تعتبر البالغ مؤاخذا وموضعا للمساءلة والجزاء على وجه العقوبة لا التأديب المحض كما في الحدث .

حقوق أطفالنا تبدأ قبل الولادة

للاستاذ / محمد الصالح بن عمر عزيز

اعتدنا عند التعرض لحقوق الطفل أن نتحدث عن فترة ما بعد الولادة ، في حين أن هذه الحقوق تبدأ ما قبل الزواج ..

من الحقوق الثابتة للطفل أن يتوفر له المحضن السليم حيث سينشأ على التربية السليمة ويحاط بجو من الهدوء والاستقرار كشرط أساسي لنموه الطبيعي القويم .. لذلك نرى الاسلام يحرص في مرتبة أولى لضمان هذا الحق الضروري للطفل على اختيار أرضية صالحة يترعرع فيها هذا الكائن الجديد ، فيتوجه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم الى كل شاب مقبل على الزواج ينصحه بتخيّر الزوجة الصالحة حاضنة أكباده ومربية قرة عينه فيجعل الدين والخلق الحسن قاعدة الاختيار الأولى ، ويجعله أساس بناء الأسرة المسلمة لضمان أرضية طيبة للابناء .

فيقول « إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » رواه ابن ماجة .

ونعني بالزوجة المسلمة الصالحة ، تلك التي لا تبخل بالتضحية بالغالي

والنفيس لجلب السعادة والاستقرار إلى البيت ، والتي ترى أن مهمتها في بيتها وهي تعكف على طفلها الصغير تربيه ، وتهبه المشاعر الانسانية ، لترفعه من مرحلة الحيوان الى مرحلة البشرية كيانا بشريا متوازن العقل والعواطف والمدارك ، لا تقل أهمية ـ إن لم تكن أعظم ـ من خروجها إلى العمل تهدر طاقة حيوية مرصودة لغرض معين ، وتحولها عن سبيلها الأصيل ... ونعني بالـزوج المسلم الصالح ، الذي يحترم سنن الحياة الـزوجية ، ويـدرك أن الهدف من الزواج هو إنشاء البيت المسلم لانجاب ذرية صالحة تضطلع بحمل الأمانة ،

وتحقق الهداية واستمرارها ، فـلا يدخر جهدا ـ أي الزوج ـ في جلب السعادة والطمأنينة إلى بيته ، ويسهر على حماية أطفاله وزوجته من غوائل الفقر والجهل والأمية الدينية « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » متفق عليه « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت » رواه أبو داود وابن حنبل .

من الحقوق الثابتة للطفل أيضا ، حقه في أن يولد سويا غير مشوه أو مضطرب المزاج مختل المدارك ، وهذا ليس تحديا لقضاء الله سبحانه كما يفهم بعض الناس ، ولكنه هروب من قضاء الله إلى قضاء الله كما قال الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما رجع بجيشه خوفا من الاصابة بالطاعون ، وقد أجمع الفقهاء على منع الحمل بين الزوجين منعا باتا إذا كان بهما أو بأحدهما داء عضال من شأنه أن يتعدى إلى النسل والذرية ، وفي حالة امتناع الزوجين عن قبول عملية منع الحمل يكون لولي الأمر الحق في التفريق بينهما جريا على قاعدة أن على ولي الأمر سد أبواب الضرر الذي يصيب الأطفال «الاسلام عقيدة وشريعة» إن هذا يعني العناية التامة بصحة الأم الحامـل ، وتجنب كل الأخطار التي تعرض جنينها للاصابة بأي نوع من العيوب والتشويهات الخلقية ، أو تعرض حياته للدمار وأجهزته الجسمية لفقدان قدرتها على أداء وظيفتها أحسن الأداء . فمما لاشك فيه أن العلاقة بين الأم الحامل والجنين علاقة حساسة جدا ، تجعل أي اختلال في صحة الأم أو اضطراب في حالتها النفسية يؤثر على حالته ـ أي الجنين ـ ، ويسهم تماما في تشكيل وضعه الصحي وفي مستقبله .

أ ـ تأثير الأزمات الانفعالية :

لقد بات من المؤكد أن الازمات الانفعالية التي تتعرض لها الأم من هموم وأحزان وأضطرابات عصبية لايمكن أن تمر في حياة الأم بدون أن تحدث آثارها السيئة على الجنين ، وتظهر هذه الآثار مباشرة بعد الولادة في شكل نقائص ولادية ، أو تشوهات خلقية تنغص عليه ـ أي الجنين ـ حياته .. فقد « لاحظ العالم سونتاج أن الأجنة الأكثر فاعلية ميالة إلى أن تولد بوزن منخفض بالنسبة لطولها ، مما هو الحال بالنسبة للأجنة الذين هم أقل فاعلية في حياتهم الجنينية . يضاف الى ما تقدم أن الأجنة ذات الفاعلية الأكثر تعاني من اضطرابات

حشوية ومشكلات تغذية فيما بعد الـولادة أكثر من الأطفـال الأقـل فاعلية .. ويظهر الرضيـع في عهد ولادتـه عدم استقـرار متـزايـد ، وأنـزعاجـا ، وصـراخـا مفـرطـا ، وتهيجا ، ويتقيأ بصـورة ملحوظـة وبصورة متكررة ، ويصاب بالاسهال الشديد ، كما أنه على العموم ينام أقل من بقية الرضع الآخرين ، ويظهر حساسية زائدة للأصوات ، ويبدأ ذلك بكل عنف ، وغالبا ما يبكي أو يصرخ بصوت عال .. وقد وجد العلماء أن (٣٠) أمرأة ممن ولدن أطفالا غير ناضجين قبل انتهاء فتـرة الحمل الكاملة كنَّ أقل نضجا من الناحية الانفعالية ، وكن يحملن نظرة سلبية نحو الحمل ، وأنهن أقل قدرة على حل مشكلاتهن العائلية والاجتماعية مما هو الحال مع جماعة أخرى ضابطة من النسـاء تـوازيهـا في العمـر ، والعرق ، والطبقة الاجتماعية ، وفي التـربية التي كـانت أقل تعـرضا للاضطرابات الانفعالية في حياتهن » . ولعل من أخطر مظـاهر الأزمـات الانفعـالية التي تتعـرض لها الأم الحـامل والتي يكـون لهـا أخطـر الانعكاسات على الجنين في بطنها :

الغضب : وهـو صورة من صـور الانفعال النفسي ، يؤثر على القلب تأثيرا كبيرا إذ « يزيد من عدد مرات الانقباضات أو النبضات القلبية في الدقيقة الواحدة ، وبذلك تتضاعف كمية الدم التي يدفعها القلب أو التي تخـرج منه إلى الأوعيـة الدمـوية والشرايين مع كل انقباضة أو نبضة ، وهذا يؤدي طبعا الى اجهاد القلب ، لأنه سوف يدفعه لزيادة العمل زيادة عن المعدل الذي كان من المفروض أن يؤديـه بصفة عـادية وفي ظـروف معينة » ، فيحدث نتيجة لذلك ما لا تحمد عقباه .

العصبية والتوتر : وهو مظهر لا يقل خطرا عن الغضب لما يسببه من آلام نفسية شديدة للأم الحامل يجعلها تثور لأقل الأسباب ، فتفقد السلام الدائم مع نفسها وأولادها والآخرين ، كما يكون لذلك أخطر الأثر على حياة الجنين وعلى مستقبلـه . ولعل من أخطر ما تسببه العصبية والتوتر على المرأة الحامل الأرق الذي يؤدي الى حرمانها من النوم الهادىء ، فتلجأ الى الحبوب المهدئة والمنومة ، فتتسبب في مشاكل هي في غنى عنها .

لكل ذلك وجب حماية المرأة الحامل من خطورة هذه الأزمات الانفعالية ، وذلك بمعالجة أسبابها الأولى ، فقد تبين أن الخلافات العائلية تأتي في مقدمة هذه الأسباب ـ وبخاصـة عند النسـاء العاملات خارج البيت ـ لذلك ينصح الأطباء ربة الأسرة بأن تعمل أولا على نشر الاستقرار العائلي ، وذلك بالتقليل من المناقشات والخلافات الزوجية ،

ونشر الهدوء والسعادة في أرجـاء البيت ، وأن تبتعد قدر الأمكان عن صراخ الأطفال وضجيجهم ، ولا تلجأ إلى العنف والصوت المرتفع ، وتعود نفسها على ضبط أعصابها في كل المواقف ، وأن تتأكد أن لكل مشكلة ـ مهما كبرت ـ حلا تستطيع الوصول

إليه بنفسها لو ضبطت أعصابها وفكرت بهدوء .. فبإمكانها أن تلجأ إلى تلاوة القرآن ، فإن تلاوته تضفي على القلب سكينة وهدوءا وراحة للاعصاب كبيرة ، أو تجلس وحيدة تسلي نفسها بقراءة كتاب أو اداء أي عمل يشغلها ، وأن تتوضأ كلما أحست بالغضب كما أمرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وكذلك ينصح الأطباء الزوج بأن يساعد زوجته على أجتياز هذه المرحلة الصعبة ، حيث تكون الزوجة في حالة نفسية غير طبيعية تحت تأثير عامل الوحم ... جاء في كتاب « خلق الانسان بين الطب والقرآن » ما يلي : « تحتاج الحامل الى عناية كبيرة من المحيطين بها في هذه الفترة بالذات ، اذ تكون اكثر حساسية من أي فترة مضت ، سريعة التأثر والانفعال والميل الى الهموم والأحزان لأتفه الأسباب ، وذلك بسبب التغير الفسيولوجي في كل أجزاء الجسم ، لذلك يجب أن تحاط بجو من الحنان ، والبعد عن الأسباب التي تؤدي إلى تأثرها وانفعالها ، وخاصة من ناحية الزوج أو الذين يعيشون ويتعاملون معها » .

وقد وضعت الشريعة الاسلامية الأسس السليمة لاستقرار الجو العائلي وخلوه من الانفعالات والأزمات والخصام ليتوفر للأبناء الجو الملائم للتربية الصالحة ويتضح ذلك في الآية الكريمة : (**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**) الروم / الآية ٢١ .

ب ـ تأثير الحالة الصحية للأم الحامل على الجنين : إذا كان للانفعالات النفسية هذا القدر من التأثير على صحة الحامل وبالتالي على الجنين ، فلاشك أن العوامل الصحية لها هي الأخرى تأثير مباشر في تحديد مستقبل المولود سلبا أو إيجابا « فالحصبة الألمانية على سبيل المثال عندما تصيب الأم الحامل خلال الشهور الثلاثة الأولى من الحمل لها أثر خطير على تلك الأجزاء من أجهزة الجسم وأعضائه في الجنين ، التي تمر بمرحلة حرجة في تطورها ونمائها كالعينين والأذنين وسائر الحواس الأخرى كما هو الأمر مع القلب ... وقد وجد العلماء أن من أنواع الشذوذ الرئيسية التي يصاب بها الوليد (نتيجة إصابة الأم بالحصبة الألمانية) هي الصمم بنسبة ٥٠٪ والعيوب البصرية بنسبة ٣٠٪ » . لذلك وحتى نجنب أطفالنا الولادة المشوهة أو التخلف العقلي ، لابد أن تكون العناية الطبية بالمرأة الحامل كبيرة جدا ، وأن نسهر على سلامتها الصحية قدر الامكان . وأول ما يجب التنبيه إليه :

١ ـ اجتناب تناول الأدوية والعقاقير والحبوب المهدئة بدون استشارة الطبيب ، لأن الدواء قد يحتوي على مواد تضر بالجنين ، وتؤثر على نموه ، وتحدث عاهات في تكوينه خصوصا في الأشهر الثلاثة الأولى « واحدى هذه النتائج المأساوية تلك التشويهات المرتبطة بالمركب المنوم الذي ذاعت شهرة آثاره الضارة وهو « التاليدومايد »

فالجنين الذي يولد بسببه يولد بذراعين ويدين صغيرتين جدا مشوهتين ولا نفع منهما ، كما يحدث هذا العقار تشويهات أخرى في الجنين إن تناولته الأم في وقت مبكر أثناء حملها » وقد سحب العقار من السوق وقامت الشركة بتعويض جميع أهالي الأطفال الذين لحقهم التشويه بسببه ، وكثيرا ما تنشر الصحف والمجلات حالات من الولادات المشوهة ـ بسبب الأدوية ـ تقشعر لها الأبدان فقد نشرت جريدة « عكاظ » (في ١٩٧٩/١/١)أن سيدة من الفلبين أنجبت طفلا له رأسان أحدهما أكبر من الآخر وقسمات وجهيهما مختلفة تماما ، ونشرت جريدة « الشرق الأوسط » صورة لمولود في اليونان برأسين وأربعة أعضاء تناسلية ، ونشرت جريدة « المدينة » خبر طفلة هندية لها رأسان ، وثلاثة اذرع وجهازان عصبيان ولكن لها قلب واحد .

٢ ـ اجتناب التصوير بالأشعة « فقد يحدث أن تمرض الحامل مرضاً يرتئي معه الطبيب إجراء تصوير بالأشعة ، فعليها في هذه الحالة أن تذكر له أنها حامل ، لأنه يعلم أن الأشعة ـ أشعة س ـ × ـ تضر بالجنين وربما تؤدي الى تشويه خلقته » .

٣ ـ الحماية من الأمراض المعدية ، فلا تزور ـ أي الحامل ـ رفيقة مريضة ، أو بيتا تعلم أن فيه مريضا ، لأن اصابتها بالأمراض المعدية ـ وبخاصة في الأشهر الأولى من الحمل ـ قد تؤدي الى تشويه جنينها ، ومن أهم هذه الأمراض الحصبة الألمانية التي قد ينشأ عنها أن يولد الطفل أعمى أو أصم كما ذكرنا سابقا .

٤ ـ العناية بغذاء الحامل : فقد تبين أن الجنين يستمد كل ما يحتاج اليه من أغذية ، كالأحماض الأمينية والجلوكوز والفيتامينات ، والأملاح ـ كالحديد والكالسيوم والفسفور وغيرها ـ يستمدها كلها من الأم تنقلها إليه عبر المشيمة وأن هذه الطلبات تلبى بصفة إلزامية حتى وإن كان هناك نقص في كل أو بعض هذه المواد الحيوية عند الأم ـ لذلك وحتى تستطيع الأم الحامل أن تلبي حاجات جنينها من الغذاء الكامل اللازم لنموه نموا طبيعيا سليما ، كان لابد لها ان تتناول هي ايضا غذاء كاملا متوازنا .. وقد ثبت أن الاطعمة التي تحتاجها الأم الحامل هي كالآتي :

* الحليب : ويجب تناول ما لا يقل عن (٣ ـ ٤) اكواب يوميا ويمكن تعويضه باللبن والجبن .
* اللحوم : وتتناول منها ١٠٠ غرام يوميا ، ويفضل تناول الكبد مرة كل اسبوع .
* البيض : وتتناول واحدة على الأقل يوميا .
* الفواكه : بأنواعها أو العصير الطازج ، وتؤخذ مرتين يوميا .
* الخضر : وتشمل جميع الأنواع من البقول الخضراء أو الصفراء والبطاطا بمقدار ربع كيلو .

* الخبز والحبوب بكميات معتدلة .
* الزبدة بمقدار ملعقتين يوميا .
وبالمحافظة على هذه الوجبة المتكاملة يمكن للأم الحامل أن تتجنب الاصابة بلين العظام وبالتهابات الأسنان المتكررة أثناء الحمل وبعده ، عندما يكون الجنين في حاجة الى الكالسيوم والمواد الضرورية لبناء عظامه ،

فيسحب ذلك من دم أمه ، ويمكنها أن تتجنب الاصابة بفقر الدم عندما يكون الجنين في حاجة الى الحديد والعناصر الهامة لتكوين دمه ، فيأخذ ذلك من دم أمه ، ويمكنها بذلك أن تحفظ ابنها ـ بإذن الله ـ من التشويهات الخلقية التي قد يتسبب فيها سوء التغذية .. وهكذا يتبين لنا أن النفقات القليلة التي تبذل في سبيل العناية بالأم الحامل وجنينها ، والمحاولات المتواضعة التي تبذل في سبيل توفير الجو النفسي المريح لها ـ أي الحامل ـ تعتبر ضئيلة جدا اذا قورنت بالمصاريف الباهظة التي تسخر في سبيل علاج اطفال مشوهين أو متخلفين عقليا واذا قورنت بالآلام النفسية والجسمية التي سيقاسيها هؤلاء الاطفال في حياتهم .
وهكذا يتبين لنا أن حقوق أطفالنا تبدأ قبل الولادة لا بعدها .



الصديق

بعد حادثة الاسراء والمعراج .. قال بعض الناس لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ هاهو ذاك ـ يقصدون الرسول صلى الله عليه وسلم ـ يحدث به ـ أي بالاسراء ـ الناس . فقال أبو بكر : والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ، فوالله انه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله ، من السماء الى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد مما تعجبون منه .
ثم أتى رسول الله وسأله ، والرسول يجيبه ، وفي كل مرة يقول أبو بكر : صدقت ، أشهد انك رسول الله حتى اذا انتهى ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : وأنت يا أبابكر الصديق ، فيومئذ سماه الصديق .

السيوطي

درة عصر المماليك

للاستاذ/ محمد السيد على بلاسى

وسط غيوم في سماء المعرفة ، عاش عالمنا الاسلامي ، بعد مادهم التتار «بغداد» عاصمة الخلافة العباسية ، والقوا ما فيها من كتب في دجلة ، حتى غدت جسرا يعبرون عليه !
ولكن الله الذي تكفل بحفظ دينه ، والإبقاء على قرآنه هيأ الأزهر ليكون المكان الذي يشع منه نور الدين واللغة ، فقد لجأ إليه العلماء الفارون من وجه التتار ، حيث وجدوه مكانا صالحا لأداء رسالتهم . كما حبب الله الى سلاطين المماليك ـ حكام مصر في ذلك الوقت ـ أن يميلوا الى العلم ، وأن يقربوا العلماء ويغدقوا عليهم .
في هذه الحقبة من الزمن ، وبين الجلة من علماء هذا العهد وشيوخه ، نشأ صاحبنا السيوطي ، فتأثر بها ، وأثر فيها بمؤلفاته الستمائة في شتى علوم المعرفة ! فكان بحق ـ درة عصره ، وقمرا مضيئا لمن جاء بعده ..

نسبه ونشأته : هو عبد الرحمن جلال الدين بن الإمام كمال الدين خضير الأسيوطي . ولد سنة ٨٤٩ هـ ، وينتهي نسبه من جهة أبيه الى أصل فارسى ومن جهة أمه الى أصل تركي ..
وقد ولد ـ رضي الله عنه ـ بمصر في مدينة اسيوط في الجانب الغربي من النيل

من نواحي الصعيد . وكانت تلك المدينة أعجوبة المتنزهات في جمال عمارتها، وحسن سورها وبديع موقعها، حتى أن الرشيد لما صورت له الدنيا لم يستحسن غير مدينة اسيوط، لكثرة ما بها من الخيرات والمتنزهات ..! ويضيف المؤرخون الى ميلاد السيوطي حادثة طريفة لقب لأجلها بابن المكتب وهي : أن أباه كان من أهل العلم احتاج يوما الى مطالعة كتاب، فأمر ام السيوطي بإحضاره من بين الكتب، فذهبت لتأتي به، فجاءها المخاض وهي بين الكتب، فوضعته !

وقد نشأ السيوطي يتيما، إذ توفي والده وهو دون السادسة من عمره، فتكفله الشيخ كمال الدين بن الهمام، وشمله برعايته وعنايته ..

حياته العلمية ومكانته : أتم السيوطي حفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ الثامنة من عمره، ثم رحل الى القاهرة لطلب العلم، فدرس العلوم وحفظ متون الفقه والنحو على يد علماء عصره، من أمثال : العلم البلقيني، والشرف المناوي، ومحقق الديار

المصرية سيف الدين بن محمد الحنفي ولم يزل السيوطي يوالي القراءة والدرس حتى تزود بالثقافة التي تؤهله للتدريس، فاشتغل به حينا، وكانت دروسه محببة لطلابه، لغزارة علمه . وشغل منذ شبابه بالتأليف وسنه سبعة عشر عاما ! وقد حببت الرحلات إليه، واستفاد منها علما وثقافة .

وقد ترجم السيوطي لنفسه في كتابه « حسن المحاضرة » فقال: وسافرت بحمد الله ـ تعالى ـ الى بلاد الشام، والحجاز، واليمن، والهند، والمغرب، والتكرور .

ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور، منها أن أصل في الفقه الى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث الى رتبة الحافظ ابن حجر .

ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، على طريقة العرب والبلغاء، لا على طريقة العجم، وأهل الفلسفة . والذي اعتقده أن الذي وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقة والنقول التي اطلعت عليها، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخي فضلا عمن دونهم، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه، بل شيخى فيه أوسع نظرا، وأطول باعا .

ودون هذه السبعة في المعرفة : أصول الفقه .، والجدل، والتصريف، ودونها الإنشاء والترسل، والفرائض، ودونها القراءات ـ ولم آخذها عن شيخ ـ ودونها الطب .

وقد اخترعت علم أصول اللغة اختراعا ولم اسبق إليه، وهو على نمط علم الحديث، وعلم أصول الفقه، فسارت مصنفاتي وعلومي سير الشمس في سائر الأقطار، فوصلت الى الشام والروم والعجم والحجاز واليمن والهند والحبشة . والمغرب والتكرور، وامتدت إلى البحر المحيط .

وأما علم الحساب، فهو أعسر شيء عليّ، وأبعده إلى ذهني، وإذا نظرت في

مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلا أحمله ، وقد كملت عندي آلات الاجتهاد بحمد الله ، أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى ، لافخرا أو أي شيء في الدنيا حتى يطلب تحصيلها في الفخر ، وقد أزف الرحيل ، وبدا الشيب ، وذهب أطيب العمر ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفا لها بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها ، لقدرت على ذلك من فضل الله ، لا بحولى ، ولا قوة إلا بالله ، ما شاء الله لاقوة إلا بالله

ولو نظرنا إلى ما قاله السيوطى عن نفسه نظرة جادة بعيدة عن منطق الهوى المتجرد ، لقلنا : إن السيوطي قد بالغ بعض الشيء ، وبخاصة فيما قاله بأنه « اخترع علم أصول اللغة اختراعا ولم يسبق إليه » نقول مجيبين عليه : إن السيوطي قد سبق في هذا المجال ، بدليل أن عمدة كتبه في أصول اللغة هو « المزهر » ، وهذا الكتاب قد استقى معظم أبوابه من كتب السابقين عليه ، بل وبنى فصولا منها ، من أمثال كتب علامة اللغة"ابن جني » :

"الخصائص"،"وسر صناعة الاعراب"، وغيرهما .. ، ودراسات « ابن فارس » في كتابيه :" مقاييس اللغة" "والصاحبي"..

ولكن الحق - والحق يقال - إن السيوطي يعتبر رائد طور من أطوار التأليف في علم أصول اللغة ، إذ أنه نوع في أبواب هذا الفن ، ووسع في أغراضه على غير ذي سابق ..

مؤلفات السيوطي : لقد زادت مصنفات السيوطى على الخمسمائة مؤلف ، فلقد عدّ له العلامة (فلوغل) ٥٦٠ مصنفا ، كما ذكره ابن إياس فيمن توفى في عصر الغوري وقال عنه : بلغت مؤلفاته ستمائة مؤلف ما بين رسالة محددة الموضوع وبين كتاب كبير ، في شتى مجالات المعرفة : في التفسير ، والقراءات والحديث ، والفقه ، والعربية ، والآداب ..

هذا الرقم القياسي لمؤلفات فرد واحد من العلماء ، حمل بعض الباحثين الى الشك فيه ، واستبعاد أن يكون ذلك الكم الهائل من المؤلفات له ، بل إن منهم من زعم أن كثيرا من هذه الكتب إنما هي لشيوخ السيوطي نحلها لنفسه بعد ان غير فيها قليلا ، وربما أخذ من كتب المكتبة المحمودية وغيرها كثيرا من التصانيف المتقدمة التي لاعهد لكثير من العصريين بها ، فغير فيها يسيرا ، وقدم وأخر ، ونسبها لنفسه ، وهوّل في مقدماتها بما يتوهم منه الجاهل شيئا مما لا يوفي بحقه ..

وهى دعوى من غير دليل ، ومن باب الانصاف للحق نرد عليها بما يلى :

١ - إن صاحب هذا الزعم هو السخاوي - صاحب كتاب الضوء اللامع - ذلك الرجل الذي حمل لواء الثورة على السيوطي ، نظرا لما كان بينهما من المنافسة والخصومة مما جعل السيوطي يجرد نفسه للتشهير به في رسالة اسماها : (مقامة الكاوى على تاريخ السخاوي)

٢ - لم يصلنا أن أحدا من العلماء المحققين ذكر أن هناك كتابا نسبه

السيوطي الى نفسه وهو ليس من تأليفه ..

٣ ـ إن الكثير من كتب السيوطي يقع في رسائل صغيرة ، قال عنها السخاوي نفسه : « رأيت منها ما هو في ورقة ، وأما ما هو فوق الكراسة فكثير » مما لا يستبعد أن يكون هذا العدد الوافر من الكتب للسيوطي .. .

٤ ـ ليس غريبا ان يكون للسيوطي هذا الكم الهائل من المؤلفات ، حيث إنه كان آية كبرى في سرعة التأليف ، حتى قال تلميذه الداودي : عاينت الشيخ وقد كتب في يوم واحد ثلاثة كراريس تأليفا وتحريرا ، وكان مع ذلك يملى الحديث ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة

ومهما يكن من شيء فإن للسيوطي مؤلفات لم يتطرق الشك في صحة نسبتها إليه ، وهي في ذاتها تعد مفخرة من مفاخر التأليف والتصنيف ، منها الاتقان في علوم القرآن الكريم ، والمزهر في علوم اللغة ، وهمع الهوامع ، والأشباه والنظائر في النحو ، وبغية الوعاة في تراجم النحاة ، وأسباب النزول ، وغير ذلك مما يجعل السيوطى في مقدمة العلماء والمصنفين ..

مناصبه : تنقل السيوطى في العديد من المناصب ، حيث تولى التدريس في المدرسة الشيخونية التي كان يشغلها أبوه ، وفي سنة تسعمائة واثنين عهد إليه الخليفة المتوكل بوظيفة لم يسمع ، بمثلها قط ، حيث جعله على القضاة قاضيا كبيرا يولي من يشاء ويعزل من يشاء مطلقا في سائر ممالك الاسلام ! ، كما ولى المشيخة في مواضع متعددة في القاهرة ..

زهده في الدنيا : ومع أن السيوطى ترقى الى اعلى المناصب ، إلا أنه كان عفيف النفس كريما ، صالحا تقيا ورعا ، ظل طوال عمره مشتغلا بالتدريس والفتيا ، متفرغا للعلم والتأليف ، ولما تقدمت به السن وبلغ الأربعين سنة من عمره ، هجر الإفتاء والتدريس ، وألف في ذلك كتابه (التنفيس في الاعتذار عن الفتيا والتدريس) واعتزل الناس في منزله في روضة المقياس متجردا للعبادة والتصنيف فلم يتحول عنها حتى وافاه الأجل المحتوم . وكان الأمراء والأغنياء يأتون لزيارته ويعرضون عليه أعطياتهم وهباتهم النفيسة فيردها !

روى ان السلطان الغوري أرسل إليه مرة خصيا وألف دينار ، فرد الدنانير وأخذ الخصي وأعتقه وجعله خادما في الحجرة النبوية ، وقال لرسول السلطان : لا تعد تأتينا قط بهدية ، فإن الله أغنانا عن مثل ذلك !

وفاته : وكانت وفاة السيوطي سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، بعد أن مرض سبعة أيام بورم شديد في ذراعه الأيسر ، وقد استكمل من العمر إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوما . رحم الله السيوطى

كتاب الشهر

الفِكرُ الإسلامي بين المثالية والتطبيق

تأليف : كامل الشريف

عرض وتحليل : محمود بيومي

★ مقدمة

الكتاب الذي نتناوله اليوم بالعرض والتحليل .. هو كتاب « الفكر الاسلامي بين المثالية والتطبيق » لمؤلفه الاستاذ كامل الشريف وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية السابق بالمملكة الاردنية الهاشمية ـ وأحد كبار المفكرين المسلمين في العالم العربي .

وقد تضمن الكتاب اثنى عشر فصلا شغلت (٢٥١) صفحة من الحجم المتوسط .. تحدث فيها الكاتب عن الفكر الاسلامي في المجتمع المعاصر والأفكار والاصلاحات الاساسية لخطة العمل الاسلامية وغيرها من الموضوعات الهامة التي نعرض لها .

○ منهج البحث ○

تجاوز المؤلف عن عمد الخوض المفصل في البديهيات المعلومة .. كالحديث عن عظمة التشريع الاسلامي .. لأن هذه الحقائق محل اقتناع وتسليم .. ووضع لنفسه منهاجا ركز فيه على مؤسسات ومشروعات اسلامية محددة .. دعا للأخذ بها وتنفيذها .. انطلاقا من أن المجتمع الاسلامي بحاجة لان يخرج من عموميات الفكرة .. وأن يبدأ في التنفيذ أو التطبيق من أي نقطة ـ مهما بدت متواضعة ـ استنادا الى ان الممارسة العملية عبر المؤسسات ..

هي وحدها التي يمكن ان تنقل الفكر الاسلامي الى دنيا الواقع .. وتعزز ارتباط الناس بالعقيدة الاسلامية من خلال التأثير في حياتهم اليومية .

○ النظرية الاسلامية ○

ويرى المؤلف .. ان العمل وحده هو الذي يثري الفكرة ويمنحها التجربة وفرص الحياة .. وأن النظرية الاسلامية بالذات قد حيل بينها وبين الممارسة قرونا طويلة .. وقامت بينها وبين حياة البشر .. العوائق والسدود حتى اصبحت تاريخا يقرأ .. لا واقعا يحياه الناس.. ويمكن ان تظل النظرية الاسلامية كذلك .. اذا لم تدخل ميدان التجربة العملية .. لتحتل المواقع التي فقدتها شيئا فشيئا.. وذلك بالشروع في تحقيق الممكن ومن اي زاوية متاحة .. ثم تطوير الانجاز الى آفاق جديدة .. لتصارع الافكار المعادية للاسلام بأسلوب عملي .
ومن هنا .. فإن واجب الدعاة ان ينتهزوا كل فرصة سانحة .. لنشر الدعوة الاسلامية وكسب القلوب من حولها .. وطرح البدائل في مؤسسات وكيانات وتشريعات مؤثرة تحد من الشر وتدعم نزعة الخير وتزاحم تيارات السوء بقوة الحق ونور اليقين .

○ مواجهة التحديات ○

ويرى الأستاذ كامل الشريف : ان الظروف المحيطة بنا لا تساعدنا على إضاعة مزيد من الوقت الثمين في الجدل والخلاف عما يجب ان نفعله لمواجهة التحديات الخطيرة التي تحيط بنا .. ذلك لأننا نتعرض لسلسلة من المؤامرات التي تستهدف كياننا الاسلامي وثرواتنا .. ولابد من القيام بخطوات سريعة ومتلاحقة .. حتى تجتمع كلمة الامة الاسلامية على الحق الواضح والطريق السوي في مجال العمل الاسلامي .. وذلك بالارتباط بالمباديء السامية التي ارتبط بها اسلافنا .. فعزوا وسادوا وخلفوا لنا تراثا عظيما واوطانا شاسعة .. هي أمانة في اعناقنا .. ويجب ان نعمل كل جهدنا لتسليمها الى ابنائنا .

○ تنشيط الفكر الاسلامي ○

ويرى المؤلف ضرورة العمل الجاد لتقوية العقيدة الاسلامية في نفوس المسلمين وتنشيط الفكر الاسلامي بكافة الوسائل المشروعة والمتاحة .. وان ذلك أمر حتمي .. وبدونه سوف يستمر المجتمع الاسلامي في التأثر بالتيارات الخارجية .. فلابد ان نجمع الناس على استيعاب التراث الاسلامي عقيدة وثقافة وتاريخا وواقعا معاصرا .. وفق برامج منسقة في التعليم والاعلام .

كما يرى ان كل محاولة للاصلاح الاجتماعي او التنمية الاقتصادية .. يجب ان ترتبط بالمفاهيم الاسلامية الصحيحة .. لأن ذلك يقوي التزام المسلم بالفكر الاسلامي ويثبت عمليا ارتباطه بالحياة المعاصرة .. كما يسد المنافذ على الأفكار الاجنبية المعادية ..

وهذا يتطلب ان تعنى كل مؤسسة في ديار المسلمين بوضع الإطار الفكري العقائدي لمشاريعها العملية .

○ تأكيد القيم الاسلامي ○

ومن الضروري إعطاء عناية اكبر للاخلاق العامة .. ووضع القيود امام مظاهر الانفلات .. والاتجاه نحو تأكيد القيم التي يدعو لها الاسلام .. كالحد من مظاهر الترف وضرب الفساد الاجتماعي والخلقي وتشجيع أعمال الخير والبر وغير ذلك من المبادىء والقيم السامية .. والمشاركة النشطة والايجابية في الجهود التي ترمي الى تحقيق تضامن أوثق بين الدول والشعوب الاسلامية ، إلى جانب الاهتمام بالتعريف بالشعوب الاسلامية وعرض قضاياها في البرامج الاعلامية والتعليمية .

○ حيوية الدعوة الاسلامية ○

ان الاسهام في تنظيم وتنشيط المجهودات التي تبذل .. لتقوية الدعوة الاسلامية في البلدان الخارجية خصوصا في افريقيا وآسيا يؤكد على حيوية الدعوة الاسلامية ويرسي معاني الاخوة الاسلامية العالمية .

ولاشك ان الاتفاق على حد أدنى للتعاون بين المؤسسات يمكن أن يحقق فوائد هامة ويتفادى أضرارا كثيرة .. ويعمل على إيجاد أرضية فكرية وعقيدية .. من شأنها تقليص التناقضات الفكرية لدرجة كبيرة .

○ المناخ الفكري الموحد ○

وبذلك يتهيأ المناخ الفكري الموحد لتضييق الفرص امام الافكار والمبادىء المعادية للعقيدة المحمدية .. كما يعمل على إغلاق الفجوة القائمة بين بعض التجمعات الاسلامية من ناحية .. وبعض الشباب الذي تغرب وتثقف بالثقافة الغربية من الناحية الاخرى .. وذلك بسبب التطرف والمغالاة في الحالة الاولى .. والميل المتفلت نحو التقليد الأعمى للحضارة الغربية في الحالة الثانية .. وما يتبع هذه الفجوة من خلاف وتنافر تستفيد منه الحركات المعادية للاسلام والمسلمين .

فالاتفاق على الحد الادنى في العمل الاسلامي .. لا يعني إضعاف اي نشاط اسلامي فكري بل يسعى نحو تحقيق المزيد من الخير في مجالات التشريع او العبادة او الاخلاق .. طالما كان اسلوب الدعوة يعتمد على الحكمة والمنطق السليم .. وليس على أسلوب التهجم او التشهير .

○ الموقف الاسلامي الراهن ○

هناك أسباب عديدة تجعل المسلم موصولا بعقيدته .. حريصا على الوفاء بالتزاماتها .. مستعدا للاصغاء لأية دعوة تدعو اليها .. وهذه الاسباب قد تكون دينية خالصة تتعلق بذلك الميل الأزلي نحو اتصال المخلوق بالخالق تبارك وتعالى وابتغاء الثواب لديه .. وهناك اسباب خاصة عديدة

تتعلق بالمسلم .. حيث تتفاعل العقيدة مع التاريخ .. في تحريك اشواق المسلمين للماضي بكل ما يمثله من القوة والمجد والشموخ .. وخصوصا في المرحلة المعاصرة التي اتسمت بالهزائم والضعف .. واصبح من المألوف التذكير بالمعادلة القائلة .. بأن التمسك بالاسلام .. هو الذي ادى الى انتصارات الماضي .. وان التخلي عنه ادى الى الضياع .

فالاصلاحات الاجتماعية قد اصبحت الآن مادة اساسية في العمل الاسلامي .. بعد ان ثبت يقينا ان الفلسفات الغربية لم تحقق الاهداف المرجوة بل ادت الى نكسات وقد ادى ذلك الى ايجاد فراغ عقيدي واضح تزحف العقيدة الاسلامية لاحتلاله مزودة باسلحة يلتقي فيها الدين والتاريخ والانتماء الى الامة الاسلامية .

○ الانتماء الاسلامي وتأثيره ○

من الضروري وضع خطة تكفل تقليص السلبيات وزيادة الايجابيات في العمل الاسلامي .

فليس هناك حدود حاسمة بين الوضع الداخلي او الوضع الخارجي عند دراسة الانتماء الاسلامي .. ومن **اسباب ذلك** :

- وحدة الانتماء ووحدة المصدر التشريعي والتاريخي ووحدة الآمال والتطلعات .
- الشعائر والمناسبات الاسلامية التي تزيد في الشعور بالوحدة كالحج والصيام والأعياد وغيرها .
- التأييد التلقائي الذي يبرز لدى المسلمين عندما تتعرض دولة اسلامية للكوارث الطبيعية او الهزات السياسية .

العالمية ودورها في مصائر الشعوب الصغيرة .. يدفع المسلم الى التفكير في

معالم الكتلة التي ينتمي اليها .. وهذا يقوده الى التفكير في التضامن الاسلامي .

وبذلك لا يمكن العزل بين ما يقع في قطر اسلامي وبين الصورة الاسلامية

العامة .. وامام هذه المرتكزات لايمكن ان نهمل التيارات التي تؤثر في البلاد الاسلامية .

○ المثالية والواقع ○

بمجرد ان تنتعش الحركة الاسلامية ، كثيرا ما تطالب بسرعة

تنفيذ الحد الاعلى من الشريعة الاسلامية .. دون النظر الى واقع المجتمع ومدى استعدادته وطبيعة

الحقائق القائمة التي تؤثر في مؤسساته وهذه الدعوة رغم انها صحيحة من الناحية الشرعية المحضة .

الا أن عدم امكانية الأخذ بها بصورة فورية يؤدي الى احد امرين في رأي المؤلف **هما** :

● إما الإحراج والمصادمة مع الاوضاع الاجتماعية القائمة اذا لم تكن الحركة الاسلامية في مقعد المسؤولية .

● وإما اللجوء الى اتخاذ اجراءات قسرية في الداخل وانتقاد شديد في الخارج .

○ **المرحلية في العمل الاسلامي** ○

ويعرض الاستاذ كامل الشريف : ضرورة الاتفاق على اتباع منهج « مرحلي » لنقل المجتمع نحو الاخذ بالفكر الاسلامي والحياة الاسلامية .. وتحقيق معادلة معقولة بين أصالة الفكرة وحقائق وظروف المجتمع الحديث .

○ **حماية المجتمع الاسلامي** ○

إن الاسهام النشط في معالجة المشكلات القائمة .. يجب ان يوجه لإيجاد صيغة تحقق المواءمة بين العقيدة الاسلامية والحياة اليومية وبين النظرية المجردة والممارسة الفعلية .. وذلك من اجل حماية المجتمع الاسلامي من عوامل التفرقة والتمزق ومن تأثير الحركات والتيارات الاجنبية التي تفتك بالعقيدة والأخلاق .. وتضعف مناعة المجتمع الاسلامي أمام الغزو الثقافي .

ومما لاشك فيه ان الفكر الاسلامي قد خطا خطوات واسعة في السنوات الأخيرة .. حتى امتلأت المكتبات بالدراسات الاسلامية في السياسة والادارة والتربية والاقتصاد وغيرها .. الا ان هذه الحركة الفكرية الواسعة لم تحقق نجاحا كبيرا في نقل المجتمعات الاسلامية نحو استئناف حياة اسلامية معاصرة .. وبقيت الفجوة الخطرة بين الفكر والممارسة قائمة .

○ **نحو مؤسسات إسلامية** ○

ويرى المؤلف : أن السبيل الى التقريب بين الفكر والممارسة وردم الفجوة بينهما .. هو وجود خطة للتطور « **المرحلي** » تشترك فيها الأجهزة الرسمية والمؤسسات والحركات الثقافية والفكرية .. وهي خطة تجمع بين الولاء للعقيدة والتراث والاتصال المفتوح مع أساليب العصر ومنجزاته ومعارفه .. وذلك إذا أردنا ان نحمي مجتمعاتنا من التميع وفقدان الشخصية ومن القلق .. ومن هنا أن نجد من الضروري إقامة مؤسسات ترتكز على الفكر الاسلامي والشريعة الغراء في جميع المجالات ..

فتعنى مؤسساتنا الفكرية بإعداد الدراسات التي تؤدي لاقامة مؤسسات عامة في كل الحقول .. دراسات تبدأ بالبحوث في النظرية وابراز جذورها في الشريعة الاسلامية .. وتنتهي بوجودها كحقيقة قائمة في المجتمع .. تتفاعل معه وتؤثر فيه

الفتاوى

استعمال المال الحرام في الطاعات

موظف يسأل قائلا لي زميل كسبه حرام بدأ في بناء مسجد ونوى على الحج ولما ناقشته في ذلك قال : هذا لا يضر مادام في طاعة الله ! ومادامت النية حسنة ! فما الحكم ؟

من المعلوم ان حسن النية لا يجعل الحرام حلالا ولا يجوز بحال من الاحوال ان يكون الحرام وسيلة الى غاية محمودة لان الاسلام يحرص على شرف

الغاية ومشروعية الوسيلة معا فمن جمع مالا من حرام ووضعه في طاعة او اقام به مشروعا خيريا لا ينفعه ذلك ولا يرفع عنه الوزر لان الله لا يقبل الا

الطيب من العمل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال « يا ايها الرسل

كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم » وقال"يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم". ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر

ساعيا للحج والعمرة ونحوهما ـ يمد يديه الى السماء يارب .. يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام فأني يستجاب لذلك ـ ويقول

ايضا : من جمع مالا من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه اجر وكان إصره عليه ـ وبهذا فالكسب الحرام مهما استعمله صاحبه في خير او طاعة ، فالله لا يقبله وسيحاسبه عليه حسابا عسيرا وروى عن ابي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز ـ يعني الركاب ـ فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك ، زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور وغير مأزور واذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور ـ رواه الطبراني في الاوسط .

نقل الكلى وانشاء بنك لذلك

مريض بالكلى اسمه محمد السويفي من امبابة بمصر ارسل يقول اعاني من مرض الكلى وتقرر لي نقل كلية ولم اجد من يتبرع لي من اجلي وليس عندي مال اعطيه لشخص اجنبي ما ليتبرع لي بكليته فهل هناك مانع من انشاء بنك يوفر كلى الاموات في الحوادث لاسعاف المرضى الفقراء ؟

انشاء مثل هذا البنك وبيان مدى فائدته هو من اختصاص رجال الطب إذ هم اهل المعرفة في مدى صلاحية الكلية المنقولة من الميت ، وهم ادرى الناس

بجدوى قيام مثل هذا البنك ومدى صلاحية الكلية التي تحفظ فيه الى غير ذلك من سلبيات وايجابيات ـ اما النقل من حيث هو نقل فقط ومن حيث الجواز

وعدمه فيمكن القول بان المنقول منه إما ان يكون ميتا او حيا ، فان كان ميتا وقد اوصى او اعطى اذنا بهذا النقل فلا مانع من النقل شرعا ـ حيث لا يوجد

دليل صريح في التحريم اما اذا لم يكن الميت قد اذن بذلك من قبل فالامر يتوقف على اذن الاولياء ان اذنوا جاز النقل وان لم يأذنوا فلا يجوز وفي حالة

جواز النقل من الميت لابد من معرفة راي الاطباء في مدى الانتفاع بكليته فاذا كانت لا تؤدي وظيفتها فالنقل يعتبر عبثا بالميت وايلاما للحي من غير موجب

اما النقل من الحي المتبرع باحدى كليتيه فهو جائز اذا لم يلحق النقل به ضررا في صحته فان لحقه ضرر بذلك امتنع الجواز ولو اذن به كما لايجوز

النقل بغير اذنه ولو تم النقل بغير علمه وجب له العوض كما هو مفصل في باب الديات في كتب الفقـه ويلاحظ التأكد من تحقق الغاية من النقل ومدى

انتفاع المنقول اليه بذلك . نقل احدى الكليتين من الحي جائز ان توقف عليه اسعاف وانقاذ حياة انسان اخر بالشروط المبينة .

فهرس عام

محمد مؤذن

مجلة الوعي الإسلامي

لعام

١٤٠٨ هجري

السنة الرابعة والعشرون

فهرس الموضوعات

كلمة الوعي لرئيس التحرير

وقفة تأمل للأستاذ فهمي الإمام

مائدة القارئ ـ للتحرير

كتاب الشهر

قصص ومسرحيات

القصائد

شخصيات

قرأت لك

للتحرير

كلمات وأحاديث

استطلاعات

الفتاوى

فهرس الكتّاب

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة - مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم - دار التوزيع - ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع - 5 شارع قرطاج - ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان - وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع -ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ - ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي - ص . ب : ٨٠٧٠ - ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط - وكالة مجان - ص.ب : ٧٩٦ - تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ - تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان - شارع علي عبدالغني - صنعاء - ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع - الدوحة - ص . ب : ٥٢ - تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

O الكويت O : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لايوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



طبع في مطابع دار السياسة - الكويت